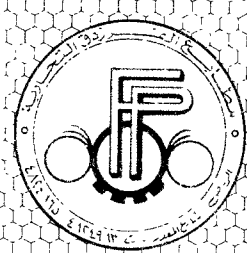

019328

العرب

محلة شهرية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل. هاتف (٢٤٣ المحرر)
الرياض المملكة العربية السعودية

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا العشرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الادارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

الجزء الاول - السنة الثانية - رجب - سنة ١٣٨٧ (تشرين الاول ١٩٦٧)

قُطْرُ الطَّائِفِ وَمُؤَرِّخُوه

- ١ -

لإقليم الطائف ميزاتٌ على كثير من أقاليم الجزيرة ، منها :

١ — اعتدال مناخه ٢ — خصوبة أرضه ٣ — توسط موقعه .

وهـــذه الميزات الثلاث تكسب الموقع الرغبة في السكنى ، وانتشار العمران ، ولهذا أصبح الطائف من أقدم أقطار الجزيرة العربية عمراناً .

فقد سكنه من الأمم البائدةبنو مهلائيل بن قينان قبل الطوفان، ثم سكنه بعدهم بنو عبد بن ضَخْمٍ من عاد الأولى ، ثم ثمود قبل سكناهم الحِجْر .

وهذه الأمم لا نعرف عنها إلا القليل جداً ، ولعل أوثق ما نعرفه هـو ما جاء عنها في الشعر القديم ، فبنو مهلائيل ذكرهم ذو الأصبع العدوانيُّ من شعراء الطائف ، ومن قبيلة عَدْوان التي لا تزال تسكن الاقليم ، فقال :

كِلا الحَيَّيْنِ قَـد هَلكا سِفاهاً كما هَلكَ ابنُ مِهْليلٍ بِـ « وَجِّ »
عَدا بالخيْلِ من « جلْدانَ » رَهْواً يَجـوبُ الأرضَ فجّاً بَعْدَ فجِّ

و « وَجٌّ » هو وادي الطائف المعروف و « جلدان » من أوديته الشرقية المعروفة الآن .

أما بنو عبد بن ضخم ، فقد ورد ذكرهم في شعر أميـة بن أبي الصَّلْت الثقفي الطائفي بقوله :

كما أفْنى بَني عَبْدِ بْن ضَخْمٍ فما يذْكو لصاليْها شِهـــابُ
بَني بَيْضٍ ، وَرهْطِ بَني مُعاذٍ وفيهم عِزَّةٌ وهمُ غِلابُ

ويذكر متقدمو المؤرخين كالهمداني وابن خلدون ، ان بني ضخم هؤلاء هم أول من اخترع الخط العربي .

وأما ثمود فجُلُّ ما يعرف عنهم، ما قصه الله من خبرهم في القرآن الكريم.

ولصلة ثمود بالطائف وسكناهم فيه ،نسب بعض النسابين اليهم قبيلة ثقيف، وكانت هذه النسبة في عهد مبكر ، إلا أن ثقيفاً ينكرون ذلك ، وأول من أنكره منهم الحجاج بن يوسف الثقفي حينما قال : لقد كذبوا ، وصدق الله : (وثَمُودَ فما أبقى) .

وبعد انتشار القبائل العدنانية ، سكن الطائف قبل ثقيف قبائل يمنية ، ويقـــال ان أقدم من سكنه من القبائل العدنانية قبيلة عَدْوان التي لا تزال تسكن بعض جهاته ، مجاورة لثقيف ، إلا أن هذه القبيلة الأخيرة غلبتها على سكن البلاد ، فانتشرت في أعالي الأودية وصدورها ، وبقيت عدوان مجاورة لها في أسافلها .

وخبر سكنى ثقيف ، وما وقع بينها وبين القبائل التي زاحمتها في سكنى هذه البلاد ، ذكره جل المؤرخين، كالاصبهاني صاحب « الأغاني » وابن الأثير في «الكامل» وقبله البكري في « معجم ما استعجم » في مقدمته معتمداً على كتاب ابن الكلبي « افتراق القبائل » ويوشك أن يكون ما ذكره ابن الكلبي أوفى ما جاء في الموضوع وانه الأصل لمن جاء بعده .

وذكر الهمداني خبراً طريفاً في الموضوع ، وهو على غرابته وطرافته لا يخلو من فائدة عمن سكن الطائف في القديم [1] .

وقد عُرِف إقليم الطائف في العهد الجاهلي، بأنه من أهم المراكز التجارية في جزيرة العرب ، لتوسطه بين الحجاز واليمن ونجد — وهو معدود من عالية نجد — ولوقوعه في أرض خصبة تكثر فيها زراعة الحبوب والفواكه ، وتنتشر فيها الأشجار في أوديتها وفي جبالها ، فيربى فيها النحل ، ولهذا عرف عسله بأنه من أجود أنواع العسل . حتى كان الخلفاء في العهد الأموي يطلبون من ولاتهم في الطائف ان يبعثوا لهم منه العسل ، كما فعل سليمان بن عبد الملك (انظر معجم ما استعجم مادة حِداب بني شَبابة) .

وعُرِفت ثقيف في العهد الجاهلي بالنشاط في مختلف اوجه العمران ، من تجارة وزراعة وصناعة ، وتشييد الحصون القوية .

ولمجاورتهم لقريش، قويت الصلة بين القبيلتين ، يقول ابن خلدون بتاريخه : (قريش وملكهم في مكة ، وكانت ثقيف جيرانهم في الطائف يساجلونهم في مذاهب العروبية ، وينازعونهم في الشرف. وكانت الطائف قبلهم لعدوان .. فغلبتهم ثقيف) [2] .

وكان لثقيف بحكم اشتغالهم في التجارة ، صلات قوية بالبلاد الخارجية كفارس والشام وغيرهما ، ويحفظ لنا التاريخ طائفة من أنباء هذه الصلات ، وسنشير الى بعضها .

وعُرف من أهل الطائف في العهد الجاهلي ، وفي صدر الاسلام شعراء كأمية بن أبي الصلت ، وغيلان بن سلمة ، وأبو مِحْجَنٍ الثقفي والعرْجي والنُّمَيريّ وطريح الثقفي ، ويزيد بن الحكم ، ويزيد بن ضبة وغيرهم ممن نجد من أخبارهم في كتاب الأغاني قدراً حسناً .

---

(١) صفة جزيرة عرب ص ٢١١ .

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٦٩٩ طبعة بيروت .

وعرف من مشاهير أهل الطائف الحارث بن كَلَدَة طبيب العرب، وكان تعلم الطب في (جنديسابور) من مدن الأهواز القديمة ، ويدل ما حفظ لنا من أنبائه انه كان على جانب كبير من العقل والذكاء ، ويصور بعض ذلك ما أورده ابن عبد ربه من خبر وفادته على كسرى ، ومحاورته اياه ، فقد أراد كسرى النيل من العرب ، ولكن الحارث دافع بطريقة تدل على ذكائه وغزارة عقله ، سأله كسرى : أعربي أنت ؟ أجاب : نعم ومن صميمها . فقال : ما صناعتك ؟ فقال : طبيب . فقال : وما تصنع العرب بالطبيب مع جهلها ، وضعف عقلها ، وقلة قَبُولها ، وسوء غذائها ؟ فقال الحارث : ذلك أجدر — ايها الملك — اذا كانت بهذه الصفة ان تحتاج الى ما يصلح جهلها ، ويقيم عوجها ، ويسوس أبدانها ، ويُبْرِىءُ امشاجها ، فان العاقل يعرف ذلك من نفسه . فقال كسري : وكيف لها بأن تعرف ما تورده عليها ولو عرفت الحق لم تنسب الى الجهل ؟ فقال الحارث : ان الله قسم العقول بين العباد كما قسم الأرزاق ، وأخذ القوم نصيبهم ، ففيهم ما في الناس من جاهل وعالم ، وعاجز وحازم .

ثم استرسل يسأله وهو يجيب في قصة طويلة متعة ، أوردها كاملة ابن عبد ربه وغيره [1] .

ويقرب من هذه القصة قصة غيلان بن سلمة الثقفي ، حينما قدم الى بلاد العراق في العهد الجاهلي ، وكانت خاضعة لكسرى ، قدم بتجارة ، وقد أورد القصة صاحب الأغاني [2] وغيره بما هذا خلاصته :

قدم غيلان العراق بتجارة في الجاهلية ، فلما دخل على كسرى قال له ترجمانه : يقول لك الملك : ما أدخلك بلادي بغير اذني ؟ فقال : قل له : لست من أهل عداوة لك ، ولا أتيتك جاسوساً لِضِدٍّ من أضدادك ، وانما جئت بتجارة تستمتع بها ، فان أردتها فهي لك ، وان لم تردها وأذنت في

---

(١) كتاب «العقد الفريد» ج ٨ ص ٧٧ .

(٢) « الأغاني » ج ١٢ ص ٤٦ طبعة الساسي بمصر .

بيعها لرعيتك بعتها، وان لم تأذن في ذلك رددتها . فاستحسن كسرى كلامه، وأمر له بمرفقة توضع تحته ، فلما أُتي بها رأى بها صورة الملك ، فوضعها على رأسه ، فاستجهله كسرى ، واستحمقه ، وقال للترجمان : قل له انمـــا هذه لتجلس عليها !!. قال : قد علمت ، ولكني رأيت عليها صورة الملك ، فلم يكن حقها على مثلي الجلوس عليها ولكن حقها التعظيم ، فوضعتها على رأسي لأنه أشرف أعضائي وأكرمها عليّ . فاستحسن كسرى فعله جداً ، ثم قال له : ألك ولد ؟ قال : نعم . قال : فأيهم أحبُّ اليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يعود . فقال كسرى : زِهْ [1] ما أدخلك علي ، ودلك على هذا القول والفعل إلا حظك ، فهذا فعل الحكماء وكلامهم ، وأنت من قوم جُفاة ، لا حكمة فيهم ، فما غذاؤك ؟! قال : خبز البر . قال : هذا العقل من البر ، لا من اللَّبن والتمر ، ثم اشترى منه التجارة باضعاف ثمنهـــا وكساه ، وبعث معه من الفرس من بنى له أُطُماً في الطـــائف .

وفي اقليم الطائف ، وجد أعظم مركز تجاري ثقافي ، اجتماعي ، وهو (سوق عكاظ) الذي كانت القبائل من مختلف أنحاء الجزيرة العربية تجتمع فيه للبيـع والشراء ، والمتاجرة ، والمفاخرة ، وللتباري في الخطابة والشعر ، وللبحث في كثير من القضايا العامة .

وكان يعقد في شهر ذي القعدة من كل عام ، في العهد الجاهلي ، واستمر بعد ذلك في صدر الاسلام إلى سنة ١٢٩ .

ويقع مكان هذا السوق في أسفـــل اودية الطائف ، باتصالها بسهل رُكْبَةَ [2] .

ومن هنا اكتسب اهل الطائف مزايا ، انفردوا بها عن غيرهم من القبائل ، لا من الناحية الاقتصادية وحدها بل من نواحي اخرى متعددة .

---

(١) كلمة استحسان مثل : مَرْحَى .

(٢) لنا رسالة في تحديده نشرت قبل بضعة وعشرين عاماً وسنعيد طبعها .

من تلك المزايا ان لغة ثقيف ولهجتهم بلغت درجة من الفصاحة حملت على إشراكهم عند كتابة المصحف الكريم عندما قام المسلمون في عهد ابي بكر (ص) بجمع القرآن .

ومما عرف عن أهل الطائف نشاطهم في مختلف المجالات العمرانية ، نشاطاً قد لا يشاركهم فيه غيرهم من القبائل العربية الأخرى ، ويرجع هذا إلى عراقة تحضرهم ، فبينما نجد كثيراً من القبائل العربية بعيدين عن بعض وسائل الحضارة ، بل أقوى تلك الوسائل، وهي الصناعة ، نجد أهل الطائف لا يستكنفون عن تعاطيها ، ولهذا عرف الطائف منذ القدم بكثرة ما فيه من المدابغ ، وعرف الأديم الطائفي بأنه من أجود الأدم ، ويصف الهمداني مدينة الطائف بقوله : (مدينة قديمة جاهلية ، وهي بلد الدباغ ، تدبغ فيها الأدُم الطائفية المعروكة [1]) . ونجد أشراف هذه المدينة لا يرون غضاضة في تعلم الصناعات المفيدة ، فيروي ابن جرير أن عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة ذهبا إلى جرش لتعلم صناعة الدباب والضبور والمجانيق [2] .

وقد عرف أهل الطائف بشجاعتهم شجاعة مكنتهم من المحافظة على بلادهم، مع قلة عددهم، واحاطتهم بالقبائل العدنانية من ثلاث جهات، وبالقبائل القحطانية من الجهة الرابعة ، جهة الجنوب .

ولما جاء الاسلام ، كانت قبيلة ثقيف من آخر من انقاد له من القبائل في جزيرة العرب ، فقد غزاهم الرسول (ص) وحاصرهم ، ولما رجع من حصارهم وفدوا اليه ، وانقادوا للاسلام عن طواعية واختيار ، وابلوا فيه بلاء حسناً وبرز منهم رجال كانت لهم مواقف حميدة في عهد الرسالة وبعده .

وعرف من أهل الطائف رجال امتازوا بالدهاء والحكمة ، قال الأصمعيُّ : دهاة العرب أربعة : معاوية ، وعمرو بن العاص ، والسائب بن الأقرع ، والمغيرة بن شعبة ، وكلهم ولدوا في الطائف .

---

(١) صفة جزيرة العرب، ص ١٢٠ .

(٢) تاريخ ابن جرير ، ص ١٦٦٩ الطبعة الاوربية .

وقال الشعبي : الدهاة أربعة : معاوية ، وعمر ، والمغيرة ، وزياد ، فأما معاوية فللأناة والحلم ، وأمـــا عمرو فللمعضلات ، وأما المغيرة فللمبادهة ، لم يأخذ عقدة إلا حلها ، وأما زياد فللصغير والكبير [1] .

انقاد أهل الطائف للاسلام ، فعرف لهم الرسول (ص) فضلهم ، فأكرم كثيراً من رجال ثقيف باسناد بعض الأعمال اليهم ، كالمغيرة بن شعبة ، وعروة ابن مسعود ، وعثمان بن أبي العاص وغيرهم .

وبقي لقطر الطائف علوُّ منزلته في نفوس الخلفاء ، قال تقي الدين الفاسي مؤرخ مكة [2] : (وكان للطائف خطر عند الخلفاء فيما مضى ، وكان الخليفة يوليها رجلاً من عنده ، ولا يجعل ولايتها إلى صاحب مكة) .

ويستطيع الباحث أن يتبين معـــالم الطريق لتاريخ الطائف منذ العهد الاسلامي ، فلقد عني المؤرخون عندما بدأوا بتدوين تاريخ الاسلام بكتابة تراجم أعلامـــه من الصحابة والتابعـين فمن بعددهم ، ولهذا فكتب الطبقات كطبقات ابن سعد ، « وطبقات خليفة بن خياط » والكتب المؤلفة في تراجم الصحابة ، كـ « الاستيعاب » لابن عبد البر ، و « أسد الغابة » لابن الأثير ، و « الاصابة » لابن حجر ، وككتاب « سير أعـــلام النبلاء » للذهبي ، و « تاريخه الكبير » و « دول الاسلام » له ، وتاريخ ابن خلّكان » وأمثال هذه الكتب تضم قدراً صالحاً من تراجم أعيان الطائفيين ، من عهد الرسالة فما بعده ، وخاصة من لهم مواقف بارزة في التاريخ الاسلامي ، أو في رواية السنة النبوية . وقام مؤرخ مكة الفارسي في كتاب « العقد الثمين » بترجمة[3] (الصحابة من أهل الطائف من ثقيف ومواليهم ، ومن غيرهم ، لأن الطائف من عمل مكة من قديم الزمان ، حتى الآن) .

---

(١) «مجلة العرب» م ١ ص ٤٥٥ .

(٢) كتاب « شفاء الغرام » صفحة ٧٦ ، الطبعة الاوروبية .

(٣) كتاب « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » ج ١ ص ٣٤٣ . ويقصد من قديم الزمان ، أي بعد عهد الخلفاء الذين كانوا يفردونها بالولاية كما تقدم في كلامه .

ولقي قطر الطائف عناية خاصة من العلماء ، عنوا بتدوين الفضائل ، فقد روى الامام أحمد في مسنده عن النبي ﷺ أنه قال : (إنَّ صَيْدَ وَجٍّ وعِضاهَهُ حَرَمٌ مُحَرَّمٌ) ، ومع ضعف سند هذا الحديث ، فان الامام الشافعي رحمه الله يرى تحريم صيد وج ، ووج كما هو معروف وادي الطائف.

ومن هذه النقطة شرع العلماء في عصور متأخرة بكتابة مؤلفات خاصة عن الطائف ، مما سنعرض له مفصلاً فيما بعد .

أما النواحي الأخري التي اتصف بها قطر الطائف وعرف بها أهله من حيث طيب الهواء ، واعتدال المناخ ، والنشاط العمراني ، فإن الباحث لا يجد عن تلك سوي نتف يسيرة ، مفرقة في كتب الأدب والتاريخ ، رغم ما لذلك القطر من ماضٍ قل أن يكون له مثيل في غيره في أقطار الحزيرة .

لقد كان من أجمل المصايف منذ القدم ، وهذا من الأسباب التي كانت تدفع بالأغنياء وذوي الجاه والسلطان في القديم الى التملك فيه ، فالبلاذري الذي خصص في كتابه « فتوح البلدان » فصلاً عن الطائف يذكر أنه كان لعامة قريش أموال في الطائف يأتونها من مكة فيصلحونها ، وكان لعبدالمطلب ابن هاشم أحد سادة قريش وجد المصطفى ﷺ له فيه مال يسمى الهرم ، وكان للعباس بن عبد المطلب منه مال،على ما روى الأزرقي ولعلي بن عبد الله ابن عباس ، ولجده العباس بن عبد المطلب ، ولعثمان بن عفان ، ولمعاوية بن أبي سفيان ولغيرهم من قريش .

وكان لزبيدة زوجهارون الرشيد، حائطان عظيمان فيه على ما روى الهمداني، ولسلامة أم الخليفة المقتدر حائط على ما ذكر أيضاً .

وكانوا يغبطون المصطافين في الطائف ، فيقول معاوية رضي الله عنه : أغبط الناس عيشاً مولاي سعد . وكان يلي أمواله بالحجاز ، فيتربّع بجدة ، ويشتو بمكة، ويتقيظ بالطائف ، ويصف الشاعر النميري زينب أخت الحجاج بالنعمة والرفاهية فيقول :

ثشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف [1]

بل لقد بلغ الأمر عندهم إلى أن صاروا يطلقون وصف الاصطياف بالطائف لشدة أثره في نفوسهم يطلقوذ على ما لا يعقل من الحيوان والجماد ، فيقولون عن الدابة التي تخرج من آخر الزمان : انها تصيف ببسل — وهو أحد أودية الطائف— وتشتو بمكة[2] ويقولون عن اللات من أكبر الأصنام في الجاهلية الذي كان في بلاد الطائف: ان ربكم يتصيف باللات لبرد الطائف ويشتو بالعزى[3]. وما ذاك إلا لانطباع هذا الامر في نفوسهم ذلك ان الطائف كما هو معروف يرتفع عن سطح البحر بما يقارب ١٦٥٠ متراً ، بحيث قل أن يشابهه في الارتفاع أي مكان صالح للاصطياف في بلاد العرب .

لم يعن المتقدمون من المؤرخين من العرب بابراز النواحي الاقتصادية وبتخصيصها بالبحث والتأليف ، ولو عنوا بذلك لكان للطائف منه أوفر نصيب ، لكثرة أعنابه التي كان يحمل زبيبها إلى كثير من أنحاء الجزيرة . ولوفرة ما يحمل اليه من الثروات القريبة منه ، من الحبوب وما يزرع فيه ، ولقد عرف من حبوبه (اللقيمي) وهو نوع من الحنطة ، حبته كبيرة ، منسوب الى إحدى قرى الطائف (لقيم) التي لا تزال معروفة ولا يزال هذا الاسم في بلاد نجد يطلق على الحب الجيد ولو لم يزرع في الطائف .

ولا نجد فيما بين أيدينا من المؤلفات ما يشفي الغلة عن آثار الطائف القديمة ، مع أن أول من اخترع الكتابة العربية كانوا بني عبد بن ضخم من سكانه ، وان ممن سكنه عاد وثمود ، وقد توجد بعض الآثار المنسوبة اليهم في جهات أخرى إلا أننا لا نجد فيما بين أيدينا من كتب التاريخ ما يفيدنا من هذه الناحية الفائدة الكاملة .

ولقد كانت جبال الطائف تحتوي على كثير من الكتابات ، منها ما هو عربي كتب في عهد متأخر ، ومنها ما هو صور ونقوس ورموز غير مفهومة ،

---

(١) معجم البلدان ، مادة الطائف .

(٢) و (٣) تاريخ مكة للأزرقي ٢ / ١٢٧ طبعة مكة .

وكان جبل أم السكارى الذي أصبحت مدينة الطائف الآن يقع جزء منها فوقه ، كان هذا الجبل مملوءاً بالكتابات ، إلا أن تكسير الأحجار لاستعمالها في البناء قد أزال كل أثر للكتابة في ذلك الجبل .

ولقد شاهدت قبل عشرين سنة مقبرة تقع بقرب قرية (شهار) المعروفة في غربيها ، وشاهدت فيها أحجاراً تحوي كتابات بالخط الكوفي الجميل ، بأسماء بعض من قبروا فيها ، وفي تلك الأحجار ما يرجع تاريخه الى القرن الرابع الهجري ، وفي العام الماضي عندما زرت ذلك المكان لم أجد حجراً واحداً مما شاهدت هناك من الأحجار الكثيرة ، ان الكتابة على القبور أمر معروف حكم الشرع فيه ، ولكن الذي ينبغي أن يلاحظ هو العناية بالناحية التاريخية ، التي تفيد الباحث عندما يحاول معرفة معالم البلاد، من أي جانب من جوانب هذه المعرفة .

وعرف من آثار الطائف القديمة السدود العظيمة المبينة بالصخر مثل السد (السَّمَلَقيّ) وغيره ، ومن تلك السدود ما هو جاهليٌّ ومنها ما جدد في صدر الاسلام ، كما تدل على ذلك بعض كتابات لا تزال باقية .

ومما ذكره المتقدمون من الآثار القديمة في قطر الطائف ما جاء في «معجم البلدان » لياقوت : (تبَعَة[1] – بالتحريك – إسم هضبة بجلدان، من أرض الطائف ، فيها نقب كل نقب قدر ساعة ، كانت تلتقط فيها السيوف العادية، والخرز ، ويزعمون أن ثمة قبور عاد ، وكانوا يعظمون هذا الموضع وساكنه بنو نصر بن معاوية) .

وفي كتاب « بلاد العرب[2] : لبني نَصْر بن معاوية : جَبَلٌ يقال له بَتَغة ، زعموا أنّ ثَمَّ قُبُور قَوْم عاد .

وهناك جوانب اخرى تتعلق بتاريخ الطائف ، لم يُعْنَ المتقدمون بافرادها بالتأليف ، بل ولا حتى تفصيل الحديث عنها بما يقنع كل باحث .

فمن الناحية الأدبية وجد في الطائف شعراء، في العهد الجاهلي ، وفي العهد الاسلامي ، من أهل الطائف أنفسهم من قبيلة ثقيف ، ومن غير هذه القبيلة ،

(١) ورد هذا الاسم بعدة صور : تبعة ـ بتعة ـ تنعه ـ تنغه ـ الخ ، إذ الأصل الذي نقل عنه أول ما نقل كتب الاسم فيه مهملاً من النقط : (تبعه) .

(٢) ص ١٥ .

من الوافدين على البلاد التي يجد فيها طلاب المتعة والراحة ما لا يجدون في غيرها ، فكان عمر بن أبي ربيعة الشاعر يسكن الطائف وله فيها ضيعة ، وكانت الشهيرات من نساء قريش بالجمال والمجد والمال يتخذنها مصيفاً كالثريا صاحبة بن ابي ربيعة ، وعائشة بنت طلحة ، وسكينة بنت الحسين ، وشكلة أم ابراهيم بن المهدي وهي امة .

ونجد قدراً حسناً مما يتعلق بمجالس الأدب واللهو في الطائف مفصلا في كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني، مما يستطيع الباحث أن يكوّنَ بعد مطالعته صورة واضحة المعالم ، عن الطائف في صدر الاسلام .

ومن الجوانب التي لم تجد العناية الكاملة تاريخ القبائل التي سكنت الطائف ، وخاصة في العهود الأخيرة، التي عمد المؤلفون إلى تدوين أخبارها، والمتقدمون وان عنوا بذكر قسط كبير من انساب القبائل، الا اننا لا نجد من أفرد سكان هذه المدينة بمؤلف خاص ، من هذه الناحية ، ومما يلاحظه الباحث أن سكان الطائفمنذ منذ آخر العهد الجاهلي حتى عهدنا الحاضر هم ثقيف،وبعض بطون هوازن،ولا شك أن لمناعة الوطن وملاءمته للسكان،دخلا كبيرا في بقاء سكانه فيه، والطائف— كما سبقت الاشارة إلى ذلك— ذو حصانة طبيعية ولهذا أصبح سكانه من ثقيف ، محافظين على حمايته، وقديماً قال أبو طالب عمّ النبي (ص):

منعنا أرَضنا من كل حيٍّ كما امتنعت بطائفها ثقيفُ
أتاهم معشر كي يسلبوهم فحالت دون ذلكم السيوفُ

وقال آخر :

فكونوا دون بِيْضِكم كقوم حموا أعناَبهم من كل عاد

وفي شعر غيلان بن سلمة الثقفي أبيات جيدة في هذا الموضوع .

أما ما يتعلق بتاريخ هذه القبائل التي سكنت الطائف، ولا تزال تسكنه، فان طرفاً من ذلك يوجد مفرقاً في « الأغاني » و « معجم البلدان » و« معجم مـا استعجم » و « تاريخ ابن جرير » و « تاريخ ابن الأثير » وفي « معجم

البلدان » وكل ذلك في عهدها المتقدم قبل ظهور الاسلام ، ونجد في « السيرة النبوية » تلخيص ابن هشام ، وفي المتقدم ذكرها من الكتب تفصيلا كاملاً لغزوة الرسول (ص) بلاد الطائف ، ومحاصرته لها ، ثم وفود أهلها على الرسول (ص) .

ومن الجوانب التي تعرض لها المتقدمون ، لكنهم لم يوفوها بحثاً ، الناحية الجغرافية ، ونجـــد أوفى من كتب في الموضوع ياقوتاً الحموي في كتاب « معجم البلدان » ومع ذلك فقد فاته الشيء الكثير ولا يعدو ما أورده في ذلك الكتاب اشارات موجزة ، يمكن سردها فيما يلي : لقد ذكر من مخاليف [1] الطائف :

برعة — الحال ، كذا أورده بالحاء المهملة ، ونراه الجال بالجيم — الخدود — الخيمة — سوانة — الشديق — فاوة — الفتق ، وهـذا كان في أسفل الطائف وفيه بلدة بهذا الاسم تقع بطريق حجاج اليمن وقد خربت قبل القرن الرابع الهجري ، على ما ذكر الهمداني — قَـرُن معية — المسحاء .

وذكر من قراه : أدم — السلامة — العرج — كوثر ، وهذه هي القرية التي كان الحجاج معلماً فيها — مطار — الوهط .

وذكر من أوديته : بِسْل — رُكبة — السديف ، (لعله هو ما ذكره باسم الشديق) عمق — قُرّان — لِيَّة — مُلَيْح — نخْب — نسل ، كذا أورده في حرف النون ، وقد سبق أن ذكره صحيحاً بالباء ، ومـــا هنا تصحيف .

وذكر من مواضعه : بحرة — تنا — جلدان — حلية — الظريبة — المشرق ، وقال : إنه سوق الطائف — النبأ — نباوة — النقع — هَدَى .

وذكر مـــن طرقه : رهوة — الضيقة — كراء — نقب المُنقَّى — يعرِج .

---

(١) المخلاف مثل الاقليم ، ويكثر استعمال كلمة المخلاف في جنوب الجزيرة .

وذكر أن جفن من نواحي الطائف .

وتحدث عن وَجٍّ وعن الأثر الوارد فيه ، وأورد اشعاراً تتعلق به ، ومما ذكر من المواضع : عمق ، ذكر أن الرسول ﷺ نزل فيه لما ذهب لحصار الطائف ، وكذا لية .

وتحدث عن اللات – الصنم الذي كان في الطائف ، وأشار الى موضع يدعى (الغَبْغب) له صلة بهذا الصنم ، وكذا العُزَّى ، هذا جل ما ذكره ياقوت مما يتعلق بتحديد المواضع .

أما « معجم ما استعجم » للبكري فقد تحدث عن الطائف ، وانه يعد من نجد ، ومن مخاليف مكة النجدية ، وأشار اشارة موجزة ولكنها مفيدة إلى معنى هذا الاسم ، وذكر من سكانه : إياد ، وعدوان ، وبني عامر ، ثم ثقيف من بعدهم ، وهوازن ، وبجيلة ، واشار الى اشتراك ثقيف مع هوازن في وقعة حُنَيْن ، كما أشار الى ذلك كثير من المؤرخين وأورد أشعاراً للاجش بن مرداس ، وكنانة بن عبد ياليل ، وأمية بن أبي الصلت ، وكلهم من الطائف .

ومن المواضع التي ذكرها : أنان ، وأشار الى وقعة حدثت فيه ـ جلدان ـ دحنى ، كذا اورد هذا الاسم بالحاء المهملة ، كما أوردها غيره من كثير من المتقدمين وهذا تصحيف والصواب دجنا بالجيم وقد تبدل الدال تاء ، وهي ثنية معروفة الى عهد قريب ، وكانت القوافل من الطائف الى مكة تنزل منها ، وتقع بين الطريق الجديد ، طريق كَرا ، وبين طريق الشرائع ، وفيها يقول الشيخ جمال الدين محمد بن علي الشيبي من علماء مكة في القرن العاشر الهجري [1] .

---

(١) « تحفة اللطائف » لابن فهد .

رأى صاحبي أثمارَ وَجَّ فقال لي : ترى هذا الأثمار تسقطُ أو تُجْنى ؟!
فقلتُ له : كُلْها هَنيئاً ، فإنما
أطايبُها تُجْنى ، وتأتيكَ من « تُجْنى » !!

ومن المواقع التي ذكرها : ركبة ـ شيحاط ـ الشيحة ـ الظريبة ـ عكاظ كراش ـ لية ـ مركوب ـ المشرق أو المشقَّر ـ مطار ـ نخلة ـ النباوة ـ هدة ـ الهرم ـ وج ، وأورد الحديث المتعلق بتحريمه ، وذكر من الجبال : الثمرا ـ كرا ـ المشرق .

ومن الطرق : ثنية كَرا ـ المناقب (وهو مايعرف الآن باسم الريعان).

وذكر وادي نخب .

أما الزمخشري وهو يعد ممن ألف في تحديد المواضع فكتابه على ايجازه قد يحتوي فوائد وان كانت قليلة، من ذلك قوله : جلدان: بلد شرقي الطائف، يسكنه بنو نصر ، أنشدني حسن بن ابراهيم الشيباني الساكن في الطائف :

وجلْدان العَريضُ قطَنَ شرقاً يُطِرْنَ بأجْرَعيْهِ قطاً سُكُونا
تخالُ الشمْسَ إن طَلعَتْ عليْهِ كأن بنه عِلالِيَ أو حُصونا

وقال : هَدَة : من بلاد الطائف ، وهو موضع القرود ، قال الشريف عُلَيّ [1] : الهَدَةُ مخففة ، قال : ويقال لها هَدَةُ زُلَيْفة قال : وزُلَيْفَةُ بَطْنٌ من هُذَيْل . اهـ

فانت ترى في هذين النصين مع إيجازهما فوائد قد لا تحويها المطولات .

أما الهمداني ـ وهو قبل ياقوت والبكري والزمخشري ـ فقد ذكر في كتابه « صفة جزيرة العرب » من أودية الطائف : جلدان ـ جفن ـ لية ـ مشريق ـ كذا ـ .

---

(١) هو السيد علي بضم العين بن وهاس الحسني المكي شيخ الزمخشري (انظر مجلة العرب ص ١١٠ المجلد الاول) .

ومن أمتع ما ذكر الهمداني عن الطائف قصة تنازع مراد من مذحج، وقسيّ بن معاوية في أرض وجّ ، عند النبي (ص) وهي وان لم تكن ثابتة من حيث النقل، إلا أنه تصوّر الفكرة العامة عن تاريخ الطائف عند أهل القرنين الثالث والرابع الهجريين ، كما أبرزها أحد أعلام ذلك العهـــد ، مما نرى أثره في مؤلفات من جاء بعد الهمداني .

وفي الكتب الجغرافية الأخرى ؛ مثل « مختصر البلدان » لابن الفقيه ، و « المسالك والممالك » لابن خرداذبة وابن رستة والاصطخري ، «والخراج» لقدامة و « أحسن التقاسيم » للمقدسي و « تقديم البلدان » لأبي الفـــداء و « نزهة المشتاق » للادريسي ، وأمثال هذه الكتب نبذ يسيرة عن الطائف من الناحية الجغرافية إلا انها موجزة جداً .

وعني مؤرخو مكة ، كالأزرقي والفاسي والطبري وابني فهد وغيرهم ، بالحديث عن الطائف من حيث صلته بمكة، وان الله أنعم به على أهل الحرم، استجابة لدعوة ابراهيم الخليل عليه السلام ، ويروون في ذلك حديثاً لا يصح من جهة النقل ، وهو ان ابراهيم لما دعا الله عز وجل ليرزق أهل الحرم من الثمرات ، نقل أرض الطائف من الشام ، فوضعها هناك [1] من هذه الناحية ومن ناحيتين اخريين هما وجود عدد من شهداء الصحابة قتلوا أثناء حصار الرسول ﷺ للطائف ، ووجود قبر الحبر عبد الله بن عباس رضي الله عنه فيه ، نشأت عند المتقدمين فكرة فضل الطائف ، واتجهوا إلى هذه الناحية اتجاها طغى على ما عداها من النواحي، فألفوا المؤلفات التي سنأتي إلى بيانها عن الطائف وفضله ، وأشاروا اشارات موجزة إلى جوانب تاريخية ، بحيث تعتبر كتاباتهم من هذا القبيل أساساً لمن يكتب عن تاريخ الطائف .

ليس من المستطاع الجزم بصورة قاطعة ، بعدم وجود تاريخ للطائف قائم على أساس قوي من كتابات المتقدمين ، ذلك أن جزءاً من التراث العربي لا يزال مجهولا ، وقسماً آخر عدت عليه العوادي ، فأصبح مفقوداً .

---

(١) « تاريخ مكة » للأزرقي ج ١ ٣٦ طبعة مكة المكرمة .

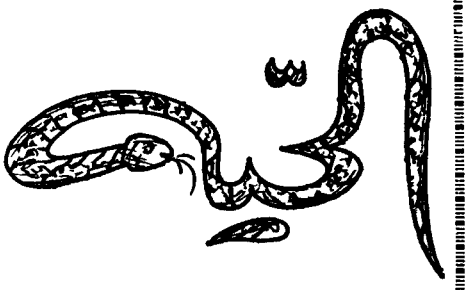

مترجمة

للشاعر الانجليزي
(رسكن)

(جَدْوَلٌ) مِنْ فِضَّةٍ مُطَّرِدُ
أَمْلَسُ ٱلصَّفْحَةِ ، مَسْرُودُ ٱلزَّرَدْ
دائِباً يَنْسَابُ كَٱلْيَنْبُوعِ فِي
ٱلْتِوَاءٍ ، وانثِنَاءٍ ومَيَـــدْ
زوْرَقٌ مَجْراهُ في التّرْبِ و منْ
قِشرِهِ ، المِجْدافُ يُرْخي ويشدْ
بَل هُوَ (النَّهرُ) اندفاعاً في الثَّرى
هائجاً من دُونِ مَوْجٍ ، أو زَبَدْ

* * *

لا ينِيْ مُندفِعاً فيْ جَرْيِهِ
بَعْضُهُ يَعْلُو ، وبَعْضٌ يَطْمَئِنْ
حركاتٌ ، لأمـــامٍ ووَرَا .
ويَمِينٍ ويَسَارٍ في قَرَنْ

زاحِفاً ، لا تسمعُ الأذنُ لهُ نبــأً تُدرَكُ ، أو صوتٌ يَرِنْ
يتثنَّى في اعتدالٍ ، تارةً ، واعوجاج، ساحِباً فضلَ الرَّدُنْ

* * *

فاذا هِيجَ تَرى (الجَدْولَ) قدْ سارَ سهْماً يَتَصَدَّى من امِمْ
يتلَظّى (السّمُّ) في (حُمَتِهِ) رَشْقُهُ، الموتُ وحيّاً ، والعَدَمْ
مارِقاً يَخْتَرِق الأعشابَ كالـ ـسهْمِ العسَّالِ والرُّمحِ الأصَمْ
نافِذاً كالطَّعْنَةِ النجْلاءِ أوْ وَمضَة (البرق) بأسدافَ الظُّلَمْ

* * *

وسواءٌ عِندهُ الشَّمْسُ اذا انـ ـصَهَرَتْ، والفَيءُ وافَى بالظُّلَلْ
يتلَوَّى صاعِداً مُنحَدِراً دُونَهُ (القِرْدُ) صعوداً للقُلَلْ
يَسْحَقُ الخَصْمَ اذا صارَعَهُ أينَ منهُ السَّيْفُ اوزُرْقُ الأسلْ؟!
سابحــاً كالحوتِ في لُجَّته واثباً كالنمْرِ ، يستَبق الأجلْ

* * *

قُوَّةٌ فيها شَيَاطِـينُ الرَّدَى تتمادى منه في كرّ وفَرْ
إن بدَى العُصْفُورُ رمزاً للهوا قد كساه الريشُ أفوافَ الحبَرْ
فيه تختال معــاني الروح في رقة اللطف ، تخيــله البشرْ
هكذا (الحية) فيها قوة الـ ـترب أو رَمزٌ لمَوتٍ وقَدَرْ

الأمثال العامية في نجد

١ . « إلى صارَ المجَرّ ، عَلى المِسرّ ، تَرَى الحْضَيرِيْ قِدْ نِشَرْ » [١]

الى : اذا ، والمجر : المجرة في السماء ، التي تسمى مجرُّ الكبش ، ويسميها الفليكيون المحدثون : درب التبانة . والمسر : موضع السرة من الانسان ، والحضيري : تصغير حضري ، ضد بدوي ، صُغِّر للتحقير .

وهذا من أمثال البادية ، ومعناه :

اذا صارت المجرة فوق سرة المستلقي على ظهره ، فان الحضري يكون قد بدأ بنشر التّمر في الشمس ليجف ، أي بعد أن توفر لديه الرطب حتى زاد على حاجته للأكل اليومي .

وأصله ، مثل عربي قديم ، ورد في « الاشتقاق » لابن دريد و « أساس البلاغة » و « معجم ما استعجم » للبكري ، وقد ذكره الزمخشري بلفظ « سطى مجر ، يرطب هجر » وقال : أي توسطي السماء يا مجرة يرطب النخل في هجر ، وذلك ان المجرة اذا توسطت تدلك على وقت ارطاب النخل [٢] .

٢ : « إلى فاتَ الفَوْتْ ، مَا يَنفعِ الصُّوتْ »

الى : اذا ، والفوت : الفائت ، والصوت : المراد به هنا الصياح لطلب النجدة . أي : اذا فات الأمر ، ووقع المكروه ، فلا فائدة من الصياح أو طلب النجدة .

---

(١) الأستاذ الصديق محمد العبودي له كتاب حافل عن « الأمثال العامية في نجد » يدل على طول باعه وتعمقه في الأدب، وقد طبع الجزء الأول منه وهذا فصل مما لم يطبع من ذلك الكتاب الذي تأمل « العرب » أن يطالع القراء أصله مطبوعاً ، ليسد نقصاً لا يزال كل باحث في هذا الجانب من تراثنا الأدبي يحس به .

(٢) « المستقصى » ج ١ / ١١٨ و « أساس البلاغة » ج ١ ص ٧٨ .

يضرب في عدم جدوى الغوث بعد فوات وقته . كما قال القائل :
ومنفعة الغوث قبل العطب [1] .

٣ : « الْـبَرَاطِيل ، تحدّر الصَّلاطِينْ ..

البراطيل : جمع برطيل ، وهو الهدية والرشوة : فصيحة ، وتحدر أي : تنزل الى الحدور ، وهو السفل، والصلاطين : السلاطين بالسين : جمع سلطان.

ومعنى المثل : ان الرشاوى تنزل السلاطين عن عروشهم .

يضرب في أهمية الهدية أمام الحاجة .

وقد جاء في هذا المعنى من الأمثال العربية: «من صانع الحاكم لم يحتشم[2]» قال الميداني : « أي من رشا الحاكم لم يحتشم من التبسط عليه » . وقول رؤبة ابن العجاج [3] :

لمـــا رأيتُ الشُّفعَاءَ بَلَّدُوا وسألوا أمـــيرهم فأنكـدوا
نامستهم برشوة فأقـردوا [4] وَسَهَّلَ الله بهـا ما شدَّدُوا

ويشبه المثل قول الزمخشري . « البراطيل ، تنصر الأباطيل [5] » . ومن الشعر في بعض القضاة [6] :

وعند قضاتنـــا خبث ومكر وزرع حين تسْقِيهِ يُسَنْبِلْ
فَبَرْطِلْ ان أردتَ الحال يمشي فما يمشي اذا ما لم تُبَرْطِلْ

---

(١) التمثيل والمحاضرة ص ٦ .
(٢) « مجمع الأمثال » ج ٢ ص٢٦٩ وهو بألفاظ أخرى في «عيون الأخبار» ج٣ ص١٢٢ « والمستقصى » ج٢ / ٣٥٦ « وجمهرة الأمثال » ص ٦٣ و« محاضرات الراغب » ج١ ص١٩٩ .
(٣) عيون الأخبار ، ج ٣ ص ١٢٣ .
(٤) يقال أقرد الرجل إذا ذل وخضع مأخوذ من أخذ القراد من الدابة وهي تأنس بذلك وتخضع له .
(٥) مختصر ربيع الأبرار ص١٢٠ رأساس البلاغة مادة:ب ر ط ل، والكشكول ص٣٢٨.
(٦) الكنايات للجرجاني ص ١٠٧ .

٤ : « فِي السَّنَهْ عيدَيْنْ ، واليوم الثالث »

أي : في السنة من الأعياد عيدان ، واليوم هو العيد الثالث .

يقال في الترحيب بالشخص ، يريدون أن يوم قدومه أو الاجتماع به بمثابة أحد العيدين فهو كالثالث لهما .

هذا وقد ورد التعبير عن اليوم المحمود بالعيد في الشعر العربي القديم كما روى الأصمعي : (١)

كل يوم كأنـــه يوم أضحى عند عبد العزيز أو يوم فطر

٥ : « بِينْهُمْ مِثلْ ما بين سْهَيْل والجدِيْ »

سهيل ، نجم يمان معروف ، والجدي نجم شامي .

يضرب في عظم الفرق بين الاثنين . وقد ورد معناه في هذين البيتين المشهورين لعمر بن أبي ربيعة :

أيهـــا المنكح الثريّا سُهَيلا عَمْرَكَ الله كيف يلتقيان ؟!
هي شاميّة إذا ما استقلّت وسهل إذا استقـــل يماني ؟!

٦ : « الجراد يرخّص اللّحمْ »

لأن بعض الناس قد يجتزيءُ بأكلِه عن شراء اللحم .

يضرب للأشياء الرديئة يستغنى بها عن الجيد :

أما عن أكل الجراد - في القديم — فقد قال الجاحظ : « الجراد يطيب حاراً ، وبارداً ، ومشوياً ، ومطبوخاً ، ومنظوماً في خيط ، ومجعولاً في ملة »(٢) . بل ورد في أثر ضعيف :« ان مريم سألت الله أن يطعمها لحماً لا دم فيه فأطعمها الجراد (٣) » .

---

(١) الحيوان ج ٣ ص ١١٧ .
(٢) الحيوان ج ٥ ص ٥٦٥ .
(٣) الجامع الصغير ج ١ ص ٩٨ .

019328

٧ . « جا يَنْقش خَشمه »

الخشم : الأنف ، نقلوا استعمالها من الخيشوم الذي هو أصل الأنف إلى الأنف كله .

يضرب لمن رجع صفر اليدين من شيء ذهب يطلبه ، أي انه جاء وهو ينقش أنفه بيده ، شأن من لا يدري أين يضع يده ، وهو شبيه بالمثل العربي القديم : جاء يضرب أصدريه [١] . ويروى : أزدريه ، وهما منكباه .

٨ : « الجْنونْ ، فنون »

يضرب للفعل المنافى للعقل .

وهو مثل مولد [٢] كثر التمثيل به ، قال الشاعر [٣] :

طويت بإحراز الفنون وكسبها رداءَ شبابي والجنونُ فنونُ
فحين تعاطيت الفنون ونلتها تبين لى أن الفنون جنون

ومن الغزل [٤] :

وَلقِيتُ فِي حُبِّيك ما لم يَلقَهُ فِي حب ليْلى قيْسُهَا المجنون
لكنني لم اتبع وحش الفلا كفعال قيس ، والجنون فنون

وتمثل به الفقهاء والمناظرون [٥] :

تمنيت أن تمسي فقيها مناظراً بغير عناء ، والجنون فنون

والشعراء [٦] :

جننت بنظم الشعر في زمن الصبا فجاء فنوناً ، والجنون فنون

---

(١) جمهرة الامثال ص ٨١ ، والعقد الفريد ج ٣ ص ١٢٨ ، والمستقصى ورقة ٤٦/٢ ، ومجمع الأمثال ج ١ ص ١٧١ ، والزهر ج ٢ ص ١٧٥ .

(٢) « سكردان السلطان » لابن حجلة (هامش الحلاة) ج ١ ص ٦٢ و « التمثيل والمحاضرة » ورقة ٦٥ / ب .

(٣) « مختصر ربيع الأبرار » ص ٥٢ .

(٤) « المحلاة » ص ٢٨٥

(٥) « التمييز في الآداب والأخلاق » لابن معن ، ورقة ١٢ / ب .

(٦) « طراز المجالس » ص ١٤٤ .

والعقلاء[1] :

فالعقل فنٌ واحد وطريقـــه أهدى، وأرشدُ ، والجنون فنون

ومن الاستعطاف[2] :

إني جنيت،ولم تزل نُبُلُ الوَرى يَهَبُون للخدام مـــا يجنونه

ولقد جمعتُ من الجنون فنونه فاجمع من الصفح الجميل فنونه

والمثل موجود عند العراقيين بلفظ :« الجنون فنون ، وأقلها تسعون[3] »

٩ : « أبُوها الصَّايغْ وَطوْقها مِنْ ذَهبْ »

يضرب لمن توفرت له شروط ما يريد ، كبنت الصائغ الذي يمكنه أن يوفر لها طوقاً من ذهب ويضمن لها اصلاحه في أي وقت .

ويشبهه من الأمثال القديمة : « من يكن أبوه حَذّاء تجدُّ نعلاه[4] » .

١٠ : « إلى أخذْ مَا وَهَبْ ، سَقطْ مَا وَجَبْ »

إلى : إذا ، يضرب في عدم مؤاخذة المجنون أو المعتوه على تصرفاته ، وهو قديم ذكره العجلوني بلفظ : « إذا أخذ مـــا أوهب ، أسقط ما أوجب[5] » ولم يتكلم عليه ، وهو مأخوذ من سقوط التكليف عن المجنون .

١١ : « إلا جيْتْ قَوْمْ خِذْ سَلمُهْمْ ، وإلاّ رحْ وخلهُمْ »

إلى : إذا ، جيتْ : جئت سهلو الهمزة كعادتهم ، وسلمهم ، المراد بها : عاداتهم وطرقهم في الحياة ، والمعنى : إذا نزلت في قوم فاعمل عملهم ، والا فاتركهم وارتحل عنهم . وهو معنى المثل المشهور : « دَارِهمْ ما دُمتَ في دارهم[6] » . ومن الأمثال العربية القديمة : « إذا كنت في قوم فاحلب في إنائِهم » .

---

(١) « التمييز » ورقة ١٢ / ب .
(٢) « غرر الخصائص » ص ٢٤٠ .
(٣) « أمثال وأقوال بغدادية » ص ١٥ .
(٤) الميداني ج ٢ ص ٢٥٦ و « المستقصى » ح ٢ / ٢٦٤ .
(٥) كشف الخفاء ج ١ ص ٧٧ .
(٦) أساس الاقتباس ص ٥٦ .

قال الشاعر :

إذا كنت في قوم عدًى لستَ منهم
فكل ما علفتَ من خبيث وطيب [1]

وقال غيره [2] :

إن جئت أرضاً أهلها كلهم عورٌ ، فغمّض عينَك الواحده

وقال آخر [3]

ان جئت عُوراً فتعَاورْ لهم وقل : أتـــاكم رجل أعورُ

١٢ : « إبليس حريص »

أي : حريص على إغواء بني آدم ، وجرهم إلى المعاصي ، يقال عند رؤية شخص يُجدُّ في طلب معاصي الله أو أذى الناس .

وقد ورد في هذا المعنى أثر : « ابليس طلاع رصاد صياد [4] .

١٣ : « النفس مشراه إن شرَّهتها »

مشراه : صيغة مبالغة معناها : كثيرة الشره ، وقولهم : ان شرهتها ، أي : ان فتحت لها باب الشره ، وعدم الرضا بالمتيسر ،

والمعنى : ان النفس تشره إلى الكثير ، ولا تقنع بالقليل ، إذا أنت لم تكبح جماحها،وتعودها الرضا بالقليل، وهذا هو معنىبيت أبي ذؤيب المشهور

---

(١) مجمع الأمثال ج ١ ص ٦٣ .
(٢) الف باء ج ١ ص ٤٢ وفصل المقال ص ١٩٨ والآداب لابن شمس الخلافة ص ١٣٦ ، وأساس الاقتباس ص ٥٧ ، وعين الأدب والسياسة ص ٢٤٢ ، وروضة العقـــلاء ص ٧٢ ، والتمثيل والمحاضرة ق ١١٧ / ١ ، وزهر الأكم ق ٢٤٥ / ١ .
(٣) يتيمة الدهر ج ٤ ص ٨٥ .
(٤) : « كشف الخفاء » ج ١ ص ٣٤ .

الذي قال عنه الأصمعي : انه أبرع بيت قالته العرب :

والنفس راغبة إذا رغّبْتها ... وإذا تُرد إلى قليلٍ تقنع [1]

وفي البردة :

والنفس كالطفل ، إن تهمله شبّ على
حُبِّ الرضاع ، وان تفطمه ينفطم

وقال آخر [2] :

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ... فان أُطعِمتْ تاقت والا تسلّت

وقال آخر [3] :

قنّعِ النفس بالكفاف والا ... طلبت منك فوق ما يكفيها

وفيما يتعلق بالتعبير عن شره النفس من الناحية اللفظية نجد هذا البيت [4] :

اذا النفس لم تشره الى طلب العُلى ... فتلك من الأموات لا الحيوان

١٤ – نِشَبٌ في حلْقِهِ :

يقولون : فلان نشب في حلق فلان اذا أكثر مخاصمته ، ولزمه حتى لا يستطيع الفكاك منه .

---

(١) : « عيون الأخبار » ج ٢ ص ١٩١ ، و « ديوان المعاني » ج ١ ص ١٢٠ ، و « الاصابة » لابن حجر ج ٤ ص ٦٦ ، و « محاضرات الراغب » ج ١ ص ٧ و ص ٢٥٤ ، و « الايجاز والاعجاز » ص ٤٠ ، والمؤتلف ص ١٢٠ ، و « خاص الخاص » ص ٨٢ ، و « الف باء » ج ١ ص ١٣٦ ، و « شرح المقامات » للشريشي ج ٢ ص ١٧٠ ، و « غرر الخصائص » ص ٥ ، و « مواسم الأدب » ج ٢ ص ٩ ، و « فرائد الخرائد » ف ١/٩٧ ، و « فاكهة الخلفاء » ص ٤٣ .

(٢) « محاضرات الراغب » ج ١ ص ٢٥٤ و « غرر الخصائص » ص ٥ و « زهر الأكم » ورقة ١١٧ رب و « فاكهة الخلفاء » ص ٤٣ .

(٣) « فاكهة الخلفاء » ص ٤٣ .

(٤) « الفخري » ص ٢٧ .

وقد ورد في هذين البيتين من الشعر القديم ما يطابق المثل العامي تمام المطابقة [1] :

الى الله اشكو غمة لا صباحها ينير ، ولا تنجاب عني لجانب
كمثل الشَّجى في الحلق ، لا هو سائغٌ ولا هو ملفوظ كذا كل ناشب

وقال سويد اليشكري [2] :

رُبَّ ما أنْضجْتُ غيْظاً قلبه قد تَمَنَّى لي موتاً لم يُطعْ
ويراني كالشجى في حلقه عَسِراً مخرجه ما ينتزعْ

١٥ : « نَفْسِهْ حَامِضَهْ »

يقولون : فلان نفسه حامضه ، اذا كان ضيق العطن ، سريع الغضب ، كثير العبوس .

والمثل بهذا المعنى له أصل قديم فقد ذكر الخويي أنه كان يقال للعبوس : « كأنما فُقِيءَ في وجهه حب الزمان [3] » وذكر ابن خلكان أن أبا موسى سليمان بن محمد بن أحمد النحوي لقب بالحامض لأنه كانت له أخلاق شرسة [4] ».

ومن الشعر قال أحدهم في قبيح الوجه [5] :

وجه قبيح حامض لو عضه الكلب ضَرِسْ

وقال آخر [6] :

زمان كل حِبٍّ فيه خَبٌّ وطعم الخِلِّ خَلٌّ لو يذاق

---

(١) « المنتخل » للثعالبي ص ٢٩٣ .
(٢) « المفضليات » ص ١٩٨ .
(٣) « فرائد الخرائد » ق ٧٩ / ١ .
(٤) « وفيات الأعيان » ج ٢ ص ١٤٠ .
(٥) « محاضرات الراغب » آخر الجزء الثاني .
(٦) « الغيث المسجم » ج ٢ ص ٣٠٩ و « مختصر ربيع الأبرار » ص ٧٥ .

١٦ : « الناسْ رَبـعْ قُويْ »

الرَّبـع : المراد بها ، الرفقة ، وجماعة الرجل ، والمعنى : ان الناس أتباع القوي ، اليه يميلون ، ومعه يظلعون .

وهو كالمثل المولد : « الناس أتباع من غلب [١] » .

١٧ : « وِشْ يَلقَى في قبره »

وِشْ : أصلها ، إيش ، المنحوتة من أي شيء .

والمعنى : أي شيء يجد في قبره ؟ يضرب لمن يعمل أعمالاً سيئة ، ومن لا يصدر عنه أي عمل فيه نفع للغير ، وهذا مبني على أن المرء يجد جزاء ما يسديه من الخير للناس في قبره في البرزخ .

وهذا المعنى ورد في الشعر ، قال أحدهم [٢] :

تزود جميـــلاً من فعالك انما قرين الفتى في القبر ما كان يفعل

وقال آخر [٣] :

والمرء لا يصحبه في القبر إلا عمله

ولآخر [٤] :

لا يصحب الانسان في قبره غير التقى والعمـــل الصالح

١٨ : « هَابّ رِيحْ »

يقولون : فلان هاب ريح ، إذا كان سريع الحركة ، جم النشاط ، أي

---

(١) « مجمع الأمثال » ج ٢ ص ٢٣٠ و « التمثيل والمحاضرة » ورقة ١١٤/١ و « مواسم الأدب » ج ١ ص ١٤٨ و « فرائد الخرائد » ق ٩٨ / ب .

(٢) « جليس الأخيار » ص ٥٢ ، والكنز المدفون ٢٥٦ (الحلبي) .

(٣) « جليس الأخبار » ص ١٦٨ .

(٤) « زهر الأكم » ف ١٧٠/١ .

ان ريحه غير ساكنة . ويشبه من الأمثال القديمة ـ ان لم يكن أصلاً له .. قولهم : « هبَّتْ ريحه » إذا قامت دولته [١] .

١٩ : « يدوِّرْ ما عندَ اللهْ »

يدور ، أي : يبتغي ويريد ، ومـــا عند الله ، ما عند الله من الأجر والثواب للمحسنين .

يضرب لمن عمل صالحاً لا يريد عليه جزاء . وهذا كقول الشاعر [٢] :

الواهب الألف لا يبغي به بدلا إلا الإله ، ومعروفاً به اصطنعا

٢٠ : « ياوي لهْ عدوُّه »

يأوي : أي يرحم ويرثي من آوى أي أشفق وحنّ ، فصيحة ،

والمعنى : يرحمه عدوه ويرثي له .

يضرب لمن وقع في بلاء عظيم ، وقد ورد أصله في شعر لأبي اسحـــق الصابي ، فقد ذكر ياقوت انه كتب إلى ابنه المحسن [٣] :

كتبت ـ وَقِيْتَ السُّوْءَ ـ من مجْلس ضَنكِ
وعينُ عَدُوِيّ ـ رحمة منه لي ـ تبـكي !!

وفي معناه قول أحدهم [٤] :

رثى له الشامتُ ممـــا به يا ويح من يرثى له الشامت !!

---

(١) « مجمع الأمثال » ج ٢ ص ٢٧٤ ، و « التمثيل والمحاضرة » ف ١/١٠٣ ، وراجع « شفاء الغليل » ص ١٥٤ .
(٢) « شرح المضنون به على غير أهله » ص ١٥٠ .
(٣) « معجم الأدباء » ج ٢ ص ٩١ .
(٤) «شرح المقامات» للشريشي ج١ ص٦٨ و«زهر الأكم» ق ١/٢٠٨ و«الخلاة» ص١١٦.

(البقية على الصفحة ٥٠)

سَالفة

سَارق نعامة السلطان

[ثلاثة من ادبائنا اتجهوا الى دراسة أدبنا الشعبي ، اتجاهاً طيب الأثر ، فالاستاذ عبد الله بن خميس قام بدراسة الشعر العامي ، فأتانا بمؤلف من أجود ما ألف في الموضوع وأطرفه هو « الادب الشعبي في جزيرة العرب » والاستاذ محمد العبودي اتجه الى دراسة الأمثال الشعبية ، من حيث اصولها وجذورها القديمة ، فأمتع القراء بكتابه « الأمثال الشعبية في نجد » والاستاذ عبد الكريم الجهيمان اتجه الى هذه الناحية من جانب آخر هو جانب جمع تلك الامثـــال وشرحها وما يجري مجراها ، فكان من ذلك سفر ضخم في ثلاث مجلدات ، وها هو الان سيتحفنا بمؤلف جديد عن الاساطير الشعبية ، أو ما يسمى في أكثر بلاد نجد باسم (السباحين) جمع (سبحونة) وسميت بهذا لأن الحاكي يبتدىء بجملة : (يقولون ذاك الواحد ، والواحد الله سبحانه) . وها هي اسطورة من اساطير ذلك الكتاب الذي نتوقع أن يكون ممتعاً ومفيداً] .

وخيم الظلام وأوى الاطفال الى منزلهم واحاطوا بجدتهم وقال لها اكبرهم سَبْحني علينا سالفة سارق نعامة السلطان فقالت الجدة حباً وكرامة .. هنا هاك الواحد والواحد الله في سماه العالي وإلي هنا هاك الرَجَّال اسمه محمد لم يكن له من الاولاد الا ولد واحد اسمه سعد وكانت آمال الوالد كلها مركزة في سعد فهو ولده الوحيد .. فاهتم بتعليمه وتربيته تربية صالحة وصانه عن قرناء السوء.

شب سعد وبلغ مبلغ الرجال .. وكان والده قد وفر له جميـــع وسائل العيش الكريم من ثروة واسعة ومركز اجتماعي مرموق .. وثقافة لا بأس بها وكان راضي النفس مطمئن البال إلى أن ولده سوف يحيى ذكره بعد موته . وسيكون عميد الأسرة يحوطها بالحمـــاية والرعاية .. يرحم صغيرها ويوقر كبيرها ويجبر كسيرها ويقوم معوجها .

هكذا كان يعلق عليه آمالاً كباراً .!! وكان في كل مناسبة يزود ولده بالنصائح والتعليمات التي تلزمه في مستقبل حياته ، والتي هي نتائج تجارب الوالد في حياته الطويلة .. وأحس الوالد بدنو أجله لأنه بلغ من العمر عتيا .. فدعا ولده سعد وأجلسه أمامه وقال : — يا بني لقد سعيت جهـــدي في

تربيتك جسمياً وعقلياً .. ووفرت لك جميع وسائل العيش الكريم المريح .. وجمعت لك ثروة كبيرة كافية ان أنت أحسنت القيام عليها.. ونميتها وأكلت من مكاسبها وأطرافها ..

والآن .. وأنا أحس بأني راحل عن دار الفناء إلى دار البقاء فإني أريد أن امحضك ثلاث نصائح من تجاربي التي دفعت في سبيل الحصول عليها كثيراً من الوقت والمشقة .. وأريد أن اجنبك يا بني ألوان الشقاء الذي لقيته من جراء هذه التجارب فاحفظ يا بني وصيتي واصغ إلى كل كلمة فيها فانها نتيجة تجربة قاسية .. فهز الابن رأسه علامة الاصغاء والقبول لكل ما يقوله الأب.

وبدأ الأب في القـــاء وصاياه الأخيرة لابنه الوحيد فقال : — يا بني لا تصحب السلطان وعش بعيداً عنه ؛ فان السلطان كالجبل إن وقع عليك حطمك وان وقعت عليه حطمك ، هذه هي وصيتي الأولى أما الثانية فهي :

أن لا تأمن النساء على سر فان المرأة لا تؤتمن على سر حتى ولو كانت من أقرب الناس اليك .. فهي قد تفشي السر وتضرك من حيث لا تريد ضررك.. وقد يكون إفشاء بعض أسرارك خطراً على حياتك .. فتفشيه وتودي بحياتك مع انها من أشفق الناس على حياتك ولكن الشفقة شيء والحفاظ على الأسرار شيء آخر لا تقوى عليه المرأة حتى ولو كانت والدتك أو من أقرب الناس اليك ..

أما وصيتي الثالثة فهي أن لا تتزوج إلا من العوائل الكريمة ذات الأصل الشريف .. واياك أن تتزوج من طبقة واطية : فانهم يخونوك أحوج مـــا تكون اليهم .. ويقصرون في حقك في المواقف الحرجة .

فاحفظ يا بني وصاياي هذه وأسأل الله لك حياة سعيدة كريمة لا يشوبها شيء من الكوارث ولا الأحداث المشينة ..

فوعد الابن أباه بأن يتبع وصاياه ، ولم تمض فترة طويلة حتى فارق الوالد الشفيق هذه الحياة .. وترك لابنه تدبير شؤونه وتدبير شؤون المنزل وزعامة الأسرة ..

وكان الابن في رغد من العيش .. ومحبوحة من الرزق لا تتوفر إلا للقلائل من مواطنيه .. وجعل يفكر في وصـــايا والده ، فتارة يؤمن بأنها هي عين الحقيقة .. وتارة يشك في صوابها .. ويرى أن مخاوف الجيل الماضي ، قد لا تكون مخيفة لجيل جديد .

ثم من ناحية ثانية فانه لا يقنع بتجارب والده وليس لجيل جديد أن يقنع بتجارب جيل قديم.. ولو فعلت الأجيال ذلك لتوقف تطور الحياة ، وانعدم فيها التطوير الجديد ، والأمل والعمل والتجارب .. ولذلك فقد راودته نفسه بأن يعمل بعكس مـــا أوصاه به والده تماماً .. ليرى نتائج تجاربه بنفسه .. ولكنه تخوف بادىء الأمر .. وجعل يقدم رجلاً ويؤخر اخرى ، في مخالفة تلك الوصايا ..

إلا انه أخيراً صمم على أن يعمل بعكس وصايا والده ولتكن النتائج ما تكون .. فخدم السلطان وتزوج امرأة من عائلة ليست بذات أصل معروف. أما الوصية الثالثة فمخالفتها تأتي تبعاً للأحداث التي ستجر اليها الحوادث ..!!

وجعل يترقب نتائج هاتين المخالفتين .. وطال انتظاره وأخذ الشك يدب إلى نفسه في جدوى تلك النصائح .

انها قد تكون نتائجها صحيحة بالنسبة إلى تجارب شخص ولكنها قد لا تكون صحيحة بالنسبة إلى تجارب شخص آخر . ثم إن الظروف والأوضاع تختلف من جيل إلى جيل .. وعلى هذا فان النتائج السيئة التي توقعها الوالد من جراء سلوك هذا الطريق قد لا تقع .. واستمر الولد في خدمة السلطان .

كان عند السلطان نعامة ليس في البلد سواها وهي مزار الناس . ومكانها هو مكان اجتماعاتهم لمنظرها العجيب وشكلها الغريب وأ لها بعض الأجسام الصلبة .. ثم هضم تلك الأجسام وتحويلها إلى ذرق يشبه الماء . وكان الملك يحافظ على هذه النعامة ويحوطها بحراسة شديدة خوفاً عليها .. لأنها أعجب ما في مملكته ولأن ذكرها سار في البلاد شرقاً وغرباً .. وصنعت له دعاية عظيمة ..

وقرر سعد أن يسرق هذه النعامة التي تعادل عند السلطان أحد أولاده . وترقب الفرصة .. وتحين الغفلة .. ثم أخذ نعامة السلطان فأخفاها في مكان حصين .. ووكل بها من يعتني بهـــا ويطعمها .. ويهتم بصحتها .. وعمد إلى عجل فذبحه .. وأكله هو وبعض أصحابه وأذابوا شحمه ووضعوه في إناء ، وجاء به إلى أمه مع قطعة من لحم العجل ..

وسألته والدته عن الشحم واللحم ما هو وأين مصدره فتوقف قليلاً ولم يبح لها بشيء .. فألحت عليه .. فقال : انني أخشى أن أفضي اليك بواقع الأمر فيذاع السر .. وتنكشف الحقيقة وفي انكشافهـــا الموت المحقق لي ولأصحابي .. فقالت يا بني ألا تثق بي .؟! ألا تأمنني .؟! ألا تعتمد علي؟! هل أنا طفلة .؟! هل أنا مشكوك في حبي لك ومراعاتي لمصالحك .؟!

وعندما أخذ منها الوعود الوثيقة في عدم افشاء السر قال لها : ـ إن هذا الشحم وهذه اللحمة من نعامة السلطان فقد اتفقت أنا وبعض أصحابي على سرقتها والتمتع بأكل لحمها .. وقد طلبت من أصحابي أن يعطوني هذا الشحم واللحمة حتى لا نحرمك مما نتمتع به . فقالت : ثق يا بني ان هذا السر لن يعرفه احد .. وسيبقى مقبوراً في نفسي حتى ألاقي ربي .. فاطمأن الإبن إلى هذه الوعود وانصرف لشأنه .. وكأن شيئاً لم يكن ..

أما السلطان فعندما علم بسرقة النعامة عظم عليه هذا الأمر .. ورأى أن هذه اهانة تمسه شخصياً وهي من ناحية ثانية تتعلق بالأمن العام الذي يجب أن يستتب . ويجب أن يعيش الناس في ظله . وهم آمنون على أرواحهم وعلى ممتلكاتهم .. وعلى محارمهم .

اهتم الملك بسرقة النعامة ودعا حراس الأمن وقال لهم : كيف يحدث مثل هـــذا .؟! وأين أنتم ..؟ وإذا كان هناك لصوص يجرأون على سرقة ممتلكاتي الخاصة فكيف حال ممتلكات الرعية التي ليست عليها حراسة كالحراسة الموجودة على ممتلكاتي . وليست لأهلها الهيبة الموجودة لي .. وقال لهم في جملة ما قال : —

سعد يسوق نعامة السلطان في احدى السكك
المنزوية في طريقه إلى إخفائها

إنني احملكم مسؤولية هذه السرقة وسوف أجعلها مقياساً للأمن في بلادي
ورعيتي . فاذا لم تستطيعوا أن تهتدوا إلى اللصوص فانني سوف آخذ هذه
الحادثة دليلاً على عجزكم عن تحمل المسؤولية العظمى في الحفاظ على أمن الدولة
وأمن البلاد ..

وأعطاهم السلطان أياماً معدودة للعثور على اللصوص .. وفزع قادة الأمن
من هذا التهديد وخافوا عواقبه الوخيمة بالنسبة لمراكزهم فبعثوا العيون
والارصاد في جميع أنحاء المدينة .. وصارت التحريات تجري على قدم وساق
في الليل والنهار .. ومضت عدة أيام . وهم لا يستطيعون أن يقفوا على أثر
لهذه الجريمة النكراء .. واشتد فزع قادة الامن .. ان هذا الأمر مربوط به
مصيرهم .. فاما أن يجدوا الجناة أو يفقدوا مراكزهم ..

بذلوا في البحث غـــاية جهدهم وتفننوا في البحث والتحري .. وصنعوا
المعجزات إلى حد ان أقلقوا راحة كثير من الآمنين الوادعين الذين لا ناقة لهم
في هذا الحادث ولا جمل .. إلا أن الاقلاق عن غير قصد .. وانما هو بنية
البحث عن الجاني.. وأخيراً وبعد أن أعيتهم الحيل بحسب أساليبهم العتيقة..
اقترح أحدهم التلطف في الوصول إلى نتيجة وذلك بأن يؤتى بعجوز دلاّلة
تبيع لوازم النساء الدقيقة وتدخل في كل بيت فيكلون اليها التحري ، عن
النعامة .. مع وعدها بمكافأة سخية تغريها ببذل جميع ما لديها من حيـــل
وألاعيب بغية الوصول إلى نتيجة . فوافق قادة الأمن على ذلك ..
جيء بالعجوز وكلفوها بالمهمة ووعدوها بالمكافأة ورسموا لها طريق البحث
واعطيت الحرية الكافية في أن تعمل أي عمل تراه يؤدي إلى نتائج ايجابية
في هذا الشأن .

فوعدتهم العجوز خيراً.. وخرجت من عندهم خفية حتى لا يراها أحد .
وذهبت إلى بيتهـــا وأخذت زنبيلها على رأسها .. وصارت تدخل البيوت
بيتاً بيتاً .. وتبذل كل ذكائها وتلطفها في البحث .. إلى أن كادت أن تيأس
من الوصول إلى نتيجة.. وطالت غيبة العجوز عن رجال الأمن إلى أن كادوا
ييأسون من جدوى بحث العجوز ..

(٢)

هذا وكان السلطان في فترة البحث كأنه على نار .. وكان دائم السؤال عن النتائج .. ولكن لا نتائج .. وكلما مر وقت بدون فائدة ازداد هيجان السلطان ووعيده وتهديده .. وأخيراً وصلت العجوز إلى بيت سعد ووالدة سعد .. وعرضت العجوز بعض ما معها من حاجات النساء فاشترت أم سعد ما أرادت منها . ثم قالت لها العجوز :

يا أختي العزيزة إن لي حاجة خاصة أرجو ان يكون قضاؤها على يديك قالت : وما هي ؟. فقالت العجوز : ان لدي ابنة مريضة بمرض عضال .. وكنت طيلة المدة الماضية أعالجها ببعض الأدوية الموقتة .. ولكن المرض اشتد بها .. وعرضتها أخيراً على طبيب مختص .. فقال ان دواءها هو دهن النعام .. فأحب إذا كان لديك شيء منه أن تعطيني منه قليلاً . فيكون لك ثواب عظيم عند الله بانقاذ شابة في مقتبل العمر من مرض عضال يهدد حياتها بالزوال وان عاشت فستعيش في جحيم لا يطاق ..

واصلت العجوز الحديث عن المريضة .. فقالت : انني يا أختي العزيزة في حالة من القلق والتعب لا حد لهـــا وأنا أخرج من بيتي ولا أدري هل أرجع وهذه الشابة على قيد الحياة أم أجدها جثة هامدة .. وبكت العجوز وأرسلت الدموع مدراراً .. فتأثرت أم سعد .. وأخذتها نوبة من الرحمة والشفقة على هذه العجوز وعلى بنت هذه العجوز .!

كادت أن تبوح لهـــا بالسر .. ثم تذكرت الوعود والعهود التي أعطتها لابنها سعد في أن تخفي هذا الأمر ولا تبوح به لمخلوق .. وترددت أم سعد.. تردد من يملك هذا الشيء ولكنه يمنعه من بذله مانع .. ولاحظت العجوز هذا التردد وقرأت ما خلف السطور ..

تأكدت أن مفتاح سر القضية عند أم سعد .. فزادت في البكاء والنحيب وقالت لأم سعد : انك يجب أن تثقي بي .. وأن تعرفي أن سرك سري .. وأنني لا يمكن أن أسيء إلى من أحسن إليّ .. وأنقذ ابنتي من الهلاك ، انني أعوذ بالله أن أسبب لك شراً أو لأحـــد من صديقاتي وصويحباتي ..

وصارت العجوز تبذل التأكيد تلو التأكيد في محافظتها على السر ومراعاتها لمصلحة من يحسن اليها ..

أخيراً تأثرت أم سعد ووثقت بالعجوز وأخذتها نوبة من الشفقة والعطف على هذه العجوز وابنتها أنستها وعودها لابنها فقالت : ان ابني جاءني بقليل من هذا الدهن .. وقد طلب مني أن لا أذيع سره . وأنت طبعاً سوف تصونين هدا السر ولا تخبرين به أحداً . فأكدت العجوز لأم سعد بأنه ليس من المعقول أن تسيء إلى من أحسن اليها .. وان سر أم سعد سوف لا يعرفه أحد مهما كانت الظروف ، فقامت أم سعد وجاءت لها بقليل من هذا السمن فأعطتها اياه مع التأكيد عليها بكتمان الأمر كتماناً كاملاً .. فوعدتها العجوز بذلك وخرجت من بيت أم سعد وهي تلهج بالدعاء لها في أن يحفظ الله لها صحتها .. ويحفظ لها ولدها ووحيدها سعد ..

وبمجرد أن اختفت عن أم سعد تغيرت أفكارها وابتسمت في خبث .. وأسرعت الخطا إلى قادة الأمن وهي تكاد تطير فرحاً واستبشاراً ، فقد حققت معجزة عجزت عن تحقيقها كل قوى الأمن مجتمعة .. واهتدت بلطف حيلتها .. إلى ما لم تهتد اليه القوة والسعي الحثيث وسهر الليل وكدح النهار . ووصلت إلى قائد قوى الأمن وزفت اليه الخبر فكادت أن لا تسعه (بدلته) من الفرحة ..

قفز من مكانه وقبّل رأس العجوز .. ثم نقدها ما كان متفقاً عليه مطمئناً إلى أنها لا يمكن أن تأتيه بخبر كاذب . ووعدها بمضاعفة المكافأة عندما تعود الأمور إلى مجاريها.. ويهدأ السلطان من آثار الصدمة التي أزعجته بسرقة نعامته فذهبت العجوز في حال سبيلها .

اجتمع قادة الأمن وتشاوروا هل يخبرون السلطان قبل القبض على السارق.. أم يقبضون على السارق ثم يخبرون السلطان ، واستقر رأيهم أخيراً أن يخبروا السلطان لأن الرجل لا خوف من هربه أو اختفائه . ولأنه ثانية من حاشية السلطان الذين ليس من اللياقة أن يتخذ ضد أحد منهم أي إجراء

قبل أخذ رأيه . وذهب القادة إلى السلطان وعندما استأذنوا عليه علم أن في الأمر شيئاً فأذن لهم ..

زفوا إلى عظمته نتائج البحث وآخر ما اهتدوا اليه .. وقالوا ان التهمة متجهة الآن إلى خادمه سعد وطلبوا من عظمته أن يأذن لهم في القبض على سعد ، فتعجب السلطان واستغرب أن يصدر مثل هذا الأمر عن رجل مثل سعد عرف بحسن السلوك وطيب العنصر .. واستقامة الخلق .. وتردد في الأمر بالقبض عليه .. ولكن قادة الأمن ألحوا عليه في الإذن .. لأنه هو المتهم الوحيد .. واذا أفلت سعد من قبضتهم فإنـــه لا يبقى في أيديهم أي خيط يتعلقون به ..

وازدادوا في الالحاح .. وقالوا انه إذا كان بريئاً فلن يلحقه أي ضرر أو أذى من جراء إجرائهم ..

وفي استطاعة مولانا السلطان أن يرد اليه اعتباره ببعض الهبات التي تزيل آثار اتهامه وحبسه ، أما إذا كان مجرماً وسارقاً فإن عظمة السلطان لا يمكن أن تأخذه به رأفة .. وقربه من السلطان لا يشفع له .. بل قربه يضاعف من بشاعة الجريمة ويؤكد تشديد العقوبة ..

فأجابهم السلطان إلى طلبهم وهو يشك كل الشك في جدوى هذا الإجراء. ولكنه أراد أن يظهر لهم خيبة مساعيهم .. وطلب منهم أن يكونوا مهذبين في القبض عليه وفي التحقيق معه .

فخرج قادة الأمن شبه منتصرين..وألقوا القبض على سعد وبدأوا التحقيق معه فكان صريحاً معهم فأخبرهم من أول وهلة بأنه هو الذي سرق نعـــامة السلطان..فسألوه عمن شاركه في هذا العمل فأجاب بأنه هو الفاعل الوحيد.. وسألوه عن الدوافع . والأسباب . فقال : انها نزوة الشباب لا أكثر ولا أقل . وسألوه عن مصير النعامة فقال انه ذبحها وأكل لحمها وأعطى بعض ذلك لوالدته العجوز ..

سر قادة الأمن بهذه الاعترافات الواضحة والصريحة بأن سعداً هو الفاعل

وأمروه أن يكتب هذه الاعترافات بخط يده وختمها بتوقيعه .. واطمأن قادة الأمن لهذه النتائج .. وذهبوا بها إلى السلطان فرحين مستبشرين ..

عندما علم السلطان بتلك النتائج غضب غضباً شديداً على سعد فقد كان يدافع عنه على أنه برىء .. أما الآن وبعد أن ثبت عليه ثبوتاً قاطعاً بأنه هو الفاعل فلا مناص من الحكم عليه .! حكماً قاسياً وصارماً ليكون رادعاً له ولأمثاله عن هذه الجرأة في انتهاك حرمة السلطان وممتلكاته الخاصة التي يعتز بها .. ويرى فيها رمزاً لتفرده وسلطانه .. ثم إن مما يزيد من بشاعة هذه الجريمة أنها من شخص كان موضع الثقة والأمانة فليكن العقاب قاسياً .. فأصدر السلطان حكمه على سعد بأن يسجن مدى الحياة .. أو يفدي نفسه بدفع مائة من الابل أو ما يعادل قيمتها إلى خزينة الدولة ...

فخرج قادة الأمن من حضرة السلطان .. وبلغوا سعداً بهذا الحكم فتلقاه بالرضا والتسليم .. وبقي في السجن فترة من الزمن .. إلى أن ظن أن السلطان قد هدأ غضبه .. وزال بعض ما في نفسه فطلب مقابلة قائد الأمن فجاء اليه . !! وهو يظن انه سوف يشكو شيئاً من المضايقات .. او يطلب شيئاً مما يلزمه فيحبسه وقال سعد لقائد الأمن: إني أريد مقابلة عظمة السلطان فقال له القائد : لماذا .؟!

فقال سعد : لأمر أريده بيني وبين عظمته .. فقام القائد وخرج دون أن يرد عليه كلمة واحدة . ولكنه اهتم بهذا الطلب وذهب حالاً إلى عظمة السلطان .. وأخبره بطلب سعد مقابلته ... فعادت إلى السلطان بوادر الغضب وتذكر جرأة سعد .. وسرقته للنعامة الخاصة بعظمته ...

وقال عظمة السلطان لقائده ماذا يريد سعد؟!فقال القائد: إنه لم يفض إلي بأي شيء . بل قال ايه يريد مقابلتك لأمر يريده بين عظمتكم وبينه .. فقال السلطان : ائتوا به الساعة ..

ذهب القائد إلى سعد وأمر بفك أغلال الحديد من رقبته ويديه ورجليه.. ثم قاده إلى عظمة السلطان .. وعندما ادخل سعد على عظمة السلطان وجده بخلاف ما كان يؤمل .. لقد رأى بوادر الغضب في عينيه وفي قسمات وجهه .

سلم سعد على السلطان سلام الخائف الذليل . فرد عليه السلطان رداً جافاً ونهره . وقال له: لقد قربناك وائتمناك وكانت نتيجة ذلك أن غدرت بنا وخنتنا .. فكيف يكون لك وجه لتطلب مقابلتي ؟ ..

فتلطف سعد بالكلام وقال : يا عظمة السلطان ان كل ما يقوله عظمتكم صحيح وإنني استحق منالعقوبة أكثر مما حكم به علي . ولولا عدل عظمتكم . وشفقتكم على رعيتكم لكان عقابي أعظم مما أنا فيه بكثير ولكن قلبكم الكبير كان أعظم من ذنبي فحكمتم علي بعقوبة هي بعض ما استحق .. لا كل ما استحق .. وليس هذا غريباً من تصرفات عظمتكم فقد عرفتم وعرفت أسرتكم العريقة بالكرم والتسامح عن الهفوات . وتحري العدل . واطراح الهوى .. والحرص الشديد على أن تعيش رعيتكم في ظل العدل والأمن .. عيشة لا يكدرها مكدر .. ؟! ولا يعكر صفوها معكر ..

استمر سعد يضرب على هذا الوتر الحساس وكانت كل كلمة من كلماته تحل عقدة من عقد غضبة عظمة السلطان .. وكل لون من ألوان التعبير الذي يقوله سعد تدني سعداً من قلب عظمته . وتجعله يلتمس الأعذار لهذه الهفوة كخطوة أولى في سبيل العفو عنها ..

وقال سعد في جملة ما قال لعظمة السلطان : —

يا صاحب الجلالة لقد قربتم مكاني وائتمنتموني على كثير من الأمور وما كان ينبغي أن أقابل كرم عظمتكم بالكفران . ولا أن انتهك حرمة من رفع من قدري .. وأدنى من مكانتي . وجعلني في المرتبة التي يغبطني عليها الكثيرون من أبناء وطني ..

ولكنها نزوات الشباب ثم الاعتماد على ما طبعتم عليه عظمتكم من العفو والكرم والتسامح . ولا سيما بالنسبة إلى الهفوات الطارئة .. التي لم تصدر عن نفس طبعت على التخريب ولا من انسان جبل على الشر والاجرام ..

والذي أرجوه من كرم عظمتكم هو أن تقبلوا من خادمكم أن يفدي نفسه بالكفالة حتى تتاح له الفرصة للتكفير عن فعلته النكراء ..

فنظر اليه السلطان نظرة هادئة استشف منها الموافقة وأومأ السلطان برأسه وقال كلمة مقتضبة علم سعد منها الموافقة على طلبه .. ولم يطل السلطان في الكلام.. ولم يتعرض لتلك الفعلة التي اعترف صاحبها على نفسه وأقر بذنبه.. وكأنه بهذا يشير من طرف خفي أو يقتدي بأمير المؤمنين عثمان بن عفان عندما صعد المنبر في أول خطبة خطبها بعد توليه الخلافة فأراد القول فلم يفتح الله عليه بشيء .. فنزل من فوق المنبر وهو يقول : —

انكم لأمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال .. فكانت كلمة قصيرة أبلغ من خطبة طويلة ..

ودعى عظمة السلطان قائد الأمن وأمره بإطلاق سراح سعد بالكفالة وأن تجعل له مدة محدودة يدفع فيها غرامة الفداء ... وهي مائة جمل أو ما يعادلها من ذهب أو فضة أو ماشية ...

وخرج قائد الأمن ومعه سعد .. وجاء الكفيل فأطلق سراح سعد .. وذهب إلى قومه وبني أبيه ومن يربطه بهم رابطة القرابة .. وكانوا يعلمون مقدار الغرامة التي فرضها عليه السلطان .. فكان منهم من يعطيه خمساً من الإبل .. ومنهم من يعطيه أربعاً ومنهم من يعطيه ثلاثاً .. ومنهم من يعطيه عنزاً ومنهم من يعطيه تيساً كل بحسب قدرته .. وعندما انتهى من بني عمه وأفراد أسرته . وقرابته الأدنون ..

ذهب سعد إلى أصهاره إلى الأسرة التي تزوج فتاة من فتياتها...فتقاعسوا أول الأمر مع أنهم يعلمون مدى خطورة الأمر ويعلمون بالمغرم الفادح الذي فرض على سعد . ومع ذلك فقد صار بعضهم يستشير بعضاً هل يعطونه ويعينونه على دفع الغرامة .. أم يتركون رفده .. فهم ليسوا من أسرته . ولا من قبيلته ولا يربطه بهم أو يربطهم به . الا فتاة منهم لا أهمية لها .. ولا خطر لها .

حتى أن بعضهم قال لنفرض أن هذه الفتاة التي تزوجها سعد ماتت فما الذي يربطنا بسعد بعد هذا .. لا شيء أبداً .. وكاد القوم أن يتفقوا على عدم تقديم أي عون .. ولكن رجلاً كان هو أعقل من فيهم قال لهم انه لا

ينبغي أن يرجع سعد بدون شيء . وإذا كان هذا هو رأيكم فلا أقل من أن يعطيه كل واحد منكم تيساً أو عناقاً .. إنها تسمى مساعدة لسعد في ظروفه القاسية . أما أن يعود منكم بلا شيء فهذا أمر لا يليق .. لأنه سوف يجلب عليكم السبة والمذمة والعار أبد الدهر .. واتفق القوم على هذا الرأي .. وقدم المقتدرون منهم تيوساً ومعزى .. قليلة.. وهزيلة . لا تكاد تحملها أظلافها من شدة الضعف والاعياء ..

فأخذها سعد .. ولم يقل شيئاً بل كتم ذلك في نفسه واقتنع بصحة وصية والده في الأولى وهي عدم ائتمان النساء على الأسرار فقد أفشت أمه وأقرب الناس اليه وأحب الناس اليه .. أفشت سره .. وهذه هي الثانية التي تزوج فيها من فتاة ليست ذات أصل ولا فصل .. فكان نتيجة ذلك هذا الخذلان والتخلي عنه وعن عونه ونصرته أشد ما يكون حاجة إلى ذلك ..

أما الثالثة فهي قرب السلطان وقد رأى نتائج مقاربة السلطان كيف كادت أن تودي بحياته.. لولا تلطفه في الكلام .. وأسلوبه الساحر في اطفاء نار الغيض والغضب .. من قلب عظمة السلطان .. وجمع سعد ما حصل عليه وأحصاه فاذا هو أقل من المطلوب واحتار كيف يصنع .. كيف يحصل على البقية الباقية من هذه الغرامة الفادحة ؟! واستشار احد العقلاء العارفين من بني قومه .. وقال له :

ما هي الحيلة في اتمام هذه الغرامة .. انني لا يمكن أن أذهب بها إلى السلطان وهي ناقصة . كما ان مدة المهلة قاربت على النهاية .. ولم يبق إلا أن أقصد رجلاً موسراً كريماً .. فأخبره بحالي وأطلب منه اكمال ما نقص من تلك الغرامة .. فدله الرجل على شخص عرف بالجود والكرم . والشهامة والنخوة .. كما أنه صديق حميم لوالد سعد فشد سعد الرحال إليه .. ولم يتمهل .. فان الوقت ليس فيه مجال للتمهل .. وسافر مسرعاً قاصداً ذلك الرجل الكريم وبمجرد أن أناخ راحلته في فنائه رحب به وتهلل وجهه فرحاً . فعرفه بنفسه .. فعرفه . وعرف والده وترحم عليه .. وقال هذا الرجل :

انها تربطني بوالدك – عليه رحمة الله – كثير من الروابط الأخوية والتجارية.! كما أنه كان من أخص أصدقائي ومعارفي ..

وأفضى اليه سعد بحاجته .. وشرح له قضيته من أولها إلى آخرها فتهلل وجه الرجل .. وقال لسعد :

انك لو قصدتني من أول الأمر لدفعت اليك جميع الغرامة.. ولم أحوجك إلى جمع أشتات من المواشي قد يكون فيها ما لا يقوى على حمل نفسه . وأكرم الرجل سعداً ثلاثة أيام لم يسمح له بالسفر فيها ثم زوده بزاد للطريق.. وأعطاه بقية الغرامة برعاتها وحراسها وترحم على والد سعد ، فقد كان يراه صديقاً حميماً وفيلسوفاً كبيراً .. ومجرباً خبيراً . ومن صدق حدسه .. ودقة أفكاره .. هذه الحادثة التي وقعت لولده سعد .. فقد نهاه عن ثلاث خصال ارتكبها كلها فكانت نتائجها وبالاً عليه .. ووضعته في موضع حرج كاد أن يقضي على حياته .. لولا لطف الله ورعايته ثم حسن أسلوب سعد في التنصل من الذنوب وسل سخائم الصدور بمسول الكلام ولينه ..

ورجع سعد إلى أهله وعشيرته .. وأخذ ما جمعه منهم وضمه إلى ما جاد به الرجل الكريم الذي كان صديقاً حميماً لوالده .. وساق الجميع متوجهاً الى العاصمة حيث يقيم الملك . ووصل المدينة سالماً بجميع ما معه من الابل والغنم . وطلب مقابلة السلطان .. لتقديم الغرامة اليه ولتقديم فروض الطاعة والولاء لسلطانه الذي أتاح له الفرصة في فداء نفسه ..

ضرب لسعد موعد لمقابلة السلطان .. وفي الموعد المحدد ذهب سعد وسلم على عظمته .. وقال له : لقد أحضرت يا عظمة السلطان كل ما طلب مني .. انني أقدمه وأنا أشعر شعوراً عميقاً بالخطيئة..ولكن لي بعد قبض المال من كلمة أريد أن أسر بها إلى عظمة السلطان .. فأمر السلطان وزير ماليته بقبض الفداء .. وأشار عظمة السلطان إلى من حوله بالخروج ليخلو المكان له ولسعد حتى يفضي اليه بما لديه من سر ..

وعندما خلا المكان قال سعد :

يا صاحب العظمة .. ان ما عملته لم تكن دوافعه الحاجة ولم يكن من

دوافعه الاجرام .. ولم يكن من دوافعه أيضاً الاستخفاف بحقوقكم وهيبتكم.. لم يكن الدافع أمراً من هذه الأمور .. وانما الدافع الحقيقي .. هو وصية لوالدي أوصاني بها فأغراني الشباب بمخالفتها بحذافيرهـــا لأرى بنفسي ماذا تكون نتائجها . وقد كانت النتائج كما توقعها والدي رحمه الله .. فقد كادت سرقتي للنعامة أن تودي بحياتي .. كما انني ائتمنت والدتي التي هي من أحب الناس إلي وأخلصهم ومع ذلك فقد أفشت سري ..

وتزوجت امرأة ليست من طبقتي .. وليست من معدن أهلي .. وعندما احتجت إلى العون والرفد منهم كادوا أن يردوني خائباً .. وقد أعطوني من مالهم الشيء النزر الحقير الذي لا يليق أن يقدمه أمثالهم إلى مثلي ..

والآن يشرفني أن أزف إلى عظمة السلطان بشرى بأن نعامة عظمتكم لا تزال باقية على قيد الحياة وسليمة من كل سوء .. وقد وكلت بهـا من يقوم عليها ويهتم بها إلى أن يؤديها إلي كما سلمتها اليه سليمة .

سر السلطان بهذا النبأ سروراً عظيماً .. وطلب من سعد أن يذهب حالاً لاحضار النعامة فأخذها معززة مكرمة وذلك اعزازاً للسلطان واكراماً له .. وأعادها إلى المكان الذي أخذها منه .. وعندما رآها السلطان كما هي لم ينلها أي أذى .. ولم يتغير شيء من حالها . ازدادت بهجة عظمة السلطان لصدق حدسه في سعد بأن هذا العمل لا يمكن أن يصدر منه لأنه من عنصر كريم .. كما أنه في حياته مستقيم كل الاستقامة فليس في حاجة .. كما أن الأجرام ليس من شيم أمثاله .. وإذاً فانه لا يعقل أن يكون سعد هو الذي سرق النعامة ..

وطلب عظمة السلطان سعداً للمثول بين يديه بعد أن أحضر النعامة وقال له : لقد عفوت عنك سراً وجهراً وجعلتك من خواص جلسائي .. وأمرت وزير ماليتي بأن يحمل المواشي التي أتيت بها أطعمة من تمر وبر وسمن .. كل حيوان سوف يحمل عليه ما يستطيع حمله ويكون الجميع لك تصنع به مـا تشاء .. فشكر سعد هذه البادرة الكريمة من عظمة السلطان .. والنعمة الكبيرة التي تضاف إلى سابق نعمه ..

حملت تلك المواشي بالأحمال الابل حملت ما تستطيع حمله والخراف حملت ما تستطيع حمله .. والتيوس والمعز .. ربطت على قرونها أقمشة خفيفة بقدر طاقتها على الحمل .. وساق سعد هذه المواشي بأحمالها .. متوجهاً بها إلى أهله وعشيرته وعندما جاء إلى وسط الحي أوقف تلك المواشي بأحمالها وطلب من كل شخص أعطاه دابة ن يأخذها بأحمالها .. وأخذ القوم ما أعطوه محملاً بالتحف والأرزاق .. وجاء دور أصهاره فلم يأخذوا إلا الأقل الأذل الأرذل من تلك المواشي والأرزاق وندموا على تقصيرهم حين لا ينفع الندم .. .

وتفرغ سعد للتفكير في أموره جدياً .. وجعل يتذكر وصايا والده واحدة واحدة .. فأول ما بدأ به تطليق زوجته وارسالها الى أهلها مكرمة معززة .. ومن حسن حظه أنه لم يرزق منها أولاداً لا ذكوراً ولا إناثاً ورجع الى أسراره فصار يحتفظ بها لنفسه ولا يأمن عليها أحداً .. ولا سيما النساء مهما كانت قرابتهن له .. وشفقتهن عليه ..

وعاد الى السلطان في مبدأ الأمر كجليس شرف يحضر تلك المجالس من باب المجاملة والاعتراف بتفضل عظمة السلطان بهذا الأمر الذي يعتبر تشريفاً وتكريماً لسعد .. الا أن سعداً جعل يقلل المجيء الى السلطان شيئاً فشيئاً الى أن انقطع عن مجالسه تماماً .. واستقل بنفسه .. واهتم بشئونه الخاصة وشؤون أسرته .. وبدأ حياة جديدة سعد بها وسعدت بها أسرته .. وعاشوا في سبات ونبات الى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات .!

وكملت وحملت وفي أصيبع الصغير دملت ..

مَدِينَةُ الدِّرْعِيَّة القاعِدَةُ الأُولى لِلدَّولَةِ السُّعُودِيَّةِ

- ١٠ -

ما كان الأمير عبد الله بن سعود ليكتفي بما حققه من انتصارات وتأييد لحكمه لدى عودته للدرعية ، فمـــا كانت حركته وحركة آبائه من قبل إلا حركة لنشر ودعوة تثبيت عقيدة. وبعد استجمام قصير من معاركه السابقة . وبعد أن انتزع باتفاقه مع أحمد طوسون حق سيادته على نجد ، وعدم تدخل الأتراك فيها . أخذ يقوم بتأديب بعض القبائل وأهل المدن والقرى ، ويعيد تشكيل ادارتها وتعيين الامراء فيها .

وتتوارد اليه الأنباء بأن والي مصر ينظر إلى هذه التحركات نظرات تتعارض ووجهة نظر الأمير عبد الله ، الذي يرى انه يقوم بهذه التحركات داخل ولايته ، وفي حدود دولته . ويؤكد لمحمد علي باشا بالتزامه بالاتفاقية . ويبعث برسوليه حسن بن مزوع وعبد الله بن عون برسائله وهداياه ، تأكيداً لحسن النيات في استمرار الاتفاقية .

إلا أن محمد علي .. ما كانت عودته أولاً .. ثم اضطرار ابنـــه أحمد طوسون إلى توقيع الاتفاقية . إلا عملية هدنة أملتهـــا الظروف . فمقابلته لرسولي الأمير عبدالله كشفت له أنه يدبر أمراً . ما أسرع ما نقلاه إلى الأمير عبد الله ، ونقلا انطباعاتها عن رحلتها ومقابلتها لوالي مصر .

ولم يمض وقت قصير إلا ومحمد علي باشا يستنفر الجيوش ويمده (الباب العالي) في الاستانة بالقوات من الرجال والعتاد والمالى . وتضيق القاهرة بالجيوش التي توافدت اليها .

وفي عام ١٢٣١ هـ سار ابراهيم بن محمد علي باشا بهذه الجيوش عبر البحر

الأحمر . واتجه رأساً إلى المدينة المنورة حيث كان التجمع الأول لقواته . ثم سار بها إلى (الحناكيَّة) .. وألقى عصاه فيها . أخذ ابراهيم باشا يستميل القبائل - مرة بالقوة واستعراضها - وكثيراً بالمال والعطاء . وقام بعدة هجمات خاطفة على بعض القبائل . مستخدماً كل أساليب الدعايات الحربية التي سرعان ما تناقلتها القبائل - عن قواته واستعدادها وكثرتها - وهذا ما أراده ابراهيم باشا .

وبعد أن جمع في يديه خيوط الزحف ، وضمان عدم عرقلته من القبائل التي سيكون طريقه في أراضيها - أخذ يجر عَدَدَهُ وعتاده .. والوجهة نجد .. لا بل (الدرعية) ..

أخذ ابرهيم باشا يزحف بجيشه اللجب ، ومدافعه الثقيلة ، - يطوي بها صحراء نجد - وهديرها يدوي فوق كل مدينة وقرية تقف في طريقه . واستبسلت مدن وقاومت قرى .

إتَّبع ابراهيم باشا دكّ الأسوار والحصون ليلاً ونهاراً بمدافع لا قبل لأهل المنطقة بها . ولم يعهدوها . جعلت البعض منهم يقبل الصلح ، والبعض الآخر ينسحب بكل ايمانه وقوته لينضم الى الأمير عبد الله الذي كان يضع العراقيل أمام زحف ابرهيم باشا . وينتقل من مدينة الى اخرى ينظم صفوفها ويوجه قادتها . الا أن استمرار وصول الامدادات من مصر - عتاداً ورجالاً ومؤناً - كانت تشد ازر ابرهيم باشا، وترفع من معنويات جيشه الذي لحقت به خسائر فادحة في الرجال .

أمام هذا الطوفان أخذ الأمير عبد الله مركزه أخيراً وبكل قواته الضاربة في الدرعية . أليس الهدف هو الدرعية ..؟! إذ لا بد من الوقوف في وجه الغزاة - في الدرعية ذاتها - التي أفزعت الاستانة وهزت سمعتها .

وفي الثالث من جمادي الأولى عام ١٢٣٣ هو كان ابراهيم باشا على مشارف الدرعية .

كان خط سير ابراهيم باشا الى الدرعية من الأحيسي (الحيسية) مخترقا وادي حنيفة . فالعُيَيْن (العُيَيْنة) فالجُبيلة ، واستمر في الوادي حتى نزل

قرية (المَلْقَى) وكان فيها نخل للأمير عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سعود . واستقر في هذه القرية وبينها وبين الدرعية مسافة ساعة للراجل وضرب خيامه فيها .

بعد استقرار ليس بطويل قام على رأس الفرسان مع بعض المدفعية ، باستكشاف سريع حتى (العُلْب) حيث نخل الأمير فيصل بن سعود . ومنها أخذ يطلق مدافعه على نخيل الدرعية وأسوارها ، ليستكشف أسرارها . أخذ يتطلع الى هذه البلدة التي استرعت انتباه العالم ، واهتم بها نابليون ، وأقلقت الباب العالي ، والتي استغرق زحفه اليها أكثر من عامين.. ما هي ..؟ ما أسرارها .؟ وأخذ يمسح ببصره الواحة التي يحتضنها الوادي العريق . بينما كانت مدفعيته تظللها بالقذائف .. ووجد أن من في الدرعية قد أعد له العدة ، ووجد مقاومة عنيفة جعلته يعود الى مقر قيادته في (الملقى) .

وبعد ثلاثة أيام من عودته – كان خلالها يدرس المواقع ويعد الخطط – رحل بكل قواته ونزل قرية (العُلب) . وزع قواته ما بين وسط الوادي وضفتيه .. وعلى المرتفعات الشرقية من الدرعية ، خلف الوادي حيث كان مقر قيادته .

وفي الطرف الآخر من الدرعية ونخيلها كان الأمير عبد الله بن سعود يعد خططه هو أيضاً ، ويوزع قواته . أخذت قوات على رأسها الأمراء فيصل ، وابرهيم ، وفهد أخوة الأمير عبد الله مكانها في بطن الوادي ، ومعهم ثلاثة مدافع . وكانت هذه القوة تواجه معسكر ابرهيم باشا نفسه ومدافعه وخيله .

وفي الجانب الشمالي من الوادي في (شعيب المُغَيصبي) كان الأمراء سعد وتركي أبناء سعود .. ويليهما عبد الله بن مزروع ومعه قوة من أبناء بلدته (منفوحة) وغيرهم .

كما كانت هناك قوات أخرى أخذت مواقعها بين قوات ابراهيم باشا وقوات الدرعية الرئيسية . تشكل حرساً وعيناً للتحركات المضادة .

وقوات أخرى سعودية أخذت مراكز لها في كل مكان ، حول الدرعية وعلى ضفاف الوادي مما يلي الدرعية وفي الأوديـة الأخرى الصغيرة ، التي تشكل روافد لوادي حنيفة الكبير .

أما الأمير عبد الله فقد تمركز بقواته على مشارف الأسوار ، ومداخل المدينة ، ومعه المدافع الثقيلة .

أخذ الفريقـان في القتال ، بين كرٍّ وفرٍّ ، والتحام تارة ، ومناوشة بالقنابل من فوهات المدافع والبنادق تارة أخرى . واستمرت المعارك عشرة أيام .. معارك ضارية استمات فيها الفريقان .. وبالرغم من حدوث معركتين وجهاً لوجه . إلا ان ابراهيم باشا لم يستطع التقدم خطوة واحدة تجاه الدرعية وخطوطها . مما اضطر معه إلى التوقف عن القتال .. وليأخذ مراكز جديدة له . ومن خلال هذه المعارك عرف ابرهيم باشا ان شن حملة قوية على القاعدة الأساسية هو طريقه إلى النصر . فأخذ يمطر المواقع الشمالية السعودية بالقنابل دون انقطاع . وخط الامدادات بينه وبين القاهرة من جهة وبينه وبين بغداد من جهة أخرى لم ينقطع .

ثم كان أول صدع في صفوف الدرعيـة في معركة (غُبَيْراء) حيث استعمل الباشا خدعته في تسرب خيالته ليلاً الى قلب الوادي وخلف الخطوط الأمامية . وما لاح فجر ذلك اليوم حتى أخذ ابرهيم باشا يُصْلي بنيران مدفعيته المراكز الدفاعية الهامة ـ ولحظتها .. خرجت من قلب الوادي القوة التي تسربت خلف القوات الأمامية .. كانت على أثرها معركة استبسل فيها أهل الدرعية ، ولكن وقوعهم بين المدفعية من الأمام ، وبين الخيالة من الخلف ، دفعتهم الى الانسحاب من بين فكي الرحا . وقد قتل مـن جنود ابراهيم باشا الكثير . كما قتل من أهل الدرعية رجال صبروا وصابروا ، وكان ممن قتل في هذه المعارك الأمير فهد بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ومحمد بن حسن المشاري ، وحسين الهِزّاني . كانت معركة القى فيها ابرهيم باشا بكل ثقله . تحولت فيها الأرض والجو الى لهب ودخان ، وأصبحت أرض المعارك مزارع لجثث القتلى من الفريقين .

أثرت هذه المعارك والحوادث في بعض النفوس مما دعى البعض الى أن يلجأ الى ابراهيم باشا ـ كما يحدثنا الشيخ ابن بشر ـ ويطلعوه على مواطن الضعف في صفوف أهل الدرعية وحامياتها وخطوط الدفاع فيها . وعلى ضوء هذه المعلومات أعاد ابراهيم باشا تنسيق خططه . فعهد الى على ازن ـ أحد قادته ـ بعد ان أمده بقوات من عدد من المراكز أن يتخذ مراكزه في الجهة الجنوبية من الدرعية ، والى آخرين الجهة الشمالية . أما هو فزحف من قلب الوادي بالقوات الضاربة . وأخذ يقصف بمدافعه الأبراج على ضفتي الوادي . بينما كان المشاة والفرسان يزحفون بحمايتها . وشدد في هجومه بالمدافع على موقع الأمير عبد الله بن عبد العزيز ، الذي تراجع تحت قوة هذا الضغط الى خطوط أخرى . أما على ازن فقد زحف على الجبهة الجنوبية حيث مواقع الأمير عمر بن سعود . والتحم جيش علي ازن بقوات الأمير عمر وجهاً لوجه ، بالبنادق والسلاح الأبيض ، وغمرة التحام الجيش ظهرت قوات أخرى خلف الأمير عمر بن سعود مما اضطره الى الانسحاب . هذا وابرهيم باشا يوالي سيره في بطن الوادي تجاه قوات الأمير فيصل ، الذي أخذ يتجول بين قواته يتفقدها ، وفي أثناء تجواله هذا أصابته رصاصة طائشة لم تمهله .

وبدأت قوات ابراهيم باشا بعمليات التفاف شامل حول الدرعية .

وبالرغم من أن ابراهيم باشا أصيب بخسارة فادحة إثر احتراق مستودعات الذخيرة والمؤن . فقد استطاع أن يتجمع ويستولي على كل سلاح وذخيرة ومؤونة في مدن نجد وقراها ، التي سبق له أن أحتلها . كما ان الأتراك في العراق وغيرها أمدوه بصورة عاجلة بما يعوض خسارته ، وأخذوا بتنظيم القوافل لتمويله بصورة متتالية .

ومع كل هذا الدعم المستمر لابراهيم باشا فقد استبسل قادة الدرعية وأهلها استبسالاً منقطع النظير ، غير ان الحصار الذي أحكمه ابرهيم باشا على الدرعية جعل الأحداث تسير سيراً معاكساً للأمير عبد الله بن سعود ، فالمؤن نفدت، والذخيرة التهمتها المعارك، والقبائل أخذت تغادر الدرعية ، والحصار

يضيّق الخناق ، ويلتف حول الدرعية ، وحاول الأمير عبد الله لآخر مرة أن يسد الثغرات في صفوفه ما أمكن ، ولجأ الى قلب المدينة والتف حوله رجال مخلصون .. ويستشيط ابراهيم باشا غيظاً من هذه المقاومة فيركز كل فوهات مدافعه تمطر الحصون بوابل من القنابل لا ينقطع ليل نهار . وتسقط الحصون ، ويقف الرجال على اطلالها يدافعون شبراً شبراً .. ويلتفت الأمير عبد الله إلى رجاله وأهل بلده .. وتعز عليه أرواح العزل منهم خاصة ،ويقرر الموافقة على الصلح . وقد رأى سقوط نحو من واحد وعشرين أميراً ، سقطوا قتلى دون الحمى . إلى جانب المئات من أبناء جلدته وعشيرته .. إلى جانب الضنك الذي عانته الدرعية من الحصار . قرر الصلح الذي تم بشرط خروجه إلى ابراهيم باشا والذي سيبعث به إلى مصر — على أن لا يسيء اليه .

خرج الأمير عبد الله بعد ستة أشهر من القتال الضاري ضد قوات الباب العالي ، بكل مواردها الضخمة الهائلة وإمداداتها المتتالية .. خرج الأمير عبد الله .. وانتصر ابراهيم باشا بعد أن قدم من الضحايا تحت أسوار الدرعية نحواً من عشرة آلاف مقاتل .. ومئات .. بل آلاف من أطنان الذخيرة .

وهو هو الأمير عبد الله يتحدث إلى ابراهيم باشا بعد مقابلته له حديث الرجل المؤمن بعقيدته الشجاع حتى في الهزيمة :

(انك عظيم يا إبراهيم باشا .. ووالدك أعظم منك .. ثم ان السلطان محمود أعظم منه .. إلا أن الله أعظم منكم جميعاً ..) (١)

بهذه الكلمات التي مـــا زال صداها يتردد حتى اليوم بين اطلال الدرعية القديمة .. المدينة التي واكبت الأمجاد التي حققتها دعوة الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب وناصرتها أسرة آل سعود .

ومـــا ان تم استسلام الدرعية لابراهيم باشا . حتى نكّل بأعيانها أشد تنكيل .. وبالعلماء منهم بصفة خاصة ، حيث قتل بعضهم رمياً بالرصاص والبعض الآخر وضع في فوهات المدافع ، واطلقت حيث تناثرت أشلاؤهم . وكان نصيب الشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي قاضي الدرعية يومهـــا الضرب

---

(١) تأسيس امبراطورية محمد علي - من المخطوطات الفرنسية في ادوارد ريو ١٩٢٣ م .

والتعذيب ، والتعزير والاهانة .. وأخيراً قلعت أسنانه. وقتل رمياً بالرصاص الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ – حفيد إمام الدعوة .

وتصل الأوامر إلى ابراهيم باشا من أبيه محمد علي بتدمير الدرعية تدميراً تاماً . فأمر ابراهيم باشا أهل الدرعية باخلائها وأخذ يصب عليها مدافعه ، حتى حولها إلى خرائب واطلال ما تزال باقية حتى اليوم، شاهد عيان لصراع بين حق وباطل .. لكفاح مرير في سبيل عقيدة ومبدأ ..

وجَهَّز ابراهيم باشا رشوان آغا، وعلي دويدار، بقوة ترافق الأمير عبد الله إلى مصر ، مع بعض أسرته وأسرة الامام محمد بن عبد الوهاب . ومنها إلى الاستانة التي تنفست الصعداء ، واطمأنت إلى مكانتها بعد أن رأت (سيد العرب) يدار به في شوارعها حيث انتهى إلى ميدان السلطان بايزيد ، حيث قتل – رحمه الله – بامر من السلطان محمود خان .

(للبحث صلة) محمد الفهد العيسى

وقول الآخر [1] : (**تتمة الامثال العامية في نجد**)

وحسبك من حادث بامرىءٍ يرى حاسديه له راحمينا !!

٢١ « يْتمَنَّى إنّهْ مَا خلِقْ »

أي : يتمنى أنه لم يخلق ، يضرب لمن أصابته مصيبة عظيمة .

وفي معناه من الأمثال القديمة : « شر من الموت ما يتمنى له الموت [2] »

وقال الفرزدق يصف طعنة [3] :

يود لك الأدنون لو متّ قبلها يرون بها شرّاً عليك من القتل

وقال آخر [4] :

ولربما عرضتْ لِنفسي فكرة فأودُّ منهـــا أنني لم أخلق

المدينة المنورة **محمد العبودي**

---

(١) « معجم الشعراء » للمرزباني ص ٤٢٠ و « المنتخل » للثعالبي ص ١٧٦ و « أدب الدنيا والدين » ص ٢٣٢ و « نهاية الأرب » ج ٣ ص ٣٧ .

(٢) « البيان والتبيين » ج ٢ ص ١٦٨ و « الامتاع والمؤانسة » ج ٢ ص ١٥٠ و« أساس الاقتباس » ص ١٤٧ ، و « فرائد الخرائد » ق / ٥ / ب .

(٣) « البيان والتبيين » ج ٢ ص ١٩٣ .

(٤) « العمدة » ج ١ ص ٤٠ (مطبعة السعادة) .

وثائق الأحوال الشخصية من الناحية التاريخية

لوثائق الأحوال الشخصية أهمية تاريخية ، أدركهـــا كثير من الباحثين المعنيين بدراسة التاريخ .

وفي بلادنا لم تلق هذه الناحية من العناية من حيث الدراسة والاستفادة ما هي جديرة به .

وفي بلادنا منذ القدم مدن وجد فيها علماء وقضاة ، خلفوا طائفة كبيرة من وثائق الوصايا، ووثائق الأوقاف، ووثائق البيع والشراء للعقارات، ووثائق الصلح وأمثالها . ولو وجدت هذه الوثائق من يعنى بدراستها لكشفت لنـــا جوانب مجهولة من تاريخنا من نواحي متعددة .

وفي كلمتنا هذه نحاول استعراض إحدى هذه الوثائق ، مع التعليق عليها تعليقاً نقصد من ورائه توجيه انظار المعنيين بتاريخنا ، لناحية لا تزال بحاجة إلى الدراسة ، ولن تفوتنا الاشارة إلى أن قدراً كبيراً من الوثائق قد يضن به أربابه ، فلا يطلعون أحداً عليه إما لإخفاء بعض ما تحتويه من حيث إيضاح بعض النواحي المالية التي يرون في اخفائها مصلحة لهم أو لسبب من الأسباب الاخرى .

عرفت مدينة (أُشَيْقِر) من اقليم (الوَشم) في (نجد) بأنها من أقدم المدن في هذه البلاد ، وعرفت قبل قرون بان كثيراً من الأسر العريقة في نجد كانت تسكنها ، كبني وائـــل الذين انتشروا في اقليم (المِحْمَل) و (سُدَير) وغيرهما من أقاليم نجد . وآل وُهَيب بن قاسم (الوهبة) الذين

انتشروا في (نجد) وفي قطر وفي غيرهما من البلاد ومنهم (آل بسام) و(المعاضيد) الذين منهم (آل ثاني) حكام (قطر) وأسر أخرى معروفة :

وعرفت هذه المدنية بكثرة من خرج منها من العلماء ممن تولى القضاء في نجد وغيره مثل (آل اسماعيل) و (آل مشرّف) الذين منهم الشيخ سليمان ابن علي جد الامام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ثم ابنه الشيخ عبد الوهاب والد الشيخ وآل عبد الوهاب الذين تولى بعضهم القضاء في (العُيَينة) قبل ظهور الشيخ ومنهم (آل فيروز) الذين عرف منهم الشيخ محمد بن فيروز الأحسائي ، صاحب الحاشية على « زاد المستقنع » في الفقه ، والذي عرف فيما بعد بأنه ممن شرق بدعوة الامام المجدد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب .

وغير هؤلاء من العلماء الذين لا يتسع المجال لذكرهم ممن نكتفي بمجرد الاشارة لقصد التنبيه على أن لهذه المدينة مركزاً علمياً في نجد قبل ظهور الشيخ — رحمه الله — .

وسنقصر حديثنا هذا على إبداء ملاحظات تاريخية يسيرة عن احدى وثائق عرفت في هذه المدينة ، زمناً ، وأصبحت لها شهرة لدى الموثقين (كاتبي الوثائق) بحيث صاروا يحذون حذوها ، ويسيرون على منوالها في كتابة الوثائق المتعلقة بموضوعها . وسنحصر ملاحظات بجوانب ، أهمها :

أولاً : الأشخاص الوارد ذكرهم في الوثيقة :

١ — تدعى هذه الوثيقة (وصية صَبِيح) وصبيح هذا مولى لعُقبة ، وقد اعتقه فعاش على ما يظهر من هذه الوثيقة عيشة غنى ، وملك عقارات ذكر بعضها في وصيته . وهذا يوضح جانباً اجتماعياً هاماً .

٢ — وعُقبة هذا هو ابن ريّس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وُهيب بن قاسم ، ويتصل نسبه بالياس بن مضر على اختلاف عند النسابين هل هو من الرباب ، من بني عَدِيّ بن عبد مناة بن أد ، أو من تميم ، من بني حنظلة بن زيد مناة بن تميم ، والخلاف في هذا ليس بذي أثر كبير عند النسابين ،

فبنو عدي قد ينتسبون الى عمّهم تميم ، وهذا معروف بين العرب ، فكثيراً ما تنتسب القبيلة الى عم أبيها ، وهذا كثير عند العرب وليس هذا موضع التفصيل فيه – ومعروف رأى النسابين حول هذه النسبة ويمكن لمن أراد ايضاحاً في الموضوع أن يرجع إلى تاريخ ابن عيسى [1] .

وعُقْبة هذا هو جد بسام بن مُنيف بن عساكر ابن بسام بن عُقْبة ، الذي تنتمي اليه اكثر الأسر المنتسبة الى بسام هـذا في (أُشَيْقر) وفي (شقراء) وفي (عُنَيزة) وغيرها من البلاد .

٣ – تاريخ هذه الوثيقة في منتصف القرن الثامن الهجري في سنة ٧٤٧ هـ . واذن فعُقبة هذا كان من أهل ذلك القرن كما تدل عليه الوثيقة ، وهـذا الجانب يوضح لنا ناحية مجهولة في حياة عقبة لم نعرفه إلا من هذه الوثيقة .

٤ – تداول نسخ هذه الوثيقة عدد من النساخ – أولهم كاتبها في ذلك العهد ، ومما يؤسف له أنه مجهول ، لان الذي نسخها بعده فاتـه أن يذكر اسمه .

ثم من بعده على ابن شفيع ، ويدل عدم ذكر الناسخ الأول والاكتفاء بذكر هذا على أنه ذو منزلة علمية إذ العادة في نجد منذ القديم عند الاكتفاء بذكر الناسخ مجرداً من ذكر غيره يدل على أنه من العلماء الذين يوثق بهم ، ويعتمد على كتابتهم ، وابن شفيع هذا من أهل القرن التاسع وقد نسخها في النصف من شهر رمضان سنة ٨٩٠ هـ. وعلل نسخه لها بأنها كانت قد فَنِيتْ من طول الوقت ، وانه نقلها من غير تحريف .

٥ – وتدل هذه الوثيقة على جانب ذي أهمية كبيرة من الناحية التاريخية هي كثرة من يحسن الكتابة في القرن التاسع الهجري في بلدة (أُشيقر) ورد فيها عدد من الشهود هم : أحمد ابن سليمان بن مُنيف بن بسام وعبد الله بن شفيع ، وحسن بن عبدالله بن منيف بن بسام ، وعلي بن حَمَد ابن ريّس

---

(١) : « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » ص ٢٠٦

وعبدالله بن غملاس بن حجي ، وحَمَد بن محمد بن منيف ابن بسام ، وحسن ابن الكلبي بن منيف بن بسام– كل هؤلاء يحسنون الكتابة وصرح كل واحد منهم بأنه (كتب بيده) هذا الجانب تبدو أهميته عندما ندرك ان تلك المدينة في ذلك العهد قد بدأها الضعف وأن الجهل قد انتشر في بلاد نجد انتشاراً بحيث يعتبر كثرة الكتاب في هذه المدينة أمراً غريباً .

٦ – وممن كتب هذه الوصية محمد بن أحمد بن محمد بن منيف ابن بسام، وذلك في القرن العاشر الهجري (في سنة ٩٨٦ هـ) وهذا كما يفهم من الوثيقة يتولى وظيفة القضاء ، أي إنه من العلماء كما جاء في الوثيقة (القاضي الحنبلي منصوب الشرع الشريف) .

ومما يؤسفنا اننا لا نجد لهذا العالم ترجمة فيما بين أيدينا من كتب التراجم [١] مما يدل على ان كثيرين من علماء نجد ومشاهير أهله ضاعت أخبارهم .

٧ – ثم في القرن الحادي عشر الهجري نقلها عالم مجهول عندنا هو احمد بن سليمان ابن مشرف ، وقد نعته الناسخ الذي أتى بعده بـ (الشيخ) مما يدل أنه من العلماء ، إذ كلمة (الشيخ) كانت إلى عهد قريب جداً لا تطلق في نجد إلا على العالم وكثيراً ما تطلق على القاضي ، ولم ينتشر اطلاق كلمة (الشيخ) على غير العالم إلا بعد اتصال نجد بالحجاز سنة ١٣٤٣ – فما بعد .

٨ – وفي منتصف القرن الثالث عشر نقلها محمد بن عبد اللطيف في جمادى الأولى سنة ١٢٤٥ هـ كما يفهم من الوثيقة الأخرى التي معها ، ومن بعد محمد هذا نقلها كاتب يدعى عبد الرحمن ابن عبد اللطيف ابن موسى في شهر صفر سنة ١٢٩٩ هـ. وهذان الأخيران لا نعرف عنهما شيئاً ، مع قرب عهدهما .

ثانياً : المواضع المذكورة في الوثيقة :

١ – الأَحيْمَري ذكره صبيح من حدود (حيطانه) من ناحية الجنوب.

---

(١) ذكره ابن عيسى في تاريخه صفحة ٢١٢ ولم يحدد زمنه .

٢ ــ بئر العصامية ، هي أحد آبار أشيقر التي وقف صبيح مئها دلواً لاخراج الماء مع رِشائها .

٣ ــ الجفرة : من حدود حيطان الوقف من الجنوب .

٤ ــ حُوَيّط ابن ُشقَيْر : من حدود حيطان الوقف من الشرق .

٥ ــ شقراء : هي المدينة المعروفة الآن والتي أصبحت قصبة إقليم الوشم ويدل على إشراك أهلها في الوقف على الصلة القوية بين المدينتين في ذلك العهد .

٦ ــ ُعكَل : يطلق هذا الاسم على مدينة أُشيقر كما يفهم من جملة : (عكل وأهل الفرعة وأهل شقراء) وجملة (حيط نه في عكل) . وقد يكون إطلاق اسم (ُعكل) على هذه المدينة لكون سكانها من عكل من الرّباب . وهذا يؤيد أن آل عقبة من الرباب .

٧ ــ الغطفاء : هي بئر تُسقى منها تلك الحيطان ، ولا تزال البئر معروفة وقد ذكرها ابن عيسى في تاريخه وذكر أنه جرى فيها وقعة سنة ١١٤٥ هـ بين أهل أُشيقر [١] .

٨ ــ الفَرْعة : هي البلدة الواقعة بجوار مدينة أُشيقر ويدل ذكرها في هذه الوثيقة على أنها كانت معمورة قبل سنة ٧٤٧ هـ لأنه عبر عنها بقوله : (أهل الفرعة)مما يدل على أنها مسكونة في ذلك العهد ، كما يدل ذكرها على الصلة التي بين أهلها وبين أهل أُشيقر .

٩ ــ القطيعة : أحد حدود الوقف من الناحية الجنوبية .

ثالثاً ــ من حيث التعبير :

نجد في الوثيقة تعبيرات لا تزال مستعملة في عهدنا مثل كلمة (ثلاث

---

(١) تاريخ ابن عيسى صفحة ١٠٣ .

وقعات) والوقـْعَة بمعنى الوَجبَة ، أي جزء من الوقت يخرج فيه ماء البئر وقد يكون غير محدد الزمن ، وإنما بقدر حاجة البستان .

ومثل جملة (منصوب الشرع الشريف) وكلمة منصوب يقصد بهـــا من نصب أي عُيـّن من قبل الحاكم للقضاء .

ومثل كلمة (حيطان) جمع حائط : ويقصد بها هنا : بستان النخل .

رابعاً : من حيث أسلوب الوثيقة :

من المعروف أن العالم الذى يتولى كتابة الوثائق يراعي عند كتابة الوثيقة جميـع الشروط التي بتوفرها تصبح الوثيقة صحيحة شرعاً ، وباستعراض هذه الوثيقة يتضح مطابقتها لذلك ، وخاصة على مذهب الإمام أحمـــد ابن حنبل رحمه الله ، كما يدل على هذا اتخاذها مثالاً يحتذى به في كتابة الوثائق من عهدها الى عهد متأخر جداً كما تدل على ذلك الوثيقتان اللتان معهـا ، واللتان قد نتحدث عنهما فيما بعد .

خامساً : من الناحية الاجتماعية :

تدل هذه الوثيقة على مبلغ عناية المتقدمين بالناحية الاجتماعية ، من حيث التعاطف والتواصل ، والاحسان الى المحتاجين ، كما يدل ذلك من استقرائها بحيث جعل : (للارامل اللاتي يشتهين ويستحين) أي النساء المحتاجات الى الأكل من ذلك الوقف ، ولكن حياءهن يمنعهن من السؤال . جُعل فيهـــا نصيب لهن بل شمل كل من حضر ذلك السماط الذي يمد في الليالي المحددة في الوثيقة ، سواء كان غنياً أو فقيراً أو بدوياً أو حضرياً .

ثم لاحظ الواقف أن الحاجة قد تكون أمس في غير شهر رمضانوخاصة عند حدوث المجاعة ، فأجاز صرف الوقف في تلك الحالة في غير رمضان .

وهناك جوانب أخرى يدركها القارىء في الوثيقة لم نتعرض لها إذ المراد هومجرد الاشارة الى أهمية دراسةالوثائق التي منهذا النوعمن الناحيةالتاريخية.

وها هو نص الوثيقة :

وَصِيَّة صَبيح

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما وقف وحبس وأبدالفقير إلى الله سبحانه وتعالى الحاج صبيح عتيق عقبة ، حيطانه في عكل ولهن من الماء ثلاث وقعات ونصف على بئر الغطفاء بحدودهن وحقوقهن وأرضهن ونخلهن ومائهن ونمائهن وكل حق لهن داخل فيهن أو خارج عنهن. يحدهن من الغرب سور القرية ومن الشمال البئر وطريق المسلمين ومن الشرق حويط ابن شقير ومن الجنوب الجفرة والقطيعة والاحيمري – وقفاً حبساً مؤبداً محرماً بجميع محارم الله تعالى التي حرم بها الزنا والربا وشرب الخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وقتل النفس بغير حق – وقفاً قائماً على أصوله جارياً على رسومه قائماً على سبيله ماضياً لأهلة جائزاً لهم . لا يزيده مرور الأيام والأزمنة إلا تأكيداً ، ولا يكسبه تقلب الأوقات إلا تمهيداً وتأبيداً ، ولا يحله تطاول أمد ولا تقادم عهد وكلما تطاول عليه الزمان أبده ، وكلما أتى عليه عصر جدده وأكده . لا يزال ذلك كذلك ما دامت الدنيا وأهلها، حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . وليجدد في كل عصر ذكره لتسمع الاسماع ما ذكر فيه من تحديد حكمه . وينقله الخلف عن السلف، ولا يتعرض لابطاله التلف ، وتنقبض عنه الأطماع الكاذبة وتقصر عن تناوله الأيدي الظالمة – لا يزال هذا الأمر جارياً في هذا الوقف المذكور على شرائطه المذكورة والاحكام الموصوفة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . ووليّ الوقف المذكور إمام الجامع وله سدس حائط ونصف سدس حائط ، فان كان الامام فيه ضعف فيساعده المصلح من آل عقبة وان ترك الامام الولاية فليس له شيء – ويبدأ الولي بعمارة الوقف وكلما يزيد في نمائه ثم ما حصل فيخرج منه دلو وحبلها على (بئر العصامية) فان تعطلت بئر العصامية جعلت على بئر غيرها مما ينتفع به المسلمون .

وفيه أيضاً (ستون صاعاً) تكون أكفاناً لمن يموت ولم يخلف ما يكفنه من أهل عكل وأهل الفرعه وأهل شقراء وما فضل بعد ذلك أطعمه الولي في شهر رمضان ويكون سماطـــاً في ليالي الجمعة والخميس والاثنين ويفرق منه الولي ثلاثين صاعاً على الأرامل اللاتي يشتهين ويستحين – ولا حرج على من حضره في الأكل منه سواء أكان غنياً أو فقيراً أو بدوياً أو حضرياً – وإن أصاب الناس مجاعة في غير شهر رمضان المعظم – أطعمه الولي في ذلك الوقت إذا رأى الاصلاح في ذلك – ولا حرج على الولي ومن حضر فيما يأكلون عند الجداد ، ولا يحل لأحد من خلق الله تعالى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتعرض هذا الوقف بظلم أو نقصان أو تغيير أو تحريف ؛ فمـن فعل ذلك أو أعان عليه بقول أو عمل أو مشورة فالله حسيبه وطليبه ومعاقبه ومجازيه ومسائله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت – الآية – يوم الطامة يوم الحسرة يوم الندامة يوم يعض الظالم على يديه ، يوم الواقعة ، يوم الآزفة يوم الرجفة يوم الحاقة ، يوم يكشف من ساق ويدعون الخ . يوم العرض يوم النشور يوم لا يجزى والد عن ولده شيئاً الآية . يوم يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً يوم تطوى السماء كطي السجل للكتب ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . يوم يقوم الروح والملائكة صفا . الآية – فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذره شراً يره. وعلى المعترض لهذا الوقف لعنة الله والملائكة والناس أجمعين – ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا فرضاً ولا نفلاً وعجل الله فضيحته في الدنيا وضاعف له العذاب في الآخرة وجعله من الاخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا . الآية – فمـن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه – الآية .

كملت وثيقة الأصل بالتمام من غير تحريف وتاريخها سنة (٧٤٧) هجرية وهذه النسخة مكتوبة من وثيقة كتبها علي بن شفيع بيده رحمه الله سبحانه وتعالى من وثيقة الأصل وكانت الأولى قد فنيت من طول الوقت – فسبحان من لا يفنى ولا يموت . وتاريخ الوثيقة التي كتبهـا علي بن شفيع رحمه الله

قبيلة جُهَينة فروعها وبلادها

— ١٠ —

وممن كان يجاور قبيلة جُهَينة من القبائل في بلادها قبيلة عنزة ، فقد كانت تسكن في جبل (قدس) ، ويعرف الآن باسم : (ادْقس) وما حوله من الجهات جنوب المدينة ، مع قبيلة مُزَينة ، أي في شرق منازل جهينة ، وفي (خَيْبر) وفي الحِجْر ، في وادي القرى ، ولا يزال لعنزة بقايا في المواضع الأخيرة .

ويظهر أن سكنى عنزة لتلك الجهات كان بعد ظهور الاسلام بزمن ، إذ لا نجد لها ذكراً بين القبائل القريبة من المدينة في صدر الاسلام ، عندما هاجر الرسول (ﷺ) ولا في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة .

وأقدم من رأيناه ذكر نزول عنزة بقرب المدينة الهمداني ، مؤلف « صفة

تعالى كانت بيوم النصف من شهر رمضان المعظم سنة (٨٩٠) من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام .

ثم قال علي بن شفيع رحمه الله : (حضر عبد الله بن بسام على هذه النسخة المباركة وكتب بيده وحضر أحمد بن سليمان بني منيف بن بسام وكتب بيده ، وحضر عبد الله بن شفيع على ذلك وكتب بيده ، وحضر حسن بن عبد الله بن منيف بن بسام وكتب بيده ، وحضر علي بن حمد بن ريس وكتب بيده ، وحضر عبد الله بن غملاس بن حجي وكتب بيده ، وحضر حمد بن محمد بن منيف بن بسام وكتب بيده ، وحضر حسن بن الكلبي بن منيف بن بسام وكتب بيده — وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم وكتب هذه الوثيقة الثانية بعد ما فنيت الأولى وخشي من فناء الثانية أو ذهابها — كتبها حرفاً بحرف بما احتوته معانيها وبما اندرجت عليه مبانيها محمدبن أحمدبن محمد بن منيف بن بسام القاضي الحنبلي منصوب الشرع الشريف بتاريخ (١٩ رمضان سنة ٩٨٦ هـ) من الهجرة النبوية على مهاجرها الصلاة والسلام.

(للحديث صلة) **عبد العزيز بن فيصل المبارك**

الجزيرة » و « الاكليل » وهو من أهل القرن الرابع الهجري .

ذكر الهمداني [1] أن جهينة لما نزلت في منازلها بقرب المدينة ، نزلت عليها عَنزةُ ومزَيْنة وأن بني حرب انتشروا في تلك البلاد ، وصاروا إلى قدس وبها عَنَزَةُ ومُزينة وبنو الحارث وبنو مالك من سُليم ناصبتهم الحرب عنزة ، والذي هاج ذلك أن رجلاً حربياً وآخر عنزياً امتريا في جذاذ نخل ، فعدى الحربي على العنزي فضربه ضربة بَتَكَ بها يده ، فعدت بنو حرب يومئذ وهي ستمائة ، فأجلوا من بالبلد من عنزة إلى الأعراض من خيبر ، وقتلوا منها بَشراً كثيراً . — اهـ

لقد انتشرت عَنزةُ في جهات (خيبر) ووادي القرى : الحِجْر ، والعُلا ، ثم امتدت إلى قرب الساحل ، فيما بين جهينة وبلي ، بحيث كانت هذه القبيلة تشارك — في القرن العاشر الهجري في خفارة طريق الحج .

قال الجزيري [2] : وعربان عنزة يأتون من حوالي المدينة ، وحدودهم من طرف الحنك من الجهة القبلية إلى المدينة الشريفة ، إلى آبار علي ، إلى جبل مَفْرَح ، وربما تتبع الحاجّ نفر منهم في الأحيان من أكرا . وهم بدنات ، منهم حجاج ، وجبارة ، والمصاليخ ، وبشر ، وولد علي ، والشملان ، والعمارات ، والسُّبَعة ، ، والسحالين ، وبنو سليمان ، والطوالعة ، والجلاس ، — بفتح الجيم واللام — والحُسَنة ، والفِدعان ، والشراعِبة ، ووهيب — كذا قال الجزيري —

وفي أول القرن للعاشر ، في شهر شوال (٩١٢) عندما حدثت وقعة (السُّوَيق [3]) بين عسكر المماليك الجراكسة ومعهم شريف مكة ، وبين يحيى بن سَبُع ، أمير ينقع ، التجأ يحيى هذا إلى عنزة [4] ، مما يدل على قوة الصلة بينها وبين جهينة ، وأنها على جانب من القوة تمكنها من أن تجير أعداء الدولة في ذلك العهد .

(للبحث صلة)

---

(١) الاكليل : ج ١ ص ٣٠٧ و ٣٠٣ .

(٢) درر الفوائد (ص ٩٠ و ٥٢٨) .

(٣) في كتاب « بلاد ينبع » — ص ٦١ ، ٦٢ وصف لهذه الوقعة .

(٤) « بدائع الزهور » — ج ٤ ص ١٠٦ .

حديث الكتب

البرق اليماني في الفتح العثماني

[صدر عن « دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر » كتاب « البرق اليماني » وقد كتب الينا الصديق (م. ع في الرياض) يقول : ألم يكن من الأوفق نشر كتاب أهم من هذا الكتاب ؟ وما هي ميزاته التي دفعت الى تقديمه للنشر؟ وإجابة لاستيضاح الصديق ننشر هنا الكلمة التي كتبها رئيس تحرير هذه المجلة مقدمة له ، ففيها الجواب واضحاً .

في سنة ٩٢٣ هـ زالت دولة المماليك التي كانت تحكم مصر والشام ، وتسيطر على غرب الجزيرة العربية (الحرمين) سيطرة اسمية ، واستولت على تلك البلاد الدولة العثمانية .

وقد حاولت الدولة الجديدة بسط نفوذها في أنحـــاء الجزيرة العربية ، فاستطاعت ذلك بالنسبة إلى أطراف الجزيرة ، ولكنها وجدت مقاومة عنيفة حالت بينها وبـين التوغل داخلها ، وخاصة في جنوبهـا في (اليمن) وفي وسطها .

ولم تتمكن من التوغل في شرق الجزيرة إلا بعد استيلائها على العراق ، في مطلع النصف الثاني من القرن العاشر ، وبعد إخضاع البصرة للحكم العثماني في سنة ٩٥٣ هـ .

إن قيام الدولة العثمانية بإرسال الحملات تلو الحملات لإخضاع الجزيرة لحكمها يعتبر أول غزو خارجي منظم ، وبصرف النظر عن غاياته وأهدافه إلا أنه أولى المحاولات للسيطرة الخارجية على تلك البلاد ، والقضاء على استقلالها

وهذا الكتاب يسجل جانباً كبيراً من الغزوات التي قامت بها تلك الدولة

لبسط نفوذها في الجزيرة ، بل يصوّر أروع جانب من جوانب البطولة التي صمدت أمام تيار الجيوش العظيمة الغازية ، فصدّتها عن التغلغل داخل البلاد، بعد أن أبادت آلاف القتلى ، بل عشرات الآلاف من أبطال رجالها .

ومؤلف هذا الكتاب – مفتي مكة وأحد قضاتها ومؤرخها – يعتبر المؤرخ الأول لتلك الحوادث ، بحكم معاصرته لها ، وتصدّيه لتدوينها .

وهو – بحكم عمله وبحكم سيطرة الدولة العثمانية على الحرمين الشريفين – يعتبر صنيعة للدولة ، بل يصح أن يوصف بأنه مؤرخها (الرسمي) من علماء العرب ، ومن هنا تبرز ناحية من نواحي الضعف في هذا الكتاب .

هذه الناحية التي قد تطغى على عاطفة المؤلف طغياناً كبيراً يبرز أثره في استعمال كثير من الكلمات النابية في حق من يصفهم بأنه أعداء (ملك البرين والبحرين ، وخادم الحرمين الشريفين) ويصفهم بأوصاف هي ألصق بأعدائهم من الغزاة ، كالخروج عن الدين ، والالحاد ، وطاعة الشيطان .

إلا أن أثر تلك العاطفة يختفي عندما يسجل الوقائع والحوادث تسجيلاً يعجز أسلوب المؤلف ، وتضعف عاطفته عن اخفاء ما يتضمنه من الحقائق .

إنه لا يرى غضاضة في أن يقول : (ولقد سمعت المرحوم أحمد جلبي المقتول (دفتر دار مصر) يفاوض المرحوم داود باشا في حدود سنة ٩٥٣ فقال : ما رأينا مسبكاً كاليمن لعسكرنا ، كلما جهزنا اليه عسكراً ذاب ذوبان الملح ، ولا يعود منه إلا الفرد النادر ، ولقد راجعنا الدفاتر في ديوان مصر من زمن ابراهيم باشا إلى الآن ، فرأينا قد جُهِّز من مصر إلى اليمن في هذه المدة ثمانون ألفاً من العسكر ، لم يبق منهم في اليمن سبعة آلاف نفر . انتهى كلامه . قلت : وقد تجهز بعد ذلك إلى هذا الزمان أضعاف ما ذكر أحمد بك –رحمه الله تعالى– وهلم جرّاً إلى آخر الزمان،وهذا سر إلهي لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى !! والذي يلوح للخاطر أن سبب نقصان بركتهم مما يرتكبونه من ظلم العباد) الخ .

ولا أن يسجل مـا يرتكبه بعض القواد ورجال الدولة من أنواع الظلم ، أو يفعلونه من المعاصي مما لا يتفق مـع تعاليم الاسلام ، وأن يتبع ذلك بالاستغفار لهم ، أو الاعتذار عن أفعالهم ، بأعذار واهية .

ولئن كان الأصل لهذا الكتاب مؤلفاً باللغة التركية عن تلك الغزوات ، ألفه أحد الرجال الذين خاضوا غمارها وكان يتولي وظيفة (رئيس الكتاب) لأكبر قائد من قواد تلك الغزوات ، وكتاب بهذه الصفة يقصد به إرضاء جانب واحد ، كثيراً ما تعوزه النزاهة والصراحة ، وقل أن يسلم من الانحياز ، وهذا أقل ما يوصف به كتاب من هذا القبيل إلا أن الكتاب هذا – مع ما فيه – يعتبر ذا أهمية تاريخية متعددة الجوانب فهو يصور جانباً كبيراً من صمود بلادنا وبطولة أبنائها أمام جحافل الغزو الخارجي .

وهو يعتبر حلقة في سلسلة تاريخ بلادنا ، يبقى ذلـــك التاريخ مبتوراً بفقدانها .

وهو يحوي وثائق تاريخية هامة تفيد المعنيين بدراسة هذه الناحية وهو يضم – في طياته – لمحات تاريخية واجتماعية عن بلادنا ، فيصف الاستقبالات والاحتفالات الرسمية لرجال الدولة الجديدة الحاكمة عندما يصلون إلى جدة ، ومكة .

ويسجل بعض مواقف اؤلئك الرجال الشاذة من أوضاع بلادنا .

ويشير إلى بعض الوفادات التي يقوم بها بعض مشاهير البلاد ، إما للمطالبة بأن يتولى القضاء في مكة عالم من أهلها من العرب ، أو لإقرار أمير مكة في منصه ، أو غير ذلك من الوفادات التي تحدث عادة إلى قاعدة الدولة .

ومؤلفه عالم من علمائنا أسدى يداً بيضاء لبلادنا بتسجيل تاريخها في مؤلفه هذا وفي مؤلفات أخرى كتاريخه لمكة وغيره ، ومن حق هذا العالم علينا ، ومن الوفاء له ابراز كل أثر من آثاره العديدة . وأسلوب الكتاب يخرج عن مألوف كتاب هذا العصر ، فهو مسجوع ، والسجع في العهد الذي ألف فيه ذلك الكتاب يلجأ اليه المؤلف ليظهر مقدرته وتمكنه من اللغة ، يضاف إلى

هذا أن لجرس الكلمات المسجوعة في آذان من كتب لهم الكتاب وهم عجم لا يعرفون من اللغة العربية إلا اليسير ـ لجرس السجع في آذانهم من الأثر أعظم مما لبليغ المعاني في الكلام الفصيح ، ومن حسن حظ القارىء أن سجع الكتاب ليس من الممل العسر الفهم ، الذي يحوج الرجوع إلى القاموس كثيراً .

ولقد ألف هذا الكتاب في الوقت الذي بدأت اللغة التركية أول ما بدأت تتسرب إلى اللغة العربية ، وجاء أهلها بأشياء جديدة ليس لها مسميات معروفة عند العرب ، كالرتب العسكرية والألقاب ، وبعض أنواع الأسلحة والأطعمة والألبسة ، ومؤلف الكتاب وإن كان يجيد العربية ، ويحسن اللغتين التركيه والفارسية ، ولكنه لم يكلف نفسه عناء تعريب كثير من الكلمات التركية التي استعملها ، والتي بقيت مستعملة إلى أول القرن الذي نعيش فيه ، ثم ماتت .

والكتاب ـ من هذه الناحية ـ يفيد المعنيين بالدراسات اللغوية ، ويفيد المهتمين بمعرفة تطور الأسلوب العربي في الكتابة في ذلك العهد .

ولئن أخذنا على المؤلف ـ فيما أخذنا ـ مبالغاته في مدح من مدحهم استرضاء ، وتزلفاً ، وفي ذم من ذمهم انجرافاً وراء العاطفة ، ومبالغة في الاسترضاء والتزلف ، فإننا ندرك ـ مع ذلك ـ ان القارىء لا يغرب عن ذهنه وجوب اطراح تلك المبالغات من مدح أو ذم ، ولن يعيي فهمه ادراك الغاية منها ، وأن أولئك الذين وصمهم المؤلف ـ والله يغفر له ـ بما هم منه أبرياء ، لا يقلون فضلاً عمن اسبغ عليهم من صفات المدح والثناء ما يرتفع عن أقدارهم . وما لنا نذهب بعيداً ، وجل ما نقرأ في صحفنا وكتب تاريخنا يجري على سنن ما جرى عليه مؤرخنا ؟!

فإنا لم نوقّ النقص حتى نطالب بالكمال الأوّلينا

لن نطالب بالكمال ، ولكن بالاعتدال . وما أحسن القصد في كل الأمور !.

كتاب الطبقات

عن

أبي عمرو خليفة بن خياط

- ٣ -

١٢٥ – ص ٢٣٦ : (حزن بن عمرو بن عامر)

في الأصل : حري بن عامر . وعمرو كتبت بين السطرين . ونقطة الباء من (ابن) وقعت فوق الراء .

والصواب : جُرَيُّ بن عامر – كما نَصّ على ذلك ابن ماكولا (الإكمال : ٢–٧٦) .

١٢٦ – ص ٢٣٩ : (عمرو بن روىّ بن ملكان)

عمرو بن بُوَيّ بن ملكان : (مخ : ٢٠٩ – و (الإكمال : ١–٣٧٤) و (النسب الكبير : ٣١٢) .

١٢٧ – ص ٢٤٢ : (سعيد بن يساق) .

سعيد بن مُساب (مخ : ٢٠٩) وكذا كانت في الأصل ، ثم غيّرت الكلمة إلى (يساف) .

١٢٨ – ص ٢٤٩ : (الدُّول بن سعد بن مناة)

الدُّول بن سعد بن مناة : (مخ : ٢١٥) و (الإكمال : ٣–٣٤٨) – وفي الأصل بدون همز ، وهذا دول الأزد الذي تقدم ذكره .

١٢٩ – ص ٢٤٩ : (الحارث بن كِسْر)

الحارث بن كبير ، وكبير بن جشم بن سُبيع بن مالك بن ذهل بن مازن – الخ النسب المتقدم : (مخ : ٢١٥) .

١٣٠ – ص ٢٥١ : (أسلم بن احجر بن كعب)

اسلم بن أحْجَن بن كعب : (مخ : ٢١٤) وانظر اشتقاقه في (الاشتقاق : ٤٩١) .

١٣١ – ص ٢٥٢ : (مُنَبِّه بن سعد بن ثعلبة) .

هَنِيّة بن سعد بن ثعلبة : (مخ : ٢١٩) .

١٣٢ – ص ٢٥٧ وص ٣١١ : (خُزَيمة بن حَرْب . . . . بن يزيد بن قيس) .

حَزِيمة بن حرب . . . بن نذير بن قَسْر : (مخ : ٣١٠ و (الاشتقاق : ٥١٦)

١٣٣ – ص ٢٦٣ : نسب المقداد بن عمرو تقدم ص ٣٧ وسبقت الاشارة إليه .

: وفيه زُهير : وهو دهير – وضبطه ابن ماكولا (الإكمال : ٣–٣٤٠) : بفتح الدال وكسر الهاء . وبَهْراء بن قائش : أهون بن قاس : (مخ : ٢٩٧) و (الاكمال : ٣–٣٤٠) . وأهور بن بهراء : أهود بن بهراء (مخ : ٤٩٦) و (مق : ١٠٣ – و (الاشتقاق : ٥٤٩) .

١٣٤ – ص ٢٦٣ : (عتاب بن عبد الله بن شقيرة)

في الأصل : غياث بن عبد بن سعيد – وكلمة الله كتبت بين السطرين. وورد مرة أخرى في الأصل المخطوط (٩٧) وفي المطبوعة – ٤٤٢ – : عتاب بن عَبْد بن شقيرة .

وجدُّه في الموضع الأول : عوف بن غطفان ، وفي الثاني : وهب ابن غطفان ، وابن الكلبي – وهو من شيوخ خليفة – لما فَرَّع نسب غطفان جُهَينة هذا ذكر له ولدين هما : مالك وعوف ولم يذكر وَهْباً (النسب الكبير : ٥٢٣) .

وعلى كل حال، فمن المستحسن الإشارة إلى ما جاء في الأصل عند عدم الاعتماد عليه ، فقد يكون هو الصواب .

١٣٥ ـ ص ٢٦٦ : (لا يبدأ اليهود بالسلام) .
في الأصل : لا تبدوا يهود بالسلام . وهي عبارة صحيحة لا داعي لتغييرها .

١٣٦ ـ ص ٢٦٨ : (سنان بن صيفي بن الهيلة) .
سنان بن صُفَيّ بن الهايلة : (مخ : ٣٠٣) وفي الأصل : صفى.

١٣٧ ـ ص ٢٦٩ : (وَرِقاً يُسْتَرْقى بها)
ورُقى يُسْتَرْقى بها ـ جمع رُقْية . وناسخ الأصل لا يتقيد بقواعد الاملاء ، ـ كما هنا ـ وقد يكتب خطأ ، فيكتب : أدّ العشر . هكذا : أدّ ي العُشْر . والمخاطب رجل ـ ص ٦٤ ـ

١٣٨ ـ ص ٢٧٠ : (من بني شيبان بن عوف بن سعد)
من بني سيبان بن الغوث بن سعد : (مخ : ٣١٨) و (الاكليل : ٢ / ٣٧٥ / ٤٤٤) . وقد نص على اهمال السين هنا ابن حبيب في « المختلف » والوزير المغربي في « الايناس » وابن حزم في « الجمهرة » والمجد في « القاموس » ، وقد ورد مُصَحَّفا في كثير من المطبوعات مثل « نهاية الارب » و « قلائد الجمان » كلاهما للقلقشندي ، ومن أفظع الغلط في الأخير ـ ص ٤١ ـ نسبته معن بن زائدة الشيباني إلى سيبان هذا .

١٣٩ ـ ص ٢٧٠ : (زيد بن عوف بن زيد بن سعد)
زيد بن غوث بن سعد : (مخ : ٣١٩) وكما تقدم في الاسم قبله بحذف زيد الثانية .

١٤٠ ـ ص ٢٧١ : (دعمي بن سعد بن عوف)
دعمي بن غوث بن سعد بن عوف : (مخ : ٣١٩) .

١٤١ ـ ص ٢٨٤ : (عمر بن لاجب)
عمرو بن الأحب ـ كما تقدمت الاشارة إلى ذلك برقم (٢٨) .

١٤٢ ـ ص ٢٨٥ : (بن الأعوس)
بن الأغوس ـ بالغين ـ وتقدم ايضاحه برقم (٣٥)

١٤٣ ـ ص ٢٨٧ : (منجان بن هجير)
ميجا بن هجير (وتقدم برقم ٤٦)

١٤٤ – ص ٢٨٩ : (رباح بن الحارث)
رياح بالياء المثناة التحتية – كما تقدم برقم (٤٩)

١٤٥ – ص ٢٩٣ : (زغب بن مالك)
زعب – بالعين المهملة – كما تقدم برقم (٥٤)

١٤٦ – ص ٢٩٧ : (حية بن حبيبة)
حيَّة بن حبيب – كما تقدم برقم (٦٤)

١٤٧ – ص ١٥٧ / ٢٩٨ : (اخزم بن زمعة)
أخزم بن ربيعة : (مخ : ٢٦٥) و (الاكمال : ١ / ٣٦) .

١٤٨ – ص ٣٠٢ و ٣٤٠ : (أيام بن أصيد)
يام بن أصبا : (مخ : ٣٢٣) وغيره من كتب النسب

١٤٩ – ص ٣٠٢ : (أسلة بن زيد بن أسلة)
أوسلة بن زيد بـن أوسلة – والاسم معروف – وقد ورد صحيحاً ص ٣٣٨ .

١٥٠ – ص ٣٠٣ : (الجلاح بن حديش)
الجلاح بن الحريش – كما سبق ايضاح ذلك برقم (٩٨)

١٥١ – ص ٣٠٥ : (قيس بن جزيّ بن عدي)
قيس بن جري – بالراء المهملة – كما سبق برقم (٢١٧)ووقع هناك (جدي) خطأ مطبعي .

١٥٢ – ص ٣٠٧ : (أصرم بن حزام)
أصرم بن ضبيس بن حرام : (مخ : ٢٠٤) بالواو المهملة وكما في (الاكمال : ٢ / ٤١٢)

١٥٣ – ص ٣٢٢ : (طريف بن عمر بن فقعس بن الحارث)
طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث . (مخ : ٤٣) و (مق :٢)
أما فقعس فهو ابن لطريف هذا .

١٥٤ ـ ص ٣٢٤ : (الفزاري بن فزارة)

الفزاري ، من فزارة .

١٥٥ ـ ص ٣٣٢ : (زمعة بن جمل)

رَبيعة بن جمل : (مخ : ٢٥٥) و (مق : ٨٥ بـ) .

١٥٦ ـ ص ٣٣٤ : (عُسلة بن جَلْد)

عُلة بن جَلد ـ كما في كتب النسب ـ وكما تكرر ذكرها في هـذا الكتاب ، وهي مخففة اللام ، لا كما ضبطت في الكتاب هذا .

١٥٧ ـ ٣٤٣ : (زهران بن أحجَر)

زَهْران بن الحَجر : (مخ : ٢١١) وغيره من كتب النسب ولا يزال هذا الاسم معروفاً . يطلق على قبائل كثيرة في جنوب الحجاز، وأطراف بلاد عسير .

١٥٨ ـ ص ٣٥٦ : (غيظية بن مُرة)

غيظ بن مُرّة ، وفيه يقول زهير :

سعى ساعيا غَيظِ بن مُرّة بعدَما
تَبزّلَ ما بين العَشيرةِ بالدَّمِ

١٥٩ ـ ص ٤١٨ : (ومن تيم بن مُرّ)

ومن تميم بن مُرّ .

١٦٠ ـ ص ٤١٩ : (حُرَير بن داره)

جَرير بن دارم . (مخ : ٥١) .

١٦١ ـ (حارثة بن عبس بن وداعة)

جارية بن عَبْس بن رفاعة : (الاكال ٢ / ٤) .

١٦٢ – ص ٤٢٨ : (عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عدي ، عامر بن عتر بن بكر بن عامر بن عَذَر – تقدم برقم (٦٨) .

١٦٣ – ص ٤٢٨ : (أحد بني نُخَيلة) .

أحـــد بني بَجْلة : (مخ : ١١٤) و (الاكمال : ١ / ٣٨٦) و (الاشتقاق : ١٩٣ / ٥١٦) .

١٦٤ – ص ٤٣٢ : (قَرْثع بن الحارث)

قُرَيع بن الحارث ، كما تقدم برقم (٦٠) .

١٦٥ – ص ٤٣٣ و ٤٦٧ : (وَقدان بن الجُرَيش)

وَقْدان بن الحَريش – كما تقدم برقم (٦٢) .

١٦٦ – ص ٤٤٢ : (غطفان بن قيس بن زيد)

غطفان بن قيس بن جُهينة بن زيد ، وهؤلاء غطفان جهينة .

١٦٧ – ص ٤٦٨ : (خُطيط بن جُشم)

حُطيط بن جشم : (مخ : ١٠٩) وغيره من كتب النسب .

١٦٨ – ص ٤٩٣ : تكررت كلمة (حلاوة بن ثعلبة) وصوابها : خلاوة – بالخاء المعجمة – باتفاق كتب النسب .

تنبيه: علمنا أن الكتاب قد طبع كاملاً في بغداد، فرأينا الوقوف عند هذا الحد من مطالعتنا الطبعة الدمشقية منه ، حتى نطلع على الطبعة البغدادية ، لتكون الملاحظات واحدة .

حج إلى نجد مهد العرب

الصديق حمد

إن اسم رحلة الليدي آن بلنت ، بالانجليزية هو : « Pligrimage to Nejed » وتعريب هذه الكلمة بكلمة « رحلة » فضلا عن كونه غير صحيح ، فهو يغيّر المعنى الذي قصدته الكاتبة تغييراً سيئاً وهذا معناه التصرف في آراء الآخرين تصرفا تأباه الأمانة العلمية .

قد يسوغ تلخيص كتاب عند ترجمته - كما فعلتم في ذلك الكتاب - ولكنه تغيير الآراء ، وحذف أشياء قد توضح تلك الآراء - أعتقد - أنه مما لا يستساغ ، وخاصة ممن يدركون ما للحفاظ على آراء الآخرين وحقوقهم من أهمية .

إن المقدمة التي كتبها زوج الكاتبة ولفرد. س. بلنت، فضلا عن كونها أوضحت لماذا اختارت المؤلفة كمة « حج » ففيها من الامتاع والفائدة ما قد يغنينا عن كثير من فصول الكتاب .

ألا ترى معي ضرورة ترجمة تلك المقدمة ؟!

(الرياض : ع. س.)

(العرب) : كل ما ذكر - أيها الصديق حق وها هي المقدمة ، ومعذرة ، فقد كان الاكتفاء بكتابة اسم الرحلة كاملا باللغة الانجليزية - كان في نظري كافياً عن استعمال كلمة (حج) التي لا يستسيغ استعمالهـــا في هذا الموضع جمهرة القراء في بلادنا . وشكراً لك لما نبهتني اليه ، وكنت عنه غافلا .

« كاتب المقدمة هو زوج المؤلفة ورفيقها في هذه الرحلة ، وفي الرحلة السابقة في العراق ، وهو الذي نقح الكتاب وأشرف على إخراجه . والسيد بلنت معروف لقراء العربية المطلعين على تاريخ العرب الحديث ، وخاصة مصر ، فقد اقترن اسمه بالعرابيين في مصر ، إذ كان خير مدافع عنهم وعن قضيتهم بما كتبه عن مصر في تلك الفترة في الصحف البريطانية ، ويعتبر كتابه « التاريخ السري لاحتلال مصر » مرجعاً من مراجع تاريخ مصر الحديث . »

قلما يحتاج قراء مغامراتنا في العام الماضي في الفرات [1] إلى أن نشرح لهم أسباب قيامنا برحلتنا التي نقدمهـا لهم ، ولا سبب استحقاقها للوصف الذي خلعناه عليها في العنوان بكلمة « حج » . تشكل الرحلة إلى نجد تكملة طبيعية للرحلة خلال بلاد ما بين النهرين وبادية الشام ، بينما لا تبدو نجد ذاتها، بما يرتبط باسمها من إثارة (رومانتيكية) موضوعاً غير جدير باحساس ديني ، كذلك الاحساس الذي يحفز على زيارة ضريح. إن بلاد نجد في تصورات بدو

---

(١): لمؤلف كتاب عن هذه الرحلة بعنوان « قبائل الفرات البدوية »
The Bedouin Tribes of The Eu phrates

الشمال هي بلاد الخيال والأحلام ، ومهد جنسهم : ومهد أفكار الفروسية التي لا يزالون يحيون بها . فهناك قام عنتر بأعماله البطولية المماثلة لأعمال هرقل ، وهناك قرى حاتم طي أشهر بطل في التاريخ ضيوفه . وبالنسبة لعنزة وشمر ، خاصة ، الذين يعود تاريخ هجرتهم إلى الشمال لبضعة أجيال فقط ، لا تزال تقاليد مسقط رؤوسهم حاضرة في أذهـانهم تقريباً ؛ وحتى عرب الفرات الأقدم عهداً ، سكان المدن كبصرى ، وتدمر ، والدير ، وبدو طي ، الذين كانوا سادة جبل شمر ، حتى هؤلاء جميعاً ينجذبون إليها بسحر أكبر من سحر الحجاز نفسها. إن بلاد نجد في نظرهم جميعاً كفلسطين في نظر اليهود، وانجلترا في نظر المستعمرين الاميركيين والاستراليين ؛ لكنها بهذا الفرق ، وذلك أنهم مفصولون عن موضع شعورهم البنوي بالاحترام والتوقـير بطريقة أشد في الواقع مما يفصل هؤلاء خليج من أصل الرمل أقل كرماً من أي بحر . ومن النادر أن تقابل في أي مكان في الشمال عربياً قد عبر النفود الكبرى .

ولأننا كنا غارقين في هوى الصحراء ، فقد مثلت نجد لنا لأمد طويل صبغة (رومانتيكية) لأرض مقدسة ؛ وعندما تقرر أن نزور جبل شمر ، وهو مركز الحياة البدوية ، برزت رحلتنا نفسها كعمل من أعمال التقوى والورع؛ لذلك فإن القول عنها بأنها (حج) وصف يكاد يخلو من المبالغة، حتى الآن وقد انتهت ، وأصبحنا مرة أخرى في أوربا . إنه حجنا إذن ، ولو أن الدين الذي سافرنا باسمه إنما كان ديناً من أديان الرومانسية .

إن ظروف الرحلة ، رغم بعض خيبة الأمل التي يكشف عنها سياق الحديث ، كانت أقل رومانتيكية من الفكرة. وقد يتذكر القراء الذين تابعوا أسفارنا السالفة حتى نهايتها شخصاً ما اسمه محمد عبد الله ، ابن شيخ تدمر ؛ لقد ساعدنا ذلك الشاب، بعد أن سافر معنا بأمر الباشا من الدير إلى مدينته ، مخاطراً في إثارة استياء الرسميين ، على مراوغة السلطات التركية ، وعلى إكمال زيارتنا لعنَزة . وقد يتذكر القراء أيضاً موقف محمد في قضية مكافأته على هذه الخدمة ؛ ذلك لأننا كنا نكن له وداً (فقد أظهر أنه شخص نبيل حقاً)،

فقد أعطيناه الخيار بين مبلغ كريم من المـــال وبين شرف أن يصبح أخاً « للبك » ، فكان أن قرر بفروسية أن يختار الأخوة .

وقد وعدناه آنذاك إذا سارت الأشياء كما نريد ، أن نعود إلى دمشق في الشتاء التالي ، وأن نذهب بصحبته إلى نجد ، حيث يعتقد أن له أقرباء ، وأننا سنساعده هناك على زوجة من بين أهله .

كانت الفكرة والوعد يتطابقان تماماً مع التصورات البدوية ، وسر لهـما سروراً بالغـــاً كل من محمد وأبيه عبد الله ، الذي أبلغنا إليه في الحين . إن عادة العرب في الزواج لم تتغير إلا قليلاً جداً عما كانت في عهد إبراهيم ، فكان طبيعياً أن يرغب الأب والابن في زوجة له تربطها بهما صلة الدم ، وأنه مستعد أن يذهب بعيداً ليأتي بها . وفوق ذلك ، فإن نوع المساعدة التي اقترحنا تقديمها (لأنه قل أن يكون في مقدوره السفر إلى نجد بمفرده) كانت تتناسب تماماً مع قرابتنا الجديدة .

إن المساعدة في اختيار زوجة تعد في نظر البدوي في مستوى هبة مُهْر (حصان)أو المعونة الشخصية في الحرب،وكلا الأمرين من التصرفات الأخوية التي تخلع شرفاً رفيعاً على كل ذوي العلاقة . وكان لدى محمد سبب خاص نابـع من ظرف تاريخ أسرته أن يرحب بالاقتراح مثنى . لقد وجد نفسه في مسقط رأسه في مركز حرج بالنسبة للزواج ، وكان بطريقة ما مجبراً على أن يبحث عن زوجة في مكان آخر

إن تاريخ آل عروق[1]، أصحاب تدمر ، وهي الأسرة التي ينتمي اليها ، ستوضح هذا، وإنه لتاريخ عجيب جداً ، وممثل أصدق تمثيل لجزيرة العرب ، إلى درجة تجعله يستحق ملاحظة عابرة هنا .

---

(١) كذا ورد الاسم بالقاف ونرى انه (عَرُوج) وآل عروج شيوخ قبيلة لام ، التي كان لها سيطرة كبيرة في القرن العاشر الهجري وما قبله في قلب الجزيرة وشمالها . وهم من الفضول (آل فضل) من طيء

سوف يتضح أنه منذ سبعة أجيال أو ثمانية (يحتمل أن يكون حوالي تاريخ تأسيس الامبراطورية الوهابية) ، تخاصم ثلاثة أخوة من أسرة عروق النبيلة ، شيوخ بني خالد ـ أي أصحاب جنوب شرقي نجـــد ـ مع قومهم فتركوا القبيلة . وكان آل عروق آنذاك أسرة معروفة جداً ، تمارس حقوق السيادة على مدينتي الاحساء والقطيف الهامتين ، وكان لهم استقلال ، وسيادة مطلقة أيضاً ، في إقليمهم . وهذا يقع بين الخليج (العربي) والحريق ، وهي واحة على طرف الصحراء الكبرى الجنوبية [١] ، وقد حافظوا عليه إلى أن أخضعهم محمد بن سعود ، أول سلطان وهابي لنجد ، مع بقية زملائهم شيوخ الجزيرة العربية [٢] .

وفي بداية القرن الماضي ، كانت جزيرة العرب سلطة مركزية ، فكل قبيلة ، وإلى حد معين كل مدينة ، تتمتع بوجودها المنفصل كدولة . والدين كان قد اختفى ، إلا بشكله البدائي البدوي ، من الأقاليم الداخلية ، وإنما الحجاز واليمن كان فيهما للديانة المحمدية أكثر من وجود أسمى . كان العنصر البدوي حينذاك هو الأعلى . وكل مدينة وقرية في جزيرة العرب كانت تعتبر ملكاً لشيخ أو لآخر من شيوخ البدو الرحل المجاورين لها ، وتدفع له إتاوة مقابل حمايته . وكان الشيخ في معظم الأحوال يمتلك بيتاً أو قلعة داخل أسوار المدينة ، بصفة مقر صيفي ، بالاضافة إلى خيمته خارجها . وكان في مثل هذه الأحوال يصبح أكـــثر من مجرد صاحب سيادة اسمية ، فكان يمارس سلطـــة فعلية على سكان المدينة ، ويتبوأ مجلس القضاء يومياً في بوابة المدينة ، ويجند الشبان بصفة حرس خاص له ، وفي بعض الأحوال يفرض الضرائب . ثم يتلقب بلقب الأمـــير . إن « ملوك الرعاة » الذين

---

(١) الحريق في قمة جبل طويق . والكاتب اعتمد على نقل خاطىء .

(٢) هذا على أقل تقدير ما تتناقله أسرة عروق خلفاً عن سلف . ويسمي نيبور فيما كتب سنة ١٧٦٥ شيوخ بني خالد باسم (آل عرعر) (الأصل) .

سيطروا على مصر ربما اكتسبوا مركزهم ومارسوا سلطتهم بمثل هذه الطريقة وليس عن طريق سواها . وقد تكون بقايا النظام لا تزال توجد في أجزاء كثيرة من جزيرة العرب .

وفي منتصف القرن الثامن عشر ، كان ابن عبد الوهاب – لوثر [1] الديانة المحمدية – يدعو إلى مذهبه في الاصلاح الديني في نجد ، وحول ابن سعود ، شيخ الدرعية العنزي ، إلى معتقداته . وبمساعدة ابن عبد الوهاب ، تحول ابن سعود من مجرد كبير لقبيلة ، وسيد على مدينة ، إلى سلطان لجزيرة العرب كلها ، واجبر كل شيخ واحداً بعد الآخر على الخضوع . وفي النهاية حطّم أيضاً نظام الاتاوة والحماية ، القاعدة الأصلية لسلطته ، وبعد أن كون جيشاً نظامياً من بين سكان المدن ، جعل هؤلاء مستقلين تماماً عن الحكم البدوي . وآنذاك أصبحت جزيرة العرب ، للمرة الأولى منـذ وفاة محمد ، امبراطورية موحدة . ذات حكومة مركزية ونظامية . ومن اللازم أنه في حوالي عام ١٧٦٠ خرج الأخوة الثلاثة من آل عروق لينشدوا حظهم في مكان آخر ، بعد أن تضايقوا من الحالة الجديدة في نجد . وطبقاً للرواية المتواترة ، وهي متضمنة جزئياً في قصة شعرية غنائية قديمة (Ballad [2] لا تزال معروفة في جزيرة العرب ، فقد امتطى الثلاثة بعيراً واحداً ، ولم يكن معهم إلا سيوفهم ونبل محتدهم ينالون بها مكانتهم بين الغرباء . سافروا في اتجاه الشمال ، وتوقفوا أولاً في الجوف ، وهي واحة في أقصى شمال أواسط جزيرة العرب ، حيث مكث واحد منهم . أما الاثنان الآخران فقد افترقا على أثر خصام ؛ ولا تعرف الرواية إلى أين تجه الأصغر ، بينما استمر الأكبر مواصلاً سيره شمالاً واستقر في النهاية في تدمر ، حيث تزوج امرأة من أهل البلد ، وحيث صار في النهاية شيخاً . وفي ذلك الوقت كانت تدمر تتألف من بضعة بيوت ، وكان

---

(١) يقصد مصلح الديانة ، كما فعل لوثر من محاولة لاصلاح الديانة المسيحية

(٢) لم نفهم معنى هذه فأبقيناها كما هي .

اسمه علي ، ومنه ينحدر صديقنا محمد وأبوه عبد الله ، وعمه فارس رئيس العائلة الحقيقي في تدمر .

كان لدى محمد ، إذن ، بعض السبب ، فيما يتعلق باسلافه الذكور ، أن يفخر بنسبه ، وأن ينظر عالياً في إقامة « مصاهرة » ؛ إلا أنه كان من دم أقل شأناً من جهة النساء ؛ ومن حيث أن نقاء النسب من كلا الناحيتين يعد أمراً جوهرياً بين العرب ، فإن آل عروق التدمريين لم يكونوا قد اعترف بهم لعدة أجيال « كأصلاء » ، أو نبلاء . لقد تزوجوا من حيث استطاعوا من بني أهل المدن الذين ليسوا ذوي حسب ونسب على الاطلاق ، أو كما في حالة أبي محمد من بين (المعلي maali) وهي قبيلة هجينة . أما عنزة فما كانوا ليسلموهم بناتهم كزوجات ، بالرغم من اسم (عروق) . كان هذا هو حزن محمد الخفي ، كما قد كان حزن والده ، وإن إزالة اللطخة العالقة بنسبه كان له وزن أي سبب آخر للموافقة على اقتراحنا بدون تردد .

كانت خطة رحلتنا بالضرورة غير واضحة ، كما كانت تشمل البحث عن أسرتين من الأقارب لم يسمع عنهما أي شيء لمدة تقارب مائة عام. وكانت آخر علامة للحياة بدت من آل عروق أصحاب الجوف في مناسبة موت والد عبد الله في حادثة عنف ، حينما ظهر فجأة أحد أعضاء الأسرة الجوفية في تدمر بصفة طالب ثأر . ولم يمكث هذا القريب هناك ، على أية حال ، أطول مما اقتضت مهمته ، وبعد أن ذبح الرجل طلبته اختفى فجأة مثلما ظهر . أما عن الأسرة الثانية ، فلم يعرف أي شيء منها على الاطلاق ؛ إذ أن نجد نفسها كانت الآن ، في الواقع ، بالنسبة لآل عروق كما كانت بالنسبة لسكان تدمر الآخرين ، شيئاً أكبر قليلاً من اسم ، بلد تعرف عنه الرواية القديمة المتواترة أنه موجود ، لكن لم يزره انذاك أي كائن حي له صلة بالمدينة .

كانت هذه الظروف الفريدة ، كما قلت ، هي الفكرة الأساسية لرحلتنا ، ولسوف تضفي على هذين المجلدين ، كما آمل ، أهمية أكبر من أهمية مغامراتنا . وبالنسبة لمحمد وللعرب الذين سافرنا معهم ، وكذلك بالنسبة لمعظم الذين

قابلناهم في رحلتنا ، شكل تاريخ عائلته قصة رومانيه أبدية ، ودخلت قصيدة ابن عروق (بالاد) في كل فرصة ، مناسبة أو غير مناسبة ، بصفة « كورس » لكل ما حدث. ولولا ذلك ، فاني أشك هل كانت الرحلة يمكن أن تتم أولاً ؛ وفي أكـــثر من مرة وجدنا أنفسنا نسير بسهولة بفضل قوته ونتغلب على الصعوبات التي ربما كانت تكفي ، في ظل ظروف عادية ، لإيقافنا . وبتوفيق بالغ ، كما سيبين في سياق الحديث ، عثر على فرعي الأسرة اللذين خرجنا للبحث عنهما ، الفرع الأوك مواطنون في الجوف ، والآخر بدو في نجد ، وكلما أوغلنا في السير وجدنا اسم عروق أكثر شهرة ، وتدفق علينا الأقارب من كل جانب توّاقين إلى أن يظهروا لنا الكرم والعون . وهكذا كنا ننتقل من قريب إلى قريب ، واستقبلنا في كل مكان كأصدقاء ؛ وليس كثيراً أيضاً أن نقول أننا حين كنا في جزيرة العرب تمتعنا بميزة فريدة لكوننا قبلنا بصفتنا أعضاء في أسرة عربية . ومنحنا هذا فرصة فريدة لأن نرى، ونفهم ما رأينا ، وعلينا وحدنا يقع اللوم إن لم نحول ذلك إلى مكسب هام جداً .

ذلك إذن كل ما يمكن قوله عن الناحية الرومانسية . أما مكاسب رحلتنا فيمكن أن تلخص بايجاز .

أولاً عن الجغرافيا . رغم أننا لسنا الأوربيين الوحيدين الذين زاروا جبل شمر ، فنحن الوحيدون الذين فعلنا ذلك جهراً وبتؤدة ، مزودين ببوصلة وبمقياس الضغط الجوي (بارومبتر) ، وكنا أحراراً في تسجيل ملاحظات عن كل ما رأينا . إن أسلافنا ، وهم ثلاثـــة ، والِن[1] (Wallin) ،

(١) هو جورج أوغسطس والن (والان) ، عاش في أول حياته في القاهرة ، وهو فنلندي من رعايا روسية القيصرية ، فحصل على منحة من جامعة هلسنغفورس للقيام برحلات قضى فيها سبع سنوات متنقلاً بين فارس والعراق وسورية ، ثم استقر أخيراً في مصر ، ثم درس الدعوة الاصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فاعتنق الاسلام – أو تظاهر بهذا – وقام برحلتين متتابعتين إلى بلدة حائل ، ابتدأ اولاهما سنة ١٨٤٥ والثانية ١٨٤٨ م – ويقال أن محمد علي باشا أرسله ليشتري خيلاً لاصطبلاته (وانظر عنه كتاب « اكتشاف جزيرة العرب » – ص ٢٧٢ – وما بعدها) . ←

وجورمـاني [1] (Guarmani) ، وبلجريف [2] (Palgrave) ، سافروا متنكرين، وفي ظل ظروف غير مؤاتية للمشاهدة الجغرافية . لقد باشر الأول وهو أستاذ فنلندي ، رحلته في عام ١٨٤٨ ، كزاهد مسلم ، من ساحل البحر الأحمر إلى حائل ومن هناك إلى الفرات . إن التقرير عن رحلته ، كما هو منشور في أعمال الجمعية الجغرافية الملكية ، هزيل لسوء الحظ ، وأعرف ، رغم أن تقريراً آخر أكثر تفصيلاً نشر بلغته الأصلية ، أنه لم يعش طويلاً ليسجل معلوماته كاملة . أما الثاني ، جورماني ، وهو مشرقي من أصل إيطالي ، فتوغل إلى جبل شمر متنكراً ، وقـد فوضته الحكومة الفرنسية ليحصل لها على جياد من نجد ؛ وقد قدم إلى « الجمعية الجغرافية » في عـام ١٨٦٥ تقريراً حياً ، ومثيراً للاهتمام أعظم اثارة ، عن مغامراته . وقد سار هو أيضاً في رحلته بصفة مسلم تركي ، ولكونه شرقيـاً أكثر منه أوربياً ، فقد جمع قدراً قيماً من المعلومات تتصل أساساً بقبائل الصحراء التي مر مـن خلالها . وعلى أية حال ، فمن الصعب إدراك الطرق المرسومة على الخرائط التي وضح بها تقريره ، وبالرغم من أنه عبر النفود في أكثر مـن نقطة ، إلا

← ثم أصبح فيما بعد استاذاً في جامعة هلسنكي ، ويعتد ما كتبه عن شمال نجد ذا أهمية خاصة ، لكونه من أوائل الرواد .

(١) غورماني رحالة ايطالي، كان يقيم في القدس وكيلاً لشركات النقل البحرية الامبراطورية الفرنسية ، وقد زار سورية ومصر ، وبحكم عمله تمكن من مصادقة كثير من تجار العرب ورؤساء العشائر وقد عهد اليه وزير الزراعة الفرنسية في سنة ١٨٦٣ – ليقوم برحلة الى نجد لشراء خيل للاصطبل الامبراطوري ، كما كلفـه الملك الايطالي فكتور عمانوئيل بشراء خيل عربية للبلاط الايطالي ، فسافر الى نجد في أول سنة ١٨٦٤ م مرتدياً الزي العربي . ومعه مرافق عربي – فوصل مدينة حائل وزار خيبر وتيماء – وسجل عن شمال البلاد معلومات قيمة وخاصة عن حائل وغيرها من المدن .

(٢) وليم جيفرد بلغريف هو صاحب « رحلة الى العربية الوسطى» التي نشرها سنة ١٨٦٥م بدأ رحلته هذه في شهر حزيران (يونيه) سنة ١٨٦٢ م من « معان » فوصل حائل في آخر الشهر ، واجتمع بالأمير طلال الرشيد ، وعمه عبيد ، ثم سافر الى الرياض في شهر أيلول (سبتمبر) ولكنه لم يقم فيها طويلاً ، بل هرب منها خلسة الى الاحساء ، فالقطيف ، ومنها أبحر إلى الساحل الشرقي – ورحلته معروفة ، ويتهمه فلبي بأنه أورد في رحلته أشياء لا حقيقة لها ، وانه يعتمد على أقوال يسمعها ، ثم يوردها كشاهد عيان .

أنه صامت عن أوصافها الطبيعية الفريدة . انطلق جورماني من القدس في عام ١٨٦٣ فزار تيما ، وخيبر ، وحائل ، وعاد من هناك إلى سورية عن طريق الجوف ووادي السرحان . أما بلجراف فهو أحسن شهرة . كان مبشراً من طائفة الجزويت وعالماً كاملاً في اللغة العربية ، وقد أولاه نابليون الثالث مهمة سياسية سرية ، فنفذها بأذن من رؤسائه . لقد دخل نجد متنكراً بصفة تاجر سوري ، من معان ، فوصل إلى عاصمة المملكة الوهابية ماراً بحائل عام ١٨٦٤ ، وانتهى إلى الخليج عند القطيف . وتقريره عن أواسط جزيرة العرب إلى حد كبير هو أكمل تقرير منشور ، وأزخر بالحياة من أي تقرير آخر ، ويمكن أن يعتمد عليه في كل أمور حياة المدن وطبعائها . ولكن قدرته على الملاحظة تبدو أنها مهيأة بصفة رئيسية لدراسة المجتمع، والطبيعة التي يصفها هي الطبيعة الانسانية فقط . وهو قليل التعاطف جداً مع الصحراء ليأخذ ملاحظات دقيقة عن تفاصيلها ، وظروف رحلته حالت بينه وبين ملاحظتها جغرافياً . لقد سافر في حر الصيف وفي الليل غالباً ، وما كان بالاضافة إلى ذلك ، نظراً لشخصيته المفترضة والجماعة المتشكلة التي كان مجبراً على السفر معها غالباً لذلك كله ، لم يكن في مركز يمكنه فحص ما رأى بتؤدة . إن تقرير بلجريف عن الملامح الطبيعية للنفود ، ولجبل شمر ، وهو التقرير الوحيد المنشور حتى الآن ، لا يحمل إلا مشابهة طفيفة للواقع ؛ وإن ملاحظاتنا ، وقد أخذت بهدوء في جو الشتاء الصافي لجزيرة العرب ، هي لذلك الأولى من نوعها التي تصل أوربا . فبأخذنا ملاحظات متكررة عن تغيرات (البارومتر) أثناء السفر: استطعنا أن نبرهن أن هضبة حائل هي تقريباً ضعف الارتفاع المفترض لها فوق سطح البحر، بينما سلسلة جبل شمر الصوانية تزيد عن هذه هضبة بما يقارب ألفي قدم . ومرة أخرى ، إن طريق الحج الكبرى ، رغم أنها معروفة تماماً للجغرافيين عن طريق الرواية ، لم يكن أي أوربي قد سافر فيها ، وعلى هذا الطريق ، كما هو الحال في الأجزاء الأخرى من طريقنا ، صوبنا الخرائط السابقة . ويمكن الاعتماد على خريطة شمال جزيرة العرب الملحقة بالمجلد الأول من كتابنا باعتبارها دقيقة بصفة أساسية في حدود ما تحتويه .

وفي « الجيولوجيا » ولو أننا لا نملك إلا معرفة سطحية بالموضـــوع ، استطعنا ، كما أعتقد ، أن نصحح بضعة أخطاء ، وأن نجلو شكا ، جادل فيه الاستاذ(وتزستاين) كثيراً ، عن تكوين صخور جبل أجا، وفي نفس الوقت ستحتوي مذكرة قصيرة الحقتها بالكتاب – عن التكوين الطبيعي للصحراء الرملية الكبرى ، مادة أصلية – ومن الممكن أن تكون قيمة . وفوق كل شيء فالرسوم التي توضح هذين المجلدين هي تمثيل أمين للمعالم الطبيعية الرئيسية لأواسط جزيرة العرب .

أما علماء النبات والحيوان، فسيخيب أملهم في ضآلة المعلومات عن النبات والحيوان التي أستطيع أن أقدمها . لكن ثبوت وجود البقر الوحشي الأبيض الآن في نجد هو ، في اعتقادي ، حقيقة جديدة بالنسبة للعلم ، وقد يكون كذلك أيضاً وجود الوبر ، وهو حيوان صغير متسلق من ذوات الأربع قريب الشبه بالفئران الأمريكية البرية .

إن لي أملاً في أن يعترف لنا بفضل إسهامنا في خدمة المعرفة إسهاماً أكثر أهمية في وصف النظام السياسي الذي المعت إليه باسم حكم الرعاة ، والذي نراه مرة أخرى في أواسط جزيرة العرب . ولا أعرف أن الكتّاب الذين كتبوا عن جزيرة العرب قد التفتوا إليه من قبل .

ويبدو أن لا(نيبور)ولا(بوركهاردت)في شكله الخالص،وأساء (بلجراف) فهمه جملة بازدرائه للحياة البدوية بمقابلتها بحياة المدينة . ومع ذلك فهو احتمال أقدم شكل للحـــكم موجود في جزيرة العرب ، وأنسبها لحاجات البلاد . ويتصل بهذا الموضوع أيضاً ، أن تاريخ نجد في الفترة المتأخرة ، وأقول نجم آل سعود (وأنا مدين بذلك بصفة رئيسية للكولونيل روس البريطاني المقيم في أبو شهر) ، وذبول الوهابية في جزيرة العرب، ستثبت أنها ذات أهمية، كما قد ثبتت بدرجة أقل الصورة غير الكاملة الموضحة في المجلد الثاني عن النتائج المفرطة المترتبة عن الحكم الاستبدادي في فـــارس ، وضم الاحساء الجائر من قبل الأتراك لامبراطوريتهم . وأترك تقدير قيم هذه «الاكتشافات»

للقراء ، على أية حـــال ، قائلا على سبيل التوضيح : إن نشر هنا يعود إلى مبررات السياق أكثر مما يعود إلى أهميتها الخاصة .

أما فيما يتعلق باعقاب رحلتنا في جزيرة العرب، اي رحلتنا الأخرى من بغداد إلى أبو شهر ، فكان يجب ألا أقحمها على أنظار الجمهور ، إلا لأنها تقدم دليلاً إضافياً ، إن كانت هناك حاجة لمثل ذلك، على حماقة تلك المشروعات، تحت اسم شركات « سكة حديد وادي الفرات » وسكة حـــديد « الهند ــ البحر الأبيض » ، التي لم تنفك تطرح أمام أعين المضاربين بين وقت وآخر . ومن الممكن القول أنه لم يحدث من قبل أن اختيرت بلاد غير ملائمة لسكة حديد أشد من تلك البلاد الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط والخليج (. . .) للقيام بمثل تلك العمليات ؛ وإذا كانت قصة مرورنا من خلال أصقاع غير مأهولة، وهي تكون تسعة أعشار المنطقة كلها ، ستصد أبناء بلادي من وضع رؤرس أموالهم في مشروع فاشل من الناحية المالية ، فاني أشعر أن نشرها لن يكون عبثاً .

وأحب أن أضيف كلمة واحدة قبل أن أنهي مقدمتي . لقد اعترض عليَّ في اجتماع الجمعية الجغرافية الملكية الذي قرأت فيه بحثاً عن هذه « الزيارة إلى نجد » ، بأنه رغم أننا قد عبرنا الصحراء الرملية الكبرى ، وزرنا جبل شمر ، فاننا بعد كل هذا لم نكن في نجد . فنجد ، كما أخبرني (حسن حجة) اصطلاح ينطبق فقط على ذلك الاقليم من أواسط بلاد العرب المحدود بجبل طويق والنفود الدنيا ، ولا يدخل فيه جبل شمر ولا القصيم . ولغرابة وقع مثل هذا التصريح على سمع من قدم لتوّه من البلاد ذاتها ، لم أك آنذاك قادراً على تدعيم رفضي لتصديقه بحجة أوضح من أن سكان الاقليمين المذكورين هكذا يسمونها وهي « حجة دائمة وقاطعة » بدت للبعض كافية ، ومن أجل ذلك فقد تجسمت عناء لأفحص أسس الاعتراض الذي أثير ، وأن أقدم سبباً للاعتقاد لا يزال قوياً في نفسي بأن حائل ليست جزءاً لا يتجزأ من نجد فحسب ، بل هي نجد بأحسن ما تمثله .

وإذن ، أولاً ، لتكرار « الحجة الدائمة القاطعة » ، أقول مؤكداً أن

نجد ، حسب مفهوم العرب أنفسهم في كل قبيلة ومدينة زارتها ، تعتبر أنها تشمل الأرضين الواقعة في نطاق النفود . وهي — أي نجد - تعبير جغرافي يشمل ثلاثة أقاليم رئيسية ، هي جبل شمر والقصيم في الشمال ، والعارض في الجنوب . والشك الوحيد الذي سمعت عنه هو هل يشمل المصطلح النفود ذاتها أولاً . ومن المؤكد أن البدو يعتبرونها كذلك ، لأنها هي الجزء الوحيد من نجد الذي يسكنونه عادة حيث أن الهضبة الصخرية الوسطى غير ملائمة لحياة الرعي . وتعتبر الجوف خارج الحد من الناحية الشمالية ، كما تعتبر خيبر وتيما في الشمال الغربي ، بينما جُبَّة و (الحريق Harik) [1] مشكوك فيهما ، لكونهما مدينتين في النفود .

ثانياً : ألجأ إلى الاستشهاد بحجة ملتوية .

١ — فقد نقل الكولونيل روس في تذكرته عن أبي الفداء والادريسي أنهما يدخلان في مصطلح نجد كل الأرضين الواقعة بين الحجاز ، واليمن ، والعراق .

٢ — ويذكر ياقوت ، وهو جغرافي عربي من القرن الثالث عشر — كما نقل عنه ويتزستين — بصراحة أن أجا كائن بنجد .

٣ — ويعزز ميرسيد Mersaid ، في معجمه الجغرافي ، ياقوتاً .

٤ — ويقول الشيخ حمد القصيمي — كما نقل عنه ويتزستين أيضاً — « نجد بمعناها الأوسع هي جميع أواسط جزيرة العرب ؛ — وبمعناها الأضيق وحسب الاستعمال الحديث ، تقتصر على جبال شمر وبلاد القصيم ، مع الصحراء الكبرى المجاورة لها إلى الجنوب » .

٥ — ويقول نيبور — أقدم الكتاب الأوروبيين وأجدرهم بالاحترام — معدداً مدن نجد : « يقع جبل شمر على بعد عشر مراحل فقط من بغداد ويشمل حائل ، وموقق ، وقفار ، وبقعا . ويدخل في نجد أيضاً إقليم جبلي

---

(١) هذا بناء على النظرة الخاطئة عن موقع الحريق . والصحيح أنه في قلب اليمامة .

يسمى جوف السرحان ، ويقع بين جبل شمر والشثام (سورية) » ؛ وهذا يبين أن كل ما أدعيه ، وأكثر ، كان يعتبر في عهد نيبور نجد .

يُدخل (شسني) في خريطة جزيرة العرب التي وضعها ، والمنشورة في عام ١٨٣٨ ، القصيم وجبل شمر في نطاق حدود نجد ، وأكثر من ذلك، تشمل الخريطة أقاليم في الشمال « تعد أحياناً من نجد » .

٧ – يعرف (والن) نجد بأنها جميع الاقليم الذي ينمو فيه نبات الغضا ، وهو تعريف مأخوذ ، ولا ريب ، عن البدو الذين سافر معهم ، ولا يشمل جبل شمر فحسب ، بل النفود وحتى النصف الجنوبي من وادي السرحان .

٨ – وفي معجم كاظم رزقي ١٨٨٠ ، أجد : « أهل الغضا لقب يطلق على سكان حدود نجد حيث يعتقد أن نبات الغضا يوجد بكثرة » وأخيراً يقدم (جورماني) ما يلي نتيجة لأبحاثه في البلاد نفسها : «الجبل هو الاقليم الشمالي الأقصى من نجد وهو ، كما يقول العرب ، واحد من أقاليم نجد السبعة » ؛ ويشرح هذه الأقاليم السبعة استناداً الى الزامل ، شيخ عنيزة ، بأنها العارض ، والاحساء ، والحريق في الجنوب، والوشم في الوسط ، وجبل شمر في الشمال ، وسدير .

ومقابل هذا الحشد من الأدلة ، نجد من بين الرحالة واحداً يعتبر حجة من ذوي الكفاءة، هو السيد (بلجريف)؛ ومع ذلك فرأيه مفيد جداً . فبعد أن يوضح أن الاسم « نجد » يعني الأرض العالية، في مقابل الساحل والمناطق المتطرفة الأقل ارتفاعاً ، يحمل رأيه على هذا الوجه : « يطلق اسم نجد عادة على كل الرقعة المحصورة بين جبل شمر في الشمال ، والصحراء الكبرى إلى الجنوب ، من أقصى سلسلة جبل طويق في الشرق إلى جوار طريق الحج التركي – أو درب الحج – في الغرب . فهذا الاقليم المتوسط ، الذي يكوّن شكلاً متوازي الأضلاع ضخماً ، يمتد على هيئة فطر تقريباً عبر قلب شبه الجزيرة العربية من أقصى الشمال الشرقي إلى أقصى الجنوب الغربي ، كما قد يظهر للناظر من إلقاء لمحة خاطفة على الخارطة .

ويقسمه أهل البلاد أيضاً إلى قسمين فرعيين ، نجد الأعلى ونجد الأوْطأ ، وهو تحديد سنتوسع فيه فيما بعد ، بينما يعتبر جبل شمر بصفة عامة ملحقاً بنجد ، أكثر من كونه جزءاً منه ذلك الاقليم نفسه . غير أن الجوف يخرجه العرب دائماً من قائمة الأقاليم العالية ، ولو أن الغرباء أحياناً يدرجونه تحت اسم نجد ، خطأ منهم ، من حيث إنه واحة منعزلة ، وباب للبلاد العالية ، أو داخلية بلاد العرب ، وليس قسماً منها بالمعنى الضيق للكلمة » .

وإذن ، فان المسألة على وجهها الصحيح وبالتحديد ، كما اعتبرها هي هذه: كانت نجد ، بالمعنى الأصلي والشائع « للأراضي المرتفعة » ، مصطلحاً من مصطلحات الجغرافية الطبيعية ، وتشمل بالضرورة جبل شمر ، أعلى الأقاليم كلها ، وكذلك القصيم ، الواقعة بينه وبين العارض ؛ وهكذا كان يعتبر ، بلا ريب ، في أيام نيبور ، ولا يزال يعتبره بدو الشمال ، الذين تعود ذكرياتهم إلى ما قبل عهد نيبور

وبتأسيس امبراطورية نجد الوهابية ، تحول المصطلح ، على أية حال ، من جغرافي إلى سياسي ، وأصبح منذ ذلك الحين يتبع تقلبات خطوط الدولة الوهابية . وبهذه الطريقة ، كان أحياناً يشمل لا الهضبة المرتفعة فحسب ، بل الجوف والاحساء أيضاً ؛ والأخير ، رغم أنه إقليم منخفض واقع على الساحل ، ظل محتفظاً باسم نجد سياسياً في التقسيم التركي الرسمي إلى أيامنا هذه .

وفي أيام زيارة (بلجريف) لم يعد الوهابيون ، الذين استقى منهم معلوماته بلا ريب ، يعتبرون جبل شمر جزءاً أصيلاً من دولتهم ، بل ملحقاً بها . لقد كان بالفعل مستقلاً سياسياً ، ولم يعد في نظرهم جزءاً من نجد . ولكن منذ ذلك الحين ، شاهدت دولة نجد تمزقاً آخر . فاستعادت القصيم استقلالها ، وألحقت الاحساء بالامبراطورية التركية . ولذلك فقد عادت نجد أخرى إلى ما كانت قبل بزوغ الامبراطورية النجدية ، مصطلحاً جغرافياً فقط ،

أحاديث :

حول تراثنا المبعثر في مكتبات العالم

كنت كتبت فصولاً تتعلق بوصف بعض المخطوطات العربية التي اطلعت عليها في مكتبات اصطنبول ، وبلاد المغرب والشام ، وفي بعض البلاد الاوربية ، من تراثنا المبعثر ، مما أراه جديراً بالنشر ، وقد نشر قسم من تلك الفصول في صحيفة « اليمامة » وبقي قسم منها لم ينشر .

وقد كتب الي الأخ الاستاذ الجيلاني بن الحاج أحمد من تونس ، يرغب الاطلاع على البحث كاملا ، فوعدته بنشره في « مجلة العرب » وها أنا أفي بذلك الوعد ، بنشر ما تمكنت من العثور عليه ، مما نشر أو لم ينشر ، وعسى أن أتدارك ما فقدته منه] .

في صباح اليوم السابع والعشرين من شهر ربيع الثاني ١٣٨٥ (٨/٢٤ ١٩٦٥) ، كان الوصول إلى مدينة (اصطنبول) وكان النزول في فندق (تراس) في ميدان (بايزيد) وكانت الزيارة الثالثة لهذه المدينة العظيمة ،

ومطابقاً تقريباً في الرقعة لما اصطلحنا عليه باسم أواسط بلاد العرب .

وإذن ، فانني أتمسك بصحة عنواننا ، ولو أني ، في هذه المسألة ، كما في غيرها ، طامح في صفح العلماء .

كرابت بارك — **ولفرد سكان بلنت**

أول أغسطس سنة ١٨٨٠ — تعريب : محمد أنعم غالب

ملاحظة : كرر الكاتب كلمة (الوهابية) و (الوهابيين) وهو لقب أطلقه أعداء الدولة السعودية الأولى التي قامت بنشر العقيدة الاسلامية الصحيحة تنفيراً للناس من قبولها ، ومحافظة على سيطرتهم ونفوذهم في ذلك العهد ، وقد رأينا من واجب الأمانة العلمية عدم التصرف بتعبير الكاتب ، فأبقيناه واكتفينا بهذا التنبيه (العرب) .

التي تشتد الرغبة في زيارتها وتتجدد بتكرر الزيارات ، ويزداد الشوق إليها بامتداد زمن الاقامة فيها ، ذلك لأنها – كما قال الشاعر :

بلاد بها ما يملأ العين بهجة ويسلي عن الأوطان كل غريب

لقد كانت دار الخلافة الاسلامية قروناً تقارب الخمسة (١٤٥٣ / ١٩٢٢) فحوت من تراثنا العلمي ما لم تحوه مدينة غيرها ، وبقيت آثارها خالدة تملأ العين بهجة ورواء ، لم تستطع الأحداث على شدتها أن تطمسها ، ولم تغيرها الدهور بتكرارها وطولها .

حي الآثار والمكتبات :

يتوسط ميدان (بايزيد) أهم المواضع الأثرية ، من الجوامع والمكتبات ، بحيث لا يحتاج المرء إلى أية وسيلة من وسائل النقل لزيارة المواضع الأثرية الإسلامية : وخاصة المكتبات ، وأشهرها وأحفلها بالنفائس .

١ – المكتبة السليمانية .
٢ – المكتبة العامة (مكتبة بايزيد) .
٣ – مكتبة (نور عثمانية) .
٤ – مكتبة (طوب قبو) .
٥ – مكتبة (ايا صوفيا) .
٦ – مكتبة ملت (الفاتح) .
٧ – مكتبة (كوبريلي) .
٨ – مكتبة (راغب باشا) .
٩ – مكتبة جامعة اصطنبول .
١٠ – مكتبة البلدية .

وفي هذه الناحية من مدينة اصطنبول تقع أفخم الجوامع وأحفل (المتاحف) بالآثار . منها : (ايا صوفيا) التي حولها السلطان محمد الفاتح عندما استولى على القسطنطينية (اصطنبول) إلى مسجد ، والتي وصفها شوقي بقصيدته المعروفة :

كنيسة صارت الى مسجد هدية السيد للسيد

وفي العهد الحاضر جعلت متحفاً ، بعد أن أزيل الطلاء الذي كان يخفي الصور المنقوشة في مدخلها فبرزت للعيان ، وبقربها يقع جامع السلطان أحمد الثالث ، يتوسط الميدان بمناراته وقببه ، ذلك الجامع الذي يعتبر آية في الفن المعماري الاسلامي بجماله ، وإحكام بنائه .

ثم ذلك المتحف الذي يضم من الذخائر والتحف والآثار قدراً كبيراً مما كان السلاطين يتفاخرون باقتنائه ، ويحرصون على الحصول عليه ، وكان المتزلفون إليهم والمتقربون منهم في جميع أنحاء الخلافة الإسلامية في شرق البلاد وغربها يسارعون إلى تقديمه لهم لنيل رضاهم ، أو للحصول على رفدهم وهباتهم ، حتى اجتمع لهم من ذلك ما لم يجتمع لغيرهم ، وأصبح متحف (طوب قبو) – أحد قصورهم العظيمة – يضم البقية الباقية من ذلك ، وما هي بيسيرة . وهذا المتحف غير (المتحف التركي الإسلامي) الواقع بقرب المكتبة السليمانية والذي يضم مجموعة من العاديات ، من أحجار تتضمن كتابات من القرن الثالث الهجري فما بعده ، ومن آيات وأحاديث وحكم وأشعار كتبت بأقلام مشاهير الخطاطين ، ومن مصاحف وكتب يرجع تاريخ نسخ بعضها إلى ما قبل عشرة قرون .

ان من بين تلك المصاحف ما كتب في القرن الأول للهجرة (٦٥٠/٧٠٠م) ومن الكتب ما تاريخ نسخه في شهر رمضان سنة ٤٠٨ – ديوان سلامة ابن جندل بخط علي بن هلال من أشهر الخطاطين في ذلك العصر ، ومن الأحجار ما يرجع تاريخها إلى ٢٠٨ و ٢٥٢ و ٢٤٥ و ٢٩٩ من السنوات الهجرية ، بل هناك حجر من حجر الأميال يحمل رقم الميل ١٠٧ من دمشق إليه ، من عهد عبد الملك بن مروان ، وحجر آخر كتب فوقه تاريخ بناء مسجد في عام ١٥٥ هـ .

وها هي صورة الحرم المكي الشريف تتوسطه الكعبة ، من الحجر الملون الزاهي المنظر (الكاشاني) بأبدع ما ترسمها يد فنان بارع في الرسم والتصوير.

إلى غير ذلك من روائع الفن الإسلامي وآيات الإبداع فيه ، مما كتبت عنه المجلدات الضخمة ، وتناوله ذوو الاختصاص به بالدراسات الوافية من جميع جوانبه ، وأصبح الباحثون المعنيون بدراسة هذا الجانب من التراث الانساني لا يجدون في أية مدينة من مدن العالم ما يجدونه في مدينة « اصطنبول » من ذلك التراث ، حتى اصبحت هذه المدينة ـ بفضله ـ منتجع القصاد ، ووجهة الرواد .

وما أريد بهذه الكلمات ـ التي سأحرص على موالاة نشرها ـ سوى إيضاح جانب من جوانب مشاهداتي في هذه المدينة ، وانطباعاتي الخاصة المتعلقة بتراثنا العربي ، التي تزخر به مكتبات « اصطنبول » وتضم من نفائسه ما لا يوجد في غيرها .

أبرز ظاهرة يشاهدها المرء في مدينة (اصطنبول) كثرة مساجدها ، والتأنق في زخرفة تلك المساجد واتقان بنائها ؛ وحسن هندستها ، وقل ان يشاهد المرء مسجداً لا يرى بجانبه مدرسة أو مكتبة، أو مقبرة ، أورباطاً.

ذلك ان كثيراً من رجال الخلافة الاسلامية في العهد التركي كانوا يتبارون بانشاء الجوامع والمدارس والمكتبات ، ولم يقتصر هذا على السلاطين وحدهم بل شمل الوزراء وكبار أعيان الدولة واغنياءها من رجال ونساء .

ويترتب على إنشاء المسجد ـ في كثير من الأحيان ـ إنشاء مكتبة بجواره ، وهذا يستلزم إمداد هذه المكتبة وتزويدها بالكتب .

وكان العلماء والأدباء في جميع البلاد الاسلامية يتقربون إلى رجال الدولة بمختلف وسائل التقرب ، بما في ذلك تأليف الكتب بأسمائهم ، وإهداء نفائسها إليهم ، يضاف إلا هذا ان الدولة أصبحت مهيمنة على التراث الاسلامي في جميع البلاد الاسلامية ، من مدارس ومكتبات وآثار وغيرها ، فنقلت إلى عاصمة ملكها ما أرادت نقله من نفائس ذلك التراث .

ومما يحمد للحكومة التركية ـ بعد سقوط دولة الخلافة ـ أنها عمدت في

عهدها الأخير ، وبعد ان أصبحت (علمانية) الى جمع مـــا في المكتبات الكثيرة المتفرقة في أنحاء المدينة من الكتب في مكتبات محصورة معروفة ، تتولى ادارتها والاشراف عليها لجنة حكومية .

ذلك أنها لو بقيت في أمكنتها القديمة لتلفت لان (المساجد) لا تلقى من العناية بصيانتها والمحافظة على اصلاحها ما كانت تلقاه في عهد الخلافة . ولان الاوقاف التي كانت مخصصة للمساجد والمكتبات ، وجهت مواردها الى جهات أخرى ، والغي بعضها .

ثم توحيد جهة الاشراف على المكتبات هو من خير الوسائل للحفاظ على محتوياتها ، وايسرها للاستفادة منها .

وكان من أعظم مساجد المدينة « جامع السليمانية » ويحيط بهذا الجامع – الواقع على تل مرتفع وسط المدينة مطـل على ميدان « بايزيد » المعروف الآن باسم « ميدان الحرية » – يحيط بهذا الجامع مجموعة كبيرة من البنايات من مدارس وأربطة ، ومكتبات ، ومساكن لطلاب العـــلم ، وحمامات وغيرها .

فجمعت الحكومة التركية في هذا المكان ، وفي المكتبة الموجودة فيه – محتويات عدد كبير من المكتبات وأطلقت عليهـــا اسم « سليمانية عمومي كتبخانه سي » أي « المكتبة السليمانية العامة » .

وجعلتها مقراً للهيئة الحكومية التي تشرف على جميع المكتبات الأخرى ، التي لم تنقل إلى هذا المكان ، وهي كثيرة ، وهيأت فهارس منظمة لهـــذه المكتبة ، في بطاقات « فيش » بأسماء الكتب ، وفهارس أخري بأسمـــاء المؤلفين ، إلا أنها كتبت بالحروف اللاتينية ، ولهذا يصعب على من لا يعرف قراءتها الاهتداء إلى الكتاب الذي يريده .

وأوجدت قسماً خاصاً للتصوير ، سواء على أشرطة « ميكرو فـلم » أو على الورق ، ويسرت الحصول على الصور لكـــل راغب في ذلك ، باجرة مناسبة « الورقة ٥٠ قرشاً للشريط أو ١٥٠ على الورق » .

وخصصت قاعتين للمطالعة إحداهما لمطالعـــة المخطوطات ، والأخرى للباحثين والطلاب والمراجعين للكتب المطبوعة .

وكان إنشاء المكتبة السليمانية ـ في عهدها القديم يرجع الى سنة ١١٦٥ هـ (١٥١ م) وكان مجموع ما فيهـا من الكتب ١١٠٨ (المخطوطات ١٠٣٩ والمطبوعات ٦٩) .

أما الآن فقد أصبح فيها من الكتب ما يقارب عشرين ألف كتـاب من المخطوطات وحدها .

ومن أشهر المكتبات التي أضيفت إليها :

١ ـ مكتبة (عاشر افندي) التي انشئت في سنة ١١٥٤ هـ (١٧٤١ م) وقد ضم الى هذه المكتبة (مكتبة مصطفى افندي رئيس الكتاب في عام (١٧٤٩) م ومخطوطات المكتبة (١٦٧١) يضاف اليها (٦٢ مخطوطاً) من مكتبة حفيد عاشر افندي التابعة لمكتبة عاشر افندي .

٢ ـ مكتبة بشير آغا :

أنشئت في عام (١٧٤٠ م) وكان عدد مخطوطاتها (٦٣٩) .

٣ ـ مكتبة شلبي عبدالله افندي :

تمّ أنشاؤها في عام ١٢٣٣ هـ (١٨١٧ م) ومخطوطاتها(٤٠٣) كتب .

: ـ مكتبة قرلول علي باشا .

مخطوطاتها (٣٨٥) وأنشئت في عام ١٢٣٣ هـ (١٨١٧ م) .

٥ ـ مكتبة الداماد ابراهيم باشا :

أنشئت في سنة ١٢٣٢ هـ (١٨١٦ م) وبلغ عدد مخطوطاتها (١١٥٣) كتاباً .

٦ ـ مكتبة اسعد افندي :

تاريخ إنشائها ١٢٦٢ هـ (١٨٤٥) ومخطوطاتها (٣٧١٩) .

٧ ـ مكتبة كليج علي باشا :

كان انشاؤها في عام ١٢١٩ هـ (١٨٠٥ م) وبلغ مجموع مـــا فيها من المخطوطات وحدها (٩٩٩) .

٨ ـ مكتبة لاله لي :

من أغنى المكتبات بالمخطوطات حيث تحوي (٣٧٧٧) مخطوطاً . وقد أنشئت في سنة ١٢١٧ (١٨٠٣ م) .

٩ ـ مكتبة خالد أفندي (Haletefendi) :

مخطوطاتها (٣٣٢) كتاباً وقد أنشئت في سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨ م) .

١٠ ـ مكتبة نافذ باشا :

مخطوطاتها (٦١٣) كتاباً وانشاؤها في سنة ١٢٦٧ (١٨٥٠ م) .

١١ ـ مكتبة زهدي بك رئيس ديوان المحاسبة :

مخطوطاتها (١١٨) وانشاؤها في عام ١٢٦١ هـ.

٢ ـ مكتبة الشاذلي :

مخطوطاتها (١١٧) .

١٣ ـ مكتبة مراد بخاري :

تضم من المخطوطات (٣٠٩) .

١٤ ـ مكتبات مختلفة :

وهناك ٧٦٤ من المخطوطات جمعت من تكايا وأربطة مختلفة ..

١٥ ـ ومجموعة أخرى

تضم من المخطوطات (٢١٣٦) .

١٦ ـ مكتبة الجامع الجديد :

انشىء هذا الجـــامع سنة ١٢٣٧ (١٧٢٤ م) وحوت مكتبته من المخطوطات (١٢٠١) .

(للبحث صلة)

مَعَ القُرّاء.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

تعليقات :

الغريف لا العرين

وجدت في بحث مدينـــة عثر - ص ٩٩١ السنة الأولى تحريفاً يجانف الواقع والحقيقة فقد ورد الشطر من شعر عروة بن الورد هكذا : مـن اللاء يسكن العرين فعثرا .

والصواب : الغريف بعثرا . وهو ينطبق على المصدر الذي نقلت أنا منه ويتفق مع الواقع والحقيقة الجغرافية .

فالغريف موضع معروف عند قرية مسلية من قرى بيش وتدل الدلائل الباقية على انه **كان** غابة أو مأسدة وبعدها كان قرية وهو اليوم حلة ومكان معروف بهذا الاسم ، وقد ورد اسمه في شعره ابن هتيمل ، راجع شرحنا لهذا الديوان .

وقد يقال : كيف يكون الغريف هذا بعثر وهو في بيش ؟ وبيش يبعد عن موقع مدينة عثر بنحو ٣٠ كيلاً ، فأقول : ان المخلاف من شمال صبيا إلى حمضة (القحمة الآن) مساحته ٩٠ إلى ١٠٠ كيل من الجنوب إلى الشمال كان يطلق عليه مخلاف عثر .

جازان ـ **محمد بن احمد العقيلي**

العرب : لما لم نجد الغريف فيما بين أيدينا من معجمات الأمكنة ، سوى موضع بعيد عن تلك المواضع ، رجعنا إلى ديوان الشاعر ، فاعتمدنا عليه ، ولا شك أن (أهل مكة أدرى بشعابها) . والاستاذ العقيلي خير من يعتمد عليه في هذا ، وقوله الفصل فيه .

حول تاريخ الرياض

كتب الصديق الكريم الأديب عبد الله الحكمي ملاحظاً على نقد الصديق الاستاذ عبد الله بن خميس كتابة نجملها فيما يلي :

١ – إن تاريخ الرياض هو الأول من نوعه ، ومثل هذا لا يستغرب أن يكون مجالاً للنقد والتمحيص .

٢ – المعنى الذي ذكره الأستاذ بن خميس في ضمور الابل ليس واضحاً ، فقد جاء في كتاب « مختصر سنن أبي داود » قال رويفع : ان كان أحدنا في زمن رسول الله ﷺ ليأخـــذ نضو أخيه على أن له النصف مما يغنم ، ولنا النصف ، قال الخطابي : النضو ههنا البعير المهزول ، يقال بعير نضو وناقة نضو ونضوة وهو الذي أضناه العمل وهزله الكد والجهد . اهـ

وأعتقد ان المعنى متقارب بين شرح صاحب الكتاب وشرح الاستاذ الناقد ، وإذن فلا مشاحنة في ذلك ولا داعي للقول بأن ما أورده صاحب الكتاب معنى ساذج يأباه ذوق من له إلمـام بالشعر العامي .

العرب : حبّذا لو يتّجه النقاد الى هذا الكتاب والى غيره من مؤلفات صاحب هذه المجلة التي ترى افساح المجال للنقد هَدَفاً من أهدافها . وشكراً للناقد ، وللمعقب .

آل أجود حكام الاحساء

١ ... ورد في بحثكم ج ٧ ص ٦٠٨ / ٦٢٠ : علي بن أجود . ذكر الجزيريُّ في « درر الفوائد » أنه تولى الحكم في الأحساء ونواحيها بعد موت

عمه أجود .. وأقول ليس له عم اسمه أجود – كما أوضحتم في الجدول – ص ٦٢٠ ، بل ان والده أجود ، وابن عمه أجود ، وهذا لم يتول الحكم .

الرياض : عبد الله بن حمد العويشق

العرب : ملاحظة الأخ صحيحة ، ولكن هذا مـــا ذكره الجزيري ، وهو كل مـــا نملك من المصادر ، حتى يتضح ما هو أصح منه وشكراً .

اضافات :

الشعراء المترجمون في « العرب »

تهدف المجلة إلى إبراز ما قد يعتبر مجهولاً أو خفيـــاً من أدب الجزيرة ، وهذا ما دفع إلى ترجمة شعراء مغمورين ، أو مجهولين ، أو إيراد بعض النصوص الأدبية التي لا تزال مصادرها غير منشورة ، وتحاول « العرب » الاستقصاء في هذه الناحية ، فتورد لكل شاعر ما تستطيع العثور عليه من شعره ، سواء عند ترجمة الشاعر أو عندما يتم العثور على شيء من شعره لم ينشر ، أو من أخبار المترجم ، وهذا ما يدفعنا إلى مواصلة نشر كل ما يصل اليها أو تطلع عليه في هذا الباب ، ليصبح شعر ذلك الشاعر أو أخبار ذلك المترجم مستوفاة على قدر الإمكان .

الشاعر يزيد بن الطثرية :

من شعره الذي لم ينشر – ص ٨١٦ / ١٠٤٦ / ١١٥٥

يقول لابن عمه ، وكان الملاح يشردن عنه لسماجته ، ويألفن يزيد :

على قطريٍّ نِعمَةَ إنْ جَزَى بها يزيد ، وإلا خطَّها الله لي أجْرا
ثنَيْتُ عليه شُرَّدَ الوَحْش بعد ما رَأى قطَرِيٌّ من جوانبها ذُعْرا

هكذا أورد الهجريُّ [1] رواية البيتين اللذين تقدما في شعر ابن الطثرية

(١) التعليقات والنوادر (م : ٤٢)

وقال : وأنشدني أبو الميمون القشيري ، ليزيد بن الطثرية :

فلما رأيْتُ المالكيين كلهم إليَّ يراعي طرفه ، ويحاذرُه
تجنَّبْتُ أتيَ المالكيين وانطوى إلى جناحـــي الذي أنا ناشره

وفي نوادر الهجري أيضاً [م : ٨٠] :

أما والى الواشي[١]، وإن طاوعَتْهُمُ نوار ، وسَدَّت بيننـــا بذحول
لقد مَرَّ أيامٌ ، ولو شحَط النـَّوَى بفرط المُنى ، أعولْتُ كلَّ عويل
نهانا فلما بنْتُ أبغضتُ أن أُرى ضعيف القُوى ، أو تابعاً لبديـل
وعزَّيتُ نفساً عن نوار ، جليدةً على مـــا بها من لوعةٍ ، وغليل
بكت ما بكت شجوَ البُـكا ، ثم ساحَت لإقـرار هجر من نوار ، طويـــل
أصُدُّ كما صَدَّ الرَّميُّ ، تطاولتْ بـــه عِدَّةُ الأيام ، وهو قتيل
وإني لدَاعى الله في ساعةِ الضُّحى عليك ، وداع دُجنـــح كلَّ أصيل
ومحتضنٌ ركنَ اليماني ، ومُشْتَـكٍ إلى الجانب الغربي ، صُعْدَ عَويلي

الشاعر : محمد بن عبد الملك الأسدي :

يضاف إلى شعره الوارد(ص٩٩٩)مقطوعتان أوردهما الزُّبير بن بَكـَّار في كتابه[٢]:«جمهرة نسب قريش وأخبارها» في مدح عبد الملك بن يحيى بن عباد الزبيري ، تولى للمهدي أعمالاً ، وكان من مشاهير الزبيريين ، ترجمه الخطيب البغدادي [٣] .

---

(١) الكلمة غير واضحة .
(٢) : ج ١ ص ٧٩ .
(٣) : تاريخ بغداد : ١٠ / ٤٠٨ .

الأولى :

إمدَح كريم بني العباس إن له ... مناقِباً لم يَنَلْها قبله بشر
حاشا النبي وقوم قد مضوا معه ... هم الذين إليهم دارهم هجروا
أعْني ابن يحيى بن عَبَّاد فإن له ... سوابق المجْد، قد قرَّت بها مضر
عبد المليك الذي عمَّت صنائعُه ... كما يعُمُّ البلاد المحْلة المطرُ
قد أحكمته النهى في حسن تجربة ... فهو البصير بما يأتي وما يَذَرُ
إنّي وَجَدْتُ بني يحي إذا جُهروا ... همُ البحور بحور المجْد والغُرَر

الثانية :

إنّ الكرام جَرَوْا حتى إذا احتفلوا ... وجاش كلُّ كريم الجَرْي سبَّاق
وأبصرَ الناسُ مَن يفري ذوي مَهَلٍ ... صافٍ وعزٍّ وأحلام ، وأعراقِ
لاح ابن يَحْيى أمام السابقينَ كما ... لاحَ الصباحُ بفجر قبل إشراق
عبد المليك الذي فاضت صنائعُهُ ... على القبائل من عُرف وإطلاق

حول بنت الخُس :

(يضاف الى ص ٧٩٤ / ١١٥٣)

ومن أمثال العرب: سئلت بنت الخُسّ: الجذَع يُلقح ويدع، أول طمْرة منه ربما ألقح بها، ولا يلقح بعد الطمرة الأولى، ويُجْذِع إذا استوفى سنتين .

والثنيّ يلقح ولقاحه أَنِي ، أي بطيء ، يثنى إذا استوفى ثلاث سنين .

والرباع تلقح من كشيشته الأفاعي ، لسرعته يربع ، إذا استوفى أربعاً ودخل في الخامسة ، والقارح إذا استوفى خمساً [1] .

أشدُّ الرجال : كلُّ مُجَلوَّز كالعَير ، أو مقدودٍ كالسِّير [2]

(١) الهجري : التعليقات والنوادر (م : ٤٦) .
(٢) التعليقات والنوادر (م : ٢) .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف: (٢٤٣ المحرر)
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا الجزيرة العربية
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الادارة
ثمن الجزء: ريالان قريشيان

الجزء الثاني - السنة الثانية - شعبان - سنة ١٣٨٧ (تشرين الثاني ١٩٦٧)

قُطْرُ الطَّائِفِ وَمُؤَرِّخُوه

- ٢ -

ان ما وصل إلينا من الكتب المتعلقة بالطائف ، يكاد ينحصر بجانب واحد بعيد عن الناحية التاريخية ، وهو ما يسمى بالفضائل ، وهو موضوع عني به علماء المسلمين عناية كبيرة، كان من اثرها ان بعض العلماء الذين زاروا الطائف،او أقاموا فيه،وجدوا انه لا يقل من هذه الناحية عن كثيرمن البلدان التي عني العلمـــاء بكتابة المؤلفات في فضائلها باستثناء المدينتين المقدستين وبيت المقدس .

ومعروف ان علماء المسلمين لا يتشددون من حيث النقل فيما يتعلق بالفضائل، ويضاف إلى هـذا، ان جلّ من ألّف عن الطائف من هذه الناحية،ليسوا من محققي المحدثين .

وقد وجدوا فيما وجدوا :

١ – الآثار الواردة في نقل الطائف من الشام، وان الله امتنّ به على أهل الحرم استجابة لدعوة الخليل عليه السلام : (وارزق اهله من الثمرات) .

٢ – حديثاً جاء فيه تحريم صيد وج وادي الطائف، وقطع عضاهه، وقد أخذ بهذا بعض العلماء .

٣ – أثراً جاء فيه: (آخر وطأة وطئها الرحمان في وادي وج)وهو أثر لا يثبت من جهة النقل ، وان تمحل بعض العلماء في تأويله ، تمحلاً لا يرتضيه المحققون .

٤ – كونه أصبح مثوى لحبر الأمة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس وللامام محمد بن الحنفية .

من هذه الجوانب بدأ العلماء بالكتابة عن الطائف .

وأقدم من علمناه كتب في الموضوع ، هو عالم يمني أقام في مكة وفي المدينة برهة من الزمن ، فعرف بمفتي الحرمين ابن ابي الصيف ، وقد الف في الموضوع عن بلاده الأصلية اليمن .

ومن بعده عالم من جزيرة ميورقة احدى جزائر البليار التابعة للاندلس قديماً، وهو عبدري قرشي عرف بالميورقي ، أقام في الطائف وبها توفي ، وقد ألف رسالة تفيض بالعاطفة الطيبة نحو هذه البلدة ختمها بقوله :

يقولون لي شاماً وشرقاً ومغرباً
ودونك طيب العيش من كل جانب
ودع عنك إقلال الحجاز ورزءه
وان كان مأوى الواردات الأطايب
فقلت لهم : حسبي الاله موفقي
لقرب ابن عباس الكريم المذاهب
ويا رب ِخرْ لي في الأمور وعافني
وطيّب لي الدارين يا خير واهب

ومن مآثر هذا العالم ، انه هو أول من نعرف بانه أنشأ مكتبة عامة في الطائف، فقد ذكر المؤرخون انه أوقف كتبه فيه، وهي كتب تدل النقول التي

نجد طرفاً منها في مؤلفات مؤرخي مكة كالفاسي وابن فهد، تدل على قيمتها العلمية .

وهناك عـــالم جليل ، نال بسطة في الرزق ، وحظوة كبيرة لدى جميع ملوك المسلمين في عهده ، هو الفيروز آبادي صاحب القاموس وغـــيره من المؤلفات المعروفة ، وقد أقام هذا العالم في الطائف ، وكتب عنه رسالتين ، إحداهما « أحاسن اللطايف في محاسن الطايف » ، والأخرى « فصل الدرة من الخرزة في فضل قرية السلامة على الخبزة » وهما قريتان من قرى الطائف، ونرى ان ما كتبه في رسالتيه قد يكون ذا فائدة تاريخية ، إلا ان مما يؤسف ان هاتين الرسالتين لم تصلا إلينا ، والذي يحملنا على هذا القول هو اننا رأيناه في كتاب « المغانم المطابة في معالم طابة » يحاول جهده الاستقصاء والاحاطة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، أما وصف الكتب المؤلفة عن الطائف ، وهي كما أسلفنا ، تنحو ناحية الفضائل ، وتتعرض مع ذلك للجوانب التاريخية والجغرافية ، فقد تركنا الحديث عنها لصديقنا الأستاذ محمد سعيد كمال الطائفي، الذي عني بتاريخ بلاده عناية نأمل أن تكون نافعة .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن عالمين جليلين ، أحدهمـــا عربي هو أستاذنا خير الدين الزركلي ، والثاني غربي مستشرق هو لامانس اليسوعي البلجيكي ، هذان العالمان قاما بدراسة عن الطائف، فالخير الزركلي في كتابه « ما رأيت وما سمعت » حاول الاستقصاء التام في كل ما يتعلق بالطائف ، فجاء هـــذا الكتاب من خير ما ألف في موضوعه ، ومن أعظم مـــا كتب عن الطائف من حيث الفائدة . أما الأب هنري لامانس اليسوعي (١٨٦٢ — ١٩٣٧) فهو مستشرق متعصب لدينه تعصباً ذا أثر كبير في كتاباته ، فقد عرف بابحاثـــه عن عرب الجاهلية،وعن العهد الأموي،وله مؤلفات عن «الاسلام» و «الجزيرة العربية الغربية قبل الهجرة » و « خلافة يزيد » ، وقد أفرد الطائف بمؤلف خاص دعاه:«مدينة الطائف العربية إبان الهجرة» ألفه باللغة الفرنسية ونشرته الجامعة اليسوعيـــة في بيروت في الحلقة التاسعة من منشوراتهـــا سنة ١٩٢٢ ،

ويقع هذا البحث في أكـــثر من مائتي صفحة، وها هو اسم الكتاب كما جاء في طرته :

وأهم المواضيع التي تطرق اليها هذا الكتاب هي :

١ ـ مقاطعة الطائف .

٢ ـ خصب المقاطعة .

٣ ـ الطائف : حياة الحجاز القروية .

٤ ـ شعب الطائف : أبحاث سلالية .

٥ ـ مدينة الطائف .

٦ ـ الدين في الطائف .

٧ ـ الدور الاقتصادي .

٨ ـ الأحزاب السياسية .

٩ ـ بين قريش والطائف ، علاقات اقتصادية وعائلية .

مُؤَرِّخو "الطّائف" ومُؤلفَاتِهُم

مقدمة مختصرة من كتاب « الطائف - جغرافيته - تاريخه - أنساب قبائله » .

أ — إبن أبي الصيف

[... — ٦٠٩ هـ ... ١٢١٣ م]

محمد بن إسماعيل بن علي ، أبو عبد الله بن أبي الصيف ، فقيه شافعي يمني ، له علم بالحديث ، ولد بزبيد ، وأقام بمكة وتوفي فيهـــا ، ومن مؤلفاته : « الأربعون حديثاً » جمعها عن أربعين شيخاً من أربعين مدينة ، وألّف عـن الطائف كتاباً أسماه :

١ — « زيارة الطائف » .

---

١٠ ـ المدارس والحركة الثقافية .

١١ ـ الشعر في الطائف .

١٢ ـ الانحطاط ، الطائفيون في القرن الأول للهجرة .

١٣ ـ الطائفيون مهذبو البدو ، فشلهم .

وفي رحلة الأمـــير شكيب أرسلان : — رحمه الله — « الارتسامات اللطاف » مباحث واسعة تتعلق بتاريخ الطائف ، على جانب كبير من الامتاع والفائدة .

وعُني الدكتور محمد حسين هيكل —رحمه الله— في كتابه « منزل الوحي» بدراسة النواحي العمرانية والتاريخية وغيرهـــا في الطائف عناية كبيرة ، بحيث يعتبر الكتابان من المصادر المهمة لمن يعنى بدراسة تاريخ الطائف .

لم أطلع عليه وينقل عنه الميورقي في رسالته « بهجة المهج » [1].

ب ـــ الميورقي

[٠٠٠ ـ ٦٧٨ هـ ٠٠٠ ـ ١٢٨٠ م]

أبو العباس أحمـد بن علي بن أبي بكر بن عيسى بن محمد بن زياد العبدري الميورقي ، فاضل ، مالكي، من أهل الطائف. أصله من المغرب ثم كان مسكنه بوج ـ الطائف ـ مدة سنين وبهـا توفي وسكن مكة أيضاً ، وأخذ عن فضلائها ، وأخذوا عنه، ترجم له السيد الفاسي صاحب تاريخ مكة في«العقد» قال : وكان جميل الثناء ، مشهوراً بالصلاح والخير ، له مؤلفات منها :

٢ ـ « بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج » في نحو نصف كراسة.

استكتبت هذه النسخة بخط أخي حسين بن حسن كمال، عن نسخة خطية استكتبها نفسه قاضي الطائف الشيخ عبد بكر كمال سنة ١٣٣٢ هـ من مكتبة شيخه الشيخ عبد الحفيظ بن عثمان القاري ، أوله (الحمد لله ذي الآلاء السنية واللطائف) ذكر فيه ما ورد في وادي وج من الأخبار والآثار ، وما جـاء في فضل الطائف من الأحاديث ، وما جاء من إتيان الرسول ﷺ الطائف يلتمس نصرة ثقيف ، وختمه بحديث في فضل الحبر ابن عباس رضي الله عنهما .

والكتاب مختصر جداً وبعضه منقول عن كتاب « زيارة الطائف» لابن أبي الصيف الذي أسلفنا الإشارة إليه [2] .

---

(١) ما رأيت وما سمعت ٤٣ الأعلام ٦ : ٢٦١ التكملة لوفيات النقلة ـ خ ـ الجزء الخامس والعشرون طبقات الخواص ١٤١ بهجة المهج للعبدري ـ خ ـ ونعته بمفتي الحرمين . طبقات الشافعية ٥ : ١٩ وهو فيه : « فقيه الحرم الشريف » والرسالة المستظرفة ٧٧ وفيها وفاته سنة ٦٠٧ هـ. خلافاً للمصادر المتقدمة .

(٢) عقود اللطائف في محاسن الطائف للفاكهي ـ خ ـ وتحفة اللطائف في فضائل ابن عباس ووج والطائف لابن فهد ـ خ ـ والأعلام ١ ـ ١٧٠ .

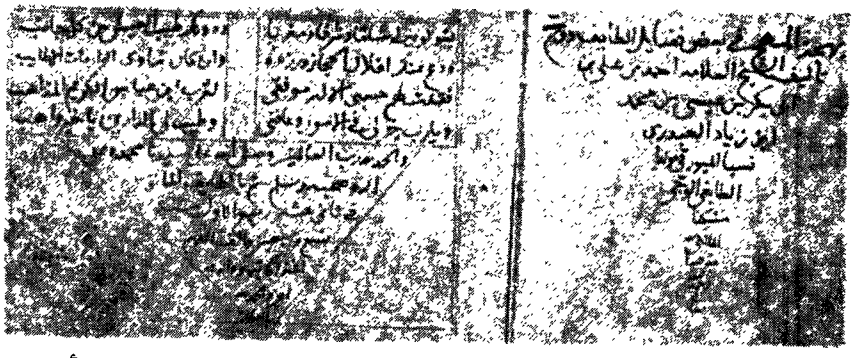

طرة رسالة « بهجة المهج » للميورقي وآخرها ، نسخة مكتبة الأوقاف العامة في بغداد وهي مخطوطة في الطائف سنة ١٠٧٩ هـ .

جـ ـــ الفيروز آبادي

[٧٢٩ – ٨١٧ هـ ١٣٢٩ – ١٤١٥ م]

محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمر ، أبو طاهر ، مجـــد الدين الشيرازي الفيروز آبادي من أئمة اللغة والأدب ، ولد بكازرون ، من أعمال شيراز. وانتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام ودخل بلاد الروم والهند، ورحل إلى زبيد (سنة ٧٩٦ هـ) فأكرمه ملكها الأشرف إسماعيل ، وقرأ عليه فسكنها وولى قضاءها ، وانتشر اسمه في الآفاق ، وتنقل في الحجاز بين الطائف ومكة والمدينة ، فألّف عنها مؤلفات ، أشهر كتبه :

« القاموس المحيط – ط » أربعة أجزاء في اللغة ، وكثير غيرها ، وله : مهيج الغرام الى السلية الحرام ، « في تاريخ مكة » و « المغانم المطابـة من معالم طابة » عن المدينة الشريفة ، وله عن الطائف .

٣ ـ « أحاسن اللطائف ، في محاسن الطائف »

٤ ـ « فصل الدُّرَّة من الخرزة، في فضل قرية السلامة على الخبزة»[1]

(١) الأعلام ٨ – ١٩ ومجلة العرب السنة الأولى ج ٦ – ٥٨٣ وكشف الظنون ٢ – ٨١ وقال الزركلي : تناقل المتقدمون نسبة صاحب الترجمة الى « فيروز آباد » بالذال المعجمة، وعندي عدة نماذج من خطه لم ينقط الدال في احداهـــا وقد يكون ذلك لشهرتها الا أن المعروف كما في النهج ٤ – ٦٧ وغيره أن آباد كلمة فارسية معناها « عمارة » وفي بلاد الهند وايران اليوم بلدان كثيرة ينتهي اسمها بهذا اللفظ : كحيدر أباد ، ودولة أباد ، وظفر أباد وليس في أهلها من يجعل الدال ذالاً خلافاً لياقوت في معجم البلدان ٤ – ١٠٥ و ٦ – ٧٩ و ٤٠٥ .

ويظهر من إسم كتابه هذا انه كان يسكن محلة « السلامة » بالطائف .
وكان بعض فضلاء عصره يسكنون محلة الخبزة بالمثناة ـ بالطائف وجرى بينهم تفضيل في ذلك فألف هذه الرسالة ، ولم أطلع على كتابه « أحاسن اللطائف » ولا على رسالته تلك ، وقد ذكرهما مترجموه .

د ـ ابن فهد

[٨٩١ ـ ٩٥٤ هـ ١٤٨٦ ـ ١٥٤٧ م]

محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي ، جار الله ، أبو الفضل ، محبّ الدين ، مؤرخ من أهل مكة ، له « التحفة اللطيفة ، في بناء المسجد الحرام والكعبة الشريفة ـ خ » و« السلاح والعدّة في فضائل بندر جدة ـ خ » و « تاريخ » مفيد في معرفة وفيات المترجمين في الضوء اللامع من الأحيـــاء وتحفة الايقاظ بتتمة ذيل طبقات الحفاظ ، ذيّل بها على ذيل جدّه ، و« معجم الشيوخ » في أسماء شيوخـــه وقد كتب نسبه كما يلي : محمد المدعو جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن تقي الدين بن محمد بن محمد بن الخير بن محمد بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن فهد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن سعد بن هاشم ابن محمد بن أحمد بن عبد الله بن القاسم بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن جعفر بن محمد الشهير بابن الحنفية بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي المكي » له عن الطائف .

٥ ـ تحفة اللطائف في فضائـــل الحبر بن عباس ووج والطائف ـ خ » في نحو ثمانين صفحة بالمكتبة الماجديـــة التي آلت إلى مكتبة « مكة » وعندي نسخة عن نسخة مخطوطة بمكتبة الحرم المكي تحت رقم ١٥ ودهلوي ٨٣ صفحة مقاس ٩ × ١/٢ ٦ سم . وهي بخط الشيخ عبد الستار بن عبد الوهاب الدهلوي المكي الكتبي الصديقي كتبها يوم الخميس ٢٢ جمادي الآخرة سنة ١٣٠٤ هـ

ورتب ابن فهد كتابه المذكور على مقدمة وبابين وخاتمة . أما المقدمة : ففي ذكر الروايات الواردة في فضل وج والطائف ، وأما الأبواب : فالباب الأول في ذكر نكت من أخبار وج والطائف ودخول النبي (ص) لها وإسلام

أهلها وفضلهم ، وما قيل في ذلك على سبيل الإختصار والباب الثاني : وهو المقصود يشمل ثلاثة فصول :

١ ـ في فضائل العباس بن عبد المطلب .

٢ ـ في فضائل إبنه الحبر عبد الله .

٣ ـ نبذة في فضائل أبي القاسم محمد بن علي بن أبي طالب الشهير بابن الحنفية .

وأما الخاتمة : ففي ذكر الآثار المباركة التي بوادي وج الطائف والقرى التي بقربه ، ومن استشهد مع النبي (ص) يوم الطائف من المسلمين وصفة زيارة الحبر ابن عباس وهو كثيراً ما ينقل عن العبدري من كتابه « بهجة المهج » قال الزركلي : رأيت في حاشية عليه :

« هذا التاريخ غير المذكور في الكشف » أي كشف الظنون[1] .

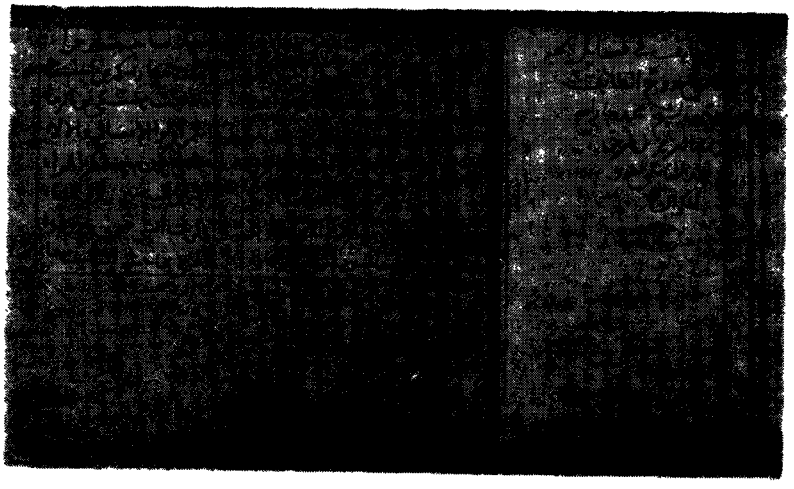

[ومن كتاب ابن فهد هذا نسخة كتبت في الطائف سنة ١٠٧٩ في مكتبة الاوقاف ببغداد .هذه صورة طرتها وخاتمتها]

(١) تحفة اللطائف ـ خ ـ الأعلام ٧ : ٧٩ ذيول طبقات الحفاظ ٣٨٣ والنور السافر ٢٤١ والدملوي في مجلة المنهل ٧ : ٣٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٥ .

Brock . 2 : 51 , 3931 , S 538

هـ ـ الفاكهي

[٩٢٠ ـ ٩٨٢ هـ ١٥١٤ ـ ١٥٧٤ م]

عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي: فاضل. من أهل مكة مولداً ووفاة.
من كتبه : التبر المنقوش في فضل الحبوش ، يقول عنه إنه خدم به أخاه العلامة جلال الدين أبا لسعادات الفاكهي في بلاد الهند، ليتقرب به إلى خاطر وزراء الحبوش وأعيانهم المحسنين إليه . وله تحفة الحاج والزائر، وشرح منهج القاضي زكريا ومن كتبه عن الطائف :

٦ ـ عقود اللطائف في محاسن الطائف ـ خ ـ منه نسخة في مكتبة الحرم المكي في ١١ كراساً وفيها نقص .

ورتبه على مقدّمة وثمانية أبواب وخاتمة .

١- المقدمة: في بيان بعض الباعث على تأليفه وترجمة مؤرخه الميورقي .
٢- الباب الأول وفيه خمسة فصول:
الفصل الأول: في ترجمة الحبر ومناقبه وساق فيه رسالته «مشكاة الاقتباس في فضائل ابن عباس».
الفصل الثاني: في ترجمة محمد بن علي المشهور بابن الحنفية رضي الله عنه.
الفصل الثالث: في ترجمة زبيدة العباسية.
الفصل الرابع: في بيان رجوع الخلق كلهم إلى الحبر ابن عباس.
الفصل الخامس: فيما يتعلق بمسجده الكبير من عمارة، وآثار مباركة.
الباب الثاني: في ذكر جماعة من الصحابة دفنوا بالطائف.
الفصل الأول : في ترجمة زيد بن ثابت .
الفصل الثاني : في ترجمة شهداء الطائف الاثنىعشر أو الثلاثة عشر .
الباب الثالث : في ترجمة جماعة بالطائف من التابعينأو تابعي التابعين .
الباب الرابع : في غزوة حُنين والطائف وفيه فصول .
الباب الخامس : في آثار الطائف المحمدية .

الباب السادس : في مدح الطائف وتسميته بالطائف .
الباب السابع : في هواء الطائف ومائه .
الباب الثامن : في قراه وبساتينه .

والكتاب ناقص من بعد الفصل الخامس من الباب الأول كما أنه غير منسق من الداخل ، وقد أهمل هو أو بعض النسّاخ الأبواب والفصول التي نص عليها في المقدمة [1] .

و ـــ ابن عراق

[٩٠٧ ـ ٩٦٣ هـ ١٥٠٢ ـ ١٥٥٦ م]

علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق الكناني ، نور الدين: فقيه، متصوف ، له نظم وكان ذا قدم راسخة في الفقه والحديث والقراآت ، ومشاركة جيدة في غيرها وله اشتغال في الفرائض والحساب والميقات ، وقوة على نقد الشعر ، ولد في دمشق ورحل إلى الحجاز ، وولي خطابـــة المسجد النبوي ، ومن العجيب أن والده محمد بن علي كان ينكر القهوة، وخرب بيتها بمكة ، وجاء ابنه هذا علي بن محمد ، فأشهر شربهـــا ، فكثرت من يومئذ حوانيتها ، توفي المترجم بالمدينة من مؤلفاته « تنزيه الشريعة المرفوعة ، عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ـ ط ـ » في مجلدين في الحديث ، وله عن الطائف:

٧ ـ « نشر اللطائف في قطر الطائف ـ خ ـ » رسالة مخطوطة في كراس بدار الكتب المصرية [رقم ٢٢٣٣ تاريخ] ومنهـــا نسخة أخرى بالمكتبة الماجدية التي آلت إلى مكتبة « مكة » وقد بحثت عنها فلم أجدها بها [2] .

---

(١) (محاسن اللطائف ـ خ ـ) الأعلام ٤ : ١٦٢ النور السافر ٣٥٣ ، والعقيق اليماني ـ خ وفيه : وفاته سنة ٩٨٩ . قال الزركلي: إنه رأى نسخة من كتابه « عقود اللطائف » عند قاضي الطائف عبد الله كمال في ١١ كراساً فيها نقص يسير .

(٢) الأعلام ٥ : ١٦٥ شذرات الذهب ٨ : ٣٣٧ « در الحبب ـ خ ـ » والكواكب السائرة ٢ : ١٩٧ والرسالة المستطرفة ١١٣ والتذكرة الطاهرية ـ خ ـ الجزء الأول. فهرس المكتبة الأزهرية ١ : ٣٩٨ والمكتبة العبدلية ٤٨ وهو في Brock . 2 : 513 (390) S. 2:537 بفتح العـــين وتشديد الراء خطأ ، قال عبد القادر بن حبيب مخاطبا والد صاحب الترجمة :

« يا ابن العراق تهنّ يا ولدي وطب ما كل من طلب السعاده نالها »

لدى « صاحب العرب » نسخة نقلها عن النسخة الموجودة بدار الكتب . وفي مكتبة الاوقاف العامة نسخة جيدة كتبت سنة ١٠٧٩ في الطائف انظر الصفحة المقابلة .

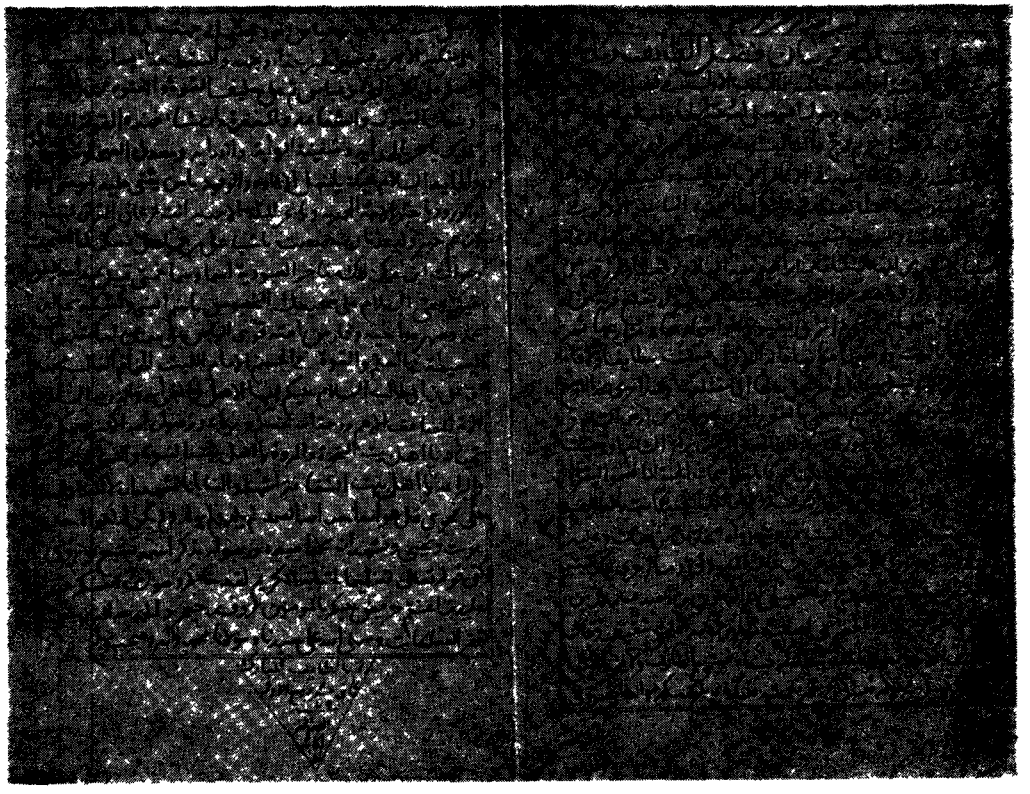

(صفحتان من كتاب نشر اللطائف لابن عراق ، نسخة مكتبة الأوقاف العامة في بغداد)

ز ـــ ابن عَلَّان

[٩٦٦ – ١٠٥٧ هـ ١٥٨٨ – ١٦٤٧ م]

محمد بن علي بن محمد بن علان بن ابراهيم البكري الصديقي الشافعي : مفسر ، عالم بالحديث من أهل مكة ، له مصنفات ورسائل كثيرة ، منها :

« دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين » في ثمانية أجزاء و« شرح قصيدة ابن الملق وقصيدة أبي مدين ـ ط » و « إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل ـ ط » وغير ذلك من المؤلفات ، وله النظم الحسن فمنه قوله :

وَزَمْزَمُ قَالُوا فِيه بَعْضُ مُلوحَةٍ
وَمِنْهُ مِيَاهُ العَيْنِ أحْلى وأَمْلَحُ
فَقُلْتُ لَهُمْ : قَلْبي يَراهَا مَلاحَةً
فَلا بَرِحَتْ تَحْلُو لِقَلْبي وَتَمْلَحُ

وقوله :

يَا رَبِّ أَنْتَ حَبَسْتَ الحُسْنَ في قَمَرٍ
حُلْوِ الشَّمائِلِ لا يَرقَى لِمَنْ عشِقَهْ
أَكادُ أَدْعُو عَلَيْهِ حِينَ يهجرني
لَكِنْ لِفَرْطِ غَرامي تَمْنَعُ الشَّفقَهْ

توفي بمكة ودفن بالمعلاة بالقرب من قبر ابن حجر المكي . وله من المؤلفات أيضاً عن الطائف :

٨ ـ « الطيف الطائف بتاريخ وج والطائف ـ خ » نسخة مخطوطة بمكتبة الحرم المكي [رقم١٢٠ تاريخ دهلوي] تقع في ٤٨ ورقة وبأولهاوأثنائها صفحات بيضاء . مبوبة على بضعة أبواب وفصول ، تشتمل :

فتح النبي (ص) الطائف ، وإسلام أهلها وفضلهم . وتشرف بلدهم بوصوله (ص) المرة بعد الأخرى ، وذكر ثقيف وفضلهم ، وذكر الآثار التي بوادي وج،وبعض القرى بجانبه وحوله لما فيها من الأنس واللطائف،وفي أحكام فقهية متعلقة بتلك الديار،وفي أبيات أدبية متعلقة بما في تلك الديار من أثمار وأزهار، وفي فضائل الحبر ابن عباس وفي فضل محمد بن الحنفية، ثم في ذكر الأحاديث والآثار الواردة في النزهة.والكتاب لم يبوّب تبويباً ، وهذه النسخة بخط أبي

الفيض وأبي الإسعاد عبد الستار ابن عبد الوهاب الصديقي الحنفي ١٢٩٧ هـ ونقلها عن نسخة تمت كتابتها في صفد سنة ١٠٤٨ هـ [١] .

ح — العُجَيمي

[١٠٤٩ — ١١١٣ هـ ١٦٣٩ — ١٧٠٢ م]

حسن بن علي بن يحيى ، أبو البقاء العجيمي ، مؤرخ، من العلماء بالحديث، يمانيّ الأصل مولده بمكة ، ووفاته بالطائف ، كان يجلس للدرس في الحرم المكي عند باب الوداع وباب أم هانىء تجـــاه الركن اليماني ، من تصانيفه : « خبايا الزوايا ـ خ » ترجم به بعض مشايخه ومن اجتمع بهم ، و « حاشية على الأشباه والنظائر » و « حاشية على الدرر » و « ثَبَت » في مجلدين » و« رسائل في الفلك » و« الفرائض » و« التصوف » وقال كمال الدين الغزي : جمع له الشيخ تاج الدين الدهان جزءاً كبيراً ، ذكر فيه أشياخه ومسموعاته ومروياته توفي في ظهر يوم الجمعة ثالث شوال سنة ١١١٣ هـ ودفن بالقرب من ابن عباس رضي الله عنهما [٢] ومن مؤلفاته عن الطائف :

٩ —« إهداء اللطائف من أخبار الطائف ـ خ ـ » مخطوط بمكتبتي بخط أبي الفيض وأبي الإسعاد عبد الستار الدهلوي ، وقد أضاف الى هذا التاريخ بعض الايضاحات أو ما حدث بعـــد المؤلف كذيل له ، وجعله بين قوسين للتنبيه على ذلك وتقع هذه النسخة في أربع وتسعين صفحة قطع الربع ، وتمت كتابتها كما ذكر في آخرها : في الطائف ـ بشبرا العامرة . في اليوم السابع من

---

(١) مقدمة دليل الفالحين ، والأعلام ٧:١٨٧ فهرس دار الكتب ٢ : ١٤٠ وخلاصته الأثر ٤ : ١٨٤ وايضاح المكنون ١:٥٧٨ ونظم الدرر ـ خ ـ والمكتبة الأزهرية ١:٤٦٨ والدهلوي في مجلة المنهل ٧:٤٣٦ ودار الكتب ٧:٣١ وفهرس المؤلفين ٢٥٤ و Breck . S . 2 ;533

(٢) الجبرتي عجائب الآثار ١:٧٢ طبعة حسين شرف . وفهرس الخزانة التيمورية ٣:١٦٧ والأعلام ٢ : ٢٢٣ وتضم الدرر ـ خ ـ والرحلة العباسية ٢ : ٢١٢ والتذكرة الكمالية ـ خ ـ واليانع الجني ٢٦ ومجلة المنهل ٧:٤٠١ و ٤٥٥ والفهرس التمهيدي ٣٨٣ والدرر الفريدة ١٢٨ وفهرس الفهارس ١:١٣٧ وهو فيه « حسين بن عباس » :

جمادي الآخرة في العـــام التاسع والعشرين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة النبي (ص) ويشمل :

١ ــ مقدمة في سبب تسمية الطائف وباباً أولاً في فضل الطائف ووج .
٢ ــ وباباً ثانياً في ذكر المآثر والمشاهد الواقعة في الطائف وما حوله .
٣ ــ وخاتمة في صفة زيارة الحبر ابن عباس .

ط ــ القنوي

[... ــ بعد سنة ١١٤٩ هـ]

محمد بن عبد الكريم القنوي : من العلماء الفضلاء ، له عن الطائف :

١٠ ــ « رسالة في فضائل عبد الله بن عباس وفضائـل الطائف ــ خ » ألفها بالطائف سنة ١١٤٩ هـ [١] كانت ضمن مخطوطات المكتبة الماجدية التي آلت إلى مكتبة مكة ثم سألت عنها أمين المكتبة فقال لي : يوجد منها ملزمة واحدة في (الدشت) وسيجري ترتيبه والبحث عن باقيه [٢] .

ي ــ القاري

[... ــ ١٣٢٦ هـ]

الشيخ عبد الحفيظ بن الشيخ عثمان القاري من علماء الطائف المتأخرين ولد بالطائف وأخذ العلم عن علمائها ومنهم والده الشيخ عثمان الذي كان يملك مكتبة ضخمة ثم رحل إلى الأستانة وأخذ عن فضلائها وأدى اختبار العالمية أمام لجنة من العلماء والمحققين رجع بعدها لنشر العلم في بلاده . رأيت له قصيدة طويلة دالية في احدى تآليفه في مدح السلطان عبد الحميد وله عـن الطائف :

---

(١) الأعلام ٧ : ٨٥ ودار الكتب ٥ : ٢٠١ .
(٢) توجد الرسالة كاملة في المكتبة التيمورية المضافة إلى (دار الكتب المصرية) .

١١ ـ رسالة مختصرة ملتقطة من أربعة تواريخ ـ خ ـ

قال الزركلي : لم يزد فيها على ما في كتب سابقيه الا بقوله عند ذكر ما كان في الطائف من المآثر والمزارات: (وقد اندرس أكثر المآثر التي ذكرها المؤرخون) هـ. كتب هذه الرسالة سنة ١٣٠٨ وهي من مخطوطات مكتبتي عن نسخة مخطوطة بمكتبة الحرم المكي .

وهي في سبع ورقات قطع النصف بالحرف الواضح ، قال القارىء في آخرها « قال جامعه : في طرفة من نهار العيد العبد الفقير عبد الحفيظ بن عثمان القاري الطائفي كان الله له ، هذا آخر ما اختصرته من تاريخ الطائف للفاكهي وتاريخ ابن فهد وتاريخ العجيمي وتاريخ نور الدي علي بن عراق وكان الفراغ من تسويدها وتبييضها ليلة الأحد ٢٢ شوال ١٣٠٨ هـ وتمت على يد كاتبها الفقير أبي الفيض وأبي الإسعاد عبد الستار الصديقي الحنفي في ١٦ شعبان ١٣٢٨ هـ [١] .

ك ـــ الحضراوي

[١٢٥٢ – ١٣٢٧ هـ]

أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي المكي الهاشمي: مؤرخ. ولد بالاسكندية، وانتقل به والده إلى مكة ، وعمره سبع سنين ، فنشأ بها ، وتأدّب وتفقه وألف كتبه « العقد الثمين في فضائل البلد الأمين ـ ط » صغير ،«وتاج تواريخ البشر من إبتداء الدنيا إلى آخر القرن الثالث عشر » و « سراج الأمـــة في تخريج أحاديث كشف الغمة ـ خ » ثلاث مجلدات كبار » و « فضائل مكة والمدينة ـ خ» و«الجواهر المعدة في فضائل جده ـ خ » و « المفاضلة بين جدة والطائف ـ خ » رسالة و« تاريخ الأعيان ـ خ » و« مختصر حسن الصفا ـ خ» فيمن تولوا إمارة الحج » و « بشرى الموحدين في معرفـة أمور لدين » توفي بمكة وله عن الطائف :

---

(١) تاريخ القاري ـ خ ـ ما رأيت وما سمعت ٤٣ .

١٢ ـ « اللطائف في تاريخ الطائف ـ خ » رسالة في نحو أربعين ورقة قطع النصف وبمكتبتي نسخة منه. ناقصة من آخرهاعن النسخة الخطية بمكتبة مكة (رقم ٢٣ تاريخ) أكثر فيه من النقلمن تاريخ العجيمي والعبدريوبعض مختصرات زملائه المعاصرين كما جاء في مقدمته . ويشتمل :

الباب الأول : في سبب تسمية الطائف وحدوده وشيء من أخباره .

الباب الثاني : في فضل الطائف .

الباب الثالث : ما وقع في غزوة الطائف من المعجزات .

الباب الرابع : في ذكر المشاهد والمـ ثر الواقعة في الطائفوما حوله .

الباب الخامس : فيما يشتمل عليه الطائف من جملة قرى وهي من أعماله تتمة : في عمارة المسجد العباسي .

الباب السادس : فيما حصل فيه من الفتن المكررة المغيرة له .

الباب السابع : فيمن دفن بالطائف من الأعيان وفي آخر هـــذا الباب ذكر من الحوادث التي جرت بـــين ميرمكة عبد المطلب وبعض ولاة الأتراك والنسخة ناقصة كما أسلفنا [١] .

ل ـــ ابن كمال

[١٢٩٠ – ١٣٤١ هـ]

عبد الله بن علي بـــن عبد الحفيظ بن كمال قال عنه الزركلي في رحلته « وممن عرفت بالطائف قاضيه الشيخ عبد الله كمال وهو أفقه من في هـــذه المدينة ، وأعلمهم بالأدب وفنونه رغبت إليه أن يطلعني على شيء من شعره فتلا بضع قصائد. في رحلته إلى اليمن، وقصيدةقالها في فتح المدينةالمنورة . نشر الأولى في كتاب الرحلة اليمانية[٢] والثانية في جريدة القبلة، وأورد شيئاً

(١) الأعلام ونظم الدرر ـ خ ـ وفهرس الفهارس ١ : ٢٥٧ وايضاح المكنون ١ : ١٨٤ الدهلوي في مجلة المنهل ٧:٤٤٥ و ٤٤٤ و ٤٤٥ وقيل : توفي سنة ١٣٢٦ واللطائف في تاريخ الطائف ـ خ ـ وسقط اسم الباب الثالث من نسخة مكة الخطية ولم يعنون له بشيء .

(٢) الرحلة اليمانية الطبعة الثانية ٩٧ .

من شعره [1] وقال عنه في الأعلام[2] وله نظم حسن واشتغل بتأليف تاريخ الطائف ولم يكمله « له رسالة في العروض » وأخرى « في الفلك » ولي قضاء الطائف سنة ١٣٢٧ هـ وانتقل إلى مكة سنة ١٣٤٠ حيث نصب عضواً في لجنة المعارف بمكة ، أما تآليفه :

١٣ — « تاريخ الطائف » فقد سألت عنه إبنه الشيخ بكر كمال فقال : إنه فقد مع كتب والدي سنة ١٣٤٢ هـ .

م — الدهلوي
[١٢٨٦ - ١٣٥٥]

عبد الستار بن عبد الوهاب بن خدايا-إبن عظيم حسين يار المبارك شاهوي البكري الصديقي الحنفي الدهلوي ، أبو الفيض وأبو الاسعاد : عالم بالتراجم ، مولده ووفاته بمكة . كان من المدرسين بالحرم المكي . له تآليف منها « فيض الملك المتعالى بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي — خ — » و « سرد النقول في تراجم الفحول — خ — » و « الأزهار الطيبة النشر في ذكر الأعيان من كل عصر — خ — » مرتب على الطبقات . و« بقية الأديب الماهر » ثبته ، و « نثر المآثر فيمن أدركته من الأكابر » وغير ذلك ، وكان قد جعل مكتبته وقفاً قبل وفاته ، ثم نقلت مع مؤلفاته إلى مكتبة الحرم بمكة ، وله عن الطائف :

١٢ — ملحقات وإضافات على كتاب « إهداء اللطائف » للعجيمي قال في أوله « وما وجدته مكتوباً بين قوسين في هذه النسخة فهو من زيادتي عليه لأجل الإيضاح أو لشيء حدث بعد المصنف » وتوجد بمكتبتي هذه النسخة بخطه رحمه الله [3] .

---

(١) ما رأيت وما سمعت ٧٧ و ٧٨ .

(٢) الأعلام ٤ : ٢٠٢

(٣) الأعلام ٤ : ١٢٧ مجلة الحج ٦ : ٧٨٧ والخزانة اليمورية ٣ : ١٩٣ مقدمة « إهداء اللطائف — خ — » وأنظر نسبه في كتابه « فيض الملك المتعالي » .

أبحاث أدبية من جنوب الجزيرة

في النصف الثاني من القرن السابع كان على عرش اليمن ملك عربي من أشهر ملوك اليمن اسماً وأبعدهم صيتاً وأوسعهم ملكاً امتد سلطانه من الحجاز إلى (ظفار [1] عمان) هو السلطان يوسف بن عمر الرسولي الغساني .

وفي العقد الثالث من عهده قام ابراهيم بن تاج الدين في القسم الأعلا بدعوة الامامة فالتف حول دعوته بنو شهاب وبنو الداعي وأهل حضور وغيرهم واستولى على مدينة (ذمار) وقتل من بها من جنود الملك المظفر وذلك في سنة ٦٧١ هـ فهب الملك من عاصمته مدينة (تعز) على رأس جيشه فوصل مدينة (صنعا) في ٦٧٢/١/١٨ هـ وبعث طلائعه فاستعادت مدينة (ذمار) فانسحب الامام الى الشمال يتحين الفرصة المناسبة والوقت المؤاتي . واكتفى الملك بما استعاده وعاد إلى عاصمته تعز .

وفي عام ٦٧٤ استأنف الامام نشاطه الحربي واستولى على مدينة (صنعا) في ٦٧٤/١/١٨ هـ فخرج الملك من تعز يقود جيشه وحط في مدينة (ذمار) فاستعاد (صنعا) فانسحب الامام الى حصن (أفق) وتقدمت قوات الملك لقتاله واستمال الملك بعض أنصاره وأهله فانهزم من بقي معه وأسر الامام واقتيد أسيراً الى مخيم الملك فعفى عن قتله وأبقى على حياته مكرماً وعاد به معه إلى تعز وأسكنه في أحد قصوره موفور الكرمة موسعاً عليه في الرزق حتى وافاته المنية سنة ٦٨٣ هـ .

والذي يعنينا من هذا البحث هو الجانبين الانساني والأدبي فالملك المنتصر نظر إلى امادٍ أبعد من شرعة الحرب وقانون التغلب في تلك العهود التي كان

---

(١) لدينا نص رسالة تاريخية من أهالي ظفار الى الملك المظفر سننشرها في مجلتنا العرب قريباً.

الظافر يملي إرادته ويسحق خصمه متناسياً الوازع الديني والضمير الانساني ، والامام الذي قام بدعوته في سبيل معتقده لم تنسه مرارة الهزيمة ولا هول الواقع الأليم ما أسداه الملك إلى شخصيته النبيلة من جميل العفو وجليل الصفح وهكذا نرى الخلق الاسلامي والنبل العربي يتجلى باسطع مظاهره في خلق الغالب والمغلوب .

أما الجانب الأدبي فقد ظفر بالنصيب الخالد فقد سجل الامـام في شعر يخلد خلود الزمان الموقف بجانبيه المظلم والمضيء في ذلك الحادث الذي لم يبق لنا منه إلا العظة والاعتبار والدرس النافع من الناحية التاريخية والاجتماعية والمتعة الروحية الرفيعة والنشوة الفكرة من الناحيـــة الأدبية في تملي الجمال الابداعي والفن الجمالي الذي كما قال افلاطون (يرقى بموضوعات الأشياء إلى مثلها الأعلا) ونضيف إلى ذلك و (صورتها المثلى) .

اننا نقرأ الحادث بعد مرور سبعمائة عام ـ تقريباً ـ خبراً عادياً لا يثير المشاعر ولا يهز الخواطر ، ولكنه كان في ذلك العهـد وفي جنوب الجزيرة خاصة من الأحداث الرائعة، والانتصارات الباهرة بالنسبة إلى الدولة الرسولية وقد شارك في التنويه به وتسجيله غير واحد من الشعراء ومنهم شاعر المخلاف السليماني في القرن السابع القاسم بن علي بن هُتَيمل في قصيدة من عيون الشعر عارض بها ـ بدون شك ـ قصيدة (أبي تمام) التي قالها في قتل (الأفشين) والتي مطلعها :

الحق أبلج والسيوف عوار فحذار من أسد العرين حذار

ونجد كثيراً من المقارنة بين القصيدتين نكتفي منها ببعض الشواهد .

يقول أبو تمام :

فشفاهم المختار فيه ولم يكن في دينه المختار بالمختـار

يقصد المختار بن أبي عبيد الذي قام بالمطالبة بثأر الحسين

ويقول ابن هتيمل :

لو شاور (المختار) في غزواته رجعت عليه مشورة المختار

يقصد بالمختار (المختار) محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم ، أي لو أن هذا الثائر رجع إلى استشارة أي العمل بهدي النبي لرجعت اليه المشورة بعدم الثورة لما في الفتنة من اراقة الدماء وشق عصا الطاعة وتفريق الجماعة وغير ذلك من مفاسد الفتن .

ويقول أبو تمام :

وثمود لو لم يدهنوا في ربهم لم ترم ناقتـه بسهم قُدار

وقال ابن هتيمل :

اغراه بالنقص الغواة فاهلكوا وثمود كان هلاكهم بقدار

وقول ابن هتيمل أغراه بالنقص الغواة. يدلنا أن هناك معاهدة بين الامام والملك بعد استعادة الملك لمدينة (ذمار) في عام ٦٧٢ هـ وانسحاب الامام إلى معقله في الشمال .

ويقول أبو تمام :

ثانيه في كبد السماء ولم يكن لاثنين ثاني إذ هما في الغار

وقال ابن هتيمل :

حملته مرة روحه متحصناً في الحصن لا متخفياً في الغار

ويقول أبو تمام :

وكانما ابتدرا لكيما يطويا عن باطن خبراً من الأخبار

وقال ابن هتيمل :

عانٍ طمست قيامه وقعوده فتركته خبراً من الأخبار

وهذه المقارنة تدلنا ان ابن هتيمل احتفل لهذه المعارضة وإنما استطاع ان يعكس السخرية ورنة التشفي وبسمة الاستهزاء الذي استدعى المقام أبا تمام ان يوشي بها قصيدته التي قيلت في قتل ذلك الأعجمي الدَّخيل استطاع ابن

هتيمل إحالتها إلى حالة إشفاق ورثاء واعتذار واستعفاء وإشادة بعفو الملك عن قتل تلك الشخصية العربية الكريمة .

وقد أشار ابن هتيمل إلى هذا العفو الكريم في قصيدة أخرى منها مما يدلنا انه كان لذلك العفو وقع كريم أو استحسان جليل فأخذ الشاعر يردده في غير مناسبة :

وانلت (ابراهيم) عفواً ما جرى من كان قبلك في أسير عاني
وصفحت عنه وقد أساء ولم تزل تهب الإساءة للمسيء الجاني

وهنا يستدعينا السياق إلى أن نقرأ الواقع من قصيدة الامام (ابراهيم بن تاج الدين) نفسه فانها قصيدة كما أسلفنا من عيون الشعر العربي قالها استعادة للتجربة القاسية التي مرت به في المعركةالفاصلة التي تقرر عليها مصيرحركته، معبراً عن تلك التجربة اللاشعورية مسجلاً اعترافه بالجميل الذي أسداه إلى شخصه بالأمس .

ان ابراهيم بن تاج الدين معمركزه كامام ديني تشهد له قصيدته بانه شاعر مطبوع يتسم شعره بالواقعية وجمال التعبير وعذوبة الموسيقى التي تبعث نشوة رفيعة وإحساساً غامضاً بالجمال الروحي والايمان القوي الذي يدفع بمعتقده الى التضحية فيسبيل ما يراه الأفضل والأقرب للمثوبة فان عاقه عائق سلم للقضاء المحتوم محتسباً الأجر في عمله مقدراً ومعترفاً لغالبه بما أسداه من جميل الصفح وجليل العفو مع الإباء والشمم بلا خضوع ولا تذلل مشين ولا تملق رخيص ، ومع كل ذلك يصور لنا المعركة تصويراً يجمع بين الحقيقة والخيال الشعري المجنح .

وعلى كل حال فان القصيدتين قصيدة الامام ابراهيم وقصيدة ابن هتيمل هما نموذجان للأدب الاستقراطي والجماهيري في القرن السابع في جنوب الجزيرة العربية وها نحن نورد قصيدة الأول ونتبعها بقصيدة ابن هتيمل ، التي هي في غنى عن كل اطراء أو تنويه وحسبها انها لا تقل جودة وأصالة عن قصيدة أبي تمام التي عارضها بها .

قصيدة الامام (ابراهيم) :

نوائب الدهر في أفعالها العجب ... والحرب لفظ ومعنى لفظها الحرب
والدهر ان سرّ يوماً في تصرفه ... فعن قريب إذا مـا سرّ ينقلب
وقد رمتني صروف الدهر عن كثب ... باسهم راميات عادها العطب
فلم تجدني جباناً حين تطرقني ... ولا جزوعاً لدى البأساء انتحب
بل صادفتني قوى القلب ان طحنت ... رحا العجاج ، فاني للرحا قطب

* * *

ورب يوم يغيب الشمس قسطله ... فيظلم الأفق حتى تنتضي القضب
كيوم حدة [1] والابطال عابسة ... من الهزاهز ، و(الشعبي [2]) مضطرب
صبرت فيه على البأساء محتسباً ... لله ، إذ كان مثلي فيه يحتسب

* * *

ويوم (أفق) وقد جاء (المظفر) في ... عساكر حشوها الأتراك والعرب
فلم اخم عن لقاء الأسد إذ نزلوا ... ولا هربت مع الأبطال إذ هربوا
بل جلت فيهم على الآساد منتضيا ... عزماً ، كعزم هزبر الغاب إذ يثبُ
وتحت سرجي وقاح حين أحضرها ... تخالها كوكباً في الجو ينقضب
فما أطاقوا لقائي إذ دنوت لهم ... بعاسل كرشاء البئر يضطرب
حتى إذا صرت مشغولاً بجمعهم ... وكان من خلف ظهري عسكر لجب
وكان قد خان بعض الأهل موقعه ... وغره فضة السلطان والذهب
نالوا بايديهم رمحي على غرر ... فأمسكوه وسيفي بعده جذبوا
ولم أجد عنهم منأى ومتسعاً ... فاصرف (الطرف) عنهم ثم انقلبُ
لكنهم رصدوا في كل ناحيةٍ ... وحين حان اشتغالي عنهم وثبوا
فان غلبت فما هذا بمُبْتَدَعٍ ... فكم بهاليل غلابون قد غلبوا

* * *

وبعد ذلك جاؤا بي إلى ملك ... له المفاخـــر والعلياء والحسب
أبي الهزبر نقي العرض من دنس ... والباذل المال لا زور ولا كذب

---

(١) حدة بلدة قريبة من صنعا .

(٢) « الشعبي » أحد قواد الملك المظفر وعامله على مدينة صنعاء .

فكان منه من الاحسان ما شهدت بفضله منه عَجْم الناس والعرب

* * *

فمن يبلغ عنى كل من سكنت قلبي محبته أو بيننا نسب
اني على خفض عيش في منازله لا يسكن الضيم في قلبي ولا النصب
فليشكروه فاني الآن شاكره سراً وجهراً وهذا دون ما يجب

* * *

وقال من قصيدة ثانية :

خطب ألمّ فانساني الخطوب معاً وصير القلب في أحشائه قطعا

ومنها :

حتى إذا جاء من خلفي ومن قبلي عساكر حملوا الأنصاف والقطعا
وكنت في موضع مستعصب حرج لم الق فيه لركض (الطرف) متسعا
وأمسكوا السيف من خلفي مغادرة والرمح قد أمسكوه والجواد معا
ثم انتهيت إلى سوح به ملك يحل بيتا من العلياء مرتفعا
فجاد بالعفو والاحسان شيمته ولم يزل للعلا والجود مصطنعا

وقال شاعر المخلاف السليماني القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي يمدح الملك المظفر مسجلاً تلك المعركة وأسر الامام وعفو الملك عنه :

بوأت دين الله دار قـــرار وأحـــل حزب البغي دار بوار
ووضعت أوزار الذنوب بوقعة ما حربهـا موضوعة الأوزار
مشبوبة الطرفـــين يردى الجحـ فل ، الجرار نحو الجحفل الجرار
شعاً فما حس الفوارس جمرها إلا رمت شرراً على الاشرار
أضرمت جاحمهـــا كأن كماتها حطب الوقود ، ونارها كالنار
هي كالفجار الصعب أو كحنين أو كالشعب أو كبعاث أو ذي قار
زاوجت بين المركبين لراحة لك في سروج الخيل والأكوار
وسريت في غسق الدجنة طاوياً بعد المشقة ، كالخيال الساري
عجلاً إلى الحرب العوان فجئتها ركضاً ، على قدر من الأقدار

لاقى بنو الهادي وحمزة ضعف ما ... لاقت سُلَيم بجانب الثرثار
أنسيتهم ما سن عمك [1] فيهم ... بالأمس في «عصر» بيوم «ذمار»
طلبوا (ذمار) فردّ سعدك ذالها ... دالا ، فأي هزيمة ودمار
حفوا بسيدهم فلما أيقنوا ... بالموت ، طاروا عنه أي مطار
صبوا السياط على قوارح خيلهم ... هرباً عن المهرات والأمهار
فكأنهم شهب البزاة تبللت ... بالغيث ، فانقضت إلى الأوكار
نكصوا عن الاقبال عن ملمومة ... شمسية عمرية علوية ... جفنية الايراد والاصدار
فنجوا ، و (ابراهيم) يأمر نفسه ... بالكرّ لا بالفرّ ، خوف العار
حتى إذا حمي الوطيس وأحضرت ... عنه السوابق ، أيما احضار
حملته (مرة) روحه متحصناً ... في الحصن لا متخفياً في الغار

* * *

لم يلق من يلوي عليه ولم يجد ... أحدا يقاتل من وراء جدار
وإذا الصفاح البيض لم يمنع بها ... لم يمتنع بصحائف الأحجار
فأسرته مستبسلاً وحفظته ... شرفاً بافضل حوطة وجوار
أحييته بالعفو ثم لقيته ... بسكينة وبشاشة ووقار
لو ان غيرك يا مظفر صاده ... لكساه ثوبي ذلة وصغار
عان طمست قيامه وقعوده ... فتركته خبراً من الأخبار
أغراه بالنقض الغواة فأهلكوا ... وثمود كان هلاكهم بقدار
يا فرحة البلد الحرام ويا ضيا ... أرض العراق وفرحة الأمصار
جاءتهم البشرى فكان سرورهم ... يقضي على باد هناك وقار
وكأن من فض الصحيفة فيهم ... بالامس فض لطيمة العطار

ونكتفي من هذه القصيدة الرائعة بهذا المقدار .

جازان — **محمد أحمد العقيلي**

---

(١) راجع تفاصيل وقعة « عصر » بين بدر الدين الرسولي (عم الملك المظفر في سنة ٦٢٠) وبين عز الدين الحمزي راجع ذلك في كتابنا « ديوان ابن هنجل » ص ١١٩ .

صرخة الغد

[قصيدة للشاعر سعد البواردي]

يَا صَرْخَةَ الغَدِ
أهذه يَدي ؟!!
قد كُبِّلتْ بقيْدِها ؟!!
أهذه يديْ ؟!!!
أهذه الجراح ؟!!!
أغرقَتْ بِدمِها ..
صَبَابَتِيْ .. وكبِدِيْ ؟!!
أهذه الرياحُ لوَّحتْ
وطوَّحَتْ بخَيْمَتِي .. ومَرْقَدي ؟!!
ألا ارْعُدِيْ ..
يا صَرخة الغَدِ
يا صَرخة الأحرارِ فيْ رُبُوعِ الموْعِد
يا نقمةً ..
يا نقمةً من والدي .. وَوَلدِي !!
« صَهيونُ » !!!
لنْ يَغْفُو لَهُ جَفْنٌ .
على زوايا بَلَدي ..

لن يَغْفِرَ التاريخُ أن يَئِنَّ بالهوانِ مسجدي[1] !!
لن يَغْفِرَ التاريخُ أن يَسُومَ الحاقدونَ بَلَدِيْ .

●

يا صرْخةَ الغَدِ !!
الجرحُ نزَّ بالدِّماءْ !!
وأجهشتْ منه السماء !!
النازِحونَ في العَراءْ !!
على طَريق الموتْ ..
يَعْبُرونَ الدَّرْبْ ..
يَسْتَصْرِخونَ « العُربْ » ..
يُعَفِّرونَ بالأسى وجوهَهمْ ..
جباهَهم ..
وبالتُّرابْ !!
وبالخرابْ !!
كأنهم لم يُولدوا إلاّ لمأساةِ الضّياعْ !!
كأنهم يا صرخةَ الغَدِ
أشْباحُ ذُعْرٍ ، هزَّهَا الخَريفُ .. والشِّتاءْ ..
فلم تعُد تَقْوَى .
حتى على البكاءْ ..

●

(١) المسجد الأقصى .

يا صَرخةَ الغَدِ !!
الحاقدون وَسْطَ داري !!
ضمَّهم فِنَاءْ !!
يُعَرْبدونَ مِلْءَ داري !!
في هَناءْ ..
كأنَّهم وَصيَّةٌ من الأزَلْ
كأنما هم أوْصِياءْ
يُعَربدونْ
نغمةُ الجِراح مِنْ فميْ !!
تَهُزُّهُمْ .. فيرقُصُونْ !!
مزمارُ مأساتي لهم خير اللُّحونْ !!
يا صَرخة الغَدِ !!
على نجِيع الموتِ زَمْجَرَ الضَّبابْ !!
وأمْطرَ السحابْ !!
وشُقَّتِ الأرضُ لُحوداً .. وحِرابْ !!
تساقَطَتْ ..
تساقَطَتْ أوراقُ ذيَّاكَ الربيْعْ !!
ولم يَعُد إلا اهتزازاتُ الصَّقيعْ !!
تكمِّمُ الشِّفاهْ ..
تشوِّهُ الحياهْ .
تهُدُّ بالأحقادِ محرابَ « الصَّلاهْ »
الليلُ .. والنهارْ

لا شيءْ ..
إلا ما أراده الطُّغاةْ
حِكايتيْ .. هل مُزِّقتْ ؟!
هل حُوِّلت إلى خُرافهْ ؟!
وغضبتي .. هل لم تَعُد تقوى
على دَفعِ السَّخافهْ ؟!
أنا .. وهذا العالمُ الكبير !!
وظِلُّنا .. هل لم يَعُد يَقوى على امْتِدادْ ..
وخطوُنا .. على جِهادْ ..
وزحفُنا .. على امتِدادْ ..
يقينُنا .. على نذيرٍ صاعقِ القيادْ ..
أنا .. وهذا العالمُ الكبيرْ !!
والجراحْ !!
أينَ أنا .. في غضبةِ الرِّياحْ ؟!
في دَفقَةِ الفِداء ..؟
في خفقَةِ النِّداءْ ..؟
أرواحُ أهليْ لم تزلْ تهزُّني رَغمَ الرَّدَى !!
أرواحهُم .. تشدُّنيْ إلى غدِي ..
لأفتدِي غدًا !!

●

يا صرخة الغَدِ
ألا ارعُديْ ..
فما أنا أسطورةٌ .. ولا حكايةْ ..
يقصُّها الصغارُ ! للصغار !
وما أنا بدايةُ النهايةْ
يزفُّها !! المساءُ للنهارْ ..

لكنّني بدايةُ البدايةْ !!
يا أيُّها الأقدارْ ..
بدايةُ تشُقُّ دَرْبها بالنارْ !!
بدايةُ الأحرار !!
لن تُغمِض الجُفونُ عُمْرَها
لن يَستكينَ الثأرْ ..
لي « قصةٌ » أخطُّها بريشةٍ من دَمْ
حروفها شجيّةٌ .. من كل فمْ .
« العَوْدَةُ » المثلى لها إطار ..
وهكذا ..
يا صرخَةَ الغَدِ
لي موعد مع الحياهْ
وقد نسَجْتُ بُردَ قوّتي ..
وعِزَّتي
وقد رفعْتُ رايَتيْ بقَبْضَتي ..
أهزُّها كارِدٍ جَبَّارْ !!
يدفعه إعصارْ !!
نحْوَ رُبوع الدارْ !..
في وَجْهِ كلِّ عارْ
يا أمتي !!

سعد البواردي

الصِّمَّةُ القُشَيْرِيُّ الشَّاعِرُ
طَرَفٌ مِن أخبارِ قبيلتِهِ، وَشِعْرُهُ

قبيلة الشاعر :

بنو قشير قبيلة من هوازن ثم من عامر بن صعصعة هم بنو قشير بن كعب ابن ربيعة ، وقد فصل الهجري فصائل هـذه العشيرة تفصيلاً لا نجده عند غيره ، فذكر ان بني قشير بن كعب هم سلمة الخير ، وفيه الشرف والعدد ، وأمه بنت الوحيد بن كلاب بن عامر بن صعصعة .

وسلمة الشر ومعاوية وأمهما قسرية من قسر بجيلة .

ثم ذكر ان لسلمة الخير من الأبناء عبد الله وقرط وعامر ومالك .

وعدّ من أفخاذهم قرة بن عامر بن سلمة الخير ، وبنو مالك بن سلمة الخير من فصائلهم : سُعَير واحدهم سُعَيري ، وحزن وعام ومعاوية والحر وصقر وضمرة ومغرا وعدر ، وذكر من قبائل عبدالله بن سلمة قراس وفراس — بالفاء والقاف قبيلتان — وهؤلاء أهل الجباحي ، عرض في جنوبي الفلج واهل صدّاء عرض من أعراضهم أيضاً ، ومُرارة وسوادة وبَحِير — مفتوح الباء والحاء مكسورة — وهُرَير .

وذكر من فصائل سلمة الخير : الوقّاد وسُمير وزُفَر وقيس وهؤلاء بنو سلمة يعرفون بامهم أم دهر .

وعدّ من فصائل معاوية بن قشير : عَبيدَة — بفتح العين — وخُرَيمة ومُرَيح وسامة وحَيْدة والحجاج وعمرو ، وقال : هؤلاء كلهم أهل الريب وهم بنو معاوية وذكر ان عبيدة هذا هو أحد بني عطارد بن معاوية ، وعد من شعرائهم المختار بن وهب العبيدي .

وذكر ان من بني عمرو هؤلاء آل يزيد .

وعدّ من بني معاوية بني دَيْسَق .

وذكر من فصائل الأعور بن قشير : مُشَنَّج وبَيْهَس وعاصم وحصين .

وعدّ من قبائل سلمة الأشر وهم لُبَيْنى: أوس ، رهط الشاعر مُرَيزيق الغواني ، ومن شعرائهم مُنقذ بن عُكَيم صاحب عوجاء ، وقيس وحُبَيْب ـ الحاء مضمومة ـ وأوس .

وذكر أن بني صُهَيْب ـ وهم من أهل الافلاج ـ ليسوا من قُشَير صليبة ، ولكن ولاءً .

هذا مجمل ما ذكره الهجري عن فروع قبيلة قُشَير ، والهجري من أهل القرن الرابع ، أما كتب الأنساب الأخرى ، فانها لا تمدنا بتفصيلات عن هذه القبيلة أكثر من هذا مع تأخرها عن زمن الهجريّ ، ذلك انها تكاد تكون كلها تستقي من معين واحد هو مؤلفات ابن الكلبي الذي عاش قبل الهجري بقرن ونصف من الزمن ولا نجد من المؤلفات في الأنساب، ما يسلسل لنا فصائل هذه العشيرة إلى عهدنا الحاضر ، وذلك ان التأليف في الانساب وخاصة ما وصل الينا ، وان امتد إلى عهدنا ، إلا أنه بالنسبة لعرب الجزيرة انقطع منذ القرن الرابع .

وقد هاجرت كثير من القبائل العربية في صدر الاسلام وبعده إلى العراق والشام ومصر ، وممن هاجر قسم كبير من بني قشير ، نجد طرفاً من اخبارهم في القرن الأول الهجري ، في خبر حروب كلب ، وقيس ، وفي القرن الرابع الهجري في أخبار حروب سيف الدولة الحمداني لاطراف الشام .

ونجد أن أحدهم وبدعى جعبر بن مالك ، وكان أعمى ، استولى على قلعة على الفرات ، كانت قديماً تسمى دوسر ، فعرفت فيما بعد بقلعة جعبر ، وانه في سنة ٤٩٩ استولى عليها السلطان جلال الدين ملك شاه بن ارسلان ، فنفى عنها بني قشير على ما ذكر ياقوت .

ومن المعروف أن القبائل العربية عند هجرتها لا تغادر بلادها الأصلية مرة واحدة، ولكن يبقى لها بقية وخاصة حينما ندرك أن من أقوى بواعث الهجرات ما يصيب البلاد من قحط ، ولا شك أن بني قشير بقيت لهم بقية في بلادهم امتزجت مع القبائل الأخرى التي تجاورهم أو حلت ديارهم وهي أقوى منهم .

ومن أمثلة ذلك ، قبيلة عبيدة – بفتح العين – التي مر بنا ذكرها من أفخاذ قشير ، وانها تسكن بلاد الريب . ان هذا الاسم لا يزال يطلق على قسم كبير من سكان الرَّيْب المعروف الآن باسم الرين – بالنون – تحريفاً . إلا أنه أصبح معدوداً في قحطان ، ذلك أن قبيلة قحطان ، اكتسحت بلاد نجد . قادمة من اليمن ومن أطراف أوديته الجنوبية ، التي تفيض في نجد ، ولهذا انضوى كثير من القبائل العدنانية الضعيفة القليلة العدد تحت سيطرة تلك القبيلة القوية .

بلاد بني قشير :

تقع بلاد بني قشير في وسط بلاد بني كعب بن عامر ، مختلطة مع منازل هذه القبيلة ، التي من أشهر فروعها ، بنو عُقيل بن كعب، وبنو جعدة ، وبنو قشير ، فبلاد بني عقيل تقع في الجنوب وفي الغرب ممتدة على ضفاف أودية بِيشة ورَنية إلى وادي الدواسر الذي كان يعرف قديماً بعقيق بني عُقيل ، وتخالطهم قشير في أطراف الوادي، ومنازل بني جعدة في الافلاج مخالطة لبني قشير ، وتمتد منازل قشير شمالاً من الافلاج على أطراف جبل العارض ، الواقعة بين الافلاج وبين وادي بِرْك ، أما من الناحية الغربية . فانها تمتد من سفوح جبل العارض (طويق) غرباً من الأودية التي تنحدر من جبال العرض (عرض شمام) المعروف الآن ، وتنتشر هذه القبيلة في وادي الرين (الريب قديماً) ، وفي السهل الواقع بين العارض والعرض ، في المروّت من الناحية الشمالية إلى رمل الدَّبيل المعروف الآن باسم (نفود الدحي) من الناحية الجنوبية ويجاور القبيلة في المرّوت : بنو حِمّان من تميم. كما يجاورهم في الجنوب الغربي من بلادهم : بنو عمومتهم عجلان وعقيل في جبال الحصاة (المعروفة

قديماً باسم عماية) . ومن أشهر مياههم حايل : وحايل هذه في طرف المروت الجنوبي غرب نفود تبراك وليست حايل المدينة الواقعة في شمال نجد المعروفة الآن ، ومن مياههم حَلبان ، ولا يزال معروفاً ، ومن أشهر أوديتهم بِرْك والريب والفلج تشاركهم جعدة والحريش فيه ، ومن أوديتهم : الغيل .

ومن أشهر مواضعهم : المرُّوت إلا أن بني حمان من بني سعد من تميم كانت تشاركهم فيه ويروي البكري في «معجم ما استعجم» ان الحصين بن مشمت الحماني وفد على رسول الله ﷺ فبايعة ودفع اليه صدقات ماله فأقطعه الرسول ﷺ مياهاً في المروت منها أُصَهْيب والماعزة وأهوى والثماد والسدَيرة ، وفي ذلك يقول زهير بن عاصم بن حصين :

إنّ بلادي لم تكن أملاسا بهن خط القلمُ الانقاسا
من النبي حين أعطي الناسا فلم يدع لبساً ولا التباسا

وتتصل بلادهم غرباً بسواد باهلة حيث يشاركون هذه القبيلة في جبل يذبل الشهير المعروف الآن باسم صبحا ، ونجد تفصيلات وافية لمنازل هذه القبيلة في كتابي لغدة الاصفهاني والهمداني ، مما سنورده فيما بعد .

واذا أردنا تحديد منازل هذه القبيلة حسب التخطيط الجغرافي الحديث ، فإنه يمكننا القول بان بلادها تقع بين خطي الطول ٤٥ و ٤٦,٣٠ وبين خطي العرض ٢١ و ٢٤ ، ومعلوم ان هذه المساحة من الأرض ، لا تختص بهذه القبيلة ، بل يساكنها قبائل تجتمع معها في النسب من بني عامر بن صعصعة ، وقبائل أخرى تحل مواضع قليلة في نواحي هذه البلاد .

واذا نظرنا إلى بلاد القبيلة ، نجدها تتمتع بجانب كبير من الخصب ، ففيها أنهار في جنوبها ومياه كثيرة ، وفيها أودية في شرقها وغربها خصبة ذات قرى ورعي للماشية ، وفي وسطها سهول ورمال إذا جادها المطر أصبحت من أصلح المراعي وأخصبها .

ان من أوضح ما ورد عن المتقدمين في تحديد بلاد بني قُشَير ، ما جاء في

كتاب « بلاد العرب »[1] وملخصه : (وسوق الفلج ببطحاء وادٍ يُسمّى وادي اكمة ، واسم الوادي كِرْز ، والسوق مدينة عظيمة ، ومنازل بني قشير في ناحية السوق ، على شاطيء الوادي ، نخيل ودور وحيطان ، ويسمى منزلهم الزرنوق ، ولبني قشير أيضاً قرية على فرسخ من الزرنوق يقال لهـــا قَـرْن ، فيها نخيل ودور ومزارع ، وفي ناحية قَـرْن سَيْح اسحاق ، الذي اقتتلت فيه جعدة وقشير ، لأنه كان لقشير ، لاسحاق بن فُلان ، فاشترته جعدة ، فمنعتها قشير ، فوقعت بينهم فيه حرب ، وكانت جعدة اشترتـــه بثلاث مئة ألف درهم وهو نَهْرٌ مخرجه من قناة ، وهو بطيحة واسعة ، وعليه من النخل ما لها يدري مبلغه . والقاع أيضاً قرية لبني قشير حذاء قرن .

والشطبتان واديان فيهما نخيل ، وهما للحريش وقشَير .. واكمة قرية بها سوقٌ ومنبر لجعدة إلا قليلا من أعلاها لبني قُشير . وكرز ساقيتها ، واكمة بين جبال . والغيل في أعلاه لبني قشير أموال كثيرة .

وفي العارض ثنايا منها ثنيّة الهدّار ، وثنية اكمة ، وثنية نساح ، وثنيّة الأحيسي ، وبهذه الثنايا مياه لقُشير .

ومياههم بالدَّبيل شِباكٌ كثيرة ، منهـــا الجاذبة والخضرة والصحبية ، والصبيغاء ، والعشيرة ، والرابغة ، والجناديات ، أمواه متقاربة ، والسلمية ، فهذه مياه الدَّبيل – والدَّبيل رملة بمقابلة العارض. ولهم بين الدبيل والعارض ماء يقال له اوّان ولهم المُرَير والرَّجْلاء والثادقة ، ولهم مياه كثيرة لا تُحْصى ، ولبني قُشيرٍ وغيرهم من الجبال عمايتان ، احداهمـــا للحريش ، والأخرى لهم ولنهم من بني عبد الله بن كعب . ويذبل لبني قشير ، والينكير لبني قشير . والريم واد لبني معاوية بن قشير . وقساس قريب من الينكير ، وهو جبل طويل ، وجبل يقال له يِجاد في ناحية العَمْق لبني قشير .

وصعق ماء لبني سلمة بن قشير ، والحاجِر لهم أيضاً ، ولبني قُشير النُّقْر وهي في رملة معترضة دون جُرَاد ، وهي شبه الوهدة ، يحيط بها كثيب ،

---

(١) نشرته « دار اليمامة » بتحقيق صاحب العرب .

وفيها نخيل ومياه منهـــا الحاجر ، وواسط ، وبين النقر وقرقرى مسيرة ليلتين ، وبين قَرْقَرَى وحَجر ليلة ، والذي يخرج على سعاية خلطاء كعب أول ماء ينزله بعد قَرْقَرَى الحاجر وواسط ، وتلك النُّقَر مقترنة بعضها ببعض ، ولهم الشبيكة من معادن اليمامة بين الحفيرة والعوسجة ، ولهم ماءة تسمى الأبترة عذبة ، عليها بنو اللُّبَين بينها وبين النقر ثلاث ليال ، ولهم شعَبْعب ، وهي بحايل ماءة من وراء النقر بيوم ، تهبط من النقر حائلاً وإذا جاوز الحاج حايلاً والمروت مقبلين صاروا في قرى اليمامة قال الراجز :

اذا قطعنا حائلاً والمَرُّوت فأبعد الله السَّويقَ الملتوت

وحايل بين رملتين جراد والأطهار .

وقد أوضح الهمداني في « صفة جزيرة العرب » حصون قشير في«الأفلاج» فقال [1] : الفلج بلد أربابه جعدة وقشير والحريش بنو كعب ، . وأما قشير فهي بالمذارع ، وبه الحصون والنخل والزرع ، والسيح تحت النخل ، والآبار أيضاً . فأول حصون بني قشير بالمذارع حصن العقيدة من بني فراس وأهله جفنة الفلج كرماء وجوه ، وحصن الفراسيين من بني فراس ، وحصن بني نبيت من بني قرَّة ، بصدّاء من المذارع ، وحصن العادية بالصافية ، لبني سوادة من قشير ، وهم طوالع الأحساب ، وحصن آل شبل بالصافية أيضاً لبني هريم ، وحصن بني النجوى ، من بني هريم ، وحصن أم الجحّاف بن العنبر ، هريمي ، وحصن آل ضرار ، من بني هريم ، وحصون بني ثور ، وحصن بني صهيب بأكمة ، وحصن بني قُرْط من قشير — وذكر الهمداني : حصن الأحابشة مـــن قشير ، والهيصمية لبني صهيب من بني قشير . وقال عنها : مدينة حصينة يركض على جدرها أربع مـــن الخيل ، وجهد العالي بالسهم أن يبلغ رأسها .

وقال الهمداني أيضاً[2] : الرَّيب واد رغاب ضخم، فيه بطون من قشير،

---

(١) ص ١٥٩ — وقد أصلحنا كلمات مصحفة في الكتاب .

(٢) : « صفة جزيرة العرب » ص ١٤٨ .

مريح بالكديد ، وهو أسفل وادي الريب ، وفي وسطه بنو حيدة ، وفي أعلاه العبيدات ، وطرف من بني قرّة ، وفي أعلاه واد يقال له عنان . والعذيب نخل وقرية ، وبينه وبين سواد باهلة ماء يقال له الغابة ، فيه نخل .

وقال الهمداني أيضاً في « صفة الجزيرة »[1] حايل هذه بقوله : (وعن يمين سواد باهلة : بطن حايل ، وهو بلدٌ مثل يَدِ المُصافح ، يُرَى فيه الراكب من مسافة نصف نهار ، في وسط رميلة يقال لها رُميلة الأطهار ، وفي أعلاه سوقتين ، ويحفّه رمل جراد ، وحدّه بين المرّوت وبين جراد ، وهو أسفل رمل الشعافيق ، وفيه نُخَيل ونخلة - ماء ان لبني تميم - وفيه ماء يقال له السحامة ، وبطرفه ماء يقال له الحفيرة ، حيث انصرم جراد ، ثم تنشأ رملة الحوامض ، تل منقطع الرمل ، ميلاً أو أكثر، فبرملة الحامضة ماء ، هو الحامضة ، ملح ، يسلح الإبل ، ثم واسط ، ثم الحاجر - غير حاجر الحجة - وفيه ماء عذب ، وبه المِلْح ، وملح الحاجر قرارة بين أكثبة ، في وسط القرارة ، والقرارة سَبِخَةٌ ، ومِلْحٌ نحيتٌ أبيض وأحمر ، وفي وسط ذلك غديرٌ طوال قرارة الملح ، ينسل منه زبَدٌ أبيض خفيف ، وهو أعذب الملح ، فيجفّفُ فيصير ملحاً ، وبين أطراف هذه السبخة ومساقط الأكثبة نخل .

ثم أسفل من ذلك في حايل : سيح ابن مريع ، وهو سَيْحٌ كان غزيراً ثم انقطع بضعف أهله ؛ وبطن مُنيم ، وفيه مياه أملاح ، منها الجَدْعاء ، عند منجدع الرمل ، مقابلة لقف الوحى ، وفي بطن مُنيم مياه أملاح كثيرة ، منها : صوقَع ، والضُّبَيْبُ ، وقُنَيٌّ ، والهَوَّةُ ، وهي مياه مأجٌ ، لا مِلْحَ ولا عَذْبة ، وهي مقابلة لقُفٍّ ماذق ، وقُفٌّ ماذق معترض بين الثنايا ، ثنايا الأودية ، حُنَيْظِلة ، ونَعام ، وبرْك ، وبين بطن حايل ، والعارض - وهو قُفَيفٌ ضعيف سَهْب الأعالي .

---

(١) ص ١٤٨ .

قشير من الناحية الاجتماعية :

يظهر للباحث عند استقراء بعض الحوادث الموجزة التي أوردهـــا بعض المؤرخين المتقدمين، ان بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وقشير احدى قبائل كعب ، وان كانت تجمعهم بلاد واحدة إلا انه كثيراً ما حدث بينهم فتن من جراء التنازع على بعض المواقع ، وهـــذه الفتن سببت ضعف القبيلة وأوجدت خلافات بين فروعها بحيث خالطها قبائل أخرى زاحمتها في بلادها وساكنتها ، وفي آخر الأمر طغت عليهـــا وتغلبت ثم قذفت جنوبي الجزيرة بموجات قويـــة من هجرات القبائل التي انتشرت في بلاد بني كعب في وقت كانت هذه القبيلة قد اخلدت إلى التحضر وساعدها في ذلك خصوبة أرضهـا والقوة غالباً ما تكون من صفات البداوة وخاصة في جزيرة العرب ، وهـذا مع انتقال قسم كبير من عقيل وقشير وجعدة وبلعجلان من قبائل كعب إلى خارج الجزيرة ، هـــذا من الأسباب التي ازالت كيان قبائل كعب داخل الجزيرة ، وبقيت بطون منها ضعيفة قليلة محالفة للقبائل التي تنتمي إلى الجذم القحطاني ، فالدواسر ، وقحطان الحديثة وغيرهما ، ولهذا فمن الصعب على الباحثين فصل الأفخاذ الباقية من قبيلة كعب بمـــا فيها قشير من هذه القبائل الحديثة ، وان كنا نجد بعض هذه الأفخاذ لا يزال محتفظاً باسمـه ومقيماً في بلاده، وان كان معدوداً من حيث النسب في قبائل قحطان الذين منهم أغلب فروع قبيلة الدواسر التي أصبحت تسيطر الآن على القسم الجنوبي من بلاد قبيلة كعب ، وفي قحطان التي حلت في عهـــد قريب لا يتجاوز القرنين حلت في غرب بلاد قشير .

الناحية الثقافية :

نعني بهذه الناحية ما أثر عن القبيلة من أدب منثور أو منظوم ، إذ ليس من المستطاع تجاوز هذه الناحية لخفاء معالم ما عداها .

وعلماء الأدب وان عنوا في أول الأمر بدراسة أحوال القبائل الأدبيـــة عناية نرى آثارها فيما جمعه أمثال ابن حبيب والسكري وغيرهما من شعر

القبائل كل قبيلة على حدة كشعر هُذيل مثلاً ، إلا أننا لا نجد فيما بين أيدينا الآن شيئاً خاصاً عن قبيلة قشير .

ولعل أوفى مجموعة من ذلك ما دونه لنا عالم الجزيرة في القرن الرابع الهجري أبو علي هارون بن زكريا الهجري ، فقد جمع لنا هذا العالم طائفة كبيرة ، نجد جلها في كتابه « التعليقات والنوادر » في القطعة الباقية من هذا الكتاب المحفوظة في دار الكتب المصرية ، وليس المجال مجال توسع في دراسة ما دونه هذا العالم، فموضوعنا ينحصر في الحديث عن الشاعر الصمة بن عبدالله أحد شعراء هذه القبيلة .

لقد اعتمد الهجري فيما دونه من شعر قشير ونثرها على علماء من نفس القبيلة من باديتها ، فنقل الكثير من ذلك عن أبي الميمون القشيري ، ونقل عن زيد بن فائد بن غالب بن بشير بن عُطَيّ من عَبيدة قُشير ، وأورد فصلاً خاصاً عَنْوَنَهُ بـ (نوادر مكرمة بنت الكريد الفراسية، أم سليمان ، من عبد الله بن سلمة بن قشير) .

ونجد فيما نقل من ذلك طائفة كبيرة من أسماء الشعراء الذين أورد لهم مقطوعات جيدة من الشعر مصرحاً باسمائهم مما نكتفي الآن بسرد تلك الأسماء مضيفين إليها أسماء قليلة ذكرها غيره .

من شعراء قشير :

الأبرقُ الحرّي ، من بني مالك بن سلمة . ذكره الهجري .

الأعنق ابن الباهليّة الحبيبي اللبيني : ذكره الهجري .

الأقرع بن معاذ القشيري ، الشاعر – على ما ذكر ابن الكلبي .

بشير بن عطي العبيدي ، أحد بني ديسق ، من معاوية ، صاحب أم وهب ، أورد الهجري بعض شعره .

بطّال بن معاوية من بني مالك بن سلمة : ذكره الهجري .

بهيج بن سرور بن عُطيّ – ذكره الهجري .

ابن جحفل اللبيني . ذكره الهجري .

جعفر بن الربيع ، من عبيدة . ذكره الهجري .

جفنة بن قرّة بن هبيرة ، فارس القلادة — اسم فدسه — وكان شاعراً ، على ما ذكر ابن الكلبي .

حباب بن بكير القري . ذكره الهجري .

حبيب بن يزيد من معاوية بن قشير أورد الهجري طائفة من شعره .

الحسين بن جابر المريحي ، أورد له الهجري شعراً كثيراً .

خليفة بن عاصم من معاوية بن مالك . ذكره الهجري .

سلمة بن رماح الأسدي اللبيني — ذكره الهجري .

سوّار بن أوفى بن سيرة ويعرَف بابن الحيا ، وهي أمه شاعر حدثت بينه وبين النابغة الجعدي الشاعر مهاجاة ، فهجاه النابغة بقصيدته التي يقال لها الفاضحة ، لأنه ذكر فيها مساوىء قشير وعقيل ، ما كانوا يسبون به ، وفخر بمآثر قومه ، من جعدة : وبما كان لسائر بطون عامر ، سوى هذين الحيّين ، قشير وعقيل ، وقد دخلت الشاعرة ليلى الأخيلية العقيلية بين الشاعرين مدافعة عن قومها ، فهجاها النابغة ، وقد أوضح صاحب «الأغاني» خبر هذه المهاجاة [1] .

وقد ذكر هذا الشاعر ابن الكلبي في « الجمهرة » وغيره .

شداد بن جفنة — ذكر ابن الكلبي أنه كان شاعراً .

الصمة بن عبدالله القشيري — صاحب طيّا — ذكره الهجري وغيره — وهو الذي نتحدث عنه .

عايذ بن نُميّ من معاوية بن قشير ، ذكره الهجري .

عبد الله بن طفيل ، ابو الصمة ، ذكره الهجري ، واورد له من الشعر قوله حين فارقه ابنه :

---

(١) : « الأغاني » — ٤ / ١٣٢ —

ألا مَنْ لقَلْب قد أُصيبَتْ مقاتله به غُلة عاديّة مـــا تزَايـــلهْ
وعينٍ رماهـــا الله بالشوق كلما رأتْ حيث يلقى مَضْرمَ الحبل حايله

ابن العفيّ اللبَيْني – ذكره الهجري .
عمارة المعزاوي من مالك بن سلمة – ذكره الهجري .
عوسجة بن نصير المريحي . شاعر – ذكره الهجري .
عيسى بن عمير اللبيني – ذكره الهجري .
الفارعة بنت معاوية بن قشير – اورد الهجري من شعرها .
القرطي ، من مالك بن قشير (الهجري – ه ٢٠٤)
قرة بن هُبيرة ، وفد على رسول الله ﷺ فأكرمه واستعمله على صدقات قومه ومن شعره :

حباها رسول الله اذ نَزَلت بـــه وأمكنها من نائـــل غير منفدِ
فأضحت بروض الخضر وهي حثيثة وقد أنجحَت حاجاتهـا من محمد

القشيري ، صاحب سُعْدى : ذكره الهجري ، واورد من شعره
قطن بن حَزنٍ – الشاعر – ذكره ابن الكلبي
محرز بن قرَّة من معاوية من أهل الرّيب – ذكره الهجري .
محمد بن حكيم : ذكره الهجري .
المختار بن وهب من عطارد ثم من عَبيدة ، ذكره الهجري
مدرك بن كلاب القشيري : ذكره البحتريُّ في « الحماسة » واختار له بيتين من الشعر .
مُرَيزيق بن صالح ابو مدرك ، أورد له الهجري شعراً كثيراً .
مريزيق الغواني ، من بني أوس اورد الهجري شيئاً من شعره .
مزيد بن حارث ، من بني مالك ، ذكره الهجري .
المسَلمُ بن عسكر اللبيني من بني حُبَيْب : ذكره الهجري .
مصعب بن طفيل القشيري – أورد ياقوت من شعره :

ألا حبَّذا يا خير أطلال دمنة بحيث سقى ذات السلام رقيبُها

إذ العين لم تبرح ترى من مكانها منازل قفر ناء عنهـــا حبيبها
بناصفة العمقين ، أو برقة اللوى على النأي والهجران شبَّ شبوبها

مصقع بن حسين المريحي – ذكره الهجري .
معروف بن قدامة القُشيري ، صاحب منيْعة – أورد له الهجري شعراً .
المنتجع اللبيني : من بني الأعور ذكره الهجري .
منقذ بن عطاء الفراسي : ذكره الهجري .
منقذ بن عليم ، صاحب عوجاء ، ذكره الهجري .
المنيْخيس ، أحد بني المشنج اللبيني : ذكره الهجري .
ميَمُون بن عامر – صاحب خيرة – في « التعليقـــات » للهجري له شعر كثير .

ميمون بن عايذ القشيري : ذكره الهجري .
نوارُ بن الثغّاء اللبيني، أورد له الهجري قصائد ومقطوعات .
نهيك بن مالك بن معاوية بن سلمة ذكره ابن الـكلبي وقال : انه كان جواداً شاعراً .
الورد بن علي المريحى ، ذكره الهجري .
ابن الوهل : ذكره الهجري .
يزيد بن الطثرية – من أشهر الشعراء ، وقد تقدمت ترجمته وطائفة من شعره (العرب : م ١ – ص ٨١٦ وما بعدها) .

الشاعر الصمة :

هو ابن عبد الله بن الطفيل بن قره بن هبيرة – أو عبد الله – ابن عامر ابن سلمة الخير . هـــذا نسبه على ما في « الأغاني » ، أما ابن الـكلبي في « الجمهرة » فيجعل بدل الطفيل ، الحارث . والهجري أورد نسبة في موضعين كل موضع يختلف عن الآخر ، ففي احدهما : الصمة بن عبد الله بن طفيل بن زيد بن ثور بن سوادة بن قرة بن سلمة الخير بن قشير وفي الموضع الآخر : طفيل بن قرة بن عبد الله بن سلمة .

وعندما يفرع الهجري فصائل بني سلمة يقول : هؤلاء في عامر ، ثم من عامر في نُبَيْط ونبيط رهط الصمة بن عبد الله ، فكأن عامراً عنده ليس اسم جد ولكنه اسم يطلق على مجموعة عشائر بني سلمة الخير .

وليس لدينا من المصادر ما نستدل به على تحديد زمنه ، إلا أن المؤرخين يتفقون على انه شاعر أموي . ويحدد الاستاذ الزركلي في « الاعلام »[1] سنة وفاته بأنها : (نحو ٩٥ هـ — ٧١٤ م) ، وهذا تحديد تقريبي .

ويصفه صاحب « الاغاني »[2] بانه شاعر اسلامي بدوي مقل من شعراء الدولة الأموية ، وأن جده قرة بن هُبَيرة وفد إلى النبي (ص) ، فأثنى على عقله ، ولقرة هذا ترجمة في كتب الصحابة .

ويصف ابن الكلبي في « جمهرة النسب » الصّمة بأنه كان شريفاً شاعراً ناسكاً عابداً .

والصمة هذا من شعراء نجد ، كما سيأتي تحديد موطنه . أما قول الاستاذ الخير الزركلي بأنه كان يسكن بادية العراق ، فهذا القول جرى على طريقة مؤرخي الأدب الذين جعلوا كل شعراء نجد معدودين من أهل العراق وخاصة في العهد الأموي لكثرة وفودهم على المدن العراقية ، ولكون رواة شعرهم في الغالب من أهل هذه المدن .

أما شاعرنا فلا صلة له ببادية العراق ، بل كان يسكن مواطن قبيلته في قلب نجد ، وسبق تحقيقها حتى جرى له ما جرى ، فانتقل إلى الشام ثم إلى بلاد المشرق ، كما سنوضح فيما بعد .

ولا نجد تفصيلات وافية عن حياة الشاعر الصمة ، وأبرز ما نعرف عنه هو كونه من الشعراء العشاق الذين لم يوفقوا في عشقهم ، مما سبب له الهجرة من

---

(١) ج ٣ ص ٣٠٠ .

(٢) ج ٥ ص ١٢٤ وما بعدها .

أهله وعشيرته مغاضباً لهم ثم قضاء حياته في لوعة وأسى فاض بهما شعره الرقيق الذي يكاد كله ان يكون محصوراً في هذه الناحية .

وقد عده صاحب « الفهرست »[1] من العشاق الذين أُلّف في أخبارهم وسمى هذا التأليف « كتاب الصمة بن عبد الله ورايًا » .

عشقه : يروي المتقدمون أنه هوي ابنة عمه، ويصفه ابن الكلبي بالنسك والعبادة ، وأنه خطب عشيقته ، فاجيب إلى ذلك ، إلا أن عمه اشتط في المهر فطلب منه خمسين ناقة فاستعان بأبيه فدفع المهر ينقص ناقة واحدة قائلاً: ان عمك ما ينظرك في ناقة ، ولكن عمه قال : والله لا أقبلها إلا كلها . فلجّ عمه ، ولجّ أبوه فقال الصمة : والله ما رأيت ألأم منكما ، وأنا ألأم منكما ان أقمت معكما، فرحل إلى الشام فلقي الخليفة فكلمه فأعجب به وفرض له ، وألحقه بالفرسان ، فكان يتشوق إلى نجد . وهذا الخبر منسوب إلى أحمد بن أبي رياش وهو أديب نجدي ، له شرحٌ على « حماسة أبي تمّام »[2] ،وقريب من هذا يروي صاحب « الأغاني » ، إلا انه يأتي بقصة أخرى قد تكون أقرب إلى العقل ، ونجد في شعر الصمة نفسه مـــا يؤيدها وتتلخص في ان محبوبته زوجها أهلها رجلاً آخر أرفع منه مقاماً هو عامر بن بشر بن أبي براء بن مالك بن ملاعب الأسنة بن جعفر بن كلاب ، ومعروف ان بيت أبي براء هو بيت بني كلاب من حيث الشرف والمجد، وان الزواج كان الدافع له الرغبة في قرابة هذا الزوج الذي يصفه صاحب « الأغاني » بأنه كان قصيراً قبيحاً ، ويورد من شعر الصمة في ذلك قوله :

فإن تنكحوهـا عامراً لاطلاعكم
إليـــه يدهدهكم برجليه عامر

ونستبعد ان يكون أبوه قد ضن عليه باكمال المهر ، ذلك اننا نجد أباه قد

---

(١) ص ٣٠٦ الطبعة الأوروبية .

(٢) « خزانة الأدب » للبغدادي ج ١ ص ٤٦٤

تأثر بسبب مغاضبته وهجرته ، فقد أورد له الهجري ، بيتين من الشعر تقدم ذكرهما .

ويروي صاحب « الاغاني » ان الصمة بعد زواج حبيته وجد بهـا وجداً شديداً ، وحزن عليها ، فزوجه أهله امرأة منهم يقال لها جبرة بنت وحشي ابن الطفيل بن قرة بن هبيرة ، فأقام عليها مقاماً يسيراً . ثم رحل إلى الشام غضباً على قومه وترك زوجته ، وقال لها فيما قال :

كلي التمر حتى يصرم النخـل واضفري
خطامك ، ما تدرين ما اليوم من أمسِ !

ولعل في هذا البيت ما يصور لنا ان هذه الزوجة كانت على درجة من السذاجة وعدم الفهم .

ويحسن ونحن نتحدث عن عشقه ان نستقرىء ما لدينا من شعره علناً نعرف شيئاً عن محبوبته .

نجد في هذا الشعر خمسة أسماء تغزل الصمة بكل واحدة منها ونجد اسماً سادساً هو كنية ، وسابعاً هو نسبة ، أمـــا الأسماء فهي : ريّا ونجدها في المقطوعات (١ - ١٣ — ٢٤) وفي أكثر كتب الأدب نصوص على أنهـــا عشيقته وابنة عمه .

ونجد لدى الهجري اسماً آخر هو: طيا، فقد أورد جل ما أورده متضمناً هذا الاسم في المقطوعات (١ — ٨ — ٢٩) ، بل نجد في المقطوعة الثامنة ، انه كرر هذا الاسم بضعة عشر مرة ، ونجد الهجري وقـــد أورد اسم ريّا يعقب عليه بقوله : الصواب طيّا .

والهجري تلقى شعر الصمة وأخباره عن أحد أحفاده ويسميه مضاء بن مضرحي بن الثويب بن الصمة .

والهجري يعرف كثيراً عن هذا الشاعر وعن قبيلته ، وهذا مما يحمل على الاعتقاد بان اسم صاحبة الصمة هو طيّا وان ريّا ما هو إلاّ تحريف ، دفع

إليه شهرة اسم ريا وغرابة اسم طيا، والهجري عندما يذكر الصمة يقول عنه: صاحب طيا .

أما الأسماء الأخرى فهي : سلمى (المقطوعة ١٥) وظمياء في (المقطوعة ١٢) ونرى هذا محرفاً عن طيا .

ونجد اسم ليلى (في المقطوعة ٢٦)، ولا نستبعد ان تكون هذه المقطوعة ليست من شعره .

أما النسبة (العامرية) فنرى أنه نسب ابنة عمه إلى قومه وهم يعرفون ببني عامر كما تقدم .

ولعل اللقب الوارد (في المقطوعة ١٥) في شعره ، يطلق على عشيقته .

موطنه :

الصمة كما قلنا ، يعيش مع قومه بني قشير ، وسبق تحديد بلادهم. ويروي ياقوت في « المعجم » [١] أنه شعبعب ماء للصمة بن عبد الله بحائل من وراء النقر بيوم ، تهبط من النقر حائلاً ، ولكننا نجد الهمداني وهو أقدم من ياقوت يعد شعبعب قرية وهو لا يتنافى مع قول ياقوت ، فقد يطلق اسم الماء على القرية .

وشعبعب هذه قد درست الآن وجهلت، وهي في حايل، وحايل هذه سبق تحديد الهمداني لها، تقع بين المروت من الناحية الشمالية، وسفوح جبال العرض من أسفله ، بحيث تفيض أوديته مشرقة ، ومن الناحية الشرقية نفود تبراك ويعرف قديماً بجبل تبراك كما ورد في شعر الصمة وتبراك منهل لا يزال معروفاً أما من ناحية الجنوب فيحدها رمل الدبيل المعروف الآن باسم نفود الدّحي الذي من مناهله المعروفة الآن قُنَيّ والهُوَة ، وكانا معروفين منذ القدم ، وورد الأول في شعر الصمة .

---

(١) ج ٣ ص ٢٩٦ الطبعة الاوروبية .

وإذا رجعنا إلى شعر الصمة لكي ندرس بلاده على ضوئه نجد فيه اسماء هذه المواضع :

الأخربان : (المقطوعة ٦)

وأقرب ما نراه أكثر انطباقاً على هذا الموضع هو ما ذكره المتقدمون من أن الأخارب – بصيغة الجمع – قرون حمر بين سجا والثعل ، وهذان منهلان في عالية نجد ، لا يزالان معروفين ، ولكنهما بعيدان عن بلاد قشير ، ولعله ذكر الأخربين في أثناء سفره إلى مكة ، بل انه فعل ذلك ، فهما يقعان بطريق مكة ، وهو ذكرهما في قصيدته التي وصف بها طريقه .

ولا نستبعد أن يكون الصواب الأخرجين ، وهما من جبال المردمة التي لا تزال معروفة ، وطريق المسافر إلى مكة من جنوب بلاد قشير يمر بقربها .

الأعراف (المقطوعة ٢٤) :

هذه الأعراف تعرف بأعراف لُبْنى، وتقع في هضب يعرف قديماً بهضب لُبْنى ، ويعرف الآن باسم الهضب غير مضاف، وقد يقال فيه هضب آل زايد لوقوعه بطرف بلاد آل زايد الدواسر من الناحية الشمالية الغربية .

البشر (المقطوعتان ١٤–٢٤) :

نجد هذا الإسم في كثير من كتب الأدب ، بل نجد ياقوتاً في « المعجم » أورده مستشهداً بشعر الصمة ، والبشر سلسلة الجبال المعروفة الآن في جهة الفرات ، ولكننا نستبعد أن يذكره الصمة في شعره لعدم صلته به ، ونرى أن الصواب في هذا الإسم هو النّير (بالنون المكسورة بعدها ياء ثم راء مهملة) وهي سلسلة جبال عظيمة تقع في عالية نجد في طرف بلاد بني قشير وليس منها بل في الناحية الغربية عنها . والذي يحملنا على هذا هو أن الهجري أورد ما أورده ياقوت من شعر الصمة وفيه النير ، ويضاف إلى هذا ان الصمة أورد اسم جبل سُواج بعد ذكر النيل ، وهو يقصد جبلاً لا يزال معروفاً بقرب

النير وقرب المردمة ، وهو المعروف بسواج المردمة وليس سواج الحِمَى أو سواج الخيل المعروف الآن في شرق حمى ضرية .

بصرى (المقطوعة ٢٨) :

معروف أن بصرى من بلاد الشام التي ارتحل إليها الشاعر .

تبراك (المقطوعتان ٦ – ٣٢) .

هذا منهل لا يزال معروفاً في طرف النفود المعروف باسمه وباسم نفود قُنَيْفِذَة ، وهو في القديم من بلاد بني قشير .

جبل الأوشال (المقطوعتان ٨–١٠) :

قد يكون هذا الاسم ليس علماً ، وإنما هو جبل تكثر فيه أوشال الماء ، هذا إذا لم يكن الأسم محرفاً .

جفاف (المقطوعة ٢٩) .

هذا خطأ إذ يفهم من الشعر إنه جبل وهو ماء لبني جعفر بن كلاب ، وبلادهم تقع في الجنوب الغربي من بلاد بني قشير، وليست متصلة بها .

حايل (المقطوعتان ٢٨–٣٢) :

هذه من بلاد قشير ، أرض واسعة ، تقدم تحديدها .

حصن الباهلي (المقطوعة ٦) :

ذكره الشاعر في قصيدته التي وصف بها مناهل رحلته إلى مكة ، ويقع هذا بقرب بلدة القويعية ، ويعرف قديماً بحصن ابن عصام الباهلي حاجب النعمان بن المنذر ، وهو في بلاد باهلة المجاورة لبلاد قشير من الناحية الغربية .

الحمى (المقطوعات ٨–١٤–١٥–١٨–٢٤–٣٤)

أكثر الشاعر التشوق إلى الحمى ، ونرى انه يعني حمى النير ، وهو حمى كليب وائل في القديم ، ويقع غرب بلاد قشير وجنوبها .

خزازى (المقطوعة ١٠) :

ويسمى خزاز بدون ألف ، وهو جبل لا يزال معروفاً يشاهد من بلدة دُخنة الواقعة في عالية نجد رأي العين .

دابق (المقطوعة ٤)

قرية قرب حلب بينها أربعة فراسخ،وذكرها الشاعر حينما كان في الشام.

ذات الرمث (المقطوعة ٢٨)

لعل الشاعر لم يقصد أرضاً بعينها وإنما قصد أرضاً تنبت الرمث .

ذروة (المقطوعة ١١)

لا نجد فيما بين أيدينا من النصوص ما نستطيع به معرفة مكان بهذا الاسم لنستطيع انترجح ان الشاعر أراده ، فهناك ماء في بلاد غطفان بهذا الاسم، ونستبعد ان يكون الشاعر قصده . ولعل هذه المقطوعة مما نسب إلى الشاعر وليست له .

الرقاشان مثنى رقاش (المقطوعة ٢٤)

هما عمودان طويلان من الهضب ، والهضب ذكره الشاعر وتقدمت الاشارة إليه .

سُعْد (المقطوعة ١٣)

هذه قرية من قرى قرقرى، وقرقرى متصلةببلاد قشير منالناحية الشرقية الشمالية ، وتعرف الآن باسم الحمادة ، وهي السهل الممتد في سفح جبل طويق عارض اليمامة من الغرب ، وفيها قرى كثيرة من أشهرها : ضرما . وهذه القرية ليست معروفة الآن .

السليل (١٢/١٦)

لا أعرف موضعـاً بهذا الاسم إلا الذي في بلاد بني أسد غرب القصيم ، وهو بعيد عن بلاد الشاعر ، ولا يستبعد أن يكون هناك اسم موضع آخر أراده الشاعر ان صح نسبة هذا الشعر له .

سنام الحمى (١٨)

وقد يقصد الشاعر أعالي الحمى، وهناك منهل بقرب ماوان في حمى الربذة وهو بعيد عن بلاد الشاعر .

ذوسَلَم (٢٤)

يطلق هذا الاسم على مواضع عديدة ولعل الشاعر أراد موضعاً ينبت السَلَم ولم يقصد موضعاً بعينه إذ المواضع المعروفة بعيدة عن مواطن الشاعر.

سُواج (١٤)

يقصد الشاعر الجبل الواقع جنوب النِير ، وهو لا يزال معروفاً باسمه ، ولا يقصد الجبل الآخر الذي تقدم ذكره .

الشر (١٤)

هذا من أفظع التصحيف في اسم النير ، وقد جـــاء هذا في الشعر الذي أورده الآمدي [١] وغيره . وهو في « معجم البلدان » البشر ــ تصحيف أيضاً ، تقدم ذكره .

شعب مراهق (٣)

من المواضع التي لم أهتد إلى معرفتها .

شعبعب (٢ ــ ٣٢)

تقدم الكلام على هذا الموضع مفصلاً .

الصمد (١٢)

ورد هذا الاسم في مقطوعة في التغزل بظمياء ، ورد فيها اسم السليل وعاقل ، ووصفت ظمياء هذه بالحارثية ، ونرى ان المقطوعة ليست للصمة ، إذ عاقل والسليل في شمال نجد بعيدان عن بلاد قشير ، ثم اننا لم نر الصمة

---

(١) « المؤتلف والمختلف » ص ٢١٤ تحقيق الاستاذ عبد الستار فراج .

يذكر ظمياء الحارثية ، والتي نرى انها من حارثة بني أسد بقرينة ذكر عاقل والسليل ، والصمد ليس بعيداً عن منازل أسد وكذا السليل .

الضمار (٢٢)

يحدده ياقوت بأنه بين نجد واليمامة ، وهذا تحديد غريب ، ويفهم من البيت الوارد فيه انه بقرب المُنيفَة ، وهي على ما ذكر ياقوت بئر لبني تميم في فلج . وفلج يعرف الآن بالباطن ، واد عظيم يخترق أسفل نجد من الغرب إلى الشرق من الدهناء حتى قرب البحر ، ويقع بطريق المتجه إلى العراق ، فهل اتخذ الشاعر طريقه إلى الشام الطريق المار بالعراق ؟ هذا ما لا نستطيع الجزم به ، لعدم الأدلة .

عارمة (١٤)

يطلق هذا الاسم على موضع في بلاد بني قشير وعلى جبل في بلاد بني عامر ونراه المقصود هنا اذ الشاعر ذكر أنه هضْب، وقرنه بالنير وسُواج .

عاقل (١٢)

عاقل هذا واد يعرف الآن باسم العاقلي فيه مزارع لأهل مدينة الرس ، وكان من منازل بني أسد ، ويروون ان الملك الحارث جدّ امرىء القيس الشاعر ، لما كان ملكاً لبني أسد كان يحله ، والوادي طويل يشترك فيه في القديم مع بني أسد غَنَيّ وتميم ، ولكنه كما قلنا بعيد منازل بني قشير ، وسبقت الاشارة إلى ذلك .

العثعثان (٤)

ورد هذا الاسم في مقطوعة قالها الشاعر وهو في الشام ، يتشوق إلى هـذا الموضع ، وإلى واسط . والأخير من بلاد بني قشير ، أما العثعث فهو الكثيب السهل ، وقد يقصد الشاعر موضعاً بعينه ، وقد يقصد كثيبين من أكثبة بلاد قشير التي تحيط بها الكثبان من جوانبها الثلاثة ، قال القطعة وهو في دابق وهي بلاد جبلية .

غمار شعبعب (٢)

أضاف الغمار إلى شعبعب ، وشعبعب موضع تقدم ذكره ، والغمار من الناحية اللغوية هو الماء الكثير ، ولكن نرى ان الشاعر قصد موضعاً بعينه قريباً من شعبعب التي هيقريته على ما ذكر الهمداني، قال «صفة الجزيرة»[١]: (البيضة قف أبيض فيه مياه ، ونخل ومزارع ، من مياهه عُشيرة والكفافة والغاضرية والخلائق وعن يسارها شعبعب وهي قرية كانت لبني طفيل بن قرة ، هي وحاجر الملح) .

الغور (٢٤/٢)

ورد هذا الاسم عرضاً حينما ذكر الشاعر جراد الغور طالباً منه حمل تحيته لمحبيه ، وحينما وصف جملاً علوياً طوحت به المقادير ليعيش في الغور . والغور عندما يطلق يقصد به الأرض المنخفضة الممتدة على ساحل البحر ، ويشملها اسم تهامة أيضاً .

قرقرى (٦)

ورد ذكرها في قصيدته التي ذكر فيها طريقه إلى مكة وقرقرى هي من أسفل بلاد بني قشير ، وتقدم تعريفها في (سُعْد) .

قرن نخلة (٦)

ورد ذكرها أيضاً في وصف رحلة الشاعر إلى مكة ، وهو يقصد وادي قرن ، قرن المنازل المعروفة الآن باسم السيل ومنه يحرم حجاج عالية نجد ، بل أكثر أهل نجد ، وأضافه إلى نخلة ، إذ هو أعلى وادي نخلة ، وهما نخلتان الشامية واليمانية ، ويلتقيان فيكونان وادياً يدعى مر الظهران قديماً ، ووادي فاطمة حديثاً ، ثم ينحدر إلى البحر فيصب فيه جنوب مدينة جدة .

قُـنيٌّ (٢٤)

ورد هذا الإسم مصحفاً في الأغاني وغيرها من كتب الأدب إلى قُـنين ،

---

(١) ص ١٤٨

وقُنيّ من بلاد الشاعر ، ولا يزال معروفاً ، وفيه من الشعر القديم :

لكن أهل قنيّ حين يجمعهم عيش رخيّ وفضفاض معاسير

القُبَيْبَة (٢٤)

ورد هذا الاسم في أول القصيدة العينية من كتاب « المنازل والديار » لأسامة بن منقذ، وهو بيت يدل ضعفه على أنه مصنوع ليس من شعر الشاعر، وإن أحدهم رأى القصيدة ناقصة من أولها ، فأوجد لها هذا البيت الركيك اللفظ الضعيف المعنى ، ليكون مطلعاً لها .

قُنَيْن (٢٤)

هذا الاسم ورد بدل قُنيّ ، وهو غير صحيح كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

مُراهق (٣)

تقدم ذكره .

المطالي (٣٤)

المطالي واحدها مطلى ، وهي أمكنة في بلاد بني أبي بكر بن كلاب ، وبلادهم تقع غرب بلاد بني قشير ، وليست متصلة بها ، ولكنها قريبة من حمى النير ، الذي ذكره الشاعر كثيراً وقرنه بهذا الموضع .

مطلوب (٦)

ورد في قصيدة الرحلة إلى مكة ، والمقصود به ماء من مياه نَمَلَى بقرب جبال المُردمة ، وتقع على طريق المتجه إلى مكة من وسط بلاد بني قشير .

المُنيفَة (٢٢)

تقدم ذكرها في الضّمار .

نجد (٦/٨/١٠/١١/١٣/٢٢/٢٤)

ويسميه الشاعر النجد أيضاً بالتعريف ، وهو البلاد الواسعة العريضة في

جزيرة العرب الذي أطال الشاعر وهو في غربته حنينه إليه . وشهرته تغني عن تحديده .

النَّيْرُ (٨/١٤/٣٠)

هو جبل عظيم بل سلسلة جبال في عاليـــة نجد غرب بلاد بني قشير ، لا يزال معروفاً يدعه طريق السيارات إلى الحجاز على اليمين ويشاهد منه من بُعد رأي العين بعد أن يقع المسافر السلسلة الجبلية الواقعـــة غرب بلدة الدوادمي متجهاً غرباً .

وقد كثر تصحيف هذا الإسم في الكتب القديمة ، ومن أغرب أنواع التصحيف فيـــه ، ما أورده البكري في « شرح الأمالي » حينما أورد هذا البيت :

وشِمْتُ البارقـــات فقلت : جِيْدَتْ
جبـــال النَّيِّر ، أو مُطر القَليب

فقد ورد الإسم في مطبوعة « الأمالي » مصحفاً عدة تصحيفات وحاول البكري تصحيحه ، فقال : الثبر فأغرب وأعجب .

وادي الشرى (٢٤)

هذا كما يفهم من القصيدة في الغور وليس في نجد ، والشاعر ذكره عرضاً.

واسط (٤)

تشوق الشاعر إلى هذا الموضع ، وهو في الشام ، وهو يقصد موضعاً في بلاد بني قشير لا يزال معروفاً ، فيه قرية صغيرة ويزرع وقت الشتاء ، يقع في الجنوب الشرقي من بلدة الدوادمي ، وهو معدود من توابعها .

ودّان (٢٠)

ودّان كما هو معروف ، يقع بقرب ساحل البحر الأحمر بين رابغ وينبع وهو إلى الأولى أقرب ، وهو بلد الشاعر نُصَيْب ، ومن المستبعد أن يذكره الصمة لعدم صلته به ، ونرى أن المقطوعة ، ليست للصمة .

الودكاء (١٠)

ذكرها الشاعر مضيفاً إليها سنداً ، أي جانباً من الرمل ، وذكر معها الهضب ، والودكاء هذه مادة في أعلى وادي خنثل المعروف الآن، وهو قريب من جبال الهضب .

الهَضْب (١٠/١٥)

يقصد الشاعر الهضب الواقع في عالية نجد بقرب المردمة في جنوب النير بميل نحو الغرب ، ولا يزال معروفاً .

هذه هي المواضع الواردة في شعر الصمة أوجلها إن لم يكن كلها ، رأينا الحديث عنها مما لا تكمل دراسة شعر الشاعر بدونه ، ونضيف إلى ما تقدم أن دراسة الأمكنة التي يوردها الشاعر في شعره مما يعين على فهم ذلك الشعر، بل على تمييز الصحيح منه من غيره متى عرفنا المواطن التي للشاعر صلة بها .

شعر الصمة :

حاولنا أن نجمع ما استطعنا جمعه من شعر هذا الشاعر من مصادر مختلفة ذكرناها بعد ايراد كل مقطوعة .

ومع عناية المتقدمين بجمع الشعر العربي القديم فاننـــا لم نجد شعر الصمة مجموعاً ، مع ان صاحب « الفهرست »[1] نص على ان المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي الكوفي وهو من تلاميذ ابن الاعرابي وابن السكيت ومن أهل القرن الثالث الهجري ، نص على ان هذا جمع شعره إلا ان مما يؤسف اننا لم نطلع على ما جمع ولم نر له ذكراً فيما اطلعنا عليه من فهارس المكتبات العامة.

أما قيمة شعر الصمة فقد يدركها الباحث عند استقرائه له ، ومن عيون شعره قصيدته العينية التي نشرها استاذنا العلامة الشيخ عبد العزيز الميمني في مجموعته القيمة « الطرائف الأدبية » ، وأوردناها كما أوردها وهي قصيدة من

---

(١) ص ١٥٩ - الطبعة الأوروبية .

عيون الشعر العربي . وقد نقل الأصفهاني في « الأغاني » : لو حلف حالف ان أحسن أبيات قيلت في الجاهلية والاسلام في الغزل قول الصمة القشيري ما حنث :

حننت إلى ريا ونفسك باعدت
مزارك من ريا وشعباكما معاً
فما حسن ان تأتي الأمر طائعاً
وتجزع ان داعي الصبابة أوجعا

وها هو ما استطعنا جمعه من شعره :

ما رَيّا بذات أمانة :

لعَمْرُكَ ما رَيّا[1] بذاتِ أمانةٍ
ولا عندها ريّا للمُحِبِّ جزاءُ
ولا حَبْل طيّا يوْمَ قاطعْتُ أُسْرَتي
بباقٍ ، ولا طيّا بذاتِ وَفاءِ
خِليَلِيّ لا أزْدادُ إلاّ مَوَدّةً
لِطيّا ، وإنْ عَدّتنِيَ العُدَواءُ
ومن[2] قولها : إن القُوَى قدْ تجَذّمتْ
وما لِلْقُوى ، الاّ تُجَذُّ بَقاءُ[3]

غمار شعبعب :

ألا يا جَرادَ الغَور هل أنتَ مُبلغٌ
سَلاماً ، ولا تبخَلْ ، غِمارَ شعبعبا
دَفيءَ المحاني بالشّتاءِ ، وإن تَصِفْ
تَرى فيه رَوضاً مُستكفّاً ، قدَ اعشَبا

[المجري : م : ٨٦]

---

(١) في الهامش : يروى : طيا ، وهو الصواب .
(٢) كلمة (ومن) غير واضحة في الأصل .
(٣) المجري : [م : ١٤٥] .

آخر العهد من قلبي :

فواحَسرتيْ ، لمْ أقضِ منكِ لُبانةً
ولمْ أتمتـــعْ بالجِوارِ وبالقُـربِ
يقولون : هذا آخِرُ العَهْدِ منكمُ !!
فقلتُ : وهذا آخرُ العهدِ من قلبيْ !!
ألا يا حمَامَ الشِّعْبِ ، شِعْبِ مراهقٍ
سُقيتَ الغَوادي ، من حَمامٍ ومن شِعبِ[1]

ما طابت الريح بدابق :

[وله وهو بالشام] :

علقت بدار الصيد ، ما كُفَّةُ الغَضَا
ولا دابِقٌ مـــنْ واسِطٍ بقريبِ
فما طابَتِ الريحُ الجنوب بدابقٍ
ولكنَّهـــا بالعَشْعَثَيْن تَطيبُ
جنوبٌ يُداويْ هَيجُها بارحَ الهَوايِ
لهـا بَعد نوم السامِرينَ دَبيبُ[2]

اكناف الشباب :

سَقَى اللهُ أيَّاماً لنـــا وليالياً
لَهُنَّ بأكنـافِ الشَّبابِ مَلاعِبُ
إذِ العَيشُ غَضٌّ ، والزَّمانُ بِغِبطةٍ
وَشاهِدُ آفاتِ المُحِبِّينَ غائبُ[1]

---

(١) « الأغاني » – ٣٠/٧ .
(٢) الهجري : [م : ٢٩] .
(٣) « الحماسة البصرية » – ١٣٧/٢ .

يا أهل نجد لاشقيتم :

قال الهجري :

وانشدني العداء بن مضاء ، من والد الثويب بن الصمة بن عبد الله بن طفيل ابن زيد بن ثور بن سَوَادَة بن قرة بن عبدالله بن سلمة الخير بن قشير:

إلى الله أشكو نِيَّةً يومَ (قرقرى)
مُفرِّقةَ الأهواءِ ، شتَّى شعوبُها
ويوماً بـ (حِصْنِ الباهليّ) ظَلَلتُهُ
أُكَفكِفُ عَبْراتٍ تفيضُ غُروبُها
ويوماً على (تِبراك) أيقنْتُ بالذي
تُحاذِرُهُ نفسي ، فشبَّ شبوبُها
ويوماً بِقاعِ (الأخْرَبَيْنِ) جرى لنا
بنحسٍ ظِباءُ (الأخْرَبَيْنِ) وذِيْبُها
ويوما على ماء الهدية قال لي
صحابي طِبْ نفساً وكيف أطيبها
ويومًا بـ (مَطلوب) وجدتُ بـ [حَرَارة]
طويلاً بـ [...] الفؤادِ نُشوبُها
ويوماً على ماءِ المحَلَّق طَيرُهُ
أُحَدِّثُ نفْساً صَبَّةً ما يَكيبُها
ويوماً بـ (قرنٍ ، قرْنِ نخلةَ) راجَعَتْ
بنفسِكَ زفراتٍ ، بنجدٍ طبيبُها
ويومًا لدى (البيت الحرام) تَجَدَّدَتْ
لكَ النفسُ إكراهاً على ما يَريبُها
فيا أهلَ نجدٍ لاشَقِيتُمْ ، ولُقِّيَتْ
ركابُكمُ رُشداً ، ولَّتْ ذُنوبُها
إذا ما أتيتم أهل نجد وعُرِّيت
قلائص أدتكم وقد طال دوبها

فمِنّي عليكمْ فاقرَؤنّ تحيّةً
يُخَصُّ بها شُبّانُ قومي ، وشِيبُها
تحيّةَ مُشتاقٍ إلى أن يَراهمُ
ورجْعُ أماثيلٍ يُفَدّى عَريبُها (١)

أتتنا بِرَيّاكم ..!

إذا ما أتتْنا الرّيحُ من نحْو أرْضِكمْ
أتتْنا برَيّاكمْ فطَابَ هَبُوبُهَا
أتَتْنا بطيْبِ المسْكِ خالطَ عَنْبَراً
وَرِيحُ الخُزَامى، باكَرَتْها جَنُوبُها(٢)

ألا مَنْ لِعَيْن !!

ألا مَنْ لِعَينٍ لا ترى قُلل الحِمَى
ولا جبل الأوشال إلاّ استهلّتِ
ولا النّيرَ إلاّ أسبلت وكأنّما
على ربدٍ باتَتْ عليه وظلّت (٣)

أنشدني [الشّهْرانيُّ] (٤) لمضاء بن مُضرحيّ بن الثّويب بن الصمة بن عبد الله بن طفيل بن قرّة بن عبد الله بن سلمة بن قشير :

ألا مَنْ لعين لا ترى قُلل الحِمَى
ولا جبل الأوشال إلا استهلت
ولا النّيرَ إلاّ أسبلتْ وكأنّها
على ربدٍ باتَتْ عليه وظلّت

---

(١) الهجري : [م : ١١٥] . (٢) « الأغاني » - ٥/١٢٥ .
(٣) الهجري (م ٢٩) ، وهذا النص : (زياده للصمة بن عبد الله ، أولها : ألا ... الخ البيتين) .
(٤) خ [م ١١٥] أنشدني عداء بن مضاء من ولد الثويب بن الصمة بن طفيل بن زيد بن ثور بن سوادة بن قرة بن سلمة الخير بن قشير .

لجوج إذا لجّتْ ، بكيّ إذا بَكتْ
بكتْ فأدقّتْ في البكا وأجلت
كما هتنتْ طَرْفاءُ ناشتْ غصونَها
جنوبٌ وقدْ كانت من الليل طَلّتِ (١)
ألا قاتل الله الحمى من مَحَلّةٍ
وقاتل دنيانا بها كيف وَلّتِ (٢)
غنِينا زماناً بالحمى ثم أصْبَحَتْ
عِراضُ الحِمَى من أهلها قد تخلت
ونادى المنادي بالفراق فقوضوا
بيوتاً ترى أطنابها حيث شدّت
شَدَدْتُ بِثوْبي حشوة ضَبثَتْ بهَا
يَدُ الشوق ، يوم البَيْن حين احْزَألّت
وقلتُ لأصحابي غداةَ فِراقِها : —
وَدِدْتُ البُحُورَ العامَ بالنّاس طَمّت
فتَنقطِعُ الدنيا التي أصبحتْ بهم
كمثل مُصاباتٍ على النّاس عَمّت
ولكنّما الدُّنيا كَفَيْءِ غَمامَة
أظلّتْ بغَيمٍ ساعةً ، واضْمَحلّتِ
أقول لعُثمانَ بنِ وهْبٍ وقد رأى
سُحوقيْ جَرت فيها دموعي فبَلّتِ
أَلِكْني إلى طَيّا ، الِكْني لحاجةٍ
من الحاجِ ، قد هَمّتْ بنَفسي وهَمّت

---

(١) بفتح الطاء معناه نديت ، والضم لحن (هامش)

(٢) « اللآلي شرح الأمالي » — حاشية ٧٣٩ — « والأغاني » ١٠/١٢٤ .

بآيَةِ ما سارتْ فلمـــا تمكّنتْ
حبائِلُها من شُعْبة القلبِ حَلّتِ
وقالتْ : حَلّلنا وادياً ذا طَريفَةٍ
وكانتْ مطايانا من السَّيْرِ كَلّتِ
فحلّتْ محلاّ لم يكنْ حُلّ قبلَها
وهانَتْ مراقيهِ لطَيّا ، وذَلّتِ
خليليَّ في طَيّا ، أَقِـــلاّ ملامَتي
فقدْ بخِلَتْ طيّا علينا وضَنّتِ
لَعَمْري لئن أَحْبَبْتُ طيّا وآثرتْ
عليَّ العِدَى ما سُنّةَ العَدْلِ سَنّتِ
أظَلُّ أُمَنّيهـــا الفؤادَ سَفاهَةً
إذا ما انطوتْ نفسي على اليأسِ مَلّتِ
فوَجْدي بِطَيّا وَجْدُ أشمَطَ راعَهُ
بواحِدِهِ ، داعي المنـــايا أَلَمّتِ
ووجدي بِطَيّا وَجْدُ بِكْرٍ غَريرَةٍ
على والدَيهـــا فارقاها فجُنّتِ
ووجْدي بِطَيّا وَجْدُ هَيْماءَ حُلّيَتْ
عن الماء ، كانت منذ خِمْسَينِ ضَلّتِ[1]
إذا سافَتِ الأعْطانَ أو شَمّتِ الثَّرى
رماها وَليُّ المـــاءِ عنه ، فوَلّت
وإن أشرفت من آكِمِ الماءِ مَيْفعاً
لَوتْ رجْلَهاالليُسْرى بالاخرىفحَنّتِ
فحَنّتْ حنيناً يُطربُ الصَّبَّ ذا الهوى
وقدْ نَهِلَتْ مِنهُ بيأسٍ وعَلّتِ

---

(١) بالطاء أيضاً (هامش) .

ولا وَجْدُ بكْرٍ حُرَّةٍ أرْحَبيَّةٍ
تَرُودُ حَوالِيْ طِفلِها قَدْ أتمَّتِ
أَتيحَ لهـا فِيما تروحُ وتغْتَدِي
خُشارِمُ منهُ رُعْبُها فاشمَعَلَّتِ
وجاءَتْ مُفجّاةً ترَى فرْثَ طِفلِها
بسِرْحانِهِ أظفارُها قدْ تدَمَّتِ
تَهُزُّ منَ الوَجْدِ الخَصِيلَ ، وراعها
صُوَيتٌ خفِيٌّ خَلْفَها فاقشَعَرَّتِ
فما وَجدَتْ مِنْ طِفلِها غيْرَ شِلوهِ
شماطِيط لمْ تقْنَعْ بها حَيْثُ شمَّتِ
فظلَّتْ تُراعي شِلوَها مُستَحِنَّةً
إذا سَلِيَتْ رَجْعَ الحَنِينِ استَهَلَّتِ[1]
ولا أُمّ أحْوَى شادنٍ ، عطفتْ لهُ
قُبَيْلَ طلوع الشمس ، أوْ حينَ ذَرَّتِ
فلما سَقَتْهُ الدَّرَّ أحْجَمَ قائماً
إليها قليلاً ، ثم وَلَّى وَوَلَّتِ
إلى مَرتعٍ قد عَوَّدتْهُ ومَهمَلٍ
سَليلٍ ، فظلَّتْ يومَها حينَ ظلَّتِ
فلمّا دَنا الإظلامُ أدرَكَ سَمْعُها
صُوَيتاً خَفِيّاً ، راعَها فاحْزَأَلَّتِ
تمارَتْ على جَرْسٍ ، فنَصَّتْ بجيدِها
وكانتْ على طُول الحَلاء أدَلَّتِ
ودارتْ بأدنَى عَهْدِه ثمَّ راجَعَت
أماقِيَّ ثَكْلَى ما تَجِدْ ما أضَلَّتِ

---

(١) روى الزهيري : ازلخمت ، والزلخم : البرطم من الغضب (هامش) .

ولا وَجْدُ أعْرابيَّةٍ قذفَتْ بهـا
صُروفُ النَّوَى مِن حَيثُ لم تَـكُ ظَنَّتِ

يَشُدُّ عليْهـا البابَ أحمرُ لازم
عَليها زُقاقَيْ قريَةٍ قـد أبَنَّتِ

تمنّتْ أحالِيبَ اللِّقاحِ وضَيْعَـةً
بنَجْدٍ ، فلمْ يُقْدَرْ لهـا ما تمَنَّتِ

إذا ذَكرَتْ ماءَ العِظاهِ وطِيْبَهُ
وبرْدَ الحَصا مِنْ أرْضِ نجْدٍ أرَنَّتِ

بأكبَرَ من وجْدٍ بطَيًّا وَجَدتـهُ
غَدَاةَ ارْتَحَلْنا غُدْوَةً واطمَأنَّتِ

لهـا فَخِذا بُخْتِيَّةٍ بخْتَرِيَّـةٍ
وساقٌ إذا قامتْ عليهـا اتمَهَلَّتِ

وخَصْرَانِ ، دَقَّا في اعْتِدالٍ ومَتْنَةٍ
كَمَتْنَـةِ مَصْقولٍ من الهنْدِ سُلَّتِ

وعَيْنَا أحَمِّ المِدْرَيَيْنِ ومَضْحَكٌ
إذا ما جَرَتْ فيهِ المَساويكُ زَلَّتِ

وَدَاجٍ على اللبّاتِ وَحْفٌ كأنَّهُ
عناقِيدُ جُونٌ من كرومٍ تَدَلَّتِ

فإنْ يَكُ هذا عَهْدُ طَيّا وأهْلِها
فهذا الذي كُنّا ظَنَنَّا وظَنَّتِ

وكانتْ رِيَاحٌ تُخبِرُ الحاجَ بَيْنَنا
فقدْ عمِيَتْ أرواحُ طَيّا وصَمَّتِ

خَلِيلَيَّ في طَيًّا أعِينا أخاكُمَا
فقدْ بَخِلَتْ طيًّا عَلَينا وضَنَّتِ

قطَعْتُ بطَيًّا الهَمَّ والفَقْرَ والغِنَى
وطيًّا مُنَى نفسي إذا ما تمَنَّتِ !!

وَطيّا أرُوحُ الجَيْبِ ، مَهْضُومَةُ الحَشَا
كمُزْنَةِ صَيْفٍ هَجَّرَتْ فاسْتَهَلَّت
إذا جَلسَتْ بَين الغوَاني عَشِيَّةً
على أيّ حالٍ عاطلاً [1] ، أو تحَلَّت
سَمَتْ نحْوَها الأبصَارُ أوّلَ وَهْلَةٍ
بَدِيّاً ، وعادتْ نحوَهـا ، فتثَنَّت [1]

داء الشجا :

كدَاءِ الشَّجا ، بين الوريدين كُلَّما
ذَكَرْتُكِ ، لَمْ تقْدِر عليه القحاقح؟ [2]

فما من قلىً للنّجد أصبحت ها هنا :

خليليَّ إن قابَلتُما الهَضْبَ أو بَدَا
لكمْ سَنَدُ الودْكاءِ أن تبكيا جَهْدَا
سَلا عَبْدَ الاعلى حيثُ أوفى عَشِيَّةً
خزَازَى ، ومدَّ الطّرْفَ هل آنس النَّجْدا
فمَا منْ قِلىً للنجد أصبَحْتُ ها هنا
إلى جبل الأوشال مُسْتَخْبِياً بُرُدَا
ولكنَّ حَاجـات الفَتى قُذفٌ به
إذا لم يَجدْ من أن يُطالِبَهَا بُدَّا
دعوني من نَجْدٍ فإن سنينـه
لعِبْنَ بنا شيباً ، وشيّبْنَنا مُرْدا
لحَى اللهُ نجْداً كيْفَ تترُكُ ذا النَّدَي
بخيلاً ، وحُرَّ القَوْم تحسبه عَبْدَا

---

(١) الهجري : (هـ ٤٥ إلى ٥٠) .
(٢) « الأغاني » .

على أنَّ نجْداً قـدْ كسانيَ حُلّة
إذا ما رآني جاهلٌ ظنَّني عَبْدَا
سواداً ، وأخلاقاً من الصُّوف بَعْدَما
أراني بنَجْدٍ ناعماً لابساً بُرْدَا
ونجْداً إذا جادَتْ بهِ رِهَمُ الحَيَا
رأيْتَ بهِ المَكْنَانَ والنَّفَل الجَعْدا
سقى الله نجْداً من رَبيعٍ وصَيِّفٍ
وماذا تُرَجِّيْ منْ رَبيعٍ سَقَى نجْدَا

ألم تر أن الليل يقصر طوله
بنجد ويزداد النطاق به برداً

بَلى إنه قـد كان للعيش[1] قُرَّةً
وللبيض والفتيان مَنزِلَةً حَمْدَا[2]

هل تؤنسان لنا نجدا ؟

خَليليَّ قُومَا أشرفا القَصْرَ فانظُرا
بأعيَانِكمْ هَلْ تؤنِسانَ لنا نجْدَا
وإني لأخشى إنْ عَلوْنا عـلوَّةً
ونُشرف أنْ تزْدَاد ـ ويْحكما ـ بُعْدا
نظَرْتُ وأصحابي بذَرْوَة نظْرَةً
فلوْ لمْ تَفِضْ عيناي أبْصَرْتما نجْدا
إذا مَرَّ رَكبٌ مُصْعِدينَ فلَيْتَني
مَعَ الرائحينَ المُصْعِدِينَ لهُمْ عَبْدا[3]

اسقيت الغوادي : الزي

ألا أيُّها الصَّمْدُ الذي كنت مَرَّةً
تحُلُّكَ، أُسْقِيتَ الغوادِيَ مِنْ صَمْدِ

---

(١) لعله : للعين قرة .
(٢) الهجري : (م : ٨٦) .
(٣) « معجم البلدان » – ذرورة –

ومَنزِلَتَيْ ظَمْياءَ من بطنِ عاقِلٍ
وذات السَّليل، كيفَ حالُكُما بَعدي؟
تتابع أنواءُ الرَّبيعِ عَليكُما
لِما لكُما بالحارثيَّة من عَهدِ (١)

ألا ليت شعري :

ألا ليْتَ شِعْريْ هَلْ أبيتَنَّ ليْلةً
بسُعْدٍ، ولما تخْلُ من أهلها سُعْدُ
وَهلْ أقبلَنَّ النَّجْدَ أعْنَاقَ أنيُقٍ
وَقدْ سَالَ مَسْياً ثم صبَّحها النَّجْدُ
وَهلْ أخبِطنَّ القَوْمَ والرّيحُ طَلَّةً
فُرُوعَ أَلاءٍ، حَفَّهُ عَقدُ جَعْدُ
وَكنْتُ أرى نجْداً وَرَيًّا مِنَ الهَوى
فمَا مِنْ هوايَ اليَوْمَ رَيًّا ولا نجْدُ
فدَعْنيَ مِنْ رَيًّا وَنجْدٍ كِليْهِما
ولكِنَّنِيْ غادٍ إذا مَا غدَا الجُندُ (٢)

قفا فانظرا نحو الحمى :

أقولُ لِعَيَّاشٍ صَحِبْنا وجابرٍ
وقَدْ حال دوني هَضْبُ عارِمَةَ الفَرُد
قِفَا فانظرَا نحوَ الحِمى اليَومَ نظرةً
فإنَّ غَدَاةَ اليَومِ مِن عَهْدِهِ العَهْدُ
فلمَّا رأينا قُلَّةَ النَّيْرِ أعْرضَتْ
لنا وجبال الحَزْنِ غيَّبَها البُعْدُ

---

(١) « الأشباه والنظائر » ج ٢ ص ١١١ .
(٢) « معجم البلدان » - سعد -

وأعْـرَضَ رُكنٌ مِن سُواجٍ كأنَّهُ
لِعَينَيكَ في آل الضُّحى فرَسُ وَرْدُ

أصابَ جَهُولَ القَوْمِ تَتْيِيمَ ما بِهِ
فَحَنَّ ولم يَملِكْهُ ذو القوَّة الجَلدُ (١)

ألا مَنْ لنَفْسٍ !

ألا من لِنفْسٍ مُسْتَخِفٍّ جَلِيدُها
وَسلمى مُبِينٌ بُخْلُها وصُدُودُها

أَحقّاً عبادَ الله انْ لسْتُ ناظِراً
إلى الهضْبِ ، إلا عاوَدَ النَّفْسَ عِيدُها

وإلا اسْتهلَّتْ عَبرةٌ بَعْدَ زَفرَةٍ
يُصَدِّعُ قلْبي أن يُلِمَّ صُعُودُها

وإنْ كنْتُ قدْ عُلِّقتُ من ساكن الحِمى
مُكذِّبةً وَعْدِي ، صدوقاً وَعِيدُها

وَلوْ طَلَبَتْ مِنّيْ عَلى ذاك في الهَوى
زيادَةَ حُبٍّ ، لمْ أجِدْ ما أزيدُها

ألا قاتلَ اللهُ الهَوى بَعْدَ نظْرَةٍ
أفادَكها يَوْمَ اللِّقاءِ مُفِيدُها

فأخفَيتُ من أصحابيَ الشوقَ بَعدما
جَرى من جُفونِ المُقلتينِ فريدُها

وكانَ بُكاءُ العينِ من قبلِ ما يُرى
على أُمِّ عَمرٍ ، عادةً تستعيدُها

---

(١) « معجم البلدان » : عارمة ونسب الثلاثة الأخيرة في البشر) لعبد الله بن الصمة ، و « المؤتلف والمختلف » للآمدي ـ ص ٢١٤ ـ تحقيق الاستاذ عبد الستار فراج . و « البشر » في « معجم البلدان » و « الشر » في « المؤتلف » تصحيف .

لياليَ يَدعوني الهَوى فأجيبُـــهُ
ودُنياي لم يَخلَق عليَّ جَديدُها
فأصبحتُ قد حَلأتُ عن منهَلِ الصِّبا
صَواديَ من قلبي ، ظِماءً أذودُها [1]

منازل جيرة شحطت نواهم :

عَرفتَ اليـــومَ ، بالاستادِ دارا
فدَمـعُ العَـــينِ يَنهَمِرُ انهِمارا
مَنازلَ جِـــيرَةٍ شحطَت نَواهُم
وأُعقِبتِ السَّوافيَ ، والقِطـــارا

وفيها :

رَمَتني بالسَّليـــلِ غـــداةَ بانوا
على حَذَرٍ ، وما رَمتِ اغتِرارَا
بأدْهَم فاحِمٍ ، وبِذي غُروبٍ
كأنَّ على أشانِبـــهِ عُقـارا
صُهَيباءَ الشَّراب ، خَبِيٍّ حَـولٍ
حـولاً ، أوقِرَتْ مَدراً وقَارَا
فلمَّـــا طابَ مَشْرَبُهـــا تَداعى
لها الغاوونَ ، وابتَدَروا التِّجارا
برَجْمِ الظَّنِّ ، غَيْرِ يَقينِ عِلمٍ
كما شِيمَ الحَيا ، حِـــينَ استطارا
بأعين مُحْدِبينَ أتوا إليه كما القَى إلى طَيًّا نوارا [2]

---

(١) « الأشباه والنظائر » ـ ٢/١٤٠ .
(٢) الهجري : [م : ١٤٨] .

هل تجزيني العامرية ؟

وَهلْ تَجْزَيَنِّي العامِريَّةُ مَوْقِفِي
على نِسْوَةٍ بَينَ الحِمى وَغضَا الجَمْر ؟
مَرَرْنَ بأسْبَابِ الصِّبَا فذَكَرْتَهَا
فأوَمأتُ،إذْ ما مِنْ جوابٍ ولانكر[1]

تعَزَّ بصَبْرٍ !!

[ما زال يردد هذين البيتين ، حتى فاضت روحه]

تعَزَّ بصَبْرٍ ، لا وَجدِّك لا ترى
سَنامَ الحِمى أُخرَى اللياَلِي الغَوَابرِ
كأنَّ فُؤادي من تذَكُّرِهِ الحِمى
وأهْل الحِمَى،يَهْفو بهِ ريْشُ طائِرِ[1]

اذا نأتْ لم تفارِقني :

إذا نأتْ لمْ تُفارِقْنِي عِلاقتُهَـــا
وإنْ دَنتْ فصُدُودُ العاتِبِ الزَّاري
فحَالُ عَيْنيَّ مِنْ يَوْمَيْكِ وَاحِدَةٌ
تبْكِي لِفَرْطِ صُدُودٍ،أو نوى دَارِ[2]

هل يستخبر الأثل ؟!

خَلِيلِيَّ هَلْ يُستخْبَرُ الأثلُ والغَضَا
وَنبْتُ الرُّبامِنُ بَطن وَدَّانَ والسِّدْرُ؟
وَهلْ يَتَّقِي—لا بَعْدَ ما قد تصَافيَا—
خَلِيلانِ ، بانا ، ليْسَ بَيْنَهُما وِترُ ؟

---

(١) « الأغاني » - ٥ / ١٢٥ .
(٢) « الأغاني » - ٥ / ١٢٦ .

نأتْ بهما دارُ الهَوى وتراقيَا
ذرَى الضّغْن ، حتى لجّ بَيْنَهُما الشّرُ
إذا بنْتِ ، إلا ما عَدَا النّأيُ بَيْنَنَا
وبَيْنَكِ ، لمْ يَلزَمكِ ما فعَلَ الدّهر[1]

يُدَهْدِهكم برجليه :

[يهجو عامر بن بشر زوج محبوبته وكان قصيراً قبيحاً]

فَإنْ تنْكِحُوهَا عامِراً لاطّلاعِكُمْ
إليه، يُدَهْدِهكُمْ برِجْلَيْه عامِرُ[2]

تمتع من شيم عرار نجد !!

أقُولُ لِصاحِبي – والعيسُ تَهْوِي
بنا بَيْنَ المُنيفَةِ والضّمارِ – :
تمَتّعْ من شَمِيمِ عَرارِ نَجْدٍ
فمَا بَعْدَ العَشيّةِ مِنْ عَرارِ
ألا يا حَبّذَا نَفَحاتُ نَجْدٍ
وريّا رَوْضِهِ بَعْدَ القِطَارِ
وأهْلُكَ ، إذْ يَحِلُّ الحيُّ نَجْداً
وأنتَ على زمانِكَ غَيْرُ زارِ
شُهُورٌ يَنْقَضِينَ وما عَلِمْنَا
بأنصافٍ لَهُنّ ولا سِرَارِ

---

(١) « الأشباه والنظائر » – ١/٢٥٤ .

(٢) « الأغاني » – ٥/١٢٥ .

تَقَاصَرَ لَيْلُهُنَّ ، فخَيْرُ لَيْلِ
وأطيبُ ما يكون من النَّهَارِ [1]

كلي التمر ! :

[في زوجته جبرة بنت وحشي بن قرة]

كِلي التمْرَ ، حتى يُصْرَمَ النَّخلُ واضْفُري
خِطامك ، ما تَدْرِينَ ما اليومَ من أمْسِ [2] !

قِفَا وَدِّعا نجْداً :

خَليليَّ : عُوجا منكما اليوم أوْدَعا
نحَيِّ رُسوماً بالقُبَيْبَةِ ، أوْدَعا [3]
أرَبَّتْ بها الأرواحُ حتى تنسَّفت
معارِفها إلا الصفيحَ الموضَّعا
وغيرَ ثلاثٍ في الديار كأنها
ثلاث حمامات ، تقابَلْنَ وُقَّعَا
أمِنْ أجْلِ دارٍ بالرَّقاشَيْنِ أعصفت
عليها رياحُ الصيفِ ، بَدْءاً ورُجَّعَا ؟
بَكَتْ عينُك اليُسْرى ، فلما زَجَرْتُهَا
عن الجهلِ بعد الحلم أسْبلتا مَعَا
ولم أرَ مثلَ العامريةِ قَبْلَهَا
ولا بَعْدَها يَوم ارْتَحَلْنَا مُوَدِّعا

---

(١) اللسان : - عرار - البيتان - ١ - ٢ - والتاج : الأربعة الأولى - عرار - وفي (ضمر) : قال الصاغاني : هكذا أنشده له المرزوقي ، والصحيح أنه لجعدة بن معاوية بن حزن العقيلي ر « معاهد التنصيص » ٢ / ٨٥ .

(٢) « الأغاني » - ٥/١٢٥ .

(٣) هذا البيت أورده مؤلف « المنازل والديار (*) » ثم أورد ثلاثة أبيات تقدمت . وأرى أن هذا ليس من شعر الصمة وانما وضعه أحد النقلة ، ويدل على هذا ذكر (القبيبة) فليس من المواضع التي يذكرها الصمة في شعره مع ضعف تركيب البيت .

(*) ج ١ / ٣١٦ .

تُريك غداةَ البَيْن مُقْلَةَ شادِنٍ
وجيدِ غزالٍ في القلائد ، أتْلَعَا
وما أُمُّ أحْوَى الجِدَّتَيْنِ خلالَهَا
أراك من الأعْرَافِ ، أجْنَى وأيْنَعَا
غَدَت منْ عَلَيْه تنفُضُ الطلَّ بعدما
رأت حاجبَ الشمسِ استَوَى وترفَّعا
بأحْسَن منْ أُمِّ المُحَيَّا فُجاءَةً
إذا جيدُها من كِفَّةِ السِّتر أطلعا
ولما تَنَاهَبْنا سقَاطَ حديثِهـا
غشَاشاً ، ولانَ الطرفُ منها فأطمَعَا
فَرَشَّتْ بقَوْلٍ كادَ يَشْفِي منالجَوى
تُلمُّ بـه أكبادَنا أن تَصَدَّعا
كما رشفَ الصاديْ وَقائعَ مُزْنَةٍ
رشاش تَوَلَّى صَوْبُها حين أقلَعَا
شَكَوْتُ إليها ضَبْثَةَ الحُبِّ بالحشا
وخَشْيَةَ شَعْبِ الحَيِّ أن يَتَوَزَّعَا
فما كلَّمتني غير رَجْع ، وإنَّمَا
ترقرقتِ العينَانِ منهـا لِتَدمَعَا
كأنَّك بِدْعٌ لم ترَ البَيْنَ قَبْلَهَا
ولم تك بالألاَّفِ قبـلُ مُفَجَّعَا
فليتَ جِمَـالَ الحيِّ يوم ترحلوا
بذى سَلمٍ أمْسَتْ مزاحيف ظُلَّعَا
فيصبحنَ لا يُحْسِنَّ مَشْياً بِراكبٍ
ولا السَّيْرَ في نَجْدٍ وإن كان مَهْيَعَا
أتَجْزَعُ ، والحَيَّان لمْ يَتَفَرَّقا
فكيف إذا داعي التفرُّقِ أسْمَعَا ؟!

فرُحْتُ ولو أسمَعتُ ما بي من الجَوَى
رَذِيَّ قِطَارٍ حنَّ شَوْقاً ورَجَّعَا
ألا يا غُرَابَي بَيْنَهَا لا تَرَفَّعَا
وطيرا جميعاً بالهوى وَقَعَا مَعَا
أتبْكِي على رَيَّا ونفسُكَ باعدتْ
مزَارَكَ من رَيَّا وشَعْباكُما مَعَا
فما حسنٌ أن تأتِيَ الأمر طائِعاً
وتجزعُ أنْ داعي الصَّبابَة أسْمَعَا
كأنَّك لمْ تشهَدْ وَداعَ مُفارقٍ
ولمْ ترَ شَعْبَيْ صاحِبَيْنِ تقطَّعا
تحَمَّل أهلي من قُنَيٍّ وغادروا
به أهلَ ليلي ، حين جِيدَ ، وأمْرَعَا
ألا يا خَليلَيَّ اللذَيْنِ تواصيا
بلوْمي إلا أنْ أُطِيعَ وأضرَعَا
فإني وَجَدْتُ اللَّوْمَ لا يُذهِبُ الهوى
ولكِنْ وَجدْتُ اليأسَ أجْدى وأنفَعَا
قِفا : إنهُ لا بُدَّ مِنْ رَجْعِ نظْرَةٍ
مُصَعَّدَةٍ شتَّى بها القومُ ، أو مَعَا
لِمُغتَصَبٍ قد عَزَّهُ القومُ أمْرَهُ
يُسِرُّ حَياءً عَبْرةً إنْ تطلعا
تهيجُ له الأحزانُ والذكرُ كلما
ترنَّم أو أوفى من الأرض مَيْفعَا
قِفا وَدِّعا نجْداً وَمَنْ حَلَّ بالحِمى
وَقلَّ لِنَجْدٍ عندَنا أن يُودَّعا
بنفسِيَ تلك الأرضُ ما أطيَبَ الرُّبا
وما أحسَنَ المُصْطافَ والمُتَرَبَّعا !!

وأذكرُ أيّامَ الحِمى ثم أنثَني
على كَبِدي من خشيَةٍ إن تصدّعا
فليسَت عشيّاتُ الحِمى برواجعٍ
عليك ، ولكن خلّ عَينيكَ تدمَعا
مَعي كلُّ غِرقَدٍ عَصى عاذِلاتِهِ
بوَصْل الغَواني مُذْ لَدُنْ أن ترَعْرَعا
إذا راحَ يمشِي في الرِّداءَينِ أسرَعتْ
إليه العيونُ الناظراتُ التّطلّعا
وسربٌ بَدَتْ لي فيه بيضٌ نواهدٌ
إذا سُمْتهُنّ الوَصْلَ أمسَينَ قُطّعا
مَشَينَ اطّرادَ السَّيْلِ هَوْناً كأنما
تراهنّ بالأقدامِ إذ مِسْنَ ظُلّعا
فقلت : سَقى اللهُ الحِمَى دِيَمَ الحَيا
فقُلْنَ : سقاكَ اللهُ بالسَّم مُنقَعا
وقلتُ : عليكنّ السلامُ فلا أرى
لِنفسِيَ من دُون الحِمى اليومَ مَقْنَعا
فقلنَ : أراكَ اللهُ إن كُنتَ كاذِباً
بَنانَكَ من يُمْنى ذِراعَيكَ أقطَعَا
ولمّا رأيتُ النّيرَ أعْرَضَ دُونَنا
وَجالتْ بناتُ الشوْقِ يَحْنِنّ نُزّعا
تَلَفّتُّ نحوَ الحَيّ ، حتى وجَدْتُني
وُجِعتُ مِنَ الإصغاءِ لِيتاً وأخْدَعَا
فإن كُنتمُ ترجونَ أن يذهب الهوى
يَقيناً ، ونَرْوَى بالشّرابِ فنَنقَعا
فرُدُّوا هَبوبَ الرّيح أو غيّروا الجَوى
إذا حَلّ ألواذَ الحَشا فتَمَنّعا

فمَا وَجْدُ عُلوِيّ الهَوى حَنْ واجْتَوى
بَوادِي الشَّرى والغَوْرِ ماءً ومَرتَعَا
تَشَوَّقَ لما عَضَّهُ القَيْدُ واجْتَوى
مَراتِعَهُ من بَينِ قُفٍّ واجْرَعَا
ورام بعَينَيهِ جِبالاً مُنِيفَةً
وما لا يرى فيه أخُو القَيد مَطمَعَا
إذا رام مِنها مَطلَعاً رَدَّ شَأوَهُ
أمينُ القُوى عَضُّ اليَدَينِ فأوْجَعَا
بأكْبَرَ من وَجْدٍ بِرَيَّا وَجَدْتُهُ
غَداةَ دَعا داعي الفِراقِ فأسْمَعا
ولا بَكرَةٌ بكْرٌ رأتْ من حُوارِها
مَجَرّاً حَدِيثاً مُستَبيناً ومَصْرَعا
إذا رَجَّعَتْ في آخِرِ اللَّيلِ حَنَّةً
لذكرِ حديثٍ أبكَتِ البُزْلَ أجْمَعَا
لقدْ خِفتُ ان لا تَقنَعَ النفسُ بعده
بشيءٍ من الدنيا ، وان كان مقنَعَا
وأعْذِلُ فيه النَّفْسَ إذْ حِيلَ دونَهُ
وتأبى إليه النَّفسُ إلا تطلُّعَا
سلامٌ على الدُّنيا فما هِيَ راحةٌ
إذا لم يَكُنْ شَمْلي وشَمْلُكُم مَعَا
ولا مَرْحَبا بالرَّبْعِ لَستُمْ حُلولَهُ
ولَوْ كانَ مُخْضَلَّ الجَوانِبِ مُمْرِعُا
فماءٌ بلا مَرْعى ، ومَرْعى بغَيْرِ ما
وحَيْثُ أرَى ماءً ومَرْعى فَمَسْبَعَا
لَعَمْرِيَ لقَدْ نادَى مُنادِي فِراقِنَا
بتَشْتِيتِنَا في كلِّ وَادٍ فأسْمَعَا

كأنّا خُلِقْنَا لِلنَّوَى وكأنمـــا
حَرامٌ عَلى الأيّام أن نَتَجَمَّعَا (١)

لو تذكرينني ..!

أما وَجَلالِ اللهِ لو تَذْكُرِينَنِي
كذِكريكَ ما كفْكَفْتِ للعَيْنِ مَدْمَعَا
فقالَتْ بَلى واللهِ ، ذِكرٌ لو أنَّهُ
يُصَبُّ عَلى صُمّ الصَّفَا لَتَصَدَّعا (٢)

أأكرَمُ منْ ليْلى عَليّ ؟!

ونُبِّئْتُ لَيْلى أرْسَلَتْ بشفاعةٍ
إليَّ فَهَلاّ نفْسُ ليْلى شفِيعُهَـــا
أأكرَمُ منّ لَيْلى عَليَّ فتَبْتَغِي
بهِ الجاهُ ، أم كنْتُ امرءًا لا أطيعها؟(٣)

زفرات الحبّ :

لَعَمْري لئن كُنتم على النّأي والقِلى
بِكُمْ مثل ما بي ، إنّكُمْ لَصَديقُ
إذا زَفَراتُ الحُبّ صَعَّدْنَ في الحَشا
رُدِدْنَ ، ولمْ يُنهَجْ لهُنَّ طريقُ (٤)

---

(١) نشرها استاذنا العلامة الشيخ عبد العزيز الميمني في كتاب « الطرائف الأدبية » ص ٧٦ الى ٨٠ بعد أن جمعها من مصادر كثيرة، فألف بين أبياتها ، فأوردناها كما أوردها بعد – ١ – اضافة البيت الأول من كتاب « المنازل والديار » وان كنا نشك بأنه – وبعض ابيات القصيدة مصنوع، – ٢ – أخرنا بيتين مما اورده الاستاذ ، هما المقطوعة الـ ٢٥ ، لأننا لم نجد ارتباطا بينهما وبين القصيدة .

(٢) « الأغاني » – ٥ / ١٢٦ .

(٣) « خزانة الأدب » – ١ / ٤٦٣ ، وفي الحماسة غـــير منسوبين ، نسبها ابن جني في « إعراب الحماسة » للصمة .

(٤) « الاغاني » : ٥/١٢٥ .

لأبصر ناراً ..!

نَظَرْتُ وطَرْفُ العَيْنِ يَتْبَعُ الهَوَى
بشَرْقِيِّ بُصْرَى نَظْرَةَ المُتَطَاوِلِ
لأبْصِرَ ناراً أُوقِدَتْ بَعْدَ هَجْعَةٍ
لِرَيَّا بِذَاتِ الرِّمْثِ مِنْ بَطْنِ حَايِلِ[1]

وكَفْكَفْتُ دَمعي :

[في خروجه إلى الثَّغْر]

فلِلَّهِ دَرِّي ، أيَّ نظْرَةِ ذِي هَوَى
نَظَرْتُ ضُحاً ، والشمسُ يَستَنُّ آلُهَا
إلى رَأسِ طَوْدٍ من جُفافَ كأنَّهُ
قَرَا فَرَسٍ ، تَنصِيبُها واحْزِلالُهَا
وكَبَّرتُ لما أنْ بَدَتْ لي بَلدَةٌ
بها سكنت طيّاً ، وطالَ احتِلالُها
وكَفْكَفْتُ دَمْعي ساعة وزجَرتُه
بأجْفانِ عَيْني ، ثمَّ خَلاَّهُ جالها
كما هَمَلتْ بالمـــاءِ اعراض شَنَّةٍ
هَزيم الكُلا ، لما تَدانى ابْتِلالُها
فَقَدْتُكِ عيناً، رُبَّمَا هِجْتِ عَبْرَةً
سَريعاً على جَيْبِ القَميصِ انهِمالها
ألا إنمـــا طَيّا – فصَبْراً – بَلِيَّةٌ
هَجَعتُ بأرْضٍ فاعتَراني خيالهـا
فَقُمْتُ إلى عَيرانَةٍ عَيدَهيَّـــةٍ
مَليحٌ بأجوازِ الفلاةِ اهْتِبالهـــا

---

(١) « معجم البلدان » - بصرى -

فلمّا رأيتُ الجِدَّ منهَا وأنّها
تجاهلُ ، لمّا حُلَّ عنهَا عِقالُها
ثنَيْتُ يَمِينِي فِي الزِّمام ، فمَا ثَنَى
لهَا الشَّأْوَ ، حتّى عاوَنتْهَا شِمَالُهَا
وحتّى ثَنى عِرْنِينَهَا حَلَقُ البُرى
وناطحَ أعلى حنو رَحْلي قذَالُها
عَلى مِثلِهَا، فاستَحْمِلِ اللهَ ، يَا فَتَى
وَغاوِلْ بهَا الحاجاتِ ، يَنْفعْ غِوَالها[1]

كأن انسلال الذئب أول ليلة
يبادر اسماك الحياض انسلالها

اني واقف فمسلم :

خَلِيلَيَّ إني واقِفٌ فمُسَلِّمٌ
عَلى النِّيرِ ، فارتاحا قليلاً فسَلِّمَا
فإني أُحِبُّ النِّيرَ ، والبُرَقَ التي
بها النِّيرُ، حُبّاً خالَط اللَّحْمَ والدَّمَا
فلوْ زالَ هَضْبُ النِّيرِ عن سَكناتِهِ
لَيَمَّمْتُ من وَجْدٍ بهِ حَيْثُ يَمَّما
ولوْ كلَّمَتْ صُمُّ الجِبالِ بمَوْطِنٍ
صَديقاً ، لحَيَّانا ، إذنْ ، وتكَلَّما[2]

دعوت زماماً للهوى :

[كان زمام بن خطام بن النضاح الكلبي أجود الناس غناءً بدويّاً ، وفيه يقول الصمة]

دَعَوْتُ زِماماً لِلهَوَى فأَجابَني
وأيُّ فَتىً لِلَّهْوِ بَعْدَ زِمام[3]

---

(١) الهجري [م ١٤٦] . (٢) « الاشباه والنظائر » ٢/١٣٨ .
(٣) « الشعر والشعراء » لابن قتيبة – ٢٤٤ .

أحبب بهن :

يَا صَاحِبَيَّ أطالَ اللهَ رُشْدَكُما
عُوجَا عَليَّ صُدور الأبْغُلِ السُّنُنِ
ثم ارْفعَا الطَّرْفَ هَلْ تَبْدُو لنا ظعُنٌ
بحائلٍ ، يَا عَناءَ النَّفْسِ من ظُعُنِ
أحْببْ بهِنَّ ، لو أنَّ الدَّارَ جَامِعَةٌ
وبالبِلادِ الَّتِي يَسْكُنَّ مِنْ وَطَنِ
طَوَالِعَ الحبْلِ من تِبْرَاكَ مُصْعِدَةً
كما تَتَابَعَ قَيْدَامٌ مِنَ السُّفُنِ
يَا ليْتَ شِعْرِيَ والأقدَارُ غالِبَةٌ
والعَيْنُ تَذْرِفُ أحْيَاناً منَ الحَزَنِ
هَلْ أجْعَلَنَّ يَدِيْ لِلْخَدِّ مرْفقَةً
عَلى شَعَبْعَبَ بَيْنَ الحَوْضِ والعَطَنِ[1]

سَوْرَةٌ من الجهل :

رَأتني الغَواني قَدْ تَرَدَّيتُ شَمْلَةً
وأُزِّرْتُ أُخْرى ، فازْدَرَتني عُيونُها
وفي شَمْلَتَيْ ـ لو كُنَّ يَدْرِينَ ـ سَوْرَةٌ
مِنَ الجَهْلِ ، مَجْنونٌ بِهِنَّ جُنونُها[2]

سقى الله الحمى :

ألا تسْألانِ اللهَ أنْ يُسْقِيَ الحِمى
بَلى ، فَسَقَى اللهُ الحِمى والمطالِيَا
وأسألُ مَنْ لاقيْتُ هَلْ مُطِرَ الحِمى؟
فَهَلْ يَسألَنْ عَنِّي الحِمى كيفَ حاليا[3] ؟!

---

(١) « معجم البلدان » - شعبعب ، والأخيران في « معجم ما استعجم » (شعبعب) له ولغيره .
(٢) « الأشباه والنظائر » - ١/٢٤٤ .
(٣) « الأغاني » - ٥/١٢٥ .

أديب مجهول من "الطائف"

أتحفني أحـد اخواني بكتاب مخطوط يضم أشعاراً وأخباراً ، ويقع في ٣٣٦ صفحة من القطع الوسط بكتابة ليست حسنة ، ولكنها مقروءة .

تصفحت الكتاب فوجدته أثراً من آثار أديب من أهل الطايف ، ومن أهل القرن الحادي عشر الهجري ، وذلك الأديب هو الذي دون ما فيه من شعر ونثر وكتبه بيده ، وقد بحثت فيما بين يدي من كتب التراجم عن ترجمة لهذا الأديب فلم أعثر على شيء ، والظاهر أنه وان كان لا يقل عن كثير من أدباء القرن الحادي عشر ، أدباً وثقافة، إلا أن ضعف انتاجه كان من أسباب عدم العناية به . وهذا الكتاب الذي بين أيدينا لا يمدنا بمعلومات أو فوائد ذات بال ، باستثناء ذكر بعض مواضع وردت عرضاً أثناء كلامـــه في بلاد الطايف، وباستثناء كلمات عامية استعملها الأديب المذكور في شعره قد نظنها حدثت بعد ذلك العهد ، ولعل الميزة الوحيدة لهذا الكتاب هو انه سجل لنا طائفة من الشعر العامي للأديب نفسه وبلهجة بدوية وبعبارات يكثر ورودها في الشعر العامي الحديث .

وهذا الأديب على ما تبين من كتابه ينظم الشعر باللهجتين العامية والفصيحة ، وشعره فيهما ليس قوياً ، وهو يكثر من نظم الشعر الفصيح في المديح ، وفي وصف حاله وفي التشوق إلى بلاده حيث نظم جل ما في كتابه هـــذا وهو في مصر .

وقد سجل في هذا الكتاب رحلته إلى مصر ، وبين الدوافع لها ، وإن فقره واحتياجه هما اللذان دفعاه إلى السفر إلى جميع مصر للاتصال بحاكمها التركي في ذلك العهد وهو علي باشا بن الحكيم الوزير بمصر كما يسميه .

ودفعته الحاجة أيضاً إلى الاتصال بالأسرة الوفائية التي ينتسب الأديب إليها ، ولكنه لم يستطع الاتصال برئيسها كما يفهم من كتابه .

وكان بدأ رحلته إلى مصر في ٢١ جمادى الآخرة سنة ١١٦٩ ، فوصل إلى مرسى قرب السويس يدعى الجَهَن في ٧ شعبان من السنة نفسها ، وزار القاهرة ومكث فيها زمناً ، كما ذهب إلى طنطا في آخر شوال من السنة نفسها وبقي في مصر إلى سنه ١١٧٢ .

واجتمع بعدد كبير من علماء مصر ، ومدح آخرين منهم ، مثل الشيخ أحمد الجوهري والشيخ عبد الله الشبراوي والشيخ محمد الحفناوي والسيد محمد البكري . كما مدح السيد مرتضى الزبيدي شارح القـــاموس ويظهر أنه لم يجتمع به .

وقد حاول الاتصال بحاكم مصر فتوسل بالقاضي علي بن تاج الدين ليوصله إليه فلم يفعل .

وتقدم إلى أحد المشاهير في مصر من الولاة ويدعى عبد الرحمن شاووش بكتاب جاء فيه : (جرى في البلاد بيننا وبين بعض الاخوان مذاكرة في مشترى وجبة ماء بمحلها من عين السلامة تكونوقفاً لسقي البركة التي بحضرة الحبر ابن عباس لأجل أن يتوضأ منها الخاص والعام ، وتكون صدقة جارية فلما وصلنا إلى محلنا هذا رأيت أن تكونوا أنتم أولى بهذا من غيركم)، وأضاف إلى الكتاب قصيدة في مدح المكتوب إليه ، ويظهر ان أمله لم يتحقق .

وقد مدح بعض الأدباء في مصر من أهلها ومن غيرهم وبعضهم أجابه على مدحه ، ومن اؤلئك شاعر يمني يدعى أحمد بن يوسف المتوكل فالكتاب يضم طائفة من شعره ومن شعر الأديب الطائفي فيه، ومنهم عبد القادر بن خليل كِدِكْ المدني ، وهو شاعر اجتمع به في مصر أيضاً .

ولا ندري متى عاد من مصر إلا أننا نجده في سنة ١٢٧٢ في الطائف وهو لم يسجل أنباء رحلته بطريقة مرتبة ، فقد يبدأ بذكر حادثة ما ثم ينتقل إلى

(صفحة من الكتاب بخط مؤلفه)

موضوع آخر ولا يرجع إلى إكمال نبأ الحادثة إلا بعد كتابة عشرات الصفحات كما فعل حينما دون خبر قيام طلاب الأزهر وشيوخه بثورة فقد قال في صفحة ٢٧ : (ومن أفظع ما رأينا في مصر من الظلم الصراح ، والأمور القباح ، لما كان رابع عشرين ذي القعدة الحرام سنة ١١٦٩ ، ثار أهل الجامع الأزهر على الترك وأمرائها وسناجقها ثورة عظيمة ، وصكوا الجامع الأزهر خمس صلوات لم يفتح حتى أن مصر عزّل أهلها الدكاكين ، وكل ساعة هجة ورجة وسعي من كل مكان ، ويقع فيها خطف ومخطوف ، وما ذاك إلا أنّ لأهل الجامع الأزهر جرايات وصرر ، أكلوها الترك ، فرفعوا أمرهم إلى كبرائهم ، فلم ينفعوهم بشيء فأشار عليهم كبارهم ومشايخهم بصك الجامع فصكوه) ثم ذكر جزءً من الخبر وانتقل إلى مواضع أخرى ولم يعد لاكمال القصة إلا في الصفحة ١٧٦ قائلاً : (ولنرجع لتتمة ما مضى في قضية أهل الجامع الأزهر لما أغلقوه) .

وهو يكتب بلغة عامية إلا حينما ينظم شعراً فصيحاً فانه يحاول أن يكون جارياً على الأسلوب العربي الصحيح ، وكثيراً ما يلحن أو يستعمل كلمات عامية .

وقد تعاطى التأليف حيث نجد في هذا الكتاب رسالة سماها: « النفحة الرحمانية والمقدمة الوفائية المحتوية على الأسرار النبوية »،ورسالة أخرى اسمها: «الجامع لما تناثر من الدرر في أخلاق سيد البشر ، وفي معنى لا تسبوا الدهر » وهي ناقصة إذ أن الكتاب ينقصه أوراق من أوله وفي أثنائه وذكر ان له مؤلفاً دعاه « غاية البيان لعظيم فضل الله المنان » في فضل الصلاة في المسجد الحرام .

وكان ينسخ بعض الكتب ، فقد ذكر أنه كتب ديوان الشيخ الأديب عبد الله الاتكاوي المصري وقرضه بابيات أوردها .

ويشير إلى بعض المؤلفات الأدبية ، فقد ذكر انه طلب من السيد

عبد الرحمن بن مصطفى الشهير بابي شوشة كتاب « السلافة » بكتاب قال فيه :

حبيبي هاجري من بعد قرب واني لا أطيق له خلافه
فان وصلا اسر به وإلا يجد لي بالدعاء و « بالسلافه »

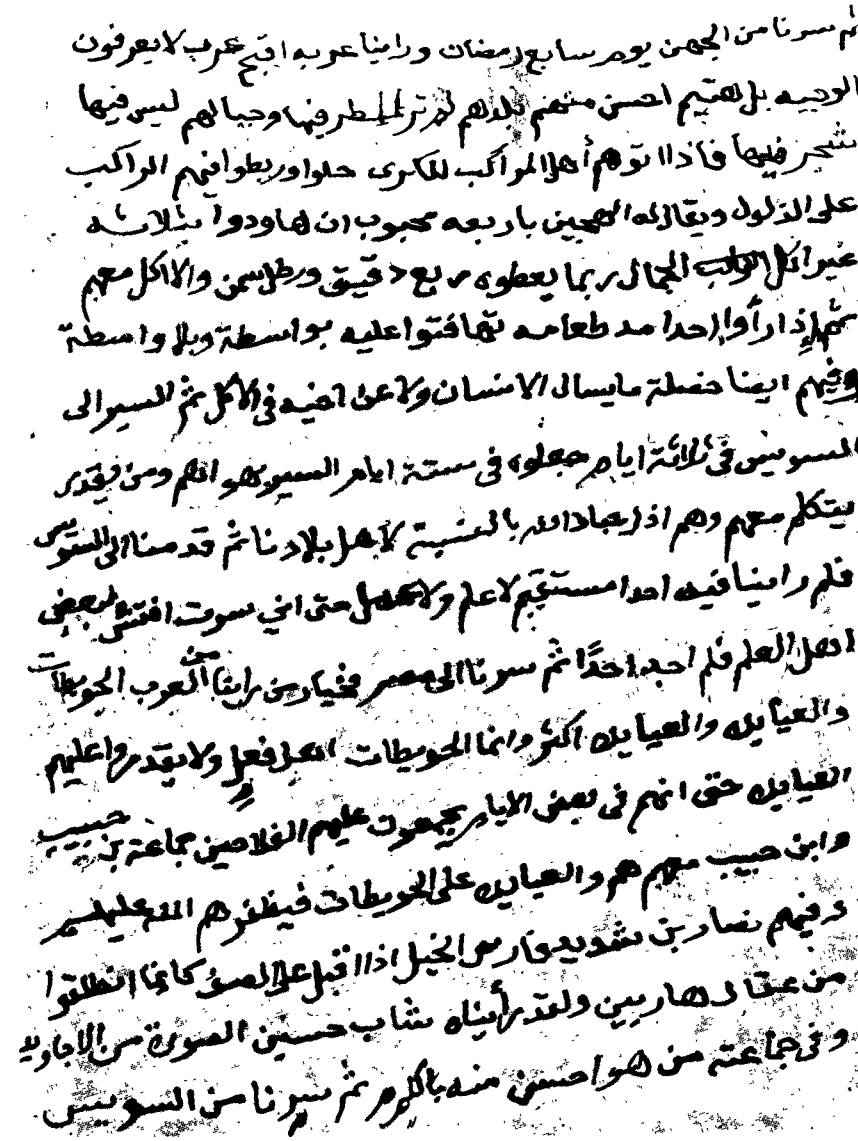

(صفحة أخرى من الكتاب)

ومن المعروف ان العصر الذي عاش فيه أديبنا يعتبر من أسوأ عصور الانحطاط الفكري الديني ، ولهذا جاءت أكثر قصائد الشاعر على نمط الشعر الذي نقرأه لشعراء ذلك العصر من حيث التعلق بالأموات تعلقاً يأباه الاسلام وتحرمه نصوصه الصحيحة .

أما هذا الأديب فهو كما جاء في كتابه هذا حسن بن عبد الله بن عيسى بن وفاء، الوفائي نسباً الشافعي مذهباً، الساكن في الطائف ، وكان يسكن في بلدة الحزم منها ويقول بأن اسرته في الطائف من أبنائه وابنائهم واخوانه واولادهم وأعمامه وأبنائهم نحو من خمسين نفساً، وذكر من أبنائه محمداً وأورد له نظماً ضعيفاً وسالم وبكري، وذكر ان زوجته تدعى عُرَيفة لأن اسم أبيها عُرَيف واسمها كاملة ، وأورد بعض اسماء أبناء عمه .

ومن أسماء المواضع التي ذكرها في الطائف مسجد الهادي وهجلة الطائف وريع نايف وحصن نايف وبيت باكافور قرب هجلة الطايف والسلامة والمليساء ووج والمثناة، وأم خبز والعقيق يذكر هذه عرضاً في شعره متشوقاً إليها أو عندما يريد تقدير بعض المسافات .

وذكر من أصدقائه في الطائف مسعود بن عبد المحسن بن حريب، ووصفه بجمال الصوت ، وحسن الإنشاد ، ومحسن بن مُقبل ، ومن أصدقائه من أهل مكة القاضي علي بن تاج الدين القلعي المفتي ، وحسن بن مفتي مكة ومحمد بن احمد النَّمازي صاحبه وصديقه ورفيقه في رحلته ، والشريف محمد بن مغامس من أمراء مكة ، والشريف أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن يعلا وقد مدحه وحسين بن علي بن عبد الشكور الفَتَني المفتي والشريف مساعد بن سعيد وسالم بن طاهر بافضل ، وحسين بن سالم الهذلي ، والشريف زين العابدين بن هِجار الرُّدَيني من أهل بَدْر ، وليس من ذوي هجار أهل ينبع كذا قال.

أما عن شعره وخاصة العامي وهو يدعوه (الحرابي) ، فهذا يحتاج إلى بحث آخر .

(للحديث صلة)

فصول لم تنشر من كتاب :

حج إلى نجد مهد العرب

(نشرت « دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر » خلاصة رحلة الليدي آن بلنت ، ما يتعلق منها بنجد، وقد اقترح أحد القراء ترجمة الفصول الأولى من الرحلة ، وإن لم تتعلق بنجد ، ذلك لأنها – فضلاً عن امتناعها ،واعتبارها جزءاً من الرحلة – تحوي معلومات قيمة عن أحوال بادية الشمال ، وتصور انطباعات الكاتبة ومشاهداتها وتصورها الكثير من أحوال العرب وما يتصل بهم منذ ما يقرب من مائة عام ، وها هو الفصل الأول من تلك الرحلة) :

« لقد كنت رحالاً عظيما ، يا موكري ؟ »

« لقد شاهدت العالم » .

« آه ، مشهد عجيب . أتوق للرحيل » .

« أكرر الشيء نفسه . القليل من التجديد والكثير من التغيير . لقد أضناني الجهد ، ولو استطعت أن أحصل على معاش لتقاعدت » .

« ومع ذلك فالسفر يكسب الحكمة » .

« إنه يشفينا من الحرص . أن نرى الكثير يجعلنا نحس أقل ، ونعرف كم هي حقيرة كل تلك الأمور العظيمة ، التي تكلفنا كل هذا القلق » .

إكسيون في السماء

دمشق ٦ ديسمبر ١٨٧٨ :

من الغريب أن الأفكار الكئيبة تتلاشى بمجرد أن يضع المرء قدمه في آسيا . فبالأمس فقط كنا ما زلنا نضطرب في بحر الفكر الأوروبي ، بهمومه السياسية ، وبؤسه الاجتماعي ، ومطامحه المتعبة ، إنها تركة الجنس المنحدر من « يافث » الذي لا يقر له قرار .

والآن يبدو كأننا أبحرنا في ماء هادىء، حيث نستطيع أن نرتاح وننسى، ونكون من الشاكرين . إن سحر الشرق هو عدم وجود الحياة العقلية هناك ،

وتحرر عقل المرء من القلق الناشىء عن النظر إلى الأمام أو الألم الناجم عن النظر إلى الخلف ، لا أحد هنا يفكر في الماضي أو المستقبل ، الحاضر فقط هو مدار التفكير . وأحسب أن الحاضر سيظل دائماً أمراً يطيق المرءُ احتماله حتى يأتي يوم مماته . ولقد سرنا أن نقابل أصدقاء قدماء ، أصدقاء كان سرورهم برؤيتنا واضحاً . فعندما نزلنا في مكتب العربات ، وجدنا عصبة صغيرة من التابعين ، ينتظرون قدومنا – أولهم (محمد بن عروق) رفيقنا في مغامرة العام الماضي ، الذي جاء من (تدمر) للقائنا ، وليسافر معنا مرة أخرى ، ويبدو أنه قد قضى شهراً في انتظارنا . ثم (حَنَّا) أشجع الجبناء والطباخين ، بدموعه التي توشك أن تطفر من عينيه دائماً ، وأسنانه البيضاء اللامعة ، التي يفتر عنها ثغره تعبيراً عن الترحيب . وكل واحد منهما أحضر صديقاً له، ويصر على أن يدعوه قريباً ، سيشارك في المزايا المتاحة من وجوده في خدمتنا ، وسيقف إلى جوار راعيه ان دعت الحاجـــة ، لأن الخدم هنا يحبون أن يسافروا مَثنَى. إن (ابن عم) محمد رجل هادىءٌ يوحي مظهره بالاحترام ، في حدود الثالثة والثلاثين ، ممتلىء نوعاً ما ، عريض الكتفين . وسيعمل رئيساً للجمالين ، ويبدو أنه الرجل المناسب لهذا العمل . أما (أخو) حنا فلا يحمل أيَّ شَبَهٍ لحنا . وهو شاب عملاق ، ذو وجه ضعيف نوعاً ما، ويدين عظيمتين عريضتين ، تسببان له ، كما يبدو ، حرجاً عظيماً . وهو يرتدي قباء يشبه الحلة الكهنوتية المسماة « دالماتيك » [1] ومن المحتمل جداً أن هذا القباء هو الأصل الذي نقلت عنه تلك الحلة ، ويعتم بعمامة ملونة . وربما يكون ذا نفع ، ولكنه مسيحي ، ولكن قد لا يكون من الحصافة أن نصطحب خادماً مسيحياً إلى (نجد) إن (فرحان) جمالنا العُقَيلي هو الوحيد الذي لم يظهر ، وهذه خيبة أمل عظيمة ، لأنه كان أحسن أتباعنا في العام الماضي طبعاً وأكثرهم أهلاً للثقة . وأظن أننا قد نفتش (دمشق) بفانوس قبل أن نعثر مرة أخرى على مثيل له .

---

(١) نسبة إلى دالماشيا في يوغوسلافيا ، وهذه الحلة يرتديها بعض رجال الدين من ذوي رتب معينة في الكنيسة الغربية كالأساقفة .

أمضينا المساء في تبادل الأخبار . دُعِيَ محمَّدٌ لتناول العشاء معنا بصفته « أخاً » لـ (ولفِرْدْ) [1] ، وقضينا ساعة أو ساعتين سارَّتين جداً ، نسمع كل ما حدث في الصحراء خلال الصيف

فأولاً ، الإثارة التي سببها شراؤنا لمهر بطين ، والحزازات والغيرة الناتجة عن ذلك . ثم كانت أعمال سامية أنجزها أصدقاؤنا في (الحَماد) . ففارس وجدعان قد عقدا سلاماً [2] (وهو شيء جميل نسمعه)، وأصبح لكل منهما الآن حرية التصرف على الفرات ، حيث أصبحت طريق القوافل نتيجة لذلك غير مأمونة . ويبدو أن فرحان بن صُفوق زحف على أخيه يساعده بعض الجنود الأتراك ، فتراجع فارس عبر النهر ؛ ولكن بعض (عَشمَّر) كما توقعنا في العام الماضي ، عَدِموا إليه . أمـــا حرب (الرُّوَلَة) فلم تنته بعد . فـ (ابن شعلان) وقد رفض المقترحات التي تقدم بها إليه جدعان عن طريقنا، أصر على أن يعيد احتلال مراعي (حماة) في الربيع الماضي، فهاجمه جدعان وكسره ؛ ولهذا فقد تراجع صوب الجنوب إلى بلده .

وقد افترق (محمد الدوخي) و(جدعان)بعد ان صفَّت السَّبَعةحسابها مع (الرُّولة) واقتنعت بحملة الصيف ؛ بينما لا يزال (وِلد علي) لهم دين ، دم كبير .

إن (محمد الدوخي) عجوز ارعن مخاتل ، ولكن من الصعب ان تعرف كيف سيحافظ على مركزه مع (صَطَام) بالرغم من التحالف الجديد مع (فارس المزيد) ، شيخ (المسنة) الذي لا يزال معه بضع مائة من الفرسان ليساعده بهم ، ومن حلف آخر مع (محمد آغا) صاحب (جرود) إن (وِلدْ علي) مُخيمون في اللحظة الحاضرة بالقرب من (جرود) ولهذا فمن المحتمل اننا سنذهب إلى هناك ، كخطوة اولى في طريقنا إلى (نجد)

---

(١) هو زوج الكاتبة ورفيقها في رحلتها – أنظر عنه (ص٧١ من هذه المجلة) .
(٢) أخشى أن تكون هدنة فقط .

إن محمدا لا يعرف شيئا عن الطرق إلى (نجد) او (الجوف) سوى انهما يقعان في مكان ما ، بعيد في الجنوب ، وان له أقرباء هناك ، وإني لأشك في أن أحداً في (دمشق) يستطيع ان يزودنا ببعض المعلومات . إن (ولدعلي) سيعرفون ، على أية حال ، أين (الرُّولة) ويستطيع (الرولة) ان ينقذونا حيث انهم يذهبون جنوبا أبعد مما يذهب غيرهم من (عَنَزَة) . إننا نخشى ان تكون الصعوبة هذا الشتاء مصادفة عدم سقوط مطر في الربيع الماضي ، ولذلك فان (الحمَادَ) تكون محترقة وبلا ماء . ولولا هـــذا ، فان أحسن السبل ستكون بلا شك خارج حوران ، التي هي دائماً خطرة ، ويقال انها كذلك هذا العام على وجه الخصوص . كثيرا ما قورنت الصحراء بالبحر ، وانها لشبيهة به في أكثر من ناحية ، ومن بينها في هذا الشأن،أنه كلما أوْغل بعيدا عن الشاطىء كان مأمونا نسبياً ، بينما توجد مخاطر الحوادث دائماً على طول الشاطىء . لكننا سوف نرى . وفي نفس الوقت تحدثنا مع محمد عن (الجوف) فقط ، خشية أن نرعبه . فـ (نجد) في تصور العرب الشماليين موغلة في البعد ، ولم يعرف عن أحد يذهب الى هناك من دمشق . إن محمدا يعترف بولاء لـ (الفِرْد) لا حدَّ له ، ويبدو أنه صادق حقاً ؛ ولكن ستائة ميل من الصحراء كما يطير الغراب ستكون اختباراً شاقاً للإخلاص . نلاحظ أن محمداً قد زاد مقامه وأهميته منذ رأيناه آخر مرة ، ولقد اتخذ زِيَّ شيخ ولقب (شيخ) ، على الأقل لمصلحة خدم الفندق؛ حقاً، إن لديه من الصفات قدراً كافياً ليُحْسَبَ بدوياً قُحّاً .

ان هناك مستعمرة لأهل (تَدْمُر) في (دمشق) ، أو على الأصح في ضاحية المدينة تسمى (المَيْدان) وكان محمد يقيم معهم. ذهبنا إلى هناك معه هذا الصباح لنشاهد بعض الجمال التي كان يشتريها لنا ، والتي هي واقفة ، أو بالأصح باركة في حوش أحد أصدقائه . وتتألف المستعمرة من عائلتين أو ثلاث ، تعيش معاً في بيت صغير وفقير جداً . لقد تركوا تدمر منذ حوالي ست سنوات ، « في حالة حنق » ، كما يقولون ، وإنهم هنا لينتظرون العودة من يوم إلى يوم منذ ذلك الحين. كان رجال البيت غير موجودين عند زيارتنا،

لأنهم ، مثل معظم التدمريين يكسبون قوتهم من عملهم كحمالين ؛ إلا أن النساء استقبلننا بكرم ، فطلبن إلينا أن نجلس ونشرب القهوة ، وكانت قهوة ممتازة لم نذق مثلها منذ وقت طويل ، وأرسلن فتاة صغيرة لتخرج الجمال من الحوش من أجل أن نراها . ساقَت الفتاة الجمال بنفس الطريقة المثلى التي كان يستطيع أن يقوم بها أيُّ رجل . يبدو أن محمداً قد أحسن الاختيار . فهناك أربع ذُلُلٍ للركوب ، وأربعة جمال حمل ؛ وهذه الأخيرة رؤوسها قبيحة بشكل واضح ، ولكنها تبدو قوية قوة تؤهلها لحمل (بَوابات غزّةَ) أو أي شيء آخر نختار أن نضعه على ظهورها . إن الأمور الأساسية التي يجب النظر إليها ، عند اختيار الجمال ، هي عرض الصدر ، وطول الرقبة ، وقصر الرجل ، ودرجة استدارة الخاصر .

ولقد شاهدت قوة العرقوبين يختبرها رجل بالوقوف عليها بينما الجمل بارِك . فإذا استطاع أن يقف ، رغماً عن الثقل الواقع عليها ، فلا محل للشك في سلامته .

ولم نرفض من الجمال سوى واحد فقط ، لوجود آثار جرب قريب العهد ؛ إلا أن عبد الله (ابن عم محمد) وضع المسألة « على رأسه » مؤكداً أن كل شيء على ما يرام بالنسبة لهذا الجمل ، كما هو الحال بالنسبة للبقية . إنها صفقة رابحة على أية حال ، لأن متوسط الثمن كان أقل من عشرة جنيهات للبعير الواحد .

إن المرء لا يملك إلا أن يشفق عليها — الحيوانات المسكينة — حين يفكر في الرحلة الشاقة التي تنتظرها ، وفي ضعف احتمال أن تبقى جميعها على قيد الحياة لتشهد نهاية الرحلة . إنها لحسن الحظ لا تعرف مصيرها أكثر مما نعرف مصيرنا نحن . وكم سنكون قساة عليها ، وحقراء لو عرفنا بالتحديد في أي وادٍ أو منحدر ستنطرح وتترك لتموت ، لأن مصير الجمال هو هكذا . لكننا لو عرفنا ، فلن تقوى قلوبنا على أن ننطلق مطلقاً .

ويلي الجمال في الأهمية الخيل التي سنمتطيها ، فمحمد لديه مهرته الصغيرة (شلفا) التي كانت معه في العام الماضي ، وهي لا تكاد تبلغ ثلاث سنوات ، ولكنه يصرح أنها متكافئة مع وزنه ، ١٨٢ رطلاً ، وأحسب أنه خير من يعرف . أرسل لنا السيد (س) من حلب مهرتين مع (حَنَّا) احداهما (رأس الفداوي) ، جميلة وقوية ، والأخرى (كُمَيْت) عمرها ثلاث سنوات ، وهي (عُبَيَّة شراق) ، ليس فيها ما يبين عن منظر حسن ، ولكن لا بد أن تكون سريعة ، وقادرة على حمل أمتعة خفيفة الوزن . ركبنا إلى الميدان) وجذب منظر (الكميت) اهتماماً عاماً . فالتفت كل انسان لينظر إليها ؛ ربما كانت مليحة جداً لتستخدم في رحلة .

٧ ديسمبر :

إننا نمضي النهار مع السيدة (دغبي) وزوجها ، (مِجوَل) صاحب (المِزْرَاب) وهو رجل كريم المحتد ولطيف المعشر ، ولقد زودنا بقدر كبير من النصائح الغالية عن رحلتنا. وهما يملكان منزلاً ساحراً خارج المدينة، تحيط به الأشجار والبساتين ، وهو يتوسط بستاناً خاصاً به ذا جداول ضيقة يجري فيها الماء وممرات تملأ حافاتها أزهار انجليزية من الطراز القديم — أزهار الجدران على وجه الخصوص . وتوجد طيور وحيوانات أيضاً ، حمام وقمارى، ترفرف بين الأشجار ، وبجعة تقبع بجوار النافورة في وسط الفناء يحرسها كلب من كلاب الحراسة . وتقف مهرة في الاسطبل ، ولكنها واحدة فقط ، لأن أكثر من واحدة لا داعي لها في المدينة .

إن المبنى الرئيسي للبيت بسيط جداً في أثاثه العربي المجرد ، ولكن مبنى منفصلاً في البستان مجهز مثل غرفة استقبال انجليزية بكراسي ، وأرائك ، وكتب ، وصور . ومن بين رسوم تخطيطية كثيرة مشوقة وجميلة ، محفوظة في قمطر إطلعت على بعض من المناظر الملونة بألوان مائية لتدمر رائعة حقاً ، رسمتها السيدة (دغبي) منذ عدة سنوات حين كانت المدينة معروفة أقل مما هي عليه الآن .

دخل (الشيخ) هكذا يدعى عادة ، ولو أن ذلك خطأ ، لأن أخاه الأكبر محمد هو شيخ (المزارب) الحاكم – دخل بينما كنا نتحدث ، وتحولت محادثتنا عندئذ بطريقة طبيعية إلى أمور الصحراء التي تشغل معظم أفكاره والتي هي بالنسبة لنا طبعاً أهم ما يشغل بالنا في هذه اللحظة .

كان من بين ما قدمه لنا من معلومات تقرير عن قبيلته ، (المزراب) ، وهو التقرير الذي لم نشر إليه إلا نادراً في تعدادنا المنشور عن القبائل .

وقبل أن أعيد ذكر بعض الحقائق التي عرفناها منه ، لا أستطيع أن أمنع نفسي عن قول بضع كلمات عن (مجْوَل) نفسه ، وهي ما ستبرر القيمة التي نضفيها على المعلومات التي استقيناها منه كشخص يؤهله ميلاده ومركزه لأن يتكلم حقاً . فهو في مظهر يكشف عن جميع خصائص البدوي الكريم الأصل ، وهو قصير ونحيف ؛ ويداه وقدماه بالغة الصغر ، قمحي اللون، ذو لحية سوداء وخطها الشيب، وعينين سوداوين، وحاجبين سوداوين

ومن الخطأ أن نحسب أن العرب الحقيقيين ذوو شعر أشقر أو حتى أحمر . وقد يشاهد المرء في الصحراء رجالاً شُقر السّحنة ، ولكن هؤلاء (بحسب تجاربي) لهم ملامح تتفق مع نمط أجنبي ، وتدل على جنس هجين . ولم يُرَ أيّ بدوي قح غير أسود الشعر والعينين ، أو غير أقنى الأنف في الغالب .

وكان أبو (مجول) يعرف القراءة والكتابة ، وهذا استثناء نادر بين (عَنَزَة) وقد جاء لأبنائه ، عندما كانوا غلماناً ، برجل عالم ، ليعلمهم القراءة والكتابة ، ولكن واحداً من تسعة إخوة ، هو (مجول) بذل جهداً ليتعلم ان الحادثة الغريبة لزواجه من سيدة انجليزية تبعده عن الصحراء أشهراً متتابعة ، ولكنها لا تجعله غريباً عنها ؛ وقد أخذ في بعض زيه يقلد أهـــل المدينة ، ولم يأخذ شيئاً عن الأوربيين. وهو يذهب الى المسجد المجاور (وهذا صحيح) ويؤدي صلواته كل يوم ؛ ومع هذا الاستثناء ، فهو لا يفترق عن أبناء (شعلان) وأبناء (مرشد) أصحاب (الحماد) . ومن السهل أيضاً أن نرى أن قلبه ظل متعلقاً بالصحراء ، التي تتشاطر حبه كاملاً مع السيدة

التي تزوج ؛ ولذلك فهو حين يخلف أباه في المشيخة (ومن المحتمل ان يحدث ذلك لأن أخاه يبدو أصغر منه) فأظن أنه نادراً ما سيحرص على أن يقضي كثيراً من وقته هو وزوجته في دمشق . ومما لا شك فيه أنهما سيتأثران بمجرى السياسة القبلية التي أعرف أنها تثير الغثيان في نفس (مِجْوَل) إلى حد قد يحمله يستقيل لمصلحة ابنه عافت (Afet) وفي تلك الحالة ، ربما يستمران – كما هو الحال الآن يعيشان حيناً في (دمشق) وحيناً في (حمص) وحيناً في الخيام ، ويكونان دائماً مقصداً لقبيلتها ، التي يمدانها بضرورات الحياة البدوية ، والبنادق ، والمسدسات ، بالإضافة إلى الذخيرة . ومن أجل ذلك ، كانت (المزيريب) ، ولو أنها لا تكاد تبلغ مائـــة خيمة ، جيدة التجهير ، وأفضل تسلحاً من قريناتها دائماً ، وقادرة على الثبات في المغامرات الحربية (للسَّبَعَه) .

و (المزيريب) حسب ما روى لنا (مِجْوَل) وخلافاً لما كنا قد أخبرنا ، ليست مجرد بطن من (الرسالين) وإنما هي الأرومة التي تفرعت منها (الرسالين) من (المواهيب) و (القمصة) . وفيما يتصل بالقبيلة الأخيرة روى لنا القصة الغريبة التالية : –

تزوج عربي من قبيلة المزراب فتاة من قبيلة (السويلمات) وسرعان ما مات . وفي بضعة أسابيع تزوجت أرملته مرة أخرى ، واختارت زوجها الجديد من بين أقاربها .

(للبحث صلة)

تعريب : محمد انعم غالب
كلية بلقيس – عدن

اعتذار : –
ضاق نطاق هذا الجزء عن كثير من الأبحاث المتسلسلة وغيرها ، فمعذرة ، وإلى الأجزاء القادمة .

مَعَ ٱلقُرَّآءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

حول بلاد غامد :

وكتب الأخ الأديب مناع غرم الله الغامدي في وزارة العمل في الرياض كتاباً يفيض بالشعور الكريم ، ويضفي على مجلته العرب من الثناء رداءً فضفاضاً ينم عن طيب نفس وكرم خلق .

ثم يتساءل قائلاً: (لم أجد ولو كلمة عن جهة من جهات هذه المملكة الرشيدة ولا أدري هل لا يوجد لها ذكر في التاريخ ، أم ان هذا تغافل من مجلتكم ومحرريها عن الكتابة عنه .؟!ان هذا الجزء أعظم مصيف بعد الطائف إن لم يكن معادلاً له فهو أكثر إرتفاعاً منه،إنه بلاد غامد البلاد الواسعة الشاسعة الأطراف التي عرف أهلها منذ القدم بالنشاط في التجارة وغيرها) .

العرب : —

ان الأخ الكريم يدرك ان « العرب » مجلة لكل عربي وهي تعنى بكل ما يتعلق بأية ناحية من نواحي بلاد العرب عناية تتلاءم مع مقدرة المجلة ومعرفة القائمين على إصدارها . وهي تفسح المجال لكل كاتب عن أي بقعة من بقاع الجزيرة مما يفيد القراء أو يضيف إلى معلوماتهم جديداً مفيداً . والقاء نظرة عابرة على أسماء كتابها وموضوعات أبحاثها تؤيد ذلك وهي لا تقدم كاتباً على آخر ولا بحثاً على غيره ما لم تكن هناك دواعي تستحق التقديم وهذه الدواعي تنحصر في ناحية واحدة هي الافادة مجردة عن كل غاية إلا الغاية التي يهدف اليها كل محب لخير هذه البلاد ، وساع لتحقيق ذلك الخير .

والعرب لا تجهل ما لذلك الجزء الحبيب من بلادنا من حقوق ولا تتوانى ما استطاعت عن القيام بما تقدر على القيام به منها ، وهي تدرك عراقة تلك البلاد وأهلها وما لهم من أثر قوي في مختلف مجالات الحياة قديماً وحديثاً ، إلا أن هناك من الجوانب ما نعتقد أن الأخ الكريم يدركه أتم الادراك يكاد

ينحصر في المثل القديم : (أهل مكة أدرى بشعابها) فأبناء ذلك الجزء يعرفون عن بلادهم أكثر مما يعرفه غيرهم وهم أولى بأن يعرفوا كل شيء عن تلك البلاد ، وهم أجدر من غيرهم بأن يكتبوا عنها ما يرون ويرى غيرهم فيه من افادة القراء ، ومن توضيح مختلف جوانب الحياة في ماضيها وحاضرها ، ولهم بعد ذلك حق العتب. فهل نجد من اخواننا وأبنائنا في بلاد غامد من يقوم بهذا الأمر؟ إذ في قيام أحدهم به ما يغني عما قد يتطرق إليه باحث جل بضاعته هو ما يجده في بعض المؤلفات مما هو على كثرته وامتاعه وفائدته عن هذه البلاد جدير بالتحقيق والتمحيص .

مصورات جغرافية :

وبعث حضرة صاحب الفضيلة الأخ الاستاذ الشيخ سعيد بن عياش الغامدي ـ قاضي خميس مُشيط ـ إلى « العرب » كتاباً فياضاً بالشعور الطيب ، نرى الواجب يقضي بامتاع القراء ببعض الجمل الواردة فيه . قال حفظه الله : (... يداعبنا الأمل في أن تكون الجامعة الفكرية . التي تجمع شتات ما تفرق من تاريخ هذه البلاد، وأدبها القديم ، والحديث ، الشعبي والفصيح ما كان من شمالها ، وما كان من جنوبها ، ان القراء يطلبون من هذه المجلة شيئاً مهماً ، وأعتقد أنه لا يكلف شططاً ، ذلك الشيء ، هو وضع خرائط مصورة لكل مكان ، يذكر في المجلة، سواء كان في شرق الجزيرة ، أو غربها شمالها أو جنوبها . خارطة توضح المدن والقرى والأودية ، وطرق السيارات والمسافات ، وغير ذلك مما يستدعيه البحث .

كم تكون الفائدة عظيمة ، حينما أقرأ عن قبائل جهينة وبلادها وأوديتها وجبالها ، ثم التفت بنظري إلى خريطة توضح ذلك وتبينه ، وكم تكون الفائدة عظيمة ، حينما أقرأ عن وادي حنيفة ، ومن سكنه ومكان المعارك والغزوات ، سواء ما كان منها قبل الاسلام ، أو بعد ظهوره ، ثم أجده موضحاً في خارطة على صفحات المجلة . ان ذلك ستكون فائدته ذات شقين ،

الأول نشر المعرفة ، والثاني الدعاية للمجلة ، انها ستطلب لا من قرائها في هذه البلاد ولا من الناطقين بالعربيـــة فحسب ، ولكنها ستطلب من أوروبة وأمريكا وأفريقية وآسيا ، لأنها ستكون في نظر اؤلئك المرجع الصحيح الصادر من صاحب الدار ، وهو ادرى بما فيها :

وغير خاف على اخي ان دراسة بلادنا الجغرافية في المدارس غير وافيـة وغير مشبعة ، ولا أدل على ذلك من جهل ناشئتنا ببلادهم ، بل قد لا أكون مبالغاً اذا قلت انهم يعلمون عن مصر وغيرها من البلاد العربية بل اوروبة وامريكا وعن طبيعة أرضها ومناخها أكثر بكثير مما يعرفونه عن بلادهم، ومن هنا فان ما أرى وضعه في مجلتكم من الخرائط، لا أقصد منه ان تكونمقرراً للدراسة ولكن أقصد ان يكون مرجعاً لواضعي المقررات ، وذلك العمـــل بالتالي ، يعوض القارىء ما فاته في سني الدراسة. ان هذا العمل اذا تم سيكون له فوائد كثيرة قد يكون أقلها ما أشرت اليه وهـــذه ناحية واحدة من النواحي التي أرى انها من أهم ما ينبغي أن تتطرق اليه المجلة ، ولكل وجهة نظر ، وعلى كل فان ما اكنه للمجلة وللقائمين عليها من المحبة ، جعلني أبدي رأيي هذا وهو مجرد رأي قابل للاخذ او الرفض) .

العرب : ان هذا الاقتراح ليس وجيهاً فحسب ، بل من الأمور التي لا تتم فائدة الأبحاث التاريخية بدونها ، لا سيما ما يتعلق بتحديد المواضع، ولكن من المعلوم ان رسم الامكنة بطريقة صحيحة يستلزم مهارة ومعرفة تامة ، وهذا مما لا يتهيأ لكل كاتب بحث، ثم ان الرسم نفسه متى وجد يحتاج الى تصوير ثم عمل طابعات (كليشيهات) وهذا يتطلب زيادة في النفقـة لا تستطيع مجلة تقوم على جهد فرد محدود المقدرة ان تقوم به وإذن فالأمر كما قيل : (العين بصيرة واليد قصيرة) وما لا يدرك كله لا يترك كله !!.

ولفضيلة الاستاذ عميق الشكر والتقدير .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل. هاتف (٢٤٣ المحرر)
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات الرسمية والشركات عدا الحضرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الادارة
ثمن الجزء: ريالان سعوديان

الجزء الثالث ـ السنة الثانية ـ رمضان ـ سنة ١٣٨٧ (كانون الأول ١٩٦٧)

مؤرخو مدينة جدة

مدينة جدة من أقدم مدن جزيرة العرب ، إلا أن تاريخها قبل ظهور الاسلام مغمور ، ونجد فيما كتبه متأخرو المؤرخين عنها ؛ ان الفرس في العهد الجاهلي كانوا يسكنونها ويشتغلون فيها في التجارة ، لكونها من أهم المراكز التجارية ، وانهم عملوا فيها صهاريج لحفظ ماء المطر لقلة آبارها العذبة الماء .

ونجد في بعض الكتب التاريخية خبراً عن استخراج بعض الأصنام الجاهلية التي كانت مدفونة بساحلها على ما رواه الكلبي وغيره، أما في العهد الاسلامي، فقد وجدت عناية قليلة من بعض المؤرخين والرحالين وتلك العناية منشؤها أمور :

١ ــ أنها أصبحت ميناءً لمكة ، وثغراً يرابط فيه لحماية المدينة المقدسة ، ولهذا جاء في الأثر : مكة رباط ، وجدة جهاد ، ووردت آثار في المرابطة فيها عن متقدمي العلماء .

٢ ــ انها أصبحت خزانة مكة ، والمورد القوي من موارد رزقها فعرفت

باسم خزانة مكة ، كما في تاريخ الفاكهي ، وخزانة الحرم كما جاء في قصيدة لشاعر من أهلها من أهل النصف الأول من القرن الثاني الهجري :

وأنا الفتى العجلي ، جدة مسكني
وخزانة الحرم التي لا تجهل [1]

٣ – صلة حواء أم البشر بها ، فقد وردت آثار قديمة عن هذه الصلة ، أشار إلى بعضها مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي وغيره ، فقال في « شفاء الغرام » : (روى الفاكهي عن ابن عباس أن قبر حواء بجدة ، وذكر ابن جبير في « رحلته » أنه كان بجدة موضع فيه قبة مشيدة عتيقة ، يذكر أنها منزل حواء أم البشر ، ولعل هذا الموضع هو الذي يقال له : قبر حواء ، وهو مكان مشهور بجدة ، إذ لا مانع من أن تكون نزلت فيه ، ودفنت فيه – واستبعد أن يكون قبر حواء بالموضع المشار اليه لكون ابن جبير لم يذكره ، وما ذاك إلا لخفائه عليه ، فهو فيما بعد رحلته من الزمن أخفى) . انتهى كلام الفاسي . وهو مما يستأنس به لقدم مدينة جدة لا لما ذكر عن قبر حواء.

من هذه الأمور المتقدمة ، وجدت مدينة جدة عناية من بعض المؤرخين أو المؤلفين في فضائل المدن الاسلامية ، وخاصة من مؤرخي مكة كالفاكهي ومن جاء بعده .

ثم في كتب الرحلات ، عُنِيَ الرحالون الذين يفدون إلى مكة عن طريق ثغر جدة أن يدونوا طرفاً من مشاهداتهم في جدة ، ومن أقدمهم : ابن جبير الأندلسي ، وابن المجاور النيسابوري الفارسي في أول القرن السابع الهجري ، وابن بطوطة وغيرهم ، ورحلاتهم معروفة مطبوعة .

وأقدم من رأيناه نسب بناءها إلى الفرس هو ابن المجاور وهو رجل فارسي نيسابوري ، مجهول ، قام برحلة إلى جزيرة العرب حيث سافر من الديْبُل

---

(١) « افتخار الحرمين » ص ٤ نسخة الخطية .

إلى عدن في أواخر سنة ٦١٨ ، وكان في زبيد سنة ٦١٩ ، ووصل إلى جدة قبل سنة ٦٢١ ، حيث كان هذه السنة فيها ، ثم في مكة ، في دار الأمارة .

ووالد هذا يدعى محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور البغدادي النيسابوري .

ووصل إلى المهجم – في اليمن في تهامة منه في المكان الذي قتل فيه الصليحي سنة ٦٢٦ – وذكر في كتابه وقائع وحوادث حدثت سنة ٦٢٦ كبناء المنصورة وتسميتها القاهرة (ص ٥١٧ نسختي الخطية)

هذا الرحالة هو أول من رأيناه نسب عمارة جدة إلى الفرس ، فقد قال في رحلته : (بناء جدة : حدثني موسى بن مسعود النساخ الشيرازي ، قال: لما أسلم سلمان الفارسي – رضي الله عنه – تسامعت أهلوه بالخبر ، فقصدوه وأسلموا على يد رسول الله ﷺ وسكنوا جدة ، لأنهم كانوا تجاراً .

وقال بعضهم : بل هي من بناء يزدجرد بن برويز بن يزدجرد بن شهريار بن بهرام – إلى أن قال – : فلما خربت سيراف انتقلت أهل سيراف إلى سائر سواحل البحر، فوصل قوم منهم ، وفيهم اثنان : أحدهما يسمى سيّار، والثاني ميّاس ، فسكنوا جدة ، وأداروا على البلد سوراً من الحجر الصم بالجصّ ، فلما ابتدأوا بالمقام بهـا بنوا هذا السور – ثم أورد ما ذكره ابن فهد ، وسيأتي ولم يصرح بالنقل عنه .

وقد أورد ابن المجاور بياناً بأسماء صهاريج جدة ، وقال : (كانت العبيد تنقل ماء الصهاريج على الدولاب ، فتقلبه في الصهاريج التي عندهم في الدور ، وكذلك صهريج الأخميمي ، وصهريج مسجد الأبنوس ، وصهريج الجامع ، وصهريج بردريه ، وصهريج محمد بن القاسم ، فكان الماء يبقى عندهم من العام إلى العام ، وهم في أكل وشرب ، وهرج ومرج – ثم رسم صورة لمدينة جدة غير واضحة قائلاً : وصورتها على هذا الوضع والترتيب – وأورد فصلاً بعنوان : (ذكر خراب جدة) أورد فيه خبراً أقرب إلى الخرافة من الحقيقة ، وحدد ذلك في سنة ٤٧٣ هـ وقال في فصل عنونه بـ (ذكر فضيلة

جدة) . قال : (قال ابن المجاور : وما أظن هذه البركة إلا من جهة أم البشر حوّى[1] – صلوات الله عليها – لأنها مدفونه بظاهر جدة ، وكان الفرس قد بنوا عليها ضريحاً بالآجر والجص ، محكماً ، فبقي إلى سنة احدى وعشرين وستمائة ، فعند هذا التاريخ تهدم ، وارتدم بعضه على بعض ، ولم يعد بناؤه ، ورأيته عامراً قائماً ، وقد رأيته خراباً وقد ارتدم بعضه على بعض) .

وذكر أشياء تتعلق بحباية المكوس في جدة ، كما فصل أسماء المواضع الواقعة بينها وبين مكة ، بما لا يخلو من فائدة .

ومما تجب ملاحظاته أن كثيراً مما ذكره لا يستند على أساس صحيح ، فلم يذكر أحد من المؤرخين المتقدمين – فيما علمنا - أن سلمان الفارسي – رضي الله عنه – وأهله سكنوا جدة ، ولم نجد ذكراً لخبر انتقال أهل سيراف إلى جدة في غير كتاب ابن المجاور .

وبالاجمال فما ذكره هذا الرحالة من الأمور التي يستطرف ذكرها ، ولا ينظر اليها كقاعدة تاريخية يعتمد عليها ومع ذلك فقد رأينا من كتب عن تاريخ جدة – ممن سيأتي ذكرهم – يعتمد عليها .

أما أقدم من عرفناه أفرد الكلام عن تاريخ جدة ، أو فضائلها في كتابه فهو :

١ – ابن فهد المكي (٨٩١ – ٩٥٤ هـ)

جار الله محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي[2] ، فهذا قد أقام بجدة مدة من الزمن وتولى بعض الأعمال الدينية فيها ، وألف رسالة في فضلها وأحوالها تتضمن لمحات واضحة من تاريخها .

---

(١) الغريب أن كتابة الاسم بهذه الصورة نجده في كثير من الكتب ، كشفاء الغرام ، وتواريخ جدة .

(٢) أنظر ترجمته في مجلة « العرب » م ٢ ج ٢ ص ١٠٤ .

وتقع رسالة ابن فهد هذه في بضع صفحات ، قال في أولها بعد البسملة (ذِكْرُ شيء من فضلِ جدةَ ، وشيء من خبرها)، وأشار في هذه الرسالة إلى ان الملك المظفر جدد جامعها العتيق ، وان الملك الأشرف الغوري والسلطان العثماني في عهده عمراه ، وآخرهم كانت عمارته في سنة ٩٤٧ هـ ، وذكر أخباراً تتعلق بعمارته ، وأشار إلى ان في المدينة في عهده ثلاثة جوامع تقام فيها الجمعة وقال : (وفي جدة آثار قديمة تدل على قدم اختطاطها ، وانها كانت مدينة كبيرة ، ويذكر انها كانت من زمن الفرس ، والمشهور انها من بنيانهم، ولما بنوها بنوا سورها أتقن بناء، فجعلوا عرض الحائط عشرة أشبار وأحكموه وجعلوا له أربعة أبواب ، باب الدومة وباب المدبغة وباب مكة ، وباب الفرضة مما يلي البحر ، وحفروا حول البلد خندقاً عظيماً في الوسع والعمق ، وكان مدوراً في البحر حول البلد ، ويرجع ما يفضل إلى البحر ، والبلد يومئذ شبه جزيرة ، فلما حصن الفرس البلد غاية التحصين ، خافوا من ضيعة الماء ، فبنوا ٦٨ صهريجاً داخل البلد ، وبنوا ظاهرها مثلها ، وقيل ٣٠٠ داخلها ومثل ذلك خارجها ، ثم ان الفرس خرجوا منها واندرست واندثرت ، وبقيت الآثار خاوية على عروشها) . وختم الرسالة بقوله : (وبخارجها الآن مصانع قديمة بها أجباب معقودة في الحجر الصلب متصل بعضها ببعض ، تفوت الاحصاء كثرة ، وفي البلاد دور كثيرة بناؤها من الحجر الكاسور ، ويجتمع فيها من أطراف العالم للربح المشكور ، والمتجر المعمور من ديار مصر والعرب والهند واليمن والعجم ، خصوصاً في قيام الموسم الهندي المتجدد في هذه السنين يعني في وسط القرن السابع ، فيباع فيه من البضائع المجلوبة والأمتعة المنتخبه ما لا يحصيه إلا الله تعالى ، وفيها نواب من صاحب مكة . والله أعلم بحقائق الأمور وعليه التكلان) .

والرسالة غير مسماة ، وكثير مما فيها منقول عن ابن المجاور ، وان لم يصرح بذلك ، وأرى ان الاسم الذي أطلق عليها وهو « السلاح والعدة في فضائل بندر جدة » ، أطلق غلطاً من أحد المترجمين الذين ترجموا ابن فهد هذا ورأوا اسم الرسالة فظنوها رسالته ، كما فعل بروكلمان في « تاريخ الأدب العربي » حيث سماها بهذا الاسم اعتماداً على النسخة الموجودة

في المكتبة الوطنية العامة في مدينة فينّا تحت رقم ٦٩١ وهذه لابن فرج كما يأتي .

أما رسالة ابن فهد فهي في مكتبة برلين تحت رقم ٦٠٦٣ ثم نقلت أثناء الحرب العامة إلى إحدى مكتبات المدن الالمانية ، ولديّ نسخة عنها .

٢ – ابن ظَهيرة المكي (المتوفي سنة ٩٤٠)

آل ظهيرة ينتسبون إلى قريش ، وهم من أعرق الأسر المكية في العلم ، وفي وظائف التدريس والامامة والقضاء ، ولأحد العلماء مؤلف في بيان المشاهير من هذا البيت .

ومنهم الشيخ صلاح الدين محمد بن محب الدين أبي السعرد ، ابن ظَهيرة المكي الشافعي ، المتوفي سنة أربعين وتسعمائة .

لقد تولى هذا العالم القضاء في مدينة جدة برهة من الزمن، وكان على جانب من الفضل والعلم ، ومن مؤلفاته :

« الأخبار المستفادة في من ولي مكة المكرمة من آل قتادة »

« جامع الجواهر » منظومة في مطالع الكواكب الثابتة، نظمها سنة ٩٠٥

« تاريخ لمدينة جدة »

ولا نعرف شيئاً عن تاريخه لمدينة جدة ، سوى ما نقله عنه ابن فرج ، ثم من بعده الحضراوي ، مصرحين بقولهما : (ذكر القاضي صلاح الدين ابن ظهيرة الشافعي ، قاضي جدة ، في تاريخه جدة ، ومنه نقلت) [١] .

٣ – ابن فرج (المتوفي سنة ١٠١٠)

وللشيخ عبد القادر بن أحمد بن محمد بن فرج الشافعي الخطيب في جدة[٢]

---

(١) السلاح والعدة ـ ص ٥ نسخة فينا .

(٢) أنظر ترجمته في « خلاصة الأثر » ج ٢ ص ٤٣٥ .

رسالة عن جدة هي « كتاب السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة » تقع في قرابة ٢٥ صفحة ، قال في مقدمتها بعد الخطبة : (لمـــا رأيت الأعيان من ذوي الفضل وخواص الزمان من أهل العقل والعقد والحل تقربوا بقربانهم وتغربوا عن أوطانهم وأهلهم وخدموا بارواحهم وجسمانهم من أهلّ الله تعالى لهم الولاية على جيران بيته العتيق — الى أن قال — : حامي حمى بلد الله الأمين ، ومدينة سيد المرسلين وأشرف ثغور العالمين السيد داوود بن هاشم — إلى أن قال — .. دعاني إلى تأليف هـــذا التاريخ ما أوجبه وفرض من خدمة من بذِكْرِه هذا الكتاب مستطر ، وسميته « السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة » وقد رتبته على مقدمة وفصول فيما ورد من الأحاديث ومـــا اشتملت عليه من المآثر والمشاهد والزوايا والمساجد والكرامات لمن بها من الأولياء الأخيار) .

المقدمة في بضعة سطور في سبب تسمية جدة .

الفصل الأول في فضلها وما ورد فيه من الأخبار .

الفصل الثاني في أول من جعلها ثغراً لمكة ، وفي هذا الفصل طرف من تاريخها القديم ، نقلاً عن ابن فهد ، وجملة عن سكانها من مختلف البلاد ، في عهد المؤلف ، وجاء فيه ان بيت ابن فرج من اليمن من أهل الخور ، وأول من سكنها منهم الفقيه فرج ، وكان يعلم القرآن بمسجد 'شمَيْلَة ، وأول من اشتهر منهم بالعلم أحمد بن محمد بن فرج والد صاحب هذا التاريخ وشيخه السيد أحمد بن سعيد الجبني من جبن بأرض اليمن ، تفقه على يده كثيرون من أهل البلد وهو مقبور بجدة .

الفصل الثالث في سبب عمارة سور جدة في أول القرن العاشر الهجري وهذا أطول الفصول وأحفلها بالفوائد .

الفصل الرابع في ذكر ما اشتملت عليه من قبور العلماء والصلحاء .

والفصل الأخير مبتور مما يدل على ان المؤلف لم يكمل كتابته، فهو يتضمن

الكلام عن قبر حواء وعن قبر عفيف الدين عبد الله المظلوم الذي سميت باسمه محلة من محلات البلدة وينتهي عند هذا الحد.

ومن هذا الكتاب نسخ أقدمهـــا نسخة المكتبة الوطنية في فينّا وهي غير مؤرخة [أنظر ص ٢١٨] .

وفي المكتبة التيمورية المضافة إلى دار الكتب المصرية نسخة أخرى برقم ٢٢٠٧ وهي بقلم محمد عبده بن الشيخ محمد الحضراوي كتبها في جمادى الآخرة سنة ١٣١٥ هـ .

وفي مكتبة الشيخ عبد الستار الدهلوي المضافة إلى مكتبة الحرم نسخة تقع في ٤٧ صفحة وخطها حديث :

٤ – جمال بن عمر المكي (١٢٨٤ هـ)

وذكر صاحب « هداية العارفين في أسماء الكتب والمصنفين [١] » ان الشيخ جمال بن عمر المكي الحنفي المفتي ورئيس المدرسين بمكة المتوفي سنة أربع وثمانين ومائين وألف له من مصنفاته: « الفرج بعد الشدة في تاريخ جدة » و « فضائل النصف من شعبان » و « نور الجمال على جواب السؤال » .

ولا أعرف عن كتابه شيئاً أكثر من هذا .

٥ – أحمد بن محمد الحضراوي (١٢٥٢ – ١٣٢٦هـ)

ويعتبر الشيخ أحمد بن محمد الحضراوي من كبار علماء مكة ومؤرخيها[٢]، وله عن جدة كتابان أحدهما في « المفاضلة بينهـا وبين الطائف » – والثاني « الجواهر المعدة في فضائل جدة وتاريخها » .

ومن الكتاب الأخير نسخ منها نسخة في خزانة جستر ببتي بمدينة دبلن في ايرلندا رقمها ٣٧٢٢ بخط المؤلف في ١١ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٨ هـ كما

---

(١) ج ١ ص ٢٥٧ .
(٢) أنظر طرفاً من ترجمته في مجلة العرب م ٢ ج ٢ ص ١١٢ .

كتب إلي بذلك صديقي الباحث المحقق الأستاذ كوركيس عواد في كتاب خاص مؤرخ في ١٩٦٧/٤/٢٧ .

ومن هذا الكتاب نسخة في مكتبة الشيخ عبد الستار المضافة إلى مكتبة الحرم المكي وهي بخط الشيخ عبد الستار نفسه ورقمها ٢٧ تاريخ ، وتقع في ٦٢ صفحة من القطع الصغير والكتابة مقروءة وان كانت غير جيدة .

وأول الكتاب بعد المقدمة : (لما كان بندر جدة من المآثر المشهورة والمعالم المحمودة، لاحتوائها على المعاهد العظيمة والمشاهد الجسيمة،ولكونها للبلد الأمين كالرأس من الجسد ، فهي دهليزه وبابه المعَدّ، ولا يكون الدخول إلى الدار إلا من الباب ... فهي البلدة الزكية أول جزيرة العرب ، وللدخول منها تطلب المعارف والقرب – إلى أن قال: أحببت إظهار فضلهـــا في هذه الوريقات ، وذكر بعض أخبارها فيما هو آت ، فجاءت بحمد الله رسالة عجيبة ، جمعتها من كتب عديدة، وسميتها «الجواهر المعدة في فضائل جدة» ورتبتها على مقدمة وفصلين وخاتمة .

المقدمة : في سبب انشائها وضبط أسمائها ومن أنشأها .

الفصل الأول في فضائلها والمرابطة والصلاة فيها والمجاورة .

الفصل الثاني في مآثرها وما احتوت عليه من سكانها .

الخاتمة في بعض حكايات لطيفة وقعت في عرصاتها .

ويحتوي هذا الكتيب على معلومات مفيدة منها :

غزو الحبشة في سنة ١٨٣هـ لمدينة جدة .

نهب جدة وقتل أهلها قتلاً ذريعاً سنة ٢٥١ هـ على يد اسماعيل الأخيضر .

ولاية الجراشي التاجر لها من قبل الشريف حسن بن عجلان سنة ٨٠٦هـ، وكان اتفق مع الشريف على أن يستوفي المكوس ولكنه زاد فيها كثيراً ، وبنى فرضة فيها ليحاكي بها فرضة عدن ، ثم تغير عليه صاحب مكة لخبث

لسانه في أوائل رمضان سنة ٨٠٩ ثم عفى عنه ورده إلى عمله ، ولكنه تغير عليه بعد ذلك عندما قام بمساعدة رميثة بن محمد بن عجلان الخارج على أمير مكة في سنة ٨١٦ هـ حيث هجم على جدة ونهبها ، فسعى جابر الجراشي أمير جدة بينهما بالصلح ووقع مع ذلك منه مخالفة لأمـــير مكة في بعض الأوامر . فقبض عليه ، وأخذ أمواله وأمر بقتله إلى آخر القصة التي نقلها المؤلف عن تاريخ الفاسي .

في سنة ١١١٦ جدد أمير مكة الشريف غالب ما تهدم من السور وبنى من جهة البحر كشكاً مشرفاً على المرسى .

في سنة ١٢٥٢ كان أول وصول قنصل للانكليز إلى جدة وتوطنه بهـــا ورفعه علماً (بنديرة) .

سنة ١٢٧٤ فتنة أبناء صالح جوهر وهم رعية للانكليز ، وأورد القصة مفصلة كما أوردها دحلان .

سنة ١٢٧٥ أول مجيء محمل من مصر من طريق البحر إلى جدة، وكثرت المراكب حتى بلغت ثلاثة عشر مركباً ، فجعل والي مصر شركة سماهـــا المؤلف (كبانية) ببندر جدة .

سنة ١٢٨٠ تجديد عمارة المسجد الذي على البحر ، المعروف بمسجد عكاش.

سنة ١٢٨١ ورود عساكر مصرية إلى جدة ينوفون عن الألفين فقلّ الماء على أهل جدة وضاقوا بهم ذرعاً ، فطلبوا ابعادهم إلى محل بينه وبين جدة ساعة ونصف عند آبار تسعهم وماء عذب ينفعهم .

وبالاجمال فهذه الرسالة على ايجازها توشك ان تحتوي على جل ما أورده من كتب عن تاريخ جدة، باستثناء ما جاء في رحلة ابن المجاور وفي غيره من الرحلات ، فقد عوّل الحضراوي أكثر ما عول على « رسالة ابن فرج » المتقدم ذكره .

حملة بحرية حربية بين ظفار وعدن

بلغت الدولة الرسولية – في اليمن – في عهد الملك الثاني من الأسرة الرسولية أوج عظمتها وغاية قوتها فقد استولى الملك يوسف المظفر على الحجاز من الأيوبيين بمساعدة حليفه (راجع بن قتادة) سنة ٦٥١ وفي نفس تلك السنة أخذ مدينة (صعدة) معقل أئمة الزيدية العتيد ، وقضى على حياة الامام أحمد بن الحسين المهدي في معركة (شوابة) عام ٦٥٦ واسر الامام الآخر (ابراهيم بن تاج الدين) عام ٦٧٦ هـ وراح يتطلع إلى مناطق نفوذ ومجال حيوي جديد في الشرق ، والشرق الشمالي (حضرموت) و(ظفار) . وقد سبق للدولة الأيوبية في (اليمن) قبلها ، الاستيلاء على حضرموت ، وما الدولة الرسولية إلا امتداداً للدولة الأيوبية في اليمن خاصة .

وكان على إمارة (ظفار) شاب من أنجب أسرة الحبوضي – أمراء ظفار – أدرك بقوة حاسته السياسية خطر التوسع الرسولي الذي أخذيتسرب إلى (حضرموت) وسوف يغمره قريباً إن لم يأخذ للأمر أُهبته . ولحضرموت علاقات قديمة مع أئمة الأباضية في (عمان) وظفار كان جزء منها ، وطدت وشائج الصلات بين القطرين ووحدت الميول والمشارب – آنذاك – علاوة إلى صلة الجوار ، فاستغل الأمير الشاب كل ذلك للاستيلاء على (حضرموت) لدرء الزاحف ، وإبعاد ميدان المعركة المقبلة عن إمارته، ولتكون حضرموت الخط الدفاعي الأول عن وطنه ، وقد تم له ذلك فعلاً وأذعنت قبائل حضرموت ، ولم يشذ عنهم إلا أحد امرائهم (ابن اليماني) فانه ظل أكثر أمراء وطنه تقيداً لاستمالة الرسوليين ، وأرسل ابنه إلى (تعز) ليستمدها النجدة .

شعر الملك المظفر بهذه الوثبة الفتية الجريئة ، وان فرصة العمل الناجح

قـــد فاتت ، وان أغلبية الحضارم ميّالون إلى صاحب (ظفار) فأجّل التسرع في الاستجابة لطلب النجدة ، ومن ناحية أخرى رأى ان العمل على تقوية مركزه في منطقة (الشّحْر) المنظمة سياسياً تحت نفوذه تحت إمرة أميرها المحلي (ابن شجعنه) هو الأجدى نفعاً والأحسن عملاً وحكمة .

إن النجاح من أقوى وسائل الاغراء والاثارة ، لذا نجد أمير ظفار لم يكتفِ بما أحرزه من الفوز السياسي في (حضرموت) والسعي بالوسائل السليمة لعقد اتفاق أو معاهدة بينه وبين تلك الدولة الرسولية ، بل أخذ في مغامرة جديدة دفعه اليها طموحه البعيد ، وحذره القوي ، رغبة في ضم سهول ساحل (الشّحر) إلى إمارته ، ومن ثم سدّ الثغرة المتبقية في خط دفاعه الجديد ، حتى لا يبقى للنفوذ الرسولي أية ثغرة للتسرب سياسياً أو عسكرياً إلى وطنه . فأخذ في تحريض سلطان الشحر على التحرر من النفوذ الرسولي ، وكان النتيجة الأولى لتحريضه رفض سلطان الشحر دفع الخراج السنوي للملك الرسولي ، مما دفع الملك الرسولي إلى الأخـــذ بالحزم – بعد التجربة التي مرت به في حضرموت – والاسراع في بعث القوة الكافية ، وبذلك ضم الشحر نهائياً إلى مملكته ففر سلطانهـا إلى القسم الجبلي وأخذ بمساعدة (ظفار) في المقاومة حتى أرغمته القوات الرسولية على الفرار إلى (ظفار) .

ان هذا الصراع (السياسي) الصامت بين (ظفار) و (تعز) دفع الأخيرة إلى زيادة نشاطها لضرب نطاق من الأحلاف تطوق به إمارة (ظفار) حتى تحصرها في أضيق نطاق وتعزلها سياسياً عن الامارات المجاورة تمهيداً للقضاء عليها في أضيق مجال ، ومن أقصر الطرق ، لذلك قامت اتصالاتها بالامارات المجاورة – لـ(ظفار) ومنها (فارس) وشعرت (ظفار) بما يدبر حولها فأخذت في الترقب والحذر ، وصادف ان الوفد المرسل إلى فارس اضطرت مركبَهُ الرياحُ المعاكسَةُ إلى الجنوح لسواحل (ظفار) فوقع على العيون المترصدة ، والبصائر المترقبة، فقادت المركب إلى اليابسة وصادرت ما به، وأسرت الوفد واستولت على الهدايا التي به ، وأخذت الرسائل التي معهم . وهنا بلغ التأزم

بين الطرفين ذروته ، ورأت الدولة الرسولية انها أمام خصم من طراز جديد، لم يمر بتجاربها – والمواصلات بعيدة جداً بحكم وسائل ذلك العهد ، فأحبت ان تتذرّع بالحكمة والتأني ، وتظهر أمام الناس بالعدالة وبعد النظر، وأنها الدولة التي لا تحب التعدي أو تضمر الشر بما يتناسب ومالها من رصيد أدبي ، ونفوذ سياسي ، فبعثت رسالةً ووفداً إلى (ظفار) تقول فيها ما نصه : (لم يجر مثل هذا عادة من التعدي على رجالنا ورسلنا من أسلافك ، ونحن نحاشيك من قطع السبيل ، وانت تعلم ما بيننا وبين والدك ، ثم بيننا وبينك ، ثم اننا فوق كل ذلك نتأدب بأدب (القرآن) الكريم قال تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) الخ فكان الجواب : (هذا الرسول فأين العذاب) .

وبوصول الردّ انفرط عقد صبر الملك الرسولي ، وأصدر أمره لوالي عدن وهو الأمير شهاب الدين ، بالاغارة على (ظفار) .

الغزو :

تقدم والي عدن يقود قوةً بحرية صوب (ظفار) فوصل ، والقوم على إهبة لصده ، ويظهر انها غزوة لم يكتب لها النجاح ، فعادت إلى قاعدتها عدن ، لم تحقق هدفاً ولم تحرز انتصاراً يذكر ،إذ أنها أرغمت على التراجع السريع .

رد الفعل :

شجع نكوص تلك الحملة التي لم توفق أمير ظفار إلى الأخذ بزمام المبادأة، والقيام برد فعل مباشر على القاعدة البحرية الرئيسية ميناء (عدن) فقاد الأمير بنفسه حملةً بحريةً ، للاغارة على ميناء (عدن) ولم يكن يخطر على بال الرسوليين ان تتجرأ أية امارة على غزوها ، فكانت فرصة سنحت على حين غرة ، تمكن الأمير الظفاري من مهاجمة عدن ، ونهب مـــا أمكنه من البضائع الغاصة بها الميناء ، واقتياد بعض السفن الراسية ، والانسحاب بعد ذلك بدون خسارة تذكر .

الحملة الرئيسية :

وردت الأنباء للملك المظفر وهو بمدينة (الجند) بخبر الغارة على (عدن) فاستشاط غيظاً، وأصدر أوامره حالاً بتجمعات اسطوله في عدن، وبناء سفن جديدة، بأقصى سرعة ممكنة،وأخذ في التجهيزات وعندما استكمل الاسطول قِطـَعَهُ العاملة والمساعدة من السفن والمراكب المعروفة في ذلك العهد من :

١ — الشواني
٢ — الطرادات
٣ — الحواسك
٤ — المراكب
٥ — السنابيق

شحنها وجهزها بالمؤن والمعدات ، وآلات القتال والحصار ، وعقد لواء القيادة على الأسطول لأمير البحر (سيف الدين سنقر) وأودع في سفينة القيادة خزنة الحملة ، وقدرها أربعمائة ألف دينار .

الحملة البحرية :

ان الملك قد وطد العزم على وضع حدٍ حاسم للقضاء على هذا الخصم العنيد ولذلك لم يكتف بالحملة البحرية بل سير حملتين بريتين على الوجه الآتي :

١ — جيش قوامه ثلثمائة فارس، صدر له الأمر بالتوجه من مدينة صنعا — حضرموت — ظفار —بطريق مرتفعات يافع — دَوْعَن ، وعقد لواءه للقائد (بدر الدين عبد الله الجنيد) وزوده بالجمال والبغال لحمل المؤن والعلوفة والعليق والمعدات الحربية .

٢ — جيش قوامه اربعمائة فارس ، وجهة سيره عدن — الشحر — ظفار ، بالطريق الساحلي ، يباري الأسطول — ويستمد مؤنه ومعداته من السفن ، الحاملة ، المرافقة للاسطول ، وعقد لواءه للقائد (حسام الدين لؤلؤ) .

سارت القوات البحرية والبرية على خطة مرسومة ، فسارت الفرقة الأولى

واستعمل معها (أمير ظفار) حرب العصابات المزعجة ، في جبال وشعاب وأودية حضرموت ، ويقول صاحب « العقود اللؤلؤية » : (ما فارقوا الحرب ليلة واحدة حتى عبروا حضرموت) واستطاعت تلك الفرقة بكل مشقةٍ الوصول إلى هدفها الأول حدود ظفار بعد خمسة أشهر ولم يبق من مجموعها إلا (مائة فارس وثلاثة عشر رجلاً) .

وأما الفرقة الثانية فكانوا اذا بعدت بهم الطريق عن الساحل ، تعبوا وقاسوا المشاق التي لا تطاق ، إلاّ لجيشٍ وطّنَ نفسه على الموت أو تحقيق النصر ، فاذا دنت بهم الطريق من الساحل اسْتَجَمّ قليلاً وأخذ في التزود من الأسطول ما يلزمه من العتاد والمؤن ، وكانت السفن التي مع الاسطول قد شحنت بكل معدات القتال وآلات الحرب المعروفة آنذاك ـ من الرماح ، والسيوف والزرد، والبيض ، والخفافين والقسي والسهام والتروس والأوضاف، ونعال الخيل واللجم وستة منجنيقات ، بجميع عددها وآلتها ورجالها وأحجارها ، ويقول صاحب « العقود اللؤلؤية » : (وقد بلغني انه رست معهم في البحر ألف قطعة ، عبارة عن الجوالق العظيمة ، من أنواع الشحن ، ثم كانت الأسواق في البحر قائمة كاعظم ما يكون في أسواق المدن ، وفيها من أصناف الطباخين والخبازين وأرباب الصناعات) .

التجمع :

سارت كل فرقة في طريقها المرسوم حتى تم التجمع في مدينة (رَيْسُوت) دخلت المدينة الجيوش برّاً وأقبل الأسطول من البحر في أُبهةٍ وخيلاء، ويقول صاحب « العقود » : (ولم تزل كل فرقة تسير على حسب ما يمكنها من السير حتى جمع الله بينهم في يوم واحد على بندر رَيْسُوت) وقال صاحب « العقد الثمين » : (فأقبلت مطايا البحر من الشواني يقدمها الحواسك والسنابيق ، كأنها بعض الملوك ، ثم أقبلت الطرايد وهي المركب الأعظم ، وقدامها السفن والسيوف مسلولة والأعلام منصوبة ، والطبلخانات راجفة ، وأما القماش من البندقي والسوسي والموصلي والزبيدي شيء لا يحيط به الحصر) ،

وكان تلك الأقمشة كسوة الجنود وخلع للقادة ، ومن يستحق التكريم وغيرهم، من رؤساء البلاد التي ستفتح .

المعركة :

اجتمعت فرق الجيش الرسولي في مدينة (ريسوت) وجرى استعراضهم وتفتيشهم فبلغ جميع من وصل براً وبحراً :

١ – خمسمائة فارس .

٢ – سبعة آلاف راجل .

بالرغم من أن مؤرخي الدولة الرسولية تحاملوا بكل وسائل التحامل والتجريح على أمير ظفار ، ونعتوه بما لا يتفق وشخصيته التي تطالعنا عبر الأجيال البعيدة بضروب من الحزم والذكاء ، وبالطبع فهذا لا يستغرب من مؤرخي الدولة المحاربة في تلك العصور ، التي كان التاريخ أداة طيّعة للدولة، وللقوة ، وللمذاهب العنصرية ، وإنما كل دارس وباحث ومدقق يتلمس الحقائق جاهداً وبين ركام التاريخ ، وظلام التعصبات سيظفر ببريق الحقائق ووميض الضمائر تنير سبيله الفينة بعد الفينة ، وعلى بصيص ذلك الضوء الخافت سيرى حقائق طمست ، وتجنيات وضعت ، وتبعات زرعت ، وقديما قيل : (وَيْل للمغلوب) وعلينا بدراسة الماضي لاستخلاص العبر ، وجلي الغامض، وتوضيح المستتر، خدمة للحقيقة وتنويراً للأجيال ، وبراً بالعلم .

فهذا الأمير المجني عليه في نظرنا ، وهو يقوم بمفروض الدفاع عن وطنه ، ودرء الخطر عن بلده ، هو ضحية المطامع التوسعية ، وقربان السياسة التسلطية ، إزاء دولة لا تعد بلاده إلا منطقة من مناطقها ، وقد كاد أن يبزها في ميداني السياسة والمناورة ، وانما التفوق الحربي له وسائله العلمية ، وأسبابه الدفاعية والهجومية ، وامكانياته المالية والعددية ، ونظامه الحربي ، وقياداته المتفوقة وجنوده المدربة ، وخططه المدروسة ، وبالاختصار انها معركة غير متكافئة الأطراف .

سارت القوات الرسولية من (ريسوت) ووالت تقدمها إلى أن وصلت (عوقد) وهي محلة من (ظفار) وخشية من التوغل في بلاد هم غرباء عنها ، وما كان في حسبانهم أن يتقدم الأمير الظفاري إلى مبادأتهم الهجوم بالنسبة إلى كثرتهم العَدَدية والعُدَدية ، وبينما قادة الجيش يديرون أوجه الرأي إزاء الموقف الغامض ، والذي يرون من صالحهم أن تدور رحا المعركة الفاصلة ، إذا طلائعهم توافيهم بقرب دنو جيش (ظفار) يقوده الأمير نفسه . فأخذوا أهبتهم للقاء وأخذوا مراكزهم على بعد من بلدة (عوقد) ونظموا صفوفهم على الوجه الآتي :

١ ــ القائد عبد الله بن عمر بن الجند وفرسانه في الميسرة .

٢ ــ الأمير شمس الدين ازدمر في القلب .

٣ ــ القائد حسن بن علي المذحجي في الميمنة .

واشتعلت نار المعركة التي أسفرت عن قتل خمسين فارساً من جيش الأمير الظفاري ، وثلثمائة راجل وثمانمائة أسير ، واستبسل الأمير الشجاع حتى خر صريعاً في ميدان المعركة ، وتقدم الجيش الرسولي ، واحتل مدينة (ظفار) في اليوم التالي للمعركة ، وهو يوم الأحد الموافق ٢٨ / ٧ / ٦٧٨هـ وخطب للملك على منابر (ظفار) وأخذ جميع أفراد الأسرة الحاكمة وأرسلوا إلى مدينة (زبيد) وصدر أمر عام بالعفو العام عن أهالي (ظفار) وأقام القائد العام للجيش الرسولي وهو الأمير (شمس الدين ازدمر) أقام الأمير (سيف الدين سنقر) نائباً للملك على ظفار يساعده عدد من مشايخ القبائل .

النتائج السياسية للمعركة :

لقد ارتفع بطبيعة الحال الرصيد السياسي للدولة الرسولية كنتيجة حتمية لذلك الانتصار الحربي ، وبالرغم من صغر حجم المعركة ، إلا أن الاستعراض البارع ، والتحركات المتقنة ، لسير خروج الحملة بفرقها الثلاث ، والامكانيات المتوفرة ، التي مكنت كل فرقة من الوصول إلى هدفها ، ثم الخطة المنسقة

لتجمعها بعد مسيرة خمسة أشهر عبر مسالك وعرة ، وجبال غير موطأة السبل ، ومجاهل من الأرض ، وقبائل غير خاضعة ، وشعاب وأودية يحار في اجتيازها الفرد ، وببحار من الرمال السافية ، لهو أكبر دليل على قوة تلك الدولة ومقدرتها الحربية ، وطدت مكانتها في الداخل وأخفتت مطامع كل طامع من الخارج تناقلتها الأخبار – في ذلك العهد – في إطارات بارزة من الأعلام المتوهج الألوان يضاف إلى كل ذلك أسطولها البحري والسفن المساعدة لنقل الجنود ، وإذا عرفنا أن الفرقتين البريتين تتكون من سبعمائة فارس ، لم يصل منها إلى أول حدود (ظفار) إلا خمسمائة فارس ، وان الجيش الذي استعرض في مدينة (ريسوت) خمسمائة فارس ، وسبعة آلاف راجل عرفنا أن ما أقلته السفن هو سبعة آلاف راجل ، تبين لنا قوة أسطول الدولة الرسولية بالنسبة إلى ذلك التأريخ ، ونرى انه لأول مرة في تاريخ الجنوب يمخر عباب اليم من مياه (عدن) – آنذاك – مثل تلك القوة البحرية في مثل سفنه العديدة ، واستعداداته العتيدة ، لا في التاريخ الاسلامي في الجنوب فحسب ، بل وعبر الأحقاب الموغلة في القدم . فدولة (معين) على ما بلغته من حضارة ، دولة مدن وتجارة قوافل ، ودولة (سبا) دولة برية قوية ، إذا أخذنا بمنطوق الأساطير التي تروي غزوها لافريقية عبر مضيق (باب المندب) أو فارس وغيرها .

والذي يتضح انه ترتب على نتائج ذلك النصر فوز حربي وسياسي مكن للدولة الرسولية أن تعيش بعده ما يقارب المائتي عام :

ويقول صاحب « العقود اللؤلؤية » حول هذا ما نصه : (ولما فتح السلطان (ظفار) وقتل سالم بن ادريس ارتعدت الأقطار العصية هيبة للسلطان ، وامتلأت من خوفه فارس ، وأصحاب الهند والصين ، لما رأوا من علو همته : فأرسل صاحب (عُمان) بهديته إلى الأمير ، وشمس الدين أزدمر ، ووصلت هدية صاحب (الصين) ووصل صاحب (البحرين) إلى (زبيد) ..

دراسة وتحليل :

معركة غير متكافئة الأطراف بين إمارة لا تعدو في حدودها (ظفار) وبين حكومة ترامت حدودها من الحجاز إلى الشّحر ، مع مالها من إمكانيات مادية ، وطاقة بشرية ، وجيوش مدربة ومقدرات واسعة ، وتقاليد حربية موروثة من بيئتها المحلية ومقتبسة من مهارات الجيوش الايوبية في البر والبحر، وخبرات في فنون القتال جديدة اكتسبتها الجيوش الايوبية أثناء الحروب الصليبية ، في عهـــد السلطان (صلاح الدين الأيوبي) وتفوقاً في الحركات والمناورات ، والكر والفر ، والضبط والربط ، وكثير من قادة الرسوليين هم أبناء أو تلاميذ قادة الأيوبيين ، فأصبح لدى الرسوليين قوة ضاربة برية وبحرية ، ليس لها ضريع في الجزيرة العربية — آنذاك — وقس مثـــله في ميدان السياسة والادارة .

وإذا نظرنا إلى الطرف الآخر (إمارة ظفار) لاحظنا الفرق البعيد، والبون الشاسع ، ما عدا ما نستشفه برغم تحامل المصادر التاريخية الرسولية — من جوانب تومض بالذكاء وتشع بالشجاعة ، وتتسم بالجرأة ، في الأمير الشاب ، دفعته إلى أن يقف موقف الخصم، المعتد بمواهبه، في ابتداء المعركة السياسية، إزاء ذلك المدّ التوسعي ، الغامر في حضرموت المجاورة لامارته ، مما أشعره بالتهديد المباشر على بلاده ، فضرب ضربته الماهرة في ضم (حضرموت) إلى بلاده ، وأخذ بعده في العمل بنفس الخطة لضم منطقة (الشّحْر) لولا مبادرة الرسوليين باحتلال الشحر نهائياً . ومع أن الأمير استطاع في الجولة الحربية الأولى أن يصد الهجوم البحري الأول على بلاده ويقوم برد فعل ناجح في غارته الخاطفة على ميناء (عدن) إنما دائماً تتقرر الأمور في الحرب على نتائجها لا على مقدماتها . ومن الجولة الأولى التي استفادها الرسوليون من فشلهم السياسي في حضرموت ، ونجاحهم في احتلال الشحر ، واخفاقهم في الغارة البحرية الأولى ، أخذوا بعين الاعتبار الأسباب والوسائل ، والاستعدادات المؤدية إلى النصر في المعركة الفاصلة ؛ وبعكس ذلك نرى الأمير الظفاري لم يستفد من تجاربه السابقة ، بدليل انه أقبل بثقله وكل قوته ، وخاض بها معركة

خاسرة فلم يستعمل يقظته في القبض على الوفد الرسولي ، المتجه إلى فارس ، ولادهاءه السياسي في ضم (حضرموت) ولا حرب العصابات التي قام بهـــا ضد الفرقة الأولى ، ولا الحرب البحرية الخاطفة في غارته على (عدن) .

نحن الآن نحكم على الموقف ـ حكماً على الورق ـ بعد مرور سبعمائة سنة تقريباً ونرى انه لماذا لم ينسحب الأمير إلى الداخل بانتظام حتى يتوغل الجيش الرسولي وتطول خطوط تموينـــه بالنسبة إلى اسطوله وبالنسبة للأسطول إلى قواعده في اليمن ، وينال الجهد والتعب الجيش ، ويستعمل معهم حرب العصابات الذي بدأه في حضرموت ، حتى تضعف الروح المعنوية ، فينسحبون مضطرين ، أو ينقض على جيش قد أنهكه التعب ، وأتت على قوته مطاولة الاسفار ومداومة الحل والترحال ، هذا ما لا نعلم أسبابه ، وبدلاً من كل ما ذكرناه نرى الأمير يجمع رجاله وقوته متربصاً حتى إذا تمّ تجمع الجيش الرسولي ، واستكمل أهبته وتمت تعبئته ، ألقى بثقله ، وهاجم ذلك الجيش الذي قضى عليه في المعركة الأولى داخل بلاده .

الحصاد الأدبي لثار ذلك الانتصار :

وقال شاعر البلاط الرسولي ، واعتقد انه الشاعر عفيف الدين عبد الله بن جعفر من قصيدة طويلة :

سائل به الأيام فهو عقيدها والعلم فهو مصنف ومؤلف
واسأل (شبام) و (حضرموت) ومن بها
أوَعِيدُ (يوسف) صادق أم مُخْلِف ؟
أم راضها بالسيف أغلب لم يزل للحق ينصف والأعادي ينسف ؟
إذ أصبحت ببقاع (حِرْيَمَ) خيله كالطير للمهج الكرائم تخطف
يرمي العدا بشواظ كل مثقفٍ فيـــه لمعوج الطغاة مثقف
من لا يفوت عليه نيل مرامه لو انه خلف الكواكب يقذف
هو في الأباعد كالأقارب حاضر كالشمس من كل المطالع تشرف
ومن الملوك الصيد تحت لوائه فِرَقٌ ،وأخرى في حديدٍ تَرْسُفُ

ليست (ظفار) بمعظم في ملكه بل في مواهبه تهون وتضعف
كالبحر ليس يزيد في أمواجه نهر ، وليس يضره من يغرف
أ (ظفار) بدعٌ في ممالك حازها بالسيف لا تحصى ولا هي توصف؟
أم تلك بدع من(حصون)شواهق تبدو فتنكرها النجوم وتعرف ؟
ألقت بساحتك الرحال ملوكها فبظـــل بابك شملهم متألف
أدنيت قاصيهم، فككت أسيرهم، ألبستهم ، أمّنت من يتخوف
كم من ملوكٍ قد أضعت دماءهم لما عصوك ، ولم تضع من خلفوا

وقال صاحب « العقد الثمين » : وقال أخو (كندة) مهنأ الملك المظفر ونحن نوردها كنموذج لأدب الترسل في ذلك العهد في الجزيرة: (بسم الله الرحمن الرحيم : وانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) مطالع صدقٍ بالنصر يشرق نورها ، وتباشير حق تضاعف على العالمين سرورها ، وسطوات ملك دفع من البدع باطلها ، وجيوش نصرٍ عقدت الأرض لمشارق قساطلها ، وهدّمت من ربوع البغي منازلها ، حتى حلّ الخسار ، ونزلت بوائق البوار، بمن لم يقدر، وزاحم فلم يصبر، فالحمد لله الذي حبا لمولانا المقام[1] الأعظم السلطاني العالمي العاملي الجوادي الرحيمي الملكي المظفري خلّد الله ملكه في عصور الأزمان ، ومعاطف الملوان ، هذا الفتح المبين، وأخمد بسيفه نار المبطلين .

وليست ببكر لم ير الناس مثلها ولكن عوانٌ ، كان مِثلٌ لها قبل

وحين وردت البشارة وضح الحق للمرتابين ، وازدادت طمأنينة قلوب المطمئنين .

وعاين الناسُ هاماتٍ مقطعة جاءت من البحر تسري بين أمواج
تؤمهـــا هامة كانت متوجة أودى بها الملك الصنديد ذو التاج

---

(١) هذه النعوت دخيلة على البيان العربي من اللغة التركية التي كانت لغة البلاط والخاصة في العهد الأيوبي .

ساق (المظفر) جيش النصر من عدن

يَأتَمُّ في البحـــر أفواجٌ بأفواج

وأفعم البرّ حتى ضاق واسعه ... يحفل لجب الأصوات عجاج

من كل مَعَجَّةٍ تعدو وساكنها ... وكل نهـدٍ جموم الشد مَعَّاج

كتائبٍ لأبي المنصور ما فترت ... لفرط أينٍ ، وتهجيرٍ وادلاج

تشقُّ في فلوت البيد سابحة ... بحراً من الرمل إلاّ انه ساج

يا طول ذلك من حَلٍّ ومرتحلٍ ... وكثر شَدٍّ وإلجـــام وإدلاج

حتى وردنَ (ظفارا) بعد ما نبذت ... ما في البطون مِنَ افلاءٍ وأمشاج

وبعد أن عقدت في (عوقدٍ) فتناً ... ما كان (سالمها) بالسالم الناجي

ما أنهلت ثَمَّ حتى منهم نهلت ... نصالكم ، من دم الأجواف ثجاج

تعساً لـ(سالم) من غاوٍ لقد سلكت ... به الغواية نهجـاً شر منهاج

فصار مورد أمر ، غير مصدره ... وصار ولاّجَ حَرْبٍ ،غير خَرّاج

أضحت بـ(عوقد) منه جثة طرحت ... والرأس في كل أرض فوق معراج

رام المضاهاة جهلاً فاعتدى سفها ... ولا مضاهاة بين الدر والعاج

لا زالت الثغور معمورة، والجيوش مؤيدة منصورة، وعقود التهاني منتظمة السلوك ، والجنود المظفرية قاطفة لجماجم الملوك . ما همر ركام ، وسجع على فروع الأيك الحَمَام) .

ومن الرسائل الانشائية الواردة بعد ذلك للبلاط الرسولي من ظفار هذه الرسالة التي أوردها المؤرخ (وَطيْوِطُ) في تاريخه المخطوط وقدم لها بما يأتي:

قال : (ومن أحسن الدول في اليمن ، دولة بني رسول ، التي أوّلهـــا المنصور، وكان فيهم من الكمال وحسن السياسة والعدل والانصاف وقلة سفك الدماء ما لم يكن في غيرهم ، وكانت لهم السيرة الحسنة، والتفات إلى الشريعة المطهرة ، والعمل بمقتضاها ، والبحث عن أحكامها ، واكرام أهلها) إلى أن قال : (وفي أيامهم كثرت المساجد الجوامع وغيرها ، والمدارس والخانقات منهم ومن نسلهم وسراريهم ومواليهم ، وأوقفوا عليها الأوقاف الحافلة . ومن

العجب انه حدث في ايام ـ (المظفر) قحط وجدب وذلك انه وجدت رسالة بالخزانة السلطانية من أهل (ظفار) يتعرضون لمراحمه السلطانية هذا نصهـــا بعد البسملة والحمد له والثناء . (وبعد : الرعية الدّاعون المثنون الشاكرون، ينهون إلى المقام الأعظم أعلا الله شأنه ، ووقاه ما شانه ، انه طرق البلاد طارق البلا ، وقصدهـــا قاصد هلاك ، لم يسمع بمثله الاولون ، ولا نقله الآخرون ، وذلك لما كان ليلة الثلاثاء الثاني من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وستمائة ضربت ريح شديدة، من القطر الشمالي، وكانت في غاية الشدة، ودامت على ذلك إلى الصباح ، ودام يومها إلى العصر ، وكان يأتي الواناً ، فتارة يأتي أحمر شديد الحمرة حتى يظن النار تخرج منه ، وتارة أسود حتى ان الانسان لا يبصر جليسه من شدة الظلمة . فلما كان وقت العصر اختلفت الريح ، فضربت من مطلع السرة الواقع ـ هكذا ـ وانهل المطر طول الليل، مطر لم نشاهد مثله ، وضرب الريح من مضرب (العقرب) فما انفجر الفجر إلا والسيول قد أتت من كل مكان ، حتى غمرت دربا به ثمانون داراً ، فلم تـُبْق داراً إلا هدّته ، ولولا من الله بفتح من جانب البلاد إلى البحر لغرق الناس ، وطلع البحر ليلة الاربعاء طلوعاً يعجز عنه الوصف ، حتى كسر الدرب الجديد ، وأخرب الدور التي تتصل به ، ووصل في البلاد إلى نحو من ثمانين ذراعاً ، وكسر غالب البيوت ، حتى سكن الناس في المساجد . وأما ما كان حول البلاد من الاعمال والبساتين فان الريح كسرت أكثر نخلهـــا ، والفوافل والرانجيل ، وأتلف الموز ، لما أتت الامطار والسيول ، وقد عمّ البلاء ، وعظم الخطب، ومن أعظم ما جرى على الناس ان الدور تهدمت على أصحابها فقتلت الرقيق والمواشي ، وأصبح أكثر الناس فقراء من أموالهم لا يجدون ما يأكلون ، وأنزلت السيول من الجبال جميع الدواب ، ومن الناس خلقاً كثيراً تركتهم مصرعين في كل جانب ، وقد صارت البلاد بدون دروب ولا مانع إلا الله تعالى وعمارتها من أوجب ما يكون ، والمسؤول من تفضل مولانا وصدقاته وشفقته وحسن رعايته ، النظر في أحوالنا بعين شفقته ويرعانا برعايته ، ويرفع عنا الديوان سنة كاملة ، فقد عجزنا عن كل شيء ، وصرنا

غداً يا يافا !!

للشاعر

محمد الفهد العيسى

عشرون عاماً ، يا أخي لاجِئَةٌ
في ملجأٍ مُخْلولقٍ كَردائي !!
عِشرونَ عاماً عِشْتُها مَجْهُولةً
أقتاتُ أدمُعَ طِفلتِيْ وَشقائيْ !!
وأمامَ عَيْني (ضيْعَتي) وتِلالُها
تبْكي ، وأبكي غُربَتي وهَنائِي !!
عِشرونَ عاماً شِقوَةً مظلمةً
أُذْلِلْتُ فيها بَعدَ عِزّ إبائي !!
وغدوتُ رَقماً في سِجِلّ (إغاثةٍ)
لم تُجْدِ يوماً في إغاثةِ دَائي !!
الدّاءُ يا ابنَ العَمّ بُعْدُ مَزارنا
عَن دارنا ، والعَيْشُ في اللّأداءِ !!
عِشْرُون عاماً عِشْتُهَا في أملٍ
هَدْهَدْتُه كالطِّفْلِ في أحْشائي !!

أضعف خلق الله ، وفي أضيق حال ، وأكسف بال ، لا يقدر أحدٌ يخاطب أحداً ، وقد صرنا لا نقدر على شيء ، وصدقات مولانا عميقة ، ومواهبه جسيمة ، ونحن أحق من تصدق عليه ، ووصل احسانه إليه، فليس لنا ملاذاً نلوذ به ، ولا ملجأ نلجأ إليه إلا الله ، ثم صدقات مولانا واحسانه ، ولمولانا علوّ الرأي والسلام) .

جازان **محمد بن احمد العقيلي**

وإذا بفَجْرٍ عَاصفٍ يَجْتَـاحُني
ويُريق آخرَ قطْرَةً لِرَجـائي !!

و(القُدسُ) تَنْعي فيه مِئْذَنةَ الهُدَى
حقّاً يُراق على ثَرَى الإسراءِ !!

عشرون عاماً .. ثم ماذا بعدها ؟!
عارٌ يُلاحق في الدّنا أبنائِي !!

* * *

أُختاه !! آهٍ للرُّؤَى مَشْنُوقـةً
فَوْقَ الدُّرُوب، على صَليبِ ضِيَاءِ !!

أُختاه !! مَهْما الليْلُ طالَ سَيَنْجَلي
عَن (وَمْضةٍ)..عن هِمةٍ قعْساءِ !!

أُختاه !! (مُعْتصِماه) آتٍ فانظُري
(فَجْرُ الغَدِ) المأمُولِ في البَلْواءِ !!

يا أُخْتَ (خَوْلةَ) كفْكِفي من لُؤلؤٍ
أرْخصْتِـهِ في أعـين الأعداءِ

فغَداً (بيافا) نلْتَقي ، ولتذكُري
لا ضاع حق يُشترى بدمـاءِ !!

محمد الفهد العيسى

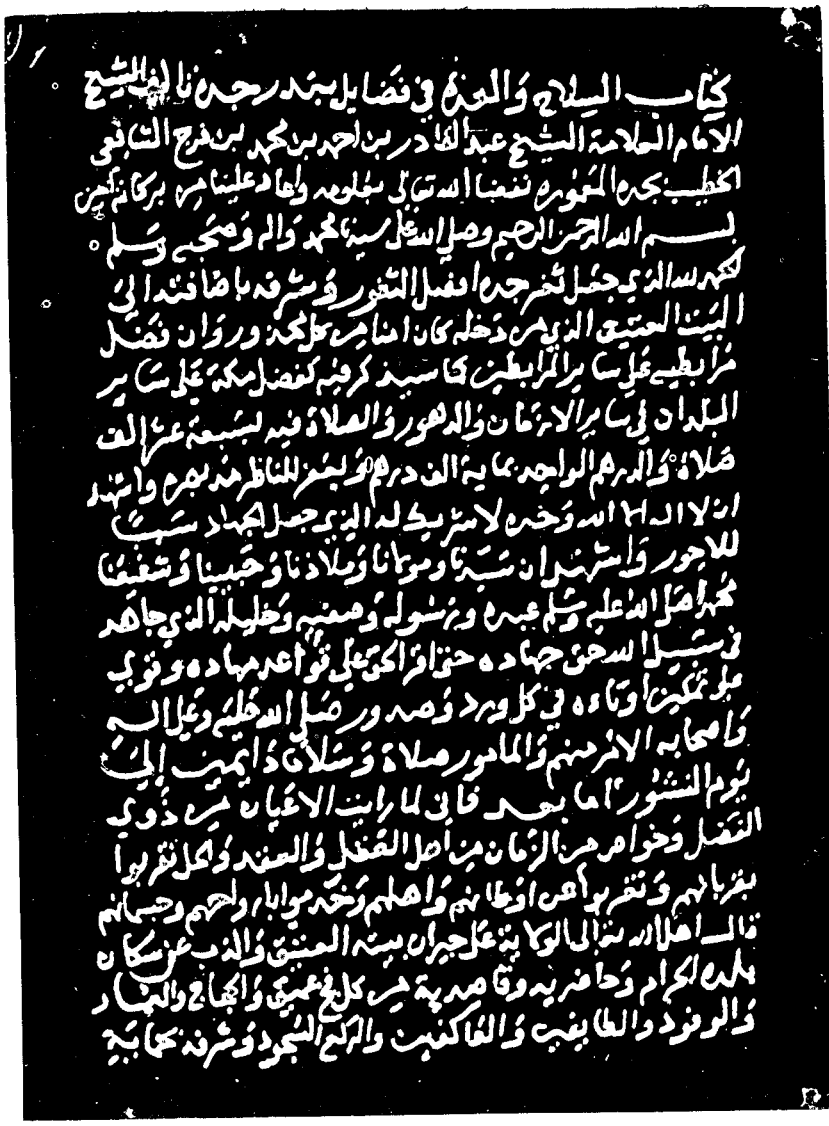

[الصفحة الاولى من كتاب « السلاح والعدة » نسخة المكتبة الوطنية في فيينا ، تقدم ذكرها في ص ٢٠٠]

مع الشيخ ابراهيم الخياري المدني في رحلته

الأسرة الخِيَارِيَّةُ أُسرة مَدَنِيَّة كريمة ، عُرفَ كثير من رجالها بالعلم والأدب والفضل ، طِيلة ثلاثة قرون ، وكان آخر من عرفنا من أدباء هذه الأسرة الشيخ أحمد ياسين الخياري ، المقرىء والأديب ، الذي توفي منذ أعوام.

وأصل هذه الأسرة من مصر ، من قرية تُدْعى الخيارية ، وانتقل جَدُّها الأعلى الشيخ عبد الرحمن بن علي بن موسى بن خضر الخياري ، إلى المدينة الطيبة في مطلع عام ١٠٢٩ هـ فاستوطنها ، واستقرت بها ذُريته من بعده .

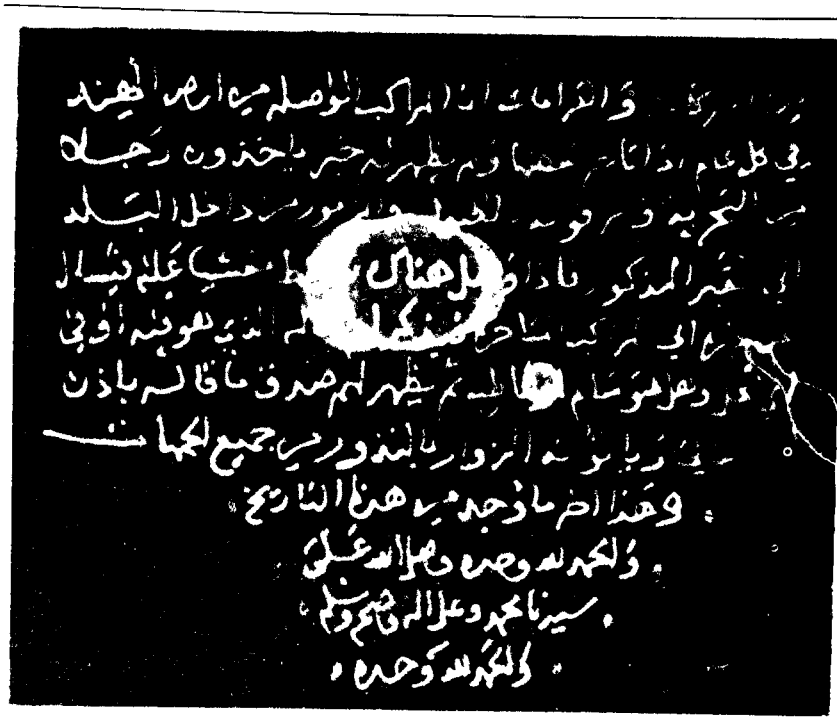

[الصفحة الاخيرة من كتاب « السلاح والعدة »]

وكان الشيخ عبد الرحمن من مشاهير علمـــاء مصر ، بل من كبار علماء المسلمين في ذلك العصر ، يصفه صاحب « خلاصة الأثر »[1] بأنه : (الإمام الكبير ، الجليل الشأن ، المشهور في الآفاق) .

ويقول بأنه هو والشيخ علي الحلبي ـ صاحب « السيرة» النبوية ، المعروفة بالسيرة الحلبية ـ كفرسي رهان ، وفارسَيْ ميدان ، وانهما كانا إذا مَرّا في الأزهر قيل : أقبل السعد والسيّد .

ولما قدم المدينة ـ في أواسط شهر المحرم ١٠٢٩ هـ ـ تَصَدّى لنشر العلم، وتصدّر للتدريس ، فانتفع به أهلها ـ على قول المحبي ـ وانتشر ذكره في مختلف الأقطار الاسلامية، حتى عُرِف بمحدّث المدينة وعالمها في ذلك العهد.

وتولّى الخطابة في الحرم النبوي، وعُرِف بالتقوى والصلاح مع ما اتصف به من جلالة القدر ، وغزارة العـــلم ، وانتشار الذكر الحسن ، حتى وافاه الأجل في الثاني والعشرين من ربيع الثاني سنة ١٠٥٦ هـ ودفن في البقيع .

وأرخ ابنه الشيخ ابراهيم وفاته ـ بحساب الجمل ، على عادة أهل ذلـــك العصر ـ بقوله :

إذا ما قِيل لي : في أيِّ عامٍ وَفاةُ الحَبْرِ ،والِدِك الخيارِي؟
أقولُ: وقد تَدَرَّعْتُ اصْطِباراً نُؤَرِّخُهُ : (أُحِلَّ بخير دار)

٣٩ + ٨١٢ + ٢٠٥ = ١٠٥٦ هـ

وله ترجمة في « الخلاصة » وفي « خبايا الزوايا » للخفاجي ـ وهو مخطوط وفي غيرهما ، أما ابنه الشيخ ابرهيم ـ موضوع الحديث ـ فقد ولد في المدينة في اليوم الثالث من شهر شوال سنـــة سبع وثلاثين وألف ـ أي بعد هجرة والده من مصر بثماني سنوات ، وتلقى العلم ـ أول ما تلقاه ـ على والده ، ثم توفي والده وهو في ريعان الشباب ، لم يكمل عشرين عاماً من سني عمره ،

---

(١) ج ٢ ص ١٦٦ .

ولكنه استمر مواظباً على الدرس والتحصيل ، ولازم ـ كذالك ـ عالماً من أعلام ذلك العصر ، هو الشيخ الامام عيسى بن محمد بن أحمد بن عامر المغربي، الجعفري ، المدني ، ثم المكي ، وأخذ عن غيره من علماء المدينة ، من أهلها ، ومن الوافدين عليها ، فتلقى الحديث عن المحدث الكبير محمد بن علاء الدين البابلي أثناء مجاورته في المدينة.وعلوم التفسير عن قاضي الحرمين محمد الدومي المعروف بالمغربي . وتلقى عن غير هؤلاء من أجلة علماء ذلك العصر ، حتى أصبح ـ على حدّ قول صاحب « الخلاصة » : (أحد المشاهير بالبراعة في الحديث والمعارف ، وفنون الأدب والتاريخ ، وكان واسع المحفوظات حلو العبارة ، لطيف الطبع ، كأنما امتزج مع الصهباء ، وخلق من رقة الماء) ، وأقول : إن من قرأ رحلته عرف صدق هذا الوصف وصحته ، وأنه كما قال: (كان من أفراد الدهر) .

كان والد الشيخ ابراهيم ـ كما تقدم ـ يلي مناصب في المدينة ، منها الخطابة في حرمها ، والتدريس في أحد مدارسها ، ولما بلغ ابنه ابراهيم من العلم مبْلغاً حَلّ مَحَلّ والده . وكان لتلك المدرسة مقرر سنويّ من أوقاف الحرمين ، في مصر ، سَبَّبَ طمع أحد العلماء من الغرباء في المدينة فسعى حتى استولى على وظيفة الشيخ الخياري، في تلك المدرسة ، وكما يقال : رُبَّ ضارّة نافعة، فلولا وقوع الأزهري في أسْر القرامطة في أول القرن الرابع الهجري، لفقدنا من علمه في كتابه « تهذيب اللغة » الكثير الغزير، ولولا استيلاء هذا العالم على وظيفة الشيخ الخياري لما فُزنا بهذا الكتاب العظيم القدر : « تحفة الأدباء ، وسلوة الغرباء » الذي هو أثر من آثار رحلته ، لاسترجاع وظيفته ، إن هذه الرحلة ليست كما قال المحبي عنها ، في « الخلاصة » : (تشتمل على ما تشتهي الأنفس ، وتلذّ الاعين ، من محاسن الاخبار ، ولطائف الآداب) فحسْبُ ، بل هي سِجلّ حافِلٌ بقدر كبير من العلوم والمعارف من جغرافية وتاريخية وأدبية ودينية ، في البلاد الاسلامية في تلك الحقبة من الزّمن . وكم من كتاب يحوي ما تشتهيه النفس وتلذه العين ، لا يحتوي إلا على اليسر مما في هذه الرحلة .

إن أبرز مظهر للثقافة في ذلك العصر (القرن الحادي عشر الهجري) يصورها أوضح تصوير ، يتمثل في كتب الرحلات التي دوّنهـــا علماؤه ، وحرصوا أن تكون معبرة عما يتصفون به من علم، وما يلمون به من معارف ذلك العصر وفنونه المختلفة ، فكتاب الرحلة لا يقتصر على وصف ما يشاهده الرحالة في رحلته ، بل كثيراً ما كان هذا الكتاب مجالاً يحرص مؤلفه أن يبرز فيه كل جانب من جوانب مقدرته الثقافية ، وهكذا نرى كثيراً من كتب الرحلات التي أُلّفت في ذلك الزمن الذي حفل بكثير من كتب الرحلات ، من أشهرها ـ مما له صلة ببلادنا :

١ ـ رحلة السيد محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي، المعروف بـ(كبريت) المولود عام ١٠١٢ ـ المتوفي ١٠٧٠ ـ أحد مشاهير علماء المدينة ، وأدبائها ، ومؤرخيها .

وقد قام السيد كبريت برحلته من المدينة إلى القسطنطينية ، في المحرم سنة ١٠٣٩ بدافع الفاقة والحاجة : (وكنت ممن ناوأه الزمان ، فاقتضى الأمر العزم على السفر ، قصد الأبواب السلطانية) . وعاد من تلك الرحلة في آخر عام ١٠٤٠ هـ إلى المدينة، ولكنه واصل السير إلى مكة لأداء الحج، وعاد منها في ٢٢ من ذي الحجة .

ورحلة السيد كبريت معروفة ، فقد طبعت مرتين، ولكن رحلة الخياري أغزر منها مادة ، وأكثر منها فوائد .

ويظهر أن الشيخ الخياري قد اطلع على رحـــلة السيد كبريت ، فهما صديقان ، تجمعهما الدار ، وتؤلف بينهما رابطة العلم ، وتجمعهما لُحمَة الادب ، وإن كان السيد كبريت أسن من الخياري بخمسة وعشرين عـاماً ، إلا أن الخياري كان في مقام من العلم والجاه في بلده يربطه بمشاهير أهله .

والخياري لم يذكر رحلة السيد كبريت ـ فيما طالعت من رحلته ـ ولكنه ذكره مراراً ، عبَّر عنه في أحدها بقوله : (صاحبنا المرحوم العلامة السيد محمد الشهير بكبريت المدني) وكتب ترجمته لاحد أدباء الشام ـ وسيأتي

نصُّ كلامه – وعبر في الاخرى عنه بقوله : (أحد الفضلاء الاعلام ، والنبلاء الكرام ، مولانا السيد محمد) الخ ...

رحلة الشيخ النابلسي – أو رحلاته –

والشيخ عبد الغني بن اسماعيل النابلسي (١٠٥٠ – ١١٤٣ هـ) من أبرز أعلام ذلك العصر ، وله رحلات عديدة [١] أغزرها علماً وأدباً : « الحقيقة والمجاز ، في رحلة الشام ومصر والحجاز » وهو رحّالة جاب أقطار المملكة الإسلامية الشمالية ، عدا زيارته للحجاز في سنة (١١٠٥ هـ) وإقامته فيه قرابة أربعة أشهر من ذلك العام ، ورحلته قد تفوق رحلة الخياري غزارة مادّة ، إلا أن أكثرهـــا يدور حول الشيخ النابلسي نفسه ، إما من نظمه وأحاديثه المتعلقة بعلمه ، أو مما مُدِح به من شعر أو نثر ، ومع ذلك ففيها علمٌ غزير ، وفيها تصوير للمجتمع الإسلامي – في ذلك العصر – في ثقافته وحياته الإجتماعية في أقطاره الثلاثة الحجاز والشام ومصر .

وقد استفاد الشيخ النابلسي من رحلة الشيخ الخياري ، مُصرِّحاً بذلك ، وناقلاً عنها في مواضع ، مما يدلُّ على تأثره بها ، وقد اجتمع الشيخ الخياري بالشيخ النابلسي أثناء الرحلة – في دمشق ، سنة ١٠٨٠ ، والشيخ النابلسي في سن الثلاثين ، والخياري قد تجاوز الاربعين ، فوصفه بـ (أوحد الفضلاء بالشام ، وأمجد من بدا بروضها البسّام ، ذي اليد البيضـــاء في كثير من الفنون ... الناظم الناثر ... ذو التآليف التي ضربت من الإصابة بسهم ، والتصانيف التي أقرَّ بحسنها أولو الفهم من كل شهم ، الذي رأى أن الخلطة بالناس من الضياع ... فإنه يمضي عليه العامان لا يبرز من بيته ، ولا يجتمع به فيه من قصده به) وذكر أنه (شملته لطافته) وأنه أرسل إليه في منديل مع أبيات من الشعر : (ما يُكسَب الامان من جور الزمان) وأورد شعراً لكل واحد منها في الآخر ، منه من قول النابلسي :

---

(١) أنظر مجلة العرب (م ١ ص ١٤٣ وما بعدها) .

جَمَعْتَ مكارماً ، وحَوَيْتَ علماً
فأنت خيارُنا ، يا ابن الخيـــاري
وإنَّ دِمَشْق إبراهيم لمـــا
حللت بهـــا تسامَتْ بافتخـــار
فأنت ، ووالدٌ لك ، بَعْدَ جَدٍّ
خيارٌ ، من خِيار ، من خِيارِ

رحلة الخياري :

تعتبر هذه الرحلة أعظم أثر خلفه الشيخ ابراهيم الخياري ، فهو مع غزارة أدبه ، وسعة اطلاعه ، مُقِلٌّ في مجال التأليف، لا نعرف له ـ بعد الرحلة ـ سوى رسالة دعاها : « خلاصة الابحاث والنقول، في الكلام على قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول » قال عنها : (كنت حال وصولي إلى الشّام حضرت ليلة المولد ، فرأيتهم لا يعتنون به بعض الاعتناء ، ولا يحتفلون به شيئاً من الاحتفال ، فدعاني ما رأيت أن أكتب ما يسر الله جمعه على قوله تعالى : (لقد جاءكم) ـ إلى آخر السورة ـ وحررت ما عليها من الابحاث والنقول، وما يندرج في غضون ذلك من مباحث الفروع والاصول ، وما ينضم إليه من الاحاديث، ويناسبه في الدليل الحثيث) ـ الورقة الـ ٧٤ ـ وقدم الرسالة إلى شيخ الاسلام يحيى أفندي [1] المفتي حينما قابله في بلدة (يني شهر) في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٠٨٠ ـ وطلب منـه أن يكلم السلطان ليأمر سكان مملكته ـ لا سيما مصر والشام ـ بالاعتناء بليلة المولد ويومها.أقول: ومعروف أن إقامة احتفالات بالمولد بِدْعَةٌ ، ليست من الدين الاسلامي ، والاحتفال بالرسول (ص) وتعظيمه وتكريمه ، يكون باتباع أوامره ، وباجتناب ما نهى عنه ، وقد نهى عن إقامة المولد نَهْياً عامّاً ، بقوله : « عليكم بِسُنَّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور ، فإن كلَّ محدثة بِدْعة » .

---

(١) توفي هذا سنة ١٠٨٨ ـ كما في هامش الرحلة الورقة ٧٤ .

ومن المعروف أن العصر الذي نتحدث عنه ـ عصر الخياري ـ عَصْرٌ ساد فيه الجمود ، وخيّم على العالم الاسلامي من سحب الخرافات والتقليد ما شوّه معالم الاسلام ، ومزجـــه بكثير من الخرافات والاباطيل البعيدة عن روحه .

وقد جمع الخياري شعر الشاعر الدمشقي جمال الدين ابن الدرّا ، الذي اجتمع به في دمشق أثناء رحلته ، وقال عنه بعد ثنائه عليه ، وايراده قصيدتين مدح احدهما الآخر بها : (ثم املاني كثيراً من شعر مهيار ، ثم اخبرني انه شرح ـ حال مجاورته بمكة ـ « سقط الزند » لابي العلاء ، بشرح فريد ، وأخبرني بأنه لم يبيض منه إلا نسخة واحدة ، قدمها لشريف مكة ، المرحوم زيد بن محسن ، وامتدحه عند اعطائـــه النسخة المذكورة بقصيدة بليغة ، مطلعها :

خُذْ يَمِينَ الحِمى ، فَثَمَّ بُدُورُ
طلعتْ في دُجى الشُّعُورِ ، تُنِيرُ

ثم ذكر انه توفى في سادس رمضان سنة ١٠٨١ ـ وكان يترقب منه وصول نسخة من ديوانه ، فلم تصل قال : (ثم تطلبت ما له من النظم ، فجاءني منه جملة صالحة ، بحيث كادت أن تكون ديواناً) .

وقد اطلعت على نسخة من ذلك الشعر ، مصدرة بمقدمة للشيخ الخياري ، جامعها ، اطلعت عليها ، فوصفتها في مقال نشرته في إحدى الصحف قبل عشرين عاماً ، ونسخت منها نسخة أهديتها إلى « المجمع العلمي العربي بدمشق » وغاب عن ذهني الآن وصف تلك النسخة .

أما الرحلة فمنها نسخ ، في دار الكتب المصرية[1] ، وفي المانيا ، وفي اصطنبول ، وأجودها النسخة الالمانية ـ التي كانت في مكتبة برلين ، ثم نقلت منها أثناء الحرب العالمية الثانية ، إلى إحدى المدن الالمانية ، ولا تزال محفوظة ، وسنعبّر عنها بالنسخة الالمانية .

---

(١) أنظر وصفها في الفهرس ج ٥ ص ٢٩ .

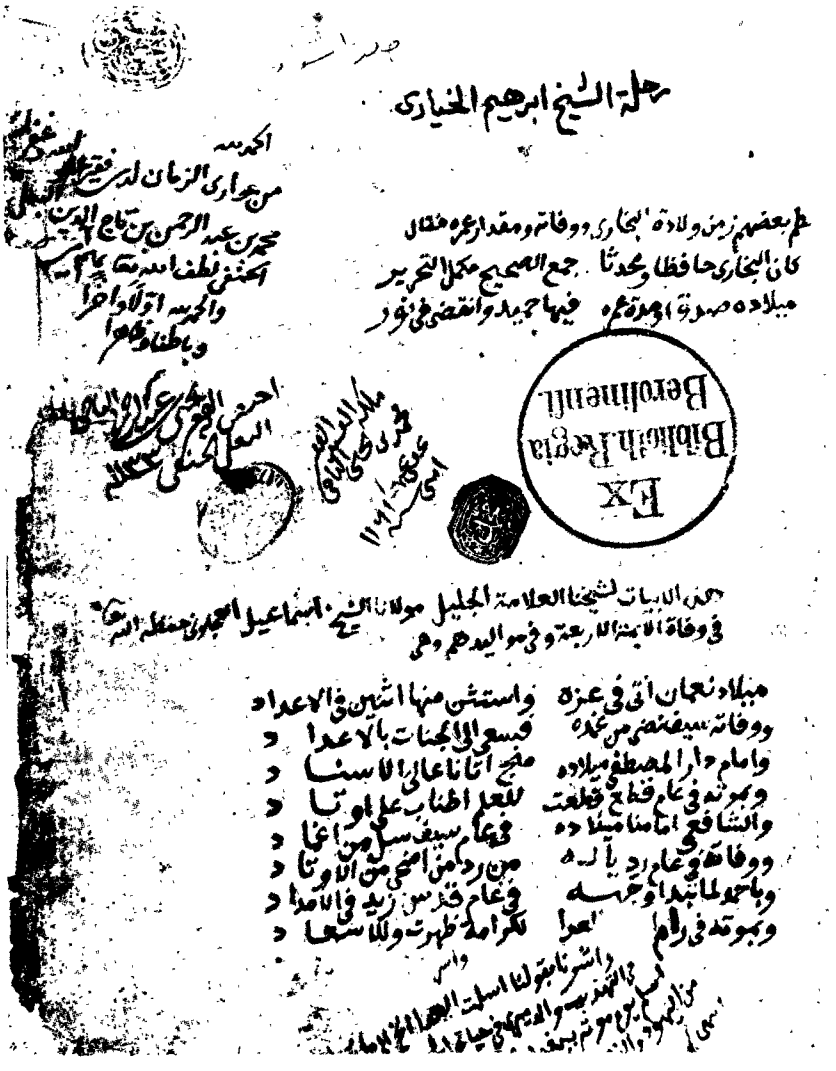
رحلة الشيخ ابرهيم الخياري

[طرة الرحلة ، النسخة الالمانية]

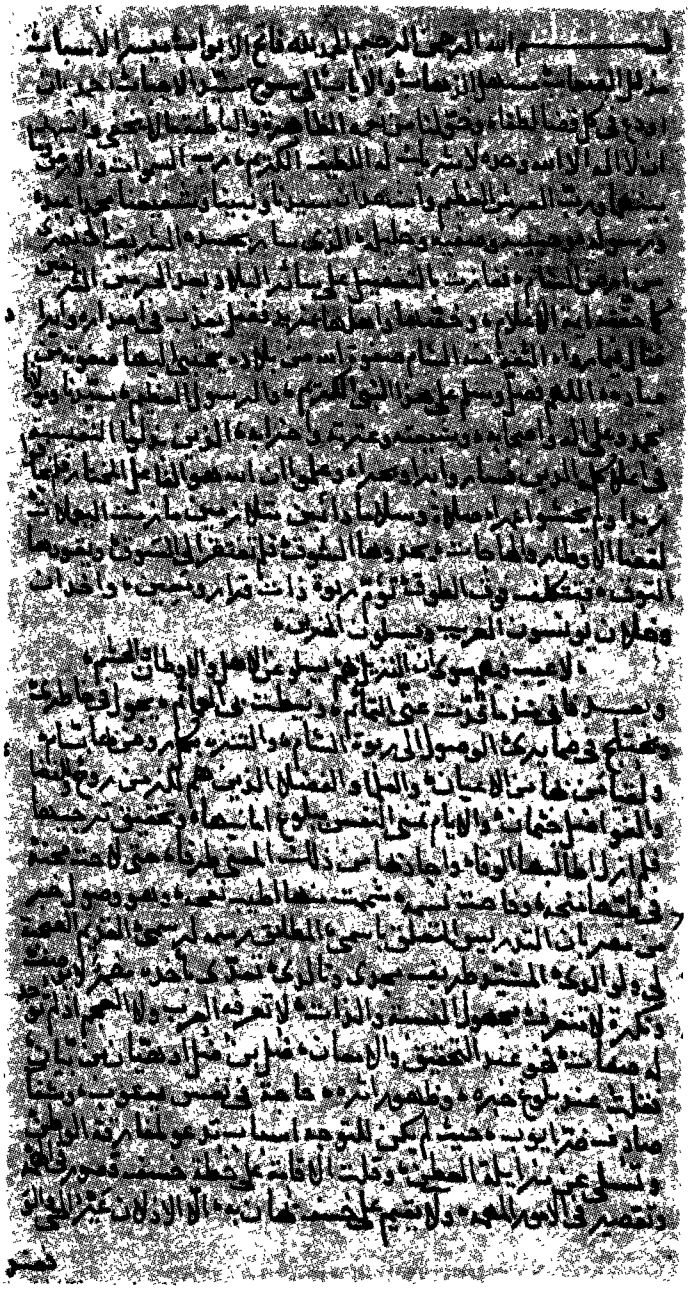

[الصفة الاولى من الرحلة ، النسخة الالمانية]

هذه النسخة كتبت في حياة المؤلف ، في ١١ ربيع الثاني سنة ١٠٨٣ — والمؤلف توفي في اليوم الثاني من شهر رجب من هذا العام ، أي إنها كتبت قبل وفاته بثمانين يوماً ، وكاتبها أديب من أدباء الشام هو رمضان بن موسى العُطيفي الدمشقي الحنفي ، ترجمـــه صاحب « الخلاصة »[٢] وقال عنه : (شيخنا الاجل ، صاحب الفنون والآداب ، الفقيه النحوي ، الفائق البارع، أحد اجلاء المشائخ في دمشق ، في عصره) وذكر عنه أنه كتب الكثير

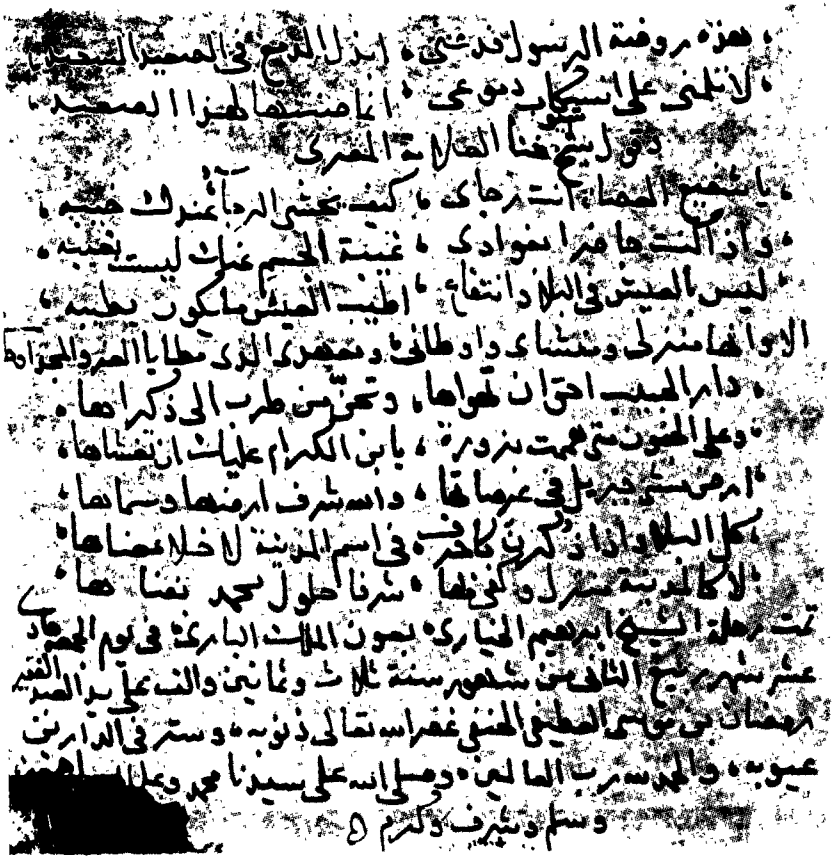

[آخر رحلة الخياري ، النسخة الالمانية]

(٢) ج ٢ ص ١٦٨ وما بعدها ، وترجمه بروكلمان في ذيل كتابه (666/2) .

بخطه ، وجمع نفائس الكتب من كل فن . وانه ولد في رمضان سنة ١١٠٩هـ وتوفي في شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٩٥ هـ .

والعُطيفي هذا ممن اجتمع بهم الخياري في الشام ، وذكرهم في رحلته ، فقال عنه : — الورقة الـ ٢٣ — :

(وممن تفضل بزيارتي،واشرق بدر سماء افقهبدارتي، مولانا الشيخ الأكرم، الأمجد الاعلم ، ذو اليد الطولى في العلوم ، والمحلي للطروس والسطور بالمنثور والمنظوم ، الجامع للكمالات ، الذي لا يحتاج ظاهر رفعه إلى علامات، شيخي جلالةً وتعظيماً ، وأبي محبة وتكريماً ، مولانا الشيخ رمضان العطيفي ، كانت بيني وبينه قبل اللقا مكاتبات فائقة ، ومراسلات شائقة ، تَدُل على غزارة علمه وفضله ، وتقضي للظمآن بورود نهله وعَلَـه ، فكنت أتعشقه على السماع ورؤيا الإبصار ، وأرجو من الله حصول الاجتماع وتملي الابصار ، حتى كان ذلك بالشام ، وكنت أتمناه بمدينة النبي عليه الصلاة والسلام ، فأنشدني من لفظه أول ما لقيني للسلام ، وأخبرني انه بديهة قاله في ذلك المقام :

أوَدُّ زَمَاناً أن أرَاكُمْ بِمُقْلَتِيْ
وأقضي فروضاً ، قد تعلقْنَ ذِمَّتِي
إلى أن قَضَى اللهُ اجتماعاً بِوَصْلِكُمْ
وقد كان هذا الوَصْلُ في يَوم جُمْعَةِ

فأجبته بعد أيام بقولي :

أيا سَيِّداً سَرَّ الفُؤَاد بأنــه
يلاحظ عَبْداً في حُضُورٍ وغَيْبَةِ
لَقَدْ عَلِمِ المَوْلى تأكُّدَ شَوْقِنَا
فَيَسَّرَهُ في الشامِ ، أنزَهَ بُقْعَةِ

وكان كتب إلي من الشام وأنا بالمدينة ، يطلب ترجمة صاحبنا المرحوم العلامة السيد محمد الشهير بكبريت المدني :

يا خطيبا بأرض طيبة أضحى أفصحَ العُرْب عنده سِكّيتَا
ُجدْ على العَبْدِ ، سيّدي بمُناه وهو ما ترجموا به (كِبْريْتَا)

فأجبته ، وقد رقمت له من ترجمته ما سمح به الفكر الفاتر ، مما هو من الحاصل لامن الدفاتر ، ولفظه :

عين أهل الشام ، يا واحد العصر —
— ومن حاز في المكارم صيتا
ُدمْتَ فينَا زنادُ َفضْلِك وارٍ
ليس يحتاج للذكا كِبْريْتا

وكتب إلي أيضاً :

أشيخ الوقت ابراهيم يا َمنْ
عَلَوْتَ على الوَرى هامَ الدراري
فأنت بطيْبَةٍ منْ َخيْرِ َقوْمٍ
خِيارٍ مِنْ خِيارٍ ، في خيار

ُقلت : فلما رأيته تلاعب وتداعب باللقب ، أجبته كذلك ، مراعياً في القافية لقبه أيضاً ، غائصاً بحره ، فقلت :

أيَا َمولى ُسماهُ َشهْرُ َصوْمٍ
َفجَلَّ الوَصْفُ َعنْ كَمٍّ وكَيْفِ
عَطَفْتَ بِوَصْلِ أسْبابِ التَّدَاني
وذلِكَ ليْسَ بدْعاً مِنْ ُعطَيْفِي

وعلى ما وصف به الشيخ العُطيفي من العلم والأدب ، فقد وقع في خطه كثير من التحريف ، ولعل منشأ ذلك سرعته في الكتابة ، كعادة كثير ممن يتعاطى حرفة نسخ الكتب ، كالعطيفي هذا الذي نجد مجموعة من المخطوطات بخطه ، منها :

١ — المجموع الأدبي ذي الرقم ٣٤٧١ — في مكتبة الأوقاف العامة — نسخه سنة ١٠٤٤ .

٢ – ديوان ابن مطروح .

٣ – ديوان ابن النبيه – نسخها في ذلك العام ، وهما من المجموع ٣٤٩٢ ، في المكتبة المذكورة .

وخطه حَسنٌ ، بين النسخي والرقعي (تعليق) ويشكل بعض الكلمات ، وذلك بقلة ، ويهمل بعضها من النقط ، فتبقى مبهمة ، وخاصة بعض اعلام المواضع ، ولهذا يقع الاشكال . مثل كلمة (اقربوز) .

وتقع النسخة في ٤٢٤ صفحة ، سطور الصفحة الواحدة ٣١ سطراً ، وفي بعض الهوامش كلمات يسيرة ، هي اما أسماء بعض من ورد ذكرهم في الصفحة ، أو استدراك لكلمة تسقط أثناء النسخ ، أو تعليق موجز على كلام المؤلف ، والأخير بقلم يغاير قلم الناسخ .

أما موضوع الرحلة – فكما سبقت الإشارة إلى بيانه –تسجيل مشاهدات الرحالة ، وتدوين خواطره وأفكاره وما يعرض له أثناء سفره ، مما يستحق التسجيل .

والخياري مكث في رحلته تلك من ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٠٨٠ إلى ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٠٨١ (أي سنة تنقص ٢٠ يوماً) قال: – في الورقة الثالثة (وقد كنت أرقم في مدة سيري هذا ما لاح في الخاطر ، أو لحظه الناظر ، من الرياض النواضر ، والغصون الخواطر ، في البوادي والحواضر ، فكنت أُسوِّدُهُ ، مع ازعاج السَّير ، حسبما اتفق ، وجادت به القريحة ... فسمع بذلك بعض من لقيناه في تلك الديار ، فتعلق منه الخاطر والناظر برؤية هاتيك الآثار ، فكنت أتعلل بعدم التتميم ... فلما وقع الإلحاح في الطلب ، قلت : لابدع أن أخرجت ما جمعته ورقمته ، من السواد إلى البياض .. وإذ قد جُلِيَتْ على منصَّة الكمال ، وظهرت في الوجود بدراً ، ولا أقول هلال ، حق لي أن أسميها بتسميتها : « تحفة الأدبا ، وسلوة الغربا » – إلى أن قال باختصار : – تعرّضت فيها لكل منزل مررتُ عليه ، أو نزلته ، في مسيري ، ذاكراً ما حواه من اللطائف ، وما اشتمل عليه من الظرائف... ومن المتاعب

والمشاق ما يوقظ الوسنان ، فكنت بشيراً تارة ، ونذيراً أخرى ، ثم أشار إلى أنه ذكر في رحلته من العلماء والأدباء والمشاهير من اجتمع بـــه – ممن سنعرض لذكرهم فيما بعد .

أما سبب هذه الرحلة فقد تقدم ذكره ، وقد ذكره هو فيهـــا فقال : (كنت منذ ما قُدَّتْ عني التمائم ، ونيطت بي العمائم ، يجول في خاطري الوصول إلى رَبْوَةِ الشام، والتنزُّه بكل روض بها بَسَّام، ولُقْيا من بها من الأعيان والعلماء والفضلاء .. والأيام تمني النفس ببلوغ أمانيها، فلم أزل أُطالبها الوفاء ، حتى لاحتْ محنة ، في طيّها منْحة ، وهو وصول خبر من مصر ، بأن التدريس المتعلق باسمي ، القديم الصحبة لي ولوالدي ، تَعَدَّى بأخذه مُضْمَرٌ لا يوصف ، ونكِرَةٌ لا تَتَعَرَّف ، مجهول النسبة والذات ، لا تعرفه العرب ولا العجم .. فقلت عند خبره : حاجة في نفس يعقوب، وشفاء صادف ضُرَّ أيُّوب .. وقلت : الاقامة على خُطَّةِ خَسْفٍ قُصُورٌ في الهِمَّة ، وتقصير في الأمور المُهِمّة :

ولا يُقِيمُ على خَسْفٍ يُهانُ به
إلاَّ الأذَلاَّنِ ، عَيْرُ الحَيِّ ، والوَتَدُ

فعند ذلك جَرَّدت ساعد العَزْم ، وعزمت على السفر الى محلّ الظفر ، حيث السلطنة ممتدة الرواق.. حيث عزّ العلماء بعزّ شيخ الاسلام لا يتناهى) – انتهى باختصار – .

وقال أيضاً عندما اجتمع بشيخ الاسلام وسأله عن سبب القدوم :

(تعدّى شخص على تدريسي ، المتعلق باسمي واسم والدي من قبلي أكثر من خمسة وأربعين عاماً ، وانه صرف لذلك الرجل الذي لا يعرف ، وان اسمه قيض أفندي ، بالقاف أوله ، أو بالفاء ، وأنه قبض العلوفة[1] من مصر

---

(١) العلوفة اسم أطلق في عهد الدولة التركية – من القرن العاشر – على المرتب الشهري ، أو السنوي .

المحروسة .. فأوصلتني الرواحل والجياد .. فقال : هذا أمرٌ لا أصل له ، ولا علم لي به ، وانت باقٍ على ما أنت عليه) وأورد في قصيدة مدح بهـــا شيخ الاسلام قوله :

تَفَضَّلْ بعود الدَّرْسِ لي وبمثـــله
لأغـــدو ولي هامي نداك خِضابُ
وضُمَّ إليـــه ما يقـــوم بفاقتي
وصُنْ ماءَ وجْهي ، فالتذلُّلُ صابُ
عُلُوفَةُ مِصْرٍ ، مَعْ جِرايَةِ بُرِّها
ليندفع الضُّرَّانِ : عُسْرٌ ، وإتْرابُ

وقد نجحت بغيته ، وتحققت أمنيته ، فعاد إلى وطنه مسروراً محبوراً ، إلاَّ أن أيام السرور — كما قيل — قصار ، فلم يهنأ بما نال عامين كاملين بل عاجلته المنية في اليوم الثاني من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين وألف ، فجأة — عن أربعة وأربعين عاماً وثلاثة أشهر .

ويورد المحبي في « الخلاصة » سبباً غريباً لموته المفاجىء فيقول : (قيل إن سبب موته أن شيخ الحرم المدني الزم أئمة الشافعية وخطباءهم أن يسِرُّوا في الصلوات بالبسملة ، كالحنفيَّة ، فلم يمتثل الخياري ، وقال : هذا الأمر ليس إليك ! فدَسَّ إليه من سقاه السمّ) .

وليس من المستبعد أن ما ناله من جاه وحظوة لدى رجال الدولة ، أوغر عليه الصدور ، وسبَّب له حساداً كثيرين ، وأن صلته بذوي الحل والعقد من رجال الدولة دفعته إلى النظر إلى شيخ الحرم المدني بأقل مما كان يتطلع إليه ، فكان من الأسباب التي دفعته إلى المكيدة للخياري ، ليخلو له الجو من رجل بلغ من القوَّة ومن الصلة بالدولة ما لم يبلغه غيره من أهل المدينة الطيبة ، في ذلك العصر .

ولنعد لاستعراض الرحلة استعراضاً موجزاً ، قد نأتي إلى تفصيل مجمله ، فيما بعد — إن شاء الله .

١ – خرج الشيخ الخياري ، من المدينة في يوم الجمعة ، الثاني والعشرين من شهر المحرم سنة ١٠٨٠ هـ ، ومَرَّ بمواضع وأمكنة هذا بيانها : الجُرُف ، ويسمى وادي ابراهيم – بئر الأمير – ذو خشب ، وسماه غلطاً وادي القُرى – الفحلتين – حصن عنتر (؟) – هَدِية – شعب النعام – بئر الزُّمُرُّد – بئر عُوَيضة – العُلا – مداين صالح – العقبة – الزلاقات – شق العجوز – الأقيرع ، ومفارش الرز ، والدار الحمرا – وادي المعظم – البُغاز – الأخَيضر – مغاير شعيب – تبوك – القاع – ذات حَجّ – جُغَيمان – ظهر العقبة ، أو سطح العقبة – معان –

وقد بلغ مُعَان في اليوم السادس عشر من شهر صفر ، وخصص لوصف ما تقدم ذكره من المواضع ، وما شاهده في رحلته خمس عشرة ورقة بما فيها مقدمة الرحلة الواقعة في ثلاث ورقات ، منها ورقة طرة الكتاب ، [الورقة ١ إلى ١٥] .

٢ – ثم سار من مُعان فوصل مدينة دمشق في اليوم الرابع والعشرين من شهر صفر ، واستغرق وصفه لهذه المدة من الرحلة خمس ورقات [من الورقة الـ ١٥ الى ٢٠] .

٣ – مكث في دمشق إلى اليوم الثالث عشر من ربيع الأول ، أي ما يقارب عشرين يوماً – هذه هي المرة الأولى ، وسيمر بدمشق مرة أخرى سيأتي ذكرها – وقد أطال الحديث عن مشاهداته في دمشق بحيث استغرق من الورقة الـ ٢٠ إلى الـ ٤٣ = ٢٣ ورقة .

٤ – سار من دمشق في ١٣ ربيع الأول ، وقطع المسافة بينها وبين القسطنطينية في أربعين يوماً ، تنقص يوماً أو يومين ، وخصص لوصف ما شاهده في هذه المدة من رحلته [من الورقة الـ ٤٣ إلى الـ ٦٢ = ١٩ ورقة] .

٥ – لم تنته الرحلة ببلوغ القسطنطينية ، بل جاوزتها إلى : (محل يقال له استيفا ، به استوفينا السير ، وحصلنا المطلوب من الخير ، بعده عنها

ثلاثون مرحلة محصلة ، نعدُّها عَدّاً ، ليست تخميناً). كذا قال . وقد فصل ما أجمل ، وأوضح ذلك غاية الايضاح .

٦ – مكث في القسطنطينية من ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٠٨٠ إلى رابع جمادى الأولى (عشرة أيام) [٦٥ – ٦٢ = ٤ ورقات] .

٧ – سار من القسطنطينية في ٤ جمادى الأولى – لمقابلة السلطان في (اقرينوز) بعد (يني شهر) بسبع مراحل – كذا قال – فوصل (سلانيك) أو (سنانيك) كذا سماها – في اليوم الثاني والعشرين من جمادى الأولى [٧١ – ٦٥ = ٦ ورقات) .

٨ – ومن (سلانيك) سار في الثالث والعشرين من جمادى الأولى فوصل (يني شهر) في السادس والعشرين من الشهر المذكور ، وقابل في هذه المدينة (شيخ الإسلام) يحيى أفندي المفتي ، وحدثه عن الغاية من رحلته ، فأجابه بما تقدم ذكره ، وواصل السير إلى المكان الذي يقيم فيه السلطان ، فوصل إليه في عاشر جمادى الآخرة سنة ١٠٨٠ ، [٧٩ – ٧١ = ٨ ورقات] .

٩ – ثم وصف مقابلاته لبعض رجالات الدولة ، كرئيس الكتاب ، الذي عرض عليه الغاية من مجيئه ، وقدم له ما كتب شيخ الإسلام في حقه من التوصية به ، ووصفه بأنه محدث وأديب وجدير بالعناية .

ووصف مشاهدته لموكب السلطان ، وذكر حضوره لمجلس السلطان ، غير أنه لم يجتمع به : (فإذا حضرة الملك في مجلسه الرفيع ، خلف شبّاك معمول من الشيشة ، بحيث تظهر لنا صورته ، وتُلحظ هَيْأته .. وأمام الطاقة – وهي بركن المجلس ، في صدره مولانا شيخ الإسلام)– الورقة٨٢–.

وأوضح أن الغاية من جلوس السلطان ، هي التحقيق فيما نسب إلى شيخ الحرم المدني دلاور أغا من استيلائه على (حبوب الدشائش) وأموالها ، مما سبب عزله ، واحضاره ليتولى السلطان بنفسه الفصل في قضيته . قال :(فلما

وصلت المجلس سلمت فأجيب السلام، ووقفت بمحلي، فأشار مولانا قائم مقام[1] وشيخ الإسلام بالجلوس ، فجلست مفترشاً كجلوس التشهد، وأمر باقي أصحابنا بالجلوس فجلسوا إلى جانبي ، وكنا خمسة أشخاص ، ثم أشار إلي بالتقدم والقرب ، فإن المجلس لم يكن متسعاً جداً ولا مستطيلاً ، بل عرضه نحو الخمسة الاذرع ، وطول المفروش لا يزيد على الثمانية ، فكنت في مقابل مجلس شيخ الإسلام ، ليس بيننا وبين مجلسه ومجلس حضرة الملك إلا مقدار خمسة أذرع . وسأل عن دلاور أغا بعد حضورنا فحضر ، وأراد الجلوس في جهتي وان يكون مجلسه فوق مجلسي على جهة يساري ، فأشار اليه شيخ الإسلام ، وقائم مقام بالتحول عنه ، وأمراه بالجلوس في الوسط بين الجهتين ، فجلس ، وسكن المجلس ، فابتدر مولانا شيخ الإسلام مخاطباً لي بقوله : أين الخياري ؟ ألكم على الأغا دعوى ، أصالة أو وكالة ؟ فقلت : لا دعوى لنا لا أصالة ولا وكالة ، دعوانا سبقت في الماضي لدى قاضي المدينة ، وانفصلت الدعوى ، وبلغنا أنه هو مُدَّع علينا . فخاطب أصحابي واحداً واحداً بقوله : ألكم دعوى أصالة أو وكالة ؟ . فأجاب كل واحد بلا دعوى. فعند ذلك قال لدلاور : ألك أنت دعوى ؟ فلم يجب بشيء ، بل أدخل يده في جيب قميصه (فرجيته) فأظهر حجتين ، أحدهما فيها ثبوت ما تقدمت الإشارة اليه ، والثانية فيها الصلح الواقع ثانياً بعد الصلح الأول الواقع على تسعة آلاف شريفي أحمر ، والثاني وقع على إسقاط ستة كانت بقيت بعد قبض ثلاثة آلاف من التسعة ، وهذا الصلح الثاني هو الذي وقع بحضرة أمير الحاج المصري أوزبك بيك وعساكر مصر ، وقد أمضاها قاضي المدينة أحمد أفندي بن يحيى أفندي ، فقلت في الجواب بعد الاطلاع عليها — : قد وقع ذلك ، ولكن بالزام المصريين ، والرهبة منهم .

فقال حضرة شيخ الاسلام : شروط الاكراه لا تخفاك .

فقلت : قد ورد في العام الماضي أمر سلطاني بالزامهم بالستة الآلاف

---

(١) يقصد نائب رئيس الوزراء .

الباقية. فخاطب ـ بعد سماع ذلك ـ مولانا مصطفى باشا حضرة الملك بذلك وقال : نعم وقع أمركم بذلك ـ معبّراً عنه بالتركية ـ وهذه حقّ الفقير ، وانتهى كلامه . ثم قال شيخ الاسلام لدلاور : هل لك دعوى غـــير هذه ؟ قال : لا . وكرّر عليه ذلك مراراً ، فلما لم يجب بدعوى أمره بالقيام من مجلسه ذلك إلى جانب عماد أفندي فجلس . ثم قال لنا ـ وحضرة السلطان يسمع : ألكم حاجة ؟ وما سبب المجيء ؟ فقلنا : تقبيل سدّة مولانا أيد الله أحكامه .. واغتنام احسانه وطلب انعامه ، فلقد توالت علينا سنون كسني يوسف ـ ثم جرى ذكر الأوقاف الواردة للمدينة الشريفة من جهة مصر من (الدشايش) وغيرها ، وسبب ذكرها انه لما قُرئت الحجة الأولى ، وفيها : إنهم ـ اعني شيخ الحرم والنُّظّار ـ حوسبوا عن سنتـــين ، عن حبّ (الدشايش) وأموالها . سأل حضرة السلطان عن حقيقتها، وما هي ؟ وهل هي واردة كل عام ؟ أم كيف الحال ؟ وكان الأدرى بتفصيل أحوالها وروداً وصَرْفاً لمباشرتها استلاماً وبعثاً ، أيام كان حوالة أهل المدينة بمصر المحمية، الآغا محمد ظافر ، آغا الطائفة الاسباهية في المدينة النبوية ، فقال مجيباً عن ذلك : أصلها كذا ، ومقدارها كذا ، والذي ورد منها في العامين كذا ، والمتخلف كذا ، وأن المراديّة تصل كل عام تماماً ، والأحمدية تصل كذلك. وسألنا عن ذلك ، فأجبت عن المرادية بما أعلمه من وصول ما يتعلق بالوقفين من معاليمها تماماً لأربابه ، وذلك لأن لي في الجهتين مُرَتّباً ، وأخبرت عن « الدشايش » بأنها لا تصل كاملة ، من غير تعيين لمقدار المتأخر، فإني لا أعلمه على التعيين، وأبرز المذكور بطاقة بخط أحد المباشرين المعوّل عليهم في مصر، بمقدار (الدشائش) وكان القارىء لها ـ كالحجتين أوّلاً ـ (قاضي روملي) وقبل السؤال عن الدعوى احضروا له دواة وقرطاساً وُضِعا بين يديـــه ليسطر الدعوى .

فما ظنك بمجلس يكون شيخ الاسلام متولي الحكم فيه ، بحضرة ملك الزمان ، وقاضي عساكر (روملي) يتعاطى كتابة ما يُحتاج لكتابته ، وأعيان الدولة حضور ؟

ويظهر أن الشيخ الخياري لم يُبْدِ كبير اهتمامه بموضوع صدقات فقراء المدينة وأوقافهم ، بعد أن نجح فحصل مقرره القديم وعادت إليـــه وظيفة المدرسة ، ولعله رأى لشيخ الحرم المعزول الحاكم أعواناً من رجال الدولة فأراد مصانعتهم ، فمع أن السلطان نفسه : اقتضى رأيه أن تكون هذه الدعوى على يده ، وأن يتولى فصلها بنفسه ، لتحقق له خدمة الحرمين المحترمين ، وان تكون بحضرة شيخ الاسلام .. وحضرة واعظ السلطان واني أفندي ، ومصطفى باشا قائم مقام ؛ والقاضيين الأعظمين، (قاضي رُومْلي) و (قاضي أناضولي) وهؤلاء عيون الدولة) ـ الورقـــة ٨٢ ـ ومع وصفه لمجلس المحاكمة المتقدم ذكره بقوله : (ولقد اخبرنا الكثير ممن لقيناه بتلك الديار ، ممن له احاطة وعلم بالدولة العثمانية انه لم يقع نظير هذا المجلس قبل لهذه الدولة) الورقة ـ ٨٤ ـ مع ذلك لم تزد النتيجة على : (أجمع رأيهم ـ بعد أن اطلعوا حضرة الملك عليه ـ على تعيين بلطجيين من خدام السلطنة، كل عام يتوجهون إلى مصر لمحاسبة نظارها ، واستلام الحبوب وايصالهـــا بالمراكب إلى الحرمين ، ثم إلى مستحقيها ، ثم يأخذون محضراً بأنهم استوفوا حقوقهم . فوقع التنبيه على النظار في التقيد بإيصال الحبوب .. ثم بعد أن انقضى ذلك اليوم اجتمع بي كثير من أرباب الدولة ، وهم يبالغون في الثناء والدعاء ، ويقولون : إن الواقع في ذلك المجلس إنما كان من الالهام، ولو وقع خلاف ذلك لطارت رؤوس كثيرة من أرباب الدولة) ـ الورقة ٨٤ ـ .

قويت صلة الخياري بشيخ الإسلام ، وبنائب رئيس الوزراء ، ورئيس الكتاب ، واتصلت أخباره بالسلطان ، فقدمت له الرسالة التي ألفها باسمه ، واطلع على التاريخ (الأيجدي) الذي وضعه شعراً لإحدى غزواته .

فأمر السلطان بأن يجري له جرايتان من خزينة مصر ، وأن يصرف له ثلاثين عثمانياً في كل يوم من غير توقف ـ الورقة الـ ٨٦ ـ .

١٠ ـ قضى أربه ، بعد أن مكث هناك من ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٠٨٠ ، حتى نهاية هذا الشهر ، حيث عاد عند استهلال شهر رجب بعد أن

تسلّم (البراءات السلطانية ، والمبرّات الخاقانية ، والجوائز العظيمة ، والأيادي الجسيمة) [٩٣ – ٨٩ = ١٦ ورقة ، حوت مشاهداته ووصف مقابلته للسلطان فمن دونه] .

١١ – عاد إلى القسطنطينية – مارّاً بمدينة سلانيك ، في رابع رجب ، واصفاً ما شاهده في هذه المدينة – فوصل إليها في ثالث شعبان بعد أن قاسى عناءً شديداً من جرّاء شدة البرد ، وتعب السير ،يصف وصوله بلدة(تكرداغ) بقوله : (فوصلنا بعد ظهر يومنا البلد المعروف بتكرداغ ، بعد أن لم يبق لغصة ذلك اليوم من مساغ ، فإذا بلد شابتْ لمه ونواصيه ، ولاحت مبيضة تلوله ونواحيه ، كأنه شيخ قد أدركه الهرم ، فابيض شعره ، وجلده خلا من الدم ، لم يبق فيه من لون الشباب ، إلا أماكن تظلها السقوف أو الثياب ، فدخلنا به مبادرين خاناً حسناً جديداً ، وشكرنا لمن دلنا عليه سَعْياً حميداً، فدخلنا بعد اليأس من السلامة .. فدفع عنا بدخوله بعض المشقة ، وطوينا من السفر بعض الشُّقَّة ، فأقمنا به بقية يومنا ذاك ، والثلج كأنما هو دقيق ينثر ويلفظ من الطواحين ... ونحن كأننا غمسنا مع ثيابنا وأمتعتنا في الماء ، لا تدفأ منا الأعضاء ، ولا يستطيع أحد منا أن يتوضأ ، ومن غريب ما اتفق في ذلك اليوم أن توضأ بعضنا بماء محمى في طست ، بعد دخول وقت العصر ، وأبقى ماء وضوئه مجتمعاً فيه ، وليس بين محلّه وبين (الوجاق) الموقد فيه الحطب الجزل العظيم إلا مقدار ذراعين أو أقل ، فتنبهنا له عند دخول وقت المغرب فإذا الماء جامدٌ ، قطعة واحدة ، والنار في (الوجاق) اليومين والليلتين لا تفتر عن الاتّقاد ، وكنا بعد ليلتنا الأولى قد عزمنا على المسير ، فرأينا كأنما جهنّم جاءت بالزمهرير ، وتغَطَّى النهج على الدليل ، والجو ينتشر فيه من الثلج أضعاف ما كان بالأمس ، فلم يكن من الحزم والرأي وحفظ الحواسّ الخمس ، إلا أن أقمنا في ذلك المكان يومنا الثاني وليلته ، والبرد يشتد ، والألم يمتد ، فلما أصبحنا وإذا بساط الثلج قد ملأ الآفاق ، لا خصوص البلد ، والناس لإلفهم له يمرون عليه ، ذاهبين آيبين لقضاء مآربهم ، لا يمتنعون ولا يتوقفون ، حتى جاوزنا البلدة سائرين ، وهو

بها كالجبال الراسيات ، تقف به حائرة خيول العربات في بعض المواضع ، ثم تعالج ليتيسر السير ، وكلما جاوزنا البلدة خفّ ثلجها ، حتى قطعناها تيك الطريق ، راجين من الله عدم التعويق ، وانتهينا إلى المنزل الذي بعده ، المسمّى (بتركان) ، فبتنا به ، ومن غريب الاتفاق جمود الماء في الرّكاوي ، وجمود غطيانها بها ، وجمود الحبر بالدواة ، بحيث لا يفيد بلّه بالماء ، بل يزيد ذلك يبساً ، - الورقة الـ ١٠٠ - .

١٢ - أقام في القسطنطينية من اليوم الثالث من شهر شعبان سنة ١٠٨٠ إلى خامس عشري ربيع الأول من سنة ١٠٨١ [شهور سبعة إلا بضعة أيام] وخصص لوصف مشاهداته فيها من رحلته [من الورقة الـ ١٠٠ إلى الورقة ١٣٤ = مائة ورقة ووصفه المتقدم حيثما مرّ بها في ربيع الثاني سنة ١٠٨٠ - وأقام فيها عشرة أيام ، في أربع ورقات] .

١٣ - ومن القسطنطينية ذهب إلى (اسكودار) حيث أقام فيها اربعين يوماً ، في انتظار سير (القفل) الذي سيرافقه ، وغادرها في خامس جمادى الاولى ، متجهاً إلى الشام فوصل مدينة دمشق في اليوم الثاني والعشرين من جمادى الآخرة عام ١٠٨١ ، ووقع وصفه لمشاهداته في طريق الاوبة في أربع ورقات [من ١٣٤ إلى ١٣٨] وطريق القدوم ، في تسع عشرة ورقة .

وفي هذه المرحلة من الرحلة قاسى المؤلف من ركوب البحر ، ما وصفه بقوله : [قطعنا الديل ، وما ادراك ما الديل ، معناه بالعربية لسان البحر ، فركبنا بعض المراكب المعدّة به للتعدية صباحاً ، مع ازدحام أهل الركب على ذلك ، كلٌ يحرص على المبادرة بالتقدم ، خشية من اختباط البحر ، وتلاطم الأمواج لاختلاف الأهوية ، وهو آخر العقبات البحرية ، فلقد كنت حال مقامي بـ (اسكدار) إذا عرضت لي مصلحة تقتضي العود لـ (اصطنبول) ركبت القارب ذهاباً وعوداً ، ففي كل مرة يتجدد لي من الهم ما يقتضي لذلك البحر صدّا وبعدا ، ولعمر الله إن ركوبه - لا سيما إذا تحركت (الفراتن) ؟ مقدمة نتيجتها الهلاك ، وسبب يقتضي للهارب بالفوت

والوقوع في الأشراك ، فكنت أعدّ كل تعدية عقبة وأي عقبة ، حتى كانت المرة الأخيرة – ولله الحمد – آخر العقبات ، فأنشدت عند ذلك قولي :

ولمّا لـ (ديل) البحر، فارقت ، عازماً
على العَوْد للأوطان بعـــد غياب
عِلمتُ بأني قـــد رجعتُ مسلّماً
وخلّصتُ من هم ، وهول عباب

قلت : وليت شِعري لست وحدي الذي أخافه البحر وأهاله ، وحذر أحواله وأهواله ، بل الناس فيه متساوية ، والأقدام فيه متدانية ، ولم أرَ في وصفه ... ألطف من عبارة شيخ شيوخنا العلامـة المقّري ... فأحببت إيرادها ، واسنادها لـ « نفح طيبه » :

البَحْرُ صَعْبُ المرام جدّاً
لا جُعِلَتْ حاجتي إليه !!
أليْسَ مـاءً ، ونحنُ طين
فمـــا عَسى صَبرُنا عليه ؟!!

– ثم أطال في وصف ركوب البحر وأهواله – [الورقة الـ ١٣٤] .

وذكر مروره ببلدة (آق شهر) ووصفها بقوله : (بلدة جحا فإذا هي تنسي ما تقدم في سائر الأوصاف حسناً ونضارة في اللون المبهج ورخصاً ، فأما تفاحها فإنه يفوق في سائر الأوصاف غيره ، ويقضي لرائيه بتمام الحيرة ، بحيث حكم له كثير ممن هو معنا في الركب من الشاميين من أهـل الفضل ، وممن شمله التنقل في البلدان ، أن ليس بالشام مع شهرتها بالفاكهة مثله أو قريب منه ، فما بالك بسائر البلدان ، إلا ما يحكى عن بعض قرى المغرب ، فإنه يقتضي تمييزه على هذا أو يغرب ، ولكن أقول : (وما شهدنا إلا بمـا علمنا ، وما كنا للغيب حافظين) وأما طعم المشار اليه فالسكر الفائق المذاب ، وأما ريحه فالمسك بين الأطياب ، يعذب ذوقاً وريحاً ، ويلذ مزّاً أو شماً ، تلويحاً وتصريحاً ، يذكر بريحه الأحباب ، ويسبي بلونه الألباب ،

ما أشبهه بخدود الغيد ، الفائقة بالنضارة والتوريد) – ثم أفاض في وصف قواكهها .

١٤ – ثم بلغ مدينة دمشق في اليوم الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٠٨١ هـ وغادرها في اليوم الخامس عشر من شهر رجب ، لزيارة بيت المقدس ، وتحدث عن دمشق – هذه المرة فأطاب وأطال ، في عشر ورقات، وكانت مدة إقامته في دمشق في المرتين أربعين يوماً تزيد يوماً أو يومين .

١٥ – ومرّ بطريقه إلى القدس بالقنيطرة ، ونهر يعقوب ، واللد ، و الرملة ، وفيها اجتمع بالشيخ خير الدين الرّملي ، وذلك في اليوم السادس والعشرين من رجب ، وأورد له ترجمة ، وإجازة منه . وبالشيخ ابراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الجنيني ، تلميذ الرملي وجامع فتاواه ، وزار المسجد الأقصى ، ووصفه وصفاً كاملاً ، وأورد نقولاً كثيرة عن الأحجار الأثرية كصخرة بيت المقدس ، وحجر مقـام ابراهيم ، والحجر الأسود ، وتحدث عنها من الناحية الدينية ، وغادر القدس بعد صلاة الجمعة فيه وهو اليوم الثامن والعشرون من رجب ، متوجهاً إلى مصر ، ماراً ببيت لحم ، فالخليل ، فبيت جبرين ، فغزة ، فقرية قطية ، التي دعاها : (القرية الظالم أهلها التي كانت الأخبار تنقل لنا ظلم متوليها ، والأمثال تضرب به من غير قرية ، فيقال : أظلم من والي قطية ، وظلم واليها كأهلها انهم يأخذون على كل ذي رسن دخلها من الخيل والابل والبغال والحمير ، على كل واحد شيئاً معلوماً ، إلا من لاحظته العناية ، فلوحظ بالرعاية ، فقد سلم الله ما معنـا من الخيل وكانت ثلاثة ، وجمالنا وكانت خمسة ، فسلم الله الجميع منهم ، فلم تؤخذ ، ولم يأخذوا عليها شيئاً ، وشمل ذلك اللطف بعض أهل الفضل أيضاً ، ممن كانت له رعاية ، فعومل معاملتنا) – ثم وصف طريقة استيفاء الرسوم (الجمرك) في تلك البلدة ، وما يجري من مضايقة المسافرين بتفتيش جميع أمتعتهم – واستمر في وصف مشاهداته في الطريق ، حتى وصل القاهرة في اليوم الثالث من شعبان سنة ١٠٨١ هـ واستغرق ما دونه في الرحلة منذ خرج

من دمشق إلى أن بلغ القاهرة ـ أي مدة ثمانية عشر يوماً ـ ثلاث عشرة ورقة [من الورقة الـ ١٧٥ إلى الورقة الـ ١٦١] .

١٦ ـ ودخل مدينة القاهرة في الثالث عشر من شعبان ، وأقام فيها إلى اليوم الرابع والعشرين من شوال ـ قرابة ٧٣ يوماً ـ وقد أرخى لقلمه العنان للحديث عنها ، [من الورقة ١٦١ إلى الورقة المكملة للمئتين] ثم أعاد الحديث عن دمشق ، ناقلاً ما جاء في « نفح الطيب » عنها : (ارتحلت عنها إلى مصر ، وقد تركت القلب بها رهناً ، وملك هواها مني فكراً وذهناً ، فكأنها بلدي بها ربيت ، وقراري الذي لي به أهل وبيت، لأن أهلها عاملوني بما ليس لي بشكره يدان ، وها أنا إلى هذا التاريخ لا أرتاح لغيرها من البلدان ، والله تعالى يعطر منها بالعافية الأردان) ثم ساق ما أورده المقري في « النفح » في ورقتين ، وعاد للحديث عن الرحيل من القاهرة بعد أن : (تنقلنا في منتزهاتها ، وأحطنا علماً بغالب جهاتها ، وسطّرنا من محاسنها ما أمكن من وصفها بصفاتها ، واجتلينا محاسن أقمارها لائحة بهالاتها ، وقد أخذنا عن مشائخ أعلامها الذين كمل بهم سلك نظامها ، من كل علامة تشهد له بالفضل والانفراد آثار أقلامه ، وتهدي كل ضال نجوم هدايته ... ممن سطرنا رائق نعوتهم في هذه الوريقات) .

١٧ ـ غادر القاهرة يوم السبت الخامس والعشرين من شهر شوال سنة ١٠٨١ ـ عائداً إلى بلده مع ركب الحجاج، الذي يجتمع في (البركة) من جميع جهات مصر وأطرافهـــا إلى اليوم السابع والعشرين من الشهر المذكور حيث يسير الركب ، مارّاً بالعقبة ، قال عنهـــا : (المنزل المذكور محل به قلعة عامرة مسكونة ، ويجلب اليها كثير مما يباع ، مجلوباً من غزة ، من اللوز والزبيب وما شاكلها ، وبه نخل كثير ، ويبدو بالمنزل البَحْرُ ، والناس في خيامهم ، له شبهٌ بالقرطلي ، أول منزل رومي بعد (اسكدار) وهذا المنزل يسمى (قلعة العقبة) وقد أقمنا به بقية يومنا الذي كان وصولنا اليه فيه بعد العصر، وبتنا به ليلة الاربعاء ويومه ، ويوم الخميس ، وفيه كانت المصيبة ، التي نرجو بالصبر عليها كمال المثوبة .. وذلك أن انتقل بالوفاة إلى رحمة الله ، مطعوناً

غريباً مبطوناً الخدن القديم ، والصاحب بل الأخ الكريم ، الخطيب والامام بمحراب النبي عليه السلام ، سلالة الخيرة الأنصار .. أخي وصاحبي حضرا وسفراً ، ورفيقي صغراً وكبراً ، من المكتب وهَلُمَّ جرًّا ، المرحوم المبرور الخطيب محمد مكي بن المرحوم الشيخ عبد الكريم الأنصاري المدني ، وكان ينتسب إلى سيدنا أبي أيوب الأنصاري .. وصاحبنا المشار اليه بيتهم أشهر بيت في المدينة الشريفة ، بهذه النسبة المنيفة ، ينقله خلف أهل المدينة عن سلفهم ، لا مطعن من أحد في ذلك ، ولا إنكار لما هنالك .

وقد ادعى النسبة المذكورة بالمدينة طوائف ، كانت نسبتهم خافية ، ودعواهم واهية ، حين تعين لطائفة الأنصار شيء من جانب السلطنة ، فأظهروا انتسابهم ، ونشروا أحسابهم ، ولله در القائل :

وقد يَتَزَيَّا بالهوى غير أهله .

وكانت وفاة المذكور بالمنزل المشار إليه يوم الخميس قبيل فجره ، بعد مرضه أياماً بالطاعون الذي ظهر أثره في جنبه الأيسر ، عائداً من مصر ، بعد زيارة بيت المقدس ، والشام الشريف ، والديار الروميّة ، وهو رفيقي بها منزلاً منزلا ، حتى حوته العقبة) ـ الورقة الـ ٢٠٧ ـ واكمل الحديث عن وفاة رفيقه ، وعن وصف طريقه ، ذاكِراً من أسماء المواضع بعد العقبة : قصر البَدَوِيَّة ـ عراقيب البغلة ـ ظهر الحمار ـ الجُرْفَيْن ـ عُشُّ الغراب ـ الشرفا ـ مغاير شعيب ـ عيون القصب ـ المُويلح ـ شق العجوز ـ الكفافي الأزْلَم ـ اصطبل عَنْتر ـ الوَجْه ـ أكْرَه ـ العقبة السوداء ـ الحنك ـ الحوراء ـ نبط ـ طراطير الراعي ـ الخُضَيْرا ـ وادي النار ـ ينبع النخل ـ المبارك ـ البركة ـ بئر واسط ويسمى بئر الدهنا ـ الصفراء ـ خيف بني عمرو ـ مفرح الأول ـ مفرح الثاني ـ آبار علي ويسميه المدنيون : الحسا ـ العقيق .

ثم وصل إلى طيبة الطيبة بعد عصر يوم الخميس الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ١٠٨١ هـ .

وقد استغرق وصف الطريق من مصر إلى المدينة عشر ورقات [من الورقة الـ ٢٠٢ إلى الورقة ٢١٢ نهاية الكتاب] . (للحديث صلة)

قبيلة جُهينة

جيرانها ، وشيءٌ من تاريخها

- ١١ -

ومن القبائل التي جاورت جُهينة في منازلها، واختلطت بها قبيلة حَرْب. وهذه القبيلة قبيلة قحطانية النسب، هاجرت من اليمن في القرن الثاني الهجري.

وقد وهم كثير من النسّابين المتقدمين كابن حَزْم في « جمهرة النسب » [١] حينما عد هذه القبيلة من بني هلال بن عامر ، وغيره مثل القلقشندي في كتابيه « نهاية الأرب » و « قلائد الجمان » وليس هذا محل التفصيل .

لقد ذكر الهمداني في كتاب « الاكليل » [٢] ان بني حرب من خولان انتقلوا من اليمن سنة ١٣١ هـ ، فانتشروا فيما بين المدينة ومكة وما بقرب ذلك من المواضع من قدس ورضوى وينبع وتلك النواحي ، وأشار إلى ما وقع بين هذه القبيلة وسكان تلك البلاد من مُزينة وبني سُليم وعَنَزَة من من الحروب وان قبيلة حرب أخضعت تلك القبائل وسكنت كثيراً من مساكنها بحيث اضطر بعضها إلى محالفة قبيلة حَرْب والاستقرار معها في البلاد ، ولعل هذا من الأسباب التي دفعت بعض النسابين إلى عد قبيلة حرب من عدنان .

وذكر الهمداني [٣] : ان رئيس بني حرب في إحدى غزواته لبني

---

(١) ج ١ ص ٢٧٥ الطبعة الثانية .
(٢) ج ١ ص ٢٩٩ وما بعدها .
(٣) الاكليل ج ١ ص ٢٩٩ .

سُلَيْم استنجد ببعض جُهينة إلى حرة بني مالك ، فقتل من بني سُليم مائة رجل . وهذا يدل على أن الصلة بين جُهينة وحَرْب كانت قديمة ، ولعل لانتساب القبيلتين إلى قحطان من الأثر في ذلك ما قوّى الصلة وجعلها تمتد إلى عهدنا الحاضر ، فقد اختلطت القبيلتان في المنازل اختلاطاً قوياً ، وخاصة في ينبع ونواحيها ، بحيث نجد القرية الواحدة مشتركة بين القبيلتين. ولانضواء كثير من القبائل الأخرى تحت اسم حرب غلبت جهينة على كثير من البلاد الواقعة في طريق الحرمين بحيث أصبح نفوذ جُهينة يكاد ينحصر في البلاد الساحلية بامتداد تلك البلاد من شمالي بدر إلى قرب منازل بلي أبناء عم جهينة بقرب حدود الوجه .

ونجد القبيلتين في مختلف العصور الماضية على درجة قوية من التناصر والتآخي فيما بينهما بحيث أن كل قبيلة تشد إزر الثانية وتناصرها عندما تحدث حرب بين إحداهما وبين قبيلة أخرى ، حتى ان الباحث في تاريخ القبيلتين بعد تجاورهما ، يجد أن تاريخ حوادثهما يكاد أن يكون واحداً، وبحيث يعييه وجود حدود فاصلة بين منازل القبيلتين .

ويقال هذا أيضاً بالنسبة لاختلاط قبائل من كنانة ، ثم من الاشراف في العهود المتأخرة ، فقد استوطن قسم من العلويين بلاد ينبع في صدر الاسلام . فكثر هذا القسم واتسع واختلط بجهينة حتى أصبح معدوداً منها يحل كثيراً من قرى ينبع وإن بقي محافظاً على اسمه .

وقد سبقت الاشارة إلى صلة كنانة بجهينة ، وسيأتي من الزيادة ما يوضح هذا عند الكلام على حروب جهينة في العهود المتأخرة .

وهناك قبائل أخرى اختلطت بجهينة ، وامتزجت بها من الأنصار ومن غطفان ، ومن غيرهما من القبائل ، ولكنها انماعت فيها وأصبحت معدودة منها وجهل أصلها القديم .

من تاريخ جُهينة القديم :

ليس بين أيدينا من المصادر التاريخية ما يسعفنا أو يمدنا بتفصيلات وافية

عن قبيلة جهينة قبل الاسلام ، وكل ما نجد هو مقتطفات موجزة عن انتقالها من بلادها القديمة إلى بلادها في العهد الحاضر مما نقله البكري في كتابه « معجم ما استعجم » نقلاً عن كتاب ابن الكلبي « افتراق القبائل » وقد أشرنا إلى طرف من ذلك فيما تقدم .

أما عند ظهور الاسلام فاننا نجد لها تاريخاً مشرقاً واضحاً ، ذلك انها تحل على مقربة من المدينة وعلى طريق القوافل التي تذهب إلى الشام عن طريق الساحل للتجارة ، وكان منها جالية تقيم في المدينة ولهذا كانت صلتها بالاسلام عند ظهوره قوية جداً .

ومن المعلوم ان الرسول (ص) لما بدأ بالجهاد كانت أعماله الأولى مناوشات يقع أغلبها بينه وبين القبائل الواقعة على طريق التجارة إلى الشام ، وكانت قبيلة جهينة من أقدم القبائل التي انقادت للرسول (ص) في أول الأمر ، ثم أخلصت له اخلاصاً جعلها تعد في مقدمة القبائل من هذه الناحية .ومن أولى الغزوات النبوية غزوة العُشَيرة وغزوة بواط وهاتان الغزوتان تقعان في بلاد جُهينة فالعُشَيرة في أسفل وادي ينبع وبُواط في بلادها أيضاً ، ولا يزال معروفاً . ومن السرايا النبوية سرية العِيْص وهذا موضع لا يزال معروفاً ، مأهولاً في بلاد جهينة ، وسرية الخَبَط إلى بلاد جهينة ، وليس الخبط اسم موضع بل لأن السرية أصابها مجاعة فأكلت الخبط (وهو ورق الشجر) وكان موقعها في بلاد جهينة أيضاً إلى جهات القُبَلِيَّة وهي الجبال الواقعة بين ينبع وبين المدينة المقبلة إلى المدينة التي تصب سيولها نحوها ، وكأن السرية بعد وصولها إلى هذا الموضع تقدمت إلى ساحل البحر كما يفهم من سياق خبرها ، وقد وهم الزمخشري وتابعه ياقوت في « معجم البلدان » فظنا ان الاسم يطلق على موضع في بلاد جُهينة وليس الأمر كذلك[1]. وفي كتب السيرة تفصيل واف لأخبار غزوات الرسول (ص) وسراياه يرجع إليه من أراد الاستزادة .

---

(١) أنظر كتاب « عيون الأثر » ج ٢ ص ١٥٨ و « أنساب الأشراف » ج ١ ص ٣٨١ عن تفصيل خبر هذه السرية .

أما عن مسارعة الجالية الجهنية الموجودةفي المدينة عند قدوم الرسول(ص) إليها ، فان أوضح دليل على ذلك ما أورده المؤرخون من أن أول مسجد خط في المدينة كان مسجد جهينة [1] .

ويضاف إلى ما تقدم من أن وفد جهينة كان من أقدم وفود العرب على رسول الله (ص) .

وقد أثنى الرسول (ص) على جهينة فقال عندما عد بعض قبائل العرب : إن مُزينة وجُهينة وأسلم وغِفارا خير منهم يوم القيامة [2] .

وروى الحافظ العراقي في كتاب « القُرَب في فضل العرب » عن سَبُرَة ابن معبد صاحب رسول الله (ص) قال : اجتمع عند معاوية جماعة من افناء الناس ، فقال : ليحدث كل رجل بمكرمة قومه ، وما كان فيهم من فعل ، فحدث كل القوم حتى انتهى الحديث إلى فتى من جهينة ، فحدث بحديث عجز عن تمامـــه ، فالتفت إليه عمران بن حصين ، فقال : حدث يا أخا جهينة حديثك كله ، فأشهد لسمعت رسول الله (ص) ، يقول : (جهينة مني وأنا منهم ، غضبوا لغضبي ، ورضوا لرضائي ، أغضب لغضبهم ، وأرضى لرضائهم ، من أغضبهم فقد أغضبي ، ومن أغضبني فقد أغضب الله عزوجل) فقال معارية بن ابي سفيان : كذبت إنما جاء الحديث في قريش ، فقال :

يكذبني معاوية بن حرب ويشتمني لقولي في جهينة
ولو اني كذبت لكان قولي ولم أكذب لقومي من مزينة

في أبيات أوردها [3] .

وكانت جُهينة من أول القبائل مسارعة إلى الاستجابة للدعوة الاسلامية، فكان وفدها على ما يروي ابن سعد في الطبقات من أقدم الوفود العربية ،

---

(١) أنظر كتاب « التحفة اللطيفة » ج ٣ ص ٣٧٥ ، ترجمة عبدالله بن بدر الجهني .
(٢) « جمهرة النسب » لابن حزم ص ٤ .
(٣) ص ١٥٧ .

وان كان بعض المؤرخين كابن كثير وغيره، يرون ان قدوم وفدهم إلى الرسول (ص) في سنة تسع من الهجرة ، والصحيح انه قدم على الرسول (ص) قبل ذلك التاريخ ، كما يفهم من كتاب « الطبقات » لابن سعد وغيره . ويؤيد هذا اطمئنان الرسول (ص) إلى هذه القبيلة ، ووثوقه برجالها ، كما يدل على هذا اختياره لرجلين منها ، يتحسسان له الأخبار قبل وقعة بدر ، الوقعة الفاصلة في الاسلام ، والتي حدثت في الجانب الجنوبي من بلادها .

ثم كانت جُهينة في مجنبة جيش الرسول (ص) اليمنى التي كانت برئاسة خالد بن الوليد (ص) في غزوة الفتح ، فدخلت مكة من أسفلها .

وقد حظيت بتقدير كثير من الرسول (ص) وأُقطع بعض أفرادها اقطاعات من الأرض .

بل عقد معها عَقدَ مناصرة وتآزر ، عند وصوله إلى المدينة ، ويروي لنا التاريخ طائفة كبيرة من الوثائق النبوية مع جُهينة ، فمنها ما رواه ابن سعد في « الطبقات » [1] ان رسول الله (ص) كتب لبني زرعة وبني الربعة من جُهينة انهم آمنون على أنفسهم وأموالهم ، وان لهم النصر على من ظلمهم، أو حاربهم إلا في الدين والأهل ، ولأهل باديتهم من برّ منهم واتقى ما لحاضرتهم .

وكان من اقطاعه لهم ما أورده ابن سعد وغيره ؛ ان الرسول (ص) كتب لبني شنج من جهينة : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد النبي بني شنج من جُهينة ، أعطاهم ما خطوا من صفينة وما حرثوا ومَن حاقهم فلا حق له ، وحقهم حق [2] .

وكتب رسول الله (ص) لبني الحرمز بن ربيعة ، وهم من جهينة أنهم آمنون ببلادهم ، ولهم ما أسلموا عليه . (للحديث صلة)

---

(١) ج ٢ ص ٣٥ .

(٢) « الوثائق السياسية » ص ١٤١ .

فصول لم تنشر من كتاب :

حَجٌّ إلى نجد مهد العرب

(نشرت « دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر » خلاصة رحلة الليدي آن بلنت ، ما يتعلق منها بنجد، وقد اقترح أحد القراء ترجمة الفصول الأولى من الرحلة ، وإن لم تتعلق بنجد ، ذلك لأنها – فضلاً عن امتناعها ،واعتبارها جزءاً من الرحلة – تحوي معلومات قيمة عن أحوال بادية الشمال ، وتصور انطباعات الكاتبة ومشاهداتها وتصورها الكثير من أحوال العرب وما يتصل بهم منذ ما يقرب من مائة عام ، وها هي بقية الفصل الثاني من تلك الرحلة) :

وقبل مولد طفلها الأول نشب نزاع حول نسب الطفل ، فهي تؤيد ان زوجها المزرابي هو الأب ، بينما طالبت (السويلمات) بالطفل وأحيلت المسألة إلى التحكيم ، طبقاً لما يجري عليه العمل في مثل هذه المسائل في الصحراء ، ووضع اصرار الأم موضع الاختبار بأن توضع جمرة على لسانها ، وبالرغم من هذا الاجراء القضائي البَشِع فقد أصرت على أقوالها وصدر قرار لصالحها . وعلى أية حال فمن المظنون ان ابنها لم يصبح راضياً بالقرار لأنه بمجرد أن ولد التفت إلى أمه غاضباً ، ومن هنا اطلق عليه اسم قمصة . ومنه انحدرت قبيلة قمصة .

وقد بدأ أمرها في الظهور منذ نحو سبعين سنة حين هجمت ونهبت قافلة (بغداد) التي صادف ان كانت تنقـــل قدراً كبيراً من النقود وبهذا الغنى المفاجيء اكتسبوا أهمية أهلتهم منذ ذلك الحين ليصبحوا الفرع الرئيسي للقبيلة ، وهم الآن بلا ريب يملكون أحسن الخيل في (عَنَزَة) . ومع ذلك فشيوخ المزراب لا يزالون يؤكدون سُمُوَّهم من حيث النسب ولا تزال بقية من ادعائهم القديم توجد في حقهم الاسمى في إقاوة تدمر .

يبدو أن (عافت) ابن (مِجْول) الذي قابلناه في مخيم البطين في الربيع الماضي ، قد شارك مشاركة فعالة في القتال الأخير . ففي أثناء المعركة التي هزمت فيها (السّبعة) وحُلفاؤها (صَطـّاماً)، سلم كبير أسرة ابن جَندَل [1] الذي طارده بعض فرسان (وِلـْد علي) سلم نفسه أسيراً لعاطف ، الذي هو زوج لابنته ، ورام أن يمنحه الحماية باخفائه تحت عباءته. ولكن (ابن سُمَير) كان له ثأر على (آل جَنـْدَل) وفي مثل هذه الحالات ما من ملجأ له حرمة. لقد جره أحد أبناء محمد الدوخي من مخبئه وذبحـــه أمام عيني (عافت) . وفي ذلك اليوم أخذ (السّبَعَة) معظم الخيل والجمال التي كانوا فقدوها في الحرب السالفة ، وقد أصبح صديقنا (ابن فرحان) الآن مرة أخرى في نعيم لا بأس به بخيام وأثاث ، وأواني قهوة تثلج صدره .. وإني لآمل أنه سوف يتقبل الحظ الحسن بنفس القدرة التي قبل بها الحظ السيء .

من الطبيعي أنّ (مِجْول) هو خير من يقدم لنا النصح في دمشق ، وهو يقول اننا لا نستطيع أن نفعل في مصلحـة رحلتنا خيراً من أن نذهب أولا إلى (جرود) ونستشير (محمد الدوخي) فوِلـْد علي بعد (الرّولة) هي خير قبيلة تعرف الجانب الغربي من الصحراء ، ويجب أن نتأكد من صحة المعلومات منهم ، ان لم يكن هناك أكثر من ذلك . ان (السبعة) لا يذهبون أبداً إلى أي مكان قرب (وادي السّرحان) لأنهم في الغالب يبقون في النصف الشرقي من (الحَمَاد) ، ومن النادر حتى في غزواتهم أن يتحرشوا بتلك المنطقة غير المضيافة . وقد بلغ (مجول) مرة جنوباً حتى أطراف (النـّفُود) التي يصفها بأن الحشيش يغطيها في الربيع ، وهو يعتقد أن (وادي السرحان) فيه آبار ، ولكن لا مراعي فيه .

الامير عبد القادر الجزائري :

كانت الزيارة الأخرى المشوقة التي قمنا بها أثناء بقائنا في (دمشق) هي

---

(١) أسرة من أنبل أسر الرولة .

زيارتنا للأمير عبد القادر، بطل الجزائر في حربها مع فرنسا. إن هذا الرجل العجوز الساحر ، الذي تشرف سجاياه أية أمة وأي مذهب ، يُنهي أيامه مثلما بدأها ، في انصراف للعلم ، ولممارسة فروضه الدينية . ان عرب المغرب (أو المغاربة) يتميزون عن عرب شبه الجزيرة ، وعن جميع العرب حقاً ، بميل طبيعي للتّقوى ، وبنهج ديني في التفكير .

ان جزيرة العرب لم تكن أبداً قطراً متديناً ، إلا في العهد الأول للاسلام وفي مائة السنة الأخيرة من الحكم الوهابي . وربما بسبب من عدائها لفارس ، جارتها القريبة ، تهمل في مراعاة الطقوس ، ولا تعير الأولياء ، والمعجزات وعالم ما فوق الطبيعة عامة إلا احتراماً طفيفاً .

أما مع عرب المغرب الأقصى والجزائر فالأمر مختلف . فدينهم هو أساس الحياة الاجتماعية ، والمحرك الأول في سياستهم . ومن المألوف هناك ، حتى في وقتنا الحاضر ، أن ينفق الغني ماله على مسجد ، بينما ينفقه أمثاله في مكان آخر على اصطبله وعلى إكرام الضيوف ، ولا شيء يمنح المرء تميزاً اجتماعياً مثل حضوره الصلاة بانتظام . وهناك أيضاً — علاوة على النبلاء العلمانيين — طبقة من النبلاء الروحانيين يحتلون مكاناً رفيعاً من احترام الجمهور . وهؤلاء هم المرابطون، أو سلالة أولياء معروفين، وهم بمقتضى نسبهم يشاطرون أجدادهم القداسة ولهم مواهب وراثية في العرافة والشفاء بالمعجزات . إنهم في الواقع يحتلون بين العامة نفس المركز الذي كان يحتله أبناء الأنبياء في أيام (شاول) .

كان عبد القادر ممثلاً لأسرة من هذا الطراز ، لا شيخاً بدوياً — كما يحسب معظم الناس ، فيما أظن — وقد كان في واقع الأمر رجلاً مدنياً ورجل دين ، لا عسكرياً بالوراثة ، ولو أنه تدرب على السلاح ، كما فعل النبلاء من كلتا الطبقتين ، إلا أن حادثة الحرب الدينية هي التي جعلته رجل عمل . لقد كسب انتصاراته الأولى بخطبه ، لا بسيفه ؛ والآن ، والقتال منتهٍ ، عاد طبيعياً إلى مهنته الأولى، مهنة القديس ورجل الأدب . وهو في دمشق مبجل من أجل هذا ، بمثلما يبجل من أجل صِيته الحربي .

ولدينا أن البساطة المفرطة لسجاياه وسعة أفقه ، التي تبلغ إلى درجة الحكمة الحقة – ذلك كله هو ما يكون سحره الأساسي. ومع كونه « قديساً » « بالاحتراف » ، كما يمكن للمرء أن يقول ، وإنه لكذلك في نظره وفي نظر أتباعه ، فإن سمو مركزه يحرجه . إنه التزام بالنسبة له . واحسانه غير مُقَيَّدٍ ، إنه يسبغه على الجميع دون تمييز ؛ أن تكون فقيراً أو عانياً سبب كاف يوجب عليه حقاً . لقد فتح أبوابه أثناء مذابح دمشق لكل لاجىء ؛ وكان بيته مزدحماً بالمسيحيين ، وكان مستعداً أن يدافع عن ضيوفه بالقوة إذا لزم الأمر . ولقد كان لنا ودوداً أعظم الود ، وحدثنا طويلاً عن موضوع انساب العرب وتقاليدهم . وأعطاني كتاباً ألفه حديثاً أحد أبنائه عن أصالة الحصان العربي ، وكان اهتمامه بادياً بأبحاثنا في هذا الشأن . ولقد حج إلى مكة منذ سنوات كثيرة ، قطع الطريق البري من الجزائر إلى (مكة) ، وعاد عن طريق (نجد) إلى (مشهد علي) و (بغداد) وكان ذلك قبل الحرب الفرنسية .

رد لنا عبد القادر الزيارة في اليوم التالي بكل لطف ، وكان غريباً أن ترى هذا المحارب القديم يتطي بتواضع حماره السوري الصغير ، يقوده خادم واحد ، وهو يدلف راكباً إلى البستان حيث كنا . وهو يرتدي زي 'ملا" (عالم)، جبة وعمامة بيضاء ، تميل إلى مؤخرة الجبهة على الطريقة الجزائرية. وأعتقد أنه لم يلبس قط الكوفية البدوية . إن وجهه الآن شاحباً كالشحوب الذي يعتري وجه طالب ، وابتسامته كابتسامة رجل شيخ ، ولكن عينيه مضيئتان ، ونفاذتان كعيني صَقْرٍ . ومن السهل ، على آية حال ، أن ترى أنهما لن يلتمعا مرة أخرى بالغضب .

ان عبد القادر قد تحلى منذ مدة طويلة بأسمى فلسفة للعقول النبيلة طبقاً للمذهب العربي ، وهي فلسفة الصبر .

مدحت باشا :

كان هناك رجل من نوع مختلف جداً ، إلا أننا كنا مهتمين بأن نراه ، كان ذلك الرجل هو (مدحت باشا) الذي وصل آنذاك إلى دمشق كحاكم

عام لسورية، لقد جاء تصحبه ضجة عالية ، لأنه حُسب ممثلاً لمذهب الإصلاح الإداري ، الذي آمن به الأوروبيون جادين آنذاك للامبراطورية التركية . لقد كان (مدحت باشا) صنيعة وزارة خارجيتنا ، وكانت أشياء كبيرة متوقعة منه . أما عن أنفسنا ، فعلى الرغم من ريبتنا التامة في هذه الأمور ومعرفتنا بتاريخ أعمال (مدحت) في (بغداد) معرفة تامة لا يبقى معها أيُّ إيمان به كمصلح جاد – على الرغم من كل ذلك ، زرناه لنقدم احترامنا كواجب أوّلاً ، ثم – وهذا ما يجب الاعتراف به – من باب الفضول. ويبدو مستحيلاً أن لا يكون رجل ابتكر شيئاً مثيراً كالحكم البرلماني لتركيا إلا مدهشاً وعبقرياً . إلا أننا بهذا الشأن أصبنا بخيبة أمل شديدة ، لأننا لم نلق خارج أوربا أبداً ، من هو أكثر عاميّة ، أو حتى متحدثاً سخيفاً ، أو من هو أكثر إعجاباً بنفسه بسذاجة منه ومن المحتمل أن يكون قد استخدم هذه اللهجة معنا كشيء من الأشياء التي تناسب الانكليز ، ولكنني لا أظن ذلك . وكتمنا بالطبع سر خططنا ، وذكرنا فقط أننا نأمل في أن نزور (بغداد) و (البصرة) ، ونواصل سيرنا من هناك إلى (الهند) لأن ذلك كان هو خط سيرنا النهائي . وعند ذكر هاتين المدينتين بدأ على الفور يطري إدارته هنا ، والبواخر النّهرية التي أنشأها ، والجدران التي هدمها ، وخطوط (الترام) التي أقامها . وتعجب بتأثر : « آه ، ذلك الترام . إنه أنا الذي ابتكرته ، وما يزال يسير . إن خطوط الترام هي أولى الخطوات في طريق الحضارة . وسوف أُنشيء خط ترام حول دمشق . وسيركب كل انسان في المقطورات . وسيحقق الخط عائدات بمقدار خمسة في المائـــة ، وستذهبان إلى البصرة . وستشاهدان بواخري هناك . لقد أصبحت البصرة ، بفضلي ، مكاناً هاماً . البواخر وخطوط الترام هما ما نريد لهذه الأقطار الفقيرة إن أنهار دمشق صغيرة جداً على البواخر ، وإلا كنت سيرت بَعْضاً منها في الحال . ولكني سأنشيء خط ترام . لو استطعنا أن نعمم البواخر ، وخطوط الترام في كل مكان ؛ لأصبحت تركيا غنية !!.

– (قنوات !) هكذا اقترحنا بخبث متذكرين كيف أغرق (بغداد) بتجاربه في هذا السبيل .

– نعم ، و (قنوات أيضاً) قنوات ، وبواخر ، وخطوط ترام ، ذلك ما نحتاج !

– و (سكك حديد) !

– (نعم ، سكك حديد) وآمل أن يكون لنا قريباً سكة حديد تسير على طول طريق النقل من (بيروت) ، ان السكك الحديدية هامة لضمان الأمن في البلاد . ولو كان لنا سكة حديد عبر الصحراء ، لانتهت مشاكلنا مع البدو . آه ، هؤلاء البدو المساكين ، كم جلدتهم في بغداد . وإني لأجزم أن اسمي لن ينسى هناك ! وأكدنا له أنه لم ينس .

ثم استمر يتحدث عن الشركس : (هؤلاء الشراكسة المساكين – قالها بالفرنسية ، لأنه كان يتحدث بها معنا – يجب أن نعمل أي شيء من أجلهم) ليتني أستطيع أن أعطي فكرة عن الرّقة والشفقة الدامعة في صوت (مدحت) وهو ينطق هذه الجملة ؛ إذ يبدو أن الشراكسة أعز عليه حتى من بواخره و (تراماته) . وهؤلاء اللاجئون التعيسو الحظ هم ، في الحقيقة ، مشكلة ليست سهلة الحل : لقد كانوا (ولا يزالون) مشكلة مزعجة لتركيا ، ولقد ظلوا ، منذ أن طردوا من روسيا بعد حرب (القِرم) ينتقلون من إقليم إلى آخر إلى حيث لا يستطيعون أن يذهبوا أبعد مما وصلوا . إنهم سوط عذاب على السكان حيثما حلوا ، لأنهم جياع ومسلحون ، ويصرون على السلب للحصول على المعيشة ، وهم ممقوتون للعرب السوريين خاصة ، لأنهم يسفكون الدماء ويسلبون ، وكل ذلك مناقض لأفكار العرب ، إن (الشركس) كالثعالب التي يخرج الصيادون متسترين بها .

ان عملهم هذا هو تصرفٌ تمليه روح الجماعة ، ولكنهم لا يمكن أن يُفْرَضَ عليهم العيش في سلام مع الأرانب . وعلى أية حال ، كان لدى مدحت مشروعاً يستحقُّ الذكر لتصحيح الأمور . كان سيجند كل هؤلاء الرجال في قوات « الضبطية »، وإذا سُلِبوا ، عندئذٍ ، فسيكون في مصلحة الحكومة . كانت زمرة منهم في الفناء في وقت زيارتنا ، للتجربة ؛ ولقد كان من الصعب اختيار مجموعة أشأم طلعة من هؤلاء .

انصرفنا وقد ترك فينا مدحت أثراً طيباً ، على وجه الاجمال ، وان لم يكن كما أملنا . لقد أدهشنا ، لكن ليس بصفته رجلاً حكيماً . وفي الحق ، إن مصلحاً واحداً من (البشوات) من هذا النوع يحدث لتركيا من الخراب أكثر ممـــا يحدثه عشرون من النوع القديم غير النزيه . فمدحت – رغم أنه يعجز عن أن يملأ خزانته الخاصة – يمكن الاعتماد عليه في إفراغ الخزانة العامة في دمشق ، كما فعل في بغداد ، حيث أنفق مليون جنيه استرليني في أعمال غير منتجة في ظرف عام واحد . وحينما ودعناه ، لفت انتباهنا أن نلحظ أنه استبقى السيد (سيوفي) مدير البنك العثماني ، الذي قدم معنا ، لمشاورة خاصة ، كان حصادها أول عمل رسمي قام بـــه كحاكم لسورية ، وهو عقد قرض .

* * *

دام عهـــد مدحت في دمشق عشرين شهراً وقد صرف في تدبير الدسائس فقط وهذه هي شهرته . لقد بدأ بعمل يلفت الأنظار ، ذلك هو اخضاع (دروز حوران) المستقلين ، وهم جماعة ميسورة ومسالمة ، انزل بها مدحت الخراب بمساعدة (وِلْدْ عَلي) . وقضى بقية وقتـــه وموارده في محاولة لأن يكسب لنفسه رتبـــة ولقب (خديوي) . وهو مشروع انتهى باستدعائه . أما عن التّحسينات، المادية والادارية، فلم يُسْمَعْ شيءٌ مطلقاً، إلا أن من الجدير بأن نسجله أن سلسلة من الحرائق دمرت في عهـــده جزءاً كبيراً من الأسواق في (دمشق) وسببت خسارة كبيرة في الممتلكات ، واحتل مكان هذه الأسواق شارع فسيح . وقد نقل الآن مدحت إلى (أزمير) ومما يلفت النظر ان نقرأ عنه التقرير التالي :

« مدحت باشا » – ٢٨ سبتمبر : يقول مراسل خاص لصحيفة (جرنال دي جنيف) في رسالة له من أزمير منذ عشرة أيام ، أن مدحت باشا ، بعد أن أقنـع بأنه يحوز رضا السكان ويستطيع أن يعتمد على تعاونهم الفعال ، فكر منذ أمد قصير في مشروعات واسعة للتحسين والاصلاح لمنفعة الإقليم

الذي استُدعي لإدارته. وكانت أولى الأعمال التي اقترح البَدْءَ بها هي تجفيف مستنقعات « هلكا – بودنار» الكبرى (حمامات ديانا ربة الأقدمين)، وتنظيف بالوعات ازمير ، ونقل القاذورات التي تملأ الشوارع ، وتلوث الجو ، وتضر بصحة المدينة وتهدد بانتشار الطاعون في تاريخ غير بعيد ، كما قال له طبيب مشهور . ثم اقترح ، بناء على نصيحة « أفندي » مهندس ذكي ، كبح جماح نهر (هرمس) ، الذي تفيض مياهه في الشتاء ، وتغرقُ شَطَّيْهِ ، وتحدث أضراراً بالغة في سهل « المبنيمن ». وصدرت الأوامر بتنفيذ الأعمال الهندسية الضخمة ، التي ظن أنها ستقضي على الشرور ، وتعيد إلى الزراعة مساحة شاسعة من الأرض الخصبة ، التي هي الآن أرض غير منتجة . وكان الإصلاح الاداري أيضاً سَيُبْدَأُ به بشكل جدّيّ . فالشرطة سيعاد تنظيمها ، والنظام والنزاهة ستنفذان في المحاكم . وفضائح (الجندرمة) الذين أجبرتهم مرتباتهم القليلة أن يتحالفوا – هجوماً ودفاعاً – مع جميع لصوص المدينة وسفّاحيها ، وعار القضاة الذين يتقبلون الرشاوى من المحتالين والأشرار ، كل هذا كان سيكبح على الفور وبحَزْمٍ . وصدرت الأوامر بوجوب إلقاء القبض على كل (قائمقام) وكل مدير ، وكل رئيس شرطة ، وكل رئيس محكمة مُدانٍ إما بسوء استعمال سلطة وظيفته ، أو بالنهب ، وإلقائهم في السجن . وتقرر أن تَكُفَّ البلديات عن أن تكون لسان حال الولاة ، وتحصر كل اهتمامها في مصالح دوائرها الانتخابية . وتقرر فحص حسابات الموظفين ، ذوي الرواتب الاسمية التي لا تتعدى ٨٠٠ فرنك سنوياً – والذين ينفقون عشرة آلاف فرنك – تقرر فحصها فحصاً دقيقاً ، وتقرر معاقبتهم بشدة على اختلاساتهم ؛ وهناك تدابير أخرى ، جديرة بالثناء ومرغوب فيها ، شُرِّعت أو بُدِيءَ فيها . إلا أن الطاقة والنيّة الحسنة في المصلح – سواء كان اسمه مدحت أو حميد – لا تكفيان ، لسوء الحظ ، لانجاز الاصلاحات . فتجفيف المستنقعات ، وبناء أسوار على شطوط الأنهار ، وتنظيف البالوعات ، ونقل القاذورات ، ودفع مرتبات القضاة والشُّرَط ، وتجنيد جباة نزيهين للضرائب والرسوم ، كل ذلك يحتاج لتحقيقه إلى مال كثير . وكيف يمكن الحصول على ذلك ؟ ليس من ايرادات الميناء أو إيرادات اللِّواء ، فهذه ترسل بانتظام،

حق آخر (سنتيم) إلى اسطنبول ، لأن احتياجات الحكومة مُلِحّة ، ولا تقبل أي إرجاء . ووجد مدحت باشا نفسه ، وهو لا يدري إلى أية جهة يلجأ ، فعقد مجلساً ، ولكن الأعضاء لم يكونوا قادرين على أن يقترحوا حلاً للمشكلة ولا أن يجدوا أيَّ مال . وفي هذا الوضع الحرج خطر على بال الحاكم أنه يوجد في (ازمير) فرع للبنك العثماني ، يقف على بابه دائماً جنديان من النظام فَخْمانِ ، يرتديان زيّاً زاهياً ، ويخلعان على مبنى الفرع مظهر مؤسسة حكومية . ولِمَ لا يقدم البنك ما يسد الاحتياج ؟

فرضت الفكرة نفسها على الباشا ، وطلب من المدير أن يزور في الحال « الكوناك » ، لأمر عاجل يتعلق بالأعمال العامة . وحينما وصل إلى هناك كشف له مدحت عن خططه الاصلاحية ، وأثبت له ، ببلاغة مهتدٍ جديد ، أن الأشغال العامة التي فكر فيها ، لن تفشل في أن تكون ذات منفعة للاقليم يعجز اللسان على إيفائها حقها ، وأنها ستعيد للاقليم رخاءه الذي وَلّى . وأكّد للمدير الذي أخذته الدهشة أن البنك لن يستطيع أن يظفر بفرصة للقيام باستثمار جيد أفضل من إقراضه الحكومة بضعة ملايين من الفرنكات ، تنفق بكل دقة للأغراض التي شرحها . وفوق ذلك ، فتلك المشروعات ستدر ربحاً سريعاً بحيث يستطيع البنك أن يثق ثقة مطلقة واضحة في استعادة القرض والفوائد ، خلال بضع سنوات . ولسوء الحظ ، لم تحدث كل هذه الحجج أثراً لدى السيد (هينتز) المدير ؛ وأوضح للباشا أن التعليمات الصادرة إليه لم تترك له سلطة ليَعْمل بمقتضى تقديره ، رغم أنه شخصياً كان سيسره جداً أن يقدم الملايين المطلوبة . ان وظيفته محصورة في القيام باعمال مصرفية عادية ، وأن يجبي دخلاً معيناً فُوِّض تقديره للبنك بمقتضى أوراق الضمان ؛ ولكنه محظور عليه حظراً باتاً أن يمنح قروضاً أيّاً كانت ، ومهما بدت مُغْرية ومُرْبحة .

وكانت هذه هي نهاية مشروعات (مدحت باشا) العظيمة من مشاريع التطوير العامة ، والاصلاح الاداري . ومن الظلم الصارخ في ظل هذه الظروف أن يتهم بعدم الوفاء بالوعود التي قطعها على نفسه عند تسلمه الوظيفة ؛ فما من أحد — حتى لو كان حاكماً تركياً عاماً — ينتظر منه أن ينجز المستحيلات ».

أحاديث :

حول تراثنا المبعثر في مكتبات العالم

- ٢ -

١٧ ـ مكتبة الشهيد علي باشا :

أنشئت في سنة ١١٢٧ (١٧١٥ م) ومخطوطاتها تبلغ (٢٨٤٣) بعد أن ضم اليها مكتبات أخرى أحدث عهداً منها .

١٨ ـ مكتبة وهبي أفندي البغدادي :

محتوياتها من المخطوطات (١٦٣٩) وهي حديثة الانشاء في عام ١٣٣٦ (١٩٢٠ م) .

١٩ ـ مكتبة محمد باشا :

أنشئت قبل عام (١٤٧٤ م) وفيها من المخطوطات (٣٣٦) .

٢٠ ـ المكتبة الحميدية :

يرجع تاريخ انشائها إلى عام ١١٩٤ (١٧٨٠ م) وفيها من المخطوطات (١٥٠٤) .

٢١ ـ مكتبة الشيخ محمد مراد :

انشاؤها في عام ١٢٦٠ (١٨٤٤ م) ومخطوطاتها (٤٩١) .

٢٢ ـ مكتبة السلطان الفاتح :

من أقدم المكتبات حيث أنشئت في سنة ٨٧٥ هـ (١٤٧٠ م) وهي

غنية بالمخطوطات حيث يبلغ مجموع ما فيها منها(٥١٨٨) خمسة آلاف ومائة وثمانية وثمانين كتاباً .

٢٣ – مكتبة ابراهيم افندي ناظر مكتبة الفاتح :

تضم هذه المكتبة من المخطوطات (٤٥٥) كتاباً .

٢٤ – مكتبة خسرو باشا :

كان موقع هذه المكتبة بجوار القبر المنسوب إلى أبي أيوب الأنصاري خارج أسوار المدينة القديمة وقد أنشئت هذه المكتبة سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩م) وفيها من المخطوطات (٧١٤) كتاباً .

٢٥ – مكتبة (مهرشاه السلطان) حامل اختام السلطان :

انشاؤها في عام ١٢١٠ (١٧٩٥ م) ومخطوطاتها (٤٤٧) .

٢٦ – مكتبة اسماهان سلطان :

أنشئت عام ١٣٤٠ (١٩٢٤) ومخطوطاتها (٥٥٤) .

٢٧ – مكتبة حسن حسنو باشا :

انشئت في آخر القرن التاسع عشر الميلادي ، إذ منشؤها عاش بين سنتي (١٨٣٢ / ١٩٠٣) وفيها من المخطوطات (١٠٥٢) ألف واثنان وخمسون كتاباً .

هذه من أهم المكتبات التي جمعت الآن في (المكتبة السليمانية العامة) أما مجموع المكتبات التي ضمت فيبلغ ٩٢ مكتبة .

وليست جميع المخطوطات عربية ، بل فيها كتب تركية وأخرى فارسية، ولكن العربية أكثر من غيرها .

ولتلك المكتبات فهارس عربية مطبوعة وبعضها مخطوط ، إلا أنها

ليست على درجة من الدقة بحيث يصح الاعتماد عليها ، يضاف الى هذا الخلط في تصنيف أسماء الكتب ، بوضع كتب تتعلق بعلم من العلوم ضمن كتب علم آخر ، كوضع بعض كتب التاريخ ضمن كتب الفقه ، ووضع كتب الأدب مع كتب التصوف ، وكتابة أسماء الكتب بصورة غير صحيحة ، ونسبة بعض الكتب إلى غير مؤلفيها ، وعدم فحص المجلد من الكتب الذي قد يضم كتابين أو أكثر ، مع الاكتفاء باسم الكتاب الأول منه .

في مكتبة السلطان أحمد الثالث :

تقع هذه المكتبة داخل (متحف طوب قبو) أغنى المتاحف التركية ، بقرب (أيا صوفيا) .

وفي هذه المكتبة ذخيرة طيبة من نفائس الكتب ، ولا يصح الاعتماد على فهرسها المطبوع قديماً باللغة العربية ،وكم أوقع الاعتماد على ذلك الفهرس وأمثاله من فهارس المكتبات الموجودة في اصطنبول الباحثين في الوهم . ومن هؤلاء المستشرق الكبير العلامة كارل بروكلمان مؤلف كتاب تاريخ الأدب العربي .

لهذا فلا بُدَّ من الاطلاع على الكتاب المطلوب بعينه ، وعدم الاكتفاء بورود اسمه في الفهرس ومثل هذا العمل يحتاج إلى وقت طويل، وصبر وجلد.

زرت هذه المكتبة ، فكان مما اطلعت عليه من نفائس مخطوطاتها :

١ ــ الفتوحات العثمانية ، للأقطار اليمنية وقد وضع اسمه في الفهرس : (فتوح اليمن للوزير ابراهيم سنان باشا) .

وهذا الكتاب نسخة ثانية من كتاب (البرق اليماني ، في الفتح العثماني) تأليف مؤرخ مكة قطب الدين محمد بن أحمد بن قاضي خان النهروالي المكي الحنفي توفي سنة (٩٨٨ هـ) مؤلف كتاب (الأعلام بأعلام بلد الله الحرام) وهو مطبوع و (منتخب التواريخ) وهو مخطوط ، وله مؤلفات غيره .

وتقع هذه النسخة في ٣١٠ من الورق ، وهي مخطوطة في مستهل رمضان سنة ٩٨١ بمكة المشرفة ـ أي قبل وفاة المؤلف بسبع سنوات .

وكنت قد اطلعت على نسخة من هذا الكتاب في المكتبة الوطنية العامة في مدينة (فينا) في البلاد النمسوية ، فظننت الكتاب يغاير كتاب (البرق اليماني) فأخذت صورة له على شريط (ميكروفلم) . ورقم هذا الكتاب في فهرس مكتبة أحمد الثالث (٢٨٧٩) .

٢ ـ كتاب (البرق اليماني ، في الفتح العثماني) في منتصف القرن العاشر الهجري ، قامت الدولة العثمانية بارسال قوات بحرية لمحاربة البرتغاليين الذين استولوا على كثير من الموانىء البحرية العربية ، في اليمن وفي الخليج الشرقي خليج عمان والبصرة ، فانتصرت القوات التركية على البرتغاليين ، واستولت على أجزاء كثيرة من بلاد العرب ، كاليمن والبحرين وغيرهما . وبقيت اليمن من سنة ٩٤٥ إلى سنة ٩٧٣ خاضعة لحكم الأتراك ، حتى كان عام ٩٧٣ حينما ثار الامام المطهر بن شرف الدين على الاتراك واستولى على بلاد اليمن الا بعض السواحل ، فارسلت الحكومة التركية جيوشاً عظيمة بقيـــادة الوزير سنان باشا فاعاد فتح اليمن في سنة ٩٧٦ . ورجع منه الى الحجاز ، فأدى فريضة الحج ، فاجتمع به الشيـــخ قطب الدين المكي ، وتولى تعليمه مناسك الحج (تطويفه) فاكرمه هذا الوزير ، وطلب منه أن يؤلف كتاباً عن غزوته اليمن ، فألف كتابه هذا (البرق اليماني في الفتح العثماني) ولم يقتصر فيه على أخبار هذه الغزوة ، بل ضمنه تاريخ اليمن منذ أن استولى عليه الأتراك في المرة الأولى ، حتى عاد اليهم بغزوة ستان باشا .

ومن هذا الكتاب نسخ كثيرة في مكتبات تركية ، والقاهرة، وفي مكتبة الحرم المكي ، وغيرها .

إلا أن النسخة الموجودة في مكتبة أحمد الثالث (متحف طوب قبو) تعتبر من أوثق النسخ ، إذ هي نسخة المؤلف التي أهداها للوزير سنان باشا ، وكتب في طرتها : (كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني) ثم دائرة تتوسط

الصفحة ، منقوشة مذهبة ، كتب في جوفها : (أهدى لخزانة كتب الوزير المعظم فاتح إقليم اليمن ، وبلاد تونس ، وحلق الواد ، وغير ذلك من البلاد ، حضرة الوزير المعظم ، ستان باشا) ثم في أسفل الصفحة : (جمع الفقير قطب الدين بن علاء الدين الحنفي ، نزيل مكة المشرفة) .

وهذه النسخة من (البرق) أوفى من نسخة (الفتوحات العثمانية) حيث تزيد عليها بـ (الفصل الخامس ، في عودة الوزير بالعساكر المنصورة إلى الأبواب السلطانية) ورقمها في فهرس المكتبة (٢٨٧٩) .

ولا ندري لماذا وضع المؤلف لكتابه اسمين أحدهما (الفتوحات العثمانية للأقطار اليمنية) كما في ص ٣ من النسخة المرقمة بـ ٣٨٧٩ وجاء في آخرها — الورقة ٣١٠ : (تمت كتابة تاريخ فتح اليمن) والاسم الثاني (البرق اليماني) .

من نفائس هذه المكتبة ثلاث نسخ خطية من تاريخ مكة للأزرقي تحمل الأرقام ٢٨٨١ / ٢٨٨٢ و ٢٨٨٣ — الأولى مخطوطة سنة ٨٠٦ في مكة وملحق بها (١) : رسالة المهدي العباسي إلى أهل مكة ، وتقع في أربع ورقات . (٢) : رسالة في افتخار الحرمين الشريفين في ورقات . (٣) : رسالة الحسن بن أبي الحسن البصري إلى بعض إخوانه في مكة — في أربع ورقات.

والنسخة الثانية أقدم خطاً ، وأتقن ضبطاً إلا أن تاريخ نسخها ليس مدوناً في آخرها ولا يبعد أن تكون من مخطوطات القرن السادس الهجري .

والنسخة الثالثة كتبت برسم أحد وزراء الدولة في عهد المماليك ، إذ في طرتها : (برسم الباب العالي الخواجكي ، العبدي بدر الأشرفي حفظه الله) .

وبدر الأشرفي قتل سنة ٦٥٨ (كما جاء في كتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردي) ولا أدري هل هذا هو الذي كتبت النسخة له ، أم هو بدر آخر ؟ .

وفي هذه المكتبة : ثلاث نسخ خطية من كتاب (شفاء الغرام بتاريخ البلد الحرام ، لتقي الدين الفاسي) أرقامها ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ ـ والكتاب مطبوع وثلاث نسخ خطية من كتاب (الأعلام باعلام بلد الله الحرام) للقطبي أرقامها ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ وفيها نسخة من كتاب (الوحشيات) بخط علي ابن أحمد بن أبي الجيش البوازيجي سنة ٦٣٧ تقع في ١٢٢ ورقة ، وخطه جميل ، متقن ، مضبوط بالشكل .

وأطلعت فيها على كتاب(طبقات الحنابلة) لابن الفراء ، نسخة مخطوطة سنة ٨٢٣ تحمل الرقم ٢٨٣٧ في الفهرس ، لابن رجب ، مخطوط سنة ٨٧٥ ـ في أوله فهرس أسماء المترجمين فيه والنسخة بخط عبد القادر ابن عبد الوهاب بن عبد المؤمن بن عبد العزيز ابن عبد الرحمن القرشي في مكة المشرفة ، وهي في ٣١٦ ورقة ، آخرها ترجمة العلامة ابن قيم الجوزية ، وقطعة من قصيدته الميمية ، في وصف الجنة .

ومجمع الأمثال للميداني نسخة عليها تملك مؤرخ في سنة ٦١٦ ـ يدل على أنها قديمة الخط ورأيت كتاباً يحمل في الفهرس الرقم ٣٩٣ واسم (المختصر في علم الأنساب). جاء في أوله بعد البسملة : (هذا مختصر في علم الأنساب. المعقبون من أولاد أمير المؤمنين عـــلي بن أبي طالب عليه السلام خمسة : الحسن ، والحسين ـ وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ـ ومحمد ـ وأمه خولة بنت قيس الحنفية ، والعباس ، المشهور بالسقا ـ وأمه أم البنين بنت حزام (؟) العامرية ، وعمر الأطرق وأمه الصهباء التغلبية) .

وآخره ، الورقة ٧٤ بـ : [وهذا آخر هذا المختصر في أنساب الطالبيين، كتبت هذه النسخة من نسخة صححها الامام فخر الدين الرازي ، وكتب على ظهرها بخطه بهذه العبارة : هذا الكتاب المسمى بالشجرة المباركة قرأته على السيد ... شرف العترة ، عـــلي بن شرفشاه ابن أبي المعالي ، وأجزت له روايته .. وهذا خط محمد بن عمر بن الحسين الرازي، مصنف هذا الكتاب. في غرة شعبان سنة ٥٩٧ .. وكتبه الفقير وحيد بن شمس الدين سنة٨٣٥هـ].

وليس في هذا الكتاب كبير فائدة ، إلا من حيث نسبته للرازي ..

ووقع نظري في الفهرس على اسم كتاب (أسماء البلدان) برقم ٢٧٠٠ — ولكنني لما تصفحته وجدته الجزء الأول من معجم البلدان لياقوت .

وفي المكتبة كتاب (رسل الملوك) للحسن بن محمد المعروف بابن الفراء ، مخطوط سنة ٧٩٥ — في المجلد المرقم بـ ٣٠٥٢ من الورقة الثانية والستين إلى الورقة الـ ٨٩ — والكتاب طبعه الدكتور صلاح الدين المنجد .

ومن نفائس مخطوطات هذه المكتبة كتاب في الجغرافية ، كتب فوق طرته :(كتاب صورة الأرض، وصفة أشكالها ومقدارها في الطول والعرض) ثم بخط حديث : (لابن حوقل النصيبي) .

يقع هذا الكتاب في ١٣٩ ورقة من القطع الكبير . ويحتوي على صور للأقاليم ملونة ، وهو بخط علي بن الحسن بن بندار فرغ من كتابه يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب سنة ٤٧٩ .

وقد طبع هذا الكتاب في أوربة (ضمن سلسلة المكتبة الجغرافية) ثم طبع في بيروت منذ ثلاث سنوات . والطبعة الأوروبية تحمل اسم (كتاب المسالك والممالك ، والمفاوز والمهالك) والطبعة البيروتية تحمل اسم (كتاب صورة الأرض) . ونسب في الطبعتين إلى ابن حوقل ، ولكنني في شك من أمر هذه النسبة ، بعد أن طالعت النسخة الخطيـــة الموجودة في مكتبة أحمد الثالث .

ونسخة نفيسة من كتاب وضع اسمه (كتاب الجغرافيا) ونسب إلى أحمد بن الحسين الخوارزمي ، مخطوط سنة ٦٨٤ - يحوي مصورات جغرافية على درجة حسنة من الاتقان ورقمه في الفهرس (٣٣٤٨) .

إن الوقت الذي يمضيه المطالع في المكتبة يبتدىء من الساعة التاسعة والنصف صباحاً إلى الساعة الثانية عشرة ، ثم من الساعة الواحدة والنصف إلى الساعة السابعة — أي ثماني ساعات - يتخللها وقت الراحة للموظفين

ساعة ونصف ، فأضطر إلى العودة إلى الفندق في هذا الوقت ، ولا أستطيع العودة لحاجتي إلى الراحة ، وإلى تناول طعام الغداء ، ولو عدت بعد ذلك لوجدت الوقت قد قارب الانتهاء ، يضاف إلى ما تقدم أن الموظف المنوط به أمر إحضار الكتب للطالعين ، لا يحضر سوى كتابين اثنين ، وبعد أن يرجعها إلى مكانها من المكتبة ، يحضر غيرهما ، فيذهب جزء من الوقت في هذا العمل .

من طريف ما حدث لي أثناء زيارتي وبينما أنا مستغرق في مطالعة أحد الكتب المخطوطة إذا باحدى الموظفات تقف علي وتخاطبني بإشارة فهمت منها أنها تدعوني إلى (الهاتف) فأردت أن أفهمها بأنني لست المقصود بالمكالمة ، ولكنها أصرت على أن أقوم معها إلى (المدير) الذي يحسن قليلاً من اللغة العربية ، ففعلت ، فقال لي المدير : (إن المقصود هو فلان ـ يعني اسمي ـ والمتحدث مدير المتحف ، وقد يكون الأمر يتعلق بالكتب التي طلبت تصويرها) .

عصرت الذاكرة لعلي أجد كلمة غير عربية أخاطب بها هذا المدير الذي انهالت كلماته علي كالسيل بواسطة الهاتف ، فلم أجد شيئاً ، وبعد حديث طويل منه ، لم أفهم منه حرفاً ، نطق بكلمة الشهادتين مكرراً لها ، ففهمت أنه يستوضح عن اعراب اسم الجلالة (الله) فيهما ، فنطقتها على الوجه الصحيح عدة مرات ، حتى اتقن نطقها بمحاكاتي . . ثم علمت ـ فيما بعد بأن المدير طلب من خطاط كتابة الشهادتين فأراد أن يضبط له الحركات .

ولندع الحديث عن وصف المخطوطات قليلاً ، لنتحدث عن بعض ما يقاسيه من لا يحسن إلا العربية ممن يعنى بالبحث عن المخطوطات :

كان أستاذنا العلامة الشيخ عبدالعزيز الميمني قد زار (مكتبة خسرو باشا) التي تقع بقرب المسجد المنسوب إلى أبي أيوب الأنصاري ، في المحرم من عام ١٣٥٥ ـ وأشار إلى بعض مخطوطاتها في مقدمة (شعر الشَّنْفَرى) من كتاب (الطرائف الأدبية) ص ٥٠ ـ فرغبت الاطلاع على ما أشار إليه الاستاذ ،

فذهبت مبكراً إلى الجهة التي تقع فيها المكتبة، وتسمى هناك (سلطان أيوب) تأثراً بكون أكثر المساجد الكبيرة في هذه المدينة منسوبة إلى السلاطين ، وقد شُيّد جوار القبر المنسوب إلى (أبي أيوب) جامع كبير ، وزخرف القبر، وزيّن بأنواع الأحجار ، الملونة المنقوشة ، حتى بدا آية في جمال مظهره ـ مما يتنافى مع ما جاء به الدين الاسلامي من تحريم البناء على القبور ، واتخـــاذ المساجد عليها .

وسائط التنقل في اصطنبول :

١ ـ الحافلات (السيارات الكبيرة الاوتوبيس) تخترق المدينة من مختلف جهاتها في شوارعها الرئيسية ، وتبلغ ضواحيها بأجرة لا تتجاوز ٦٠ قرشاً تركياً لأطول خط من خطوطها (أي ما يقارب ١١ قرشاً سورياً .

٢ ـ سيارات الأجرة ، وهذه تسير بدون (عدادات) والأجرة فيها بحسب الاتفاق .

٣ ـ سيارات الخدمة (سرفيس) وهي سيارات صغيرة تسير في خطوط معلومة ، وهي أسرع من (الحافلات) وأرفع أجرة .

بلغت المكان مبكراً ، وهو حي من أحياء المدينة ، يقع خارج أسوارها القديمة ، أما الآن فقد اتصل به العمران ، غير انه يعتبر من الأحياء الشعبية، التي تعوزها النظافة . لقد أردت أن أتناول شيئاً من الأكل في أحد المطاعم الموجودة فيه ، ولكنني لم أجد المطعم الذي تميل إليه النفس إلا بعد بحث طويل ..

ذلك أن هذا المكان تكثر فيه العربات التي تجرها الدواب ، وهذه تملأ ما تمر به بأرواثها فيتكاثر الذباب في تلك الأمكنة ،بدرجة تدعو إلى الاستغراب، ولعل لكثرة المقابر في تلك الجهة بعض الأثر أيضاً ، فهذه الناحية تعتبر مقبرة المدينة منذ دخلها الاسلام .

دخلت الجامع ـ بحثاً عن المكتبة ـ فوجدت شيخاً يحسن العربية، فبعث

معي صبياً أرشدني إليها ، ولكنني وجدتها مغلقة ، إذ الساعة لم تبلغ التاسعة والنصف وقت فتحها ، فلم أجد ما أقضي به الوقت سوى التجوال داخل المقابر ، مشدوهاً بما أشاهده فوق ألواحها الرخامية ، وفي جوانب جدران قببها من جمال الخطوط المكتوبة فوقها ، بأنواعها المختلفة من نسخي وتعليق (رقعي) وفارسي ، منها ما هو مؤرخ في القرن العاشر الهجري ، ومنها ما كتب في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري ، أمـــا القبور التي حدثت بعد ذلك فإن كتاباتها بالحروف اللاتينية ـ بعد أن منعت الدولة التركية استعمال الحروف العربية في الكتابة ـ ولا تفوتني الاشارة إلى أن ديننا الحنيف لا يجيز الكتابة على القبور .

وحينما أتحدث عن هذا الموضوع َصف ما شاهدته وصفاً مجرّداً .

عدت إلى المكتبة فوجدتها مفتوحـــة ، فطلبت من الموظفة الفهرس ، فأرشدتني إلى بطاقات أسماء الكتب المكتوبة بالحروف اللاتينية ، كانت غرفة المطالعة مملوءة بالطلاب ـ وهكذا الحال في بقية المكتبات ، قل أن يزور المرء مكتبة إلا ويجد الأمكنة المخصصة للمطالعة مزدحمة بالشبان ـ من فتيان وفتيات ـ يشاهدون منهمكين في المطالعة أو النسخ .

كان أحدهم يعرف قدراً يسيراً من الكلمات العربية ، فأعانني على إفهام الموظفة ـ بمـا قصدت ، فأخرجت إلي من (المخزن) مجموعة من الكتب المطبوعة ، فهمت من تصفحها أنها تتعلق بتاريخ بعض البلاد العربية ، كالعراق والشام ، ولكنها مطبوعة ، وبحروف لاتينية ، وأنا أبحث عن المخطوطات العربية ، وهذه الكتب هي أجزاء من سلسلة كتب تاريخية كتبها علماء أتراك ـ في العهد الأخير ـ ونقلوها من مختلف المصادر من عربية وفارسية وتركية قديمة ، وغير ذلك من اللغات ، مما يتلاءم مع الاتجاهات الحديثة للأتراك بعد انهيار الخلافة الإسلامية .

كانت الفتاة مهذبة الأخلاق ، حريصة على أن أستفيد من زيارتي لهذه المكتبة ، ولما لم تستطع فهم ما أريد اتصلت هاتفياً بسيدة تجيد اللغة العربية

من موظفات المكتبة ، ولما حضرت هذه علمت منها أن جميع المخطوطات التي كانت في (مكتبة خسرو باشا) نقلت إلى المكتبة العامة (السليمانية) كما نقلت من جميع المكتبات الأخرى التي تقع في ضواحي المدينة ، وجهاتها النائية ، وحصرت في مكتبات معروفة ، تقع وسط المدينة .

عدت مسرعاً إلى (ميدان بايزيد) الذي تقع بقربه المكتبة السليمانية ، ثم ذهبت إلى هذه المكتبة ، وكنت أعرف فيها عالماً عربياً من تونس ، هو الاستاذ محمد الصفائحي ، أمضى في هذه البلاد مدة طويلة ، واتجه إلى البحث والمطالعة ، وأصبح موظفاً في هذه المكتبة ، وقد ألف كتاباً في تراجم العلماء والأدباء والشعراء ؛ ممن توجد لهم آثار باقية .

جرى بيني وبين الأستاذ الصفائحي حديث طويل حول المخطوطات ، وسألته عما يعرف عن نسخ (صفة جزيرة العرب) للهمداني فذكر لى بأن في (مكتبة علي أميري) من هذا الكتاب نسختان، وأملى علي رقم كل نسخة منهما، وإن احداهما تقع في جزءين ـ وهكذا ذكر الاستاذ بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ـ غير أنني وجدت إحدى النسختين حديثة الخط ، والثانية ـ وهي التي تقع في جزءين ـ ليست مخطوطة بل هي المطبوعة التي طبعها (داود هنري ملر) .

أما كتاب (بلاد العرب) للغدة الأصبهاني الذي توجد نسخته الخطية الوحيدة في بغداد ، بخط السيد نعمان الألوسي سنة ١٢٩٩ ـ ومنها نقل السيد محمود شكري الالوسي نسخته التي لدى صديقي العلامة الأستاذ عباس العزاوي مؤرخ العراق ـ هذا الكتاب الذي كان يظن أن السيد نعمان الالوسي نقله من إحدى مكتبات اصطنبول لا يعرف عنه الأستاذ الصفائحي شيئاً ، ولم يضع اسم مؤلفه ضمن من ترجمهم في كتابه .

وهنا مثال آخر مما يلاقيه الباحث من المشقة :

زرت (المكتبة العامة) بقرب جامع السلطان (بايزيد) وقد اطلعت فيها على نسخة من كتاب (نقائض جرير والفرزدق) رقمها (١٠٥/٥٤٧١)

قديمة ، نادرة، جيدة الكتابة إلا أن ورقها لقدمه قد أصيبت مواضع الكتابة منه بثقوب، وتكسر بعضه، كما طالعت نسخة من شرح (نجديات) الابيوردي تأليف علي بن قاسم الطبري ، وقد اتصلت بمدير المكتبة وطلبت منه أن يأذن لي بأخذ نسخة من الكتابين بطريق التصوير ، فأبى ، بدعوى أن تصويرهما قد يؤثر فيهما ، فعجبت من مدى ادراك هذا الموظف (التركي) و (عقله) إذ أخذ صورة للكتاب المخطوط هو خير وسيلة للمحافظة على بقائه ، وقد علمت ـ فيما بعد ـ أن كتاب (النقائض) قد صوره (معهد المخطوطات) في القاهرة ، أما الكتاب الثاني فليس على درجة من القيمة والندرة ، تدعو إلى الحرص عليه . وفي (مكتبة السليمانية ـ وفيها الإدارة العامة للمكتبات ـ طلبت تصوير نسخة خطية من كتاب (شرح أبيات مغني اللبيب) والنسخة في مكتبة (أيا صوفيا) ورقمها ٤٤٨٩ ـ فأخذني أحد الموظفين إلى مكتب يجلس بجواره رجل عربي يدعى محمد الصفائحي من تونس، لكي يقوم بالترجمة بيني وبين ذلك الموظف الذي لا يعرف اللغة العربية ، فلما عرف ما أريد ، ذهب بي إلى سيدة تدعى (نجلا أرسبس) هي المعنية بشؤون ما يراد تصويره من الكتب ، ولكنها اعتذرت لي بلطف وأدب عن عدم استطاعة التصوير في الوقت الحاضر ، لأسباب تتعلق بموظفي المكتبة ، ولأن طلبات التصوير يجري الأمر فيها بطريقة مرتبة ، بحسب تواريخ تقديمها.

الاستاذ أحمد آتش :

حرصت على ألا تفوتني هـــذه المرة زيارة الاستاذ أحمد آتش ، مدرس الآداب العربية في جامعة (اصطنبول) وأحد العلماء الأفذاذ بما تحتويه المكتبات في البلاد التركية من مخطوطات ، وقد عرفت الاستاذ ـ أول ما عرفته ـ ببحث قيّم نشره في مجلة (معهد المخطوطات) عن مكتبات (الأناضول) وكنت أتخيله شيخاً كبيراً ، قد تقدمت به السنون كحال من رأيتهم يقومون على المكتبات في اصطنبول ، ممن لا تزال لديهم بقية من معرفة اللغة العربية ، إلا أنني وجدت الاستاذ أحمد في ميعة الشباب ، وعنفوان القوة .

دخلت (جامعة اصطنبول) فوجدت بعد أن كدت أيأس من أن أجد من يفهم كلامي ـ شاباً أردنياً يدعى (محمد شديد) من طلاب الجامعة ، فأرشدني إلى مكان الاستاذ أحمد آتش ، قائلاً له : يا استاذ أحمد ، شهرتك بلغت بلاد العرب ، وها هو عربي جاء يسأل عنك ، ـ ثم التفت إلى الطالب الفكه قائلاً : هل أعجبك كلامي ؟ ـ قضيناها برهة من الزمن في أحاديث المخطوطات ؛ والكتب ، وتمنى كل واحد منا أن يطول الوقت ، غير أنني كنت قد وعدت (الرفقة) بأن نلتقي في مكان في وقت محدد ، ولهذا انصرفت من عنده ، بعد أن شاهدت من كرم خلاله ، وحسن استقباله ، وعلمه وأدبه ، ما لا أنساه .

المكتبة السليمانية :

كانت زيارتي للمكتبة السليمانية العامة يوم السبت ١٩٦٥/١٠/٢ ـ ووقت المطالعة قد أوشك على الانتهاء ، وكان الفهرس الذي وقع في يدي هو فهرس (كتبخانة لا له لي) المنشأة في عام ١٢١٧ هـ فتصفحته عجلاً وقد وقع نظري فيه على :

١ ـ كتاب المقالات الجوهرية ، على المقامات الحريرية للشيخ أبو بكر بن عبد العزيز الزمزمي ، من أدباء مكة وعلمائها البارزين في آخر القرن العاشر الهجري ، ورقمه في الفهرس (١٨٥٠) .

وقد رأيت نسخة أخرى من هذا الكتاب ، في مكتبة يوسف أغا ، في مدينة (قونية) في تركية ، وقد جاء في أولها : أن مؤلفها خير الدين بن تاج الدين الياس المدني ، اطلع على شرح المقامات للزمزمي ، فوجده ناقصاً ، فقام باكماله ، فأتمه في شهر رمضان سنة ١١٢٦ في مكة المكرمة . وكاتب هذه النسخة هو سليمان ابن محمد (الشهير بقره قاش زادة) الامام والخطيب بجامع أغا ، في بلدة (حانيه) من جزيرة (كريد) وصفحاتها ٤٠٥ ـ سطور الصفحة ٣١ بالخط الفارسي الدقيق ـ وقد أشار البغدادي في (ايضاح المكنون ذيل كشف الظنون) إلى هذا الشرح ـ ٥٣٦/٢ .

٢ ـ كتاب الأماكن للحازمي .

في القرن السادس الهجري، كان من بين العلماء الذين عنوا بتحديد المواضع التي لها ذكر في الأخبار والأشعار وضبطها ، ثلاثة :

١ ـ نصر بن عبد الرحمن الاسكندري المتوفي بعد سنة ٥٦٠ ، وقد ألف كتاباً حافلاً في هذا الموضوع، والنسخة الوحيدة المعروفة من كتابه في المتحف البريطاني ـ وقد وصفتها في جريدة الدعوة ـ التي تصدر في الرياض ، في شهر المحرم أو صفر من عام ١٣٨٥. ثم تحدثت عنهـا بحديث وافٍ في « العرب » السنة الأولى . ـ

٢ ـ محمد بن عمر الأصفهاني المتوفي سنة ٥٨١ ـ وقد ذكر ياقوت في مقدمة (معجم البلدان) أنه اطلع على كتاب اختصره الاصفهاني هذا من كتاب نصر ابن عبد الرحمن الاسكندري .

(٣) محمد بن موسى الحازمي المتوفي سنة ٥٨٤ ـ قال عنه ياقوت : ـ في مقدمة (معجم البلدان) ص ٨ الطبعة الأولى : (أبو بكر ، محمد بن موسى الحازمي ، له كتاب ما اختلف وائتلف من أسمائها ـ يعني أسماء المواضع ـ ثم وقفني صديقنا الحافظ الامام أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار ـ جزاه الله خيراً ـ على مختصر اختصره الحافظ أبو موسى محمد بن عمر الأصفهاني من كتاب ألفه أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري النحوي ، فيما اختلف وائتلف من أسماء البقاع ، فوجدته تأليف رجل ضابط ، قد أنفد في تحصيله عمراً ، وأحسن فيه عيناً وأثراً، ووجدت الحازمي ـ رحمه الله ـ قد اختلسه وادعاه ، واستجهل الرواة فرواه ، ولقد كنت عند وقوفي على كتابه أرفع قدره من علمه ، وأرى أن مرماه يقصر عن سهمه ، إلى أن كشف الله عن خبيئه ، وتمخض المحض عن زبدته ، فأما أنا فكل ما نقلته من كتاب نصر فقد نسبته إليه ، وأحلته عليه ، ولم أُضِعْ نَصَبَه، ولا أخملت ذكره وتعبه، والله يثيبه ويرحمه) .

وسأبين في مقال خاص عن الحازمي تحامل ياقوت ـ رحمه الله ـ عليه ، واختلاف كتابه عن كتاب نصر [1] .

(١) أنظر العرب (ص ٣١٢ / ٥٤١ / ٦٢١ / ٧٢٠) .

وهذه النسخة من كتاب الحازمي تعتبر فريدة ، لا من حيث القدم وجودة الكتابة ، فقد كتبت في عام (٦٢٠ هـ) بل لعدم وجود أخت لها من هذا الكتاب – فيما أعلم – وقد تكون هي النسخة التي اطلع عليها ياقوت لأنها كتبت قبل وفاته بسبع سنوات .

٣ – تاريخ مكة المكرمة – تأليف شهاب الدين القليوبي (رقمه ٢٠١١ مكتبة لا له لي) لم أتمكن من مطالعة هذا الكتاب لضيق الوقت .

٤ – غلطات العوام

نسب هذا الكتاب في الفهرس برقم ٢٥٧٣ – إلى ابن الجوزي ، ولكن تبين لي من مطالعته أنه للسيوطي .

ولقد اطلعت على مخطوطات تتعلق بهذا الموضوع ، يحسن أن أورد وصفها مجتمعاً :

١ – في مكتبة (أيا صوفيا) وتحت رقم ٤٧٣٢ كتاب (تصحيح التصحيف ، وتحرير التحريف) لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (٦٩٦ – ٧٦٤ هـ) .

بخط المؤلف ، وفي طرته إجازة منه مؤرخة في ١٠ ذي القعدة سنة ٧٥٩ – أي قبل وفاته بخمس سنوات . إلا أن مما يؤسف له أن هذه النسخة قد سطت عليها يدٌ أثيمة ، فنزعت أكثرها – بحيث لم يبق من الكتاب إلا من حرف الألف إلى نهاية حرف الزاي ، في تسعين ورقة .

لخص الصفدي في هذا الكتاب :

١ – درة الغواص في أوهام الحريري ، ورمز لما نقل عنها بحرف (ح) .
٢ – تكملة الدرة للجواليقي والرمز (ق) .
٣ – تثقيف اللسان للصيقلي (ص) .
٤ – ما تلحن فيه العامة للزبيدي (ز) .
٥ – تقويم اللسان لابن الجوزي (و) .
٦ – ما صحّف فيه الكوفيون للصولي (ك) .

٧ ـ التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني (ث) .

٨ ـ تصحيف العسكري (س) .

٩ ـ الضياء موسى الناسخ (م) .

٢ ـ وفي مكتبة كوبرلي (كوبرلي زاده محمد باشا كتبخانة) مجموعة تحمل الرقم (١٢٤٠) تحتوي على :

(١) درة الغواص .

(٢) تكملتها للجواليقي ـ والكتابان مطبوعان .

(٣) رسالة للسيوطي في الموضوع ، جاء في مقدمتهـا ـ بعد الخطبة : (أما بعد فإني رأيت كثيراً من المنتسبين إلى العـلم يتكلمون بكلام العوام المرذول ، جرياً منهم على العادة ، وبعداً منهم عن علم العربية ، ورأيت إثبات الصواب في كلامهم مُبَدَّداً في كتب اللغة ، وجمعه يثقل على المتكاسل، عن طلب العلم ، وقد أفرد قوم ما يلحن فيه العوام ، فمنهم من قصر ، ومنهم من ذكر ما لا يكاد يستعمل ، ومنهم من رَدَّ ما لا يصح رده ، فرأيت أن أنتخب من صالح ذلك ما تعم به البلوى ، دون ما يشذُّ استعماله ويندر ، وأرفض من الغلط ما لا يكاد يخفى .

اعلم ان غلط العامة يتنوع ، فتـــارة يضمون المكسور ، وتارة يكسرون المضموم ، وتارة يمدون المقصور ، وتارة يقصرون الممدود ، وتارة يشددون المخفف ، وتارة يخففون المشدد ، وتارة يزيدون في الكلمة ، وتارة ينقصون منها ، وتارة يضعونها في غير موضعها ، إلى غير ذلك من الأقسام . وكنت عزمت على أن أجعل لكل شيء من هذا باباً ، ثم اني رأيت أن أنظم الكل في سلك واحد ، وآتي به على حروف المعجم ، وأعول في ذلـك الحرف على الصحيح فيه ، لا على الخطأ ، فذلك أسهل لكل كلمة . وكتابي هذا من كتب العلماء بالعربية كالفراء ، والأصمعي ، وأبي عبيدة ، وأبي حاتم، وابن السكيت ، وابن قتيبة ، وثعلب ، وأبي هلال العسكري، ومن تبعهم

من أئمة هذا العلم ، وإنما لي في هذا الترتيب والاختصار . وإن وجد شيء مما نهيت عنه فهو بعيد ، وكان لغة مهجورة . وقد قال الفراء : وكثير مما أنهاك عنه قد سمعته ، ولو تحررت لرخصت لـــك أن تقول : رأيت رجلان ، ولقلت : أردت عن تقول ذلك . والله الموفق .

حرف الألف ؛ تقول : استهتر فلان بكذا . بضم التاء الأولى، وكسر الثانية ، على ما لم يسم فاعله . والعامة تفتح التاءين وهو خطأ .

تقول : فلان أهل لكذا قـــال الله تعالى (هو أهل التقوى ، وأهل المغفرة) والعامة تقول : مستأهل لكذا وهو غلط ، إنما المستأهل متخذ الإهالة ، وهي ما يؤتدم به من السمن والودك) .

وآخر الرسالة : (والعامة تقول بعد غروب الشمس : فعلت اليوم كذا ، وهو خطأ لأن اليوم انقضى . قد انتهت هذه الرسالة الموضوعة في أغلاط العوام لجلال الدين السيوطي) .

تقع الرسالة في ٢٧ ورقة ٥٣ صفحة في الصفحة ١٩ سطراً ، مخطوطة سنة ٩٨١ هـ .

٣ ـ وفي مكتبة الفاتح (المكتبه السليمانية العامة) رسالة برقم ٣٧٥٧ اسمها (خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام) ألفها علي بن بالي الحسيني القسطنطيني في سنة ٩٧٨ ـ تقع في ٢٧ ورقة ـ من القطع الصغير ، وبالخط الفارسي الدقيق ومعها قصائد مشروحة لأبي السعود العمادي وغيره ، وآخر المجموعة (التنبيه على غلط الجاهل والنبيه) لابن كمال باشا من صفحة ٥٤ إلى ٧٤ ـ مخطوطة سنة ٩٧٠ ـ ويظهر أنها ناقصة .

في مكتبة علي أميري :

بكرت في هذا اليوم (١٩٦٥/٩/١ م) إلى مكتبة علي أميري ، المضافة إلى (ملت كتبخانة) أي المكتبة الوطنية، بجوار جامع السلطان محمد الفاتح، لكي أطلع على النسخة الخطية الذي ذكر لي الاستاذ محمد الصفائحي انها توجد

في تلك المكتبة ، من كتاب (صفة جزيرة العرب) وانها تقع في مجلدين ، وان رقمها (٢٦٨٨) .

علي أميري ـ الذي تنسب اليه هذه المكتبة كان من ولاة اليمن ، حينما كان تابعاً للدولة التركية ، في عهدها الأخير ، وتحتوي مكتبته هذه ـ التي ضمت إلى (المكتبة المليّة) على مجموعة كبيرة من المؤلفات اليمنية ، وأغلبها حديث الكتابة .

أما النسخة التي ذكر لي الاستاذ الصفائحي من كتاب(صفة جزيرة العرب) للهمداني فهي النسخة المطبوعة في (ليدن) – وقد سبقت الإشارة اليها .

وفي المكتبة نسخة أخرى تحمل رقم ٢٣٨٤ حديثة النسخ ، تنقص من أولها صفحات ، سقيمة الخظ .

وفيها جزءان من كتاب (فوائد الارتحال ونتائج السفر) هما الأول والثاني ، وهذا الكتاب ألفه ابن فتح الله الحلبي ثم المكي من أهل القرن الحادي عشر ، ومن أصدقاء المحبي صاحب (خلاصة الأثر) وهو كالخلاصة ، في تراجم أعيان ذلك القرن ، ولكنه أوسع من الخلاصة ، وصاحب الخلاصة ينقل عنه ، وهو ينقل عن المحبي ، ومن هذا الكتاب نسخة يعتقد أنها مسودة المؤلف ، أو منقولة عنها ، في (دار الكتب المصرية) وقد نقل العلامة أحمد زكي باشا المعروف بـ (شيخ العروبة) مجلداً ضخماً يتضمن تراجم المحمدين والأحمدين من الكتاب ، من تلك النسخة ، وقد آل إلي بالشراء ، دلني عليه الاستاذ المحقق السيد أحمد صقر ، لدى الكتبي حسين حجاج – في القاهرة .

الجزءان الموجودان في مكتبة علي أميري مخطوطان سنة ١٣٢٤ في مدينة الحديدة ، ـ من أول الكتاب إلى ترجمة (صالح بن داود) ورقمها ٢٥٣٠ و ٢٥٣١ .

ومن كتبها (جماهر الأنساب) لابن حزم مخطوط ١٠٤٠ هـ ، وهو الكتاب المطبوع باسم (جمهرة أنساب العرب) ومنها (كتاب التبيين في نسب

القرشيين لابن قدامى، مضاف إلى كتاب (جماهر الأنساب) يقع في ٦٢ورقة (من الورقة ٩٨ إلى ١٦٠) من القطع الكبير ، في الصفحة ٣٢ سطراً ، مخطوط أيضاً سنة ١٠٤٠ ـ تحت رقم ٢٤١٣ ـ .

ومن مخطوطات تلك المكتبة كتاب (نسيم الصبا ، ونديم الصبا) تأليف ابراهيم بن نوسف المهتار من شعراء مكة في القرن الحادي عشر الهجري ، ترجمه المحبي في (خلاصة الأثر) وابن معصوم في (سلافة العصر). وذكره صاحب (دائرة المعارف البستاني) قائلاً : (كان شاعراً مشهوراً في الحجاز ، واسع الذاكرة ، كثير المعلومات ، مطلعاً على أخبار وأمثال كثيرة ، إلا أنه كان بذيء اللسان ، مقذع الهجاء ، ولهذا ذمه الكثيرون ، ثم نقل كلام ابن معصوم عنه ، وانه بقي يومين في بيته ، بعد موته لا يعلم به أحد ، ووصفه لديوان شعره بأنه (ليس فيه إلا ما تمجه الأسماع ، وتحقر ألفاظه ومعانيه عن السماع ، إلا كلمات كادث تصفو من الشوائب) .

وختم البستاني كلامه عنه قائلاً : (ولعل من أسباب هذه الحملة عليه ؛ مع بذاءة لسانه أن أباه كان مملوكاً ، فنشأ ابنه في بيت ضَعَةٍ ، توفي بعد سنة ١٠٤٠ هـ (١٦٣٠ م) انتهى .

وذكر اسماعيل البغدادي في كتاب (هدية الكارفين) ـ ج ١ ص ٣٣ ـ ان المهتار قتل في صنعاء سنة ١٠٧١ وذكر له مؤلفات غير هذا الكتاب .

وأرخ صاحب ايضاح المكنون ـ ج ٢ ص ٦٤٦ وفاته بـ ١٠٧١ ـ وسيأتي ما يخالف هذين القولين .

وكتابه (نسيم الصبا) يتضمن أشعاراً وأخباراً وحكماً ، ونكتاً أدبية ، مجموعة جمعاً بدون ترتيب أو تبويب ، من نمط كتاب (الكشكول) .

يبتدىء هكذا ـ بعد البسملة ـ (يقيني بربي يقيني) :

أماطت لثاماً عن أقـــاح الدمائث
بمثـل أساريع الحقوف العثـــاعث

(للحديث صلة)

مع القراء.. في أسئلتهم وتعليقاتهم

أين هو كهف أهل الكهف؟ (١)

(... سبق أن وجهت اليكم سؤالاً عن « أهل الكهف » قبل سنوات ذكرتُ فيه انه يوجد في جبل (تمنيّة) الواقع بقرب مدينة (أبها) ـ شرقها ـ يوجد هناك غارٌ يعتقد بعض الناس أنه غار أهل الكهف المذكورين في القرآن الكريم ، لوجود أربع جثث ، لا تزال سليمة ، في ذلك الغار .

وأن الهمداني ذكر في كتاب «صفة جزيرة العرب» ـ ص ١١٨ : (أبْها: وبها قبر ذي القرنين ـ فيما يقال ـ عُثر عليه على رأس ثلاث مئة من (الهجرة) ـ وهذا يدل على قدم أبها وما حولها ، فلا يستبعد أن يكون ذلك الكهف هو الكهف المذكور في القرآن الكريم ، وقد نشرتم ـ في «اليمامة» جواباً مفصلاً لسؤالي ، نفيتم ما ذكرت . والآن أبعث اليكم قصاصة من مجلة « قافلة الزيت» فيها مقال عن أهل الكهف ، يخالف ما ذكرتموه في جوابكم ، فما رأيكم ؟

(الرياض ـ سعيد علي عسيري)

العرب : أذكر أنني قلت في مجمل الجواب : ليس من المستطاع الجزم بتحديد موقع الكهف الذي ذكره الله سبحانه وتعالى، إذ لم يرد نَصٌّ صحيح صريح في القرآن الكريم ولا في الحديث الشريف ، ولا عن أحد من العلماء الموثوق بهم عِلماً ودِيناً ـ يُحدّد موقع ذلك الكهف .

والكُهوف التي تحوي جُثَث موتى أكثر من أن تحصر ، والجَزْم بأن هذا الموضع أو ذاك يعتبر خطأ ما لم يستند على دليل ، وأين هو الدليل ؟!

وإذا كان حبر الأمة وترجمان القرآن ، الذي دعا له الرسول ﷺ قائلاً : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » يقف من هذا الأمر موقف ذي الحكمة الكاملة ، والعقل النيّر فيقول : ما أدري ما الرقيم ، أكتابٌ أم بنيان ، كل

(١) للدكتور المنجد مقال بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ص ٦٠٢ المجلد ٤١ بعنوان (أهل الكهف في غرناطة ودمشق وبزنطية).

القرآن أعلم إلا الرقيم وغسلين ، وحناناً ، وأوّاهاً ؟! إذا كان هـــذا قول الصحابي العالم الجليل عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فهل يستطيع هيٌّ ابن بَيٍّ ان يأتي بعلم خير من علمه ، أو أن يصل في فهم كتاب الله إلى ما لم يصل إليه ؟!

وهل يصح الأخذ ـ بعد ذلك ـ بقول فلان ، أو الاعتماد على رأي علاّن ، في أمر لم يوضح الله لنا حقيقته ، وليس للعقل أيُّ مجالٍ ليدرك لنا غايته، إن الله سبحانه وتعالى ـ وقد أوضح لنا من خبر أهل الكهف مواضع الاعتبار ، وجوانب العظة ، ومواطن التبصّر والاهتداء ، قد أغنانا ـ بما أوضح لنا ـ عن الخوض في البحث عن جزئيـــات ، لا يضرُّ الجهل بها ، ولا يضيف العلم بها إلى معلوماتنا شيئاً ذا جدوى ، كاسم أصحاب الكهف ، وموضع كهفهم ، واسم كل واحد منهم ، واسم الملك الذي كان في زمانهم .

وإذا كان لا بدّ من الاستماع إلى آراء المتقدمين في الموضوع ، فإنه يمكن إجمالها فيما يلي :

لقد اختلفوا في معنى (الرقيم) في الآية الكريمة ، على أقوال منها :

١ ـ أنه قرية أصحاب الكهف التي خرجوا منها ، روي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٢ ـ جبلهم ، الذي كان فيه الكهف ، نقله الزجاج .

٣ ـ كلبهم روي عن الحسن ونقله السهيلي في شرح السيرة وغيره .

٤ ـ الدواة ، بلغة الروم ، عن مجاهد .

٥ ـ اللوح ، كتبت فيه أسماؤهم وقصصهم ، روي عن ابن عباس أيضاً.

٦ ـ الوادي .

٧ ـ الكتاب ، فعيل بمعنى مفعول ، وإلى هذا يذهب أهل اللغة .

واختلفوا أين تقع كهف أهل الكهف على أقوال :

١ ـ البلقاء ، في الشام ، ولكن ياقوتاً الحموي بعد أن أورد هذا القول أورده بصيغة (الزعم) (يزعم بعضهم أنه به أهل الكهف ، وعقب على هذا بقوله : (والصحيح أنهم ببلاد الروم) .

٢ ـ جنان الورد في الأندلس ، بلدة من أعمال 'طلَيْطلة ، ذكر هـــذا ياقوت قائلاً : (يقال إن بها الكهف والرقيم المذكوران في القرآن ، ويقال طليطلة هي مدينة (دقيانوس) . اه فأنت تراه صَدّر القول بكلمة (يُقال) وهي صيغة تمريض للقول .

٣ ـ أَبْسُس ـ في بلاد الروم ـ قال عنها ياقوت : (مدينة خراب ، قرب أُبُلُسْتين ، يقال : منها أصحاب الكهف والرقيم ، وقيل : هي مدينة دقيانوس وفيها آثار عجيبة مع خرابها) وقال في (الرقيم : والصحيح انهم ببلاد الروم) .

٤ ـ عَمّان . قال ياقوت : (وقيل : إن عمـــان هي مدينة دقيانوس ، وبالقرب منها الكهف والرقيم ، معروف عند أهل تلك البلاد ، والله أعلم وقيل غير ذلك ، فهو هنا لم يجزم بل أورد الخبر بصيغة : (وقيل) .

إن مجرد اطلاق اسم الرقيم على جبل قرب عمان فيه كهف، وفي الكهف جثث موتى لا يكفي للحكم على أن هذا الكهف وهذا الجبل ، هو المذكور في القرآن الكريم ، كما لا يصح القول بأن (الرس) المذكور في القرآن هو الوارد في شعر زُهير ، وهو الوادي المعروف الذي فيه مدينة بهذا الاسم من أشهر مدن القَصِيم ، لا يصح هذا القول ما لم تكن هناك أدلة صحيحة تدعمه وتقويه ، إذ الاسم الواحد يطلق على عدة مسميـــات في الأغلب الأعم ، والتخصيص يحتاج إلى قرائن وأدلة واضحة .

وبالإجمال فلا الغار (الكهف) الموجود بقرب مدينة أيها ، ولا الذي بقرب عُمان ، ولا الذي في بلاد الروم ، الذي يكاد يجمع الذين كتبوا كتبوا عن البلدان من المتأخرين على أنه هو الكهف المذكور في القرآن ، لا هذا ولا ذاك مما يستطاع الجزم بأنه هو الكهف الوارد خبره في سورة الكهف ، إذ الجزم في مثل هذه الأمور لا يصح أن يبنى على استنتاجات عقلية ، بل لا بدّ فيه من نقلٍ صحيح صريح من كتابٍ أو سُنّةٍ ، وأين هذا ؟!

وأما القول بأن : (ما توصلنا إليه من دراسة التاريخ ، واستقراء قصص القرآن الحكيم ، من أنه إنما كان يتحدث في قصصه لعرب الجاهلية، المعاصرين للرسول محمد عليه الصلاة والسلام عن الأمم الخالية ، ومواقعها التي يعرفهـــا المخاطبون ، وتنحصر دائرتها الكبيرة في المنطقة التي تقع في شمال شبه جزيرة العرب) الخ فيردّه :

١ ــ أن القرآن الكريم أسمى منزلة من أن نتناول بعقولنا ما خفي علينا أو جهلناه ، من كلماته ومعانيه ، مما لم يرد فيه عن سلفنا الصالح مـا يعتمد عليه في ذلك ، بنقل صريح صحيح ، مما لا مجال للعقل فيه .

٢ ــ أن سبب نزول الآيات الكريمات في سورة الكهف ، أوضحه علماء التفسير ، وهو أن اليهود ــ تَعَنُّتاً منهم ، ومبالغـة في الكفر ــ سألوا الرسول (ص) فنزل عليه الوحي بذلك ، فالأمر لا يخص عرب الجاهليـة المعاصرين للرسول (ص) في شأن أهل الكهف .

٣ ــ إن القرآن الكريم هو الوحي الالهيُّ الشامل الذي لا يختص بجيل أو بأمة ، أو بجنس من البشر ، بل تشمل أحكامه ، ويجب العمل به ، شمولاً ووجوباً لكل البشر ، منذ نزل على سيدنا محمد (ص) إلى أن يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وتخصيص شيء من أحكامة بطائفة أو بجزء من الأرض ، من الأمور الباطلة ، ما لم يرد تخصيص ذلك من القرآن الكريم أو من السنة النبوية الصحيحة .

أما الجواب الذي أشار اليه السائل فلا أذكر منه شيئاً ، ولعله لا يخرج عن هذا المعنى ، وللكاتب الكريم الشكر الجمّ .

مؤرخو الطائف ومؤلفاتهم :

يضاف إلى هذا المقال الممتع للاستاذ محمد سعيد كمال المنشور في « العرب » ص ١٠١ وما بعدها :

١ ــ لابن علاّن المكي (٩٩٦/١٠٥٧ هـ) كتابان عن الطائف هما :

١ ــ « طيف الطائف » وقد وصفه الاستاذ محمد .

٢ ــ « جمع اللطائف في محاسن الطائف » وقد ذكر الكتابين مؤلف « هداية العارفين » .

٢ ــ ذكر صاحب « هداية العارفين » أن أبا بكر بن محمد بن محمد بن عبد العزيز بن فهد صاحب « ذيل طبقات الحفاظ » ــ كذا سماه ــ ذكر أن له كتاباً اسمه : « رفع الالتباس ، في فضائل ابن عباس » ــ ج ١ ص ٢٣٧ ــ ولكنه أرخ وفاته بـ ٨٩٠ ــ ولعل هذا الكتاب هو الذي ورد ذكره في « رحلة » الخير الزركلي .

مكتبة العرب

● **تاريخ خليفة بن خياط :**

قام الأديب العراقي الأستاذ أكرم ضياء العمري بدراسة الأثرين القيّمين الباقيين من آثار خليفة بن خياط (المتوفي في حدود سنة ٢٤٠) وهما تاريخه، وطبقاته ، وقدّم دراسته للطبقات لنيل إجازة علمية (ماجستير) باشراف العالم الجليل الدكتور صالح أحمد العلي ، رئيس الدائرة العلمية للتاريخ والآثار، في « جامعة بغداد » وعميد « معهد الدراسات الاسلامية العليا » وقد تَمّ للأستاذ العمري ما أراد بتلك الدراسة الجيّدة .

ثم قام الاستاذ العمري بنشر الكتابين المذكورين، بعد أن بذل في تحقيقهما جُهْداً عظيماً يبرز أثره في كل صفحة من صفحات الكتابين ، وبالمقدمتين الضافيتين اللتين وضعهما لهما .

وقد قدم كتاب التاريخ الدكتور صالح العلمي ، متحدثاً عن نشأة التاريخ في الدولة الاسلامية ، وموردا ملاحظات قيمة عن أهم كتاب تاريخي جمع جُلّ ما كتب في التاريخ عند بدء تدوينه ، وهو كتاب : « تاريخ الرسل والملوك » لابن جرير ، وموضّحاً ان هذا الكتاب الذي امتاز بميزات كسفت الكتب الأولى المختصرة ، وبهرت الناس فجعلتهم يكتفون بدراسته ، هـذا الكتاب بالرغم من غزارة مادّته لا يمكن أن يعدم قيمة المؤلفات التاريخية الأولى ، وأورد لذلك أسباباً خمسة .

وتحدث الدكتور صالح عن تاريخ خليفة باعتباره أقدم كتاب في تاريخ الاسلام العام ، مرتب على الحوليّات ، وأوضح طرفاً من ميزاته ، وأشار الى قيام الاستاذ العمري بتحقيقه ، وختم كلامه قائلاً : (وقد أظهر السيد أكرم من الصبر والدقة والأمانة العلمية ، ومن البصيرة ما يجعل المرء مطمئناً إلى

عمله العلمي ، فلمـــا عزم نشر تاريخ خليفة كنت مطمئناً إلى انه سيبرز للعالم كتاباً جديراً بالثقة) .

ويقع الكتاب في جزءين صفحاتهما ٦٦٠ تقع المقدمة الضافية التي كتبها المحقق الفاضل عن خليفة ـ ترجمته ، وموارد تاريخه ـ وفيها تفصيلات مهمة جداً ثم وصف النسخة الوحيدة من الكتاب ، التي اتخذها المحقق أصلاً للنشر ـ تقع هذه المقدمة ـ مع مقدمة الدكتور صالح العلى ، في ٥٦ صفحة .

ثم أصل الكتاب في ٥٢٠ صفحة .

وتقع الفهارس المفصلة في ١٤٠ صفحة .

وقد ساعد « المجمع العلمي العراقي » على نشر هذا الكتـــاب ، فطبع طباعة جيّدة .

● **كتاب الطبقات لخليفة أيضاً :**

وأما كتاب الطبقات ، فقد سبق الحديث عنه ، عند صدور الجزء الأول، من الطبعة الدمشقية ، التي حققها الصديق الاستاذ سهيل زكار [العرب م ١ ص٩٣٨] ونضيف إلى ذلك أن الاستاذ العمريّ نشر الكتاب كاملاً في مجلد، تبلغ صفحاته ٤٢٩ ، مقدماً له بدراسة وافية ، تقع في ٧٩ صفحة ـ زائدة على صفحات الكتاب ـ من أجود ما كتب عن خليفة عن موارده في كتاب الطبقات ـ طبيعة مادة الطبقات ـ أسس تنظيمها ـ منزلة الكتاب عند المحدثين ـ رواته ـ وصف النسخة المخطوطة الفريدة منه .

أما الترجمة الوافية التي ساقها المؤلف لأبي اليقظان النسّابة فتعتبر أوفى ترجمة لحياة هذا العالم، تقوم على أساس قويّ من عمق البحث، وسعة الاطلاع.

وقد ألحق المحقق بالكتاب فهارس مفصلة (من ص ٣٤٤ إلى ٤٢٠) ، وطبع طباعة جيدة بمساعدة جامعة بغداد .

● **بحوث في تاريخ السنة المشرفة :**

وهذا كتاب طريف في طريقة بحوثه، موضوعه تاريخ تدوين سنة المصطفى

– عليه الصلاة والسلام – فيتحدث، أول ما يتحدث عن الوضع في الحديث، ثم الاسناد ، وظهور علم الرجال ، فالكتب المصنفة في علم الرجال ، حتى نهاية القرن الخامس الهجري – وهذا من أمتع فصول الكتاب ، وأحفلها بالفوائد ، واستيفائه الكلام عن الكتب المتعلقة برجال الحديث – نشاط الرحلة في طلب العلم – تدوين الحديث .

وقدم الكتاب الأستاذ عبد الكريم زيدان ، أستاذ الشريعة الاسلامية المساعد ، في كلية الحقوق – جامعة بغداد – .

وذكر المؤلف أن الباعث له دراسته لطبقات خليفة بن خياط ، دراسة حملته على أفراد هذه البحوث في مؤلف خاص .

ويقع هذا الكتاب في ١٨٠ صفحة ، مطبوعاً طباعة حسنة ، بمساعدة جامعة بغداد .

وقد أتحف المؤلف مكتبة « العرب » بنسخة من كل كتاب من الكتب الثلاثة .

● **تاريخ ليبيا :**

العالم الفاضل الدكتور إحسان عباس ، من أبرز علمائنا انتاجاً في مجال التأليف والتحقيق ، كثرة ، وجودة ، ومن آخر ما صدر له من مؤلفات – في هذا العام – كتاب : « تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري » واسم الكتاب، ومنزلة مؤلفه في العلم، يغنيان عن التعريف. وكل ما يأمله القراء ، هو ألاّ يطول زمن التطلع إلى القسم الثاني من الكتاب الذي يكمل تاريخ ذلك الجزء الكريم من الوطن العربي . والكتاب من منشورات « دار ليبيا للنشر والتوزيع – بنغازي » وطباعته جيدة في ٢٦٩ صفحة .

● **كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس :**

وللدكتور إحسان عباس عناية كبيرة بابراز التراث الأندلسي ، قد

لا يضارعه فيها أحد،فقد حقق طائفة من كتبه تكون سلسلة متصلة الحلقات، من المؤلفات في تراجم أعلامه ، تضيف إلى الخزانة العربية ما لا تكمل بدونه.

وكتاب التشبيهات هو الحلقة الخامسة عشرة من تلك السلسلة والحديث عن عمل استاذنا الدكتور في هذا الكتاب،من فضول القول ، وطباعة الكتاب ممتازة ، وهو في ٣٧٤ – ومن منشورات : « دار الثقافة – بيروت » .

● **عهد أردشير** :

امتزاج الثقافتين العربية والفارسية من الأمور البدهية ، وعهد أردشير من أقدم ما عُرّب من آثار الفرس ، فكثر النقل عنه في المؤلفات العربية القديمة، فقد روى المبرّد أن المأمون أمر معلم الواثق بالله أن يعلمه كتاب الله ، جل اسمه ، وأن يُقرئه عهد أردشير ويحفظه كتاب « كليلة ودمنة » .

وقد قام الدكتور إحسان عباس بجمع النصوص الواردة من ذلك العهد من مظانها ، ثم تحقيقها ، وأخرجها في كتاب جميل الطبع ، تقارب صفحاته الـ ١٥٠ .

● **عنوان المجد ، في تاريخ نجد** :

مؤلف هذا الكتاب هو الشيخ عثمان بن عبد الله بن بِشْر النجدي، المتوفي سنة (١٢٩٠ هـ) من بلدة جُلاجِل ، من إقليم سُدَير ، في نَجْد ، وكتابه هذا يؤرخ أكثر الحوادث الواقعة في نجد من عهد قام الشيخ الامام المجدد محمد بن عبد الوهاب ، بدعوته الاصلاحية السلفية سنة ١١٥٧ – إلى سنة ١٢٦٧ هـ وقد طبع الكتاب مرتين ، والمرة الثالثة كانت في سنة ١٣٨٧– حيث عهدت وزارة المعارف الاشراف على طبعه إلى لجنة اختارت أعضاءها ، بعد أن قام أديب نجدي بتحقيق الكتاب ، تحقيقاً يقوم على ما يلي :

١ – إفراد الحوادث التي ساق المؤلف اخبارها قبل سنة ١١٥٧ هـ وفصلها في قسم خاص في آخر الكتاب .

٢ – الحاق بعض الحواشي والتعليقات المفيدة .

وللكتاب مقدمة بقلم معالي الأستاذ الشيخ حسن آل الشيخ وزير المعارف، علّل الأمر الأول منها بقوله : (حتى لا تنازع القارىء لذة متابعتـــه للأحداث ، حينما يجدها متناثرة في ثنايا الكتاب) .

وعلل الثاني بقوله : (التعليقات التي نعتقد جدواها ولزومها ، توضيحاً لبعض التراجم ، أو المواقع أو الأحداث) .

وقد طبع الكتاب طباعة أنيقة جدّاً ، في ٤٢٩ صفحة ، وإذا كان لنا من ملاحظات عليه ، فهي لا تمسُّ جوهره ، بل تنحصر في :

١ – الكتب التاريخية لا تكمل فائدتها إلا بفهارس تفصيليَّة ، للأعلام والمواضع ، ذلك أنها كثيراً ما تكون محصورة بحوادث الأعلام، أو المواضع، وهذا ما خلا منه الكتاب ، ولهذا يجد الباحث مشقة كبيرة عندما يتحدث عن علم من أعلامه ، أو موضع من مواضعه ، لا يجد اسمه محصوراً في أماكنه المحددة ، مما يتطلب مطالعة الـ ٤٢٩ صفحة ، أو قريباً منها .

٢ – ان المحقق الفاضل في كثير من تعليقاته لم يذكر مصادره التي استقى منها ، ومع الاعتماد على نقله ، والثقة بقوله ، فإنه لا يجهل البيت المعروف :

ونُصَّ الحَدِيثَ إلى أهْلِـــهِ
فإنَّ الأمانـــة في نَصِّـــهِ

هما ملاحظتان نرجو أن تجد – عند الطبعة الأخرى – من العناية – ما هو جدير بهما .

ولوزارة معارفنا الشكر مقروناً بالرجاء في الاستمرار بنشر كتب تواريخ بلادنا ، فمن أقدر منها على ذلك ؟ ومَنْ أجدر من حفيد الامام الذي أحيا الله بعلمه البلاد ، بخدمة العلم ، خير خدمة ، تيسّر سبله ، وتوضّح مناهجه ، وتقدم لنا من تراثنا ما نحن في حاجةٍ إليه . أما الهفوات اليسيرة التي وقعت

في الكتاب – أيّاً كان مصدرها – فهي لا تقلل من أثر الجهد المتمثل بجودة الطبع ، وحسن الاخراج .

● **جبران حيّاً وميّتاً** .

وهذا كتاب يشتمل على مختارات مما رسم جبران خليل جبران الأديب اللبناني الذائع الصيت – وما قيل فيه ، من تأليف الأديب الباحث اللبناني الأستاذ حبيب مسعود . ولقد طبع هذا الكتاب في (البرازيل) في أمريكة الجنوبية ، سنة ١٩٣٢ – أما الطبعة الجديدة التي سنحدث عنها فهي من مطبوعات « دار الريحاني للطباعة والنشر » لصديقنا الاستاذ البرت الريحاني ، أخي مؤرخ نجد ، والكاتب العربي المعروف أمين الريحاني في سنة ١٩٦٦ م .

ولقد أهدى المؤلف الكريم نسخة من كتابه القيّم ، الحاوي المحتوي على كل ما يتعلق بذلك الأديب العظيم ، لمكتبة « العرب » من الطبعة الثانية ، الواقعة في ٨٤٨ صفحة ، في طباعة أنيقة ، مزدانة بالرسوم ، على ورق جيّد ، بإخراج جميل ، فله شكر « العرب » مجلة ، وشكر صاحبها .

إن هذا الكتاب أوفى مرجع لدراسة جبران ، وأحفلها بآثاره ، ولهذا فإنه يستّر ثغرة في الخزانة العربية ، تبقى خالية بدونه .

● THE FATE PALESTINE

وهذا من آثار الكاتب العربي الكبير الاستاذ أمين الريحاني ، باللغة الانجليزية ، يوضح ما ندعوه بـ (القضية الفلسطينية) . وهو عبارة عن مجموعة من المقالات ، كتبها الريحاني ونشرها في صحف مختلفة في البلاد الغربية ، إبان نشأة هذه القضية ، وكانت الفرصة مواتية – بعد النكبة ، أو النكسة الأخيرة – حينما أدرك العرب أن من أهم أسباب تلك النكسة جهل العالم الغربي بتلك القضية ، فكان نشر هذا الكتاب في هذا الوقت ملائماً ، ومناسباً ، فالنتائج – الآن لا تقوم إلا على أساس من الحجة والبرهان والمنطق الصحيح السليم .

لقد طبع الكتاب طباعة أنيقة ، تتلاءم مع ظروف موضوعه ، فجاء في ١٧٠ صفحة ، من القطع الوسط ، بغلاف جميل ، فلصديقنا أبي أمين شكرنا ، شكرنا ، ولداره التي تعنى بنشر ما له أعمق الصلة بحياتنا تمنياتنا الطيبة .

● **من أساطيرنا الشعبية في قلب جزيرة العرب :**

وأضاف الصديق الأستاذ عبد الكريم الجُهَيْمان إلى الخزانة العربية كتاباً طريفاً في موضوعه ، جديداً في مادّته، وهو كتاب « من أساطيرنا الشعبية » الذي يحوي ٢٧ اسطورة ، أو خرافة ، أو « سِبْحُونة » بالتعبير النجدي ـ وقد تحدثت عنه العرب ونشرت إحدى هذه الأساطير ـ ص ٢٨ من الجزء الأول. وطباعة الكتاب جميلة،ويضم ٢٧ رَسماً فنيّاً، ويقع في ٤٠٣صفحات، وهذا هو الجزء الأول ، ونأمل أن يجد من الرواج والانتشار ما يمهد السبيل ليطالع القراء أجزاءه الأخرى .

● **البحوث والمحاضرات :**

ونشر « المجمع العلمي العراقي » كتاب « البحوث والمحاضرات » يحوي ما ألقي في الدورة الثانية والثلاثين لـ « مجمع اللغة العربية» التي عقدت في بغداد، في عام ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م ـ من بحوث، ومحاضرات، وخطب، وقصائد. وفي هذا الكتاب مجموعة من الأبحاث التاريخية واللغويـــة والأدبية لعدد من مشاهير العلماء والأدباء في العالم العربي في مصر والشام (بمعناه الشامل) وبغداد والمغرب ، منها ـ من قبيل التمثيل لا الحصر ـ :

١ ـ « سيرة ابن اسحاق » للدكتور عبد العزيز الدوري .
٢ ـ ابن قتيبة والتوجيه اللغوي للكتاب للاستاذ محمد خلف الله أحمد .
٣ ـ المذهب الكوفي في النحو واللغة للاستاذ عبد الحميد حسن .
٤ ـ لغة الشاعر للاستاذ عزيز أباظة .
٥ ـ الواعظ البغدادي صاحب « الوتريات » للاستاذ عبد الله كنون .
٦ ـ الطرمّاح بن زيد ، للدكتور سليم النعيمي .
٧ ـ اللغة القرآنية ودلالتها على ما عليه العرب من رقي عقلي ـ للاستاذ محمد عزة دروزة .
٨ ـ صلاح اللغة العربية لدراسة العلوم الجامعية للدكتور فاضل الطائي .
٩ ـ أثر الفكر في الأدب الحديث للدكتور يوسف عز الدين .
١٠ ـ كتاب التفاحة في النحو للاستاذ كوركيس عواد إلى غير ذلك من البحوث المنوعة الممتعة . ويقع الكتاب في ٥٤٦ صفحة من القطع الكبير .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل. هاتف (٢٤٣ المحرر)
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات الرسمية والشركات عدا الحجرة البريد الاعتيادي؛ يشفع بشأنها مع الاوارة ثمن الجزء: ريالان عربيان

الجزء الرابع ـ السنة الثانية ـ شوّال ـ سنة ١٣٨٧ (كانون الثاني ١٩٦٨)

في تاريخ خليفة نقص

فهل هو عبث مقصود ؟

قام استاذان كريمان من الشام ومن العراق ، بنشر كتاب « تاريخ خليفة ابن خياط » في وقت واحد ، وعن المخطوطة الفريدة المحفوظة في الخزانة العامة في الرباط، وقد تحدثت عن هذا الكتاب في مجلة « العرب » كما وصفت النسخة المخطوطة ، وتحدثت عنها حديثاً مفصلاً قبل بضع سنوات في مجلة « اليمامة » ، التي كنت اتولى تحريرها .

وكنت لاحظت في النسخة المخطوطة نقصاً في حوادث السنتين الرابعة والخامسة الهجريتين،حيث ينتهي الكلام عن خبر (بئر معونة) ، ثم ينتقل فجأة إلى آخر خبر غزوة الرجيع .

وهذا النقص لم يلاحظه مرقم صفحات المخطوطة ، والظاهر ان الترقيم حادث ، ليس في الاصل ، ويدل على ذلك ، ان النسخة وقع اضطراب في ترتيب صفحاتها ، بتقديم بعضها عن موضعه ، وتأخير بعضها ، وهذا ما لاحظه المحققان الكريمان اللذان نشرا الكتاب .

أما الذي فاتهما فهو وقوع النقص المتقدم ذكره ، فيما بين صفحتي ٢٢ و ٢٣، فهما سارا على اعتبار صحة الاتصال بين الصفحتين ، وكل ما لاحظاه هو:

١ — لاحظ الاستاذ سهيل زكار عدم الارتباط بين الخبرين ، فكتب في حاشية منشورته صفحة ٤٣ ج ١ ما هذا نصه : (وقع سقط في الاصل أكملته نقلاً عن ابن اسحق ، من سيرة ابن هشام) ، وما ألحقه هو جملة : (أقـــام رسول الله (ص) بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفراً وشهري ربيع وخرج) ، وبهذه الجملة أصبح الكلام كما يبدو للقارىء متصلاً ، وليس الامر كذلك .

٢ — أما الاستاذ أكرم ضياء العمري فلم يلاحظ هذا ، وترك الخبر على حالته بهذا النص من عدم الوضوح : (قال ابن اسحق ، فحدثني هشام في جمادى الاولى) ، واسترسل بايراد النص ، وكلمة (هشام) هي آخر الصفحة الثانيةوالعشرين . و (في جمادى الاولى) هي أول الصفحة الثالثة والعشرين، وكما قلنا ، فالصفحتان غير متصلتين ، والنقص بينهما يتضمن قسما كبيراً من الحوادث منها :

١ — غزوة بني النضير
٢ — غزوة ذات الرقاع
٣ — غزوة بدر الثانية
٤ — غزوة الخندق
٥ — غزوة بني قريظة

ومن المدرك بداهة، ان خليفة بن خياط ، وهو المعني عناية فائقة بتدوين حوادث زمن الرسالة ، وخاصة ما يتصل منها بالرسول (ص) لا يعقل أن يهمل ذكر تلك الحوادث .

وسلامة النسخة وجودة ورقها، مما يحمل على الاعتقاد بأن النقصان الواقع فيها ، لم يكن من أثر قدمها ، وانما هو من عبث عابث .

ان بعض تلك الحوادث التي لا ذكر لها في النسخة،تتعلق باليهود ومعروف ان اليهود كان لهم نفوذ كبير في الاندلس،والنسخة كما هو معروف اندلسية،

- ١ -

تاريخ ثمود

(الثمد) هو الماء القليل لا مادة فيه . و (المثمود) ماء نفد من الزحام عليه إلا أقـــله ، و (ثمود) قبيلة . ويصرف – ص ٣٥٠ ج ١ ، ترتيب « القاموس المحيط » .

وقبل اكتشاف النصوص الأشورية وحل رموزها ، عرف الناس أول ما عرفوا ثمود من القرآن الكريم ،حيث قصّ علينا في بعض آياته ، أنهم يوم تبوأوا الأرض بعد (عاد)، اتخذوا من سهولها قصوراً ، ونحتوا الجبال بيوتاً، وأنهم كانت لهم زروع ونخل وجنات وعيون : وأن بسبب رغد العيش ، أسرفت فئة منهم على نفسها فاستكبرت وعتت عن أمر ربها، وانحرفت بالمجتمع الثمودي عن مفهوم الدين والأخلاق، وكان طبيعياً غداة بعث الله فيه أخاهم (صالحاً) أن تتصدى تلك الفئة لرفض دعوته وتحاربه وتسخر منه ، بل تحدته أن يأتيها بآية خارقة للعادة – وجعلوا له يوم عيدهم موعدا .

ومع إشراقة يوم العيد ، أصيب أعداء الدعوة بخيبة الأمل ساعة أومـــأ

ولهذا فليس من المستبعد ان يكون هذا النقص من عبث عابث .

وهذا ما ينبغي أن يلاحظه المعنيون بنشر تراثنا بدقة وعناية ، وما نرجو أن يلاحظه المحققان الكريمان الاستاذان سهيل زكار وأكرم العمري ، متى وجدا في ملاحظتنا هذه من الصحة ما يدعو إلى الاهتمام بها ، عند اعادة نشر الكتاب .

حمد الجاسر

صالح – عليه السلام – إلى (ناقة) أقبلت على القوم من فج في الجبل وقال: (يا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) الآية ٦٥ سورة هود .

ثم هم رأوا في الناقة – المعجزة – تحقيراً لشأنهم، وطعنة دامية لكبريائهم، وحال الغرور بينهم وبين أن يدركوا أن حكمة الله قد شاءت أن تكون الناقة ، هي الإعجاز كله على بساطة الدعوة الجديدة . وكان ان تمادوا في باطلهم ، فعمدوا إلى الناقة فعقروها وعتوا عن أمر ربهم ، (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين) الآية ٧٧ سورة الأعراف .

(فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) الآية ٧٨ سورة الأعراف.

والرجفة عند بعض المفسرين هي (الزلزلة) ، وهو تفسير يتفق والمصير الذي حاق بالبلاد وأهلها ، بعد أن غادرها صالح وصحبه الذين استجابوا لدعوته. ومن يومها غدا اسم صالح علماً على منحوتات(جبال الأثالب) الواقعة في (الحِجْر)، وأصبحت بعد ذلك تعرف باسم (مدائن صالح) .

والحِجْرُ هو الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله : (ولقد كذب أصحاب الحِجْر المرسلين) الآية ٨١ سورة الحِجْر .

وبه عرفت ثمود عند المؤرخين والجغرافيين كالهمداني (ص ١٣ صفة جزيرة العرب) وياقوت (ص ج ٥ معجم البلدان) ، والبكري (معجم ما استعجم ص ٤٢٦ ج ١) ، وأبي الفداء (ص ٢٠ و ٢٢) ، والمسعودي (ص ٤٢ ج ١ مروج الذهب) ، وابن حوقل (ص ٣٩ صورة الأرض).

وقد وصف ابن حوقل جبال الأثالب . فذكر أنها منفصلة عن بعضها ، وأن دونها جبال من رمال تجعل الوصول إليها أمراً لا يخلو من المشقة،ووصف المسعودي بيوتهم المنحوتة فذكر أن أبوابها صغاراً ، ووصفها (ابن بطوطة) أثناء مروره بها في طريقه إلى مكة بقوله : (وديار ثمود في جبال من الصخر الأحمر منحوتة لها عتب منقوشة يظن رائيها أنها حديثة الصنعة ، وعظامهم نخرة في داخل تلك البيوت) ص ١١٢ و ١١٣ .

ويبدو أن أدق وصف لهذه المنحوتات ، هو الذي تحدث عنه (تويتشل) وهو خبير زراعي سبق له ن زار المنطقة أثناء إقامته في البلاد — يقول تويتشل : (لقد شاهدت منها حوالي ٢٠ أو ٣٠ مقبرة ، مقطوعة بين الأكمات من الصخور ، تختلف في الحجم ، ولكن لجميعها أنفاق لتدفن الأجساد فيها ، وقد كان أكبر قبر زرته ، يبلغ ثمانية عشر قدماً وتسع بوصات في ثلاثة عشر قدم . ويبلغ السقف سبعة أقدام فوق الأرض ، وكان الصدى يدل على أنه مفرغ، ولذلك يحتمل أن يكون هناك فتحة سفلى، وتكون النوافذ أحياناً خمسة أقدام تحت سطح الأرضية الرئيسى ، وتمتد خمسة أو ستة أقدام داخل جدران الغرفة . وفي خارج قبور مدائن صالح يري وجه الصخرة مقطوعاً بشكل مصقول على شكل عمودي ، ومدخل القبر مثلث الشكل ، ويكون عادة على الأقل ثلاثة أقدام في سبعة أقدام، ومحاط ببيت محفور حفراً بديعاً. وفي كثير من الحالات، يرى النسر محفوراً على قمة المدخل المثلث الشكل ، كما نجد مثل هذا النسر محفوراً على كل طرف بحذاء جوانب الباب . ورؤوس هذه النسور وأجسامها قد دمرت . وتحت قبة بعض ممرات الأبواب المثلثة ، يوجد وجه (آدمي) محفور منبسط ودائري مضحك الشكل ، يحيط به من كلا جانبيه (ثعبان) منطرح بموازاة ميل الباب المثلث ، ويمتد من القمة إلى الزاوية السفلى) — ص ٩٦ و ٩٧ . المملكة العربية السعودية — .

ولنا أن نتساءل الآن ، ما إذا كان الثموديون قد تأثروا بغيرهم في منحوتاتهم هذه أم لا؟ وسوف نجد (محمدمبروك نافع) استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة القاهرة ، قد تناول هذا الموضوع في كتابه « عصر ما قبل الاسلام » ص ٢٦) . فذكر (أن فريقاً من المؤرخين يرون أن الثموديين هم فلول الهيكسوس ـ العمالقة — الذين أجلاهم عن مصر (احمس الأول ١٥٨٠ — ١٥٥٧ ق. م.)، وأنهم حين استقر بهم المقام في وادي القرى، نحتوا بيوتهم في الجبال، على غرار القبور التي شادها قدماء المصريين . وقد عرفوا هذا النوع من النحت أثناء احتلالهم لمصر) .

وذكر (جرجي زيدان) استناداً إلى الأبحاث التي أجراها الدكتور

(بروكش) ، بأن العمالقة أثناء حكمهم لمصر : (قد تطبعوا طبائع المصريين واقتبسوا عاداتهم وتكلموا لسانهم وكتبوه وقلدوهم في نظام الحكومة، وكانوا يحبـــون العمارة ، فاستخدموا المصريين في بناء المدن على النمط المصري ، إلا تماثيل كبرائهم فجعلوا لها شعراً في الرأس والذقن وغيروا لباسها .. واقتبس المصريون من مخالطة العمالقة معارف كثيرة، ولا سيما من حيث الأبنية، فأخذوا عنهم أشكالاً جديدة ، ويُعَدُّ أبو الهول المجنح من مبتكراتهم) — ص ٧٢ — « العرب قبل الاسلام» .

وسواء أصح ما قال به (نافع) أو (بروكش)، فانه مما لا شك فيه أن العمالقة ، قد أثروا في المصريين ، وتأثروا بهم في نواحي متعددة من نواحي الحيـاة .

أما متى بدأ تاريخ الثموديين ؟.. فقد عرفنا فيما تقدم ، أن فريقاً من المؤرخين، يرون أنهم من فلول الهيكسوس — العمالقة — الذين أجلاهم عن مصر (احمس الأول) في القرن السادس عشر ق. م، ويرى الدكتور (البرفـاندَنْ برندن) في كتابه « تاريخ ثمود » ص ١٧ :

(إن مسألة معرفة تاريخ بناء الأمة الثمودية، هي قضية غامضة لأنه لا يوجد مصدر تاريخي، يؤكد أو يزودنا بالمعلومات الضرورية عن منشأها ، وقد وجد الثموديون في القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وفي ذلك التاريخ اختاروا مدنية وثقـــافة شعوب أجدادهم ، لأنه في هذا العصر وجدت لأول مرة مخطوطاتهم وكتاباتهم في (ددان) ، وهذه هي أول حركة للتوسع) .

هذا ، وقـد كانت أول وثيقة تاريخية ، تناولت ذكر الثموديين هي نص الملك الأشوري (سرجون الثاني ٧٢١ — ٧٠٥ ق. م.) التي ذكر فيها انه أدب ثمود وهزمها — ص ٣١٢ ج ٢ « العرب قبل الاسلام » ، للدكتور جواد علي .

ويستفاد من المصادر والمراجع التي تناولت ذكر الثموديين ، أنهم كانوا شعباً تجارياً، وأن نفوذهم القبلي كان يقوى حيناً، وحيناً يتقلص، تبعاً لنفوذهم التجاري

ومدى سيطرتهم على الأسواق . وقد ذكر المسعودي (أن نفوذهم كان يمتد إلى ساحل البحر الحبشي – أي البحر الأحمر – ص ج ١) .

وذكر (موسل) أنه وفقاً للنقوش الموجودة على معبد (الغوافه) الذي بنته ثمود بين نهاية عام ١٦٦ م وبداية عام ١٦٩ ميلادية ، فان ثمود في منتصف القرن الثاني الميلادي كانت تملك حرة (العوارض) وحرة (الرجا) . وكانت منازلهم تقع إلى الغرب من (تيما) – ص ٩٣ – شمال الحجاز – .

ونلحظ أن (موسل) يؤكد أيضاً (أن الساحل كله كان ملكاً للثموديين وأن القبائل الساكنة على الساحل ، كان لا بد لها أن تعترف بسلطان القبيلة – ثمود – التي يقع في أرضها المركز التجاري (الحجر) والتي كانت تؤمن مصالحم التجارية) ، ص ٩٣ المرجع نفسه .

ويرى الدكتور (البرفان برندن): (أن ثمود كانت تعيش في معظم أراضي الجزيرة العربية ، الشمالية ، والوسطى وانها وإن لم تنشأ مملكة في معناها الصحيح ، إلا أنها كانت نوعاً من اتحاد قبائل مختلفة أقواها ثمود) – ص ٢٤ « تاريخ ثمود » .

ودلّلَ برندن أيضاً على انه في القرن الثامن قبل الميلاد ، كانت ثمود تسكن المدينة ومكة ، وأشار إلى وجودهم في (عسير) ما بين القرن الأول والثاني ق. م.

وأشار الدكتور جواد علي في كتابه «تاريخ العرب قبل الاسلام» –ص ١٣٤ ج ١ – أنه توجد في أراضي الطائف كتابات ثمودية ، قال عنها : (إن لهذه الكتابات – على قلتها – أهمية كبيرة لأنها تدل على وجود قوم ثمود في هذه الأماكن، وتجعل لقول من قال من النسابين : ان ثقيفاً هم من أصل ثمودي شيئاً من القيمة في نظر العلم) .

وقال أيضاً : (ان اسم الثموديين ، بقي معروفاً إلى القرن الخامس بعد الميلاد ، وانه كان منهم فرسان في الجيش الروماني) ص ٣١٧ ج ٢ – المرجع نفسه .

وذكر الدكتور (فؤاد حسنين علي) في استكماله لكتاب « التاريخ العربي القديم » الذي قام بترجمته إلى اللغة العربية: (انه خلال الجولة التي قام بها كل

من (ريكمانز)، وابن أخيه (ليبنز) برئاسة (فيلبي) ، ابتداء من ٨ نوفمبر سنة ١٩٥١ ميلادية ، عن طريق جدة ، الطائف ، ابها ، نجران ، الربع الخالي ، الرياض .. عثر هؤلاء على نحو تسعة آلاف كتابة ثمودية ، وعدداً لا يستهان به من المخربشات) ص ٢٦١ . وفي منطقة (تثليث) عثر (فيلبي) على مجموعة من الصور المنحوتة في الصخر، بينها صورة شيخ معمم يلقي حديثاً، وقد تغلب عليه الحماس الذي بدأ في الاشارات التي كانت تصدر عن يديه .. وصورة لانسان رفع يديه إلى السماء وفتح قدميه .. وأخرى لبعير أقعى على مؤخرته، ورابعة لثور ، وخامسة لكلب من كلاب الصيد . وعثر فيلبي أيضاً على صخرة عليها نقوش ثمودية تضم نحواً من مائة وسبعة أحرف ، مع بعض صور الابل والحيوانات الاخرى ، وصورة تمثل معركة حربية — ص ٢٨٥ و ٢٨٦ عبدالله فيلبي (حماد) ، ويبدو أن المعلومات التي أشار اليها الدكتور (فؤاد حسنين علي) عن كمية النقوش الثمودية، كانت سابقة لنشر كتاب فيلبي المترجم إلى اللغة العربية بعنوان « أرض الأنبياء » والذي ذكر فيه صاحبه : (ان النقوش الثمودية التي باتت معروفة لدى العلماء حتى الآن يتراوح عددها بين ثلاثة عشر ألفاً وأربعة عشر ألفاً ، بالاضافة إلى الألفي نقش التي وجدت في شمال شبه الجزيرة العربية، والتي اكتشفها الدكتور (إلبرفان دن برندن) ص ٢٢٤ ، « أرض الأنبياء » . كما تحدث فيلبي أيضاً عن المؤلف الذي نشره (البيرفان دن برندن) حول النقوش الثمودية، فوصفه بانه أول دراسة جامعة وافية لهذا الموضوع :

وبعد :

فليست هذه السطور كل شيء عن ثمود، بقدر كونها جهد المقل ، كما أنه لا يفوتني أن ألفت نظر القارىء إلى أن ما خلفته ثمود وراءها في السهل من قصور وجنات وعيون ، قد أتت عليها الرمال التي اجتاحت مواطنها بسبب الجدْب والجفاف الذي حل بشبه الجزيرة العربية ووارتها عن الأنظار .

الرياض — **حسن بن أحمد البهكلي**

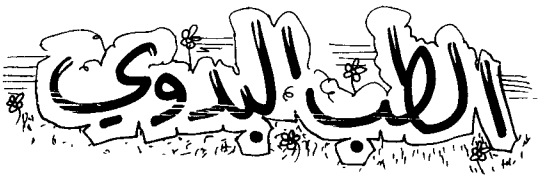

في قلب جزيرة العرب

يقاسي البدوي من شظف الحياة في الصحراء، ما يجعله دائم العمل والدأب على جلب مصالحه ، وتقويم أسرته . ينتقل من سهل إلى سهل ، يتتبع منابع القطر . ينظر الأرض وقد اكتست بلباس أخضر من الكلأ . فتعود إلى نفسه نشوة الأمل . يطفح وجهه بالبشر ، وكأنه عاش من جديد . وما هي إلا أيام ، ويتبدل هذا الفرح إلى هم .. حيث يفكر في تقويم قطيع الغنم والجمال .. يبحث عن منطقة مُكتلئة له .

ولكن الانشغال ، بالحياة المعيشية وكدّها ، لم يمنعه عن التمتع والتصرف بأسباب أخرى من حياته هي بمكان هام في مجرى حياته ، فجعل من نفسه طبيباً يعالج أسرته إذا ما مرضت، ويعالج أغنامه وجماله وخيله . فهو بذلك قد أخذ الطب عن أسلافه الذين كانوا يعرفون التركيب الجسماني للناقة .. وفي ذلك نظموا شعرهم ؛ وها هو طرفة بن العبد يقول عن ناقته :

وجُمجمة مثل العَلاة كأنما وَعى الملتقى منها إلى حَرْف مِبردِ
وأروعَ نَبّاضٍ أحَذّ مُلملَمٍ كمرداةِ صَخرٍ في صفيح مَصَمَّدِ..

إن هذه الأوصاف لا تدل على ملاحظة عارضة عابرة ، بل على مشاهدة عاقلة ودرس دقيق،ليس من نطاق الشعر بل هو بعلم الطب ألصق ..

وقد كان البدوي في عصور الجاهلية ، يداوي بما له من الذكاء ، ومن

الاختبار من غير رجوع إلى قواعد ثابتة ، أو علم منظم . في ذلك يقول ابن خلدون – المقدمة : ٩١٨ – : (والبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص ، ويتداولونه متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزه . وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على قانون طبيعي) .

والطب أول ما نشأ في الجزيرة العربية كان بدائياً .. حيث اختلطت فيه العلاجات الصحيحة بالشعوذة والطلاسم ، التي كان الاعتماد عليها في مقاومة اصابة العين والالتجاء إلى الحجامة أو الفصد ، إلى جانب استعمال بعض الأعشاب التي تُجلب عادة من الهند ، وبعضها ينبت في صحراء الجزيرة . وكان من أول أطباء البادية الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي ، وابن حذيم ، وزينب طبيبة بني أود ؛ وكانت بارعة بالتكحيل (مداواة العين) عارفة بالأعمال الطبّية وبالجراحة . ومنهم أبو رمثة التميمي ، والنضر ابن الحارث بن كلدة ، وكان بارعاً كأبيه .

ويرجع الطب العربي في أصله إلى مصدرين أساسيين : يوناني وهو الأصل ، والثاني فارسي . ولا شك أن اليونان والفرس مدينون لمن سبقهم في العلوم ؛ فقد نشأ الطب في أشور بابل ، وقد اشتغل بالطب في مصر القديمة في القرن الثلاثين قبل الميلاد . اشتغل به وزير فرعون وطبيبه الخاص، في ذلك الزمن. وعَقِب ذلك تطورات لا مجال لذكرها في هذه العجالة .

واليوم في البادية عرافون كثيرون ، تعلموا بأسباب الطب والمداواة . ولكنهم ليسوا كعرافي أسلافهم في القديم على قلتهم . وهم على قلتهم ، لهم مكانة العرف والتزعم في العرافة . وكان عراف اليمامة رباح بن حجلة ، وعراف حجر الأبلق الأسدي . وقد شكا عروة بن حزام حبه لعفراء بعد أن أصابه من حبها ما أصابه :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف حَجْر إن هما شفياني
فما تركا من حيلة يعملانها ولا رُقية إلا وقد رقياني

لقد أخذ أطباء البدو ، عقاقير أمراضهم من نبات بلادهم وأعشابها . كما فعل أسلافهم من قبلهم .. ومن هذه النباتات والأعشاب :

الحنظل : وهو لتسهيل البطنة بعنف – كافور : ويستعمل لقطع الرعاف ويقوي الحواس ويقطع الباه – كمون : ويحـــل القونج ويطرد الريح – نعناع : وهو من ألطف البقول ، يقوي المعدة ويسكن الفواق ويمنع القيء – الضال : وهو السدر البري – الرمث : من الحمض ؛ ومن الرمث أيضاً مـا يشبه الغضا ، والغضا : شجر جيد للوقود – الشِيح : وهو نبات مشهور ، ويستعمـــل لتخفيف بعض الأرياح في الجسم – والقيصوم : وهو نبات مر المذاق - والعرمض – والسنا : وهو دواء مسهل – والجعدى–والبعيثران– والحرمل : ويقطف عادة طلوع الشمس إذا أُريد علاجاً .

استعمل الطبيب البدوي الكثير من هذه النباتات والأعشاب،وعند الحاجة التي تدعو إلىتركيببعضها معبعض،إما لإصلاح كيفيةالدواء، أو ازالةكراهته أو لإضعاف قوته . أو لرفع ضرر الدواء ، أو لحفظ قوته زماناً ، أو لشدة المرض وقوته إذا لم يوجد دواء واحد يقاومه ، أو لإختلاف مزاج المريض .. باحدى هذه المسببات ، يستطيع الطبيب إجراء عملية تركيب دوائه .. والطبيب البدوي جريء في هذه التركيبات عن خبرة وحذق، وتتم العلاجات تبعاً لاختلاف الأمراض . فمثلاً في عضة الكلب (المغلوث) ، يشق موضع العضة ، وتوضع عليهـــا المحاجم وتمص مصاً قوياً ، ويجتهد ليبقى الجرح مفتوحاً .

وعلاج الملسوع : يكون بترك النوم حتى تتم المعالجة ، التي هي عادة سبع ليالي ، أو أربع عشرة ليلة . وأحياناً يتدارك الملسوع ، وتوضع على مكان اللسعة المحاجم بعد شقها، ويمص السم قبل إنتشاره في أجزاء الجسم .

وقد اشتهر أطباء من البادية بفراستهم في الطب ، وطول باعهم فيه من عرب نجد . وذاعت شهرتهم بين القبائل ، حتى أنهم إذا دعت الحاجة يُرتحل

اليهم في مضارب خيامهم في مناطقهم المعروفة – ومن هؤلاء رجل من مطير من قبيلة المحالسة يدعى (المقضي) . لقد بهر هذا الرجل العقول بما له من إقدام وجسارة في الطب نادرة . من ذلك أن رجلاً من قبيلته انكسر فيه ضلعان بعد سقوطه من ناقته. وفي الحال حضر (المقضي) الطبيب ، وأمسك باحدى الكلاب وشق ضلوعه ، وفي الحال شق مكان ضلعي الرجل المصاب، وأبدل بضلعي الكلب ضلعيه المنكسرين .. وخـاط الشق بشعرة من ذيل الناقة .. وبعد مدة من الزمن برىء فيها جرح هذا الرجـــل ، وعاش سالماً كما كان .

إن هذه البراعة من النادر وجودها لدى غيره..وتعطي دليلاً لمدى حرص البدوي على معرفة كل ما من شأنه سد حاجة في منأى بعده عن الحضر .. وقد اشتهر والده من قبله .. فكان طبيباً حاذقاً .. كان المقضي معاصراً للمغفور له الملك عبد العزيز رحمه الله ..

ومثله اشتهر ملفي بن زيد الحربي ، وعلاجاته في نطاق الجمال والخيل .. فهو طبيب بيطري . كان يعالج الناقة إذا أُصيبت بكسر في إحدى قوائمها ، يربط إحدى القوائم السليمة مع قوائمها الخلفية ، ويجعل من تحتها مسنداً عمل كهيئة السرير بحيث يرفعها من تحت بطنها عن الأرض وتتكىء عليه ، وتسند يدها المصابة بالكسر بجائر من الخشب .. وتبقى على حالتها هذه مدة أربعين ليلة .. بعدها تشفى .

ويعالج الناقة إذا أُصيبت بفقد بصرها..وتظهر اثر ذلك علامات من تحت جفن العينين على شكل قطع صغيرة بارزة ، فتقطع رؤوس هذه الظواهر ثم يوضع مكان القطع قليل من الملح . وباذن الله يعود بصرها إليها . ويسارع الطبيب في اتخاذ هذه الاجراءات قبل مضي أيام لكي يكون العلاج سهـــلاً، تشفى في حاله ..

وحالة أخرى يعالجها ، عندما تصاب انثى الفرس بعدم الإنجاب والحمل ..

يحدث هذا عادة بفعل تشقق الجهاز التناسلي للفرس . في هذه الحالة ، تكبل الفرس بالقيود ، ويجري عملية سريعة لاستخراج جهاز التناسل، ونشره بحيث تظهر أماكن التشقق . في هـذه الأثناء قد أحضر لهعدد من الدواب الصغيرة التي تكثر في مناطق نزول البدو ، تسمى هذه الدواب بـ (القعوس ، أو القعران) لدى البدو وتثنى مناطق الشق على بعضها، ويترك للدابة الصغيرة أن تعض مكان الشق هذا، ويقطع رأس هذه الدابة عن جسمها، ولا يزال الرأس ماسكاً بمنطقة الشق . وهكذا حتى تنتهي عملية ترقيع مكان الشقوق لإعادة جهاز التناسل مكانه، يحفر في الأرض عب تجعل يدي الفرس بداخله ، وتبقى أرجلها خارج العب :. فترتفع مؤخرتها بينما تنحدر مقدمتها . ويعاد الجهاز التناسلي « أو الرحم » كما يعرف لدى البدو إلى مكانه . وينشر بداخـــل جسمها ، ويجهز قطعة من التمر عجنت وخلطت مع بعضها متماسكة مـــع قليل من الملح والسمن .. وتجعل بداخل جهاز التناسل كخميرة له . بعد إتمام ذلك تطلق الفرس .. وبعد عملية اللقاح مع الفرس من جديد . تنتظم عملية الانجاب بعد انقطاع ..

بعد ذلك .. يحق لنا أن نعهد البدوي في الصحراء طبيباً ماهراً ، يعبـأ بجميع مستلزمات حياته على شقائها وشظف العيش فيها . وجعـل من نفسه طبيباً ماهراً في كل ما يحلبه وبقبيلته من بلاء .. وحق قطيعه تفرس في أمر تطبيبه فجعل من نفسه طبيباً بيطرياً .. إن هذا هو البدوي في قلب الجزيرة العربية وهذا طبه في أعلا صوره .

عبد الله علي الماجد

الرياض – دار الكتب الوطنية

[مهداة للشاعرة المتفتحة نهاد الجشي
وهي في بداية دراستها المتوسطة]

بلادي مَشْرقُ الفجرِ ومَجْلى الخَيْرِ والطُّهْرِ
ومَبْدأ كلِّ تاريخٍ ومَنْهَلُ كلِّ ذي فكْرِ
على رَبَواتِها السَّمْرا ءِ قامَتْ دولةُ الشّعْرِ
وفي ساحاتِها القَمْرا ءِ مُنْطَلَقُ الهَوى العذري
وفي شُطْآنِها الزُّرق الـستقى (البُترولُ) بالدُّرِّ

* * *

بِلادي مَصْنَعُ التاريـ خ والمدنيَّة الزَّهْراءَ
تَلاقى العِلْمُ والفَنُّ بها ، والجِدُّ والإثراءْ
هنالك أُمَّـةٌ تنشي وثَمَّ مُفكِّرٌ بَنَّاءْ
(مَدائِنُ صالحٍ) و(الخط) و (البَطْحاءُ) و (الأحساءْ)
نُجُومٌ في سماءِ المجْدِ تمنح أُفقه اللألاءْ

* * *

بلادي كَمْ شِراعٌ رَفَّ في شاطِئكِ السِّحْري
وكم عَبَرَتْ سُفنُ بنيكِ ، من بَحْرٍ إلى بحْرِ
تجُوبُ العالَمَ المعْمو رَ من مِصرٍ إلى مِصْرِ

وتنقـــل ما حواهُ الشَّر قَ من خَزٍ ومن عِطْرِ
سَلي (دَاريْنَ) كم قذفت إلى الآفـــاق من دُرِّ

* * *

بـــلادي كم على أرضِ كِ قامتْ من حضاراتِ ؟
وبين شِعابكِ انطلقتْ تسابيـــحُ النُّبُوَّاتِ
وكُنتِ وما يزال ثرا كِ مَدرَجةَ الرسالاتِ
رَشُدتِ ،وكان عَقل الكوْ نِ يرسف في الخُرافاتِ
سلي (مكة) كم هلَّت بنـــبراسٍ ومِشكاةِ

* * *

بلادي ، يا حُداءَ الرَّكـ ـبِ وسْطَ المهْمَةِ القَفْرِ
ويا أنشودة الأبطـا لِ في مَعركةِ النَّصْرِ
قذفتِ كتائبَ التحْريـــر من (مُضرٍ) ومن(بَكْرٍ)
تطوِّف في المدى الأبْعـــد بالدعوة للخـــيرِ
وتغرسُ في ضمير الكو ن مَقتَ الظلم والشرِّ

* * *

بلادي ، موطنُ الوديا نِ والواحاتِ والنَّخْلِ
كلوحـاتٍ مبَعْثرَةٍ من الأضواءِ والظـــلِّ
يفوحُ على مناهلهـــا شذى الريحـانِ والفُلِّ
وتمرحُ في مسارحهـــا المهَى ومَغارزُ الخيْـــلِ
ويهفو في سماوتهـــا جناحُ الطيْرِ والنَّحْلِ

* * *

بلادي هكذا كانتْ وما زالتْ مَدَى الدهْرِ
رَبيعٌ دائمُ الخِصْب ونَبْعٌ دائمُ الثَّرِّ
إذا بَخَلتْ عليها السُّحْـ ـبُ بالطَّـل وبالقطْرِ
سخىَ الصُّوَّار بـ (البترول) والتربة بالتِّبْرِ
وأخصب جَدْبُها فيضٌ من العرفان كالغَمْرِ

* * *

بلادي أَوْقَدَتْ نَارَ الـ ـقِرى للضَّيف أزمانا
وطافَ على مرابعها شعاعُ البَدْر نَشْوَانَا
وقد رَسَمَتْ حقولُ الزَّيْتِ فجراً في صَحارانا
ستبقى نارُهَا والنُّورُ في الشطئان صِنوانَا
تُساقِيها السَّما نوراً وحَقْلُ الزَّيْتِ نيرانا

* * *

بلادُ (التَّمْرِ) واللَّوْزِ وَمَجْنَى (اللُّؤْلُؤِ) الرَّطْبِ
زرعْنا أرضَكِ البِكْرَ بأبراج مِنَ الصُّلْبِ
وفَجَّرْنا بها (البترولَ) مثل المنْهَل العَذْبِ
فرفَّت حوله الأفْيا ءُ من مَدَنية الغَرْبِ
وسار الأمْسُ واليومُ بها جنباً إلى جنبِ

* * *

بلادي يا مَنَارَ الحَقّ كم حَطَّمْتِ أوثانا
وكم أَعْليتِ أمجاداً وكم حرَّرْتِ إنسانَا
لقد أثريْتِ تاريخ الْ جهاد الحُرّ إيمانا
وقد أورثتِنا مَجْداً نَدِي العَرْفِ فَيْنَانَا
سَنُعْلي من قَواعِدِه وَنَبْعَثُه كما كانا

القطيف : **الجشي**

مَدِينَةُ الدِّرْعِيَّة القاعِدَةُ الأُولى لِلدَّولَةِ السُّعُودِيَّةِ

- ١١ -

بعد سقوط الدرعية وبعث أميرها إلى مصر . نقل ابراهيم باشا مقر قيادته إلى داخل الدرعية، واستقر في (العُويسيّة) نخل الأمير تركي بن سعود، ووزع بقية الجيش في أنحاء متفرقة من الدرعية والطرق المؤدية اليها .

أقام في مقر قيادته وأخذ يبعث إلى قواته المنتشرة في أنحاء نجد يأمرها بهدم أسوار وحصون المدن والقرى . وأقام في الدرعية بعد التسليم مدة تسعة أشهر، كان خلالها يعمل على تصفية الحركة الاصلاحية ، وأنصارهاوأنصار آل سعود .

وبعد أن تأكد له ما أراد، كرّ راجعاً إلى مصر مصطحباً معه جميع من بقي من آل سعود ، وأبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائهم وأسرهم من نساء وأطفال،الا" من استطاع من هؤلاء اللجوء إلى جهات نائية. ومن مشاهير من استطاع الاختفاء، الامير تركي بن عبد الله، وأخوهزيد والشيخ القاضي علي بن حسين بن الامام محمد بن عبد الوهاب ، الذي لجأ إلى قطر .

وقد ذكر الكابتن البريطاني — ج . ف. سادير — الذي مرّ بالدرعية بعد تدميرها مباشرة١٨١٩ م — ١٢٣٤ هـ — وكان يقدم برحلة عبر جزيرة العرب. بان معالمها قد ازيلت تماماً ، وأنه لا أثر للحياة فيها ، وقال انه لم يقابل رجلاً واحداً أثناء تجواله بين الأطلال .

اتخذ إبراهيم باشا طريقة في العودة إلى القصيم فالمدينة المنورة ، ومنها إلى مصر عبر البحر الأحمر .

وقد عملت السياسة عملها في اشاعة الفوضى والاضطراب في نجد بتدبير

من محمد علي باشا ، الذي كانت تهمه هذه . باعتبارها الورقة التي لا تترك مجالاً لعودة الدعوة والمناضلين عنها من آل سعود .

وما ان وصلت قوات ابراهيم باشا إلى المدينة متجهة إلى مصر ، حتى خرج من (العيينة) محمد بن مشاري بن معمر الى الدرعية تحدوه الآمـــال الكبار في أن يحل محل آل سعود . متذرعاً بأنهم أخواله . ووصل اليها فعلاً وأخذ بتجميع أكثر عدد ممكن من أهلها،الذين تفرقوا في البلاد معلناً لهم انه سيعيد بناء الدرعية ويشيدها . وأنه سيوالي نصرته للدعوة وبثها . وبهذا انضم اليه أهل الدرعية وعادوا اليها وإلى دورهم ومزارعهم .

لكن الأمور تأزمت في أول عهده . فالفوضى التي حلّت في نجد كانت سبباً في توقف قوافل التجارة والانتقال من بلد الى بلد . مما جعل الاسعار في ارتفاع شديد في الدرعية التي قضى ابراهيم باشا على نخيلهاومزارعها، وشدد الضيق المعيشيقبضته على الدرعية. وكانت مواجهة صعبة بين محمد بن مشاري وبين الوضع المتدهور للحالة المعيشية. فأخذ يكاتب أهل المحمل وسدير والوشم، يزيّن لهم جلب الأطعمة خاصة الى الدرعية . وما قد يحصلون عليه من مكاسب تنمي تجارتهم، وساد بعض الاطمئنان مما جعل أهل هذهالمدن يحملون القوافل الى الدرعية . ثم توالت بعد ذلك القوافل من جميع القرى المحيطة بالدرعية، تفد اليها مما ساعد على تحسين أحوالها . وعادت الاسعار الى سابق عهدها .

في أثناء ذلكوصل الامير تركي بنعبد الله وأخوه زيد ، ولما رأيا من محمد بن مشاري انه يريد السير على نهج آل سعود ، لميتخليا عنه بلساعداه ووقفا الى جانبه،خاصة الأمير تركي الذي تأصلت في نفسه روح الدفاع عن الدرعية. وكان مستعداً لأن لا يتورع عن خدمة محمدبن مشاري،في سبيل مصلحة بلده مهما كانت تضحياته الادبية والمعنوية والمادية، ممـــا شجع ابن معمر وشدّ في عضده . كما كان سبب وقوف هذين الاميرين الى جانبه مبايعة مدن العارض وسدير والوشم له .

لكن الأحداث تأبى إلاّ أن تسير في الطريق التي أرادها الله .

ففي العاشر من شهر جمادى الآخرة ١٢٣٥ هـ، وصل الى الوشم الأمير مشاري بن سعود – والذي تمكن من الفرار من حرّاسه وهو في طريق المنفى – حيث اجتمع إليه عدد كبير من الأنصار والرجال ، ثم سار إلى الدرعية يحمل معه قوافل من الأرز والأطعمة ، حيث كان قد بلغه ما تعانيه من ضنك وبوصوله الى الدرعية نزل في بيت أحد اخوته .

بوصول الأمير مشاري بن سعود، تزعزع مركز ابن معمر – فمشاري يعتبر الوريث الشرعي للأسرة الحاكمة – ورأى ابن معمر أن الأمر سيخرج من يده لو بادره بالعداء ، لذا أسرع بمبايعة الأمير مشاري بن سعود كأمير للدرعية وما يتبعها وكإمام بعد اسلافه .

توافدت الوفود من الأقاليم تبايع الأمير مشاري وتهنئه . وثبت مركزه بانضمام الامراء تركي بن عبد الله وزيد بن عبد الله وعمه عمر بن عبد العزيز وأولاده ومساندتهم له . وبتولي الأمير مشاري الامر قام ببعض الغزوات السريعة للمناطق التي تأخرت عن مبايعته ، ومن ثم عاد الى الدرعية في نفس العام .

هذا ومحمد بن مشاري بن معمر يفكر فيما آل اليه الامر . ولعله رأى أنه أحق من مشاري في الحكم – أو لعلها شهوة الحكم – ولكنه لا يستطيع المجاهرة بذلك وهو في الدرعية . كما أنه يعلم أن أهل الدرعية لن يقبلوا بذلك ، فرحل الى سدوس للاستشفاء – متصنعاً المرض – . وبوصوله راسل بعض من يثق بهم من رؤساء القرى والقبائل لينا صروه ، فاستجاب له البعض . ولما تيسرت له القوة التي أمّل في صمودها وأن باستطاعتها استرجاع الامارة له . سار الى الدرعية بجذرٍ وكتمانٍ شديدين ، بينما كان الأمير مشاري بن سعود منهمكاً في إعادة بناء الدرعية وإعادة الحياة الطبيعية إليها.

استطاع ابن معمر الدخول الى الدرعية سراً – ولعل له فيها بعض الأعوان – حيث تمكن من الدخول على الأمير مشاري في قصره ومعه نخبة

من رجاله ، فاعتقل مشاري وسجنه . ولما كانت (الدرعية) ما تزال تعاني من الحروب المتكررة وجراحها التي لم تبل بعد الكارثة ، فلم يكن بوسعها إلا اعلان التأييد لابن معمر .

ترك ابن معمر ابنه مشاري في الدرعية . وتوجه الى الرياض حيث يقيم الأمير تركي بن عبد الله . ولما كانت القوة في يد ابن معمر ، فان الأمير تركي لم يجد بداً من الانسحاب من الرياض حيث اتجه الى الحائر ، فضرمى .

دخل ابن معمر الرياض دون مقاومة وولّى ابنه مشاري أميراً عليها ، حيث رجع هو الى القاعدة (الدرعية) حاكماً مدعماً من الأتراك هذه المرة حيث بعث الى عبوش آغا القائد التركي — والذي وصل الى القصيم منذ فترة وجيزة — يعلمه بأنه يتولى الامر من (الباب العالي) . وتأكيداً لذلك فانه أخبره بأنه أسر مشاري بن سعود ليسلمه لهم .

أما الامير تركي بن عبدالله فانه بوصوله الى ضرمى ، أخذ يؤلف حوله المخلصين ويدعوهم الى مناصرته . فاجتمع له من الرجال والعتاد ما يؤهله لخوض معركة حاسمة مع ابن معمر . لكن هذا الاخير علم بما يدبره له تركي ، فبعث اليه بقوة على رأسها ابنه مشاري . ويقتضي الموقف من تركي أن لا يجابه هذه القوة فيحتمي في أحد الحصون ويترك مشاري يدخل البلدة . وما ان يمضي الهزيع الاول من الليل حتى يخرج تركي من القصر متسللاً ومعه أحد رجاله الاشداء، ويقتحم بيتاً يضم الكثير من رجال ابن معمر الذين فروا من أمامه بعد أن قتل منهم من قتل . إلا أنهم عادوا الى الامير تركي مرة أخرى لينضموا اليه وليقفوا الى جانبه . وهكذا فوجيء مشاري بن معمر بأنه وحده وقد تخلى عنه رجاله فكر هارباً — على حصانه — الى الرياض .

وفي شهر ربيع الاول من العام نفسه — ١٢٣٥ هـ — دخل الامير تركي الدرعية — وحاول ابن معمر المقاومة ولكن أهل الدرعية لم يقفوا معه باعتباره غاصباً للحكم. وهكذا ألقى الامير تركي القبض على ابن معمر وابنه مشاري وسجنهما . ومن المفارقات العجيبة ان ابن معمر كان معدّاً هذا

اليوم وليمة فاخرة لوفود من أهل سدير وأهل المحمل، إلاّ أنها كانت من نصيب الامير تركي ورجاله .

طلب الامير تركي من ابن معمر أن يأمر بفك أسر الامير مشاري بن سعود، الذي سبق أن أسره وبعث به الى عشيرته في سدوس مقابل فك أسره وأسر ابنه . ولكن عشيرة ابن معمر رفضت فك أسر مشاري بالرغم من كتابته لهم بذلك، ويعلمهم أن حياته وحياة ابنه مرهونة بفك أسر مشاري . فوصول قوات تركية جديدة على رأسها خليل آغا ومعه قبائل مطير، جعلتهم يقدمون مشاري بن سعود الى خليل آغا خوفاً مما قد يصيبهم من عقاب . ولما علم الامير تركي بذلك أمر بضرب عنقي ابن معمر وابنه عقاباً لهما .

لم تقف القوات التركية حيث هي ، بل زحفت الى الرياض وهاجمتها لكنها انهزمت أمام صمود الامير تركي ورجاله ، ورحلت الى ثرمدا بانتظار تعليمات جديدة ، هذا الى جانب أن عبوش آغا ما زال في عنيزة – كقاعدة تركية في القصيم – ولما كانت مهمة خليل آغا – حركية – فقد بعث بأسيره – مشاري بن سعود الى عبوش آغا – حيث توفي رحمه الله في الاسر.

بالرغم من وجود قواعد عسكرية تركية في نجد ، وخاصة القوات القوات المتمركزة في القصيم وسدير والمحمل والوشم – هذه القوات التي أقيمت لتبعث الرعب والفزع والسلب والنهب واضطهاد المواطنين مما اضطر الكثير منهم الى الفرار في الصحراء – وعوقبوا على فرارهم بتدمير ممتلكاتهم وسلب أموالهم .. حتى النساء والاطفال لم يسلموا من الاعتداء .

كل هذا لم يُلن قناة الدرعية . وأحس (الباب العالي) أن الامر يتطلب أكثر من هذا تجاه عناد الدرعية البطولي . كما أنهم يعتقدون أن كل مقاومة في نجد هي أساساً من وحي الدرعية وبفعلها .

يدلنا على هذا وصول حسين بك أبو ظهر الى القصيم في عام ١٢٣٦ هـ [1]

---

(١) ١٢٣٧ هـ (ابن عيسى) .

ومن هنا أرسل عبوش آغا باشا لمهاجمة الرياض واحتلالها يجر معـــه جيشاً خليطاً من الاتراك والعربان مزودين بالمدافع والعتاد . أمام هـــذه القوات الزاحفة .. لم يكن أمام الامير تركي إلا اخلاء الرياض — فهو بعد لم تتح له الايام أن يجند ويجمع صفوفه لتلاقي مثل هـذه القوات . وخرج من الرياض سراً — ثم ظهر فيما بعد أنه التجأ الى الحوطة . ودخلت القوات التركيـة بقيادة عبوش آغا الرياض دون مقاومة . ومن ثم وصل اليهـــا حسين بك وصادر أموال أهـــل الرياض وسجن العديد منهم . كما أسر الامير عمر بن عبد العزيز وأولاده وبعث بهم الى مصر .

وحيث أن (عقدة) الاتراك هي — الدرعية — فقد أمر حسين بـك باخلاء الدرعية من أهلها تماماً وهم الذين عادوا اليها في ابان عودة ابن معمر والامير مشاري بن سعود وأسرهم جميعاً . وأدار الى الدرعية فوهات المدافع وصب عليها كل نقمته حيث دمرها تدميراً جذرياً هذه المرة وقطع جميـع نخيلها وأشعل فيها النار .

عاد حسين بيك الى ثرمدا وأقام فيها معسكر اعتقال زج بهجميـع أسراه من أهل الدرعية رجالاً ونساء وأطفالاً . وأعلن في ثرمدا بأنه سمح لسكان الدرعية بالسكنى في المدن والاقاليم التي يرغبونها وانه سيكتب لكل منهم رسالة لامير البلد التي سيذهب اليها ليكون عوناً له ومساعداً في محل سكناه الجديد. صدّق البعض هذا، وأتوا إلى ثرمدا وكانوا قلة وأبدى لهم حسين بك كثيراً من الاكرام ، مستهدفاً من ذلك أن يجتمع اليه أكبر عدد ممكن من أهل الدرعية — وما كان هذا الكرم إلاّ فخاً محكماً — ولما نفذ صبره اخرج الرجال من المعتقل و ... « دهمتهم خيل حسين بك بجوافرها وقضوا عليهم جميعاً بالسلاح الابيض والرصاص وسنابك الخيل ولم ينج منهم أحد . وكان عددهم (٢٣٠) رجلاً رحمهم الله جميعاً .

تتابعت السنين والاحداث على نجد .. فتن .. حروب .. قلاقل .. وضربت الفوضى فيها اطنابها .

هذا والدرعية مجرد اسم نقش على كل قلب .. وأخذت مكانها في صفحات التاريخ .. فلم تعد كما كانت بل اصبحت اطلالا وخرائب بعد أن دمرت مرتين .

وبعودة الامير تركي بن عبد الله الى الرياض واحتلاله لها عام ١٢٤٠ هـ وما بعده أصبحت الرياض عاصمة لآل سعود .

بقيت الدرعية طيلة حكم الامير تركي بن عبد الله الذي دام عشر سنوات من تاريخ دخوله عرقة عام١٢٥٠هـ قرب الرياض ثم دخوله اليها بقيتدون أن يكون لها شأن يذكر .. بل انه لا يوجد فيها من السكان إلا نفر قليل يعد على الاصابع . وخلال تولي الامير فيصل بن تركي الحكم بعد والده الذي قتل غدراً عام ١٢٤٩ هـ وهو في طريقه الى المسجد . أخذت الدرعية تنتعش شيئاً فشيئاً وبدأ يعود اليها بعض من هجرها من أهلها . بعد أن بقيت خالية من السكان أو تكاد مدة تزيد على ستة عشر عاماً . بينما نرى ان المقيم البريطاني في الخليج العربي الكلونيل (بيلي) يذكر انه مر بالدرعية عام ١٢٨١ هـ وهو في طريقه إلى الرياض .. وانه رآهـــا خاوية على عروشها . ولعله كان يعني بالدرعية ما رأى من الاطلال والخرائب . دون المزارع وما بينها من الدور .

وتتابعت الاحداث يجر بعضها بعضاً . ولما كنا هنا نكتب عن الدرعية فقط . فاننا نضع أمام القارىء قائمة باسماء الذين تولوا الامر في نجد وخاصة الدرعية والرياض بعد وفاة الامير تركي بن عبد الله .. معتمدين في ذلك على ما كتبه مؤرخا نجد ابن بشر وابن عيسى :

مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود	١٢٤٩ هـ — ١٢٥٠ هـ
فيصل بن تركي بن عبد الله	١٢٥٠ هـ — ١٢٥٣ هـ
خالد سعود	١٢٥٣ هـ — ١٢٥٧ هـ
عبد الله بن ثنيان بن سعود	١٢٥٧ هـ — ١٢٥٩ هـ
فيصل بن تركي (للمرة الثانية)	١٢٥٩ هـ — ١٢٨٢ هـ

عبد الله بن فيصل		١٢٨٢ هـ — ١٢٨٨ هـ
سعود بن فيصل	(سنة واحدة)	١٢٨٨ هـ — ١٢٨٨ هـ
عبد الله بن فيصل (للمرة الثانية)		١٢٨٨ هـ — ١٢٩٠ هـ
سعود بن فيصل (للمرة الثانية) [١]		١٢٩٠ هـ — ١٢٩١ هـ
عبد الله بن فيصل (للمرة الثالثة بعد وفاة سعود)		١٢٩١ هـ — ١٣٠٥ هـ
أبناء الامير سعود بن فيصل محمد وسعد وعبد الله (فترة من عام ١٣٠٥هـ)		
محمد بن عبد الله بن رشيد		١٣٠٥ هـ — ١٣٠٧ هـ
الامام عبد الرحمن الفيصل		١٣٠٧ هـ — ١٣٠٨ هـ

ثم تلا ذلك فترة استيلاء آل الرشيد على نجد . وهي نحو عشر سنوات.

وفي اطلالة اليوم الخنمس من شهر شوال ١٣١٩ هـ سقطت الرياض بيد الامام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وكانت فاتحة عهد الازدهار في أنحاء نجد قاطبة حتى تم توحيد هذه المملكة الفتية . وليس هذا مقام الحديث عن ذلك . إلا أننا نريد أن نصل الى أن الدرعية أخذت ذكريات كفاحها ونضالها تملأ الآفاق ورأت الامجاد التي بدأ بوضع أسسها الاولى الامير محمد بن سعود بن مقرن .. كما رأت ارتفاع علم الدعوة الخيرة التي قام بها شيخ الاسلام الامام محمد بن عبد الوهاب .. والتي كانت تناهضها بضراوة وعنف الاهواء والمصالح والمطامع السياسية ، بالرغم من أن كثيراً ممن ناهضوها كانوا يدركون في قرارة أنفسهم صدقها ودقة أمانتها — حتى من غير المسلمين — وقد اشرنا الى ذلك في فصول سابقة .

للبحث صلة

محمد الفهد العيسى

[العرب : نأسف لتأخر نشر هذه الحلقة متصلة بما قبلها ، بسبب ازدحام المواد] .

---

(١) توفي سعود بن فيصل في ١٨ الحجة سنة ١٢٩١ هـ

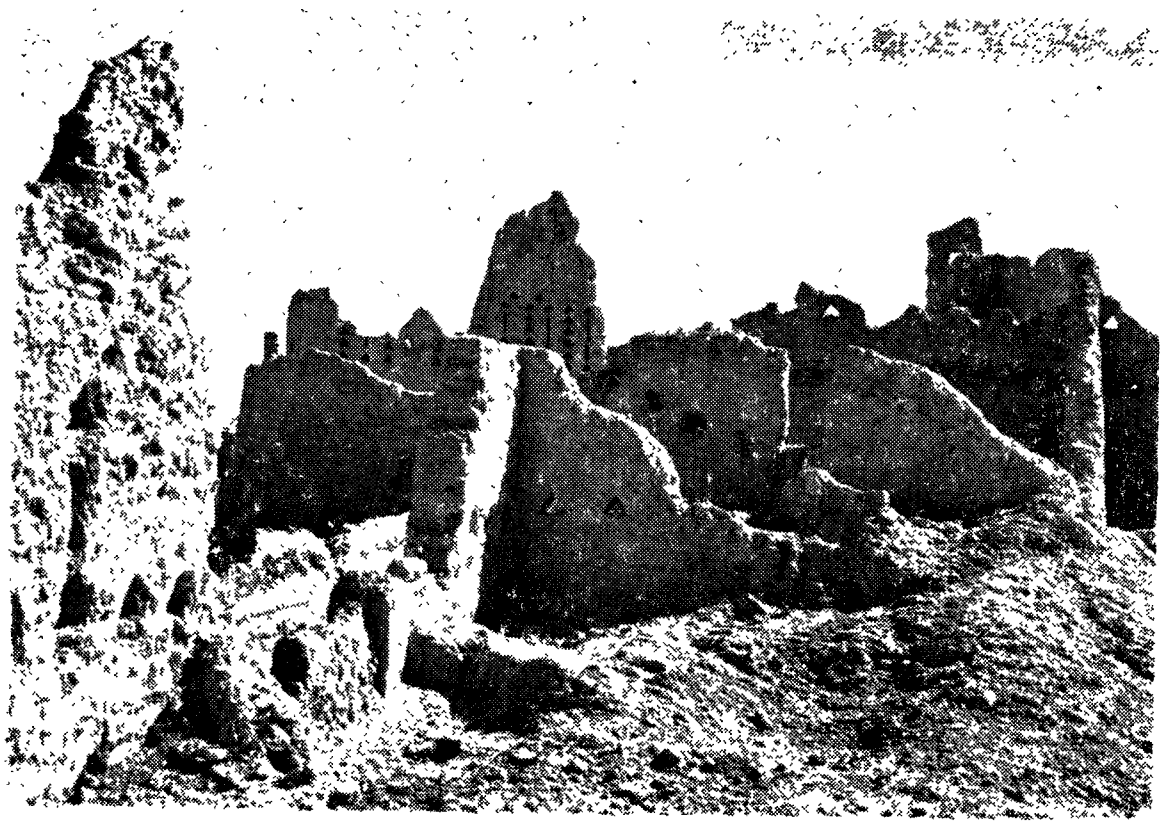

من اطلال الدرعية بعد تخريب الغزاة ، في سنة ١٢٣٣ هـ

انظر مقال « الدرعية قاعدة الدولة السعودية الاولى »

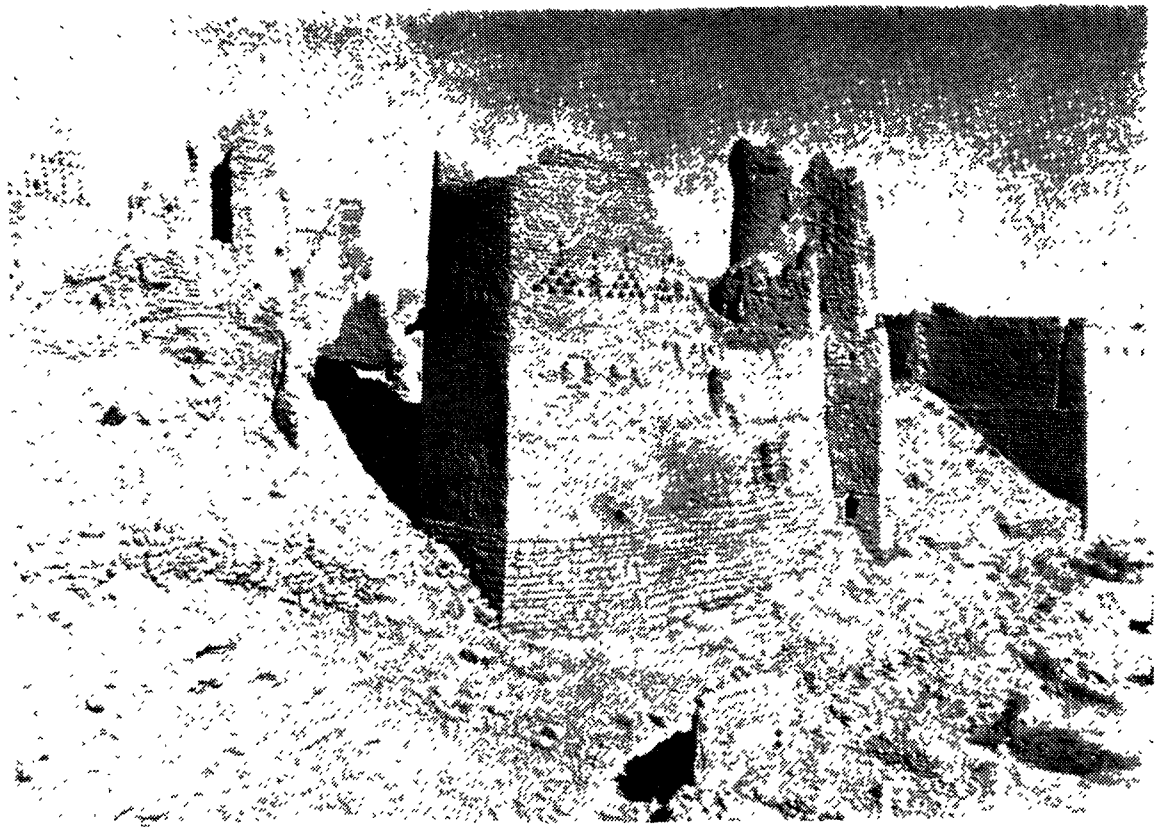

منظر آخر من مناظر الدرعية بعد تخريبها في سنة ١٣٢٣ هـ

انظر مقال « الدرعية قاعدة الدولة السعودية الاولى »

فصول لم تنشر من كتاب :

حج إلى نجد مهد العرب

الفصل الثاني

« هذه الأجمة الظليلة الموحشة ،
المقفرة ، أخف على نفسي من مدن
عامرة زاهرة »

شكسبير

قضينا أسبوعاً في دمشق ، أسبوعاً لم يكن كله سروراً ، ولو أنه كان آخر ما بقي لنا من حياة الحضارة . وكان علينا أن نبتاع ونرتب عدداً كثيراً من الأشياء وأن نفكر فيها ، قبل أن نبدأ في رحلة خطيرة كهذه ، كنا على علم أنها ليست سارة جداً مثل رحلتنا في العام الماضي . لم نكن نستطيع أن نترك أي شيء للصدفة مع توقع ثلاثة أشهر من التجوال ، والف ميل من الصحراء ، حيث من المستحيل الاعتماد على تموينات طازجة حتى الحياة الأكثر شيوعاً . كانت الجوف ، أولى المحطات في طريقنا ، على بعد أربعمائة ميل ، ثم لا بد لنا من عبور النفود ، برمالها التي تمتد مائتي ميل ، قبل أن نستطيع الوصول إلى نجد . وطريق العودة إلى الخليج ... أيضاً ، سيكون علينا أن نقطعها بدون أن نصادف أي شيء أوروبي مثل مدينة تركية . ولم يستطيع أحد أن يخبرنا عن أية مؤونة يمكن الحصول عليها في نجد ، عدا التمر والحنطة . كان تقرير السيد بلجراف ، في الواقع ، هو الدليل الوحيد الذي كان علينا أن نهتدي به ، وقد ثارت الريب عن دقته إلى حد شعرنا

معه أن نأخذ بعين الاعتبار ، إحتمال أن نجد أن مدن نجد مجرد واحات وأن زراعتها تقتصر على النخيل .

السيدة آن بلنت مؤلفة كتاب « حج إلى نجد » الذي طبع باسم « رحلة إلى بلاد نجد » وزوجها السياسي المعروف

إن محمداً — وهو أقل عدم مبالاة من معظم أبناء بلده في هذه المسائل — جعل نفسه الآن أكثر فائدة ، فهو يقضي ساعات كثيرة في السوق مع ولفرد، وكذلك فعلت مع الطباخ والجمـــال ، ولكونه عربياً من المدينة وتاجراً بالوراثة ، فقد وفر لنا وقتاً ومتاعب لا نهاية لهـا ، ومجيديات غير قليلة .

لقد بدأوا باختيار زي كامل من الملابس البدوية لولفرد ، لا للتخفي على وجه الدقة ، لأننا لم نرغب في ذلك ، حتى لو فعلنا كذلك ، لئـــلا نعتبر أوربيين ، بل لنتجنب لفت الأنظار الذي لا ضرورة له في طريقنا. وتتكون البدلة من جبة حريرية مخططة تلبس فوق جلباب وعباءة زرقاء وبيضاء من النوع المصنوع في القريتين ، وكوفية سوداء مطرزة بالذهب تثبت على الرأس بعقال بدوي من صوف الغنم الأسود. وأحضر محمد معه سيفاً كان يملكه جده، ونصلاً فارسياً قديماً معقوفاً يشبه المنجل . قدمه لولفرد وتلقى مقابله سلاحاً

أنيقاً إلى حد ما يشبهه، إلا أنه مرصع بالفضة ، وكانوا قد وجدوه في السوق. وهكذا صار محمد مهندماً ، لأنه كسي من جديد من قمة الرأس إلى أخمص القدم – وكان يحتاج ذلك كثيراً – ، اعتادا على الخروج في المدينة يتبختران كبدويين ماجدين . وكان (ولفرد) ببقائه صامتاً قادرا على أن يبدو لغير اليقظ كصديق غير مهتم ، بينما يقوم محمد بالمساومة على العباءات ، والكوفيات ، وسلع أخرى تصلح لتكون هدايا للمشايخ الذين قد نتعرف عليهم . كان (محمد) خبيراً باجراء مساومات شاقة ، وكان يعرف معرفة دقيقة الطراز الشائع في كل قبيلة بدوية ، وهكذا تركنا له حرية الاختيار . بالرغم من أن ذوقه لا يتفق دائماً مع ذوقنا . وكان الخطأ الوحيد الذي ارتكبه ، كما ثبت ، هو قلة تقديره لقيمة الهدايا اللازمة لحائل. فلم يكن لدى أيٍّ منا أقل فكرة عن الترف الموجود في نجد ، وكان محمد ، شأنه شأن معظم العرب الشماليين ، قد سمع عن ابن رشيد كشيخ بدوي فقط ، وتصور أن جبة حمراء ستكون بالنسبة له شيئاً في منتهى الجلال ، كما هو الحال بالنسبة لابن شعلان أو ابن مرشد . وكان معنا على أية حال ، بعض هدايا أخرى أكثر خطورة من هذه لنقدمها عند الحاجة ، في شكل بنادق ومسدسات ، ولهذا لم نحس بخطر حقيقي من وصولنا بأيدٍ خالية .

كانت السلع التي كان من نصيبي أن أشتريها ، بمساعدة عبد الله والطباخ ، كلها من النوع المفيد ، ولا تحتاج إلى وصف مفصل هنا . فبالنسبة للملابس ، لم يكن ضرورياً لي أن أقوم بأي تغير ، سوى أن أستعيض بالكوفية عن القبعة ، وأن أرتدي عباءة بدوية فوق معطف سفري العادي . وكان حنا وعبد الله كلاهما سيداً في فن المساومة ، وينافس أحدهما الآخر في تخفيض أسعار المؤن .

وكان التمر ، والدقيق ، والبرغل (وهو نوع من الحنطة المجروشة، ويقوم في سوريا مقام الرز) والجزر ، والبصل وبعض الفواكه الجافة – كانت هذه المواد هي عماد طهونا ، وابتعنا منها ما يكفي حتى الجوف . وكنا أحضرنا من انكلترا بعضاً من مرق لحم البقر ، وشربة خضار وكمية قليلة من الشاي إذا

دعت الحاجة . وكنا قد اتفقنا ألا نعتمد على كثرة المواد المحفوظات ، التي تزيد من وزن المتاع زيادة كبيرة ، وأن نعتمد على الصدفة في الحصول على اللحم باصطياد أرنب بري أو عزال ، أو قد نشتري خروفاً بين وقت وآخر .

بدأ كل شيء بداية حسنة . وظهر أن خدمنا ذوو قيمة كبرى ، ولم نجد أية صعوبة في الحصول على اثنين من العقيليين لنبدأ الرحلة معهما كجمالين . وظننا أن من الحكمة أن نحتفظ بسرنا فيما يتعلق بالاتجاه الذي نوينا اتباعه ، وكان من المفروض بصفة عامة أن بغداد هي وجهتنا الأولى . أخبرْنا محمد وحنا فقط بالقصد الحقيقي، لأننا نثق بهما . كان حنا هو الوحيد الذي تعاوده أحياناً نوبات من القنوط الناشيء عن المجازفة التي خاضها . لم يتظاهر بأنه بطل ، فله زوجة وأطفال ، وهو متعلق بهم تعلقاً صادقاً . وأحس وهو محق ، أن من الصعب أن تكون أواسط بلاد العرب هي المكان الملائم لشخص من أمته ومذهبه . ولقد جاء إلينا ذات صباح ليعلن عن نيته في العودة إلى موطنه في حلب ، واحتاج إلى قدر كبير من الملاطفة قبل أن يستعيد رباطة جأشه ؛ غير انني لا أظن مطلقاً أنه نوى جاداً أن يتركنا . لقد تحمل مشقة المجيء من حلب لينضم الينا ، وفوق ذلك ، فإن صحبة العملاق الشاب الذي يدعوه « أخاه » والذي سيشاركه خيمته ، قد أعادت اليه الثقة . وكنا على علم أنه عندما نبدأ في الرحلة ، سيتحمل بصبر كل ما قد يبتلينا به الحظ .

وفي اليوم الحادي عشر من الشهر (ديسمبر) ، كانت الاستعدادات الضرورية قد تمت ، وكنا متأهبين للبداية . وكاجراء مبدئي ، انتقلنا إلى بستان خارج المدينة بجمالنا وخيلنا حتى تكون لنا الحرية في أن ننطلق في أي صباح بدون أن نجذب الانتباه ، ودون أن يُعرف الاتجاه الذي نختاره . لقد كان الاعتقاد الشائع في دمشق أننا عازمون على أن نذهب إلى بغداد، ولقد صممنا على أن نتخذ تلك الوجهة ، لنتجنب التساؤلات من جهة ، ولأننا من جهة ثانية ، سنجد (محمد دوخي) معوِلْد علي في جرود ، أول قرية في الطريق إلى تدمر . ويبدو على الأرجح ، أنه هو الشخص الذي سيضعنا على

أول الطريق،وفي رحلات من هذا النوع تكون الخطوات الأولى هي الأصعب عامة ، إن لم تكن الأخطر. إن أطراف الصحراء غير مأمونة دائماً ، في حين انه بعد أن يُجتاز الشط ، إذا صح التعبير ، تصبح الفرصة في مقـــابلة أي إنسان عدو أو صديق ، قليلة نسبياً . فكرنا عندئذ أننايجب أن نتمكن من أن نحصل على رجل من (محمد دوخي) ،ليقودنا في خط مستقيم من جرود إلى نقطة معينة في وادي السرحان ، مبتعدين تماماً عن حوران ، وهي منطقة لها أسوأ سمعة ، متبعين طريقاً ذا برك أو آبار قد يعرفها البدو . إلا أننا بمجرد ما اتفقنا على هذا،ظهر (محمد دوخي) نفسه في دمشق على غير انتظار ، فتغيرت خطتنا .

إن محمد بن دوخي بن سُمير هو أعظم شخصية في الصحراء الشمالية الغربية بعد ابن شعلان ، وكان كما قلت آنفاً مشتبكاً آنذاك في حرب ضروس مع كبير الرولة . وكان هدفه من زيارة دمشق هو كالآتي : في أثناء الشتاء هاجمت فصيلة مكونة من خمسة عشر جندياً تركياً مخيمه ، بدون أن تكون هناك استثارة سابقة لهم ، وقتلوا باطـلاق النار إلى داخل المخيم امرأة وطفلاً . وكان هذا المخيم يحتوي على بضع خيام ، لأن القبيلة كانت آنذاك متفرقة بسبب المراعي ، وكان الشيخ نفسه غائباً مع معظم الرجـــال . وعلى أية حال ، فقد تمكن أولئك الذين بقوا في المخيم من أن يحيطوا بالجنود ويحاصروهم ، وقتل واحـــد من الجنود أثناء المعركة . ولولا حربة [1] ، زوجة محمد دوخي ، لكان ولد علي قتلوا بقية الجنود ، فقد اندفعت ووقفت بين المتقاتلين ولامت قومها على رعونتهم في توريط أنفسهم في خصام مع الحكومة . لقد أنقذت بجسارتها حياة الجنود . وأخذتهم تحت حمايتهـا ، وأرسلتهم في الصباح التالي محروسين إلى مكان أمين .

والآن (محمد دوخي) فيحرب مع الرولة،ويجد نفسه مضطراً لأن يحتمي من ابن شعلان وراء أسوار جرود، فانه بطبيعة الحال حريص على أن يصفي هذه

---

(١) ابنة فارس المزيد ، شيخ المسنة .

المسألة ، مسألة موت الجندي فقرر ؛ حالما سمع بقدوم مدحت إلى دمشق، أن يجعل له رصيداً لدى الباشا الجديد بزيارة مبكرة إلى (السراي) . كان ابن شعلان بعيداً عن الطريق ، وسيكون أول قادم ، بلا ريب ، هو الذي يجد استعداداً أكبر لينصب اليه . وبالاضافة إلى ذلك ، كان هناك أمر صغير يشغل ابن سمير يتعلق بحراسة حجاج دمشق ، التي كان يقوم بجزء أو يأمل أن يفعل . وكان عبد القادر صديقه ، وفي بيت الأمير حل وهناك لقيناه . ومحمد دوخي ، مع أنه نبيل من ناحية الدم ، ليس نموذجاً رفيعاً لشيخ بدوي عظيم . فأدبه مغتصب وليس سجية ، ويذكر المرء إلى حد ما بسلوك المدينة أكثر من سلوك الصحراء ؛ وهناك أيضاً قصص قبيحة عن افتقاره للإيمان ، ولا يجد المرء صعوبة في تصديقها حينما يراه . وعلى أيه حال ، فقد تظاهر بالكثير من السرور عند رؤيتنا من جديد ، وأبان عن إخلاص كامل لرفاهتنا وخططنا . انه هو نفسه سوف يصحبنا في المراحـــل الأولى من الطريق ، أو على الأقل سيرسل أبناءه أو بعض رجاله ؛ وعود تضاءلت إلى أن تمخضت في النهاية عن مجرد كتابة رسائل توصية بنا ، وفي القاء الكثير من النصائح . وبالنسبة لهذه ، فقد أخبرنا أن رحلة كالتي اقترحناها خارجاً عن حوران ستكون في الوقت الراهن غير عملية . فالأمطار لم تسقط خلال الشتاء ، الجمال كانت بلا ماء ، اللهم إلا في وادي السرحان ، حيث الآبار لا تنضب ، ولم يكن هناك أي مكان للسقيا صوب الجنوب على أي مسافة من التلال . ولذلك فقد نصحنا أن نترك دمشق سالكين طريق الحج ، التي تمر داخل حوران ، ونظل سائرين فيها حتى نأتي على بني صخر ، الذين سنجدهم مخيمين غير بعيد إلى الشرق منها . وهناك فرصة عظيمة لاتباعنا هذا الطريق تتمثل في مرافقة « الجردة » ، التي هي الآن على وشك الانطلاق إلى المزراب ، وهي محطة على طريق الحج . وأوضح لنا أن « الجردة» ، لأن الكلمة كانت جديدة علينا ، نوع من فرق الغوث ترسل كل عـام من دمشق لتلاقي الحجاج في طريق عودتهم إلى أوطانهم ، وتحمل معها مواد من جميـع ضروريات الحياة ومؤناً ، وجمالاً إضافية لتحل محل تلك التي انهكت .

ويحرس الفريق محمـــد دوخي ، أو على الأصح رجاله ، وبدا لنا أن فكرة انضمامنا إلى الفريق تتفق تماماً مع غرضنا ؛ ولو أننا عندما جئنا لنطبقها ، اتضح لنا أنها ذات قيمة ضئيلة مثلها مثل كل مواعيد الشيخ المصبوبة في قالب من الكلام الناعم .

وعلى أية حال كان لا بد لنا من خطة حسنة أو سيئة ، وان رسائل من رجل عظيم كابن سمير كانت ذات قيمة، حتى ولو كانت موجهة إلى غيرأهلها .

وعلى ذلك، ودّعنا الأصدقاء الدمشقيين ، في اليوم الثاني عشر من الشهر ، وكتبنا آخر خطاباتنا إلى انـكلترا ، وقلنا : وداعاً طويـــلاً لمسرات الحياة الاوربية وآلامها ، وفي اليوم الثالث عشر من الشهر انطلقنا .

١٣ ديسمبر :

أخيراً انطلقنا ، وفي يوم الجمعة الثالث عشر من الشهر . وليس لديّ أي اعتراض شخصي على يوم معـــين من أيام الأسبوع ، أو من أيام الشهر . ولكن مع واقع الأمر ، كانت الرحلة الوحيدة المشؤومة حقاً ، من بـين الرحلات التي قمنا بها يوم الجمعة ، ويعترف ولفرد أنه معتقد بالخرافات وأن قلبه مشحون بالتطير الأسود . وعلى أية حال ، فقد أصر على أن ننطلق هذه الجمعة ، وإنه يجادل ، وفي جداله تناقض ، أن التطير جانب للسَّعْد ، أو أن غيابه على أية حال مدعاة لسوء الحظ ، وأنه سيكون غير مأمون أن نبدأ رحلة في حالة نفسية بهيجة .

في منتصف الليل استيقظنا على صيحات اللصوص في البستان ، وجرينا من خيمتنا فوجدنا عراكاً يدور ، اتضح عندما أحضرت المصابيح أنـه نشأ بين رجلين ، أحدهما حارس البستان ، والآخر جندي ، قبض عليه الحارس . كان خدمنا واقفين حولهما ، وكان حنا واقفاً يتأمل شد وثاق الرجل بإحكام ، وهو يضربه بعصا ، وبين وقت وآخر تنطلق منه كلمات سباب : « يا لص، يا كلب ، يا خنزير ! يا خنزير ، يا كلب ، يا لص ! » وكانت القصة كما رويت لنا أن البستاني وجد هذا الرجل يجوس خلال البستان بحثاً عن غنيمة ، وبعد

جهد جهيد نجح في القبض عليه . لم تكن هناك على أية حال ، دمـاء أو جروح ظاهرة ، ولما كانت الأدلة على نيـات السجين الشريرة ليست قوية ، فقد أمر ولفرد بوجوب اطلاق سراحه بمجرد انبثاق ضوء النهار . فتسليم الرجل إلى العدالة كان في المحل الأول ، سيؤخر سفرنا ، وثانياً ، كان هناك احتمال أقوى ، أن المسألة برمتها مدبرة بين البستاني والمتهم من أجل الجائزة التي سيتقاسمانها . وكثير من أمثال هذه الملهاة الصغيرة مألوف جـداً في الشرق ؛ ولما أبينا أن نأخذ المسألة مأخذ جدٍ ، نفض الرجلان يديهما بانشراح ظاهر .

عند بزوغ أول خيط من خيوط الفجر نزعنا خيامنا ، وحمّلنا جمالنا ، وبعد بزوغ الشمس بقليل كنا فوق ظهور جيادنا ، وعلى بعد لا بأس بـه من المدينة نفذ السير إلى نجد! وفي البداية سرنا حول سور المدينة ، مارين بالبوابة التي يقال ان القديس بولس دخلها والمكان الذي تسلق منه السور ، ثم سرنا على طوار ضاحية الميدان ، وهو الحي الذي يحتله البدو عندما يقصدون المدينة ، وحيث وجدنا التدمري وجمالنا . هنا كان يجب أن نلاقي «الجردة» ، وانتظرنا بعض الوقت خـارج « بوابة الله » ، بينما ذهب محمد ليستفسر ، وليستأذن أصدقاءه التدمريين . أمام هذه البوابة يتجمع الحجاج يوم منطلقهم إلى مكة ، ومنها يسير طريق الحج صوب الجنوب في خط يـكاد يكون مستقيماً . ان طريق الحج سيكون هو مسلكنا حتى المزاريب ، وهو درب عريض مطروق ، ولو انه ليس طريقاً البتة طبقاً لفكرة الانكليز عـن الطرق . ومع ذلك ، فهو يثير نوعـاً من الفضول الرومانتيكي ، لا يستطيع المرء إلا أن يشعر به ، من حيث أنه يقود إلى هذا البعد ، ويمر من خـلال أرض موحشة جداً ، درب سار فيه مسافرون كثيرون جداً لم يعودوا أبداً . وأحسب أن قبراً قد حفر في كل ياردة منه ، في تاريخه الطويل ، على طول امتداده من دمشق إلى المدينة ، لأن الموت ينتشر دائماً بين الحجاج ، وخاصة في رحلة العودة نتيجة للكلال وقلة الطعام .

كانت قافلتنا وهي تنتظر في البوابة ، تمثل مشهداً جديراً بالتصوير .

فكل ذلول تحمل خرجاً يشبه أديم البُسُط ، وله عذبات تتدلى على الجانبين حتى منتصف المسافة إلى الأرض ، ولها (أي الذلل) « رشمات » مزخرفة لتطابق الأخراج . وللجمال أيضاً رغم أنها أقل زخرفة ، منظر بهيج ؛ وولفرد وهو يمتطي المهرة الكميت ملجمة ، لا ينقصه إلا رمح طويل ليبدو بدوياً كاملاً . وتتألف بقية جماعتنا ، بالاضافة إلى محمد وحنا ، اللذين يمتطي كل منهما ذلولاً ، من عبد الله « ابن عم » محمد ونسميه شيخ الجمال ، ومعه مساعداه العقيليان ، وعواد وهو زنجي ، وغلام حسن المنظر اسمه عبد الرحمن . ويحتل هؤلاء مع محمد واحدة من خيام الخدم ، بينما يحتل حنا و « أخوه » ابراهيم خيمة أخرى ، ذلك لأن التمييز حسب الطائفة الدينية حتى في الصحراء يجب أن يراعى . وأنها لميزة كبرى في الأسفار أن يكون الخدم غرباء بعضهم عن بعض إلى أقصى حد ممكن ، وأن يكونوا مختلفين في العنصر والمذهب ، لأن هذا يحول دون أي اتفاق بينهم على التمرد أو العصيان . فالعقيليان يكونان حزباً ، والتدمريون حزباً آخر ، والمسيحيان حزباً ثالثاً ، ولهذا ، ولو أنهم قد يختصمون ، فمن غير المحتمل أن يتحدوا ضدنا . ليس هناك أية صعوبة منتظرة من سبب كهذا ؛ لكن ثلاثة أشهر هي مدة طويلة بالنسبة لرحلة ، ويجب أن نفكر في كل شيء سلفا .

لم يغب محمد طويلاً في الميدان ، فعاد ليخبرنا أن « الجردة » لم يرها أحد بعد ، ولكنها قد تكون في « خانٍ » ما ، على بُعد بعض أميال على الطريق ، يسمى « خان ذي النون » . كان لا جدوى من انتظارهم هناك ، فانطلقنا ، بعد أن ودّعنا صديقنا ، السيد سيوفي — لأنه كان قد رافقنا إلى ذلك المكان — . لم تتسم رحلتنا أول يوم بأي شيء جدير بالذكر ؛ سوى غزال عبر الدرب ، وعراك طريف إلى حد ما بين حدأة وباز وغراب ، فاز فيه الغراب بكل الغنيمة. ومن رأس حرف غير عالٍ ، التفتنا إلى الخلف وألقينا آخر نظرة على دمشق ، بمناراتها وبيوتها الغارقة في الخضرة . أظن أننا لن نرى مزيداً من المباني لأيام كثيرة . وإلى اليسار منها ارتفع جبل الحرمون ، كتلة مهيبة ، قائمة في الشمس الحارة ، لأن الصيف رغم أننا في

ديسمبر لم ينته بعد . حقاً ، لقد عانينا اليوم من الحر أكثر مما عانينا خلال رحلتنا الماضية بكاملها . لم نجد في ذي النون اشارة أو خبراً عن « الجردة »، ولهذا قررنا أن نسير بدونها . ففي طريق كهذه لا يمكن أن نحتـــاج إلى حراسة ، إذ أن هناك الكثير من الناس يعبرون طول اليوم ، ومعظمهم مثلنا ذاهبون إلى المزاريب للسوق السنوي، الذي يقام هناك بمناسبة زيارة «الجردة» ، وبينهم أيضاً ، « طبطبة » وجنود ؛ وهناك العديد من القرى في الطريق . ملأنا قربنا بالماء في « ذي النون » وخيمنا ليلتنا هذه ، وهي أولى لياليا ، على أرض مرتفعة تواجه الهرمون. إنها أمسية هادئة بهيجة ، ولكن لا قمر هناك ، الشمس تغرب في الساعة الخامسة .

١٤ ديسمبر :

ما زلنا على طريق وعبر أرض مزروعة ، خصبة جـــداً للقمح أو الشعير كما يقول محمد ، ولو أنها مغطاة بطبقة رفيعة الحجارة . وهذه الحجارة سوداء وبركانية ، لامعة وناعمة ، تماماً كما كانت حينما قذفت من حوران عندما كانت حوران بركاناً . وتبدو التربة كأنها يجب أن تنبت كروماً ، ويقول البعض: إن العناقيد التي أحضرها الجاسوسان ليشوع، جاءت من مكان قريب من هنا . والقرى التي مررنا بعدد منها ، سوداء ولامعة أيضاً ، منظرها كئيب حتى من نور الشمس ، بدون شجر أو أي شيء سار يسترعي النظر حولها . والحقول في هذا الوقت من السنة عارية بطبيعة الحال عن أي محصول، ولم ينزل المطر منذ مدة طويلة حتى أن الأعشاب قد ذهبت . هذا القسم هو ما يسمى اللجاة ، وهو إقليم يتألف جميعه من صفاة سوداء ، ومثير الاهتمام لعلماء الآثار القديمة ، من حيث إنه أرض عوج ، ملك باشان ، الذي يحسب البعض أن مدائنه توجد في شكل خرائب حتى الزمن الحاضر .

في منتصف النهار مررنا بخربة صغيرة ، حكا لنا محمد عنها حكاية غريبة ، فمحمد قد مر بهذا الطريق من قبل ، لأن والده كان في وقت ما مقاول جمال مع الحجاج . تقول الحـكاية : في زمن من الأزمان كان يوجد طفلان ، تيتما

في عمر مبكر . وخرج الأكبر وكان ولداً إلى العالم ينشد حظه ، بينما تربى الآخر وكان بنتاً لدى أسرة محسنة في دمشق . وبمرور الأيام تقابل الأخ والأخت صدفة ، وتزوجا ، على غير علم بقرابتهما ، لأن الزواج طبقاً للعرف الشرقي رتبه لهما آخرون . ثم اكتشفا عند تبادل الآراء والمعلومات ، الخطأ الذي وقعا فيه ؛ وتحت ضغط حماسه الجارف للتكفير عن الذنب الذي اقترفاه غير عامدين ، استشار الشاب حكيماً عما يجب أن يفعله ككفارة . ونُصح بأن يحج إلى مكة سبع مرات ، ثم يعيش سبع سنوات أخر في مكان قفر على طريق الحج يقدم الماء للحجاج . ففعل ذلك ، واختار المكان الذي مررنا فيه لأداء القِسْم الأخير من كفارته . وحين انقضت السنوات السبع ، عاد إلى دمشق ، وظل المنزل الصغير الذي بناه وشجرة التين التي غرسها سجلاً يروي قصته . ولم يستطع محمد أن يخبرني عما جرى للفتاة ، وبدا عليه أنه يظن أن الأمر لا يهم .

لقد ظل يحدثنا كثيراً عن واجبات الأخوّة ، حديثاً بدا نوعاً ما كالايحاء . فيجب على الأخ الموسر في تصوره ، أن يقدم هدايا للأخ المعدم ، لا تقتصر على الملابس الرفيعة ، بل تشمل مهراً رفيعاً ، أو ذلولاً رائعة ، أو عشرين رأساً من الاغنام ـ بينما يجب على الأخ المعدم أن يحرص على حماية حياة حليفه الذي عاهده ، أو إذا لزم الأمر ، أن يأخذ بثأره . وسأله (ولفرد) كيف سيحقق هذا الأمر الأخير إذا حدث . فقال محمد : « بادىء ذي بدء يجب أن أعرف من هو الذي سفك الدم . سأسمع مثلاً ، أنك كنت مسافراً في حوران وقتلت ، ولكنني لا أعرف من هو القاتل . عندئذ سأترك تدمر ، وآخذ معي بعيرين حتى أبدو كأنني ذاهب لعمل ، وأتجه إلى المكان الذي مت فيه ، تحت اسم مستعار ، وأتظاهر بأني أرغب في شراء حنطة من أقرب قرية ، وسأتعرف بالعجائز ، اللاتي هن دائماً أكبر ثرثارات ، وسأعرف عاجلاً أو آجلاً كل شيء عن الأمر . ثم ، عندما أجد الشخص الحقيقي ، سأراقب حركاته وسكناته بدقة ، وسأختار الفرصة المناسبة لمباغتته وأُعمِل فيه سيفي . ثم سأعود إلى تدمر بأقصى سرعة تستطيع ذلولي حملي بها . »

واعترض (ولفرد) قائلاً : اننا في انكلترا ظنناه أكثر شرفاً أن تمنح العدو فرصة للدفاع عن نفسه ؛ لكن محمدا ما كان ليصغى لهذا ، فقال : « إن هذا ليس صواباً . فواجبي هو أن آخذ بثأرك ، لا أن أقاتل الرجل ؛ وإذا سنحت الفرصة ، فسأثب عليه نائماً أو أعزل من السلاح . وإذا كان فقيراً بائساً ، أو غـــير ذي أهمية ، فسأستعيض عنه بواحد من أقربائه ، رأس العائلة إن أمكن . لا أستطيـع أن أوافق على طريقتكم في إنجاز مثل هذه الأشياء . ان طريقتنا هي الأفضل . » كان في إمكان محمد أن يعلل (إنما العرب لا يعللون) ،بوجود آخرين (بالإضافة اليه) يهمهم أن يتم الأمر أكيداً وبطريقة سرية . إن الذي يتأثر لا يحمل حياته على كفه فقط ، وإنما حياة كل أسرته فإذا فشل في أن ينتقم وقُتل ، جر عليهم دين دم آخر وعلى أية حال ، لم يكن ضرورياً بالنسبة لمحمد أن يعلل مثل هذه النقطة . فما وصفه كان هو العادة ، وكان ذلك كافياً .

نحن الآن إلى جنوب من قرية (قُنيَّه) Gunayeh حيث ارسلنا محمد امع ذلول لشراء تبن . فلا يوجد هنا كلأ للجمال ولا أي شيء تأكله الخيل . نستطيع أن نرى إلى الشرق الخط الأزرق لسلسلة حوران ، وإلى الغرب تلال سوريا من حرمون إلى عجلون . ورويت لمحمد قصة وقوف الشمس ساكنة فوق حرمون والقمر فوق عجلون ، فأخذها كقضية مسلم بها، ولم يقل شيئاً سوى أنه لم يسمع بها من قبل .

نسيت أن أقول اننا عبرنا بالطريق الرومانية القديمة عدة مرات هذا اليوم. وهي محتفظة بنفسها في حالة حسنة ،إلاّ ممر القوافل الحديث يتفاداها. وربما كانت العربات في الزمن الخالي مألوفة، وكانت تحتاج إلى طريق مرصوف بالحجارة . ولا توجد الآن مثل هذه الضرورة .

وفي غبغات ، وهي قرية مررنا فيها حوالي الساعة الحادية عشرة ، وجدنا خزاناً مملوءاً بالماء من نبع ، وبينما كنا منتظرين هناك نسقي الجمال ، مر ثعلب يجري يطارده كلبان سلوقيان ، سرعان ما وثبا عليه وقتلاه . كان أحد الكلبين ؛ ولونه أزرق أو فضي ضارب إلى الاغبرار ، لطيفاً جداً وحاولنا

أن نشتريه من صاحبه ، وهو جندي ، ولكنه لم يقبل أن يأخذ نقوداً . بعد ذلك عدونا شوطاً صغيراً ، أثار فينا السرور بفرسينا . ولكننا كنا نحس بالتعب حتى من هذا الشوط القصير ، لأننا لم نتدرب بعد ، ولأننا نحس بحرارة الشمس .

الأحد ، ١٥ ديسمبر :

تركنا ريف اللجاة ، وها نحن الآن في حقول عارية فسيحة ، وهي منطقة فلاحين رائعة ، ولكنها ليست جذابة مثل سهول المانيا وشمال فرنسا . إن هذه الحقول ريانة أحسن من اللجاة ، وقد عبرنا اليوم عدداً من الجداول فوق جسور مبنية بالصخور وهي جزء من الطريق الرومانية . واعتقد أن الجداول تجري حتى تنتهي في الأردن ، وتكوّن في مكان واحد مستنقعاً إلى اليمين من الطريق ، قال عنه محمد إنه موبوء بلصوص يتربصون بين قصب الغاب الطويلة ، وعندما يقعون على غنيمة يسرعون بأسلابهم ، ويختفون في المستنقع فلا تستطاع متابعتهم . لم نر شيئاً مريباً ، على أية حال ، ولا أي شيء يثير الاهتمام ، سوى سرب ضخم من القطا ، اصطدنا أربعاً منها حين مرت فوق رؤوسنا . وكان هناك أيضاً أسراب من الزرازير كالسحب المتراكمة ، وأجفلنا أرنباً برياً . مررنا بقرى كثيرة ، أهمها شمس كين (shemskin) ، حيث توجد خربات مدينة قديمة . ثم مالت طريقنا إلى اليمين ، تاركين الطريق الرومانية نهائياً . وتقود هذه الطريق إلى بصرى ، المدينة الرئيسية في حوران في الأزمنة الغابرة .

توقفنا في تافاز (Tafazz) لنزور بعض التدمريين المقيمين هناك ، وهم أقرباء لمحمد ولكن ليس من جهة آل عروق ، وهم قوم وجهاء جداً ولو أنهم كقرائب غير جديرين بالاحترام الا قليلاً . تبدو تافاز من الخارج ككومة من الخرائب ، تحجب نصفها تلال من الروث والنفايات .

وقد انتشر الطاعون هذا العام بين الماشية ، وترمى الأبقار الميتة في كل مرحلة من مراحل التعفن . وجدنا صعوبة في تلمس طريقنا بينها إلى الكوخ

الصغير البائس المبنى من الطين حيث يعيش التدمريون. وتتكون العائلة من أخوين في منتصف العمر مع امهما وزوجتيهما ، وابنة مليحة اسمها شمسة، وبعض الأطفال ، ورجل عجوز هو العم أو الجد . وفي التو كان جميع هؤلاء متجمعين حولنا ، ويحضنون ويقبلون محمدا الذي ولا بد أن أقولها ، لم يبن عن كبرياء زائفة بالرغم من ملابسه الرفيعة ومظهره النبيل . كان استقبالهم لنا هؤلاء المساكين حاراً ، وفي بضع دقائق كان البن يُدَقّ ، وأعد إفطار من خبز فطير ؛ رقيق طيب ، وبيض مخفوق (أومليت) ، ولبن رائب ، ودبس مصنوع من الزبيب ، وبينما كنا نفطر ، نظر من خلال الباب جحش صغير ساغب يقف في الفناء ، وكانت هناك بعض الدجاج وكلب سلوقي مليح أصفر ، وأظنها جميعاً جائعة ، تراقبنا بشغف . وكان الناس مغمومين جداً بسبب الافتقار إلى المطر ، وفقدانهم ثيران الحرث ، وكلا الأمرين يجعل آمالهم في العام القادم تحيط بها الشكوك السود . لقد أخبرونا على أية حال ، أنه كان لهم مخزون طيب من الحنطة في مستودعاتهم التي تحت الأرض ، يكفي لسنة أو أكثر ، وهذا ما يكشف عن قدر من التدبير أكبر مما كنت أتوقع منهم . فمن الضروري في هذه الأقطار أن يحتاط للمجاعات التي تحدث كل بضع سنوات ، وفي الازمنة القديمة أعتقد أنه كان مألوفا لدى الجميع أن يخزن حصاد عام .

أخيراً سمحوا لنا بالرحيل ، بعد توسلات كثيرة أن نقضي الليلة تحت سقفهم ، واعدين أن رجال الجماعة سيلحقون بنا في اليوم التالي في المزاريب ، لأن المزاريب كانت قريبة . وصلنا هناك حوالي الساعة الثالثة ، وها نحن مخيمون على قطعة من الأرض الصحراوية ، حيث تقام السوق . ان المنظر من خيامنا بالغ الحسن ، سلسلة رائعة من التلال البعيدة ، وعجلون إلى الجنوب الغربي ، وبحيرة على بعد ميل تقريباً ، تبدو زرقاء صافية ، وفي صدر المنظر خان أو حصن خرب بديع إلى حد ما ، وإلى اليسار تقع خيام السوق ، وأغلبها بيضاء وذات طراز تركي . ويوجد منها حوالي مائة وخمسين مرتبة في أربعة صفوف ، تشكل ما يشبه الشارع . وتقع قرية المزاريب على

جزيرة في البحيرة ، ويربطها بالشط طريق مرتفعة مبنية بالصخور ، ولكن السوق يقع على البر . ويوجد حشد كبير من الناس بجياد وحمير وجمال ، وهناك المزيد يفد باستمرار من جميع الأركان . انهم لم يوجهوا بعد اهتماماً كبيراً بنا ، ولهذا فقد أصبحنا قادرين على أن نجد الراحة لأنفسنا . هناك ريح باردة تهب من ناحية الجنوب، وفي السحاب ما يشبه المطر . لم أتمن المطر من قبل أثناء رحلة ، ولكنني الآن أتمنى ذلك من كل قلبي ؛ فهؤلاء الناس المساكين يحتاجون إليه احتياجاً شديداً .

١٦ ديسمبر :

لم نفعل اليوم شيئاً غير تلقي الزيارات . ففي البداية جاء حوراني ، قال عن نفسه إنه شيخ ، وأخبرنا أن سطام بن شعلان والرولة في مكان ما قرب الأزرق Ezrak . وإن يكن هذا صحيحاً فسيكون من حسن حظنا ، ولكن تقارير أخرى جعلته أمراً مشكوكا فيه. وزائر آخر أكثر إثارة للاهتمام كان شاباً ، من أهل بريدة في نجـــد ، سمع أننا في طريقنا إلى الجوف ، فجاء لينشىء صداقة معنا . ورغم أنه شاب مهذب، فمن الواضح أنه غير ذي شأن أو مركز في بلده ، وهو يعترف أنه كان خادماً لشخص مـــا في بغداد ، إلا أنه اعتماداً على نسبه المفترض إلى بني لام في نجد ، ادّعى أن له قرابة نسب بمحمد،ولقد ظلا جالسين معاً جلسة فيها ود طول فترة الصباح، وكلاهما ممسك بأحد طرفي مسبحة محمد . استجوبناه عن نجد ؛ ولكن رغم أنه يعرف حائل والقصيم وأماكن أخرى ، إلا أنه لا يستطيـع أن يدلي إلينا إلا بالقليل من المعلومات الحقيقية . ويبدو أنه ترك نجد غلاماً . وعلى أية حـــال ، فاننا مبتهجون بالقليل الذي أخبرنا به ، فهو على ما يظهر يأخذها قضية مسلماً بها، أن كل فرد في نجد سيسره أن يرانا،وقد أعطانا أسماء أقربائه وعناوينهم هناك.

ذهب محمد البارحة ليرى إذا كان أحد من مشائخ بني صخر في السوق ، لأن الرسائل التي معنا من محمد دوخي هي لهم ، وفي منتصف النهار قدم إلينا ساخن Sakhn ابن فندي الفائز ، الرئيس الأسمى للقبيلة . كان شاباً ذا

طلعة غير سيئة ، وحين أريناه الخطابات التي من محمد دوخي إلى والده ، أخبرنا أن الشيخ وصل لتوه ، ولهذا أرسلناه ليأتي به ، وبينما كان حنا يعد القهوة ، جاء الرجل العجوز إلى خيمتنا . وهو بالذات مختلف جداً عن أي من شيوخ عَنزَة الذين رأيناهم ، وإنه ليذكر المرء بالجبوريين ، أو عرب الفرات الآخرين . إن بني صخر هم في الواقع عنصر شمالي ، وهو عنصر متميز تماماً عن العنصر النجدي ، الذي تنتمي إليه كل من عنزة وشمر . إنه رجل عجوز لطيف فيه حيوية ، وملامحه عابسة، ولحيته بيضاء، وأنفه جميـــل ، مما يذكرنا بالأنماط العربية التقليدية المذكورة في الكتب المقدسة المصورة ، وبدا أنه يتفق مع رأي سمعت به أن بني صخر هم حقاً بنو (يساكر؟) ، وهي قبيلة مفقودة .

كان الشيخ « متمسكاً بالرسميات جـــداً » ، ووجدنا من الصعب أن نستمر في الحديث معه فهو إما أنه لم يكن لديه الكثير ليقوله ، أو أنه لم يحرص على أن يقوله لنا ؛ ودار الحديث أساساً بين ابنه الثاني طلال ،وتاجر مسيحي (وهو هنا في عمل) ومحمد . ولم نطرق نحن أنفسنا موضوع رحلتنا ؛ ولكن بعد تقديم القهوة كان لمحمد حديث خاص مع الشيخ ، كانت نتيجة دعوة منه إلى خيمته ، التي وصفها بانها تقع في مكان ما قرب « الزرقا » على طريق الحج ، ومن هناك سيرسلنا إلى معان ، ثم نهائياً إلى الجوف . وعلى أية حال ، فان هذه الخطة لا تناسب ولفرد على الاطلاق ، فهو قـــد صمم على ارتياد وادي السرحان ، الذي لم يرتده أحـــد من الأوروبيين ، ويصر على وجوب ذهابنا أولاً إلى الأزرق . ويظهر أن فندي لا يستطيع أن يأخذنا في تلك الطريق ، لأنه ليس على وئام مع الكريشه Kreysheh ، وهم بطن من قبيلته تقع مواطنهم على الطريق . وربما يكون أيضاً خائفاً من الرولة . إنه أمر محير ، كبداية لا بد لنا منها عند الانطلاق ، ومع ذلك فلا نستطيع أن نخرج عن طريقنا ، أو حتى أن ننتظر انتظاراً لا نهاية له ، حتى يكون فندي مستعدا . وفضلاً عن ذلك فأهل (الجردة) لا ينتظر وصولهم لمدة يومين آخرين ، وربما يمر أسبوع قبل أن يواصلوا المسير .

وفي وقت لاحق من النهار جاء سطام Sottan ، ابن فندي الأصغر ، إلينا وعرض أن يصحبنا بنفسه إلى الجوف، ولكن بمقابل كان في جملته يتجاوز ما في خاطرنا . لقد سافر مرة مع بعض الانكليز على الحدود السورية ، وكوّن فكرة حمقى عن النقود . وكان المبلغ الذي فكرنا في منحه هو خمسة جنيهات ؛ وكان هو يتحدث عن مائة . ولذلك فقد صرفناه وبعد ذلك أيضاً ، جاء شمرى من الجبل ، قال إنه يقبل أن يذهب لقاء خمسة عشر مجيدياً ، وآخر من الكريشة Kreysheh تقدم بعرض مماثل . استخدمنا الاثنين كليهما ، ولكن أياً منهما لا يستطيع أن يفعل أكثر من أن يرينا الطريق، ولن يكونا وسيلة لتقديمنا إلى الناس والتعريف بنا . إن كل التقادير تشير إلى أن الصعوبة في الهبوط إلى وادي السرحان سببها الشرارات ، الذين يتجمعون حوله ، والذين لا يستطاع التعامل معهم بسهولة لعدم وجود شيخ لهم بانتظام . وهم على أية حال ، خائفون من مشائخ بني صخر ، وخائفون بالطبع من محمد دوخي وابن شعلان ؛ ولو استطعنا أن نجد ممثلاً خاصاً لأحد من هذين ليذهب معنا ، فسيكون كل شيء على ما يرام . ولكن المسألة هي كيف نجد واحدا كهذا .

ولقد كان يوماً حاراً جداً وشاقاً ، ودلائل سقوط المطر قد ولّت . وبلغت درجة الحرارة كما يشير الترمومتر حوالى ٨٦° فرنهيت .

١٧ ديسمبر :

قررنا الا ننتظر هنا أطول مما انتظرنا ، ونبارح غداً في اتجاه الأرزق ، واثقين ان نجد أحداً ما على الطريق . ولسوف نمر على بصرى ، وربما يكون لنا حظ افضل هناك .

ويبدو أن صاحبنا الشمري يظن أن الأمر سيكون على ما يرام ، لكن الكريشي عاد هذا الصباح وطلب ثلاثين جنيهاً ، بدلاً من الجنيهين وعشرة الشلنات، ولقد قال لمحمد أن فندي هو الذي أخبره أن يطلب هذا المطلب . ويبدو أنه مع فندي ، رغم أن فرع القبيلة الذي ينتمي اليه ليس على وفاق مع كبيرهم الأساسي . وعلى أية حال ، فهو لا يزال يتحدث عن مجيئه على

أســـاس الشروط الأصلية ، ولكن ذلك سيكون بدون إذن فندي . ومن الضروري تماماً أن تكون ، أو تتظاهر بأن تكون ، مقتراً مع هؤلاء الناس ، لأنهم يعتبرون أن تبديد النقود هو تصرف البلهاء .

أُرسل محمد إلى السوق ليبتاع للمرة الأخيرة ما نحتاج اليه ، وليبحث عن بعيرين آخرين . لقد أصبح مقرراً الآن أن نسير عن طريق وادي السرحان، ولذلك فنحن مضطرون أن نشتري بعيرين إضافيين ، ليحملا طعـــاماً لبقية الرواحل . وما كنا لنضطر لهذا في المواسم العادية ، لكن هذا العام كل إنسان يخبرنا أننا لن نجد كلأ . إن «العليق» ، وهو طعام الجمال في دمشق ، مصنوع من نوع من الحبوب ، تشبه حبات الفول المشوهة الشكل أو العدس ، وقشرتها الخارجية خضراء وبذرتها حمراء . ويعجن في الماء مع دقيق حنطة ، ثم تصنع منه كرات بيضاوية الشكل طول كل منها خمس بوصات . ان ستاً من هذه الكرات طعـــام يومي لبعير واحد ، وهي تكفي لبقائه سميناً ، لو استطاع أن يلتقط بعض النفايات في الطريق أما المهرتان فنحن نحمل لهما شعيراً .

وصل عامر وسليم، وهما من أقربائنا من قفاز ، ليؤديا زيارتهما الموعودة ، وربما يرافقاننا غدا . أحضرا معهما مكيالاً من (الفريكة) ، وهي حنطة مجروشة جرشاً ناعماً ـ نوع من البرغل ـ وبعض الخبز ، ودجـــاجتين ؛ أحضرا أيضاً معطف محمد المصنوع من جلد الخروف ، الذي كانت واحدة من النسوة تبطنه له ؛ وأخيراً ، الكلب السلوقي الصغير الذي رأيناه في بيتهما ، كل هذا بصفة هدية أو هكذا تقريباً طبقاً لعادات البلاد .

عاد محمد يحملين لأخذ موافقتنا ، واحدهما رشيق جداً ، إلا أن قوائمه طويلة نوعاً ما ، والآخر قصير وعريض الصدر كملاكم محترف . دفعنا ثمناً لهما عشرة جنيهات واحد عشر جنيهـــاً . ولا شيء غير هذا ، ان نترك المزاريب غداً .

وبينما أكتب هـذا تسود السوق جلبة شديدة وصيحات اللصوص ، إنهم يغطسون رجلاً في البحيرة . (للبحث صلة)

أحاديث :

حول تراثنا المبعثر في مكتبات العالم

- ٣ -

[تتمة ما نشر في الجزء الماضي]

قال أبو محمد سهل بن أحمد الديباجي : أنشدنا أبو بكر ، محمد بن الحسن بن دريد هذه القصيدة الثائيّة ببغداد في أحد شهور سنة عشر وثلاثمائة – ثم أورد القصيدة كاملة في ٩١ بيتاً ، مشروحة – في سبع ورقات – وقال بعدها : (وهذه قصيدة مالك بن الريث (الصواب: الريب بالباء) وشرحها لبعض العلماء ثم ساقها مع شرحها – ٤١ بيتاً – .

وفي الورقة الحادية عشرة : وهذه قصيدة فرج بن سعد الطائي ، التي خاطب بها الجِنّ ، ذكر فرج بن سعد الطائي أن الجن طرقته ليلاً ، فسألته عن شيء من عريب اللغة ، بشعر قالوه ، فأجاب على كل بيت بمثله ، زاد بعض أهل عصره كلاماً كالشرح لبعض ابيات القصيدة . قلت : وهذا من خزعبلات العرب :

طَرَقتْني تحت الظلام قوافٍ – بَعدَ وَهنٍ – محبوكة محكماتُ
طرقتني جَهَاضِمُ الجنّ ، ليلاً شعراء ، عليهم الحَبَراتُ
حين أغفى الدثور ، وعلنكس الليل ، ومدّتْ أطنابها الظلماتُ.

ثم أورد اثنين ومائة من الأبيات ، على هذا النمط ، مشروحة .

وفي الورقة الخامسة عشرة أورد قصيدة لابن المقري الشافعي اليمني ، وأشعاراً وترجمة له ولبعض علماء اليمن ، وهكذا نجد الجزءين من هذا الكتاب يحتويان على قصائد من الشعر قديمة وحديثة ، تراجم وأخبار ، وحكم وأمثال مسرودة سرداً .

ونجد الورقة (١٦٠) من الجزء الثاني إلى الورقة (١٦٤) جزءاً من

شعر المؤلف عنوانه : (نبذة من المختار من ديوان شعر ابراهيم بن يوسف المهتار الرومي ، المكي الحنفي) والجزءان بخط المؤلف نفسه ، جـــاء في الورقة الـ ٢٠٩ ج ٢ : (تمّ المجموع المسمى نسيم الصبا ، ونديم الصبا (كذا) . جمع الفقير إلى عفو الكريم الغفار ، ابراهيم بن يوسف المهتار ، ثم التاريخ (ضحى يوم السبت ١٦ شعبان سنة ١٠٩٥) وفي طرة الجزء الأول : (نسيم الصبا ، ونديم الصبا ، تصنيف الفقير إلى عفو الكريم الغفار ، ابراهيم بن يوسف المهتار ، وله تصنيف آخر سماه « الروض الأرج » على هذا الأسلوب ، صنفه في سنة ١٠١٦) ويقع الجزء الأول في ٧٧ ورقة من القطع الكبير والجزء الثاني ٢٠٤ .

ورقم الكتاب في فهرس (مكتبه علي أميري) ٢٥٢٨ .

مكتبة (أياصوفيا) :

خزانة الكتب التي في متحف (أيا صوفيا) تضم طائفة من المخطوطات النفيسة النادرة .

وقد تحدثت عن شيء مما فيها من الكتب العربية (في رحلتي الأولى إلى اسطنبول منذ بضع سنوات) .

ففيها نسخة تقع في مجلدات من كتاب (المنتظم في تاريخ الأمم للعلامة ابن الجوزي تنقص يسيراً من أثنائها وفيها نسختان من كتاب (مسالك الأبصار) احداهما تقع في عشرين مجلداً، وتحمل الرقم (من ١٥ / ٣٤٣٤) في الفهرس، والأخرى تقع في خمسة مجلدات ، ورقمها (٣٤٣٥)

ومما تنبغي ملاحظته انني في حديثي عن المكتبات لا اتعرض لوصف ما فيها من نسخ للكتب المشهورة المطبوعة أو المخطوطة ، التي تكثر نسخها في المكتبات الأخرى ، ولهذا تقل المخطوطات التي أشير اليها أو أصفها، وينصب حديثي في كثير من الاحيان على المؤلفات النادرة التي لها صلة بتاريخ بلادنا

(جزيرة العرب) أو أدبها ، أو جعرافيتها - في العهد القديم - مما هو غير معروف .

زرت هذه المكتبة في ٢ / ٩ / ١٩٦٥ - وكان مما طالعته من مخطوطاتها

١ - كتاب في (فضائل مكة والمدينة) مسجل تحت رقم (٣٠٩٠) من الفهرس المطبوع . ويقع في (٤٠٤) صفحة من القطع الوسط ، مخطوطة في شهر رجب من سنة ست ثلاثين وثماني مائة ، ولم أهتد الى معرفة اسم مؤلفه ، ولكنه من أهل القرن الثامن الهجري كما يدل على ذلك ما جاء في الورقة (١٣٤) : اخبرني الشيخ ... الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ مجد الدين أبي العباس أحمد ابراهيم ابن القاضي المعمر المسند جمال الدين أبي أحمد يعقوب بن أبي بكر الطبراني (كذا في النسخة والصواب الطبري) الشافعي المكي في السابع والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، بالدكة المجاورة لظهر رباط الخليفة ، داخل باب دار الندوة ، من الحرم الشريف ، تجاه الميزاب والكعبة ، قال : اخبرني الشيخ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الطبري الشافعي المكي ..

وقد تكون هذه نسخة من كتاب الطبري صاحب « الرياض النظرة في مناقب العشرة » الذي طبع منذ بضع وعشرين عاماً ، إلا أنني لم أتمكن من مقابلة النسختين .

وفي المكتبة نسختان من كتاب (تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام) لتقي الدين الفارسي رقمهما ٣١١٢ / ٣١٢٣) .

وكتاب (خلاصة الاخبار) في تاريخ المدينة ؛ محمد عاشق الحنفي ، رقمه (٣٢٨٩) .

ونسخة قديمة جداً من كتاب (العلل ومعرفة الرجال) للامام أحمد بن حنبل رحمه الله . وقد طبع الجزء الاول من هذا الكتاب في (انقرة) في العام الماضي ، من مطبوعات (كلية الالهيات في جامعة أنقرة) .

الا أن قدم كتابة النسخة سبب للاستاذين اللذين حققا الكتاب صعوبة كان من أثرها وقوع كثير من التحريف في النسخة المطبوعة .

ومن هذا الكتاب قطعة صغيرة تقع في ثماني ورقات هي أحد أجزاء الكتاب ـ حسب تجزئته القديمة ـ في (دار الكتب الظاهرية) وقد بعث الي صديقي الاستاذ أحمد راتب النفاخ صورتها فبعثت بها الى الناشرين الفاضلين ليستعينا بها في تحقيق القسم الذي تحويه من الكتب .

ومن كتاب (شرح النجديات) نسختان تحملان رقمي ٤١٢٥ و ٤١٢٦ ـ

و (النجديات) هي قسم من ديوان الأبيوردي الاموي الشاعر المعروف، ضمنها غزلاً رقيقاً ، ووصفاً لبلاد نجد، وقد نقل السيد محمود شكري الألوسي ـ رحمه الله ـ في كتابه (تاريخ نجد) قطعاً منها .

ولا أدري لماذا انصرف المحققون والناشرون عن ديوان الأبيوردي ، مع فحولة هذا الشاعر ، وجوده شعره، وصلته بكثير من حوادث العالم الاسلامي في عهده ، وقد علمت من الدكتور عبد الوهاب عزام ـ رحمه الله ـ حينما كان مديراً للجامعة في الرياض أنه هو وأحد أدباء القاهرة يقومان بتحقيق ذلك الديوان لنشره ، ولا أدري ماذا فعل الله به بعد وفاة الدكتور . وشرح النجديات لشرف الدين عمر بن عثمان الجندي ـ كما هو مكتوب في طرة إحدى النسختين ـ .

وفي أثناء وجودي في المكتبة رغبت في مراجعة موضوع في كتاب (الاكتفاء) في مغازي رسول الله ﷺ وخلفائه الثلاثة للكلاعي ، وفي المكتبة نسختان من هذا الكتاب ، على ما جاء في الفهرس المطبوع ، رقمها :(٢٩٧٢و ٢٩٧٣) فطلبت ذات الرقم الأخير ، فوجدتها كتاباً آخر يحمل اسم (الاكتفاء ، بتاريخ الخلفاء) ومكتوب في طرته : (الجزء الثالث من الاكتفاء بتاريخ الخلفاء ، جمع الشيخ الامام المحدث الرحلة ، شمس الدين محمد بن محمد بن الحسن بن نباتة المصري الشافعي) . وأوله : (... ثم ولي الخلافة بعد الراضي بالله ، أخوه أمير المؤمنين المتقي بالله ... مولده سنة

سبع وتسعين ومائتين .. وبويع بالخلافة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة) والكتاب مؤلف سنة ٧٣٢ كما جاء في الورقة (١١٣ ثم ولده الامام أمير المؤمنين المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، وهو الخليفة في وقتنا هذا في شهر شعبان المكرم ، سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، وهو مقيم بقلعة الجبل المحروسة ، ثبت الله قواعد خلافته ، وجعل الخلافة باقية في عقبه إلى يوم القيامة) .

وقد خصص المؤلف قسما من كتابه هذا لذكر (العبيديين) فقال في الورقة ١٢٢ : (ذكر الخلفاء العبيديين ، وهم يدعون أنهم فاطميون، ومن ملك منهم بالمغرب ، ومن انتقل الى الديار المصرية فملكها ، وملك الشام والمشرق والحجاز واليمن وغير ذلك ، وبهذا السبب ذكرتهم في هذا المختصر ، لدخولهم الديار المصرية ، وتملكهم البلاد المذكورة وغيرها) .

وقال في الورقة ١٥١ : (إلى هنا انتهى الكلام في سير الخلفاء رضي الله عنهم ، وهذه فوائد تشتمل على أحاديث وحكايات وغير ذلك نختم بها هذا الكتاب،وجعلتها محذوفة الأسانيد لتخف مطالعتها،وتسهل المذاكرة بها).

ويقع هذا الجزء في مجلد كبير تبلغ صفحاته ٣٧٧ في الصفحة إحدى وعشرون سطراً .

وتاريخ نسخه ١٢ رمضان سنة سبع وثلاثين و سبعمائة — والكاتب هو ابراهيم بن محمد بن أحمد الخليلي ، والكتابة واضحة جيدة والنسخة سليمة كاملة .

وطالعت النسخة التي تحمل اسم (ديوان النميري) فوجدتها : (ديوان شعر جران العود النميري ، صنعة أبي جعفر محمد بن حبيب ، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري) ورقمها (٣٩٧٨) وهي الأصل الذي عليه حقق شيخنا العلامة عبد العزيز الميمني الديوان ، وطبعه ، وقد لاحظت في آخر هذه النسخة الجميلة من الديوان عبثاً في آخرها ، اريد به إظهار النسخة بمظهر الكمال ، مع انها ناقصة ، فقد جاء في الصفحة الأخيرة في شرح قول الشاعر :

إذا الفـــلاة تلقتها جواشنها وفي الأوادي عن الأخراب تشويل

(الفلاة : القفر التي بعد ماؤها ، وإن كان فيها جبال ، كأنها فلته ، أي نحته ، وجواشنها ، صدورها. يقول : إذا صارت في أواسطها أسرعت ، والأخراب: واحدتها خربة وهي) وهنا تنتهي الصفحة ولكن العابث أضاف كتابة حديثة هي : (معروفة، والحمد لله وحده ، وسلم تسليما كثيراً أبداً). وبهذه الفعلة بدت النسخة وكأنها كاملة . وهذه حيلة من حيل الوراقين ، وما أكثر حيلهم وعبثهم بالمخطوطات !!.

مكتبة كوبرلي :

ومن نفائس ما اطلعت عليه أثناء زيارتي (مكتبة كوبرلي زاده)ـ وهذه المكتبة من أنفس المكتبات في اصطنبول ومن أقدمها وأحفلها بالمحفوظات النادرة انشأها الوزير الكبير محمد باشا كوبرلي – وقد زرتها في صباح اليوم الثاني من شهر سبتمبر سنة ١٩٦٥ م :

١ – كتاب المبعث والمغازي تأليف أبي القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي ، القرشي ، الاصفهاني أحد كبار علماء الاسلام في الحديث واللغة والتفسير ، المولود سنة ٤٥٧ والمتوفي سنة ٥٣٥ . والذي نقل صاحب شذور الذهب في ترجمته (ج ٤ / ١٠٦) وصف إبي موسى المديني له بأنه : (إمام الائمة في وقته ، واستاذ علماء عصره ، وقدوة أهل السنة في زمانه . ونقل أيضاً أن أئمة بغداد يقولون: ما رحل الى بغداد بعد ابن حنبل أفضل، ولا احفظ منه) . وأول هذا الكتاب : (بسم الله الرحمن الرحيم : قال الحافظ قوام السنة أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي رحمه الله : الحمد لله الذي لا تحصى نعمه ، ولا يبلغ كنه شكره ، وصلى الله على محمد وآله : ثم إن جماعة من أهل العلم – وفقهم الله لطاعته – اقترحوا عليّ بعد فراغي من (كتاب السير) أن أملي عليهم كتاباً مشتملاً على ذكر مولد النبي ﷺ ، وبيان نشوه ، وتربيته ، إلى حال ارساله وبعثه ، ثم بذكر أحواله

في مغازيه وذكر سراياه ، إلى وقت وفاته ، ثم اتبع ذلك بذكر الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم – وما جرى من الفتوح في أيامهم ، ففعلت ذلك) .

وآخره : (قال الشيخ رحمه الله : هذا آخر ما حضرني ذكره من الزجر عن الخوض فيما يهيج الفتنة ، ويورث الشبهة ، والحث على الاقتداء بالسلف الصالح في ذلك ، عصمنا الله من الفتن والبدع ، وثبتنا على طريقة السلف وسيرة الصالحين بفضله ورحمته ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله أجمعين . آخر كتاب المبعث والمغازي التي صنفها جدي الإمام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل قدس الله روحه ، ورحم من دعا لصاحبه بالخير ، ولكاتبه سبط المملي ، يحيى بن محمد بن سعد ، المكنى بأبي الفرج ..)

ويقع الكتاب في مجلد تبلغ صفحاته (٤٠٠) سطور الصفحة ١٦ والخط قديم ، يظهر انه من مخطوطات القرن السادس ، وممن طالع هذه النسخة (أحمد بن يحيى بن محمد بن عمر السهروردي الكاتب بتاريخ ذي الحجة سنة ٧٢٥ هـ) .

ورقم الكتاب في سجل المكتبة ١١٣٨ .

والمؤلف يروي الأحاديث والأخبار مسندة ، على طريقة المحدثين ، فيقول – الورقة الـ ١٠ – :

(أخبرنا والدي محمد بن الفضل رحمه الله أنبأنا سعيد بن أبي سعيد ، أنبأنا محمد بن عمر ، أنبأنا محمد بن يوسف البخاري ، أنبأنا أبو الوليد ، أنبأنا سلم بن زرير ، قال : سمعت أبا رجاء ، حدثنا عمران بن حصين رضي الله عنه) الخ .

٢ – وفي هذه المكتبة نسخة من كتاب (جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام) وليست من نوادر المخطوطات اذ الكتاب مطبوع ، إلا أن مما يلفت النظر أن اسم مؤلف الكتاب في هذه النسخة يغاير الاسم المعروف في النسخ المطبوعة ، فقد جاء في أول النسخة – بعد الخطبة – : (أما بعد

فهذا كتاب جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام، نزل القرآن على السنتهم ، واشتقت (كلمة غير واضحة) لغتهم والفاظهم ، وأخذت الشواهد في معاني القرآن وغريب الحديث من أشعارهم ، واسندت الآداب والحكم اليهم ،مما ألفه وشرحه محمد بن أيوب العزيزي ثم العمري رحمة الله عليه ، وهو على خمسة (كلمة غير واضحة) وثمانية ابواب) وآخرها : (تمّ كتاب جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام ، بحمد الله وعونه وتوفيقه ولطفه ، بخط أقل عبيد الله بيبرس بن عبد الله العزيزي الوسعي تغمد الله برحمته ، وقال المفضل بن عبد الله بن محمد : فهاؤلاء شعراء العرب في الجاهلية والاسلام ، أولهم امرؤ القيس بن حجر الكندي ، وآخرهم الطرماح بن حكيم الطائي ، ثم استمد الناس من الفاظهم ومعانيهم الى هذه الغاية وهو اللسان القويم،والطريق الواضح ، والله أعلم .

وكان الفراغ من نساخته يوم الأحد ، بعد صلاة الظهر السادس عشر من شهر رمضان المعظم أحد شهور سنة ثلاث وثمانين وستمائة) .

ويقع الكتاب في ٣٥٦ صفحة سطور الصفحة ١٦ والخط جيد ، إلا أن كلمات يسيرة أصابها ما ازال كتابتها، فبدت غير واضحة . ورقمها (١٠٣٢).

٣ – وفي المكتبة نسخة من كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني كتب في طرتها : كتاب جزيرة العرب تأليف الشيخ الأجل ، رفيع القدر والمحل ، أبي محمد ، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني العبدي البكيلي ، تولى الله مكافأته) .

والنسخة يمنية الخط، وليست قديمة ، وقد حذفت منها ارجوزة الرداعي، وتقع في ١٦٠ صفحة ، في الصفحة ٢٥ سطراً والحروف مهملة من الاعجام ، وقد خرقت الارضة الورق حتى بدا مهلهلاً .

٤ – ولقد أشرت فيما تقدم إلى أن الفهارس المطبوعة لا يصح التعويل

عليها – أعني فهارس مكتبات اصطنبول – وأضيف هنا إلى أنني رأيت في فهرس هـذه المكتبة – وتحت رقم ١٤٠٦ – اسم كتاب (نوادر أبي زيد الأنصاري) وهذا الكتاب يعتبر من النوادر ، فسررت عند مطالعة اسم الكتاب ، ولكنني بعد الاطلاع على النسخة التي تحمل هذا الرقم اتضح لي أنها كتاب النوادر لأبي علي القـــالي ، وهو كتاب مطبوع متداول . وفي آخر النسخة التي طالعتها نصٌ صريح على ذلك ، فقد جاء في آخرها : (كمل كتاب النوادر لأبي علي اسماعيل بن القاسم القالي، المعروف بالبغدادي) ثم تاريخ النسخ سنة ١٠٤٢ هـ .

ونسبة الكتب إلى غير مؤلفيها مما يكثر وقوعه في فهارس مكتبات اصطنبول، فنجد – مثلاً – في فهرس (مكتبة عاشر افندي – السليمانية) : حلية الكميت ، واسم المؤلف : (كميت بن زيد الأسدي الكوفي ١٢٦) وعندما تطالع الكتاب تجده كتاب النواجي المعروف . ومثل هذا الخلط وقع في فهرس (مكتبة نور عثمانية) حيث نسب الكتاب للكميت بن زيد (أنظر رقم ٣٧٧٠) .

وتجد المفهرسين كثيراً ما يضعون أسماء مؤلفات في غير موضعها من الفهرس،فكتاب (خلاصة الوفاء) – من حقه أن يوضع بين كتب الجغرافية – موضوع بين كتب (السِّيَر وقصص الأنبياء) في فهرس (مكتبة عاشر أفندى) وكـــذا كتاب (أسد الغابة) الذى ينبغي أن يجعل ضمن كتب التاريخ والتراجم .

لا أريد من هذا القول الانتقاص من عمل اؤلئك الذين وضعوا تلك الفهارس ، فهم جديرون بالثناء ، لأنهم فعلوا مـــا يستطيعون فعله ، ولكن لأوضح أن الباحث يحتاج إلى وقت وتَعَمّقٍ ، وهما أمران قد لا يتاحان لكل إنسان .

(للبحث صلة)

ملاحظات وتعليقات على كتاب :

رحلة إلى بلاد نجد

تأليف : اللادي آن بلنت
ترجمة : محمد أنعم غالب
نشر : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض .
٣٠٠ صفحة ، الطبعة الأولى ١٣٨٧ — ١٩٦٧

أصدرت دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر هـــذا الكتاب في سلسلة مطبوعاتها القيمة التي ما فتئت تتحف بها قراء العربية من آن لآخر وكلها ذات سمة تاريخية أو جغرافية أو اجتماعية تكشف جوانب هامة في ماضي الوطن الأم للعرب جميعاً وحاضره . وتسد فراغاً في المكتبة العربية فيما يختص بدراسات الجزيرة العربية .

والكتاب الذي نحن بصدده كتاب قيم طالما ظل بعيداً عن يد القارىء العربي لندرته أولاً ولعدم تيسر لغته ثانياً . فكانت ترجمته فتحاً جديداً في هذا الباب من أبواب الرحلات التي قام بها الباحثون الأجانب إلى بلاد العرب إذ لم يسبق هذا الكتاب في الترجمة — فيما أعلم — إلا كتب قليلة منها كتاب فيلبي عن أرض مدين ، وكتاب تيسيجر عن الرمـال العربية (أو الربـع الخالي) وكتاب موزل عن شمال الحجاز ولا زالت الكثيرة الوفيرة من كتب الرحلات التي ألفها الأجانب عن هذه البلاد ترقد صامتة على رفوف المكتبات تنتظر من يبعثها من مرقدها فيهيىء لهـــا الفرصة كي تفصح عن مكنوناتها

وتتحدث عن أنبائها إلى أكبر عدد ممكن من القراء العرب . فلا زالت المكتبة العالمية تحتفظ بكتب الرحالة : نيبور ، وداوتي ، وبلجريف ، وبيركهـــارت ، وبيرتون ، وموزل ، وبرترام توماس ، ودي جورى ، وتشيزمان وغيرهم . وكلها تلقي ضوءاً ساطعاً على تاريخ وعادات وتقاليد ومجتمع وطبيعة الجزيرة العربية في الماضي ، وتساعد على ملء الفراغ الذي يشعر به الدارس والباحث عندما يعالج موضوعاً يختص بفـــترة من تلك الفترات التي كتب عنها هؤلاء الرحالة .

وعلى أي حال فان ترجمة هذه الرحلات مجتمعة أو متفرقة قد لا تتيسر لفرد واحد ، ولا يتطلب في ترجمتها معرفة اللغة فقط ، وإنما يضم إلى ذلك عادة الاختصاص ، فليس كل مجيد للغة أجنبية بقادر على أن ينقل منها إلى لغته كتاباً أو موضوعاً ما لم يكن ملماً بطبيعة الموضوع ومـــا حوله من دراسات . وإذا لم يتيسر ذلك للمترجم فقد جرت العادة في أن يعرض النص المترجم على ذوي الاختصاص لمراجعة ومعرفة مدى صلاحيته واتفاقه مع متطلبات الأمانة العلمية ، وتحقيق أسمائه وأماكنه والتعليق على أخطائه التاريخية وإصلاح ما فيه من ركاكة إن وجدت . ومن هنا يتبين أن لجنة لترجمة الرحلات والدراسات الخاصة بالجزيرة العربية يجب أن تنشأ في بلادنا وأن تكوينها وعملها واجب علمي وطني حبذا لو ساعدت الدولة على تشجيعه ومؤازرته .

وهذا الكتاب الذي أصدرته دار اليمامة واختارت له اسم (رحلة إلى بلاد نجد) بينما اسمته المؤلفة : (حج إلى نجد مهد الجنس العربي) خطوة على الطريق في بلادنا ونواة لترجمات قادمة ان شاء الله . ونحن لهذا يجب أن نعني به أشد العناية ، وان نوليه من النظر والتدقيق الشيء الكثير ، وأن نستفيد من الملاحظات التي تبدى عليه ، وهذا ما حداني أن اقرأه قراءة فاحصة وأن أرجع إلى أصله الانجليزي فاقابل بينه وبين ترجمته . وقد خرجت من هذه القراءة بالملاحظات التي أدونها هنا ، راجياً أن تسهم في إخراج هذا الكتاب وأمثاله في شكل أكمل وأتم .

وأول ما يلاحظه قارىء هذا الكتاب انه صدر من غير مراجعة ، حتى من مترجمه ، إذ يبدو من مقدمة الكتاب التي وضعها الاستاذ حمد الجاسر ان المترجم لم يجد الفرصة لاعادة النظر فـــيما ترجم ولم يستطع إكمال الترجمة . ولست أدري ما المانع في أن يدفع الكتاب إلى غير الاستاذ المترجم لكي يراجعه ويصححه وحتى أيضاً يكمل ترجمته قبل نشره ؟ . فقد أثر ذلك على الكتاب كثيراً وجعله يبدو وكأنه مسودات ترجمة صنعت على فترات مختلفة . والقارىء لهذا المقال سيلاحظ ولا شك ان أكثر هذه الملاحظات التي أدونها تعود في المكان الأول إلى عدم مراجعة الكتاب مراجعة دقيقة . ولو تم ذلك لأمكن تلافي كثير منها . وسأقسم هذه الملاحظات إلى قسمين أحدهما تختص بالترجمة ذاتها . والثاني يختص بترتيب وإخراج الكتاب :

أولاً : ملاحظات تخص الترجمة :

١ – جاء في ص ١٩ عند الكلام على بيوت أثري ما يأتي : (شيء ما على طراز بيوت هارون الرشيد) وليس في الأصل أي إشارة إلى هارون الرشيد وبيوته ، وإنما المقصود هو منطقه حوران Hauran (أنظر الأصل الانجليزي ج ١ ص ٨٨) «تعني الكاتبة أن بيوت أثري شبيهة ببيوت منطقة حوران ، والعجيب أن حوران قد وردت عدة مرات في الكتاب بنفس الهجاء الانجليزي ونقلها المترجم صحيحة (أنظر على سبيل المثال ما ورد في ص ٩٢ ج ١ من الأصل الانجليزي ووازنه بما ورد في ص ٢٣ من الترجمة) .

٢ – ويقرب من هذا ما نقله المترجم ص ٣٥ عند كلام المؤلفة عن حكايات محمد الدليل : (إلى أن وصل إلى خرابة تسمى قصر الاخيضر) . والحق ان المؤلفة لم تذكر الاخيضر ولم تشر اليه من قريب أو بعيد وإنما ذكرت قصر الحير وضبطه هكذا Kasr el Hayr ، (أنظر الأصل الانجليزي ج ١ ص ١٠١) وللحير قصران : احدهما شرقي والآخر غربي . أما الشرقي فيقع في الشمال الشرقي لتدمر (التي ينتمي اليها محمد الدليل) على مسافة أربعين ميلاً . وأما الغربي فيقع بين تدمر والقريتين . وانظر في ذلك كتاب فيليب حتى (تاريخ سوريا) (باللغة الانجليزية ، لندن سنة ١٩٥٧ ص ٥٠٩ — ٥١٠)

٣ – وفي ص ٢٥ جاءت الجملة الآتية : (وسنتعشى لحم بقر مسلوقاً ، ولا شك ان هذا سهو كبير فالكاتبة تتمنى وجود لحم معها قبل بضعة أسطر في الصفحة ٢٤ اذ تقول : (وبالقرب من قراقر رأينا بعض الغزلان وطاردناها دون جدى ، وأنه لأمر مكدر لاني نسيت ان احضر لحماً ، وما لم نستطع أن نقبض أو يرمي شيئاً ما (هكذا) فلن يكون لدينا شيء حتى نصل إلى الجوف) . والحق انها لم تذكر لحم البقر وانما ذكرت مرقة مصنوعة من لحم البقر تسمى Beef – tea يظهر انها كانت تصطحبها معها. ولا شك أن السبب في هذا السهو هو عدم مراجعة الكتاب إذ أن المترجم قد أتى بالترجمة الصحيحة لهذه الكلمة في ص ٢٣ فجاءت هكذا . (لم نتناول لحماً مدة الأربعة الأيام الماضية إلى اليوم . فقط مرق لحم بقري ...)

٤ – وفي ص ٨٢ : (وادعى جازي أن من المستحيل أن يزوج ابنته الصغرى في حين تظل الكبرى غير متزوجة) والأصح في حين يظل الكبريات غير متزوجات (وانظر ج ١ ص ١٣٨ من الأصل الانجليزي .

٥ – وفي ص ٩٣ (وفي الأسفل تماماً عند صدر المنظر تمتد مزرعة) والأصح (المزرعة) تقصد المؤلفة بها مزرعة نصر وقد سبق حديثها عنها .

٦ – وفي ص ١٠٦ عند الكلام على النفود: (وفيما عدا لونه الأزرق فإنه غير بعيد الشبه ببحر عاصف ...) والصحيح (فيما عدا لونه الأحمر) وهو اللون الطبيعي للنفود (وانظر الأصل الانجليزي ج ١ ص ١٥٦) .

٧ – وفي ص ١٢٣ (لم يبد هناك على أية حال أثر للكائنات الحية باستثناء السحالي) والأصح (باستثناء الضباب « جمع ضب ») فهي ألصق بجزيرة العرب وأكثر شهرة في الجزيرة من مطلق كلمة « السحالي » وحبذا لو اصلحت هكذا في ص ١٢٨ .

٨ – وفي ص ١٣٦ (وهو نبات شوكي ضارب إلى الزرقة) والصحيح : (وهو نبات شوكي أزرق ضارب إلى البياض Whitish blue) .

٩ – في ص ١٤٠ (يخبرنا راضي أن النفود يمتد مسافة رحلة ١٢ يوماً) والصحيح (يمتد مسيرة ١٢ يوماً) .

١٠ – في ص ١٤٤ (لاحظت اليوم صقراً وصرداً أغـــبر وثعلبان قد مرا ...) وهنا تقوم ثلاث اعتراضات :

أ – ان جملة (وثعلبان قد مرا) ليست جملة مستقلة ولا مستأنفة وإنما هي معطوفة على الجملة السابقة لها .

ب – ان كلمة « ثعلبان » ليست صحيحة لأن المؤلفة لم تذكر ثعلبين وإنما ذكرت ذئبين (انظر الأصل الانجليزي ج ١ ص ١٨٤) .

جـ – ان كلمة (ثعلبان) لو صحت جدلاً ، كان يجب أن تكون منصوبة لأنها معطوفة على مفعول به .

١١ – في ص ١٤٦ : (كان الوقت عند الغروب تقريباً حينما رأينا لأول مرة جبة نفسها أسفل منا في طرف جبة السبخة) والمؤلفة لم تضف جبة إلى السبخة ولم تصفها بها وإنما قالت (أسفل منا في طرف السبخة) ولا شك أن هذا سهو كان بالامكان أن يتدارك عند المراجعة .

١٢ – وفي صفحة ١٠٤ (كان القاريون كرماء) والأصح (كان القرويون ..) نسبة إلى القرية لا إلى قارة كما ورد في الأصل الانجليزي جـ ١ ص ١٥٤ .

١٣ – وفي ص ١٠٥ (وقدم لنا في الحال فكرة عن جيولوجية المنطقة) وا صح : (عن جغرافية المنطقة) كما ورد في الاصل الانجليزي جـ ١ ص١٥٥

١٤ – في ص ١٥٥ .عند الحديث عن شعور المواطنين نحو الرحالة وزوجها ورد مـــا يأتي ، (وكان في نغمتهم شيء ما عدواني تقريباً عن النصراني) والصحيح (النصاري) فالمؤلفة وإن ذكرت النصراني بالعربية إلا انها فهمت فيما يبدو – خطأ – ان هذه الكلمة تعني جميع المسيحيين ولذلـــك فسرتها بالانجليزية بـ (المسيحيين) ، وكان بالامكان أن يستعمل المترجم ذلك فهو أدل مع القصد .

١٥ – في ص ١٦٨ عند الحديث عن الأغنام : (ورؤوسها بيضاء ذات بقع سوداء حول العينين والأنف تبدو كما لو كانت شربت حليباً) والصحيح (كما لو شربت حبرا) وانظر الأصل الانجليزي ج ١ ص ٢٩٢ .

١٦ – ووردت ص ١٧٠ الجملة الآتية (وبعودتنا كانت قهوة حنا الطيبة مع طبق من الخبز والكارى) والصحيح من الطحين والكاري وانظر الأصل الانجيزي ج١ ص ٢٠٣ .

١٧ – ومن المآخذ التي يمكن أن تلاحظ على هذه الترجمة والتي ترجع في الأغلب الأعم إلى عدم مراجعة مسودات الكتاب مراجعة دقيقة ذلك الاضطرب الواضح في اسماء الاعلام والأماكن وعدم جريانها على نسق واحد . ففي ص٢٦ ينبه المترجم في تعليق له الى أن الأخ سيف بن زيدان الشمرى نبهه على صحة الموبه والمسمة (بالسين) . ولكنه مـــع ذلك لا يلتزم هذا الضبط لكلمة (المسمه) فما ان تأتي الكلمة في ص ٣٠ حتى يضبطها بالزاى (المزمة)ويضع أمامها علامة استفهام دليلاً على أنه لم يحققها أو أنه في شك منها . وكان بالامكان أن يحيل على ذلك التعليق السابق .

ومن ذلك أيضاً اضطرابه في اسم (جازي) وقد ذكرته المؤلفة كذلك Jazy ففي الصفحات : ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٢ يأتي الاسم (جازي) بينما يذكر مرتين في ص ٨٣ (غازي) ثم يعود المترجم إلى (جازي) في صفحات: ٨٥ ١٠٢ و ١٠٣ .

ويقرب من هذا اختلاف في اسم نصر وقد ورد هكذا عند المؤلفة Nasr فقد دعاه (ناصراً) في ص٧١ ثم دعاه (نصرا) في ص٨٣ ثم عاد إلى (ناصر) في الصفحات ٧٤ ، ٧٥ و ٩٣ . ثم رجـــع مرة أخرى إلى (نصر) في صفحة ١٠٠ .

١٨ – ويلاحظ في الترجمة عدم تقيد المترجم بضبط المؤلفة لأسمـــاء الأماكن وأسماء الأعلام ، ونحن على أي حال لا ننزه المؤلفة ، فقد أثبتت أنها لا تستطيع أن تحتفظ بالاسم الأصلي للمكان أو الشخص كما هو وإنما تدخل

عليه التحريف بسبب عجمتها . ولهذا فقد غلطت في ضبط بعض أسماء الأماكن مثل سكاكا التي دعتها مسكاكا ، ولقد حمدت للمترجم تنبيهه على غلطها في هذه الكلمة (ص ٤٩) فهي وإن كانت واضحة عند أبناء الجزيرة إلا أنها ربما تكون غامضه عن الأجانب . وفي نفس الوقت ضايقني في مواضع كثيرة من الكتاب تغيير المترجم للاسم الذي وضعته الكاتبة من غير تنبيه على السبب في تغييره .

فمن ذلك تكرار المترجم لاسم (حويسين) في الصفحات ٥٣ ، ٥٥ ، و٦٣ وهي ترجمة خاطئة لـ Huseyn وواضح أن المؤلفة تقصد حسيناً ، ولا مجال لترجمة الكلمة بحويسين ما لم يكن هنالك سند تاريخي أو عقلي يمنع ذلك . وان وجد ذلك فلماذا لم ينبه عليه المترجم . والغريب أن المترجم نقل هذه الكلمة في مكان آخر (أنظر ص ٨٥ من الجزء الأول من الأصل الانجليزي) صحيحة (في ص ١٤ من الترجمة العربية) وكذلك ترجمها صحيحة في ص ١٢٢ .

ومن ذلك تغييره آبار شيبه إلى آبار شيبا وتغييره لاسم Hedusheh ، (انظر ص ٢٣٢ ج ١ من الأصل) إلى دوشه (انظر الترجمة ص ١٩٣) ونجد وإن كنا نعلم أن اسم دوشه كان متداولاً بين سكان حائل ، إلا أننا نميل إلى أن اسم « خدوجه » ربما كان الأقرب إلى ضبط المؤلفة ، والمسألة على أي حال تحتاج إلى زيادة في البحث .

ومن ذلك تغييره لاسم (ابن رمـــال) وقد ورد كذلك عند المؤلفة (انظر ج ١ ص ١٩١) إلى أبي رمال (أنظر الترجمة ص ١٥٣) .

ومن صور التصرف التي اتبعها المترجم في ضبط الأسمـــاء تغييره اسم (عبد الرحيم) إلى (عبد الرحمن) وذلك في ص ٢٣٥ (وقارن بالأصل الانجليزي ج ٢ ص ٢٥) . وقد تكرر ذلك أيضاً في الصفحة ٢٤٩ (وقارن بالأصل الانجليزي ج ٢ ص ٣٧) .

١٩ – ويلاحظ في هذه الترجمة نفي المترجم لما هو مثبت في بعض

المواضع كما في ص ٢٣٣ عند الحديث عن علي قولى خان قائد الحجاج البختيارية فقد جاءت الترجمة هكذا : (ولكنه ـ يقصد علي المذكور ـ ما كان في الحقيقة الشخص الرئيسي بين الحجاج الفرس) والترجمة الصحيحة المنسجمة مع السياق كما أرى ، هي : (وقد كان في الحقيقة شخصاً رئيسياً بين الحجاج الفرس) « انظر الأصل الانجليزي ج ٢ ص ٢٤ » وينقض ما جاء به المترجم ما ورد في الصفحة التالية من الترجمة (ص ٢٣٤) وهو كما يلي (وكان مترجمه ـ أي مترجم علي المذكور ـ شخصيه مهيبة ، واتباعه في ملابس كهنوتية مما أضفى عليه مظهراً يشعر بأنه رئيس ذو أهمية) .

وفي ص ٢٤١ عند الحديث عن وداع ابن الرشيد وعرضه على الرحالة وزوجها أن يختارا شيئاً من هجنه أو واحد من امهاره على سبيل الهدية ، جاء في الترجمة ما يأتي (... وان كنا نحب أن نقبل العرض الأخير ما أبيناه بالطبع) والصحيح انهما أبياه مع حبهما له . وسياق الجملة نفسها يدل على ذلك وانظر الأصل الانجليزي ج ٢ ص ٣١ .

٢٠ ـ ومما يلاحظ على هذه الترجمة ان الاستاذ المترجم قد اقترب من النص بشكل أشبه ما يكون حرفياً وهو نوع من الأمانة العلمية التي نحمدها له . وقد وفق في كثير من الأحيان إلى تعبيرات مشرقة جميلة استطاعت أن تنقل إلى حد كبير روح التعبير الانجليزي . ولكنه مع ذلك جنح في كثير من الأحيان إلى الأسلوب الانجليزي مدخلا الضيم على الأسلوب العربي . وينتشر ذلك في مواضع متفرقة من الكتاب نجتزي منها ما يأتي :

ا ـ في ص ٢٠ (تتحدث عنها كفردوس أرضي من حيث انتزعت لتعيش في هذه الواحة) وكان الأوفق أن تكون العبارة هكذا : كفردوس أرضي انتزعت منه لتعيش ...

ب ـ في صفحة ٢٨ : (ان الجراد المشوي صالح للأكل) لم أفهم كيف جاز هذا التعبير وسأكون شاكراً لو علمت الوجه اللغوي فيه .

ج ـ في ص ٣١ (وهو مخلوق فظ متوحش تنظر اليه) ومعروف أن

جملة (تنظر اليه) هنا تعبير انجليزي محض والأوفق أن تكون(عند النظر اليه) .

ى – في ص ٣٧ (انتهينا نتحدث عن لست أعلم ماذا) ويبدو لي أن المترجم لو قال (عن شيء لا أدري ما هو) لكان أحسن

هـ – ص ٦٨ (ورجل ذو بندقية الذي هو في طريق ذهابه معنا إلى حائل) والأصح (كان في طريق ذهابه معنا إلى حائل) اذ لم يرد ذكر لهذا الرجل قبل هذا الموضع

و ص ٧٩ (وبصعوبة عرفت أنأجد تعليلاً لكل هذا)وكان بالإمكان ان تترجم (وبصعوبة عرفت تعليلا ...) أو (توصلت إلى تعليل ...) أو (استطعت أن أجد ...) .

ز – ص ١٠٧ (لقد كنا كل طيلة اليوم في النفود) وهذه أيضاً من آثار الترجمة الحرفية الملتصقة بالأسلوب الانجليزي ، وكان من الممكن أن تكون هكذا (لقد كنا طيلة اليوم في النفود) ولا داعي لكلمة كل مع وجود طيلة اذ انهما بمعنى واحد .

٢١ – ومن الأشياء غير المستقرة عند المترجم انه تارة يذكر النفود وتارة يؤنثه فبينما يذكره في هذه الجملة من ص ١٠٧ (ان ما أدهشنا هو لونه الذي بلون الراوند) يعود في نفس الصفحة فيؤنثه في جملة أخرى (ولا استطيع أن أفهم كيف تغاضى عن خصائصها الرئيسية (أي خصائص النفود) ان الشيء الذي يدهش المرء عن النفود لأول وهلة هو لونها) .

ونحن لا نريد أن ندخل في جدل لغوي حول جواز تذكير النفود وتأنيثه فليس ذلك غرضنا من ذكر ذلك . وانما نقصد إلى توحيد الاستعمالات في الكتاب فذلك أدعى إلى جعله عملاً علمياً متقناً .

٢٢ – الحذف والتصرف شائع اثناء الكتاب ، ويشفع لذلك ما ذكره الاستاذ حمد الجاسر في المقدمة من عدم التقيد بترتيب الكاتبة لفصول الكتاب

وحبذا لو اتبع في ترتيب الكتاب نفس ترتيب المؤلفة له . فذلك أدعى إلى الدقة . إذا لا داعي — مثلاً — لنقل فقرة موجودة في نهاية الفصل التاسع من الأصل الانجليزي إلى بداية الفصل العاشر منه عند الترجمة (يقابل ذلك في الترجمة نهاية القسم الرابع وبداية الخامس) . وتلخيص الفصل العاشر من الأصل الانجليزي (وهو يقابل القسم الخامس من الترجمة) جاء مخلاً جداً بما كتبته المؤلفة وكان من الممكن ان يبسط فيه القول أكثر مما هو عليه الآن وان يشار إلى أنه في أكثره تلخيص لا ترجمة .

٢٣ — في مقدمة القسم السابع ذكر المترجم انه ترجمة للفصل الثالث عشر من الجزء الأول من الكتاب والصحيح ان الفصل الثالث عشر لا يقع في الجزء الأول من الأصل الانجليزي وإنما هو بداية الجزء الثاني منه .

٢٤ — في صفحة العنوان الداخلية المكتوبة باللغة الانجليزية جاء اسم الكتاب هكذا :

Pilgrimage to Najd

وقد تكرر ذلك عند ذكر اسم الكتاب باللغة الانجليزية في أعداد العرب الغراء . وهو سهو والأصح :

A Pilgrimage to Najd

باثبات A التنكير في أوله .

ثانياً : ملاحظات حول اخراج الكتاب :

١ — استخدمت في الكتاب عناوين جانبية كثيرة كتبت بأحرف كبيرة نسبياً ، وهي الى جانب أنها بشعة المنظر فانها قليلة الفائدة . واذا كان استعمالها مقبولاً في جريدة سيارة فانه في نظري لا يصح للنشر في كتاب . وحبذا لو اقتصر من تلك العناوين على المهم على أن يكون حجم الحروف فيها أصغر مما هي عليه الآن . ولعل من مساوىء هذه العناوين أنها في بعض الأحيان تفصل الجملة الواحدة أو الفكرة الواحدة كما في ص ٢٥ فقد قطع

العنوان الجملة والفكرة معاً فجاء كالآتي (وعندما وصلنا هـذه [صيد من « الجراد » والأرانب] اتجهت طريقنا الى يمينها) وتكرر ذلك في ص١٦٠ عند الحديث عن متعب بن عبدالله ،قد اعترض العنوان مجرى الكلام فجاء كالآتي (وعلى أية حال لم يحكم متعب غير ثلاثة أعوام وبموته المفاجىء الى حد ما [بين محمد بن رشيد وبين بندر بن طلال] ثار نزاع بالنسبة لمن يخلفه) .

مثل هذه العناوين وخاصة تلك التي تفصل الجمل والفقرات والأفكار تصدم القارىء ، وتقطع عليه سلسلة أفكاره ومتابعته لحديث الكاتبة . وحبذا لو كتبت تلك العناوين بأحرف صغيرة جداً على الهامش الأيمن أو الأيسر من الصفحة من غير أن تعترض مجرى الحديث .

٢ – استخدمت الأقواس بكثرة في الكتاب من غير تفريق بين ما هو من كلام المؤلفة أو اجتهاد المترجم . ففي صفحتي ٣٦ و ٤٧ – مثلاً – يضع المترجم شيئاً من كلام المؤلفة بين أقواس ، بينما نجده في صفحة ٢٩ يضع بين أقواس تفسيرين من عنده لمكانين أحدهما قال عنه أنه وسيط ، والثاني قال عنه أنه يدعى قدير . وذلك يسري على ما جعله المترجم بين أقواس في الصفحات ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، و ٣٤ فكل ذلك من اجتهاده وبعضها تفسيرات وضعها من غير أن يشير إلى أنها من عنده وليست في الأصل الانجليزي . وحبذا لو وضعت هذه التفسيرات والاحتمالات في الهامش السفلي من الصفحة حتى لا تختلط بكلام المؤلفة .

وفي بعض الأحيان توضع هذه الأقواس من غير ما داع لها ، بل قد يوحي وضعها بمعنى غير المقصود ، مثال ذلك ما ورد في صفحة ١٧٨ ، فقد جاءت الجملة الآتية (وبعد قنا مباشرة جئنا إلى صلبه) وقد وضعت كلمة (صلبه) بين قوسين . والأصح (إلى أرض صلبة hard ground) ووضع كلمة (صلبة) بين قوسين يشعر بانها علم على منطقة جاءت اليها الكاتبة . وليس ذلك المقصود بل هي صفة للأرض . (وانظر الأصل الانجليزي ج ١ صفحة ٢٠٨)

٣ – وقد وردت في الكتاب تطبيعات كثيرة بعضها قد يحيل المعنى ولم يشر اليه في جدول الخطأ والصواب ، من ذلك ما ورد في صفحة ٣٠ : (ويرتفع المـــاء من جديد بمجرد أن يؤخذ ولكنه لا يغيض – بالغين –) والصواب (لا يفيض) بالفاء .

ومن ذلك ما ورد ص ١٢٠ : (رأيت هالة حول القمر فظننت ان مطراً سينزل ولكن خطأ (بالخاء والطاء) ، كذلك لم يأت) والصحيح (ولكن حظاً (بالحاء والظاء) .

ومن ذلك ما جاء ص٣٦ (المستوى طبقاً للبارومتر الجاف ٩٥٠)والصحيح ١٩٥٠ (وأنظر الأصل الانجليزي جـ١ ص١٠٢) .

وتبقى بعد ذلك ملاحظة أخيرة فقد قالت المؤلفة (ص ١٤٠ من الترجمة) عند حديثها عن السموم ما نصه (أما عن السموم – أو الريح السامة (كذا) التي يتحدث عنها المسافرون فهو (أي راضي) لم يسمع بها مع أنه قد ظل يسافر في النفود جيئة وذهاباً لمدة أربعين عاماً) وهذا كلام غريب. فالسموم ريح معروفة لا نزال نسميها بهـــذا الاسم وليس هنالك أي صلة بينها وبين السم وقد قال عنها صاحب القاموس المحيط بانها (الريح الحارة تكون غالباً بالنهار) ويظهر أن المؤلفة لعدم تبصرها ؛ بالعربيةاختلط عليها معنى السموم الريح بمعنى السم المعروف . فظنت ان ثمة ارتباطاً بينهما . وحبذا لو نُبّه على ذلك في هامش الصفحة .

وأود أيضاً فيختام هذهالملاحظات ، أن أؤكد ما ذكره الزميل الدكتور عبد الرحمن الانصاري (عندما كتب عن هذه الترجمة في عدد المنهل جـ ٩ م ٢٨ رمضان ١٣٨٧) من ضرورة وضع الفهارس اللازمة لأسماء الأشخاص والأماكن والخيل والمراجع، وما إلى ذلك ، حتى يسهل على القارىء الرجوع اليها عند الحاجة .

وبعد .. فقد اتحفتنا دار اليمامة بهذا المؤلف الفريد ، وكان من حقها علينا أن نشارك بما نملك في سبيل إخراج هذا الكتاب وغيره من الكتب القيمة

عنوان المجد في تاريخ نجد

في طبعته الجديدة

يجد الباحث في استنباط حالة مؤرخي نجد صعوبة ، تكاد تكون شاقة.. يساعد في ذلك عـــدم توفر المصادر التي تساعد على البحث ، والتقصي . ويحد من هذه الصعوبة ، وجود مؤلفات بعض من المؤرخين .. ممـا تساعد الباحث في دراسة طريقة المؤرخ في تسجيل حوادث التاريخ ، وأسلوبه ، وثقافته وطريقة غربلة الأحداث ونقد مصادره . وممن وصلت إلينا كتبهم ، في فترة نحصرها بين القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر الهجري. كما تريد : الشيخ حسين ابن غنام توفي (١٢٢٥ هـ) .والشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر (١٢١٠ – ١٢٩٠ هـ) . والشيخ ابراهيم بن عيسى (١٢٧٠ – ١٣٤٣ هـ) . هذا ما يمكن أن نجده من مؤلفات مؤرخينا في تلك الفترة . وممن عثرنا على أسمائهم ولم تصلنا مؤلفاتهم بعد ، هم :

١ – محمد بن علي بن سلوم الفرضي الحنبلي. ألّف كتاباً ذكر فيه حوادث التاريخ ما قبل الدعوة تقريباً ، حتى وفاة الامام عبد العزيز بن محمد

بالصورة التي يجب أن يظهر بها سواء من حيث الشكل أو الموضوع . ونحن نترقب اليوم الذي تصدر فيه الدار الترجمة الكاملة لهذا الكتاب القيم ـ خاصة وان ما بقي منه فيما يختص بالرحلة إلى نجد قليل إذا ما قورن بما ترجم منه ـ وها هي تباشير الترجمة الكاملة تترى على صفحات العرب الغراء فتزيدنا ثقة بان طبعة ثانية ـ منقحة محققة ـ شاملة ستكون بين يدي القارىء العربي في القريب العاجل إن شاء الله .

دكتور أحمد محمد الضبيب
كلية الآداب جامعة الرياض

ابن سعود في شهر رجب سنة ١٢١٨ هـ. وقد اعتمد ابن بشر عليه، وعده من مصادر كتابه التي ذكرها . وتوفي ابن سلوم سنة ١٢٤٦ هـ .

٢ – الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله بن بسام توفى (١٠٤٠ هـ) يذكر ابن عيسى أنه ألف تاريخاً نحو كراس . وبدأه بحوادث سنة ١٠١٥ هـ حتى سنة ١٠٣٩ هـ . أي قبل وفاته بعام واحد . واعتمده ابن عيسى من مصادر تاريخه

٢ – الشيخ أحمد بن محمد المنقور التميمي توفي (١١٢٥ هـ) . له في التاريخ كتاب نحو كراس ونصف، بدأه سنة ١٠٤٨ هـ حتى سنة ١١٢٥ هـ السنة التي توفي فيها .

٤ – الشيخ محمد بن عمر الفاخري (١١٨٦ – ١٢٧٧ هـ) . وله كتاب نقل جله ابن بشر ، وابن عيسى ، ولم يذكراه من مصادرهما .

٥ – الشيخ حمد بن محمد بن لعبون . له كتاب طبع ناقصاً باسم « تاريخ ابن لعبون » هذا الجزء المطبوع ليس فيه من حوادث تاريخ نجد شيء . وله قسم ناقص . يذكر الأستاذ حمد الجاسر ، أنه توجد نسخة كاملة منه بخط المؤلف نفسه ، في مكتبة الشيخ عبد الله العنقري – رحمه الله [1] –

كل هذه المؤلفات لا نعلم من أمرها علما . حتى أصحابها .. وقد رجوت أستاذنا الشيخ حمد الجاسر أن يفيدنا من أمرهم ما نبلغ به مطلبنا .. وقد حاضرنا عن الموضوع ذاته في ندوات ثقافية سابقة .. ولكننا نريد الموضوع بين أيدينا مجدداً باقياً ..

---

(١) العرب السنة الأولى ، ج ٢ ص ٦٨ .

وكتاب ابن بشر«عنوان المجد في تاريخ نجد ». وهو ما نحن بصدد الحديث عنه في طبعته الجديدة .. ظهرت أولى طبعة [1] له في عام ١٣٤٩ هـ بمكة المكرمة . والثانية في عام ١٣٧٣ هـ .. وأصبح الكتاب مع ما مضى عليه مدة من الزمن بقي فيها نادراً يصعب الحصول على نسخة منه . وقد عزمت وزارة المعارف الجليلة على إعادة طبعه على نفقتها ، بعد تحقيقه وترتيبه . وقد كان لي شرف المشاركة اليسيرة في هذا العمل الجليل . فبدأ بالعمل فيه في آخر العام الماضي . وانتهى العمل منه في أول هذا العام ١٣٨٧ هـ . ولم يزل الكتاب تحت الطبع .

وقد كانت خطة العمل كما هي مرسومة. أن يبدأ في استخلاص(السوابق) وهي ما يعني المؤلف بها الحوادث التي سبقت الدعوة الاصلاحية التي قام بها الأمام المجدد محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – وجعلها في آخر الكتاب . ويكون ما سجل من الحوادث من بداية الدعوة ، في أول الكتاب .. مع التعليق عليه بحواشي تكمل الفائدة . وتسد ما قد يوجد من النقص . مع المحافظة والابقاء على أسلوب المؤلف كما في الأصل .

وقد كان لي أكثر من رأي في طريقة نشر الكتاب . أوضحتها لمعالي وزير المعارف ، وقرنتها بمبررات لبقاء الكتاب على هيئته التي استخرج بها . كما يلي :

١ – رأيت من المستحسن أن تعاد كتابة الكتاب بأسلوب جديد مع الابقاء على أصل المعنى ، والمحافظة عليه بقدر المستطاع مع إظهار شخصية المؤلف فيه كلما كان ذلك مستطاعاً ، ليساير في ذلك روح التجديد والعصر . ويكون من السهل إستساغة قراءته ، خاصة لدى الطلاب . مع ما في هذا العمل من تصحيح لبعض الاغلاط النحوية ، وغيرها مما ورد في الكتاب .

---

(١) وطبع الجزء الأول منه مختصراً سنة ١٣٣٨ هـ في بغداد بمطبعة الشاه بندر . ويذكر الأستاذ أمين الريحاني في كتابه « نجد وملحقاته » ص (١٠) أنه طبع في الهند بعنوان « علو المجد في تاريخ نجد » .

٢ ـ مع أن في المحافظة على بقاء الكتاب بأسلوب المؤلف ، وإخراجه بها كأمانة في بقاء الأصل كما كان . لهذه الطريقة مبررات وفوائد منها :

١ - أن يهتدي الباحث في الناحية التاريخية ودراسة أحوال المؤرخين إلى مظان بحثه، من خلال آثار المؤلف ـ خاصة وأنه المؤلف الوحيد الموجود لدينا لابن بشر ـ بدراستها وتحليلها .

٢ ـ قد يساعد في دراسة اللغة في نجد في صورها المستعملة فيها عامية تارة ، وأخرى فصحى مطعمة بأسلوب العامية .

٣ - طالما أشير في غالب المواقف على الهامش، إلى توضيح بعض ما قد يكون غامضاً . أو غير مفهوم القصد به . فلا حاجة إذن إلى تغير أسلوب المؤلف .

٤ ـ زيادة على ذلك ، فإن في هذه الطريقة، إبقاء على أصل كأثر سالف وتحقيقه كمخطوط يطبع من جديد .

لقد اعتُمِد في ذلك على الطبعة الثانية التي طبعت في عام ١٣٧٣ هـ بعد توسم الاتقان فيها بخلاف الطبعة الأولى . وجاء الكتاب كما كان في جزأين ضخمين ، محلّى بهوامش ، عسى أن تكون قد أضفت على قيمة كتاب الطبعة الأولى قيمة أخرى .

ولدراسة طريقة ابن بشر في تسجيل تاريخه ، نجده رغم ما كان يحرص حرصاً على تقصي الحوادث ، واستنباط ما كان صحيحاً ، إلا أنه أخطأ كثيراً. هذه الأخطاء تعود إلى ثقافته المحدودة ، بخلاف الشيخ حسين بن غنام الذي كان أعلم منه في أمور كثيرة، وان سيطر على اسلوبه السجع والتطويل، مما قد يضيع لباب الموضوع ، وهذا عيب ابن غنام الوحيد .

وأخطاء ابن بشر هذه لا تقلل من قيمة كتابه كوثيقة تاريخية ، من أهم مراجع تاريخنا الحديث، وليس لها مساس بضبط مجرى الحوادث وتواريخها . قال أمين الريحاني : (ولكني وأنا أطالع الكتاب أسفت لأسلوب مؤلفه القديم ، ذلك الأسلوب المكلّف المسجع الذي لا يحبب مطالعة التاريخ إلى

قراء هذا العصر ، ووددت لو أن أحد المنشئين العصريين يلخصة أو يعيد كتابة تاريخ نجد منذ قرن ونصف القرن، ليطلع العامة والخاصة على ما جرى في وادي حنيفة من الأمور الدينية والسياسية ، التي كان لها التأثير الأكبر في العرب بعد الرسالة النبوية [1]) . هذا عن كتاب ابن غنام ثم يعود ليقول : (وابن بشر – بقطع النظر عن أسلوبه – مدقق في الاجمال وصادق الرواية) .

هذه المآخذ على ابن بشر ، كان لي رأي في تعديلها . كما كان لي في غيرها رأي . وكما ذكرت أن للابقاء على أسلوب المؤلف ، مبررات كما كان لتعديلها مبررات . وسيكون لي عودة إليها بعد طبع الكتاب إن شاء الله .

لقد اعتمد ابن بشر في تأليف كتابه على مصادر، لم يذكر من أسماء مؤليفها سوى الشيخ محمد بن سلوم الحنبلي ، واكتفى بالاشارة هذه: (وجدت ترسيمات لغيره – أي ابن سلوم – أحسن من رسمه متصلة به ، فلما ظفرت بالسنين ومعرفة الوقائع فيها ، استخرت الله في وضع هذا المجموع) . وقد ذكر مراراً (العصامي) وقد نقل عنه جل سوابقه . ثم هو يقرر أنه اعتمد على أقوال رجال شاهدوا التاريخ : (وأخذت صفة الوقائع والمواضع من أفواه رجال شاهدوها ، وما لم يدركوه منها فعمن شاهدها نقلوها) . فهو بهذا اعتمد على مشاهدة ورواية ثقات . فلا حاجة به إلى ذكر مصادر لم يعتمد عليها كقوله .. ولكنه ينقض قوله :(واعلم ان بعض من سبق من علماء نجد أرّخوا تاريخيات ، ورسموا ترسيمات قصروا فيها عن المطلوب . ولكن لا تخلو من فائدة في معرفة إختلاف أهل نجد وافتراقهم قبل ظهور هذا الدين ، ومعرفة نعمته بعد ذلك وما جاء في ضمنه، وهي قبل كتابي هذا متصلة به . فلا رأيت أن أتركها ولا أبدأ بها هذا الكتاب ، لأن السنين التي بعدها هي التي لأجلها وضع الكتاب . ووقع عليها الخطاب ، فأردت أن أدخل السنين السابقة بين سني هذا الكتاب ، منتشرة فيه متتابعة كل سنة سابقة تحت كل سنة لاحقة ..)

---

(١) نجد وملحقاته ، ص (١٠) ط ٣ بيروت .

فهو ينقض ما يريد إثباته ، وكأني به يود أن يقول : اعتمدت في ذلك على مؤلفات لا تخلو من فائدة تاريخية في حوادث سابقة . ولم أكتف بالاعتماد عليها وحدها ، بل اعتمدت في ذلك على رواية ثقات تم لهم مشاهدة التاريخ بأنفسهم ، أو عن رواية موثوقة .

ولنا بعد ذلك أن نقرر أن ابن بشر اعتمد على مصـــدرين في تأليف تاريخه ، هما :

١ ــ مصادر لم يذكرها ، منها تاريخ الفاخري ، وتاريـخ ابن سلوم ، وتاريخ ابن غنام ، وتاريخ العصامي ، وغيره مما لم نتمكن من الاهتداء على اسمهـــا .

٢ ــ مشاهداته ووقوفه على حوادث التاريخ نفسه . فنحن نعرف أنـه عاش حتى سنة ١٢٩٠ هـ. وأنهى كتابه عند حوادث سنة ١٢٦٨هـ. وقد بدأه حوالي سنة ١١٥٧ هـ . وقد ولد سنة ١٢١٠ هـ. فيكون ما سبق من التاريخ قد نقله عن مصادر لم يذكرها ومنها ما ذكرنا.. وقد وعى الكثير من التاريخ في أول حكم الامام سعود بن عبد العزيز ــ رحمه الله ــ .

ومهما يكن من أمر فتاريـخ ابن بشر أثر خالد ، وسيبقى معيناً يرده المؤرخون ، ليرتووا منه ولا ينضب . وستزيد قيمته قدراً بعد ما أجرى وأضيف عليه في الطبعة الجديدة هذه .

الرياض ــ دار الكتب الوطنية **عبد الله علي الماجد**

العرب : طبع الكتاب وتحدثنـا عنه حديثاً موجزاً ونرجو أن يتفضل الكاتب الكريم الاستاذ عبدالله الماجد بالكتابة عن تلك الطبعة .

قبيلة جهينة

من تاريخها ، ومشاهير رجالها

- ١٢ -

وكتب لأحد رؤسائهم ما هذا نصه بعد البسملة : هذا كتاب أمان من الله العزيز على لسان رسوله بحق صادق ، وكتاب ناطق ، مع عمرو بن مرة لجهينة بن زيد : ان لكم بطون الأرض وسهولها وتلاع الأودية وظهورها ، على أن ترعوا نباتها ، وتشربوا ماءها ، على أن تؤدوا الخمس ، وفي التّيعة والصريمة شاتان إذا اجتمعا فإن فرقتا فشاة شاة ، ليس على أهل المثير صدقة ، ولا على الواردة لبقة [١] .

وكتب رسول الله (ص) لعمرو بن معبد الجهني وبني الحَرَقةِ من جُهينة ، وبني الجُرْمِز من أسلم منهم وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وأطاع الله ورسوله ، وأعطى من الغنائم الخمس وسهم النبي الصفي ، ومن أشهد على اسلامه وفارق المشركين ، فإنه آمن بأمان الله وأمان محمد ، وما كان من الدَيْنِ مدونة لأحد من المسلمين ، قضى عليه برأس المال ، وبطل الرِّبا في الرهن ، وان الصدقة في الثمار العُشْرُ ، ومن لحق بهم فإن له مثل مـــا لهم [٢] .

وتورد كتب التاريخ أخباراً كثيرة عن جهينة في عهد الرسالة ، مما لا يتسع المجال لإيراده ، كما تفيض كتب التراجم باسماء كثير من أعلام هذه القبيلة في العهد النبوي من أصحاب رسول الله (ص) .

ومن أطرف ما يروى من أخبارها ، ما أورده ابن سعد وغيره من خبر وفدها ، قال : لما قدم رسول الله (ص) المدينة ، وفد اليه عبد العزى بن بدر بن زيد بن معاوية من بني الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة ، ومعه أخوه لأمه أبو روعة ، وهو ابن عم له ، فقال رسول الله (ص) لعبد العزى :

---

(١) « الوثائق السياسية » ص ١٤٢ .

(٢) « طبقات ابن سعد » ج ٢ ص ٣٦ ، طبعة مصر .

أنت عبد الله ، ولأبي روعة : أنتَ رُعتَ العدوَّ إنشاء الله ، وقال : من أنتم ؟ قالوا : بنو غيَّان ، قال : أنتم بنو رشدان ، وكان اسم واديهم غَوَى فسماه رسول الله رشداً . وقال لجبلي جُهينة الأشعر والأجرد ، هما من جبال الجنة ، لا تطؤهما فتنة [1] ، وأعطى اللواء يوم الفتح عبد الله بن بدر ، وخطَّ لهم مسجدهم ، وهو أول مسجد خُطَّ في المدينة [2] .

ومن أخبار جهينة أيضاً ما أورده المؤرخون عن عمرو بن مُرَّة الجُهني ، وهو من مشاهير هذه القبيلة من الصحابة ، قال: كان لنا صنم ، وكنا نعظمه ، وكنت سادنه ، فلما سمعت بالنبي (ص) ، كسرته وخرجت حتى أقدم المدينة على النبي (ص) ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وآمنت بما جاء به من حلال وحرام ، فذلك حين أقول :

شهدت بأن الله حق وإنني ... لآلهة الأحجار أول تارك
وشمرت عن ساقي الازار مهاجراً ... إليك أجوب الوعث بعد الدكادك
لأصحب خير الناس نفساً ووالداً ... رسول مليك الناس فوق الحبائك

ثم بعثه رسول الله (ص) إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام [3] .

ومن مشاهير الصحابة من قبيلة جُهينة :

١ — بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن عمرو بن سعد بن ذبيان بن رشدان بن قيس بن جُهينة . وهو الذي بعثه رسول الله (ص) مع عدي بن أبي الزغباء يتحسس الأخبار عن قريش عند وقعة بدر .

٢ — ضمرة بن عمرو أخو بسبس .

٣ — عنمة بن عدي بن عبد مناف بن كنانة بن حمحمة بن عدي بن الربعة بن رشدان .

---

(١) انظر عن تحديد هذين الجبلين كتاب « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع » . بقلم حمد الجاسر .

(٢) « طبقات ابن سعد » ج ٢ ص ٩٧ .

(٣) « نهاية الارب » ج ١٨ ص ١٨ .

٤ — ربيعة بن عمرو بن يسار بن عوف بن جراد بن يربوع بن طُحَيْل ابن عدي بن الربعة .

٥ — تميم بن عوف بن يربوع بن وهب بن جراد .

٦ — عبد العُزّى الذي غيَّر الرسول (ص) اسمه ، فسماه عبد الله بن بدر ابن زيد بن معاوية بن حسان بن أسد بن وديعة بن مبذول بن عدي بن الربعة .

٧ — عقبة بن عامر بن عيث بن مالك بن الحارث بن مازن بن سعد بن مالك بن رفاعة بن نصر بن ذبيان .

٨ — زيد بن خالد الذي حمل لواء جُهينة يوم فتح مكة .

٩ - عوسجة بن حرملة بن جذيمة بن سبرة بن خديج بن مالك بن عمرو ابن ذهل بن مالك ثعلبة بن رفاعة .

١٠ — سبرة بن عوسجة المتقدم ذكره .

١١ — سعد بن الأطول بن عبيد الله بن خالد بن واهب .

١٢ — عدي بن أبي الزغباء بن سُميع بن ربيعة بن زهرة بن بُذيْل بن سعد بن عدي بن كاهل بن نصر بن مالك بن غطفان .

١٣ — زيد بن وهب من بني حسل بن نصر بن مالك بن عدي بن الطول بن عوف بن غطفان .

١٤ — مجدي بن وهب بن عمرو بن عدي بن الطول ، الذي حجز بين النبي (ص) وبين المشركين قبل وقعة بدر على ما ذكر ابن حزم في « الجمهرة » كذا قال ، والمعروف أنه حجز بين سرية حمزة بن عبد المطلب إلى العيص، وبين عِيْر قريش القادمة من الشام بقيادة أبي لهب ، كما ذكر ذلك ابن اسحق وغيره .

١٥ — شهاب بن جمرة من بني ضرام بن مالك بن كعب بن ثعلبة

ابن حميس بن عمرو بن ثعلبة بن مودوعة بن جهينة . وله قصة طريفة مع عمر بن الخطاب (رض) .

١٦ – سلمة بن الميلاء ، أحد فرسان جُهينة الذي أُصيب مع خالد بن الوليد أثناء فتح مكة .

١٧ – مرداس بن نهيك من الحرقة من جهينة ، وهو الذي قتله أسامة بن زيد فلامه رسول الله ﷺ على قتله لأنه قال قبل القتل : أشهد أن لا إله إلا الله ، على ما ذكر ابن هشام .

١٨ – عمرو بن مرة بن عبس بن مالك بن الحارث بن رفاعة بن نصر ابن مالك بن غطفان وتقدم ذكره ، وهو صاحب الرجز المعروف :

يا أيهـــا الداعي ادعنا وابشر وكن قضاعيـــاً ، ولا تنزر
نحن بني الشيخ الهجان الأزهر قضاعة بن مالك بن حِمْـــيَر
النسب المعروف غير المنكر في الحجر المنقوش تحت المنبر

١٩ – سبرة بن معبد بن عوسجة بن حرملة ، وكان رســـول علي إلى معاوية رضي الله عنهما .

٢٠ – كعب بن خُمار من بني رشدان .

٢١ – وديعة بن عمرو من بني رشدان .

٢٢ – عمرو بن يزيد الجُهني الذي قاد حملة بحرية لغزو الروم من مصر في سنة ٥٧ هـ ، على ما ذكر صاحب « النجوم الزاهرة » وغيره .

٢٣ – عبد الله بن عكيم الجهني راوي الحديث : أتانا كتاب رسول الله (ص) بأرض جهينة ، وانا غلام شاب قبل وفاته بشهر أو شهرين ، ان لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب .

وهذه أسماء ذكرناها عرضاً حيث لم نحاول استقصاء مشاهير القبيلة في صدر الاسلام . إذ هذا يحتاج إلى دراسة واسعة وإلى بحث مفصل .

(للبحث صلة)

مَعَ القُرَّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

● – **حول كتاب « رحلة الى نجد » :**

كتب الأديب الكريم الأخ عبد الله العايش ، مـــدير المكتب الزراعي بدومة الجندل مصححاً ما جاء في كتاب « رحلة إلى نجد » من خطأ منشأه الترجمة الحرفية لاسم الشيخ محسن بن درع ، أحد مشاهير أهل الجوف (دومة الجندل) في القرن الماضي ، فقد ورد في الكتاب (دره) خطأ .

وقد وعد الأستاذ العايش بأن يمد قراء « العرب »بما يستطيع من معلومات عن تاريخ بلادنا (الجوف) فله الشكر مقدماً .

● – **حول مقال « وثائق الأحوال الشخصية »**

وكتب الأخوان الكريمان عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف ، وعبد الرحمن بن موسى آل موسى ، من موظفي الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية في الرياض إيضاحاً حول كاتبين من كتّاب (وصية صبيح) نرى إيراده كاملاً لافادة القارىء الكريم . شاكرين لهما ملاحظتهما وارشادهما ، قالا :

(اطلعنا على « العرب » الجزء الأول من السنة الثانية (رجب) ٨٧ هـ. وقرأنا مـــا كتبه الأستاذ (عبد العزيز بن فيصل المبارك) تحت عنوان : « وثائق الأحوال الشخصية » ونشكركم أجمل الشكر على ما تقوم به (العرب) من البحوث التاريخية واللغوية الفريدة في نوعها والتي تفردت بها هذه المجلة التي وقفت نفسها على خدمة التاريخ العربي الاسلامي واللغة الفصحى . كما نشكر الاستاذ الكاتب على تطرقه لمثل هذا البحث القيم وإجادته من جميع نواحيه .

هذا وقد ذكر الكاتب في سياق حديثه عن الأشخاص الوارد ذكرهم في

الوثيقة ان ممن نقلها في منتصف القرن الثالث عشر (محمد بن عبد اللطيف) في جمادى الاولى سنة ١٢٤٥ هـ . ومن بعده كاتب يدعى (عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن موسى) في شهر صفر سنة ١٢٩٩ هـ. وقال الكاتب: انه لا يعرف عنهما شيئاً مع قرب عهدهما ، فنفيد بما يلي :

١) محمـــد بن عبد اللطيف : من قبيلة آل عبد اللطيف التي تسكن في أشيقر وشقراء والفرعة والدوادمي والشعراء وغيرها من بلدان الوشم وغيره ، وهو إمام جامع أشيقر في ذلك الوقت ، من كتبة الوثائق الشرعية المعروفين. والمعترف بكتاباتهم لدى القضاة يحفظ لديه كإمام للجامع ، بأوراق الوصايا والأوقاف على المساجد والمدارس والصوام وغير ذلك .

٢) عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن موسى : من قبيلة آل مغيرة وإمام المسجد الجنوبي بأشيقر وناظر الكتّاب الموجود في أشيقر في ذلك الوقت ، قام بتعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن مدة لا تقل عن (٤٥) سنة . حفظ القرآن على يديه كثير من القراء المجيدين لا يزال كثير منهم موجودين حتى الآن ، ومنهم الشيخ (عبد الله بن جاسر) رئيس هيئة تمييز الأحكام الشرعية بالمنطقة الغربية وقد أُشير إلى هذا في مقدمة كتابه «مناسك الحج ».

ولا نشك أنه يوجد الآن وثائق بكتابتهما عند بعض أهالي أشيقر ، ولكن يمنع من إخراجها ما أشار اليه الكاتب في صدر بحثه .

نأمل أن يكون فيما ذكرنا كفـــاية بالتعريف بهما كما نرجو التنويه عن ذلك) .

● – **حول منشورات « دار اليمامة »**

أما الأخ الكريم الأديب منصور العمرو من المدينة المنورة ، فقد كتب يقول : (ان لي وجهة نظر حول ما تنشرونه من نصوص وابحاث تاريخية وجغرافية عن جزيرة العرب ، هي محاولة ترجمة ذلك من العربية إلى لغات أخرى ، لأنه يكون فكرة صحيحة عن الجزيرة ، ويصورها تصويراً صادقاً،

ففي ذلك دعاية لبلادنا ، وتبصير بتاريخها وجغرافيتها) .

والحق أيها الأخ الكريم ، ان هذا الرأي وجيه جداً ، فمن الخطأ الاعتقاد بأن الدعاية لا تقوم إلاّ على أساس نشرات قد تمثل الوضع الحاضر ، ولكنها لا تعنى بالأوضاع الأخرى من جغرافية وتاريخية ، وكثير ممن يرغب الاطلاع على أحوالنا ، يهمه بالدرجة الأولى ، أن يعرف تاريخها صحيحاً ، وجغرافيتها على ما هي عليه ، وأدبها بصورته المشرقة الواضحة المتعددة الجوانب . وكان على المعنيين بناحية الدعاية لبلادنا أن يلاحظوا هذا وان لا تقف جهودهم عند حد المؤلفات والمنشورات التي تهمل النواحي المذكورة وتعني بالمظهر وحده .

● حول مجلة « العرب »

ويضيف الأخ الكريم منصور العمرو ، ملاحظة أخرى حول ما ينشر في مجلة العرب ، فيقول : (لماذا تحصرون المجلة في بحوث جغرافية وتاريخية ؟ . صحيح انها قد تحوي غير ذلك ، ولكنه قليل جداً ، أفلا يحسن التوسع فتطرق المجلة جوانب أخرى اجتماعية عامة ؟)

وهذه الملاحظة جديرة بالعناية ، إلا أن من المعروف أن مجلة « العرب » انشئت للعناية بتراث العرب الفكري بحيث تكاد تكون موضوعاتها محصورة في هذا الجانب ، وهو كما يتضح للقارىء، جانب واسع يشمل مختلف النواحي الفكرية ، إذ التراث العربي ليس محصوراً في التاريخ والأدب ، بل يشمل كل قضايا الفكر ، ولهذا فالقارىء لا يعدم ان يقرأ في كل جزء من أجزاء المجلة موضوعات تطرق مختلف نواحي الحياة العربية ، وهي حياة تتصل جذورها بالماضي ، وتسمق فروعها في الحاضر ، ولولا الماضي لما استطاعت أية أمة من الامم الباقية أن تحافظ على كيانها ووجودها .

● لُقَيم أم لُقَيم ؟

وكتب الأخ الكريم الأستاذ عبد اللطيف بن عمر بن ابراهيم آل الشيخ من الرياض يقول : قرأت الحلقة الاولى عن تحقيقكم عن مدينة الطائف ، وقد

لفت نظري ما أوردتموه في الصفحة التاسعة بالسطر الرابع عشر من مجلة « العرب » حيث ذكرتم أن من حبوبه (اللقيمي) منسوب إلى مكان يسمى (لقيم) بينما أهل الطائف ينطقون هذا الاسم بألف في أوله ، فيقولون : (القيم) ويؤيد هذا ايرادكم للنسبة بألف هكذا (اللقيمي) ولو كان هذا الاسم بدون الف لكانت النسبة بدون الف ، لذلك هكذا (القيمي) ، إلا إذا كانت الالف واللام زيدت بعد النسبة ... فأيهما الاصح ؟) .

العرب: يحسن تفصيل الجواب عند الحديث عن الاماكن والوقائع التاريخية، ولو كان في ذلك خروج عن الموضوع .

١ — أما من حيث النطق ، فالصحيح (لـُقَيم) واللام اصلية في الكلمة، ليست أداة التعريف والعامة ينطقونها ساكنة ، فتظهر كأنها ال التعريف ، لصعوبة النطق عندهم بالحرف المضموم في أول الكلمة ويكثر هذا في كلامهم عند النطق بالاعلام .

وقد تنطق العامة بأل التعريف كما تنطق باللام التي من أصل الاسم ، فأهل نجد يقولون في (الزَّيْمَة) : لزيمة ، ويسكنون اللام على طريقتهم في الابتداء بحرف متحرك مرفوع مثل محمد وسليمان ، وصواب الاسم (الزيمة) ال التعريف وبعدها زيمة كما نص على ذلك المتقدمون ، وكما وردت في الاشعار القديمة . ومنها قول محمد بن ابراهيم من شعراء القرن السادس الذي يقول :

مَرْتعي من بلاد نخلة في الصيـ ـف بأكناف سُولة والزَّيْمَة

وقد نص صاحب « القاموس » ، وهو ممن أقام في الطائف ، وألـّف عنه نصَّ على ضبط الاسم فقال كما في «التاج» : والحنطة اللقيمية هي الكبار السروية التي يؤتى بها من السراة أو نسبة إلى لقيم كزبير بلدة بالطائف موصوفة بجودة البر والشعير . وقال العجيمي في كتابه عن الطائف ، وهو يعدد القرى : لـُقَيم على وزن زبير قرية كبيرة ، مشتملة على بساتين ومزارع وآبار ، وهي أول قرى الطائف من الجهة الشامية ، وهو مسكن جماعة من ثقيف ، يقال

لهم : الحَمَدَة ، وقد قتل صناديدهم مولانا الشريف زيد بن محسن صاحب مكة في حدود الاربعين بعد الالف ، لخروجهم عن طاعته ، لانهم حاصروه في حصنهم بها .

ومن الاتفاقيات انهم جمعوا البارود في موضع واحد ، فصار كل واحد منهم يأخذ كفايته ، فبينما هم كذلك ، اذ طاردت عليه شرارة ، فاحترق الحصن وجماعته فيه وهرب الباقون ، فمنهم من قتل ومنهم من انقاد للطاعة ذليلاً ، وأفاد الميورقي ، ان الشريف قتادة جد أشراف مكة ، قتل مشايخ ثقيف بدار ابن يسار من قرية لقيم ، وكان منهم حمـــدان الثقفي العوفي ، فنهبت القرية وكان من جملة ما نهب كتاب رسول الله (ص) لثقيف ، وكان عند حمدان لكونه شيخ قبيلته ، قال اخبرني ولده تميم بن عمران وكانت هذه القتلة في ثالث عشر جمادى ٦١٣ ، وممن قتل فيها قاضي الطائف يحيى بن عيسى . اهـ ونقل النجم بن فهد في تذكرته عن خط الميورقي أما في قرية لقيم قبر بعض الصحابة)[1] . انتهى كلام العجيمي ، وهو من أهل القرن الثاني عشر ، توفي سنة ١١١٣ هـ .

وقد علق أستاذنا العلامة الجليل خير الدين الزركلي على هذا بقوله : (والذي صح عندي ، ان جماعة ثقيف يسكنون قرية المليساء ، وقد تدعى باسم الحمدة الذين ذكرهم العجيمي لسكناهم بها إلى الآن ، أما لقيم ففيه من من ثقيف وغيرهـــا من قبائل العرب عدد غير قليل منتشرون في مزارع هذا الوادي وقراه ، وأما إطلاق إسم القرية عليه ، فلا أعلم له وجهاً ، إلا ان كانت فيه قرية تدعى لقيماً تغير اسمها بعد زمن العجمي ، وأطلق الاسم على الوادي كله) ، وقال الخير الزركلي : (لقيم وادٍ طويل خصيب يجتاز في أقل من ساعتين ، أوله مزارع الشدايين بعد المليساء ، وآخره قرية الصفاة على مـــا يزعمون ، وعندي ان آخره جبل رغاف ، وهو كثير القرى والمزارع) .

---

(١) : « إهداء اللطايف من أخبار الطائف » نسختي الخطية .

ثم أورد من أسماء قرى هذا الوادي ما يلي :

- أم الفَضْلين : مزارع وبستان وبئر ماء في وادي لقيم .
- أم هَيْثم : مزارع في وادي لقيم .
- البُسيليَّة : مزارع حبوب ، في وادي لقيم ، بعد الخضراء وقبل قرية البخاتين .
- الخادميَّة : مزارع في وادي لقيم ، وفيها بستان .
- الخضاري : مزارع في أوائل وادي لقيم ، قبل قرية العبابيد .
- الخَضْرَا بالقصر : مزارع فيها بئر ، في وادي لقيم ، على مقربة من قرية المريسية ، وقد تلحق بها .
- الخليطى : قرية بالقرب من الشدايين ، في أوائل وادي لقيم .
- الشدايين : مزرعة هي أول وادي لُقيم من جهة الطائف ، بين المليساء والخليطى .
- الصَّفاة : قرية بعد المريسية ، هي منتهى حدود لقيم ـ في اصطلاح أهل الطائف ـ .
- العبابيد : قرية في وادي لقيم ، فيها مزارع وبئر .
- قريةالبخاتين: قرية كبيرة لقبيلة البخاتين فيها ثلاث آبار ، وفيها بستانين وأراض زراعية ، في وادي لقيم ، بعد مزارع البُسَيْليَّة ، وقبل الغنامين .
- قرية الغنامين: تقع في آخر وادي لقيم بعد قرية البخاتين ، وقبل مزارع أم هيثم .
- الفُقَهاء : قرية في لقيم ، وراء قرية العبابيد ، فيها مزارع ، وبئر تُدْعى الخُضَيْرة .
- المريسية : قرية فيها آبار وبساتين ، في وادي لقيم ، مجاورة لمزارع الخضرا .

● النوامي : مزارع في أول وادي لقيم من جهة الطائف .

● الوسطى : مزارع في أواسط وادي لقيم ، فيها بئر ، وهي بعد مزارع أم الهيثم وقبل الخادمية .

● – حول « بَدْر »

جاء في « القاموس وشرحه » ما هذا نصه : (وبدر موضع بالبادية – وفي بعض النسخ : باليمامة . قال الشاعر :

فقلت – وقد جَعَلْنَ بِرَاقَ بَدْرٍ يمينا ، والعنابة عن شمـــال .. ؟

فأين بدر هذا الذي ذكر ؟ (الرياض : ع . ح)

❁ بدر :

يطلق اسم بدر على مواضع في جزيرة العرب :

أولها : أشهرها بدر الذي حدثت فيه وقعة بدر ، والواقع بقرب المدينة فيما بينها وبين البحر ، وهذا هو أشهر المواضع ، فقد خلد ذكره القرآن الكريم : (ولقد نصركم الله ببدر ، وأنتم أذلة) . وكان في العهد الجاهلي منهلاً من مناهل طريق القوافل المتجهة إلى شمال الجزيرة من مكة والقادمة منهـا .

ويظهر انه اتخذ موطناً بعد الوقعة التي جرت فيه أي بعد السنة الثانية من الهجرة ، إذ نجد المتقدمين من العلماء ينسبون اليه أبا مسعود البدري ، وهو عقبة بن عامر من الخزرج من أصحاب الرسول (ص) ، ويقولون بانه لم يشهد بدراً ولكنه استوطن ذلك المكان ، ويقع بدر هذا في الجنوب الغربي من المدينة ، وبمسافة تبلغ مـــائة وخمسين كيلاً على وجه التقريب ، وهذا التحديد يختلف قليلاً عما ذكره المتقدمون من أن المسافة بينه وبين المدينة سبعة برد (٧ × ٤ فراسخ = ٢٨ × ٣ أميال = ٨٤ ميلاً) ذلك أن الطريق في العهد الحاضر انصرف عن الطريق القديم بعد تسهيل ما يعترضه من عقبات

ليصلح لمرور السيارات . ثم تحديد المسافات في كلام المتقدمين ليس دقيقاً ، دائماً .

ويقع بدر هذا في أسفل وادي الصفراء ووواديه يدعى (يَليَل) وهو يصب في البحر عند ميناء المدينة القديم (الجار) المعروف الآن باسم (الرايس) وقد أهمل بعد إنشاء ميناء ينبع واتخاذه ميناء للمدينة منذ عصور متقدمة .

ومن بدر يفترق الطريق إلى المدينة وإلى ينبع ، والمسافة بين بدر وينبع ٩٠ كيلاً ، وبين بدر ورابغ وهو يقع جنوب بدر ١٧٠ كيلاً ، وبدر في الوقت الحاضر بلدة يبلغ عدد سكانها أكثر من ثلاثة آلاف نسمة ، وهي تابعة إدارياً لامارة المدينة المنورة .

ويرد اسم بدر كثيراً في شعر كُثَيِّر لأنه من مواطن قومه في ذاك العهد وفيه يقول :

فقلت وقد جعلن يراق بدرٍ يميناً والعنابَةَ عن شمالِ

أما قول صاحب « القاموس وشارحه » : بدر موضع بالبادية ، وفي بعض النسخ باليمامة ، فهو قول غير دقيق ولا يحدد الموضع . وقد ورد الشعر محرّفاً فأوردناه صحيحاً ، منسوباً إلى قائله .

ويدل على أن الشاعر كُثَيِّراً قصد بدراً هذا ذكره العنابة، وهي على ما قال نصر بن عبد الرحمن السكندري : قارة سوداء أسفل من الرويثة بين مكة والمدينة ، هذه القارة تقع شرق بدر ، والرويثة الآن تعرف ببئر عباس .

ثانيها – بدر الواقع في جنوب الجزيرة ، والمعدود الآن من اقليم نجران والذي ذكر المتقدمون انه من مخاليف اليمن، وبدر هذا وادٍ فيه قرى وسكان من قبيلة يام بن أصبى بن دافع من همدان ثم من قحطان ، يقارب تعدادهم ٧ آلاف نسمة ، في هذا الوادي سبع قرى ، أشهرها يعرف باسم بدر .

وقد ذكر هذا الموضع الهمداني وغيره من المتقدمين .

بمناسبة انتهاء العام :

ماذا في دنيا التراث ؟.

رحمك الله يا أبا أيمن !! :

باطلالة الشهر المبارك رمضان العظيم ، وفي اليوم الثاني منه (٣ كانون أول سنة ١٩٦٧) انتقل الى رحمة الله أخ كريم ، وصديق وفيّ ، واستاذ ذو خبرة واسعة واطلاع كبير على ما تحويه الخزانة العربية من تراث الغرب ، ومحقق ذو يد في نشر المخطوطات العربية ، هو صديقنا الاستاذ (فؤاد السيد عمارة) أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية .

نشأ هذا الاستاذ عصامياً ، حيث كوّن نفسه تكويناً قـــام على أساس الخبرة والمران أكثر من قيامـــه على الدراسة المنظّمة في معاهد العلم ، وكثيراً ما كانت الخبرة العملية والدراسة التي تقوم على أساسها أعم فائـــدة وأعمق أثراً من طريقة التحصيل في المدارس .

حدثني صديقنا وصديقه العالم الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، ان الاستاذ رحمه الله أول ما دخل دار الكتب المصرية ، كان شاباً استعان به الشيخ محمد محب الرسول مدير المخطوطات في الدار ، لكي يكتب بطاقات الكتب (الفيش) بأجر زهيد محدد هو مليم واحد عن كل بطاقة يكتبها ، إلا أن

ثالثها : بدر موضع في بلاد خولان لبني حي منهم ، ذكره الهمداني ، وبلاد خولان تقع في غرب صنعاء .

رابعها : جبلان في بلاد باهلة في وسط نجد يدعى كل واحد منهما بدر ، وهما غير معروفين في هذا العهد ، وبالاجمال فإن ما عناه كثير هو بدر القريب من المدينة ، والذى تقدم الكلام عليه .

ذكاء هذا الشاب وطموحه واستعداده ، كانت من الأسباب القوية التي دفعت كبار موظفي الدار إلى أن يسعوا لتعيينه موظفاً (رسمياً) ، من الدرجة الثامنة ، وما زال مجداً دؤوباً في عمله حتى أصبح رئيس ذلك القسم ، وحتى أصبحت المكتبات الأخرى تستعين بخبرته وكفاءته لتنظيم فهارس مخطوطاتها .

ثم قام برحلتين إلى اليمن أولاهما سنة ١٩٥٢ لتصوير بعض المخطوطات النادرة ، مع بعثة من جامعة القاهرة برئاسة صديقنا الدكتور يحيى نامي ، فكان خير عون لتلك البعثة التي عادت بنفائس من المخطوطات، التي كان يظن أن الدهر قد أتى عليها فيما أتى عليه من تراث العرب الضخم ، منها كتاب « المغني » للشيخ عبد الجبار شيخ المعتزلة ، ومنها بعض مؤلفات الهمداني ومجموعة كبيرة من كتب المعتزلة القديمة، كانت مجهولة فحفظتها خزانة أئمة اليمن لاتفاقهم مع مؤلفيها في بعض أصول العقيدة ، ولرحابة صدور علمائهم في المحافظه على آراء أهل العلم من أية نحلة كانوا .

وسافر مرة أخرى قبل أربع سنوات إلى اليمن للغاية نفسها ، فعاد بالجزيل الوفير من المخطوطات النادرة التي أصبحت الآن بعد تصويرها وحفظها في مأمن عن الضياع .

وللاستاذ فؤاد جولات موفقة في تحقيق المخطوطات ومما حققه كتاب « طبقات الأطباء » لابن جلجل « وطبقات فقهاء اليمن » لابن أبي سمرة ، وستة أجزاء من كتاب « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » لمؤرخ مكة تقي الدين الحسني الفاسي وهو أوسع كتاب واشمله في تراجم المكيين من أهل مكة وممن دخلها ، أو كان له أثر عمراني اصلاحي فيها ، على نمط « تاريخ بغداد » للخطيب و « تاريخ دمشق » لابن عساكر ، وان كان أقل منهما مادة ، حقق الأستاذ فؤاد منه من الجزء الثاني فما بعده ، واخترمته المنية قبل اكماله ، وقام الأستاذ فؤاد بوضع فهارس على درجة من الصحة والاتقان لمخطوطات دار الكتب ولمعهد المخطوطات في جامعة الدول العربية .

وكان رحمه الله ، خير عون لمرتادي الدار من المعنيين بالتراث ومن الباحثين بحيث أصبح مكتبه فيها يمثل مجتمعاً علمياً عالياً، يزخر في كل لحظة بمن يعنيهم أمر المخطوطات ، أو يأتون للاستفادة والبحث في أي موضوع من الموضوعات العلمية ، ويبحثون عن مصادر لدراساتهم ، فيجدون لدى الاستاذ فؤاد من رحابة الصدر ومن العون والمساعدة ، ما غرس محبته في قلوب من عرفه .

أمـــا صلته بكاتب هذه الأحرف فكانت على أقوى ما يكون من صلات الأخوة والمحبة ، مما لا يتسع المجال للافاضة فيه . إلا أن مما لا يصح اهماله انه رحمه الله كان خير عون لي ، فقـــل أن أكتب اليه عن مخطوط يستطيع الحصول عليه ، إلا ويأتي الجواب منه مع ذلك المخطوط مصوراً .

وقبل بضعة شهور كتبت اليه عن القسم الذي لم يطبع من كتاب « التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة » للسخاوي ، فلما أبطأ الجواب ، عذرته وظننت ان عمله دفعه إلى ذلك ، ثم فوجئت بوصول كتاب منه يقول فيه : وصل إلي كتابك وأنا في إيطاليا حيث أقوم بالقاء محاضرات عن طريقة صيانة التراث ، وسأعود إلى القاهرة بعد شهر ، ثم ما شعرت إلا بكتاب منه معه قطعة مصورة من الكتاب ،وقال : ان الكتاب كاملاً غير موجود فيما يعلم ومتى عثر على شيء منه فإنه سيتحفني به ، مع كتاب آخر طلبت تصويره ، وبينما أنا أتطلع إلى تحقيق ذلك الوعد إذا بي أفاجأ بنبأ وفاته رحمه الله بدون سابق مرض وهو على درجة من القوة وسلامة البنية واستكمال الصحة .

فليتغمد الله أبا أيمن بواسع مغفرته ورضوانه ، وليبارك في ابنائه الصبية الصغار،الذي كتب إليّ أكبرهم بأنهم سيسيرون على سيرة والدهم ، وسيصونون مكتبته القيمة ويسعون لتنميتها وزيادتها ، فليبارك الله فيهم وليعوض اصدقاء فؤاد عنه العوض الصالح .

أحمد آتش :

كنت تحدثت في الجزء الثالث من « العرب » عن الأستاذ أحمد آتش رئيس قسم الآداب الشرقية في جامعة اصطنبول وكان مما قلته عنه : (وقد

عرفت الأستاذ أول ما عرفته ببحث قيم نشره في مجلة (معهد المخطوطات) عن مكتبات (الاناضول) وكنت أتخيله شيخاً كبيراً ، قد تقدمت بـــه السنون كحال من رأيتهم يقومون على المكتبات في اصطنبول ، ممن لا تزال لديهم بقية من معرفة اللغة العربية ، إلا انني وجدت الأستاذ أحمد في ميعة الشباب ، وعنفوان القوة) إلى آخر ما ذكرت عنه .

وفي أيام هذا العيد سنة ١٣٨٧هـ وكنت في اصطنبول حرصت على زيارة الأستاذ، ولما دخلت الجامعة قال لي أحد موظفيها كلاماً باللغة التركية فهمت منه أنه يسألني عن غايتي من الزيارة فقلت : (البروفيسور آتش) فأجاب : (يوك بروفسور آتش) فظننتهلا يعرفماذا أريد، فأمسكت يده وصعدت بهإلى غرفة الأستاذ التي أعرفها ، وأريته الكتابة التي فوق بابها تحمل اسم الأستاذ ولكنه أشار بأنهلا يوجد في الغرفةأحد ، وان كانتالكتابة لا تزال باقية . ثممر بنا طالب يحسن العربية ، وبعد أن حدثه الرجل قال لي : ان الاستاذ توفي وتعال إلى الأستاذ الذي حل مكانه في الغرفة المجاورة ، فلما دخلنا استقبلني شاب يدعى الدكتور نهاد يحسن العربية وقدمني إلى شيخ كبير السن قائلاً (هذا البروفسور ريتر) وهـــو العالم الالماني الذي أمضى جزءاً كبيراً من حياته في اصطنبول يبحث عن المخطوطات العربية ، وينشر بعضها في سلسلة تدعى (النشرات الاسلامية) كان هو المؤسس لهذه المنشورات التي أصبحت جمعية المستشرقين الالمانية تتولى اصدارها ، وكان من أنفس ما نشر فيها الأجزاء الأولى من كتاب « الوافي بالوفيات » لصلاح الدين الصفدي ، وهـــو من أوسع كتب التراجم ، صدر منه بضعة أجزاء ، والباقي على ما يقول الدكتور (ريتر) لدى محققين لم ينتهوا منه بعد ، تحدثت مع الدكتور (ريتر) عن المخطوطات ، إلا انني رأيت الرجل لا يستطيع السمع إلا بآلة ، ويبدو عليه من آثار كبر السن ما يجعله يتعثر في كلامه . وتظهر عليه آثار الاعياء والتعب . وهو يلقي دروساً في كلية الآداب في الجامعة .

علمت أن الأستاذ أحمد آتش مات فجأة ، من أثر داء في القلب انتابه فجأة في الليل فسكت قلبه إلى الأبد ، رحمه الله .

الشيخ محمد علي التاجر :

وهناك في الجزء الشرقي من وطننا الحبيب ، في جزيرة (أوال) المعروفة باسم البحرين،لا يعدم تراثنا العربي من حُماة ، وعلماء ، يعنون بجمعه وصيانته وتحقيقه ، ومن هؤلاء الشيخ محمد على التاجر ، أحد العلماء الأجلاء ، فقد كان يملك خزانة من الكتب ، تحتوي مخطوطات نادرة ، ومنها مؤلفات الرَّبان النجدي أحمد بن ماجد ، والشيخ التاجر ذو اهتمام بالتاريخ ، وله مؤلفان قيمان مخطوطان أحدهما عن « تراجم مشاهير البحرين » من علماء وشعراء وغيرهم ، في ثلاثة مجالدت والثاني عن « تاريخ البحرين » .

وفي منتصف شهر رمضان المبارك أنشبت المنية أظفارها بهذا العالم الفاضل ، ولم يُجْدِ علاجٌ لدى مهرة الأطباء ، بدفعها ، فقد وافته المنية بعد عودته من لندن عن عمر يربو على الثمانين عاماً – تغمده الله برحمته .

شيخ المستشرقين دِلاّ فِيدا :

المستشرق(جرجي ليفي دلاّ فيدا) من أشهر المستشرقينومن أوسع العلماء اطلاعاً في تاريخ العرب القديم وأنسابهم ، وشهرته تغني عن الحديث عنه ، وكتاباته في دائرة المعارف الاسلامية وغيرها معروفة .

وكنت قد اجتمعت به في مدينة رومة فيشهر جمادى الاولى سنة ١٣٨٠هـ (١٦٩٠ م) وجرى بيني وبينه حديث طويل نشرته قبل بضع سنوات ، وكان قد اهتم بنشر كتاب « جمهرة النسب » لابن الكلبي على ما ذكر الاستاذ ليفي بروفنسال في مقدمة طبعته لكتاب « جمهرة النسب » لابن حزم ، وعند اجتماعي به في رومه علمت منه بأنه قد وضع لتحقيق ذلك الكتاب ما يقرب من أربعين ألف بطاقة ، ولكنه لكبر سنه ، وكان إذ ذاك في الرابعة والثمانين ، ترك الأمر لعالم ألماني هو (ورنر كاسرل) الاستاذ في جامعة (بن) في ألمانيا ، ولما قلت له : أنت لا تزال قوياً نشيطاً ولم تبد عليك

آثار الشيخوخة، أجاب مبتسماً، قال –وهو يجيد اللغةالعربية الفصحى : انني عندما كنت أقوم بوضع فهرس الخطوطات العربية في مكتبة الفاتيكان ، أجد أن المؤرخين من أطول الناس أعماراً ، ولهذا ، فأنا أؤمل أن يطول عمري ، ولكن ليس إلى الحد الذي ذكره السجستاني في كتاب « المعمرين » ثلاث مئة أو أربعمائة سنة ، أنا يقنعني مائة وخمسون أو نحوها .

ثم لما مررت بمدينة رومة في شعبان سنة ١٣٨٥ هـ أردت زيارته ، ولكن الاستاذة ماريا نلينو ، أخبرتني بأنه طريح الفراش ، وانه لا يقابل أحداً لضعفه واشتداد مرضه .

وفي شهر رمضان من هذا العام أثناء رحلتي إلى أوروبة عندما قابلت الاستاذ الحاج عبد الكريم جرمانوس المستشرق المجري المعروف والمسلم الذي خدم العرب والمسلمين فيما نشره عنهم بمختلف اللغات، وفي كتابيه «الله أكبر» و « نحو الشرق » والذي طبقت شهرته الآفاق .

عندما اجتمعت به علمت منه بوفاة المستشرق دلا فيدا فأسفت لوفاة عالم جليل أمضى حياته في البحث والتحقيق ، وكان للعرب من ذلـــك أوفر نصيب .

الدكتور جمال الدين الشيال .

وفي أيام العيد زرت الصديق الكريم العـــالم الأستاذ محمـد بن تاويت الطنجي في المعهد الاسلامي في مدينة اسكودار في اصطنبول ، وقد علمت منه بوفاة الباحث العربي المعروف الدكتور جمال الدين الشيال ، وهو ممن عني عناية كبيرة بنشر المخطوطات وخاصة مؤلفات المؤرخ المعروف النقريزي .

والدكتور الشيال من خـيرة العلماء واعمقهم ، فـيما يتعلق بمؤلفات ذاك المؤرخ ، وله أبحاث منشورة في مختلف المجلات العربية ، غفر الله له .

مكتبة العرب

● — الدار السعودية للطباعة والنشر أنشط دار في هذا الميدان ، وقد اتحفت القراء بطائفة من المؤلفات الحديثة ، منها اعادت طبعه ومنها نشرته بعد طبعه . وقد كرم صديقنا الاستاذ محمد صلاح الدين فنفح مكتبة العرب بمجموعة قيمة من مطبوعات الدار التي يتولى إدارتها ، ومن تلك المطبوعات:

● - **من تاريخنا :**

وهو كتاب ألفه صديقنا الاستاذ محمد سعيد العامودي ، ونشره قبل عشر سنوات ثم اعادت الدار السعودية طبعه طبعة جديدة منقحة ، تقع في قرابة مائتين وخمسين صفحة باخراج جميل على ورق صقيل ، ويضم هذا الكتاب

الدكتور يوسف العش :

الدكتور يوسف العش من علماء الشام البارزين ، وقد تولى ادارة معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية زمناً واقتنى قدراً كبيراً من المخطوطات العربية بطريقة التصوير ، وعني بدراسة التراث العربي ، وألف عن بعض أعلامه ، ثم عاد إلى دمشق وتولى رئاسة إحدى كليات الجامعة ، ويظهر أنه أدرك كما أدرك غيره من أن صيانة التراث اذا لم تكن بطريق حفظه في مكتبات عامة أو في أيد أمينة تدرك قيمته ، فإنه يكون معرضاً للضياع ، وهذا ما دعاه إلى بيع كثير من كتبه التي أصبحت الآن في مأمن من الضياع في المجمع العلمي العربي بدمشق وفي غيره المكتبات ، وقد حدثني الأستاذ الطنجي بانه علم بوفاته أخيراً ، فإلى عفو الله ورضوانه .

ابحاث منوعة منها سياسة المال في عهد عمر بن الخطاب – العناصر النفسية في سياسية العرب . – من تاريخ الصحافة في بلادنا ، من شعراء الجيل الماضي كما تحدث الكتاب عن طائفة من المؤلفات مثل : « العرب تاريخ موجز » « قادة فتح العراق والجزيرة » « الموالي في العصر الأموي » ، و « المسلمون في الهند » ، « طه حسين والشيخان » ، « تاريخ مدينة جدة » و « المثل الأعلى للحضارة العربية » .

وتحدث الكتاب عن بعض المخطوطات النادرة مثل كتاب «موائد الفضل والكرم ، الجامعة لتراجم أهل الحرم » للشيخ عبد الستار الدهلوي المتوفي سنه ١٣٥٥ هـ ، وهذا الكتاب في غنى عن التعريف به ؛ فمؤلفه الأستاذ الجليل محمد سعيد العمودي من أشهر الباحثين والكتّاب في بلادنا ، إلا أن هذا لا يمنع من إضافة كلمة موجزة تتعلق بتاريخ الصحافة نعتقد ان رحابة صدر صديقنا أبي عمر تتسع لهـــا ، وخاصة حينما نشير إلى أنه - حسب اعتقادنا – لم يعتنق بعد فكرة : (إعادة كتابة التاريخ من جديد) .

ومـــا أعادت الدار السعودية نشره مما سبق طبعه مجموعة من مؤلفات الأستاذ السيد قطب منها :

- ❁ – أشواك .
- ❁ – طفل من القرية .
- ❁ – المدينة المسحورة .

ومن الكتب الأخرى :

❁ – الأعزب الفقير: مجموعة من القصص القصيرة كتبها الأستاذ أمين عبد المجيد ، من أدباء المملكة ، وهي في مجموعها تعالج بعض النواحي الاجتماعية في البلاد .

❁ – أدبيات الشاي والقهوة والدخان: كتاب يفهم موضوعه من عنوانه، ألفه الأستاذ محمد طاهر الكردي المكي ، الخطاط المعروف ، ومؤلف كتاب « تاريخ الخط العربي » ويضم هذا الكتاب مجموعة من الطرائف والمقطوعات الشعرية المتعلقة بموضوع الكتاب .

❁ – الغارة على العالم الاسلامي :

كانت مجلة العالم الاسلامي(La revue du monbe musulman) الفرنسية أصدرت في عام ١٣٣٠ هـ. وجزءاً ضخماً حول ما تقوم به إرساليات التبشير البروتستانية في العالم الاسلامي، وكان الكاتب العربي الكبير السيد محب الدين الخطيب يشتغل في تحرير جريدة المؤيد المصرية فقام هو وزميل له في ذلك العهد الأستاذ مساعد اليافي بنقل الكتاب إلى اللغة العربية ، ونشره فصولاً في جريدة المؤيـد فتناقلت تلك الفصول المجلات العربية كمجلة المنار في القاهرة وجريدة الاخاء العثماني في بيروت ، وكان لها وقع وأثر لدى القراء في ذلك العهد ، ثم قام الأستاذ محب الدين باعادة نشر تلك الفصول في مجلته « الفتح » بعد اقتراحات عديدة من القراء وبعد ذلك نشرت تلك الفصول في كتاب في سنة ١٣٥٠ هـ .

وقد قامت الدار السعودية باعادة طبع ذلـــك الكتاب طبعاً جيداً على ورق صقيل بحروف واضحة . وقد كتب أمير البيان شكيب أرسلان رحمه الله في مجلة الفتح حينما قرأ بعض فصول هذا الكتاب قائلاً : (اني أقترح أن يطبع منه ألوف من النسخ وعشرات ألوف ويوزع على جميع العالم الاسلامي بدون استثناء ويقتنيه كل مسلم ذي حمية) إلى آخر الكلمـــة القيمة الملحقة بالكتاب .

❁ – **دروس من الوحي :**

وقامت الدار السعودية للنشر بطبع كتاب « دروس من الوحي » وهـي أحاديث دينية مستقاة من معين الكتاب والسنة النبوية للاستاذ محمد المجذوب، كان يذيعها من إذاعة صوت الإسلام من مكـــة المكرمة ، وهي تتعلق بموضوعات لا تربط بينها وحدةولكنهاخطرات تتناول مختلفالجوانب الدينية مكتوبة بطريقة المحاورة بين شيخ وتلميذه ، وتقع في أكثر من ثلاثمائة صفحة مطبوعة طبعاً حسناً .

❁ — **المسلمون وعلم الفلك :**

هذا كتاب ألفه فضيلة العالم الجيل الشيخ محمد محمود الصواف حول موضوع الشمس والأرض من الناحية الفلكية،وأورد فيه ابحاثاً تتعلق بالأرض وبالشمس وبالأفلاك وما يرتبط بها ، وتلك أبحاث مدعمة بالنصوص الدينية التي توضح موقف الاسلام من الناحية الفلكية .

وقد قامت الدار السعودية بطبع هـذا الكتاب طباعة حسنة فجاء في ١٢٠ صفحة .

ولم يقف نشاط الدار السعودية عند نشر ما تقدم ذكره من المؤلفات بل نشرت مجموعة كبيرة من الكتب الدينية والأدبية والاجتماعية منها على سبيل المثـال .

❁ — قدر ورجل :

للشاعر الأستاذ محمد حسن فقي .

❁ — سيرة بطل .

للأستاذ الكاتب المعروف محمد حسين زيدان

❁ — أرض بلا مطر .

مجموعة قصصية للأستاذ الكاتب المعروف إبراهيم الناصر .

❁ — الدولة والثورة .

لمعالي الشيخ جميل الحجيلان وزير الاعلام .

❁ — دورنا في زحمة الأحداث .

كتاب للأستاذ السيد حسن كتبي .

❁ — مقومات الصناعة في المملكة العربية السعودية .

للأستاذ هشام جمجوم .

* – قصة رحلة إلى الشرق الأقصى

للأستاذ شكيب الأرناؤوط .

كما قامت الدار بنشر خمسة كتب من مؤلفات الدكتور عمر حليق تتعلق ببعض النواحي السياسية في العالم .

* – عبد الرحمن الأوزاعي شيخ الاسلام .

هذا كتاب عن الامام المحدث الكبير عبد الرحمن الأوزاعي، ألفه الأستاذ الفاضل الشيخ طه الولي،وهو : (دراسة مفصلة تتناول تاريخ الإمام الاوزاعي والمؤسسات المنسوبة إلى اسمه والتقاليد الشعبية المتأثرة بمكانته الروحية ، مع مجموعة من الرسوم والوثائق التوضيحية) ...

ويقع هذا الكتاب مع فهارسه وصوره في ٢٥٤ صفحة ويتضمن في أبوابه الستة فصولاً عديدة عن حياة الامام الأوزاعي وعن مذهبه الفقهي ورحلته لطلب العلم ، كما يحوي فصولاً عن الآثار الاوزاعية في بيروت وضواحيها والزوايا التي لها صلة بالاوزاعي ومدافن بيروت الدارسة والباقية إلى ما له صلة بتلك النواحي ، ويزدان الكتاب بمجموعة من الصور والكتابات الأثرية ، وفيه فهرس مفصل للأعلام .

وإلقاء نظرة عابرة على الكتاب يظهر للمطالع مدى الجهد الذي بذله الشيخ الولي مؤلف الكتاب في سبيل إخراجه وقد طبع طباعة حسنة على ورق صقيل مما أبرزه بصورة جميلة .

* – **تاريخ خليفة بن خياط** :

وصدر عن لجنة إحياء التراث في وزارة الثقافة السورية القسم الأول من تاريخ خليفة بن خياط من أول الكتاب إلى سنة ١٠٠ هـ بتحقيق الإستاذ سهيل زكار في ٤٥٣ صفحة مطبوعاً طبعاً حسناً . أما فهارسه فقد أرجئت إلى الجزء الثاني ، وهو آخر الكتاب ، وقد وضع الاستاذ سهيل زكار مقدمة لهذا

القسم تتضمن الكلام على حياة خليفة ثم منهجه في التاريخ،ثم وصف مخطوطة الكتاب ، تقع المقدمة في سبع صفحات ، وسبق لنا الحديث عن هذا التاريخ الذي طبع كاملاً في بغداد وقد نعيد القول لابداء ملاحظات تتعلق ببعض أخطاء وقعت في الطبعتين من جراء عدم وضوح الكتابة في النسخة الخطية الفريدة ، والتي كتبت بخط مغربي أندلسي دقيق سنة سبع وأربع مائه .

❁ – أحداث النكبة .

فضيلة الشيخ محمد نمر الخطيب من كبار وعلماء المسلمين من بلاد فلسطين ، وأبحاثه ومؤلفاته الدينية يعرفها كثير من القراء . وسبق ان ألف في عام ١٣٧٠ (١٩٥١) كتاباً دعاه من أثر النكبة ، ثم بعد نكبة ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ أعاد نشره باسم « أحداث النكبة،أو نكبة فلسطين » والموضوع أعظم من أن يوضح ، والكتاب يعتبر سجلاً وافياً لجل الحوادث الأليمة التي وقعت في ذلك الجزء الحبيب من وطننا ، كما يضم آراء وتوجيهات قيِّمة حول موضوعه ، من عالم جليل اصطلى باوار تلك الأحداث وشاهد الكثير منها ، فأحدثت في نفسه من الأسى ما أحدثته في نفس كل عربي .

وقد أعادت دار مكتبة الحياة نشر هذا الكتاب فجاء في ٣٦٨ صفحة يضم قدراً كبيراً من الصور .

❁ – العِـبَر للذهبي :

وفي سلسلة « التراث العربي » التي تصدرها وزارة الارشاد والانباء في الكويت صدر الجزء الخامس من كتاب « العِبر ، في خبر من غبر » لمؤرج الكلام الحـــافظ الذهبي المتوفي (٧٤٨ هـ – ١٣٤٧ م) بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، وهو المجلد الأخير من الكتاب ، ويقع في ٥٣٥ صفحة مع فهارسه في طباعة أنيقة فاخرة ، ويقف الكتاب عند انتهاء حوادث القرن السابع ، ووفاة أعيانه ، مع أن المؤلف عاش بعد ذلك ٤٨ عاماً

❋ - تاج العروس :

ومن الحلقة السادسة عشرة من سلسلة « التراث العربي » الذي تقوم بنشره حكومة الكويت ، صدر الجزء الثاني من « تاج العروس،من جواهر القاموس» للسيد مرتضى الحسيني الزّبيدي ، وهو شرح القاموس المحيط المعروف .

وقد حقق هذا الجزء الاستاذ على هلالي من موظفي مجمع اللغة العربية ، وراجعه الاستاذان عبد الله العلايلي ، وعبد الستار أحمد فراج ، ويحتوي هذا المجلد الواقع في ٥٥٠ صفحة على قسم من باب الباء ، من أول الباب إلى نهاية فصل الراء من الباب نفسه : (ر ي ب) .

وقد صدر الجزء الأول قبل ثلاث سنوات بتحقيق الاستاذ عبد الستار أحمد فراج .

وكتاب « التاج » محظوظ في دنيا النشر ، فمع ضخامته ، حيث يقع في عشر مجلدات كبار ، قد طبع في هذا العام بطريقة التصوير بـ (الأوفست) مرتين في وقت واحد ، وفي بيروت ، صور عن الطبعة القديمة التي قل أن تخلو صفحة من صفحاتها من الأخطاء الشنيعة .

أما طبعة وزارة الارشاد والأنباء الكويتية فقد بلغت حداً من الجودة ، وحسن الاخراج وجمال الحرف ووضوحه ، لم تبلغه مطبوعة عربية أخرى فيما نعلم ، غير أن انتظار إكمال طبع الكتاب ، بالطريقة التي تسير عليها الوزارة ، بحيث لا يصدر الجزء الواحد قبل مرور عام أو عامين على صدور الجزء الذي قبله ، هذه الطريقة تحتاج إلى عمر نوح (ع . م) ومن الممكن لتلك الوزارة الكريمة التي لا يعوزها المال نشر أجزء في العام الواحد، فيما لو عهدت بتحقيق الكتاب إلى عدد من العلماء المحققين أكثر ممن حصرت أمر التحقيق فيهم ، فقد يحصل لها ما تريد من جودة التحقيق ، وتوفير الوقت . وخدمة الأمة العربية بابراز تراثها بصورة مشرقة، وتيسير الاستفادة الكاملة من ذلك التراث .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف (٢٤٣٠) البريد
الرياض المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا الجمعيات البريد
الإعلانات يتفق بشأنها مع الادارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

الجزء الخامس - السنة الثانية - ذو القعدة - سنة ١٣٨٧ (شباط ١٩٦٨)

أمل وتحية إلى :

مجمع اللغة العربية

[بمناسبة انعقاد مؤتمره الـ ٣٤]

في هذا الشهر : يقوم مؤتمر مجمع اللغة العربية السنوي ، في القاهرة ، فيحضره جميع أعضائه ، من مصر والشام والمغرب ، وجزيرة العرب ، ومن غيرها من البلاد التي للمجمع فيها أعضاء .

وقد يدعى لحضور هذا المؤتمر غير الأعضاء من العلماء ، كما حدث في هذا العام، فقد وجه رئيس المجمع الدعوة إلى بعض كبار العلماء المعنيين بالدراسات العربية ، من مستشرقين وغيرهم .

وهذه الاجتماعات لا تقف عند حدّ النواحي اللغوية ، بل كثيراً ما كان مؤتمر المجمع محفلاً علمياً عاماً يتبارى فيه رجال تلك الصفوة الممتازة من العلماء بالقاء مختلف البحوث والدراسات العلمية، في التاريخ والأدب والاجتماع.

والقارىء – في كثير من الأقطار العربية – لا يعرف عن المجمع إلا ما وصل اليه بطريق التندر والفكاهة ، من كلمات وتعابير مشبعة بروح السخرية

والمرح مثل : (شاطر ومشطور) و (بلغة) للطعام الخفيف و (عرعور العراعير) لرئيس الوزراء ، و (القفّة) لنوع من ملابس النساء ، وأمثال هذه الكلمات التي هي من آثار صحافة المجون واللهو ، في ذلك العهد الذي أنشيء فيه المجمع قبل أربعين عاماً . فقد كان الحرص على حماية اللغة يدفع بعض أعضاء المجمع إلى اقتراح استعمال أسماء عربية ، غريبة ، لمسميات حديثة أُلِف المجتمع أسماءها الأعجمية ، فتتلقف بعض الصحف الماجنة تلك الأسماء العربية لغرابتها ، وتتخذ منها مجالاً رحباً لامتاع قرائها بمختلف (النكت) و (الصور) المضحكة .

ولقد سمعت الدكتور منصور فهمي – رحمه الله – عندما شكى اليه أحد رجال المجمع مما نشر في إحدى المجلات عن المجمع مـــن صورة هزلية (كاريكاتير) سمعته يقول : (دعهم يكتبوا عنا ما شاؤا ، فهو خير من أن نَبْقى مجهولين) !! – أو كلاما هذا معناه – .

ولكن القارىء – في جميع أقطار البلاد العربية – أصبح الآن بحاجة إلى أن يعرف كل شيء عن هذا المجمع الذي أُنشيء للحفاظ على الأمة العربية ممثلة في لغتها .

وقد تغيرت حياة الأمة العربية في ظلال الأربعين سنة الماضية من عمر المجمع ، فلم يعد العربي يطيق الآن أن يرى في مجمعه هذا مظهراً من مظاهر إضفاء روح المرح والدعابة على النفوس ، إنه يريد من هذا المجمع العتيد أن يحيا حياة الأمة العربية اليوم ، حياة الجد والقوة ، يقتحم لبلوغ هذه الحياة كل ما يعترض الطريق ، ويلج عليها من مختلف الأبواب .

إن حياة (الانعزالية) التي يحياها المجمع قد أضعفت الثقة به ، وأسدلت دونه حجباً كثيفة ، حالت دون إدراك القارىء ما لهذا المجمع من جهود عظيمة في سبيل الحفاظ على اللغة العربية . ولقد أدرك القائمون على المجمع هذا الأمر ، فسعوا – ما وسعهم السعي – للقضاء على تلك الحياة ، فكان أن تمّ الالتقاء بين مجمع القاهرة وبين مجمعي دمشق وبغداد ، وكان أن أصبح

التعاون بين المجامع العربية الثلاثة قوياً ، وكان من آثار هذا التلاقي انعقاد مؤتمر مجمع اللغة العربية السنوي منذ ثلاث سنوات في بغداد .

وقبل ذلك ضُمَّ إلى مجمع اللغة العربية أعضاء يمثلون مختلف الأقطار العربية ، هذا بالإضافة إلى ما يقوم المجمع بنشره من مؤلفات ، ومنشورات مختلفة، تتضمن كل أبحاثه ومقرراته ، وتفصل ما يجري في جلساته واجتماعاته. ثم هذه المجلة التي تعتبر سجلاً حافلا بأقوى الدراسات والأبحاث لصفوة ممتازة من علماء العرب وغيرهم، لا يزال المجمع يوالي اصدارها منذ نشأته . بالاضافة إلى طائفة كثيرة من الكتب اللغوية

كل هذه الأعمال التي يقوم المجمع بها ـ على جلالة قدرها وعظم فائدتها ـ يكاد يخلو ذهن القارىء العربي منها ، ذلك لأن رجال المجمع الذين يقومون بتلك الاعمال يسيرون على طريقة من الأناة والحكمة ، تتلاءم مع طبيعة وجود المجامع العلمية ، التي تتجه أهدافها وغايتها إلى المستقبل ، أكثر من اهتمامها بالحاضر ، فينصرف الاهتمام بالعمل إلى تقوية قاعدته ، وتثبيت دعائمه ، إذ على أساس قوة البناء ، يمكن الاعتماد ، وبرسوخ الأصل يسمق الفرع ، وتجود الثمرة .

ولكن العربي الآن — في كل بقعة من بلاده — أحوج مـــا يكون إلى الاستفادة في كل جزء من أجزاء زمنه ، بكل جهدٍ يصرف في سبيل نفعه، ولتقويم أمور أمته ، واصلاح مختلف أحوالها .

وهذه الصفوة الممتازة من علماء العرب التي يضمها المحفل الكريم في كل عام ، فتلتقي أفكارها وأهدافها في أبحاث ودراسات على أقوى ما تكون من القوة والامتاع والفائدة ، أليس من الحكمة ، ومن الخير ، أن يستفاد منها ما أمكنت الاستفادة ، وأن يُنتفع بها ، مـــا وجد السبيل إلى الانتفاع بها ؟ .

ولن يتسنى ذلك ما لم تنتشر مطبوعات المجمع ، في أوسع المجالات ، فتصل إلى كل جامعة عربية ، وإلى كل معهد علم ، وإلى كل مجتمع ، يعنى

قبائل الطائف

[هذا فصل من كتاب « الطائف : جغرافيته - تاريخه أنساب قبائله » ألفه صديقنا الأستاذ الشيخ محمد سعيد حسن كمال ، واتحف قراء « العرب » بهذا البحث منه ، وبغيره من ابحاث تتعلق بتاريخ بلادنا] .

بنو مهلائيل :

أول من عرف بسكنى الطائف من الأمم البائدة على قول الاخبارين (بنو مهلائيل بن قينان) قبل الطوفان ، وقد ذكرهم حرثان بن محرث الملقب بذي الأصبع العدواني فقال :

باللغة العربية، فيستطيع كل قارىء عربي يريد أن يدرك خير الوسائل للحفاظ على لغته ، فيجدها ميسّرة مبينة ، عملت هذه النخبة الممتازة من العلماء فصرفت العظيم الكثير من جهدها ، في الطويل الثمين من وقتها ، لكي تقدمه من آراء صائبة ، ودراسات علمية محققة ، واقتراحات سديدة ، في سبيل أمتنا الكريمة ، وحفاظاً على لغتها التي لا بقاء للأمة إلا ببقائها .

وما أيسر تحقيق هذه الأمنية على رجال المجمع، ومن القائمين بشؤونه،وما أسهل الوسائل التي تحقق ذلك لديهم !!

ولهم من سمو الفكر ، وعمق الادراك ، ونبل القصد ، وشدة الحرص ، ما لا يدع مجالاً للقول ، أو موضعاً للاقتراح .

ولهم أصدق تحية ، وأطيب أمنية ، لكي يحقق الله بهم ، ما تصبو اليه الأمة من إعزاز للغتها ، وصيانة لحوزتها ، وتحقيق لمثلها العليا .

حمد الجاسر

كلا الحيين قد هلكا سفاها كما هلك ابن مهليل بوَجّ
عدا بالخيل من (جَلْدان) رهوا يجوب الأرض فجا بعد فج

يريد بالحيين بني عبد ضخم وبني هانيء من ثمود ، ثم سكنه العمالقة قوم من عاد ، تفرقوا في البلاد ، وانقرض أكثرهم ، وهم من ولد عمليق أو عملاق ابن لاوذ بن إرم بن نوح عليه السلام ، وكان اسم الطائف (وجّاً) باسم (وَجّ) بن عبد الحي من العماليق وهم قبائل عربية بائدة يضرب بافرادها المثل في كبر الأجسام ، من بطونهم بنو جاسم بن عمليق ، كانت مساكن بنيه بيثرب والبحرين وعمان وأيلة . وكان منهم بالمدينة بنو هَفّ وبنو سَعد ابن علوان وبنو مطر وبنو الأزرق . وكان منهم بنجد: بديل وغفار، وبالحجاز وتيماء (بنو الارقم) وسكن الطائف منهم (بنو عبد ضخم) ثم سكن الطائف بنو هانيء بن هذلول من ثمود قبل سكناهم الحجر . ثم سكنه اياد ..

قبيلة ثمود :

وسكنت قبيلة ثمود الطائف ، ومن هنا نشأ القول بأن ثقيفاً يرجع أصلهم إلى ثمود . وجاء في كتب الأخبار أن الحجاج بن يوسف الثقفي أنكر هذا القول ، مستدلاً بقول الله عز وجل : « وثمودا فما أبقى » .

وقال الأستاذ أحمد حسن البهكلي :(دلّل برندن — مؤلف كتاب « تاريخ ثمود » على أنه في القرن الثامن قبل الميلاد كانت ثمود تسكن المدينة ومكة ، وأشار إلى وجودهم في عسير، ما بين القرن الأول والثاني قبل الميلاد . وأشار الدكتور جواد علي في كتابه « تاريخ العرب قبل الاسلام » — ص ١٣٤ جـ١— أنه توجد في أراضي الطائف كتابات ثمودية ، قال عنها : إن لهذه الكتابات على قلتها أهمية كبيرة لأنها تدل على وجود قوم ثمود في هذه الأماكن ، وتجعل لقول من قال من النسابين : ان ثقيفاهم من أصل ثمودي شيئاً من القيمة في نظر العلم) [1] .

---

(١) مجلة « العرب » جـ٤ ص ٢٩٥ السنة الثانية وسيأتي إيضاح لهذا .

قبيلة إياد :

وهم بطن عظيم من العدنانية ، وهم بنو إياد بن نزار بن معد بن عدنان ، كان لهم شرف في أهل تهامة ومنزلة فيهم ، وكانت لهم كعبة تدعى كعبة شداد يعبدونها — ثم اعتنقوا النصرانة ثم الاسلام ،وكان يضرب المثل بخطبائهم ، وتعلمت العرب الخطّ منهم ، وعنهم اتت أخبار كثيرة من الأمم الخالية مثل (طسم) و (جديس) ..

ومن بطون إياد : يقدم ، وبنو حذافة وبنو دعمي وبنو الطماح ، وهم الذين عناهم الشاعر عمرو كلثوم التغلبي في معلقته :

ألا أبلـــغ بني الطماح عنا ودعميا فكيف وجدتمونا ؟ !

ومن مشاهيرهم كعب ابن مامة المشهور بالجود ، وقُس بن ساعدة المشهور بالفصاحة ، ومنهم القاضي أحمد بن أبي دؤاد [1] الأمام المعروف عند المعتزلة.

وفي آخر القرن الثالث الميلادي انفردت قريش برياسة الحرم ، فاضطرت إياد لأن تهاجر إلى العراق وأرض الروم ، فلم يبق بتهامة وغورها من ولد عدنان الاّ مضر وربيعة ومن كان معهم ، أو دخيلاً فيهم أو مجاوراً لهم [2] .

قال ابن شبّة [3] : ولم يبقَ إلا (قَسِيّ ابن مُنبّه) وهو ثقيف ، فإنه أقام بالطائف في نفر من أصهاره عدوان بن عمرو بن قيس عيلان ، وكان قد تمرّد على قومة فنابذوه فانحاز عنهم .

قبيلة عدوان :

ثم سكن الطائف بعد اياد (عدوان) واسمه الحارث بن عمرو بن قيس

---

(١) صفة جزيرة العرب ٢١١ — ٢١٣ والاكليل ١ : ١٣٥ وابن خلدون ٢ : ٣٢٠ وانظر مجلة العرب الجزء الأول من السنة الثانية ١٣٨٧ هـ .

(٢) الطبري ١ : ٢٠٣ وتاج العروس ٦ : ٢٥ ، ونهاية الارب ١٧١ والاعلام ٢ : ٧٤.

(٣) معجم ما استعجم للبكري ١ : ٧٦ — ٧٧ .

عيلان وسمي بعدوان – لأنه عدا على أخيه فهْمٍ فقتله [1] .

ومن المواضع التي سكنتها « عدوان » من السراة : يصاع – والسوار – وبطن قطن – والنجار – وبقران – قال ذو الأصبع :

جلبنا الخيل من بُقْران قبّاً تجوب الأرض فجّاً بعد فج

والبيداء – ومرهب – وصُعْر – ومغرب – قال ذو الأصبع يذكر عدداً من ديارهم :

ان داري بمرهب فبصعر فمعورٍ فوخدة فالمُرار
ولنا منزل برقبة لا يسمع فيه تهاذي الأخبار
منزل أحرز الحواضن فيه كلُّ قرم متوَّج جبار
ثم بالفرع قد نزلنا قبيلاً دار صدق قليلة الأقذار
ماؤنا الفيض لا يعذّبنا القيظ ولا النزع بالرشا والمُغار

ومن المواضع التي سكنتها عدوان بالغور مع بني (شَبابَة) : الليث – ومركوب – ويلملم – ونجْدُهم فيه فيه عَدوان مما يلي (مُطار) [2] .

ثم نزلت عامر بن صعصعة – وأمه عمرة بنت عامر ابن الظرب العدواني – ناحية من الطائف ، مجاورين لعدوان أصهارهم ، فنزلوا حولهم ، وأقاموا

---

(١) استدراك وتعقيب / ذكر العالم الباحث المؤرخ الشيخ محمد العربي ابن التباني الجزائري في كتابه « محادثة أهل الأدب بأخبار وأنساب جاهلية العرب » صفحة ٦٨ ، أن فهم ابن عمرو لم يعقب لأن أخاه عدوان قتله ، والصحيح أن له عقباً منهم : قين – وعامر – وعائذ – وسعد منهم بنو طرود بن فهم بطن متسع كانوا في أرض نجد وكان منهم الأعشى أعشى فهم ، وليس منهم الآن بها أحد . ومنهم : أبو فهم الشوري روى عن النبي (ص) ومنهم الشاعر العداء (تأبط شراً) وهو : ثابت بن جابر بن سفيان بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم كما أن بطني عدوان وفهم تسميان « جديلة قيس » ويقال لها : « جديلة هوازن » نسبة الى أمهم جديلة زوجة عمرو بن قيس. وانظر الجمهرة لابن حزم ٢٤٣ والمحبر لابن حبيب ١٩٦ ، والانباه على قبائل الرواة ٨٤ وابن خلدون ٢ : ٣٠٥ .

(٢) صفة جزيرة العرب ٧١ و ١١٣ .

بذلك زماناً ، ثم وقعت بين عدوان أنفسهم حرب ، تفرقت فيها جماعتهم ، وتشتت أمرهم :

ومن أشهر بطونهم في القديم : زيد ، ودوس ، ويشكر ، ومن بطون يشكر بنو وشقة بن عوف بن بكر ، وبنو الظرب ، وبنو ثعلبة ابن الظرب وبنو وائلة بن عمر بن ناج بن يشكر ، وبنو جذيمة بن وهم بن ناج بن يشكر منهم : بنو كبة [1] .

وللحروب التي قامت بين عدوان فرقت فيها جماعتهم كما أشرنا يقال : ان دوسا هذه دخلت في الازد ، وهي دوس الازد رهط ابي هريرة رضي الله عنه وبنو كبة دخلت في ثقيف ، قال ابن خلدون : وبافريقية لهذا العهد حيٌّ منهم يظعنون مع سليم ورياح

ولا يعرف الآن شيء عن البطون المتقدمة، وإن حفظت لنا كتب التاريخ الكثير من مشاهيرهم .

فمن بعض مشاهيرهم : أبو سيارة عُمَيلة ابن الأعزل ، كان يدفع بالناس من مزدلفة إلى منى في المواسم ، من ولد زيد بن عدوان ، ويحي بن يعمر القاضي بخرسان .. من بني وشقة بن عوف . وحاكم العرب عامر بن الظرب ، من بني يشكر والقاضي العوفي الحسين بن الحسين بن عطية بن جنادة من بني يشكر وذو الاصبع الشاعر حرثان ابن محُرّث من بني ثعلبة بن الظرب ، ومنهم الليث ابن سعد أحد الائمة المجتهدين والاعلام البارزين [2].

ويظهر أن الحروب التي أكلتهم ، وفرقت جمعهم قضت على وحدتهم وتمييز بطونهم ، لهذا لا يزال سكان الطائف الآن من عدوان ينتسب إلى عدوان نفسه لا الى الافخاذ المتولدة ، مع أن الزمن السحيق للاجيال المنصرمة منه كانت كفيلة بان يتضخم بطن عدوان ليصير إلى شعوب وقبائل لا تعد ولا

---

(١) الجمهرة لابن حزم ٤٥ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٠٥ .

تحصى ، ولما رأت بنو عامر أصهار عدوان ما آل اليه اختلافهم وتفرقهم طمعت فيهم وطردتهم من الطائف إلى بعض ضواحيه ، ولما رأوا أنفسهم بين أقوياء يستضعفونهم ، حالف القليل منهم الكثير من غيرهم وانضم الذليل الى العزيز ، واندمج بعضهم في قبائل أخرى ، فقال ذو الأصبع العدواني يتوجع على قومه :

عذير [1] الحيّ من عدو ن كانوا حيـــة [2] الأرض
بغى بعضهم ظلمـــاً فـــلم يرع على بعض
وهم بوّأوا ثقيفاً دا ر لاذلّ ولا خفض
ومنهم كانت السادات والمـــوفون بالـقرض
ومنهم من يجـــيز النا س بالسنة والفـــرض
ومنهم حـــكم يقضي فـــلا ينقض مـا يقضي

أما الآن فيسكنون شرقي الطائف وشماله ، معظمهم في المزارع والقرى الآتية :

قرى عدوان :

المجنب — صُلبّة الباردة - العقرب — الفريدة — وهي قرى ومزارع ونخيل متقاربة من بعضها ، ومحصول نخيلها من أجود المحاصيل ، وتبعد عن الطائف بين ثلاثين وأربعين من الأكيال تقريباً ، ويقدر عددهم بالفي نسمة تقريباً .. ومن مشاهيرهم في القرن الثالث عشر الأمير الخطير عثمان بن عبد الرحمن المضائفي [3] ..

ولحسن موقع أرضهم ، وصادق لهجتهم ، وشهامتهم ، وشجاعتهم ، وإفراط

---

(١) عذير الحي ؛ منصوب على الفعل المتروك اظهاره ، كأنه يقول : هاتوا عذيرهم أو من يعذرهم فيكون العذير بمعنى العاذر ، ويكون أيضاً بمعنى العذر مصدراً لحديث ونحوه .

(٢) يقال فلان حية الأرض أو حية الوادي ، اذا كان مهيباً يذعر منه .

(٣) له ترجمة في الاعلام ٤ : ٣٧٠ وابن بشر ١ : ١٤٩ و ١٦٢ .

غيرتهم كان كثير من أشراف مكة يختارون مراضع ابنائهم فيهم ، وتنشئتهم بينهم ..

بنو عامر بن صعصعة :

بنو عامر أكبر قبيلة في هوزان بل في قيس وهم : بنو عامر بن صعصعة ابن معاوية ابن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، ويقال لهم : الأحامس لأنهم كانوا في الجاهلية يتحمسون في أديانهم ، أي يتشددون ، لا يستظلون أيام منى [1] .

وقد تفرع من بنيه الثلاثة : نمير - وهلال : وربيعة — قبائل كثيرة متعددة ، هـــاجر قسم كبير منهم إلى المغرب بدعوة من العبيدين ليناوئوا الصنهاجيين من بني المعز،وحين عبر عبد المؤمن ابن علي مؤسس دولة الموحدين الى الاندلس نفر اليها منهم جمع ضخم من قبيلة (رياح) وبني (زغبة) وبني (الاثبج) وبني (سليم) كلهم ينتمون لهلال ابن عامر [2] ..

ومن شعر أبي العباس أحمد بن عبد السلام الكورائي يستميلهم إلى خدمة الأمير عبد المؤمن من مطلع قصيدة عامرة :

أحاطت بغايات العُلا والمفاخر على قدم الدنيا هلالُ ابن عامر
وزانوا سماء المجد عَوْداً ومَبْدأً بسمر القنـــا والمرهفات البواتر

صاهرت بنو عامر قبيـــلة عدوان ، ونزلوا ناحية من الطائف مجاورين لأصهارهم عدوان . ولما اختلفت عدوان على نفسها وضعف شأنهـا ، طمعت فيهم بنو عامر فتغلبت على الطائف ، وأخرجتهم منها إلى ان تغلبت عليهم ثقيف كما سيأتي :

---

(١) العمدة لابن رشيق ٢ : ١٩٧ .

(٢) « المعجب في اخبار المغرب » ٢٠٥ ، ٢٢٥ و ٢٢٦ وابن خلدون ٢ : ٣١١ .

ثقيف :

نزلت بنو ثقيف الطائف مجاورين لأصهارهم عدوان ، ولما رأت أن بني عامر تغلبت على الطائف ، واستخلصته من عدوان ، وكانوا يقضون صيفهم بالطائف وشتاءهم بمراعي نجد ، قالت ثقيف لبني عامر [1] : إن هذه البلاد بلاد زرع وقد رأيناكم اخترتم المراعي عليها فاضررتم بعمارتها واعتمالهـــا ، ونحن أبصر بعملها منكم ، فهـــل لكم أن تجمعوا الزرع والضرع ، وتدفعوا بلادكم هذه الينا ، فنثيرها حرثاً ، ونغرسهـــا أعناباً ، وثماراً وأشجاراً ، ونكظمها كظائم ، ونحفرها أطواء ، ونملؤها عمارة وجناناً ، بفراغنا لها ، وإقبالنا عليها ، وشغلكم عنهـــا ، واختياركم غيرها ، فاذا بلغت الزروع وأدركت الثمار شاطرناكم ، فكان لكم النصف بحقكم في البلاد ، ولنا النصف بعملنا فيها ، فكنتم بين ضرع وزرع لم يجتمع لأحد من العرب مثله .

فدفعت بنو عامر الطائف إلى ثقيف عمّارتها ، فكانت بنو عامر تجيء أيام الصرام فتأخذ نصف الثمار كلها كيلاً ، وتأخـــذ ثقيف النصف الثاني ، وكانت عامر وثقيف تمنع الطائف مَنْ أراده . فلبثوا بذلك زماناً من دهرهم حتى كثرت ثقيف فحصّنوا الطائف وبنوا عليها حائطاً يطيف بها فسميت (الطائف) فلما قووا بكثرتهم وحصونهم امتنعوا من بنو عامر فقاتلتهم بنو عامر ، فلم تصل إليهم ، ولم يقدروا عليهم ، ولم تنزل العرب مثلهـا داراً ، وقد ضربت الأمثال بمنعتهم ودفاعهم عن أرضهم .

قال أبو طالب بن عبد المطلب :

منعنا أرضنا من كل حيٍّ كما امتنعت بطائفها ثقيف [2]
أتاهم معشر كي يسلبوهم فحالت دون ذلكم السيوف

---

(١) معجم ما استعجم للبكري ١ : ٧٧ - ٧٩ .

(٢) معجم البلدان ٤ : ٩ - ١٢ .

وقال بعض الأنصار :

فكونوا دون بِيضكم كقوم حموا أعنابهم من كل عادي

ثم حسدهم طوائف العرب وقصدوهم ، فصمدوا لهم وجدّوا في حربهم ، فلما لم يظفروا منهم بطائـــل ولا طمعوا منهم بغرّةٍ ، تركوهم على حالهم أغبط الغرب عيشاً ، إلى أن جاءالاسلام وحاصرهم النبي (ص) ثم قال (ص): « لم يؤذَنْ لنا في فتح الطائف » ، ثم انصرف عنها إلى (الجِعرّانة) ليقسم سَبْي أهل حُنين وغنائمهم وقال : « اللهم اهدِ ثقيفاً وائت بهم » ، ثم رأت ثقيف أن لا قدرة لها بمن أسلم حولها من العرب فبعثوا وفدهم إليه (ص) وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبـين رسول الله (ص) حتى أسلموا ، واكتتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذي كتبه وكان فيما سألوا رسول الله (ص) أن يدع لهم الطاغية وهي (الـلات) لا يهدمها ثلاث سنين فأبى عليهم عليه الصلاة والسلام ، وكان فيما سألوه مع ذلك أن يعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا أوثانهم إلا بأيديهم ، وقال عليه الصلاة والسلام : « كسروا أوثانكم بأيديكم وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه » ، وتصالحوا على أن يسلموا ويقرُّوا على ما في أيديهم من أموالهم وركازهم وعلى أن لا يزنوا ولا يربوا ، وكانوا أهل زنا وربا ، ولما أسلموا وكتب لهم الكتاب ، أمرَّ عليهم عثمان بن سعيد بن العاصي ، وكان من أحدثهم سنّاً، لكنه كان من أحرصهم على التفقه في الاسلام ، ثم بعد وفاة رسول الله (ص) ارتد كثير من العرب وثبتت ثقيف على إسلامها ، وقالوا : لا نكون آخر العرب إسلاماً وأولهم كفراً !.

كتاب رسول الله (ص) لثقيف :

وهذا نص كتاب رسول الله (ص) لثقيف :

قال أبو عبيد القاسم ابن سلام [1] : حدثنا عثمان بن صالح عند عبد الله

---

(١) الأموال لأبي عبيد القاسم ابن سلام ١٩٠ – ١٩٤ .

ابن لَهِيعة عن أبي الأسود عن عُروة بن الزبير قال: هذا كتاب رسول الله (ص) لثقيف : (بسم الله الرحمن الرحيم — هذا كتاب من محمد النبي رسول الله (ص) لثقيف ، كتب أن لهم ذمة الله الذي لا إله إلا هو ، وذمة محمد بن عبد الله النبي ، على مـا كتب عليهم في هذه الصحيفة أن واديهم حرام مُحرَّم لله ، كله : عضاهه وصَيْده وظلم فيه ، وسَرقٌ فيه ، أو اساءة . وثقيف أحق الناس به ، ولا يعبر طائفهم ، ولا يدخله عليهم أحد من المسلمين يغلبهم عليه ، وما شاءوا أحدثوا في طائفهم من بنيان أو سواه بواديهم ، لا يُحْشَرون ولا يُعَشَّرون ، ولا يُستكرهون بمال ولا نفس ، وهم أمة من المسلمين يتولَّجون من المسلمين حيث ما شاءوا ، وأين تولَّجوا ولجوا ، وما كان لهم من أسير فهو لهم ، هم أحق الناس به ، حتى يفعلوا به مـا شاءوا ، وما كان لهم من دَيْنٍ في رهن فبلغ أصله فإنه لواط مبرأ من الله) .

وفي حديث يروي عن ابن اسحاق : فانه لياط مبرَّأ من الله — وما كان من دين في رهن وراء عكاظ — فانه يقضي إلى عكاظ برأسه ، وما كان لثقيف من دين في صحفهم اليوم الذي اسلموا عليه في الناس ، فانه لهم وما كان لثقيف من وديعة في الناس ، ومال ، أو نفس غنمها موعدها ، أو أضاعها ، الا فانها مؤداة . وما كان لثقيف من نفس غائبة أو مال فان له من الأمن ، الشاهدهم ، وما كان لهم من مال بليّة[1] ، فان له من الأمن ما لهم بوجّ . وما كان لثقيف من حليف ، أو تاجر فاسلم فان له مثل قضيّة أمر ثقيف ، وإن طعن طاعن على ثقيف أو ظلمهم ظالم فانه لا يطاع فيهم في مال ولا نفس ، وإن الرسول ينصرهم على من ظلمهم ، والمؤمنون ، ومن كرهوا أن يلـج عليم من الناس فانه لا يلج عليهم ، وان السوق والبيع بأفنية البيوت ، وانه لا يؤمر عليهم الا بعضهم على بعض : على بني مالك أميرهم . وعلى الاحلاف أميرهم ، وما سقت ثقيف من أعناب قريش فإن شطرها لمن سقاها ، وما كان لهم من دين في رهن لم يلط فان وجد أهله قضاء قضوا ، وان لم يجدوا

---

(١) وادي لية معروف بشرقي الطائف .

قضاء فإنه إلى جمادى الأولى من عام قابل ، فمن بلغ أجله فلم يقضه فإنه قد لاطه وما كان لهم في الناس من دين فليس عليهم الا رأسه ، وما كان لهم من أسير باعه ربه ، فإن له بيعه وما لم يبع فان فيه ست قلائص نصفين .

قال أبو عبيد : في الكتاب نصفان حقاق ، وبنات لبون سمان. ومن كان له بيع اشتراه فان له بيعه ..

قال أبو عبيد : قوله (عضاهه) العضاه كل شجرة ذات شوك وقوله : (ولا يحشرون) يقول : تأخذ منهم صدقات المواشي بأفنيتهم ، يأتيهم المصدق هناك ، ولا يأمرهم أن يجلبوها اليه ، وقد كان بعض الفقهاء يفسر قوله (ولا جلب) على هذا وأكثر الناس يذهب بالجلب إلى الخيل [1] .

وقوله : (لا يُعشَّرون) يقول:لا يؤخذمنهم عشر أموالهم ، انما عليهم الصدقة من كل مائتين خمسة دراهم .

وقوله : (وما كان لهم من أسير فهو لهم) يقول من أسروا في الجاهلية ثم اسلموا وهو في أيديهم فهو لهم ، حتى يأخذوا فديته .

وقوله : (وما كان لهم من دين في رهن فبلغ أجله فانه لواط مبرأ من الله تبارك وتعالى) يعني الربا . سماه لوطاً أو لياطاً لأنه ربا أُلصِق ببيع ، وكل شيء الصقته بشيء فقد لطته ومنه قول أبي بكر (الولد الوط [2]) أي ألصق بالقلب . ومنه يقال للشيء تنكره بقلبك : لا يلتاط هذا بصفري [3] ، ومما يبين لك انما راد باللوط الربا قوله : وما كان لهم من دين في رهن وراء

---

(١) قال ابن الاثير في النهاية : الجلب يكون في شيئين : احدهما في الزكاة وهو المصدق على أهل الزكاة فينزل موضعاً ثم يرسل من يجلب اليه الأموال من مكانها ليأخذ صدقتها فنهى عن ذلك وأمر أن تؤخذ صدقاتهم على مياههم وأماكنهم والثاني أن يكون في السباب وهو ان يتبع الرجل فرسه فيزجره ويجلب عليه ويصيح حثاً له على الجري فنهى عن ذلك .

(٢) قال : في « النهاية » في حديث أبي بكر قال : إن عمر لأحب الناس الي ، ثم قال : اللهم اعف الولد الوط أي الصق بالقلب .

(٣) أي لا ألصقه بالقلب .

عكاظ ، فانه يقضي إلى عكاظ برأسه . يعني رأس المال ويبطل الربا ألا تسمع الى قوله تبارك وتعالى : (فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون) ويروى أن هذه الآية انما نزلت في ثقيف ثم صارت عامة للمسلمين ...

وقوله : (وما كان لهم من دين في رهن لم يلط) يعني لم يجعل عليه رباً فان وجد أهله قضاء قضوا ، فهذا هو الدين الذي لا ربا فيه ، الا تراه قد أمرهم بقضائه ان وجدوا ، فان لم يجدوا أخره إلى جمادى قابل .

وهذا كتابه إلى المسلمين في ثقيف

وبالاسناد الأول :

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا كتاب من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين ، ان عضاه وجّ وصيده لا يعضد ولا يقتل صيده ، فمن وجد يفعل شيئاً من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه ، ومن تعدى ذلك فانه يؤخذ فيُبلَغُ محمداً رسول الله (ص) ، وان هذا من محمد النبي . وكتب خالد بن سعيد بأمر محمد بن عبد الله رسول الله فلا يتعدّه أحـــد ، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله لثقيف ، وشهد على نسخة هذه الصحيفةصحيفة رسول الله التي كتبلثقيف — عليبن أبي طالب ، وحسن بن علي وحسين بن علي — وكتب نسختها لمكان الشهادة .

قال أبو عبيد : وفي هذا الحديث من الفقه : اثباته (ص) شهادة الحسن والحسين .. وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين ان شهادة الصبيان تكتب ، ويستنسبون ، فيستحسن ذلك . فهو الآن في سنة النبي (ص) .

وفيه : انه شرط لهم شروطاً عند اسلامهم خاصة لهم دون الناس مثل : تحريم واديهم ، وان لا يعبر طائفهم ، ولا يدخله أحد يغلبهم عليه ، وان لا يؤمر عليهم إلا بعضهم ، وهذا مما قلت لك أن الامام ناظر للاسلام وأهله، فاذا خاف من عدو غلبة لا يقدر على دفعهم الا بعطية يردهم بها فعل كالذي

صنع النبي (ص) بالأحزاب يوم الخندق . وكذلك لو أبوا أن يسلموا إلا على شيء يجعله لهم ، وكان في اسلامهم عز للاسلام ، ولم يأمن معرتهم وبأسهم أعطاهم ذلك ليتألفهم به . كما فعل رسول الله (ص) بالمؤلفة قلوبهم إلى أن يرغبوا في الاسلام ، وتحسن فيه نيتهم ، وانما يجوز من هذا ما لم يكن فيه نقض للكتاب ولا للسنة .

ويبين ذلك ان رسول الله (ص) لم يجعل لهم فيما أعطاهم تحليل الربا ، ألا تراه قد شرط عليهم أن لهم رؤوس أموالهم :

هذا وانما كان أصله في الجاهلية فهو إذا كان ابتداؤه في الاسلام أشد تحريماً وأحرى ان لا يجوز .

وقد روى في بعض الحديث : انهم كانوا سألوه قبل ذلك أن يسلموا على تحليل الزنا والربا والخمر ، فأبى ذلك عليهم ، فرجعوا إلى بلادهم ثم عادوا اليه راغبين في الاسلام فكتب لهم هذا الكتاب ..

قال الشيخ حسن بن علي العجيمي [1] :

إن الشريف زيد بن محسن صاحب مكة في حدود الأربعين بعد الألف قتل – صناديد الحمدة من ثقيف وسكناهم (لقيم) قال : وأفاد الميورقي أن الشريف قتادة جدّ أشراف مكة قتل مشايخ ثقيف بدار ابن يسار ، من قرية (لقيم) وكان منهم حمدان الثقفي العوفي ، فنهبت القرية ، وكان من جملة ما نهب كتاب – رسول الله ﷺ لثقيف ، وكان عند حمدان لكونه شيخ قبيلته قال : أخبرني ولده تميم بن حمدان وكانت هذه القتلة في ثالث عشر جمادى الأولى / ٦١٣ وممن قتل فيها قاضي الطائف يحيى بن عيسى . انتهى

نسب ثقيف :

لا شك أن قبيلة ثقيف قبيلة كبيرة ذات ماض شريف اختلف أهل العلم بالانساب فيهم على أقوال .

---

(١) اهداء اللطائف من أخبار الطائف مخطوط مكتبتي ، ومكتبة صاحب « العرب » .

القول الأول : أنهم من بقايا ثمود ، قال الحافظ ابن عبد البر [1] : روي عن الحسن أنه قال : لم يبق من ثمود غير ثقيف ، في قيس عيلان ، وبنو لحاء في طي ، والطفاوة في بني أعصر ، قال : وقبائل تنتمي إلى العرب وليست من العرب ، حِمْير من تُبَّع ، وجرهم من عاد ، وثقيف من ثمود ، ثم قال : وفي ثقيف وأصلها أخبار يطول ذكرها ، وروي عن النبي (ص) انه قال : كل العرب من ولد إسماعيل الاجرهم فانهم من ثمود ، وقبائل من حِمْير فإنهم من تبّع .

وقد روى عن النبي (ص) انه قال : العرب كلها من ولد اسماعيل الا السلف وثقيف والاوزاع وحضرموت، وهي كلها آثار ضعيفة الأسانيد لا يقوم بشيء منها حجة .

قال ابن كثير [2]: عن عبد الرزاق عن معمر : قال اخبرني اسماعيل ابن أمية ان النبي (ص) مر بقبر أبي رغال فقال : اتدرون من هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا قبر أبي رغال : رجل من ثمود كان في حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله . فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ، فدفن معه غصن من ذهب فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم ، فبحثوا عنه فاستخرجوا الغصن . قال عبد الرزاق : قال معمر قال الزهري : أبو رغال أبو ثقيف . قال ابن كثير : هذا مرسل من هذا الوجه وقد جاء من وجه آخر متصلاً كما ذكره محمد بن اسحق في « السيرة » عن اسماعيل ابن أمية عن بجير بن ابي بجير سمعت عبد الله بن عمر سمعت رسول الله (ص) يقول : حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبر فقال : « ان هذا قبر أبي رغال. وهو أبو ثقيف. وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج منه أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه ، وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه ، فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن .

---

(١) الانباه على قبائل الرواة : ٨٩ - ٩٢ .

(٢) البداية والنهاية ١ : ١٣٧ .

وهاكذا رواه أبو داود من طريق محمد بن اسحاق به . قال ابن كثير : قال شيخنا أبو الحجاج المزيُّ رحمه الله هذا حديث حسن عزيز . قلت : تفرد به بحير ابن أبي بحير هذا ولا يعرف الا بهذا الحديث ولم يرو عنه سوى اسماعيل ابن أمية . قال الحافظ المزي : فيحتمل أنه وهم في رفعه ، وانما يكون من كلام عبد الله ابن عمر من « زاملته » والله أعلم .

قال ابن كثير : لكن في المرسل الذي قبله وفي حديث جابر أيضاً شاهد له والله أعلم ، وبالرغم من ضعف بعض هذه الأحاديث واضطراب بعضها – وأن المذهب الصحيح أن الحديث الضعيف لا يقوم بتقويته أي شاهد من حديث ضعيف آخر . بل الحديث الصحيح قوي بنفسه ، والضعيف لا يقويه ضعيف آخر – بالرغم من ضعف بعض هـــذه الأحاديث ، واضطراب بعضها فقد اشتهر عند غير واحد أن ثقيفاً من بقايا ثمود قال حسان بن ثابت الانصارى رضي الله عنه [1] :

إذا الثقفي فاخركم فقولوا : هلم نعدُّ أمر أبي رغال
أبوكم أخبث الأحياء قدماً وانـــتم مشبهوه على مثال

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر [2] : أصح شيء في ثقيف من جهة الاسناد عن النبي (ص) وما قاله فهو الحق ما حدثنا خلف ابن قاسم قال انبأنا عبد الله بن محمد بن ناصح قال انبأنا احمد بن علي بن سعيد قال نا يحي بن معين قال نا هشام بن يوسف عن معمر عن ابن خثيم عن أبي الزبير عن جابر ان النبي (ص) خطب الناس في غزوة تبوك وهو بالحجر فقال : « يا أيها الناس لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت ترد الناقة عليهم من هذا الفج فتشرب من مائهم ، ويحتلبون من لبنها مثل الذي كانت تشرب من مائهم يوم ورودها وتصدر من هـــذا الفج ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها فوعدهم الله ثلاثة أيام ، وكان وعداً غير مكذوب ، فاخذتهم الصيحة فاهلك

---

(١) ديوان حسان : ٣٤١ .
(٢) الانباه على قبائل الرواة : ٩٠ .

الله من تحت السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجل كان في حرم الله فمنعه حرم الله ، قالوا يا رسول الله :ومن هو ؟ أبو رغال ؟ قال : «نعم» قالوا : ومن أبو رغال ؟ قال : « هو أبو ثقيف » .

والظاهر ان شدة اعتدادهم بانفسهم ، ودفاعهم عن وطنهم ، وانحيازهم امة وحدهم عن غيرهم سبب لهم كراهة وبغضاً كان من أثرها وضع أمثال هذه الروايات .. وقال الحجاج [1] يوماً لأبي العسوس [2] الطائي : أي أقدم أنزول ثقيف الطائف ام نزول طيء الجبلين ؟ فقال أبو العسوس : إن كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزول طيء الجبلين قبلها ، وان كانت ثقيف من ثمود فهي أقدم ، فقال الحجاج : يا أبا العسوس إتقني إنني سريـــع الخطفة للأحمق المتهوك [3] ، فقال أبو العسوس :

يؤدبني الحجاج تأديب أهله فلو كنت من أولاد يوسف ما عدا
واني لأخشى ضربـــة ثقفية يقدُّ بهـا ممن عصاه المقلَّدا [4]
على انني ممـــا أحاذر آمن إذا قيل يوماً:قد عق اليوم واعتدى

وكان الحجاج شديد الانكار على من يقول : إن ثقيفاً من ثمود حتى لقد قال مرة على المنبر : يزعمون أنا من بقايا ثمود ، والله عز وجل يقول : (وثمود فما أبقى) .

القول الثاني :

أنهم من إياد بن نزار بن معد بن عدنان ، ومن قال انهم من إياد زعم أنهم حلفاء قيس ، وإنما صار حلف ثقيف إلى قيس لأن أم قسي بن منبه هي ابنة عامر بن الظرب العدواني ، فكانت قيس أخوالهم فحالفوهم ، لأن دارهم هي دارهم . وممن قال : إن ثقيفاً من حلفاء قيس : ابن اسحاق وغيره .

ويقال : إن النخع وثقيفاً اخوان من إياد . قالت أخت الأشتر النخعي – وهو مالك بن الحارث – تبكيه :

---

(١) الكامل للمبرد تحقيق ذكي مبارك ٤٠٩ – ٤١١ .
(٢) يقال العسوس بفتح السين وتشديد الواو والعسوس وبتسكين السين وفتح الواو .
(٣) المتهوك : المتهور .
(٤) المقلد : موضع القلادة وهو العنق .

أبعد الأشتر النخعي نرجو مكاثرة ونقطع بطن واد ؟!
ونصحب مُذحِجاً بإخاء صدق وإن ننسب فنحن ذُرَى إياد
ثقيف عمنا وأبو أبينا وإخوتنا نزار إلى السداد

وقد كان المغيرة بن شعبة وهو والي الكوفة سار إلى دير هند بنت النعمان ابن المنذر ، وهي فيه عمياء مترهبة ، فقال لها : كيف كان أمركم ؟ فقالت : سأختصر لك الجواب : أمسينا مساء وليس في الأرض عربي إلا وهو يرغب الينا ويرهبنا ، ثم أصبحنا وليس في الأرض عربي إلا ونحن نرغب اليه ونرهبه . قال : فما كان أبوك يقول في ثقيف ؟ قالت : اختصم اليه رجلان منهم ، أحدهما ينميها إلى إياد ، والآخر إلى بكر بن هوزان ، فقضى بها للأيادي وقال :

إن ثقيفاً لم تكن هوازناً ولم تناسب عامراً ومازناً

يريد عامر بن صعصعة ومازن بن منصور فقال المغيرة : أما نحن فنحن من بكر بن هوزان ، فليقل أبوك ما شاء [1] .

وروي أن عبد الملك بن مروان حرش بين الحجاج بن يوسف وبين كثير ابن هراسة الكلابي فقال : يا كثير ممن ثقيف ؟ فقال : يا أمير المؤمنين العلماء بالنسب يزعمون انهم من إياد وقد قال شاعرهم :

قومي إياد لو أنهم أمم أو لوْ أقاموا فتهزل النَّعم
قومي لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعاً ، والخط والقلم

فقال الحجاج : معاذ الله يا أمير المؤمنين نحن من قيس ، ثابتة أصولنا ، باسقة فروعنا ، يعرف ذلك قومنا . وقد قال شاعرنا :

وإنا معشر من جذم قيس فنسبتهم ونسبتنا سواء
هم آباؤنا وبنوا علينا كما بنيت على الأرض السماء

---

(١) الكامل للمبرد : ٤٠٩ - ٤١٠ .

القول الثالث :

قيل ان ثقيفاً كان عبداً للنبي صالح (ع.ص) وانه هرب منه واستوطن الحرم [١] .

وقيل [٢] : كان رجلاً عشّاراً في الزمن الأول جائراً ، فقبره يرجم إلى اليوم ، وقبره بين مكة والطائف وقيل كان عبداً لشعيب (ص) ، قال جـرير :

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

وقيل: كان أبو رغال دليلاً للحبشة حين توجهوا إلى مكة فمات في الطريق قال ابن منظور : رأيت في هامش الصحاح [٣] ما صورته : (أبو رغال) اسمه زيد بن مخلف ، عبد كان لصالح النبي (ص) بعثه مصدقاً وانه أتى قوماً ليس لهم لبن إلا شاة واحدة – ولهم صبي قد ماتت أمه فهم يعاجونه[٤] بلبن تلك الشاة يعني يغذونه – فأبى أن يأخذ غيرها – فقالوا : دعها نعاجي بها هذا الصبي فأبى . فيقال : إنه نزلت به قارعة من السماء ويقال : بل قتله رب الشاة فلما فقده صالح (ص) قام في الموسم ينشد الناس ، فأخبره بصنيعه ، فلعنه ، فقبره بين مكة والطائف يرجمه الناس .

قال الدكتور [٥] جواد علي :

وأرى أن معظم هذه الاخباريات التي يرويها الاخباريون عن ثقيف انما وضعت في الاسلام وذلـــك بغضاً للحجاج الذي عرف بقسوته وشدته ، فصيروا ثقيفا عبداً لأبي رغال ، وجعلوا أصله من قوم نجوا من ثمود ، وأبو

---

(١) الانباه على قبائل الرواة ٩٠ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ١١ : ٢٩١ .

(٣) تاج العروس ٧ : ٣٤٨ .

(٤) يعاجونه : يغذونه . والعجي : الذي يغذى بغير لبن أمه .

(٥) « تاريخ العرب قبل الاسلام » ٤ : ٢٠٩ – ٢١٠ .

رغال نفسه جاسوس خائن في نظر الاخباريين ، حاول إرشاد ابرهة إلى مكة ، فكيف يكون إذا حال رجل – كان من قوم فسقة كفرة ، ثم صار عبداً لجاسوس لئيم ، وصيّروا ثقيفاً في رواية أخرى ابناً لأبي رغال ، ثم رفعوا نسب الابن والأب إلى قوم ثمود ، وجعله (حماد الراوية) ملكاً ظالماً على الطائف لا يرحم أحداً ، مرّ في سنة مجدبة – بامرأة ترضع صبياً يتيماً بلبن عنز لها ، فأخذها منها فبقي الصبي بلا مرضعة ، فمات ، فرماه الله بقارعة فأهلكه ، ورجمت العرب قبره ، فهل تجد رجلاً ألأم من هذا الرجل على هذا الوصف ؟!

القول الرابع :

أن ثقيفاً من قيس عيلان ، كما قال الحجاج بن يوسف ، وكما رجحه الحافظ ابن حزم [1] .

وقال الحافظ ابن عبد البر [2] : والذي عليه أكثر أهل العلم بالنسب ان ثقيفاً من قيس ، و (ثقيف) اسمه (قسيّ) ابن منبه بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان ، فهم من قبائل هوازن ، وهوازن يجمعها ثلاثة أجداد كلها لبكر ابن هوازن وهم :

١ – بنو سعد بن بكر ٢ – بنو معاوية بن بكر ٣ – بنو منبه بن بكر.

بطون ثقيف :

ثقيف واسمه قَسِيٌّ ، بن منبه بن بكر بن هوزان لهثلاثة أولاد : دارس وقد دخل ولده في الأزد ،وعوف،وجشم ،وقد تفرع منهما البطون الآتية :ـ

---

(١) جمهرة الأنساب ١٠ - ٢٧٦ وابن خلدون ٢ : ٣٠٩ .

(٢) « الانباه على قبائل الرواة » ٩٢ .

١ – عوف - (الأحلاف)

ثقيف فرقتان : عوف وبنو مالك – أما عوف فيسمونهم الأحلاف ، وذلك انهم تحالفوا مع غاضرة بطن من جشم ضد بني مالك بن حطيط بن جشم ابن قسى وأخرجوهم عن الطائف إلى المحل الذي هم فيه الآن مع ثقيف ترعة . ولد عوف ابن ثقيف : سعد وغيرة تفرغ منهما البطون الآتية : –

١ – بنو معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف ، قال المُبرد : هم رهط عروة بن مسعود الذي يروى أن النبي (ص) قال فيه :« مثله مثل صاحب ياسين » .

ومعتب بن مالك الذي بعثه رسول الله (ص) إلى قومه داعية إلى الاسلام فقتلوه – رحمه الله – وأمه سُبيْعة بنت عبد شمس بن عبد مناف وهو ابن خالة أمية ابن أبي الصلت الشـــاعر ، وله من الولد : عاصم ابن معتب ، وأبو مرّة ، ومعاوية وأبو مليح بن معتب .

أسلم معتب قبل إسلام ثقيف . فولد معاية ابنة تزوجها الحسين رضي الله عنه فولدت له علياً الأكبر المقتول مع أبيه ، وولد عاصم : يعقوب ونافعاً – وولد أبو مرة : داود : أمه ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية – وابن أخيه المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب من أهل بيعة الرضوان ؛ وبنوه : حمزة وعروة والمطرّف ويعفور وعمار والمغيرة خرج المطرّف منهم على الحجاج منكراً لجوره فقُتِل – رحمه الله – .

وكان لعروة ابن مسعود أخ يقال له الأسود بن مسعود ، وابنه قارب بن الأسود ، أسلم مع أبي مليح .

والحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب ولىَ العراقين لهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد ، وكثير من قومه كانوا ولاة بالعراق والشام واليمن ومكة ، وأخوه محمد بن يوسف .

وبنو الحجاج : محمد وعبد الملك وأبان وسليمان ، وللحجاج عقب بالبصرة ودمشق ، ومن ولده كان عمر بن عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ولِيَ الولايات أيام الوليد ابن يزيد ، وعماه : عبد الصمد وعبد الله إبنا محمد أيضاً ، ولى عبد الصمد دمشق للوليد بن يزيد،ومن ولده بالأندلس ثم بباجة: بنو المنذر بن الحارث بن عيشون بن العلاء بن المعلا بن العجلان بن عبد الله ابن محمد بن الحجـــاج بن يوسف — وعبد الله بن عبد الملك بن الحجاج بن يوسف — ولى أيضاً الولايات للوليد ابن يزيد .

وابن أخي الحجاج : يوسف بن محمد بن يوسف ، ولى مكة ، وأخوه مروان بن محمد بن يوسف وَلي اليمن للوليد بن يزيد :

والقاسم بن محمـــد بن الحكم بن أبي عقيـــل ، وَلى البصرة للحجـــاج .

وابن أخيه يوسف بن محمد بن عمر بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتّب .

وابنه محمد بن القاسم الذي فتح السّند ، وله سبع عشرة سنة ، وقتل نفسه في عذاب يزيد بن المهلب .

ومنهم : عبد الله بن أبي عقيل بن مسعود وكان له قدر بالكوفة، وهشام ابن أبي سفيان بن سفيان بن عامر بن معتّب ، ولي الطائف .

وغيلان بن سلمة بن معتّب ، كانت له وفادة على كسرى ورياسة على قومه ، وابنه عامر بن غيلان أسلم قبل أبيه وهاجر ، ومات في حياة أبيه في طاعون (عَمَواس) .

وعمرو بن أمية بن وهب بن عمر بن معتب الذي بنى المسجد على موضع مصلى رسول الله (ص) إذ حاصر الطائف ، فهو مسجدهم اليوم وابن عمّه الحكم بن عمرو بن وهب أحد الوفود على رسول الله (ص) باسلام ثقيف ...

٢ – بنو غِيَرَة ابن عوف بن ثقيف .

منهم بنو عِلاج بن أبي سلمة بن عبد العُزّى بن غِيَرة بن عوف – منهم : المغيرة بن الأخنس بن شريق بن عمر بن وهب بن علاج ، قتل مع أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، وكان أبوه من سادات مكة ، وابن ابنه يعقوب بن عتبة بن المغيرة محدث .

والحارث بن كلدة بن عمر بن علاج طبيب العرب ، وإليه ينتمي بنو نافع أخي زياد ، وأبي بكرة لأبيهما ، ويتفرع من هـذا البطن بنو عقدة ابن غِيَرَة ..

٣ – بنو عقدة بن غيرة ، منهم : أبو عبيد بن مسعود بن عمرو ابن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة المقتول يوم الجسر رضي الله عنه وابنه المختار بن أبي عبيد الذي ادّعى النبوة بالكوفة ، وصفية بنت أبي عبيد امرأة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وسعد بن مسعود أخو أبي عبيد ، له صحبة وللمختار عقب ابن اسمه جبر بن المختار وابن آخر اسمه أبو أميَّة ابن المختار تزوج أم سلمة بنت عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وأبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غِيَرَة الشاعر الذي يقول :

إذا مِتُّ فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي عند ذاك عروقها

وهو الذي حُدَّ في الخمر ، وأبلى في القادسية ، ومات بارمينية فاتفق أن دفن في كرم – رحمه الله – وأمه كنود بنت عبد أمية بن عبد شمس بن عبد مناف – والشاعر أمية بن أبي الصلت بن ربيعة بن عوف بن عبد بن غيرة ، وبنوه ربيعة ووهب وعمرو والقاسم ، ولي ربيعة بعض الولايات في الإسلام وكان القاسم شاعراً وكانت أم أمية بن أبي الصلت رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف .

ب – جُشَم (منهم : بنو مالك) :

ولد جُشم بن قَسِيّ : : حُطيطا ، وولد حطيط غاضرة ومالكاً ،

أما غاضرة فقد دخلت في حلف مع عوف وسموا الأحلاف لأنهم تحالفوا على بني مالك ، وصارت غاضرة مع الأحلاف [1] .

بنو مالك :

أما بنو مالك فيتفرع منهم البطون الآتية : —

٤ — بنو حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيط ، منهم عثمان بن عبدالله ابن ربيعة بن الحـــارث بن حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيط ، صاحب لواء المشركين يوم حنين ، وقتل يومئذ كافرا . ومن ولد عثمان هذا : عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان ، وهو الذي يقال له ابن ام الحكم بنت أبي سفيان أخت معاوية — رحمه الله — ولى الكوفة ، وعقبه بدمشق ، وابنه كان الحرُّ بن عبد الرحمن أمير الأندلس لسليمان بن عبد الملك ، إثر قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، واليه ينسب بلاط الحر بشرقيّ قرطبة ، ويتفرع من هذا البطن بنو اليسار :

٥ — بنو اليسار بن مالك بن حُطيط بن جشم ، منهم: عثمان ، والحكم والمغيرة ، وحفص ، وأبو عثمان ، وأمية . بنو أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن يسار بني مالك بن حطيط ، أعقابهم بالبصرة ، ولهم شرف وعدد بها ، وعثمان منهم من خيار الصحابة رضي الله عنهم ، ولاّه رسول الله (ص) الطائف وغزا فارس وثلاثة من بلاد الهند ، وله فتوح ، وإليه ينسب شط عثمان بالبصرة ، وكانت أمه صفية بنت أمية بن عبد شمس ، وكانت تحت عثمان بن أبي العاص ريحانة بنت أبي العاص ابن أمية ، فولدت له محمداً بن عثمان ، ومن ولده : عبد الوهـــاب بن عبد المجيد المحدث المشهور . وبنوه : عبد المجيد — صاحب بن المناذر — [2]

---

(١) : « الجمهرة » لابن حزم والمعارف لابن قتيبة .

(٢) لابن المناذر مرثية بليغة من جياد المراثي في عبد لمجيد بن عبد الوهاب الثقفي في « الكامل » للمبرد ، تحقيق أحمد شاكر ص ١٢٢٦ .

مات وله عشرون سنة ، ولم يعقب ـ وزياد ، وأبو العاصي . أمهم : بانة بنت أبي العاص الثقفية ، ومحمد أبو الصلت من غيرها ، وهو أكبر ولد أبيه ، وابن عمهم بشير بن عمرو بن ربيعة بن أبان بن يسار اتُّهم في قتل عروة ابن مسعود ـ رضي الله عنه .

ولو أردنا استقصاء أعلام هذه القبيلة ومشاهيرها وشعرائها ومذكوريها لما وسعته المجلدات ، وألمحنا بكثرة مناكحهم في قريش للدلالة على شرفهم وعلوّ مكانتهم ، وقد اندرست أكثر أسماء هذه البطون فلم تعد تُعرف الآن ما عدا عوف وبني مالك على ما أرجحه ..

أما مساكن « عوف » فلا تزال بوادي ليّة شرقيّ الطائف وبوادي لُقَيم شمال الطائف منهم (الحمدة) الموجودون الآن بواديهم المعروف : وادي الحمدة .

وأما مساكن « بني مالك » فهم في محلهم المعروف ببني مالك مجاورين لثقيف ترعة ، شرقي وجنوب شرقي الطائف على بعد مائتين وخمسين من الأكيال تقريباً ، وأغلب الظن انهم اندمجوا في قبيلة (بَجيلة) في مساكنها المعروفة .

اندرست هذه البطون وحل محلها أسماء بطون أخر ، لا يدرى أهي متفرعة عن كل تلك البطون أو عن بعضها ، سنذكرها فيما بعد تحت عنوان : (بطون ثقيف المعروفة) ... وقد أشرنا إلى أن ثقيفاً قسمان : بنو مالك ، والأحلاف ، إشارة إلى ما حصل بينهم من اختلاف وحرب ، فكيف كان ذلك ؟

انقسام ثقيف :

لما كثرت هذه القبيلة وكان يضمها بطنان كبيران : عوف ، وجشم . وتحت كل بطن منها بطون متعددة ، ومن بطون جشم بنو غاضرة التي غضبت من اخوتها بني مالك والتحقت أو حالفت بني عمومتها قبيلة عوف على إخوتها بني مالك لحزازات كانت بينهم ، وسُمُّوا منذ ذلك الوقت الاحلاف..

ولما كانوا مؤتلفين في حربهم ضِدٌ (بني عامر) حتى تم لهم الاستيلاء على الطائف. كان كل فريق منهم يرى أن مجهوده الحربي ، وتضحيته الغالية أكبر مما بذله غيره ، فهو الأحق بما يختاره من الأماكن والمواقع ، ومن هنا نشأت الضغائن بين الفريقين وصادف أن الأحلاف[1] أثروا وكثرتهم خيلهم ، فحموا لها حمى من أرض بني نصر بن معاويـــة بن بكر بن هوازن ، هي حمى جلدان[2] ، فغضبت من ذلك بنو نصر ، وقاتلوهم عليه ، ولجت الحرب بينهما وكان رأس بني نصر عفيف [3] بن عوف بن عباد النصري ثم اليربوعي [4] ورأس الاحلاف مسعود بن معتب ، فلما لجّت الحرب بين بني نصر والأحلاف اغتنم ذلك بنو مالك ، ورئيسهم جندب بن عوف بن الحارث بن مالك بن حُطيط بن جُشم لضغائن كانت بينهم وبين الأحلاف ، فحالفوا بني يربوع على الأحلاف ، فلما سمعت الأحلاف بذلك اجتمعوا ، وكان أول قتال كان بين الأحلاف وبين بني مالك وحلفائهم من بني نصر (يوم الطائف) واقتتلوا قتالاً شديداً فانتصر الأحلاف وأخرجوهم إلى واد وراء الطائف يقال له (نخِبٌ) [5] وقتل من بني مالك وبني يربوع مقتلة عظيمة في شعب من شعاب ذلك الجبل يقال له : (الأنان)[6] ثم اقتتلوا بعد ذلك أياماً مسميات منها : ١ ـ يوم غمر ذي كندة من نحو نخلة . ٢ ـ يوم كروبه من نحو جلدان فاقتتلوا أشد قتال ثم افترقوا فسارت بنو مالك تبتغي الحلف من دوس وخثعم وغيرهما على الأحلاف ، وخرجت الأحلاف إلى المدينة تبتغي الحلف

---

(١) الكامل لابن الأثير ١ : ٤٢١ .

(٢) ويسمى جلذان : بالجيم والذال المعجمتين – لا يزال معروفاً بهذا الاسم إلى اليوم ويقع شمال شرقي الحويه على بضعة أكيال منها .

(٣) عفيف : بضم العين وفتح الفا .

(٤) اليربوعي : نسبة إلى جده يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وانظر الروض الأنف للسهيلي .

(٥) في الكامل لابن الأثير : لحب – تصحيف ، ووادي نخب لا يزال معروفاً ، وانظر وصفاً مفصلاً له لكاتب هذا البحث في مجلة « العرب » ص ٥١٥ السنة الأولى .

(٦) في الكامل : الأبان ، والتصحيح من « معجم ما استعجم » ص ١٩٧ .

من الأنصار على بني مالك ، فقدم مسعود بن معتب على أُحيحة بن الجلاح أحد بني عمرو بن عوف من الأوس ، وكان أشرف الأنصار في زمانه ، فطلب منه الحلف ، فقال له أُحيحة : والله ما خرج رجل من قومه إلى قوم قط لحلف أو غيره إلا أقر لأولئك القوم بشر مما أنف منه قومه . فقال له مسعود بن معتب : إني أخوك ، وكان صديقاً له . فقال له : أخوك الذي تركته وراءك ، فارجع إليه وصالحه ، ولو جدع أنفك وأذنك ، فإن أحداً لن يبرّ لك في قومك إذا حالفته ، فانصرف عنه وزوده بسلاح وزاد وأعطاه غلاماً كان يبني الآطام يعني الحصون بالمدينة ، فبنى لمسعود بن معتب أُطماً ، فكان أول أُطم بني في الطائف ، ثم بنيت الآطام بعده بالطائف ، ولم يكن بعد ذلك بينهم حرب تذكر ، وقالوا في حربهم أشعاراً كثيرة ، من ذلك قول مُحَبِّر وهو ربيعة بن سفيان أحد بني عوف بن عقدة من الأحلاف من قصيدة :

وما كنت ممن أرَّث الشَّرَّ بينهم ... ولكن مسعوداً[1] جناها وجندبا[2]
قريعي ثقيفٍ أنشَبا الشَّرَّ بينهم ... فلم يك عنهـــا منزع حين أنشبا
عناقاً ضروساً بين عوف ومالك ... شديداً لظاهـا يترك الطفل أشيبا
مُضَرَّمة شبّاً أشبّـــا وقودَها ... بأيديهما ما أورياهـــا واثقبا[3]
أصابت بُراءاً من طوائفِ مالك ... وعوف بما جَرّا عليهـــا وأجلبا
فأسقط أحبـــال النساء بصوته ... عُفَيْفٌ إذا نادى بنصرٍ فطرَّبا

وذكرنا هذا الانقسام وتلك الحروب بين بني مالك والأحلاف وانتصار الأحلاف على بني مالك لنستنتج منه :

أولاً : ان ساكني الطائف وما حوله من ثقيف هم من أبناء عوف بن ثقيف وغاضرة بن حطيط الذين منهم :

---

(١) مسعود بن معتب رئيس الأحلاف .
(٢) جندب : هو ابن عوف بن الحارث بن مالك رئيس بني مالك .
(٣) أورى الزند إذا قدحه وأثقب العود إذا أشعله . كنّى بذلك عن إشعالها نار الحرب.

١ - بنو معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف .

٢ – بنو غِيَرة بن عوف .

٣ – بنو عُقدة بن غِيَرة بن عوف .

٤ – بنو غاضرة بن حطيط بن ثقيف وهم المسمُّون بالأحلاف .

ثانياً :من كان خارج ما وراء شرقي الطائف منثقيف مثلبنيمالك وثقيف تُرْعَة الموجودين حالياً بمساكنهم المعروفـــة هم من : (جشم بن ثقيف) الذين منهم :

١ – بنو حبيب بن الحارث بن مالك .

٢ – بنو يسار بن مالك .

بنو مالك :

تقع بلاد (بني مالك) جنوب شرقي الطائف وعلى بعد ٢٥٠ من الأكيال تقريباً يحدها شرقاً برحرح زهران وبعض بادية بني الحارث وغرباً (ثقيف ترعة) وبنو ذبيان وبعض بني الحارث ، وشمالاً بالحارث ، وجنوباً قبيلة (عُمَرَين) في تهامة ، والحَجْرة في تهامة من زهران، والجرداء لبني علي من زهران ، وفيهم البطون الآتية :

١ – بنو عمر في السَّرَاة

٢ – بالنعيم أهل بجيلة

٣ – بنو حرب

٤ – بنو علي

٥ – بنو هلال (في عَفَف) الجبل المشهور في تهامة .

الاختلاف في نسبهم :

ذهب الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي الى أنه[1] ينتهي نسب هذه القبيلة الى مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن طابخة بن الياس إلى عدنان ، ولعله رأى البكريّ يذكر (ثبرة) فقال[2] : هي موقع تلقاء (لصاف) من ديار بني مالك بن زيد مناة بن تميم .

وربما قائل يقول : إن ابن دريد قال[3] : ان بني مالك من عشائر زهران ابن كعب من القحطانية ، ويقول : ان بني مالك هؤلاء هم المنتسبون إلى زهران بن كعب بدليل مجاورتهم لزهران .

وقد يقول آخر : ان بني مالك أقرب ما يكونون إلى قبيلة بالحارث بدليل مجاورتهم لهم ، وسكناهم بينهم ، ولما ذكره النويري ان مالك ابن الحارث بطن من الازد وهم : بنو مالك ابن الحارث ابن كعب ابن عبد الله ابن مالك ابن نصر ابن الازد[4] .

ورب آخر يقول : إن ابن الحايك قال[5] : إن (تمنية) يسكنها (بنو مالك) من عنز وهي قريبة من بلاد بجيلة ، كما أن بجيلة كانت مساكنها تمتد الى (تبالة) ولتفرق بَجِيلة وتشتتهم بسبب الحروب التي جرت بينهم حتى كادت تفنيهم ، أصبحوا متقطعين في قبائل العرب ، مجاورين لهم في بلادهم ، فبنوا مالك هولاء هم من« عَنْز بن وائل » بن قاسط أخي بكر بن وائل .

وذكرت هذه الافتراضات تيسيراً لكل باحث ، مشيراً إلى مصادر هذا البحث .

---

(١) الرحالة اليمانية الطبعة الأولى ١٠٦ .
(٢) معجم مستعجم ١ : ١٣٥ .
(٣) الاشتقاق ١٤٣ .
(٤) نهاية الارب ٢ : ٣١٢ .
(٥) صفة جزيرة العرب ١١٨ .

والذي أرجحه أن قبيلة (بني مالك) المجاورة الآن لثقيف ترعة أكثرهم من ثقيف ، وقد يكون فيهم من قبيلة (بجيلة) للأسباب الآتية :

١ ـ على أثر الحروب التي وقعت بين بجيلة افترقت بطون بجيلة حتى أصبحوا مختلطين في قبائل العرب إلى أن جاء الاسلام وأراد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يوجه جرير بن عبد الله البجلي الصحابي الجليل رضي الله عنه لحرب الأعاجم فسأله جرير أن يجمع له قومه ويخرجهم من بطون القبائل ، ففعل ذلك[٢] وكتب فيه إلى عماله وفيهم يقول الشاعر :

لولا جرير هلكت بجيلة ... نِعمَ الفتى وبئست القبيلة

وقد اشتركوا في حروب العراق ولما أنشئت الكوفة سنة ١٧ هجرية سكنوها وكان لهم حي خاص بهم[٣] ، ولم يبق باماكنهم بالسراة إلا من لا يستطيع الدفاع عن وطنه .

٢ ـ وقد كان اسم بطن بني مالك معروفاً قبل الاسلام ففي كتاب رسول الله (ص) لثقيف أن للاحلاف أميرهم ولبني مالك أميرهم .

٣ ـ ولما حصل من الحرب بين الاحلاف وبين مالك من ثقيف ، وانهزم بنو مالك إلى ما وراء الطائف لم تجد محلا أقرب إلى الطائف من محل بني مالك الذين هم به الآن والذي كانت تسكنه قبيلة (بجيلة) .

٤ ـ ويقوى ذلك مجاورتهم مع فخذ من ثقيف الحجاز هو ثقيف ترعه .

٥ ـ ويضاف إلى ذلك أن (خندفاً) في اصطلاح قبائل الحجاز : مجموعة قبائل متحالفة منهم : (ثقيف) (وبنو مالك) . أما قبيلة « عتيبة » و « بلحارث » فهما من (شبابة) مجموعة قبائل متحالفة مع غيرهما . وأما

---

(١) الاصنام لابن الكلبي (٣٤ ـ ٣٦) .

(٢) التاج ٤ : ٦٢ وجمهرة الانساب ٢٨٥ واللباب ٢ : ٢٥٦ .

(٣) الطبري ٣ : ٢٦٤ .

وأماقبيلتا عنز وتميم فليستامن « شبابة » ولا من « خندف » . وسنتكلم عن « شبابة » و« خندف » عند الكلام على قبيلة عتيبة وأقسامها . فلكل هذه الأسباب مجتمعة أرجح أن (بني مالك) الساكنين في (بجيلة) هم من ثقيف .

بطون ثقيف المعروفة الآن :

ثقيف سكان ما حول الطائف فيهم البطون الآتية : —

أولاً — بنو سفيان : وهم قسمان: أ — بنو عمر — ب — وآل شريف.

أ — بنو عمر — وفيهم العشائر الآتية :

١ — العسران — ٢ — تميم — ٣ — الخِضَرة .

ب — آل شريف — وفيهم العشائر الآتية :

١ آل ساعد — ٢ — آل حسن — ٣ — آل عبيد — ٤ — آل منصور — ٥ — آل عائش أو آل عائشة — ٦ — آل حِجَّة — . وفيهم : الخمّس والبهادلة ، وآل بو الدّم ، وأبو الظّهَير — وآل منيف — وآل عيسى ..

تعقيب :

قال الاستاذ فؤاد حمزة في كتابه «قلب جزيرة العرب» : ومن آل عائشة : الطلحات والحجلة وآل عمر) أقول : أما الحِجَلة وآل عمر فلم يعرفا في آل عائشة . وأما الطلحات فهم من هذيل ، وان كان سكناهم في شفا بني سفيان من ثقيف .

ثانياً — طويرق : وهم قسمان : ا — حضر — ب — وبدو .

أ — حضر طويرق : وفيهم العشائر الآتية :

١ — الجعيدات — ٢ — الخصافين — ٣ — الزحارية — ٤ — الفُضَّل .

ب — بدو طوريق : وفيهم العشائر الآتية :

١ الروسان — ٢ — الغرايين — ٣ — التراكية — ٤ — الكـُلـَبة — ٥ — الظفارين — ٦ — الحمران — ٧ — ذو خليق —٨ — النهادية .

تعقيب : قال فؤاد حمزة في كتابه «قلب جزيرة العرب» :ومنهم العِبَدة. وهذا وهم أو خطأ فالعبدة من هذيل لا من ثقيف .

ثالثاً — النمور : ويقسمون بحسب منازلهم إلى قسمين :

١ — سكان الهَدى[1]،٢ — سكان وادي المحْرَم. ويقسمونحسب بطونهم أربعة أقسام :

١ — الغربة : ومنهم الكمَّل والبنـّي : سكان الهدى .

٢ — الخِولة : ومنهم اللمظه والحجران . سكان الهدى ومنهم (أهل الشرقية) .

٣ — أهل الدار البيضاء وهم : (البعروض) والمصاريه و (آل سلطان) و (آل حربى) من سكان الدار البيضاء بقرب وادي المحرم آخر الوادي عند حدود طويرق .

٤ — الخِضرة : منهـــم : (اللوامية) و (المشايخ) و (المشاهبة) و (القِبسة) الجميع سكان وادي المحرم .

رابعاً — ثمالة : وسميت البلاد باسم القبيلة وهي قبيلة من الازد ، يظهر أنها امتزجت بثقيف ، أو أن بطنا من ثقيف امتزج بها حتى لم تعد تعرف إلا أنها ثقفية ، وان كان اسم (ثمالة) ينم عليها وفيها العشائر الآتية :

١ — آل مقبل . ٢ — الضباعين . ٣ — السواعدة . ٤ — آل زيـد . ٥ — السُّودة . ٦ — الطـّوال . ٧ — المشايخ . ٨ — الصخريون .

خامساً — بنو سالم : وفيهم العشائر الآتية :

---

(١) وتسمى الهدة ، هدة الطائف ، وكانت قديماً من منازل هذيل .

١ – العياشة . ٢ – العُصْبي. ٣ – المناجفة. ٤ – آل مخصور[١] .

سادساً – عوف : وهم بوادي ليّة ، ومنهم عشيرة الغُنّم ، والموسى .

سابعاً – الحَمَدة : ويسكن أكثرهم قرى المُليساء من وادي لقيم شمال الطائف ، أُبيد أكثرهم في حرب ضد الشريف أبى نمي الأول،وهرب بعضهم متقطعين في قبائل جهينة لا يزالون معروفين باسمهم «الحمدة» . أما الموجودون بالطائف فمنهم العشائر الآتية :

١ – الزِّرابات ٢ – العَرَافية . ٣ – الزّواهر . ٤ – ذوي هندي . ٥ – القواسم . ٦ – العُقلان .

ثامناً – ثقيف اليمن . يحدها شرقاً (بنو مالك) وغرباً (بلحارث) وجنوباً (بنو ذبيان) وهم سكان حجاز لا محل لهم بالتهائم .

من أوديتهم : وادي لجة . ومن جبالهم بيضان ، ودفعان . ومن قراهم : ترعة ، دار المجاردة ، مدغل .

وفيهم العشائر الآتية :

١ – بنو جاهـــل ومنهم الأحلاف . ٢ – الندبة . ٣ – المجارِدَه . ٤ – آل يَعلى . ٥ – بنو محمد .

تاسعاً – قريش ثقيف :

والصلة بين قريش وثقيف في العهد الجاهلي كانت على أقوى مـا يكون ، بحيث حصل الاختلاط بـين القبيلتين بالمصاهرة ، والاشتراك في الأموال ، فكان لمشاهير القرشيين أملاك في الطائف، وكثيراً ما كانت القبيلتان تشتركان في قوافل التجارة التي تبعثانها إلى الشام والعراق .

ومما قوى هذه الصلة الجوار،وقربى النسب،مما دفع القبيلتين إلى التحالف. قال ابن حبيب في كتاب «المنمّق في أخبار قريش[٢]» : كان سبب حلف

---

(١) آل مخصور في بني سالم غير آل مخصور في بني سفيان .

(٢) ص ٢٨٠ .

ثقيف في قريش أن قريشاً حين كثرت رغبت في (وجّ) وهو وادي الطائف، فقالت لثقيف : نشرككم في الحرم ، وأشركونا في (وجّ) فقالت ثقيف : كيف نشرككم في واد نزله أبونا وحفره بيده في الصخر ، لم يحفره بالحديد ، وفيه يقول :

فأرميها بجلمودٍ وترميني بجلمود
فأفنيها ، وتفنيني وكلٌّ هالك مودي

قالت : وانتم لم تجعلوا الحرم ، وانمـــا جعله ابراهيم (ع. س) فقالت قريش : لا تدخلوا حرمنا علينا ، ولا ندخل عليكم وَجّكم ، فلما خشوا الحرب ، وخشيت ثقيف من قريش وخزاعة وبين بكر بن عبد مناة حالفت قريشاً . اه

ثم لما جاء الاسلام زادت الصلة بين القبيلتين قوة ، فأصبحت الطائف مصيف أهل مكة ، ومرتاد ذوي الغنى واليسار وخفض العيش منهم، يتخذون فيها الضياع ، ويعمرون الحدائق ، ويبنون القصور ، فاستوطن عدد غير قليل من القرشيين الطائف ، وخالطوا ثقيفا ، حتى أصبحوا معدودين منهم .

وقد بقيت آثار الحلف والاختلاط بين القبيلتين إلى عصرنا الحاضر، بحيث لا تزال أفخاذ من من قبيلة قريش تسكن في نواحي الطائف ، في الجهة القبلية منه ، وفي قراه الأخرى كالسلامة ـ على ما ذكر الهمداني وغيره .

وهذا بيان أفخاذ قريش

قريش المحالفون لثقيف قسمان : أ ـ قريش الغنم ـ ب ـ قريش الحضر .

أ ـ قريش الغنّم وهو ثلاثة أقسام :

١ ـ آل علي ، وفيهم : آل مكيدة ـ المذاكير ـ آل حمدان ـ

٢ ـ الهواملة وفيهم : آل درويش ـ آل شفيع ـ آل بركي ـ آل حمود ـ السراحين ـ آل عمرة ـ الشوابرة ـ

٣ ـ الهيافين وفيهم : الغِطَسَه ـ آل شاووش ـ آل مسعود .

ب ـ قريش الحضر وفيهم العشائر الآتية :

١ ـ الذّراوا ـ ٢ ـ الحِصْنان ـ ٣ ـ الغشامرة ـ٤ ـ آل صخر ومنهم: القِصْران ـ ٥ ـ الزنّان ..

تنبيه واستدراك :

رسخ في عقول البادية أن « قريشاً » سكان الطائف هم بطن من «ثقيف» والذي قادهم إل هذا الوهم والخطأ امتداد محالفتهم لثقيف طوال العصور بما فيها عصور الجهل حتى جرى الاعتقاد بأن (قريشاً) بطن من (ثقيف) وعلى هذا فقد ذكر الاستاذ الزركلي في رحلته « إن قريشا من ثقيف » [١] وتبعه الأستاذ فؤاد حمزة فقال [٢] . اسم هذا البطن قريش ولكنه ليس من الأشراف القريشيين بل هو توارد في الاسمين اه . وصار لدى العامة والخاصة أن قريشا سكان الطائف بطن من ثقيف ، والصحيح أنهـــم من قريش لا من ثقيف وكان قوم من ذرية عمرو ابن العاص يسكنون الوهط وقال الهمداني[٣]: ويسكن معدن البرام قريش وثقيف ، ومن قبلة الطائف أيضاً وادٍ يقال له : مشريق لبني أمية من قريش ، وفي قبلة الطائف حائط ام المقتدر الذي يدعى سلامة ١٠ هـ .

عاشراً : الشيابين (أو شيبان)

اختلطت مع ثقيف ـ بسبب الجوار ـ قبيلة الشيابين وهم محالفون لعتيبة، وهم سكان عُشيرة ورُكبة ، وما والاهما .

سألت غير واحد منهم : إلى من ترجعون ؟ فقالوا : الأصل من ثقيف .

وسألت غير واحد من ثقيف عنهم فقالوا : نسمع عنهم أنهم من ثقيف ، ولانقطاع الصلة بيننا ضَعُفت أواصر القربى ، كما ضعفت بيننا وبين ثقيف

[البقية عل الصفحة ٤٣٠]

---

(١) ما رأيت وما سمعت ١٠١ .

(٢) قلب جزيرة العرب ١٣٥ و ١٩٠ .

(٣) صفة جزيرة العرب ١٢١ ..

- ٢ -

بلقيس ملكة سبأ

المتتبع للتاريخ العربي القديم على ضوء الدراسات والبحوث العلمية الحديثة يجد الامر عند علماء القرن العشرين ، يختلف عنه عند غيرهم ممن سبقهم الى الكتابة عن ملكة سبأ، وفي هذا البحث نضع بين يدي القارىء ما وقفنا عليه حتى الآن من آراء حول الوطن الاول للسبئيين ، وتبعاً له العصر الذي عاشت فيه الملكة التي عاصرت (سليمان) ـ عليه السلام ـ .وسنجد ان (موسل) يرى : (أنه كانت تقيم في كل واحة من الواحات التي تقع على طول الطريق التجاري في شبه الجزيرة العربية جالية من عرب الجنوب ، وكان يقيم مع هذه الجالية (مقيم) من أهل الجنوب ، كانت مهمته الاشراف على ملوك الاقليم ورؤسائه ومراقبتهم ، لكي لا يفعلوا شيئاً من شأنه ان يضر بمصالح سيده (السبئي) أو (المعيني) الذي قد يكون على رأس المملكة الجنوبية السبئية أو المعينية ، تبعاً لاختلاف العهود التاريخية ـ ص ١ و٢ كتاب «شمال الحجاز»

وضرب مثلاً بواحة (ددان) التي يتكون سكانها من طائفتين، أولا هما : أهل البلاد الأصليين ، والثانية : هي الجالية السبئية التي هاجرت من جنوب بلاد العرب ـ المقيم السبئي وحاشيته ـ ص ٩٦ ، المرجع نفسه .

وهو يرى أن عدم ورود اسم واحتي (معان) و(ددان) في الوثائق الآشورية التي تناولت ذكر الغارة التي شنها (سرجون الثاني ٧١٥ ق. م) إنما يرجع الى كون الواحتين كانتا تندرجان تحت اسم (سبأ) وان الغارة التي شنها سرجون هي التي أقنعت (يثع أمر) المقيم السبئي ـ في واحة (ددان)

والمسؤول عن ادارة دفة الأعمال فيها ، بـــأن يسارع الى تقديم الهدايا الى سرجون ـ ٩٥ : وقال (موسل) أيضاً عن النقوش التي اكتشفت في ددان والتي يرجع تاريخها الى القرن السادس ق.م : أن هذه النقوش تقرر « أن المقيم الجنوبي كان يباشر السلطة باسم ملوك (معين او المعينيين) ، ولا نجد فيهـا ـ أي النقوش ـ ما يتصل بالفترة السابقة التي كان يباشر السلطة فيها باسم السبئيين . ومن هذا يتضح ان نقوش (ددان) تتصل بعهد أحدث من ذلك الذي تتصل به النقوش الأشورية الخاصة بسبأ ، فنقوش (ددان) ترجع الى القرن السادس ق.م » ص ٩٨ و٩٩ :

ولنا على اقوال (موسل) مأخذان : الاول، أنه لم يذكر لنا اية معلومات عن وجو مقيم سبئي في واحة (معان) كما هو الحال في واحة (ددان) .

الثاني : كونه ترك القارىء فيحيرة من أمره تجاه التوفيق بين قوله بوجود مقيم سبئي في واحدة (ددان) اسمه (يثع أمر) وبين ما جاء في نقوش ددان من ان المقيم الجنوبي كان يباشر السلطة باسم ملوك (معين) حتى القرن السادس ق. م .

أما (فرتز هومل) فإنه يرى : (أن السبئيين الذين اصبحوا سادة لبلاد العرب الجنوبية(مكرب) أو(ملكي)حوالي عام٨٠٠ق.مقد بدأتالفترة السابقة لتاريخهم الحقيقي خارج جنوب بلاد العرب، في بلاد الجوف الشمالية أو قريب منها . وان هذا الاقليم الذي يطلق عليه عادة في النقوش الأشورية (بلاد عربن) ، كان أيام سطوة الأشوريين وعظمتهم وطنا لكثير من الملكات . ، كذلك من العبارات التي تذكر بوطن السبئيين الأصلي في شمال العرب ما جاء في النقوش السبئية ذاتها ، حيث نجد لفظ سبأ و (بهليج) وكذلك سبأ و (بيشان) وما اليها ولا نجد لفظ سبأ مستقلاً وذلك لأن بهليج هي (دقلة) بلاد الجوف في شمال بلاد العرب ـ . كذلك مما يؤيد وجود وطن السبئيين في شمال بلاد العرب وورود ذكر لفظ سبأ مصحوبا بلفظ (ددان) ومكان (ددان) هو ما نسميه اليوم (العلا) أو قريب منه ص ٦٣ و٦٤ « التاريخ العربي القديم »

وعلق الدكتور جواد علي ، على رأي (هومل) بقوله : (انه رأى يرده كثير من العلماء) . ص ١٠١ جـ ٢ « تاريخ العرب قبل الاسلام » .

وهو يرى ان السبئيين هم من النازحين من الجنوب ، وان موطنهم بالنسبة لشمال شبه الجزيرة ورد ذكره في نص الملك الأشوري (تغلث فلاس) بعد (تيما) وانـــه يجب أن يكون على مقربة من التيمائيين ومن بقية القبائل التي دفعت الجزية للأشوريين ـ ص ٣٠٧ جـ ٢ ، المرجع نفسه :

وفلر يختص بأمر الجزية التي تناولها الملك الأشوري (سرجون الثاني) من (يثع أمر السبئى) والجزية التي تناولها الملك الأشوري (سنحاريب) من كرب إيل ـ السبىء) فقد كان رأي الدكتور جواد : (أنه يستبعد أن يكون الملك سرجون الثاني قد تناول جزية من (مكرب) من مكربي سبأ أو من (ملكي) من ملوكهم لسببين ، الأول .. صعوبة تصور بلوغ نفوذ الاشوريين إلى اليمن ، والثاني : انه لو فرض ان حدود حكومة سبأ قد توسعت فبلغت حدود الارضين الخاضعة لأشور فلا بد أن يكون ملك (ملكي) هذه المملكة قوياً فلا يعقل أن يدفع الجزية لحكومة لم تكن تستطيع ان تفعل شيئاً تجاهه .

وقال أيضاً :(ان الحكم بتشابه الاسماء ووجود مكربين اسمها (يفـــع أمر) و (كرب إيل) لا يكون دليلاً يلزم ان المقصود أنهما من مكارب سبأ اليمن . إذ يجوز أن يكون المراد من الاسمين رجلين آخرين من مشايخ القبائل الذين كانوا على مقربة من حدود مملكة أشور والقبيلة المذكورة من قبائل سبأ التي كانت نازحة إلى الشمال) ـ ص ١٢٥ و ١٢٦ جـ١ .

* * *

ويبدو أن أقرب صورة الى واقع تقلص نفود المعينيين وتألق نجم السبئيين هي التي تناولها الدكتور (فؤاد حسنين علي) في استكماله لكتاب قام بترجمته الى العربية بعنوان « التاريخ العربي القديم » جاء فيها قوله : (أن نفرا من

مؤرخي بلاد العرب الجنوبية يزعمون أن أواخر القرن السابع ق.م كان فترة تحول وانتقال في تاريخ دول الجنوب عامة . ويرى هذا النفر أيضاً ان نجم دولة (معين) كان يأخذ في تلك الفترة في الأفول بينما تلألأ نجم أمة أخرى هي أمة السبئيين التي أخذت تصارع معين وتقهرها . ويرى هؤلاء أيضاً أنه في عام ٦٨٠ ق.م ظهر البطل السبئي (كرب إيل) وأخذ يتسلم من معين تدريجياً مقاليد التجارة والسياسة، وليس هذا السبئي هو أول من تولى الأمور في سبأ ، فالنقوش ـ التي بين أيدينا تقرر أنه في عام ٨٠٠ ق.م ظهر في سبأ أول (مكرب) وقد اقبل من شمالي الجزيرة مجتاحاً بلاد المعينيين وجيرانهم من الحضارمة ، والقتبانيين ، إلا اننا لا نعرف على وجه التقريب متى ولماذا ؟ ثم نجد مع مرور الزمن المكربين السبئيين يستقرون في (صرواح)و(مأرب) ويشيدون المعابد ويقدمون القرابين للالهة .. ويعتقد اولئك المؤرخون أن معين لفظت النفس الأخير حوالي ٦٠٠ ق.م ، فالذي حدث ان سبأ بعد ان قضت نحو قرنين تحت حكم عدد من القضاة أخذت تمارس سلطان السيادة والقوة في بلاد العرب السعيدة (اليمن) ولعل أول قاض سبئي هو (سمهعلي) حوالي (٨٠٠ ـ ٨٧٠ ق.م) . وقد جاء ذكره في نقش يتحدث عن تقديمه البخور والمرّ إلى الاله القومي (المُقَه) ومن هذا النقش يتبين أيضاً أن القاضي يقدم البخور باسمه ونيابة عن قبيلته التي قادها من الفيافي والقفار إلى الأرض السعيدة ..) ص ٢٨٩ .

وثمة أدلة يفهم منها ان تاريخ سبأ أقدم عهداً منه عند قيام دولتهم في اليمن وأنه بدأ أول ما بدأ في الشمال .

منها ما أورده السيد امين مدني ، استناداً الى دائرة المعارف الاسلامية من : (أن الوثائق التاريخية المستمدة من بلاد شبه الجزيرة ترجع بعض السبئيين الى سنة ٥٠٠ ق.م) ص ١٦٧ « العرب في احقاب التاريخ » ج ١ :

ومنها رأي (هومل) القائل :(« ان كلمة sa - bu - um « sabum » التي وردت لدى ملوك (اور) في حوالي سنة ٢٥٠٠ ق.م انها تعني (seba)

الواردة في « العهد العتيق » وتقع وسط شبه الجزيرة العربية) ص ١٠٢ ج ٢ جواد علي . ومنها قول الدكتور جواد علي : (بعدم وجود دليل في النصوص اليمانية يفيد ان سبأ أسم أو لقب لرجل ، وإنما هو فيها اسم شعب كون له مملكة) ص ١٠١ ج ٢ .

ويهمنا ان ننبه القارىء الى ان ظهور السبئيين في اليمن وتكوينهم دولة سبأ لم يكن ليتجاوز القرن الثامن ق.م ويعنينا ايضاً من الصورة التي رسمها الدكتور فؤاد حسنين علي لتقلص نفوذ معين وتألق نجم سبأ قوله: (ان النقوش التي بين أيدي العلماء تقرر انه في عام ٨٠٠ ق.م ظهر في سبأ أول مكرب ، وأنه أقبل من شمال الجزيرة وان معين لفظت انفاسها حوالي (٦٠٠)ق.م) ص ٢٧٩ .

هذا ويؤكد الدكتور فؤاد حسنين علي : (ان سبأ اول ما ظهرت كانت قبيلة متنقلة ، في شمال البلاد العربية لا في جنوبها) ص ٢٦٧ ـ « التاريخ العربي القديم » .

وفي النصوص الآشورية نجد ذكر سبأ في عداد القبائل الشمالية (مسَايْ) و (تيما) و (سبأ) و (خيابة) و (بدنه) و (حطي) و (ادبئيل) وهي القبائل التي دفعت الجزية للملك الآشوري (تغلت فلاسر) والتي قال عنها جواد علي : (انها من أقدم القبائل العربية التي وصلت أسماؤها الينا حتى الآن) ـ ص ٣٠٣ ج ٢ .

وذكر محمد مبروك نافع، استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة القاهرة . اسناداً إلى (فِلبي).. أنه على عهد سليمان كانت توجد قبيلة عربية تسمى سبأ تسكن الاقاليم التي تقيم بها الآن قبيلتا (شمَّر) و (الرُّولة) يعتقد أن زعماءها هم الذين قدموا الجزية الى (سرجون الثاني) و (سنحاريب) ص ٥٦ « عصر ما قبل الاسلام » .

وذهب الأستاذ نافع أيضاً ، إلى ترجيح الرأي القائل : (ان السبئيين وفدوا من الشمال وسكنوا إلى جوار المعينيين فناصروهم مدة كانوا يغيرون

فيها على قوافل معين حتى تمكنوا بمساعدة بعض الدويلات مثل جمهورية (قتبان) التي كانت قائمة إلى جوار معين من اسقاطها) . ص ٥٥ و ٥٦ المرجع نفسه .

بقي علينا أن نستطلع النصوص الآشورية نوع الحياة التي كان يعيشها عرب الشمال ، وسنرى أن نصوص الملك (تغلت فلاسر) تذكر : (أنهم كانوا في حالة نظام اجتماعي متقدم) و (أنهم كانوا يملكون الذهب والفضة ، والقصدير ، والحديد ، والخيل ، والجمال ، والأصواف المصبوغة بالأزرق ، والأحمر ، والأقمشة المزركشة ، وأسنان الفيلة ، والعاج ، والطيور الملونة ، والأحجار الكريمة) ص ١٥٣ و ١٥٤ ، ١٥٥ « من الساميين إلى العرب » .

وأمر كهذا جدير بأن لا نسقطه من حسابنا ، ذلك انه يعكس لنا الوجه الحضاري الذي كان عليه عرب الشمال . وجدير بالذكر أيضاً أن نأخذ في اعتبارنا ما ورد في النصوص التاريخية ، ونتائج البحوث العلمية ، من أنه كان للمرأة في بلدان شمال شبه الجزيرة نصيب في الحكم أكثر منه عند شقيقياتها في الجنوب ، وان من بين الملكات اللواتي توصل العلماء حتى الآن إلى معرفة اسمائهن .. الملكة زبيبي ـ زبيبة ٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق م) ملكة (الاريبي) ـ أي العرب ـ . ويعتقد انها كانت تجمع بين السلطة الروحية وبين السلطة الادارية ، وقد جاء في نص للملك (تغلت فلاسر) ٨٤٥ ـ ٧٢٧ . ق م ان الملكة (زبيبه) دفعت اليه الجزية ـ ص ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ ـ المرجع نفسه وذكر جواد علي : (ان اسم زبيبة هو أقدم اسم لملكة عربية شمالية وصل الينا حتى الان ... أما مكان أرض هذه المملكة ومحل سكناها فلم يتحدث عنه النص . ويرى (موسل) ان من المستحمل أن يكون مقرها موضع (أدومو ـ دومة الجندل) ـ وانها أي الملكة كانت كاهنة على قبيلة قيدار) ص ٣٠٢ ج ٢ (جواد) :

والملكة سمسي ـ شمسية ٧٣٢ ـ ٧١٥ ق .م) ويعتقد أنها ثمودية ، وأن موطنها جنوب العقبة ـ ص ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ « من الساميين إلى

العرب » و ص ٦٣ « التاريخ العربي القديم » و ٣٠٢ ج ٢ (جواد) والملكة (ياتيعة) ـ يطيعه ٧٠٥ ـ ٦٨١ ق . م) ص ٦٣ ـ «التاريخ العربي القديم» و ص ٣١٩ ج ٢ جواد و ص ١٥٢ « من الساميين إلى العرب » .

والملكة إفكلاتو ٦٨٠ ـ ٦٦٩ ق . م وموطنها واحة دومة الجندل ص ١٥٧ « من الساميين إلى العرب » .

والملكة (يفيء) ملكة (ذخراني) .. والملكة (با إيلو ـ باهله) ملكة (أخيلو) . ذكر عنهن جواد علي ، اسناداً الى (موسل) ان موطنهن يقع في النصف الشمالي من وادي السرحان وأورد رأياً لـ(كلاسر) استند فيه الأخير إلى نصوص الملك (اسرحدون) الذي تروي قصة حملاته. ويتضمن هذا الرأي ان موطنهن يقع في اليمامة ـ راجع ص ٣٢٤ ـ الى ٣٢٩ ج ٢ (جواد) والملكة (تعلخونو ـ تلخونو) وكان نفوذها يشمل المنطقة الممتدة من واحد دومة الجندل الى (تدمر) وقد دخلت هـــذه الملكة في حرب ضد الملك (اسرحدون) انتهت بهزيمتها الى الصحارى المحيطة بدومة الجندل وأخذت ابنتها الأميرة (تابؤه) أسيرة الى العاصمة الآشورية حيث اقامت في القصر الملكي زمناً ثم اطلق (اسرحدون) سراحها وأعاد اليها عرش بلادها بدلا من (خزا أبلي) الذي كان (اسرحدون) قد أقامه خلفاً للملكة تلخونو ـ ص ٣٢١ و ٣٢٢ ج٢ (جواد) وص ٦٣ « التاريخ العربي القديم » وص ١٥٣ « من الساميين الى العرب » .

أما فيما يختص بملكة سبأ ـ موضوع بحثنا ـ فقد ذكر جواد علي عن اسم (بلقيس) : (ان أهل اليمن يقولون لمعبد (المقه) اله سبأ الكبير (محرم بلقيس) وهم لا يعلمون بالطبع عن معنى هذه الجملة شيئاً ، لا يدرون أن لفظة (محرم) تعني (المعبد) أو (الهيكل) ولا يدرون ان (بلقيس) محرفة من (المقه) إله سبأ .. وان الكتابات العربيةالجنوبية القديمة لا تعرف لفظة بلقيس ص ١١ و٢٥ ج ٨ (جواد) .

وقال في سياق حديثه عن النصوص العربية الجنوبية : (انه لم يصل الينا

نص ما من النصوص العربية الجنوبية يشير الى وجود اسم ملكة على عرش احدى الحكومات التي تكونت هناك ، كما اننا لم نعثر على اسم امرأة تولت امارة أو مشيخة فيها ـ أي جنوب شبه الجزيرة » ص ٢٥ ج ٨ (جواد) . وأود أن أنبه هنا على ان النصوص العربية القديمة التي تحدث عنها الدكتور جواد هي تلك التي يسبق تاريخها التاريخ الميلادي .

هذا وقد نقد الدكتور فؤاد حسنين علي . ـ بوجه عام ـ اهمال المؤرخين العرب للنصوص الأثرية ، وعدم توخيهم الدقة في خبر بلقيس وغيرها ـ راجع ص ٢٦٢ ـ الى ٢٦٧ ، « التاريخ العربي القديم » وذكر عالم الآثار المصري ، الدكتور أحمد فخري . أنه انتهى في استطلاعاته التي قام بها في اليمن الى أن اسم بلقيس الذي تكرر ذكره في كتب المؤرخين والمفسرين المسلمين على اعتباره انه اسم لملكة سبأ ، لم يرد على الاطلاق بين الأسماء السبئية المعروفة . ص ١٧٣ « دراسات في تاريخ الشرق القديم » .

ويرى الاستاذ (نافع) : (أن المفسرين وبعض المؤرخين القائلين بأن هذه الملكة هي بلقيس بنت شراحيل أو بنت الهدهاد ، قد خلطوا بين ملكة سبأ وبين صاحبة ذلك الاسم التي كانت إحدى ملكات الحلقة الثانية من ملوك (حمير) المعروفين عند العرب بـ (التبابعة) . حكمت في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي ، وكانت ذكراها لا تزال تعمر أذهان بعض الناس فحسبوها الملكة التي أشار اليها القرآن) ـ ص ٦٠ « عصر ما قبل الاسلام » .

ويرى بعض العلماء .. « أن هذه الملكة لم تكن ملكة سبأ الشهيرة التي هي في اليمن ، وإنما كانت ملكة على مملكة عربية صغيرة في أعالي شبه الجزيرة ، كان سكانها من السبئين القاطنين في الشمال . وانهم يستدلون على ذلك بعثور المنقبين على أسماء ملكات عربيات .. في حين ان العلماء لم يعثروا حتى الآن على اسم ملكة في الكتابات العربية الجنوبية .. وان هذه الملكة السبئية الشمالية لم تكن مملكتها بعيدة عن عاصمة سليمان) . ص ١٠٣ و ١٠٤ ج ٢ جواد .

وخلاصة القول انه من أجل التمييز بين الملكة السبئية التي وفدت على سليمان ، وبين (بلقيس) ملكة (حمير) . علينا أن نعلم ان حكم سليمان عليه السلام ـ كان للفترة (٩٧٠ - ٩٣٠ ق . م) وانه قياساً على ذلك

تكون الملكة السبئية التي عاصرت سليمان قد عاشت خلال القرن العاشر قبل الميلاد ، في حين أن العصر الذي عاشت فيه (بلقيس) انما كان بعد ذلك بعدة قرون – أي في القرن الرابع لما بعد الميلاد .

هذا وستظل الآراء القائلة بأن الوطن الأول للسبئيين كان في شمال الجزيرة لا في جنوبها وكذلك الآراء القائلة بأن الملكة السبئية التي وفدت على سليمان لم تكن يوماً ملكة على سبأ الشهيرة في اليمن ستظل هذه الآراء قائمة مـــا لم تسعفنا البحوث العلمية مستقبلاً بجديد في هذا الشأن ! .

الرياض : حسن أحمد البهكلي

العرب : قام فلبي – في آخر حياته – بتأليف كتاب في هذا الموضوع اطلع صاحب العرب على بعض نصوصه ، ولا ندري ما فعل الله به بعد وفاته !!

تتمة مقال قبائل الطائف – تابع صفحة ٤٢١

ترعة ، لبعدهم عنا – مع ملاحظة أن ثقيفاً والشيابين مـــع قبائل أخرى يجمعهم اسم (خندف) بينما عتيبة – والشيابين الآن معدودون فيها – مع قبائل أخرى يطلق عليها اسم (شبابة) مما سنتكلم عليه فيما بعد :

بطون الشيابين (أي أفخاذهم) :

١ – ذوو خليفة . ٢ – ذوو عبد الله . ٣ – النقرافين. ٤ – ذوو عمر. ٥ – الزبّالقة . ٦ – ذوو عواد ٧ – ذوو فهيد .

ثقيف وأحلافها تنقسم الآن إلى قسمين كبيرين :

إنّ التحزّب والتحالف والحمية التي كانت سارية في العصور السابقة قد اضطرت ثقيف ومن تحالف معها إلى الانقسام إلى طائفتين :

أ – بنو سفيان – النمور – الحمدة – بنو سالم .

ب – طويرق – قريش – ثمالة .

فإذا ما حصل اعتداء على أحد أفراد احدى الطائفتين من الأخرى تقوم هـه الطائفة بمقاضاة الحق له ، أو الأخذ بالثأر ، ولهم حكامهم وقضاتهم ، على عرفهم في مذهبهم وطريقتهم ، مما سنتكلم عليها في موضعها بمشية الله .

الطائف محمد سعيد حسن كمال

في ضجيج الحياة قُلتُ لِنفسي :
أين يا نَفسُ .. ذكرياتي وأمسي !!
كيْفَ مَرَّتْ أيَّامُ عُمْري .. ولم أدْرِ إلى أيْن ؟
وَما حقيقة نفْسي .. ؟!

* * *

كُنتُ طِفلاً .. وكان حَيّاً فؤادي
وحياتي – رغم التعاسة – وَجْدُ !!
كان حظّي من الوُجودِ فؤاداً
شاعِرِيّاً .. وقَسْوةً لا تُحَدُّ !!
والشَّقيُّ .. الشَّقيُّ من ضمَّ قلباً
ذا طُموحٍ .. والعَيْشُ كالصَّخر صَلْدُ !!

* * *

كان قلبي الصَّغيرُ يَجْترُّ حلماً ..
صاغَهُ من خَيالِهِ .. وطُمُوحِهْ . !!
الصَّباحُ الجميلُ ضوءُ لياليه
– وأحلامُهُ .. قوتُ روحِهْ ..!!
... وبَلسَمٌ لجُروحِهْ ..!!

* * *

ومضى العُمْرُ .. مثلَ طَيْفٍ سريع
في طريقٍ .. لم يَدْرِ أين مَسيرُهْ ؟؟
الظلامُ الكثيفُ يُعْشي مآقيهِ
– وشوكُ الطريق دوماً يُثيرُهْ !!

* * *

كان يشْتاقُ أن يُعانقَ روحاً
في ظلام الحياة .. روحاً جميلهْ ..!!
لم يجدْ في الحياة .. روحاً جميلهْ
لا .. ولا جدولاً ... أو خميلهْ !!

* * *

قد مضى العُمرُ مسرعاً . غيرَ أنّي
لم أزلْ مُفعَمَ الحُشاشةِ وَجْدا . !!
أتلهّى بنَشْوةِ الأمس حيناً
وكثيراً ما يَجْرَحُ الدّمْعُ خدّا !!
كُلّما قلتُ : سوف أغفو تبَدّتْ
ليْ رؤياً .. عَنيدَةٌ تتحدّى !!

* * *

كُلما قلتُ : سَوْفَ أفنى ابتساماً
لحياتي .. رغم الشّقا والشرورِ !!
أتملّى رُؤى الجمال بدُنياي –
– كغيري .. وأنتشي ، كالزّهورِ !!
غير أن القضاءَ – يا نفسُ – يأبى
ليْ ابتساماً .. ولحظَةً من حُبُورِ !!

* * *

غُصّةٌ إثرَ غُصّةٍ أيُّها النفسُ –
– وما زلتُ حائراً .. ما مصيري . ؟؟
طالما رُمْتُ أن أغنّي .. بقلبٍ
فَرِحيٍّ .. مُلوّنٍ بالشّعُورِ
ما ارتياعي من السُّرى .. بَيْدَ أنّي
أتّقي عَثرةَ الخُطا في مَسيري ..!!
أن أُغنّي الحياة دَعْوى .. ولكن
كيْفَ أنْجو مِنْ يَقْظةٍ في ضميري ..!!

الكويت : **مقبل العيسى**

مَدِينَةُ الدِّرْعِيَّة القاعِدَةُ الأُولى لِلدَّولَةِ السُّعُودِيَّةِ

- ١٢ -

في عام ١٢٣٨ هـ أصبحت الرياض قاعدة للدولة السعودية . الا ان الاستقرار التام لاتخاذها قاعدة بعد الدرعية كان في عام ١٢٤٠ هـ . وذلك طيلة مدة العهد الثاني لحكم الأسرة السعودية . وفي الفترة ما بين عام ١٢٣٨ هـ و ١٢٤٩ هـ لم يكن للدرعية شأن يذكر ، ولكن الحياة عادت اليها ، وعاد أهلها . وأخذت زراعتها تنمو واتجه أهلها للزراعة اتجاهاً يكاد مركزا على غرس النخل فقط. ولما لم يكن لدينا من المراجع المسجلة ما يمكن الاعتماد عليه ، فقد تحدث الرواة ان الدرعية بعد تولى الأمام تركي عليها ، ومن ثم استيلاؤه على الرياض . لم يكن فيها امير من قبله .

وفي آخر عهد الأمام فيصل بن تركي تولى امارتها ابراهيم الطويل ، ثم تلاه ... الرواف ثم تولى امارتها في فترة الفتن عبد الرحمن بن مسيند .

أما في عهد الملك عبد العزيز فقد ولي امارتها محمد بن عبد الرحمن المُسيند ثم محمد بن ناصر بن سالم .

وفي عهد الملك السابق سعود ولي امارتها عبد الرحمن بن محمد بن مبارك ومحمد بن ناصر بن سالم مرة أخرى وعبد العزيز بن عروج اما اميرهـــا حين تحرير هذا البحث (١٣٨٧ هـ) فهو الشيخ محمد بن عبد الرحمن الباهلي

الدرعية في عهدنا الحاضر :

يبلغ سكان الدرعية اليوم ٤٠٠٠ نسمة تقريبـاً موزعين حسب النسب التالية ٥٠,٩٪ ذكور و ٤٩,١ إناث [١] .

---

(١) تقرير مركز التنمية بالدرعية .

وارتبطت الدرعية اليوم بالرياض بطرق معبدة ، ودخلها المـــاء والتيار الكهربائي. وارتبطت إدارتها بالادارات الرئيسية في الرياض العاصمة.وتتكون المؤسسات الرسمية في الدرعية من :

١ – الامارة
٢ – إدارة الشرطة
٣ – المحكمة الشرعية
٤ – مركز التدريب والتنمية الاجتماعية
٥ – هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
٦ – البرق والبريد والهاتف
٧ – مدرستان للبنين ابتدائية و متوسطة .
٨ – مدرسة ابتدائية للبنات

كما تتكون مساكنها حسب الاحصاء الأخير من ٦٣٦ منزلاً موزعة على الأحياء التالية :

١ – حي الطَّريف . وهو مقر سكنى آل سعود الأول .
٢ – « البُجيْري . « « « آل الشيخ «
٣ – « سمحان
٤ – « الطوالع
٥ – « المريح
٦ – « الظهرة
٧ – « الظويهرة (الحوطة سابقاً)
٨ – حي السُّريحة
٩ – « الروقية
١٠ – « مَلوِى (النقيب سابقاً)

واخيراً (غصيبة) وهي لم تسكن بعد حروب ابرهيم باشا حتى اليوم . ويلفت نظرك فيها اليوم مركز التدريب وتنمية المجتمع الذي تم افتتاحه

في منتصف عام ١٣٨٠ هـ وكانت تشرف عليه وزارات المعارف والصحة والزراعه . وباحداث وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في شهر الحجة من عام ١٣٨١ هـ وبحكم اختصاصها أصبح لها حق الأشراف على هذا المركز بالاشتراك مع وزارات المعارف والصحة والزراعة . وبدأت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بتطوير المركز وتدعيمه ، واستقدام خبراء للتنمية واعداد برامج فنية ، ودورات تدريبيه فيه . ويعمل هذا المركز في المجالات الآتيه :

١ ـ المجال الاجتماعي
٢ ـ « الصحي
٣ ـ « التعليمي
٤ ـ « الزراعي
٥ ـ التدريب

وفي مجال التدريب يتلقى المتدربون فيه :

١ ـ علم الاجتماع
٢ ـ الاصلاح الريفي
٣ ـ تنمية المجتمع
٤ ـ التعاون
٥ ـ الصحة العامة
٦ ـ الارشاد الزراعي
٧ ـ العلاقات الانسانية
٨ ـ تعليم الكبار
٩ ـ الخدمة الاجتماعية
١٠ ـ دراسة القرى
١١ ـ البحث الاجتماعي
١٢ ـ دراسة حالات الضمان الاجتماعي

ولا يكتفي هذا المركز بخدمة الدرعية ، بل يتعداها إلى القرى التابعة

لها مثل العودة والعِلّب وعِرْقة . كما يشرف على المؤسسات الاجتماعيةالتالية :

١ – الجمعيات التعاونية
٢ – النوادي الرياضية
٣ – دور الحضانة
٤ – مستوصف صحي
٥ – دار الفتاة

ومن الناحية الزراعية أخذت الدرعية في السنوات الاخيرة بالاهتمام بشتى انواع الزراعة وهي تنتج اليوم الى جانب محصولها الرئيسي من النخيل الخضروات والفواكهة والمحاصيل الحقلية كالقمح والشعير والفول والبصل والذرة والدخن . كما يعتني المزارع فيها اليوم بتربية الحيوانات والدواجن .

وجملة المساحات المزروعة في الدرعية بلغت ٢٢٧٣٣دونم منها ٥٤٢٤ دونم مزروعة بالنخل و١٥٣٨ دونم مزروعة ببرسيم ، اما باقي المساحة فتزرع فيها المحاصيل الحقلية والصيفية والخضر والفواكهة التي بلغت في آخر احصائية لوزارة الزراعة كما يلي :

١١٢٬٥٩٠ نخلة
٥٠٣٤٧ شجرة عنب
٢٣١٢٣ » رمان
٤٤٨١ » تفاح
١٤١٥٦ شجرة خوخ
٣١٢٧ » مشمش
٢٨٤٢ » تين
٢٤٠٩٣ » برتقال
٣٢٨٠ » يوسفي
٣٠٩٠ » ليمون
١٬١٣٧٬٨١٠ أشجار خشبية .

فصول لم تنشر من كتاب :

حج إلى نجد مهد العرب

(الفصل الثالث)

« من الأحرى أن يعلن أن من
ليس له طاقة بهـذا القتال فليرحل .
ويجب أن يعدج جواز مروره » .

١٨ ديسمبر :

فقد ركبنا بعض أعضائه . فبادىء ذي بدء ، فشل الدليلان الكـريْشي والشمري أن يظهرا . ثم جاء عبد الرحمن ، القصيلي الصغير يلتمس أن نسمح له بالعودة إلى موطنه . قال : إنه صغير عن رحلة كهذه ، وانه يخشى أن

ويلاحظ أن كثيراً من أشجار الفاكهة لم تكن تنال حظاً من عناية المزارع في السابق الا أن ما تبذله وزارة الزراعة من تسهيل للحصول على الشتلات المختلفة وتوزيعها والاشراف الفني جعلت المزارع يقبل إقبالاً شديداً على زراعة مختلف الفواكه والخضروات ويبدى اهتماماً ملحوظاً بها .

وموارد المياه في الدرعية من الآبار الارتوازية والعادية التي تبلغ ٣٥٧ مورداً (بئراً) .

والقادم إلى الدرعية اليوم تشرئب عنقه إلى الاطلال الشامخة في الدرعية القديمة . الاطلال التي تتحدث عن الأمجاد ، وترسم لوحه رائعة من التاريخ العظيم والأحداث الجسام التي مرت بها . وصبرت وصابرت في سبيل عقيدتها ومثلها . تطل من عل على الازدهار الزراعي والعمراني والاجتماعي الآخذ في التطور . تـلفـُّها هالة من الطمأنينة والأمن والاستقرار .

(للبحث صلة) محمد الفهد العيسى

يموت في الطريق. أحضر معه ابن عم له كبديل ، سيكون أكثر فائدة منه . ثم قدم لنا البديل ، وهو مخلوق فطريّ غريب الشكل تغطيه الأسمال ، وشعر كثيف جعد ، ولهعينان كالكهرمان الأسود ، وهو مسلح أيضاً ببندقية ذات فتيل أطول منه نوعاً ما،ومن الواضح أنه ليس بعُقَيليّ . ولقد وافقنا، على أية حال ، أن نأخذه ، وندع الآخر ينصرف . فالأيدي المتمنعة في الرحلات هي أسوأ من الأيدي غير النافعة . وأخيراً ذهب العبد عوّاد . فقد كان مثل معظم الزنوج ، معجباً بنفسه ، وألحّ أن يعامل لا بصفته خادماً بل شيئاً أكثر ، وعلى أن يكون له حمار يمتطيه . ولذلك صرفناه أيضاً .كان غاضباً جداً حينما أخبرناه أن ينصرف ، فحطّم الرّباب الذي أعطيناه ليعزف عليه ، وكان يستطيع العزف والغناء جيداً إن عددنا الآن قد اقتصر علينا وعلى محمد ، وعبد الله ، وحنا ، وابراهيم ، والبديل ـ سبعة أشخاص ، ولكن أهل (تفاز ؟) سيذهبون معنا مسيرة اليومين الأولين ، وسيساعدون في سوق الجمال سررنا جداً من انتقالنا من قذارة السوق وضوضائها ، وتركنا طريق الحج ، واتخذنا طريقاً متقاطعاً معه في اتجاه الجنوب الشرقي ، يؤدي بنا إلى بصرى . ظللنا طول اليوم نمر بريف كثير السكان ، فيه قرى كثيرة ، وتربتهحمراء غنية ، وكل فدان فيه قد حرث ، وينتظر هطول الأمطار فقط. كانتالطريق ملأى بالناس، مسافرين على حمير ، وراجلين قاصدين المزيريب[1] وهم في سيرهم يغنون . وفي كل القرى العديدة شاهدنا آثار الطاعون الأخير في الماشية الميتة المبعثرة هنا وهناك . لقد عددت سبعين جيفة في مكان واحد صغير ، وإنها لخسارة فظيعة للقرويين المساكين ، لأن كل بقرة عاملة أو ثور عامل يساوي عشرة جنيهات . سألت : ما الذي قتلها ؟ ، فكان الجواب : « من الله » ، ويسميه محمد : « أبو هدلان » (أبو الهزال) .

يقال إن هذه المنطقة هي أفضل المناطق لزراعة الحنطة في أي مكان ، وإنها لتبدو كذلك ، ولكن ما لم يهطل المطر سريعاً ، فان السنة ستكون

---

(١) كتب هذه الاسم – فيما تقدم – المزاريب ، ترجمة حرفية مطابقة لنطق البدو الذين يبدلون الباء ألفا في كثير من الأسماء .

مجدبة . إن القرى تكاد تعتمد اعتماداً كاملا على المطر في حصولها على الماء ، فيوجد في كل منها مستودع يحفر في الصخر ، ومن الصعب أن تفهم كيف تُملأ هذه الخزانات ، إذ لا تبدو لها مجارٍ تتجه اليها بل أنها على النقيض من ذلك تجثم بصفة عامة على أرض مرتفعة ، وجميعها الان جافة ، وعلى القرويين أن يسيروا أميالاً كثيرة لجلب مياه الشرب ، وتتبع جميع هذه البلاد حوران ونحن الان في قرية حورانية تسمى (غيزة Ghizeh ؟) ومن الواضح أن السكان ليسوا عربا خُلَّصاً ، لأن عيون الكثيرين منهم ليست سوداء .

نحن الان ننعم بكرم شيخ القرية المضياف ، وهو رجل شيخ كبير عجوز من معارف والد محمد ، وإنه ليصر على أن يضع أمامنا كل ما يملك ـ قهوة ، طبق من الأرز ، شعير للمهرتين ، وهو نفيس لديهم الآن .. ماء للمهرتين ولنا وحسن ، وهذا هو اسمه ، له زوجة مليحة جداً ، وكانت بين الجمهور الذي احتشد حولنا عند وصولنا الى القرية . ولم تُبْدِ ـ مثلها مثل جميع نساء هذه القرية ـ أي تظاهر بالخجل ، فكانت تجري هنا وهناك سافرة مثل أية فتاة ريفية في ايطاليا . ومن الواضح أنها طفلة مدللة ، فكان على حسن أن يأمرها أكثر من مرة قبل أن تقبل أن تذهب إلى البيت ، لقد كان الشيخ يقضي المساء معنا . إنه في هَمّ عظيم على قريته ، التي هي في أشد العوز للماء فالماشية ، كما سلف لي القول كلها ماتت ، والان حتى حيوانات الحمل التي عليها أن تجلب الماء تعاني الموت . وأقرب نبع للقرية يقع في بُصْرى ، على بعد اثني عشر ميلا ، وإذا انهارت الحمير ، فلا بد أن تموت القرية عطشاً أيضاً .

أخبرنا ان (فرنجيا) مر في هذه الطريق منذ سنوات وأخبره أنه توجد حَتْماً بئر ماء قديمة ، في مكان ما بين الخرائب التي بنيت القرية منها ، وهو يبحث عنها منذ ذلك الحين .

ترجانا أن ندله على البقعة التي يكون فيها الاحتمال كبيرا لوجود البئر القديمة أو لحفر أخرى جديدة . واننا (الكاتبة وزوجها) مُغْتان كثيراً لأننا لسنا مهندسين كُفْوين لنفعل له هذا الأمر ، ولا استطيع أن أكف

عن التفكير في القدر الكبير الذي قـــد يفعله في تركية مصلح حقيقي (لا مدحت) بالالتفات إلى مثل هذه الحاجات الملحة . إن (غيزة ؟) على بعد خمسين ميلاً من دمشق ، وهي مسافة في نطاق طيران الغراب ، وهنـــاك عشرون قرية في مثل تلك الحالة في حوران ، وفي إمكان حاكم لسورية ان يغيثها بتكلفة ارسال مهندس، ولكن إلى أن تبنى خطوط «الترام» والسكك الحديدية والأسواق الجديدة !! [1] ، أظن أن هناك فرصة صغيرة لمجرد حفر آبار في ظل النظام الحاضر .

وبالاضافة إلى اللحم والشراب ، قـــدم لنا حسن نصيحة مفيدة . لقد ذكّرَ محمداً بصديق قديم آخر لوالده، يظن أنه قد يخدمنا أكثر مما يستطيع أي شخص آخر ، ونصحنا أن نتجه اليه أولاً . هذا الصديق هو حسين بن نجم الأطرش ، وهو شيخ درزي قوي ، يعيش في مكان ما ، خلف جبال حوران . ولا بد أن له علاقات ببعض قبائل البدو ، لأنه يبدو أنه يعيش في مدينة صغيرة واقعة على أقصى حافة الريف المأهول ، من ناحية وادي السرحان . لقد سمعنا دائماً عن بلد الدروز هذا كبلد غير مأمون ، ولكن أي بلد هو الذي ليس مأموناً خارج نطاق السلطة التركية المنتظمة ؟ يبدو أن اقتراح شيخ (غيزة) ؟ ! جدير بأن يتبع ، وسوف نتجه إلى المدينة الدرزية .

إن الكلبة السلوقية الصغيرة (شيحة Shiekhah سميت هكذا باسم نبات) وديعة جداً ، وحسنة السلوك . وهي كلبة صحراوية عادية ، وتحب التمر أكثر من أي طعام آخر .

صنعت لها معطفاً لترتديه في الليل لأنها تحس بالبرد .

١٩ ديسمبر :

بدافع من كرم حسن الحق لم يترك منزله هذا الصباح ، بل تركنا نرحل

---

(١) : ارجع الى الحديث عن مدحت باشا – حاكم دمشق – في الفصل الأول .

بهدوء . كان مجيئه لوداعنا سيبدو وكأنه يطلب هدية ، ومن الواضح أنه لم يكن يرغب في شيء من هـــذا القبيل . إن هذه هي المرة الأولى التي تلقينا فيها القِرَى بدون مقابل في مدينة ، فحتى ونحن مقيمون لدى أبي محمد في تدمر ، طلبت نساء الأسرة المال بالحاح . أما في الصحراء ، فلم يكن سلوك حسن يحتاج إلى ذكر .

قبل أن نترك (غيزة ؟) ذهبنا لنلقي نظرة على بيت فيه قاعة مبلطة بالفسيفساء من الفن الروماني ، ونقوش باشجار البرتقال والرمان ، وأعناب عليها عناقيد ، وأواني للزهور ، وسلال ، وكل ذلك ملون على أرض بيضاء . وإنها لتقف شاهدة على جودة الصنعة التي قاومت طويلاً الجوّ والبِلى ، لأنها في خارج البيت ، وتكون رصيفاً في فناء المنزل .

أوصلتنا ثلاث ساعات من السير المتصل إلى بصرى ، حيث نحن الآن . ومدخل المدينة أخّاذ نوعاً ما ، كالطريق الرومانية ، وهو يسير في خط مستقيم عدة أميال ، وينتهي في بوابة من الخط (الكلاسيكي) المعتاد، وخلفها تقع كتلة من الخرائب والأعمدة ، وإلى اليمين قلعة قديمة جميلة .

كان غراب واقعاً على البوابة ، وعندما دلفنا خلالها راكبين في خشوع صاح : « غاق » !

إن بصرى ، ولا ريب ، قد وصفها السيد موراي (Murray) ، ولذا فلن أضيع وقتي في الكتابة عن الخرائب ، التي لم نفحصها بعد ، ويبدو أنها رومانية ، وهي في حالة لا بأس بها ، أما القلعة فهي أكثر حداثة ، ومن المحتمل أن تكون اسلامية ، وهي عبارة عن كومة رُكام ، بنيت من شظايا أكثر قدماً ، وتحتلها حامية من الجيش التركي النظامي ، وهي آخر ما سنرى كما آمل لأيام كثيرة ، لأن بُصْرى على حدود حوران ، ولا يعترف بالسلطان فيما وراءها ، واعتقد أن تاريخ احتلالها ليس أقدم من خمس عشرة إلى عشرين سنة ، وهو الزمن الذي خفقت فيه شعلة التقدم خفقتها الأخيرة في الدولة التركية . وأعتقد أن أهل بصرى كانوا قبـــل ذلك الحين يدفعون إتاوة لابن

شعْلان ، كما كانوا من قبل يدفعون للوهابيين [1] في نجد ، وما زال الرُّوَلة يحتفظون ببعض العلاقات بالمدينة ، على أية حال ، فقد أكد لنا راعٍ قابلناه في العيون خارج المدينة أن ابن شعلان سقى جماله فيها منذ أقل من شهرين ، إن معركة الأربعين يوماً بين الرولة والمسنة ووصفها (فتح الله) دارت رحاها في مكان ما ليس بعيدا عن بصرى [2] ، ولو أن التفاصيل ، ولا شك مبالغ فيها ، فإن محمدا يعرف عن المعركة عن طريق الرواية ، سأله (ولفرد) عنها اليوم بصفة خاصة ، وهو يؤكد كل التفاصيل التي أوردها (فتح الله) عن أفول (المسنة) . وأضاف أيضا بعض التفاصيل المثيرة عن تاريخهم المتأخر . نحن مخيمون خارج المدينة على حافة خزان مياه كبير مربع الشكل ، وهو بناء حجري قديم ، وهو الأن جاف وغير صالح وهنا توجد مهمة رائعة لمدحت وشراكسته .

٢٠ ديسمبر

أزعجنا نباح الكلاب والأصداء الغريبة المنبعثة من الخرائب حولنا الليل بكامله . لم أسمع قط شيئاً كهذا ـ ليل قارس ـ وكآبة أيضاً ، مثل الليالي التي يبزغ فيها القمر متأخراً ، ثم يختلط في ضوء شاحب مع الفجر .

لقد ذهب أقرباء (تافاز ؟) وهم حزينون لفراقنا . قال لي سليم ، أكبر الاثنين عمراً : إنه قد أمضى الآن ثلاثين عاماً في حوران ، وإنه لا يفكر في العودة إلى تدمر . إن الأرض في تافاز ؟ صالحة جداً لتنبت أي نبات ، بينما ليس في تدمر إلا البساتين القليلة التي يرويها الجدول . إنه فلاح يحب الحرث والبذر أكثر مما يحب سياقة الجمال .

لقد ذهبا إلى (تافاز ؟) سليم على مهرته الكميت ، وهي عجوز ، منهكة ، عوراء ، ولكنها « أصيلة » ، وعامر على مهرته كحيلة ، وهي من

---

(١) محافظة على النص ابقينا هذه الكلمة مع عدم صحتها (المترجم)

(٢) لعل هذا خطأ ، فالمعركة دارت على ضفاف نهر العاصي .

الرولة ، عجوز وعرجاء أيضاً . لقد ذهبا والدموع في مآقيهما ، وهما يبتهلان أن تحل علينا البركات الممكنة في طريقنا .

إن النتيجة المترتبة على رحيلهم هي أن نقوم باكثر من نصيبنا من العمل ، ولقد واجهنا يوماً عصيباً في تحميل الجمال واعادة تحميلها ، لأننا كنا في وسط التلال ، وكانت الطرقات وعرة . ان الحيوانات لم يألف بعد أحدهما الاخر ، وإن البعير العجوز الذي اشترياه من المزيريب ليبدي كل أمارة على الرغبة في العودة الى هناك . إنه مكسّار عجوز ماهر ، ولقد كان يختار لخطته للتجوال حينما نكون متجهين بانظارنا إلى الناحية الأخرى ، وحيثما تكون الأرض الوعرة مناسبة لهروبه . لقد كاد أن يفلت منا مرة أو مرتين . إنه ، كما يقول عبد الله : يريد أن يعود إلى أسرته ، فقد ابتعناه من بين قطيع كان فيه سيداً ورئيساً ، سلطانا بين الجمال . أُخبِرنا أن نتخذ طريقنا إلى صَلخد وهي نقطة على الأفق البعيد ، على حرف حوران تماماً ، وكانت الطريق الوحيدة هي الطريق الرومانية القديمة . وتتجه هذه في خط مستقيم تماماً فوق تلال ووِهاد . لقد كانت عبارة عن عثرة طويلة من البداية إلى النهاية ، لأن كل كل حَجَرين من ثلاثة أحجار التعبيد مفقودان والبقية موضوعة رأساً على عقب ولقد حُذِّرنا لنكون على يقظة تامة من قطاع الطريق ، ولذلك فقد سرت انا وولفرد في المقدمة ، نستكشف كل صخرة وكثيب . مررنا بقرية أو قريتين خربتين ، ولكن لم نقابل أحداً طول اليوم ، وما زلنا مقتفين تَلّ صلخد المدبب ، الذي استطعنا أن نتبين ، عند ما اقتربنا منه ، أنه مُتوّج بقلعة ضخمة أصبحت الأرض الان كتلاً من الصخور ، تجمعت في بعض الأماكن في شكل أكوام ، مكونة رُجُوماً [1] عظيمة ، لا في الأزمنة المتأخرة ، بل ربما في الأيام القديمة ، عندما كان يوجد جِنّ في الأرض إن التربة وهي مغطاة هكذا ، كانت أرضاً حمراء غنية ، وقد وزعت هنا وهناك . وُجِد الان بعض الكلأ ، لأن المطر قد هطل على التلال ، ولقد رأينا مرة على مسافة بعض الماعز .

---

(١) جمع رِجْم : كومة من الصخور بدون تنسيق .

عندما اقتربنا من صلخد أصبحت الطريق سيئة جداً إلى حد أن محمداً نذر أن يذبح خروفاً إذا وصلنا سالمين إلى حسين الأطرش .

فسألناه ما يعنيه ؟ . فروى لنا قصة النبي ابراهيم الذي نذر أن يذبح ابنه فمنعه النبي موسى من فعل ذلك وأوقفه ، وأراه خروفين قال له عنهما إنهما يغنيان عما نواه . ان هذه النذور التي يقطعها العرب على أنفسهم هي من مخلفات القرابين القديمة . شرحها محمد لنا ، فقال : ان البدو يفعلون هذا دائما عندما يكونون في ضائقات ، ولم يستطع أن يبين السبب،سوى أنها عادة قديمة ؛ وحينما يعودون إلى مواطنهم يذبحون خروفاً، ويأكلونه مع أصدقائهم. ولا يبدو أنه يعتبرها طقساً دينياً ، وإنما عادة ، ولكنها فريدة جداً .

تسع ساعات ونصف ساعة من السير ، ابتداء من الساعة السابعة ، أتت بنا إلى سفح التل المخروطي الشكل الذي تقع عليه قلعة صلخد . وهذه بناية قديمة جداً تشبه إلى حد كبير قلعة حلب ، وهي مخروط صناعي جزئياً ، ومحاطة بخندق ، ومغلفة بحجارة مُلس تعلو جدراناً ما زالت كاملة في بعض أجزائها. لاحظناعلى بعضها نفس الرسم الذي لاحظناه في حلب،وهو صورة أسد بارزة ، شعار مملكة فارس . والقلعة نفسها من المحتمل أن تكون ذات تاريخ أقدم ، على أية حال ، وربما تكون وجدت في الزمن الذي فتح فيه بنو اسرائيل البلاد . اتفقنا أنا والفرد وكنا في المقدمة — أن نفترق هنا ، وندور حول القلعة ، بأن يتجه هو يميناً وأتجه أنا يساراً ، وأن أنتظر على قمة الحرف حتى تصدر منه اشارة ما . وهذا ما فعلت ، وانتظرت طويلاً حتى صعدت الجمال في النهاية .

أما هو فقد وجد في نفس الوقت مدينة صغيرة تحت القلعة تماماً على الجانب الآخر فانحدر اليها ، لم يجد في البداية أحداً ، وظن أن المكان مهجوراً ، ولكن بدأ في الحال أناس ذوو عمامات بيض ، يظهرون على رؤوس المنازل ، وقد أدهشهم دهشة بالغة أن يروا هذا الفارس ينحدر نحوهم ، لأن الطريق كانت تشبه سلماً . حياهم ، فردوا التحية بأدب ، وأجابوا على استفساره عن حسين الأطرش ، بالأشارة إلى ممر يؤدي عبر التلال إلى مدينة تسمى (ملاخ؟)

قالوا : إن حسين يعيش فيها . وسألوه إلى أين هو ذاهب؟ فقال : إلى البصرة بصرة بغداد ، فضحكوا من إجابته ، وقالوا — وهم يشيرون إلى الطريق الرومانية ، التي لا تزال تسير من صلخد في خط مستقيم باتجاه الجنوب الشرقي تقريباً قالوا : إن تلك الطريق ستقوده اليها . إن هذا غريب ، فمن المؤكد أن ذلك هو الاتجاه بالضبط ، ومع ذلك فمن المستحيل إمكان وجود طريق هناك حقاً . ومن المحتمل أنها تتجه إلى الأزرق ، إلا أننا نأمل أن نكتشف كل شيء عن هذا في يوم أو يومين . وفي أسفل التل أوماً إليّ ولفرد فرأيته في بركة صناعية كبيرة ، لا تزال تحوي قدراً من المياه لا بأس به ، وهناك حين انضم الينا بقية الركب ، سقينا الجمال والخيل . وفي نفس الوقت كان محمد في رحلة استكشافية ، وعاد لينبئنا أن حسينا الأطرش هو حقاً في (ملاخ ؟) وأن (ملاخ ؟) على بعد ساعتين ونصف ساعة فقط .

أن صلخد مدينة تستحق التصوير . إنها معلقة كقرص الشهد تحت القلعة على حرف منحدر جداً . وتبدو المنازل سودا من لون الاحجار البركانية التي بنيت منها . والكثير منها قديم جداً ، والبقية مبنية بمواد قديمة ، ويُوجد برج الجرس في كنسية [1] . والخزانات اسفلها هي على الأقل مساوية للمدينة في القدم ، ولها ظهارة من الصخر الصقيل ، أكثرها الآن خرب ، وجوابي صخرية كبيرة لسقاية الماشية . وسكانها ، ذوو العمائم البيض ، دروز ،أعتقد أنهم ارسلوا من لبنان بعد الاضطرابات في عام ١٨٦٠ م.

من صلخد سارت طريقنا بصفة رئيسية، منحدرة مع التل، فقد عبرنا الآن خط تقسيم مياه جبل حوران ، وأصبحنا إلى حدّما في متاهة ، نجول بين حقول صغيرة . ان الريف على هذا الجانب من التلال مقسم إلى « حيطان » مسورة ، مكونة بواسطة دحرجة الصخور ، وهذا ما يجعله (أي الريف)

---

(١) كانت حوران أول اقليم فتحه الخليفة عمر وقد شاطرت رخاء الأمبراطورية العربية بعض قرون ، ولكنها عانت عناءاً شديد أثناء الحروب الصليبية . ولا يوجد هناك سبب يدعو الى الشك . على أية حال ، أنها ظلت عامرة بالسكان حتى غزو تيمورلنك في عام ١٤٠٠ م ، حين أقفرت كل الأرضين المتاخمة للصحراء (هامش الأصل)

يبدو أوربياً أكثر من أي شيء آخر شاهدناه أخيراً . وهذه يرجع تاريخها — في ظني — الى أزمنة مبكرة ، لأن الصخور قد مر عليها وقت غطاهـــا بحزاز أغبر ، وتماثل التراكمات الطبيعية أكثر مما تشبه التراكمات الصناعية ، وفي مثل هذا المناخ الجاف يتكون الحزاز ببطء . وفي بعض « الحيطان » وجدنا زرعاً ، وأكثر من ذلك وجدنا كروما وأشجار تين . ومن الجدير بالملاحظة هو ظهور الأرض أكثر رخـــاء بمجرد أن يبتعد المرء عن الادارة التركية . كانت الشمس تجنح للمغيب حين وقع نظرنا لأول مرة على (ملاخ ؟) وهي مدينة أخرى غريبة من مدن القرون الوسطى ، مبنية بالصخر الأسود، ولها أسوار وأبراج تفتقر كثيرا للاستقامة ، وهكذا تركنا الجمال في رعاية عبدالله ورجل كان قد تطوع ليدلنا ، سار ركبنا خببا ومعنـــا محمد ، وفي الشفق وصلنا إلى منزل حسين الأطرش .

إن حسيناً نموذج رائع لشيخ درزي ، وهو رجل في حوالي الأربعين ، شديد السمرة ، بالـــغ الوسامة ، تبدو عيناه أشد سوادا وأكثر لمعاناً بفعل الكحل . ويظهر أن استعمال الكحل عادة شائعة هنا . كان نظيفاً جداً ، وحسن الهندام ، في جبة وعباءة ، وخلافاً لمعظم الدروز، كان يرتدي كوفية أرجوانية ومذهبة ، ولو أنه كان يلبس العمامة البيضاء فوقها بدلاً من العقال . كان جالساً مع أصدقائه وجيرانه على شرفة صغيرة أمام منزله ، يستمتعون بنسيم المساء ، بينما كان في امكاننا أن نرى ناراً قد أوقدت في الداخل . وقف وتقدم لمقابلتنا حين ترجلنا ، ورجانا أن ندخل ، ثم شرعت أواني القهوة والهاون في العمل ، وأمر بإعداد العشاء . كان سلوك الشيخ رائعاً مهيباً ، ولكنه لم يكن فاتراً ، ومع أننا تحادثنا ساعة عن الجو والمحاصيل ، فقد تجنب طرح أسئلة حول : من نكون ؟ وأين نريد ؟ وماذا نريد ؟ . ولم نقل نحن شيئاً، لأننا عرفنا أن الخطة المناسبة لم تكن قد جاءت . وأخيراً وصلت جمالنا ، وقدم العشاء ، وكان من أروع ما يقدم كان دجاجاً وبرغلاً ، وفجلاً حاراً بالخل والماء ، وعدداً من الأطباق الحلوة ، وأرزاً هريساً ، وشايا متبلاً، وجبناً دسماً ، ألذ ما طعمنا من الحبْحَب (البطيخ) . ذكرنا الناس والطهي

بمدن حدود الصحراء الكبرى ، فكل شيء حسن ، الطعام حسن ، والشمائل حسنة ، والترحيب حسن . ثم عندما كنا جميعاً حتى آخر خادم قد أكلنا بشهية ، سألنا من نكون ؟ . وكان جواب محمد : انما شخصيان انكليزيان من ذوي الرفعة والجاه ، في طريقنا إلى الجوف ، وأن محمد بن عبد الله من تدمر ،وكان لهذا الجواب وقع حسن جداً ، ومن السهل أن ندرك أننا أخيراً قصدنا المكان الصحيح . كنا – على أيـــة حال – مسرورين أن نأوي إلى مخادعنا مبكرين ، فقد قضينا يوماً في مسيرة شاقة استغرقت اثنتي عشرة ساعة تقريباً وعلى أرض ذات وعورة بالغة .

٢١ ديسمبر :

هذا اليوم هو أقصر أيام السنة ، لكن الجو ما زال حاراً ، ولو أن الليل كان بارداً .

أمضينا الصباح مع حسين ، إن منزله لم يمض على بنائه عهد طويل، لكنه يبدو قديماً لأنه بني بحجارة قديمة . وبنيانه بسيط ، ولكنه جيد ، والغرفة الرئيسية مقسمة إلى أقسام ، وفيها عقود أقيمت لتلائم الصخور التي سقفت بها الغرفة . وتوجد في المقدمة شرفة بهيجة ، تطل على منظر للأرض الوعرة، لا بأس به ، ومن خلفه مناظر شاحبة للصحراء . وبينما كان ولفرد يتحدث مع حسين ذهبت لزيارة سيدات البيت . ولحسين زوجة واحدة فقط، اسمها وردة . وهي أم لغلام لطيف اسمه محمد ، في حوالي السادسة من عمره وهو مهذب جداً ، وقد رأيناه عند الشيخ ، ووردة أم أيضاً لبنت لطيفة صغيرة، عمرها سنتان ، اسمها أمينة . ولها أيضاً بعض الأطفال من زوج سابق.ووردة بدينة إلى حد ما ، وذات تقاطيع رائعـــة ، وعينين كحلاوين وحاجبين اكحلين ؛ وهي دمثة ، وقد استقبلتني استقبالا ودوداً في غرفة تنفتح على شرفة ، وتطل على منظر جميل لبعض تلال على طرف الحماد . جلست تحيط بها تابعات وقريبات ، بينهن أم حسين وأمها . وكانت الأولى تعاني من سعال وفقدان الصوت ، وكانت أخرى تشكو من ألم في مفاصل ذراعها ، وكلاهما

كانت تريد أن أدلها على دواء . ما كانت السيدات ليكشفن عن وجوههن ، حتى انصرف أسعد ، سكرتير الشيخ ، وكان قد اصطحبني اليهن ، ولم يكن إخفاء وردة لملامح وجهها إلا تصنعاً ، فان طرفاً واحداً فقط من خمار رأسها كان يسدل على نصف وجهها . تحدثت كثيراً عن طفليها من زوجها الأول ، مصطفى ، في الثامنة عشرة ، وهو كبير قرية مجاورة، وبنت في حوالي الثانية عشرة ، وكانت حاضرة . بدت هذه الفتاة ذكية ذكاء نادراً ، ولقد نالت بعض التعليم ؛ بالقدر الذي يكفي لأن تقرأ جملة من دفتري لتدريب اللغة العربية ، وتعيد من الذاكرة الجزء الأول من القرآن . كدر صفو زيارتي – إلى حد ما – كمية الحلويات والشاي والقهوة التي قدمت ؛ توافقت مع الشاي والقهوة جيداً ، لأن الأكواب كانت من الحجم الصغير المعتاد ، لكن أقراص السكر كانت من النوع المصمت بحيث كان من المستحيل أن أبتلعها ، ولحسن الحظ جاء الطفلان لاسعافي ، فصرفا انتباه أمهما عن قصوري بحماستهما في القضاء على كل شيء ناولتهما . وعند افتراقنا أعطتني وردة حزمة من الريش نتفته حينذاك ، وفي نفس المكان ، من جلد نعامة معلق على الجدار ، وقالت : إن الجلد جلب اليها قبل أشهر ، من مكان ما في الجنوب .

إن دروز حوران يقولون: إنهم عرب قدموا إلى هنا ورثاء النبي المباشرين، من الجنوب ؛ وأن الجبل كان يسكنه آنذاك الروم (اليونان) ، الذين لاتزال سلالتهم تعيش هناك وهم مسيحيون. رأينا واحداً منهم اليوم في بيت حسين، ومن الواضح أنه على وفاق تام مع بقية الزوار . كانت ملابسه مثل ملابس أيّ عربي، وليس هناك ما يميزه عن الفلاحين العرب العاديين الذين يشاهدهم المرء في مدن الصحراء . ونساء الدروز ، ما عدا نساء أسرة حسين ، يسرن سافرات . وهنّ بالذات مهذبات ومتمدينات ، ولهن بشرة ناضرة ، وخدود مشرقة اللون ، ويحيين المسافرين دائماً بالتحية المعروفة : « السلام عليكم » . وجميعهن يكحلن عيونهن بخطوط عريضة متقنة .

لقد دار البحث كثيراً عن رحلتنا بالطبع . ومن المهول – إلى حدٍ ما – التفكير أن أسبوعاً كاملاً قد مر منذ أن تركنا دمشق ، ومع ذلك فلم نقطع

أكثر من ثمانين ميلاً من طريقنا ، في خط مستقيم . هنالك فرصة تلوح الآن لتقدمنا حقاً ، فحسين يعد بأن يرسل معنا بعض الرجال إلى (كاف) وهي واحة في وادي السرحان ، ولها اتصال غير منتظم مع حوران ، إذ توجد ملاّحات يرسل اليها الفلاحون جمالهم لجلب الملح . ويقولون : انها على مسافة خمسة أيام من هنا . والصعوبة الرئيسية هي وجود عدد من القبائل البدوية على الطريق ، ولا أحد يدري أي القبائل هي . إن (السرديّة: sirdiéh) أصدقاء لحسين ، وكذلك (الكريشة kereysheh) ، لكن هناك قبائل أخرى لا يعرفها ، كالشرارات والسرحان ، وآل حسين [1] .

والأخيرة مجرد لصوص « أسوأ من الصّلب » [2] .

وقد نقابل أحداً من هذه القبائل أو كلها ، ولو أن من الممكن جداً ألا نقابل أحداً . لقد أرسل حسين اليوم رجلا على حصان إلى الأزرق ، أول مرحلة على طريقنا ، حيث توجد آبار ، وقلعة قديمة ، ليعرف من يوجد هناك . معنا رسائل إلى الكريشة من محمد الدوخي ، وإذا استطعنا أن نجدهم هناك ، فلن نصادف صعوبة أخرى . لأن فيهم من القوة مـــا يكفي لمنحنا الحماية من الباقين .

وعلى أيـــة حال فسنواصل السير غداً . إننا مشتاقون إلى الرحيل إلى الصحراء ، لأن الحياة في هذه المدن مرهقة جداً ؛ ففيها الكثير من الناس يجب التودد إليهم ، وفيها الأطفال يحدثون صخباً عالياً . لقد ظلوا يلعبون « الهوكي » طول اليوم خارج خيمتنا تمامـــاً ، يالالأشقياء الصغار المتعبين !! خرج ولفرد ساعة بعد الظهر ، وعاد ببعض القطا ، الذي يوجد منه أسراب عظيمة منتشرة حول كل الحقول ، بينا رسمت صورة للمدينة من خلف سور .

أخيراً وجدنا رجلاً يذهب معنا بصفة خادم ، ويبدو أن خيراً ينتظر

---

(١) أنظر ص ٣٤٨ – فقد كنا نكتب هذا الاسم (الحويسين) .

(٢) لا نقر هذا الوصف ولكن المحافظة على الأصل دفعنا إلى ايراده .

منه . وهو شمريّ ، من جبل شمر ، ترك قبيلته لسبب أو لآخر ، (ربما لجريمة ضد القانون البدوي) ، واستقر في السنوات القليلة الماضية في صلخد ، حيث تزوج امرأة درزية ، وهناك سر غامض حول مهنته ، وطريقة حياته، ولكن له وجه جذاب ، وهيئة تدل على التميز بالرغم من ملابسه الحقيرة . كلانا يحبه ، ويبدو أن حسيناً يعرف شيئاً ما عنه . وفوق ذلك ، فقد قام بالرحلة كلها من نجد ، وقد ظل ذاهباً آيباً بين صلخد والجوف مرات . انه يريد الآن – كما يقول أن يعود إلى وطنه . اكتشف محمد أيضاً رجلاً أحمر الشعر ، من أبناء (سخن Sokhne ؟) وهو بهذه الصفة يكاد يكون من أبناء بلده ، وسوف يأتي معنا كجمال تحت إشراف عبد الله ؛ وهكذا يصل عدد مساعدينا الآن إلى أصله ، ثمانية .

غداً قد نأمل أن ننام في الصحراء .

ملاحظة – وأسفاه ؟ فمنذ أن كتب هذا ، ’منيَ أصدقاؤنا في (الملاخ؟) بنكبة قاسية . ففي سبتمبر ١٨٧٩ ، أرسل مدحت باشا قوة مسلحة لاخضاع الدروز المستقلين ، حتى يشهر تسنمه السلطة في دمشق ، ويعزز شهرته بالنشاط ، تلك الشهرة التي خلعتها عليه أوروبا وفي البداية نجح الدروز ، المكافحون في سبيل حريتهم . فقد لاقوا القوات التركية التي تقدمت عن طريق اللجا وهزموها . وعادت الحملة وقد فقدت أربعمائة رجل . وعلى أية حال ، فقد عاود الحظ مدحت بعد شهر . فقد رشا أو أقنع محمد دوخي أن يكتسح حوران الشرق برجاله البدو ، وبينما كان هؤلاء يطوقون المدن ، سير هو (طابوراً) ثانياً من النظام خلال الجبال، وهكذا استولى على صلخد، و (ملخا ؟) ، وغيرهما ، واضطر الجميع إلى الاستسلام . ويحل الآن حالم تركي محل الشيوخ من أبناء البلاد ، وامتدت بركات حكم السلطان إلى كل قرية من قرى حوران .

(للبحث صلة)

قبيلة جهينة

من تاريخها ، ومشاهير رجالها

- ١٣ -

ومن مشاهير رجال جهينة في صدر الاسلام عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رشدان ابن قيس بن جهينة [١] .

وكان شهد فتح مصر ، واختط بها ، ووليها نيابة عن عبدالله بن ابي سرح في آخر عهد عثمان (ض) حتى اخرجه محمد بن ابي حذيفة الوالي عليها من قبل علي (ض) بعد قتال بينهما ، وفي عهد معاوية وليها سنة ٤٣ هـ بعد عتبة بن ابي سفيان وعزل سنة ٤٧ هـ ، من قبل معاوية (ض) الذي عينه قائداً للغزو في البحر ، فقال عقبة حينما بلغه العزل ، والأمر بالغزو قال . ما انصفنا معاوية ، عزلنا وغرّبنا .

وكان عقبة فصيح اللسان شاعراً ، وكانت له السابقة والهجرة ، وكان كاتباً ، وهو أحد من جمع القرآن .

ونقل السمعاني عن ابن يونس مؤرخ مصر ، أنه رأى مصحفه بمصر بخطه على غير التأليف الذي في مصحف عثمان ، وفي آخره : وكتب عقبة بن عامر بخطه ،

وروى ابن يونس أنه كان جيد الخط .

وقد ترجمه ابن تغري بردي في كتاب « النجوم الزاهرة »[٢] وأطال ترجمته.

---

(١) « الانساب » ج ٣ ص ٤٢٩ .

(٢) : ج ١ / ١٢٤ .

وعرف في جهينة كثير من العلماء في صدر الاسلام من المحدثين والفقهـــاء وغيرهم مما لا يتسع المجال لذكرهم .

أما في مجال الادب والشعر ، فقد كانت القبيلة تعيش في بلادها في شبه عزلة ،واخلاد إلى السكون ،وهذا مما سبب قلة المروي من شعر شعرائها المتقدمين ومع ذلك ففي كتب الادب طائفة من الشعر المنسوب إلى هذه القبيلة .

ومن مشاهير شعرائها سلمة بن الحجـــاج الجهني الذي أورد البحتري في « حماسته » ، له مقطوعة هي هذه :

رُدَنْيةُ لو عَلمتِ غَداةَ جينا	على اضمامنا وقـــد اجتوَيْنـــا
فقالوا : يا ل بُهثَة اذ لقونا	فقلنا : احسنو قَولاً جُهَيْنا
فلما ان تلاقينـــا وثُبنـــا	جنحنا للكلاكل ، وارتمينـــا
فلمـــا لم نَدَعْ قوساً وسهماً	مشينا نحوهم ، ومشوا الينـــا
تلألؤ مزنة زافت لأخرى	اذا حجلوا بأضياف ردينـــا
شددنا شدة ، فقتلت منهم	ثلاثة فتية ، ورميتُ فَيْنـــا
وشدوا مثلها أخرى علينـــا	فجروا مثلهم ، ورَمَوا جُوَينا
فآبـــوا بالرمـــاح محطمات	وابنا بالسيوف قد انحينـــا
وباتوا ليلهـــم ولهم أُحـــاحُ	ولو خفَّتْ لنا الجرحى سرَيْنا (١)

وهذه القصيدة قالها في وقعة جرت بينهم وبين بني سُليم .

وهي من القصائد المنصفة التي يعترف فيها الخصم بشجاعة ضده .

ونجد هذه القصيدة في بعض كتب الأدب منسوبة إلى شاعر آخر من جهينة وهو عبد الشارق ابن عبد القوي الجهني ، ومن شعرائهم البعيث الجهني أورد له الآمدي قوله :

---

(١) « حماسة البحتري » ص ٤٧ طبعة بيروت

ونحن وقعنا في مُزَيْنة وقعةٍ غداة التقينا بين عَيقٍ وعَيْهما
ونحن جلبنا يوم قدس وآرةٍ قنابل خيـــل تترك الجو أقتما

يشير إلى وقعة جرت بين جهينة وبين قبيلة مزينة، التي كانت تجاور جهينة.

وقد أورد الهجري في كتابه « التعليقات والنوادر » للعـــلاء بن موسى الجهني أحد شعرائهم قصيدة تقع في ٣٢ بيتاً مطلعها :

أتعرف داراً بين رَضْم وأمْهُدِ لِميَّ تعفَّت غير نؤيٍ ومَوْقدِ

وقطعة في خمسة أبيات مطلعها :

ماذا تذكر من ذلفاءَ ، يا رجلُ وقد بدا لك منها البخل والعللُ

وأورد البتري مقطوعات لشعراء منهم هلال بن سدوس الجهني ، وعمرو ابن المكعبر الجهني ، ودُليم بن مرة الجهني ، وعمرو بن مرة الجهني ، أورد للأخير قوله :

فان هي أفضت اليك الحديـــث فان الأمـــين هو المؤتمن
فسرُّك سِرُّك ، لا تفشـــه فليس بسر إذا مـــا علن

وأورد لدليم مقطوعة تتضمن قصة جرت له مـــع تاجر اسمه عرابة ، احتال عليه :

الله لقَّى من عرابـــة بيعةً على حين كاد النقد يعسر عاجله
ولوَّى بنان الكفِ ، يحسب ربحه ولم يحسب المطل الذي أنا ماطله
سيرضى من الربح الذي كان يرتجي ببعض الذي اعطي ، وما هو نائله

مما لا نطيل بذكره من شعر جهينة ، وحسب القارىء الرجوع إلى كتب الأدب والتاريخ ليجد فيها ما يبتغيه .

(للحديث صلة)

حديث الكتب

رحلة إلى بلاد نجد

— ١ —

كتب الدكتور عبد الرحمن الانصاري ، المدرس في جامعة الرياض كلمة قيمة بعنوان (نقد الكتب) هذا نصها :

النقد هو تقويم الأعمال الانسانية المقروء منها والمسموع والمرئى ، وإظهار ما تحتوي عليه من محاسن ومساوىء . والهدف من النقد هو وضع يد مؤلف العمل المنقود على مواطن القوة والضعف في عمله ، ليتخذ من القوة دافعاً له إلى عمل جديد ، ويجد في مساوىء عمله وسيلة للتخلص منها في أعماله القادمة . والنقد في بلادنا وان كان قد ذهب شوطاً بعيداً إلا أن الدوافع اليه غالباً لا تكون في صالح العمل المنقود. فالناقد إما أن يكون على صلة حسنة بصاحب هذا العمل ومن ثم نجده يتعامى عن كل مساوىء هذا العمل ، وإما أن يكون على عكس ذلك فتأتي النتيجة عكسية أيضاً . وقليل أولئك النفر من النقاد الذين يستطيعون التخلص من عواطفهم وميولهم تجاه صاحب هذا العمل . والسبيل إلى النقد في بلادنا يتركز في الموضوع الذي ألف فيه الكتاب أو وضع فيه العمل الفني . أما المنهجية التي اتبعها المؤلف في عمله فهذا ما نجده شبه مفقود لدى النقاد عندنا ، بالرغم من الأهمية الكبيرة التي تنتج عن اتباع المؤلف أو المشرف على طباعة بعض الكتب بطريقة منهجية عملية حديثة، قد يكون هدفها في المكان الأول هو مساعدة القارىء على الوصول إلى النقطة أو الفكرة التي يريد ان يصل اليها بأسهل الطرق والوسائل .

وسنحاول في هذه الحلقة وفي حلقات قادمة ان نعرض لبعض الكتب

التي تصل إلى أيدينا، المحلي منها والخارجي، لنظهر محاسن كتبنا ومعايبها، ولنتخذ من النقد لهـــا وسيلة لبناء جيل جديد، يتبع المنهجية العلمية الحديثة سبيلاً وطريقة لأعماله

وكتاب اليوم هو « **رحلة الى بلاد نجد** » وهذا الكتاب هو الكتاب الخامس من منشورات «دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر في الرياض» وهو من تأليف ليدى آن بلنت وترجمة محمد أنعم غالب ويقع في ٣٠٠ صفحة من الحجم الصغير . وصدرت طبعته الأولى في نهاية عام ١٣٨٦ هـ ولم يذكر مكان طبع الكتاب . والكتاب عبارة عن مقتطفات من رحلة ليدى آن بلنت . وهي تصف وصفاً دقيقاً الانطباعات التي انعكست على مشاعرها عند زيارتها لهذه البلاد . وقد بدأت رحلتها من « قريات الملح » وانتهت بالسفر إلى العراق مارة بحائل، دون التغلغل في بلاد نجد، ويصف وصفاً دقيقاً الحياة الاجتماعية وخاصة حياة المرأة في هذه الفترة. كما ركزت ليدى بلنت على مظاهر الطبيعة من صحارى وطيور وزواحف . وأعطت أهمية خاصة لوصف الخيل العربية. أما الناحية السياسية فان تعرضها لها كان بسيطاً، وهذا ما قدمته لنا الترجمة العربية . وكم كان بودي أن يكون اسم الكتاب « مقتطفات من كتاب رحلة إلى بلاد نجد » لا « رحلة إلى بلاد نجد » على الغلاف الخارجي وقد أشار الاستاذ حمد الجاسر إلى عدم مراعاة التقيد في ترتيب فصول الكتاب كما هو في النسخه الانكليزية وإلى وعدم التقيد ببعض الفاظ المؤلفة. وبودي لو أن الاستاذ حمد راعى ترتيب الفصول وأشار إلى الأماكن التي اضطر فيها المترجم إلى التصرف، ليعرف القارىء الترتيب الزمني والحقيقي للرحلة، وليعرف أيضاً الأماكن التي حدث فيها بعض التغيير. وأسلوب الترجمة أسلوب هادىء ويبدو أن المترجم قد وجد عنتا كبيراً في سبيل ترجمة هذه الرحلة. وهناك صفحات يعجب بها القارىء لجمال أسلوبها ورشاقة وصفها .

ان هناك أماكن وشخصيات لا أشك في أن القارىء قد يحتاج في كثير من الأحيان إلى أن يعرف عنها أكثر من مجرد ذكر اسمها، دون تعريف بها، كما أن هناك حوادث كان يمكن أن يستفاد من تاريخ المنطقة التي حدثت فيها

لتوضيحها وسبكها في أسلوب تاريخي. وهذه ولا شك وظيفة المترجم ان كان عليما بهذه الأشياء ، وإلا فهي وظيفة المشرف على طبع وإخراج الكتاب . وأجمل فصل في هذا الكتاب هو ما كتبته ليدى بلنت عن الخيل والخيول العربية ، فقد تحدثت عن خيل آل سعود ، وخيل آل رشيد ، وعن تربية الخيل وعن أنواعها والفرق بين خيل عنزة وخيل نجد ووصفتها وصفاً دقيقاً .

ورغم أهمية الكتاب فانه يحتاج إلى جانب ما ذكرناه إلى مجموعة من الفهارس ، فهو يحتاج إلى فهرس للأماكن ، وفهرس آخر لأسماء الأعلام ، وفهرس ثالث لأسماء الخيل ، ورابع لأسماء الكتب التي رجع اليها المحقق في تحقيقه لهـذه الترجمة فيما لو حقق .

والكتاب بعد ذلك يعدثروة تاريخية وجغرافيةهامة، ويضيف الىمعلوماتنا عن الجزيرةالعربية شيئاً ليس بالقليل. اننا ننتظر المزيد من «دار اليمامة» ومن غيرها من دور النشر في بلادنا لتتكامل مكتبة عربية تحكي تاريخ جزيرتنـــا العربيـــة .

العرب : — شكراً للدكتور الأنصاري لكلمته المشبعة بروح علمية مجردة كمقال زميله الدكتور احمد الضبيب المنشور في الجزء الماضي ، وسيكون لملاحظاتها — عند اعادة طبع الكتاب من الاعتبار أوفاه وأكمله .

وحبّذا لو تفضلا بقراءة الكتب الخمسة الأخرى التي أصدرتها «دارالیمامة» قراءة نقدٍ وتوجيه ، إذ من أهداف « العرب » اعتبار النقد وسيلة منأقوى وسائل تنمية الروح العلمية ، وتقويم النهج في حياتنا الأدبية ، التي يخيم عليها الركود والضعف .

أما ما يتعلق بترجمة هذه الرحلة ، ونشرها فإن ذلك يعتبر محاولة أولى وكل محاولة من هذا القبيلیعتورها النقص،وتحتاج الى كثير من وسائل التقويم.

ولا شك أن الاستاذين الشابين الدكتورين الأنصاري والضبيب قد قرآ مقدمة الطبعة للكتاب الذي تحدثا عنه ، مما لا نرى مجالا لاعادة القول فيه .

حول الكتاب أيضاً :

- ٢ -

في الحقيقة أن جزءاً من شبه الجزيرة العربية هاماً ، كان ما يزال مجهولاً لدى الأمم الأخرى . فعلى جزء يمتد عدة أميال على الأرض ببساط متموج من الرمال ، توجد هناك ألسنة الرمال المترامية الأطراف ، التي جعلت منها حوافر خيول الرواد ، وأخفاف الجمال جادة من الطريق بقيت لوقت قريب للعيان بادية .

مع ذلك الطريق مرت قافلة المستشرق الفلندي الشاب أوغسطس والان ، في طريقها إلى حائل . تلك المدينة التي أحاد وصفها الرواد الذين أتيح لهم مشاهدتها وجاء بعد والان المستشرق الايطالي غوارماني ، ثم بعدهما يجيء صديق العرب ولفرد بلنت وزوجته الليدي آن بلنت ، التي نقرأ لها جزءاً من قصة رحلتها التي كتبتها عن مشاهداتها في حائل .

هذا بالنسبة للجهة الشمالية من بلادنا .. أما بقية أنحاء الجزيرة العربية كلها فرواد كثيرون هم الذين طافوا أنحاءها ، وكتبوا عنها ما شاهدوه بأسلوب مضيء بارع ..

لقد نال هؤلاء شهرة واسعة بفضل ما قاموا به من رحلات استكشافية للجزيرة العربية . وستبقى كما كانت صورة صادقة للروح العلمية الاستكشافية، وفتحاً جيداً في مجال البحث والتنقيب .

إلا أن واحداً من هؤلاء نال شهرة واسعة . ليست هذه الشهرة في الواقع من عمل الحقيقة ، بل من براعته في صياغة أهوائه كما يريد حتى جعل رحلته التي قام بها إلى نجد (رحلة إلى العربية الوسطى) في عام ١٨٦٢ م . جعلها مغامرة خطيرة قل من ينجو من مخاطرها . وصاغها مثل قصص ألف ليلة وليلة ، الشائعة . إنه : وليم جيفر بلغريف (palgrave) .

ولم تكن (الليدي آن بلنت) التي قامت برحلتها في أول عام ١٨٧٩ م = ١٢٩٧هـ إلى حائل ، سوى امرأة نزعت عنها الروح والملامح الغربية ،لتستبدلها

بالروح والملامح العربية. مع أن زوجها صديق العرب ـ ولفرد سكوين بلنت ـ لقد أحسّا أن العرب هم ورثة مدنية عامرة بالبطولة ، وأدب غني حي . وبلغ من حبها للعرب ، أنها كانا يلبسان الملابس العربية في قصرهما بانجلترا . ويقولان : « ان الانسان عندما يتخلص من ملابسه الغربية القبيحة، ويرتدي الملابس العربية ، يحس أنه قد ولد من جديد » . لقد كانت هذه الروح التي شعرت بهـــا الليدي وزوجها هي التي أوصلتهما إلى مقام النجاح في رحلتهما إلى حائل ، وقبلها إلى الفرات في شتاء عام ١٨٧٨ م. وكان من آثار رحلتهما هذه كتاب : « القبائـــل البدوية في حوض الفرات » « Bedouin Tribes of Euphrates »، طبع في جزأين ، ووضع مقدمته زوجها بلنت ، وأضاف اليه فصولاً ، كما فعل في كتابها عن رحلتها إلى حائل .

تزوجت الليدي ، وهي حفيدة الشاعر الانجليزي الشهير (بايرون) ، من ولفرد سكوين بلنت في عام ١٨٦٩ م . بعد أن ترك العمل في السلك الدبلوماسي الذي دام فيه خمسة عشر عاماً . وكان بانت متعدد المواهب والنبوغ ، فهو جواب آفاق ، وشاعر يداني شكسبير ، ومتحدث بارع ، وصديق وفيّ لا تؤخذ عليه هفوة في حق أصدقائه ، إلى جانب سياسته العظيمة ، وعشق الخيول مع زوجته . فأقاما في سكس بانجلترا اسطبلاً لتربية الخيول العربية ، وبيعهـــا . فكانا أول من بعث على الاهتمام والعناية بها .

لقد كانت الخيول العربية هدفاً من أهداف رحلتها ، ويظهر اهتمامها بالخيل بأن جعلت الفصل الثاني من كتابها عن وصف الخيل التي شاهدتها في حائل .

إن الكتاب الذي نحن بصدده هو الكتاب الخامس من السلسلة الماتعة ، التي أتحفت المكتبة العربية بها « دار اليمامة للبحث والترجمة » . والكتاب في أصله الانجليزي في جزأين تحت عنوان « A pilgrimage to Najd »، بمعنى : (الحج إلى نجد) . وهو كتابها الثاني ، طبع في لندن عـــام ١٨٨١ م .

ولم تُعَد طبعته مما جعلها نادرة الوجود. وإن القارىء ليلمس حرص القائم على «دار اليمامة» في جميع ما يخص بلادنا وتاريخها من الكتب القيمة النادرة، سواء كان بلغتنا أو بغيرها .

لقد ترجمت فصول الكتاب التي تهم القارىء هنا ، وهي في الحقيقة تمثل الجزء الأهم الأغلب من الكتاب . وجاءت الترجمة عربية ناصعة أمينة ، والطباعة جيدة ، جميل فيها التبويب لكل محتويات الكتاب ، فقسم الكتاب إلى ثمانية أقسام :

القسم الأول : قربات الملح .

القسم الثاني : بلاد الجوف .

القسم الثالث : النفود — بين الجوف وجبة .

القسم الرابع : من جبة إلى حائل .

القسم الخامس: في بلاد ابن رشيد (حائل) .

القسم السادس : حكم ابن رشيد .

القسم السابع : طريق العودة من حائل .

القسم الثامن : عن الخيل .

جاء الكتاب في (٣٠٠) صفحة من الحجم المتوسط . وجاء صورة صادقة بل (صوانا) مليئاً بالصور الحافلة الناطقة للجوانب المتعددة من المجتمع في بلادنا في القرن الثالث عشر الهجري .

وتضيف على ذلك روعة بادراكها الواعي وبتجنبها للأمور والمجتمع العربيين . ففي الهجوم الذي وقع عليها مع زوجها في طريقها إلى الجوف ، وبعد ن نجت من ذلك الاعتداء . لم تذهب إلى وصف المجتمع بالغدر والعدوان ، حتى اؤلئك الذين اعتدوا عليها . لقد أدركت الأمر ودرسته في حالاته فأثنت على الأعداء . (ص ٤٠ - ٤٢) .

لم أكد أفرغ من قراءة الكتاب حتى ارتسمت لدي صورة حية لحياة المجتمع في بلادنا خلال ذلك الوقت ، وكأنني عشتها حقيقة . والكتاب في مجمله مكتملاً ، إلا أن هذا لا يمنع من إيراد بعض الملاحظات عليه :

١ – القسم الجغرافي تخلو منه هذه الترجمة .. وهذا بالطبع يعد نقصاً في محتوى مادة الكتاب التي لا يمكن أن يخلو منها في ترجمته هذه .. خاصة وأن المؤلفة اصطحبت معها أدوات قياس للضغط الجوي (البارومتر) ، وغيره . ولم يرد من الموضوعات الجغرافية إلا نتفاً صغيرة عن النفود ، والجوف في الصفحـــات (١٠٣) ، (١٠٧) ، (١٠٨) ، (١١٠) ، (١١١) ، (٢٦٤) . وهذه لا تكفي لتكون مادة نافعة جغرافية، إذ تتنافى مع ما ذكره زوجها في مقدمة الكتاب ، من أن الكتاب حظي بمـــادة جغرافية من الناحية الجيولوجية فريدة،حيث تحكي قصة التركيب الجيولوجي لصخور جبل أجا . مما يصحح النظرة الخاطئة في ذلك .. إننا لا نجد شيئاً مما تنص عليه هذه الإشارة .

٢ – تحتاج بعض المفردات إلى شرح ، وإن كانت قليلة إلا أنه يجب الاشارة إلى ما يحتاج منها إلى شرح ، مثل (مجيديات) ص (٢٤٧) يجب الاشارة إلى أنها عملة نقدية كانت تستعمل في ذلك الزمن .

٣ – رغم التبويب الذي عمل لموضوعات الكتاب ، إلا أنه يجب ترتيبها بحيث يكون القسم الجغرافي أولاً ، والقسم الخاص بالقبائل البدوية على حدة وهكذا . أمـــا المواضيع ، فهي مبعثرة .. كما أن القارىء يلاحظ إنقطاع بعض الحوادث ، ثم بدايتها منقطعة . وهذا من إجراءات الترجمة وتنقية ما يستساغ طبعه ، من مـــادته الانكليزية . وعلى كل فتبويب الكتاب الحالي يسد الغرض المطلوب .

٤ – الأصل الانكليزي مدعم بالخرائط ، والصور ، وبعض اللوحات التوضيحية من الأحسن أن لا يخلو منها الكتاب ، ولو في طبعته الثانية .

٥ – وردت في ص (١٣٦) كلمة ال (حمار ؟) وأمامها علامة استفهام

ويظهر أن معناها غير مفهوم ، ولذلك فإن الـ (حَمَـار) بفتح أوله وثانيه وتسكين آخره ، نوع من النبات الذي يكثر في جزيرة العرب وخاصة بلاد نجد . وهو نبات كنوع (الثُّمام) المعروف بهذا الاسم لدى البدو . إلا أنه كما ذكرت المؤلفة نبات شوكي ضارب إلى الزرقة .. إلى جانب هذا النوع ، من النبات ، تنبت الأعشاب منها : (الصَمْعا) وهو نبات صيفي . ونوع آخر يعرف بـ (سَافْ) ، وآخر يعرف (الذِخرْ) و (الجَـعَدى) و (البعيثران) و (الحرمل) .. الخ . وهذه الأخيرة يستعملها البدو كعقاقير طبية – وقد تحدثنا عن ذلك في بحث خاص عن (الطب البدوي في قلب جزيرة العرب) في الجزء السابق .

إلى جانب هذه الملاحظات العابرة التي لا تقلل من قيمة الكتاب تبرز أهميته فيما يلي :

١ – بالنظر إلى ما كتب عن تلك الناحية من بلادنا سواء كان غربياً أو غيره،نجده قليلاً بل قلّ أن نجد ذلك في كتاب،مفرد له خاص .. لذلك فالكتاب يعد الاول في موضوعه ، مما وصلنا من آثار الغرب .

٢ – يعد صورة صادقة عن الحياة الاجتماعية في القرن الثالث عشر الهجري ليس في حائل وحدها ، بل في قلب الجزيرة العربية . لاحتوائه على وصف صورة من حياة البدو الاجتماعية . وبالنظر إلى أن البدو رُحّل مما يجعل حياتهم ككل متقاربة ..

٣ – يعتبر الكتاب مصدراً لدراسة أحوال البدوي من النواحي النفسية، وهذا الموضوع لم يدرسه دراسة علمية غير الدكتور (غوستاف لوبون) . فقد درس هذه الناحية ، كجماعات . وذلك في كتابه « روح الجماعات » .

٤ – وأخيراً فالكتاب في أسلوبه القصصي الماتع .. مادة جديدة طريفة حوت وعمّت ، فلم تبقِ طرفـا من الحياة في ذلك الزمن إلا أتت به ..

لذلك فإن من الخير لدراسي الأحوال الاجتماعية ، التي لا يجب أن يخلو منها أي بحث تاريخي عن بلادنا – ويحسن أن تذكر – تلك الدراسة على وصف

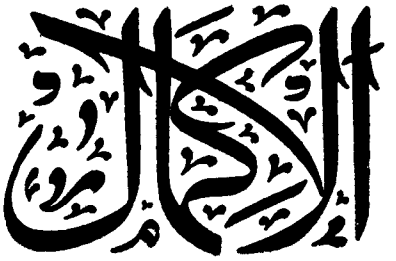

كتاب الأمير الحافظ ابي نصر علي بن هبـــة الله ، الشهير بابن ماكولا – المتوفي سنة ٤٧٥ – المدعو « الاكمال، فيرفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب» يعتبر من أوثق الكتب المؤلفة في هذا الموضوع وأوفاها . وهو مصدر من أجل المصادر واهمها وأوسعها ، وليس من فضول القول أنه خير مَرْجع لمن يحاول دراسة هذه الناحية المهمة من تاريخ أمتنا ، دراسة قائمة على أساس من العلم والثقة .

ولقد كان من الأعمال المشكورة لـ « مجلس دائرة المعارف العثمانيـــة في حيدر آباد الدكن ، في الهند » أن قامت بنشره ، ضمن السلسلة القيمة الـتي قامت الدار بنشرها من تراث العرب ، وكانت يداً تُذكر فتشكر ، لمعارف

الحالة الاجتماعية للبدو .. ثم لرجال العصر الذين يكونون التاريخ ، ثم الشعب عامة .. كما جاء في الكتاب عن بلاط ابن رشيد وحريمه ..

ووردت بعض الأغلاط المطبعية الطفيفة ولم تُتَدارك ، مع ما استدرك تصحيحه في آخر الكتاب ، وهذه الأغلاط كما يلي :

الصفحة	الخطأ	الصواب
١٦١	أوقافلة	وقافلة
١٦١	الصلف	الحلف
٢٢٨	وتذكرننا	وتذكرنا
٢٣٩	يظل	يظن
٢٤٩	الدراريش	الدراويش

الرياض – **عبد الله علي الماجد**

الحكومة الهندية ، أن قامت بالاعانة على نشره ، فصدر منه أربعة مجلدات — تحدثنا عنها في مقال نشرناه في مجلة « اليمامة » .

وها نحن الآن نتلقى منه المجلدين الخامس والسادس .

ولقد عُني متقدمو العلماء بهذا الكتاب عناية كبيرة، فأصبح مصدراً للعلماء المحققين الذين تناولوه بالدراسة ، واستفادوا منه أجل الفوائد .

ولقد كان — قبل نشره — أعزّ من بَيْض الأنوق — كما يقولون — فأصبح الآن ، بعد أن يُسِر وقُرّب — في متناول كل باحث .

والحافظ ابن ماكولا — كغيره من بني الانسان — عُرضةً للسَهو والنقصان غير أن جهة النشر أحسنت صُنعاً ، إذ وكلت تحقيقه الى علامة جليل ، وباحث صرف كل جَهْده ، وكل عمله ، لكي يخرج الكتاب في أصح صورة ، وأجملها ، من حيث الكمال والجمال ، هو شيخنا العلامة التقيُّ الورع الجليل الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ثم المكيّ — أمين مكتبة الحرم المكيّ — الذي اختطفته يَدُ المنون بين المحابر والدفاتر ، فوجد صريعا بين أوراقه وكتبه في « مكتبة الحرم » في سنة ١٣٨٦ هـ — عن ٨٤ عاما قضاها في خدمة العلم وفي سبيله [١] — تغمده الله بواسع غفرانه —

وهكذا فعل — رحمه الله — بهذا الكتاب ، فقد أضاف اليه من التصحيح والفوائد ما ابرز الكتاب بأجمل صورة وأصحها

ويقع الجزء الخامس — الذي طبع سنة ١٣٨٥ — ١٩٦٦ في ٣٨٥ صفحة — يتضمن من الموضوعات من « حرف الشين : شادل ، وساذل وشاذك » الى نهاية « حرف الطاء » .

ويقع الجزء السادس الذي طبع في سنة ١٣٨٦ — ١٩٦٧ م — في ٤٢٤ صفحة — من « حرف الطاء » الى نهاية « حرف الغين » .

والكتاب — كما هو معروف — مرتب على حروف المعجم ، فالباقي منه « حرف الغين » وما بعدها، حسب ترتيب المشارقة ، وهو الترتيب المعروف.

---

(١) أنظر « مجلة العرب » السنة الأولى ص ٥٢ / ٢٤٥ .

وعمل المحقق الجليل الشيخ عبد الرحمن اليماني لا يقف عند تحقيق النص ، بل يتناول ١ — تصحيح أوهام المؤلف واخطائه — وجل المتفرد بالكمال — ٢ — إضافة معلومات واسعة ، مما أضافه العلمـــاء الذين قصدوا الكتابة في الموضوع ، وما أكثرهم ! وما أعزّ مؤلفاتهم وأندرها — ٣ — ضبط الأسماء ضبطاً دقيقاً كاملاً يتلاءم مع حاجة القارىء في هذا العصر ،ولهذا برز الكتاب (اجزاؤه السّتة) على خير ما يتطلع اليه قارىء من حيث الدّقة ، والجودة وحسن الترتيب ، مما يدفع الى استمطار سحائب الرحمة والرضوان لعلامتنا الجليل المحقق ، والشكر الجزيل للمشرفين والقائمين على طباعة الكتاب، الذي يسدّ — بدون شك — نقصاً ، ويملأ فراغاً في الخزانة العربية .

كتاب « الأنساب » للامـــام الحافظ ابي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المعرف بالسمعاني من الكتب التي اتخذ منها العلماء المتقدمون اساساً يعتمدون عليه ، ومرجعاً يعولون عليه ، في موضوعه .

وقد أدرك المعنيون بالدراسات العربية من العلماء في هذا العصر قيمة هذا الكتاب ، وأهميته ، فقام المستشرق الانجليزي المعروف مرجليوت بطبعه بطريقة التصوير ، عن نسخة غير جيدة ، في مجلد ضخم جداً ، وقام الاستاذ حسام الدين القدسي — بعد ذلك ومنذ ربع قرن من الزمن — بطبع مختصره كتاب « اللباب » لابن الأثير .

وقبله قام عالم مستشرق بطبع مختصر للكتاب للأمام السيوطي .

إلا أن الكتب الثلاثة التي طبعت كانت على درجة من الضعف بحيث لا يصح الاعتماد على أي واحد منها .

وهذا ما دفع « دائرة المعارف العثمانية ، في حيدر آباد الدكن في الهند » الى البحث عن أصول صحيحة للكتاب ، ثم عهدت إلى استاذنا العلامة الجليل

الشيخ عبد الرحمن بن يحيي اليماني المكيّ (١٣١٢ هـ ١٨٩٥ — ١٣٨٦هـ١٩٦٦م) بتحقيق الكتاب ، فتصدى لذلك العمل ، بعد أن اتخذ له كل الوسائل التي تمكنه من ابرازه بخير صورة يتطلع اليها كلمن يريد الاستفادة من هذا الكتاب ومن يعرف ما له من قيمة علمية في دنيا التراث .

ولقد صدر من هذا الكتاب أربعة أجزاء من أوله إلى نهاية « حرف الحاء » .

ثم في عام ١٣٨٥ — ١٩٦٦ م — صدر الجزء الخامس منالكتاب،متضمناًمن « حرف الخاء » إلى نهاية « حرف الدال » في ٤٦٠ من الصفحات .

وفي عام ١٣٨٦ — ١٩٦٦ م — صدر الجزء الثالث من « حرف الذال » الى انتهاء « حرف الزاي » في ٣٨٤ صفحة .

وهذه الأجزاء الستة التي صدرت من الكتاب لا تقف عند حـــد تقديم النصوص التي دونها السمعاني في كتابه « الأنساب » بل تتناول الموضوع من مختلف جوانبه ، فالسمعاني — والله يتولاه برحمته — وقع في أوهام ، وجاء كتابه ناقصاً ، كما هو الحال في كل عمل جديد ، إلا أن جهود العلماء المتقدمين واصلت العمل ، فيما بدأ به السمعاني ، بالتصحيح ، والاكمال ، والتحقيق .

فجاء الشيخ المعلمي اليماني سائراً على طريقتهم ، محاولاً أن يبرز الكتاب كاملاً ، بالتصحيح ، والاضافـــة ، والتحقيق ، والاستدراكات الواسعة التي تضيف إلى الأصل أمثاله ، فبعد أن كان الكتاب كله في مجلد ضخم واحد ، في طبعة مرجيلوث ، صدر منه ستة مجلدات ، في قرابة ثلثي الكتاب ، وهذا مما يبرز أثر الاستاذ المحقق الجليل ، الواضح في كل صفحة من صفحات الأجزاء الستة .

مما يحمل القارىء على إزجاء الشكر للقائمين على نشر ذلك الكتاب ، وعلى استمطار سحائب الرحمة والغفران لفضيلة محققه العلامة الجليل ، الذي فقد تراثنا بفقده عالماً فذّاً ، قـلّ أن يجود الزمان بمن يسدّ الفراغ الذي أحدثه فقده — رحمه الله — .

كنز الأنساب ومجمع الآداب

وهذا كتاب جديد ، يضيفه فضيلة الأستاذ الشيخ حمد بن ابراهيم الحقيل إلى الخزانة العربية ، ليسدّ به نَقصاً يحس به كل باحث في أنساب سكان الجزيرة العربية .

وفضيلة الشيخ المؤلف له جولة أخرى في الموضوع ، بنشر مؤلف آخر هو « زهر الأدب ، في انساب العرب » منذ بضع سنوات .

والكتاب الجديد يقع في ٤٥٢ صفحة ، في قسمين : الأول في الانساب ، والثاني في منتخبات من الأخبار التاريخية القديمة ، وفي نكت مستملحة أدبية ، وطرائف ومقطوعات شعرية تاريخية ، وقصائد قديمة .

وفي الكتاب — على ما فيه من الفوائد — طائفة من الأشعار الحديثة باللغة العامية ، حاول المؤلف الفاضل أن يقارن بينها وبين بعض الأشعار القديمة (ص ٢٩٨ وما بعدها) ثم مناقضات من الشعر الحديث ، ومقطوعات لطيفة منه تتضمن حكما وأمثالاً ، وأخرى من هذا الشعر ، لشعراء قدماء ومحدثين ، والمؤلف ممن يتذوق هذا الشعر ، بل هو من شعرائه .

والكتاب — في الجملة — روضة من رياض الأدب يمتع القارىء بالتنقل من خمائله الجميلة ، من خميلة إلى أخرى ، بين أرج زكي العبير ، وزهور فواحة بالعطر الطيب .

أما ملاحظاتنا على الكتاب فتكاد تنحصر في :

١ — ترتيب الكتاب .

٢ — طريقة إخراجه ، من حيث الطبع والورق .

٣ — هفوات كان يمكن تداركها فيما لو اشراف المؤلف الكريم على طبع الكتاب .

٤ — معلومات نرى انها بحاجة إلى إعادة النظر فيها ، لتقويم ما قد يكون فيها من خطأ . قد يكون ناشئاً عن المصادر التي استقى فضيلة المؤلف منها تلك المعلومات .

أحاديث:

حول تراثنا المبعثر في مكتبات العالم

— ٤ —

مكتبة حسين شلبي في مدينة (بورصة)

ويوم الأحد هو يوم العطلة الرسمية في (تركية) إلا أن المكتبات تفتح في هذا اليوم ، وكان الاستاذ خليل ساحلي أوغلي المدرس في كلية الاقتصاد من (جامعة اسطنبول) قد زارني مساء يوم السبت ٢—٩—١٩٦٥ ليترجم بيني وبين موظف من(متحف طوب قبو)احضر لي شريطاً مصوراً لمخطوطات طلبت تصويرها من (مكتبة احمد الثالث) التابعة للمتحف فجرى بيني وبين الاستاذ خليل حديث حول المخطوطات ، وخاصة ما يتعلق منهـــا بتاريخ العرب وآدابهم وبجغرافية بلادهم ، وتطرق الحديث الى تاريخ اليمن، فنصحني بزيارة (مكتبة علي أميري) التابعة لـ (ملت كتبخانة) لأن منشئها تولى حكم اليمن فترة من الزمن ، وجمع من هناك مخطوطات تتعلق بتاريخه، فاخبرته بانني قد زرتها ، ووجدت أكثر مخطوطاتها حديثة ، فذكر مكتبة (بغدادلي وهبي) في (المكتبة السليمانية) وانه اطلع فيها على بعض المخطوطات اليمنية.

والاستاذ خليل من خير من عرفت من العلماء خلقاً ولطفاً ، وكرم نفس ،

وقد نعود للحديث مرة أخرى عن هذا الكتاب لا سيما وان البحث المتعلق بالانساب يعتبر ذا أهمية كبرى لا يصح اغفالها ، مع اعتقادنا إلى أننا الآن في أشد الحاجة إلى أن تأخذ المؤلفات الحديثة في بلادنا مكانها ، حتى يكون لدينا ما نستطيع أن تتناوله الأقلام بالدراسة والنقد .

ولئن كان النقد — في حد ذاته — من مقومات أدبنا ، فإن افساح المجال للباحثين والكتاب والمؤلفين يجب أن ينظر اليه نظرة اعتبار ، وخاصة في مثل بلادنا وفي الموضوعات التي تعتبر بِكْراً .

وله إلمام واسع بتاريخ البلاد العربية في العهود التي كانت الدولة التركية تحكم الأقطار العربية، وخاصة جزيرة العرب، وما يتعلق بها من الناحية الاقتصادية لأنه يعني بتدريس مادة (التاريخ الاقتصادي) . أقول هذا بعد أن تكرر الاجتماع بيني وبينه ، فعرفت فيه العالم سَمْتاً وخلقاً .

بكرت في صباح الأحد الى المكتبة السليمانية للاطلاع على مخطوطات (بغدادلي وهبي كتبخانه) أي مكتبة وهبي البغدادي ، فنقلت من فهرسها اسماء هذه الكتب :

١٠٢٤ – دليل المناهل ، ومرشد المراحل .
١٠٢٥ – منتخب كتاب (المشترك وضعاً) .
١١٢٨ – الزبدة في الأنساب لأبي الحسن البحراني .
١١٣٢ – اللباب في معرفة الأنساب تأليف احمد بن محمد بن ابراهيم الأشعري صاحب الاكليل (كذا ورد اسم الكتاب ونسبة كتاب الاكليل اليه في الفهرس) .
١٣١٢ – تاريخ اليمن ، المسمى بطيب أهل الكسا ، والفلك الذي على جودي النجاة رَسى .
١٦٢٧ – أمثال العوام .
١٦٧٩ – المحاسن والاضداد للجاحظ .
١٩١٢ – كتاب الفصيح لابن قتيبة .
٢٠٨١ – إسعاد آل عثمان المكرم ، ببناء بيت الله المكرم .

ولكنني بعدما كتبت بعض اسمائها فوق بطاقة الطلب ،وقدمتها للموظف، علمت منه أن المكتبة التي تحتوي هذه الكتب مغلقة في هذا اليوم ، ذلك ان المطالعين في أيام الآحاد قليلون ، فيكتفى بفتح بعض المكتبات ، في (دور الكتب) التي تضم مكتبات عديدة مثل (السليمانية) .

كانت غرفة المطالعة ضعيفة الانارة ، فلقيت مشقة في مطالعة الفهرس ، أحسست بعدها بألم في عينيّ ، وزاد ذلك عدم ادراك بغيتي ، فخرجت من المكتبة ، واتجهت الى الميناء .

كنت قد عرفت اسم مكان يقصده الناس لجمال منظره، ولوجود مياه معدنية حارة للاستحمام بها ، فعزمت على زيارة ذلك المكان .

ومن الميناء ركبت الباخرة الى (يَلـوَا) وهي المكان المقصود ، إلا أنني لم أر فيه ما يغري بالبقاء ، فركبت احدى الحافـــلات الكثيرة التي رأيت الناس سرعان ما يتركونها ساعة نزولهم من الباخرة .

أستغرقت الرحلة في الباخرة وفي السيارة ما يقرب من أربع ساعات ، وكانت النهاية بلدة (بورصة)

لا أريد الحديث عن جمال هذه المدينة ، ولا عن حماماتها ومياهها الحارة، ولا عن جبلها الشاهق (اولودغ) الذي يوصل اليه بمصعد كهربائي ، معلق بين السماء والأرض ، ويقصد للاستشفاء والعلاج ، فالحديث عن المكتبات .

غدوت مبكراً – في صباح يوم الاثنين - إلى أكبر جامع في المدينة ، للبحث عن مكتبة ، فوجدت بقربه عدداً من باعة المسابح وبعض المطبوعات، منها ما هو عربي كالقرآن الكريم ، ومنها ما هو تركي ، فعلمت من أحدهم – وكان يحسن اللغة العربية ، وقد أدى فريضة الحج – موقع المكتبة العامة (كتبخانة) ولكنها لا تفتح قبل الساعة التاسعة والنصف .

لم يحن الوقت الا وأنا واقف بالباب ، وكنت أول داخل اليها ، وتدعى (حسين جلبي كتبخانة) و تقع في مدخـــل الجامع الكبير ، على اليمين ، وللمكتبة فهرس مخطوط، وتضم مجموعة من المخطوطات، ولا تخلو من النوادر .

كان مما اطلعت عليه في هذه المكتبة :

١ – مجلد يحتوي على جزءين من (تذكرة ابن حمدون) في الأدب، والتذكرة لا تزال مخطوطة ، ومنها نسخ كاملة في مكتبات اسطنبول ، سأتحدث عنها – ومؤلف التذكرة هو محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون الكاتب البغدادي (ولد سنة ٤٩٥ هـ وتوفي سنة ٥٦٢) .

والجزءان هما (الجزء الخامس) ويبتدى بباب المراثي والتعازي وهو الباب التاسع عشر من كتاب(التذكرة) وينتهي حيث يبتدىء الجزء السادس الذي يحتوي على الباب السابع والعشرين وهو باب الأوصاف والنعوت ، من الكتاب .

يقع الجزء الأول في ٢١٥ ورقة (٤٣٠ صفحة – سطور الصفحة ١٥ سطراً) وآخره : (تمّ الجزء الخامس من التذكرة لابن حمدون الكاتب ، ويتلوه في السادس باب النعوت والصفات ، والحمد لله وحده ، كتبه الفقير إلى الله تعالى علي بن محمد المجلد من نسخة بخط ابن حمدون ، وذلك في جمدى الآخر من شهور سنة أربعين وستمائة ...) ويبتدىء الجزء الآخر من الورقة (٢١٦) من المجلد نفسه ، وينتهي بالورقة (٣١٦) حيث تبلغ صفحاته مائتي صفحة في الصفحة ١٧ سطراً ، وآخره : (آخر باب الصفات والنعوت ، يتلوه باب الشيب وهو الباب الثامن والعشرين من كتاب التذكرة ، والحمد لله رب العالمين ... على يـــد العبد الضعيف ... علي بن أبي طالب بن أبي عبد الله الحسيني الموسوي ، تم المجلد الخامس من التذكرة الحمدونية في تاسع رجب المبارك من سنة تسع وأربعين وستمائـــة بمدينة دمشق المحروسة بمدرسة معين الدين ...) .

٢ – ومن نفائس مخطوطات هذه المكتبة نسخة من كتاب (الروض الأنف) شرح سيرة ابن هشام ، للحافظ السهيلي – والكتاب مطبوع – إلا أن هذه النسخة قيمة جداً ، لقدم نسخها ولجودة كتابتها ، فهي مقابـــلة على نسخة مقروءة على المؤلف ، وتاريخ المقابلة ٢٧ شوال سنة ٦٠٧ ومخطوطة في السنة تفسها بقلم حسين بن فضل بن خلف المقدسي ، وعليها خط صلاح الدين الصفدي.

تقع هذه النسخة في مجلد ، تبلغ صفحاته (٦٠٢) سطور الصفحة (١٧)

٣ – ونسخة من كتاب (تحصيل المرام ، من تاريخ البلد الحرام) لتقي الدين الفاسي ، مؤرخ مكة وقاضيها ، وتقي الدين – كما هو معروف – صرف جهده لتدوين تاريخ البلد الأمين ، فألف في ذلك مؤلفات ، أوسعها (العقد الثمين) وقد ضمنه تراجم المكيين منذ ظهور الاسلام حتى عهد المؤلف (توفي سنة ٨٣٢ هـ) وجعله على نمط (تاريخ بغداد) للحافظ الخطيب ، و (تاريخ دمشق) للحافظ ابن عساكر ، والكتب الثلاثة تعتبر تاريخاً لأعلام المسلمين الذين دخلوا احدى المدن الثلاث ، وقد يترجم الفاسي في العقد من له أثر في اصلاح شيء من المشاعر ، أو عمارة شيء من الآثار بمكة ، ولو لم يدخلها .

وقد وضع لكتابه (العقد) مقدمة سماها (الجواهر المنظمة في تاريخ مكة المعظمة) تتعلق بالمشاعر المقدسة وما يتصل بتاريخها . وقد طبع من الكتاب (العقد) ستة مجلدات تقارب ثلثيه ، وطبعه مستمر من قبل معالي الاستاذ الشيخ محمد بن سرور الصبان .

ومن مؤلفات تقي الدين الفاسي (شفاء الغرام بتاريخ البلد الحرام) وهو تاريخ مطول لمكة ، ولكل ما يتعلق بمشاعرها وآثارها — الى عهد المؤلف — والكتاب مطبوع في مجلدين . وكتاب (تحصيل المرام) على نمط شفاء الغرام إلا أنه مختصر منه يقارب ثلثه .

والنسخة الموجودة في (مكتبة حسين شلبي) في مدينة (بورصة)نسخة كاملة ، ومكتوبة سنة ٨١٩ على ما يظهر من آخرها، في شهر ربيع الأول من تلك السنة ، مع أن تلك السنة هي سنة تأليفها كما نص المؤلف على ذلك في آخر الكتاب حيث قال : (كان تأليفي له على الوجه الأول بمكة ، إلا ما زدته فيه ، في شوال وذي القعدة من سنة سبع عشرة وثمانمائة ، فبمرسى جزيرة (كمران) وفيما بينها وبين (باب المندب) من البحر الملح ، ببلاد اليمن ، وكان تأليفي للثلاثة الأبواب الأخيرة منه وهي الموجودة في هذا التأليف بالمدرسة (القصابة الوجيهية) بثغر عدن أبين ، باليمن ، عمرها الله في مدة آخرها يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ثماني عشرة وثمانمائة ، وتركت ما بين هذه الثلاثة الأبواب ، والباب الرابع عشر غير قليل منه ، متخللاً ، ثم كملته في أول سنة تسععشرة وثمانمائةبمكةالمشرفة). وفي مكتبة (ديرالاسكوريال) في اسبانية ، نسخة أخرى من هذا الكتاب، تحمل اسماً آخر هو : (تحفة الكرام ، بأخبار البلد الحرام) للقاسي أيضاً، رقمها : (٧٦٨) .

ويظهر أن المؤلف — وهو يعيد ويبدىء في كتابه هذا بالزيادة والنقصان، سماه أولاً : (تحصيل المرام) ثم غيره بـ (تحفة الكرام) فقد أكمل تأليفه بمكة سنة سبع عشرة وثماني مائة كما يفهم من آخر النسختين : حسين شلبي :

٧٨٩) و (الاسكوريال : ٧٦٨) ثم زاده زيادات أثناء رحلته إلى اليمن — في البحر ، وفي عدن ، ثم زاد فيه ونقص ، وغير وأصلح بعد تلك الرحلة بـ (عدة سنين) كما جاء في آخر نسخة الاسكوريال من قوله : (وكان الفراغ من تحريره حسب الطاقة ، وما زيد فيه حال تحريره في يوم السبت العشرين من ربيع الأول من السنة المذكورة [يعني سنة ٨١٩] ثم زدت فيه فوائد كثيرة مهمة ، وأصلحت فيه مواضع بتغيير اللفظ الأول في شوال وذي القعدة من السنة المذكورة بمرسى (جزيرة كمران) بالبحر الملح، باليمن، وفيما بين هذا المرسى وباب المندب ، وأنا متوجه إلى مكة المشرفة ، ثم زدت فيه بعد وصولي اليها متجددات مناسبة ، في بقية هذه السنة ، وفي عدة سنين بعدها ، وفوائد كثيرة مناسبة ، وأصلحت فيه مواضع بتغيير اللفظ الأول فيأسطر كثيرة ، وانا بصدد أن الحق ما يتناسب الحاقه من المتجددات والفوائد ، وأسال الله تبارك وتعالى تيسير المطلوب ...) .

ونسخة الاسكوريال هذه من أجود نسخ الكتاب ، ولعلها من آخرها تأليفاً ، وقد جاء في آخرها : (علقه من نسخة المؤلف ، في مدة آخرها ذي القعدة الحرام عام ست وثلاثين وثماني مائة) .

وفي « دار الكتب » بمصر نسخة ثالثة ، إلا أن في أولها نقص ، وقد وصفتها في احدى مقالاتي التي نشرتها في جريدة (صوت الحجاز) منذ بضع وعشرين سنة .

تقع نسخة (مكتبة حسين شلبي) في (٣٤٣) صفحة في الصفحة (١٧) سطراً ، ونسخة مكتبة الاسكوريال في (٥٨٤) صفحة ، مسطرها (١٧) .

واطلعت في المكتبة على نسخة من كتاب (الحماسة البصرية) تحمل الرقم (٨٨٠) وتقع في (١٥٩) ورقة ، وهي كاملة ، إلا أنها حديثة الخط . وأقدم منها وأجود نسخة اطلعتعليها في (مكتبة دير الاسكوريال) رقمها: (٣١٣) . وليس في آخرها تاريخ ، إلا أن من ملاكها : محمود بن سليمان بن فهد مؤلف كتاب (حسن التوسل ، إلى صناعة الترسل) وقد كتب في طرتها بأنها بخطه ، وممن ملكها : خليل بن أيبك الصفدي ، العالم المعروف،

و (زاهر بن أبو القاسم بن حسن بن عجلان ، سنة ٨٥٩) وهذا من أهل مكة ، مما يدل على أن النسخة انتقلت من شمال بلاد العرب إلى غربها ، ثم إلى المغرب الأقصى حيث نهبت فيما نهب من الكتب المغربية في البحر الأبيض.

واستقر قرارها في اسبانية ، في هذا الدير .

ومن مميزات هذه النسخة أن تعليقات المؤلف وحواشيه أدمجت في الأصل كما يفهم من هذه الجملة التي طرتها : (الحماسة البصرية تأليف الشيخ الامام العالم العلامة لسان العرب ، صدر الدين علي بن ابي الفرج البصري ، رحمه الله عليه مما له عليها من النكت والحواشي ، مثبتة في الأصل ، في مواضعها) . وفي بعض الصفحات حواشٍ يسيرة أيضاً .

وتقع في (٦٢٨) صفحة من القطع المتوسط ، في الصفحة (١٧) سطراً والكتابة بخط النسخ الجميل ، والكلمات مشكلة بالشكل الكامل ، وقد كتب اسم الكتاب داخل مُربّع مموّه بالذهب بشكل جميل .

ورأيت في الفهرس كتاباً اسمه (مغازي رسول الله ﷺ ، تحت رقم (٧٧٧) ولم ينسب إلى مؤلف فطالعته فوجدته مجلداً من كتاب يبتدىء بما يلي : (واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول ﷺ من المهاجرين والأنصار خمسة وستون رجلا ، أربعة من المهاجرين ، وسائرهم من الأنصار ، وقتل الله من المشركين يومئذ اثنين وعشرين رجلاً . وكان مما قيل من الشعر في يوم أحد كعب بن مالك الانصاري رحمه الله ، ورضي عنه :

ألا هل أتى غسّان عنا ودونهم من الأرض سَير خَرْقٍ مُسَعْسَع

وآخره : (فهذا ما تيسر لنا ذكره من مراثي الشعراء في سيد المرسلين ، وخاتم الانبياء ... وهنا انتهى ما يختص من هذا المجموع بمغازي نبينا محمد ﷺ ، وذكر أيامه ، وكافة أمره ، إلى حين وفاته ، ونشرع الآن في صلة ذلك بمغازي خلفائه الثلاثة الأولين ، رضي الله عنهم اجمعين ، على نحو ما عملنا في مغازيه من قصد التهذيب ، وبذل الجهد في حسن الترتيب ..)

ويظهر أن هذا جزء من كتاب (الاكتفاء) للكلاعي، وهو السفر الثاني كما جاء في آخره .

وهو مخطوط سنة ست وخمسين وسبعمائة بقلم ابراهيم ابن محمد بن علي بن محمد الجزري ، والخط جميل وواضح ، والورق جيد عدده (٢٣٣) عن (٤٦٦ صفحة سطورها ١٩) .

في مكتبة وهبي البغدادي

عدت الى مكتبة (وهبي البغدادي) في دار الكتب السليمانية في اصطنبول لمطالعة الكتب التي نقلت اسماءها من الفهرس ، يوم كانت المكتبة مغلقة ، وكان منها :

١ – كتاب دليل المناهل ، ومرشد المراحل، كتاب يصف طريق الحجاج من مصر والشام والقسطنطينية الى مكة المكرمة فيذكر كل منزلة ، ويصفها ويذكر بعدها عن المنزلة الأخرى ، ويصف ما فيها من مياه وجبال وأودية.

والكتاب فذّ في موضوعه من حيث التفصيل ، إلا أنه منظوم باللغة التركية ، نظمه الحاج مخلص مصطفى البسنوي ، قاضي (غرهور) سنة ١١٦١ هـ – كما جاء في آخره ، وهو في مجلد لطيف .

ومما يماثلة في موضوعه – مما اطلعت عليه كتاب (منازل الحج) من كتب المدرسة الاحمدية في حلب التي ضمت الى مكتبة الأوقاف العامة . وهو عبارة عن رسالة تقع في ٣٦ ورقة ، كتب في أولها : (هذه منازل الحج للشيخ الامام محمد بن عبد القادر بن محمد الحنفي نفع الله تعالى به) والرسالة تصف المنازل من (بركة الحاج) قرب القاهرة الى مكة ثم الى المدينة وآخرها : (وكان الفراغ من تعليق هذه المقدمة في يوم الاربعاء ١٨ شوال سنة ١١٤٣) وكاتبها يدعى خليل بن ابراهيم بن رزق الأنبابي الشافعي .

ورقم الرسالة في المكتبة الأحمدية (١٢٤٣) . وهي سقيمة الخط .

وكتاب في (المكتبة العامة والمحفوظات) في مدينة (تطوان) في المغرب يحمل الرقم ٣٢٩ – كتب اسمه : (منازل الحج الشريف) وكتب فوق طرته (للعلامة شمس الدين ابي عبدالله محمد بن عبد القادر الحنفي ، وبحواشيها

منازل الحجاز أيضاً، للعلامة شمس الدين ابي عبدالله احمد بن ابراهيم السروجي وبآخرها منظومة في مناهل الحجاز ، وجدت بخط العالم العلامة بدر الدين الزركشي ، وغير ذلك من الفوائد المهمة) .

ويفهم من هـــذا أن الرسالة الأولى نسخة أخرى للرسالة الموجودة في (المدرسة الأحمدية) .

ويحسن أن ننتقل من الرسالة الأولى ما قد يفيد الباحث في موضوعها :

اولها : قال (الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد القاد الحنفي رحمه الله : الحمد لله الذي خلق الانسان ، وعلمه البيان ، وفضله بالنطق على سائر الحيوان ، وهداه السبيل ، وشرفه بالايمان) .

ثم في الصفحة الثالثة : (استخرت الله تعالى في ذكر مناسك الحج ، من كلام من تقدم من العلماء ، وسبق من أعيان الفضلاء ، وقدمت على ذكر ذلك ذكر المنازل والمياه ، معتمداً في ذلك على أفاضل الأدلاء ، وذكرت ما عاينت من العلامات ، وباشرت من الاشارات ، وذكر مسافة كل منزلة بالساعات ، بطريق صحيحة لا يدخلها الخلل ، ولا يمر بساحتها الزلل ، وذلك بسير الابل المثقلة ومشي الأقدام ، فجاءت بحمد الله على أحسن نظام ، فنقول : من أراد الحج إلى بيت الله الحرام ، وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام ، فأول نزوله في البركة التي تعرف ببركة الحـــاج ، وهي منزلة متسعة ، متقاطرة شمال الطريق ، وفي المنزلة بساتين وآبار وسواقي ، وإذا كان نزول الحاج بها والشمس في برج الشتاء فإنها مملوءة من ماء النيل ، وهي حينئذ بركة عظيمة ، وينصب في هذه البركة سوق عظيم) .

وقال في وصف منزلة (سلمى) بفتح السين واسكان اللام ثم ميم مفتوحة محدودة فيما بين ظبا والوجه :(الرحيل من كفافة إلى منزلة يقال لها (سلمى) والمنزلة عند رأس واد في جهة الشرق ، والوادي في داخله آبار بها ماء حلو عذب ، شبيه بماء النيل ، تنسب عمارتها الى المقر المرحوم (آل ملك) والمورد بعيد عن المنزلة ، ولم اعتبر مقداره فأذكره ، فيدخل الحاج اليه يردونه في

الذهاب ، وبهذه المنزلة شجر السمر ، وهي قريبة من كفافة ، ولم اعتبر مسافتها) .

وقال عن (خُلَيْص) : (وخليص قرية بها عين ماء ، وبركة عظيمة تنسب عمارتها للمقر المرحوم (أرغون الدوادر النائب) كان — رحمه الله — وماؤها طيب حلو صاف) .

وبعد أن ذكر المنازل ، ووصف مدينة مكة وبلدة منى قال : (وبمنى فنادق ، ودور ، وصهاريج ، وينصب بها سوق عظيم) .

ثم أوجز وصف (عرفة) .

ولما أورد مقدار ما بين (قلعة المقطم) وبين مكة من الساعات قال : (فحينئذ بين البركة) ومكة أربعمائة ساعـــة ، وتسع عشرة ساعة ونصف ساعة ، وبين مكة ومنى ساعتان ، وبين منى والجبل المعظم ثلاث ساعات ، فيكون بين مكة والجبل بالتقريب مقدار مـــا بين القاهرة وبين البركة ، فيسقط أحدهما من الآخر ، ويقسم ما بين البركة ومكة المشرفة ، فيكون ذلك مائتي ساعة وتسع ساعات ونصف وربع ساعة ، وهو منتصف المسافة بين مكة المشرفة ، وبين البركة ، وقد تبين أن بين البركة والعقبة مائة ساعة وسبع ساعات ، وان بين العقبة و (الأزلم) تسع وتسعون وجملة ذلك مائتا ساعة وثمان ساعات ، فيكون نصف طريق مكة بعد الرحيل من (الأزلم) بساعة واحدة ونصف ساعة ، وربع ساعة) .

ثم ذكر الطريق بين مكة والمدينة ، وختم الكتاب بقوله :

(تم الرحيل من المدينة ، الى مدينة ينبع وهي رحلة متسعة ، مسافتها ثمان ساعات ، والمرعى في الطريق كثير ، وشجر السمر قليل ، والطريق لها مرحلة ، والله سبحانه وتعالى اعلم ، تمت منازل الشريف بحمد الله وعونه .

هذه القصيدة تجمع منازل الحجاز الشريف ، وجدت بخط البدر الزركشي

عليك بجدّ السير ، عشى بُويبِـه وغد بروض الكبش واستقبل القفرا

سقى الله ارجاء المصانـــع كم سقت عطاشا،وروى السهل والبدو والحضرا
مراكع موسى،والسويس، وبعدهم(!) قباب بدت،والتيه مع نخله الغرا (!)

٢٩ – بيتا على هذا النمط – آخرها : –

فحيّ،وقل : لبيك ، لبيك ، سيدي اليك قطعت الارض والبر ، والبحرا
سلام على الأصحاب والأهل كلهم سلام على السبطين،مع فاطمة الزهرا (!)

تقع هذه الرسالة في (٥١)صفحة صغيرة في الصفحة إحدى عشر سطراً، مكتوبة بالخط النسخي الواضح ، ولعلها من مخطوطات القرن الحادي عشر ، سوى ما كتب في طرتها فهو حديث الكتابة – فيما يظهر – .

وفي هامش الصفحات (٤/ ٥/ ٦) وصف موجز لمنازل طريق الحج من البركة إلى مكة ، مكتوب بخط دقيق جداً ، بحيث تصعب قراءته بالعين المجردة ، وآخره : (هكذا ذكره بتمامه من أول ذكر المنازل المصرية إلى هنا في منسكه قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن الشيخ برهان الدين ابراهيم بن عبد الغني السروجي الحنفي) .

وهذه الرسائل التي الفت عن (منازل طرق الحج) فيها مباحث وتحقيقات جغرافية ، لا توجد في كثير من الكتب التي الفت لتحديد المواضع ، كمعجم البلدان وأمثاله ، والكتب التي الفت عن (المسالك) وان تضمنت معلومات في هذا الموضوع ، إلا أن المؤلفات المخصصة له تكون أوفى ، ومن هذا تظهر قيمة هذه الرسائل وحبذا لو تصدى أحد الباحثين لدراستها ودراسة ما يتصل بها ، على نمط ما فعل المستشرق التشيكوسلوفاكي (موزيل) في كتابيه : (شمال الحجاز) و (شمال نجد) .

انها لجديرة بالدراسة ، لا لصلتها بالمشاعر المقدسة فحسب ، بل لتعلقها بجغرافية بلادنا، وبتاريخها ، ولأن ما جاء في المؤلفات القديمة عن هذه الناحية من معلومات بحاجة إلى التصحيح والتحقيق .

في المكتبة السليمانية مرة أخرى :

لم أجد في (مكتبة وهبي البغدادي) مما طالعته من كتبها الـــتي نقلت

اسماءها من الفهرس ، كتاباً ذا قيمة ، من حيث قدمه ، أو طرافة موضوعه أو صلته بالناحية التي اعني بالبحث عنهـــا ، ولم أتمكن – لضيق وقتي - من مطالعة كل الكتب التي نقلت اسماءها ، مثل : الفصيح لابن قتيبة ، والمحاسن والأضداد للجاحظ وطيب أهل الكساء (في تاريخ اليمن) .

كان مما طالعته كتاب (الزبدة ، فيما عليه من ذراري السبطين العمدة) – وهو مشجر في الانساب ، مؤلفه يدعى شيخ الشرف، نقيب البحرين ، علي بن السيد ماجد بن محمد نقيب البحرين المدني ، العبدلي الحسيني، ويقع الكتاب في (١٧٠) صفحة من القطع الكامل .

وكتاب (الباب) في علم النسب ، وفي النسخة التي طالعتها كتب (اللباب) ولكن المؤلف نص في المقدمة على أنه جعله باباً يدخل منه الى علم النسب . ومؤلفه هو ابو الحسن احمد بن محمد بن ابراهيم الأشعري اليمني ، من أهل القرن الخامس الهجري ، وهو عالم نسابة له مؤلفات منها كتاب مطول في الأنساب لا يزال مفقوداً ، وكتاب في علم المساحة مخطوط في مكتبة (الامبروزيانا) في ايطالية وكتاب (لب اللباب) في الأدب ، يشتمل على عشرة ابواب ، كل باب يتضمن عشر حكايات، في فنون مختلفة منه نسخة مخطوطة في سنة ٩٩٦ هـ وكانت لأحد أثرياء المكيين ويدعى الشيخ محمد بن الشيخ عبد اللطيف المكي، كان في (بندر سورة) في الهند . وتوجد هذه النسخة الآن في (مكتبة دير الاسكوريال) وهي أول المجموع ذي الرقم (١٧٠٢). وتقع في ٢١٨ صفحة في الصفحة (٢٣) سطراً .

وكتاب (الباب) مختصر في موضوعه ، إلا أنه يحوي معلومـــات عن أنساب بعض القبائل اليمنية ، نقلها من كتاب (الأكليل) للهمداني ، ومن هذا جاء الغلط في اضافة الاكليل اليه ، في فهرس مكتبة وهبي البغـــدادي (بغدادلي وهبي كتبخانة) .

وطالعت دفتراً يقع في (٦٣) ورقـــة تحتوي على مجموعة من الأمثال المرتبة على حرف الهجاء ، منها ما هو حديث باللغة العامية اللبنانية ، ويظهر

أن مؤلفها لبناني مسيحي ، وهي مؤرخة في ٩ شباط سنة ١٧٦٩ م .

وفي المكتبة رسالة (اسعاد آل عثمان المكرم ، ببناء بيت الله المكرم) وهكذا جاءت السجعة ، وهي تقع في ست ورقات ، مخطوطة سنة ١١٠٥ ومؤلفها (الشرنبلالي) من المكثرين فيتأليف الرسائل ، موضوع هذه بناء الكعبةفيعهد السلطان مراد العثماني سنة ١٠٣٩ هـ

وطالعت من كتب (مكتبة أسعد أفندي) في (السليمانية) كتاب (اسماء البلدان على حروف التهجي) ورقمه(٢٠٣٧) فوجدته كتاباً مختصراً يقع في ١٣٧ صفحة ، ليس له خطبة وليس فيه اسم المؤلف ، ولا تاريخ النسخ ، وعليه (تملك) مؤرخ في سنة ١٠٥٧ — وأكثر ما فيه نقول من كتب معروفة مثل (المشترك) لياقوت وغيره .

وفي فهرس هذه المكتبة تحت رقم(٢٠٤٤) كتاب في التاريخ والجغرافية — واشير أمامه بحرف (ع) أي عربي — لأن فهارس المكتبات في اصطنبول تضم العربية والتركية والفارسية ، فطلبت الكتاب،ومكثت برهة من الوقت انتظر احضاره إلي ، فلما أحضر وجدته باللغة التركية ، وغلطت المفهرس أضاعت جزءاً من وقتي كنت شديد الحاجة إلى صرفه فيما يفيد .

وفي المكتبة نسخة من كتاب (البرق اليماني)للقطبي تقع في ٤٤٦ صفحة، وتحوي (الفصل الخامس عن عودة الوزير سنان باشا إلى اصطنبول ، وهو ما تخلو منه بعض النسخ وليست هذه النسخة مؤرخةالكتابة ورقمها (٢٠٧٨).

وتحت رقم (٢٣٥٨) من فهرس هـــذه المكتبة : اشتقاق الأسماء ، والمؤلف : أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، ولكنني بعد تصفحي للكتاب وجدته كتاب (الاشتقاق) لابن دريد ، وفي الورقة الـ (٢٤٠) نص صريح على ذلك ، والنسخة مبتور أولها ، ومخطوطة سنة ٩٢٢ هـ .

ومن كتب (مكتبة اسعد افندي) أيضاً رحلة النابلسي (الحقيقةوالمجاز) تقع في مجلد واحد ، وتاريخ كتابتها ١١٨١ هـ ورقمها (٢٣٧٦)

وفي (مكتبة الفاتح) في السليمانية أيضاً : نسخة جيدة من تاريخ مكة

للازرقي ، تقع في ٥٣٦ صفحة ، رقمها (٤١٨٤) . وآخرها : (كتبه الفقير الى الله تعالى علي بن احمد بن محمد الشيرازي ، بمكة المشرفة ، تجاه البيت الشريف ، وكان الفراغ من نسخه ليلة تسفر عن يوم الخميس سابع عشر شوال سنه ثمان وثلاثين وثمانمائه من الهجرة المطهرة ..)

وفيها نسخة من كتاب (التبيين في نسب القرشيين) لموفق الدين ابن قدامة الحنبلي ، تقع في (٣٨٠) صفحة وهي قديمة الخط ، إلا أنها ليست مؤرخة ، وفي أحد هوامشها كتابة مؤرخه في (٨٥٦) .

ونسخة من كتاب (مثير العزم الساكن ، إلى أشرف الأماكن) لابن الجوزي ، يقع في (١٤٠) ورقة وهو في فضائل مكة والمدينة ، وليس الكتاب مؤرخاً . ورقمه (٤٤٦٩) .

ولابن الجوزي في هذه المكتبة عشر رسائل تحت رقم (٥٢٩٥) .

والرقمان (٤٤٠٥و٤٤٠٦)في الفهرس أشير بهما إلى نسختين من سيرة ابن اسحاق - وهي من الكتب التي لا تزال مفقودة باستثناء قطعة في مكتبة (الرباط) في المغرب ، سأتحدث عنها ان شاء الله — ولما طلبت احضار النسختين من الموظف المكلف بذلك قال لي : إنهما لا توجدان في المكتبة .

وفي المكتبة برقم (٣٧٥٧) كتاب (خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام) سبق الحديث عنه .

وفي (مكتبة الحاج محمود أفندي) المضافة إلى (السليمانية) .

— تاريخ الواقدي رقمه (٤٧٦٤) .

— ترجمة كتاب (الاعلام) تاريخ مكة للقطبي إلى اللغة التركية برقم (٤٨٣٣).

— رحلة النابلسي (الحقيقية والمجاز) برقم (٥٣٩٥) — ولكني لم أطالع شيئاً من هذه الكتب ، فلقد كانت غرفة المطالعة ضعيفة النور، بدرجة جعلتني آخر الوقت لا أتمكن من القراءة ، وقراءة المخطوطات تحتاج إلى قوة في النظر ، وطول في الوقت ، ولكن الوقت يمضي أكثره في انتظار احضار الكتب ، التي تحضر متفرقة بحيث لا تزيد في المرة الواحدة على ثلاثة ،والمخازن ليست كلها متصلة بغرفة المطالعة ، ثم كتابة بطاقة الاستعارة تستلزم أن تكون بأرقام معروفة لدى الموظف وهي التي نسميها (الافرنجية) .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل. هاتف (٢٤٣٨٣٠)
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة

الاشتراك السنوي
١٨ ريالاً للأفراد. ٢٥ ريالاً للهيئات
الرسمية والشركات عدا الجزيرة العربية
والعراق: يتفق بشأنها مع الادارة
ثمن الجزء: ريالان تقريباً

صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

الجزء السادس - السنة الثانية - ذو الحجة - سنة ١٣٨٧ (آذار ١٩٦٨)

دعوة الى تأليف :

معجم جغرافي لبلادنا

الحاجة إلى معجم جغرافي حديث يتضمن أسماء مدن بلادنا وقراها ، ومناهل البادية فيها ، لا تقف عند حد الباحث المتعمق بل تشمل كل قارىء، ذلك ان المؤلفات الجغرافية الشاملة عن بلادنا لا تزال مفقودة ، فهناك مدن وقرى حديثة ، وهناك منها ما هو قديم ، ولكن كتب الأمكنة التي ألفت قديماً لم تذكر جميع الأمكنة التي في بلاد العرب ، لأن أكثر مؤلفيها كانوا بعيدين عن الجزيرة ، وقد ألفوها والعرب قابعون في جزيرتهم ، والصلات بهم تكاد تكون معدومة ، فكان المؤلفون يعتمدون على كتب لم يحاول مؤلفوها حصر الأمكنة ، بل أكثرهم لا يقصدها بالتأليف وإنما أورد ما أورد منها عرضاً، حينما يحاول شرح نص أدبي أو إيضاح معنى بيت من الشعر، وقد ألفت هذه الكتب في عهود متقدمة ، فدخلها التحريف والتصحيف ، ولما جاء ياقوت وأمثاله ممن حاولوا تحديد المواضع وحصرها لم يجدوا أمامهم عن الجزيرة سوى تلك الكتب التي دخلها التحريف، فاتخذوها أساساً لما كتبوا عن بلاد العرب، ولهذا جاء كثير منها غير صحيح، وهذا القول لا يقلل أهمية المؤلفات القديمة، فأصحابها بذلوا الجهد ، وقدموا ما يستطيعون تقديمه ، فاستحقوا التقدير على عملهم، ولكن أصبح العبء في عصرنا الحاضر من هذه الناحية يقع على المثقفين من أبناء البلاد أنفسهم .

يعجب كثير منا عندما يسمع متحدثاً في إذاعة، أو قارئاً من كتاب، يحرّف اسم موضع مشهور في الجزيرة ، غير أن الذنب في ذلك ليس ذنب القارىء ولا المتحدث، فالصورة الحرفية للاسم لا تمكن أي قارىء مهما بلغ من الثقافة أن يقرأ الاسم صحيحاً ما لم يكن يعرفه معرفة جيدة، ولن يعيب القارىء أو المتحدث عدم إلمامه، أو إحاطته ، بكل المواضع المعروفة في الجزيرة، إذ هي من الكثرة بحيث تتجاوز طاقة أي مثقف .

ولقد كنت ذات يوم أطالع الكتاب الذي ألفه أخي (محمد بن أحمد العَقِيلي) عن تاريخ منطقة جازان، فمررت فيه على عشرات الأسماء التي تطلق على مدن وقرى وجبال فلم أستطع أن أنطق الاسم منها على وجهه الصحيح ، حتى طلبت منه أن ينطقها أمامي، وأن أشكلها بالحركات ، مع أنني من أكثر المعنيين بهذه الناحية ، وأذكر أنني قبل بضع سنوات تحدثت مع أحد كبار المشرفين على شؤون الإذاعـــة ، وأبديت له ضرورة وجود معجم جغرافي حديث، يتضمن ذكر مدن المملكة وقراها، بصيغة تيسر للقارىء النطق بالاسم صحيحاً ، وأعربت له أن مثل هذا العمل مما تنوء به طاقة الفرد ، وأنه من الأعمال التي يجب أن تضطلع بها وزارة الإعلام ، وهو من ضمن أعمالها ، وقد سمعت بعد ذلك بأن النية متجهة إلى تحقيق تلك الفكرة ، ولكن هذا لا يحول دون إبداء رأي آخر ، ذلك أن عمل الهيئات الرسمية يتطلب وقتاً، وأن كل مثقف من مثقفي بلادنا ، يجب أن يسهم في خدمة بلاده في أية ناحية من النواحي الثقافية التي يستطيع الفرد الإسهام فيها ، بقدر طاقته ، وبلادنا في عهدها الحاضر قطعت في ميدان التقدم الثقافي شوطاً ، وأصبح بيننا ذوو ثقافـات متعددة النواحي ، ووجد بيننا باحثون ، وكتاب ذوو كفاءة ومقدرة، لهم جولات في مختلف النواحي الفكرية، فلماذا لا نجد من بينهم من يتصدى لهذه الناحية التي أصبح كل مثقف يدرك اشتداد حاجتنـــا إلى ملء فراغها ؟!.

إن بلادنا لسعتها ولتعدد أقطارها بدرجة تجعل الباحث – مهما أوتي من سعة اطلاع وعمق معرفة – لا يستطيع أن يقوم بعمل كامل من جميع النواحي

لتقديم معجم جغرافي عام ، ولكن في استطاعة المرء ولو كان محدود الثقافة أو قاصر المعرفة ، أن يقدم شيئاً نافعاً مفيداً عن الاقليم الذي يعيش فيه ، ومن ثم يصبح لدينا مجموعة من تلك الدراسات يمكن اتخاذها أساساً لوضع ذلك المعجم الشامل .

ومن المدرك بداهة ، أن كل أمر من الأمور يبدو ناقصاً وضعيفاً في حالته الأولى ، ولكنه ينمو وتتكامل قوته متى وجدت النواة التي ينشأ منها .

وقد يعترض البدء في هذا العمل عوارض كثيرة ، منها عدم المراجع التي يمكن للباحث أو الكاتب أن يرجع إليها ، ومنها : أن الكتابة التي لها صلة بالمجتمعات تتأثر كثيراً بالعواطف والرغبات الخاصة ، فإذا أريد مثلاً إيضاح جانب من جوانب الحياة في مدينة ما أو قرية ، مما يتعلق بتاريخ سكانها أو تعدادهم مثلاً ، فقد يتأثر الكاتب بعاطفة أو رأي لا يتفق مع الواقع . غير أننا نرى — حيال ذلك — تجنب كل ما من شأنه أن يكون ذا أثر عاطفي .

إننا بحاجة إلى أن نجد بين أيدينا معجماً يوضح لكل قارىء الصورة الصحيحة للنطق باسم هذه المدينة أو القرية أو المكان ، ثم الموقع ، ثم ما يستطاع إيضاحه من حيث حدود ذلك الموقع وبيان جهته في الإقليم أو المقاطعة ، مع الإشارة بطريقة موجزة إلى تاريخه القديم ان أمكن .

ولقد أبديت لأخي العَقِيلي هذا الرأي، وطلبت منه أن يبدأ بتنفيذه بعد أن قدمت له بياناً بأسماء مواضع في جازان ، من مدن وقرى ، فتفضل مشكوراً بكتابة البحث الذي يجده القارىء في موضع آخر من هذه المجلة .

وكتبت إلى أخي الباحث المحقق الاستاذ (محمد بن عبد الله الحُميِّد) في بلاد عسير ، وبعثت إليه بياناً يتضمن أسماء المدن والقرى والمواضع المسكونة في العهد الحاضر في إقليم عسير ، وطلبت منه ما طلبت من أخي العقيلي ، وأنا واثق من أنه سيبادر إلى تحقيق رجائي بما يدرك هو وغيره أنه من الأمور، التي يجب أن يضطلع بها المثقفون من أبناء البلاد أمثاله .

المعجم الجغرافي الحديث
للبلاد العربية السعودية

مقاطعة جازان

- ١ -

مقدمة

طلب مني صديقي صاحب « العرب » ان أسهم معه في وضع نواةٍ لمعجم جغرافي حديث لبلادنا ، يتضمن تحديد الأمكنة المسكونة من المدن والقرى ، والأودية ، تحديداً دقيقاً ، مع ضبط الأسماء بطريقة تمكن القارىء من النطق بها على الوجه الصحيح .

وقدم لي بياناً باسماء المواضع المسكونة من إقليم (جازان) وهو ما يعرف

وقبل ذلك كنت طلبت منه أن يصحح لي من تلك الأسماء ما ذكره الهمْداني في كتاب « صفة جزيرة العرب » منها فأملى علي ـ مشكوراً ـ من ذلك جانباً كبيراً .

وإنني لفي غاية الثقة من أن كل قارىء سيرى من الأهمية لهذا الجانب الثقافي ما يدفعه إلى المؤازرة فيه ، بالقدر الذي يستطيعه ، وسيجد في هذه المجلة المجال الرحب ، لنشر ما يقدمه لها ، مما يتفق مع تلك الغاية التي سبقت الإشارة اليها .

ومتى حقق الله ذلك أصبح السبيل ميسراً ، لوضع النواة الأولى للمعجم الجغرافي العام .

أما التواكل ـ مهما كانت أسبابه ـ وانتظار من يقوم بذلك العمل على خير طريقة ، وتقاعس المرء عن بذل جهده في عمل ما مهما بلغ قدره. فكل ذلك من الأسباب التي تجعلنا نعيش دائماً محسّين بالنقص وبالحاجة مع قدرتنا على أن نكون غير ناقصين وغير محتاجين متى صح منا العزم ، وصدقت النية .

حمد الجاسر

قديماً باسم « المخلاف السليماني » وحديثاً باسم : « مقاطعة جازان » .

واستجابة لرغبته ، بل بدافع الاسهام في هذه الناحية الثقافية التي يدرك كل باحث أن بلادنا في أشد الحاجة إلى أن يقوم كل مثقف — ما وسعه القيام، وما وجد لي ذلك سبيلاً — بعمل ما يقدر على القيام بعمله في سبيله، استجبت لتلك الرغبة .

وانني لواثق أن ما أقوم به — وما سيقوم به غيري الآن — يعتبر محاولة أولى ، في هذا السبيل ، وكل محاولة من هذا القبيل يعتورها النقص،وتعوزها الصحة غالباً .

وخير لنا أن نبدأ بأى عمل نافع ، نقدر عليه ، ونترك لغيرنا من العاملين السبيل واضحاً لسدّ النقص ، وتصحيح الخطأ ، من أن نبقى في انتظار من يقوم بذلك العمل ، قياماً كاملاً نرتضيه من كل النواحي ، وهذا من الأمور التي ان لم تبلغ درجة الاستحالة — فهي من الصعوبة بمكان .

كان أساس ما قدم لي صديقي صاحب «العرب» توضيحات وبيانات،صدرت من جهة « رسمية » قامت بعملها قياماً يعتبر من أقوى الأعمال التي يستطاع القيام بها ، وهي مما يعجز الفرد — مهما بلغ من قوة وقدرة — على القيام به .

وليس معنى هذا أن تلك البيانات والايضاحات التي قامت بها تلك الجهة — وقدمها لي الصديق بلغت حدّ الكمال في الصحة والوفاء ، ولكنها هي جلُّ ما يستطيع باحث أن يصل اليه ، في الوقت الحاضر .

وتتضمن تلك البيانات :

١ — بيان إحصاء سكان تلك الجهة ، وهو بيان قد يكون تقريبياً .

٢ — ذكر أسماء المواضع ، من قرى ومدن وموارد ومياه ، مع تعداد سكانها .

ولقد راعيت إيراد البيان الأول على علاته ، إذ ليس من المستطاع إدخال أي تغيير عليه ، لا سيما وقد وضع من قبل لجنة ذات إمكانيات فوق طاقة

الفرد. وحسب القارىء – إذا لم يرد أن يبلغ منها حدّ القناعة – أن يعتبرها خير ما يمكن الوصول اليه ، وهذا ما دفعني إلى إيرادها كما وضعت ، في مقدمة البحث .

أما الناحية المهمة – في الموضوع – فهي ضبط الأسماء ، وتحديد جهاتها .

وهذا ما حاولت أن أقوم به ، بالقدر المستطاع .

ولم أحاول التوسع في الحديث عن الناحيتين التاريخية والأدبية ، فهما ناحيتان تعتبران من حيث السعة – مما لا يستطيعه باحث مثلي، ومما لا يستسيغه قارىء يريد معرفة الموضع ، من حيث النطق ، ومن حيث الموقع.

وقد أشير اشارات موجزة إلى شيء من ذلك .

ولمن أراد التوسع في الناحيتين المشار اليهما الرجوع إلى الكتب القديمة ، فقد يجد بعض بغيته ، إلا أن مما تجب الإشارة اليه هو كون مؤلفي معجمات الأمكنة ، لبعدهم عن الجزيرة ، ولجهلهم بكثير من مواقعها ، فاتهم الكثير من اسماء المواضع الموجودة فيها .

إن عدم ذكر اسم موضع ما في معجم « البلدان » أو غيره من معجمات الأمكنة ، لا يعني أن هذا الموضع حادث ، فكثير من اسماء المواضع نجدها مذكورة في شعر شعراء ، تقدموا مؤلف ذلك الكتاب بالزمن، ومواضع أخر ذكرت في كتب قديمة فات ياقوت ذكرها ، لعدم اطلاعه على تلك الكتب – كما في « صفة جزيرة العرب » للهمداني – بل هناك مواضع مذكورة في هذا الكتاب وغيره من الكتب التي اطلع عليها ياقوت ، ولكنه لم يذكرها ، وهذا الأمر لا يعنينا بقدر ما ننبه القارىء إلى ضرورة وضع معجم جغرافي كامل ، عن بلادنا .

ومثل ذلك العمل مما ينوء به جهد الفَرْد ، مهما أوتي من قوة وقدرة ، ولكن بالتعاون وبقيام كل من يستطيع القيام بما يقدر عليه من هذا العمل ، قد نتمكن من وضع اللبنة الأولى في أساس البناء .

وما علينا – إذا قمنا بما نقدر عليه ، بدافع من توخي الحقيقة–أن يكون عملنا غير كامل في مرحلته الأولى – وحسبنا أن نكون أدينا الواجب بقدر الاستطاعة ، وهيأنا السبيل لمن أراد السير فيه .

وما على أولئك الذين يدركون القصور ، ويحسُّون بمواقع النقص والخطأ، إلا استدراك كل ذلك ، وسيجدون منا - ومن غيرنا من القراء– مع ما يسدى لهم من جزيل الشكر – سيجدون من سعة الصدر ، ومن التقدير لعملهم ما نعدهم الوَعد الصادق – بإذنه تعالى – أن نضيفه الى هذا الجهد ، وأن نحاول بقدر الطاقة – أن نصحح به خطأنا ، ونكمل به النقص في عملنا ، هذا العمل الذي سيبقى بحاجة إلى الأكمال مهما بلغنا من قوة ، ومهما حاولنا الوصول إلى الكمال فليس مقدورنا بلوغه، إذ هو صفة تفرّد بها باريء الكون–جل وعلا– وحسبنا أن نقوم بقدر ما نستطيع ، ولن تُكلف نَفْسٌ فوق ما تَسَعُ .

القسم الأول : معلومات عامة

مقاطعة جازان :

مقاطعة جازان هو الاسم الذي يطلق على البلاد التي مدينة (جازان) أهم مدنها ، وكانت تعرف قديماً باسم (المخلاف السليماني) . والمخلاف يؤدي معنى الاقليم أو الرستاق .

والمخلاف السليماني ، منسوب إلى أحد ولاته في القرن الرابع الهجري – سليمان بن طرف .

ويقصد به الآن ما يعرف بـ (مقاطعة جازان) وتتسع مساحة هذا المخلاف وتضيق تبعاً لتطورات الأحوال السياسية في مختلف العهود ، إلا أن هذه المقاطعة تشمل الآن القسم الجنوبي الغربي من البلاد السعودية .

يحد شمالاً المقاطعة : ميناء البِرْك – التابع اداريا لامارة (القنفدة) – وجنوبا : ميناء (مَيْدِي) من المملكة اليمنية . وغربا : بحر القُلْزُم (البحر

الأحمر) وفيه جزائر تابعة للمقاطعة أشهرها : فَرَسان .

وشرقاً : جبال رجال (ألمع) وجبال (هروب) وجبال بني مالك وجبل النظير .

والمساحة من ميدي إلى البرك تقارب الـ ٢٣٥ كيل .

ومن البحر إلى الجبال تقرب من الثمانين كيلا في متوسط المساحة ، حيث تقل هذه المساحة في بعض الجهات بحيث لا تتجاوز الـ ٤٥ كيلا (فيما بين جازان وجبال العارضة) . وتزيد بحيث تبلغ ١٣٠ كيلا (فيما بين الشُّقَيْق على البحر، وجبال رجال ألمع) [١] .

الأقسام الادارية :

قسمت مقاطعة جازان إلى ٢٤ إمارة ، قاعدتها مدينه جازان ، وفيها أمير عام ، هو مرجع حكام تلك الامارات . وهـــا هو بيان يتضمن أسماء تلك الامارات ، وتعداد ما فيها من القرى وموارد المياه ، وتقدير سكانها — وهو تقدير كما قلنا فيما سبق — ليس دقيقاً من كل النواحي ، غير أن هذا البيان مستقى من مصدر هو أقوى ما تطمئن إليه النفس ، وهو كل ما أمكن الوصول اليه ، في هذا الوقت .

الامارة	المدن والقرى	موارد المياه	جملة السكان	مستقرون	رحل
١ — مدينة جيزان	١	—	١٥٥٤٢	١٥٥٤٢	—
٢ — صبيا	١٢٧	—	٥٧٢٨٢	٥٧٢٨٢	—
٣ — سامطة	٢٩	—	٤٦٠٣٦	٤٦٠٣٦	—
٤ — الحُرَّث	٧٤	—	٢٩٥٦١	٢٩٥٦١	—
٥ — العارضة	١٠٧	—	٢٨٧١٥	٢٨٧١٥	—
٦ — أبو عريش	٦٤	—	٢٧٦٨٨	٢٧٦٨٨	—
٧ — ضَمَد	٣٧	—	٢٦٢٥٩	٢٦٢٥٩	—

(١) من كتابنا « تاريخ الخلاف السليماني » الجزء الأول ، القسم الأول ص ٣ .

الامارة	المدن والقرى	موارد المياه	جملة السكان	مستقرون	رحل
٨ ــ المسَارِحة	٨٣	ــ	٢٣٥٩٣	٢٣٥٩٣	ــ
٩ ــ فيْفا	٧٨	ــ	١٦٧٥٧	١٦٧٥٧	ــ
١٠ــ بَيش	١٤	٦	١٥٠٦٦	١ ٤٩٠	١٥٧٦
١١ــ وادي جيزان	٣٤	ــ	١٣١٢٦	١٣١٢٦	ــ
١٢ــ هروب	٤١	ــ	٩٦٤٥	٩٦٤٥	ــ
١٣ــ بني مالك	٥٤	ــ	٨٤٨٠	٨٤٨٠	ــ
١٤ــ بلغازي	٢١	ــ	٦٩٩٥	٦٩٩٥	ــ
١٥ــ درب بني شُعْبة	١٦	٤	٥٩٤٩	٤٨٣٤	١١١٥
١٦ــ الحكاميَة	١٣	ــ	٥٥٠٧	٥٥٠٧	ــ
١٧ــ الشُّقيق	٢٢	ــ	٥٠٣٣	٥٠٣٣	ــ
١٨ــ الرَّيث	٣	١٠	٤٣٦٩	٥٨١	٣٧٨٨
١٩ــ فرَسان (جزيرة)	١٣	ــ	٤٣٣٦	٤٣٣٦	ــ
٢٠ــ الموسِّم	٢١	ــ	٤٣٢٥	٤٣٢٥	ــ
٢١ــ اَلحقْو	٢٠	ــ	٤٠٨٠	٤٠٨٠	ــ
٢٢ــ القَحمة	٩	٢	٢٧٣٠	٢٤٨٣	٢٤٧
٢٣ــ اَلحشْر	١٥	ــ	٢٤٧٨	٢٤٧٨	ــ
٢٤ــ الرُّبُوعة	١٠	ــ	١٥١١	١٥١١	ــ
المجموع	٩٧٦	٢٢	٣٦٥٠٦٣	٣٥٧٣٣٧	٧٧٢٦

القسم الثاني : الناحية العمرانية

ليس بين أيدينا من المراجع ما نستطيع التعويل عليه بطريقة إحصائية دقيقة من النواحي العمرانية ، سوى الناحية التعليمية ، وليس معنى هذا أن النواحي الأخرى مفقودة،أو أنها لم تجد من عناية الدولة ما يكفل لها مواكبة ركب التقدم العمراني الشامل لمختلف نواحي الحياة العامة ولكننا ــ ونحن نحاول أن نقدم للقارىء الآن أدق المعلومات وأصحها ــ لم نستطع الوصول

إلى معرفة بيانات احصائية « رسمية » كاملة عن تلك النواحي ، وان كنا ذكرنا قدراً منها في كتابنا « تاريخ المخلاف السليماني » .

وهذا ما دفعنا إلى الاكتفاء بتقديم ما استطعنا ادراكه، وذلك ايراد بيان مجمل عن الناحية التعليمية،وسنضيف ما يصل اليه علمنا عن النواحي العمرانية الأخرى ، عند محاولة إبراز عملنا هذا بصورته التي نتوخاها له ، فيما بعد .

إلا أن مما تجدر الاشارة اليه أن هذه البلاد تقوم حياتها على الزراعة ، فتربتها على درجة من الخصب والجودة تمتاز على كثير من أجزاء الجزيرة ، ولكن قوام الزراعة في هذه المقاطعة هو الأمطار ، التي تنزل على الجبال ، ثم تنحدر مع الأودية الكثيرة ، إلى السهل الفسيح ، الممتد بامتداد المقاطعة .

ولقد استفاد السكان من هذه الأمطار، منذ أقدم العصور ، فوضعوا – في مجاري الأودية – سدوداً من الرمال ، ومن الأحجار في بعض الأحيان ، يسمونها عُقُماً – الواحد عَقْم – لحجز السيول في متسعات الوادي، ولحفظ التُرْبة في الأرض بحيث تصبح صالحة لزراعة الحبوب وغيرها ، بطريقة (العَثري) أي الزرع بدون سقي .

وفي العهد الحاضر أدركت الحكومة أهمية هذه السدود ، في حياة هذه البلاد ، وأدركت أن الطرق القديمة لعملها لا تتلاءم مع تقدم البلاد ، وعمرانها ، وحاجة السكان . فكان أن قرّرت إقامة سد لوادي (جازان) الذي يجتمع فيه كثير من الأودية ، وقام مهندسون بدراسة هذا العمل ، وعلى أساس تلك الدراسة قررت الحكومة إقامة السد ، الذي سيكون ارتفاعه ٣٢ متراً ، وعرضه ستة أمتار ، وستكون كمية المياه المخزونة في حوض الخزان خمسة وأربعين مليون لتر مكعب ، وسيكلف بناؤه خمسة عشر مليوناً من الريالات[1] .

وقد شرع في العمل ، ولا شكّ أن البلاد ستنال باكماله من النفع ما يتوقعه

---

(١) « جغرافية شبه جزيرة العرب » – ص ٢٢٩ –

لها الرجال العاملون المخلصون الذين يسعون دائماً ـ لينال كل جزء من أجزاء البلاد نصيبه في التقدم العمراني .

ومن الناحية الصحية في المقاطعة أربعة مستشفيات فيها ٢٠٠ سرير ، و ١٤ مستوصفاً ، و ٣٠ مركزاً صحياً .

التعليم في المقاطعة :

في مقاطعة جازان ثلاث وستون مدرسة ، هي :

١ ـ ٥٦ مدرسة ابتدائية ، مجموع تلاميذها ٩٢٢٣
٢ ـ ٤ مدارس متوسطة « « ٤٣٤
٣ ـ ١ مدرسة ثانوية « « ٤٥
٤ ـ ١ معهد لاعداد المعلمين « « ١٣٣
٥ ـ ١ مدرسة زراعية متوسطة تلاميذها ٥٦ = المجموع ٩٨٩١

ويشرف على شؤون هذه المدارس إدارة تضم من الموظفين الاداريين ١٠٩، ومن الخدم مثل هذا العدد .

ويبلغ عدد المدرسين في تلك المدارس ٥١٢ . وها هو البيان التفصيلي للمدارس الابتدائية [١] .

المدرسة	طلاب	مدرسون	إداريون	خدم
١ ـ العزيزية	٦١٤	٢٢	٥	٤
٢ ـ السعودية	٣٤٧	١٤	٣	٣
٣ ـ الشامية	٢٩٩	١٣	٣	٣
٤ ـ صبنة [٢]	٠٦٥	٥	١	٢
٥ ـ الخضراء	٠٩٧	٦	٣	١
٦ ـ الريّان	٠٩٢	٧	١	٢

(١) اعتمدنا في جميع هذه البيانات على « المفكرة الاحصائية » التي أصدرتها ادارة الاحصاء والبحوث في وزارة المعارف لعام ١٣٨٦ ـ ١٣٨٧ هـ وبيانات رسمية أخرى .

(٢) المدارس الأربع الأولى في جـــازان وكذا المدارس الثانوية والمتوسطة ومعهد المعلمين والمدرسة الزراعية .

المدرسة	طلاب	مدرسون	إداريون	خدم
٧ ـ الواصلى	١٧٠	٩	٢	٣
٨ ـ الخصاوية	١٥١	٨	٢	٣
٩ ـ البديع (القرفي)	١٩٢	٨	٢	١
١٠ ـ فرسان (جزيرة)	٠٩٨	٧	٢	٢
١١ ـ هروب	٠٨٢	٥	١	١
١٢ ـ الحقو	٠٧٤	٦	١	٠
١٣ ـ الدّرب	١٣٧	٨	٢	٢
١٤ ـ سامطة	٥١٧	٢٠	٤	٤
١٥ ـ الجرادية	١٨٩	٨	٢	١
١٦ ـ أبو حجر الأعلى	١٦٢	٨	٢	٢
١٧ ـ الجاضع	١٤٠	٧	١	١
١٨ ـ وعلان	٠٢٧	١	١	٠
١٩ ـ مجمر	٠٨٨	٦	١	١
٢٠ ـ صبيا القديمة	٦٥٦	٢٦	٥	٨
٢١ ـ صبيا الجديدة	١٠٨	٧	٢	٣
٢٢ ـ العريش	١٠٢	٧	٢	٢
٢٣ ـ الملحاء	١٧٩	١٠	٢	٣
٢٤ ـ أبي القعايد	٩٦	٦	٢	١
٢٥ ـ الباحر	١١٤	٧	٢	١
٢٦ ـ الغراء	٠٧٦	٦	١	١
٢٧ ـ العدايا	١٢٤	٧	٢	١
٢٨ ـ السلامة العليا	١٣٣	٧	٢	٢
٢٩ ـ قوز الجعافرة	٠٤٦	٤	١	١
٣٠ ـ الظبية	١٣٧	٨	٢	٣
٣١ ـ الحسيني	١١٧	٧	٢	٣

المدرسة	طلاب	مدرسون	إداريون	خدم
٣٢ ـ الفقرة	٠٨٠	١	١	١
٣٣ ـ أبو عريش	٦٢٧	٢١	٦	٧
٣٤ ـ العزيزية (أبو عريش)	١١٦	٧	٢	٢
٣٥ ـ البيض	١٠٠	٧	٢	١
٣٦ ـ آل مُطاعِن	٠٩٦	٥	١	٢
٣٧ ـ المنجارة	٠٧٤	٦	١	١
٣٨ ـ الهجنية	٠٢٩	٢	١	١
٣٩ ـ جحا	١٠٨	٦	١	١
٤٠ ـ الأحد	١٧٦	٩	٢	٣
٤١ ـ بَيْش	٣٣٩	١٩	٤	٣
٤٢ ـ الحضن	٠٧١	٦	٢	٢
٤٣ ـ المرابي	١١١	٦	٢	٠
٤٤ ـ مزهرة	١٢٠	٦	١	١
٤٥ ـ المَضَايا	١١٢	٨	٢	٢
٤٦ ـ ضَمَد	٣١٦	١٥	٢	٣
٤٧ ـ الشُّقيري	٢٣٠	٩	٢	٣
٤٨ ـ خُضيرة	١٣٦	٤	١	١
٤٩ ـ العارضة	١٠٩	٧	٢	٢
٥٠ ـ الشُّقيق	١١٦	٦	٢	٠
٥١ ـ مسلية	٩٦	٧	٢	١
٥٢ ـ العالية	١٤٨	٧	٢	٣
٥٣ ـ الطوال	١٥٤	٧	١	٠
٥٤ ـ فيفاء	١٦٣	٨	١	١
٥٥ ـ الرَّيث	٣٨	٣	١	١
٥٦ ـ خاشر والقهبة	١٢٩	٤	١	١
المجموع	٩٢٢٣	٤٥٦	١٠٩	١٠٩

يضاف إلى هذه المدارس : أربع مدارس للبنات فتحت منذ سنتين في جازان ، وابي عريش ، وصبيا ، وسامطة .

و٢٩ مدرسة للثقافة الشعبية (تعليم الكبار) طلابها ١١١٤ ومدرسوها ٥٣.

ومدرسة تابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ، للرعاية الاجتماعية . تضم عدد كثيراً من اليتامى .

القسم الثالث : المواضع

حرف الألف :

الأثلة — على اسم واحدة شجر الأثل : من قرى الجعافرة غرب قرية العَدَاية من أعمال (صَبْيا) .

أم التراب — على اسم تراب الأرض : قرية من أعمال بلاد بني الحرث ـ بضم الحاء وفتح الراء .

أم جِدْيَة — على اسم الجدية ـ بكسر الجيم ـ من صغار المعز ، قرية على وادي المعاين ، غرب قرية الزخيمة .

أبو الجُرَع — جمع جرعة : بضم الجيم شعب من روافد وادي سِيَال ، أحد فروع وادي جازان .

الأحد — سوق معروف ، يقام أسبوعياً ، وكان يقام يوم الأحد ـ غرب قرية الميزاب ، ومع تقدم العمران أصبح داخل القرية .

أبو حِدّابة — بكسر الحاء المهملة وفتح الدال المهملة بعدها ألف فباء موحدة مفتوحة فهاء : من قرى وادي ضمَد شمال بلدة الشقيري

آل أحمد — قرية من أعمال جبال بني مالك جنوب بلدة (القهْبة) .

أبو حجر — على اسم الحجر : يطلق على قريتين متقابلتين إحداهما تسمى أبو حجر الأعلى ، والأخرى أبو حجر الأسفل على وادي لية ، من أعمال بلدة سامطة ، وموقعها شرق قرية الجاضع .

أم الحجل — على اسم الطائر المعروف : من قرى جبل بني مالك ، وموقعها جنوب القهبة .

ابن حوّاس ـ (حلة)[1] من أعمال (صبيا) وهي بكسر الحاء وتشديد وفتح اللام بعدها هاء مربوطة .

الأحواش ـ جمع (حوش) قرية من قرى عبْس ، جنوب جبال هروب.

أبو حشيشة ـ على اسم الحشيش شعب من روافد وادي أمغياله (أم هي « أل التعريف » بلهجة العرب القديمة) .

أبو حشيشة ـ مرسي بحري معروف ، في الشمال الغربي من قرية الدهناء ، كانت ترسو به السفن في العهد الادريسي .

أم حَصْية ـ على اسم واحدة الحصى (بابدال الواو ياء) من قرى المسارحة.

أم الخشب ـ على اسم الخشب : قاعدة بلاد بيش (راجع مادة « بيش » فيما يأتي .

أم الخرَق ـ جمع خرقة ـ بكسر الخاء المعجمة ـ قرية غرب بلدة العارضة.

أم الدراهم ـ جمع درهم : من قرى الجعـــافرة ـ من أعمال صبيا ـ غرب قرية سوادة .

أم الدراهم ـ جمع درهم أيضاً : من قرى بني الغازي على وادي (جورا) غرب (عيبان) .

الأمدار ـ كأنه جمع كثرة لمدر ـ ولم أقف له على جمع كثرة ، في ما لدي من المصادر لأن مدرة تجمع على مدر : والأمدار اسم موضع ذكره صاحب«العقيق اليماني في تاريخ المخلاف السليماني» مخطوط ـ في حوادث سنة ١٠١٢ ويفهم من السياق أنه شرق بلدة الشقيري .

ام الدّغابيس ـ بتشديد الدال المهملة وفتحها وفتح الغين المعجمة بعدها ألف فباء موحدة فياء مثناة فسين مهملة:قرية غرب بلدة الشُّقيق .

---

(١) الحلة قرية صغيرة يسكنها شخص فتنسب إليـــه ويسكن معه غيره في إبان زراعة تلك الجهة .

أم الدّفين ـ على صيغة اسم صفة المدفون : لأن دفن ، من باب ضرب ، فتقول دفنت الشيء فهو مدفون ، ودفين . قرية من قرى (بيش) قرب قرية (مسلية) .

أبو دَنقور ـ بفتح الدال المهملة وسكون النون الموحدة الفوقية ، وضم القاف المثناة ، بعدها واو ، فراء مهملة : قال النازي صاحب التاريخ المسمى « السلاف » : ان أول من اختط مدينة صبيا الحالية ـ هو الأمير دُرَيب بن مهارش الخواجي في سنة (٩٥٨)هـ وكانت مساكنهم قبل ذلك في طرف الوادي من الغرب ، في موضع يسمى (أبو دنقور) ـ راجع التفصيل عن ذلك في ص ٧ ج ١ من كتابنا « المخلاف السليماني » ونضيف على ما سبق انه يظهر انه في الثلث الأول من القرن العاشر كان أبو دنقور عامراً فقد ورد في قصيدة للشاعر الضمدي « محمد بن جناح » منها :

ونثر من أبي دنقور وافى ونظم من زَبيد الشافعية

وقد شاهدت أثناء رحلة استكشافية ، آثار اطلال أبي دنقور مدفونة تحت الرمال ، وبها كسر الخزف الصيني والفخار .

أم الدود ـ على اسم الدود : بتشديد وضم الدال المهملة من بلدة العارضة.

أبو ذَخيرة ـ من الذخر : قرية من قرى عبس ، شرقي قرية العزّافي .

أبو ذَخيرة : كسابقه وينطقان بفتح الخاء : حلة في خبت السيّد ، شمال قرية الدهنا .

أم ذَنَبة ـ مونث ذنب : من قرى بلد القحمة ، في شمال المنطقة .

أم ذِيب ـ على اسم الحيوان المفترس : من قرى بلدة سامطة .

أبو ذَيل ـ قرية شمال قرية القفل : من أعمال سامطة .

أبو الرّديف ـ واسم الرّديف يطلق في منطقتنا على الشجرة الواحدة من الاراك،ويجمع على رُدف بضم الراء : قرية من اعمال صامطة : شمال قرية (الجروب) .

الأرواق ـ جمع رَوق : وهو لغة قرن الظبي ، قال أبو العلاء المعريُّ :

وصويحباتك في الفلاة لباسها أوبارها ، وحليُّها الأرواقُ

قرية على وادي قِصي قرب قرية العيدابي .

أم الرّين ـ على اسم الرين الشجر المعروف : قرية في جهة (السلب) سكنها الأمير أحمد بن عيسى بن المهدى القطبي سنة ١٠٢٨ هـ ثم تركها خوفاً من الأتراك إلى (السلب) راجع تاريخ هذا الأمير في ص ٣٢٤ ج ١ « المخلاف السليماني أو الجنوب في التاريخ » لكاتب هذا البحث .

أم الروايا ـ بتشديد الراء المهملة المفتوحة وفتح الواو بعد ألف فياء مثناة فالف مقصورة : قرية على ضفة وادي أمغيالة الجنوبية قبال قرية (الحقل) ـ أم : أل ـ بلهجة القبائل المضرية .

أبو السُّداد ـ بضم السين المشددة وفتح الدال المهملة بعدها الف فدال ثانية مهملة : من قرى درب بني شعبة .

أبو السُّداد ـ على صيغة سابقه : من أعمال صبيا .

أم سعد ـ قرية على وادي شهدان ، شرقي قرية أبو القعايد .

أبو مسْوَد ـ بسكون السين المهملة قرية شرقي قرية مجعر،من اعمال صامطة (وكأن الأصـل الأسود) .

أم السوادة ـ بتشديد وفتح السين وفتح الواو ، بعدها الف ، فدال مهملة فهاء : قرية بين وادي سيال وجبل المنقوب .

الأسودية ـ بصيغة النسبة ، وبعضهم ينطقها بأمْ الحميرية فيقول : (أم مسودية) قرية شرق الموسّم على الحدود .

أبو السَّلَع ـ بتشديد السين المفتوحة ، وفتح اللام : قرية على وادي وساع شمال قرية أبو القعايد .

أبو سُبيلة ـ بالتصغير : قرية من أعمال العارضة شرقي قرية (عرق) .

أم امْشِبرق ـ بكسر الشين وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة بعدها قاف مثناة ـ تلفظ بالمضرية الشّبرق، قرية من أعمال صامطة .

أم امْشِيح ـ على اسم الشيح النبات المعروف قريـــة شرق قرية (أبو الكدش أم : أل) .

الاشراف ـ بالفاء الموحدة من أعمال جبل (فيفا) .

أم الشّرافي ـ والشرافي بلهجة منطقتنا جمع شُرفي ، بالضم ، وهو الأرنب قرية شرقي بلدة الشقيق .

أم شعنون ـ قرية قرب وادي سيال (الشعنون) .

أم شْواله ـ بسكون الشين وفتح الواو من قرى ضمد .

أم الصّفحة ـ بتشديد الصاد : قرية على الضفة الجنوبية ، من وادي وساع، شرق قرية (أبو السلع) .

أبو الصواوين ـ جبل يطل على القرية التي حول سكن منشأة موظفي السد ـ سد وادي جازان ـ

أبو مْضبره ـ شعب من راوفد وادي (المُلح) بضم الميم من أودية صامطة ـ راجع ص ٣٠ ج « المخلاف السليماني » .

أبو امْطفاية ـ بصيغة المبالغة قرية من أعمال صامطة : (الطّفّاية) .

أبو الطوق ـ من قرى جزيرة فرَسان .

أبو الطيور ـ من قرى الجعافرة من أعمال (صبيا) .

أم العُبَب ـ بضم العين وفتح الباء الموحدة الأولى : من قرى الحكامِيَة ، قرب قرية العقدة ، من أعمال المضايا .

أبو مْعِجانة ـ بكسر العين ، وبالجيم المعجمة : شعب ينحدر من جبل أبي النار ، على الحدود ، ويرفد وادي الملح — بالضم —

أبو العدنة ـ والعدن شجر معروف ، وهو شجر المطاط : قرية قرب قرية أم الشّيح السابق ذكرها .

أبو مْعرج ـ اسم العرج لدينا يطلق على شجرة السدر ويجمع على عروج ، وأبو معرج بفتح العين وسكون الراء المهملة : قرية من أعمال المسارحة شمال قرية (قُزع) .

أبو معرج ـ على اسم ما قبله من قرى وادي تعْشُر ، على الضفة الشمالية ، شرق قرية الشنامرة .

أبو العرج ـ على اسم ما قبله بأل التعريف : قرية على وادي (قِصِي) بكسر القاف ، غربي قرية الأرواق .

أبو العُرّة ـ بضم العين وتشديد الراء المهملة المفتوحة بعدها هاء : من أعمال العارضة .

أم العُرُش ـ جمع عريش : قرية منأعمال صبيا قريبة من أم القضب الشامية

أبو العشرة ـ بضم العين وفتح الشين،على اسم واحدة شجر العُشَر: جنوب بلدة العارضة .

أبو عريش ـ بفتح العين:مدينة منأشهرمدنالمخلاف السليماني—منطقة جازان تقع عن جازان شرقاً ، وتبعد عنها بمسافة تقارب الـ٣٠ كيلا

واليك ما كتبناه عن« أبي عريش » في مؤلفنا :«تاريخ المخلاف السليماني» :

مدينة « أبي عريش » مدينة معروفة في « المخلاف السليماني » وقد كانت في القرنين الثاني عشر الهجري ، والثالث عشر حاضرة المقاطعة .

وتذكر المؤلفات الخاصة بتاريخ المقاطعة ، أن أول من اختطها هو « جد آل الحكميّ » في القرن السابع الهجري ، وانه كان رجلاً صالحاً فابتنى في المدينة « عَرِيشا » فقصده الناس لطلب العلم والهداية .

وقد ذكرها ابن حَجَر في رحلته إلى اليمن عام ٨٠٠ هـ باسم « عُرَيش » بالتصغير .

وإذا تجاوزنا عن الرواية الأولى ورجعنا إلى « كتاب البلدان » لليعقوبي المتوفي ٢٧٨ هـ نجد انه ذكر المراحل بين مكة وصنعاء فقال « يَبَة » ثم « المَعْقَر » ثم ضنكان فـ « زنيف » فـ « ريم » ثم « بيش » ثم « العَرش» من جازان .

ونجد الهمداني المتوفي ٣٥٣ ذكر في كتابه « صفة جزيرة العرب » في ذكر محجة صنعاء إلى مكة المراحل من صنعاء إلى « مور » قال: (مور ـ الحسارة ـ العبابة ـ الشرجة ـ العرش وعثر). وكلا الروايتين ترجح لنا أن أبي عريش موجودة من قبل جد آل الحكمي بقرون ، فرواية اليعقوبي تُعَرّفها بالعرش من جازان وهي عين الحقيقة ، فأبو عريش تقع في منطقة وادي جازان . كما ان تحديد الهمداني لها بين الشرجة وعثّر تؤيد رواية«اليعقوبي».

وهنا ليس لدينا تعليل معقول للتوفيق بين ما لدينا في تاريخ المقاطعة ، وما ذكره اليعقوبي والهمداني إلا :

١ ـ اما أن أبي عريش أو العرش كان موجوداً قبل « جد آل الحكمي» بقرون ، ولم يصل إلي ايدي مؤرخي المقاطعة كتابا «البلدان» و«صفة جزيرة العرب » نظراً لندرة المخطوطات في تلك العهود وعدم انتظام المواصلات .

٢ ـ واما ان العرش تلاشى عمرانه فأحياه ذلك العالم الجليل ، وجدد معالمه ، فطغت شهرته على المدينة ونسبت اليه .

هذا غاية ما نستطيع الوصول اليه على اساس ما لدينا من معلومات .

أما ورد من الشعر في تلك المدينة فقد ذكرها الشاعر الهُبَيّ الصَّعدي من شعراء القرن التاسع الهجرى في مخمسته التي يمدح بها الأمير المهدي القطبي

لم أنس أيام أبي عَرِش حيث رياشي قد نما، وريشي
حيث انتهت خلاعتي وطيشي

ويجد أن مؤلف « خلاصة المسجد » أورد لعبد الرزاق اليمي في وصفها ، الأبيات الآتية :

عُجْ بوادي الهضاب في الأسحار وترنم هنـــاك بالاوتار
برباه بي عريش »حيث الغواني لا بسات الحجولِ والأسوار
الصّبا والصّبا بها يا مُعَنّى وطلوع البدورِ والاقمـــار
ليت شعري بها أكون دواما أتمشّى في حُلَّةِ الجُلَّنَار

وهي لا تزال عامرة إلي هذا التاريخ ، وإن لم تكن على ما كانت عليه في القرنين الثاني عشر والثالث عشر . وقد جاء في كتاب المستر فلبي (Arabian Highlands) ان ارتفاعها عن سطح البحر ٢٥٠ قدماً، وان طولها من أقصى الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي أقل من ميل وعرض مثله . ويقدر سكان أبي عريش على وجه التقريب بخمسة عشر الف نسمة [١] .

أبو عريش ـ على اسم سابقها : قرية من قرى المجارشة ، من قبـــائل الحُرّث .

أم العظام ـ جمع عظم : من قرى بلدة العارضة .

أم العظام ـ جمع عظم : من قرى صامطة شرق قرية وعلان .

أبو عِمَران ـ بفتح العين وكسر الميم: من قرى المسارحة شمال قرية العلولية

أم العنق ـ على اسم العنق بضم العين الذي هو الرقبة : قرية شمال موقع سد وادي (جازان) .

أم عفار ـ من قري جبل الربوعة .

أبو غُليفة ـ بالتصغير : قرية شمالي قرية الدّهناء .

أم القُحْفة ـ جمع قحف ، بمصطلح جهتنا الكِسْرة من آنية الفخار : قرية شرقي قرية (المَلحا) من أعمـــال صبيا وسميت بهذا الاسم

---

(١) من كتاب « تاريخ الخلاف السليماني ج ١ القسم الأول ص ١٠ - ١٢

لوجود الكثير من كسر الفخار حولها مما يدل أنها أُنشئت على قرية قديمة تحتها .

أبُو قَـرْن – على اسم قرن الحيوان : قرية شمال بلدة درب بني شعبة .

أم القَـضَب – بفتح القاف والضاد المعجمتين ، وهو شجر معروف في جهتنا: قرية شمال قرية الفرشة ، التي شرقي قرية الملحا .

أم القضب – على اسم ما قبلها : من قرى بني الحُرّث .

أم القضب – قرية من أعمال صبيا قريبة من قرية (أم العرش) وتضاف فيقال أم القضب الشامِيّة .

ام القماري – جمع قمري،الطائر الغرد المشهور : شعب من روافد وادي لية

أبو الكدش - بفتح الكاف والدال المهملة ، بعدها شين مثلثة ، وبعضهم يسميها(ام الكدش) قرية من أعمال سامطة شرقي قرية الوتد

أبو كرش – على اسم كرش الحيوانات ذوات الخف والظلف كالمعدة للانسان قرية من قري الحكامية شمال (المضايا) وجاء في الحديث « الانصار كرشي وعيبتي » .

ابو الكُـرْش– بضم الكاف وسكون الراء – والكرش على هذه الصيغة يطلق عندنا على (الحلم) – القراد الكبير : قرية من قرى الطمحة قرب قرية (الفقرة) بكسر القاف .

ابو الكِـزْم – بكسر الكاف وسكون الزاي المعجمة ، من قرى المسارحة غرب (خميعة) الآتي اسمها في حرف الخاء .

آل امْصَهيف – جبل شرق جبل بني امشَيخ وجنوب شرقي هروب (أم صهيف : الصهيف ، أم شيخ : الشيخ) .

ابو المض – على اسم شجر المض – شجر معروف بمنطقتنا بهذا الاسم – قرية من أعمال سامطة جنوب قرية أبو مَسْوَد .

الأملح – على صيغة الصفة المشبهة : وادٍ جنوب أبي عريش – راجع ص ٣٢ ج ١ « المخلاف السليماني أو الجنوب في التاريخ » من

الفصل الخاص بالأودية ، والخريطة الملحقة .

أبو النَّبع — على اسم شجرة النبع : مورد من موارد المياه بجهة بيش .

أبو امْنبعة — قرية من أعمال صامطة شرق شمال قرية (وعلان) — (أم نبعة ـ النبعة)

أم النـُّحُوس — قرية من قرى وادي (عِتـْوِد) .

أم نعجة — من قرى الشقيق (النعجة) .

أم النور — قرية صغيرة شمل قرية (المشعشعية) الآتية في حرف الميم .

ابو النورة — وينطق به (بو أمنورة ، بام الحميرية) شعب من روافد وادي (المُلح) .

أبو يحيى — قرية من أعمال بني شعبة .

حرف الباء :

بَتـُول — من قرى بني الحُرّث ، شمال قرية (العُرَّة) .

البُجَيْليَة — بالتخفيف : قرية من أعمـــال وادي جازان جنوب قرية (الواصلي) .

الباحِر — على صيغة اسم الفاعل : قرية غرب مدينة (صبيا) موطن رجال من علماء جهتنا منهم القاضي أبو الحسن صالح بن صديق النمازي المتوفي سنة ٩٦٥ هـ وقبله العالم الناسك الزين بن الأمين شافع المتوفي سنة ٩٥١ هـ وغيره ممن سنورد — بحوله تعالى — تراجمهم في كتابنا « التاريخ الأدبي » الذي سيطبع قريباً إن شاء الله .

بحرة — على صيغة اسم المرة الواحدة: قرية من قرى قبيلة الخُرْم بين قريتي (العُسَيْلية) و (المريخية) .

البَحْصُ — بباء موحدة مفتوحة وحاء مهملة ساكنة، وصاد مهملة : قرية من قرى جبل العبادل ، من أعمال العارضة .

البُختة – بضم الباء الموحدة، وسكون الخاء المعجمة ، وفتح التاء المثناة بعدها هاء : من قرى (الخُرْم) غرب قرية العُسَيلية ، وتتألف من قريتين إحداهما تسمى البختة العليا ، والأخرى البختة السفلى .

بَخْشَة – على اسم المرة الواحدة من البَخْش ، والبخش اسم يطلق في جهتنا على (الفَحْم) الوقود المعروف : قرية من قري وادي جازان شرق قرية المعبوج .

البِداحُ – بكسر الباء الموحدة ، وفتح الدال المهملة ، بعدها ألف فحاء مهملة : موضع في جهة بني الحُرَّث .

بَدْوَا – رَبَضٌ من أرباض جبل فَيْفا .

البَدْوَة – بفتح الباء الموحدة ، وسكون الدال المهملة بعدها هاء : من أرباض جبل بني مالك .

البدويُّ – على اسم الرجل المنسوب إلى البادية : من قرى وادي (خُلَب) غربي قرية (مختارة – الآتية) في حرف الخاء.

بِديع الخرم – بكسر الباء الموحدة والدال المهملة قرية جنوب قرية (صدّيقة) الآتية في حرف (الصاد) .

البَدِيع – بأل التعريف : قرية من قرى وادي جازان ، على ضفته الشمالية شرق قرية (القَرفي) الآتي ذكرها في حرف القاف وقد تردد ذكر هذا الاسم في شعر القاسم بن هُتَيْمِل – القرن السابع – ومن ذلك قوله :

وعلى يمانيٍّ (البَديع) وسفحه
خِيَمٌ سقاهنّ الهوى وسقاه

ومنه :

فلا تُرِها أثْلَ (البديع) فإنها
تحنّ إلى أثل (البديع) وترزم

البديع — على اسم ما قبله : من أرباض جبل (فيفا) .

البديع — ويضاف فيقال بديع مْسَوادية:قرية غرب قرية المُشَعشعية في الخبت الجنوبي من أبي عريش .

بَرَبَرُ — بفتح الباء الموحدة والراء المهملة — مكررا — شعب جنوب قرية المضايا ، بنحو كيل واحد ، تقريباً دارت به معركة بين الأمير حمود أبي مسمار والقائد (عثمان المضايفي) سنة ١٢٢٥ هـ ونستدل من من عدم ذكر صاحب « نفح العود » الذي أورد خبر المعركة ان قرية المضايا لم تكن قد انشئت لأن المؤرخ عادة ينسب الحادث إلى أقرب قرية أو بلدة أو مدينة جرت حولها الوقعة .

البرصاء — قرية من اعمال أبي عريش المدينة المعروفة .

البَرْمِيُّ — البرمي في لهجة منطقتنا نوع من الزواحف المسماة في الفصحى بـ (العظاء) واحدتها برمية و (برمي) وتجمع على برامي : قرية في جبل (قيس) من اعمال (العارضة) .

البَرنية — بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة ، بعدها نون موحدة فوقية ، فياء مثناة فهاء . من قرى بني الحرّث شرقي بلدة الخوبة .

البازخُ — بفتح الباء الموحدة ، بعدها الف ، فزاي معجمة : مركز الإمارة في جبل هُروُب .

بازغ — على صيغة اسم الفاعل : من قرى (الشُّقَيق)

البُزَةُ بضم الباء الموحدة وفتح الزاي المعجمة بعدما ، هاء : عين ماء معدني ساخن ، على ضفة وادي جازان الجنوبية شرق قرية بطحان ـ راجع بحثنا بعنوان : (المياه المعدنية في منطقة

جازان) المنشور في صحيفة اليمامة العدد ١٠ و ١١ في شهر محرم ١٣٨٤ هـ .

البَشَامة — على اسم واحدة شجر البشام : من قرى بني حريص من اعمال (العارضة) .

بَشْعَةُ — اسم المرة الواحدة : من قرى العبادل من اعمال (العارضة)

بَصْوَةُ — على اسم المرة الواحدة : قرية من أعمال صامطة .

بَطحان — قرية قرب (البُزَةِ) من أعمال العارضة .

البُطَيْح — بالتصغير قرية من قرى الجعافر — أعمال صبيا — وهي قريتان إحداهما تسمى البُطَيح الشامية ، والأخرى اليمانية .

البُطَين — قرية من أعمال (العارضة) .

البُقْعَة — على اسم واحدة البقاع : ربض من أرباض فيفا .

البقعة — على اسم سابقتها : من أعمال جبل (هروب) .

البقعة — على اسم سابقتيها : قرية من قرى جبل (الحشر) شمال ، فوق امنيد[1] .

البقعة — على اسم سابقاتها : من أرباض جبل بني مالك شمال القَهْبة .

البِقاعُ — على صيغة الجمع : من أعمال بني مالك في (جبل طلان) .

بني امْشَيخ — جبل مأهول بقبائل بني امشيخ وينسب اليهم جنوب (هروب) أم : أل .

البنّايَة — على صيغة الجمع : حلة في محراث الشريعة من أعمال بيش .

البُوْر — قرية في جبل قيس من أعمال العارضة .

بيت الفقيه — قرية شمال قرية الدهنا — من أعمال (صبيا) .

بيرُ جَهْلي — على اسم البير منسوبة إلى (جهلي) : قرية في جنوب شرق قرية (امْبَتريّة)[2] الآتية في حرف الميم .

---

(١) العرب : كذا ولم يسبق ذكر لهذا الاسم ، ولعله محرف .

(٢) العرب : محلها حرف الباء « البترية » .

رسمٌ تقريبيّ لمقاطعة (جازان) تبيّن أهم الأودية والمدن والقرى ، من رسم كاتب هـــذا البحث ، نقلاً عن كتاب « تاريخ المخلاف السليماني » ج ٢ – ويلاحظ أن كل ما فيه من أمكنة وضع بطريقة تقريبية ، ولم يُرَاع في ذلك تقدير المسافات ، أو النِّسَب القياسية من الناحية الجغرافية . (هذا الرسم يوضح مواقع بعض الأسماء الواردة في هذا البحث)

البِيْسِري – بكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة وكسر السين المهملة وكسر الراء المهملة ، بعدها ياء مثناة : من قرى وادي تعشر على صفته الشمالية شمال قرية (دَيحمة) .

بيش :

وادٍ من أكبر أودية تهامة ، وصفناه في كتابنا «تاريخ الخلاف السليماني»[1] بما هذا نصه :

وادي بيش ، ومآتيه من قيوان[2] ، وبلد بني عامر من الغور ودفا[2] من شمال بلد خولان ، وجنوبي بلد جَنْب ، وترفده أودية وشعوب عديدة ، ليس لدينا معلومات كافية عنها ، وبالجملة فهو من أشهر الأودية ويعد في درجة وادي « مَوْر » الذي يسمى « ميزاب تهامة الأعظم » ويسقى من المزارع والمحاريث ما سوف نوضح أشهرها .

ومن روافده المعروفـــة : الرجفة ويخرف وأول عقم على مجراه هو عقم محراث مسلية الحكومية ، ويقدر ما يسقيه وادي بيش من الأراضي الزراعية ما مساحته على وجه التقريب ستين كيلاً طولاً ، في ثلاثين كيلاً عرضاً على وجه التقريب ، عند شدة فيضانه ، ويجلب معه نوعاً من الطمي يورث الأرض خصوبة ، ويكاد طميه أن يملأ بعد عدة أعوام الحقول التي تسقى بمياهه ، ومن أشهر قراه ومحاريثه :

١ – قرية مسلية ومحراثها .

٢ – قرية المطعن ومحراثها .

٣ – بيش .

٤ – أم الخشب ومن محاريثها :

---

(١) ج ١ ق ١ ص ٣٩ .

(٢) قيوان ورد هذا الاسم في ذكر بلد خولان من «صفة الجزيرة» للهمداني ، (وكذا دفا)

ا ـ محراث الكدرة لآل باصهي ب ـ محراث عقم[1] الفائق، ج ـ محراث عقم طهماز .

٥ ـ قرية السلامة العليا .

٦ ـ قرية السلامة السفلى .

٧ ـ قرية العالية .

٨ ـ الدَّهْناء .

٩ ـ العَشَّة .

١٠ـ جميما .

هذا ويطلق اسم بيش على وجه التعميم على ما يسقيه « وادي بيش » وعلى وجه التخصيص يطلق في تاريخنا الحاضر على :

١ ـ قرية مسلية .

٢ ـ قرية المطعن .

٣ ـ قرية بيش .

٤ ـ مدينة ام الخشب .

بيش في التاريخ :

١ ـ وقد ورد ذكره في كتاب «البلدان» لليعقوبي المتوفي سنة ٢٧٨ هـ في مراحل الطريق بين مكة وصنعاء وذكران أهله« الازد » وبه قوم من كنانة.

٢ ـ وذكره « الهمداني » المتوفي سنة ٢٣٤ في كتابه المشهور « صفة جزيرة العرب » قال : (ومخلاف « عثر » ومن مدنـــة « بيش » وحصبة ابراق ، وفيه من الأودية ، « الأمان » و « وادي بيش » و عتود، و«بيض» و « ريم » و «عرمرم » و « العمود » وهو لخولان و كنانة و الازد وملوكه من « بني مخزوم » .

٣ ـ وورد في معجم البلدان لياقوت الحموي : بيش من مخاليف اليمن ، فيه عدة معادن ، وهو وادٍ فية قرية يقال لها (أبو تراب) سميت بذلك لكثرة الرياح السافية بها .

(١) المحراث والعقم كلمتان يقصد بالأولى : أرض الحراثة ، وبالثانية السد الذي يحجز مياه الأودية ، ويحفظ تربة الأرض من الانجراف ، فتصبح أرضاً زراعية خصبة .

٤ – وورد اسمه في شعر « ربيعة اليمني » في القرن الخامس في قصيدة يمدح بها الملك علي بن محمد الصّلحي :

قرنت الى الوقائع يوم «بيش» فكان أجلها يوم السباق

٥ – وذكره البكري في « المعجم » ص ٢٩٣ ، وقيده بفتح واستشهد عليه بقول الأحوص :

امن آل سلمى الطارق المتأوب ألمّ و«بيش» دون سلمى، وجَبجَب

ومن قرى وادي بيش قرية « مُسْلِية » ، أحيا مزارعها « الأمير طامي بن شُعَيب »، ورحل اليها من يقوم باعمال زراعتها بالمزارعة بين عامي ١٢٢٥ و ١٢٣٠ ، والمشهور ان قرية « بيش » هي القرية القديمة أما قرية أم الخشب فهي بالنسبة الى الأولى محدثة انتقل السكان اليها بعد أن تعرضت الأولى لاكتساح السيول ، وهذا تؤيده المشاهدة فان الوادي قد جرف تلك القرية ولم يبق منها إلا القليل . ويقدر سكان ام الخشب حاضرة « بيش » بسبعة آلاف نسمة وأغلب مساكنها من العُشَش وبها قليل من البيوت المبنية من اللبن .

بَيْض – بصيغة الجمع – من قرى الشُّقيق .

بيض – أيضاً ، وادٍ معروف ، يلتقي بوادي سمرة عند قرية الشرفا ، من قرى آل حدرة – بفتح الحاء المهملة .

البيضاء – من قرى بني الحُرَّث ، شرق بلده الخوبة .

البَيِّضُ – بكسر الياء المشدّدة المثناة – على ضفة وادي جازان الشمالية .

البَيْطارية – من قرى المسارحة غرب قرية (سوق الليل) .

بَيْنَ الكروس[1] – بتقديم بين الظرفية : من قرى جبل (سلا) من أعمال العارضة .

بَينَ مَقْر – بتقديم (بين الظرفية) ثم فتح الميم وسكون القاف : من أعمال جبل بني مالك .

---

(١) العرب : لم تضبط كلمة (الكروس) .

حرف التاء :

تُـرَابةُ ـ مؤنثة : ولم تأت في الفصحى على هذه الصيغة بقدر علمي ، قرية من قرى المسارحة قريبة من سيال .

تَـعْس ـ قرية من أعمال سامطة .

تَـعْشَرُ ـ واد من أشهر أودية المنطقة ذكره (الهمداني) في كتابه « صفة جزيرة العرب » في عدة مواضع كما ذكره ياقوت في « معجم البلدان » فقال : (تعشر من قرى عثر من قبليها) قال محمد بن سعيد العبشمي :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بـ (تَـعْشَر) بين الأثل والدَّكوَان

ونقول : تعشر وادٍ لا قرية ، وهو في جنوب عَثر ، لا في قبليها ، ومعمور بالقرى والدساكر من مسقطه إلى مصبه في البحر ، وله عدد من الفروع والروافد ، والمعلومات الكاملة عنـــه في ص ٣ ج ١ « المخلاف السليماني » وانظر الخريطة

تَـيْهان ـ بفتح التاء المثناة وسكون الياء المثناة التحتية ، وفتح الهاء بعدها ألف فنون موحدة فوقيـــة : قرية جنوب قرية (الغراء) من أعمال (صبيا) .

تيهان ـ على اسم سابقه : قرية من قرى قبيلة (الخُرَّم)جنوب قرية الواصلي ـ من أعمال جازان .

حرف الثاء :

ثوابة ـ بفتح الثاء المثلثة : من أعمال جبل فيفا .

(للحديث صلة) : جازان : محمد بن أحمد العقيلي

- ٣ -

بناء الكعبة المعظمة

في البقعة المباركة من أرض مكة المكرمة رفع أبو الأنبياء إبراهيم وابنه اسماعيل – عليهما السلام – قواعد الكعبة أول بيت وضع للناس. وقد تناول المؤرخون موضوع كون البيت أقدم عهد من أيام إبراهيم ، وتناولوا أيضاً المناسبات التي أعيد فيها بناؤه وأسبابها . وننصح القارىء المستزيد بالاطلاع على تاريخ الكعبة للشيخ حسين باسلامة .

أما موضوع بحثنا هذا فلا يعدو كونه محاولة نرجو أن نوفق من خلال سطورها إلى تعيين العصر الذي تم فيه بناء الكعبة من قبل ابراهيم واسماعيل على هدى قوله تعالى : (وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) .

وحتى يمكننا تحديد ذلك العصر أو قريباً منه يتعين علينا أن نقتفي أثر ابراهيم – عليه السلام – وسوف نجد أن العصر الذي عاش فيه يعتبر إلى حد ما موضع خلاف بين المؤرخين ، فهناك من يقول أنه قدم إلى أرض مصر أثناء حكم الهيكسوس – العمالقة – وهذا أيضاً – أعني حكم الهيكسوس لمصر – موضع خلاف بين المؤرخين وعلماء الآثار من حيث تحديد بدء حكمهم ومدته.

فالمسعودي اقتصر على القول بأنه :(عندما اختلف حكام مصر طمع فيهم ملوك الأرض ، فسار اليهم من الشام ملك من ملوك العماليق يقال له الوليد بن

دومع ، فكانت له حروب بها وغلب على الملك فانقادوا اليه واستقام له الأمر ص ٣٥٨ جـ ١ « مروج الذهب »

وذكر اليعقوبي - ص ١٨٥ جـ ١ نحواً مما ذكره المسعودي .

وأورد أبو الفداء - ص ١٢٣ جـ ١ قوله : (وكان منهم فراعنة مصر).

ويرى الأستاذ محمد مبروك نافع ، أن ابراهيم قدم أرض مصر خلال حكم الهيكسوس في القرن العشرين لما قبل الميلاد—ص١٢٥ عصر «ما قبل الإسلام»

وعلق الدكتور أحمد شلبي على الرأي القائل بأن هجرة ابراهيم من (أور) إلى (فلسطين) قد تمت حوالي القرن العشرين ق. م. بقوله : (ان بعض الباحثين يرجح أن حدوث الهجرة كانت حوالي ١٧٥٠ ق. م.) « مقارنة الأديان » جـ ١ ص ٣٢ .

والمتتبع لتاريخ ابراهيم يعلم سلفاً أنه حينما قدم إلى أرض (كنعان — فلسطين) نزل إلى جوار الكنعانيين زمناً، وأنه بسبب الجدب والجفاف الذي اجتاح فلسطين شد رحاله إلى أرض مصر .

أما ما يختص بفترة حكم (الهيكسوس — العمالقة) لأرض مصر فهي في رأي الدكتور أحمد شلبي قد استمرت من سنة ٢٠٩٨ ق. م. إلى سنة ١٥٨٧ ق. م. — « مقارنة الأديان » جـ ١ ص ٢٩ —

وعند (جون ماريوث) انها بين (١٧٨٨ — ١٥٨٠ ق. م) : « تاريخ العالم » جـ ١ ص ٤٤٠ .

ويضع (وليام لانجر) — صاحب « الموسوعة التاريخية » — فترة حكمهم نحواً من الزمن الذي قال به (جون ماريوث): «موسوعة تاريخ العالم» جـ١ ص٤٨.

ويرى عالم الآثار المصري ، الدكتور أحمد فخري ، أن تاريخ نزول الهيكسوس أرض مصر وحكمهم لها كان ابتداء من (١٧٣٠ ق. م) وان حكمهم لم يدم أكثر من مائة وخمسين عاماً — : « دراسات في تاريخ الشرق القديم » ص ٤٠٠ .

أما الفريق الآخر من المؤرخين،فقد قال بعضهم : إن ابراهيم كان معاصراً للملك (أمرافيل الشنعاري) ، وقـــال آخرون : إنه كان معاصراً لحكم (حمورابي) : « العرب قبل الإسلام » لجرجي زيدان — ص ٥٧ —

وقالوا أيضاً أن اسم (امرافيل) يصعب تعيين صاحبه :« أبو الأنبياء » للعقاد ص ٧٠ .

ثم هم قالوا ان (امرافيل) و (حمورابي) شخصية واحدة — ص ٤٥٨ و ٤٥٩ « تاريخ العالم » جـ ١ ، ص ٦١ « أبو الأنبياء » ص ٥٧ — « العرب قبل الاسلام » جرجي زيدان .

هذا وقد عنى العقاد في كتابه:«أبو الأنبياء ابراهيم» بالرد على المتشككين في حقيقة وجود ابراهيم ، وفي حقيقة علاقته بمكة — البيت الحرام — وهو كتاب اقتضاه استقصاء ومناقشة كل ما ورد عن ابراهيم في كتب الأديان ، والتواريخ . وكذا متابعة نتائج البحوث والكشوف الأثرية التي تمت في بلاد ما بين النهرين ، وفلسطين ، ومصر ، والجزيرة العربية .. وقد انتهى في كتابه إلى أن وجود ابراهيم في عصر كعصر حمورابي ، وعلاقته بمكة ، حقيقة لا غرابة فيها ، ولا محل فيها لاختراع المخترعين — ص ١٨٥ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ — المرجع نفسه —

بقي علينا أن نتناول فترة حكم (حمورابي) ، وسنرى انها أيضاً موضع خلاف بين المؤرخين ، ومثل هذا الخلاف لا يحول دون استنتاج الحقيقة أو ترجيح ما يمكن الأخذ به حتى الآن .

وفي هذا يرى (لابورت) أن حمورابي تولى الملك عام (٢٠٠٣ ق. م).. ويرى (جمس هنري بوستند) أن تولي حمورابي لعرش الحكم كان في عام (١٩٤٨ ق. م) ويحدد (أولبرايت) عام (١٨٠٠ ق. م) بدءاً لفترة الحكم وينزل (مورتجات) بأول حكمـــه إلى عام (١٧٢٨ ق. م) — « إنتصار الحضارة » ص ١٨٧ .

ويرى الدكتور أحمد فخري أن فترة حكم حمورابي تؤرخ اليوم بـ (١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق. م) استناداً إلى أحد البحوث : « دراسات في تاريخ الشرق القديم » ص ٣٤ .

وفي اعتقادنا انه ما دام حكم حمورابي يؤرخ اليوم على نحو ما أورده عالم الآثار المصري الدكتور أحمد فخرى بـ ١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق .م – وفقاً لأحداث البحوث :

وما دام ان هذه الفترة توافق الرأي القائل بترجيح هجرة ابراهيم من بلدته (أور) إلى فلسطين حوالي ١٧٥٠ ق . م) : ثم هي أيضاً تأتي قريباً من الآراء القائلة بان فترة حكم الهكسوس كانت بين ١٧٨٨ – ٥٨٠ ق . م) أو ابتداء من ١٧٣٠ ق . م) ، حتى عام ١٥٨٧ ق . م) فان حمورابي لاشك قد عاصر حكم الهيكسوس :

وهكذا يمكننا حتى كتابة هذه السطور أن نأخذ بالآراء القائلة بان ابراهيم كان معاصراً لحمورابي، ونضع في اعتبارنا الفترة (١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق . م)..
وكذا الآراء القائلة أيضاً بان ابراهيم قدم أرض مصر أثناء حكم الهيكسوس ، ونضع في اعتبارنا (١٧٣٠ – ١٥٨٧ ق . م) ومن ثم علينا أن نسلك سبيلاً وسطا بين هاتين الفترتين ، لنتخذ من القرن السابع عشر ق . م ، تاريخاً للاحداث ذات العلاقة بهجرة ابراهيم إلى أرض مصر ، وزواجه من (هاجر) التي أهداها اليه فرعون مصر. ولكي يكون الابن اسماعيل قادراً على مساعدة أبيه في رفع قواعد البيت يجب ان يكون قد بلغ اشده على الأقل :

وقياساً على ما تقدم يمكننا أن نرد تاريخ رفع قواعد البيت إلى القرن السابع عشر ق . م .

– والله أعلم –

الرياض : حسن أحمد البهكلي

الأمثال العامية في نجد

- ٢ -

[راجع ص ١٨]

٢١ — شِفْ وَجه العَنزْ واحْلبْ لبنْ ..

أي : أنظر إلى وجه العنز وسوف تحلب منها لبناً بمقدار ما يتراى لك من منظرها : قلة وكثرة . يضرب في دلالة المنظر على الخبر .

وقد سبق في هذا المعنى في القسم الأول قولهم « شف حاله ، ولا تساله » وهم يخصصونه للآدميين ، وفي معنى المثل من الأمثال العربية القديمة قولهم : « إنّ الجواد عَيْنُه فُراره » [١] أي إن منظره يغنيك عن فُراره والفرار في اللغة هو الكشف عن أسنان الدابة لمعرفة ما مضى من عمرها. ومن الأمثال العربية القديمة في هذا المعنى أيضاً : « في وجه المال تعرف امرئه » [٢] يعني كثرته وزيادته .

٢٢ — « شِريكِكْ بالبضَاعة ما يغشكْ »

لأن منفعتكما ومضرّتكما في تلك البضاعة واحدة .

روي في هذا المعنى عن بعضهم انه قال : ان شريك المرء لا يغشه ولو كان عدواً له ، وانه لا ينبغي للعاقل أن يترك استشارة عدوه ذي الرأي فيما يشركه في نفعه وضره . [٣] وقال بعض الملوك لبعض العقلاء : متى تكون الثقة بالعدو حزماً ؟ قال : إذا شاورته في أمر هو لك وله [٤] .

---

(١) فصل المقال ص ٢٩٢ والآداب لابن شمس الخلافة،ص ١٥٤ وفرائد الخرائد ورقة ٥/١. والتمثيل والمحاضرة ورقة ١٢٠ / ١ وزهرة الأكم ورقة ٣٠ / ١ ومجمع الأمثال ج ١ ص ١٢ واللسان مادة : ف دد . ومعجم مقاييس اللغة ج ٤ ص ٤٣٩ ومعجم الأدباء ج ٦ ص ٥٠ .

(٢) فصل المقال بشرح أمثال أبي عبيد ص ٢٣٨ . ومجمع الأمثال ج ٢ ص ١٥ .

(٣) محاضرات الراغب ج ١ ص ١١ ،

(٤) الفخري في الآداب السلطانية ص ٤٢ .

٢٣ – « طويل الذّرَاعْ »

يقولون : فلان طويل الذراع ، يمدحونه بذلك اذا كان ذا باع طويل في اكتساب المال وانفاقه ، وهـــذا قديم للعرب ، قال أدهم بن ابي الزعراء الطائي : [١]

إذا قيل : من للمعضلات ؟ أجابه عظام اللُّهَى منا طوال السواعد

وقال جرير : [٢]

إذا عـد أيام المكارم فافتخر بآبائك الشم الطوال السواعد

٢٤ – « حَدِّرْ جبلْ وَلا تـْحدِّرْ طَبْعْ »

حدر : أمر من حَدَّرَ الشيء عندهم إذا أنزله من مكان عالٍ .

والمعنى : لأن تنزل جبلاً من الارض الى وهدة فيها – والمراد : تزيله من موضعه – أهون من أن تزيل طبع إنسان ، أي تغيره .

يضرب في غلبة الطبع على التطبع .

وهو قديم الأصل فقد ورد في الحديث : « إذا حدثت أن جبلاً زال عن مكانه فصدق ، وإذا حدثت أن رجلاً زال عن خلقه فلا تصدق .. رواه الامام أحمد عن أبي الدرداء .[٣]

ويروى : « إذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا ، وإذا سمعتم برجل زال عن خلقه فلا تصدقوا فإنه يصير الى ما جبل عليه .. »[٤]

وقد ورد في الشعر ما يقرب منه :[٥]

---

(١) المؤتلف والمختلف للأمدي ص ٣٠ .
(٢) ديوان جرير ص ١٧٧ .
(٣) كشف الخفاء ج ١ ص ٨٧ وتمييز الطيب من الخبيث ص ٥٨ .
(٤) الجامع الصغير ج ١ ص ٢٩ .
(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٩ ومحاضرات الراغب ج ١ ص ١٣٣ .

وكنت امرءاً لو شئت ان تبلغ المنى بلغت بـــأدنى غاية تستديمها
ولكن فطام النفس أثقل محملا من الصخرة الصماء حين ترومها

٢٥ – « حساب بَدُو .. »

أي كحساب البدو ، أي سكان البادية . جمع بدوى عندهم .

يضرب لايضاح الشيء بطريقة لا تستدعى تفكيراً لسهولتها . وأصله ان سكان البدو لأمّيتهم لا يعرفون القواعد الحسابية ، دائماً يحسبون بالمحسوسات كعد الحصى ، وعقد الأصابع ونحو ذلك . كما جاء في مثل قديم : « فلان أكرم من لَقط الحصى .. قال الجرجاني : أي أكرم العرب ، لأن العرب – يريد الأعراب – لاتحسن عقد الحساب ، فكانوا اذا عدد للحساب لقطوا لكل يوم حصاة فيقولون : لنا يوم كذا – من أيام العرب – وتلقط حصاة ، ولنا يوم كذا ، وتلقط حصاة أخرى ، وانشد للبعيث :

يَعزّ بنجد كل من لقط الحصى ويعلو رؤوس الناس عند المواسم[١]

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنه : إنا امة أمية لا نكتب ولا نحسب .. [٢] . ضمنه بعضهم هذا البيت من الغزل [٣] .

ومهفهف قبّلت أشنب ثغره وبلوغ ذاك الثغر ما لا يحسب
قال: احسب القبل التي قبلتني فاجبت : انا امة لا نحسب

٢٦ – حَيٍّ مِثْلُ ميّت ..

يضرب لمن لا نفع منه لذوي قرباه ، قال الشاعر [٤]

---

(١) الكنايات ص ١٢٥ .
(٢) الجامع الصغير ج ١ ص ١٠١ .
(٣) شذرات الذهب ج ٨ ص ١٩٠ .
(٤) جليس الأخبار ص ٦٦ .

رب حيٍّ كميّتٍ ليس فيه أمل يرتجى لنفع وضَرّ

وقال عدى بن الرقاع فيما يشبه لفظه :[1]

والحر يورث مجده أبناءه ويموت آخر وهو في الأحياء

٢٧ – الخَيْلُ تَشْرَبُ بالصَّفِيرْ ..

هذا من أمثال البادية ،

يضرب في اثر المداراة ، ولين القول ، وكثيراً ما يخصص لخادعة المرأة ، وملاطفتها . وهو قديم جاء في شعر لابي نواس : [2]

ولا تشرب بلا طرب ولهو فان الخيل تشرب بالصفير

٢٨ – خَاتَمٍ بِيَدِي ..

يقولون : فلان خاتم بيدي ، إذا كان طيعاً سهلاً لا تصدر منه مخالفة .

أصله مثل قديم ذكره ابن الطالقاني في الأمثال التي كانت تستعملها العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري بلفظ : (أطوع لي من خاتمي) .

ونقل ابن الوطواط من كلام الثعالبي : (ينبغي أن يكون الصديق لصديقه اسمع من خادم ، وأطوع من خاتم)[3] .

٢٩ – (دَامْها خَضْرَا مَا هَافَتْ)

الضمائر فيه لورقة الزرع الخضراء .

أي ما دام الزرع أخضر فانه لم يصب بالهيْف ، وهي ريح حارة تهب عليهم من ناحية الجنوب الغربي معروفة بهذا الاسم قديماً عند العرب ، وإذا هبت على القمح ونحوه في أواخر فصل الربيع ايبست اوراقه واماتته فيقولون عند ذاك : هاف الزرع ، أي أصابته الهيف .

---

(١) زهر الأكم ورقة ٨ ١/٤ .

(٢) ديوان ابي نواس ص ٦٧٨ .

(٣) « غرر الخصائص » ص ٢٦٩ .

يضرب المثل في النهي عن توقع البلاء قبل نزوله ، وانه ينبغي للانسان مادام سليما معافى من المصائب الا يحزن خوفاً من احتمال وقوعها في المستقبل .

وفي معناه من الشعر : [1]

فاغنم الايام ما الفيتها خضر المراعي .

٣٠ – الدّيَرْ تكبّرها اساميها ..

الدّيَر (بدال مشددة ساكنة ، ثم ياء مفتوحة فراء) جمع : دِيرة ، فهي البلد أو القرية ، أو مكان نزول القوم في البادية ، فصيحة ، ومعنى المثل : ان البلاد الصغيرة قد تكبر في اذهان من لا يعرفها بسبب اسمائها الكبيرة ، يضرب في أثر الاسم في تعظيم الشيء :

وفي هذا المعنى ورد قول البحتري : [2]

يَسُرك الشيء قد يسؤ ، وكم نوّه يوماً بخامل لقبُه

٣١ – (وَرّاهَ النّجُوم بالقَايْله)

أي : أراه النجوم في وقت القيولة ، ويقولون : (وَرّاه نجوم الظهر) ووراه النجوم في الظهر . والمرادُ جعله يري النجوم في وقت الظهر .

يضرب في شدة المشقة والتعب ، يراد انه لشدة ذلك اظلمت الدنيا في في عينيه ظهراً – وهو أشد أوقات النهار ضوءاً حتى رأى النجوم فيه كما يراها في الليل .

أصله المثل العربي القديم : (رأى الكواكب ظهراً) [3] ويروى (لأرينك

---

(١) جليس الاخيار ص ٨٥ .

(٢) التمثيل والمحاضرة من ٧٥/ ١ وعين الادب والسياسة ص ٢٦ .

(٣) الكامل للمبرد ج ١ ص ٤٠٢ ط : التجارية و ج ٢ ص ٦٥٣ ط ، الحلبي ، والعقد الفريد ج ٣ ص ١٢٠ ومجمع الأمثال ج ١ ص ٥٠٦ و ج ١ ص ٣١٤ و ج ١ ص ٣٠٦ وج٢ ص ٢٢٦ وجمهرة الأمثال ص ٥٣ وفرائد الخرائد للخوبيي ورقة ٤٣/ب والمستقصى ورقة ٤٨ وق ١٠٤ وق ٣٩ وثمار القلوب ص ٢٤٩ وشرح الحماسة للمرزوقي ص ١٥٩٨ والفاخر ص٩٢. وراجع الكنايات للجرجاني ص ١٠٥ وزهر الأكم للبوسي ورقة ٢٣٥/ب . وفصل المقال شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد ص ٣٦٧ .

الكواكب ظهر) قال طرفة ابن العبد :

إنْ تُنَوِّلْهُ فقد تَمْنَعُهُ وتُريهِ النَّجْمَ يمشي بالظُّهُرْ[1]

وقال النابغة الجعدي :

أرحنا معداً من شُراحيل بعدما أراهم مع الصبح الكواكب مظهرا[2]

وقال الفرزدق لخالد بن عبد الله القسري :

لعمري لقد سار ابن شيبة سيرة ارتك نجوم الليل مُظْهِرَةً تجري[3]

واستشهد له اليوسي بقول الأعشى :

رجعت بما رمت مستحسراً ترى للكواكب كَهراً وبيصا[4]

وقد أجمع شارحو المثل الفصيح أو كادوا على أنه مأخوذ من قصة يوم حليمة من أيام العرب، وهو اليوم الذى سار فيه المنذر بن المنذر بعرب العراق إلى الحارث الأعرج الغساني وهو الأكبر والحارث في عرب الشام فزعموا أنه ارتفع من الغبار ما غطى عين الشمس حتى ظهرت الكواكب !

وقد نقلوه وسكنوا عليه مع أن الغبار الذي يغطي عين الشمس يغطي النجوم حتما فلا ترى في النهار ولم أجد من نبه إلى ذلك إلا أبا عبيد البكري فقد حاول أن يبرر ذلك الزعم بأن الغبار في شدة الحرب قد تحمله الريح إلى جهة من جهات السماء ، والشمس مشرقة ، أو مغربة ، فترى النجوم في الجهة الأخرى [5]

ولكن المثل نفسه ينص على أن رؤية النجوم كانت ظهراً ، أي والشمس فوق الرؤوس وليست في الشرق أو الغرب .

---

(١) المراجع التي ذكرت قبل ومنها الكامل والفاخر وثمار القلوب والميداني ج ١ ص ٣٣٦ .
(٢) المستقصى ورقة ١٠٤
(٣) المستقصى والكامل وزهر الأكم عند ذكر المثل .
(٤) زهر الأكم ق ٢٣٥/ب . وكهراً : ضحى . وربيصا : لمعانا .
(٥) فصل المقال ص ٣٦٧ .

٣٢ – الشَّبابُ شِعْبةٌ من الجُنُونْ

هذا مثل قديم ذكره بلفظه ابن عبد ربه في «العقد الفريد»[١] بل ورد في حديث رواه أبو نعيم عن ابن مسعود والديلمي عن عبد الله بن عامر، والتيمي في ترغيبه عن زيد بن خالد الجهني كلهم مرفوعاً ولفظه : (الشباب شعبة من الجنون ، والنساء حبائل الشيطان) [٢] . كما ورد في وصية عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه دمشق قال : (وليكن جلساؤك غير اسنانك فان الشباب شعبة من الجنون) [٣] .

وقال العتبي :

قالت : عهدتك مجنونا ، نقلت لها إن الشباب جنون بُردُه الكبَرُ [٤]

وقال آخر :

ان شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يُعَاص كان جنونا [٥]

٣٣ – شَايِفٌ بنفسه شيّ ما شِيْفْ

شايف اسم فاعل من شاف الشيء، أي رآه ، وشيف: مبني للمجهول منه، والمعنى : انه يرى في نفسه من العظمة وجلال القدر ما لا يراه الناس .

يضرب للمتعاظم المغرور ، وهو معنى قول الشاعر :

ومن جهلت نفسه قدرهـــا رأى غيره فيه ما لا يرى [٦]

---

(١) ج ٣ ص ٧٩ وهو كذلك في الشهاب للقضاعي ورقة ٥ / ١ والكنز المدفون ص ٥٦ طبعة الحلبي .

(٢) كشف الخفاء ج ٢ ص ٤ وبنحو ذلك ذكره في تمييز الطيب من الخبيث ص ١١٢ الجامع الصغير ج ٢ صفحة ٤٢ .

(٣) البيان والتبيين ج ٢ صفحة ٤٢ .

(٤) الحيوان ج ٦ ص ٢٤٤ ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٤٢٠ والتمثيل والمحاضرة ص ١٠ ط الجوائب وورقة ٧٣ / ب المخطوطة والايجاز ص ٥٤ واللطائف ص ١٠٤ . ونهاية الأرب ج ٣ ص ٨٧ والمنتحل ص ١٧٦ .

(٥) الصناعتين ص ١٩٥ والحيوان ج ٣ ص ١٠٨

(٦) الآداب لابن شمس الخلافه ١٤١ والمحلاة ص ١٢٧ .

٣٤ – ُشبّ الشّيح ، وَلقّهِ الرّيْحْ ..

الشيح : شجر صحراوي معروف، وهو دقيق الاغصان، سريع الاشتعال وقولهم : لقه : هذا امر ، يريدون: اجعله ملاقياً للريح ، أي في مهب الريح.

والمعنى : أوقد النار في الشيح ، واجعله مواجهاً للريح ، وسوف ترى سرعة اشتعاله ، وعظم ناره . يضرب للشخص سريع الغضب ، شديده .

وأصله قديم عند العرب ، فقد جاء في شعر النمر بن تولب :

لقد غدوت بصُهبى وهي ملهبة الهابها كضرام النار في الشيح[١]

وصهبى : فرسه .

وقال الثعالبي :

أمـــا ترى الدهر وأيامه في العمر مثل النار في الشيح
يمر كالريح وما في يدي من مرّها شيء سوى الريح[٢]

٣٥ – « َشاهِرْ ، يا َظاهِرْ »

شاهر ، من الإشهار ، وظاهر ، من الظهور والبيان .

يضربونه للفعل يفعل علانية ، وبدون تستر . خاصة إذا كان لا ينبغي اظهاره . والعرب يقولون في معناه : « بين سمع الأرض وبصرها » [٣] .

٣٦ – َشيَّبْ به قَبْل الشَّبْب .

ويروي بلفظه : « شيب به قبل شيب الله به » .

والمراد : جعله يشيب قبل أوان الشيب .

يضرب : للأذى الشديد .

---

(١) الاغاني ج ١ ص ٢٤٠ .
(٢) خاص الخاص ص ٢٠ .
(٣) جمهرة الأمثال ص ٦٠ وما ذكرناه أحد الأقوال في تفسير هذا المثل القديم .

وهو قديم الأصل فقد جاء في هذا البيت الذي ذكره الشريشي :

وأنت الذي شيبتني قبل شيبتي وأوقدتَ لي ناراً بكل مكان[1]

٣٧ – « كَلاَبٍ ، عَليْها ثياب »

يضرب للقوم لاخير فيهم .

وأصل التعبير شائع قديم فقد صنف محمد بن خلف بن المزربان كتاباً سماه : «فضل الكلاب ، على كثير ممن لبس الثياب[2]». ومن كلام ابن عرب شاه في تقريظ الكلب [3] لا شك ان الكلب بالوفاء مشهور، وبحس الرعاية والحراسة مذكور ، وناهيك بفضل الكلاب ، على كثير ممن لبس الثياب . ومن الشعر :

أيها المبتلى بحب الكلاب لا يحب الكلاب غير الكلاب
لو تعريت وسطها كنت منها انما فقتها بلبس الثياب [4]

٣٨ – (كُوَيِّسْ ، ورِخَيِّصْ)

كويس : تصغير كيِّس ، أي (ظريف) والمراد به هنا : جيد ، أي هو رخيص وجيد ، يضر لما جمع مزايا كثيرة .

وهذا المثل مستعمل لدى العامة في مصر،[5] والشام[6] والعراق[7] بلفظ: (كويِّس ورخيِّص وابن ناس) .

---

(١) شرح المقامات ج ١ ص ١٠١ .
(٢) طبع في المطبعة السلفية بالقاهرة .
(٣) فاكهة الخلفاء ص ١٠١ ،
(٤) عيون الأخبار ج ١ ص٣٨ .
(٥) الأمثال العامية لأحمد تيمور ص ٤٣٨ .
(٦) الأمثال العامية اللبنانية لانيس فريحه ص ٥٥٠ .
(٧) مجموعة الكرملي (حرف الالف) : مخطوط .

٣٩ - (كَلْبٌ وَرَطْبٌ)

أي : هو كلب رطب ، والكلب نجس ولو لم يكن رطباً .

يضرب لشديد النجاسة ، ومن يكره قربه .

وأصله قديم فقد جاء في أمثال المولدين : (جاهه جاه كلب ممطور دخل الجامع .. [١] ومن الشعر ، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

كأن ريحهُمُ في الناس إذ برزوا ريح الكلاب إذا ما مسها المطر [٢]

وقال آخر :

يزداد لؤما على المديح كما يزداد نتن الكلاب بالمطر [٣]

وقال غيره :

حج اللئيم فَقَبُّحتْ أخلاقه وازداد ظلماً للعباد بما فعل

قد ظن ان الحج يغسل ذنبه والكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل [٤]

٤٠ - (صَاحِبٌ عَذَّارٌ)

يقولون : فلان صاحب عذار ، وبعضهم يقول : عذور ، وهو من قبول العذر .

يضرب لمن يرضى بقليل من صاحبه ، قال الشاعر :

ان قصّرتْ قُدرة عن حاجة عُهِدتْ

فاعذر فاكرم من صاحبت منْ عَذَرا [٥]

٤١ - المكاتبة نِصْف المواجهة :

أي ان المراسلة لها أثر يساوي أثر نصف المواجهة أي الملاقاة .

---

(١) التمثيل والمحاضرة ت ١٢٣ / ١ وفرائد الخرائد ق ٢٧ / ب .

(٢) ديوان حسان ص ٢٢٧ وديوان المعاني ج ١ ص ١٨٢

(٣) ديوان المعاني ج ١ ص ١٨٥ .

(٤) هداية الأمم صفحة ٤٦٧ .

(٥) جليس الاخيار صفحة ٣٨ .

يضرب في عظم أثر المكاتبة بين المحبين والأقارب .

وهو مثل موجود عند العامة في العراق بلفظ «المكتوب نصف الملاقاة»[1] وعند الشاميين بلفظ :(المكاتبة نصف المشاهدة) [2] .

بل لقد روى عن يحيى بن خالد البرمكي ابلغ من ذلك في أثر المكاتبة قال: (رسائل المرء في كتابه على مقدار عقله ، واصدق شاهد على معتقده فيك، من أضعاف ذلك على المشافهة .. [3]

٤٢ – (مَنْ تابْ تابَ الله عَلَيْهْ)

من : ينطقونها بكسر الميم وهي : من الشرطية بفتحها .

أصله في حديث الأفك في الصحيحين أن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها : ان كنتِ المتِ بذنب فاستغفري الله ، وتوبي اليه ، فان العبد إذا أستغفر ربه وتاب ، تاب الله عليه ..

ومن الشعر قول احدهم : [4]

وها أنا من ذنبي – الذي كان – تائب ومن تاب تمحو الذنبَ توبتُه تَحْوَا

٤٣ – (مَا لهْ ثمَنْ)

أي : لا يمكن ان يقدر بثمن .

يضرب للنفيس

وأصل التعبير قديم جاء في قول البستي :

بقية العمر عندي ما لها ثمن وان غدا خير محبوب من الثمن

يستدرك المرء فيها ما أفات ويحيى ما امات ويمحو السوء بالحسن

قال المحبي بعد ان ذكر البيتين : نظم فيهما قول عثمان رضي الله عنه :

---

١ – معجم امثال الموصل العامية ص : ٤٢٨ .

٢ – الامثال العامية اللبنانية ص : ٦٦٤ .

٣ – الوزراء والكتاب للجهشياري ص : ٢٠٠

٤ – جليس الاخبار : ص ٢١٤ .

بقية العمر ما لها ثمن ، يستدرك المرء فيها ما أفات ، ويحيى ما أمات [1] .

وقال بعضهم في فضل الصبر : [2]

ما أحسن الصبر في مواطنه والصبر في كل موطن حسن
حسبك من حسنه عواقبه عاقبة الصبر ما لها ثمن

٤٤ – (ما دَافَعَ الله أعْظَمْ)

يقال في تهوين شأن المصيبة .

وهو قديم رواه ابن ابي الدنيا من كلام سعيد بن المسيب [3]

وفي معناه من الشعر : [4]

واصبر إذا ما بليت يوماً فانما قد سلمت أكثر

٤٤ – (مَال البُخيل تَاكْلهْ العَيَّارهْ)

العيارة : جمع عَيّار ، وهو اللص أو المحتال ، وأصل العيار في اللغة كثير التطواف والحركة، ومن هنا اخذوا لفظ عيار للص وهي لفظة استعملتها العامة قديماً لهذا المعنى .

ومعنى المثل : مال البخيل يأكله اللصوص . وقد سبق في هذا المعنى في القسم الأول قولهم : (مال المحروم للظلمة) جمع ظالم .

وفي معناه قول ابن الهبارية :

قد كتب الله على الحريص أن يترك الأموال للصوص

ومن حكايات العرب الجاهليين في ذلك ، ما رووه عن قول عروة بن الورد أحد لصوص العرب المشهورين :

---

(١) ما يعول عليه ، في المضاف والمضاف اليه ورقة ٩٠ / ب .
(٢) غرر الخصائص ص ٢١٩ والحلاة ص ١١٣ .
(٣) كشف الخفاء ج ٢ ص ٢٨٧ .
(٤) جليس الأخبار ص ١٥٦ .

لعل ارتيادي في البلاد وبُغيتي وَشدّي حَيازيم المطيّة بالرّحيل
سيدفعني يوماً إلى رَبّ هَجمةٍ يدافع عنها بالعُقوق وبالبُخلِ

والهَجمةُ ، المائة من الابل ، قالوا : فقيّض الله صاحب مائة من الابل كان قد فر بها من حقوق قومه ، وذلك أول ما ابن الناس فقتله ، وأخذ إبله ، وامرأته ، (١)

٤٥ – (مَا مُرُوّه إلا بْصَبرْ)

مروه : مروءة سهلوا همزتها كعادتهم في تسهيل الهمز .

أي لا يمكن للمرء أن يقوم بعمل من أعمال المروءة والشهامة إلا إذا اصبر على بذل نفيس، أو تحمل مكروه ، وهذا في المعنى كقول السموأل في قصيدته المشهورة :

وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

وقال آخر : (٢)

ولم يتَسهّلْ للفتى دَرَكُ العلا إذا هو لم يصبر على المتَصَعّبِ

وقيل : (حمل المروة ثقيل) (٣)

٤٦ – (مَا أنْتَبْ مُوسَى كِليمَ الله)

أي : ما أنت بموسى نبي الله وكليمه فتكون مجاب الدعوة عند الله .

يقوله الرجل لمن دعا عليه بسوء مبيناً له عدم اكتراثه لدعائه ، لعدم ايمانه باجابته . ولم أجد له أصلا ، وإنما وجدت تمثيل ذلك بعيسى عليه السلام قال ابن تميم (٤)

---

(١) راجع الاغاني ج ٢ صفحة ١٨٦ – ١٨٨ والبن الناس أي ، أصابوا اللبن.
(٢) ديوان المعاني صفحة ١٣ .
(٣) الكنز المدفون صفحة ٨٥ .
(٤) طراز المجالس ص ١٤٦ .

فما أنت عيسى اذا ما دعا الى ربه تنزل المائـــدة

٤٧ – (المَشْغُولُ مَا يِشْغَلْ)

ظاهر المعنى ، وهو قديم الأصل فمن أمثال الولدين : أثقل ممن شغل مشغولا ، [١] وقيل : (من شغل مشغولا فقد اظهر ثقله) [٢]

٤٨ – (المُومِنُونْ حَلَوِيُّونْ)

هكذا ينطقونه بما يقرب من النطق الفصيح تقليداً لمن يكثر التمثل به من انصاف المتعلمين واشباههم ، يوردونه لفضل الحلو من الطعام والشراب .

وهو قديم الأصل روى أثراً بألفاظ مختلفة منها: (المؤمن حلوي والكافر خمري) و : (المؤمن حلو يحب الحلاوة) و(المؤمن حلو يحب الحلو) .. وقد زعم بعضهم ان له أصلا من المحدثين ولكن الحفاظ المحققين ومنهم الحافظ ابن حجر العسقلاني بينوا انه لا يصح شيء من الفاظه في الحديث ، وان كان يشهد لمعناه ما روي ان النبي ﷺ كان يحب الحلوى والعسل [٣]

وهناك حديث روى ولكنه موضوع ولفظـــه : قلب المؤمن حلو يحب الحلاوة [٤] .

٤٩ – (المَعيُوب رَادّ رُوحه)

المعيوب : المعيب ، وراد روحه ، أي : إن سبب رده إلى صاحبه موجود في ذاته ، ولا يحتاج إلى سبب آخر معه .

وهذا من أمثال الباعة والتجار ، يضرب في رد المعيب من السلع . وهو مأخوذ من القواعد الفقهية في رد المعيب .

---

(١) الميداني ج ١ ص ١٦٥ وفرائد الخرائد ورقة ٢٣ /ب .
(٢) الخلاة ص ١٠١ .
(٣) راجع كشف الخفاء ج ٢ ص ٩٩ و ٢٩٢ – ٢٩٣ .
(٤) تمييز الطيب من الخبيث ص ١٤٣ .

ومن الشعر قول ابن الوردي[1] :

من كان مردوداً بِعَيْبٍ فقد ردّتني الغِيدُ بعَيْبَيْنِ
الرأس واللحية شابا معاً عاقبني الدهر بِشَيْبَيْنِ

٥٠ – (مِنْ صَبرِه الزّمَانْ صُبَرْ)

من : ينطقونها بكسر الميم ، وهن من الشرطية بفتحها .

أي : من ألجأه الدهر إلى الصبر صبر لا محالة .

يضرب في النزول على حكم الظروف .

وفي معناه قال الشاعر[2] :

أيا عمرو لم أصبر ولي فيك حيلة ولكن دعاني اليأس منك إلى الصبر

وقال بشر بن المعتمر[3] :

حيلة من ليست له حيلة حسن عزاء النفس والصبر

وقال أبو العتاهية[4] :

ليس لما ليست له حيلة موجودة خير من الصبر

٥١ – (مَا وِلِد مْتعَلّمْ)

أي : لم يولد أحد من الناس متعلماً ، وإنما يكتسب العلم بعد ذلك .

يضرب في مدح التعلم على كل حال .

وهو قديم ، ورد في أثر رواه البيهقي في المدخل والعسكري في الأمثال عن أبي الأحوص أنه قال : « إن الرجل لا يولد عالماً ، وإنما العلم بالتعلم[5] » وروى مثلاً من الأمثال بلفظ : (إنما المرء لا يولد عالماً ، وإنما العلم بالتعلم[6])

---

(١) فوات لوفيات ، ج ٢ ص ١٤٧ طبع بولاق .
(٢) زهر الأكم لليوسي ورقة ٢٥٨ / ب
(٣) تذكرة ابن حمدون ص ١٢ .
(٤) تذكرة ابن حمدون ص ٢٢ .
(٥) كشف الخفاء ج ١ ص ١٣٦ .
(٦) عين الادب والسياسة ص ١٥ .

وقد ذكر الجاحظ مثلاً يشبهه بصيغة : (العلم بالتعليم) وقال : انه مثل سائر على وجه الدهر . [1]

ومن الشعر في معناه : [2]

تَعَلَّمْ فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل

٥٢ – (مِنْ تَعَشَّي تمشَّى)

٥٣ – (مِنْ تغدَّى ، تمدَّى)

من : في المثلين ينطقونها بكسر الميم : من الشرطية الفصيحة بفتحها .

ويريدون بكلمة (تمدى) تمدد ونام . وليست مستعملة بهذا اللفظ لهذا المعنى في غير هذا المثل ولعلهم جاؤوا بها لاجل السجعة .

ومعنى المثلين : من تعشى فليمش ، ومن تغدى فليتمدد في فراشه .

وقد جاء أصلها عند العرب وروى عن الحارث بن كلدة طبيب العرب قوله: (إذا تغدى أحدكم فلينم على غذائه، وإذا تعشى فليخط أربعين خطوة)[3] كما أن المثل موجود في أكثر البلاد وينطق في لبنان مثلاً بلفظ (تعشْ ، وتمش ، وتغد ، وتمد) [4]

٥٤ – (مَخرج الكَلامْ وَاحِدْ)

وبعضهم يلفظه : مطلع الكلام الخ ، أي : إن مخرج الكلام الطيب والرديء واحد وهو الفم ، يريدون : أنه ينبغي للمرء ألا يتكلم إلا بكلام حسن مهذب ما دام أنه لا يتكلف لذلك جهداً زائداً عما يبذله في إخراج الكلام الرديء .

وفي معناه من الشعر[5] :

---

(١) البيان والتبيين ج ٢ ص ٤٢ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٢١٦ وروضة العقلاء ص ٣٤ .

(٣) مختصر ربيع الابرار صفحة ١٢٤ .

(٤) الأمثال العامية اللبنانية ج ١ ص ٢٢٦ .

(٥) عين الأدب والسياسة ص ٢١٣ .

عوّد لسانك قول الحق تحظ به إن اللسان لما عودت معتاد
موكل بتقاضي مـا سننت له في الخير والشر فانظر كيف ترتاد

٥٥ – (مِنْ تَعِبَ ابُوهْ ، اسْتَرَاحْ وْلِدُهْ)

أي : إذا تعب الأب ، استراح الولد .

يضرب لمن ورث عن أبنائه ثروة جمعوها بالكد والتعب . وقد يضرب في الحث على الاعتناء بالثروة طلباً لراحة الأولاد .

وفي هذا المعنى قصة كسرى مع الشيخ الذي رآه يغرس فسيلاً لا يثمر إلا بعد مدة طويلة ، فسأله عن ذلك ، فقال : غرس آباؤنا فأكلنا ، ونغرس ليأكل أبناؤنا [١] . قال الشاعر [٢] :

لقد غرسوا حتى أكلنا ، وإننا لنغرسُ حتى يأكل الناس بعدنا

٥٦ – (مَا كِثرْ مِنْ شيّ سمجْ)

سمج : من السماجة ، أي أصبح سامجاً غير مقبول .

يضرب في ذم تجاوز الحد في الاكثار من الشي ولو كان محبوباً .

وفي هذا المعنى من الأمثال القديمة : (كل كثير عدو الطبيعة .. [٣] ، قال الشاعر مضمنا له : [٤]

فلا تفرَطنْ في جميع الأمور فكل كثير عدو الطبيعة

وقال كشاجم : [٥]

كثرت عليه فأملته وكل كثير عدو الطبيعة

---

(١) راجع لهذه القصة – مثلاً – اللطائف والظرائف ص ٣١ وفاكهة الخلفاء ص ١٧٣ .

(٢) فاكهة الخلفاء ص ١٧٣

(٣) يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٤٠ وفرائد الخرائد ورقة ٨/٧٩ واللطائف والظرائف ص ٤٠ وخاص الخاص ص ٦١ والآداب لابن شمس الخلافة : ص ٧١ . ومجمع الأمثال ج ٢ ص ١١٨ (للمولدين) .

(٤) الآداب ص ١٢١ ويتيمة الدهر ج ٤ ص ٣٦٢ .

(٥) مواسم الأدب ج ١ ص ١٠٧ وخاص الخاص ص ١٠٨ .

ومن شعر عُليَّةَ بنت المهدى : [1]

إني كثرتُ عليه في زيارته فَمَلَّ ، والشيء مملول إذا كثرا
ورابني منه أني لا أزال أرى في طرفه قِصراً عني إذا نظرا

٥٧ – (مُوَحِّشته ذنوبه)

يقولون : فلان موحشته ذنوبه ، أي أن ذنوبه واساآته إلى اصحابه قد جعلته يستوحش منهم ولا يواصلهم .

وفي هذا المعنى من الشعر : [2]

أمستوحشٌ أنت مما أسأت ؟ فأحسنْ إذا شئت واستأنس

وقول المتنبي :

إذا ساء فِعْلُ المرءساءتظنونه وَصدّق ما يعتاده من توَهُّم

٥٨ – (مَا لِلْبَرَاري والسَّعَةُ مثيلْ)

البراري : جمع برية .

يضرب في البعد عن المكان المكروه . وفي معناه يقول الشاعر :

ظُلمٌ لنفسك أن ترضى بمَسْكنةٍ في مسكن ، وبلادُ الله في سَعَةِ

٥٩ – (مَعْكنّ يَا خوَاتي)

أي : سأذهب معكن – يا اخواتي – إلى أي مكان تذهبن إليه .

يضرب للإمَّعَةِ الذي يتابع غيره على غير هدى .

والظاهر أنه مستوحى من المثل العربي القديم : (يا شاة أين تذهبين ؟ قالت : أَجزُ مع المجزوزين [3]) .

٦٠ – (مِنْ به رِيحْ ، مَا يِسْتريحْ)

أي : من كانت به ريح تؤذيه –والمراد : شيء يؤلمه– فإنه لا يستريح .

يضرب في عدم الاستهانة بالألم ، وهو شبيه بقول الراجز :

لكل ما يؤذي – وإن قل – ألم ما أطولَ الليلَ على من لم ينم

المدينة المنورة **محمد العبودي**

---

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٢٥ (بولاق) .

(٢) المنتحل ص ١٠٨ وحل العقال ورقة ٣٠ / ١ .

(٣) المستقصي ورقة ١٦٤ والميداني ج ٢ ص ٣٨٠ ، وفرائد الخرائد ورقة ١٠٣/١ .

المسجد الأقصى !!..

ماذا أرى في الكـوْنِ ؟ضَجّةَ ظالم ... وهُتافَ (مَجْنونٍ)،وفَرْحَةَ جاني!؟
وأنـينَ مَظلومٍ ، وآهَـةَ بَائس ... وتَوَجُّعَ الثُّكْلى ، على الفِتْيان ؟!
وجموعَ شَعْبٍ هائم فوقَ الثّرى ... يَشْكُو مِنَ الأعْدَاءِ والخِلاّن ؟!
وأرى بُنُودالعُرْبِ تُكْسَ هامُهـا ... وأرَى (يَهُودَ)تجولُ في الميدان ؟!
وأرى مقاييسَ العَدَالة حُطِّمَتْ ... فإذا بها نوعٌ من الهَـذَيان !!
وإذا بِنا من ذُلِّنـا ، وهَوَانِنا ... نَشْكُو من الطُّغيانِ ، لِلطُّغْيانِ !!

* * *

لا تَرْفَعِي علمَ الكَرَامةِ أُمَّتِي ... ودَعُوا إباءَكُمُ بَنِي قَحْطَان !!
ودَعُوا الحَيَاةَ فإنها ليْسَت لَكُم ... مَـا دُمتمُ تَرْضَونَ بالخذلان !!
مـا نالَ عِزَّ العَيْشِ أيُّ مُسَالم ... إلا بجَـدِّ السَّيْفِ و (الإيمانِ) !!
والحَقُّ مَرْهُـونٌ بِقُوَّةِ أهْـلِهِ ... لا يُبْتَغَى حَقٌّ بغَـيرِ سِنان!!

* * *

يَا طَيْبة الغَرّاءِ ، أنتِ حَبيبَةٌ ... في كُلِّ قَلْبٍ مُفْعَمِ الإحْسَانِ !!
إني رأيتُ هَوَاكِ أجمَـل قُرْبة ... فيكِ الهَوَى والدينُ يلتقيـان !!
المسجدُ (القُدْسِيُّ)هِيضَ جناحُهُ ... عَيْناهُ بَاكِيَتَانِ ، دَامِيَتَانِ !!
بَكَتِ المآذنُ فيهِ لمّا أبْصَرَت ... قَدَمَ (اليَهُود)على ثَرَى الأوْطَان!!
هَلاّ مَسَحْتِ دُمُوعَهُ ،وَجِرَاحَهُ ... فكِلاكُما في النُّور مُقْترنان ؟!

المدينة المنورة — **عبد العزيز القارىء**

رسالة إلى رفاق النور *

[بمناسبة الاقبال الهائل على مدرسة البنات ، التي افتتحت حديثاً في بلدة (مراة)(١)] .

العرب : بعث الأخ الكريم صاحب هذه الكلمة بها مع كتاب يفيض بطيب الشعور ، إلى رئيس التحرير ، فأجابه بكتاب جاء فيه :

(لا أريد أن أقابل ثناءك العطر على مجلتك العرب بأكثر من القول بأنها ما هي سوى أثر من آثار الطبقة المثقفة الواعية التي أنت من أفرادها ، وباستطاعة هذه الطبقـــة أن تكيف المجلة بالكيفية التي تمكنها من تحقيق غايتها في خدمة أمتنا وبلادنا ، وما حدث فيها من قصور أو ضعف فهو بلا شك يرجع إلى تلك الطبقة ، لأن أثري فيها لا يعدو أثر المبرز لما يقدم له ، حسب الطاقة التي يعتريها القصور والنقص ، شأن كل عمل فردي .

أما عن الكلمة المؤثرة حقاً ، والصادرة عن شعور عميق فقد أعجبت بها وبتصويرها القوي ، وإن كنت لا أسمي هذا النوع من الكلام المؤثر في النفس أبلغ التأثير ، لا أسميه شعراً ، لانني كما تعلم أعيش مكبلاً بما خلفه لنا سلفنا الكريم من علماء العرب ، الذين تعرف رأيهم في الشعر ، وتعرف الحدود التي حصروا الشعر داخلها ، ولو كنت ممن يرى أن الشعر هو الشعور وهو تعريف

---

* من ديوان : « قصائد مطوية » المخطوط .

(١) مراة ، من قرى نجد القديمة في اقليم الوشم ، ذكرت « معجم البلدان » وغيره ، ومنها الشاعر المرثي الذي كان يهاجي ذا الرمة .

لغوي شامل ، لرأيت تلك القطعة التي بعثت بها إلي بلغت حداً من القوة تضفي عليها صفة الشعر ، واسمح لي صراحتي هذه).

تحيّتي :

إلى رفاقِ النـُّور ..

صُحبَتي ..

في القرية ..

أولئك الذين آمنوا بالعلم .

بالبعث الجديد ..

للفتاة . والفَتى ..

من إسار الظـُّلـْمة ..

أولئك الذين طَهَّروا بالشمس ..

دورَهم ..

(. . . . .)

مسقوفة السَّماء ..

(. . . . .)

وعقموا أفكارهم :

من نسيج العنكبوت ..

قالوا :

لن نعُودَ للجهالة .

وأقسموا الايمان :

أنَّ الوأد جُرمٌ

يَستحِق صانعوه : لعنة الإله ..

والأجْيَالْ ..

والحَيَاة ..

بِقَسْوَة !
يا رُفقَتي ..
يا عُصْبَة الوَعْي المُقَدَّس الخَلاَّق –
بالحقّ المُقَدَّسْ .
بالعلم – إخوَتي – !
بالوَعْي ..!
للفَتاةِ .. والفَتى !!
نُقيمُ أقوَى دَوْلة .
وبالنِّضَال ، في سبيلِ المَشْرُوع ..
بالتكريسْ ..
والإبْدَاع ..
بالثَّقافةْ !!
بفَتْحِنا الجَدِيدْ !!
بوَعْينا الجَدِيدْ !
نعُودُ أسمى أُمَّة .!
جَلَّ الصباح هذا ..
بل تقدّسا !!
يا رفقَة النّور المشعّ ..
كم صلّت له روحي !!
وأنفدت – أحمالها –
من الضراعة ..
لقد فُجعت قبلكم يا صُحبَتي :
– في والديّ ..
– في أختيّ ..

وفي حبيبتي ..
وأجهز الوحش المسمّى « الجهل » .
بنابه .. وظفره ..
على أشلاء .. رفقتي ..!
لم يرع ودي ..
لم يرحم القلب الذي يدق ..
بالحبّ الكبير ..
لعصبة الطّفولة ..

* * *

يا إخْوَتِيْ !!
ـ أُعِيذُكم ـ !
أن تُغَطُّوا (نَبْرَكُمْ)[1]
أو تُوْصِدُوا كُواكم
أو (الدريشة)[2] !؟
غير الصباح هذا
لنْ تُنِيرَ الصُّفَّةْ !
بغَيْرِ هَذِي الشَّمْسْ ..
لن تطّهرُوا مطلقاً .
من العفونة .!

مكة ـ كلية التربية **حمد الزيد**

---

(١) النبر : الكوة في السقف منها يتخلل النور إلى المنزل ، والكلمة نجدية .
(٢) الدريشة : النافذة (وهي فارسية) .

فصول لم تنشر من كتاب :

حج إلى نجد مهد العرب

(الفصل الرابع)

« رغم أن الصخور ترمى جزافاً ، تشمخ الراسيات سودا وتمتد سود الضفاف . »
سكوت

٢٢ ديسمبر : —

صقيع أبيض ، وانطلاق في السابعة والنصف، أرسل حسين رجلين معنا، أسعد ، كبير أعوانه ، وآخر ، ومعنا أيضاً رسالتان منه لعلي الكريشة El - Kresheh ، وشيخ كاف .

عندما ابتعد ركبنا كان محمداً مزهُوّاً جداً بنجاح هذه الزيارة ، ونسب إلى كل شيء حسن قاله حسين عنا . لقد رأى حسين « فرنجاً » آخرين ، ولكنه لم ير أحداً يفهم « شغل العرب » ، كما نفهم لقد جاءوا بصحبة حرس لمشاهدة الخرائب ، ولكنا جئنا لنراه هو ، وقال محمد : « آه ، إنهم الآن جالسون يحتسون القهوة ، ويتحدثوا عنـــا ، إنهم يقولون — بعضهم لبعض — : إن البك وأنا اخوان ، وإننا نسافر معاً ، وهذا صحيح ، بحثاً عن أقرباء ، ولكسب أصدقاء في جميع الأرض ، لا شيء أصيلاً كالسفر وكسب الأصدقاء . كان في ما مضى من الأزمان رجل عجوز ، كان له ولد ، ولكنه لم يكن يملك إلا قليلاً من المال ، وحينما قرب أجله استدعى ولده وقال له : « يا ولدي ، أنا على وشك الموت ، وليس لدي شيء نافع أخلفه لك سوى النصيحة ، ونصيحتي هي هذه : ابْنِ لنفسك منزلاً في كل مكان في العالم » . وتعجب الولد ، الذي كان طفلاً لا يفهم ، كيف يحقق هذا ،

وهو يدرك أن لا مال له ليبني به المنازل ، فخرج في سفر ، بحثاً عن رجل حكيم ، يستطيع أن يفسر له كلمات أبيه الأخيرة . واستمر في سفره سنين كثيرة ، وكسب أصدقاء في كل مدينة ، وأخيراً وجد الرجل الحكيم الذي أخبره أنه قد فعل ما أمره به أبوه ، إذ قال له : « لأن لك أصدقاء في كل مكان ، أوَ ليسَ منزل صديقك منزلك ؟ »

ونحن أيضاً كانت معنويتنا عالية ، فكل شيء بدا الآن يسير في الطريق الصحيح . كان سبيلنا يمتد تقريباً جنوب الطريق المؤدية إلى الأزرق ، وقد مررنا بعدد من القرى الخربة وبعض الأرض المزروعة . وبين وقت وآخر كنا نسقط زمراً من القطا ، الذي كان مشغولاً يتغذى ببذور « الزبوني » ، وهو نوع من الحسك ينمو بكثرة على الأرض المتروكة غير مزروعة لاراحتها. أصاب ولفرد ثمانيا منها بطلقة واحدة ، وفي إحدى القرى اشترينا عشر حَجلات من رجـــل كان قد خرج ببندقية ذات فتيل ، وهكذا أصبحت مؤونتنا من اللحم وافرة بحيث تكفي ليومين .

اصطحب أسعد معه كلباً سلوقياً لطيفا ، من الفضيلة ذات الشعر الطويل ، وله حاسة شم عجيبة للصيد .

ويصرح سيده أنه يرى الطيور ، لأن العرب فيما يبدو لا يفهمون نظرية حاسة الشم .

بعد ساعتين من السير المعتدل ، توقفنا في قرية تسمى (ميتم Metém)، وفيها أصدقاء لأسعد ، وكنا ملزمين بأن نمر خلال مراسم شرب القهوة ، ونخسر وقتاً كبيراً . ثم ثار نقاش جديد حول طريقنا ، فقد وصل في الحال شخص من الأزرق،وأعلن أن السرحان مخيمون هناك،وكنا نعلم أن السرحان على وفاق مع حسين الأطرش .

ورفض أسعد ، ورفيقة سليمان بالتالي ، السير في تلك الطريق ، وكان من رأيهما قضاء الليل في (متيم Metém ؟) للتفكير في الأمر ؛ ولكن هذا لم نكن لنصغي له . كنا مصممين على أن نذهب إلى أي مكان ، وإن لم يكن

الأزرق فإلى (كاف) عن طريق مسلك آخر . اقترح أحـــد الأشخاص (الكريشة El Kereysheh) ، الذين يقال إنهم في وادي (الراجل ؟) واقترح آخرون (السردية) ، الذين كان مخيمهم على بعد مسيرة يوم إلى الشرق . وكان من الصعب أن نبُتّ ؛ لكن عند بئر القرية بينما كنا نروي دوابنا قابلنا رجلاً وزوجته،أخبرانا أنها يعرفان أين نجد السردية Sirdieh ؟) وكانا هما في طريقهما للانضمام إليهم . وهكذا وصلنا بهذا إلى قرار ، فصممنا على السردية . ان السردية اصدقاء لحسين ، ولم يبد دليلانا الدرزيان اعتراضاً على الذهاب في ذلك الاتجاه ؛ وأعلن عواد الشَّمَّريُّ أيضاً أن ذلك أمر لا اعتراض عليه . وعلى هذا تركنا طريق الأزرق،متجهين إلى الشرق، وسرعان ما وجدنا أنفسنا خارج نطاق الأرض العامرة . (ميتم Metém ؟) هي آخر قرية سنراها ، والصحراء أمامنا الآن ، على طول الطريق إلى نجد .

نحن مخيمون في طرف هضبة ، ومنها يبدو منظر السهل والجبل متسعاً ، وقد انشغل ولفرد برسم خريطة تقريبية للمعالم المختلفة ، فقد تفيدنا في الغد إذا ضللنا طريقنا ، والرجل والمرأة اللذان قابلناهما عند البئر معنا ، وهما يعرفان مختلف البقاع بأسمائها . ويعلن عواد أيضاً أنه يعرف كل جزء من الصحراء بين هذا المكان وبين (كاف) وأشار إلى تل ، في أقصى الجنوب الشرقي ، تقع فيما وراءه .

إن الدروز ، كأهل المدن ، يصبحون عصبي المزاج عند رؤية الصحراء ، وهم غاضبون علينا لنزولنا بعيداً عن القرى ومضارب الخيام ، إن مخيمنا متوار عن الأنظار في فوهة بركان خامد قديم ، وهو مكان يحمينا أيضاً من الرياح،الشديدة البرودة.وأسفل منا مباشرة يوجد نبع يسمى (عين الغيور؟) وقد كان — كما يروي الدروز — مسرحاً لمعركة كبيرة خاضها الغزاة العرب الأوائل ، ودحروا فيها المسيحيين ، وفي ذلك الزمان كانت كل البلاد التي مررنا فيها — وربما الأرض الوعرة التي أمامنا — عامرة بالسكان . وهناك تل فوقه دير خرب ، غير بعيد في الشمال الغربي ، لا يزال يعرف باسم الدير .

ويوجد كلأ جيد ، « رُوثة »[1] ، لم تفتأ الجمال تستفيد منه أقصى ما يمكنها الإفادة . وتناولنا نحن أيضاً طعامنا ، وكل شيء هادىء الآن ، والسماء مُلأى بالنجوم . إننا قاعدون على طرف البركان الخامد نتحدث بإسهاب عن خطط الغد . من الواضح الآن أن السردية عند خَبراء أو بركة ، تسمى الشبُّوطية ، وفي مقدرتنا أن نراهـــا قبل مغيب الشمس ، كخط أصفر بعيد في الشمال الشرقي ، وفي نقطة بعيدة جداً وخارجة عن طريقنا . وعواد يفضل أن نذهب رأساً إلى (كاف) مخاطرين في مقابلة أيّ من العرب . إن الكريشة في مكان ما أمامنا ، وكذلك ، كما يقولون ، ابن معجل ، عقيد الرولة ، الذي قابلناه في العام الماضي . وعلى أية حال ، يجب أن نتزود بقدر كبير من الماء ، ونرحل مع تباشير الفجر الأولى .

٢٣ ديسمبر :

ما أن لاح نور الصباح حتى صعدنا إلى قمة فوهة البركان الخامد وألقينا نظرة على السهل . كان منظراً عجيباً بتلاله الوعرة، ووديانه الغريبة ، الممتدة في غير نظام ، كله أسود بصخور بركانية ، ويبدو أكثر سواداً تجاه سماء الصباح الصفراء . يوجد دائماً شيء ما غامض يتعلق بالسهل العظيم ، ولا سيما سهل كهذا ، لم يطأه الأوربيون ، في مبلغ علمي ، ولا يعرف الحورانيُّون أيضاً عنه إلا القليل . ويبدو ، بالإضافة إلى ذلك ، أنه كان له تاريخ ، ولو لم يكن إلا في أيام (عوج) ملك (باسان) لم يكن ما أتى بنا إلى هناك أن نتفرج على المنظر أو أي سبب(رومنتكي) وإنما لنتفحص الأرض الواقعة أمامنا ، ولنرى إذا كنا نستطيع أن نكتشف آثار مخيمات للعرب . وبعد أن أمعنا النظر في ما حولنا ، اكتشفنا أخيراً عموداً رفيعاً من الدخان إلى الشمال الشرقي ، على بعـــد عشرة أو اثني عشر ميلاً ، وآخر إلى الشرق تقريباً . لا بد أن الأول صاعد من مضارب السردية ، والثاني من مضارب

---

(١) من أجود أنواع الكلأ للابل ، ومما يتفكه به أن بدوياً من قبيلة الرولة ، سمع رجلاً يتحدث عن الجنة ، وما أعد الله فيها من صنوف اللذات . فأعجبه ذلك وقال : يا حبيبي : في الجنه روثة ؟!

الكريشة . اكتفينا بهذا فعدنا إلى جماعتنا ، التي كانت تعد الجمال للتحرك ، وعند بزوغ الفجر بدأنا السير .

ظللنا نتعثر طول اليوم بين صخور الحرة ، مقتفين مسلكاً يتسع للجمال لتواصل سيرها فقط ، ودرنا دورة عظيمة لنجد أنفسنا أخيرا على مسافة أثني عشر ميلاً فقط من حيث ابتدأنا . رافقنا في البداية معاريفنا الجدد ، الذاهبين إلى (السردية sirdieh) ، إلا أننـــا عندما وصلنا إلى سفوح الجبال وجدناهم يتجهون إلى الشمال ، فودعناهم وذلك ما أثار استياءاً شديداً لدى الدروز ، الذين لم يعجبهم أبداً سعينا الحثيث بحثاً عن الكريشة وأقل من ذلك فكرة الذهاب رأساً إلى كاف . وعندما وجدوا اننا لم نكن لنصغي لأية حجة ، أطاعوا ، ويجب أن أقول ، بروح طيبة : إن جانباً من جوانب السحر العظيم في الشخصية العربية هو أنها لا تحمل ضغينة ، حتى في المسائل التافهة . والعبوس أمر نادر فيهم . كان الذهاب إلى (كاف) رأساً ، مسألة لا محل لها ، لأن الحرة مكان لا يصلح السير فيه ، لا بالنسبة للجمال فحسب بل للخيل ، بسبب (الرجمات) التي لا تترك إلا ممراً ضيقاً . سرنا في قفر موحش قارس ، لأن ريحاً باردة هبت في وجوهنا وفيها لفحة شتوية أكيدة . وعلى أية حال فإن هذه الأرض لا بد أن تكون فرناً في الشتاء بصخورها السوداء الصقيلة وقد لاحظت أن تأثير العوامل الجوية عليها كان منتظما ؛ فأحد جوانبها ، وهو ذلك المتجه نحو الشمال ، أغبر يخالطه نوع من الحزاز ، حتى إذا تجاوزناها بدا لونها يتغير باستمرار . كانت هناك دلالة صغيرة على وجود الحياة في هذا الاقليم ، طيور صغيرة فقط ، ولا أثر لقاطنين أو عابرين مرُّوا حديثاً . وتسير المسالك في بطون الأودية ، ثم تستمر في التعرج بدون هدف أو اتجاه محددين . بدت كممرات نشأت عند مرور اغنام أو جمال ، إلا أن الصخور كانت كبيرة إلى حدٍ بدا مستحيلاً أن مجرد مرور حيوانات يستطيع أن يحدث ذلك أبداً، وعلى وجه الاجمال أظن أنها لا بد أن تكون صناعية ، أحدثها الرعاة من أجل قطعانهم ، في أزمنة موغلة في القدم . وفي الربيع كما أخبرنا تصبح هذه الحرة بكاملها أرضاً ممتازة للرعي. ومن الغريب

أن توجد هنا وهناك في التجاويف بقعة خالية من الأحجار يستقر فيها الماء بعد المطر ، مكوناً بركة . لمـــاذا لا توجد هناك حجارة ؟ إن التربة صلصال جاف ذو سطح صقيل جداً ، تقسمه شروخ إلى مربعات منتظمة ، وتبلغ شدة الصقل حدا يعطي السطح مظهر الماء حتى عن قرب ، ويعكس نور السماء . وهذه بلا ريب ، هي الطريقة التي تتكون بها بعض آثار السراب الغريبة في الصحراء ، لأن من الملاحظ أن معظم الأوهام الكاملة تحدث في الأماكن التي يتوقع المرء طبيعياً أن يجد فيها الماء — أي حيث كان الماء .

في الساعة السابعة والنصف ، أتينا فجأة على قطعـة مستوية من أرض مفتوحة ، ظنناها لأول وهلة واحدة من هذه الخَبراوات[1]، ولكنا وجدناها جزءاً من واد طويل يجري شمالاً وجنوباً ، وفي وسطه مجرى للماء واضح ، وفيه أيكاتٌ من نبات الطرفاء ، وبقع من الحشيش الحديث النُّمو ، مما يدل على أن الماء جرى فيه منذ مدة ليست طويلة ، وعرف كل من عواد والدروز هذا المكان بأنه وادي (الراجل؟) حيث عُلم أن الكريشة كانوا مخيمين ، وكان السؤال الوحيد هو : هل نتجه إلى أعلى الوادي أو إلى أسفله ؟ . وعلى أية حال ، فبينما كنا نتناقش ، ظهر للعيان قطيع من الأغنام ، وعلى التَّو ظهر غلام ، أخبرنا أنه من السردية ، إلا أن الكريشة كانوا على بعد ساعتين فقط في أسفل الوادي . وكان هذا مناسباً لنا تماماً ، لأنه كان على وجه الدقة في الاتجاه الصحيح بالنسبة لنا ، ونحن الآن في مخيم علي الكريشة ، وقام بواجب الضيافة نحونا — في غياب الشيخ — شابٌّ من أقربائه . إن عليّاً في المزيريب وبصحبته خمسون فارساً لحراسة الجردة في الطريق إلى معان .

استمتعنا هذه الليلة ببعض الغناء ، وبعزف الرباب . ومن الأغاني التي سَرَّنا أن نميزها ، أغنية شمرية قديمة من نوع (البالاد Ballade)[2] عن عبد الكريم والرجل الذي لا مُهْرَ له .

---

(١) جمع خبراء وهي الأرض تمسك ماء المطر وقتاً طويلاً (مستنقع مـاء) .

(٢) علق صديقنا الاستاذ Gerd - Rudigerpuin من المانيا — على هذه الكلمة التي ورد ذكرها (ص ٧٥ من هذا المجلد — قائلاً : إن ترجمة كلمة Balled بقصة شعرية غنائية قديمة ، تدل على أن المترجم رجع إلى القاموس دون أن يلاحظ الحل البسيط ، لا يقصد بكلمة Balled إلا قصيدة نبطية (عامية) إذ الكلمة هي أقرب معنى لكلمة (قصيدة) .

٢٤ ديسمبر :

ينتمي أصل الكريشة ، الذين نحن الآن في مخيمهم ، إلى بني صخر ، وهي قبيلة كبيرة ، ولكنها لا تميل كثيراً إلى الحرب ، وتحتل كل المنطقة من طريق الحج شرقاً ، حتى أقصى طرف الحرة ، وكلها فلاة من الصخور . وهم يقولون إنهم لهذا السبب استحقوا إسم بني صخر ، وإنهم ليؤكدون لنا أنهم قد عاشوا في الحرة « من زمان » ، ويقولون إنهم لا يأتون من نجد ، مثل عَنزَة ، بل هم شماليون ، من عرب الشمال . أخبرونا عن أسماء عشرة أقسام تشعبت إليها قبيلة بني صخر ، ولكل قسم شيخه الخاص به ، ولو أن كل شيخ يخضع اسمياً لفندي الفائز ، أو بالأحرى لابنه سطّام ، لأن فندي كبير السن ، وقد هجر ممارسة السلطة . ومن المحتمل أن هذه الأقسام ليست أكثر من مجموعات من القبيلة ، فأسماؤها هي أسماء شيوخها ، والاسم الرئيسي هو سطام S'ottam) ويليه الكريشة Kreysheh ، ثم يليه دريب بن زبـــد Zebbed . وللكريشة إبل وأغنام ، ويبدون موسرين نوعاً ما ؛ ولكنهم لا يملكون عدداً كبيراً من الخيل ، وما لديهم ليس من أحسن الأنواع . ويقتنون صقوراً وكِلاباً سلوقية .

زودنا باخبار عن الرّولة . فابن معجل ، الذي قابلناه في العام عند سطام ابن شعلان ، وأخذ جانبا في مفاوضات السلام مع السّبعة Sabaa قد انفصل الآن عن سطام ، وهو الآن في مكان ما ، بجوار الجوف ، ولذلك ، ربما نقابله ؛ بينما عاد سطام متجهاً إلى الشمال ليهاجم ولد علي.والكريشةKreyshe أصدقاء لابن معجل ، ولكنهم في حرب مع سطام ، وهذا مثل آخر غريب لتقلبات السياسة البدوية ، حقاً ، إنها المتغيرة مثل السحب في السماء ، وهي تتبدل تبدلاً سريعاً ، إلى حد أنها سجلت في تاريخ الصحراء لشملت حوادث عشر سنوات قدر حوادث قرن في أوربا .

وبينما كانت المفاوضات تدور حول الترتيبات المتعلقة بسيرنا ، ذهبت لزيارة زوجات علي الكريشة kreysheh . وتوجـــد اثنتان منهن (حسناً hazan) و (فصال Fassal ؟) ولكنني لم أر إلا الأخيرة ، التي استأثرت

بخيمة النساء مع تابعاتها وثلاثة أطفال ، غلامين صغيرين وفتاة ، تبدو عليهم القذارة بوضوح ، ويعانون من عيون رمداء (وهو أمر نادر بين البدو) . كانت (فصال) بسيطة وغير مثيرة للاهتمام ولكنها مدركة ، وأجرؤ على القول إنها تحظى بميزة على حسناء المسكينة ، التي لم تنجب أطفالاً . أخبرتني أنها من بطن من القبيلة من الشمال ، وأبدت اهتماماً بدمشق ، سائلة عن الوالي الجديد، وعن محمد بن سمير،الذي له اسم كبير فيهذه الأرجاء. بدت مسرورة جداً بصندوق أقراص السكر الذي أعطيته اياها ، وعندما انصرفت تابعتني حتى نهاية أوتاد الخيمة وهي تستمطر البركات على رأسي .

وجدت خيامنا قد قوضت ، وكل شيء قد أُعِدَّ للرحيل ؛ فقد اتّفق مع الشاب الذي يمثل مضيفنا بأن نصطحب « زَلماً » حتى (كاف) مقابل مبلغ عشرة مجيديات (أربعين شلناً) . وكان أسعد وسلمان ينطقان بكلمة الوداع ، إذ كان عليهما أن يعودا إلى (ملاخ Melakh) سَعُدا جداً بنيل كل واحد منهما جنيهاً تركياً ، وترك أسعد لنـــا كلبه السلوقي ، ذا اللونين الأسود والأحمر القاتم ، الذي عوى عُواءً حزيناً حين وَلّى سَيِّده . وإني لأحب الكلب من أجل هذا السبب .

لما تركنا مخيم الكريشة هبت ريح قاسية من الجهة الغربية الجنوبية ، واستمرت طول اليوم ، وكانت برودتها تنفذ إلى العظام ، بالرغم من كل الفراء والعباءات التي قدرنا على ارتدائها . وتمتد طريقنـــا عبرها تقريباً في اتجاه الجنوب ، بجنوب شرق . نحن الآن خارج منطقة التلال في سهل مستو تقريباً تكسوه الحجارة السوداء أيضاً . لم يتغير المشهد طول اليوم سوى مرة واحدة عندما أتينا على خَبراء كبيرة (خَبراء الجرذي Khabra - el - Gurrthi) ، وهي مسطح موحش من الصلصال الجاف والرمل ، عبرناه في ساعتين ، رغم أننا سرنا بأقصى ما تسمح به اتساع خطوات الجمال . دفعت الريح عبره سحائب عظيمة من الرمال ، جعلته من أكْئَبِ الأماكن التي شاهدتها . كنا غير مكترثين للحديث الكثير أبداً ، فجلسنا منكمشين فوق ذلنا ، مولّين ظهورنا للريح ، مُلفِّعِينَ رؤوسنا بعباءاتنا . لم نقابل أحداً طول النهار ،

سوى قطارٍ مكون من اثني عشر جملاً ، يسوقه اثنان من العرب . شرساً المنظر ، أخبرانا أنهما من (الشرارات) ، ولا شيء حيّاً سوى أرنب بري انتصب بين الصخور ، فطاردته الكلاب مسافة بضع مئات من الياردات ، فوق أرض كان من الممكن أن يكسر فيها كل عظم من عظام أي كلب سلوقي انكليزي ، ومن الواضح أنها لم تصب نفسها بأي أذى .

حوالي الساعة الثانية أتينا — وللفرحة العظيمة — على وادي (الراجل؟) مرة أخرى ، وهو منحني كناقد اختصرنا متابعة السير فيه . وجدنا هنا أرضاً جميلة ناعمة ، وحشيشاً وبرك ماء [1] ، لأن هذا الوادي قد سال فيه الماء في الشهر الأخير ، ولم يغُر بعد تماماً . كان المرعى طيباً جداً إلى حد يغري بالبقاء ، ولذلك فسنمكث الليلة هاهنا. وفي اللحظة التي كنا فيها ننزل الأحمال أطل فريق صغير من الغزلان ، على طرف الوادي ، ربما أتى بحثاً عن الماء ، فانطلق محمد في الطراد ببندقية من طراز « وينسستر » سمعناه يطلق الاثنتي عشرة طلقة جميعها واحدة بعد الأخرى ، ولكنه عاد خالي اليدين . خيمتنا منصوبة في حمى واقٍ من الرياح مكون من حائط خشن من الحجارة السائبة ، كتلك التي ينصبها الرعاة مأوى لقطعانهم . ما تزال الريح تهب عاصفة، وإنها لليلة باردة كما يجب أن تكون ليلة عيد الميلاد لكن (حنّا) قد صنع لنا طبق (كاري) فاخراً ، يكون — مع المرق والبرغل وعصيدة من الخوخ المحفوظ — عشاءً ليس رديئاً ، بينما ميز عبد الله نفسه بصنع الخبز ، وعواد بحمص البنّ .

الخميس ٢٥ ديسمبر :

يوم عيد الميلاد . ها نحن أخيرا خارج الحرة ، وفي أرض مكشوفة . لقد أصبحت تلك البيداء السوداء مثل كابوس ، بما فيها من صخور رهيبة ، ودروب صغيرة ملتوية تحول دون قطع الجمال أكثر من حوالي ميلين في الساعة. أما الآن ففي مقدورنا أن نندفع بسرعة ثلاثة ، أو ثلاثة أميال وربع ميل .

---

(١) لعلها تعني خبروات ، وهي المستنقعات الطبيعية ، أما البرك فصناعية .

بعد سير متعثر في قلب الوادي نصف ساعة ، أتينا إلى برك [1] رائعة في شق صخرة ضيق ، حيث توقفنا للتزود بالماء . لقد كنا جد محظوظين أن نجد وادي (الراجل) فائضاً في موسم كهذا . إن المطر الذي ملأه لا بد أنه كان انهماراً منفرداً على المنحدر الشرقي لجبل حوران ، إذ لم تسقط قطرة واحدة في أي مكان آخر ؛ ولا يوجد حشيش شتوي إلا على طول حافته فقط . إنه يجف بسرعة ، أو بالأحرى يُمتصُّ ، والخضرة القليلة تكاد تكون قد قرضت إلى الجذور . وللماء في البرك [1] الصغرى نكهة بينة جداً كنكهة الأغنام والجمال ؛ إلا أنه ما زال نقِيّاً في البرك التي جئنا إليها هذا الصباح . لقد مر الكريشة في طول هذا الوادي ، يشربون ويأكلون كل ما صادفهم ، ولم يتركوا خلفهم ورقة كان في مقدورهم أن يتركوها ، ولقد صادفنا عدداً من آثار مخيماتهم ، حيث صفت الحجارة على جوانب ثلاثة من المربع ؛ وكان أحد هذه المخيمات قد ترك منذ وقت قريب ، وأطرنا عدداً من النسور والغربان من فوق جثة لجمل ممدد بالقرب من المكان . وكان يقطعه أيضاً آثار حوافر حصان ، وكان ذلك ما أثار الحديث المعتاد عن الغزو وقطاع الطرق ، الذي ينشرح له صَحْبُنا . وعلى أية حال ، فقد سووا الأمر فيما بينهم بما يرضيهم ، وهو أن الحوادث مثل مقابلة قطاع الطرق أو جماعة من قبيلة معادية هي « من الله » ، مثلها مثل المطر والطقس الجميل ، والمرض والصحة ، وكلها أمور يعتبرها البدو من مسائل الحظ .

بعد أن ملأنا قربنا ، تركنا وادي (الراجل) إلى الأبد ، ولن نصارف الآن مزيدا من المياه حتى نصل إلى (كاف) من هنا يأخذ الوادي اتجاهاً إلى ناحية الغرب قبل أن يتصل بوادي (السرحان) ولذلك سيكون خارج طريقنا . ما برحنا نقطع بعض خبُوت [2] منحدرة ، تكسوها حصباء خفيفة صوّانية ، وهو تغيير عن الحرة ينشرح له الصدر ، ولقد عدونا مرة أو

---

(١) يسمى هذا المستنقع من الماء إذا كان في أرض صخرية « ثغب » .
(٢) جمع خبت .

مرتين وراء الغزلان ، التي كانت تبدو للعيان بين وقت وآخر . فكرنا أيضاً في عشاء عيد الميلاد، وكم كان سيسعدنا أن نحصل على ما سنضيفه إلى الأرز ، الذي كان كل ما لدينا ، لكن لا الكلاب السلوقية ولا الجياد كانت في حالة تمكنها من طراد الفريسة . ومرة قمنا بمطاردة ناجحة إلى حد ما ، فهجمنا وسط قطيع صغير ، إلا أن الكلاب لم تستطع أن تمسك شيئاً ، ورغم أن عدداً من العيارات أطلقت ، فلم يدخل في الجعبة شيء . وبعد ذلك عدونا شوطاً طويلاً خلف الكلب السلوقي ذي اللونين الأسود والأحمر القاتم ، الذي انطلق خلف الغزلان مسافة ميلين أو أكثر ، حتى أصبحنا خائفين أن نفقده؛ ثم عدونا شوطاً آخر طويلاً لنعود إلى جمالنا . وكنا هذه المرة قد غبنا عنها ثلاثة أرباع الساعة،فوجدنا أصحابنا منزعجين جداً وكان عبد الله ـبالأحرىـ غضباً لذهابنا بعيداً إلى ذلك المدى ، أما محمد فقد كان معنا . كان محقّاً تماماً ، وكنا ملومين ، لأننا في رحلة خطيرة ، ولسنا في جولة للرياضة ؛ وإذا تجاهلنا خطر الأعداء فهناك دائماً مخاطرة أكيدة في أن يفقد أحدنا الآخر في أرض كهذه لا تترك الجمال فيها أثراً خلفها . دورة إلى اليمن أو الشمال خارج الخط الرئيسي وثنية في الأرض ، فتضل وتضيع . ولذلك فقد اعتذرنا ، ووعدنا ألا نفعل ذلك مرة أخرى . وعلى أية حال فقد زودنا بغداء بطريقة غير متوقعةعلى الاطلاق ؛ فبينما كنا ما نزال نتحدث، إذا بجمل يرعى منفرداً على السهل ، على بعد لا يبلغ الميل ، وحين انطلقت صرخت عامة : (غنيمة)، اندفعت الجماعة بأكملها في مطاردة . بالطبع ، كنا أول من وصل ، فسقنا الحيوان خببا إلى الآخرين . كان الجمل صغير السن، من مواليد الربيع الماضي؛ في حالة جيدة ، وعند رؤيته ، طفرت الدموع من عيني (حنّا) — دموع الجوع ، وليست دموع الرحمة — وأخشى أن لا أحد من الجماعة كان حقاً قد فكر كثيراً في الرحمة ، وقد أثار المنظر في نفسي مشاعر مختلطة من العطف على الضحية المسكينة والاشمئزاز من أنفسنا نحن الذين كنا نستعد للانقضاض عليها . لم يثر أي سؤال يتعلق بالملكية ؛ فالجمال التي توجد ضالة في الأماكن الصحروايةتعتبر — بحكم العادة — ملكا لأول من يعثر عليها . كنا في الواقع

غزاة ، وهذه غنيمتنا بحكم القانون . وهكذا سيق البعير الصغير المسكين أمامنا .

وبهذا أصبح العشاء مكفولاً ، ويجب أن أرى أي شيء آخر يمكن تدبيره على شرف المناسبة .

٢٦ ديسمبر :

قضى محمد ، وعبد الله ، وعـــواد ، والابراهيمان ، وحنّـــا ، جميعهم المساء صائمين وأكلوا كل البعير ، ما عدا الضلوع القصيرة ، التي وضعت أمامنا والكتفين اللذين حُفِظـــا من أجل اليوم . قسموا فيما بينهم جهد الذبح ، والسلخ ، والتقسيم ، والطبخ ، فقد كانوا جميعاً على درجة واحدة من الاستعداد للتعاون في العمل . يتحدث الناس أحياناً عن لحم الجمل ، كما لو كان شيئاً ليس كريه الطعم فحسب ، بل مزعجاً . لكنه في الحقيقة طيّبٌ جداً ؛ وحين يكون صغيراً يشبه لحم الخروف ، وحتى حين يكون كبيراً فهو قاس فقط ، وليس له طعم غير مستساغ ، بقدر ما أعرف من تجربتي ؛ حقاً ، لو قدم بدون عظام ، فمن الصعب تمييزه عن لحم الخروف .

بعد أن استمتع الخدم بالوليمة ، سرعان ما غطوا في نوم عميق ، وحتى عندما هبت الريح فجأة — بين الساعة الثانية والثالثة صباحاً — بصوت يصك الأسماع ، لم يستيقظوا ، حتى اقتلعت خيمتهم وألقت بها عليهم ، كما فعلت بخيمتنا . كنا مستيقظين ، وربما كان في إمكاننا أن نُبْقِي خيمتنا منصوبة ، لو لم يمنعنا الكسل من أن ننهض ونثبت الأوتاد . وحين سقطت الخيمة كان الأوان قد فات لنفعل أي شيء سوى أن نمتد كيفما نستطيع تحت الأنقاض ، ونتنظر ضوء النهار . ومن حسن الحظ أن الأوتاد الرئيسية لم تنتزع ، وأن الرمل — لأن هذه العاصفة كانت رملية — سرعان ما غطى أطراف الخيمة المنقضة ، فلم يحدث ضرر آخر .

وفي الصباح ، اقترح الخدم البقاء حيث كنا ؛ ولكننا لم نكن لنصغي

لهذا ، فالماء الذي كان معنا يكفي فقط ليومين ، وكان من الحماقة أن نتلكأ، وهكذا بعد أن نفضنا التراب عن أعيننا ، أو بالأحرى إلى أعيننا ، بدأنا في الحزم والتحميل ، استمرت الريح عنيفة ، وقارسة ، وحملت معها قدراً كبيراً من الرمال . كانت تهب من جهة الجنوب الغربي ، وكنا قد خيمنا تحت ساتر في تل صغير قريب من تل (قطيفي Guteyfi) الذي ثبت أنه نفس التل الذي أشار إليه عواد من (عين الغيور ؟) ، وحين تجاوزناه ، وجدنا أنفسنا في سهل صغير مكشوف تماماً ، ومعرض بصورة كاملة لهياج العاصفة ، التي أصبحت الآن أشد عنفاً مما كانت . ومن الواضح أن العواصف الرملية شائعة هنا ، لأن تل (قطيفي Guteyfi) الذي هو من الصخور البركانية مثل الحرة ، مدفون حتى النصف بالرمل . شاهدناه يلوح بالقرب منا بغير وضوح في الهواء الكثيف ، وبعد قليل كان كل واحد منا لا يكاد يرى صاحبه في الظلام المتزايد . كانت الشمس تشع واهنة بين وقت وآخر من خلال الرمال المندفعة ، إلا أن كل ما استطعنا أن نفعله كان أن نحافظ على القافلة مجتمعة ، وألا يغيب أحد منا عن نظر الآخر . وفي لحظة واحدة كان علينا جميعاً أن نتوقف وأن ندير ظهورنا للريح ، ساترين عيوننا ورؤوسنا بعباءاتنا ، وأن ننتظر حتى تنتهي فترة الظلام . لا شيء كان في مقدوره أن يقف في وجهها، ومع ذلك لم يكن عندنا أدنى فكرة عن الخطر ، إذ لا يوجد في الحقيقة أي خطر في هذه العواصف ، وكان لدينا وقت كبير لنلاحظ ؛ كم كان الموقف يستحق التصوير '. فالجمال سائرة بأقصى سرعتها ، جنباً إلى جنب طلباً للحماية ، ورقابها الطويلة ممتدة ، ورؤوسها منكسة ، والأهداب والحبال طائرة ، وعباءات الرجال تتطاير في الهواء ، وكل ذلك يرى من خلال ضباب الرمال الأصفر الذي جعل كل شيء يبدو كما لو كان سائراً في الهواء . كانت الحيوانات تبدو هائلة الحجم عاجزة، مع ذلك – كمخلوقات ما قبل الطوفان، وقد غمرها الفيضان – ومع ذلك ، فلم يكن هناك خطر ، كما قلت آنفاً ، فالريح كانت ثابتة في اتجاهها ، وكان خط سيرنا عبرها رأساً – ذلك ما كنا نعلمـــه – وبجهد صابر متوالٍ استطعنا أن نقطع قدراً كبيراً من الأرض .

وفجأة بدا ان السهل الرملي الذي كنا نسير فيه يتلاشى أمامنا ، واستطعنا أن نرى في قاع وهدة حادة الانحدار أدغالاً من الطرفاء تتطاول من خلال العاصفة . فعلمنا أن ملجأ كان أدنى من قاب قوسين .

ها نحن نأوي مرتاحين، تحت واحدة من هذه الأيكات، حيث يخيم سكون مبهج ، والتربة كلها رمل عميق ، أبيض كالثلج ، والخيمة التي نصبناها قد اندفن نصفها فيه ، حتى أنه يمكننا أن نتخيل أنفسنا في الوطن في موسم سقوط الثلج في يوم مباراة للملاكمة . أشعلنا ناراً من أعواد الطرفاء داخل الخيمة ، وتمتعنا بقهوة حنا اللذيذة . وأي مكان يشعر فيه الانسان بالراحة البالغة كما يحس بها وهو في خيمته ؟ فاجأنا عواد اليوم مفاجأة كبيرة جداً بمعارضته ، حين اقترحنا أن ننصب الخيمة ، بأن من المستحيل أن نفعل ذلك في الرمل . ولو كان محمد أو أيُّ شخص آخر من أهل المدن فعل ذلك ، لكان الأمر طبيعياً ، لكن عواد بدوياً بالولادة ، ومن المحتم أنه قد نصب مخيمات مئات في النفود . ومع ذلك فلم يسمع قط بدفن وتد خيمة .

حدثت كارثـــة أثناء العاصفة . فقد هرب منا البعير العجوز المتشرد ، الذي اشتريناه في المزيريب ، والذي ظل يحاول طول الطريق العودة إلى أسرته . اغتنم فرصة الظلام ، ورحل بمجرد أن حل عنه الحمل ، وهو على علم أن الريح ستطمس آثار سيره في الحال . امتطى كل من محمد وعواد ذلولا، وهما الآن يفتشان المنطقة ، ولكن بدون أمـــل في العثور عليه ؛ فهما على أحسن الفروض لا يستطيعان أن يميزا الأشياء إلا في حدود مائة ياردة فقط ، ولم يكن مفقوداً لنصف الساعة الأولى . ولقد نـــذر محمد أن يذبح حملاً ، ولكني أخشى ألا يجدي ذلك فتيلا .

٢٧ ديسمبر : —

وصلنا (كاف) بعد مسيرة طويلة ، للسبعة وعشرين أو ثمانية وعشرين ميلاً . وكان اتجاهنا جنوباً بشَرْقٍ ، تقريباً .

سقط في الليل مطر قليل ، واعتدلت الريح .

انطلقنا في الساعة الثامنة ، نعبر سهلا واسعاً من الرمل الخشن ، تنتثر فيها تلال منخفضة من الصخور الرملية .

وفي الظهر أتينا على سبيل مطروق ، وهو طريق قوافل الملح بين بُصْرى وكاف ، وقد أدّى بنا — بعد قطع سلسلة مرتفعة نوعاً ما — إلى وادٍ غريب أخبرنا أنه شعبة من وادي السرحان . والتكوين الجيولوجي لهذا فريد، فأعلى الحرف على جانبي الوادي من الصخر الأسود ، مع حجارة منفصلة من نفس النوع ، ثم صخور رملية صفراء ، ثم طبقة أخرى سوداء ، ثم رمل نقيّ ، ثم رمل مع حجارة سوداء معزولة ، ثم رواسب جيرية ، وفي القاع طباشير .

أما بطن الوادي فمن الرمل الرفيع الأبيض وتنتثر عليه أشجار الطرفاء و (guttub bushes) وبينما كنا نعْبُرُ هذا طاردت كلابنا يَرْبوعاً ، ورغم أنه كان مخلوقاً صغيراً ، فقد عـــانت مشقة كبيرة في الامساك به . كانت قفزاته واسعة ، ومن جانب إلى جانب وإلى الأمام والخلف ، بحيث أن الكلاب كانت دائماً تتجاوزه ، وتخطئه حين تحاول أن تخطفه ؛ إلى أن قفز ، في النهاية ، وكما لو كان بالصدفة ، إلى فم شِيْحَة . كان عبد الله والآخرون تواقين إلى أكله ، ولكنه كان مرضوضا إلى حد لا يصلح معه للطبخ .

في الساعة الثالثة ، تسنمنا حرفاً آخر ، ومنه أتينا فجأة على منظر وادي السرحان العظيم ، مدار العدد العديد من تخيلاتنا . ويبدو ، على أية حال ، أنه ليس وادياً ، بـــل حوض بحر قديم . حددت نقطة صغيرة سوداء على طرف سبخة ، جافة الآن ، وتحت تل طويل أسود تماماً — معالم واحة كاف، وهي قرية متناهية الصغر ، ذات ستة عشر بيتاً ، وبستان نخيل مساحته حوالي فدان .

كان من سوء حظي أن أصبت بالتواء في الركبة ، وهي حادثة مربكة ، ومكدرة في منتصف الرحلة . لقد جمحت ذلولي ، وهي حيوان ملول دائماً ، عندما كنت مائلة أرتب شيئاً على الجانب الأيمن من الرحل (الشداد) وطوحتني من فوقها إن الألم يعجز الوصف عن التعبير عنه ، واني لا أخشى أن أصبح عرجاءلاحول لها فترة منالزمن قادمة. ولكن ها نحنأولاء في كاف.

عدن — كلية بلقيس **محمد أنعم غالب**

وثائق الأحوال الشخصية من الناحية التاريخية

- ٢ -

عرضت للقارىء في هذه المجلة (ص ٥١ / ٥٩) فكرة عامة . حول الاستفادة من وثائق الأحوال الشخصية من الناحية التاريخية ، وقدمت إحدى الوثائـــق المكتوبة في القرن الثامن الهجري (سنة ٧٤٧) وهي : « وصية صبيح » وها أنا أقدم وثيقتين أخريين ، من الوثائق التي لا تزال محفوظة في بلدة أشيقر ، من اقليم الوشم ، في نجد ، احداهما مكتوبة في ٥ شعبان سنة ٩٤٠ والأخرى في ١٩ رمضان سنة ٩٨٦ هـ ـ وهما وإن كانتا أحدث من « وصية صبيح »إلا ان الباحث قد لا يعدم فيها جوانب قد تفيده في دراسته، مما سبقت الاشارة إلى بعضه .

وأضيف إلى ما تقدم :

١ ـ وورد اسماء مواضع في بلدة أشيقر هي ـ ١ ـ أم أشكال ـ البديعة ـ الحميدية ـ عقدة دينار ـ العقلة .

٢ ـ أن مذهب الامام أحمد بن حنبل ، كان هو المذهب المتبع في ذلك العهد ، أي أنه قديم في نجد من قبل القرن العاشر ، ـ أي قبل ظهور الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ .

٣ ـ ان التّمر ، كان في ذلك العهد يُكال كَيلا ، أما في عهدنا فهو يوزن وَزنا ، وكان كيله بالصاع ، على الطريقة الواردة في الحديث النبوي الشريف.

٤ ـ ان الجراد كان من الأمور التي تحدث أضراراً عظيمة في ذلك العهد، وكذا السّيل ، بحيث أن الموصي يجعل في وصيته جزءا يصرف فيما يسببانه من غرم .

٥ – ان أهل نجد كانوا يستعملون أسماء في ذلك العهد ، وقد ماتت الآن مثل (طلحة) للرجل وكذا (رُميثة) . ومن المعروف أن الأسماء ـغالباًـ ما تأثرت بتأثير الظروف الاجتماعية ، فاسم رُميثة - مثلاً – كان مشهوراً بين أمراء مكة قبل ذلك العهد وبعده بزمن ، وكان لأولئك صلة قوية بنجد ، ومن عادة الناس التسمية بأسماء المشهورين في عصرهم من الملوك والأعيان .

ومن أسماء النساء الواردة في الوصية – ممـــا أصبح مهجوراً في نجد – (خصلة) و (مرهجة) .

٦ – في الوصيتين ورد ذكر :

١ – الشيخ طلحة بن حسن – كاتب الوصية الأولى سنة ٩٤٢ هـ وكلمة (الشيخ) تطلق في نجـــد – كما قلنا سابقاً – على القاضي ، ونأسف بأننا لا نعرف شيئاً عن هذا القاضي .

٢ – الشيخ سليمان بن علي بن مشرف الذي كتب الوصية الأولى سنة١٠٧٥ وهذا الشيخ هو جد الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان . وهو من مشاهير علماء نجد، وقد توفي سنة ١٠٧٩ هـ .

تلقى العلم عليه عدد كبير من علماء بلدة أشيقر مثل الشيخ أحمد بن حسن بن سلطان القصيّر المتوفي سنة ١١١٤ هـ [1] وغيره .

وقد تولى الشيخ سليمان قضاء العُيَينة في عهد أشهر أمراء نجد في ذلك العهد الأمير عبد الله بن محمد بن معمر في حدود سنة ١٠٧٢ هـ

وللشيخ سليمان فتاوي ، وله آثار منها « منسك » مطبوع .

ومما ينبغي ملاحظته أن الشيخ سليمان هذا من آل مشرّف وكانوا من أهل بلدة أشيقر ، وانتقالهم منها كان قريباً من عهد الشيخ سليمان حيث تولى القضاء في « العُيينة » ثم تولى ابنه عبد الوهاب - والد الشيخ محمد – القضاء فيها حقبة من الزمن – ثم انتقل إلى حريملاء بعد ولادة الشيخ محمدـرحمه اللهـ مما لا يتسع المجال لذكره .

(١) : « تاريخ بعض الحوادث في نجد » لابن عيسى ص ٨٣ من منشورات « دار اليمامة » .

٢ – عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عدوان ، كاتب الوصية الأولى في رجب سنة ١١٧٥ هـ ونري أنه من قضاة ذلك العهد ، إذ هم – في الغالب – هم الذين يتولون نقـــل الوصايا ، وعلى كتاباتهم يكون الاعتماد ، غير أننا لا نعرف عنه شيئاً .

٣ – محمد بن عبد اللطيف ، ناقل الوصية في سنة ١٢٤٥ هـ. وقد كرم الأخوان الفاضلان عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف ، وعبد الرحمن بن موسى ، فأوضحا لنا – فيما نشرته « العرب » ص ٣٦٤ – أن محمداً هذا كان إمام جامع بلدة أشيقر ، في ذلك العهد . ونضيف إلى ذلك أن أسرته أسرة كريمة منها أفراد كثيرون في أشيقر ، وشقراء ، والدوادمي والشعراء ، وغيرها ، وهم من قبيلة باهلة ، الكريمة المحتد والأصل ، والتي ينتسب إليها الصحابيُّ الجليل أبو أمامة : صُدَيُّ بن عجلان الباهلي ، والقائد البطل العظيم : قُتيبة بن مسلم الباهلي ، وراوية العرب الكبير الأصمعي .

٤ – من كتاب الوثيقة الأولى أيضاً : عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن موسى في سنة ١٢٩٩ هـ. وقد عرفنا عن هذا ما أفادنا به الأخوان الكريمان المتقدم ذكرهما بأنه من قبيلة آل مُغيرة [من آل فضل من طيّء] وإمام أحد مساجد بلدة أُشيقر ، وكان صاحب كُتّاب قرأ فيه كثير من القراء المجيدين ، ومنهم فضيلة العالم الجليل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جاسر ، رئيس هيئة التمييز في المنطقة الغربية من بلادنا .

٥ – ومن كتاب الوثيقة الثانية الشيخ محمد بن حمد بن محمد بن بسام في سنة ٩٨٦ وهو من ناسخي « وصية صبيح » – سبقت الإشارة إليه ص ٥٤– ووالده من شهود نسخ « وصية صبيح » سنة ٨٩٠ هـ. والشيخ محمد لا نعرف عنه إلا ما ذكر ابن عيسى : (ولاّه شريف مكة القضاء في عالية نجد[١]) ولم يحدد زمن توليه القضاء .

---

(١) المصدر السابق – ٢١٣ .

وها نحن نقدم للقراء الوثيقتين المذكورتين راجين أن نتلقى ملاحظاتهم وإفادتهم مما قد يوضح لنا بعض النواحي التي نجهلها فتكون الفائدة عامة .

١ ــ وصية صقر بن قطام : ــ

بسم الله الرحمن الرحيم

قد وقف وسبل وحبس ونجز صقر بن قطام بن صقر – رحمه الله – في حال صحة عقله وبدنه وطوعه ورضاه وجواز أمره جميع أملاكه في قرية أشيقر ، فمنها ملكه المعروف بحيطان أم أشكال . وأيضاً أرضه في العقله المعروفة بأرض (آل أبي علي) وأيضاً أرضه في العقلة المعروفة بأرض ابن ربيعة . وأيضاً أرضه في البر فيها بئر خارج القرية يومئذ تعرف (بالحميدية). وأيضاً ملكه المعروف بالبديعة . وقف صقر المذكور جميع هذه الأملاك المذكورة ، وأخرجها من يده ، ومن ملكه قربة لله تعالى على أهل (قرية أشيقر) وجعل الولي الناظر عليها زوجته يومئذ (مرهجة) بنت عبد الرحمن ابن محمد بن ريس . ولو تأبّت منه تخرج غلاتهـــا على نظرها فيهم . ولها غلة البديعة أجرة لها على النظر في ذلك ، ودفع الأملاك إليها .. فإن أبت الولاية لم يكن لها شيء . وإن ماتت قبل صقر ، فولاية الاوقاف عائدة الى صقر ، وقد اشترط صقر لنفسه الولاية والعزل واستثنى النفقة على نفسه والأكل مدة حياته من غلة الأوقاف المذكورة . فإن ماتت مرهجة ومات صقر – والبقاء لله تعالى فالولي الناظر على جميع ذلك هو سليمان بن عبدالله بن موينع يصلح الأوقاف من غلاتها بما يزيد في نمائها من خدمة وغيرها . ويخرج ما ينوبها من اجار في بناء حيطانها أو غرم سيل أو جراد أو غير ذلك . أو طارقة تعم البلد . فما فضل بعد ذلك فله عشره أجار له على النظر في ذلك . فما فضل بعد ذلك أطعمه في المسجد سماطاً في شهر رمضان المعظم على حكم اطعام وقف صبيح غير انه لاحد عليه في ليالي معينة . وان أصاب الناس مجاعة في

غير شهر رمضان المعظم أطعمه الولي في ذلك الوقت ، ان رأى فيه صلاحاً . ولا حرج على من حضره في الأكل منه سواء كان غنياً أو فقيراً حضرياً أو بدوياً أو ناظره وينفق منه كل عام أربعين صاعاً تمراً يختص بها الارامل في بيوتهن اللاتي يشتهين ويستحين. والزَّمِنُ من الرجال الذي لا يطيق وصولاً إلى الطعام . ثم وليه الناظر عليه بعد سليمان من رضيه واتفق على امانته أهل الاصلاح والمعروف . ويخير من أهل البلد وله عشير غلة الأوقاف المذكورة على نظره عليها . فان عدمت الأمانة والعياذ بالله في ولي . فلمن ذكرنا من أهل المعروف عزله وتولية أمين غيره . وأيضاً وقف صقر المذكور وسبل وحبس على نفسه ثمان نخلات التي على ساقي التينة ثم بعده على بنات أخيه محمد بن قطام وعلى خصلة بذت فياض بينهن بالتساوي فمن مات منهن فحقه راجع على الباقي . ثم بعدهن تابعات الأوقاف المذكورة ما لعقبهن شيء . فصار جميع الأوقاف المذكورة على الترتيب المذكور أرضها ونخلها وتوابعها ولوازمها وما يعرف بها وما ينسب اليها وقفاً مؤبداً منجزاً شرعياً ثابتاً لازماً على مذهب الامام أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه لا تباع ولا توهب ولا تورث ولا شيء منها بل محرمة بجميع محارم الله التي حرم الله بها الميتة والدم ولحم الخنزير والزنا والربا وشرب الخمر وقتل النفس بغير حق .

قائماً على أصوله جارياً على رسومه ، ماضياً لأهله جائزاً لهم . لا يزيده مرور الأيام والأزمنة إلا تأكيداً ولا يكسبه تقلب الأوقات إلا تمهيداً . ولا يحله تطاول أمد ولا تقادم عهد . وكلما تطاول عليه زمان أكده وكلما أتى عليه عصر جدده وأكده . لا يزال ذلك كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وليجدد في كل عصر ذكره ليقرع الاسماع ما ذكر فيه من حكمه وينقله الخلف عن السلف لتنقبض عنه الاطماع الكاذبة، وتقصر عن تناوله الأيدي الظالمة . لا يزال هذا الأمر جارياً في ذلك الوقف على شرائطه المذكورة وأحكامه الموصوفة إلى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . ومن تعرض هذا الوقف بتغيير أو تبديل أو تحريف أو اعان عليه بقول أو فعل أو مشورة فعليه لعنة الله والملائكة

والناس أجمعين ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا فرضاً ولا نفلاً والله تعالى حسيبه وطليبه ومجازيه ومعاقبه ومسائله –يوم لا ينفع مال ولا بنون – – الآية – يوم تذهل كل مرضعـــة عما أرضعت ، الآية – يوم الرجفة يوم الآزفة يوم الحسرة يوم الندامة يوم الأخذ بالطامة . يوم يفر المرء من أخيه – الخ... يوم لا يجزى والد عن ولده . الآية – يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم الآية – وجعله الله من الأخسرين أعمالاً. الآية – فمن بد له بعدما سمعه الآية.

كان ذلك خامس شعبان عام ٩٤٠ تسعمائة وأربعين من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام . شهد على ذلك محمد بن علي بن حواش وكتب بيده . شهد على ذلك سليمان بن علي بن حمد وكتب بيده . شهد على ذلك أحمد بن عثمان بن حمد بن ريس وكتب بيده . وشهد على ذلك محمد بن حسين بن منصور وكتب بيده . شهد على ذلك محمد بن حمد بن منيف وكتب بيده ، وشهد على ذلك أحمد بن سليمان بن مشرف وكتب بيده . شهد على ذلك الاقرار من صقر بالاوقاف المذكورة واخراجها من يده إلى يد (مرهجة) المذكورة مشرف بن رميح وكتب بيده شهد على ذلك رميح بن مشرف بن رميح وكتب بيده : وشهد شارخ بن مشرف بن رميح وكتب عنه باذنه . ثبت عندي إقرار صقر بجميع ما هو في هذا الكتاب فحكمت عليه بصحته بعد أن سألني ذلك والاعتماد به من له الدعوى شهود مشرف بن رميح وأبنائه المذكورين أعلاه وغيرهم . كتبه طلحة بن حسن بن علي بن عبد الله بن بسام بيده في شهر شوال عام٩٤٢ هجرية ثم نقل هذه الوثيقة من أصلها بعدما اختل يسير من أولها فقير عفو الله سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريدبن مشرف بتاريخ رابع شهر الله المحرم سنة١٠٧٥ الف وخمس وسبعين هجرية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام . وذلك بعد ما عرفت ان ذلك خط الشيخ طلحة حقيقة . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . ونقل هذه الوثيقة الثالثة من خط الشيخ سليمان بن علي رحمه الله تعالى الفقير إلى الله تعالى عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عدوان غرة رجب سنة ١١٧٥ هـ. ونقل هذه الوثيقة الرابعة محمد بن عبد اللطيف خامس جماد أول عام ١٢٤٥ هـ حامداً

الله ومصلياً على نبيه ومسلماً. ونقل هذه الوثيقة من خط محمد بن عبد اللطيف – بعد ما خشي عليها التلف والذهاب راجي عفو ربه اللطيف عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن موسى بتاريخ شهر صفر سنة (١٢٩٩ هـ) (الف ومائتين وتسع وتسعين. وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم».

٢ ــ وصية رميثة بن قضيب :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. محمد وآله وصحبه.

هذا ما وقف وحبس وابد (رميثة بن قضيب أولاد جبر) وقف وحبس حائط روق الكائن في (عقدة دينار) في (اشقير) وشهرته تغني عن تحديده شرعاً. ووقف ثلاثة أرباع حويط حمد المعروف الذي قبلي أرض الفاضل في (عقدة دينار) شرقي سوق حيطان البدي. كل ذلك وقفه رميثة بن قضيب رحمه الله تعالى: أرضه ونخله وائله بحدوده وحقوقه ومائه ونمائه وكافة منافعه الداخلة فيه والخارجة عنه مما يعرف بذلك وينسب اليه شرعاً. وقفا صحيحاً شرعياً مرضياً نافذ الوجه لله تعالى. ثوابه لرميثة. وحكمه في الأكل من غلته حكم وقف صبيح رحمه الله في مسجد اشيقر – يجعل سماطاً – للآكلين في ليالي شهر رمضان المعظم. فصار وقفاً مبروراً مؤبدا محرماً بجميع محارم الله ومحاوم الصدقات الموقوفات المؤبدات، وبما حرم الله به الفواحش مـــا ظهر منها وما بطن. وليحذر المتعرض لهذين الوقفين المذكورين – الموت، وغصته، ومنكر ونكير ومسالتهما، والحشر والوقوف، والحساب الشديد والعذاب الأليم. وعلى التعرض بما ينقص هذا الوقف أو شيئاً منه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، واذاقه الخزي، وبلاه بالفقر وضيق الصدر، ونوائب الدهر. وجعله من الأخسرين اعمالا (الآية)، واجر الموقف فيما قصده من ذلك على الله الذي يجزي المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين. وهذا مكتوب بحضرة الولي يومئذ: محمد بن عبد الرحمن بن علي بن حمد بن عساكر

أحاديث :

حول تراثنا المبعثر في مكتبات العالم

- ٥ -

مكتبة عاشر افندي (في السليمانية)

ومن نفائس الكتب التي اطلعت عليها في (مكتبة عاشر أفندي) حينما زرتها في ١٩٦٥/١٠/٤ م -

١ - كتاب وضع رقمه في الفهرس (٥٩٤) وكتب اسمه « الأنساب مختصر كتاب الرشاطي » .

ابن بسام وكتب محمد بن حمد بن محمد بن منيف بن بسام القاضي بيده واثبت ، وأمضاه حكما ، وصححه والزمه شرعاً ، وشاعت وذاعت صحة هذا الوقف واكله جيلاً بعد جيل ، في مسجد اشيقر بتاريخ (التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ٩٨٦ هـ) من الهجرة النبوية على مهاجرها السلام وأفضل الصلاة .

كتب هذه الوثيقة ووثيقة صبيح أحمد بن سليمان بن مشرف من خط محمد ابن حمد بن محمد بن منيف بن بسام حرفاً بحرف ، من غير زيادة ولا نقصان في آخر شهر شعبان سنة ١٠٦٥ هـ من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام ، والحمد لله رب العالمين :

ونقل هذه الوثيقة ووثيقة صبيح رحمه الله تعالى من خط الشيخ أحمد بن سليمان بن مشرف رحمه الله تعالى الفقير إلى ربه غفر الله ذنوبه محمد بن عبد اللطيف ، حامداً الله ومصلياً نبيه ، ونقل هذه الوثيقة ووثيقة صبيح من خط محمد بن عبد اللطيف مخافة التلف والذهاب العبد الضعيف عبد الرحمن ابن عبد اللطيف بن موسى . (وصلى الله وسلم على محمد وآله)

بيروت - عبد العزيز بن فيصل المبارك

غير انني لما تصفحته ظهر لي أنـــه كتاب « الجمع بين كتابي الأنساب للرشاطي واللباب لابن الأثير » . ولكن المفهرس رأى في أوله جملة : (لما اختصرت كتاب أبي محمد الرشاطي) فظنه هذا .

أول الكتاب بعد البسملة : (الحمد لله المحيط علمه بمتفرق الأنساب ، الفارق في كتابه بين القبائل والشعاب— إلى أن قال : وبعد فإني لما اختصرت كتاب أبي محمد الرُّشاطي ، واستعنت على بعض الأسماء وأكثر الأنساب بكتاب « اللباب » لأبي الحسن ابن الأثير الجزري — رحمه الله — وجدتهما قد اجتمعا على تراجم ، وانفرد كل منهما بأخر ، وإذا اجتمعا على ترجمة تارة يتفقان على من سمي فيها ، وتارة يختلفان ، فيذكر هـــذا واحداً فأكثر ، ويذكر هذا رجلاً آخر ، أو يزيد هذا أو ينقص هذا وكلّ من الكتابين محتاج إليه ، مُعَوَّلٌ في هذا الفن عليه ، فأحببت أن أجمع بينهما ، ليستغني الناظر في هذا الكتاب عن النظر في كتابين كبير حجمهما) .

غير أن هذا ليس الكتاب كاملاً ، بل هو جزء ينتهي بانتهاء (حرف الجيم مع الخاء) فقد جاء في آخره : (هذا آخر الجزء الأول ، وفرغ منه مؤلفة تعليقاً ... اسماعيل الحنفي ... يتلوه في الجزء الثاني ان شاء الله باب الحاء والدال) .

وهذا المجلد يقع في ٣٣٤ ورقة وهو مسودة المؤلف ، وحواشيه مملوءة بالكتابة ، وملحق به جزازات صغيرة من الورق أضيف بها بعض التراجم ، وبعض الزيادات .

وفي أول المجلد ورقة فيها ترجمة المولف أحدث خطا من الكتاب نفسه ، والمؤلف هو اسماعيل بن ابراهيم الكناني البلبيسي القاهري الحنفي ، ولد سنة ٧٢٨ وتوفي سنة ٨١٢ — والترجمة مختصرة من كتاب (الضوء اللامع) للسخاوي ، وفيها أن المقريزي قد ترجم المؤلف في (عقوده) ترجمة مطولة .

٢ — كتاب « الدرر الفرائد المنظمة في اخبار الحاج ، وطريق مكة المعظمة » رقمه في المكتبة ٦٤٨ .

وكتاب الدرر طبع عن نسخة ناقصة ، ذلك أن المؤلف بعد أن كتبه أول الأمر في المسودة ، انتشر الكتاب بعد أن نقلت من المسودة نسخ ، ثم بعد سنين نقله من المسودة إلى المبيضة ، وزاد فيه فصولا وزيادات كثيرة .

ومسودة المؤلف الأولى توجد في (مكتبة الأزهر) في القاهرة وهذه النسخة الموجودة في (مكتبة عاشر أفندي) منقولة عن المسودة فقد جاء في آخرها – الورقة ٢١١ – : (وكان الفراغ من تسويده ، ولا أقول من تحريره وتبييضه ، يوم الأحد السادس من شهر رمضان المعظم سنة احدى وستين وتسعمائة .. وكتبه من نسخة بخط مؤلفه ... إبراهيم بن المبارك الشافعي فيخامس شوال سنة (إحدي وستين وتسعمائة) وفي طرة هذه النسخة اشارة إلى ما بين مؤلف الكتاب عبد القادر الجزيري الانصاري الحنبلي وبين قطب الدين المكي الحنفي المعروف بالنهروالى مؤرخ مكة ، من الصحبة وما جرى بينهما من الاجتماع ، والمكاتبة ، وأن الجزيري كان يكتب إلى القطب فمما كتب اليه قوله :

يقبل أرضاً أشرقت شمس علمها وقد شرفت اصلاً وفرعاً ومحتداً

ثم ذكر ابياتاً ، أورد بعدها : (فأجابه على غير الرويّ :

إذا كتبت كفي كتاباً إليكم محته دموع طول أوقاتها تجرى

واسم الكتاب – كما جاء في الورقة الثانية من هذه النسخة (وسميته الدرر الفرائد المنظمة الخ..) .

وقد كتب في طرة النسخة :(هذه النسخة نقلت من المسودة قبل تحريرها وترتيبها .. كتبه مؤلفه) .

ولكن عابثاً كشط كلمة (قبل) كشطا خفيفاً وكتب مكانها (بعد) وليست هذه الفعلة بكثيرة من حيل الوراقين ، في سبيل محاولة ابراز كتبهم بصورة الكمال والندرة !

أما النسخ الكاملة من هذا الكتاب ، فمنها نسخة في (المكتبة التيمورية)

المضافة إلى (دار الكتب) في القاهرة ، وقد تحدثت عنها في مقال نشر لي منذ بضع وعشرين سنة عن (مصادر تاريخ الحجاز) في جريدة (البلاد) .

ونسخة كاملة أخرى في(خزانة القرويين) في مدينة(فاس) في المغرب، رقمها (٤٠/ ٥٥٤) وأولها : (قال الشيخ الامام العلامة ، عمدة أهل الأدب الأدب المتبحرين ، كنز الافادة للطالبين ، زين الدين عبد القادر بن البدري محمد بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم الانصاري الجزيري الحنبلي ، ختم الله له بالحسنى ، وحشره مع العلماء العاملين ، في المقام الأسعد الاسنى : إن أول ما يتوج بذكره رؤوس الكتب والدفاتر) ..

ثم في الصفحة (٥٤١) : انتهى السفر الأول بحمد الله وحسن عونه ،.. ويتلوه في الثاني : الباب الرابع فيما يشتمل عليه ديوان امرة الحاج) .

ثم في الصفحة (٥٤٦): قال الفقير إلى الله تعالى الشيخ العلامة زين الدين عبد القادر بن البدر محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيري الحنبلي كان الله في عونه ، وختم له بالحسنى ، وحشره مع العلماء العاملين بالمحل الاسنى : الباب (الرابع الخ) وآخره صفحة ٩١١ : (قال مؤلفه : قد انقضى تسويده ولا أقول تحريره وتبييضه يوم الأحد لست ليال خلت من شهر رمضان المعظم من شهور سنة احدى وستين وتسعمائة... ثم بعد مدة أعوام وقد منّ الله تعالى — وله الحمد بفسحة من الأجل، ويسر جمع ما في المؤلف من الأزل، شمرت عن ساعد الاجتهاد ، ونقحت تلك المسودة ، ورتبتها وزدت عليها ما به حصول النفع لمن استزاد ، فجاء بحمد الله وعونه وافياً بالمراد ، حسن الاختصار والاقتصاد ، مع اني لم أحذ في تأليفه على مثال سبق ، ولا على نمط تقدمني فيه غيري فأقول : قد حاز قصب السبق واستحق ، وانما جمعته حسب البديهة من منح العزيز الحكيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، كمل الكتاب بحمد الله وحسن عونه ، وصلى لله على سيدنا محمد وعلى آله وكان الفراغ منه ضحى يوم الأحد الميمون، الرابع لشهر رمضان المعظم من شهور سنة تسعة (!) وسبعين وتسعمائة) .

حديث الكتب

كتاب المنمق

محمد بن حبيب الهاشمي بالولاء ، المتوفي سنة ٢٤٥ هـ. (٨٥٩ م.) من أشهر العلماء العرب باللغة والشعر والأخبار ، عاش في مدينة بغداد وتولى تأديب بعض الأمراء العباسيين ، وكان قد أخذ العلم عن كبار مشاهير علماء عصره ، في الأدب والتاريخ كأبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى ، وهشام بن الكلبي الذي وصلت إلينا أكثر مؤلفاته — التي وصلت — برواية ابن حبيب هذا ، كما أخذ عن ابن الأعرابي وقُطْرُب ، وأبي اليقظان النسابة ، وغيرهم من مشاهير علماء ذلك العصر في اللغة والشعر .

وقد خلّف ثروة كبيرة من المؤلفات التي استقاها من كتب شيوخه ، والتي لا تخرج في مجموعها عن أخبار العرب وأنسابهم ، وجُلُّها يتعلق بالجاهليين ، وقسم منها يتصل بالاسلاميين من عهد الرسالة إلى صدر الدولة العباسية .

ومما يؤسف ان تلك الثروة التي تزيد على أربعين مؤلفاً من مؤلفات ابن

تقع هذه النسخة في (٩١١) من الصفحات في الصفحة (٢٨) سطراً ، والخط مغربي ، وقد أفسدت الرطوبة جل صفحات القسم الأخير من الكتاب بحيث لا تمكن قرائتها بسهولة ، وعبثت العثة بورق الكتاب ، فأصبح مهلهلاً ثم رقع جميع الورق بورق شفاف .

وفي مكتبة عاشر أفندي نسخة من كتاب (التبيين في نسب القرشيين) لابن قدامة ، رقمها (٥٩٣) . (للحديث صلة) [1]

---

(١) كتب هذا البحث في مدينة مجريط - مدريد - في (١٢ / ١٢ / ١٩٦٥) .

حبيب على ما ذكر ابن النديم في « الفهرست » وياقوت في « معجم الأدباء » والصاغاني في « تكملة الصحاح » — لم يصل إلينا منها إلا القليل ومن هذا القليل كتاب « المحبّر » الذي قامت بنشره المستشرقة الدكتورة (ايلزه ليحتن شتيتر) ، وطبع في حيدر آباد (الهند) سنة ١٩٤٢ م. ولكننا نستشف من « المحبر » وهو أوسع مؤلف لابن حبيب وصل إلينا ، ومن كتابه « المنمق » ، ومن كتاب « اسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والاسلام» الذي حققه ونشره الأستاذ عبد السلام هارون في القاهرة سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م.) ضمن مجموعة « نوادر المخطوطات » ، نستطيع أن نستشف من ذلك نهج ابن حبيب واتجاهاته في التأليف فنرى أنه حفظ لنا في مؤلفاته تلك وغيرها ، ثروة من تاريخ ما قبل الاسلام .

وتاريخ ما قبل الاسلام ، لا يرتكز على أسس قوية من العلم ، ويدور جله على ما بقي محفوظاً في الصدور من الأخبار التي يرويها السلف عن الخلف ، وهي أخبار - كما هو معروف — عرضة للتزيد والمبالغة ، والمجال فيها واسع للكذب الذي ينشأ غالباً عن تأثير العواطف،وقد يكون له أصل من الصحة.

ونرى أن مؤلفات الكلبي وابنه هشام بن محمد ، تمثل الذروة العليا من هذه المؤلفات التي وصلت إلينا ولكنها مع ذلك من تراثنا القديم ومدرك بالبداهة ان كثيراً من الخرافات يقوم على أساس من الواقع وفي كتاب « المنمق » لابن حبيب هذا طائفة كبيرة من الأخبار التي لا نجدها عند ابن الكلبي ، ولا عند غيره مما وصل إلينا مؤلفاتهم .

ولقد تحاشى مدونو التاريخ في المرحلة الأولى عند بدء التدوين ، في القرن الثاني الهجري أن يسجلوا الكثير من اخبار ما قبل الاسلام تحاشيا دفعهم اليه أمور : منها (١) الاعتقاد بان كل ما سبق الاسلام لا خير فيه ، واذن فلا حاجة إلى تدوينه ، ومنها (٢) ان المسلمين في عهودهم الأولى عزفوا كل ما لا يتصل بالاسلام واعتبروه من الأمور التي لا يضر الجهل بها ، ولا ينفع العلم بها على حد تعبير بعض الأئمة المسلمين ، ومنها (٣) أن تلك الأخبار لا تبلغ مصادرها في رأي مدوني تاريخ العرب من القوة مرتبة تحمل على الثقة بها ،

ومن ثم تدونها ، ومن هذا ندرك ما أصبح صفة ملازمة لمن عني بتدوين تلك الحوادث والأخبار ، وهي اطلاق لقب (الاخباريين) عليهم ، مما جعل اطلاق لقب (اخباري) على أحد من أهل ذلك العهد كافياً في إطراح أقواله، كابن الكلبي والهيثم بن عدى ، وصاحبنا ابن حبيب واضرابهم ، ومن قبلهم ابن اسحاق ، إلا أننا إذا نظرنا نظرة عميقة نجد أن هؤلاء حفظوا لنا جانباً عظيما من تاريخنا ، وبصرف النظر عما فيه من التزيد والمبالغة، والتأثر بعواطف شتى من الأهواء والمعتقدات ، والنوازع النفسية ، فإنه بدون شك ، يكون حلقة من حلقات تاريخنا القديم وأي تاريخ قديم خلي من مثل ذلك ؟

ان الكتاب الذي نتحدث عنه « المنمق » حفظ لنا قسما كبيراً من الأخبار التي لا نجدها في غيره من الكتب التي وصلت الينا ، ومؤلفه العالم ابن حبيب عاش قريباً من العهد التي سجل حوادثها ومن هنا تبرز أهمية كتاب « المنمق ».

وأمر آخر هو أن هذا الكتاب نقل لنا نصوصاً كاملة من كتب لم يصلنا سوى اسمائها ، وكنا نعتقد بأنها قد ضاعت ، لقدم عهدها .

ولقد كان الكلبي وابنه يعتبران المصدر الأول لتاريخ العرب قبل الاسلام، ويعتبر ما كتبوه هو الأساس لتاريخ ذلك العهد ، ولكننا وجدنا في كتاب « المنمق » لابن حبيب ما يغير هذا الاعتقاد .

ولئن كان ابن الكلبي وأبوه حفظا لنا الجزء الكبير مما يتعلق بتاريخ العرب في عهودهم التي سبقت الأسلام ، فان هناك من العلماء من عنوا بهذا الجانب ، وهذا ما نجده واضحاً في كتاب ابن حبيب « المنمق » ومن هنا تبرز أهمية هذا الكتاب لمحاولي دراسة ما قبل الاسلام ، بل لدراسة الفترة الواقعة في صدر الاسلام ، مما كان يتحاشى المؤرخون الورعون عن تدوينه .

والتاريخ — كما يقولون — لا يرحم أحداً ، والورع ، وان كان صفة من صفات العبادة والتقوى الا أنه ينبغي ألا يحول بيننا وبين إدراك الحقائق التاريخية ، ولئن كنا نحمل لسلفنا الصالح كل تقدير واجلال فان ذلك لا يمنعنا من استقراء حوادث أيامهم ، ومعرفة تاريخهم معرفة نستخلص منها العظة ،

ونتخذ منها العبرة . والتاريخ ما هو سوى عظة ، على حد قول الشاعر :

واذا فاتـــك التفات إلى المـــــاضي فقد غاب عنك وجه التأسي

وعلى هذا الأساس ، ينبغي ان ننظر إلى تاريخنا قديمه وحديثه .

في كتاب ابن حبيب هذا أمور على جانب كبير مما يعني به الباحث المؤرخ ، منها ايراد نصوص مطولة عن كتب — كما قلنا — أصبحت مفقودة في عهدنا ، ومنها نصوص كان يتحاشى مدونو التاريخ أبان عهد التدوين الأول من ذكرها ، لصلتها برجال ذوي سابقة وقدم ، ومقام محترم في صدر الاسلام ، مما قد لا نجد له ذكراً فيما بين أيدينا من الكتب التاريخية ، ومنها ابن حبيب موقفـه في كتابه هذا ، موقف الجامع الذي لا يعنيه سوى إيراد ما مدوناً كان أميناً وصريحاً من نقله .

لقد دلنا هذا الكتاب على أن هناك من العلماء من تَصَدَّى لتدوين أخبار بعض سكان الحجاز في العهد الجاهلي وفي صد الاسلام مما لم نجده عند ابن الكلبي واضرابه فيما وصل الينا من عملهم .

وهذا الجانب ذو مساس قوي بثقافتنا وحياتنا لعمق صلته بماضينا ، ولأن مؤلفيه من أهل ذلك الجزء من البلاد التي يتعلق التأليف بسكانها لأن ابن حبيب حصر موضوعات هذا الكتاب « المنمق » في اخبار قريش ولم يتعرض لغيرها من القبائل سوى ما اتصل بموضوعه ، وأخبار قريش كانت ولا تزال محلاً للركون إلى الخيال ، ركوناً يظهرها بمظهر من التقدير والاجلال ، منذ أن اختار الله منها سيدنا محمداً (ص) ، إلى هذا العهد .

ولقد عني بتدوين أخبار قريش علماء سبقوا عهد ابن الكلبي أو عاصروه ولكن كتبهم لم تصل إلينا وهي كتب مهما يقال فيها قد حفظت لنا جانباً من تراثنا القديم يمكن اتخاذه أساساً للدراسة والتمحيص ، ومن هنا تبرز قيمة كتاب « المنمق » الذي بواسطته استطعنا ان نعرف من آثار أولئك العلماء ما لم يصل الينا عن غير طريقه .

هناك علماء أجلة من بلادنا تصدوا لتاريخ ماضيها بطريقة لم تخل من التاثر العاطفي ، إلا انها مفيدة ، ولولا كتاب ابن حبيب هذا لما عرفنا النهج الذي ساروا عليه فيما الفوا . من أولئك العلماء :

(١) : وهب القرشي المعروف بابي البختري من أهل المدينة المنورة الف كتباً لم تصل الينا إلا أن ابن حبيب نقل إلينا في كتابه المنمق قسماً كبيراً مما يتعلق بأيام الفجار وحلف الفضول ، وحديث النّسأة من إحدى مؤلفات هذا العالم المدني من كتاب مجهول ، ووهب هذا انتقل من المدينة إلى بغداد في عهد الرشيد فولاه القضاء في بعض جوانبها ، ثم ولاه جميع شؤون المدينة المنورة من قضاء وحرب وغيرهما ، وكان على جانب كبير من كرم النفس ، وسماحة الخلق ، بحيث كان ممدّحاً ، وقد توفي على رأس القرن الثاني الهجري ، وله مؤلفات أخرى لم تصل الينا ، منها كتاب « الصفة النبوية » ذكره السخاوي في كتاب « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » ومنها كتاب « فضائل الأنصار » وكتاب « طسم وجديس » وكتاب «نسب ولد إسماعيل » وغيرها ، مما ذكره صاحب « الفهرست » وهو ينمي إلى اسرة عريقة الحسب من أهل المدينة الشريفة ،وعمه أبو عبيدة بن عبدالله ممدوح الشاعر محمد بن بشير العدواني الخارجي من بني خارجة ، وكان عمه هدا ينزل الفرش بالناحية التي تعرف الآن بالفريش بقرب المدينة ، وله ترجمة مطولة في كتاب « جمهرة نسب قريش وأخبارها » للزبير بن بكار القرشي المعروف .

(٢) : وممن استقى ابن حبيب معين كتابه منهم من علماء المدينة عبد العزيز بن عمران المعروف بابن أبي ثابت الأعرج وكان قد دخل بغداد واتصل برجال الدولة هناك مثـــل الوزير يحيى بن خالد البرمكي ، فنال حظوة ، واكتسب أموالاً جسيمة إلا أنه انفقها في البر والصلة والاحسان ، ثم عاد إلى المدينة وتوفي فيها في سنة ١٩٧ هـ ، وعرف بين أهل عصره بعنايته بالاخبار والشعر ولهذا فقد كان في نظر المحدثين غير موثوق لاشتغاله بنواح تخالف اتجاهاتهم .

ولابن أبي ثابت هذا – ويعرف بالأعرج – مؤلفـــات منها كتاب « الأحلاف » الذي نقل لنا ابن حبيب نقولاً كثيرة منه ، بينما كنا لا نعرف عنه سوى اسمه .

وممن نقل لنا بعض آثارهم من علماء المدينة ، ابراهيم بن المنذر بن عبد الله الحزامي الأسدي القرشي ، فقد أورد في كتابه عنه نقلاً مطولاً عن حروب بني عدي بن كعب بن لؤي في الاسلام، وابراهيم هذا من أهل المدينة ، وكان من تلاميذ الامام مالك بن أنس صاحب المذهب المعروف ، ومن تلاميذ ثعلب النحوي ، وقد ورد بغداد وحدث بها على ما يروي ابن الخطيب في « تاريخ بغداد » .

هؤلاء العلماء الثلاثة وغيرهم ، نجد جانباً من آثارهم في كتاب ابن حبيب « المنمق » ممـا يحملنا على أن ننظر الى هذا الكتاب باعتباره مصدراً هاماً من مصادر تاريخنا ، ونرى اننا بدونه كدنا نفقد جانباً على أهمية كبيرة من تراثنا وهو تراث كما قلنا بحاجة إلى الدراسة ، ولو لم يكن فيه إلا تصويره لجانب من التفكير الذي كان سائداً في القرن الثاني الهجري ، وكانت هناك من الحوائل القوية ما قضت على الجانب الأكبر منه بسبب انصراف مدوني التاريخ في ذلك العهد إلى الجوانب الأخرى،التي تنظر الى ما تقدم عهد الرسالة نظرة ترى أن كل ما لا يتفق مع الأهداف الكريمة التي أتى بها صاحب الرسالة فيجب القضاء عليها ، ومن هنا ندرك السبب في أن كثيراً من المعنيين بتدوين حوادث وأخبار ما قبل الاسلام، ينظر إليهم نظرة فيها كثير من عدم التقدير بل فيها كثير من التجريح والمؤاخذة ظناً أن ذلك لا يتفق مع المبادىء الدينية ، ولو تعمقوا في الفهم لأدركوا أن تلك المبادىء أسمى من أن تنال بمثل تلك الأساليب التي لا تعدو تدوين ما كان متداولا في مجالس الحياة العامـــة مجالس السمر والأحاديث والندوات الأدبية ، التي كان كثير من أبناء الطبقة المرفهة يلجؤون إليها في أوقات سرورهم وفراغهم . أما في عهدنا الحاضر فخير لنا أن ننظر إلى كل ذلك نظرة دراسة وتعمق لماضينا لنستخلص العبرة ولنصل إلى الحقيقة التي لا يمكن الوصول إليها إلا بفهم كل ما يصل إلينا

من معلومات ذلك العصر فهماً قائماً على أساس التجرد من كل عاطفة لا تهدف إلى الحقيقة :

وبالاجمال ، فكتاب « المنمق » حفظ لنا قدراً كبيراً من الاخبار التي تتعلق بقبيلة قريش ، تَبرُزُ قيمتُها لا من حيث صلتها بهذه القبيلة التي هي موضع الاحترام والاجلال من كل مسلم ، لصلتها بالرسول ﷺ بل من جوانب أخرى ، من أهمها أن تلك الأخبار تعتبر من أقدم ما وصل الينا من المعلومات التي لها أعمق الصلة ببلادنا .

وابن حبيب — المؤلف — يمكن حصر منهجه في التأليف — بناحية الجمع بدون تَعمُّق في الدراسة ، وبدون اتخاذ منهج واضح ، قد يؤثر في المعلومات التي ينقلها الينا .

وهذه ميزة لها قيمتها لدى الدارسين ، فهو وان كان هاشميَّ الهوى ، إلا أن طريقة النقل توشك ان تطغى على هذه النزعة ، ومن ثم يتسع المجال أمام أي دارس لآثار هذا المؤلف .

ولسنا في مجال ابراز ميزات كتاب « المنمق » فإن محققه الفاضل كفانا مؤونة هذه الناحية ، بما اورده مفصلا في مقدمته من حيث احتوائه على معلومات لا نجدها في غيره مع ميزات أخرى ..

ولقد طبع هذا الكتاب في الهند ، باعانة وزارة معارفها ، بمطبعة (مجلس دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آباد الدكن) سنة ١٣٨٤ هـ. (١٩٦٤م) وهذه الدائرة ذات أثر كبير في نشر جزء كبير من تراثنا ، منذ عهد بعيد . وهذا الكتاب هو الحلقة الـ ١٢٧ من سلسلة مطبوعات تلك الدائرة .

وقام بتحقيق هذا الكتاب الأستاذ خورشيد أحمد فاروق ، أستاذ آداب اللغة العربية ، في جامعة دهلي .

وقد بذل المحقق الفاضل جُهْداً مشكوراً في تصحيح عبارات الكتاب . ما وسعه التصحيح ، وله العذر الواسع ، فالأصل نسخة خطية وحيدة حديثة الخط ، رجح المحقق أنها من مخطوطات ما بعد القرن العاشر الهجري ، وهي

مَعَ القُرَّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

« الجراكسة في رحلة الليدي آن بلنت »

وورد في الجزء الثالث ـ السنة الثانية ـ عدد رمضان ١٣٨٧ من مجلة العرب الغراء صفحة ٢٥٥ حديثاً عن فصول لم تنشر من كتاب « حج إلى نجد مهد العرب» بقلم (الليدى آن بلنت)تصف فيهأبناء قومي وعشيرتي الشراكسة بالصورة التالية :

فيما يظهر من اسماء مالكيها يَمِنِيَّةُ الأصل ، وقد حاول المحقق الفاضل تقويم ما أعوج من عباراتها ، وفاته من ذلك قدر كبير قد نعود للحديث عنه مرة أخرى — وهذا لا يقللمن أثر جهده الكبير الذي يبدو واضحا في كل صفحة من صفحات الكتاب التي تبلغ الـ ٥٤٧، بالاضافة الى مقدمة ضافية عنالكتاب وعن مؤلفه ، وعن وصف النسخة الاصلية وعن طريقة العمل – تقع في ٢٧ صفحة ، ثم فهارس وافية جاءت في ٥٢ صفحة ، يضاف اليهـــا تصحيحات للتطبيع (الخطأ المطبعي) في عشر صفحات ، بحيث بلغت صفحاتالكتاب المطبوع (٦٣٦) صفحة .

ولن نتحدث عن هذا الكتاب الآن بأكثر من هذا ، ولكننا نرى لزاماً علينا أن نسدي الشكر وافراً وجزيلا للمحقق الفاضل ، ولوزارة معـــارف الهند التي أعانت على طبعه ، ولدائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد التي أكملت بطبعه — مع « المحَبَّر » لابن حبيب أيضاً — جانباً من جوانب آثار هذا العالم العربي ، بل أضافت بعملها هـــذا خدمة جلى لكل معنيّ بدراسة التراث العربي ، الذي نرى منعناية البعيدين عنه ما قد يفوق عناية من صلتهم به عميقة ، ولكن خدمة العلم يجب الاّ تقف عند حدٍ ، أو تتأثر بأية مؤثر فالعلم هو تراث الانسانية كلها ، ولا وطن له يحجزه بين حدود وقيود .

« ثم استمر يتحدث عن الشركس : (هؤلاء المساكين – قالها بالفرنسية، لأنه كان يتحدث بها معنا – يجب أن نعمل أي شيء من أجلهم) ليتني استطيع أن أعطي فكرة عن الرقة والشفقة الدامعة في صوت (مدحت)[1] وهو ينطق هذه الجملة ؛ إذ يبدو ان الشراكسة أعز عليه حتى من بواخره و (ترامـــاته) . وهؤلاء اللاجئون التعيسو الحظ هم ، في الحقيقه ، مشكلة ليست سهلة الحل : لقد كانوا (ولا يزالون) مشكلة مزعجة لتركيا ، ولقد ظلوا ، منذ أن طردوا من روسيا بعد حرب (القرم) ينتقلون من إقليم إلى آخر إلى حيث لا يستطيعون أن يذهبوا أبعد مما وصلوا ، إنهم سوط عذاب على السكان حيثما حلوا ، لأنهم جياع ومسلحون، ويصرون على السلب للحصول على المعيشة ، وهم ممقوتون للعرب السوريين خاصة ، لأنهم يسفكون الدماء ويسلبون ، وكل ذلك مناقض لأفكار العرب ، إن (الشركس) كالثعالب التي يخرج الصيادون متسترين بها .

ان عملهم هو تصرف تمليه روح الجماعة ، ولكنهم لا يمكن أن يفرض عليهم العيش في سلام مـــع الأرانب وعلى أية حال ، كان لدى مدحت مشروعاً يستحق الذكر لتصحيح الأمور . كان سيجند كل هؤلاء الرجال في قوات « الضبطية » ، إذا سلبوا ، عندئذ ، فسيكون في مصلحة الحكومة . كانت زمرة منهم في الفناء في وقت زيارتنا ، للتجربة ، ولقد كان من الصعب اختيار مجموعة أشأم طلعة من هؤلاء » . انتهى حديث الليدي آن بلنت عن الشراكسة .

ليس غريباً على الليدي آن بلنت أن تكتب ما كتبت مبتعدة كل البعد عن الروح الحقيقية ، ومزيفة للوقائع التاريخية والاجتماعية والانسانية ، ذلك لأنها كانت تكتب تحت تأثير نزعة هدامة ، وتلك النزعة كانت تشكل الحافز الأول والأخير في الحط من أهمية أبناء قومي وعشيرتي ووصفهم بأقصى ما يمكن أن ينحط إليه الغزاة البرابرة .

---

(١) مدحت باشا ، حاكم عام سورية في عهد العثمانيين قبيل الحرب العالمية الأولى وقد وصفته الليدي آن بلنت في الصفحة ٢٥٤ بأنه صنيعة وزارة الخارجية البريطانية

فاللبدي آن بلنت بريطانية المولد ، والنشأة ، وهي من أحفاد القادة الذين قاموا بأكبر حملة صليبية على العالم الاسلامي،وخاصة على المشرق العربي . وهي تعرف حقيقة أولئك الذين حطموا الحملات الصليبية تحطيمانهائياً،وطهروا الأرض العربية الاسلامية من ربقة احتلالهم بقيادة الملك الظاهر بيبرس. والملك المذكور ، هو أحد أبناء قومي وعشيرتي الشراكسة الذين حكموا مصر وبعض أقطار المشرق العربي « ١٣٥ » سنة تقريباً

والشراكسة الذين تصفهم الليدي آن بلنت بالثعلبة وتحولهم إلى سياط عذاب في يدي كل من يحكمهم ، لم يحكمهم أحد من قبل في بلادهم المعروفة باسم (القفقاس) أو (القوقاز) وقد حاربوا القيصرية الروسية أكثر من مائة عام بضراوة لم يعرف التاريخ البشري لها مثيلاً ، كما أبلوا البلاء الحسن في مناهضة الثورة البلشفية ومقارعتها بالصدور العارية منذ عام ١٩١٧ وحتى عام ١٩٤٥ ، ولم يبق في القوقاز اليوم ٧٪ من سكانها الأصليين .

وإذا كانت الليدي آن بلنت تحاول مغالطة الحقائق التاريخية وتصف الشراكسة بأنهم طردوا من بلادهم بعد حرب القرم ، فهي لن تستطيع الغاء (الفرمان) العثماني الذي صدر في ذلك الحين وطلب من مسلمي القوقاز أن يهاجروا إلى دار الاسلام ، وأن يهجروا دار الكفر بعد أن اسقط في أيديهم وغلبوا على أمرهم في نهاية حرب المائة عام المريرة .

فمن هم هؤلاء الشراكسة ، ولماذا وصفتهم الليدي آن بلنت بهذه الصورة المناقضة للوقائع التاريخية والمنافية لأبسط القواعد الأخلاقية ؟

الشراكسة من الشعوب الآريـــة البيضاء ، والعنصر القوقازي ، كما هو معلوم ، أصل السلالات البيضاء وأنقاها . وقد أشاد المؤرخون من أمثال هيرودوت واسترابون وسيلاكس بمدنية الشراكسة وحسن صفاتهم ، حتى أن هوميروس المؤرخ والشاعر اليوناني القديم وصاحب «الالياذة» الشهيرة باسمه جعل القوقاز مسرحاً لإلياذته واستقى أساطيرها من أساطير الشراكسة . ويصف المؤرخون الشراكسة بالكرم فهم يقولون ن داراً لا ضيف فيها لا بورك فيها،

كما اشتهروا بالوفـــاء واجارة المستجيرة والتمسك بالشرف والفضيلة ومكارم الأخلاق والمحافظة على الكرامة . والشراكسة يحترمون المرأة وينزلونها أفضل منزلة ، كما أن الفدر والتسول معدومان عندهم . يحترمون الكبير ويحافظون على النظافة في المسكن والمأكل والملبس حتى في اللغة ، فاللغة الشركسية شبه خالية من الكلمات والألفاظ النابية .

ويدين الشراكسة بالاسلام منذ ١٣٥٠ سنة ونيف . وإلى جانب العقيدة الاسلامية يحافظون أشد المحافظة على تقاليدهم الموروثة لأنها لا تتنافى وتعاليم الاسلام .

وقد ظل الشراكسة في بلادهم ينعمون بالحرية والاستقلال إلى أن بدأت روسيا القيصرية تتحرش بهم للاستيلاء على خيرات بلادهم ، وبعد حروب دامت أكثر من مائة عام انتصر الروس وغلب الشراكسة على أمرهم بعد أسر الشيخ شامل عام ١٨٥٩ واختياره قضاء بقية حياته منفياً في مكة المكرمة مع ولديه غازي وشامخ . وقد توفي في مكة المكرمة عام ١٨٩١ . وانتهت الحروب بين الشراكسة والامبراطورية الروسية نهائياً عام ١٩٠ . ولكن الهجرة الشركسية إلى الامبراطورية العثمانية كانت قـــد بدأت عام ١٨٦١ واشتدت عام ١٨٦٥ في عهد القيصر نيقولا الثاني الذي قتل بالقنابل عام ١٨٨١ على أيدي الثوار الروس .

بعد الهجرة إلى دار الاسلام ، اقطـــع العثمانيون الشراكسة الأراضي الموبوءة بالأمراض وغير الصالحة للزراعة وفي مناطق متباعدة مثل أضا بزار وأوزون يايله وأزمير وغيرها في تركيا ، ومنبج وخناصر ومرج السلطان ومحافظة حمص ومحافظة القنيطرة في سوريا ، ومنطقة عمان في الأردن . وقد اضطر المهاجرون الأوائل إلى استصلاح الأراضي والاندماج في المجتمع الاسلامي ، ولكن بعد أن فتكت الأوبئة والأمراض المعدية في معظمهم وقد بدأت الهجرة إلى سوريا والأردن في العشر الأخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين .

ولا بد لأي باحث عن تاريخ الشراكسة من الاطلاع على ما تركه ملوك

الشراكسة وسلاطينهم من أثر في العالم الاسلامي – العربي خلال فترة حكمهم التي امتدت من سنة ١٣٨٢ م إلى ١٥١٧ م . حيث هزم السلطان الشركسي قانصوه الغوري في معركة مرج دابق قرب حلب أمام جيوش العثمانيين بقيادة السلطان سليم الأول عام ١٥١٥ وقتل السلطان قانصوه الغوري . واستمر السلطان سليم في زحفه على مصر ، وفي نيسان عام ١٥١٧ م اعتقل السلطان طوم نباي الشركسي الذي خلف السلطان قانصوه الغوري وشنقه على البوابة المعروفة في القاهرة اليوم بباب زويلة .

وهكذا انتهى حكم الشراكسة وبدأ حكم العثمانيين ...

وعن هذه الفترة التي امتدت ١٣٥ عاماً نستشهد بأقوال مؤرخين هما : البكباشي عبد لرحمن زكي أمين المتحف الحربي بالقاهرة ، والآخر هو المؤرخ البريطاني المعروف السير ويليام موير .

يقول البكباشي عبد الرحمن زكي في كتابه « تاريخ القاهرة في الف عام » عن الشراكسة صفحة ٩٦ ما يلي :

« وكانوا مسلمين يؤدون فرائض الدين كاملة لا يشربون الخمر ويحجون إلى بيت الله . شيدوا المساجد والمدارس والمستشفيات والمنشآت الدينية » .

ويقول السين ويليام موير في كتابه « تاريخ المماليك » صفحة ٢٢٠ مايلي:

« لقد كانوا – أي ملوك الشراكسة – وهم صغار، ضليعين بالعلوم السياسية والفلسفية ، كما كانوا ماهرين في استعمال السلاح وركوب الخيل . وقد خلفوا وراءهم آثاراً من مدنيتهم العظيمة التي لم تستطع البربرية العثمانية تجريدها من رونقها وعظمتها » ..

والغريب من الأمر أن الليدي آن بلنت لم تقرأ ما كتبه السير ويليام موير ، مواطنها ، والمؤرخ البريطاني الشهير . وإذا لم نتمكن من قراءة كتابة عن حكم الشراكسة فكيف غاب عن ذاكرتها ونظرتها التاريخية الثاقبه تاريخ قوم قاتلوا الروس أكثر من قرن وحكموا ممالك واسعة قرابة قرن ونصف قرن ؟!.. (البقية في الجزء الآتي) **عمان كمال حمدي أباظة**

[إعتذار : ضاق نطاق هذا الجزء عن نشر بقية أبحاثه – فإلى الجزء التالي]

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل. هاتف (٢٤٣٨٣٠٠)
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥٠ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا العشرة البريد
ارسلت: يتفق بشأنها مع الادارة
ثمن الجزء: ريالان قريشيان

الجزء السابع - السنة الثانية - محرم - ١٣٨٨ (نيسان ١٩٦٨)

العناية بالآثار التاريخية

خطت وزارة معارفنا خطوة سيكون لها أثرها في حياة البلاد الثقافية من الوجهة التاريخية ، فقد اتفقت مع بعثة الآثار الدانمركية) بأن تقوم هذه البعثة في البحث والتنقيب عن الآثار في شرق البلاد، بحثاً يشمل جميع المنطقة الشرقية لمعرفة الأماكن والمدن القديمة ، التي يرجع تاريخها إلى عصور موغلة في القدم ، وستقوم هذه البعثة في هذا العام بما يلي :

١ – البحث عن مدينة (تاج) الأثرية ، وتحديد موقعها، والقيام بدراسة للمنطقة المجاورة لها ، دراسة وافية .

٢ – وفي (تاروت) البلدة الواقعة في الجزيرة المعروفة بهذا الاسم بقرب القطيف ، تقوم البعثة بالبحث عن المدينة القديمة التي قامت (تاروت) على أنقاضها والتي يحدد علماء الآثار الألف الثالثة قبل الميلاد لزمن وجودها .

والقيام بدراسة تامة أثرية لمنطقة القطيف عن مدن قديمة كانت موجودة في تلك المنطقة .

٣ – وستقوم البعثة بمسح أثري كامل للمنطقة الساحلية الواقعة بين الظهران والعقير لمحاولة العثور على مدينة (الجرعاء) التي كانت من أهم المراكز التجارية بقرب الخليج خلال الألف الأول قبل الميلاد .

٤ – ويدخل في عمل البعثة منطقـــة (بَبْرين) الواقعة شرق الدهناء وغرب الاحساء .

وهذه البعثة الأثرية الدنمركية قد قامت بالبحث والتنقيب في منطقة الخليج العربي منذ خمسة عشر عاماً، فكشفت عن آثار ذات أهمية تاريخية في البحرين، وفي جهات أخرى من هذه الناحية ، وما ستقوم به في شرق بلادنا يعتبر متمماً لعملها من حيث التنقيب عن آثار السكان الذين كانوا يعيشون في هذه المنطقة ممن ورد ذكرهم في بعض المؤلفات اليونانية والرومانية القديمة .

والمهم في الأمر بالنسبة إلينا، أن بلادنا لاتزال بكراً لم ينقّب عن آثارها، وهي غنية بالآثار ، ففيها مدن قديمة عفت ودرست ولا تزال أطلالها باقية ، وفيها كتابات على الصخور في الجبال وفي الأودية منذ عهود قديمة في شمال الحجاز وفي وسط نجد وفي جنوب الحجاز في جهات عسير وتهامة ، وفيها آثار أخرى ، ومثل تلك الأشياء يجب أن تصان وأن يعتنى بدراستها لأن تاريخ أية أمة من الأمم تتخذ من الآثار أصح مصدر من مصادره القديمة .

ولئن كانت وزارة المعارف خطت خطوة أولى بإنشائها لجنة لهذه الغاية ، فإن خطوتها الجديدة تعتبر شروعاً فيما يجب أن تسير عليه هذه اللجنة وسيكون ذا فائدة جلى متى تعهد بالرعاية والعناية ، واعتبر بدءاً للسير نحو شمول جميع أجزاء المملكة بالبحث عن آثارها .

وتحسن وزارة المعارف صنعاً لو أضافت إلى موظفها الذي سيرافق البعثة آخرين من الشبان أو المعنيين للدراسات التاريخية ليستفيدوا بذلك خبرة ومعرفة وسعة اطلاع في هذا الجانب من حيث اعتباره من مقومات تاريخ الأمة .

وأية أمة يكتب لها البقاء بدون حفاظها على مقومات حياتها العميقة الجذور بماضيها كالأمة العربية ؟!

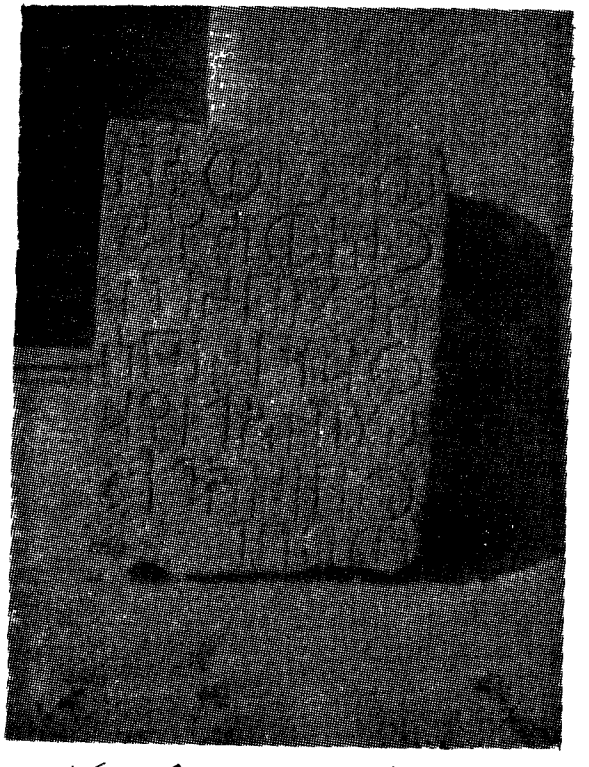

حجر فوقه كتابـــة حميرية نقلاً عن كتاب
« مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ »

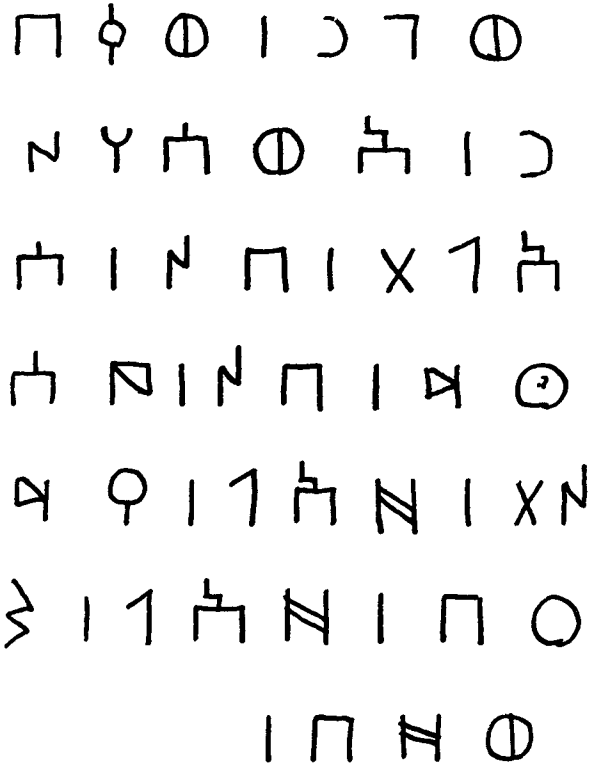

إيضاح الكتابة الحميرية منقولة بخط اليد. والكتابتان عن
كتـــاب « الصحراء عرب » تأليف ب. ديكسن
The Arab of the Desert by H. R. P. Dickson

المعادن في البلاد العربية القديمة

تعتبر البلاد العربية في أيامنا [سنة ١٩١٧م] هذه من أشد البلاد فقراً، ولولا موقعها الجغرافي الذي جعل منها أقدم ممر للتجارة العالمية لما أثارت أي مطمع للقوى الاستعمارية. ولكن بلاد العرب، أو على الأقل بعض الأجزاء منها، ليست فقيرة كما يزعمون وكانت في القرون الوسطى مضرب المثل للثراء وكانت الثروة تأتي اليها من مصدرين. فالاول منها كانت التجارة بشكليها المرور (الترانسيت) والتصدير — إذ كانت الصادرات الهندية الى أوروبا تصل أولاً إلى المدن العربية الساحلية في الجنوب ثم تنقل منها براً إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط. كما كانت البلاد العربية تصدر البعض من منتوجاتها إلى أوروبا أيضاً.

وأما المصدر الثاني لثروة بلاد العرب فهو ما تحتويه من مناجم لمختلف المعادن وفي مقدمتها مناجم الذهب. حتى أن الذهب العربي كان مشهوراً ومطلوباً قبل الميلاد بنحو (٥٠٠) سنة عند الشعوب المجاورة كالعبرانيين والفنيقيين والاشوريين. مما حمل الملك سليمان إلى ارسال (بعثات تجارية ؟) للتنقيب عن الذهب بالقرب من سواحل البحر الأحمر استخرجت كميات هائلة منه تقرب ارقامها من الخيال. وسنذكر فيما بعد بأن احجار (الدورادو اوفير Fldorado ophir) لا توجد إلا في الجنوب الغربي للبلاد العربية. وقد نقل اليونانيون معلومات ادق عن مصادر هذا الذهب ونوعيته. إذ يذكر (اجاثارشيدس[1] Agatharchides) نهرا تجرف مياهه الذهب بالقرب من (ضبي Debai كما أفاد (ديودور) بان الذهب العربي لا يحتاج للتصفية إذ كان يعثر عليه صافياً بقطع يناهز حجم كل واحدة منها حجم حبة الكستناء. وقد أثارت هذه الثروة العربية المثالية مطامع الرومانيين وقاموا بحملة غزو على البلاد العربية كانت وبالاً عليهم لعدم معرفتهم بطبيعة البلاد قبل أن يقدموا على غزوها.

عندما دخلت البلاد العربية بالاسلام إلى التاريخ العالمي كان الحجاز – بعكس ما هو عليه الآن – يتمتع بمدنية مدهشة وبثراء كبير . وكانت عاصمته مكة بمثابة جمهورية تجارية لها أنظمة ودساتير تضاهي مثيلاتها في الحكومات الحديثة مما أدى إلى ازدهار التبادل التجاري مع البلدان المجاورة على نطاق واسع . وقد كان فيها بعثات وهيئات تجارية وكتاب لتوثيق العقود وكانت العائلات الحاكمة فيها تتعاطى التجارة وأعمال المصارف ووكالات الشحن وكانوا جميعهم من الأثرياء ويعيشون بترف كبير . وازدهرت فيها من الصناعات صناعة الصياغة وكانت منتجاتها الذهبية تستحق الاعجاب . وفيما عدا ادوات الزينة والمصاغ توصلوا إلى تعبئة الاسنان المنخورة بالذهب وانتاج انوف صناعية من صفائح الذهب وأشياء أخرى غير ذلك . وما زالت حتى يومنا هذا المصنوعات الفضية والذهبية التي يأتي بها الحجاج من مكة وصنعاء وعنيزة مثيرة للاعجاب في خارج البلاد العربية . والسلع الفاخرة من أدوات تزيين ومصاغ مازالت كثيرة الاستعمال مما يدل على وفرة الذهب لاستعماله لمثل هذه الأغراض . والتعامل بالذهب بين السكان البدو مقتصراً على الذهب الخام وسنقدم فيما بعد بعض الأمثلة لذلك ووجود هذا الذهب الخام في التداول إلى جانب ما كانت تأتي به التجارة مع الخارج من نقود مسكوكة يدل على أن مصدر الذهب الخام هـــذا لا يمكن ان يكون غير المناجم في مختلف الانحاء .

ان مناطق الذهب في البلاد العربية التي أكدتها الاخبار المتواترة موجودة إلى جانب سلسلة الجبال التي تفصل بين داخل البلاد وبين المنطقة الساحلية الضيقة والتي تسمى (تهامة). وكذلك يوجد منطقة أخرى للذهب في وسط البلاد لا تعرف بالضبط درجة اتساعها نحو الجنوب ونحو الشرق .

وقبل أن نتحدث عن كل من هذه المناطق على انفراد نود أولاً أن نتنور عن طبيعتها الجيولوجية – علم طبقات الأرض بقدر ما هو متوفر لدينا عن هذه البلاد التي لم يتم إلا اكتشاف القليل منها .

إن سلسلة الجبال الفاصلة التي نوهنا عنها مكونة من حجر (الغرانيت)

تغطيه في بعض أجزائه طبقة من الصخور الرملية والأحجار البركانية الحديثة العهد ، وهذه المناطق البركانية تسمى (الحرّة) وتصل في الجنوب إلى أطراف مكة ونحو الشرق حتى (١٠٠) كيل (كيلومتر) عن الخط الممتد بين مكة والمدينة وهي من ميزات البلاد العربية . وفي أواسط البلاد يمتد حجر الغرانيت نحو الشرق لتكون المرتفعات في نجد ، أما حدهـــا الجنوبي فيصل إلى درجة العرض (١٥)° في اليمن على مقربة من شمال صنعاء . أما علم طبقات الأرض (الجيولوجيا) في الجنوب الغربي وفي الجنوب كله وفي الطرف الجنوبي الشرقي فإنها على غير ذلك .

فمناجم الذهب جميعها موجودة إذن في أماكن (الغرانيت) في المناطق الآتية .

١ — في الشمال الغربي ، أي في أرض (مَدْيَن) القديمة .
٢ — وتليها نحو الجنوب أرض الحجاز .
٣ — وفي الشرق منها نجد .
٤ — وفي الجنوب الشرقي منها في (اليمامة) .
٥ — في الجنوب في أرض عسير وفي شمال اليمن .

١ — مَدْيَن هي الأرض بين البحر الأحمر وسلسلة الجبال الساحلية من العقبة في الشمال حتى (وادي الحمض) في الجنوب ، وهي الآن تابعة لمقاطعة الحجاز ، وليس للحكومة فيها سوى مخافر في بعض الأماكن الساحلية [٣] . ويغلب على الظن أن جميع المناجم الموجودة في هذه المنطقة قد سبق استنفادها منذ القدم .

وقد جاء شرح مستفيض لهذه المناجم في الفصل (٢٨ ، ١—١١) من كتاب (هيوب) الذي يرجع عهده إلى (٥٠٠) سنة قبل الميلاد ويعتقد أن مؤلفه من سكان مَدْيَن نفسها . ومَدْيَن هي الجزء الوحيد من البلاد العربية الذي استطاع الأوربيون البحث عما يحتويه من كنوز معدنية ، إذ استطاع الرحالة الانكليزي المعروف (الكابتن ريشارد بورتون) أن يحصل على إذن

من خديوي مصر اسماعيل والذي كانت مَدْيَن في ذلك الوقت تابعة لمملكته للتفتيش عن المعادن وذلك في سنتي (١٨٧٧ و١٨٧٨) . ولعل الأزمة المالية التي كان يعانيها اسماعيل حملته على الموافقة وإصدار الإذن . ولكن (بورتون) لم يوفق كثيراً في محاولته لأنه لم يصطحب معه خبراء في (الجيولوجيا) وفي التنقيب عن الذهب أو حتى من العلماء المختصين بالمعادن وفيما عدا ذلك فقد حاول الأدلاء البدو الذين رافقوه عدم إرشاده إلى المناطق الأساسية للذهب على كل استطاع (بورتون) أن يتأكد في رحلتيه من وجود مناجم سبق استغلالها والعمل فيها يجد مما شاهده من بقايا أفران، الصهر، وأكداس أحجار المرو (الكوارتس) المتفتتة ومدن وأحواض للماء لا يمكن أن تكون بالنسبة إلى أماكنها إلا تابعة للمناجم أيام استغلالها، ولكن التحليل الكيماوي الذي أجري في القاهرة وفي لندن لعينات الأحجار التي جاء بها (بورتون) من هذه الأماكن لم يدل على وجود أي قيمة لها ، وليس هذا بمستغرب لأن (بورتون) انتقى هذه الأحجار وبصورة اعتياطية من هنا ومن هناك ، فوق سطح الأرض . غير أن البعض القليل من هذه العينـــات وجد فيه ذهب بنسبة (٤٨) غرام في كل طن كما وجد فيه من الفضة ما تعادل قيمته (٢٦٥-٣٠٠) فرنكاً كما وجد فيه النحاس بنسبة (٤٠) والحديد بنسبة (٨٠٪) .

وبالنسبة لهذه النتائج امتنع الخديوي عن الترخيص باتخاذ إجراءات أخرى وخصوصاً بعد أن اكتشفت في جنوب السودان مناجم للذهب تبشر بنتائج أفضل . وبعد هذا انتقلت ملكية مَدْيَن إلى تركية ، وحتى اليوم لم يرتدها أحد من الأوربيين .

وكل ما نعرفه بعد ذلك عن وجود الذهب في تلك المناطق مستقى من مصادر عربية لايمكن الركون إلى صحتها للاختصار في صيغتها . وقد سميت أماكن وجود الذهب في هذه الاخبار كلها (مدين) وهذا يمكن أن يعني منجماً في الجبل كما يعنى أيضاً نهراً يجري الذهب في مياهه فوق سطح الارض ولا يمكن الاستدلال على المواقع إلا إذا ذكر نوع الموقع هل هو جبل أم واحة أم واد ولكن هذا لم يحدث مطلقاً .

لا بد أن يكون (معدن الحراضة [٤]) واقع في جنوب مَدْيَن في أرض الحجاز بين ينبع (النخل) والمروة كما ذكره الجغرافي (المقدسي[٥]) ويستنتج من هذا أن هذه المناجم كانت في حالة استثمار في القرن العاشر . ويملك هذه المناطق في الوقت الحـــاضر قبائل من (جهينة) ولا يسمح للأوربيين بارتيادها

٢ — إن أهم المناجم العربية في القرون الاولى والوسطى تقع في أرض الحجاز وأرض اليمن . وقد وجد فيها بالدرجة الاولى الذهب الذي كثر التحدث عنه إلى جانب الفضة والحديد ، ولا تروي الأحاديث إلا القليل عن عن وجود النحاس أيضاً ، ولم يستخرج في اليمن إلا مناجم الذهب والفضة وإن ذكرت الأحاديث عـن وجود الحديد بكثرة ، إذ وجد أن الذهب والفضة والأحجار النصف كريمة أكثر ربحاً من غيرها من أنواع المعادن .

وتروي الأحاديث عن مناطق مناجم متعددة في جنوب الحجاز تتمتع بشهرة واسعة في البلاد العربية لوفرة ما فيها من كنوز وثراء . حتى ان بعض المعاصرين للرسول (ص) يقولون بأن عليهم أن يرفعوا الاحجار العادية عن الأرض فقط ليظهر تحتها الذهب والفضة. فالحصول على الذهب في هذه المناطق كانت من الأعمال اليومية ، ولا بد ان تكون اعمال الاستثمار في هذه المناطق قد استمرت منذ عام ٦٠٠ قبل الميلاد حتى عام (٨٠٠) بعده . ومن أقوال الرسول قوله « ان الرجال معادن » ومهما كان الرسول يعني بقوله هذا فان استعماله لكلمة (معادن) تدل على أن مدلولها كان معروفاً في ذلك الوقت عند العرب .

ومن هذه المعادن (معدن بحران [٦]) يقـــع في الطريق بين مكة والمدينة — ولا استطيع أن أحدد بالضبط موقع هذا المنجم أو غيره تحديدا واضحاً واني أحيل القارىء إلى مطالعة الخريطة التي سأصدرها قريباً عن شمال البلاد العربية — وهناك منجم آخر يقع في منطقة (القَبَلِيّة) [٧] ، في جبال (قدس) [٨] قطعه الرسول احـــد اتباعه المقربين . ويروي عن الخليفة أبي بكر الواسع الثراء جـــداً بانه حصل على هذه الثروة الهائلة من

استثماره لهذا المنجم ، ولمنجم آخر في أرض (جهينة) بين الجبلين (قدس) و (آرة) [٩] . هذا ولا يمكن القول فيما إذا كان هذان المنجمان هما مـــا يسمى بمناجم (فاران) [١٠] ام ان هذه المناجم مستقلة عنها والمراجع المتوفرة لدينا مختصرة ولا تجزم بشيء من ذلك . وفي الغالب ان تلك المنطقة برمتها كانت غنية بالمناجم وقد باعت قبيلة بني هلال [١١] التي تقطن هذه المنطقة قطعة من أراضيها الى (المحافظ الحكومي) ووجد هذا الذهب في موقعين منها ، وأثار جدلاً ليس بالنسبة لدرجة الضريبة الحكومية ، ويستدل من بعض أقوال للخليفة الأموي عمر (٩٩ — ١٠١ هجرية — ٧١٧-٧١٩ م .) بانه كان على مستثمري المناجم في ذلك الوقت أن يدفعوا بالفعل ضريبة استثمار للدولة وكانت هذه الضريبة عملياً تتراوح بين ما هو مقرر (الزكاة) وبين الخمس وكان المستثمرون في البداية يقبلون بضريبة (الزكاة) ثم طالبوا فيما بعد بقبول ضريبة (الخمس) . ولكن عمر اصر على ضريبة الزكاة لاعتقاده بان استثمار المناجم لا يدخل ضمن الخدمات العامة بل إن الفائدة منها منحصرة في اشخاص معدودين. وكان أهم منجم في الحجاز وثاني المناجم كلها في الثراء منجم جبل (فران) أو منجم بني سليم كما كان يسمى [١٢] باسم القبيلة التي تقيم في منطقته . وكان هذا المنجم يعطى الذهب كما يعطى أيضاً الحديد الذي استعمل للتصنيع ولذلك سميت القبيلة الأولى التي كانت تقطن في هذه المنطقة بقبيلة (القيون) والبدء باستثمار هذه المنجم يرجع إلى ما قبل ظهور الإسلام . وفي بداية عهده كان الاهتمام موجهاً بالدرجة الأولى إلى استخراج الذهب وصياغته. وفي قصص لطيفة عن النبي ﷺ يروى أن بدوياً من سكان منطقة الذهب هذه جاء بقطع من الذهب الخام من مناجم قبيلته ليوفي بها ديناً للنبي واحتفظ منها بقطعة بحجم بيضة الحمام لنفسه. وإذا كانت قصص أخرى تروي بأن منجم بني سليم هذا افتتح في عهد الخليفة أبي بكر (٦٣٢ — ٦٣٤) وإن أبا بكر ضم واردات هذا المنجم إلى بيت المال ، فإن هذه الرواية تناقض ما ذكرناه سابقاً من أن قسماً من ثروة أبي بكر الكبيرة حصل عليه من استثمار هذا المنجم قلعها مناجم أخرى جديدة افتتحها في هذه المنطقة .

ليس لدينا من مصادر تحدد لنا المدة التي استمر فيها استثمار المناجم في الحجاز ، ولكن يؤخذ من بعض الروايات بأنه كان لمنطقة المناجم في سنة (١٢٨ هجريه = ٧٤٥) ناظر خاص من قبل الدولة وبعد مائتي سنة من ذلك (٩٥٠ ميلادية) يذكر الجغرافي (الاسطخري [١١٣]) ان القرى في منطقة (الفرع) قد اندثرت مما يدل على توقف العمل في المناجم . والجغرافي (ياقوت المتوفي في سنة ١٢٢٩) لم يعرف شيئاً عن هذه المناجم إذ يقول بأن (فران) كانت ماء لبني سليم وكانوا يسمونها بالمعدن[١١٤] ، ونستطيع التكهن فقط عن أسباب توقف العمل بهذه المناجم ولا نستطيع تحديدها بالضبط . فمن الممكن أن تكون المناجم قد استنفذت جميع محتوياتها ويلوح لي أن الأرجح من هذا هو أن انتصار الإسلام قد أدى إلى تبدلات وانقلابات جمة أساسية ليست في الحياة السياسية فحسب بل أيضاً في الحيـــاة الاجتماعية و لاقتصادية في الحجاز كله . وقد سبق أن ذكرنا كيف كانت مكة قبل الإسلام بلدة تجارية على أوسع نطاق وتعاطى التجارة لم يكن مقتصراً على البلدة بل شمل سكان البراري أى البدو أيضاً، إذا كان هؤلاء يقومون بتحميل ورعاية وحماية القافلة التي كثيراً ما كانت تضم الف جمل وأكثر ويتقاضون لقاء ذلك جزءا من الأرباح التي كانت تصل إلى (٥٠ — ١٠٠ ٪) وذلك ليس بنقود مسكوكة بل بقطع من الذهب الخام . وهكذا ظل السكان البدو تابعين لسكان المدن وتحت سيطرتهم . ولا يسمع في هذه الحقبة عن وجود قبائل قامت بعمليات غزو ونهب . وبانتصار الاسلام وامتداد فتوحاته انتقل الثقل التجاري من مكة إلى أواسط الدولة الاسلامية إلى سورية والعراق . ولكن سادة التجارة الاولين استعاضو عن ذلك بمراكز كبيرة في الدولة تدر عليهم المال الوفير ولدينا أدلة تاريخية كثيرة على ذلك نذكر منها ان الخليفة عثمان كان يملك عند اغتياله مبلغ (١٥٠٠٠٠) ديناراً من النقود المسكوكة والدينار في ذلك الوقت يعادل عشر ماركات من قيمة النقد الالماني الحالي وبذلك تعادل قيمة ما وجد عند عثمان من نقود مسكوكة مبلغ(٢٠) مليون مارك وكان الشباب من سكان الحجاز ينضمون إلى الراية ويستوطنون البلاد التي يفتحونها بالحرب ، ويجدون فيها خير عوض عن بلاد الحجاز القاحلة ثم

يتبعهم الكثيرون من أفراد العائلة والقبيلة ولا يتخلف منهم في الحجاز إلا العجز مما أدى إلى افتقار الحجاز وتخلفه . وقد ارتحل هؤلاء المتخلفون من مناطقهم الصحراوية نحو الجنوب إلى مناطق بني هلال ، وبني سليم من افخاذ (حرب) [١٥] حوالي نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث (الهجري) واستوطنوا الأرض كلها بين مكة والمدينة ، وما زالوا يقيمون فيها إلى وقتنا الحاضر . وقد انقطعت عنهم ما كانت تجارة مكة تدر عليهم من ارزاق ، فاضطروا لتأمين خبزهم اليومي إلى العودة إلى الغزو والى النهب والسلب ، وقد وجدوا الفرصة السانحة لذلك في قوافل الحجاج التي تجتاز ديارهم في كل سنة . ومنذمطلع القرن الثالث اصبح سلب قوافل الحجاج مورد وزق لسكان الحجاز، يؤمن لهم احتياجاتهم باسهل من العمل في المناجم بدون تعب ولا عناء. وبهذا التاريخ ابتدأ الانحطاط التمدني في هذه البلاد .

٣ – ذكرت مناطق مناجم متعددة في أرض نجد أهمها يقع عند جبل (حلّيت) في « سرة نجد » أو « أم البل [١٧] » « الجمال » وتسمى هذه المنطقة الوفيرة المراعى في الكتب « حمى ضرية » ومن أشهر المناجم فيها التي تحوي (التبر) منجم (النّجادي [١٨]) الذي سمي باسم مالكه ولم يكن يضاهيه منجم آخر بكثرة ما يحتويه من الذهب (وبعض الروايات تذكر أن أغنى المناجم في هذا الصدد يقع في بلاد اليمن) وقد استمرت ذرية المالك في استغلاله حتى نضبت محتوياته أو كادت حتى تم هجره نهائياً في القرن الحادي عشر . وزيارة هذا المنجم المهجور تؤمن بلا شك فوائد كثيرة لأنه يحتوي على إشارات كتابية يرجع بعضها إلى عهد ما قبل الإسلام ويتوقع أن يستدل منها على أحوال المناجم في ماضي العصور . وعند سكان نجد من الأدلة ما يظهر أن ذكرى أيام التنقيب القديمة عن الذهب ما زالت عالقة في ذاكرتهم حيث يشاهد في الجنوب الغربي من البلاد حفر مستديرة يقال بأن الذهب استخرج منها وهي موجودة بعدد كبير .

وفيما عدا ذلك ذكرت مناجم كثيرة للذهب دون إعطاء تفصيلات عنها منها منجم (معدن المحجّة) ومنجم (الهجيرة) ومنجم (قساس) ومنجم

(المعمل عند تربة) ومنجمين فقط للفضة وهما منجم (أبرق خترب) الذي وصف بالثراء الكبير وتوقف عن العمل في نهاية القرن الثاني عشر ، ومنجم (معدن النقرة) وما زال هذا الموقع يذكر حتى اليوم ولكن بدون كلمة معدن ، وقد سمع الجوال الألزاسي (هوبر) في تجواله لبلاد نجد عن منجم للحديد دون أن يزوره . ولا يمكن الاعتماد على أقواله لأنه تحدث في الصفحة (٣٤٦) من كتابه عن مناجم بالقرب من تبوك ثم سماها على الصفحة (٣٥٣) بالمقابر فرواياته غير جديرة بالثقة .

٤ – أما أرض اليمامة فهي غنية جداً بالذهب ولكن من المستغرب حقاً ان لا يلفت الانتباه اليها سوى الجغرافي (الهمداني) (٣٣٤ – ٩٤٥ / ٦) وقد ذكر عدداً كبيراً من مناطق الذهب فيها كـ (معدن الحسن) والحفير في منطقة (عماية) والضبيب في ثنية ابن عصام والعوسجة وتياس ثم يذكر منجمين للفضة والنحاس في (شمام) قيل ان الوفـــاً من العمال كانوا يعملون فيها . فاذا صدقت هذه الروايات يكون استغلال هذه المناجم قد حدث في زمن سابق لظهور الاسلام .

ولكن (البكري) الذي عاش بعد مائة سنة من ذلك الوقت لا يعرف الاكثر عن هذه الثروة المعدنية ، ولو أنه كان يعرف أكثر هذه الاماكن واعاد ذكرها . (١٩)

٥ – في الجنوب من سلسلة الجبال الساحلية الفاصلة أي في أرض عسير وأرض اليمن حيث كان الفنيقيون والعبرانيون يأتون بالذهب منهما من (شويلة وشيبا (٢٠) وأوفير وفراويم) وقبل ذلك بزمن بعيد عرف (الشاتلان في شويلا والسابا في شيبا وأوفير في فراويم . وأوفير الذي ذكر في التوراة (ب١ موسى ١٠ و ٢٠) بين الأثنين الأوليين لا يعقل أن يكون خارج البلاد العربية لأن الاسماء الـــتي ذكرت في (ب ١ الملوك ١٠ ، ١٥) للملوك الذين كانوا يبعثون بالذهب إلى الملك سليمان جميعها اسماء لملوك من العرب .

والمصادر العربية لا تعرف عن مناطق الذهب في الجنوب سوى القليل :

معدن البرم أو البرام أو بدبد ، بالقرب من وادي تربة يزعم انه بين مكة والطائف ، ولكن هذا الزعم لا يمكن التسليم بصحته لأنبرام تقع في الشمال الشرقي للطائف وفي شمال تربة ومما يلفت النظر أن لا يوجد أي حديث عن هذه المناجم في الأزمنة المتقدمة وقد ذكر ياقوت (١ — ٨٣٤) لأول مرة في القرون الوسطى ، ولكنه ذكر بأنها كانت مشهورة في زمن الخليفة عمر (٦٣٥ — ٦٤٤) وإلى الجنوب منها يقع (معدن عشم) لا الذي لم يتحدث عنه إلا في القرنين العاشر والحادي عشر. ولا يمكن تحديد موقعها بالضبط لأنه يوجد موقعان بهذا الاسم أحدهما على الساحل في جنوب (الليث) والثاني في الداخل عند (تثليث) ويغلب على الظن انه المقصود عندما تذكر المناجم في أرض نجران وعلاوة على ذلك يقع على مقربة من تثليث عند حافة الجبل: العقيق ، وعلى بعد (١٨٠) كيلومتراً من شمال نجران أشهر منجم في للذهب في البلاد العربية قاطبة منجم (صعاد[٢١]) في مناطق قبيلة عقيل ، وقد قال النبي عنها : « مطرت أرض عقيل ذهبا » وهذا يدل على وفرة محصول الذهب فيها في السنين (٦٢٠—٦٣٠) . ولكن منذ القرن العاشر توقف التحدث عن هذا المنجم وكذلك عن المنجم في شمال عسير في الوادي قرب (ضنكان) والذي اشتهر كثيراً بالتبر الذي كان يستخرج منه. وبعد القرون الوسطى لم يذكر شيء عن وجود الذهب في وادي ضنكان .

هذا وفي الأبحاث الاستكشافية الحديثة عن الذهب في جنوب البلاد العربية الكثير من المناقضات . إذ كتب (نيبور Niebuhr) الذي يعتبر فيما عدا ذلك من الثقاة في كتابه (وصف لبلاد العرب ١٤١) وبناءً على استعلاماته في صنعاء ما يلي « وبالمختصر أقول أنه ليس من الممكن في الوقت الحاضر العثور على أي قدر من الذهب في مجاري الأنهار أو في المناجم، ولكن هناك مناجم للحديد في مناطق (صعدة) ما زالت الأعمال مستمرة فيها حتى اليوم.»ويقابل هذا القول ما جاء في المجلة Journal As. 1872 s-54 بقلم الرحالة (هالفي Halvey) والذي يقول فيه ما يلي : وجدت أصدقائي العرب في صرواح وخولان في شمال صنعاء ، يقومون بغسل التبر ويجنون منه

أرباحاً كبيرة . والتبر يوجد هنا بشكل ذرات صغيرة كذرات الرمال اما في الوديان أو في الأنهر الجارية » ومن الصعب أن نفترض أن هذه الأماكن لم يستخرج منها التبر أيضاً في زمن (نيبور) وهـــذه الحالة مثل آخر بأنه لا يجوز التصديق بما يرويه العرب إلا بعد أن يراه الانسان بعينه .

وقد استثمرت في اليمن أيضاً مناجم للفضة أشهرها منجم (الرضراض) في منطقة (همدان) [٢٢] « الذي لا يوجد مثيل له » واستمرت شهرة هذا المنجم حتى القرن الحادي عشر ثم خبت بعد موت مالكه هذه الشهرة وطواها النسيان ، وفي الوقت الحديث اكتشفت منطقة معادن في الجوف تعرف الآن باسم (المندفن Mondafin) .

ما زالت بلاد العرب حتى وقتنا الحاضر من البلدان التي لم يتم اكتشافها في جميع أجزائها . والمعروف منها بدرجة محدودة هو جزؤها الشمالي والاطراف منها وهي تمتد إلى الداخل في عمق (٨٠٠) كيلومتراً طولاً (غرب — شرق) و (٥٠٠ — ٦٠٠) كيلومتراً عرضاً (شمال ـ جنوب) وقسمها الداخلي ما زال مجهولا لا يعرف شيء عن مناظره وتكويناته كما لا يعرف فيما إذا كان صحراء ميتة قفراء،أو ان فيها بشر وحيوانات يعيشون فيها،وهي تشبه بذلك مناطق القطب التي ما زالت مجهولة غير مكتشفة . ومن الغريب حقاً ان هذا الجزء المجهول من بلاد العرب لا يبعد عن اكبر طرق المواصلات العالمية بأكثر من (١٠٠) كيل . ونأمل أن يأتي اليوم في المستقبل غير البعيد الذي تفتح فيه بلاد العرب أبوابها للمستكشفين العلماء للتعرف على ما تحتويه من كنوز ، والصعوبة في ذلك ليست في طبيعة الأرض نفسها بقدر ما هي بطبيعة سكانها . والتغلب على هذه الصعوبات مشكلة لا يمكن التكهن بمقدار ما يتطلبه حلها من وسائل وجهود .

ب ، موريتس

تعريب — الدكتور : أمين رويحة

تعليقات على هذا المقال :

أول من لفت النظر إلى هذا البحث، هو الأمير شكيب ارسلان في كتاب « الارتسامات اللطاف » – ص ١٧٥ – قائلاً : (ومما يدلنا على كون هذه المعادن معروفة عند الافرنج ، رسالة بالألمانية ، أطلعني عليها مؤخراً مؤلفها المستشرق الألماني الشهير الأستاذ موريتز ، واسمها « المعادن في العربية القديمة Die Bergwerke im alten Arabien Von.B.Moritz » ثم لخصها في كتابه «الارتسامات اللطاف» الذي طبع سنة ١٣٥٠هـ. وقد نشرت في عددشهر يناير سنة ١٩١٧ م في مجلة « الشرق الحديث ».

وأشار الدكتور محمد يحيى الهاشمي إليها في مقال نشره عن « الجواهر الثمينة في بلاد العرب » في الجزء الـ ٤ من مجلة (فكروفن) التي تصدر في (المانيا) باللغة العربية ، ويظهر أنه لم يطلع عليها ، إلا من خلال ما ذكره الأمير شكيب ، حيث اعتبرها مؤلفاً .

وكاتب المقـــال هو برنهارد موريتس (١٨٥٩/١٩٣٩ م) من مشاهير المستشرقين الألمان ، كان أميناً لمكتبة (المعهد الشرقي) في برلين ، ثم أميناً لـ (دار الكتب) في القاهرة . وقد زار المغرب ومصر ، والعراق . ومن آثاره –١– مجموعة من الوثائق العربية عن عُمان وزنجبار . –٢– مجموعة تضم ١٨٨ وثيقة عن تطور الخط العربي . –٣– كتاب عن الخطوط العربية القديمة. ٤ – كتاب « جزيرة العرب » ألفه سنة ١٩٢٣ م عن تاريخها .

الحواشي : –

(١) يظهر بأن المقصود بهذا الاسم هو « ضبا » البلده الواقعة على شاطىء البحر . أما النهر فقد يكون نضب .

(٢) ديودور مؤرخ يوناني يقال له ديودور الصقلي ، صاحب تاريخ عظيم ، وكان معاصراً لأغسطس قيصر (شكيب ارسلان) .

(٣) يقصد الحكومة التركية في ذلك العهد

(٤) الحراضة : معدن لا تزال آثاره باقية ويقع في شمال رضوى ، الجبل المعروف بين وادي مشيط وكوير ، ولا يزال معروفاً بهذا الاسم بين درجتي ٣٨ و ٣٠ / ٣٨ و ٣٠ / ٢٤ و ٢٥ درجة . وليس هذا هو حرض الذي ذكر الأمير شكيب ارسلان فذلك في بلاد غطفان في شرق المدينة وهذا عربها .

(٥) صاحب كتاب « أحسن التقاسيم » وهو مطبوع .

(٦) بحران : بضم الباء يقع في الفرع .

(٧) القبلية : السلسة الجبلية الواقعه بين المدينة وينبع ، ما أقبل إلى المدينة يسمى القبلية .

(٨) جبل قدس - ويسمى الآن (ادقس) ليس في القبلية ، بل يقع شرق المدينة بجنوب، بينما تقع جبال القبلية غربها . وقد ورد اسم (قدس) مقروناً باقطاع رسول الله (ص) بلال بن الحارث المزني بما هذا نصه : بعد البسملة . (هذا ما أعطي محمد رسول الله بلال بن الحارث . أعطاه معادن القبلية ، غوريها وجلسيها ، عشية وذات النصب ، وحيث صلح الزرع من قدس ، ان كان صادقاً) ولعل هذا هو ما حمل بعض الباحثين على اعتبار (قدس) من القبلية . مع أنه ليس واضحاً في ذلك . وقدس من نواحي الفرع ، وصاحب « القاموس » عد القبلية من الفرع ، ولكن الصحيح هو ما ذكره الزمخشري في كتابه عن شيخه السيد علي بن وهاس المكي العارف بتلك الجهات ، وملخصه ما تقدم ذكره .

(٩) قدس وآرة من منازل مزينة وهما من الفرع ، والمعدن المذكور هو معدن بحران .

(١٠) : معدن فاران (فران) هو معدن بني سليم كما سيأتي .

(١١) لا ندري من بنو هلال هاؤلاء :

(١٢) استثمر معدن بني سليم اخيراً مدة ، ومنذ أربع سنوات وقف العمل فيه لضعف محصوله ويعرف بمهد الذهب .

(١٣) طبع كتاب الاصطخري مراراً باسم « المسالك والممالك » ونص كلام الاصطخري.. والفرع من المدينة على ٤ أيام في جنوبها ، وبها مسجد جامع غير أن أكثر هذه الضياع خراب .

(١٤) ياقوت في « معجم البلدان » نقل ما ذكره المتقدمون عنه .

(١٥) بنو هلال من عامر من هوزان من عدنان ، وليسوا من حرب أما بنو سليم فقد اختلط قسم كبير منهم في حرب بسبب الجوار ، ولأن قبيلة حرب انتقلت من اليمن فاستولت على كثير من منازل القبائل التي تقطن بين المدينة ومكة كبني سليم ومزينة .

(١٦) شيبا ؛ هي سبا (ش) .

(١٧) حليت لا يزال معروفاً ، أما أم الابل (البل) فنرجح أنه يقصد الحمى ، حمى إبل الصدقة ، وكان جبل حليت يقع في طرف الحمى حمى ضرية .

(١٨) النجادي في حليت وهو منسوب إلى نجاد بن موسى بن سعد ابن ابي وقاص (أنظر عنه « الانساب » للبلاذري ج ٩ ص ٩٥ نسخة دار الكتاب المصرية المصورة رقم ٤٨٤٦ تاريخ).

(١٩) معرفة البكري معرفة نقل لما وجده في المؤلفات ، فهو اندلسي يعيش بعيداً عن الجزيرة ، وكتابه عنها مملوء بالأغلاط .

(٢٠) في كتاب الأمير شكيب : والمظنون ان شويلة هي : خولان ، وان شيبا هي سبا ، وان فروايم ، هي فروة ، وأما أوفير فمذكور في التوراة .

(٢١) صعاد في اعلى العقيق عقيق ثمرة - المعروف الآن باسم وادي الدواسر ، ويظهر أن كلمة (صعاد) ليست علماً بل هي وصف .

(٢٢) بل في بلاد نهم وبين يام في جبل الأصحر (يسمى الآن الاسحر) بقرب جوف مراد ، في شرق اليمن . وقد أورد الهمداني عنه في كتاب (الجوهرتين) معلومات وافية .

الحارث بن كلدة :
حكيم العرب

قامت الطبابة في عصور الجاهلية على أسس غير علمية صحيحة ، فقد عرف العرب التطبيب في أول أمرهم على طريقة البداوة ، فجمعوا بين الطب والكهانة . وكان لكل قبيلة عرافها الذي يستشار في كل ما حزبها من الأمور ، ومنها العلل والشكايات ، قال عروة بن حزام (سنة ٣٠ هـ ، ٦٥٠ م) مما ألم به من حب عفراء :

جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعراف نجد ان هما شفياني
فما تركا من حيلة يعلمانها ... ولا شربة إلا وقد سقياني
ورشا على وجهي من الماء ساعة ... وقاما مع العواد يبتدران
وقالا : (شفاك الله) والله ما لنا ... بما ضمنت منك الضلوع يدان

وكانت وسيلة طب هؤلاء تقوم على جمع الرقى والتبخير وتعاطي الأدوية التي تقترن بالعزائم والتعاويذ [١] ، ولم يكن الحارث بن كلدة ، طبيب العرب في عصره من هذا النمط من الأطباء ، بل كان متخصصاً ، خريج معهد طبي مشهور بجند يسابور ، وحتى قبل دراسته الطب ، كانت وصفاته الطبية تدل على تمعن ودراية بالطب على ما هو معمول به في عصره . فكان يعالج بالفصد والكي والحجامة والحمية – التي قال انها الطب – وبعض العقاقير والأعشاب التي كانت تنبت في الطائف ، وفي بقية بقاع الديار الحجازية ، أو تجلب من الهند والصين . وسنرى فيما بعد أن الحارث بن كلدة خير من مثل لقب (طبيب العرب ، وحكيم وفيلسوف العرب) .

ليعلم القارىء اننا نبحث في أواخر الجاهلية وأول الإسلام ، والحالة الطبية فيه ، أي إنه مضى على ما نحن بصدده أربعة عشر قرناً من الزمن ، ونحن

نسبر غور الزمن عبر القرون الماضية ، لنصل إلى حقيقة مقنعة ، هي إلى الحقيقة أقرب منها إلى الخيال . وانه من الصعب جداً بل من العسير تحديد مقدرة الأطباء في ذلك العصر القديم ، وما هي الميزة التي تميزهم عن غيرهم من عوام الناس من أترابهم ، إذ أن خبرة هؤلاء لا تقف عند حدود ، فهم ما يفتأون يجرون العديد من التجارب الطبية – وغالباً لا تكون هذه التجارب (طبية) بالمعنى الصحيح – للوصول إلى نتيجة ما يواجه مرضاهم من علل ، على أننا عندما ننقب ونبحث في العديد من المصادر ، التي هي شحيحة كل الشح فيما نحن بصدده ، يزول شيء يسير من هذا العسر ، ويحد من الصعوبة مما يجعلنا ننظر إلى تلك العصور وحالتها ببصيص من الأمل للتعرف عن حالتهم العلمية في الطب .

الحالة الطبيعية في جزيرة العرب

« العلم علمان ، علم الأديان ، وعلم الأبدان » . كان هذا هو شعار العرب، ومن أقوالهم المشهورة ، بل هو حديث مرفوع .. وتعريف علم الأبدان ، كما هو معروف (الطب) .

وقد نشأ الطب في الجزيرة العربية بدائياً بسيطاً للغاية ، واختلطت فيه العلاجات الصحيحة بالشعوذة والطلاسم التي كان الاعتماد عليها في مقاومة اصابة العين . وكان من الوصفات التي أشاروا إليهـــا لمعالجة بعض الأدواء استعمال العسل أو الالتجاء إلى الحجامة أو الفصد [٢] وغير ذلك مما مر معنا في سابق الحديث . أما الطب العربي العلمي ، فمستمد من مصدرين أحدهما يوناني [٣] وهو الأصل . ولم يكن العلم اليوناني بدءاً لحركة علمية ، ولكنه كان ذروة لجهود علمية ترجع إلى القرن السابع عشر قبل الميلاد [٤] . وكان امحوتب وزير فرعون زوسر وطبيبه الخاص ، قد اشتغل بالطب في مصر في القرن الثلاثين قبل الميلاد . والعنصر الثاني فارسي ، وقد تأثر بالتقاليد الطبية الاغريقية [٥] مما تعهده أطباء الفرس والسريان ، فترجموا شيئاً من كتبه مع جماعة من أعيان العرب [٦] . ونتج عن ذلك أن كان العلم العربي ثمرة للعبقرية

العربية السامية التي خمرت بالعبقرية الفارسية [٧] ، واليونان أنفسهم مدينون لمن سبقهم في العلوم من الأمم ، إذا ما عرفنا أن الطب كان في أشور بابل[٨]. ولم يلمع نجم العرب الطبي في الأفق الحضاري ، إلا منذ القرن الثاني الهجري. وقد كان الرسول وخلفاؤه مهتمين بما هو أهم بالرسالة [٩] وبالفتوحات التي هي بحاجة إلى أعمال . فالبلدان المفتوحة لا بد من نشر الدين الإسلامي بها واللغة. وهذا العصر عاشه الحارث ، وكان فيه بعيداً ، حيث كان موجوداً بالطائف أو بالأهواز ، فإن كان موجوداً لم يلق بالاً بما يجري قبل فتح الطائف — أو بالأصح قبل أن تدخل ثقيف في الإسلام — وإن كان خارج وطنـــه فانه مشغول بدراسة الطب .. بينما كان العرب الفاتحون مشغولين بتدوين السير والمغازي ، وتطبيق الأحكام الشرعية ، بعيدين إلى حدّ ما عن العلوم العقلية التي كانت هذه البلدان المفتوحة تزخر بها ، على أن الحالة فيما بعد لم تدم على ما كانت عليه . فلم تلبث أن دعت إلى الأخذ بتلك العلوم المتصلة بشؤون الحياة اتصالاً مباشراً، لذلك فإن الحركة العلمية إجمالاً — وعلى رأسها الطب، في عصر الحارث — لم تكن ذات بال وأثر يلفت النظر كما بلغته هذه الحركة فيما بعد ، في بداية تأسيس الدولة العباسية وأخصها عصر الرشيد والمأمون ، الذي نشطت فيه العبقرية العربية بفعل الخميرة الإيرانية ، وكانت معجزة العلم العربي ترجع إلى التحليل الذي حدث بفعل النشاط والجد العربيين وبفعل الإيمان بضرورة الحياة العلمية .

نشأة الحارث، والحالة الاجتماعية عند قبيلة ثقيف :

لا نعلم شيئاً عن حياة الحارث بن كلَدة الثقفي الأولى ، كما لم نجد شيئاً من ذلك في المصادر القديمة والحديثة إلا ما كان من حياته قبل وبعد أن دخلت (ثقيف) في الإسلام ، وذلك في السنة التاسعة من الهجرة ، ورحلته الدراسية إلى بلاد فارس ..

وقد نشأ الحارث بمدينة الطائف — بغرب جزيرة العرب — وكانت تسكنها قبيلة ثقيف التي ينتسب إليها ، وقد أكسبتهم أرضها وثرواتها الطبيعية ، رقياً

في الحياة من الناحيتين الاجتماعية والعقلية ، فاقوا فيها من حولهم من سكان جزيرة العرب ، وشعروا بعظمتهم ، فقال شاعرهم :

وقد علمت قبائل جذم قيس وليس ذوو الجهـــالة كالعليم
بأنا نصبـح الأعداء قدمـــاً سجال الموت بالكأس الوخيم
وأنا نبتني شرف المعـــالي وننعش عـــثرة المولى العديم

فقد كان للميزات التي أكسبتها الطبيعة بلادهم أثر وتحول في حياتهم الاجتماعية ، عمن سواهم من جيرانهم .. فكانت ثقيف تعيش في لهو وترف ، عاش فيه أبناء السراة في ثروة وجاه ، وألفت بينهم وحدة النزعة ، يعقدون الاحتفالات في المواسم ، والأعياد ، والمناسبات ، فينحرون الجزر وتهيأ لهم ، ويشربون ، ويتحول وقتهم إلى غناء وطرب تتغنى فيه القيان والموالى من الفرس والأحباش والروم ، إلا أن تلك الحياة لم تسيطر على حياتهم كليا فتصرفهم إليها بل كانوا شديدي الحفاظ على شرفهم وإبائهم ، فكانوا نبيلين كل النبل ، شريفين كل الشرف — كما يصفهم طبيبهم لملك الفرس — ربما تثور عواطفهم على كل مقومات الحياة لديهم ، إلا قانون المروءة التي هي لديهم : الشجاعة والكرم لا يعبأون بالحياة يبذلونها في سخاء لانجاد من استنجد بهم ، ونصرة الضعيف . لا قيمة لحياتهم اذا مست كرامتهم و كرامة قبيلتهم ، أو اعتدى أحد على جارهم أو حليفهم . ولاقيمة للمال يوم يسألهم سائل أو يدعو لبذله داع قال قائلهم :

لا تسألى الناس عن مالى وكثرته وسائلى الناس عن حزمى وعن خلقي
القوم أعـــلم أني من سراتهم وأكتم السر فيه ضربة العنق

كان الحارث من أولئك القوم ، وعاش معهم في حياتهم تلـــك بنعيمها وعذابها . وقد انجبت ثقيف إلى جانب الحارث عظماء في كل شأن . انجبت في الجاهلية والاسلام شعراء مجيدين . كما انجبت في الجاهلية والاسلام شعراء مجيدين كما انجبت ساسة وقادة نبه ذكرهم ، وعظم أمرهم فاشتهر فيها من شعراء الجاهلية الشاعر المتأله أمية بن أبي الصلت وفي العصر الأموي الشاعر

الشريف طريح الثقفي والشاعر الحكيم الاجرد الثقفي واشتهر من امرائها وساستها وقادتها الأمير الحجاج بن يوسف الثقفي . والقائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي ..

الحارث يعالج بالطب النفساني :

عاش الحارس حكيما وفيلسوفاً وطبيباً بين قومه – بل كان هو طبيب العرب – أول من تخرج تخرجاً علمياً من ابنا الجزيرة . لذلك ليس بغريب أن يدعي (طبيب العرب) [١٠] وقد كان اليد الأمينة على أرواح المتصلين به : يهبهم خبرته، إذا حلت بأحدهم علة واستعصى علاجها ، لا يفتأ يجري تجاربه في سبيل استئصال المرض بعد معرفة أصله وحدوثه ، ولم يقف الحارث نفسه على الطب الجسماني بل تعدى ذلك إلى الطب النفساني ففتح بذلك أبواب علم جديد – دعى فيما بعد بـ (علم النفس الطبي) – ... ويروي لنا التاريخ على لسان (ابن أبي اصيبعة) في كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) حكاية فحواها : ان أخوين من ثقيف مؤتلفين مع بعض كأنهما انسان واحد وقد أوصى الأكبر منهما أخاه الأصغر على زوجته بعد سفره كعادتهما ... ولسوء الحظ وقع بصره عليها فاختمر حبها في قلبه ، ومرض لذلك . فقدم أخوه وأحضر له العديد من الأطباء ، وحاروا في تشخيص مرضه وتحديد علته . ودعى له الحارث ، ولما رآه قال : أرى عينين محتجبتين وما أدري ما هذا الوجع ، وسأجرب فأسقوه نبيذا ، فلما تم ذلك قال (من الهزج) :

الارفقا الارفقا قليلا ما أكوننه
المابى إلى أبيا ت بالخيف أزرهنه
غزالا مار أيتاليو م في دربي له كنه
أسيل الخدمربوب وفي منطقه غنه

فقالوا له : أنت أطب العرب ، ثم قال ردوا النبيذ عليه . فلما عمل فيه . قال (من الخفيف) :

أنها الجيرة أسلموا وقفوا كي تكلموا
وتقضوا لبانـــة وتحيوا وتنعموا
خرجت مزنـه — من البحر رياً تحمحم
هي كنتي وتز — عم اني لها حـــم

بعد ذلك تبين لأخيه فحوى مصابه فقام من فوره وطلق زوجته . ثم أمر أخاه بأن يتزوجها .

من أقوال الحارث .

للحارث أقوال رائعة من روائع الكلم ومحكم البلاغة ، طبية فلسفية ، تنم عن شخصية عربية حكيمة في قولها وعملها نورد بعضاً مما قاله زيادة على ما كان له مع كسرى من لقاء سنشهده فيما بعد :

(البطنة — أي المعدة — بيت الداء ، والحمية رأس الدواء ، وعودوا كل بدن ما اعتاد) .

(من سرة البقاء ولا بقاء ، فليباكر الغداء وليعجل العشاء ، وليخفف الرداء ، وليقل الجماع) .

(لا يعالجن أحد منكم ما احتمل بدنه الداء) .

(دافع بالداء ما وجدت مدافعاً ، ولا تشـ به إلا من ضرورة فانـه لا يصلح شيئاً إلا أفسد مثله) .

(إن الجهل كل الجهل من أكل ما قد عرف مضرته ، ويؤثر شهوته على راحة بدنه) .

(إن الأمة الجاهلة ، أحوج إلى من يصلح جهلها ، ويقيم عوجها ، ويسوس أبدانها ، ويعدل أمشاجها ، فإن العاقل يعرف ذلك من نفسه ويميز موضع دائه ويحترز عن الأدواء كلها بحسن سياسته لنفسه) .

الحارث يدرس الطب في بلاد الفرس :

لقد مر معنا أن الحارث خريج معهد طبي مشهور ، فلقد سافر تاركاً

بلاده وقبيلته في سبيل التحصيل والتأهيل لمهنة ، فسافر إلى بلاد فارس ، وأقام في مدينـــة الأهواز – جنوب غربي فارس ، حيث يقوم هناك (مارستانها) ، مدرسة جُندَ يسابور الطبية، التي بناها كسري أنوشروان، وتعلم الطب ، وكان الطب اليوناني هو مادة الدراسة واللغة السريانية والفهلوية – الفارسية القديمة – أحياناً ، كانتا لغة الدراسة تلك . وكان الحارث فائقاً حذقاً في دراسته، مرناً في اختيار الأساليب الطبية التي يستخلصها من تجارب دراسته .. وذاع ذكره في بلاد الفرس واشتهر ببلاغته الكلامية والطبية . حتى لقد قال كسرى له : لله درك من اعرابي ، لقد أعطيت علما، وخصصت فطنة وفهما . ومارس هناك هوايته التي نمت في نفسه وأجـــاد فيها ، تلك الهواية الضرب على العود الوتري ، كذلك سافر إلى بلاد اليمن وواصل اشباع نهمه من هوايته حتى اتقنها وأجادها [١١] ..

مدرسة جنديسابور الطبية :

جنديسابور مدينة في خوزستان (الاهواز – جنوبي غربي فارس –) بناها سابور الأول وأسكن فيها أسرى من اليونانيين ثم جاء يوستنيانوس ملك الروم فاضطهد الفلاسفة الذين تمسكوا بالمذهب الاسكندراني ، وأخرجهم من امبراطوريته فذهبوا إلى فارس ، فاستقبلهم كسرى أنوشروان وبنى لهم مارستانا (مدرسة طبية) ليستفيد منهم وليغيظ بهم عدوه يوستنيانوس .

وقد بلغت جنديسابور في الطب شهرة عظيمة وأمها الاساتذة من كل صوب. ولكنهم كانوا يعلمون العلم اليوناني خاصة باللغة السريانية ، واحيانا بالفهلوية ، واستمرت مدرسة جنديسابور مزدهرة إلى أيام العباسيين [١٢] ..

النبي(ص)يستدعي الحارث لمعالجة سعد بن أبي وقاص

لما مرض سعد بن أبي وقاص في حجة الوداع ، عاده النبي (ص) وقال له : اني لأرجو أن يشفيك الله حتى يضربك قوم وينفع بك آخرن . وأمر بأن يستدعى الحارث لمعالجة سعد ، فقال : ادعوا له الحارث بن كلدة فانه

رجل يطبب . فلما عاده الحارث ، نظر اليه وقال : ليس عليه بأس اتخذوا له فريقة بشيء من تمر عجوة وحلبة يطبخان ، فتحساها فبرىء [١٣].

الحارث مع كسرى

عندما كان الحارث في بلاد الفرس مقيما بالاهواز لدراسة الطب ، وفد على كسرى أنو شروان ملك الفرس . ودارت بين الطبيب العربي وملك الفرس محاورة ، كان فيها كسرى السائل والحارث المجيب. وقد تجلت في هذه المقابلة عظمة الحارث . فكان عظيما في سرد اجابته ، قوي العبارة ، يصوغها بحكمة وفلسفة ، عظيما بطبه وعلمه جعل ملك الفرس يشتد عجباً ، ويشعر أنه في حضرة عبقري وحكيم وفيلسوف من العرب عظيم يسرد لنا بن أبي أصيبعة ذلك اللقاء وما دار فيه من حديث ، في طبقات الأطباء [١٤] :(وفد الحارث بن كلده على كسرى ..أنوشروان، فأذن له بالدخول عليه ، فلما وقف بين يديه منتصباً، قال له : من أنت؟ قال: أنا الحارث بن كلدة الثقفي ..وما صناعتك؟ — الطب .. اعرابي انت ؟

— نعم من صميمها وبحبوحة دارها .

— فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولها وسوء أغذيتها ؟

— أيها الملك : اذا كانت هذه صفتها ، كانت أحوج إلى من يصلح جهلها ، ويقيم عوجها ، ويسوس ابدانها ويعدل أمشاجها . فان العاقل يعرف ذلك من نفسه ، ويميز موضع دائه ، ويحترز عن الادواء كلها بحسن سياسته لنفسه . وكيف تعرف ما تورده عليها ؟ ولو عرفت الحلم لم تنسب إلى الجهل ؟

- ان الطفل يناغي فيداوى، والحية ترقي فتحاوي..(ثم أردف قائلاً) أيها الملك : ان العقل من قسم الله تعالى قسمه بين عباده كقسم الرزق فيهم ، فلكل من قسمه نصيب ، وخص به قوماً وزاد ، فمنهم مثر ومعدم وجاهل وعالم ، وعاجز وحازم ، وذلك تقدير العزيز العليم .

فأعجب كسرى كلامه ثم قال :

ـ فما الذى تحمد من أخلاقها ، ويعجبك من مذاهبها وسجاياها ؟ .

ـ أيها الملك : لها أنفس سخية وقلوب جرية ، ولغة فصيحة وألسن بليغة وانساب صحيحة ، وأحساب شريفة ، يمرق من أفواههم الكلام مروق السهم من نبعة الرامي أعذب من هواء الربيع والين من سلسبيل المعين ، هم مطعموا الطعام في الجدب ، وضاربوا الهام في الحرب ، لا يرام عزهم ولا يضام جارهم ، ولا يستباح حريمهم ولا يذل أكرمهم ولا يقرون بفضل للانام الاالملك الهمام الذي لا يقاس به أحد ، ولا يؤازيه سوقة ولا ملك .

فاستوى كسرى جالساً وجرى ماء رياضة الحلم في وجهه لما سمع من محكم كلامه، وقال لجلسائه: اني وجدته راجحاً، ولقومه مادحاً وبفضيلتهم ناطقاً ، وبما يورده من لفظه صادقاً ، وكذا العاقل من احكمته التجارب . ثم أمره بالجلوس فجلس . فقال له : كيف بصرك بالطب ؟

ـ ناهيك .. فقال كسرى : فما أصل الطب ؟

ـ الأزم .. والأزم ضبط الشفتين والرفق باليدين ..

ـ اصبت . فما الداء الدوى ؟

ـ ادخال الطعام على الطعام ، هو الذي يفني البرية ويهلك السباع في جوف البرية ..

ـ أصبت ـ فما الجمرة التي تصطلم منها الادواء ؟

ـ هي التخمة ان بقيت في الجوف قتلت ، وان تحللت أسقمت ..

ـ صدقت . ما تقول في الحجامة ؟

ـ الحجامة في نقصان الهلال في يوم صحو لا غيم فيه ، والنفس طيبة العروق ساكنة لسرور يفاجئك ، وهم يباعدك ..

ـ وما تقول في دخول الحمام ؟

ـ لا تدخله شبعانا ولا تغش أهلك سكرانا،ولا تقيم بالليل عريانا،ولا تقعد على الطعام غضباناً . وأرفق بنفسك يكن أرخى لبالك ، وقلل من طعامك يكن أهنأ لنومك .

– فما تقول في الدواء ؟

– ما لزمتك الصحة فاجتنبه ، فإن هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه، فإن البدن بمنزلة الأرض، إن أصلحتها عمرت وإن تركتها خربت.

– وما تقول في الشراب ؟

– أطيبه أهنأه، وأرقه أمرأه، وأعذبه أشهاه ، لا تشربه صرفاً فيورثك صداعاً ويثير عليك من الأدواء أنواعاً .

– وأي اللحمان أفضل ؟

– الضأن الفتى ، والقديـــد المالح مهلك للآكل ، واجتنب لحم الجزور والبقر .

– والفاكهة ، ما تقول فيها ؟

– كلها في اقبالها ، وحين أوانها ، واتركها إذا أدبرت وولت ، وانقضى زمانها . وأفضل الفواكه الرمان والأترج ، وأفضل الرياحين الورد والبنفسج، وأفضل البقول الهندباء والخس .

– وما تقول في شرب الماء ؟

– هو حياة البدن وبه قوامه ، ينفع ما شرب منه بقدر ، وشربه بعد النوم مضر . أفضله أمرأه وأرقه أصفاه ، من عظام الأنهـــار البارد الزلال لم يختلط بماء الآجام والآكام ، ينزل من صرادح المسطان ، ويتسلل عن الرضراض وعظام الحصى الايفاع .

– وما طعمه ؟

– لا يوهم له طعم إلا أنه مشتق من الحياة .

– وما لونه ؟

– اشتبه على الأبصار لونه لأنه يحكي لون كل شيء يكون فيه .

– أخبرني عن أصل الانسان ما هو ؟

– أصله من حيث شرب الماء يعني رأسه .

– فما هذا النور الذي في العينين ؟

ـ مركب من ثلاثة أشياء : فالبياض شحم ، والسواد ماء والناظر ريح .
ـ فعلى كم جبلة طبع هذا البدن ؟
ـ على أربع طبائع : المرة السوداء وهي باردة يابسة ، والمرة الصفراء وهي حارة يابسة ، والدم هو حار رطب ، والبلغم هو بارد رطب .
ـ فلم لم يكن من طبع واحد ؟
ـ لو خلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك ، فمن ثلاث لم يصلح ، موافقات ومخالفات ، فالأربع هو الاعتدال والقيام .
ـ أجمل لي الحار والبارد في أحرف جامعة .
ـ كل حلو حار ، وكل حامض بارد، وكل حريف حار، وكل مر معتدل، وفي المر حار وبارد .
ـ وما أفضل ما عولجت به المرة الصفراء ؟
ـ كل بارد لين .
ـ فالمرة السوداء ؟ لين . والبلغم ؟ ـ : كل حار يابس ـ . والدم ؟
ـ إخراجه إذا زاد ، وتطفئته إذا سخن بالأشياء الباردة اليابسة .
ـ والرياح ؟ (يعني الأمراض الطارئة كالغازات البطنية وغيرها) .
ـ بالحقن اللينة والادهان الحارة اللينة .
ـ أفتأمر بالحقنة ؟
ـ نعم ، قرأت في بعض كتب الحكماء ، ان الحقنة تنقي الجوف وتكسح الأدواء عنه ، والعجب لمن احتقن كيف يهرم أو يعدم الولد .
وإن الجهل كل الجهل من أكل ما قد عرف مضرته ، ويؤثر شهوته على راحة بدنه .
ـ فما الحمية ؟
ـ هي الاقتصاد في كل شيء ، فإن الأكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ويسد مسامها .
ثم قال كسرى : لله درك من اعرابي ، لقد أعطيت علماً وخصصت فطنة

وفهماً ، وأحسن صلته وأمر بتدوين ما نطق به .

مع عمر ومعاوية :

كتب للحارث أن يعمر حتى خلافة معاوية بن أبي سفيان ، فقد كان له لقاء مع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، وسؤال سأله فيـــه عمر عن الدواء . فقال له الحارث مختصراً الجواب : الأزم [١] — يعني الحمية — كذلك سأله معاوية نفس السؤال حيث قال: ماالطب ياحارث؟ فقال: هو الأزم يامعاوية[١٥].

النضر بن الحارث :

النضر بن الحارث بن كلدة الثقفي وابن خالتـــه النبي ﷺ خلف أباه في الطب ، وكان النضر ذا علم وخبرة بالطب لا يقل عن أبيه ، وقد سافر كأبيه لتعلم الطب ، واجتمع مع الأفاضل والعلماء بمكة وغيرها وعاشر الأحبار والكهنة ، واشتغل وحصل من العلوم القديمة أشياء جليلة القدر ، واطلع على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة ، وتعلم من (أبيه) أيضاً ما كان يعلمه من الطب.

كان النضر من المناوئين لدعوة الرسول ﷺ ولما وقع بين أسرى بدر تروى الرسول في أمر قتله ، فأمر علي بن أبي طالب أن يضرب عنقه ، وقد رثته أخته — قتيلة بنت الحارث — بشعر قيل أنه أكرم شعر موتور وأعفه :

أمحمدٌ ولأنتَ نسلٌ نجيبـــةٍ في قومها والفَحْلُ فحلٌ معرقُ
ما كان ضرَّكَ لو مَنَنْتَ وربما مَنَّ الفتى وهو المَغِيظُ المحنقُ
لو كنتَ قابلَ فديةٍ لفديتهُ بأعز مـــا يغلو لديك وينفقُ
فالنَّضرُ أقربُ من أخذتَ بزلةٍ وأحقهم إن كان عُتق يعتقُ

فلما بلغ رسول الله ﷺ شعرها قـــال : لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته [١٦] .

وفاة الحارث :

توفي الحارث بن كلدة طبيب العرب وحكيمهم وفيلسوفهم في عصره بعد أن شهد طغيان الحضارة العربية في أول فورانها ، تلك الحضارة التي جعلت

(١) الأزم : بمعنى المسك ، ويقال أزم الرجل عن الشيء ، أي أمسك عنه .

طبيب العرب ينظر إليها متعجباً متشوقاً ويقول : أما لهذا العمر أن يعود من جديد؟ . ثم يقول وكأنه — يطمئن نفسه —: سيكون في أحفادنا هؤلاء خير سلف لنا ، فلما التأسف على العمر بعد الآن .. نحن الآن في السنة الخمسين من الهجرة الموافقة (٦٧٠م) وهي التي لقي فيها الحارث ربه ، وكانت ولادته التي لا نعلم متى هي بالضبط ، قبل الإسلام ، وقد ساد الحارث بني قومه وتزعمهم في الطب والحكمة ، وله من الكتب كما يقول ابن أبي أصيبعة « كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى أنو شروان » ، وربما يقصد بـه تلك المحاورة التي تمت بينه وبين كسرى والتي أثبتناها في صدر هذا البحث .

عبدالله الماجد

الحواشي : —

(١) اثر العرب في الحضارة الاوربية عباس محمود العقاد . ص (٣٥) .
(٢) تاريخ العرب (مطول) فليب حتى ج ١ ص (٣٢٣) .
(٣) نفس المصدر ص (٣٢٤) .
(٤) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط . الدكتور جورج سارطون . ترجمة الدكتور عمر فروخ طبعة اولى ص (٢٤) .
(٥) تاريخ العرب ج١ ص (٣٢٤) .
(٦) معالم الفكر العربي في العصر الوسيط . الدكتور كمال اليازجي . طبعة ثالثة ص (٨٥)،
(٧) الثقافة الغربية ص (٥١) .
(٨) نفس المصدر ص (٢٢) .
(٩) البيان والتبيين . للجاحظ (تحقيق حسن السندوبي ، القاهرة ١٣٥١ هـ ج٣ ص١٤١ ١٤٢) ولديه تعليل أكثر ..
(١٠) ابن العبري ص (١٥٦ — ١٥٧) ، القفطي « تاريخ الحكماء » (مختصر) ص (١٦١) فليب حتى تاريخ العرب ص (٣٢٤) .
(١١) طبقات الأطباء ج ٢ ص (١٣) اصدار دار الفكر بيروت ١٩٥٧ م .
(١٢) تاريخ الفكر العربي . الدكتور عمر فروخ . الطبعة الاولى ص (٩٧) وانظر معالم الفكر العربي كمال اليازجي (٥٨) .
(١٣) الاستيعاب . لابن عبد البر ج١ ص (٢٨٣) وطبقات الأطباء ص (١٣) .
(١٤) طبقات الأطباء . ابن أبي اصيبعة . ج ١ ص (١٣ — ١٧) .
(١٥) المصدر السابق ص (١٣) ، وأثر العرب في الحضارة الأوربية . عباس العقاد ص (٣٥) .
(١٦) الاغاني ج ٤ ص (٢٠٦) وطبقات الأطباء ج ٢ ص (٢١) .

عدمناه يقيناً..

ألا ارْبَعْ.. لستُ منكَ ولستَ مِنّي ... فلا تُجْلِبْ عليَّ ، ولا تُهَني !
أتزعمُ أنني مندُ افترقنا ... على الحالَيْنِ . قدْ جاوَزْتَ سني ؟
وإنكَ في نعيمِك ، قد تُلاقي ... أخاً في الشَّقْوِ !! بئس لقاءَ ظنّ !
فمارِسْ ما تُريد ، وقرَّ عيناً ... وطِبْ نفساً ، وعالِجْ كُلَّ فنّ !
وكيفَ تريدُ من دُنيَاكَ نَوْحاً ... وأنتَ على مَبَاهِجِهَا تُغَنّي ؟!

* * *

يصُونُ الدَّهْرُ أشْبَاحاً لِقَوْمٍ ... فما ذَنبيَ إذا هُوَ لم يَصُنّي ؟
كأنّي في لَهَاةِ الدَّهْرِ صَوْتٌ ... أبَحُّ في الشكايةِ ... أو كأنّي !
فقدْتُ صداي .. لا أمْسى أُعَزى ... على حالٍ .. ولا أضْحَى أُهَنّي ..
أتلكم ؟ أم طَريقة بعضَ قوم ... يُرِنُّونَ البُكاء معَ المُرِنّ ؟!
فإن ألْفَيْتَهُم .. قَابلْتَ وجْهاً ... وَسيماً قدْ أبَنَّ مع المُبِنّ
وعيْناً مثلما ضَحِكَتْ ، نجوم ... وثغراً يستديرُ بكُلِّ سِنّ
يُضَاحِكُ أو يُلاعِبُ .. ثم قَدْ لا ... يُعَاني حاجةً فيما يُعَنّي !
وقُلتُ لرَبَّة البَيْتِ : اطْمَئِنّي ... وكيْفَ – على اللَّظى – للْمُطْمَئِنّ ؟!
ألَسْتِ شَرِبتِ كُلَّ البُؤسِ كأساً ؟ ... فهَاكِ ثُمَالةً منْ كُلِّ دَنّ !
ولا تَبكي .. فإنَّ بُكاءَ يَوْمٍ ... يُضَارِعُ غارَةَ الدَّهْرِ المُشِنّ !

* * *

فإنَّ حَياتنا ، لعِبٌ ، ولَهْوٌ ... كما لأمْتَ ذا طَبَقٍ بشَنّ !
حمدنا عيشنا ، ثمَّ انتَهَيْنَا ... إلى لأوَائِهِ ، من دونَ مَنّ !
عَدِمْنَاهُ يَقِيناً .. ثمَّ نُمسي ... نُقَلِّبُ أوْجُهاً .. عند التَّظَنّي !

مكة – حسين بن سرحان

طوفان الحب!

أخافُ عليكِ جراح النَّسيمْ
وأخشى عَليكِ أكُفَّ المَطَرْ

* * *

بلادي ..
وفيكِ مناياَ العظيمْ
لما قَدْ سَيأتيْ
وما قَد غَبرْ
أخافُ عليكِ لهيبَ السُّمُومْ
وأخشى عليكَ الشتّا . حَيث قَرْ
أخافُ عليكِ خريف الحياة
وأخشى عليكِ عوادي البَشرْ

* * *

أخافُ عليكِ
ومِن أجل خوفي ..
ولِذْتُ إلى الحبِّ بابَ الحذرْ
فما طعِمَتْ مُقلتايَ المنامْ
وفي مقلتيك معَاني السَّهَرْ !!

* * *

بلاديْ ..
تخوَّفتُ طوفان حبي ..
لقد كانَ حُبّاً عنيفَ الصُّوَرْ !!
فوزَّعتهُ في خيُوط الصَّبَاح
وشمسِ النّهارِ .. وضَوْءِ القمَرْ
ووزَّعْتُهُ في ترامِيْ الحدُود
وفوقَ الهضابِ . وبين الحُفَرْ

* * *

بلاديْ ..
وما زلتُ أخشى عليك —
على الرغمِ من كُلِّ هذا الحذَرْ —
أخافُ عَليكَ جراحَ النَّسيم
وأخشى عليكِ أكُفَّ المَطَرْ

(*) من ديوان « صفاره الانذار » تحت الطبع .

سَعد البَوَاردي

رأي حول (الطب البدوي)

لقد لفت نظري في العدد الأخير من مجلة العرب الغراء (الجزء الرابع السنة الثانية شوال سنة ٣٨٧) ما كتبه الأخ الكريم السيد عبد الله علي الماجد عن (الطب البدوي) رأيت فيه رأياً آخر :

١ – فلقد ذكر الأخ عبدالله أن البدوي في عصور الجاهلية يداوي بما له من الذكاء والأختبار من غير الرجوع إلى قواعد ثابتة أو علم منظم . معززاً رأيه بما جاء عن ابن خلدون .

٢ – وذكر ايضاً أن الطب العربي في أصله ينحدر من مصدرين اساسيين يوناني وهو الأصل والثاني فارسي. ولكنه استدرك بقوله : إن اليونان والفرس مدينون لمن سبقهم في العلوم .

٣ – وذكر أيضاً أن الطب أول ما نشأ في الجزيرة العربية كان بدائياً حيث اختلطت فيه العلاجات الصحيحة بالشعوذة والطلاسم . وعززها بذكر الحارث بن كلدة وغيره من اطباء الجاهلية .

٤ – كما ذكر نبذاً بسيطة عن العلاجات المبسطة التي يقوم بها البدو لعلاج الخيل والجمال الخ .

فما يخص الفقرة الأولى فأنا أوافقه عليها فعلاً عدا اعتماده على ذكر ابن خلدون لأن هذا العلامة الاجتماعي قد نظر إلى انتاجه الأدبي نظرة اجتماعية بحتة .

أما ما يختص بالفقرة الثانية فما جاء بها غير صحيح رغم استدراكه بأن اليونان والفرس مدينون لمن سبقهم في العلوم . فالطب البدوي أصله عربي ، وما الطب اليوناني إلا (طباً عربياً مطعماً) استمده الاغريق من الدول العربية الوثنية القديمة (كالسورية والبابلية والفرعونية والآشورية والآرامية والفينيقية) .

أما ما يختص بالفقرة الثالثة فأوافقه على ما جاء بها الا أن ذكره للطبيب الحارث بن كلدة يجعلني أفهم أنـه يقصد بتلك الفترة (فترة الجاهلية قبل الاسلام) .

وأما ما يختص بالعلاجات البسيطة التي ذكرها لعلاج الخيل والجمال فكان الأجدى أن يستعاض عنها بذكر علاج الأهل والأقارب أثناء القتال .

وعليه فالصورة البدائية للطب العربي القديم قد توارثناها عن العهود العربية القديمة التي امتدت سطوتها حتى القرن الرابع قبل الميلاد حيث بدأ الطب اليوناني، ولكننا توارثناها مشوهة بفضل الدخيل الأجنبي الذي وطىء أرض البلاد العربية زمن الجاهلية التي أمتدت من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن السادس بعد الميلاد حيث ظهر الاسلام .

لم تقتصر تعاليم الدين الاسلامي على أشياء ضيقة بل تعدتها إلى القطاع الصحي حيث أضيف إلى ما سبق من (طب متوارث) تعاليم صحيحة جديدة سارت إلى أن ظهر (الطب المبتكر) في العهد العباسي الذي هذب الطب اليوناني تهذيباً كاملاً قدمه مرة أخرى إلى أوربا عن طريق الأندلس وأيطاليا والحروب الصليبية .

هذا في الجزء الشمالي من الجزيرة العربية . أما الجزء الجنوبي فقد تأثر إلى حد ما بالوصفات الطبية الهندية والصينية ، لمتانة العلاقة التجارية آنذاك .

وأما الجزء الأوسط من شبه الجزيرة العربية وهو الجزء الذي تسكنه البادية فقد أخذت علاجاتها الطبية عن الجزء الشمالي وعن الجزء الجنوبي على السواء . ومن ثم فلا هو بالطب اليوناني ولا هو بالطب الفارسي لأن بلاد فارس نفسها كانت تستعين في علاجها بالعرب واليونان والهنود .

بقيت ملاحظة أخيرة كنت أرغب من الأخ عبد الله الا يغفلها وهي (في رأيي) أهم ، واعني بها طب الجراحة التي مارستها وتمارسها البوادي والتي هي (في رأيي) أهم من الطب الباطني .

فجراحة تجبير الكسور لم تصل من السوء إلى الدرجة التي نتصورها عند مقارنتنا لها بطب الجامعات (اللهم الا فيما يختص بالتشريح الذي يعتمد على فهم ممرات الأعضاء وامتداد أجزائها) .

أما عن فن القبالة والولادة فقد فسرها الشاعر العربي القديم أعشى بني قيس بن ثعلبة بقوله :

أصالحكم حتى تبوؤا بمثلها ... كصرخة حبلى يسرتها قبيلها .

وكان يشير بذلك إلى استيلاد الحبالى وعنايتهن بفن القبالة .

يضاف إلى ذلك علاج (ألملة) المعتمد في علاج المصابين أثناء القتال وهو من حيث المبدأ يتفق مـــع طب الجامعات وأعني بذلك (تعقيم الجروح ، وتوفير الغذاء الدموي ثم إبعادها عن التلوث الجرثومي) .

يضاف إلى ذلك أيضاً استعمال (شعر أذناب الخيل) في خياطة الجروح وهي متفقة أيضاً مع مبدأ طب الجامعات ولكن بصورة بدائية لأن طب الجامعات قد أخذها عن أجدادهم ، ولا زالت مستعملة في الجراحة الحديثة رغم وجود نسائل حديثة تسمى بأمعاء القطط أي Cat - Cut .

وليس هذا فقط بل إن اثارة (النشاط المضاد) الكامن في جميع أنسجة الجسم المقاومة المرض والمسمى في طب الجامعات counter - irri tant لا زالت سارية حتى الآن والمسماة (بالكي) .

من كل ما فات أحببت أن يستفيد منه طالب فائدة لا رغبة في ان يدوم طب البادية على ما هو عليه وانما لاحترامه واجلاله لأنه امتداد لتراث الآباء والأجداد القدامى ، والقدامى جداً .

الرياض — الدكتور يوسف الحميدان

على هامش جمهرة ابن الكلبي

— ١ —

من شعراء "جمهرة النسب"

وفي ليَيْلاتٍ أمضيتها في (مستشفى الجامعة الأمريكية) في بيروت ، من عام ١٣٨٥ (١٩٦٥ م) وجدت قسطا من الراحة ، في تصفح مخطوطة (المتحف البريطاني) من كتاب « جمهرة النسب » لابن الكلبي (*) ، فكان أن علقت في هوامش نسختي المصورة عن تلك النسخة الوحيدة ، المعروفة الآن والتي هي من مخطوطات القرن السابع الهجري (كتبت سنة ٦٥٣) —علقت بعض فوائد تتعلق بأسماء المواضع ، وأيام العرب ، وأسماء الشعراء التي بلغت ٤٣٨ — وبحذف الألقاب — قاربت ٤١٦ اسما ، وقد رأيت تسجيلها هنا ، لأن كتاب « الجمهرة » هذا يعتبر من أصول الكتب التاريخية التي اعتمد عليها الباحثون من متقدمين ومتأخرين ، ولأن الكتاب لم يطبع بعد باللغة العربية . وفي العام الماضي ، قام احد العلماء من الألمان وهو الاستاذ ورنر كاسكل werner caskel في جامعة (بن) بدراسة هذا القسم من كتاب « الجمهرة » والقسم الأخير من كتاب « النسب الكبير » الموجود أصله في مكتبة (دير الا كوريال) في اسبانية ، قام بدراسة القطعتين المذكورتين ، دراسة كان من أثرها أن أصدر مجلدين ضخمين باللغة الألمانية (١) . ضمنها ما يحويانه من الأسماء ، مستعيناً بمراجع اخرى من كتب التاريخ والنسب ، من مطبوع ومخطوط ، غير أن هذا الكتاب ليس في ميسور كل باحث عربي الاطلاع عليه ، أو الاستفادة منه ، وخاصة من لا يحسنون اللغة الالمانية . وهذا ما دفعني الى نشر ما علقته في هامش نسختي من أسماء الشعراء ، مشيرا إلى رقم الصفحات التي ورد ذكر الشعراء فيها ، من تلك النسخة ومما تجب ملاحظته :

(*) وصفها العالم العراقي الدكتور جواد علي في « مجلة المجمع العلمي العراقي » ، ج ١ .

(١) Gamharat An - Nasab Das Geneal Ogischewerk

الأ ل : يتضمن مقدمة في ١٣٣ص وجداول للقبائل في ٣٣٤ص والثاني : فهارس في ٦١٦ص وطبع سنة ١٩٦٦ (بريل - ليدن) .انظر عن كاسكل ١٣١٤/ ١٣٩٠ (١٨٩٦/ ١٩٧٠م) «العرب» ٥/ ٩٦١.

ان هذا القسم من كتاب « جمهرة النسب » ليس كل الكتاب ، بل لايحوي إلا أنساب العدنانيين ويتضمن من أنساب القحطانيين أول نسب الأزد ، في ١٨ صفحة — حيث ينتهي بانتهاء الكلام على بني أوس بن حارثة :

وفي القطعة الموجودة في مكتبة الاسكوريال من كتاب « نسب معد واليمن الكبير » ما يكمل النقص ، وان اختلف الكتابان في الترتيب ، وفي بعض النصوص ، وقد ننشر أسماء الشعراء المذكورين في الكتاب الأخير .

حرف الألف

١ — ابراهيم بن هرمة الفهري ٨٣ .
٢ — أبو الأسود الديلي ١٠٤ ، ١٥٩ .
٣ — أبو حُليل بن شداد العبسي ٣٥١ .
٤ — أبو السائب بن عبادة بن مالك ٤٩٦ .
٥ — أبو المنجاب (عبيدة) .
٦ — أبو الهندي (الأزهر) .
٧ — أبو وجزة السعدي ٢١٥ .
٨ — أبي بن حمام العبسي ٣٥٥ .
٩ — الأحرد (مسلم بن عبد الله الثقفي) .
١٠— الأحوص بن عبد الله الأوسي ٤٩١ .
١١— الأحوص بن عمرو اليربوعي ١٥٤ .
١٢— أحوق بن كليب الهندي الشيباني ٣٩١ .
١٣— أحيحة بن الجلاح ٤٩٦ .
١٤— الأخطل ٢٥ ، ١٣٢ ، ١٥٨ ، ٢٩١ ، ٤٤٩ ، ٤٥٤ ، ٤٩٦ .
١٤— الأخنس بن شهاب التغلبي ٤٥٢ .
١٥— الأخنس بن عباس بن خنساء البكري ٤١٤ .
١٦— أرطاة بن سهية المرى ٣٥٣ .
١٧— أرقم بن علباء البكرى ٤٤٤ .

١٨– أبو الهندي : الأزهر ...|١٥٦ .
١٩– الأسود بن عمرو بن كلثوم ٤٥٨ .
٢٠– الأسود بن يعفر ١٢٠ ، ١٤٨ .
٢١– الأسود بن يعمر ٢٥٩ .
٢٢– الأشهب بن رميلة الدارمي ١٤٨ .
٢٣– الأصم الباهلي ٢٨٨ .
٢٤– أصم بني ولاد ٢٠٩ .
٢٥– الأعشى ٢٠٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤١٨ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ .
٢٦– أعشى بني أمامة (أعشى ربيعة) .
٢٧– أعشى بني تغلب : نعمان بن نجوان ٤٤٩ .
٢٨– أعشى ربيعة (عبد الله بن خارجة) ٣٩٢ .
٢٩– أعشى همدان ١٨٦ ، ١٨٧ .
٣٠– الأغلب بن جعشم بن عمرو بن عبيدة العجلي ٤٣٤ .
٣١– الأقرع بن معاذ القشيري ٢٦٩ .
٣٢– الأقيشر بن عبد الله ١٣١ .
٣٣– أمرؤ القيس ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٤٧ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٤٨١ .
٣٤– أمرؤ القيس بن كعب قاتل الجوع الغساني ٤٨٨ .
٣٥– أمية بن أبي الصلت الثقفي ٩١ ، ٣٠٦ .
٣٦– أمية بن حرثان بن الأسكر ١٠١ .
٣٧– أنس بن مدرك الخثعمي ٣٨١ .
٣٨– أوس بن ثعلبة بن زفر البكري ٤١٣ .
٣٩– أوس بن حجر ٢٠١ ، ٤٢٥ .
٤٠ أوس بن مغراء ١٣٤ ، ١٧٤ ، ١٧٥ .

حرف الباء

٤١– بجير بن زهير المزني ٢١٤ .

٤٢– بجير بن لأى بن حجر البكري ٤١٠ .
٤٣– البردخت ٢١٢ ، ٢٢١ .
٤٤– بشامة بن الغدير ٣٣٢ .
٤٥– بشر بن أبي جذيمة بن مروان القرظ ٣٥١
٤٦– بشر بن أبي خازم الأسدي ١٢٥ ، ٣٢٧ .
٤٧– بشر بن أُبَيْرق الهتيمي الظفري ٥٠٦ .
٤٨– بشر بن عبدة بن عبادة البكري ٤٢٥ .
٤٩– البعار (علقمة بن حوي) .
٥٠– بلعاء بن قيس الكناني ٩٥ .
٥١– البعيث (خداش بن بشر) .
٥٢– بكر بن المغيرة المري ٣٣٠ .

حرف التاء

٥٣– تأبط شرا : (ثابت بن جابر)
٥٤– التكلام الضبعي ٤٣٠ ، ٤٧٥

حرف الثاء

٥٤– تأبط شرا : ثابت بن جابر ١٠٢ ، ١١٢ ، ٣٧٧
٥٥– ثابث قطنة ٣٣ ، ١٧٦
٥٦– ثعلبة بن حمام بن سيار بن حبيل البكري ٤١٤

حرف الجيم

٥٧– ابو دؤاد : جارية بن حمران الايادي ٨٧ ، ٢٥١ ، ٤٧٧
٥٨– جبل بن صفوان بن سلال بن أحرم الذبياني ٣٣٥
٥٩– جبهاء : يزيد بن عبيد
٦٠– ابن جدعاء : (يزيد بن حنظلة جبناء)
٦١– جريبة بن الاشيم الاسدى ١١٩

٦٢– جرثومة بن جلان العنزي ٤٧٢
٦٣– جرير بن جرقان بن طارق العجلي ٤٣٥
٦٤– جرير بن الخطفى ٨ ، ١٣٩ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ١٦١ ، ١٨٦ ، ٢١٢ ، ٣٤٦ ، ٤٠١ ، ٤٧١ ، ٤٧٢
٦٥– جرير بن عبد المسيح الضبعي (المتلمس) ٤٧٤
٦٦– جرير بن هبيرة اليربوعي : ابن الكلحبة ١٥٧
٦٧– جعيل الليثي ٩٧
٦٨– جفنة بن قرة القشيري ٢٦٩
٦٩– جناب بن افعى العجلي ٤٣٥
٧٠– جواس العذري ١١٠
٧١– جهم بن عوف بن الحصين ٢٥٧

حرف الحاء

٧١– ابن الحادرة : قطبة بن محصن .
٧٢– ابن عبلة : الحارث بن أمية ٣٥
٧٣– الحارث بن حارثة بن جشم البكري ٤١٠
٧٤– الحارث بن حلزة اليشكري ١٤٦ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦
٧٥– الحارث بن دوس الايادي ٤٨٢
٧٦ الحارث بن زهير التغلبي ٤٥١
٧٧ الحارث بن ظالم المري ٨ ، ... ، ٤٧٢
٧٨– حاتم الطائي ٤٠٤ ، ٤٧٢ ، ٤٨٣
٧٩– حاجب وديعة بن خديج بن سحمة ٣٥٩
٨٠– الحارث بن عمرو بن حرجة الغطفاني
٨١– الحارث بن همام الشيباني ٤٦٩
٨٢– حارثة بن بدر الغداني ١٥٩ ، ١٦١
٨٣– ابن حبناء : المغيرة ، يزيد ، صخر

٨٤– حجر بن معاوية بن حذيفة الفزارى ٣٤٢
٨٥– حذافة بن غانم ٩
٨٦ – حذيم بن الحارث بن جشم البكري ٤١٠
٨٧– أبو حزابة ٣٣ ، ٣٤ ، ١٦٣
٨٨– أبو شملة : حريث بن اياس بن حرملة الشيباني ٤٠٣
٨٩– الحزين ٠٠ ، ٥٧ ، ٠٠
٩٠– حسان بن ثابت ٤٦ ، ٥٦ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١٤١ ، ٤٣٦ ، ٤٨٥ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠٧ ، ٥١١
٩١– الحصين بن حمام المري ٣٣٥
٩٢– حضرمي بن عامر بن حرملة ١٢٨
٩٣– الحطيئة ٢٥ ، ٣٠ ، ١٤٨ ، ١٦١ ، ١٧٥ ، ٢٣٨ ، ٣٥٧
٩٤– الحكم بن عبدل ٢١ ، ١٣٠ ، ٢٠١
٩٥– الحكم بن عبد الله بن عبد الظلمي البرجمي ٣٩٥، ٣٩٧
٩٦– حمزة بن بيض الحنفي ٤٢٦
٩٧– حميد الارقط ١٦٤ ، ٤٦٦
٩٨– حنظلة بن أوس بن بدر التميمي ١٧٣
٩٩ حنظلة بن عرادة ٢٠٢

حرف الخاء

١٠٠ – خالد بن حجية بن عمرو الشيباني المكواة ٤٠٩
١٠١ – البعيث : خداش بن بشر ١٤٥ .
١٠٢ – خداش بن زهير بن ربيعة ٢٧٨ ، ٢٨٣ .
١٠٣ – أبو خراش الهندلي ١٨٩ .
١٠٤ – ابن الخرع : عوف
١٠٥ – خفاف بن ندبة وهو عمرو ٣١١ ، ٣١٢ ، ٥١١
١٠٦ – الخنساء بنت عمرو بن الشريد ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٧
١٠٧ – الخنيقة : عمرو بن ربيعة
١٠٨ – أبو خويلد الهذلى ٨٩

حرف الدال

١٠٩ ـ ابن دارة : سالم
١١٠ ـ دبير بن تيم ٧٦
١١٠ ـ درهم بن زيد بن ضبيعة الأولى ٤٩٢
١١٢ ـ دريد بن الصمة الجشمي ٢٩٩ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٩
١١٣ ـ دغفل بن عوف بن شداد ٢٤٧ .
١١٤ ـ أبو دواد : (جارية بن حمران) .

حرف الذال

١١٥ ـ ذو الخِرَق بن شريح الدارمي ١٤٩ .
١١٦ ـ ذو الرمة ١٨٣ ، ٢١٠ .
١١٧ ـ أبو ذؤيب الهذلي ٨٩ .
١١٨ ـ الذهاب بن جندل العجلي ٤٣٧ .

حرف الراء

١١٩ ـ الراعي : عبيد بن حصين .
١٢٠ ـ الربيع بن ضبع الفطفاني ٣٣٨ .
١٢١ ـ الربيع بن مقنب الغطفاني ٣٤٣ .
١٢٢ ـ ربيعة بن عبد ياليل الثقفي ٣٠٧ .
١٢٣ ـ الرحال بن عزرة الخفاجي ٢٥٩ .
١٢٤ ـ ردع بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد الأوسي ٥٠٥
١٢٥ ـ رزين بن ظالم بن عودة بن جندل العجلي ٤٤٠ .
١٢٦ ـ رشيد بن رميض العنزي ٤٧٣ .
١٢٧ ـ الرقاد بن المنذر الضبي ٢١٩ .
١٢٨ ـ ابن ميادة : الرماح بن أبرد ٣٣١ ، ٣٤٥ .

١٢٩ – ابن أم رمثة (نصر بن حرب) .
١٣٠ – رؤبة بن العجاج ١٧٩ .

حرف الزاي

١٣١ – أبو زبيد الطائي ٣٠ ، ٤٠٥ .
١٣٢ – زبير بن طفيل بن زهير ٧٨٢ .
١٣٣ – ابن قرقرة : زرعة بن السليت بن قيس بن مطرود السلمي ٣١٥ .
١٣٤ – المفرض : زهدم بن معبد العجلي ٤٤٠ .
١٣٤ – زهير بن أبي سلمى المزني ٢١٤ ، ٢٢١ ، ٣٢٩ .
١٣٥ – زهير بن جناب الكلبي ٣٣٢ ، ٤٥١ .
١٣٦ – زياد الأعجم ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٩ ، ٣٠١ .
١٣٧ – زياد بن عمير بن قنيع النصري ٢٩٩ .
١٣٨ – زيد بن الحكم بن ابي العاص الثقفي ٣٠٨
١٣٩ – زيد الخيل الطائي ١٢١ ، ١٢٨
١٤٠ – زيد بن عمرو بن خويلد العبسي ٢٤٣
١٤١ – زيد بن طعيمة بن الطفيل الأوسي ٥٠٧

حرف السين

١٤٢ – سالم بن دارة ٣٤٦ ، ٣٦٢
١٤٣ – سالم بن وابصة ١٢٥
١٤٤ – سحيم عبد بني الحسحاس ١٣٠
١٤٥ – سحيم بن وثيل ١٥٤
١٤٦ – أبو سدرة ١٥٨
١٤٧ – سعد بن الاصبغ الكلبي ٤١٢
١٤٨ – ابن الغريراء : سعد بن مرة بن معاوية الاوسي ٤٩٩
١٤٩ – أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ١٨
١٥٠ – سلامة بن جندل ١٧١

١٥١ ـ السموأل بن عاديا الغساني ٤٨٨
١٥٢ ـ السمهري العكلي اللص ٦٤ ، ٢٠٨ ، ٢٩٤
١٥٣ ـ ابن سمي ٣٤٣
١٥٤ ـ أبو السنابل بن بعكك ٤٢
١٥٥ ـ السندري بن يزيد بن شريح ٣٣٩
١٥٦ ـ سوار بن أوفى بن سبرة ٢٢٦ ، ٢٦٧
١٥٧ ـ سوار بن المضرب ١٧٦
١٥٨ ـ سور بن أبي كاهل ٣٢٧
١٥٩ ـ سويد بن الصامت الأوسي ٤٩٩ ، ٥٠٨
١٦٠ ـ سويد بن عرين السلمي ٣١٦
١٦١ ـ سهم بن حنظلة بن جاوان بن خويلد ٣٧٧
١٦٢ ـ سيار بن الكلب ١٩١

حرف الشين

١٦٣ ـ الشاعر الشيباني (؟)٣٩٠
١٦٤ ـ الممزق : شاس بن نهار بن أسود ٤٦٧
١٦٥ ـ أبو شبل بن معاوية بن حزن بن عبادة ٢٦١
١٦٦ ـ شبيب بن البرصاء ٣٢٤ ، ٣٢٩
١٦٧ ـ شبيب بن حراد بن طهفة ٢٥٠
١٦٨ ـ شبيب بن عمرو بن كربب الطائي ٤٠ ، ٤٣١
١٦٩ ـ أبو شجرة عبد العزي بن عبد الله السلمي ٣١٣
١٧٠ ـ شداد بن جفنة بن قرة القشيري ٢٦٩
١٧١ ـ أبو الشعب (عكرشة بن اربد)
١٧٢ ـ شقيق بن السليك الأسدي ١٣٠
١٧٣ ـ الشماخ ٩٤ ، ٣٠٥ ، ٢٢٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ، ٥٠٤
١٧٤ ـ شمعلة بن طيسلة الغطفاني ٣٥٣

١٧٥ ـ أبو شملة : (حريث بن إياس)
١٧٦ ـ شميز بن الريان بن الحارث بن لأي العجلي ٤٣٤
١٧٧ ـ الشندخ : (القاسم بن عبد الغفار)
١٧٨ ـ شهاب بن عبد العزي البكري ٤٢١

حرف الصاد

١٧٩ ـ صخر بن حبناء ١٦٣
١٨٠ ـ صخر الغي الهذلي ٨٩
١٨١ ـ الصلتات العبدي : (قثم)
١٨٢ ـ الصمة بن عبد الله القشيري ٦٩

حرف الطاء

١٨٣ ـ أبو طالب بن عبد المطلب ٥٦
١٨٤ ـ طرفة بن العبد ٤٢٣ ، ٤٢٤
١٨٥ ـ طريح بن اسماعيل الثقفي ٣١٥
١٨٦ ـ طريف بن تميم بن عمرو ١٨٧
١٨٧ ـ طفيل بن عوف الغنوي ٢٠٠ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠

حرف العين

١٨٨ ـ المثقب العبدي : عائذ بن محصن ٤٦٦
١٨٩ ـ أبو قيس بن الاسلت : عامر بن جشم الأوسي ٥١١
١٩ ـ عامر بن جشم الأوسي ٥١١
١٩١ ـ عامر بن الطفيل العامري ٣٥٥
١٩٢ ـ عبادة بن شكس بن الأسود العنزي (أو عَبَايه) ٤٧١
١٩٣ ـ العباس بن الاحنف الحنفي ٤٢٩
١٩٤ ـ العباس بن مرداس السلمي ٢٩٨ ، ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣١٩
١٩٥ ـ عبد العزى بن وديعة بن حراق المزني ٢١٥
١٩٦ ـ عبد قيس بن خفاف البرجمي ١٩٢

١٩٧ ــ عبد الله بن أمية بن المغيرة المخزومي ٥٩
١٩٧ ــ عبد الله بن ثور ٢٧٩
١٩٨ ــ عبد الله بن خارجة : (اعشى ربيعة) ٣٩٢
١٩٩ ــ عبد الله بن الحجاج الثعلبي الذبياني ٣٢٢
٢٠٠ ــ عبد الله بن الحجاج بن محصن الذبياني ٣٣٥
٢٠١ ــ عبد الله الحشرج ٢٧١
٢٠٢ ــ عبد الله بن حصين بن الحارث بن المطلب ٣٧
٢٠٣ ــ العجاج : عبد الله بن رؤبة ١٧٩
٢٠٤ ــ عبد الله بن الزبعري ٥٧
٢٠٥ ــ عبد الله بن الزبير الأسدي ٥٣ ، ١٢٠ ، ١٦٢
٢٠٦ ــ عبد الله بن سبرة الحرشي ٢٧٥
٢٠٧ ــ عبد الله بن شبل البجلي ٥٤ ، ٩٩
٢٠٨ ــ عبد الله بن شمس الجرمي ٣٦٨
٢٠٩ ــ العرجي : عبد الله بن عمرو ..٢٣/ .
٢١٠ ــ العَبْلى : عبد الله بن عمرو العبلى ٣٤ .
٢١١ ــ عبد الله بن عنمة الضبي ٢٢٢ .
٢١٢ ــ عبد الله بن كعب بن عمرو بن عدس ٢٨٠ .
٢١٣ ــ عبد الله بن مجبر ١٨٢ .
٢١٤ ــ عبد الله بن همام السلولي ١٩ ، ٦٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ .
٢١٥ ــ عبدة بن الطبيب ١٨١ .
٢١٦ ــ ابن عبلة : (الحارث) .
٢١٧ ــ عبيد بن الأبرص ١٢٥ .
٢١٨ ــ عبيد الله بن الحر الجعفي ٤١٠ .
٢١٩ ــ عبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري ٤١٢ .
٢٢٠ ــ عبيد بن حصين النميري ٢٩١ .
٢٢١ ــ عبيد بن كشيم بن عبد الله بن طريف بن سحمة ٣٥٩ .
٢٢٢ ــ عبيد بن نافذ بن صبة بن أحرم بن جحجبا ٤٩٧ .

٢٢٣ — عبيدة بن غاضرة أبو المنجاب ١٨٦ .
٢٢٥ — عتبة بن مرثد بن دبير الأسدى .. /١٢٥ .
٢٢٦ — عتبة بن معاوية ٢٦٠ .
٢٢٧ — عتيبة بن مرداس ١٩١ .
٢٢٨ — عثمان بن الحويرث ٤٨ .
٢٢٩ — عثمان بن قتادة بن خليد بن معضد البكري ٤٠٩ .
٢٣٠ — العجاج : (عبد الله بن رؤبة) .
٢٣١ — العدل بن حكيم الحنظلي ١٥٠ .
٢٣٠ — العديل : الفرخ العجلي ٤٤١ .
٢٣٢ — عدى بن الرقاع العاملي ٣٨٢ .
٢٣٣ — عدى بن زيد العبادي ١٨٢ ، ٤٧٧ .
٢٣٤ — العرجي : (عبد الله بن عمرو) .
٢٣٥ — عرفجة بن شريك بن الريان البكري ٤٢٤ .
٢٣٦ — عروة بن أذينة ٩٥ .
٢٣٧ — عروة بن شراحيل ١٤٢ .
٢٣٨ — عروة الصعاليك بن الورد العبسي ٣٥٨ .
٢٣٩ — أبو عَزَّة الجمحي ٦٧ .
٢٤٠ — أبو عفراء : عمير بن سنان ١٩٥
٢٤١ — عقيل بن عُلَّفة المري ٣٣٠ .
٢٤٢ — عقيبة بن هبيرة الأسدي ١٢٣ .
٢٤٣ — أبو الشعب:عكرشة بن اربد بن مسحل بن شيطان الغطفاني ٣٥١
٢٤٤ — عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف القرشي ٤٢ .
٢٤٥ — علقمة بن أسوى العبدي ٤٦٥ .
٢٤٦ — علقمة البَعَّار بن حُوَيّ ١٤٥ .
٢٤٧ — علقمة بن عبدة ٣٨٨ ، ٤٧٨ .
٢٤٨ — علي بن الغدير بن مضرس الغنوى ٣٧٠ .
٢٤٩ — علي بن وهب المزني ٢١٥ .

٢٥٠ ــ عمران بن حطان الخارجي ٤١٧ .
٢٥١ ــ عمران بن عصام العنزي ٤٧٣ .
٢٥٢ ــ عمر بن أبي ربيعة ٣٦ .
٢٥٣ ــ عمرو بن أحمر الباهلي ٣٦٧ .
٢٥٤ ــ عمرو بن أمية بن عمرو بن سعيد ٢٦ .
٢٥٥ ــ عمرو بن ... بن حدير بن مصاد ٢١٠ .
٢٥٦ ــ عمرو ذو الكلب الهذلي ٨٨ .
٢٥٧ ــ عمرو بن ربيعة الجعدي : الخنيقة ٢٧٣ .
٢٥٨ ــ عمرو بن شاس الأسدي ١١٧ ، ١٢٥ .
٢٥٩ ــ عمرو بن شقيق الفهري ٨٠ .
٢٦٠ ــ عمرو بن قيس العجلي : كبد الحصاة ٤٣٦ .
٢٦١ ــ عمرو بن كلثوم التغلبي ٤٤٧ ، ٤٧٧ .
٢٦٢ ــ عمرو بن معدي كرب الزبيدي ٢٤ ، ٢٠٥ .
٢٦٣ ــ عمرو بن الوليد : أبو قطيفة ... ، ٣٠ .
٢٦٤ ــ عمير بن سنان بن عرفطة أبو عفراء ١٩٥ .
٢٦٥ ــ عمير بن المهتجن بن الحارث العجلي ٤٣٤ .
٢٦٦ ــ عميرة بن جعل التغلبي ٤٥٣ .
٢٦٧ ــ عنترة بن شداد العبسي ٢٥٧ ، ٣٥٦ .
٢٦٧ ــ عوف بن عطية بن الخرع ٢٠٩ .
٢٦٨ ــ عويف القوافي : (مالك بن أسماء) .
٢٦٩ ــ عُوَيَّة بن مسعود الضبي ٢٢٠ .

حرف الغين

٢٧٠ ــ ابن الغُرَيراء : (سعد بن مرة) .
٢٧١ ــ ابن الغريرة [١] : (كثير بن عبد الله) .
٢٧٢ ــ غيلان بن حريث الراجز ٢٦٦ .

(١) ابن الغريزة في كتاب « الدب » للقاسم بن سلام .

٢٧٣ — غيلان بن عقبة : ذو الرمة (حرف الراء) .

حرف الفاء

٢٧٤ — أبو فدفد البكري ٤١٥ .
٢٧٥ — الفرثع التغلبي ٤٥٤ .
٢٧٥ — الفرزدق ٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ٢٠٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٧٢ ، ٣٠٠ ، ٣٨٥ ، ٤٧٠ .
٢٧٦ — ابن فسوة : عتيبة بن مرداس .
٢٧٧ — فضالة بن شريك ٢٠ ، ٤٤ ، ١٢٥ .
٢٧٨ — الفضل بن العباس اللَّهَبي ١٨ .
٢٧٩ — أبو النجم : الفضل بن قدامة العجلي ٤٣٩ ، ٤٤٠ .
٢٨٠ — الفند الزِّمّاني ٣٨٤ ، ٤٠٨ ، ٤٤١ .

حرف القاف

٢٨١ — القاسم بن عبد الغفار : الشندخ العجلي ٤٣٣ .
٢٨٢ — القتال الكلابي ٢٤٦ .
٢٨٣ — الصلتان : قثم بن خبية بن قثم العبدي ٤٦٦ .
٢٨٤ — ابن قَرْقرة : (زرعة بن السليت) .
٢٨٥ — القطامى ٢٢ ، ٤٤٩ .
٢٨٦ — قطبة بن محصن بن جرول ٣٣٤ ، (وهو ابن الحادرة) .
٢٨٧ — قطن بن أبي سلمى اليربوعي ١٦١ .
٢٨٨ — قطن بن حزن القشيري ٢٦٩ .
٢٨٩ — أبو قطيفة : (عمرو بن الوليد) .
٢٩٠ — أبو قيس بن الأسلت : (عامر بن جشم) .
٢٩١ — قيس بن حنظلة بن عرادة ١٦٨ .
٢٩٢ — قيس بن الخطيم الأوسي ٥٠٥ .
٢٩٣ — قيس بن دثار العجلاني ٢٧٧ .

٢٩٥ – قيس بن رفاعة الأوسي ٥٠٩
٢٩٥ – ابن قيس الرقيات ٤٧
٢٩٦ – قيس بن عباد بن ربيعة البكري ٤٠٩ ، ٤١٠
٢٩٧ – قيس بن المسجر الليثي ٩٧
٢٩٨ – قنيع النصري الطائي ٢٦

حرف الكاف

٢٩٩ – كبد الحصاة : (عمرو بن قيس)
٣٠٠ – أبو كبير الهذلي ٨٩
٣٠١ – كثيرة عزة ١٠٨
٣٠٢ – ابن الغريرة [١] : كثير بن عبد الله الرامي ١٤٩
٣٠٣ – كثير بن المطلب
٣٠٤ – الكذاب الراجز الحرمازي ١٩٦
٣٠٤ – كعب بن أوس بن عبد الله بن حديدة ١٩٨
٣٠٥ – كعب بن جعيل التغلبي ٤٥٢
٣٠٦ – كعب بن زهير ٢١٤
٣٠٧ – كعب بن سعد الغنوي ٣٦٩
٣٠٨ – كعب بن مالك ٥١١
٣٠٩ – الكلح بن الحارث بن ربيعة البكري ٤٢١
٣١٠ – الكميت بن زيد ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٦

حرف اللام

٣١١ – لبيد بن ربيعة العامري ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٦
٣١٢ – لقيط بن معبد الأيادي ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ .

حرف الميم

٣١٣ – مالك بن أسماء : (عويف القوافي) ٣٤٢

(١) الغريزة « النسب » لأبي عبيد .

٣١٤ – مالك بن الريب المازني ١٩٤
٣١٤ – مالك بن عميلة بن السياق ٤٢
٣١٤ – مالك بن نويرة اليربوعي ١٥٨
٣١٥ – المتلمس : (جرير)
٣١٦ – متمم بن نويرة اليربوعي ١٥٨
٣١٧ – المتوكل بن عبد الله الكناني ٩٦
٣١٨ – المثقب : (عائذ)
٣١٩ – مجمع بن هلال البكري ٤١٤
٣٢٠ – مخارق بن شهاب بن قيس ١٩٥
٣٢١ – المخبل : ربيع بن ربيعة بن عوف ١٧٢ ، ١٧٥
٣٢٢ – ابو المختار الكلابي ٢٩٨
٣٢٣ – المرار بن منقذ الحنظلي ١٥٠
٣٢٤ – مرار بن سلامة بن شيطان العجلي ٤٤٠
٣٢٥ – مرداس بن خزام الأسدي ١٢٦
٣٢٥ – ابن مرخية : (شداد بن مالك)
٣٢٦ - المرقش ٤٥٩
٣٢٧ - مرة بن محكان ١٦٨
٣٢٨ – مزاحم العقيلي ٢٥٥
٣٢٩ – مزرد بن ضرار الغطفاني ٣٣٤ ، ٣٣٥
٣٣٠ – مسافع بن عبد مناف الجمحي ٦٨
٣٣١ - مسافر بن عمرو ٣٠
٣٣٢ – مساور بن هند بن قيس زهير العبسي ٣٥٠ ، ٣٧٨
٣٣٣ – مسكين بن عمرو الدرمي ١٤٢ ، ٤٥٩
٣٣٤ – الاحرد : مسلم بن عبد الله بن معتب الثقفي ٣٠٤
٣٣٥ – المسيب بن علس الضبعي ٢٦٤ ، ٤٧٤
٣٣٦ – المصفح بن عبد الله بن جعدة ٢٧٣

٣٣٤ – المضرب بن هوذة بن الخفاجي ٢٦٠
٣٣٥ – مطير بن الأشيم الأسدي ١٢٠
٣٣٦ – معن بن أوس المزني ٢١٧
٣٣٧ – معن بن حذيقة بن الأشيم بن صرمة المري ٣٣٣
٣٣٨ – المغيرة بن حبناء ١٦٣
٣٣٩ – المفرض : (زهدم بن معبد) .
٣٤٠ – ابن مفرغ ١٦٥
٣٤١ – المفضل النكري ٤٣٢ ، ٤٦٧
٣٤٢ – المكواة : خالد بن حجية
٣٤٣ – الممزق : شاس بن نهار
٣٤٤ – موسى شهوات ٢٧
٣٤٥ – ابن المولي .. ، ١٦
٣٤٦ – مولى بني هاشم .. ، ٦٤ ، ..
٣٤٧ – ابن مهوش الأسدي ١١٩

حرف النون

٣٤٨ – النابغة الجعدي ٢٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٤ .
٣٤٩ – النابغة الذبياني ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٦٩ ، ٢٥٥ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ .
٣٥٠ – نافع بن خليفة الغنوي ٣٦٩ .
٣٥١ – النجاشي ٤٦٨ .
٣٥٢ – أبو النجم العجلي : الفضل بن قدامة ٤٣٩ .
٣٥٣ – النخوار بن معاوية بن دثار ٢٩١ .
٣٥٤ – نعيم بن بدر بن الحارث بن ظالم بن عمارة ٢٩٦ .
٣٥٥ – ابن أم رمثة : نصر بن حرب النهشلي ١٣٦ .
٣٥٦ – نهار بن توسعة بن تميم بن عرفجة البكري ٤١٠ .

٣٥٧ – نهشل بن حَرِّي الدارمي ١٤٩
٣٥٨ – نهيك بن إساف الأوسي ٥٠٣ .

حرف الواو

٣٥٩ – وثيمة بن عثمان ٢٩٨ .
٣٦٠ – ورقة بن نوفل ٤٨ .
٣٦١ – الوليد بن عقبة بن أبي معيط ٣٠ .

حرف الهاء

٣٦٢ – هبيرة بن أبي وهب المخزومي ٦٤ .
٣٦٣ – هبيرة بن عامر بن ربيعة ٢٦١ .
٣٦٤ – هذيل الأشجعي ٢٤٤ ، ٣٥٩ .
٣٦٥ – الهذيل بن هبيرة التغلبي ١٤٨ ، ٤٥٣ .
٣٦٦ – هلال بن علاقة بن كريب الشيباني ٤٠٧ .
٣٦٧ – ابن همام السلولي : (عبد الله) .
٣٦٨ – الهملع بن أعفر ١٩٨ .
٣٦٩ – هند بن كثيف بن أسعد بن زاهر ١٩١ .
٣٧٠ – هوذة بن جرول الدارمي ١٤٨ .

حرف الياء

٣٧١ – يزيد بن حبناء ١٦٣ .
٣٧٢ – ابن جدعاء : يزيد بن حنظلة العجلي ٤٣٧ .
٣٧٣ – يزيد بن سنان المري ٣٢٩ .
٣٧٤ – يزيد بن ضرار وهو مزرد أخو الشماخ .
٣٧٥ – يزيد بن الطثرية القشيري ٢٦٩ .
٣٧٦ – يزيد بن عبيد بن غفيلة الغطفاني ٣٥٩
٣٧٧ – يزيد بن مفرغ ٣٩٥ .

ثاج

ثاج : من الناحية الأثرية التاريخية

لقد كانت دراسة الجزء الشرقي من بلاد العرب والخليج العربي في عهد ما قبل الاسلام مجالا لمؤرخين قليلين كانوا يستعملون وسائل غير كافية مثل بعض المراجع للمنطقة بالخط المسماري (الخط القديم لسكان ما بين النهرين) وكتابات بعض الاغريقيين واللاتينيين والشعر العربي القديم الذي اشتهر بالخيال القوي وفي كثير من الأحيان بالثقة المشكوك فيها. وكانت السنين العشر الماضية بداية ظهور علم الآثار القديمة على مسرح الخليج العربي . فالاستكشافات والتنقيبات التي قامت بها مجموعة من الباحثين من (متحف ارهاس التاريخي في الدانمرك) في البحرين والكويت وقطر وعلى طول ساحل عمان أكدت أهمية بعض المصادر المكتوبة ، واجابت على بعض الاسئلة التي كانت توحي بها تلك المصادر .

ولم تجر تنقيبات واسعة في المملكة العربية السعودية حتى الآن ، ولكن كثرة الأشياء التي يعثر عليها على سطح الأرض في الجزء الشرقي من البلاد يدل على امكان العثور على آثار قديمة في المنطقة .

ومن الأماكن المهمة في المنطقة الشرقية الحالية من المملكة العربية السعودية (ثاج) وهي قرية تكاد تكون دارسة تقع على بعد ٩٥ كيلاً من الجبيل الى الداخل .

ان وجود آثار مهمة في ثاج صار متوقعاً منذ سنة ١٩٠٨ [١] على الاقل عندما قدم أحد البدو العائدين للسلطات البريطانية في الكويت تقارير عن هذه الأرض Hinterland التي لم تكتشف آثارها والكابتن (دبليو . إج . آي . شكسبير) وهو معتمد سياسي بريطاني من سنة ١٩٠٩ الى سنة ١٩١٥ أكد تلك

(×) عن مجلة (Bulletin of the American Schools Research No. 172 . (De. 1963

التقارير عندما مر بثاج والحناة في سنة ١٩١١ في احدى رحلاته الاستكشافية المبكرة . وجد شكسبير نصبين حجرين من نصب المقابر في ثاج (أو في ثاج والحناة) [٢] محفور عليهما كتابة من كتابات سكان الجنوب من الجزيرة العربية وكان هذان النصبان أول ما وجد من نوعهما في شمال شرقي بلاد العرب [٣] . هاتان الكتابتان اللتان ذكرهما (إس . دي . مارغوليوث) [٤] قدما دليلا ماديا على صلة حضارية طالما اعتقد بوجودها بين الجنوب الذي كان متطوراً في حضارته وبين الشمال الشرقي من بلاد العرب .

وحجر ثالث محفور عليه كتابة جنوبية أحضره بدوي إلى (إج . آر . بي . ديكسون) وهو معتمد سياسي بريطاني سابق في الكويت قال البدوي عنه انه وجده في ثاج [٥] . هذا الحجر الذي كان نصب قبر . مثل الحجرين اللذين اكتشفهما شكسبير قام (جي . ريكمانز) بنشر ما كتب عليه في سنة ١٩٣٧ [٦] . ومر (الجنرال ديكسون وزوجته فايولت) بثاج والحناة في ربيع سنة ١٩٤٢ : ومع انها رأيا خرائب ثاج في مدة أقل من ساعة إلا انهما تمكنا من تكوين ملاحظات قيمة عن المكان نشرت في سنة ١٩٤٨ مع خريطة اجمالية للخرائب [٧] . ولم ينشر لثاج وصف أفضل منذ ذلك الحين مع أن جيولوجيي شركت الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) كانوا يعرفون المنطقة منذ سنة ١٩٣٦ تقريباً .

تقع قرية ثاج على بعد ١٥٠ كيلا عن الظهران مقر (أرامكو) وهي على خطوط عرض ٢٦ و ٥٢٫٥ درجة شمالاً، وخطوط طول ٤٨ و ٤٢٫٩ درجة شرقاً على بعد خمسة أكيال من طريق جمال مشهور يعرف بدرب الكنهري [٨] وهو طريق هام وربما كان قديماً لتجارة الشرق والغرب بين الخليج العربي ونجد قبل مجيء السيارات . وتقع ثاج على ملتقى ثلاث بقاع هامة من شرقي بلاد العرب ، ولدى البدو في هذه المنطقة اسماء خاصة يطلقونها على كل بقعة ، حسبما يسودها من خصائص طبيعية ، فالمنطقة الواقعة في جنوب ثاج تعرف بالحبل، وفي الشمال والشمال الشرقي الردايف، وفي الشمال الغربي وادي المياه (وهو ليس واديا في الحقيقة ولكنه حوض منخفض لمجرى ممتد من الجنوب إلى

الشمال) وهو نسبياً متوفر الماء وتقوم على آباره الضحلة عدة مجموعات سكنية صغيرة ، يمر بها طريق تجاري من الشمال إلى الجنوب ويظهر أنه كان يستعمل في العصور الاسلامية الأولى وربما قبل ذلك .

ثاج اليوم قرية صغيرة تضم بيوتاً متواضعة مبنية من الحجر والطين بعض هذه البيوت مقرات صفية لحوالي ٢٥٠ شخصاً نصف رحل من أفراد الملاعبة والمساحمة [٩] التي تنتمي الى قبيلة العوازم . ومعظم هـؤلاء الأفراد يقضون الفصل الممطر (٣ انج سنوياً) في رعي قطعانهم في بقاع تسمى الصعدة وراء الردايف في الشمال الشرقي تجاه الكويت ، ويعودون للمياه الموجودة في ثاج في أول الصيف ، حيث يقيمون في البيوت المهدمة جزئياً . وعندما تغادر المجموعة بيوتها في الشتاء تترك وراءها في هذه البيوت ما يصعب حمله من ممتلكات ومحرقات ، كأكياس الحبوب والتمر المكبوس ، ويوجد في ثاج بعض بساتين صغيرة وأشجار نخل ضعيفة .

وتقع ثاج جنوبي سبخة تسمى سبخة ثاج . والسبخة خاصة من خواص أرض المنطقة وتختلف أحجام هذه السبخات من الاحواض الملحية حيث يبلغ قطرها بضعة أمتار ، في بعض المناطق وعدة أكيال (ك. م) في مناطق أخرى . والسبخة أرض تغطي سطحها قشرة ملحية تكون صلبة في فصول الجفاف ، بحيث تتحمل مرور السيارات فوقها ، ومع ذلك فهي تنكسر في بعض الأحيان في بعض المناطق ذات القشرة الرفيعة ، ويظهر تحتها طين مشبع بالماء المالح . وسائقوا السيارات ذوو الخبرة يفضلون السير في طرق رملية شاقة على السير فوق سبخة غير معروفة .

وتوجد في ثاج ووادي المياه مياه صالحة للشرب ولو أنها ليست عذبة في حواشي الأحواض المالحة حيث يكون الماء قريباً من سطح الارض وتكون الآبار الضحلة قريبة من السبخات .

وثاج من الناحية الجيولوجية مبنية على موقع تغطيه طبقة خفيفة من الرمال التي تأتي من نوع ما يسميه الجيولوجيون « قاعدة الحِبْس » وهذا التشكيل

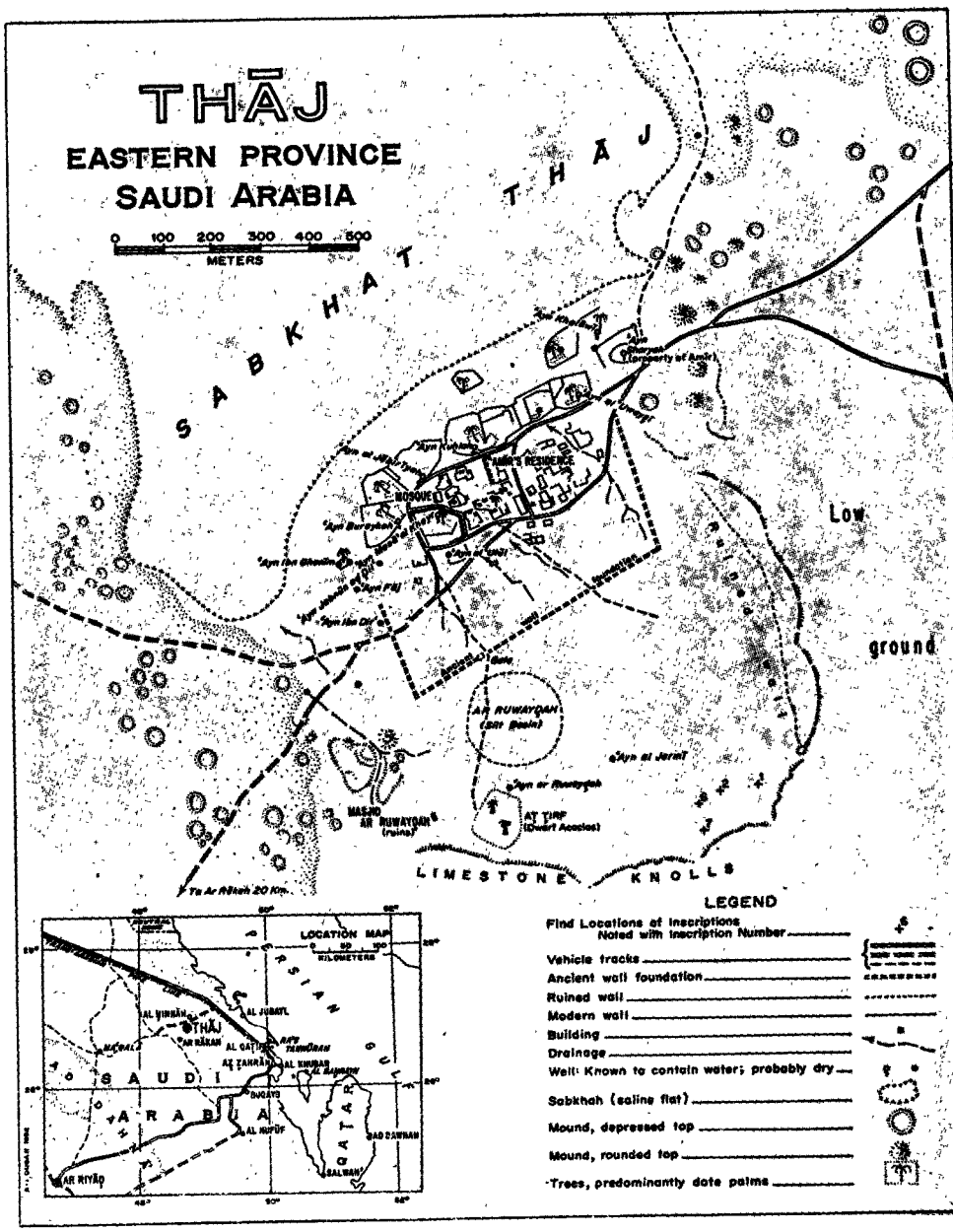

مخطط لبلدة ثاج (خارطة) وبيان المواقع الأثرية

الرسوبي ثلاثي الصفات (مايوسيني) يتكون من طين خزفي وصلصال (طين جيري) وحجر صدفي ويكثر فيه الحجر الكلسي الصدفي والطباشيري [١٠] وهذا الحجر استعمله أهل ثاج قديماً وحديثاً .

تحتل خرائب ثاج القديمة مساحة يبلغ مجموعها مائتي ك. م. مربعاً بما في ذلك المجموعتان الكبيرتان من الأكمات اللاتي تقع في الشمال الشرقي وفي الغرب من ثاج الحالية . وأرض الموقع القديم التي عليها أدلة أكيدة للسكن (أسس بناء.. الخ) هي على شكل مستطيل يبلغ طوله ١١٠٠ متر ويبلغ عرضه حوالي ٦٠٠ متر وتمتد أضلاعه الطويلة في الشمال والشمال الغربي وفي الجنوب والجنوب الشرقي ويحد هذا الموقع القديم من الشمال قرية ثاج الحالية وربما امتدت حدودها الى السبخة وراء ثاج الحالية. ويحده من الجنوب منطقة مرتفعة قاحلة مكونة من حجر الكلس . ويحده من الشرق جرف تقوم على طول حافته آثار واضحة لجدار يظهر أنه كان يحيط بالقرية القديمة من جهتها الشرقية . وأرض المستطيل القديم ليست مستوية وانما يرتفع مستواها ارتفاعاً تدريجياً عاماً يبدأ في الشمال الغربي متجها نحو الزاوية الجنوبية الشرقية . وتظهر في الجزء الشمالي الغربي من الموقع آثار واضحة لثلاثة جدران تلتقي في زاويتين ربما كان داخلها محصناً

تتناثر على سطح أرض المنطقة قطع الجرار المكسورة ولكنها ليست من النوع المصقول الذي يوجد بكثرة في معظم أراضي المنطقة الشرقية والذي يرجع إلى العهد الاسلامي الأول وانما من نوع القطع السوداء والحمراء غير المصقولة. وأسس الجدران ظاهرة في كثير من الأماكن ويبدو انها غالباً ما كانت تبنى من قوالب جيدة من حجر الكلس ، وكثير من هذه الجدران تبدو عليها آثار المعدات المستعملة . وقد انتفع سكان ثاج الحاليون من هذه القوالب (البلوكات) في بناء بيوتهم وفي أحد الأماكن عملوا مقطعاً جيداً للقوالب . ويوجد هناك حوالي ٢٠ بئراً جيدة البناء ولكن حوالي ١٢ فقط منها يوجد فيها ماء . ويستخرج الماء من كل هذه الآبار بواسطة الحمير التي تزعبه وهي طريقة شائعة في الواحات العربية . ومعظم هذه الآبار يلاحظ عليها مرحلتان من البناء

احداهما ما يرى في أسفل البئر وهو مبني من قوالب الكلس الناعمة الحسنة القطع والأخرى في أعلى البئر وهي م جد اصلاحه بقوالب خشنة . ويبلغ عمق هذه الآبار من ٥ إلى ٦ أمتار كما يبلغ قطر فتحتها ٤ أمتار ومع انها تحوي قليلاً من الماء الا انها يمكن أن تكون أعمق مما هي عليه فيما لو نظفت.

ومن بين ما وجد على سطح الأرض في ثاج أشكال مختلفة من الفخار يمثل اكثرها الجمل العربي ويبلغ معدل ارتفاعها ٢٠ سم وهي مختلفة بأشكالها ولو أن بعضها مكسور رأسه وبعضها مكسور فيه يد أو رجل . وقد وجد ربع أمامي مع رأس لشكل بقرة جميل الصنع وأشكال كاملة لمباخر . بل انه توجد أشكال لأجسام بشرية كثير منها يظهر نساءاً في أوضاع يكن فيه راكعات

وهنالك في ثاج اكمات كثيرة من صنع الانسان مغطاة بالتراب لبعضها قمم مستديرة ولبعضها الآخر قمم منضغطة إلى الداخل مما قد يوحي بوجود انهيار داخلي في بنائها . ولا يمكن معرفة ما إذا كانت هذه الاكمات قصوراً أو بنايات أخرى الا بالتنقيب. اما ارتفاعها فيبلغ خمسة أو ستة أمتار . وتوجد أكمات مماثلة في البحرين وعدة أماكن في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية . ولبعض أكمات ثاج المستديرة القيمة لون غامق خاص يمكن لمن ينظر إلى صورة مأخوذة لها من الجو أن يعد ٦٥ منها . هذه الصورة اخذتها ارامكو سنة ١٩٥٨ . والصورة مع الأسف لا يظهر فيها الا جزء من الموقع القديم . وتوجد الاكمات في مجموعتين كبيرتين احداهما في الشمال الشرقي والأخرى في الغرب من الموقع (انظر الصورة مع هذا المقال) .

اثنا عشر مخطوطا عربياً جنوبيا سجلت حتى الآن وكلها وجدت في ثاج أو بالحناة القريبة منها . تسعة منها منذ اكتشافات شكسبير والبدوي الذي حمل حجراً للكويت وكلها ما عدا واحداً او أثنين محفور على قوالب من حجر الكلس المحلي وعلى الاقل سبعة منها نصب قبور معمولة حسب قاعدة ثابتة مع اختلاف اسماء الأشخاص في كل منها .

أول هذه المخطوطات التسعة كان مكتشفا منذ ١٩٣٧ ووجده السيدجون

صورة من الجو لبلدة (ثاج) وتبدو الأكمات الأثرية

مولر (أحد موظفي ارامكو) ١٩٥٨ ولم يعرف الموقع الحقيقي لهذا المخطوط وانما هو نصب قبر تظهر على كتابته القاعدة المعتادة في ثاج (WJrwdrb) أي « حجارة وقبر .. » وهذا المخطوط معروض الآن في مكتبة ارامكو للأبحاث في مقر ارامكو في الظهران .

(فايوليت ديكسون) التي رأت ثاج لأول مرة ١٩٤٢ مع زوجها زارت المنطقة الشرقية ١٩٦١ واكتشفت جزءاً من مخطوط على حجر مبني في أحد جدران القرية الحديثة وقالت ان قطعة الحجر التي اكتشفتها لونها غامق ومائل الى الخضرة وذلك على غير شاكلة حجر الكلس المحلي. وقد اعطت السيدة ديكسون نسخة من هذا المخطوط كتبتها بخط يدها للمتحف البريطاني. والاحرف القليلة التي يمكن قراءتها من هذا المخطوط تبين انها جزء مما يكتب على حجارة القبور[١١]

كاتب هذا المقال (السيد ماندفيـــل) وزوجته وجدا نصبين في الجزء الشرقي من ثاج سنة ١٩٦٢ واحد من هذين النصبين وربما الآخر ايضاً (لأن الآخر غير كامل) تبتدىء الكتابة عليه بعبارة ثاج التقليدية المستعملة على النصب. واحدى هاتين الحجارتين تخلد ذكر دفن مشترك لأختين ويبدو ان اسمي الأختين عربيان شماليان [١٢]. وقد وجد السيد (توماس سي . بارقر) رئيس شركة ارامكو جزءا علويا من حجارة قبر من نفس المنطقة في ٨ فبراير ١٩٦٢ ومع ان السطر فقط مما خط على الحجر كان جلياً الا انه يظهر القاعدة المعتادة

وقد وجد الكاتب أول مخطوط لم يكن محفوراً على حجر وانما على قطعة من النحاس ولم يكن المخطوط كاملاً وكان عليه حرفان من حروف الجنوب . وتوجد قطع مشابهة لهذا النوع في الجزء الجنوبي من البلاد العربية . وقد زار السيد (سي. دبليو . هارينغتون) ثاج مع الكاتب في ١٠ مارس ١٩٦٢ ووجد مخطوطا على حجر كلسي مبنية في تعمير احدى الآبار الجافة . وهذه القطعة قد تكون كاملة أو قد تكون مقتطعة من حجر أكبر عندما أعيد طي البئر.

وقد اكتشف السيد (شارلز كين احد موظفي ارامكو) في ٩ مارس سنة ١٩٦٢ مخطوطا ربما يكون أهم مخطوط تم اكتشافه . هذا المخطوط في

أربعة سطور ومحفور على حجر كلسي محلي ولا يبدو أنه نصب لاحد القبور وانما تكريس من نوع آخر ومع أن كتابة هذا المخطوط رديئة الا أنه يمكن للخبير الذي يدرسها بعناية فائقة أن يقرأها .

وقد وجد الكاتب في الحناة في سبتمبر سنة ١٩٦٢ جزءاً سفلياً مما يحتمل أن يكون حجارة قبر . لم يكن على المخطوط سوى جزء من الأسطر الأخيرة ولكن آخر كلمة في المخطوط هي (WD ' B) مطابقة لما كتب على المخطوط الذي وجد في جدار بئر ثاج . وهذه العبارة هي قاعدة دينية تعبر عن الصفة الأبوية للاله القمرى « ود » وتكتب عادة على الجدران والتعاويذ في الجنوب العربي .[١٣] وعلى الحجارة التي وجدت في الحناة يأتي بعد التعبير (WD ' B) فاصل وسطور عمودية وهذه قد ترمز لأعداد أو قد تكون مجرد ملء فراغ .

وقد أرسل الكاتب صوراً فوتوغرافية ونسخا من هذه المخطوطات إلى الأب (أي.جام) الاستاذ في جامعة أمريكا الكاثولكية بواشنطن وننتظر ببالغ الاهتمام ملاحظاته على مخطوطات شرق بلاد العرب . كما أرسلت عينات من كسر الجرار المتناثرة على سطح أرض ثاج إلى الدكتور (جس . ڤان بيك) في مؤسسة (سمثسونيان) في واشنطن وهو عالم له خبرة بالآثار العربية لعله يستطيع أن يصل إلى بعض الاستنتاجات حول تاريخ ثاج

مصادر تاريخية عن ثاج :

قبل أوائل القرن العشرين كانت ثاج جزءاً من ديار بني خالد وهي القبيلة التي كانت تبسط نفوذها على جزء كبير من المنطقة الشرقية . وفي سنة ١٧٩٩ عندما شعر الأتراك بتزايد قوة آل سعود في الجزيرة العربية بعث الأتراك قوة عسكرية من البصرة إلى الاحساء في المنطقة الشرقية . هذه القوة التي أعدها وجهزها سليمان باشا والتي قادها علي كيخيا حاصرت الأحساء ولكنها لم تنجح وانسحبت إلى الشمال . وقد اعترض طريق الأتراك وحلفائهم سعود بن عبد العزيز على رأس جماعته الموحدين وكان قد خيم مع جيشه على آبار ثاج . وقد نشب قتال بين الجانبين في ثاج أو قربها انتهى بعقد هدنة [١٤] .

ولا نعلم إن كانت ثاج مأهولة بالسكان آنذاك أم لا . كان يقال عن ثاج انها في سنة ١٩٠٨ كانت مدينة مهجورة ونظراً إلى انه قد سبق ان سكنها بنو خالد فانه يبدو ان بني خالد قد هجروها في ذلك التاريخ [١٥] .

وفي سنة ١٩١٢ وضع عبد العزيز بن سعود (والد الملك الحالي) أسس الحركة الاجتماعية الدينية الاصلاحية التي هيأت لثاج الا يضيع في عالم النسيان، وابن سعود في محاولة لجمع شتات بلاده صمم على معالجة نقطة الضعف في قوته العسكرية الا وهي القتال الدائم بين القبائل وعدم وجود هدف موحد يجمع بينهم . فعمد الى توطين القبائل في مجموعات زراعية دينية وان يجعلهم ينسون خلافاتهم القبلية باعطاء كل ولائهم واخلاصهم للاسلام ثم له بصفته قائدا لحركة الاصلاح الوهابية [١٦] وبعد أن تأسست أول هذه المجموعات السكنية (الهجر والمفرد هجرة) من الأخوان في نجد فتح ابن سعود الاحساء وبدأ ينظم قبائل المنطقة الشرقية على النهج الجديد للتوطين .

وقد صارت ثاج هجرة للعوازم وهي قبيلة كانت ديارها في الجزء الساحلي شمال الكويت . ومع ان ثاج كانت لبني خالد الا ان من أهم أهداف نظام الهجر الجديد هو أن يلغي الامتيازات القبلية . والاخوان الجدد الذين استقروا في ثاج هم الملاعبة والمساحمة من قبيلة العوازم . ونفس المجموعات استقرت في الحناة على بعد تسعة كيلومترات شمال شرقي ثاج . وكلا الهجرتين اسستا سنة ١٩١٧ [١٧] .

بنى الأخوان بيوتهم ومساجدهم من الحجر والطين وأحبوا الزراعة في اراضيهم بمساعدة ابن سعود المالية لهم. وقد نقلت كميات كبيرة من الحجارة من خرائب ثاج القديمة لمشروع الاسكان الجديد . وبعض الآبار القديمة جرى تنظيمها ونعمت ثاج باثنتي عشرة سنة من الازدهار النسبي. ولو انه من الصعب معرفة مدى ما كان عليه القاطنون الجدد من الاكتفاء الذاتي . ولعل كثيراً من الاحجار المحفور عليها كتابات جنوبية قد كسرت خلال هذه الفترة أو نقلت من ثاج أو بني بها جدران جديدة . كما ان الاخوان بما عرفوا به من تعصب ضد الشرك هدموا أو دمروا المخطوطات التي كانت في (سيتو) ؟ .

وعندما تداعت حركة الاخوان حوالي سنة ١٩٣٠ ترك معظم المستوطنين العوازم قرية ثاج ورجعوا الى مراعيهم القديمة . ولا يزال بعضهم يعودون إلى آبار ثاج كل صيف. وقد تركت هجرة الحناة في نفس الوقت وهي الآن مورد ماء لمن يمر بها من البدو . وجدران هجرة الحناة المبنية على شاكلة امثالها في ثاج من القوالب القديمة المستعملة لا تزال قائمة ومحافظة على ارتفاعها .

من أقدم المراجع عن ثاج في الأدب العربي [١٨] «المفضليات» وهي مجموعة شعرية شهيرة كل ما تتضمنه تقريباً من شعر ما قبل الاسلام وقد جمعها المفضل بن محمد الضبي المتوفي سنة ٧٨٥ ميلادية ونشرها(سي . جي . ليال)والقصيدة التي تذكر ثاج تنسب إلى راشد بن قيس بن شهاب اليشكرى من بكر بن وائل وهي قبيلة عرف عنها انها سكنت شرقي الجزيرة العربية خلال القرون التي سبقت ظهور الاسلام . واستنتج (ليال) مما جاء في التعليق على كتاب الحماسة ان راشدا كان رئيساً لقبيلته . وهو يرجع تاريخ القصيدة إلى القرن السادس الميلادي [١٩] . وفيما يلي الأبيات التي قالها راشد لمنافسة قيس بن مسعود الشيباني [٢٠]

بنيت بثاج مجدلا من حجارة لأجعله عزاً على رغم من رغم
أشم طوالا يدحض الطير دونه له جندل ممـــا أعدت له إرم
ويأوي اليه المستجير من الردى ويأوي اليه المستعيض من العدم [٢١]

وفيما إذا كان راشد قد بنى فعلا مجدله (برجه) أم لا فان ذلك سوف يظل غير معروف وتفسير (ليال) للبرج بأنه رمز للعزة القبلية هو صحيح بدون شك . والمقصود بإرم هو إرم بن عاد هي القبيلة العربية الشهيرة المعروفة التي كانت موجودة قبل الاسلام [٢٢]. والقصيدة توحي أن ثاج كانت مدينة قديمة لقبيلة بكر بن وائل قبل سنة ٦٠٠ ميلادية . وقول الشاعر عن قوالب الحجارة ان ارم بن عاد هو الذي كان قد أعدها له أهمية كبيرة حيث يوحي بوجود موقع خرب له صلة طبيعية بحضارة قديمة . وكل القصة تتفق تماماً مع ما تدل عليه الآثار الحاضرة .

ومرجع آخر مشابه نوعاً ما للمرجع الأول هو نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة المتوفي سنة ٨٢٣ ميلادية. وجرير والفرزدق هما الشاعران التميميان المتنافسان اللذان عاشا وازدهر شعرهما في العهد الأموي . والذي يهمنا هو قول الفرزدق :

ولولا حياءاً زدت رأسك ضربة اذا سبرت ظلت جوانبها تغلي
بعيدة أطراف الصدوع كأنها ركية لقـــمان الشبيهة بالدحل

ويقول أبو عبيدة عن ركية لقمان أنها في ثاج وأنها مطوية بأحجار يزيد طولها على ذراعين وثاج في أطراف البحرين. [٢٣] ويبعث بخراجها إلى اليمامة. وكانت لبني قيس بن ثعلبة وعنزة بن أسد وكانوا متعادين فيها بائن بعضهم من بعض لهؤلاء مسجد يجتمعون فيه ، ولهؤلاء مسجد يجتمعون . [٢٤]

الركية (وجمعها ركايا) هي البئر ، والبدو في شرق الجزيرة العربية في الوقت الحاضر يطلقون اسم الركية على البئر متوسطة العمق والتي ادخلت عليها بعض التحسينات كأن تكون مثلاً مطوية بالحجارة . وهنالك تعبير آخر يستعمله البدو مقارب لهذا التعبير هو الركوة (وجمعها ركايا أيضاً) والركوة هي الحوض الذي يصب فيه الماء بعد نزحه من البئر . ويمكن أن تكون هذه الركوة حوضاً متنقلاً معمولاً من الجلد أو حوضاً ثابتا مبنياً من الحجر . والمقصود بلقمان قد يكون لقمان من عاد . [٢٥]

والدحل (وجمعه دحول) هو نوع من الخزانات الطبيعية متكون من حجر الكلس (ويحوي الماء عادة) . ويوجد عدد من الدحول في مكان في المنطقة الشرقية يسمى « الصلب» ولهذه الدحول فتحات بشكل أسهم عمودية تؤدي الى ممر أو ممرات أفقية ضيقة على مستوى منخفض بالنسبة للفتحة . والدحل أثر آخر من البناء الصخري الضخم في ثاج يقترن ذكره بعاد. ونرى أيضاً ان ثاج كانت تابعة اداريا لليمامة في عهد الأمويين .

وثاج مثل معظم أجزاء المنطقة الشرقية ظلت بعيداً عن مسرح التطورات

السياسية بينما كانت الدولة الاسلامية الجديدة تمتد وتتوسع ولكن المنطقة صارت ملجأ لمن خرجوا على الدولة الاسلامية، حيث كان المنشقون من الخوارج والشيعة (بما في ذلك القرامطة) يبنون حصوناً بعيدة عن متناول يد الخلافة .

بعد المعركة التي نشبت بين قوات عبد الملك بن مروان وبين مالك بن مسمع في الجفرة سنة ٦٩١ ميلادية، هرب مالك إلى ثاج ليلتحق بقائد الخوارج نجدة الحروري الذي كان قد لجأ اليها . وكما ذكر في النقائض « وأما مالك فقد انضم الى نجدة الحروري في ثاج عن طريق البحرين ... وكان نجدة كريماً معه وقد أعطاه مائة بعير... وقد مكث مالك مع نجدة إلى أن قتل مصعب — قائد الشيعة — .. » [٢٦]

ثاج — كاسم لمكان — كان معروفاً لدى علماء الجغرافيا العرب القدامى وكانوا يتهجونه أحياناً مع همزة في الوسط وأحياناً بدونها، ويظهر أن هنالك أكثر من مكان واحد عرف بهذا الاسم . يذكر الهمداني (المتوفي سنة ٩٤٥م) ان ثاج ومتالع موارد ماء لبني تميم[٢٧] ومتالع قد تكون العين المعروفة الآن بهذا الاسم وهي قرب عريعرة التي تبعد ١٠٠ كيل جنوبي خرائب ثاج . ويذكر ثاج مرة أخرى مع معان وسويقة وحميط ومع عدم ذكر أي تفاصيل، وبعد ذلك بقليل يسميها في سياق القول ثاج السبية « ذات غِسْل فتأج[١] السبية فرماح ... » [٢٨] ورماح ولا شك تعني الآبار الهامة التي تحمل هذا الاسم والتي تقع على الحدود الغربية للدهناء . كما تقع أيضاً على الامتداد الجنوبي الغربي لدرب الكنهري . وذكر ذلك يعني أن تلك الجادة كانت تستعمل في زمن الهمداني . وإذا افترضنا أن عالم الجغرافيا يعني عدة محطات متتالية على جادة القوافل (كما يدل على ذلك استعماله حرف العطف ف) فإن ذات غسل تكون شرق أو جنوب شرق ثاج وربما قرب الجبيل الحديثة .

ونقل البكري (المتوفي سنة ١٠٩٤ م) عن أبي عبيدة قوله عن ثاج انها « مورد ماء لبني الفزع من خثعم وانه أحد موارد بيشة » وهذا القول اما

---

(١) الصواب : فتاخ .

أن يكون فيه التباس أو أن تكون ثاج المعنية هنا مكاناً مختلفاً تماماً عن ثاج التي في المنطقة الشرقية. ويتابع البكري ناقلاً بيتاً من الشعر لذي الرمة يقول:

نحاها لثاج نحية ثم انـــه توخى بها العينين عيني متالع [٢٩]

والعينين في متالع ، وهنا يقترن ثاج ومتالع مما قد يكون دعى الهمداني للجمع بينهما . والبكري بعد ذلك ينقل عـــن الأصمعي قوله : « ثاج : في منطقة اليمامة » [٣٠] ثم يضيف نظرة مختلفة قليلاً عن نظرة راشد اليشكري التي قالها في قصيدته وبعد ذلك ينهي البكري بحثه بنقل ما قاله كُرَاع بأن « ثاج : قرية في البحرين .. » [٣١] .

وبالمضي مع البحث إلى زمن ياقوت المتوفي سنة ١٢٢٩ ميلادية نجد عالم الجغرافيا العظيم هذا يقدم لنا في معجم البلدان عدة مراجع عن ثاج . ففي بحثه عن ثاج يعرفها ياقوت بأنها « نبع يبعد عن البحرين مسافة سفر عدة ليال » ولكنه يضيف أنها قرية في البحرين حسب قول محمد بن ادريس اليمامي . ثم يروي ياقوت قصة زيارة تميم بن أبي بن مقبل العجلاني لثاج . وتميم كما تذكر الرواية مر بثاج على امرأتين فاستسقاهما فأخرجتا اليه لبناً فلما رأتاه أعور أبتا أن تسقياه ، ثم خرج أبوهما ولكي يمحو أثر سلوكهما المخجل لم يكتف بأن أعطى تميماً نصف ما يملكه من الجمال بل عرض عليه أن يختار إحدى ابنتيه زوجة له [٣٢] .

ويأتي ياقوت في بحثه ببيت لأحد الشعراء ربما كانت له علاقة بقصة تميم ، يقول الشاعر :

دعاهن من ثاج فأزمعن رحـــلة وأنت بثاج ما تمر وما تحلي [٣٣]

ويذكر ياقوت ثاج عند وصفه للستار: « منطقة في البحرين فيها مائة قرية تابعة لبني امرىء القيس بن زيد مناة ولا فخاذ من سعد بن زيد مناة ومن هذه القرى ثاج [٣٤] » .

وياقوت يستعمل ثاج كمرجع جغرافي أثناء وصفه أماكن أخرى في المنطقة

الشرقية فهويصف البيضاء مثلاً فيقول: منطقة نخل وماء قبل ثاج والبحرين»[٣٥] والنقيرة فيقول « بئر ماؤها مشهور يقال انها بين ثاج وكاظمة ولكنني أعتقد انها التي قبلها والله أعلم »[٣٦] كل هذه الأسماء معروفة اليوم ، فالبيضاء منطقة رملية واسعة تقع على بعد ١٠٠ كيلا جنوب شرقي ثاج ، ويوجد الماء في كل مكان في هذه المنطقة تقريباً وعلى عمق أقدام قليلة . كما توجد فيها آثار لبساتين نخل خربة . والنقيرة مجموعة من الآبار تقع على بعد مائة وعشرين كيلا شمال وشمال غرب ثاج وهي بين ثاج وكاظمة في الزاوية الغربية من خليج الكويت . وكاظمة قد تكون اسما قديماً للقرية الكويتية الحالية (الجهرا) . ولذلك فان هنالك أدلة على وجود طريق تجاري منذ القرون الوسطى يمتد من الشمال الى الجنوب بين الاحساء والعراق ويمر بثاج والنقيرة .

ويعيد ياقوت وصف ركبة لقمان ولكنه لا يضيف الى ما جاء في النقائض الا قوله أن بني سعد استولوا على المكان بعد ان كان تابعاً لبني قيس بن ثعلبة وعنزة [٣٧] ويخبر أيضاً كيف هرب الشيعي مالك بن مسمع الى ثاج بعد معركة الجفرة [٣٨] .

وتلخيصاً للشواهد التاريخية يمكننا القول بأن ثاج كانت موقعاً خرباً قبل سنة ٦٠٠ ميلادية وان هذه الخرائب كانت تنسب لملوك عاد الذين ربما كانوا يمثلون الملكيات البائدة في شرقي بلاد العرب . وثاج في عهدها القديم (ربما عند بداية العهد المسيحي أو قبل ذلك) تقع على تقاطع طرق القوافل التي كانت تصل بين شرق الجزيرة العربية والعراق وبين سواحل الخليج العربي ونجد والشواهد الأثرية تؤيد وجهات النظر هذه . ثم مع توسع الدولة الاسلامية صارت ثاج لمدة قصيرة تابعة لليمامة خلال حكم الخلفاء في شبه الجزيرة العربية واستمرت تلعب دوراً صغيراً كمورد مائي للقوافل العابرة وربما كانت سكنا موسمياً على أقل تقدير لبدو نصف رحل خلال العصور حتى الآن .

من الممكن أن يبلغ أول مرجع تاريخي لثاج في القدم الى القرن الميلادي الثاني وتميز اسماء الأماكن العربية في جغرافية طولمي تظل نوعاً من الخرص

والتخمين ولكن هناك شواهد جغرافية ولغوية تجعـــل ثاج هي ما يسميه طولمي فيجيا [٣٩] .

فثاج تقع بقرب المكان التاريخي الذى يعين فيه طولمي موقع فيجيا . واذا كانت كما هو متوقع محطة قوافل مهمة في ذلك الوقت فهي ولا شك جديرة باهتمام العالم القديم . والتباس الحرف (ث مع حرف (ف) أمر عادي في المنطقة الشرقية اليوم (فأهل القطيف مثلاً يقولون فلافة بدلاً من ثلاثة) . وبعض العوازم بما فيهم سكان ثاج الحاليين يستعملون كلمة (فاج) وليس (ثاج) [٤٠] بل ربما كانت فاج هي الكلمة الأصلية واستبدال الحرف (ف) بالحرف (ث) عادي أيضاً وقد عرف ذلك عن بعض العرب . [٤١] وبينما يمكن أن تشتق من كلمة فاج عدة معاني مقبولة فان كلمة ثاج (والقديمة ثأج) ليس لها معنى قريب سوى ثغى واذا أمكن في المستقبل اكتشاف اسم المكان من مخطوط جنوبي في ثاج فان ذلك سوف يساعد على معرفة أي من الكلمتين كان يستعمل في الزمان القديم .

ليس للحياة في ثاج شكل مميز تشترك به مع شكل الحياة في بقية أنحاء المنطقة الشرقية. وهذه الحقيقة متوقعة اذا أخذنا بنظر الاعتبار تلك الهجرات القبلية التي تكرر حدوثها منذ ان كانت ثاج مزدهرة في الزمن القديم على أن ذكر ثاج قد جاء في بيت شعر يعرفه أفراد القبائل الشرقية ويتردد في الاسماع بصيغ مختلفة عديدة أشهرها « واسفا على ابني ؟ الذي لم تلد النساء مثله مات من العطش بين البتيل وثاج » [٤٢] .

والبتيل تل مشهور منبسط القمة يمكن رؤيته بوضوح في جنوب شرقي ثاج . وهذا البيت هو من قصيدة طويلة غير معروفة الآن ، وقد صيغ من هذا البيت مثل يبين خطر الموت من العطش حتى إذا كان الماء يرى قريباً .

يقول أحد شيوخ بني خالد أن هنالك في جنوب شرق ثاج حجراً مكتوباً عليه: « اقلبني وستصبح غنياً » فاذا قلبه المرء وجد مكتوباً على وجهه الآخر « كم غبياً أنت . لقد قلبتني » [٤٣] وهذه القصة تعكس الشعور بخيبة الأمل

لدى رجال القبائل الذين كانوا يبحثون عن الكنوز . ويدعي شيوخ بني خالد – حسب قول قديم – « أن من يحفر في سبخة ثاج سوف يجد دما بدل الماء. دم من قتلوا هناك في احدى المعارك » والخرائب تنسب أحياناً إلى آل بو هلال (٤٤) .

الوصول الى ثاج والحناة :

الطريق العملي المؤدي من الظهران إلى هذه المواقع هو طريق (التابلاين)من القطيف إلى القيصومة . وهو مبلط بالأسفلت إلى النعيرية شمالاً . يتجه المرء غربا على درب الكنهري عند تقاطع هذا الدرب مع طريق (التابلاين)قرب آبار (الحيدروك)، ويصل المرء الحناة بعد حوالي ساعة ويصل ثاج بعد خمسة عشر دقيقة بعد ذلك . ومجموع ما تستغرقه مسافة سير سيارة من الظهران هو حوالي ثلاث ساعات حسب نوع السيارة . ومع أن سيارة النقل الصغيرة (ببكب) أو السيارة الصغيرة المرتفعه والمجهزة بعجلات رمل تستطيع عبور الرمل الا أن السيارة الصغيرة ذات العجلاتالأربع أحسن كثيراً . ولا يجب أن يقوم الانسان بهذه الرحلة خلال الصيف الا إذا كان مستعدا بسيارتي نقل صغيرة أو أكثر وكل المعدات اللازمة للصحراء . ومع أن مياه ،بار الحناة وثاج عذبة الا أنه يجب الا يشرب الانسان من هذا الماء الا بعد أن يغليه أو يضيف اليه منقيا كيمائياً .

ان أي بحث عن الآثار في ثاج يتطلب ولا شك إذنا من حكومة المملكة العربية السعودية . ونجاح عمل الباحث يعتمد بدرجة كبيرة على محافظته على علاقات حسنة مع السكان الحاليين . ويجب أن يعلم من يزورون ثاج ان القرية رغم مظهرها ليست مهجورة وان كل الحقائق الفنية في القرية يجب أن تعتبر ملكا للعوازم اذا لم تكن ملكا للحكومة المركزية .

جيمس ماندفيل　　تعريب : عبد الرزاق الريس

الحواشي :

(١) حي . جى . لوريمر جازيت الخليج:عمان ووسط البلاد العربية.(كلكتا سنة ١٩٠٨) الجزء الثاني صفحة ١٢٣٤ ،

(٢) دي . كاروترز « آخر رحلات الكابتن شكسبير » المجلة الجغرافية مايو سنة ١٩٠٨ صفحة ٣٢١ - ٣٣٤ .

(٣) وصف لوفتس مخطوطاً عربياً جنوبياً على نصب أحد القبور وجده في الورقاء قرب الناصرية في العراق حوالي سنة ١٨٥٠ . وهو يشبه ما وجد في تاج ، وأماكن عربية شرقية أخرى . دبليو . كي توفيس رحلات ودراسات في شالريا وسوسيانا في سنة ١٨٤٩ إلى سنة ١٨٥٢ صفحة ٢٣٣ .

(٤) كاروترز صفحة ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٥) ديكسون « تاج ومواقع أخرى » العراق . صفحة ٤ .

(٦) جي . ريكماز « نقوش عربية » صفحة ٢٣٩ - ٢٦٨ .

(٧) ديكسون صفحة ١ - ٨ .

(٨) الخريطة الجغرافية لمربع غربي الخليج، المملكة العربية السعودية ، تحقيقات جيولوجية مختلفة ، الخريطة ، رقم ١ - ٢٠٨ باشترك بنشرها وزارة المالية والاقتصاد الوطني في المملكة العربية السعودية ودائرة المسح الجيولوجي الامريكية ، واشنطن سنة ١٩٥٨ .

(٩) حديث مع راشد بن سيف الملعبي أمير تاج في ٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢

(١٠) جيولوجيا مربع غربي الخليج ، المملكة العربية السعودية ، تحقيقات جيولوجية مختلفة ، الخريطة رقم ١ - ٢٠٨ ب اشترك بنشرها وزارة المالية والاقتصاد الوطني في المملكة العربية السعودية ودائرة المسح الجيولوجي الأمريكية واشنطن سنة ١٩٥٨ .

(١١) حديث مع السيدة فايوليت ديكسون في فبراير سنة ١٩٦٢ .

(١٢) استنتاجاً من عدم استمرار هذه الأسماء في الجنوب العربي ، حسب ما أورده جي . ريكماز في كتابه « اسماء الأعلام السامية » لوفين ١٩٣٤ - ١٩٣٥ ووجود اسماء مماثلة بين القبائل ، الشمالية خصوصاً ثمر ،

(١٣) جي . ريكماز : أسماء الأعلام السامية الجزء الأول صفحة ١١ والديانات العربية قبل الاسلام لوفين سنة ١٩٥١ صفحة ٤٣ ورد ذكر « ود » في القرآن في سورة نوح « لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا . . »

(١٤) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد . مكة سنة ١٣٤٩ هـ المجلد الأول صفحة ١١٨ - ١١٩ .

(١٥) لوريمر . الجزء الثاني صفحة ١٢٣٤ .

(١٦) الذين يوالون الحركة يسمون الوهابيين : الموحدون وهم غير الوهابين .

(١٧) حديث مع أحد الشيوخ من بني خالد في ١ جولاي سنة ١٩٦٢ .

(١٨) هنالك اشعار يأتي فيها ذكر تاج في ديوان ذي الرمة وديوان عمرو بن كلثوم . ولم تكن هذه الدواوين في متناول يد الكاتب عندما كتب هذا البحث .

(١٩) المفضل بن محمد الضبي : المفضليات نشر سي . جي ، ليال (اكسفورد سنة ١٩٢١ . الجزء الثاني صفحة ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢٠) هذا وكل ما بعده من ترجمة الكاتب .

(٢١) المفضليات : الجزء الأول صفحة ٦١٤ الحاشية .

(٢٢) كثيراً ما يحدد المؤرخون موقع قوم عاد في الجنوب العربي ولكنه من الصعب أن نجد أساساً تاريخياً لهذه القصة . أنظر مقالة إف . بهل « عاد » في دائرة المعارف الاسلامية . الطبعة الجديدة لبدن سنة ١٩٦٠ صفحة ١٦٩ .

(٢٣) لا يعني طبعاً الجزر المعروفة اليوم بهذا الأسم ولكن المنطقة الواسعة شرقي بلاد العرب التي كانت أهم مدنها « هجر » في أو قرب « الهفوف الحالية » ونقل الاسم إلى الجزر حدث في العهد الاسلامي .

(٢٤) كتاب النقائض : الناشر أي . أي بيفان (ليدن سنة ١٩٠٥) صفحة ١٣٠ .

(٢٥) البطل الخيالي قبل الاسلام للمظاهرة الكثيرة لقوته وبأسه . انظر مقالة بي . هلار « لقمان » في دائرة المعارف الاسلامية (ليدن سنة ١٩٣٦) المجلد الثالث صفحة ٣٥ – ٣٧ .

(٢٦) النقائض المجلد الثاني صفحة ١٠٩٢ .

(٢٧) صفة جزيرة العرب للهمداني . الناشر دي . إج . موللر سنة ١٨٨٤ المجلد الأول صفحة ١٨١ .

(٢٨) الهمداني .

(٢٩) ميناء الجبيل شرقي ثاج على الخليج تعرف أيضاً بعينين .

(٣٠) في منطقة الرياض . العاصمة الحديثة للمملكة العربية السعودية .

(٣١) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري . نشره مصطفى السقا (القاهرة سنة ١٩٤٥) الجزء الأول صفحة ٣٣٣ .

(٣٢) معجم البلدان لياقوت . نشره إف . وستنفلد (ليبزك سنة ١٨٦٦) صفحة ٩١٣ – ٩١٤ .

(٣٣) نفس المصدر السالف .

(٣٤) معجم البلدان لياقوت . صفحة ٢٨ الناشر . إف . وستنفلد .

(٣٥) معجم للبلدان لياقوت . صفحة ٧٩٤

(٣٦) معجم البلدان لياقوت . صفحة ٨٠٧ .

(٣٧) معجم البلدان لياقوت . الناشر اف . وستنفلد . صفحة ٨١١ .

(٣٨) معجم البلدان لياقوت . الناشر إف وستنفلد . صفحة ٩٣ .

(٣٩) لمناقشة أسماء الأماكن العربية في جغرافية طولمي . أنظر أي سبنجر « الجغرافية برن سنة ٨٧٥ . كانت ثاج غير مكشفة عندما كتب سبنجر رسالته .

(٤٠) حديث مع أحد أفراد قبيلة العوازم في ثاج في ٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ .

(٤١) إف . إس . فيدال : شركة الزيت العربية الأمريكية . الظهران .

(٤٢) هذه القبائل هي بني خالد والمرة وبني هاجر .

(٤٣) رواها راشد الخالدي وهو رجل قبلي من بني خالد ٢٤ جون سنة ١٩٦٢ .

(٤٤) الاسم المحلي لبني هلال وهي قبيلة تاريخية ينسب اليها في كثير من انحاء البلاد العربية أي موقع خرب .

قبيلة جهينة

- ١٤ -

من تاريخها ومشاهير رجالها

وعرف في قبيلة جهينة رجال كانت لهم يد طولى في نشر تعاليم الدين الاسلامي الحنيف ، ومنهم :

زيد بن وهب الفقيه ذكره البخاري في «التاريخ» وابن سعد في «الطبقات» وأبو عبيد في « النسب » وابن حزم في « الجمهرة » وغيرهم ، وقد أدرك النبي ﷺ ولم يره ، ومنهم عبد الملك بن الربيع بن سَبُرَة بن معبد .

وسبرة بن عبد العزيز بن الربيع بن سبرة .

وأخوه حرملة

وغير هؤلاء ممن يستدعي ذكرهم تطويلا خارجاً عن الموضوع .

أما رجال جهينة في العصور المتأخرة فكثيرون منهم كمال الدين محمد بن عثمان بن ابراهيم بن المسلم البارزي الحموي من أهل القرن الثامن الهجري ، وأدرك القرن التاسع، وله ألف القلقشندي المصري المتوفي سنة ٨٢١ هـ كتاب « قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان الفه سنة ٨١٩ هـ وقد أورد له في آخر هذا الكتاب ترجمة مطولة [١] .

وبيت البارزي من جهينة وأصلهم من بغداد، ينسبون إلى باب إبريز، محلة في بغداد ، خرج جدهم في جفلة التتار ، إلى حلب ، فسمي الابرزي ثم خفف فقيل : البارزي [٢] ، وعرف منهم رجال تولوا القضاء في حماة ، والكتابة في مصر ، منهم شمس الدين ابراهيم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور

---

(١) « قلائد الجمان » ض ١٧٩ الى ٢٠٦ .

(١) « النجوم الزاهرة » ج ٥ ص ١٢٥ و « تاج العروس » .

حديث الكتب

النوادر في اللغة

لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري

تحدثت مراراً عن أثر نشر المخطوطات العربية بطريقة تصوير ما سبق نشره منها تصويراً يبرز الكتاب بالصورة الاولى التي نشر بها المخطوط قديماً ، وقلت : إن هذه الطريقة غير صحيحة لأنها من الوسائل التي تبرز تراثنا بصورة غير كاملة ، ذلك ان كثيراً من المخطوطات قام بنشرها علمـــاء لهم فضلهم ، ولكنهم كانوا في عهد لم يتمكنوا فيه غالباً من الاطلاع على جميع الاصول التي تمكنهم من نشر المخطوط نشراً كاملا ، ومنهم من قام بنشر مخطوط بعيد عن اختصاصه ، ومنهم من كانت الدوافع له إلى النشر لم يكن المقصود منها ابراز

الجهني قاضي حماة المتوفي سنة ٦٦٩ هـ عن ٨٩ سنة [١] . ومنهم هبة الله بن عبد الرحيم بن ابراهيم بن هبة الله الشافعي من شيوخ تقي الدين السبكي، ومنهم نجم الدين عبد الرحيم بن القاضي شمس الدين ابراهيم المتقدم ذكره تولى قضاء حماة ٢٦ سنة ، توفي سنة ٧٦٥ [٢] .

وتولى الكتابة في عهد دولة المماليك في مصر عدد منهم ، في القرنين الثامن والتاسع ، كما أشار الى ذلك ابن تغري بردي في كتاب « النجوم الزاهرة [٣]».

وبرز من قبيلة جهينة رجال في قيادة الجيوش، وخاصة عند دخول القبائل العربية بلاد السودان ، وانتشارهم هناك ، بعد القضاء على الحكومات المحلية في تلك البلاد ، مما سنشير الى طرف منه فيما بعد .

(للحديث صلة)

---

(١) « السلوك » للمقريزي ج ١ ص ٥٩٧ .
(٢) « النجوم الزاهرة » ج ١ ص ٨٤ و « التاج » .
(٣) ج ٥/١٢٥ .

الكتاب صحيحاً كاملاً. ولا ينفي هذا وجود علماء على درجة كبيرة من الفضل من مستشرقين وغيرهم ، ابرزوا لنا قدراً كبيراً من تراثنا بخير ما يمكن ابرازه به في ذلك العهد، كما فعل المستشرق الالماني فردنند وستنفلد (١٨٠٨–١٨٩٩م) الذي نشر « معجم البلدان » و « معجم ما استعجم » وغيرهما من المؤلفات العربية نشراً علمياً بلغ منتهى الجودة التي يمكن ان يقوم بها عالم غربي مثله .

ان طريقة نشر المخطوطات القديمة بتصويرها عن طبعات قديمة فضلا عن كونها من معوقات النشر في العصر الحديث يجب ان يوضع لها حد متى ارادت امتنا العربية ان تبرز تراثها ابرازاً صحيحا .

قد يقال ان كثيراً من الكتب إذا لم يعد طبعها، بطريقة التصوير اصبحت في حكم المعدوم ، ذلك ان تحقيقها ونشرها من جديد يتطلب جهداً ومالاً قل ان يوجد من يستطيع الآن بذله ، يضاف إلى هذا ان المعنيين بنشر التراث العربي في العهد الحاضر ، أصبحوا من القلة بمكان واين يوجد العالم المحقق الذي يتسع وقته لتحقيق كتاب يقع في مجلدات ؟ ، أين العالم الذي يمكنه اختصاصه من تحقيق كتاب بتلك الصفة متى وجد ، ثم أين دار النشر التي تقدم على نشر كتاب كبير متكلفة بذلك أجور التحقيق ونفقات الطبع ؟ .

ولقد تحدثت يوماً ما مع شيخ جليل من شيوخ الناشرين في لبنان هو السيد أنطوان صادر ، فكان مما اجاب به على بعض ملاحظاتي التي اشرت إلى بعضها فيما تقدم ان قال : ان نشر الكتب القديمة في البلاد العربية كلها ضعف بدرجة تحمل على القول باننا انا وأمثالي متى ذهبنا ، فقد يخلو الجو فلا يوجد من يعنى بالنشر ، وخير لنا أن نقدم هذه الكتب مصورة من أن يأتي الوقت الذي يبحث فيه القارىء عن الكتاب فلا يجده مهيأ للبيع ، وهذا رأي وجيه الا أنه لا يعالج الأمر من جميع نواحيه ، فالاقدام على النشر بطريقة التصوير بلغ درجة اصبحت من أقوى المعلوقات ، ولئن كان الكتاب في العهود الماضية يبحث عنه للاستفادة فانه الآن أصبح نوعاً من ترف الحياة ، ووسيلة من وسائل تجميل البيت ، ومن ثم أصبحت دور النشر تتسابق إلى نشر الكتب الكبيرة بطريقة لا تكلفها سوى دفعها للمطبعة ثم إلى التجليد

ليزوقها ويبرز مظهرها بصورة هي أقرب إلى خرابيش الأطفال منها إلى كتاب علم يقتنى ليستفاد منه لا يتجمل بمظهره عندما يعرض في واجهات المكتبات ، وكان من أثر هذا ان الكتاب الذي يتكون من مجلدات قد تبلغ العشر يطبع في آن واحد وفي بلدة واحدة مرتين .

ان الأمر هو أعمق من أن ننظر إلى تراثنا هذه النظرة التي لا تمس إلا الجانب الخارجي منه مساً خفيفاً ، ذلك انه عميق الصلة باتجاهنا الفكري وبحياتنا الواقعية ولهذا فعلاجه الناجح يستدعي التعمق في تعرف اسباب الانحراف عن الاستفادة من ذلك التراث ثم معالجة تلك الأسباب معالجة تستأصل الداء بعد معرفته ، وهذا الأمر بدون شك هو وان كان من واجب رجال التربية والتعليم في البلاد العربية وواضعي الخطط والمناهج التعليمية في هذه البلاد هو من واجب أولئك في الدرجة الأولى ، ولكن هذا لا يعفي غيرهم ، فعلى كل عربي قسط من هذا الامر بقدر وسعه وطاقته .

ولهذا فان الحديث الآن ينحصر في إيضاح الدليل على أن طريقة نشر مخطوطاتنا بالصفة التي أوضحناها طريقة غير صحيحة .

بين يدي الآن كتاب نشره عالم عربي جليل قبل سبعين عاماً ، ثم اعيد نشره في هذا العام بطريقة التصوير هذا الكتاب هو « النوادر في اللغة » لأبي زيد سعيد ابن اوس الانصاري المتوفي سنة ٢١٥ هـ والناشر هو العالم اللغوي العربي اللبناني سعيد بن عبد الله الخوري الشرتوني(١٨٤٩ – ١٩١٢)مؤلف معجم « أقرب الموارد » وغيره من المؤلفات،وقد نشر الشرتوني هذا الكتاب عن نسخة من مخطوطات القرن السابع الهجري على درجـــة قوية من الجودة والاتقان .

واذن فالعلامة الشرتوني وهو عالم لغوي نشر كتابا في اللغة يتصل بالجانب العلمي من حياته الذي امضى عمره فيه تأليفاً وتحقيقاً ، فهل نعتبر ما قام به عالمنا الجليل الشرتوني بلغ درجة صحيحة بحيث نعتمد على تحقيقه ونشره لهذا الكتاب ؟

قبل عامين اتصل بي الاخ الاستاذ محمد عبد القادر احمد من موظفي الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية وسألني عن هذا الكتاب وعما اعرف من نسخه المخطوطة وعن تحقيق الاستاذ الشرتوني له فكان مما اجبته به ان الشرتوني على جلالة قدره تصرف في الكتاب تصرفاً لا يتفق مع الامانة العلمية ، فقد حذق منه أشياء ولم يشر إلى ذلك ، وقد يكون له عذره فيما فعل ، ولكننا نريد ان نجد تراثنا كما خلفه لنا سلفنا ، واذا حاولنا دراسته وتمحيصه فينبغي ان يكون عملنا مميزاً واضحاً ، والكتاب وضع في اللغة العربية وهو من اقدم الكتب التي الفت عن هذه اللغة الكريمة والامانة العلمية تقضى بعدم التصرف بذلك النص ، ومن الخير العدول إلى كتاب تتلاءم نصوصه كلها مع رغبة ذلك المحقق ، لقد حذف الاستاذ الشرتوني نصوصاً يعبر عنها الآن بالادب المكشوف ولكن اللغة جاءت لتكمل حاجة الانسان والالفاظ في نفسها ليست هي التي تستوجب الفجور ، اذ هذا يقوم على الفعل ، والاديان كانت على درجة من السماحة بحيث لم تحرم على الانسان الا النطق بالكلمات والجمل التي تؤذي غيره او تكون مما لا يستساغ عقلا أو شرعاً ، ولو جاز السير على منهج الاستاذ الشرتوني لفقدت ثقافتنا الدينية جانباً كبيراً مما يجب ان يوجد فيها . ولفقد رجال التربية والتعليم فضلا عن رجال الطب والتشريح جوانب أخرى . ثم ابديت للاخ الاستاذ عبد القادر ملاحظات حول طبعة الاستاذ الشرتوني وقلت : انها بحاجة إلى التصحيح . وكنت علمت منه بانه يعنى بدراسة هذا الكتاب تمهيداً لنشره نشراً محققاً علمياً .

غير انني فوجئت بعد وقت قصير بنبأ نشره مرة أخرى فكان أن قرأت تلك النشرة الجديدة، والتي وصفت بأنها (مزيدة ومنقحة) وهي نشرة (دار الكتاب العربي) في بيروت سنة (١٣٨٧ — ١٩٦٧) والتي يفهم من مقدمتها أنها حوت ما سقط من الطبعة الاولى أو اسقط عمداً ، اعتماداً على مخطوطة جيدة في مكتبة عاطف افندي في استنبول .

كنت قد اقتنيت نسختين مصورتين من مكتبات ستنبول احداهما من مكتبة راغب باشا رقم ١٠٤٦ (مكرر) تقع في ١٢٦ ورقة وملحق بها

الصفحتان الأولى والثانية من نسخة (فيض الله أفندي) في اسطنبول

أربع ورقات اضافات ليست من الكتاب وليس فيها تاريخ نسخها الا انها قديمة الخط ، وقد تكون من مخطوطات القرن السادس أو قبله ، كما يفهم من نوع خطها ، وفيها تملك هذا نصه :

(دخل الفهرست المحروسي المولوي الصاحبي الوزيري الكامـــلي في شهر ربيع الآخر سنة ٦١٥) . وممن تملكها عبد الكريم بن طاووس الحسني (٦٤٧ – ٦٩٣) ، وهذا مترجم في « مجمع الالقاب » لابن الفوطي : (غياث الدين) وفي « أعيان الشيعة » ج ٣٨ ص ٣٠ .

ومن ميزات هذه النسخة ما في هوامشها من الحواشي ، مبدوءة بحرف (فاء) ، ويرى أخي الاستاذ الجليل احمد راتب النفاخ انه مما يغلب على الظن أن يكون صاحب الرمز أبا عليّ الفارسي ، النحوي اللغوي المعروف ، فقد كان ذا عناية كبيرة بكتاب النوادر ، ولابن جني عنه في هذا الموضوع نقل طريف ، انظر مقدمة كتاب سيبويه ، تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون ص ٤٥ و « شرح شواهد الشافية » للبغدادي ص ٢١٦ .

والنسخة الثانية صورتها من مكتبة عاطف افندي ، وهي نسخة قديمة تقع ضمن مجموعة من الكتب في ١٠٥ من الصفحات بخط حسن ، إلا انه غير مؤرخ ومن عيوب هذه النسخة نقصانها ورقة تقع بين صفحتي ٦٦ و٦٧ منها وقد وضع مرقم صفحاتها الرقم متسلسلاً ، إلا ان في هامش ١٦ جملة (هنا ورقـــات ساقطة بخط أقدم من واضع الارقام) ، ويقابل النص في المطبوعة من ١٤٥ إلى صفحة ١٤٨ ، وليس المقام مقام وصف للمخطوطتين اللتين لم يطلع عليهما الناشر الأول الشرتوني ، غير أن الحديث جرّ إلى ذلك عرضاً في سياق الكلام على نقص عمل الناشرين للمطبوعات القديمة على ما هي عليه ، وهذا موضوع حديثنا ، والنسخة التي نشر عنها المحقق الفاضل موجودة في الخزانة التيمورية المضافة إلى دار الكتب المصرية ، وهي بخط (محمد بن المكرم) مؤلف كتاب « لسان العرب » ، وهو على جلالة قدره في العلم ، وشهرته في اللغة ، ناقل أكثر منه محقق ، ولهذا يقع في كتابه كثير من الغلط والتصحيف .

لنعد إلى الموضوع ، لقد اعيد نشر كتاب «النوادر» ، وقال الناشر : إنه

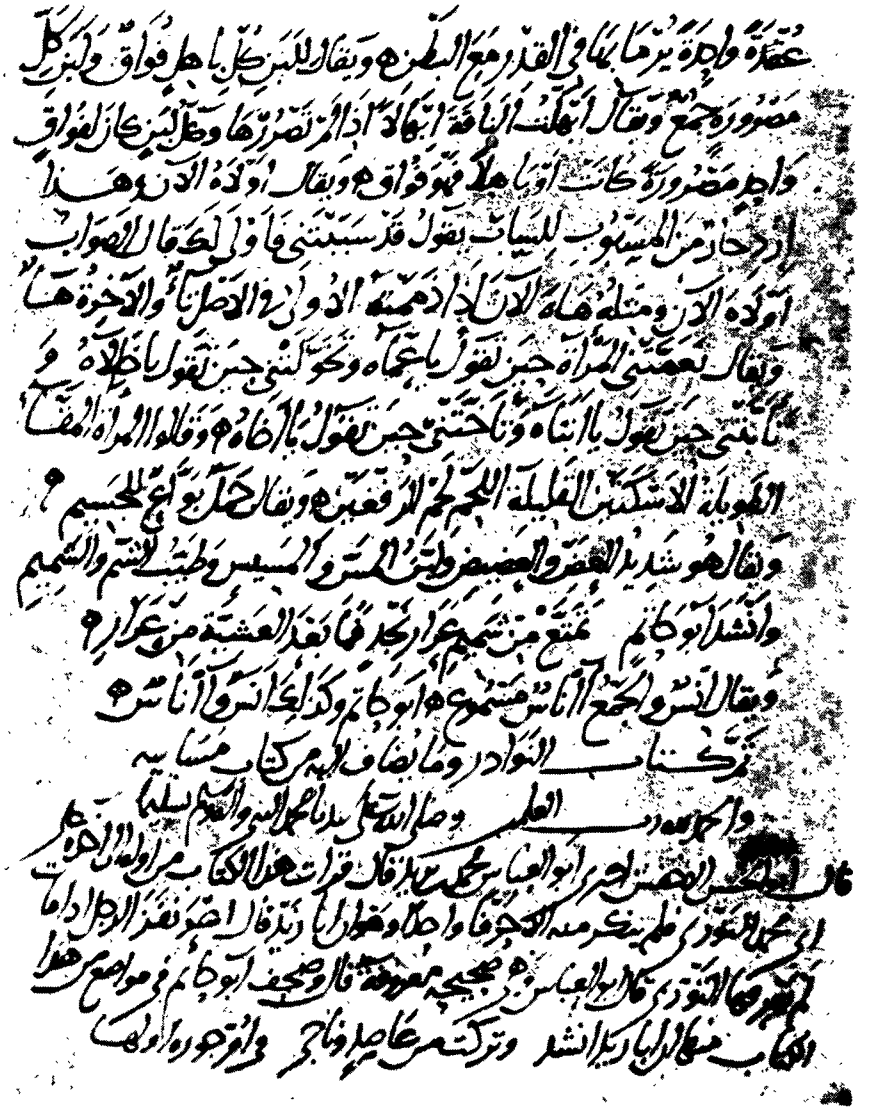

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة (فيض الله أفندي) في اسطنبول

الحق في آخر الكتاب ما زاد في نسخة عاطف أفندي ، وانه صحح عـــلى أساس تلك الاضافات شيئاً مما وقع من الغلط في الطبعة الأولى، ووضع فهارس اضافة إلى الفهارس الاولى للزيادات ، فهل كانت النشرة الجديدة هذه على درجة من الصحة ؟ الواقع ان ما حدث في الاولى من اغلاط حدثت في الطبعة الثانية ، وان ميزة هذه الاخيرة تكاد تنحصر في اضافـات بعض مباحث اسقطها الناشر الاول عمداً ، ذلك أنه تحاشى ايراد جمل وكلمات تتعلق باسماء الاعضاء الجنسية او تتصل بها ، وهذه طريقة تتنافى مع امانة العلم ، وهي لا تتفق أيضاً مع ما يجب ان يتصف به المرء من خلق .

فأبو زيد مؤلف النوادر من أجلة العلماء، وهو على جانب من الورع والتقوى والصلاح ثم ان الالفاظ في حد ذاتها لا تأثير لها، ما لم تقترن بعمل غير مباح، والكتاب كتاب لغة لا كتاب دين ، وكان على الناشر الفاضل ما دام تصرف ذلك التصرف ان يشير إلى مواضع ما حدث ، وان يذكر الكلمات التي وضع غيرها مكانها ، ولكنه لم يفعل ذلك .

وفي النشرة الأخيرة أضيف أكثر ما حذفه الناشر الأول لا كله ، أمـــا الكلمات التي غيرها فبقيت على حالتها، هذه ملاحظة أولى حول النشرتين وتبقى ملاحظات أخرى توضح ما وقع في الطبعتين من تصحيف وتحريف ، وليس المقصود البحث عن العيوب ولكن المقصود التدليل على أن الطريقة التي يعمد إليها الناشرون بطريقة التصوير للمطبوعات القديمة طريقة ناقصة وغير صحيحة.

ان كتاب « النوادر » كتاب لغوي ومحققه الفاضل سعيد الخوري الشرتوني، يعتبر من علماء اللغة ، وقد الف فيها معجماً ضخماً له مكانته بين معجمات اللغة ، فلننظر إلى عمله في هذا الكتاب الذي هو من دائرة اختصاصه ، ولنتخذ من هذا العمل مقياساً لاعمال نا شرين آخرين يقلون عنه معرفة وادراكا، ويتصدون لكتب بعيدة كل البعد عن اختصاصهم كعمل كثير من المستشرقين وغير المستشرقين ، ولنبدأ ببيان بعض أخطاء لغوية وقعت في الكتاب ، كان من السهل للمحقق الفاضل الرجوع إلى ما كان تحت يده من كتب اللغة كاللسان لمعرفة الوجه الصحيح فيها، ولا نريد استقصاء كل ما وقع في الكتاب،

إذ ذلك سيكون من عمل المحقق الأستاذ محمد عبد القادر احمد الذي علمنا بانه يهيؤه للنشر :

أولا – من الناحية اللغوية .

١ - ص ١٢ س ٤ : (فجاء يتلمس) الصواب كما في مخطوطة عاطف وهي التي سنحيل اليها دائماً وكما في كتب اللغة : يتملس) بتقديم الميم على اللام.

٢ – ص ١٦ س ٧ : (وخلف ريادها) الصواب : (وخلف ذيادها) .

٣ – ص ١٦ س ٩ : (أي لم يقر) الصواب : (أي لم تفر) .

٤ – ص ٨٦ س ٢ : (افرشت الرجل افراشاً) والصواب : (اقرشت الرجل اقراشاً) .

٥ – ص ٨٩ س ١٣ : (عنّ فقرة) والصواب (عُرّ فقره) .

٦ – ص ٩٠ س ١١ : (اعرنقز الرجل) الصواب : (اعرنفز الرجل) بالفاء .

٧ – ص ٩٥ س ١٤ : (الأيد الجوارح) والصواب : (الأِبد) بالباء الموحدة كما في الهامش .

٨ – ص ١١٥ س ١٧ : (العظام تحببت) الصواب : (العظام تحنبت) بالنون قبل الباء

٩ – ص ١٣٤ س ٥ : (خصارة ... الخصار) الصواب : (خضارة والخضار) بالضاد المعجمة .

١٠ – ص ١٥٣ س ١٤ : (المشرعا) الصواب : (المنزعا)

١١ – ص ١٧٥ س١و٤ : (خرتي... الخرتي) الصواب: (خرثي..الخرثي).

١٢ – ص ١٦٧ س ٢ : (الأسية الدعامة) وهي (الآسية) بمد الهمزة .

١٣ – ص ١٧٩ س ١٧ : (الملاحيح) الصواب : (الملاجيج) بالجيم .

١٤ – ص ١٩٦ س ٨ : (دفق) الصواب : (دنق) بالنون

١٥ – ص ٢٢٠ س ١٢ . (إذا اتبع بعضها بعضاً) الصواب (إذا تبع بعضها بعضاً) .

١٦ – ص ٢٢٦ س ٣ و ٤ : (طـُؤي ... طؤوِيٌ) والصواب : (طـُوئيّ) على وزن طوعي – كما في اللسان .

١٧ – ص ٢٣٣ ش ٣ (عبأت اليه وبه أعبأ عبأ ، ومعناه قصدت . لم يعرف الرياشي عبأت . وانشد أبو زيد : عبأت له قدما) الخ .

والصواب : غبأت إليه وله أغبأ غبئاً. لم يعرف الرياشي : غبأت ، وقال أعرف عبأت ، وأنشد : عبأت له حلما) .

وفي « اللسان » : لم يعرفه الرياشي بالغين المعجمة .

١٨ – ص ٢٤٦ س ٥ : (تخاتن الرجلان تخاتناً) والصواب : (تحاتن الرجلان تحاتنا) . بالحاء المهملة وفي اللسان وكل اثنين لا يتخالفان فيها حتنان وتربان مستويان . وأقول : لا تزال الكلمة مستعملة في نجد .

١٩ – ص ٢٤٨ س ٩ : (أوزمت لله) والصواب : (اوذمت لله) . كما في « التاج » وغيره .

٢٠ – ص ٢٥٢ س ٢ : (وَمَّثتِ الناقة) والصواب : (رمثت الناقة) بالراء .

٢١ – ص ٢٥٤ س ٥ : (وانت ساحب) والصواب:(وأنت شاحب).

٢٢ – ص :٢٥٦ س ١ : (مثل المشاعرة) . والصواب : (مثـــل المشاغرة) بالغين المعجمة .

٢٣ – ص٥٨ س٦ : (دقنت الرجل ادقنه دقناً اذا فقدته) والصواب : (ذقنت الرجل اذقنه ذقنا اذا قفدته) كلها بالذال وفقدته صوابها قفدته بتقديم القاف على الفاء . والقفد نوع من الضرب معروف .

هذه نماذج للتصحيف اللغوي الواقع فيالكتاب ويلاحظ ان الكلمة اللغوية يجب أن تكون على أقوى درجة من الصحة منحيث الرسم.إذ أن أي تحريف فيها يحيل معناها ويغيره مثل كلمة فقدته وقفدته ، فالفرق بينهما عظيم .

ثانياً ـ التصحيف في الأعلام

ونجد في الكتاب المطبوع كثيراً من الاسماء المصحفة المحرفة ممـــا نكتفي بالاشارة الى بعضها فمن ذلك :

١ ـ ص ٣٦ وص ١٣٨ : (الاشعر بن مالك الجعفي) والصواب:(الأسعر بالسين المهملة وهو لقبه واسمه الحارث ولقب بهذا بقوله :

فلا يدعني قومي لسعد بن مالك اذا انا لم اسعر عليه وأثقب

٢ ـ ص ٤٥ وص ١٥٨ : (أبو داؤود الكلابي) والصواب : (ابو دواد الكلابي وهو من بني رؤاس بن كلاب ، شاعر فارس والدال فيه مضمومة .

٣ ـ ص ٦٨ : (وقال ابو زيد :

من يكدني بسيء كنت منه كالشجا بين حلقه والوريدِ

والصواب :(ابو زبيد) وهو الطائي الشاعر المعروف والبيت من قصيدته المشهورة

٤ ـ ص ٩٦ : (مالك بن حليم الهمذاني) والصواب : (الهمداني)بالدال المهملة نسبة إلى قبيلة همدان لا همذان البلد ، وقد صرح الناشر بانه هو الذي غير الأصل .

٥ ـ ص ١٠٨ : (اسرة ثعلبية) والصواب : (ثعلية) منسوبة إلىثعل من طيء قوم الشاعر الذي أورد ذكرهم .

٦ ـ ص ١١١ و ١٩١ : (وكان لنا قرارة عم سوء) والصواب :(فزارة) بالفاء والزاي ، القبيلة المعروفة .

٧ ـ ص ١١٣ : (عود وبهثة) والصواب : (عوذ) بالذال المعجمة .

٨ ـ ص ٢٠٥ (الحبيبين) وتكررت الكلمة ، والصواب : (الخبيبين) .

٩ ـ ص ٢١١ : (ضرابي بني جمان) والصواب:(بني حمان)بالحاء المهملة.

١٠ ـ ص ٢١٣ : (سقى قومي بني نجد) والصواب : (بني مجد) اسم امرأة بالميم لا بالنون .

١١ – ص ٩٥ (الضمان) والصواب: (الصمان) ارض لا تزال معروفة بالصاد المهملة .

١٢ – ص ١٠٥ (اثمار بني منقاش) والصواب (اثماد) جمع ثمد وهو الماء الضعيف ، وجاء في « اللسان » : اثمار تصحيف أيضاً .

١٣ - ص ١١٣ (جو العشارة فالعيون فرنقب) والصواب : (جو العشارة فالعيون فزنقب) بالزاي وزنقب موضعلا يزال معروفاً مجاور للعيون عيون الجواء في القصيم وهو مذكور في كتب الأماكن .

١٤ – ص ١٤٤ (بعبهم) والصواب (بِعَيْنَهَمَ) وعيهم بالياء المثناة التحتية ، موضع معروف .

١٥ – ص ١٥٦ : (يوم محائل) والصواب : (يوم بحائل) وحائل اسم يطلق على موضعين معروفين .

١٦ – ص ١٧٥ : (قعنب أبو السماك) وهو (قعنب أبو السمال) كما « في التاج » باللام ، لا بالكاف .

١٧ – ص ٢٥٥ : (ابن علقة التيمي) والصواب : (ابن علّفة التيمي) بالفاء بدل القاف ، كما نبه على ذلك صاحب « التاج » وأشار الى أن صاحب « القاموس » أورده صحيحاً في موضعه ، ثم تصحف عليه واورده خطأ في باب القاف .

ثالثاً – الاغلاط العامة :

ونقصد بذلك الاغلاط التي وقعت في النشرة الأولى ، وقد تكون من الطبع ، الا انها لم تصحح في النشرة الثانية ، وهي مما يحيل المعنى :

١ – ص ١١ س ١٥ : (من عدوة) الصواب : (من غدوة) .

٢ – ص ١٩ س ٩ و ١٤ : (يزجي من نوائب) الصواب : (يرجي من نوائب) بالراء المهملة .

٣ – ص ٢٠ س ١٨ : (تابيته) الصواب (تأنيته)
٤ – ص ٢١ س ١٦ : (ولم يثق العواتق) الصواب :(ولم تثق العواتق)
٥ – ص ٢٥ س ١٧ : (يصف نحلاً) الصواب : (يصف نخلاً) .
٦ – ص ٢٢ س ٩ : (أنضية الاعناق)الصواب : (أنصبة الاعناق).
٧ – ص ٣٥ س ٧ : (سوى الثقاف فتاها) الصواب : (سوى الثقاف قناها) .
٨ – ص ٣٢ س ٣ : (فلا يعتد بما حدث) الصواب : (فلا يعتد بما حذف) .
٩ – ص ٣٤ و ٣٥ س ٢ و ١ : (الراغبين) الصواب : (الراغيين) .
١٠ – ص ٤٠ س ١٣ :(ورأه الداء) الصواب : (وراه الداء) بدون همز
١١ – ص ٤٠ س ١٧ : (فجاءت رأي) الصواب : (فجاءت ريء).
١٢ – ص ٤٨ س ٨ : (ونترك الدين) الصواب : (ويترك الدين) .
١٣ – ص ٤٨ س ١٠ : (لوناً عن لون) الصواب : (لوناً لونين) .
١٤ – ص ٦٠ س ٧ : (فلذلك تشريفها) : الصواب : (فذلك تشريفها)
١٥ – ص ٦٢ س ٥ : (لا اكونن) الصواب : (لأكونن) .
١٦ – ص ٦٤ س ٧ : (لهذا الشرح) الصواب : (فهذا الشرح) .
١٧ – ص ٧١ س ١ (بالضم والفتح أخبرني أبو العباس) والصواب : (بالضم . والفتح اخبرني به أبو العباس) .
١٨ – ص ٧٩ س ٤ (من عورائها) الصواب (من عوراتها)
١٩ – ص ٩٠ س ٩ (المتيوساء والميشوخاء)الصواب (المتيوساءوالمشيوخاء)
٢٠ – ص ٩١ س ٥ (يجرون السود جراً) الصواب(يجرونالبنودجراً)
٢١ – ص ٩١ س ١٣ (هنات عين) الصواب (هنات عَير)
٢٢ – ص ١٠٠ س ١٠ (حساماً طوالاً) الصواب (جساماً طوالا)
٢٣ ص ١٠٠ س ١٦ (جميعاً من قول) الصواب (جميعاً من قولي)
٣٤ – ص ١٠١ س ٨ (يفره) الصواب (يفرها)
٢٥ – ص ١٠٣ س ٣ (الغلام الشاحب) الصواب (للغلام الشاحب)

٢٦ – ص ١٠٩ س ١١ (نفتلي) الصواب (تعتلي)

٢٧ – ص ١٢٥ س ١٤ (تهيبني الكريمة) الصواب (تهيبني الكريهة)

٢٨ ص ١٢٧ س ١٤ (كان اخوان من العرب مجتمعان)الصواب(كان اخوان من العرب يجتمعان)

٢٩ – ص ١٢٦ س ١٣ (وان شرأ َفأه .. الا ان تأهْ) الصواب (وان شرأ فأ .. الا ان تأ) .

٣٠ – ص ١٢٧ س ١٧ (واما ما رواه ابو زيد فإن هذا) الصواب(واما ما رواه ابو زيد : الا ان تأ فإن هذا)

٣١ – ص ١٣٠ س ٥ (لحْيه العَريض) الصواب (لحية العريض) وفسر العريض بأنه اصَغر من التيس .

٣٢ – ص ١٣٨ س ١ (فلما كان سحر) الصواب (فلما كان سحراً)

٣٣ – ص ١٤٠س١٤(ولو قال آخرها الأحيان فجعل نصفالبيت آخرها ثم قال : احيان . لجاز) والصواب (ولو قال آخرها الاحيان فجعل نصف البيت آخرها الْ، ثم قال : أحْيَان . لجاز)

٣٤ – ص ١٤٢ س ١٤ : (اسرع جأبة ؛ الصواب (أسرع جابة) بدون همز .

٣٥ – ص ١٥٨ س ١١ . (من عباب) الصواب (من عتاب) .

٣٦ – ص ١٦٣ س ٥ : (تنفض الظل) الصواب : (تنفض الطل) .

٣٧ – ص ١٦٧ س ٤ : (يصف جندياً) الصواب : (يصف جندباً)

٣٨ – س ١٦٨س ١٢ : (في حال) الصواب :(في جال) .

٣٩ – ص ١٧٠ س الاخير : (وابتعث) الصواب : (وانتعت) .

٤٠ – ص ١٨٣ س ١٧ : (فكأن قال) الصواب : (فكأنه قال) :

٤١ – ص ١٩٦ س ١٦ : (وهو للعير) الصواب : (وهو للعين)

٤٢ – ص ٢٠٤ س ١٨ : (فألقت عند مصرعه الشباعا) الصواب : (فالفت عند مصرعه السباعا) .

٤٣ – ص ٢١٦ س ١١ :(يزرها ... عنسلُ) الصواب : (نزرها ... عنسلِ) .

٤٤ – ص ٢٢٤ س ٢ : (هذّأه) الصواب : (هذّاءة) .

٤٥ – ص ٢٢٧ س ١٧ : (جاءني ابو زيد ، وجاءني أبو زيد) الصواب في الاخيرة : (وجاءني أبوا زيد) .

٤٦ – ص ٢٢٧ س ١٩ : (وهو كمؤ مرغب) الصواب : (وهو كمء مزغب) .

٤٧ – ص ٢٢٩ س ١ : (وهو العزوف) الصواب : (وهو العزف) .

٤٨ – ٢٢٩ س ١١ : (رؤوف ، به رأفة حسنة) الصواب :(رؤف به رأفة حسنة) .

٤٩ – ص ٢٣٥ س ٩ : (اقتمعت خبر القوم وخبر المتاع) الصواب : (اقتمعت خير القوم وخير المتاع)...

٥٠ – ص ٢٣٧ س٦ (والتعشير ان يأتي عليهم) والصواب (والتعشير ان يأتي عليهن)

٥١ – ص ٢٣٩ س١٧ (انشده ابو زيد : ولِـعْ بالذي .. وسمعت غيره يقول : لِعْ) الصواب (انشده ابو زيد : وَلَعْ بالذي . بفتح اللام وسمعت غيره يقول بالكسر ، الواو للعطف)

٥٢ – ص ٢٤٠ س١١ (للكشرة) الصواب (للكسرة)

٥٣ – ص ٢٤٠ س١٤ (من يقول) الصواب (من يقرأ)

٥٤ – ص ٢٤٠ س١٨ (فقئت عين) الصواب (ففقئت عينٌ)

٥٥ – ص ٢٤٧ س٥ (اللِين) الصواب (اللبن)

٥٦ – ص ٢٥١ س٩ و١١ (الجدَع..الرباعي) الصواب (الجذع..الرباع)

٥٧ – ص ٢٥٦ س ٤ (فالعر الحَرْب)الصواب: (فالعر الجرَب)

٥٨ — ص ٢٦٠ س٤ (في جوف السقايف : الصواب (فيجوف الشقائق)

٥٩ — ص ١٢٣ س١٠ (خلتا بيوتهما) الصواب (حلتا بيوتهما)

٦٠ — ص ١١٦ س ١٦ (لنابيه على مَنّ الصريف) والصواب (لنابيه عليّ من الصريف).

٦١ — ص ١٠ س ١١ (في فئتين فئة تقاتل) الصواب (في فئتين التقتا فئة تقاتل) . آية قرآنية .

٦٢ — ص ٦٤ س ٤ (مما خطاياهم) الصواب (مما خطيآتهم)

٦٣ — ص ٣١ س ٥ (لم يجز عنده مثل هذا) الصواب (لم يُجزِ مثل هذا) وزيادة عنده من الناشر .

٦٤ — ص ٢٨ س ٨ (لَهِنَّك : يريد لله انك فحذف ثم قال آخر) الصواب (لَهِنَّك : يريد لله انك فحذف ثم حذف. قال آخر)

٦٥ — ص ٤٦ س ١٣ : (انك عائبي وقال أيضاً) . الصواب : (انك عائبي قال ثعلب : خفت ، بمعنى ظننت ، وقال أيضاً) .

٦٦ — ص ٤٦ س١٥ : (يعاتب وقال أوس) الصواب (يعاتب قال قال ثعلب : أي غظته حتى انتفخ في جلده . ؛ قال الأعشى : قوافي أمثالاً يوسعن جلده . وقال أوس) .

٦٧ — ص ٤٨ س ٣ : (قال قال وأراه) الصواب : (قال قال ثعلب مزاحاً يريد انه ازيل عن طريق الجد ، أراه) .

٦٨ — ص ٥٥ س ٢ :(وأما قول الأعشى : فابرحت رباً وأبرحت جاراً.اكرمت) الصواب : (وأما قول الأعشى : فابرحت رباً وأبرحت جارا ، فقال أبو عبيدة ابرحت أكرمت) .

٦٩ — ص ٧٢ س ٨ :(حرورها) بعد هذا البيت بيت لم يرد في المطبوعة وهو :

عليّ دماء البدنِ ان كان بعلها يرى لي ذنباً غير اني أزورها

٧٠ — ص ٧٤ س ٦ : (احسب المضُّر) الصواب : (أحسبه عن أبي زيد المضر) .

٧١ — ص ٨٤ س ٥ : (إذا اخترنا سيدهم . ويقال) الصواب : (إذا اخترنا سيدهم فقتلناه بقتيل لنا أو خطبوا إلى سيدهم . ويقال) .

٧٢ — ص ١٢٧ س ١٥ : (فيقول الآخر بلى . يريد الا ترحل الا تنتجع فيقول الآخر بلى فافعل ، بلى فانتجع . وأمـــا ما رواه أبو زيد فان هذا). الصواب : (فيقول الآخر بلى . فا . يريد الا ترحل الا تنتجع فيقول الآخر: بلى فارحل بلى فانتجع . وأما ما رواه أبو زيد : الا أن تأ فإن هذا) .

٧٣ — ص ٢٢٢ س ١٧ : (وللمرأة بذي تسلمين والمعنى) الصواب : (وللمرأة بذي تسلمين وللنسوة بذي تسلمن والمعنى) .

٧٤ — ص ٢٢٦ س ١٥ : (ورجل صديان مقصور) الصواب : (ورجل صديان وامرأة صديا مقصور) .

٧٥ — ص ٢٢٧ س ٣ : (وامرأة لاعة ولاعات) الصواب : (وامرأة لاعة من نسوة لاعة ولاعات) .

٧٦ — ص٢٥٠ س١٨ : (والهرهرة دعاؤك الغنم للماء قال) الصواب : (والهرهرة دعاؤك الغنم للماء فتقول : هَرهَر قال)

٧٧ — ص٢٥٥س ١٦ : (يكز إذا ضرب انفه) والصواب : (يكزه وكزاً إذا ضرب أنفه) .

٨٨ — ص٣٠٧س ١٢ : (السبت) صوابه(السب) وفي الصفحة نفسها: (يروض) صوابها (يرفض) .

٧٩ — ص ٣١٣ س١ : (لجائها) الصواب (لحائهـــا) والأخيرتان من أخطاء الطبعة الجديدة .

وهناك كلمات كثير مصحفة أو محرفة أو مشكلة على غير وجهها الصحيح بحيث لا تخلو صفحة واحدة من ذلك مما يطول ذكره .

رابعاً — الحذف :

تعمد الشيخ الشرتوني حذف نصوص كثيرة من الكتاب وعندما اعادت دار الكتاب العربي نشره ، اضافت في آخره بعض ما اسقطه الناشر الاول مشيرة

إلى موقع ذلك في المطبوع ، ولكن الدار لم تذكر كلما حذفه الناشر الأول ومن أمثلة ذلك :

١ - ص ٤٩ س ١١ : (ابو زيد وقال آخر : ما زالت الدلو)والنص المحذوف (ابو زيد . وقال الآخر :

يخبطن بالأيدي مكانا ذا غدرْ خبط المغيبات فلاطيس الكمرْ

امرأة مغيبة اذا غاب عنها زوجها ، ومشهدة اذا شهد زوجها والفلاطيس العراض واحدها فلطاس . والغدر . الموضع الذي فيه حجر . ابو حاتم : فِلْطَوَس . وقال آخر : ما زالت الدلو)

٢ — ص ٥٥ س ١٢ : (وقال ضمرة بن ابي ضمرة : تركت ابنتيك) والمحذوف هو : (وقال ضمرة بن ابي ضمرة :

الحْيَ حِرٍ ثطِ ترملت استُهُ الى مَ فررت من كميّ مكلمِ ؟

تركت ابنتيك) .

٣ — ١٥٠ س ١٢ :(وهاشم وقال ايضاً) والمحذوف هو بعد كلمة وهاشم:

جزى الله عنّا الاعورين ملامةً وعبدة ثفر الثورة المتضاجم

الثفر للفرج من السباع ، فجعله هنا للبقرة) .

٤ — ص ٢٦١ س ٣ : (أخاه . ويقال جمل) والمحذوف : (اخـــاه . وقالو : المرأة المقء الاسكتين ، القليلة الاسكتين ، القليلة اللحم ، لحم الرفغين . ويقال جمل).

خامساً — تغيير النص حملت المحقق عفة لسانه إلى حذف مـــا سبقت الاشارة إلى بعضه ، كما حملته على تغيير بعض الكلمات ، مثل :

١ — ص ٩٣ س ١٤ : (من ينكح الحسناء) جعلها : (من يتزوج) .

٢ — وضع كلمة (هُمزَة) بدل كلمة (نكحة). في الصفحات ٩٣ و ١٣٤ و ١٣٨ و ١٨٠ و ٢٢٩ .

٣ — غير كلمة (منكح) بكلمة (مجلس) في صفحة ١٧٠ .

ولا شك ان المحقق الشيخ الشرتوني — والله يعفو عنه — دفعه ادبه إلى ما عمل لأنه يرى من غير المناسب لمثله وفي ذلك العصر إيراد الكلمات المتصلة بالناحية الجنسية ولكن كان من واجب الامانة العلمية الاشارة إلى ذلك وتحديد المواضع التي جرى الحذف فيها، أما وقد فات المحقق الأول للكتاب ذلك ، فكان من واجب المشرف على النشرة الأخيرة منه عدم الحذف .

مَعَ ٱلقُرَّآءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

الجراكسة في « رحلة الايدي آن بلنت »

— بقية ما نشر في الجزء السابق —

ولكنه الحقد المقدس . فرامزي مكدونالد ، زعيم حزب العمال البريطاني ورئيس وزراء بريطانيا في مطلع القرن العشرين هو الذي ساوم الروس على بلاد الشراكسة وباع تلك البلاد بتسوية سياسية لم يعرف الدنس السياسي لها مثيلاً .

فالحروب الصليبية التي انتهت على أيدي القادة الشراكسة المسلمين ، وحقد الانكليز على الاسلام والمسلمين انصب كله على الشراكسة حتى دمروهم تدميراً كاملاً ، وبعد ذلك انتقلوا إلى فلسطين ليبيعوها إلى شذاذ الآفاق من الصهاينة المتعصبين .

ولو عاشت (الليدي آن بلنت) إلى أيام الجنرال اللنبي لقالت أكثر مما قالت ، فالجنرال اللنبي يعرف جيداً الثمن الذي دفعه أمام فرسان الشركس في الحرب العالمية الأولى ، وفي ميادين فلسطين والأردن وسورية .

ولقطاء الساسة الانكليز من الصهاينة يعرفون أيضاً بأس الشراكسة وقوة شكيمتهم وتفانيهم المطلق في سبيل معتقدهم الاسلامي الحنيف ..

ففي عام ١٩٤٨ احتل الشراكسة قلب العزيزيات الشهير على الجبهة السورية بقيادة المقدم الشركسي الشهيد جواد آنزور .. وفي نفس العام احتلت ثلة من الفدائيين الشراكسة مستعمرة كعوش على الجبهة السورية أيضاً بقيادة الملازم الاول خالد عيسى الذي بحث عنه اليهود طويلاً بعد احتلال القنيطرة في الحرب الاخيرة عام ١٩٦٧ .

وقد قدم الشراكسة على مذبح فلسطين مئات الشهداء من الضباط وضباط الصف والجنود والمجاهدين على الجبهتين السورية والاردنية خلال حرب ١٩٤٨ والمناوشات التي تلتها وحتى اليوم .

وحرب حزيران ١٩٦٧ إذا دخلت التاريخ ، ستدخل من باب مدينة القنيطرة وضواحيها ، المنطقة الشركسية التي قاتل أهلها دفاعاً عن العروبة والاسلام دفاعاً عزّ نظيره في التاريخ ...

هذا بعض ما نحن ، الشراكسة ، آمل أن لا تكون الليدي آن بلنت بمقالتها « التافهة » أن تكون قد محت هذا البعض من ذكرنا ، من أذهان أولئك الذين أولوا مقالة الليدي آن الإهتمام الذي لا تستحقه .

في هذه العجالة، هذا بعض ما استطعت أن أقدمه، وأنا على استعداد تام، للإجابة على أي استفسار عن الشراكسة يمكن أن يوجه إلي بواسطة مجلة « العرب » الغراء .

عمان : **كمال أباظة**

العرب : جاءتنا هذه الكلمة من الاستاذ كمال أباظة :

من أمراء الشراكسة الذين هاجروا من القفقاس عام ١٨٦٤ إلى تركيا فسوريا فالاردن . وهو من آل خربس الاباظية المشهورة وهو من أمراء الابازة أو الاباظة أو الابخاز ، فهم معروفون بهذه الاسماء كلها . يعمل الآن في حكومة المملكة الاردنية الهاشمية سكرتيراً لتحرير وكالة الانباء الاردنية ، وقد كان قبيل حرب حزيران مسؤولاً عن جريدة القدس التي كانت تصـــدر في المدينة المقدسة مندوباً للحكومة ورئيساً لهيئة تحرير الجريدة بعد صدور قانون الصحافة والمطبوعات المؤقت رقم ١٦ سنة ١٩٦٧ .

والعرب تقدم له الشكر على ما في كلمته من حقائق تاريخية ، ولا تفوت الاشارة إلى أن الكاتبة الليدي آن بلنت ، وان اخطأت من جانب ، إلا أنها انصفت وأصابت من جوانب أخرى، فهي—في رأينا—لا تستحق كل هذه القسوة.

والكاتب الكريم له العذر في ثورته العاطفية ، و« العرب » تهدف — أول ما تهدف — لكي تقدم لقرائها الحقيقة ، أيّاً كانت ، مجردة من كل الغايات ، ولهـذا - وقد سارعت بنشر تعقيب الاستاذ كمال — يسرُّها دائماً أن تسمع كلمة : (هذا خطأ وصوابه كذا !.)

وللكاتب الكريم أطيب تحية .

ابن عراق مؤلف كتاب « نشر اللطائف » - جركسي وليس كنانيّاً — جاء في مجلة « العرب » ص ١٠٧ — السنة الثانية » في مقال الأخ الأستاذ محمد سعيد كمال . (ابن عراق الكتاني) . وهو أحد مؤرخي الطائف .

وابن عراق هذا ليس كنانيّاً ، بل هو — كما جاء في كتاب « الكواكب

مكتبة العرب

[لا تتحدث « العرب » في هذا الباب إلا عن الكتب التي تهدى اليها]

❁ — **دائرة المعارف (الجزء السابع)**

صدر المجلد السابع من دائرة المعارف التي يشرف على نشرها وتحريرها الدكتور فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية ويتضمن هذا الجزء من المواد من (اثيوفس) إلى (اخيريا) أي من آخر حرف الالف مع الثاء إلى آخر حرف الالف مع الخاء ، ويقع في ٤٩٢ صفحة من القطع الكبير ويتضمن ١٦٨٠ مبحثاً ، اشرف على اعدادها ٦٠ كاتباً وفي المجلد ١٧٦ صورة منوعة بين خارطة ورسم وتصوير.

والقارىء العربي لا يسعه حينما يطلع على الاجزاء السبعة التي صدرت من هذه الدائرة الا ان يكبر الجهد العظيم الذي يقوم ببذله الدكتور فؤاد افرام البستاني في سبيل ابراز هذا العمل الثقافي الجليل بصورة مشرقة .

❁ — **الحركة اللغوية في الاندلس**

دراسة علمية عميقة عالج بها الاستاذ البير حبيب مطلق تاريخ الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، وقدمها في كتاب بلغت صفحاته ٤٢٨ في طباعة جيدة ، فسد بهذا الكتاب فراغاً يحس به الباحثون اللغويون يجمعه شتات الموضوع في هذا الكتاب القيم ، مما استحق به الشكر لا من المعنيين بالمباحث اللغوية وحدهم بل من كل من يرى في لغة الضاد دعامة تقوم عليها حياة الأمة العربية .

❁ — **توشيع التوشيح**

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٦٩٦ و ٧٦٤ هـ) شهرته تغني عن

السائرة ، بأعيان المائة العاشرة » — : من أولاد الأمراء الجراكسة . أي انه جركسي الأصل ، وليس عربياً ، فضلاً على أن يكون من بني كنانة وتجد ترجمة مطولة لأبيه محمد بن علي في كتاب « عبد الرحمن الأوزاعي — شيخ الاسلام — وإمام أهل الشام » من ص ١٣٨ إلى ص ١٤٦ — .
(بيروت : ط . و)

الحديث عنه ، وسعة معارفه مكنتهمن الاسهام في كل مجال من مجالات الثقافة في عهده ومؤلفاته تعتبر ثروة علمية لا عن عصره بل في مختلف العصور ، ومن مؤلفاته كتاب « توشيع التوشيح » والموشح فن من فنون الشعر العربي الذي استنبطه أهل الأندلس ، وهذا الكتاب يتضمن طائفة من ذلك النوع من شعر المغاربة وغيرهم يورده الصفدي ثم يضيف إليه من موشحاته هو .

وقد قام الأستاذ البير حبيب مطلق بنشر هذا الكتاب بعد تحقيق نصوصه والتقديم له فطبع طبعاً جيداً في مجلد لطيف تبلغ صفحاته ٢٢٧ .

❁ — الملحمة الشعرية التاريخية

وأتحف الأستاذ المقدم جميل ذبيان القارىء العربي بملحمة شعرية رائعة ، سرد فيها بجمل سيرة النبي محمد (ص) بشعر سهل واضح المعنى ، كما سجل في مقدمة هذه الملحمة الشعرية جوانب من الحياة العربية قبل الاسلام . وقد جاءت هذه الملحمة دليلاً على أن الشعر العربي — ليس كما يوصم به من أن القافية والوزن فيه يقسرانه على عدم طواعيته لتسجيل الملاحم التاريخية ، فهذه الملحمة التي تقع في قرابة ٣٥٠٠ من الشعر مختلف البحور ، عبرت أوضح تعبير بما سردته من غزوات المصطفى (ص) وما صورته من جوانب حياته خاصة . ومن مظاهر الحياة العربية عامة في ذلك العهد .

وقد طبعت طبعاً حسناً في ٣٦٥ صفحة ، بحرف واضح ، وعلى ورق جيد ، وفيها كثير من المصورات الجغرافية وغيرها لتوضيح المواقع التاريخية

وفوق ذلك فالقارىء لهذه الملحمة يستهويه اسلوبها فيسترسل في غمرة من العواطف والمشاعر المحببة إلى النفس ، تأثرا بروح الشاعر الكريم ، وباحساسه العميق الصادق الذي تكاد كل كلمة من كلمات الملحمة تنبض به .

❁ — علاقة المواطن بالدوائر الشرعية

هذا اسم كتاب ألفه الاستاذ عبد الكريم بن حمد الحقيل ، أحد موظفي رئاسة القضاة ، لإيضاح الطرق التي يحتاج المتصل بالدوائر الشرعية من محاكم وغيرها — أن يسير عليهـــا ، مع إيضاح اختصاصات تلك الدوائر بعرض

الأنظمة المتعلقة بها ، وإيراد النصوص الفقهية التي تسير عليها تلك الدوائر في مختلف القضايا .

ويقع هذا الكتاب في ٢٨٨ صفحة، متضمناً القدر المحتاج اليه في موضوعه – مضافاً اليه معلومات ذات صلة بالموضوع ، بحيث يصح القول بأن هذا الكتاب يعتبر ذا فوائد جمّة لدارسي تطور التنظيم الاداري الشرعي في بلادنا، ولذوي العلاقة بذلك الجانب الذي ترتكز الحياة العامة في مجموعها عليه ، وخاصته في بلاد تعتبر الدوائر الشرعية فيها هي وسيلة تنظيم تلك الحياة .

❁ – التراث الجغرافي اللغوي

ونشر الباحث المحقق الدكتور حسين نصار في المجلد الرابع عشر من « مجلة المجمع العلمي العراقي » بحثاً ممتعاً بعنوان : « التراث الجغرافي اللغوي عند العرب » افاض الحديث فيه عن العلماء والأدباء الذين تحدثوا عن المواضع من الناحية اللغوية من زمن ابن الكلبي ، القرن الثاني الهجري ، إلى ياقوت الحموي (٥٧٤ – ٦٢٦ هـ) ثم أفرد الدكتور نصار ذلك البحث في دراسة صفحاتها ٣٧ – ومع ايجاز هذا البحث فقد حوى من المعلومات ما لا يوجد في الأبحاث الطويلة .

❁ – الرحلة النجدية الحجازية

قام فضيلة شيخنا الجليل الشيخ محمد بهجة البيطار الدمشقي في سنة ١٣٣٨ و ١٩٢٠ م، برحلة إلى بلاد نجد حيث عهد إليه الامام السيد محمدرشيد رضا في ذلك العهد بحمل رسالة منه إلى الامام عبد العزيز آل سعود في نجد قبل أن يكون ملكاً للدعوة إلى عقد اتفاق عام بين جميع أمراء الجزيرة العربية وأئمتها دفعاً للعدوان الأجنبي ، وقد سافر الشيخ لابلاغ تلك الرسالة إلا أنه لاقى في رحلته تلك ما حال بينه وبين الوصول إلى نجد مما فصله الشيخ في رحلته هذه التي طبعها في كراسة لطيفة تبلغ أكثر من ستين صفحة ، تتضمن وصف ما شاهده في الطريق وما قاساه من المشقة حتى وصل المدينة المنورة . وتتضمن ترجمة مفصلة لحياة فضيلة الاستاذ البيطار ، أطال الله عمره لخدمة

الاسلام ، والمسلمين بعلمه الجم ، وخلقه القويم .

❋ — محاضرات في تاريخ العرب

وصدر للدكتور صالح احمد العلي عميد معهد الدراسات الاسلامية في بغداد كتاب « محاضرات في تاريخ العرب » صـــدر الجزء الأول منه ، متضمنا الكلام على الدول العربية قبل الاسلام ، النظم البدوية ، حياة الرسول (ص) الدعوة الاسلامية في مكة ، وفيه تفصيل واف عن الحياة العربية قبل الاسلام ، من حيث الاجتماع والسياسة والديانة وغيرها ، ويقع في ٤٢٠ صفحة ، وطباعته حسنة ، وكان الدكتور صالح ألقى أصول هذا الكتاب محاضرات على طلاب (كلية الآداب في جامعة بغداد) ثم توسع في مباحثه ، وأضاف اليه زيادات تكمل تلك المباحث ، عندما اراد طبعه .

ولم يتعرض الدكتور في كتابه هذا لتاريخ القبائل العربية البائدة ، إذ مصادر هذا التاريخ لا تزال ناقصة .

وبجمل القول فإن هذا الكتاب مما لا يستغني عنه الباحث في تاريخ العرب القديم .

❋ — ايليا ابو ماضي

وقدم لي ابني محمد الجاسر كتاباً بهذا الاسم : (ايليا ابو ماضي شاعر الجمال والتفاؤل والتساؤل) الفه الاستاذ الفرد خوري مدرس الأدب العربي في الكلية الثانوية من سلسلة (المصابيح) التي يصدرها (بيت الحكمة) اما الحلقة الأولى فعن « ابن سينا » وهذه السلسلة ، كما جاء في غلاف ذلك الكتاب : (دراسات تعرض حياة لفيف من الأدباء والفلاسفة والمفكرين ، وتتناول بالتحليل سبل أفكارهم ، وتنقي طائفة آثارهم ، مضبوطة الشكل ، محققة المتن والهوامش ، يكتبها فريق من الأدباء والباحثين) . وقد اندفعت لقراءة هذا الكتيّب بتأثير مما قصه لي ابني عن استاذه الفاضل مؤلف الكتاب ، فوجدت فيه صورة واضحة المعالم عن الشاعر ايليا أبي ماضي عن عصره وبيئته — اضواء على أدبه — نصوص وتحليل — مختارات من نتاجه — أراء حوله — كل ذلك في صفحات قليلة لا تتجاوز الـ ١١٠ من القطع الصغير ، بحيث يجد فيه الباحث معلومات مركزة خفيفة يهضمها ويفهمها بدون تعب أو جهد .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف: (٢٤٣ المحرر)
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة

الاشتراك السنوي
١٨ ريالاً للأفراد، ٢٥ ريالاً للهيئات
الرسمية والشركات عدا العشرة البريد
ايصولات: يتفق بشأنها مع الادارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

الجزء الثامن - السنة الثانية - صفر - ١٣٨٨ هـ (ايار ١٩٦٨ م)

الهَيْصَمِيّة: حاضرة الأفلاج القديمة

لبلادنا في قلب الجزيرة العربية ، تاريخ حافل مجيد أكثره مهمل والقليل منه هو ما نعرفه . وكان من نتائج الاهمال أن فقدنا الكثير من معرفة معالم بلادنا .

وتأتي لتحدث واحداً من أبناء بلادك عـــن تاريخها .. عن جغرافيتها فيستمع اليك وأنت تسرد الحقيقة عليه وهو مندهش غير مُصدق ... ولكن لماذا ؟ لأنها مهملة لم تدون كل أخبارها ووصفها .

ولا شك أن دعوة استاذي حمد الجاسر لتأليف معجم جغرافي حديث لبلادنا – صائبة وواقعة في الهدف . وتلك طريقة سليمة سنتمكن بواسطتها من الوصول إلى بعض ما نسعى للوصول اليه مما لم نفُز به ..

وها هو الحال بالنسبة لما نحن بصدد الحديث عنه .

الهَيْصَمِيَّة مدينة بني قشير ،في الأفلاج ، وهي مدينة قديمة عفّى الزمان عليها . لم يذكرها فيما وصل إليّ سوى الهمداني في «صفة الجزيرة » ، والحسن بن عبدالله الأصفهاني في كتاب « بلاد العرب » الذي نشرته (دار اليمامة) بتحقيق استاذنا صاحبها . وقـــد أوضح لنا الأصفهاني العديد من المواضع الأخرى لبني قشير ، وأضاف جديداً إلى مـــا كنا نعرفه عن ذلك . أما

الهجري فتعرض لذكر بعض ساكنيها بني صُهَيب ، وعدّهم موالي لقشير الذين يجاورون بني كعب من بني عامر ، وبني جعدة ، وبني عقيل بن كعب ..

وقبل أن أسوق ما ذكره الهمداني والأصفهاني .. أستعرض مشاهداتي في هذه المنطقة ، وقد وقفت على معالمها الماثلة اليوم ودرستها ، مستعيناً بما أورده الهمداني عنها .. وقد فتح الأصفهاني أمامي آفاقاً جديدة للبحث والدرس في تلك البقاع . إذ ذكر أسماءً كثيرة لمواضع كانت مجهولة من بعد مجدها الغابر ..

والهَيْصَميَّة ذات مجد عريق .. كانت تسوّقُها نزار واليمن . واليوم تبتلعها أحضان الرمال التي طمست معالمها تماماً ، وهي في الطريق بين (ليلى) قاعدة الأفلاج اليوم ، و (السَّيح) الذي ذكره الهمداني ، والأصفهاني باسم (قرْن) .

وقد كنت أشك أن تكون الهيصمية بلاد بني صهيب من قشير التي ذكرها الهمداني هي التي وقفت بها ، إلا بعد أن أكد لي الشيخ عبد الله بن عبدالعزيز الفالح ، وهو من العارفين بالتاريخ ، ومعارف البلاد القديمة — أنها ذاتها التي عناها الهمداني .. وقد زاد من يقيني أنني يوم هِمت أُنقب — عبثاً — في جوف الرمال، عثرت على بقايا من مواقد الحدادين،وهي واضحة للعارف بحيث يستطيع أن يميز بين موقد الحداد،وموقد صائغ الذهب، وقد كان خبث الحديد واضحاً ، وقد انفرجت شفتاي ببارق أمل أن يكون هذا أحد (الاربعمائة) الحانوت التي ذكرها الهمداني ولكن هيهات أين من يؤكد لي ؟ وقد وجدت أن ما ذكره الهمداني من المواضع لا تقع في موقع متقارب كالسوق المكتظ بالحوانيت ، وهو سوق الهيصمية في رأس عزتها يوم ذاك ، وعثرت بعد ذلك على قطع من جرار الفخّار ، فوقفت منها موقف الحائر المبهور بأمره ، فظاهرها يؤكد بأنها في القِدم موغلة ، حتى شكل تصميمها ينبيء عن ذلك .

وكل تلك الآثار ، لا نجزم بالقول القاطع الصارم أنها من آثار بني قشير ، بقدر ما تترك لنا دليلاً يثبت أن تلك المواضع كانت ذا مجد وعزة في زمن

على مـــر التاريخ قديم . يقول الهمداني في « صفة جزيرة العرب [1] » :

(الهيصمية لبني صهيب من بني قشير ، وهي مدينة حصينة ، يركض على جدرها أربع من الخيل ، وجهد الغالي بالسهم أن ينال رأسها) .

والأصفهاني يذكر ، أن السوق مدينة عظيمة ، ومنازل بني قشير في ناحية السوق . وما يعنيه الأصفهاني هو سوق بني قشير في أكمة – الأحمر – على ضفاف وادي كرْز .

وهناك آثار لقصر قديم ، وقد ذكر الهمداني القصر العادي في الأثل من عهد طسم وجديس. وصفته أن بانيه بنى حصناً من طين ثلاثين ذراعاً دكّه ، ثم بنى عليه الحصن ، وحوله منازل الحاشية للرئيس ، والأثل والنخيل .. وقد تكون الآثار الماثلة للقصر القديم هناك مقامة على أركان القصر العادي... ويُطلق عليه أهل الأفلاج (قصير روّاس) . أما السوق فقد وصفه الهمداني حيث قال : (وسوق الفلج عليها أبواب الحديد ، وسمك سورها ثلاثون ذراعاً ، ومحيط به الخندق ، ودو منطق بالقَضة والحجارة والشاروق قامة وبسطة ، خوفاً أن يحصر ، أو يرسل العدو السيوح عليه . وفي جوف السوق مائتان وستون بئراً ، ماؤها عذب فرات ، يشاكل ماء السماء ولا يغيض . وأربعمائة حانوت)[2] .. انتهى

أقول : إن كل ذلك الذي وصفه الهمداني طمرته أقواز الرمال المتراصفة على شكل أهِلّة .. وقد كانت الفلج – الأفلاج – أرضاً خصبة ، وسميت كذلك لكثرة أنهارها وعيونها السائحة على وجه الأرض إلى اليوم . وذكر لي الشيخ عبد الله أن أنهار الأفلاج بلغت (٣٦٠) نهراً جارية . وكانت هذه الأنهار تشكل عدواً على ساكنيها ، وعيون الأفلاج تبعد عن موقع الهيصمية جنوباً بحوالي ١٠ أكيال .

ووصف لنا الهمداني السيوح هذه فقال إنها الرقادي والأطلس ، وسيح

---

(١) ص (١٦٠ – ١٦١) .
(٢) ص ١٦٠ .

قشير ، واسمه سيح اسحاق ، وسيح الرقادي مخرجه من عين يقال لها عين ابن أصمع،ومن عين يقال لها الزباء مختلطتان ببعضهما،وأقول:لا تزالانمختلطتين إلى اليوم ، غير أن اسم واحدة منهما تغير بحيث صار يطلق عليها (أم هيب) وهي غنية بمادة الكبريت . (وأما الأطلس فان مخرجـــه من عين يقال لها عين الناقة .. ويقول أهل الأفلاج – قديماً – في اشتقاق هذا الاسم إن امرأة مرت بها على ناقة لها فتقحمت بها في جوف العين فخرج سوارها بنهر محَلّم بهجر الاحساء) ، وهذه أكبر عيون الأفلاج إذ يبلغ طولها كيلاً واحداً تقريباً وعرضها ٦٠٠ متر تقريباً . ولا تزال حكاية الناقة متواترة بين الناس هناك ، إلا أنهم أطلقوا على العين اسم (الرأس) .

وبلاد السيح تكثر فيها النخيل إذ يوجد فيها عشرة آلاف نخلة على أقل تقدير ، وهذا ما ذكرته المصادر الرسمية . وسرد الهمداني أصناف تمور النخيل وكثير منها ليس له ذكر اليوم ، ومن أصناف التمور التي ذكرها : الصُّفريّ سيد التمور ، ذلك لأنه يغرق في البحر فيمّاث سائر التمران ما خلا الصفري – ولا يزال يعرف حتى اليوم – ثم السّري ويعرف باسمه اليوم ، ثم اللـّصف ، ثم الفحاحيل ، ثم المجتني ، ثم الجعادي ، ثم الشماريخ ، ثم المشمرخ، ثم الصرفان، ثم البياض ، ثم السّواد وهما ألوان كثيرة، ثم البرني وله إهالة وجميل مثل جميل الكبش السمين ، والفلج طيب الطعام ولا مؤذ به ولا وباء .

إن الهمداني يشير إشارات مبهمة فيما يتعلق بمساكن بنيقشير وبني جعدة، حيث يخلط بينهما ..وهو في ذلك ينقل لنا مايرويه له (أحمد بنالحسن العادي الفلجي) وهو رجل من أبناء تلك البقاع التقى به الهمداني ونقل عنه كما نقل عن أبي مالك أحمد بن محمد بن سهل اليشكري الذي نقل عنه صفة العروض وما يليها من نجد .

وربما يكون الفلجي عامياً ، أو يسوق له الأخبار ومواقع البلدان ، ولا يهتم بتوزيعها بين القبائل والتأكد في ذلك ، فيخلط بينها . وستجد الأصفهاني أقرب إلى الواقع فيما سنورده عنـــه . وها هو الهمداني ينقل

عن الجرمي[1] فيقول : (أكمة لبني عبد الله بن جعدة،والغيل لبني عبد الله بن جعدة ، ونعام يعرف لآل راشد من بادية بني عبيد ، والقصور والشّويق للسّمرات ، والهيصمية لقشير ، والجدول أعلى منها لبني قشير) . يتضح من سياق الهمداني أنه لم يتعرض لمساكن قشير التي تقع في الجهة الغربية ، على سفوح جبال طويق في بلاد الأحمر – أكمة –

أما الأصفهاني في كتابه « بلاد العرب »[2] فيسوق لنا وصفاً أوضح حيث يقول : (وسوق الفلج ببطحاء وادٍ يسمى وادي أكمة واسم الوادي كرز والسوق مدينة عظيمة،ومنازل بني قشير في ناحية السوق، على شاطىء الوادي نخيل ودور وحيطان، ويسمى منزلهم الزرنوق ، ولبنيقشير أيضاً قرية على فرسخ من الزوق يقال لها قرن ، فيها نخيل ودور ومزارع ، وفي ناحية قرن سيح اسحاق الذي اقتتلت فيه جعدة وقشير ، لأنه كان لقشير ، وهو نهر مخرجه من قناة ، وهو بطيحة واسعة ، وعليه من النخيل ما لا يدرى مبلغه، والقاع أيضاً قرية لبني قشير حذاء قرن – الى ان قال – وأكمة قرية بها سوق ومنبر لجعدة إلا قليلاً من أعلاها لبني قشير، وكرز ساقيتها ، وأكمة بين جبال (انتهى) .

ومما أورده الأصفهاني نخلص إلى ما يلي :

١ – أن ما ذكره أوضح بكثير مما أورده الهمداني ، وخاصة مساكن بني قشير ..

٢ – أنه يجعل الجزء الشرقي من الأفلاج (الفلج) التي منها الهيصمية ، مع الجزء الغربي الممتد إلى الجنوب حتى يتصل بالجهة الشرقية لبني قشير ، والجهة الغربية لبني جعدة مختلطةمع منازل بني قشير، حيث تتقاسمان أكمة ، فجهتها الشمالية فيما يوالي الغيل لبني جعدة ، والجهة الجنوبية لبني قشير .

٣ – منازل بني قشير التي أوردها وتقع في الأفلاج هي :

ا) الجهة الشرقية :

---

(١) « صفة الجزيرة » ص ٦١

(٢) مجلة « العرب » م ٢ ص (١٣١) .

١ – قرن : وهي المعروفة اليوم بالسَّيح ، وتسقى من عيون الافلاج في جنوبيه .

٢ – القاع : وهو موضع قريب من السيح ولا يعرف اليوم .

٣ – الهيصمية : وقد سبق وصفها ، ولم يذكرها بل ذكرها الهمداني .

٤ – الجدول : موضع بشرقي السيح ولم يذكره بل ذكره الهمداني .

ب) الجهة الغربية وتمتد إلى الجنوب حتى تلتقي بالجهة الشرقية :

١ – الجهة الجنوبية من أكمة (الاحمر) وهي كما وصفها الاصفهاني وملخصه مع التوضيح :

وادي أكمة به سوق الفلج ، ووادي كرز ، والسوق مدينة عظيمة ومنازل بني قشير في ناحية السوق . ووادي كرز يتوسط بلدة الاحمر ، ولا يزال معروفاً لدى أهلها ، وعلى شاطيء الوادي نخيل ودور وحيطان . والزرنوق منزل الحاشية من بني قشير وهو بمثابة الهيصمية في الجهة الشرقية ، ويقع بقرب وادي كرز الذي تسقى منه أكمة .

وفي هذه البلدة كما ذكر أهلها ، آثار قديمة قدم الدهر ، ولا تزال أطلالها باقية ، ومبانيها مرتفعة جداً آخذة في العلو ، ويبلغ سمك الجدار منها ستة أذرع تقريباً، ولا يزال وادي كرز ذا نخيل عامرة . ويقول أهل الأحمر في اشتقاق تسميته بالأحمر أن حرباً في قديم الزمان وقعت بأرضه وساحت الأرض دماً حتى تلوثت بلون الدم وبذلك سمي الأحمر !!.

والريم ذكره الأصفهاني وقال إنه واد لبني معاوية بن قشير . والريم يتقابل مع وادي كرز بالأحمر .

من كل ذلك كان الأصفهاني أكثر توفيقاً من الهمداني في توضيح مساكن بني قشير .

وخلاصة الكلام أن تلك البقاع ومنها الهيصمية ، والزرنوق بأكمة . كانت بمثابة القاعدة والمركز لقبيلة بني قشير . والمدينة ذات المقام العالي ، والمركز المرموق لدى القبائل المجاورة .. فكانت ذا مجد ومنبر ووالٍ .. احتضنت لوقت مضى وجهاً من حضارة أجدادنا في قلب جزيرتهم .

المعجم الجغرافي الحديث
للبلاد العربية السعودية

مقاطعة جازان

- ٢ -

حرف الجيم

الجابِريُّ : بفتح الجيم بعدها الف فباء موحدة مكسورة وراء مهملة فياء النسبة :المركز الثاني لبلاد بني الحرث بعد مركز (الخوبة) الاتي في حرف الخاء .

الجبَابيَّة : بفتح الجيم والباء المعجمتين فالف بعدها باء موحدة تحتية ، فياء مثناة تحتية فهاء : قرية شمال (الجابري) من أعمال بني الحرث .

الجُبَيرة : بالتصغير : من أعمال هروب .

جُبَيْل : بالتصغير : من أعمال جبل فيفا .

أجِبَبةُ : بكسر الجيم من أعمال بني الحرث .

الجيَّانيَّة : بفتح الجيم وتشديد الياء المثناة المفتوحة بعدها الفنون موحدة ،

وقد أنجبت لنا أعلاماً برزوا ، كان منهم الصمّة القشيري ، ويزيد بن الطثرية الشاعران ، وقد تحدثت عنهما «العرب»[1]. والنابغة الجعدي ، الشاعر المخضرم ، وغيرهم ..

وانني على يقين فيما لو حظيت هذه المنطقة بتنقيب جدي ، أن يُعثر على كثير من الآثار ،مما له قيمة تاريخية تكشف لنا المزيدمن أخباربلادنا وساكنيها..

وأعد القاريء بكتابة مفصلة عن منطقة الأفلاج جغرافيتها وتاريخها .

عبدالله الماجد

---

(١) م ١ ص (٨١٦) ؛ م ٢ ص (١٢٧) وما بعدها . وقد رجعنا اليهما في اعداد هذا البحث .

فياء مثناة تحتية فهاء : قرية من أعمال صامطةشرق قرية أبي المض .

جُحا : على اسم المهَرِّج المعروف في التاريخ العربي : من قرى الشرفا غرب قرية الحصّامة .

جُحْفان : بضم الجيم وسكون الحاء المهملة وفتح الفاء الموحدة بعدها الف فنون موحدة فوقية : جبل جنوب جبلقرن قُبُول من أعمال منطقة صامطة من مساقط وادي (امْغَيَالة) ذكره الهمداني في « صفة جزيرة العرب » فقال (ووادي تعشر ووادي (جحفان) ووادي (ليه) ووادي خلب) . الخ ..

وهذا ينطبق على ما يسمى في وقتنا الحاضر باسم وادي (امغيالة) فانه وسط بين وادي (تعشر) و (ليّة) ونفس الوادي يهبط من جبل جحفان [راجع الفصل الخاص باودية المخلاف السليماني من كتابنا ص ٣٠ ج ١ عن هذا الوادي وروافده وقراه وراجع الخريطة الخاصة بأودية منطقة صامطة بآخر الجزء الثاني] .

وجبل جحفان منطقة أثرية ، وقد نشرت « مجلة الاذاعة السعودية » في عدد جمادى الآخرة ١٣٨٤ه مقالاً للاستاذ أحمد علي بعنوان المناطق الأثرية في المملكة مستقى من الخريطة التي أعدتها مصلحة المساحة الجولوجية الاميركية تحت رعاية وزارة المالية والاقتصاد السعودية قال فيه : ومن المناطق الأثرية في الجنوب جبل جحفان بالقرب من أبي عريش ثم عدّ منطقة أبي عريش من المناطق الاثرية . انتهى ، ونلاحظ أن جبل (جحفان) هو في منطقة (سامطة) وتبعد بلدة سامطة عن أبي عريش بـ ٣٥ كيلاً – راجع جدول المسافات ص ٤٨ ج ١ كتاب : « المخلاف السليماني » وهذه المسافة هي بين مدينة أبي عريش وبلدة (سامطة) بينما أن جبل جحفان هو شرق سامطة بما لا يقل عن ١٩ كيلاً . فتكون المسافة بين أبي عريش وجحفان ٦٤ كيلاً .

الجُحيش : تصغير جَحْش – من قرى الجعافرة من أعمال صبيا .

جُرَيبة : بالتصغير : قرية من أعمال (صبيا) غرب قرية (الجديين) [1] .

جُمَيْمة : بالتصغير : قرية من أعمال صبيا غرب قرية (العشّة)

الجُمَيْمَة : معرّفة وعلى اسم سابقتها مصغرة : من قرى (العبادل) من أعمال (العارضة) .

الجَرْب : بآلة التعريف ، وفتح الجيم ، وسكون الراء المهملة بعدها باء معجمة موحدة تحتية : من قرى وادي (تعشر) على عدوته الجنوبية شمال خليج الخرايج .

الجِرْبَة : مؤنثة : قرية على ضقة وادي (مقاب) من أعمال أبي عريش وقد ذكرها صاحب « العقيق اليماني » في حوادث سنة ٩٨٩ هـ .

الجَرادِيَة : بصيغة النسبة مع تخفيف الياء : قرية غرب بلدة سامطة .

الجُرْدِيَة : بالتصغير : قرية شرق الأولى .

الجُرّ : بضم أوله : من قرى الحسيني من أعمال (صبيا) شرق قرية(جخيرة).

الجِرار : بكسر الجيم ، بصيغه الجمع : من قرى جبل العبادل من أعمال (العارضة) .

الجارَة : بصيغة مؤنث الجار : قرية غرب قرية العَشّة – بفتح العين – من أعمال (صبيا) .

الجُروب : بصيغة الجمع من قرى الحسيني ذكرها الشاعر ابن هتيمل – القرن السابع – بقوله :

إنّ من دمنة الجروب الى ايك الحسيني من شاميّ دارِه
سادة يطعِمون ناشئة الليـ ـل ويستغفرون في أسحاره

ولا تزال آهلة بالسكان إلى يومنا هذا

الجروب : على اسم سابقه : من قرى وادي تعشر بين قريتي الوحش وابي العرج .

(١) لم يحرلها ذكر في هذا البحث : (العرب) .

الجِرية : على اسم المرة الواحدة من الجَري إلا أنها بكسر الجيم : قرية من أعمال بني الغازي .

جازان : بفتح الجيم ، المدينة المعروفة قاعدة المنطقة - راجع ص ٤ ج ١ من كتاب (المخلاف السليماني أو الجنوب في التاريخ) عن تاريخ تلك المدينة .

جازان الأعلى : على اسم سابقتها المدينة التاريخية ، وموقعها شرق قرية حاكمة في طرف الحرة الغربي الشمالي – راجع ص ١٧–٢١ من كتابنا «شرح وتحقيق ديوان الشاعر ابن هتيمل» وص (ي) ، (ك) ، (ل) ، (م) من كتابنا « ديوان الجراح بن شاجر » تجدبه الصور الشمسية لمعالم وأطلال تلك المدينة ومن ص ٣١ إلى ٣٤ من المصدر نفسه حول تاريخها .

جازان : وادي جازان من أشهر أودية المنطقة – راجع ص ٣٣ – ٣٦ ج ١ من كتاب «المخلاف السليماني»عن ذلك الوادي ومساقطه العليا وروافده وقراه إلى نهاية مصبه في البحر الأحمر وراجع خريطته الملحقة بآخر الجزء الثاني .

الجَزْعة : على اسم المرة الواحدة من (الجزع) ضد (الصبر) إلا ان الزاي ساكنة : قرية على ضفة وادي تعشر الشمالية .

الجزائر البحرية التابعة للمنطقة ونبتدىء بها من الجنوب الى نهاية شمال المنطقة

جزيرة العاشق : تبعد عن شاطىء الموسم بنحو عشرة أكيال وتقدر مساحتها بنحو خمسة أكيال مربعة مع جزيرة أخرى قريبة منها تسمى العاشق الصغير .

جريرة الدويمة : جزيرة يفصلها عن مرسى الموسَّم شريط مائي يقدر بنصف كيل، ويمتد طولها من مرسى الموسم إلى مرسى مدينة (مَيْدِي)

اليمنية ويبلغ متوسط عرضها ٣/٤ أكيال ويأتي خط الحد بيننا وبين اليمن في النصف منها على وجه التقريب .

جزيرة جَرَيب : توازي مساحتها مساحة (العاشق) تقريباً وموقعها غرب العاشق وضبط اسمها بالتصغير .

أسْيا : بسكون السين وفتح الياء غرب (جُريب) وتقدر مساحتها ٤ أكيال مربعة ، وبالقرب منها مغاصات اللؤلؤ .

صَيِّرْرَبَا : بفتح الصاد وتشديد الياء المثناة المكسورة وسكون الراء باضافتها إلى (ربا) بفتح الراء المهملة والباء الموحدة ، جبل صغير منقطع في البحر وجنوبها بنصف كيل أو أكثر قليلاً جزيرة تسمي «رَبَا» في مساحة جزيرة العاشق ويوجد بها آبار ماء حفائر .

البرّي: على صيغة المنسوب إلى (البر) بتشديد الراء وبالباء المفتوحة جزيرة غرب جنوب (صيرربا) ومساحتها ٦ أكيال مربعة .

رافِع : جزيرة تقدر مساحتها بثمانية أكيال مربعة غرب جزيرة (البرى) وفي جنوبها تلال صخرية .

ذو حَرَاب : بفتح الحاء والراء المهملتين ثم الف فباء موحدة ومساحتها ضعف (رافع) تقريباً ، جزيرة رملية التربة .

جزيرة أم الأزافي : بفتح الزاي المعجمة مساحتها نصف كيل تقريباً — وتقع في شمالها بميل قليل إلى الغرب جزر صغيرة .

جزيرة ذو ثلاث : شمال (ذو حراب) وهي في مساحتها تقريباً وهي رملية التربة ، وفيها وفي « ذو حراب » مغاصات اللؤلؤ .

جزيرة باقِل : بكسر القاف المثناة على صيغة اسم الفاعل : جزيرة صغيرة شمال (ذو ثلاث) مساحتها كيل مربع .

جزيرة مِرّين : بكسر الميم وتشديد الراء المهملة المكسورة بعدها ياء مثناة

تحتيه ساكنة فنون في مساحة جزيرة (البرّي) موقعها بين جبل « صيرربا » وجزيرة ديدفور الآتي ذكرها .

جزيرة رَبا : بفتح الراء المهملة والبـاء الموحدة التحتية ثم الف ، في مساحة جزيرة الرافع وموقعها غرب جزيرة (اسيا) .

جزيرة ام الحَجر : شمال أم الأزافي وفي قدر مساحتها ويحيط بها مغاصات اللؤلؤ .

جزيرة رامين : بفتح الراء بعدها الف فميم مكسورة فياء مثناه ساكنة فنون شمال جزيرة (مِرّين) وفي قدر مساحتها وباء حاسي[1] ماء .

جزيرة سُمير : بضم السين المهملة وتتألف من جزيرتين متقاربتين شمال جزيرة (دِيدفور) ومساحتها كيل ونصف مربع تقريباً .

جزيرة دِيدَفور : في مساحة جزيرة أسْيا وموقعها بين جزيرتي (سُمَير) و (ربا) ومساحتها كيل مربعاً ، وبها مفاصات اللؤلؤ .

جزيرة إكْرِم : بألف مهموز مكسور وكاف ساكنة وراء مهملة مكسورة فميم . شمال جزيرة (جُرَيب) وفي قدر مساحتها .

جزيرة زُرْط : بزاي مضمومة وراء مهملة ساكنة : هما جزيرتان متقابلتان متقاربتان شمال غرب جزيرة (أسْيا) بالسين المهملة .

ملاحظة : من جزيرة (العاشق) في الشرق إلى جزيرتي (ذو ثلاث) و (ذو حراب) عرباً يقابل شواطىء (الموسّم) ومن جزيرة (اكرم) شرقاً إلى جزيرة (باقل) غربا تقابـــل شواطيء ساحل (تعشر) وما قاربها شمالاً .

جزيرة العُولتَين: تقدر مساحتها بستة أكيال مربعة تقابل جبل المقعد مصب وادي خُلَب بانحراف بسيط الى الشمال .

---

(١) كذا والعبارة غير مستقيمة (العرب) .

جزيرة ام الزّغـَف : بألف فلام فزاي مشددة مفتوحة فغين معجمة مفتوحة ففاء موحدة فوقية : جزيرة صغيرة غرب (العولتين) .

الغـُزَة : جمع غازي جزيرة صغيرة غرب جنوب(امالزغف) وقدر مساحتها ثلاثة اكيال تقريباً .

جزيرة المتصائلين : في مساحة سابقتها وتقع غربها .

ملاحظة : تقابل مصب وادي خلب في خط شبه مستقيم من الشرق إلى الغرب .

جزيرة قاضية [1] : تقارب مساحة العولتين وهي شمالها وتقابلها وتقابل مرسي (المضايا) .

جزيرة المتواصلة : ثلاث جزر متقاربة جداً في خط ممتد من الجنوب إلى الشمال وموقعها غرب (قاضيه) مساحتها على وجه التقريب سبعة اكيال مربعة غرب (الهندية) .

جزيرة الهندية : جنوب المتواصلة ومساحتها كيل واحد .

جزيرة دُمْسُك: بضم الدال المهملة وسكون الميم وضم السين المهملة بعدها كاف تقابـل جزيرة (ابكر) الآتي اسمهـا من الجنوب وغرب جزيرة الهندية وتبعد عن ساحل المضايا غرباً بثمانية وستين ميلاً تقريباً وتقدر مساحتها بعشرين كيلاً مربعاً وبها آبار حجرية عذبة الماء ويحفر بها حفائر قرب الشاطيء عذبة المياه وهي غير مأهولة كبقية الجزر الواردة أسماءها قبلها وهي جزيرة صخرية .

جزيرة أم الكدف [2] : جزيزة صغيرة غرب (احبار) وهذه الجزيرة أيضاً بعضهم يسميها أم الكدى .

جزيرة أم الأصل : بضم الهمزة وفتح الصاد المهملة : جزيرة صغيرة غرب أم الكدف شمالها .

---

(١) منجزيرة قاضية شرقاً الى جزيرةدُمْسُك غرباً تقابل – تقريباً – ساحل المضايا.

(٢) من أم الكدف الى أم المخرف تقابل رأس السويس جنوب جازان .

جزيرة آمِنَة : يتبعها جزر صغيرة تسمى معها : آمنة وبناتها وهنّ غرب (ام الخِرِف) في انحراف بسيط الى الشمال .

جزيرة أم الخِرِف : قريبة من سابقتها .

جزيرة شرايِر : أربع جزر صغيرة في خط مستقيم متقاربة من بعضها غرب جزيرة (آمنة) في انحراف بسيط إلى الشمال .

جزيرة ذو الكنْب : جزيرة صغيرة غرب جزيرة شرايِر .

جبلا الحافر : جبلان صغيران منقطعان في البحر شمال جزيرة ذو الكنْب .

جبل العير : جبل صغير في البحر شمال جزيرة شرايِر .

جزيرة احبْار : على صيغة جمع (حبر) تقدر مساحتها بخمسة أكيال مربعة غرب مدينة جازان في انحراف بسيط إلى الشمال .

جزيرة دُرّاكة : بضم الدال المهملة وتشديد الراء المهملة المفتوحة في قدر مساحة سابقتها وموقعها بين (احبار) وجزيرة (شريف) الآتية .

جزيرة فرسان والجبال الصغيرة المتقطعة في البحر حولها والجزر القريبة منها

جزيرة فرسان : جزيرة صخرية آهلة بالسكان تقارب مساحتها ماية كيل طولاً في ثلاثين عرضاً تقريباً — في المتوسط ، وتبعد عن جازان بـ ٦٠ ميلاً بحرياً ويقدر سكانها مع القرى التابعة لها بـ ٤٦٠٠ نسمة تقريباً ، وتشتمل على بلدة فرسان قاعدة الجزيرة ويتبعها القرى الآتية :

١ — قرية المحرّق واحة بها نحو ألف وستمائة نخلة .

٢ — قرية (القِصار) بكسر القاف وفتح الصاد المهملة : واحة موفرة المياه العذبة ، يمتح من آبار صخرية قريبة الغور وبها من النخيل ما يقارب ٩٠٠٠ نخلة وهي مصيف أهل بلدة (فرسان) .

٣ ــ أبو الطوق ويسكنه قوم من هُتيم وهو في جهة السقيد .

٤ ــ الحذور حلة صغيرة .

٥ ــ الخسفين حلة صغيرة .

٦ ــ المقيَّد حلة صغيرة .

٧ ــ المحصور حلة صغيرة .

٨ ــ خَتَب: قرية صغيرة بها عدد من أشجار النخيل.

٩ ــ خُولة:قريه صغيرة بها عدد من أشجار النخيل .

١٠ــ صَيِّر قرية متوسطة .

١١ــ قدّ الحَيمة حِلة .

ويتبع فرسان الجزائر الآتية :

جزيرة (السقيد) : وتقدر مساحتها بنصف مساحة جزيرة (فرسان) وهي في غالبها رملية التربة موفورة المياه العذبة ، يحفر على قرب ساحل البحر فينبط الماء عذباً زلالاً عِدّاً وبها قرية تسمى بنفس الاسم (السقيد) آهلة بالسكان ، ويوجد بها ما يقارب ١٢٠٠٠ نخلة تقريباً ويفصلها عن جزيرة (فرسان) شريط مائي يقدر بثلاثةأرباع الكيل تقطعه الجمال خوضاً ويرحل إليها أهالي (فرسان) سنوياً ابّان ثمرة النخيل .

جزيرة زفاف (على صيغة جمع زفه) وبها يوجد (النفط) ظاهراً فوق صفحة ماء البحر ، وقد حاولت شركة انجليزية استخراجه في عام ١٣٤٥ ــ راجع ص ٢٩٠ ج ٢ من « كتابنا المخلاف السليماني أو الجنوب في التاريخ » تقدر مساحة (زفاف) بـ ١٥ كيلاً مربعاً تقريباً ويوجد بها حامية حكومية .

جزيرة قمّاح : وبها قرية آهلة بالسكان وبها عدد يسير من أشجار النخيل وتقدر مساحتها بعشرة أكيال مربعة أو أقل من ذلك .

فرسان في التاريخ :

ذكرها الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » فقال : وفرسان قبيلة من تغلب ، وكانوا قديماً نصارى ولهم كنائس في جزائر الفرسان قد خربت وفيهم بأس ، وقد يحاربهم بنو مجيد ، ويحملون التجارة إلى بلاد الحبشة ولهم السنة سفرة فينضم اليهم كثير من الناس ، ونساب حمير يقولون انهم حمير . انتهى ويوجد بها جبل يسمى جبل كنيسة يقال أنه كان فيه آثار بناء قديم زالت منذ عهد قريب .

أشهر مراسي جزيرة فرسان :

مرسي تُبْته بضم أوله وسكون الباء الموحد التحتية بعدها تاء مثناة مفتوحة ، وموقعه في الشرق الجنوبي من جزيرة فرسان .

مرسى الخُور بضم أوله وموقعه في الشرق الشمالي .
مرسى خِلْه بكسر الخاء وتشديد اللام في الشمال الغربي .
مرسى القبر في الشمال الغربي .
مرسى الجِص في الشمال الغربي .
مرسى جَنَابة في الجنوب الغربي .

الجبال المتقطعة والجزر المحيطة بها :

عَبْلات : جبيلات مقطة في البحر شرق شمال فرسان ، جمع (عَبلة) الاسم العلم المعروف .

ضاحك : جبيل شمال عبْلات .
شِعْرة : بكسر الشين جبيل شمال ضاحك .
سَبَايا : جبيل شمال شِعره .
أبو العقيق : جبيل شمال سبايا .
صَيِّرْ ناقه : جبيل شمال العقيق .
عَبْدُه : جبل صغير قريب من صَيِّرْ آمنة .

شَريف : جبل صغير شمال شرق (عبده) .
سواحل : جبل صغير شمال غرب (شريف) .
رِكْبين : جبلان متقابلان قرب (سواحل) .
نَقْعَه : جبل صغير غرب سواحل .
دُرّاكة البر : جزيرة صغيرة غرب صَيِّر آمنة ، وتضاف إلى البر للتفريق بينها وبين دُرّاكة التي بقرب جزيرة أحباس .
شفاشِف : جبل صغير غرب نقعه .
رَصيد : جبيل غرب شمال (شفاشف) . بفتح الراء المهملة وكسر الصاد المهملة بعد ياء مثناة فدال مهملة .
الرّياك : جبيل جنوب (رصيد) (والرياك) بتشديد الراء المهملة وفتح الياء المثناه بعدها ألف ثم كاف .
صفراء : جبيل جنوب غرب الرياك .
أبو حُمَّد : بضم الحاء وتشديد الميم، جريرة صغيرة عرب شمال(رصيد).
أم السرو : جزيرة صغيرة غرب (رصيد) بتشديد السين المهملة .
أبو الشوك : جبيل غرب الرياك بصيغة جمع شوك .
الطُّرُق : بصيغة جمع طريق ، جبيل قرب أبو الشوك .
وَشْكه : جزيرة شمال غرب أم السرو . بفتح الواو وسكون الشين المعجمة المثلثة بعدها كاف فهاء .
سَفَن : جنوب (وشكه) . بفتح السين المهملة والفاء المعجمة الموحدة بعدها نون .
الدّسان : بتشديد الدال المهملة المكسورة ، جزيرة جنوب (سفن) ويوجد بها دحل به ماء عذب تستقي منه السفن .
مَطْحَنُ : جبل غرب (وشكه) على صيغة اسم الآلة .
البَغْلة : جزيرة جنوب (مطحن) .
ساسو : جزيرة غرب (سفن) بفتح السين المهملة بعدها الف فسين ثانية معمومة فواو .

جميع هذه الجبيلات المتقطعة في البحر والجزر تحيط بجزيرة فرسان ، وجزيرة السقيد ، وتبتدىء من شرق جزيرة فرسان من ناحية الشرق في انحراف بسيط الى الشمال بـ (عبلات) إلى أن تنتهي في الغربِ بَمطْحَن والبغلة وساسو .

كِيره : بكسر الكاف جزيرة صغيرة قريبة من الطُّرُق بها دَحل به ماء عذب .

أبو مدّه : جزيرة صغيرة غرب (كيره) .

الشُّعبان : بضم العين المهملة ، جمع شَعب بفتح أول الجمع وهي الأحجار البحرية المعروفة : جزيرة غرب (أبو مَدّه) .

مَقمَر : جزيرة صغيرة جنوب (الشعبان) .

ملاحظة : من كيره إلى (مقمر) هي من الجزر التي في الغرب من جزر (فرسان) .

حُدَيفة : وبعضهم ينطقها هديفه بالهاء في الغرب الجنوبي لـ (مقمر) .
(ذو الأبصار) : جزيرة شرق (هديفة) .

(دُوشك) : جزيرة شرق ذي الأبصار . بضم الدال لمهملة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة المثلثة .

(جزيرة أبْكَر) : تقدر مساحتها بثمانية أكيال مربعة وتقع شرق (دوشك) .

سَلوبَه : تقدر مساحتها بسبعة اكيال شرق (ابكر) سابقتها .

(قُمّاح) : جزيرة مأهولة بالسكان تابعة لفرسان يفصلها عنها مضيق وتقدر مساحتها بثلثي مساحة السقيد وبها آبار ماء .

ملاحظة : من جزيرة حُديفة إلى جزيرة قماح شرقاً تمتد في خط شبه مستقيم في الجنوب الغربي لـ (فرسان) .

أبو شرايع : جزيرة صغيرة في جنوب فرسان .

أم القماري : جبيل صغير قبال مرسى تبتة من مراسي جزيرة (فرسان) .

بهذا ننتهي من ذكر الجزر المحيطة بجزيرة فرسان، ونبتدىء بالجزر الشمالية من جازان :

فرافره : جزيرة صغيرة ترى من جازان تقابل رأس الطرفه .

شُراع : بضم أوله شمال (فرافر) .

أبو شعفه : بفتح الشين المثلثة غرب (فرافر) .

سواحل : جزيرة شمال (أبو شعفه) وسواحل هذه غير التي تقدم ذكرها.

أبو شقور : جزيرة صغيرة شمال (سواحل) تقابل مرسى أبو حشيشة في ساحل خبت السيد .

ثيران : جبل في البر يقابل ساحل (الشقيق) .

غراب : جزيرة في مجرى البحر شرق جزيرة ركبين وغرب جبل ثيران.

كتمبُل : جبل في البحر مشهور في كتب الرحلات يفصله عن بلدة القحمة شريط من ماء البحر ، ويذكر في بعض الكتب القديمة بـ (كدُمُّل) .

وبهذا ينتهي ذكر أسماء الجزر البحرية في منطقة جازان :

الجعدة : بفتح الجيم المعجمة وسكون العين المهملة وفتح الدال المهملة بعدها هاء من أرباض جبل فيفاء .

الجعدية : على اسم سابقتها بزيادة ياء مثناة متوسطة بين الدال والهاء قرية معروفة من قرى المسارحة .

الجاعدية : بفتح الجيم وكسر العين مورد مياه شمال قرية المضايا .

جُعيرة : تصغير جعر من قرى ساحل ضمد ، شمال غرب قرية ملقوطة .

الجاضِع : قرية معروفة من قرى المسارحة ، وضبطها بفتح الجيم المعجمة بعدها ألف فضاد معجمة مكسورة فعين مهملة .

الجاضع : على اسم سابقه : من أعمال سامطة غرب قرية أبي حجر .

الجاضع : على اسم سابقيه : من قرى وادي (مقاب) في السّلام سلام بني واصل .

الجفراء — العلايا — من قرى العارضه .

جَلبَانُ : مثنى جلب : قرية من أعمال صامطة شرق قرية الخَوجرة .

جَلاحُ : بفتح أوله : من قرى بني الحُرَّث مما يلي قرية (الغاوية) .

الجلاس : بفتح أوله : من قرى (الحقو) .

الجامع : على صيغة المسجد (الجامع) رَبَضٌ من أرباض جبل فيفا .

الجمّالة : من قرى المخلاف شمال غرب مدينة (صبيا) .

جُمَيمة : بالتصغير قرية غرب قرية (العشّة) الآتية في حرف العين .

الجَميمة : بفتح الجيم المعجمة وكسر الميم الأولى بعدها ياء مثناة فميم مفتوحة فهاء من قرى جبل العبادل .

الجنب : على اسم جنب الانسان اسم يطلق على كثبان رملية في سواحل جازان الشمالية بين النجارة والبيبان .

جناح آل حدره : مورد من موارد المياه تابع لدرب بني شعبه .

جناح آل ديس : مورد من موارد المياه تابع لدرب بني شعبه .

الجوابر : جمع جابر: حلة في جبل سلا من أعمال العارضة .

جَوجه: بجيمين معجمتين يتوسطهما واو بعدها هاء: من محلات جبل الحشر.

جورا : واد معروف وهو أحد الواديين الذين يتكون منهما وادي ضمد ومآتيه من جبال الحشر وما تعالها وترفده بعض الروافد من جبال بني مالك ويلتقي بشقيقه وادي ضَمَد جنوب غرب عيبان ومن هناك يطلق عليهما اسم (ضمد) — راجع ص ٣٦ ج ١ من كتابنا « المخلاف السليماني أو الجنوب في التاريخ» وراجع الرسم التخطيطي لذلك الوادي في آخر الجزء الثاني من المصدر نفسه .

جورا : قرية صغيرة من قرى بني الغازي تنسب لذلك الوادي .

الجوف : على اسم جوف الانسان الذي هو البطن : قرية من قرى جبال هروب .

الجوّة – بالتثقيل : من قرى جبال بني مالك شرق بلدة القهبة التي هي المركـز .

الجُوّة السفلى : كسابقتها بضم الجيم المعجمة وتشديد الواو : من قرى الخبرايه من أعمال العارضة .

الجُوّة الوسطى : كسابقتها بضم الجيم المعجمة وتشديد الواو : من قرى الخبرايه من أعمال العارضة .

الجوّة الشامية : كسابقتها بضم الجيم المعجمة وتشديد الواو . من قرى الخبرايه من أعمال العارضة

جُوّة الحصّامة : بصيغة ما سبقها بدون آلة التعريف ومضافـــة إلى (الحصّامة) حلة قرب (النقيل المركوز) الآتي في حرف النون .

الجُويل : بالتصغير من قرى جبل هروب .

الجهْو : بفتح الجيم المعجمة وسكون الهاء بعدها واو : قرية على الضفة اليمني من مجرى وادي ضمد .

الجيبة : بكسر الجيم المعجمة بعدها ياء مثناة فباء معجمة موحدة تحتية فهاء : من قرى بني الحُرّث .

جَيْدَل : بفتح الجيم المعجمة بعدها ياء مثناة فدال مهملة فلام : من قرى العارضة .

(للبحث صلة) جازان : محمد بن أحمد العقيلي

تصحيح : وقع في ص : ٥٠١ س : ٦ : حُلة الجلنار . والصواب حِلة بكسر الحاء – أي المحلة – لا الحلة التي تلبس ، فالشاعر لم يقصدها .

مدخل لمعرفة : *

بعض من الفواعن الحيوان

إن المؤلفين الذين كتبوا عن الحيوان في القديم ، والحديث ، وبشتى اللغات ، كثيرون يخطئهم الحصر .. فهناك — مثلاً — كتاب عن الحيوان «لأرسطو» ، كما ان هناك مثله « لديموقراطيس » وليس معنى ذلك أن اليونان لم يسبقهم سابق .. فقد كتبت فارس والهند ، وأمم أخرى عن « الحيوان » وصلنا منها الأقل ، وأكثرها لم يصلنا !

فأما في الأدب العربي ، منذ الجاهلية ، إلى صدر الإسلام الأول ، فما يليه ، فإن العرب قد وصفوا الشيء الكثير عن الحيوان ، شعراً ، ونثراً !

فقد وصفوا — مثلاً — الأسد .. والدب ، والضبع ، والكلب ، والهر ، والذئب ، ونعتوا الكلاب .. السلوقية ، وغيرها ، ثم تصاعدوا إلى الطيور ، فوصفوها ، ما كان منها في أجوائهم ، وما كان في أجواء غيرهم .

لقد أعطونا صوراً عديدة ، جميلة ، ممتعة ، عن كل ما يمرح ، ويسرح ، ويطير ، في بلاد العرب . حتى الخنافس والحشرات الدنيا ، لقد نعتوها أحسن نعت .

على أني لا أعلم حتى الآن، أن كتابي الحيوان «لأرسطو» و «ديموقراطيس» موجودان ، وهل ترجما إلى العربية ، أم لم يترجما ، إذا كانا موجودين .

* * *

وأمامي الآن كتابان عن الحيوان ، فأما أولهما وهو اعجبهما عندي — وأحلاهما لدي ، فهو كتاب « الحيوان » للإمام عمرو بن بحر .. المشهور بالجاحظ — ١٥٠-٢٥٥ هـ — وهو يقع في سبعة مجلدات .. طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

(*) [إنه مدخل ولكن إلى مَ يصل ؟ !] « العرب »

وهي طبعة قيمة ، وممتازة ، بتحقيق وشرح « عبد السلام هارون » !
وعندي أيضاً « حياة الحيوان الكبرى » للشيخ (كمال الدين الدميري) .. نفعنا الله بعلومه آمين (٧٤٢-٨٠٨ هـ) .

وبهامشه « عجائب المخلوقات ، والحيوانات ، وغرائب الموجودات » للإمام العالم [زكريا بن محمد بن محمود القزويني] — رحمه الله تعالى — !!
طبعة عبد الحميد أحمد حنفي — بشارع المشهد الحسيني .. وهي على ورق أصفر ، ولا تاريخ لطبعها ، وهي في مجلدين !!

* * *

فلو أردنا أن نقارن بين الكتابين ، وموضوعها واحد ، لوجدنا —مثلاً— : أن كتاب الجاحظ أحفل بالاستطرادات التي تذهب به عن موضوعه ، حتى يكاد أن ينساه .. وأبهى بالحكايات والتاريخ ، والنكات ، والفكاهات ، بحيث أنك لا تستطيع أن تترك الكتاب كله حتى تستوعبه .. علاوة على ما في أسلوب الجاحظ من الجزالة في محلها والسلاسة في مكانها — وحتى أنه أحياناً ليرتضخ اللهجة البغدادية ، في عصره .. ولا يبالي من فهمها أو من لم يفهمها !

وحلاوة الجاحظ في كل ما أسلفنا ، تجرك إلى أن تمشي معه ملقياً يديك في كل ما يسطره بقلمه ، ليس في كتاب « الحيوان » فحسب ، ولكن في كل مؤلفاته ، فلا كتبه « البيان والتبيين » — وهو أشهرها — ولا في « العثمانية » ولا في « المحاسن والأضداد » المنسوب إليه ، ولا في غيرها من مؤلفاته الباقية ، المطبوعة ، وغير المطبوعة .

إنك مع كل ذلك لا تشبع من مائدة الجاحظ ، وحتى لو لم تختلف ألوان المائدة فإن خلافها ، وتوابلها تختلف حتماً .. ذلك لأنه لا يسخر بالناس والقراء فقط ، ولكنه أيضاً يسخر بنفسه ، ويقود بيده الراية إلى الغاية .

* * *

والآن نأتي إلى « حياة الحيوان الكبرى » — للدميري !

إن (الدميري) – رحمه الله – جعل كتابه أشبه بموسوعة ، فبدأ بها من أول حروف الهجاء إلى آخرها .. وعلى أنه لم يحلل ، ولم يعلل – ولكنه استعرض أسماء الحيوان استعراضاً مجملاً ، ثم كتب عن خصائصها في الأبدان ، والنفوس والأفئدة .. وحتى لو أورد شواهد شعرية ، أو شيئاً من التاريخ أو الحكايات ، أو الأساطير ، فإنه لم يخرج عن موضوعه ، قيد شبر واحد !

وكما أن هناك حيوانات فاتت الجاحظ على عمد ، أو على غير عمد . فهناك حيوانات أخرى فاتت الدميري ، لأسباب أهمها ، أنها قد تكون مجهولة في عصره !

وبعدئذ قدجاء ذكر الحيوان على مختلف أصنافه فيدوائر المعارف الكبرى من فرنسية ، وانجليزية ، وألمانية ، وأمريكية ، وليس في العربية إلا الضئيل منها !.

وقد ذكرت الحيوانات على مختلف أصنافها في صفحة٤٣٦ من المجلد الخامس – في الموسوعة الذهبية – في مادتها .

وقبل أكثر من نصف قرن.. أصدر المرحوم الأستاذ [محمد فريد وجدي] دائرة معارفه في عشرة مجلدات .

فكتب في المجلد الثالث صفحة ٦٦١ عن حياة الحيوانات .. ثم تطرق إلى علم الحيوانات ، وفروعه من الحيوانات الثديية إلى ذوات الأربع .. واستغرق استهلاكه لهذا الموضوع إلى ص ٦٧٦ .

ولا أعلم بعد ذلك ، في كتّاب جيلنا المعاصرين من كتب الحيوان في مجموعه إلا ما كتبه الرحالون ، وأرباب الصيد والقنص ، من أمثال حسنين باشا .. وعلى المرجع الذي اعتمده [محمد فريد وجدي] في دائرة معارفه ، وهو كتاب « قلائد الحسان » ، ومؤلفه [محمد بك الكفراوي] مدرس الطبيعة بمدرسة الطب سابقاً – في أيامه كما هو معلوم !

وبعض ما كتب (أنيس منصور) في رحلته « حول العالم في ٢٠٠ يوم »

ثم ما كتبه فلبي .. ولورانس ، وهي أشهر من أن تذكر !

وقد تذكرت — بعدئذ — أن حسنين باشا، عندما كتب عن رحلته الليبية الصحراوية ، أشار إلى شيء كثير من حيوانات ليبيا المتصلة بالمغرب ، ومن ناحية أخرى بالسودان .

وكانت رحلته جيدة ممتعة ، وقد كان — رحمه الله — من هواة الصيد !

وقد كتب العرب أجزاء أشبه بكراريس ، أو برسائل ، عن الخيل وحدها ، وعن الابل وحدها ، وعن الظباء وحدها .. وهلم جراً .. أمثال أبي عبيدة ، والمبرد ، والأصمعي، والجاحظ — أيضاً — فقد كتب عن البغال بصورة خاصة .. فأما ما كتب عن هذا الموضوع باللغات الافرنجية ، والتي لم تعرب فهر أكثر مما يلزم !

فأما سير الحيوان وخرافاتها في مثل « كليلة ودمنة » وفي مثل خرافات [لافونتين] ، وحكايات الهند والصين ، فهي أعظم من أن يحاط بها .

وأما علم وظائف الحيوان ، وكيف يستخدم نفسه ، على موجب مزايا أعضائه فتلك مسألة تطول وليس لنا أن نتطرق إليها !

* * *

إن هذا استعراض لما كتب عن الحيوان ، في بعض عهوده ، ولست أدعي الإحاطة بها ولا حتى الإلمام بأغلبها ..

بقي حيوان واحد لم يُكتب عنه ، كما ينبغي ، ولا كما يجب في صنوف الحيوان .. ولا كما هو صحيح !

إنه .. الإنسان !

وله حديث آخر !

حسين بن سرحان

قبائل ربيعة بن نزار قبل الإسلام

عَنَزَةُ بن أسد بن ربيعة

- ١ -

١ — نسبها ومكانتها .
٢ — قبائلها .
٣ — منازلها .
٤ — أيامها .
٥ — دياناتها .
٦ — رجالها .

(١) نسبها ومكانتها

عنزة بن أسد : من أكبر قبائل العرب في وقتنا الحاضر ، تنتسب إلى عنزة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان [١] ويأتلف معها في اسمها أحد بطون قبيلة الأزاد القحطانية :

عنزة بن عمرو بن عوف بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد [٢] .

وعنزة بن أسد ، أكبر قبائل ربيعة سناً وأقدمها ، على اختلاف بين اليعقوبي وأبي الفرج الأصفهاني وابن عبد ربه وابن الأثير سنعرض له فيما بعد ..

ويروي ابن دريد عن جدها الأعلى — عنزة بن اسد — خرافة يقول فيها: (وأما عنزة فاسمه عامر[٣]، وسمي عنزة لأنه طعن رجلاً بعنزة، والعنزة

---

(١) في « جمهرة النسب » لابن الكلبي : (عمرو) .
(٢) التاج للزبيدي ، ج ٤ ص ٦٢ .
(٣) الاشتقاق،لابن دريد،ص٣٢٢ وفي « جمهرة النسب لابن الكلبي : اسمه عمرو(ص ٣٨١).

خشبة في رأسها زجٌ ، وفي الحديث «صلى النبي صلى الله عليه وسلم إلىعنزة»).

ومن طريف ما يروى حول هذه الخرافة ، أن محمد بن المثنى العنزي المحدث المعروف المتوفي سنة (٢٥٢ هـ) كان من قبيلة عنزة ، وكان يفخر بقبيلته عنزة ، وكعادة القبائل العربية في عصبيتها ، حين تستكثر مما يخصها من مدح وثناء ، فبوقعها ذلك إلى التزيد والتأويل ، نرى أبا موسى العنزي ، وهو من شيوخ محمد بن جرير الطبري يتأول صلاة النبي (ﷺ) إلى العنزة وهي (الخشبة) إلى أنه صلوات الله وسلامه عليه صلى على قبيلة عنزة ، وهدا فخر من أبي موسى رحمه الله بما هو وهم منه ؟! .

وتدور حول (عنزة بن أسد) — جد هذه القبيلة — أساطير نقلها البكريٌ في (معجم ما استعجم) والميداني النيسابوري في (مجمع الأمثال) ونقلها غيرهما ، وكلها تتناول قصة واحد أو اثنين قتلاه ، فلم يعثر لهما على خبر أو أثر، بل لقد اختفيا إلى الحد الذي أصبح فيه العثور عليهما مستحيلاً ، وقد تأتي قصة اغتياله بطريقة أخرى ، هي أنه (أي عنزة) خرج ليجني (القرظ) وحده ، أو مع شخص آخر ، فضلٌ أو ضَلاٌ سبيلها، فما يُدرى بعد ذلك ما الذي انتهى به الحال ؟!

ولذلك تقول العرب أمثالا منها (١) حتى يؤوب قارظ عنزة (٢) حتى يؤوب القارظان (٣) حتى يؤوب القارظ العنزي ، وتضرب هذه الأمثال كناية عن عدم قبول شيء ما ، إلا بقبول المستحيل ؟!

وكل ما يدور عن خبر تسميته بـ« عنزة » أو عن خبر ضياعه أو اغتياله، أشياء بعيدة عن وعي الذاكرة التي نقلتها إلى عصر التدوين ، ولذلك يعتبرها المؤرخون في نطاق الأسطورة أو الخرافة !!

وفيما يروى عن قدم تأريخ عنزة على قبائل ربيعة ، نقل ابن عبد ربه عن أبي عبيدة من التاج .. قال :

(إن عنزة ، فوقها (أي فوق قبائل ربيعة) ليس بينها وبين ربيعة إلا أبٌ واحد ، عنزة بن أسد بن ربيعة) .

وأما عن قدم تاريخها وسيادتها معاً ، ففي ذلك يقول ابن الأثير[1] :

(وكان من نظامهم – أي نظام قبيلة ربيعة ، في اجتماعهم للحرب أو الغزو أن يكون اللواء للأكبر فالأكبر ، فكان لواؤهم أي زعامتهم في عنزة ، وكانت سُنَّتهم – أي طريقهم – أن يوفروا لحاهم (أي يطيلوها) ويقصوا شواربهم ، فلا يفعل ذلك من ربيعة إلا من يخالفهم ويريد حربهم ، ثم تحول اللواء إلى عبد القيس ..

وبهذه الرواية أخذ الأستاذ جورجي زيدان في كتابه (تاريخ العرب قبل الاسلام)[2] حين رتب السيادة في قبائل ربيعه .. على أن هناك روايات ثلاث تعارض رواية ابن الأثير التي أخذ بها جورجي زيدان ، فلقد أورد اليعقوبي في تاريخه .. قال :[3]

(وكانت الحكومة والرئاسة من ربيعة في بني ضبيعة ولد بهثة بن وهب بن جلي ابن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة ، ثم تحولت الحكومة والرئاسة في ولد عنزة ابن أسد بن ربيعة ، ثم تحولت في عبد القيس بن أفصى .. الخ) .
ويستفاد من رواية اليعقوبي أن (ضبيعة) قبل عنزة في السيادة على ربيعة .. وتسند هذه الرواية رواية ثانية لأبي الفرج الأصفهاني . قال :[4]

(وكان العز والشرف والرئاسة على ربيعة في ضبيعة – أضجم – وكان سيدها الحارث بن الأضجم ... ثم انتقلت الرئاسة عن بني ضبيعة فصارت في عنزة ،... ثم انتقلت الرئاسة عنهم فصارت في عبد القيس .. الخ) ومع هاتين الروايتين ، رواية ثالثة لابن عبد ربه .. قال :[5]

---

(١) الكامل ، لابن الأثير ج ١ ص ٢٣٦ .
(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٢٠٠ .
(٣) تاريخ اليعقوبي ص ٢٢٤ .
(٤) الأغاني جـ ٢١ ص ١٢٠ ، ١٢١ (ط ، الساسي)
(٥) العقد الفريد ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(ضبيعة بن ربيعة بن نزار – وفيهم كان بيت ربيعة وشرفها . الخ)
ونلاحظ أن اليعقوبي وأبا الفرج وابن عبد ربه ، ذكروا جميعاً أن السيادة كانت في (ضبيعة) ويستفاد مما ذكروا أن عنزة تلي ضبيعة في تلك السيادة، كما نلاحظ استعمالهم مدلول السيادة بمعنى اللواء أو الزعامة أو الحكومة أو الرئاسة أو العز أو الشرف ، ونود أن نستبدل هذه الكلمات جميعها بكلمة واحدة هي السيادة .

ثم نمضي في حديثنا فنقول، بأن مسألة السيادة ، إذا كانت للأكبر فالأكبر – كما يقول ابن الأثير – وهذا شيء معقول يتلاءم مع رغبة الانسان في تنظيمه الحضاري – فعنزة بلا شك أكبر أولاد ربيعة . ولكن كيف سبقتها ضبيعة إلى السيادة ، مع أن ما بين عنزة وربيعة هو أب واحد ، أسد ، وما بين ضبيعة وربيعة ستة آباء [1] ؟؟

إن اتفاق تلك الروايات – عدا رواية ابن الأثير – لا يعارض مسألة أن السيادة تكون للأكبر في الأكبر ، ولكنه يقودنا إلى القول بأن هذا النظام لا يطرد بصورة مستمرة ، فكثيراً ما يكون الجاه والكثرة والقوة في قبيلة ما داعياً إلى انتزاع السيادة، وكثراً ما يكون بغي القبيلة السائدة أو هجرتها لظرف من الظروف داعياً إلى تحول السيادة عنها. والأمثلة على ذلك كثيرة .

ولا خلاف في أن عنزة أكبر قبائل ربيعة – وأقدمها في السيادة بعد ضبيعة ، وما نظن أن جورجي زيدان وفق في ترتيبه للسيادة في ربيعة حين أخذ برواية ابن الأثير على مـــا في ابن الأثير من تأخره عن زمن أولئك الرواة .. ما يدعو إلى الأخذ بروايات أفضل من روايته ؟ !

وقد لا يعنينا هنا أن نبين أن السيادة لعنزة كانت في بني جلان بن عتيك ابن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد، بقدر ما يعنينا أن نبين الزمن التقريبي الذي سادت فيه قبيلة عنزة ، وهنا ينبغي أن نتذكر أن التاريخ التقريبي لسيادة قبيلة تغلب هو في عام ٥١٦ للميلاد ، أي قبل هجرة الرسول (ﷺ) بقرن

(١) هي بهثه ، وحرب ، ووهب ، وجلى ، وأحمس ، وضبيعة .

وبضع سنين على وجه التقريب فقد ورد في الآثار الحميرية نص يبين لنا أن حرباً وقعت بين قبائل عربية ، وأخري يمنية ، ويرجح الدكتور محمد جابر الحيني [1] أن هذه الحرب هي المعروفة عند العرب بيوم خزاز ويقول هذا النص : إن حرباً نشبت بين سبأ وحمير ورحبه وكدت ومضر وثعلبة في أيام معد يكرب يعفرو في سنة ٥١٦ للميلاد) .

وكان قائد معد فيها كليب بن وائل بن ربيعة التغلبي الذي ولته معد الملك عليهم وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته ، وإذا كان ذلك في مستهل القرن السادس الميلادي وعدنا إلى قبائل ربعية سادت قبل تغلب نرى في حسابنا من تغلب إلى فوق ، أن بكراً ثم النمر بن قاسط ، ثم عبد القيس ثم عنزة قد سادت قبل تغلب ، ونرى أن حروباً متعددة بين ربيعة واليمن قد صارت قبل هذا التاريخ ، وهذه الحروب هي في الغالب الدافع الأهم لتماسك القبائل الربعية (ومعها بعض القبائل المضرية أحياناً) تحت سيادة واحدة . وإن الذاكرة فيما يرويه الرواة العرب لا تعي هذه الحروب ، ولكن الرواة كثيراً ما ينسجون الأساطير والخرافات حولها ، أو قد يهملونها عن جهل في الغالب ، غير أن النصوص الحميرية تشير إلى حروب وقعت بين ربيعة واليمن في القرن (الثالث والرابع والخامس) للميلاد ..

ولعل من الجائز أن نستنتج بأن عنزة سادت في القرن الرابع إن لم يكن الخامس ، والاستنتاج بسيادتها في هذا الزمن قريب إلى تصور الرواة العرب الذين أشاروا لسيادة عنزة ، إذ لو كانت هذه السيادة أبعد مـــا نستنتجه لكانت بلا شك أوعى إلى إغفالهم لها جملة وتفصيلاً ، أو لكان داعياً إلى النقص كما هو الحال في رواية ابن الأثير عـــن السيادة في ربيعة ، وإغفالها لضبيعة ..

ولعله لم يرد فيما يرويه الرواة عن القبائل الربعية ، مثلما ورد عـــن قدم عنزة فلقد روى الرواة بأن لعنزة ولدان هما (يَقدُم — ويذكُر) ومنهما

---

(١) أنوار ، دراسات وأبحاث — ط دار العلم ص ٩٩ — جواد علي — العرب قبل الاسلام ج ٣ ص ١٤٤ ط بغداد ١٩٥٣ م .

تفرعت سائر قبائل عنزة ، ويكاد ينعقد إجماع الرواة على أنها من القِدم بحيث جُهلت أخبارهما .

ولأبي العلاء المعري — فيلسوف الشعراء — قصيدة ميمية تصور مـــا استقر في أذهان العرب عن قدم يقدم و يذكر ، حتى ليكاد أبو العلاء أن يعدهما في عداد الأمم البائدة حين يقول [1] .

كلٌّ تسير به الحياةُ وما له عِلم على أي المنازل يقدُمُ
والدهر يقدُم عن ترادف أعصُرٍ فيغيبُ أعصرُ في الخطوب ويقدم

وبرغم ذلك ، فلقد روى هشام بن الكلبي [2] رواية ذكر فيهـا مرور جعفر بن أبي خلاس الكلبي على يقدم ويذكر وهما يَعْتِران القرابين حول صنمهم (سُعَير) — وقال جعفر في ذلك شعراً يصف فيه نفور قلوصه مما حول السُّعير من العشائر والجموع — ولقد يستفاد من هذه الرواية أن هذا القِدَم لم يكن في غيابة التاريخ كما يتصور أبو العلاء ، وإن كان بعيداً عـن تصور الرواة ، وبعيداً عن وعي الذاكرة .

٢ — قبائل عنزة :

(١) يَقدُم — و — يَذْكر

قال هشام بن الكلبي [3] — يقدم — و — يذكر — إبنا [4] عنزة ، وقال ابن عبد ربه [5] : (عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، له ولدان يقـــدم ويذكر ، فمنهما تفرقت عنزة) .. وأخبارهما مجهولة تماماً

---

(١) لزوم ما يلزم ص ٢٨٣ (مطبعة التوفيق الأدبية بمصر ١٣٤٢ هـ) .
(٢) الأصنام ص ٤١ ، ٤٢ .
(٤) وردت كلمة (إبنا) في الأصنام ص ٤١ بفتح الهمزه هكذا (أبنا) ولا أفهم كيف جاءت كذلك ، وعندي أنها هكذا (إبنا) بكسر الهمزة .
(٥) العقد الفريد ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٢) جلان

قال ابن دريد [١] : (ومنهم – أي من عنزة ، بنو جلان) – وقال ابن حزم [٢] : (ومنهم – أي من عنزة – بنو جلان بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة) – وقال ابن عبد ربه [٣] : (فمن يذكر – أي يذكر بن عنزة – بنو جلان بن عتيك بن أسلم بن يذكر .. الخ) .

(٣) هزان

قال ابن دريد [٤] : (ومنهم – أي من عنزة – هزان بن صُباح ... وقال فمن بني هزان بنو شكيس ... وقال ومن بني هزان : ابنا حلاكة أسرا الحارث بن ظالم المري ، قال الحارث :

أبنا حلاكة باعاني بلا ثمن – وباع ذو آل هزان بما باعا .

وذلك أنهم باعوه من بني عجل... الخ) .. وقال ابن حزم[٥] :(ومنهم – أي من عنزة – بنو هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة ابن أسد بن ربيعة بن نزار ، وفيهم يقول الأعشى :

لقد كان في فتيان قومك منكح – وفتيان هزان الطوال الغرانقة .

ومنهم–أي من هزان– آل ضور بن رزاح بن مالك بن سعد بن وائل بن هزان ، والحارث بن رزاح ، أخو ضور بن رزاح ، وهو الذي يُقال إنه الحارث بن لؤى بن غالب الذي يسمى جُشم ، وجشم كان عبداً لأبيه فحضنه فسُمّي به ، وفيهم يقول جرير :

بنـــو جشم لستم لهزان فانتموا
لأعلى الروابي من لؤى بن غالب

---

(١) الاشتقاق ص ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ .
(٢) جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٤ .
(٣) العقد الفريد ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .
(٤) الاشتقاق ص ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ .
(٥) جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٩ .

ولا تنكحوا في آل ضَوْر نساءكم
ولا في شكيس بئس مثوى الغرائب

إلى آخره ، وقال ابن عبد ربه [1] : (فمن يذكر ... بنو هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر . الخ) .

(٤) محارب

قال ابن دريد [2] : (فمن عنزة وقبائلها ، محارب بن صباح بن عتيك ابن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان ، ومن رجالهم مزيد بن عبدل الشاعر ... الخ)

(٤) الدُّول

قال ابن عبد ربه [3] : (فمن يذكر – ابن عنزة – ... بنو الدول بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر ، وهم الذين أسروا حاتم طيء وكعب بن مامه ، والحارث بن ظالم ، وفي ذلك يقول الحارث بن ظالم :

أبلغ سراة بني غيظ مغلغلة – اني أقسم في هزان أرباعاً

هذا ما وجدناه في المصادر التي تروي لنا أسماء وأخبار قبائل عنزة بن أسد ، فيما قبل الإسلام ، ونجد أننا حيال هذه الروايات أمام عدة مشكلات نراها تقف في وجه كل باحث في تاريخ العرب قبل الإسلام،إذ لا يجد الباحث غير روايات فقيرة وغامضة ومتناقضة إلى الحد الذي يصعب بل يستحيل التحقيق فيه ؟؟!

المشكلة الاولى :

قد نكون من الشجاعة في شيء ، إذا اعترفنا بأننا نجهل فيما ذكر عن تلك القبائل من روايات ، نجهل ما إذا كانت هي قبائل – بالفعل – أم هي

---

(١) العقد الفريد ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .
(٢) الاشتقاق ص ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤.
(٣) العقد الفريد ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

عمائر أم أحياء أم بطون ، أأكثر هي أم أقل ، وروايات الرواة تأتي عادة بصورة فقيرة غامضة متناقضة–كما قلنا، ويحسن أن نورد هنا بعض الأمثلة:–

١ – **يقدم - و - يذكر** – قال ابن الكلبي [١] . (يقدم – و – يذكر ابنا عنزة) – وقال ابن عبد ربه [٢] : (عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار له ولدان – يقدم – و – يذكر –) فقد عرفنا بأنهما ابنان أو ولدان ، ولكنا لم نعرف ما المقصود بهذا القول ، هل هما قبيلتان أم أصغر أم أكبر ، وقد نجد في أنفسنا الشجاعة حين نستنتج من قول ابن عبد ربه [٣] (عنزة ابن أسد له ولدان يقدم ويذكر فمنهما تفرقت قبائل عنزة) بأنهما من الكثرة والعدد بحيث يجوز أن تتفرع منهما عدة قبائل،وقد نفهم مما رواه ابن الكلبي [٤] عن مرور جعفر بن خلاس الكلبي على أبناء يقدم ويذكر ، وجميعهم زائرون مهطعون حول صنمهم 'سعير ، بأنهما في كثرة كبيرة وعدد وافر ، ولكن شجاعتنا تخوننا حين نود معرفة ما مدى هذه الكثرة والعدد،أهما على مستوى يعطيهما صفة القبيلة أم العمارة أم الحي أم خلاف ذلك .

٢ - **جلان بن عنزة** – قال ابن دريد [٥] : (فمن عنزة وقبائلها ... بنو جلان) .. والواضح أن القول بأن (بنو جلان) من عنزة وقبائلها ، لا يعطينا مدلولاً واضحاً بأن (بنو جلان) قبيلة من قبائل عنزة ، ولعل مدلول قول ابن دريد قريب لأن نفهم منه بأن (بنو جلان) من عنزة ، ولا ندري ما مدى قلتهم أو كثرتهم ؟؟ وإذا كان ابن دريد قد آنسنا باشارته الغامضة نوعاً ما، فان ابن حزم لا يفيدنا بشيء إطلاقاً حين يقول [٦]: (وهؤلاء بنو عنزة بن أسد ... ومنهم بنو جلان) بل إننا نحار كثيراً في

---

(١) الأصنام ص ٤١ ، ٤٢ .
(٢) العقد الفريد ص ٣٥٦ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) الأصنام ص ٤١ .
(٥) الاشتقاق ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .
(٦) جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٣ .

قول ابن عبد ربه : (عنزة بن أسد له ولدان يقدم ويذكر ، فمنهما تفرقت عنزة ، فمن يذكر بنو جلان ..)

هذان المثالان ، يغنياننا عن سرد أمثلة لما تبقى ، وكافيان لأن نكرر القول بأننا نجهل الصفة التي يمكن أن نلحقها ببني يقدم أو يذكر أو جلان أو هزان أو الدول أو غيرهم .

وجهلنا هذا ، وإن كان في العموم يشكل واحدة من مشكلاتنا في دراسة تاريخ العرب قبل الاسلام ، ولا سيما في أنسابهم ، إلا أننا نرجح بالنسبة لعنزة ، على ضوء ما لدينا من مصادر ، بأنها لم تكن من الكثرة والعدد بحيث تتفرع منها عدة قبائل ، وقد أشار ابن عبد ربه إلى هذا إذ يقول [1] :

(ألا ترى أن بكراً وتغلب ابني وائل قبيلتان متكافئتان في القدر والعدد ، فلم يكن في تغلب رجال شُهرت أسماؤهم حتى انتسب إليهم واستجزىء بهم عن تغلب ، فإذا سألت الرجل من تغلب لم يستجزىء حتى يقول تغلبي ، ولبكر رجال قد اشتهرت أسماؤهم حتى كانت مثل بكر ، فمنها شيبان وعجل ويشكر وقيس وحنيفة وذهل ، ومثل ذلك عبد القيس ، ألا ترى أن عنزة فوقها في النسب ليس بينها وبين ربيعة إلا أب واحد ، عنزة بن أسد بن ربيعة ، فلا يستجزىء الرجل منهم (– أي من عنزة –) إذا سئل أن يقول عنزي ، والرجل من عبد القيس ينسب شيبانياً وجرمياً وبكرياً ..) الخ .

ويستفاد من قول ابن عبد ربه ما يؤيد وجهة نظرنا ، فالعنزي لا يكون معروفاً إذا قال إنه عنزي ، واستجزأ بعنزة ، إذ لا بد له من أن يرفع نسبه إلى ربيعة ليكون معروفاً ، ولكن هناك من قبائل ربيعة ، كشيبان وعجل ويشكر وقيس وحنيفة وذهل ، من إذا سألت الشيباني أو العجلي أو

---

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ٣٣٦ (باب تفسير الأرحاء والجماجم) .

اليشكري أو القيسي أو الحنفي أو الذهلي ، لاكتفى أن يقول إنه شيباني أو عجلي أو خلافه ، وذلك للقدر والعدد ، أما العنزي فلا يستجزىء لفقده سيادة أخذها فتحولت عنه ، ولقلة في القدر والعدد .

ولذا فإن موقفنا – وهو المرجـــع عندنا – أن – يقدم و يذكر – و جلان و هزان و محارب و الدول – وإننا نذهب فنقول بأن ما تفرع من عنزة يُمكن أن يندرج تحت صفة الحي أو البطن ، ولعلنا نكاد نستثني يقدم و يذكر – لأنهما قديمان نوعاً ما ، ولا تعي ذاكرة الرواة أخبارهما ، وقـــد نفهم من كون أحياء عنزة تفرقت منهما ، قد يعطيها صفة القبيلة ، وهذا برغم ما نلاحظه في أن هذه الأحياء والبطون التي تفرعت من–يقدم ويذكر– كما ذكر الرواة ، إنما هي حسب حلقات النسب الـتي يسلسلونها تنحدر من – يذكر – ولم نعثر على حي أو بطن اتصل نسبه بيقدم ، ولكننا نعفي أنفسنا من تحقيق ذلك لما ذكرناه من قدم وغموض أخبارهما .

المشكلة الثانية :

المعروف أن أخبار العرب قبل الإسلام تؤرخ بالحوادث التي لا يُدرى متى زمنها بالتأريخ الحسابي المعلوم ، والمشكلة التي تواجهنا في هذا الشأن لا تنحصر في أن الذين دونوا أخبار القبائل العربية كانوا يعنون بأن تأريخ هذه الأخبار قد كان قبل الإسلام ، ولكن المشكلة تتجاوز إلى أبعد من هذا ، فهناك أخبار عن بعض الحوادث قد يصعب التحقيق فيما إذا كانت قبل الإسلام أم بعده ؟؟ وقد يجد الدارس إزاء هذه المشكلة بعض القرائن التي تأخذ به الى الصواب ، وقد لا يجد قرينة تفيده بشيء ..

خذ على سبيل المثال : قال ابن عبد ربه [1] :

(... بنو الدول بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر (ابن عنزة) هم الذين أسروا حاتم طيء وكعب بن مامه والحارث بن ظالم ..) الخ ، فهذا

(١) العقد الفريد ص ٣٥٦ : القول لابن الكلبي (جم ٤٧٢) .

الخبر عرفنا منه أن « بنو الدول » من أحياء عنزة قبل الإسلام ، بقرينة هي ارتباطه بحاتم طيء ، وكعب بن مامة ، والحارث بن ظالم .

ولكن هناك مثال آخر ، نسوقه على سبيل التدليل لا الحصر ، قال ابن دريد [٢] : (ومنهم – أي من عنزة – بنو جلان) ، وقال ابن حزم : (ومنهم – أي ي عنزة – بنو جلان .. الخ) وقال ابن عبد ربه (فمن يذكر - بنو جلان ..) الخ . فهذه الروايات التي أوردها كل هؤلاء عن « بنو جلان » لا تفيد بأسلوب اليقين بأن حيّ بني جلان من أحياء عنزة قبل الإسلام ، وذلك لفقدانها للقرينة التي تساعد الدارس في معرفة ذلك ، ولذا يجد الدارس نفسه مضطراً إلى اتباع الأسلوب التقليدي عند النسابين ، فيقيس تاريخ « بني جلان » بتاريخ « بني الدول » ويعتبر اشتراكهما في جدهما « عتيك » دليل على تقارب تاريخ إنحدارهما من نسب واحد في زمن متقارب ، وهذا أسلوب فاشل لا جدوى منـــه ، ولكن الدارس مضطر لاتباعه حتى يرى ما هو أفضل منه،أو يعثر على قرينةتأخذ به إلى الصواب.. ورغم ذلك ، فهذا مثال ثالث يدلنا على أننا إن كنا في المثالين السابقين وجدنا في أولهما قرينة أفادتنا بأن بني الدول قبل الاسلام ، ووجدنا في ثانيهما بأننا لا نستطيع الجزم بأن بني جلان قبل الإسلام ، فإننا في مثالنا الثالث لا نملك حتى مجرد الأخذ بالأسلوب التقليدي ، وينعدم رأينا فيما إذا كان ما يذكره الرواة عن هذا الحي ، دليل على أنه قبل الاسلام أم بعده ..

فخذ قول ابن حزم : (ومنهم – أي من هزان بن عنزة – آل ضور ابن رزاح بن مالك بن سعد بن وائل بن هزان ، والحارث بن رزاح ، أخو ضور بن رزاح وهو الذي يقال إنه الحارث بن لؤى بن غالب الذي يُسمَّى جشم ... وفيهم يقول جرير ...) الخ .

فإن قول ابن حزم لا نجد فيه قرينة تفيدنا بأن آل ضور أو الحارث بن

---

(٢) الاشتقاق ص ٣٢٤ .

رزاح من أبناء هزان بن عنزة قبل الإسلام ، ولا نملك إزاء تسلسل حلقات النسب ولصوقها بني هزان بأن نعتبرهما من أبناء عنزة قبل الإسلام ، ذلك لأن أخبار العرب – كما قلنا – تؤرّخ بالحوادث التي لا يُدرى متى زمنها بالتأريخ الحسابي المعلوم ، والرواة في مختلف أيام التدوين يتجـــاهلون هذه الناحية ، ولا يملكون السبيل إليها ، وقد ينقلون من غيرهم أو يضيفون مما عندهم دون أن يقرنو ذلك بحادثة أو تاريخ دقيق ، مما يسبب للدارس إشكالاً يصعب ويستحيل التحقيق فيه كثيراً ..

وخلاصة الرأي الذي نقوله .. هو أن كل ما في هذه الروايات يقودنا إلى الأخذ بأن ما تفرع من عنزة هو في حكم الأحياء أو البطون ، لا القبائل ، ونستثني – يقدم – و – يذكر – لما ذكرنا من اعتبارات أشرنا إليها ، ولا نملك القول إزاء أحياء جلان وبني ضور وبني رزاح بأنهم من قبائل عنزة قبل الإسلام – وإن كان مضمون نقل الرواة يوحي بذلك – إلا أن كتابة تاريخ هذه الأشياء لا تقوم على نهج الأقدمين–لفقدان القرائن والملامح المعقولة، فالتاريخ لا يقوم على التأويل والتسبيغ .

٣ – منازل عنزة قبل الاسلام

المعروف أن سائر قبائل ربيعة كانت تقطن الحجاز ، ولعل مرد ذلك إلى استيعابه لهم ، ورغبتهم في التماسك والتلاحم ضد النفوذ اليمني ، ويبدو أنهم في منازلهم غير متمايزين حتى وقعت أول حرب بينهم بسبب الجور الذي لحق ببني يشكر وكانت السيادة يومذاك للنمر بن قاسط بن هنب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً .. قال عنه البكري [1] :

« فكان الفناء والهلاك في النمر ، وخرجت الرئاسة عنهم ، فصارت في بني يشكر ، فتفرقت ربيعة في تلك الحرب وتمايزت ، فارتحلت عبد القيس وشنٌ بن أفصى ومن معهم ، وبعثوا الرواد مرتادين ، فاختاروا البحرين وهجر ، وضامّوا من بها من إياد والأزد » .

---

(١) معجم ما استعجم ص ٨١ ج (١) : افتراق ربيعة .

حينئذ تمايزت قبائل ربيعة ، وتفرقت مساكنها في الحجاز وظواهر نجد وأطراف تهامة .. ولكنهم برغم ذلك متلاحمون تحت سيادة واحدة .. حتى وقعت الحرب المعروفة بينهم في قتل جساس بن مرة ، فتفرقت قبائلها من مكان إلى مكان لمدة طويلة .. بلغ أمدها الطويل الحد الذي تصوره الرواة يبلغ أربعين عاماً (؟) فتفرقت لذلك كلمتهم وتبدد شملهم ، وذهبت سيادتهم وساحت أفناؤهم في أشتات الجزيرة العربية .. وللرواة في قصة هذا التفرق روايات مضطربة حيناً ، ومتناقضة حيناً آخر ، نأخذ منها ما له صلة بسكنى قبيلة عنزة .

قال أبو حنيفة الدينوري [٢] :

« وبقيت اليمامة والبحرين بعد قتل جدبس ليس بها أحد إلى أن كثرت ربيعة وانتشرت ، وتفرقت في البلاد فسارت عنزة [٣] بن أسد بن ربيعة تتبع مواقع النبت وتقدمها عبد العزى بن عمرو العنزي ، حتى هجم على اليمامة فرأى بلاداً واسعة ، ونخلاً وقصوراً ، وإذا هو بشيخ قاعد تحت نخلة سحوق يرتجز ويقول :

تقاصري أجن جنـــاك قاعداً
إني أرى حملـك ينمى صاعـداً

فقال له عبد العزي :

ـــ من أنت أيها الشيخ ؟

قال : أنا من هِزّان، الضراغمة الأقران ، غزانا ذو جيشان ، الملك القرم المرّان ، فلم يبق بهذا المكان غيري ، وإني لفان .

فقال عبد العزى : ومن هزان ؟

قال : هزان بن طسم ، أخو النهى والحزم ، وابن الشجاع القرم .

---

(٢) الأخبار الطوال ص ٢٧ ط (الأولى) ـ القاهرة .
(٣) وردت في هذه الطبعة (عثره) بكسر العين المهملة وثاء مثناة وهذا خطأ .

فأقام عبدالعزى أياماً ثم تبرم بمكانه، فمضى سائراً حتى سقط إلى البحرين، فرأى بلاداً أوسع من اليمامة ، وبها من وقع إليها من ولد كهلان حين هربوا من سيل العرم فأقام معهم .. »

ويضيف الدينوري : أن بني حنيفة سارت على هذا السمت حتى وقعت على اليمامة بعد جلاء عنزة عنها ، فسكنتها ، ويستفاد من روايته أن عنزة كانت أسبق إلى اليمامة من قبيلة حنيفة ، ولكن عنزة لم تمكث إلا أياماً ، ثم نزحت إلى البحرين .. ومهما يكن في هذه الرواية من سجع متكلف هو بلا شك الأسلوب الذي يطغي على قصص السَّمر ، فإن الذي يمكن أن يكون قريباً للعقل ما جاء في رواية البكري .. إذ قال [1] :

« وأقامت سائر قبائل ربيعة من بكر وتغلب وغفيلة وعنزة وضبيعة في بلادهم من ظواهر نجد والحجاز وأطراف تهامة ، حتى وقعت الحرب بينهم في قتل جساس بن مرة بن شيبان بن كليب بن ربيعة، وانضمت النمر وغفيلة إلى بني تغلب، فصاروا معهم، ولحقت عنزة وضبيعة ببكر بن وائل، فلم تزل الحروب تنقلهم من بلد إلى بلد ومن أرض إلى أرض، وتغلب في كل ذلك ظاهرة على بكر حتى التقوا يوم قضة .. وذلك يوم التحالق، فكانت الدبرة لبكر على تغلب، فتفرقوا على ذلك اليوم وتلك الوقعة ، وتبددوا في البلاد، أعني تغلب، وانتشرت بكر بن وائل وعنزة وضبيعة باليمامة فيما بينها وبين البحرين إلى أطراف سواد العراق ومناظرها وناحية الأبلة ، وانحازت النمر وغفيلة إلى أطراف الجزيرة وعانات وما دونها إلى بلاد بكر بن وائل ومن حالفها في بلاد قضاعة من مشارق الأرض .. الخ » .

ومجمل ملاحظاتنا على هاتين الروايتين يندرج في هذه الملاحظات :

أولاً : نلاحظ أن الدينوري يرى أن عنزة مكثت باليمامة أياماً .. وقد رأت بلاداً واسعة ونخلاً وقصوراً ، ولكنها تبرمت بكل ذلك فنزحت إلى البحرين .. ولا ندري كيف نتصور هذه القبيلة التي تقاذفت بها حرب

---

(١) معجم ما استعجم ص ٨٢ ، ٨٣ ، ج (١) .

ضروس من بلد إلى بلد ومن أرض إلى أرض لمدة أربعين عاماً .. فلما استقر بها القرار في بلاد واسعة ونخل وقصور تتبرم بكل ذلك .. وتدفع بنفسها لمجازفة في غيابة الحظ فترحل إلى حيث المجهول البعيد .. إلى حيث تقع على البحرين صدفة ؟!

ثانياً : نلاحظ أن البحرين لم تكن بلاداً خالية من السكان .. حين نزحت اليها عنزة .. ولم تكن مأهولة بمن وقع اليها من ولد كهلان حين هربوا من سيل العرم فحسب ، ولكنها كانت مأهولة إلى جانب ولد كهلان بقبائل النمر بن قاسط وعبد القيس .. والمعروف أن عنزة لم تنزح إلى البحرين إلا بعد أربعين عامـــاً من حرب البسوس ، بينما نزح إلى البحرين بنو النمر بن قاسط وعبد القيس قبل ذلك بعشرات السنين حين تفرقت ربيعة للمرة الأولى بسبب حرب بين النمر وبني يشكر .

وفي ذلك يقول البكري [1] :

« فغلبت عبد القيس على البحرين ، واقتسموها بينهم ، فنزلت جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس الخط وأعناءها ، ونزلت شنٌ بن عبد القيس وسط القطيف وما حوله وقال : ابن شبه : نزلت نكرة الشفار والظهران إلى الرمل وما بين هجر إلى قطر وبينونة .. الخ » .

ومع أن البكري يستقي مادته من كتاب « افتراق أولاد نزار » لابن الكلبي . وهذا ما يجعلنا نستأنس بروايته دون رواية الدينوري إلا أن رواية البكري ، أقرب للتصور من رواية الدينوري التي داخلها السجع والتناقض والاضطراب ..

وخلاصة ما نعتقده بصدد هاتين الروايتين .. وخلاصة ما أوردناه في هاتين الملاحظتين .. أننا إذا سلمنا بأن عنزة قد مكثت أياماً في اليمامة ، فإننا لا نسلم بأنها رأت بلاداً واسعة ونخلاً وقصوراً وتمراً مستطاباً ، ولكننا

---

(١) المصدر السابق ص ٨٢ .

نسلم بأن عنزة عبرت بأطراف اليمامة مما يلي البحرين..وكان مكوثها بأطراف اليمامة دالة على البحرين ، وليس وقوعها على البحرين إلا لقربه من أطراف اليمامة ؟ وهذا القول ينسجم مع قول البكري [1] :

« وانتشرت بكر بن وائل وعنزة وضبيعة باليمامة، فيما بينها وبين البحرين إلى أطراف سواد العراق ومناظرها إلى ناحية الابلة » ونقول أيضاً .. بأن تلك البلاد الواسعة والنخيل والقصور والتمر المستطاب ليست سوى البحرين ؟

ثالثاً : نلاحظ بعدما قلناه مسألة أخرى .. هي أن الكثير من الروايات تفقد الإشارة إلى مَنْ مِنْ أحياء عنزة انساح هنا وهناك ، وهذه مسألة تبرز في كثير من مسائل سكنى القبائل العربية .. وبصدد عنزة خذ على سبيل المثال قول الدينوري [2] :

« فسارت عنزة تتبع مواقع الغيث ... الخ »

وخذ أيضاً قول البكرى [3] :

« وانتشرت بكر بن وائل وعنزة وضبيعة باليمامة فيما بينها وبين البحرين»

ولئن كنا لا نطمع من الرواة بالإشارة إلى تفصيل سكنى قبائل عنزة ، أو على الأصح أحياء عنزة ، باعتبار قلة عددها ، وفقدها لسيادتها ، فما الذي يجعلنا لا نطمع من الرواة بهذا التفصيل في سكنى بكر بن وائل ، وهي على ما هي عليه من حيث السيادة والوفرة والعدد ..

رابعاً : إلى جانب ما سبق ، نلاحظ أن عنزة – قبل حرب البسوس أو بعدها – ارتبطت مع قبائل بكرية ربعية بحلف يقال له « حلف اللهازم » وأصبحت كلمة « اللهازم » تطلق على كل من :

١ – عنزة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن سعد بن عدنان .

---

(١) المصدر السابق ص ٨٤ .

(٢) الأخبار الطوال ص ١٧ (ط – الأولى) القاهره .

(٣) معجم ما استعجم ص ٨٣ .

٢ ــ عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب ابن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

٣ ــ تيم اللات ــ أو تيم الله ــ بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن علي بن بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنيب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

٤ ــ قيس بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديله بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

ويروى أن قيساً وتيم اللات ، يقال لها « اللهزومان » فانضمت لها عنزة وعجل بن لجيم ، فأصبحوا جميعاً (اللهازم) فغلب عليهم هذا الاسم ، إلى الحد الذي يصعب فيه على الدارس استخلاص أخبار عنزة ، وأخبار سكناها من تضاعيف ما يرويه الرواة .. ولذا فإننا ما دمنا بسبيل تتبع سكنى عنزة بعد هذا الحلف لا بد لنا من إيضاح فكرة موجزة عن اللهازم ..

يقول الطبري [١] :

« اللهازم هم بنو قيس بن ثعلبة : وحلفاؤهم عنزة وشيع اللات [٢] وحلفاؤهم عجل » .

ويقول ابن عبد ربه [٣] :

« هم عنزة بن أسد بن ربيعة وعجل بن لجيم ، وتيم الله وقيس إبنا ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل) .

ويقول ابن منظور [٤] :

« هم عجل وتيم اللات ، وقيس بن ثعلبه بن عكابة » .

ويقول الفيروزبادي [٥] :

---

(١) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٢٥ .
(٢) الصحة تيم اللات وقد وردت (شيع اللات) .. تصحيف .
(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٦٧ .
(٤) لسان العرب ج ١٦ ص ٣١ .
(٥) القاموس ج ١٦ ص ٣١ .

« لقب بني تيم الله بن ثعلبة » .

ويقول القلقشندي [1] :

« بطن من ربيعة من العدنانية ، ذكرهم الجوهري ولم يصل نسبهم » .

وكل هذه الأقوال ، الغامض منها وغير الغامض ، تفيد بأن « اللهازم » إسم لحلف تدعمه مجموعة أحلاف حتى صار علماً لهذه القبائل ، ولقد أدى بعض ما بها من غموض بالنويري إلى الإعتقاد بأن عنزة إبنٌ للّهازم وتابعه من المعاصرين الشيخ الفاضل حمد الحقيل [2] حين عد نسب عنزة في اللهازم وتابع النويري في قوله :

« وأما أسد بن ربيعة ، فمنه ثلاث بطون ، أفعى بن دعمي بن جديلة بن أسد ، وعنزة بن اللهازم بن أسد .. الخ »

ولعل أستاذنا الحقيل ظن أن ما قاله النويري يغني عما قاله غيره ، والأهم من هذا أننا نجد الدكتور محمد حسين يقول في شرحه وتعليقه على قول الأعشى الكبير ..

لهان علينا ما يقول ابن مسْهِر ، برغمِكَ إذ حلّت علينا اللهازم

يقول [3] :

« اللهازم هم قيس بن ثعلبة وعجل بن بكر ، وحنيفة بن بكر ، هؤلاء حلف » .

والملاحظ أن الدكتور محمد حسين ، أضاف لحلف اللهازم قبيلة حنيفة ، ولم يذكر مرجعه في ذلك ، ولم يبرر القول الذي قاله ، ولا أحسب أن مصدراً من هذه المصادر المطبوعة التي تتوافر فيها هذه النواحي قد أورد مثل قول الدكتور ، ومع هذا فإن الأمر إذا كان اجتهاداً شخصياً منه ، فإنني أميل مع رأيه في أن حنيفة متحالفة مع « اللهازم » ولكني لا أوافقه على

---

(١) نهاية الأرب ج ١٢ ص ٣٧ .

(٢) زهر الأدب في معرفة أنساب ومفاخر العرب ص ٧ مطبعة المدني بمصر .

(٣) ديوان الأعشى الكبير – تحقيق الدكتور محمد حسين ص ٣٨ .

أن حلف حنيفة مع « اللهازم » يطلق عليه جميعاً « اللهازم » لأن « اللهازم » إسم غلب على عنزة وعجل وتيم‌الله وقيس،ولم يغلب على حنيفة لأسباب منها: ١ – ارتفاع حنيفة عنهم في العدد والقدر ، ولا سيما إذا عرفنا أن اللهازم معنى لضعف الشأن والمكان . ٢ – انعزال حنيفة شيئاً ما عنهم .

ونخلص من كل الإعتبارات السابقة إلى القول بأننا نجد معرفة منازل عنزة بن أسد فيما ذكره الرواة ، كالتالي :

(أولا) نعام

قال ياقوت [١] نعام : بالفتح ، بلفظ اسم جنس النعامة من الحيوان ، وهو وادي باليمامة لبني هزان في أعلى المجازة من أرض اليمامة ، كثير النخل والزرع : قال أحمد بن محمد الهمذاني : أول ديار ربيعة باليمامة ، مبدأها من أعلاها أولاً وادي هزان وهو وادي يقال له برك ، ووادي يقال له المجازة ، أعلاه وادي نعام ، واسم الوادي نفسه نعامة .. الخ »

(ثانياً) شهوان

قال ياقوت [٢] « شهوان : جبل باليمامة ، قرب المجازه ، قريـــة لبني هزان » .

(ثالثاً) النّباج وثيتَل

قال البكري [٣] « النباج بكسر أوله ، وبالجيم في آخره ، قال أبو عبيدة النباح وثيتل : موضعان موضعان متدانيان بينهما دوح ينزلهما اللهازم من بكر ، وهم بنو قيس وتيم الله ابني ثعلبة وعجل وعنزة ، وقد أغارت عليهم فيها بنو تميم فظفرت بهم الخ .. »

---

(١) معجم البلدان ج ٥ ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .
(٢) نفسه ، ج ٣ ص ٣٧٨ .
(٣) معجم ما استعجم ج ٤ ص ١٢٩١ .

(رابعاً) سوانان

قال البكري [١] « وأسفل تربة لبني هلال ، وحواليه من الجبال يسوم وبدبد ... وجبلان يقال لهما سوانان، وأحدهما سوان ، وهذه لجشعم وسلول، وسواءة بن عامر وخولان وعنزة [٢] ، وهي جبال شوامخ ، وفيها الأعناب وقصب السكر والإسحـــل والقرظ والبشام والغرب ، إلا بدبد ، فإنه لا ينبت إلا النبع والشوحط .. الخ »

(خامساً) عين التمر

قال القلقشندي [٣] بنو عنزة بن أسد ... قـــال في العبر – أي قال ابن خلدون وديارهم عين التمر من برية العراق على ثلاث مراحل من الأنبار، قال : ثم انتقلوا عنها إلى جهات خيبر ، فأقاموا هناك ، وورثت بلادهم غزية من طيء ... قال : ومنهم (أي من عنزة) بأفريقية حي قليل مـع رياح من بني هلال بن عامر .. الخ »

هذه الأماكن الخمسة ١ – نعام ٢– شهوان ٣ – النباج وثيتل ٤– سوانان ٥ – عين التمر ، ذكر كل واحد منها ، ياقوت أو البكري أو القلقشندي وقد يذكر أحدهم أكثر من مكان ، ولكنا اكتفينا بهذه النقول معتقدين بأن وضوح تحديدها يغني عن نقول أخرى ، ولا نجد فيما بين أيدينا من كتب مطبوعة معروفة ما يدلنا على أماكن كانت تقطنها عنزة بعد تفرق ربيعة [٤]، وعلى ما ذكرناه نود أن نضيف تعليقاً قـد يفيدنا في هذا المجال وموجزه يأتي في الجمل التالية :

---

(١) نفسه ، ج ٢ ص ٧٨٨ .

(٢) لعل الصواب : عنز – فهي التي تسكن تلك الجهات وكتاب البكري كثير التحريف (العرب) .

(٣) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ٣٧٨

(٤) من مساكن عنزه أيضاً ذكر ذلك الهمداني .

١ ــ عرفنا أن بني هزان يسكنون نعام وشهوان ، وبنو هزان هم بنو هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن رزاح بن عنزة بن أسد بن ربيعة ابن نزار ، ومنهم آل ضور بن رزاح بن مالك بن سعد بن وائل بن هزان ، والحارث بن رزاح أخو ضور بن رزاح وهو الذي يقال إنه الحارث بن لؤى ابن غالب الذي يُسمَّى جشم وفيهم يقول جرير ..

بَنو جُشَم لستم لهِزان فانتموا
لأعلى الروابي من لؤى بن غالب
ولا تنكحوا في آل ضور نساءكم
ولا في شكيسٍ بئس مثوى الغرائب

وقد أشرنا لهذا في حديثنا عن قبائل عنزة .

٢ ــ أما النباج وثيتل ، فلا نعرف مَنْ مِنْ أحياء عنزة يسكنهما وسبق أن أوردنا قول البكري بأن بني تميم أغارت على اللهازم فيهما ، وتجد تفصيل هذه الإغارة في حديثنا الآتي عن أيام عنزة .

٣ ــ وأما عين التمر ، فالذي يبدو أن عنزة كانت تقطنها حتى غزاهم خالد بن الوليد رضي الله عنه ــ إبان فتوح العراق ــ ويبدو أن نزوحهم إلى خيبر كان على أثر ما جابههم به خالد بن الوليد من قسوة لا زالت موضع تحليل المؤرخين ، ولا ندري أيضاً مَنْ مِنْ أحياء عنزة كان يقطن عين التمر .

٤ ــ وأما سوانان ، فالذي يبدو أنه من مساكن عنزة قبل تفرق ربيعة في الحرب الأولى والثانية ، وليس من المستبعد أن يكون ثمة حي من أحيائها قد تخلف في هذا الموضع بعد ذلك التفرق .

٥ ــ وأما ما نقله القلقشندي مما ذكره أيضاً ابن خلدون في تاريخه حول انتقال أحد أحياء عنزة بن أسد إلى أفريقية مع حي من رياح بن هلال بن عامر ، فلا نعلم فيما لدينا ما يقوي هذا القول أو يضعفه ، ولكننا

لا نستبعده ما دمنا نعلم انتقال بني هلال إلى أفريقية ، وما دمنا نعلم تجاور عنزة مع قبيلة بني هلال .

٤ – أيام قبيلة عنزة قبل الاسلام

أحسب أن من فضول القول، أن نتحدث عن الأسباب التي تؤدي بالقبائل العربية إلى الحروب فيما بينها . ولقد كانت للعرب في جاهليتهم أيام وحروب كثيرة ، كتب عنها القدماء فأسهبوا ، ويقال إن أبا عبيدة مَعْمَر بن المثنى ألف كتابين عن الأيام – الأول إسمه كتاب الأيام الصغير وتحدث فيه عن خمسة وسبعين يوماً ، والثاني إسمه كتاب الأيام الكبير ، وتحدث فيه عن ألف ومائتي يوم ، ويقال إن أبا الفرج الأصبهاني ألف كتاباً في الأيام يحتوي على ألف وسبعمائة يوم، وأن هشام بن الكلبي ألف ستة كتب في أيام العرب ، وجميع هذه الكتب نجهل مصيرها ولا نجد فيما بين أيدينا من كتب الأدب إلا أياماً قليلة جداً بالقياس إلى العدد الذي وصل إليه القدامى في تأليفهم ، وهذه الأيام القليلة متناثرة هنا وهناك (١) .

ولا يغرب عن بالنا أن نشير هنا إلى كتابين ، ألفهما الأساتذة محمد أحمد جاد المولى ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ويعنينا هنا الكتاب الأول ، وعنوانه « أيام العرب في الجاهلية » فقد جمعوا فيه ٧٥ يوماً من أيام العرب في الجاهلية، واستقوا مادتهم من كثير من كتب الأدب والتاريخ واللغة ومعاجم البلدان ودواوين الشعر .

وما دمنا بصدد الكلام عن أيام عنزة ، لنا بعض الملاحظات التي لها مساس بقبيلة عنزة ، ونستدرك بها على الكتاب .

ذكروا في ص ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، يوماً من أيام العرب في الإسلام ، وعدوه من أيام العرب في الجاهليـــة ، وهذا اليوم هو (يوم الوقيط) وكلمة الوقيط تحتاج إلى قليل من التحقيق سنرجئه إلى وقت آخر ، ونورد فيما سيأتي قصة هذا اليوم كما وردت في الكتاب ، نوردها كاملة بنصها ،

---

(١) شعر الحرب ، الدكتوري علي الجندي ص ٢٨ ، ٢٩ الطبعة الثالثة .

لأننا ملزمون بذلك بدافع مما نجده عليهـــا من ملاحظات ، يستوجب إيرادها كاملة .

يقول المؤلفون الأفاضل .

(تجمعت اللهازم – عنزة بن أسد بن ربيعة ،وعجل بن لجيم وتيم الله وقيس ابنا ثعلبة بن بكر بن وائل [١] لتغير على بني تميم وهم غارُّون ، فرأى ذلك ناشب بن بشامة العنبري الأعور [٢] وهو أسير في بني [٣] قيس بن ثعلبة ، فقال لهم ناشب :

أعطوني رجلاً أرسله إلى أهلي بني العنبر [٤] وأوصه ببعض حاجتي ، فقالت له قيس بن ثعلبة :

ترسله ونحن حضور .

وذلك مخافة أن ينذر عليهم .

قال : نعم .

فأتوه بغلام مولد فقال :

أتيتموني بأحمق .

قال الغلام : والله ما أنا أحمق .

قال الأعور : إني أراك مجنوناً .

قال : والله ما بي من جنون .

قال : فالنيران أكثر أم الكواكب ؟

---

(١) اللهازم ، عنزة بن أسد بن ربيعة وعجل بن لجيم وتيم الله وقيس ابنا ثعلبة بن بكر بن وائل .. هكذا ورد في هامش كتابهم ص ١٧٠ .

(٢) هو ناشب بن بشامة بن نضلة بن سنان بن جندب بن العنبر (جمهرة أنساب العرب) لابن حزم ص ٢٠٨ .

(٣) (بني سعد بن مالك بن ضبيعة بن) الزيادة من ابن عبد ربه في العقد الفريد ج٥ ص١٨٢ ، وهي زيادة لا بد منها .

(٤) (ليبلوه مثل الذي تولوني من البر والاحسان) الزيادة من ابن عبد ربه من العقد الفريد ج ٥ ص ١٨٢ ، وهي زيادة ضرورية لنسق القصة .

قال : الكواكب وكل كثير .

قال : إنك لغبي أحمق وما أراك مبلغاً عني .

قال : بلى لعمري لأبلغن عنك .

فملأ الأعور كفه من الرمل وقال له :

— كم في كفي ؟

— قال لا أدري ، وإنه لكثير ما أحصيه .

— فأومأ إلى الشمس بيده ، وقال له : ما تلك ؟

— قال هي الشمس .

— قال ما أراك إلا عاقلاً ظريفاً[1] .. إذهب إلى أهلي فأبلغهم عني التحية والسلام ، وقل لهم ليحسنوا إلى أسيرهم ويكرموه فإني عند قوم يحسنون إلي ويكرمونني — وكان حنظلة بن طفيل المرثدي أسيراً في أيدي بني العنبر ، وقل لهم : فليعروا جملي الأحمر ، ويركبوا ناقتي العيساء ، بآية ما أكلت معهم حيساً ، وليرعوا حاجتي في أبيني مالك ، وأخبرهم أن العوسج قد أورق ، وأن النساء قد شكّت ، وليعصوا همام بن بشامة فانه مشؤوم محدود ، وليطيعوا هذيل بن الأخنس فانه حازم ميمون .

فقال له بنو قيس : من أبينو مالك ؟ قال : بنو أخي .

فأتاهم الرسول ، فأخبرهم وأبلغهم ، فما تدرى عمرو بن تميم ما الذي أرسل به إليهم الأعور ، وقالوا : ما نعرف هذا الكلام ، ولقد جُنّ الأعور بعدنا ، ما نعرف ناقة يختصها ولا جملاً ، وإن إبله عندنا لبأج واحد فيما نرى ..

فقال هذيل بن الاخنس للرسول : إقتص عليّ أول قصته ، فقص عليه أول ما كلمه به الأعور ، وما رجعه عليه حتى أتى على آخره ، فقال هذيل ،

---

(١) (كل ما نقله الرواة وذكره المؤلفون الأفاضل عن قصة هذا الغلام الأحمق الأسود ، والحوار الدائر بين الغلام وناشب ، يغلب عليه التزيد ، والأقرب للتصور ما رواه أبو عبيدة معمر بن المثني — حين ذكر أن ناشباً أوصى رجلاً كان قد مر باللهازم في طريقه لديار بني العنبر ص ٣٠٥ ط (أوروبا) .

أبلغه التحية إذا أتيته ، وأخبره أنا سنوصي بما أوصى به ، فشخص الرسول ثم نادى هذيل .. يا للعنبر ! قد بين لكم صاحبكم ، أما الرمل الذي جعله في يده ، فإنه يخبركم أنه قد أتاكم عدد لا يحصى ، وأما الشمس التي أومأ اليها فإنه يقول : إن ذلك أوضح من الشمس ، وأما جمله الأحمر ، فالصنّمان يأمركم أن تعروه ، يعني ترتحلوا عنه ، وأما ناقته العيساء فإنها الدهناء يأمركم أن تتحرزوا فيها ، وأما أبينوا مالك فانه يأمركم أن تنذروهم ما حذركم ، وأن تمسكوا بحلف بينكم وبينهم ، وأما إيراق العوسج ، فإن القوم قد اكتسوا سلاحاً ، وأما اشتكاء النساء ، فيخبركم أنهن قد عملن الشكاء ، يريد خرزن لهن شكاءً يغزون بها ، وأما قوله بآية ما أكلت معكم حيساً ، يريد أخلاطاً من الناس قد غزوكم ، لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط .

فحذرت بنو عمرو بن تميم فركبت الدهناء، وأنذروا بني مالك بن حنظلة، فقالوا : ما ندري ما تقول بني الجعراء ، ولسنا متحولين لما قال صاحبهم .

فصبّحت اللهازم بني حنظلة ، ووجدوا بني عمرو قد أجلت وارتحلت ، وإنما أرادوهم على الوقيط، وعلى الجيش أبجر بن جابر العجلي [1] فاقتتلو فطعن بشر بن العوراء — من بني تيم اللات — ضرار بن القعقاع : ثم جزّت بنو تيم اللات ناصيته وخلوا سربه تحت الليل [2] .

وبارز عمرو بن قيس — من بني ربيعة — عشجل بن المأموم — من بني شيبان — فأسره عمرو ثم منّ عليه [3] .

---

(١) (وشهدها ناس من تيم اللات والفرز بن الأسود) الزيادة من ابن عبد ربه — العقد الفريد جـ ٥ ص ١٨٤ — نقلناها لسياق القصة وتكاملها .

(٢) (تنازع في أسره بشر بن العوراء من تيم اللات، والفرز بن الأسود ، فجزا ناصيته وخليا سبيله) الزيادة من ابن عبد ربه جـ ٥ ص ١٨٤ ، لا بد منها لتكون عنصراً لتدبير ترك سراحه

(٣) بعدها (وأسرت غمامة بنت طوق بن عبيد بن زرارة،واشترك في اسرها الخطيم بن هلال، وظربان بن زياد ، وقيس بن خالد وردوها إلى أهلها ، وعير جرير الخطفي بني دارم بأسر ضرار وعشجل وغمامة فقال :

أغمام لو شهيد الوقيط فوارسي ما قيد بقتل عشجل وضرار

هذه الزيادة لا بد منها لتحقيق الشعر العربي ، ولعل غموض الكثير من الأبيات يرجع إلى إهمال المحققين لهذه الناحية .

وأسر طيلسة بن زياد العجلي حنظلة بن المأموم ، واسر حنظلة بن عمار . جويرية بن بدر — من بني عبد الله بن دارم [1] وأسر أيضاً نعيم وعوف ابنا القعقاع [2] وغيرهم من سادات تميم ، ثم هرب عوف [3] عن أخويه فقات ، وهرب مالك بن قيس .

ولحق وزر التيمي حكيما النهشلي وهو يرتجز :

ماوى لن تراعى — رحيبة ذراعى
بالكر والإيزاع

ويقول :

كل امرىء مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

فشد عليه وزر فقتله :

ومرت اللهازم يومئذ بعد الوقعة على ثلاثة نفر من بني عدى بن جندب ابن العنبر، لم يكونوا برحوا مع قومهم فلحقوا بالدهناء معهم ولم يشهدوا القتال مع بني دارم، فكانوا يرعون، فقاتلو من دون إبلهم حتى طردوها فأحرزوها، وجعل وزر يقاتلهم ويرتجز ويقول .

نحن حمينا يوم لا يحمي بشر يوم الوقيط والنساء تبتقر
قوس تنقاها من النبع وزر ترن إن تنازع الكف الوتر
حجرية فيها المنايا تستعر تحفزها الأوتار والأيدي الشعر

وهنا تنتهي هذه القصة ، ولا بد من الإشارة إلى أن المؤلفين الأفاضل قد رجعوا في قصة هذا اليوم إلى الكتب الآتية :

---

(١) (فلم يزل في الوثاق حتى قال ابيات يمدح فيها بني عجل) الزياد من ابن عبد ربه جـ ٥ ص ١٨٤ — ١٨٥ — والأبيات خمسة معروفة .

(٢) (ابن معبد بن زرارة ، وعمرو بن ناشب ، وأسر سنان بن عمرو ، أخو بني سلامة بن كندة من بني دارم، وأسر حاضر بن ضميرة ، وأسر الهيثم بن صعصعة) — العقد جـ٥ ص١٨٥

(٣) هو عوف بن القعقاع ، المصدر نفسه جـ ٥ ص ١٨٥ .

١ ــ أمامي القالي جـ ١ ص ٦

٢ ــ النقائض ص ٣٠٥

٣ ــ الكامل جـ ١ ص ٣٨٥

٤ ــ العقد الفريد جـ ٣ ص ٣٣٠

٥ ــ بلوغ الأرب جـ ١ ص ٣٨٥

٦ ــ المزهر جـ ١ ــ باب الملاحن ــ

وقد أشاروا في هوامش الصفحات التي وردت بها هذه القصة ، إلى هذه الكتب الستة ، وقد فات عليهم أن يرجعوا لكتابين هما : ١ ــ العمدة لابن رشيق ٢ ــ مجمع الأمثال للميداني ، مما أوقعهم فيما نعتقد أنه خطأ ، وإلى جانب الملاحظات التي دوناها في هوامش القصة، فلنا ملاحظات أخرى نجملها فيما سيأتي :

(١) نلاحظ أنهم يوردون القول عن أيام العرب بدون ضبط لأسماء الأيام، مما يوقع في لبس شديد ، لا سيما إذا عرفنا مدى تجانس الكثير من الأسماء ، وقد أوردوا يوم الوقيط ، بدون ضبط ، والوقيط تجيء في الكتب بالطاء المعطل ، وبالظاء المعجم ، والميداني هو الوحيد الذي نجده ضبطها نعتاً .. يقول [1] :

« يوم الوقيط ، بالقاف والطاء المعطل ، يوم كان في الإسلام بين بني تميم وبكر بن وائل [2] وفيه يقول يزيد بن حنظلة إلى آخره .. »

وجاء في العمدة لابن رشيق هكذا ــ يوم الوقيظ ــ كان في فتنة عثمان بن عفان رضي الله عنه ــ انتهى قول ابن رشيق ولم يضبط يوم الوقيظ ــ ولكن جاء في طبعة العمدة (الوقيط) وعلى الطاء نقطة أي بطاء معجمة ولعل ذلك من تصحيف النساخ ..

---

(١) مجمع الأمثال ج ٢ ص ٤٣٣ .

(٢) كثيراً ما يطلق بكر بن وائل على اللهازم .

وعلى أيّ ، فالذي يجعلنا نطمئن إلى أنـــه الوقيط ، بطاء مهمل عدم إئتلاف هذا الإسم مع إسم آخر .

(٢) نلاحظ أن يوم الوقيط من أيام العرب في الإسلام ، وليس من أيامهم في الجاهلية ، لا بل هو في صدر الإسلام وليس في أيامه الأولى ، ولعل عدم رجوع المؤلفين لكتاب العمدة سبب لهم هذا الاشكال ، يقول ابن رشيق[١]: « يوم الوقيط ، كان في فتنة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو لِلسَّهازم رئيسهم أبجر بن بجير ، على بني مالك بن حنظلة ، فأما بنو عمرو بن تميم فأنذرهم ناشب بن بشامة العنبري ، فدخلوا الدهناء فنجوا ، وفي هذا اليوم أسر ضرار بن القعقاع بن معبد ، أسره الفرز الشيباني ورجل من تيم اللات ، فجزت تيم اللات ناصيته وخلته تحت الليل مضارة للفرز .. »

وهذه القصة التي أوردها ابن رشيق .. هي نفسها القصة التي أوردها المؤلفون الأفاضل ، وحين يقول ابن رشيق بأن يوم الوقيط كان في الاسلام ، فابن رشيق حجة في ذلك لأنه نقل أيام العرب عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، وقد قال [٢] :

« قد أثبت في هذا الباب ماتأدّى إليّ من أيام العرب ووقائعهم ،مستخرجة من النقائض وغيرها»والمسلم به أن أبا عبيدة أعلم الناس بأيام العرب ووقائعهم، مما لا مجال للجدال فيه .

وفي مجمع الأمثال للميداني نص آخر يؤيد ما ذكره ابن رشيق ، ويؤيد ما نذهب إليه .. يقول الميداني [٣] :

« يوم الوقيط — بالقاف والطاء المعطل يوم كان في الاسلام » .. إلى آخر ما نقلناه سلفاً .

ولعل من أهم الأشياء التي ضللت المؤلفين الأفاضل عن الانتباه لهذه الحقيقة

---

(١) العمدة ج ٢ ص ٢١٥ .
(٢) العمدة ج ٢ ص ٢١٤ .
(٣) مجمع الأمثال ج ٢ ص ٤٣٣ .

أن الكثير من معاجم البلدان وكتب الأدب واللغة والتاريخ حين تشير إلى أيام العرب لا تشير إلى أنها في الجاهلية ، لأن المعروف من دلالة ذكر الأيام أنها في الجاهلية ، ولكن هذا الأمر لا يطرد بصورة كاملة شاملة دقيقة ، والمحيّر أن المؤلفين الأفاضل حين قالوا : (وأسر طيلسة بن زياد العجلي حنظلة بن المأموم) قالوا في هامش الصفحة :

« إشتراه الوراز بن الوراز بمائة بعير ، ثم حبسه معه فلم يوفه ،فقدم الكوفة ليفاديه وبها علي بن أبي طالب ، فأتاه نفر من بني حنظلة الذين كانوا بالكوفة ، فقالوا : أإسار في الاسلام ؟ فقال : لا ، وبعث فانتزعه من الوراز ، ولم يكن الوراز وفي بني عجل فداء حنظلة ، فلما كانت فتنة ابن الزبير وثب بنو عجل فأخذوا من الوراز مائة بعير .. الخ » .

أفلا يستفاد من قول بني حنظلة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : أإسار في الاسلام .. فأجاب قائلا : لا ، وبعث وانتزع حنظلة من الوراز ، ألا يستفاد من كل هذا ، أن الأسر — وأن اليوم الذي حدث فيه هذا الأسر ، كان في الاسلام ؟؟؟

والحق لو أن يوم الوقيط كان في أيام الإسلام الأولى لالتمسنا عذراً كبيراً للمؤلفين الأفاضل ، ولكنه في صدر الاسلام ، وفي فتنة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ولقد يقال:بأنهم قصدوا بالجاهلية ما فعله العرب من وقائع وحروب على أساس النعرة الجاهلية ، ولم يقصدوا تحديد ذلك بالزمن الجاهلي ، ونحن نستبعد هذا القول لبعده عن منهج البحث الأدبي ، ولعدم وجود الأدلة على ذلك ؟

وعلى أية حال ، فان أيام عنزة ، أو أيام اللهازم تنحصر في الأيام التالية ١ — يوم ثيتل ٢ — يوم جدود الثاني ٣ — يوم ذي طلوح ٤ — يوم الشيطين ، وسنتحدث عنها بايجاز .

للبحث صلة

عبد الله نور

على ضفاف فوار انطلياس ...

[كان الشاعر في لبنان للعلاج : فخرج مع صديقه حمد الجاسر للترفيه بنزهة في يوم أحد إلى (فوار انطلياس) وهنا رأي الشاعر ما أوحى هذه القصيدة] .

وفي (صبح) يوم جميل الأهاب ... تطرّزه قطراتُ المطرْ
تجَلْبَبَ بالغيمِ آفاقه ... وقد و شّحَ (البرقُ)منه الطررْ
وفي (انطوليس) وما (أنطُليس) ... سوى (ردهةِ الخلدِ)بين البشر
وبين مفاتنه الحالماتْ ... وبين (الزّهور) وبين (الشجرْ)
وبين (الموائدِ) تحتِ الظلالِ ... و (غيدٍ)توهجنَ مثل (الدرر)
جَلونا عن القلبِ أصداءَه ... بلهو برىء ويوم اغرْ
ومن رادةِ الفكرِ لي صاحب ... أرافقه ، عبقري السّيرْ
نحوّم كالنحل بين (الزهور) ... ونمرح كالطيرِ بين الثمرْ
نحلّقُ فوق رحاب الجمال ... ودنيا الخيال وعطر الزهر
وننعم في نشواتِ الهناءِ ... واحلام فردوسنا المنتظر
ونسبح في أفقٍ غامرٍ ... بهيج الرؤى قدسي الصور
يموج باضوائه والظلالِ ... وأروع ما صورته الفكر
يحررنا من قيودِ الزمانِ ... ويطلقنا من إسارِ البشرْ
ونحْيي على ومضاتِ الفنونِ ... وإشراقه الأمل المبتكر

* * *

وهيفاء كالشمس إطلالةً ... على منكبيها اسبطرّ الشعر
نظرتُ إليها وقد شفني ... هواها لساعته ، واختمر
تناسيت (آلامي) المبرحات ... وهل لوعةفي الحشا أم (حجر)[1]

(١) كان الشاعر مصابا بحصى (حصوة) في احدى الكليتين .

وهول (الجراحةِ) في (غدوةٍ) وفيها الحياةُ وفيها الخطرْ
تناسيتها وانبرى خاطري تدفّق (الهامه) وانهمـــر

* * *

جمالـــك . من نفحات السماء وضوء الدراري ونورُ القمرْ

* * *

بنفسي تلـــك اللحاظ التي تمـــاوج كالبحر لما زخر !
وأنفـــاسك العطرات الشذا كنشرِ (الازاهير) غبَّ المطر

* * *

تكحلت ؟ يا فتنتي مـــا عسى يزيد فتونـــك بعد الحورْ !
وحليتِ طوقكِ يا للغرام لجيدٍ تَسمَّر فيـــه النظر !
تكاد شفافته والصفـــا ترى المـــاء في متنه ينحدر
صفاء كبلورة اشرقتْ برائـــق نورٍ يروقُ البصر

* * *

إذا ما خطرت أثرتِ الفتون وهجت الشجون تثيرُ الفكر
بخطو كايقاعِ نقر الدفوف وقرع الكؤوس وجس الوتر
وقدٍ كغُصنٍ نظير القوام ترنحـــه نسمات السحـــر
تناسق في نسبِ حلوةٍ وتاهي كـ (فينوس) اذ ما خطر
أرى فيك ما لا يحد النهى وفوق مجـــالات رؤيا النظر
جمالكِ يا للسما والسنا تألق كالـــبدر وسط السحر !
شأوت بذاك الجمالِ الحسانَ فهن (النجوم) وأنتِ (القمر)

جازان — محمد العقيلي

سمراء ...

سمراء يا هبة الجزيرة —
صورت في شكل ورده
ذهبية مثل الرمال
رشيقة كقوام صعده
الشمس يصبغ وجنتيك
شعاعها ويبث وجده
والليل يكحل مقلتيك
وتبعث الأشواق سهده

* * *

سمراء يا أخت الكواكب
في ليالي الصيف تجلى
كم أنبتت صحراؤنا
الفيحاء من قيس وليلى
وتدفقت ربواتهـــا
غزلاً وأشواقاً ونبلا
لا تنبت الصحراء إلا
الحب عذريا مدلا

القطيف : الجشي

لمحات تاريخية عن حضرموت

حَضْرَمَوت : بالفتح ثم السكون وفتح الراء والميم إسمان مركبان تركيب مزج وأما إعرابها فإن شئت بنيت الاسم الأول على الفتح وأعربت الثاني إعراب ما لا ينصرف فقلت : هذا حضرموت وإن شئت رفعت الأول في حال الرفع وجررته ونصبته على حسب العوامل وأضفته إلى الثاني فقلت : هذا حضرموت أعربت حضراً وخفضت موتاً قال ابن الكلبي : وقد ورد اسم حضرموت بالتوراة بحاضرميت ، كما ذكر ياقوت في معجم البلدان .

وقديماً كانت تعرف بالأحقاف قال الله تعالى : (واذكر أخا عـــاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ، ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليـــكم عذاب يوم عظيم) [1] . وأخوعاد هو هود عليه السلام بعثه الله تعالى إلى عاد الأولى وكانوا يسكنون الأحقاف ، والأحقاف جمع حقف وهي ديار عاد بحضرموت . في تفسير الأحقاف : ذكر المفسرون أقوالاً في ذلك منها، قال عطاء : الأحقاف رمال بلاد الشحر . وقال مقاتل: هي باليمن في حضرموت . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الأحقاف وادٍ بحضرموت يدعى برهوت تلقى فيـه أرواح الكفار [2] وقال قتادة : ذُكر لنا أن عادا كانوا حياً باليمن ، أهـل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر [3] .

أما سبب تسميتها بحضرموت فذكر ياقوت الحموي في « معجم البلدان »

---

(١) الأحقاف : الآية ٢٠ - ٢١ .
(٢) رواية علي عن قصة بير برهوت فيها نظر.
(٣) أنظر تفسيري ابن كثير والشوكاني .

أنها سميت بحضرموت بن يقطن بن عامر بن شالخ . وقيل : اسم حضرموت عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عبد شمس بن وائلة بن الغوث بن قطن ابن عريب ابن زهير بن أيمن بن الهَمَيْسع بن حجر بن سبأ وقيل: حضرموت اسمه عامر بن قحطان وإنما سمي حضرموت لأنه كان إذا حضر حرباً أكثر فيها من القتل فلقب بذلك : وهذا أنسب وأقرب فيما أرى ، وهو المشتهر في أوساط الحضارمة ، وقال أبو عبيدة : حضرموت بن قحطان نزل هذا المكان فسمي به ، فهو اسم موضع ، واسم قبيلة .

موقعها الجغرافي :

أما موقعها الجغرافي فهي تقع بين رمال الأحقاف شمالاً والبحر العربي جنوباً ، وما بين عين بامعبد غربا وسيحوت شرقاً وتبعد عن خط الاستواء بخمس عشرة درجة تقريباً شمال خط الاستواء و ٤٩ درجة طولاً شرقي جرينتش وهذا التحديد كان المتعارف عليه ، أما اليوم دخلت في الجمهورية الجديدة ، وأصبحت تعرف بالمحافظة الخامسة ولكن هذا لن يغير من اسمها الحقيقي المعروف من قبل الإسلام بالاف السنيين .

طرف من تاريخها قبل الاسلام :

وقد كانت حضرموت قبل الاسلام مجموعة محافد أو إمارات صغيرة يتولى شؤونها الأمير أو الملك وكانوا يسمون بالأقيال جمع قيل بفتح القاف ، وهو الأمير أو الملك ومن اشهر هذه المحافد أو الامارات شبام وهينن والشحر والعروض ودمون وعندل وفي ذلك يقول امرؤ القيس الكندي .

كأني لم أسهر بدمون ليلة ولم أشهد الغارات يوماً بعندل

وكان أصحاب المحافد يعرفون بالأذواء جمع (ذو) أي صاحب ، وقد ذكر نشوان بن سعد الحميري أسماءهم في قصيدة طويلة : مطبوعة مشروحة .

ويذكر قوم من الأخباريين أن حكم حمير كان للملوك منها ، ثم للأقيال وكان القيل يخلف الملك في مجلسه ، فيجلس في مكانه ويحكم فلا يرد حكمه

ومن هؤلاء الأقيال على زعمهم – المثامنة ، وهم ثمانية رجال كانوا من حمير وكايوا ملوكاً على قومهم وهم تحت نفوذ ملوك حمير ويسمون المثامنة وكان من شأنهم ألا يملك ملك من حمير الا بارادتهم ، وان اجتمعوا على عزله عزلوه [1] .

الدولة الحميرية :

كان الحميريون يقيمون في ريدان (ظفار) ولما ضعفت دولة السبأيين تغلب عليها الحميريون واستولوا عليها وحكموا ريدان وسبأ معاً ثم طمع الحميريون في حضرموت فاستولوا عليها وضموها إلى مملكتهم في عهد شمر يرعش ، وهكذا نجد أن بعض الملوك المعينيين والسبئيين والحميريين قـــد ضموا حضرموت إلى إلى مملكتهم فيما ضموه إليها من جنوب الجزيرة العربية ، وذلك في فترات متقطعة من التاريخ لم يقدر فيها أولوا الشأن في حضرموت على صد مطامع الأقوياء من هذه الدول ، والمصادر القديمة لا توضح كيف كان الصراع في هذا الاستيلاء وكيف كانت حضرموت تتخلص من قبضة هذا الاحتلال ؟ وفي نفس الوقت كان يحكم (معين وقتبان) ملوك من الحضارم وهذا يدل على أن الصراع كان على أشده بين ممالك الجنوب .

ويذكر بعض المؤرخين أن نظام الحكم في حضرموت في هذه الفترة كان يخالف نظام الحكم في اليمن فبينما الحكومة في اليمن وراثية تنتقل إلى الأبناء والأخوة ، كانت في حضرموت تنتقل إلى أول مولود في العائلة الملكية أثناء حكم الملك أثناء حكم الملك فعند الاحتفال بتولية الملك يرفع اليه خاصته قائمة بأسماء الحوامل من العائلة الملكية ، فيعين الملك لكل منهن امرأة تقوم بمراقبتها حتى تضع ، فأول نبيلة تلد غلاماً يأمر الملك بأن يعتني بتربيته ويقام بتهذيبه ، وإعداده للملك .

وكان الملوك ينقشون على النقود صورهم وأسماءهم وأسماء المدن التي ضربت فيها بالحرف المسند (الحروف الحميرية) وأحياناً قد يصور صورة الثور أو

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي ج ٤ .

الصقر أو البومة على النقود،وفي المتحف الأدبي بفينا عاصمة النمسا توجد مجموعة من تلك النقود الحضرمية، وأما الحروف العربيةفلم تكن تعرف في حضرموت إلا بعد ظهور الاسلام .

كندة قبل الاسلام :

لا يعرف بالضبط الزمن الذي استأثرت فيه كندة بالسلطة في البـــلاد الحضرمية وكل ما علم حتى الآن ، أن كندة كانت تطمع في فرض سيادتها على حضرموت وهذا ما حصل فعلاً عندما سنحت لهـا الفرصة بضعف الدولة الحميرية وانحلالها ، فقد أقامت حكمها على أنقاض هـــذه الدولة حتى جاء الاسلام وكندة صاحبة الطول والحول في البلاد الحضرمية ، فقـد مكنت لنفسها في أهم المناطق بحضرموت وقوت صلتها بمن يقرب منها من ملوك العالم فكان ملوك كثيرة يراسلون ملوك الروم واليمن ويغمرونهم بالهدايا النفيسة التي كان من أحسنها الخيل العربية التي كانت بكثرة في حضرموت الشرقية حيث الحشائش والأعشاب وفي ذلك يقول عمرو بن معدي كرب :

والأشعثُ الكندي حين سمالنا من حضرموت مجنّب الذكران
قاد الجياد على وجاهاً شُزّبا قبٌ البطون نَو أحل الأبدان

ويقول علي بن محمد الصليحي :

وألذّ من قرْع المثاني عنـــده في الحرب : ألجم ياغلام وأسرِج
خيل بأقصى حضرموت أُسُدها وزئيرها بـــين العراق ومَنبج

ومن أشهر ملوك كندة الملوك الأربعة وهم مِخوس ومِشرح وعَمد وأبضعه وأختهم العمرّدة وهم من بني عمر بن معاوية وكان لكل واحد منهم واد يملكه ومحجر خاص يقيم فيـــه ، وهؤلاء قتلوا في حروب الردة بحضرموت قتلهم زياد بن لبيد الأنصاري وكانوا قد ارتدوا .

وكان الأشعث بن قيس أمير بني الحارث بن معاوية ، ووائل بن حجر

أميراً على الشاطىء بالساحل وكان أمراء آخرون يقيمون في شبام ودَوعن وعمد ، وجِرْوان ، وغيرها من مناطق الساحل والداخل .

ومن قبائل كندة المشهورة : تُجيب ، والصدف والسكاسك والسكون والعِباد وبنو بدا وبنو معاوية .

ومن منازلهم المشهورة قبل الإسلام وبعده (دمّون) وهي احدى مدينتي الهَجْرَين و (النُّجَير) وهو حصن عظيم تحصنت فيه كندة في حروب الزدة مع زياد وهو يبعد عن مدينة تريم بنحو أربعة أميال شرقاً ، وقيل قريب من (العبر) حيث تكثر كندة هناك ، و (قشاقش) وكانت تسكنها الصدف ومن المدن الصدفية أيضاً (هدون) وفي (رخبة) درب يقال له سرر بني نعيم من تجيب ، ولهم فيه قرى كثيرة .

ومن منازلهم (سدية) قرية محمد بن يوسف التجيبي و (حورة) كانت مدينة عظيمة لبني حارثة الكنديين وفي ريدة الصيعر ، من بلحارث بن كعب وإليها تنسب الابل الصَّيعرية في حضرموت، وهي قبيلة من الصدف و(هينن) التي ذكر الهمداني أن في أعلاه حصناً للحصين بن محمد التجيبي ويسكنها بنو بدا وبنو سهل من تجيب .

الاسلام في حضرموت :

جاء الاسلام العظيم وكندة هي صاحبة الحول والطول في حضرموت لا توجد قبيلة تقاومها أو تنازعها ، وكانت الوثنية هي دين الأغلبية السائدة في البلاد كغيرها من بلاد العرب،وربما وجد من يعتنق اليهودية أو النصرانية . ولما بزغت شمس الاسلام وظهرت رسالة الله في الأرض ، وأخذت الدعوة تنتشر في مكة المكرمة وتحول الرسول (ص) الى المدينة المنورة بدأت تأتي اليه الوفود من كل مكان ، ومن الوفود وفد حضرموت في السنة العاشرة من الهجرة من كندة برئاسة الاشعث بن قيس الكندي ، وقد كان هذا الوفد على جانب كبير من حسن الهيئةوقد قابلهم الرسول صلى الله عليه وسلم أحسن مقابلة كما يقابل أمثالهم من الوفود العربية :

قال ابن اسحاق قدم على رسول الله (ص) الأشعث بن قيس في وفد كندة فحدثني الزهري أنه قدم في ثمانين راكباً من كندة فدخلوا على النبي (ﷺ) في مسجده قد رجلوا جممهم ، وتكحلوا ، عليهم جُبَبُ الحبرة قد كففوها بالحرير ، فلما دخلوا على الرسول (ﷺ) قال لهم : ألم تسلموا ؟ قالوا بلى قال : فما بال هذا الحرير في أعناقكم ؟ قال فشقوه منها فألقوه ، ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار . قال : فتبسم رسول الله (ﷺ) وقال : « ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحرث » وكانا تاجرين إذا شاعا في العرب فسئلا ممن أنتما ؟ قالا نحن بنو آكل المرار : ينتسبان إلى كندة ليعزا في تلك البلاد ، لأن كندة كانوا ملوكا فاعتقدت كندة أن قريشاً منه ، لقول عباس وربيعة : نحن بنو آكل المرار : ثم قال النبي (ﷺ) « لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا امنا ولا تنتفي من ابينا » اي لا ننتسب إلى امنا ونترك الانتساب إلى أبينا ، وذلك أنه (ﷺ) له جدة من كندة يقال لها أم كلاب بن مرة، فقال لهم الأشعث بن قيس عند ذلك : والله يا معشر كندة لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضربته ثمانين ، — أي الكلمة التي كانوا يقولونها : نحن بنو آكل المرار ، وأنت ابن آكل المرارة ، وجاءت وفود أخرى من حضرموت ومن أشهرها وفد وائل بن حجر الحضرمي ، وقد بشر الرسول (ﷺ) اصحابه به قبل قدومه بقوله « ياتيكم بقية ابناء الملوك » قال ابن الأثير في كتابه « أسد الغابة) في ترجمة وائل قال : فلما دخل عليه — رحب به النبي (ﷺ) وأدناه من نفسه وقرب مجلسه وبسط له رداءه وأجلسه عليه مع نفسه وقال : « اللهم بارك في وائل وولده» وأصعده (ﷺ) على منبره وقال « هذا وائل الأقيال » وبعد هذه المقابلة الكريمة الحارة التي قابل بها الرسول (ﷺ) وائلاً أقام مدة في المدينة فلما أراد الرجوع إلى حضرموت كتب معه الرسول (ﷺ) ثلاثة كتب ، أخرج الطبراني في معجمه والحافظ ابن حجر في « الاصابة » بسندهما عن وائل قال : لما أردت الرجوع إلى قومي أمر لي رسول الله (ﷺ) بثلاثة كتب ، كتاب خاص لي فضلني فيه على قومي ،

قبيلة جهينة

- ١٥ -

تفرق جهينة بعد ظهور الأسلام :

نجهل الكثير من أحوال القبائل العربية في العهد الجاهلي لعدم توفر الكتب التي توضح لنا ذلك ، ولا نجد فيما بين أيدينا سوى عبارات موجزة ، ومن ذلك عن القبيلة التي نتحدث بصددها: ان بني اسماعيل كانوا يؤرخون بخروجها هي واخوتها سعد ونهد ، من تهامة حتى مات كعب بن لؤي فأرّخوا من

وكتاب لي ولأهل بيتي بأموالنا هناك وكتاب لي ولقومي والكتاب الأخير يتضمن بعضاً من أصول الأحكام وتكثر فيه اللهجة الحميرية ، وملخصه : — بعد البسملة — :

من محمد رسول الله إلى الأقيال العباهلة الأرواع المشابيب بحضرموت في التيّعة شاه غير مقورة الألباط ولا خناك ، وأنطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ، ومن زنا ممبكر فاصفعوه مائة ، واستوفضوه عاماً ، ومن زنا ممثيّب فضرجوه بالأضاميم ، ولا توحيم في الدين ولا غمّة في فرائض الله تعالى ، وكل مسكر حرام ، ووائل بن حجر يترفل على الأقيال .

المدينة المنورة : صالح بن سعيد بن هلابي
الجامعة الاسلامية

المصادر — :

(١) الزرقاني المالكي في « شرح المواهب اللدنية » ج ٤ ص ١٧٤ .
(٢) القلقشندي في كتابه « صبح الأعشى » ج ٦ ص ٣٧١ و ج ٢ ص ٢٤٦ .
(٣) النويري في « نهاية الأرب » ج ١٨ ص ١١٣ .
(٤) القاضي عياض المالكي في كتابه « الشفاء » ص ٥٩ .
(٥) والسيرطي في « مناهل الصفاء تخريج أحاديث الشفاء » ص ١٠ .
(٦) ابن عبد البر في « الاستيعاب » في ترجمة وائل ج ٣ ص ٦٠٥ .
(٧) الحافظ بن حجر في « الاصابه » في ترجمة المهاجر ج ٣ ص ٤٤٥ .

موته [1] ، مما يدل على أن خبر انتقالها من تهامة إذا صح انها كانت تسكن تهامة، كان ذا أثر كبير في نفوس القبائل العربية التي تسكن تلك البلاد ، غير أننا نشك بان تكون تهامة هي الموطن الأول للقبائل العربية ، وان وجدنا كثيراً من المؤرخين يقولون به وليس هذا موضع التفصيل .

ولما جاء الاسلام انساحت قبائل الجزيرة في مختلف البلاد مع الجيوش الاسلامية لفتح تلك البلاد ، ومن ذلك قبيلة جهينة ، فقد تفرقت وانتشرت في معظم الأقطار الاسلامية . قال العلامة ابن خلدون وهو يتحدث عن قبيلة قضاعة ومنازلها : (فجهينة ما بين الينبع ويثرب إلى الآن في متسع من برية الحجاز ، وفي شماليهم إلى عقبة ايلة مواطن بلى ، وكلاهما على العدوة الشرقية من بحر القلزم وأجاز منهم أمم إلى العدوة الغربية ، وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة ، وكثروا هنالك سائر الامم ، وغلبوا على بلاد النوبة ، وفرقوا كلمتهم ، وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة ، فأرهقوهم إلى هذا العهد [2] .) قال هذا بعد أن نقل عن ابن سعيد أنهم كانوا في جنوب الجزيرة ثم ساروا إلى الحجاز .

ومما يلاحظه الباحث عن تنقل القبائل العربية أن سكان الحجاز وسكان جنوب الجزيرة ، لا يزال لهم بقية في أماكنهم القديمة ، بخلاف من يقطن قلب الجزيرة من القبائل ، ولعل هذا يرجع إلى عاملين: أحدهما مناعة تلك الجهات التي لم يهاجر منها سكانها بالجملة ، والعامل الثاني:خصوبتها بحيث وجد سكانها بالبقاء فيها ما يرغبهم ويقوي تماسكهم وبقاءهم فيها ، وهكذا الحال في قبيلة جهينة ، ففي وسطها تمتد سلسلة من الجبال المنيعة ذات الأودية الخصبة التي تنحدر من تلك السلسلة مشرقة إلى البحر ومغربة إلى جهات المدينة وما بقربها من الأماكن ، ولهذا بقيت القبيلة محافظة على مساكنها القديمة مع تفرق أجزاء منها ، أكثرها في البلاد الواقعة بقرب منازلها القديمة في جهات مصر والسودان والحبشة لوقوع هذه البلاد قريبة من بلاد جهينة الأصلية ، مع

---

(١) « تاريخ ابن الأثير » ج ١ ص ١١ .

(١) « تاريخ ابن خلدون » المجلد الثاني ص ٥١٦ ط ـ بيروت .

انتشار أقسام أخرى منها في العراق وفي الشام وفي شرق البلاد الاسلامية التي دخلت في حوزة الاسلام في أول فتوحه .

في العراق :

انضوى عدد غير قليل من جهينة تحت راية الجيش الاسلامي عند غزو العراق في أول الفتح الاسلامي ، واستوطن بعضهم الكوفة حتى أصبح في هذه المدينة محلة تعرف باسم (جهينة) ، وذكر ابن الكلبي : ان بني الربعة من جهينة استوطنوا الكوفة [1] .

واستقرت البصرة من جهينة قسم كبير لهم فيها محلة تسمى بهم وإليها ينسب معبد بن خالد الجهني أول من تكلم في البصرة بالقدر وقتله الحجاج لبدعته ، وكان نزل في هذه المحلة فنسب اليها وليس من جهينة .

وفي نواحي الموصل قرية كبيرة تقع على دجلة هي أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل ، وعندها مرج يدعى مرج جهينة نسب اليه بعض المشاهير ممن ليس من القبيلة [2] .

وفي بلاد طبرستان قلعة حصينة مكينة عالية في السحاب حسب تعبير ياقوت تسمى جهينة .

وفي الشام :

ونقصد بالشام المدلول اللغوي القديم الذي يشمل القطر من الحجاز إلى بلاد الروم . في هذا القطر انتشرت أقسام من جهينة منذ بدء الفتوحات الاسلامية . فقد ذكر المؤرخون ان عمرو بن مرة الجهني صاحب رسول الله (ﷺ) وهو من رفاعة أنه سكن دمشق ثم سكنوه بنوه من بعده [3] .

وذكر ابن فضل الله العمري في كتابه « مسالك الأبصار » ان بمدينتي

---

(١) « نسب معد واليمن الكبير » ص ٥٣١ مخطوطة الاسكوريال .
(٢) « معجم البلدان » مادة جهينة و « اللباب » لابن الاثير .
(٣) كتاب « النسب » لأبي عبيد - مخطوط .

حلب وحماه قوم من جهينة .

وأشار الدكتور (احسان النص) إلى أن حوران والجولان من منازل جهينة[1]

ولا يزال في بلاد فلسطين وشرق الأردن بعض البطون التي يعود أصلها إلى جهينة كعشيرة المشاعلة[2]، التي ينتسب اليها الجرادات، المعروفون في فلسطين.

في بلاد مصر :

وعندما توجه عمرو بن العاص (ض) لفتح مصر في أول عهد الاسلام انضم إلى جيشه فريق من جهينة مع خليط من القبائل الأخرى ويقول ياقوت في « معجم البلدان » ما هذا نصه : (الراية محلة عظيمة بفسطاط مصر ، وهي المحلة التي في وسطها جامع عمرو، وانما سميت الراية لأن عمرو بن العاص لما نزل في الفسطاط لمحاربة الحصن ، كان في صحبته قبائل كثيرة واختطت كل قبيلة خطة بارض مصر ، معروفة بهم إلى الآن ، وكان في صحبته قوم من قريش والانصار وخزاعة وغفار واسلم ومزينة واشجع وجهينة وثقيف ودوس وعبس وجرش والليث بن بكر ، والعنقاء ، فلم يك لكل بطن من العدد ما ينفرد به بدعوة في الديوان، وكره كل بطن أن يدعى باسم قبيل غيره ، وتشاحوا في ذلك ، فقال عمرو : فانا نجعل راية ولا ننسبها إلى واحد منكم ، ويكون موقفكم تحتها وتسمون منزلكم بها فأجابوه إلى ذلك ، فكانت الراية لهم كالنسب الجامع ، وكان ديوانهم عليها ، واختلطوا كلهم في موضع واحد فسميت هذه الخطة بهم) . اهـ .

وليس من المستبعد أن تكون صلة قبيلة جهينة بمصر قبل هذا العهد لمجاورة هذه البلاد لبلادهم ، وان يكون منهم اناس لم ينضموا إلى المسلمين عند محاصرة الحصن مع عمرو بن العاص (ض) ، ذلك ان الباحث يجد لهذه القبيلة في صدر الاسلام آثاراً قوية باستيلائها على كثير من الجهات ، مما يدل على كونها غير غريبة عنها ، مما سيأتي ايضاح طرف منه .

للحديث صلة

---

(١) « العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي » ص ٢٣٦ .

(٢) « الجزيرة العربية » لمصطفى الدباغ ج ١ ص ٨٢ .

أحاديث :

حول تراثنا المبعثر في مكتبات العالم

- ٦ -

في مكتبة راغب باشا

وتقع مكتبة راغب باشا بقرب (ميدان بايزيد) على يسار الذاهب منه إلى (آق سراي) ومؤسسها هو الوزير العالم (محمد راغب باشا)في منتصف القرن الثاني عشر الهجري ، وقد كان والياً لمدينة « حلب » في الشام ، فجمع اثناء ولايته كتباً مخطوطة كثيرة فيها كثير من النوادر ، التي كان حريصاً على جمعها .

كنت زرتها في ٦ – ٩ – ١٩٦٥ – ومن نوادر مخطوطاتها التي طالعتها :

١ – مختصر « جمهرة النسب » ، والمختصر بكسر الصاد غير معروف ، والأصل لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (٢٠٤ هـ) وقد وضع اسمه في الفهرس « التبيين » برقم (٩٩٩) اذ في طرة الكتاب بيان يتضمن اسماء الكتب التي نقل عنها المختصر في الهوامش ، ومنها كتاب التبيين لابن قدامة ، وقد كتب اسم الكتاب بصورة ابرز من اسماء الكتب الأخرى ، وأضيف الى اسم مؤلفه ثناء وأوصافا ، فبدا اسم الكتاب بارزاً فتوهم واضع الفهرس أنه الاسم الحقيقي لذلك المختصر ، ويقع في مجلد ضخم ، وخطه من اتقن الخطوط واوضحها وأدقها ، وقياس الصفحة ٢٧ × ٣٧ سنتيمترا .

وقد وصفت هذه النسخة في مقال نشرته مجلة «المجمع العلمي العربي المجلد ٢٧ من ص ٤٠ إلى ٥١ منذ بضع عشرة سنين.

٢ – كتاب «أوضح المسالك في معرفة البلدان والممالك» ، تأليف محمد بن علي الشهير بسباهي زادة ، المتوفي سنة ٩٩٧–من ادباء الأتراك، ذكر صاحب

كشف الظنون في الكلام على كتاب « تقويم البلدان » لصاحب حماة ، أن ابن سباهي زاده ، رتبه على الحروف ، وأضاف اليه ما التقطه من المصنفات ليكون اخذه يسيراً ، ونفعه كثيرا ، وسماه « أوضح المسالك » واهداه الى السلطان (مراد خان الثالث) ، وفرغ منه في رجب سنة ٩٨٠ هـ ثم نقله إلى التركية باختصار ، واهداه للوزير محمد باشا .

والنسخة الموجودة في مكتبة راغب باشا مخطوطة سنة ١٠٩٥ وتقع في ١٨٥ ورقة (٢٧٠ صفحة في الصفحة ٢١ سطراً) .

وفي مكتبة « نور عثمانية » نسخة أخرى رقمها « ١٦٩٣ » .

ومما نقلته من هذا الكتاب :

قال في الورقة « ١٨٥ » عن اليمامة .. واخبرني من رآها في زماننا هذا أن بها أناسا قليل ونخيل (؟) واخبرني حديثة بن عيسى — وهو ممن أقام باليمامة عدة سنين — قال : اليمامة لها واد يسمى الخرج وهو أسفل الوادي ، وبقرب اليمامة عين ماء متسعة ، وماؤها يسرح . وقال في الكلام على «الأحساء» الورقة ٣٨ : « وليس للأحساء سور ، وبين الأحساء واليمامة مسيرة اربعة أيام وأهل الأحساء والقطيف يجلبون التمر الى الخرج وادي اليمامة ، ويشترون بكل راحلة من التمر راحلة من الحنطة »

وقال عن « جرش » الورقة ٨٦ : « جرش بفتح الجيم والراء .. وفي العزيزي : وجرش بلدة صالحة ، وحولها من شجر القرظ ما لا يحصى ، وبها مدابغ كثيرة » . وهو يقصد جرش الذي بقرب « بيشة » في اعلى واديها . ويقصد بالعزيزي كتاب «المسالك والممالك» الذي ألفه الحسن بن أحمد المهلبي ، للعزيز الفاطمي صاحب مصر ، ونسبه اليه .

٣ — كتاب « التذكرة الحمدونية » من رقم ١٠٨١ الى ١٠٨٥ ورقم ١٠٧٩ المجلد الاول من اول الكتاب الى الباب الخامس عشر منه نسخة قديمة الخط جداً تقع في ٢٥٥ ورقة .

المجلد الثاني من الباب الخامس عشر الى الباب الثلاثين (وهذا المجلد يتضمن الربع الثاني من التذكرة) ويقع في ٣٤٢ ورقة من القطع الكبير .

المجلد الثالث — من الباب الثلاثين إلى الخامس والأربعين ، ويقع هذا في ١٩٩ ورقة وخطه قديم .

المجلد الرابع — من الباب الخامس والأربعين الى الباب الخمسين (وهو آخر كتاب) ويقع في ٢٦٧ ورقة ، وهو قديم الخط ايضاً .

٤ — وفي المكتبة مجلد من كتاب (العقل والنقل) لشيخ الاسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى — رقمه (٧٢٧) والمجلد ناقص ، وقد كتب في أوله: (هذا الكتاب لابن تيمية من أعلم علماء الحنابلة — وبعد كلام يتعلق بترجمة الشيخ — هذه النسخة قد ملكناها ساقطة منها كراستان من آخرها ومن الأول ، أوان ولايتنا بحلب الشهباء سنة ١١٦٩ هـ فلعل الله يوفقنا للاتمام ... كتبه الفقير إلى آلاء ربه ذي المواهب ، محمد المدعو بين الوزراء بالراغب) . وكاتب هذا هو محمد راغب باشا مؤسس المكتبة ، والنسخة تقع في ٣٣٨ ورقة، ولها حواشي كتبت بوريقات الصقت في أماكنها من الكتاب،والحواشي اكمال لنقص في الأصل ، وتدل على أنه قوبل بنسخة أخرى أو ان المؤلف استدرك هذه الزيادات ، فزادها ، والخط قديم .

٥ — ومن معجم أبي عبيد البكري «معجم ما استعجم من أسماء المواضع» نسخة جيدة تقع في مجلد واحد يحوي ٢٩٤ ورقة من القطع الكبير ، بخط متقن واضح ، وكاتبها هو (احمد بن اقش الحراني ، في ثالث ربع الآخر من سنة تسع وعشرين وسبعمائة) وفي مكتبة (نور عثمانية) كتاب وضع اسمه في الفهرس « المعجم في لغات الأماكن » ورقمه (٤٨١٤) وحينما طالعته ظهر لي أنه معجم ابي عبيد هذا ، وتلك النسخة خطها مغربي ، منقولة عن نسخة مخطوطة في سنة ٥٩٧ وتقع في (٤٣٩) ورقة .

والكتاب مطبوع مرتين : مرة في أوربة بتحقيق المستشرق المعروف

(فردناند وستنفيلد) والأخرى في القاهرة بتحقيق الاستاذ (مصطفى السقاء) وقد كتبت استدراكات حول الطبعة الأخيرة في مجلة (الفتح) التي كان يصدرها في القاهرة الأستاذ محب الدين الخطيب وفي صحف أخرى [1] .

في (نور عثمانية كتبخانة) :

تقع هذه المكتبة في نهاية امتداد (سوق الحميدية) الذي يبتدىء من (ميدان بايزيد) المسمى بعد اسقاط حكومة مندريس بـ (ميدان الحرية) فالباب الثاني لهذا السوق العظيم يخرج على الجامع العظيم ، المسمى بذلك الاسم ، وبجواره المكتبة ، وهي من أحفل المكتبات بالمخطوطات .

كانت زيارتي الأخيرة لها في ٢٧ / ٩ / ١٩٦٥ . ولها فهرس مطبوع ، غير أنه لا يصح الاعتماد عليه ، وكثيراً ما تتفق فهارس مكتبات اصطنبول على الغلط ، فكتاب النواجي المعروف « حلبة الكميت » نجده في هذه المكتبة برقم (٣٧٧٠) منسوباً إلى كميت بن زيد الأسدي الكوفي ، كما رأيناه في المكتبات الأخرى ، ونسخة « الحلبة » هذه مخطوطة سنة (٨٦٣). ووضع الكتب من الفهرس في غـــير موضعها موجود أيضاً ، فمثلاً كتاب « محاسن المساعي ، في مناقب الاوزاعي » ذو الرقم (٢٥٧٦) — وهو في ترجمـة الامام الاوزاعي ، موضوع مع « كتب التصوف » .

طالعت في هذه المكتبة عدداً من المخطوطات الفها علماء من مكة المكرمة ، منها : —

١ — كتاب « البرق اليماني في الفتح العثماني » وقد مضى الحديث عنه ، ورقم النسخة في (مكتبة نور عثمانية) هو (٣٨٠٥٨) وقد نقل إلى اللغة التركية ، والنسخة التركية هي في المجموع ذي الرقم (٤٩٢٨) . والنسخة العربية مخطوطة سنة ١٠٠٣ هـ وهي كاملة حيث فتحت بـ (الفصل الخامس في عودة حضرة الوزير المعظم ، والقابودان المفخم ، بالعساكر المنصورة السلطانية ، إلى الأبواب العلية الخاقانية) وذكر في مقدمته أنه رافق سنان باشا في زمن الحج ، وقضى معه مناسك العج والثج) وانه هو الذي أمره

(١) كتب هذا في مجريط ٢١ شعبان سنة ١٣٨٥ — ١٤ / ١٢ / ١٩٦٥ م .

بتدوين هذا الكتاب ، ولكنه في هذه النسخة أهدي الكتاب إلى السلطان سليم خان بن سليمان .

ورأيت من مؤلفات قطب الدين الحنفي النهروالي المكي ، مؤلف هذا الكتاب « البرق » كتاباً آخر هو « دستور الاعلام » ورقمه في (مكتبة نور عثمانية) هو (٣٤١٤) . ومن هذا الكتاب نسخة في (مكتبة الحرم المكي الشريف) وأوله — في النسخة الموجودة في (مكتبة نور عثمانية) — : (الحمد لله الذي تفرد بما ليس لغيره من العزة والغنى — إلى أن قال — وبعد فهذا مجموع مختصر ، في فن التاريخ ... جعلته تأليفاً مستقلا في معناه ، ومدخلا لغيره من الكتب المطولات ... فان الباحث عن معرفة ترجمة شخص من أعيان هذه الامة كالجنيد ، وأبي طالب ، والجوهري ، وابن الحاجب ، من أرباب التصانيف ، والرشيد ، والمهدي ، والواثق من الخلفاء ، وسائر الاعيان على اختلاف طبقاتهم وتغاير أجناسهم ، فما لم يكن عنده معرفة باسم ذلك المطلوب واسم أبيه واسم جده ، ليتطلبه في كتب التراجم المرتبة على حروف المعجم ، أو معرفة بوفاته ليتطلبه في التواريخ المرتبة على السنين ، وإلا فيتحير في تحصيله ، فرتبت معارفه على حروف المعجم ، وقسمت كل حرف على خمسة أقسام ؛ القسم الأول : في من اشتهر باسم كمالك ، والجنيد ، والعجاج . والثاني : في من اشتهر بكنية كابي الأسود ، وأبي داود ، وأبي تمام . والثالث : في من اشتهر بنسب ، أو سبب ، أو لقب ، كالجوهري ، والحريري ، وقطرب ، وكراع النمل ، وذو النون ، وذو الرمة ، والرابع : في من اشتهر بابن ، كابي العربي ، وابن الاكفاني ، وابن دريد . والخامس : في من اشتهر بصاحب ، كصاحب الكتاب الفلاني ، أو البلد الفلانية وسميته (بدستور الأعلام بمعارف الأعلام) .

ثم بعد هذا النص ما هذا نصه : (يقول كاتب هذه الأحرف : ابراهيم ابن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحنفي ، الجنيني الأصل الدمشقي الدار : هذا آخر خطبة الكتاب ، وقد رأيت على أول الكتاب بخط العلامة الملا قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني (كذا) المكي ما صورته : استخرجه

من مسودة المؤلف وزاد عليه أشياء بحسب الاتفاق : احقر عباد الله تعالى قطب الدين محمد بن علاء الدين الحنفي . ا هـ فما كان من الأصل تركته على حاله ، وما كان من خط القطب كتبت تجاهه في الحاشية حرف (ق) فان أصل النسخة ليس بخط القطب ... وما زدت عليها كتبت تجاهه (هـ) وما زاد السيد السند .. ابراهيم بن السيد محمد الحسني نقيب الأشراف ، الشهير بابن حمزة الدمشقي جعلت له صورة (هب) وقد زاد صاحبنا الفاضل الشيخ زين الدين بن محمد البصري الدمشقي بعض شيء جزئي ، جعلت تجاهه حرف (ز) وقد كتبت كثيراً من المبيض له في نفس الترجمة ، وزدت التاريخ في كثير من التراجم ، لم يكن مكتوباً ، وكذلك زدت مكان (كذا) التكميل السطر والفائدة) ..

ان كتاب « دستور الأعلام » كما يفهم من مخطوطة (مكتبة الحرم المكي، الفه ابن عزم التونسي ، ثم زاد عليه زيادات القطب الحنفي. وجاءت زيادات الآخرين بعد ذلك .

ونسخة (مكتبة نور عثمانية) مخطوطة سنة (١١٤١ هـ) بالخط الفاسي الجميل وأوائل التراجم مكتوبة بالحمرة، وتقع في ٤٢٨ صفحة من القطع الصغير وسطور الصفحة ١٩ .

٢ — كتاب « تمثال الأمثال » تأليف جمال الدين ابي المحاسن محمد بن علي الشيبي المكي الشافعي ، وهو كتاب يحوي مجموعة من الأمثال العربية ، مرتبة على حروف المعجم مشروحة شرحاً واضحاً منقولاً عن متقدمي علماء اللغة والأدب ويضم كثيراً من الشواهد الشعرية ، أول كتاب بعد البسملة (الحمد لله المنزه عن المثل ، وله المثل الأعلى ، العلي الذي ما شاء صنع ، وما أراد فعل ... وأحمده أن جعل (أحمد) من جميع الخلائق أحمد ، وأشكره الذي اختاره من بين عباده لحفظ ملة (أحمد) وأشهد انه (خليفة) الله في ارضه (الناصر) لدينه ، ويلزم الشاهد أن يقول (أشهد) خلد الله ملكه الشريف — إلى أن قال —

(ناصر)الملك و(الخليفة) أحمد قدره في الملوك أعلى وأحمـــد

وبعد : فهذه أمثال ليس لها مثال ، وفوائد كالجواهر ، فريدة كاللآل أشار بجمعها من جميع السعادة مجموعة في إشارته) ..

وجاء في الورقة (٢ : الهمزة مع الألف : آمن من حمام الحرم ، هو في (المستقصى) و (ومجمع الأمثال) . وأنشد الزمخشري عليه ابياتاً ، وقد ذكر السهيلي في (الروض) أن في مسند البزار:أن الله تعالى لما أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار ، وأن ذلك مما صد المشركين عنه ، وأن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين . انتهى وقال كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية : —

ونحن بحمد الله نتلو كتابه حلولاً بهذا الخيف، خيف المحارم
بحيث الحمام آمن الروع ساكن وحيث العدوُّ كالصديق المسالم

الهمزة مع الباء الموحدة : ابدأهم بالصراخ يفروا) ثم شرح هذا المثل . واستمر يورد الأمثال على حروف المعجم ويشرحها .

وآخر الكتاب :(الواو : يوم بيوم الحفص المجور ، شرح المثل ثم قال : (وقال أبو علي القالي في الأمالي : سالت أبا بكر بن دريد عن المثل الذي تضرب العرب لمن جازى صاحبه بمثل فعله ، وهو قولهم : يوم بيوم الحفص المجور . فقال : أصل هذا المثل أن أخوين كان لأحدهما بنون ، ولم يكن للآخر ولد ، فوثبوا على عمهم فجوروا بيته ، أي القوه بالأرض ، فنشأ للأخر بنون ، فوثبوا على عمهم فجوروا بيته ، فشكا ذلك إلى أخيه فقال : يوم بيوم الحفص المجور . ومثل : ضرب بضرب ، وتجرار بتجرار . ثم كتاب « تمثال الأمثال »، تأليف الأمام العلامة ، الأديب الأوحد، قاضي القضاة جمال الدين أبي المحاسن محمد بن ابي بكر القريشي ، العبدري الشيبي المكي الشافعي رحمة الله عليه) .

ويقع الكتاب في ٣٦٤ صفحة ، سطور الصفحة ١٩ ـ والكتابة حديثة وليس فيها تاريخ .

ولمؤلف هذا الكتاب مؤلفات أخرى سأصف بعضها [1] .

جنوى ـ ايطالية ـ

ومن مؤلفات جمال الدين الشيبي المكي :

واطلعت في (مكتبة يوسف آغا) في مدينة (قونية) في تركية ـ وسيأتي الحديث عنها ـ على ثلاث رسائل في اللغة ، للعلامة جمال الدين الشيبي المكي ، في المجموع المرقم بـ (٢٥٩) .

١ ـ رسالة « المنهل المأهول ، بالبناء للمجهول » تبتدىء من صفحة (٣٦٤) وتنتهي في ص (٣٨٦) وآخرها : هذا آخر ما تيسر جمعه من الأفعال المسموعة بالبناء المجهول ... انتهى نقلها عن النسخة المنقولة مما وجد من خط مؤلفه .. المعلقة بخط مولانا الشيخ محمد بن أحمد الفيطى .

٢ ـ رسالة « تلذذ المحب بلذاته ، في من لقب بشيء متصل بذاته » ابتداؤها في المجموع من حيث انتهاء الرسالة المتقدمة ، وأولها ـ بعد البسملة (قال الشيخ ... جمال الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن أبي بكر القرشي العبدري الشيبي المكي الشافعي تغمده الله برحمته : الحمد لله الذي خلقنا في أحسن تقويم ، وجعلنا ـ وان كنا متأخرين ـ أفضل من كثير من أولى التقديم ـ إلى أن قال ـ وبعد فهذه أوراق ذكرت فيها من لقب بشيء متصل بذاته ، غير منفصل عنه ، كذي اللحية ، وذي الرقبة ، ونحوهما . وقد صنف العلماء في الأذواء كتباً حسنة ، لم أقف على شيء منها ، والمراد بالاذواء ما كان في أول لقبه (ذو) كما سبق ، والله الهادي) .

وتقع هذه الرسالة في ست صفحات .

٣ ـ رسالة « راحة المعنّى ، في محاسن الكلام المثنّى » .

تبتدىء من ص (٣٩٢) حيث انتهت الرسالة التي قبلها وتنتهي ص (٣٩٧)

---

(١) كتب هذا في (جنوى) ايطالية ـ .

أولها : (قال العلامة .. جمال الدين .. الشيبي رحمه الله : الحمد لله المنزه عن التثنية والتثليث : الأبيضان اللبن والماء ، ثم يسترسل في الحديث عن الأسماء المثناة – بدون خطبة .

وآخر الرسالة ، ص : ٣٩٧ : الفهدتان ، تثنية فهد لحمتان في زور الفرس ، ناتئتان ، مثل الفهدين . آخره والله أعلم ، وكان الفراغ من نسخته في يوم الأربعاء خامس شعبان سنة ٩٩٦ على يد ... محمد بن علي البختري نزيل مكة ..)

والكتابة بالخط الفارسي الدقيق ، وسطور الصفحة ١٩ سطراً .

ومن مؤلفات ابن مرشد العمري المكي :

ورأيت في مكتبة (نور عثمانية) نسخة من كتاب « براعة الاستهلال ، فيما يتعلق بالهلال » وكتب اسمه في الفهرس (أسماء الشهور والايام ، ورقمه (٣٦٧٤) ويحسن ايراد نبذة موجزة عن حياة المؤلف المحزنة ، لقد ولد الشيخ عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد العمري الحنفي بمكة المكرمة سنة٩٧٥ وبلغت به الأحوال إلى أن أصبح عالم الحجاز وقاضي مكة واعمالها ، وتولى كثيراً من الأعمال ، وكان منها أن تولى (ديوان الانشاء) لشريف مكة محسن بن الحسين سنة ١٠٣٤ فلما توفي هذا وتولى بعده أحمد بن عبد المطلب قبض على الشيخ في آخر شهر رمضان سنة ١٠٣٧ ونهب داره وأخذ ما فيها من كتب وغيرها ، وسجنه . وفي أحد الأيام أحضره يوماً إلى مجلسه فعاتبه أشد عتاب ، فأجابه المرشدي أحسن جواب (كما يقول صاحب الخلاصة) ثم أعاده إلى السجن . وقال للحاضرين : والله اني أعلم وأعتقد أنه من أفضل علماء زمانه ، وأتقى أهل عصره . ولكنه مع هذا القسم العظيم ومع هذه الشهادة بفضله وعلمه ابقاه في السجن ، بل استعمل معه من الوحشية ما لا يليق بالمجرم ، فلما كان يوم عيد النحر أمر بخنقه وهو في السجن وكان ذلك في سنة ١٠٣٧ هـ .

وللمرشدي مؤلفات في الحديث والفقه واللغة وغيرها من العلوم .

ومن سرد مباحث كتاب « براعة الاستهلال » يتبين موضوعه ، قال في مقدمته (... أجعل طريقة يستخرج منها غرة الهلال ، ويعرف بهـا أول الشهر الماضي والمستقبل والحال ، من أول سني الهجرة إلى آخر الزمان – إلى أن قال – وأضم إلى ذلك ما يتعلق بالشهر والهلال من مباحث ومقال ، وما يناسب ذلك من فوائد لها بهذا الميدان مجال ... مفصلاً ذلك إلى ثلاثة أبواب وخاتمة :

الباب الاول – في الشهر والهلال ، وما يتعلق بهما من مبحث ومقال .

الباب الثاني – في أسماء الشهور العربية ، وما يتعلق بالتاريخ من النكت الأدبية .

الباب الثالث – في أسماء أيام الأسبوع المعدودة ، وما في السنة من أيام وليال مشهورة مشهودة .

الخاتمة – في كيفية استخراج غرة الشهر من الدائـــرة ، وبيان طريقته الواضحه الظاهرة .

ويقع الكتاب في (١٥٠) صفحة سطور الصفحة ١٩ . وقد الف سنة ١٠٠٢ ثم بيضه مؤلفه سنة ١٠٠٥ في تاسع شعبان ، ويظهر أن هذه النسخة هي نسخة المؤلف .

وفي الكتاب – بالاضافة إلى مباحثه الفلكية وما يتصل بها – نقول أدبية تتعلق بمنازل القمر مما ورد في كتب الانواء عن متقدمي علماء اللغة والادب .

ابن الشيخ المرشدي :

وللمرشدي ابن عالم يدعى(حنيف الدين نجل الشيخ عبد الرحمن المرشدي العمري) اطلعت له على (تذكرة) في المكتبة الكتانية مكتبة الشيخ عبد الحي الكتاني (التي أضيفت الى الخزانة العامة) في الرباط . و (التذكرة) – كما هو معروف – كتاب يضم مباحث وفوائد مختلفة ، فهو كالمفكرة يدون فيها المرء ما يستحسن تدوينه للاستفادة والرجوع عند الحاجة ، وتذكرة ابن

المرشدي من هذا القبيل ، تضم ابحاثاً متفرقة من العلوم والمعارف لا يربط بينها رابط ، فنجد مثلاً الورقة ٢٩ : (نقلت من شرح المنظومة التصريفية لسيدي الوالد اطال الله عمره) مما يدل على أنه بدأ في تدوين (تذكرته) في حياة والده .

ونجد في الورقة : ١١٤ : (لجامعها لغز ، وكان نظمه في سنة ١٠٣٧ : —

أيا فضلاء العصر لا زال فضلكم يفوق ضياء البدر ،في منزل الغفر

— ثم أورد قصيدة في ٤٩ بيتاً — وقال : فأجابني عليها صاحبنا الفاضل. الملا علي بن الملا قاسم الشيرازي —واورد له قصيدة في ٢٩ بيتاً— وفي الورقة : (١٨٨ : قال شيخنا العلامة الشيخ عبد الملك العصامي) مما يدل على أنه من تلاميذ المؤرخ العصامي .

وينقل كثيراً عن (تذكرة) صلاح الدين الصفدي — وفي أثناء نقله عنه في الورقة (٢٩ : قال : وسألت شيخ الاسلام العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية — رحمه الله — سنة ثمان عشرة أو سبع عشرة وسبعمائة ، بدمشق المحروسة عن قوله تعالى : (وأُخر متشابهات) فقلت : المعروف بين النحاة ان الجمع لا يوصف إلا بما يوصف المفرد من الجمع بالمفرد من الوصف . فقال : كذا هو . فقلت : ما مفرد (متشابهات) ؟ قال : (متشابهة) . فقلت : كيف تكون الأية الواحدة في نفسها متشابهة ؟ وانما يقع التشابه بين الآيتين، وكذا قوله تعالى : (فوجدا فيها رجلين يقتتلان) وكيف يكون الرجل يقتتل مع نفسه؟ فعدل بي من الجواب إلى الشكر ، وقال : هذا ذهن جيد ، ولولا زمني سنة انتفعت — انتهى) .

وتقع (تذكرة) ابن المرشدي في ١٩٩ ورقة (٣٩٨ صفحة في الصفحة من السطور ٢٦ بخط دقيق ، تعليق) . [1]

في مكتبة (نور عثمانية) :

وطالعت في مكتبة (نور عثمانية) في اصطنبول ، كتاب « فوائد النيل،

---

(١) كتب هذا في مدينة ميلان (ميلانو ؛ ايطالية) .

بفضائل الخيل » تأليف علي بن عبـــد القادر الطبري – من بيت الطبري المعروف بالعلم في مكة ، و لذي كان يطلق اسمه على سوق من أسواقها في أعلى المدعى ، يعرف الآن باسم (زقاق ملائكة) .

والكتاب برقم (٤١٣١) وهي نسخة المؤلف التي أهداها لأحد أمراء مكة ، وقد كتب في طرتها ، داخل دائرة منقوشة : (خدمت به جناب السيد الذي حاز صفتي الكرم والبسالة ، وحوى صفات المجد الاثيل بطريق الوراثة والاصالة ، الملاحظ بعين العنايـــة في السر والعلن ، مولانا وسيدنا الشريف ثقبة بن عبد الله بن الحسن . أطال الله عمره واكفه شر ما أهمه) .

وذكر المؤلف في المقدمة أنه لخصه من صدور كتب الحديث الصحيحة ، وقال : (ورتبته على ثمانية مقاصد) :

المقصد الاول : الخيل قيل جمع ، مفرده خال ...

المقصد الثاني : وصف الله ملائكته بكونهم (مسومين) .

المقصد الثالث : في الأحاديث والآثار الدالة على فضلها ..

المقصد الرابع : في بيان ما يحتاج اليه من معاني بعض هذه الأحاديث .

المقصد الخامس : في المسابقة على الخيل .

المقصد السادس : في المناضلة وهي الرمي بالسهام .

المقصد السابع : في خيل النبي ﷺ .

المقصد الثامن : فيما أشار اليه الشعراء في أشعارهم من أوصاف الخيل .

وأوله – بعد البسلمة – (الحمد لله الذي أصعد صهوة العلياء من ذب عن حمى حرم دينه) .

ويقع في مجلد صغير الحجم ، تبلغ صفحاته (٦٤) سطور الصفحة (١٥) والخط مقروء وان كان غير جيد ، وقد ملك النسخة (الشيخ أبو بكر بن الشيخ عبد الوهاب بن ظهيرة) وآل ظهيرة من علماء مكة المعروفين .

وطالعت كتاباً في خواص الأحجار ، وضع اسمه تحت رقم (٣٧٠٧) – في كتب الادب (تحفـــة العجائب) ولم يذكر اسم مؤلفه ، وظهر لي من مطالعته أنه ليس كتاب (تحفة العجائب) لانه ينقل عن هذا الكتاب في الورقة الخامسة ، والورقة الرابعه عشرة ، ثم رأيت الاستاذ محمد الصفائحي نبه على هذا الغلط في ملاحظة كتبها في أوله .

وأول هذا الكتاب : (الحمد لله العزيز الغفار ، الواحد القهار – إلى أن قال المؤلف – أما بعد فهذا كتاب وضعته في خواص الأحجار ، يحتاجه كل ذي لب ، من ذوي المقدار ، ليعرف ما فيها من النفع وما فيها من الاضرار ، وذكرت فيه ستين حجراً في ثلاثين باباً ، ومنها ثلاثون حجراً في باب واحد ، وهو خاتمة الكتاب) .

ثم قال (الباب الاول في الياقوت) – الورقة الثانية – .

وقال : (البلخش : يؤتى به من بلاد العجم ، ويسمى بلخشان ، وأما الياقوت فإنه يؤتى به من جزيرة خلف سرنديب ، بأربعين فرسخاً ، من جبل يسمى الراهون ، تنزله الرياح والسيول ، والبلخش يخرج من معدن من بلخشان ، – الورقة الرابعة –

(والعقيق حجر يؤتى به من معدن بقرية تسمى ملص، بين ذمار وصنعاء واليمن) ووضع الكاتب فوق ميم(ملص) ضمة وفتحة فوق اللام – الورقة التاسعة – .

(الدهنج : حجر أخضر كالزبرجد ، يتولد من بخار النحاس ، وكذلك اللازورد ، والشادية ، وجميع الاحجار النحاسية) – الورقة ١٤ –

(الجماهان : وهو حجر أسود حديدي ، يضرب إلى حمرة ، ويسمى حجر الصرف ، واليشم ، ويسمى اليشب ، واليضب أيضاً ، وهما حجران يتكونان من معدن الفضة) وقال في الورقة الـ ٢١ : (حجر التنكار :جنس من الملح ، يعين على سبك الذهب ويلينه) .

وختم الكتاب بجملة خرافية – وهكذا كتب الخواص يكثر التخريف

فيها ، فقال (باب حجر فيلقوس : هو كثير التلون ، ويلمع بالليل كالمرءاة ، ما كان بموضع الا هرب منه الجن والوحش ، وسائر الهوام ، باذن الله تعالى . ثم الكتاب بعون الله تعالى ، فله الحمد على ذلك والثناء الجميل) .

تقع النسخة في ٤٥ صفحة من القطع الصغير ، وسطور الصفحة (١٣) والخط مشكل الحروف ولكنه ليس بقديم ، ويظهر أن الناسخ يمني ، فهو يعنى بضبط بعض أسماء البلدان اليمنية .

ان المؤلفات التي تتعلق بالمعادن قليلة بين مؤلفاتنا العربية ، والموجود منها كثيراً ما حشي بالخرافات باستثناء مؤلف البيرونى ، وكتاب (الجوهرتين) للهمداني ، وكتاب (ابن ساعد الانصاري) .

وهذا الكتيب تحسن اضافته إلى هذه الكتب ، وهذا ما دعا إلى نقل جمل منه ، قد تعين على معرفة مؤلفه ، وتبين مقدار فائدته .

ورأيت في (مكتبة نور عثمانية) نسخة (خزائنية) من كتاب (الممالك والمسالك) لابي عبيد البكري ، ويقصد واصفو المخطوطات بـ (الخزائنية) المكتوبة برسم خزانة ملك أو أمير ، فتزين طرتها وتزوق ويكتب فيها اسم من كتبت النسخة له . وتلك النسخة من (الممالك والمسالك) كتبت : (برسم الجناب العالي السيفي جانم داوادار المقر الاشرف الكريم العالي الاميري الكبير تمرباش ، رأس نوبة النوب الملكي الظاهري) وهذا أحد امراء المماليك في مصر ، والنسخة مخطوطة سنة ٨٥١ بالخط النسخي المشكل الحروف ، في ٤٩٢ صفحة .

وقد طبع قسم من هذا الكتاب ، وفيه مباحث مفيدة عن بلاد العرب ، ففي الورقة (٢١١) نجد فصلاً عنوانه : ذكر ما خصت به جزيرة العرب : — ذكر اللؤلؤ ثم قال : والزبرجد يوجد في جزيرة بين العويند والحوراء ، وتسمى تلك الجزيرة زبرجدة . والعقيق يكون ببلاد العرب . والشب لايعدل باليماني منه شيء) وقال عن (صنعاء) الورقة ٢١٢ : (وصنعاء لا تمطر في حزيران وتموز وآب وبعض أيلول ، ولا يمطرون الا بعد الزوال في أغلب الامر ، يلقى الدُّجُلَ في نصف النهار والسماء مصحية ليس فيها طحوية ،

فيقول : أعجل قبل أن تصيبنا السماء لانهم قد علموا أنه لا بد من المطر في ذلك الوقت . انتهى ومثل هذا الكلام أورده ابن خرداذبة — وهو قبل البكري بقرن ونصف — في كتابه (المسالك) .

وقد ذكر البكري في كتابه هذا مدن اليمن الشهيرة،وبلاد عمان ، وأورد فصلاً عن بلاد البحرين وعن القرامطة — ذا فائدة كبيرة — وتحدث باسهاب عن مكة وعن المدينة . ويحسن أن نورد بعض ما جاء في هذا الكتاب في وصف طريق الحج من المدينة إلى مصر ، لأن جل من وصف ذلك الطريق من المتأخرين استقى من كتاب البكري هذا — قال في الورقة الـ ٢٤٣ : (من مدينة النبي عليه السلام إلى مصر على الجادة : من المدينة إلى تعا ذي خشب، إلى السويداء ، إلى المروة ، إلى سقي يزيد إلى بدا يعقوب ، إلى ضبا ، إلى الشبك والصلا ، إلى عينونة ، الى مدين ، إلى اشراف البعل ، إلى وادي الغراب ، إلى حقل ، الى المدينة اغله ، إلى بطن نجد ، إلى قبر ابي حميد ، وهو القباب وهو القلزم ، إلى جب عميرة ، إلى مصر . وضبا : مرسى للسفن وفيه آبار عذبة ، وشجر المقل فيه كثير ، وبين ضبا وبين مدين جبال شامخة متكاثرة ، وبقرب مدين البئر التي استقى منها موسى عليه السلام ، قد بني عليها بيت من صخر ، فيه قناديل معلقة ، وبها كهف يسمى كهف شعيب ، وهو الذي يؤوي اليه غنمه فيما ذكروا — وفي الجبل الذي بين ضبا وهو الكهف ، بيوت منقورة في صخر ، قد حفر في البيوت قبور ، وفي تلك القبور عظام نخرة ، كأمثال عظام الأبل كبرا ، مقدار كل بيت عشرون ذراعاً ونحوها ، ولتلك البيوت روائح خبيثة لا يدخل الداخل فيها أو يمسك بأنفه ، من شدة النتن ، يقال انه لما أخذهم عذاب يوم الظلة دخلوا فيها فهلكوا . وبقرب هذه البيوت وما يليها تلال تراب عظيمة ، قيل انها كانت مواضع عامرة ، فخسف بها . ومع يهود مدين كتاب يزعمون أن النبي ﷺ كتبه لهم ، وهم يظهرونه للناس حتى الآن ، وهو في قطعة من أدم ، قد اسودت لطول الزمان ، إلا أن خطها بيّن ، وفي آخرها : (وكتب علي بن أبي طالب غير وقيل انه بخط معاوية أبي سفيان . وتستمر من مدين في

مَعَ القُرَّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

النضر بن الحارث قرشي وليس ثقفياً

كتب الأستاذ الفاضل عبدالله الماجد بحثاً قيماً عن الحارث بن كلدة طبيب العرب في مجلة العرب الغراء العدد السابع من اسنة الثانية ص ٦٠٤ جـــاء فيه ما يلي :

(النضر بن الحارث بن كلدة ابن خالة النبي ﷺ خلف أباه في الطب وكان النضر ذا علم بالطب لا يقل عن أبيه وقد سافر كابيه لتعلم الطب) .

وقال بعده : (واطلع على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة وتعلم من أبيه ما كان يعلمه من الطب) .

١ — قلت الصواب أن النضر بن الحارث عبدري قرشي لا ثقفي [١] .

٢ — لم ينص ثقات المؤرخين على أن النضر كان طبيباً أو يتعاطى الطب !

وقـــد وهم العلامة ابن أبي اصيبعة في (طبقات الأطباء) حيث نسب النضر إلى الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي . الطبيب المشهور وعلاوة على هذا منحه الخبرة بالطب [٢] والثبت أن النضر لم يكن طبيباً البتة أما الشيء المؤكد فهو أنه تلقى بعضاً من أساطير وقصص قدماء الفرس لنا هضة الرسول صلى الله عليه والدعوة الاسلامية الكريمة .

جبال شاهقة حتى تفضي إلى جبل شامخ يمين عن الطريق ، فيه كوّة ، وفي دره في الصخر حيث لا يصل واصل ، ولا يرقى راق ، ويزعم اعراب تلك الناحية انه كان بيتاً لساحرة كانت تأوي اليه — فلا تزال تسير والجبال عن يمينك ، والبحر عن يسارك ، حتى تفضي إلى فرجة كالباب ، تسير إلى أيلة ، وهي قرية كبيرة) اهـ [١] .

---

(١) كتب هذا مدينة رومية (روما غرة رمضان المبارك سنة ١٣٨٥) ١٩٦٥/١٢/٢٣م

قال العلامة ابن هشام : (كان النضر بن الحارث من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم أحاديث رستم واسبندیار فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه مجلساً فذكر بالله وحذر قومه مما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال : انا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه فهلمّ إليّ ثم يقول : بماذا محمد أحسم حديثاً مني ..؟ الخ) [٣] .

كما وصف بأنه من زنادقة قريش [٤] .

(٣) وجاء بعده (وقد رثته أخته قتيلة بنت الحارث . قيل انه أكرم شعر موتور واعفه .. الخ)

لقد ذكر بعض المؤرخـــين أن قتيلة هي أخت النضر كما أشار الأستاذ الفاضل .

إلا أن السهلي رجح أن قتيلة هي ابنته معقباً على ما ذكره ابن هشام [٥].

وكذا العلامة ابن عبد البر ذكر أنها ابنته [٦] .

ومثله العلامة ابن حجر الذي يعتبر حجة في معرفة الأعلام [٧] .

مكة المكرمة — **هادون العطاس**

المصادر :

(١) نسب قريش لمصعب الزبيري ص ٢٥٥ ط دار المعارف .
جمهرة ابن حزم ص ١٢٦ ط دار المعارف تحقيق الاستاذ عبد السلام محمد هارون .
تاريخ اليعقوبي ج ٢/٦٦ ط دار صادر .
(٢) طبقات الأطباء لابن أبي اصيبعة ج ١ ص ١١٣ وما بعده ط الوهبية .
(٣) سيره بن هشام ج ٢/٣٠٠ تحقيق الاستاذ مصطفى السقاء وأصحابه .
(٤) المحبر ص ١٦١ المنمق ص ٤٨٨ لمحمد بن حبيب ط حيدر اباد دكن .
(٥) الروض الأنف للسهيلي ج ٢/١١٩ ط عام ١٣٣٢ .
(٦) الاستيعاب ج ٤/٣٧٨ هامش الاصابة ط محمد مصطفى .
(٧) الاصابة ج ٣/٣٧٨ ط محمد مصطفى .

حول الشعر

[علق الاستاذ حمد الزيد على ما جاء في المجلة ص ٥٣٥ عن الشعر بتعليق ضاف نلخصه فيما يلي :]

[ان الشعر لدي ، موهبة ، بذرة توضع في التربة الصالحة بالثقافة والوعي الحر .. تسقيها النبضات الوجدانية المتوقرة ، وتجنحها الموسيقية المصعّدة ، قبل أن يكون قوافي وبحوراً ولججاً ! وقبل أن يكون له (جلاد) كالخليل بن أحمد — رحمه الله — : ولا يكفي — في رأيي المتواضع — أن نصرّ على ما جاء به الأسلاف ، لأن التجديد في جوانب حياتنا المختلفة — كما تعلمون — أمر تحققه حتمية التاريخ إن قصرنا عن تحقيقه؛وويل لنا إن تحكم فينا التاريخ ولم نستطع التحكم فيه وتوجيهه ، وأرى — بتواضع أيضاً — أن الوفاء لتراث الاسلاف ليس في نبشه وإبرازه وصقله — فحسب — بل وفي جعله قاعـــدة راسخة ومنطلقاً إلى التجديد والابداع ، ووفاء عظيم إذا نحن اقمنا صرحنا الجديد على ركيزة قوية من تراثنا .

وشيء أحب التلميح اليه، وهو أن قضية التجديد في الشعر العربي الحديث أمر حتمي ، أملته الثقافة الجديدة للانسان العربي المعاصر ، وغذاه العصر المتجدد ، وهو في رأيي — المتواضع — خطوة لـ « عالميـــة أدبنا العربي » وإخراجه من نطاق إقليميته الضيقة التي ظل بين جنباتها قروناً عديدة إلى رحاب انسانية أوسع .

وإذا كالشاعر — كما يقال — يولد في غير زمانه فاجدر به أن يستشف المستقبل ويضع في حسبانه ما سيكون فيه ،كي لا يعيش أسير الحاضر وأخطائه، ولا أشك أن شعراء العرب المجددين في العصر الحديث قد أدركوا هذه الحقيقة.

هذا ما أردت الاعراب عنه في هذه — العجالة — التي اختلستها من وقت طالب في سنته النهائية]

حول كتاب « بلاد العرب »

أ ــ ساعة اطلاع الدكتور صلاح الدين المنجد على كتاب بلاد العرب ، تفضل بكتابة ما يلي :

وجدت الآن على صفحة العنوان الافرنجية في كتاب بلاد العرب ثلاثة أخطاء معيبة . إذا كنتم لم توزعوا الكتاب فصححوها .

١ ــ كلمة Saudi Arabian معناها السعودي ، أما السعودية فاسمها بالانجليزية Saudi Arabia . فكانكم كتبتم دار اليمامة ــ الرياض. السعودي.

٢ ــ كلمة البلاد تكتب حسب كتابة المستشرقين،وحسب النطق الصحيح Bilâd . وما أثبتموه خطأ .

٣ ــ كلمة Sevised by خطأ . المتبع أن يكتب Edited by . لأن ما أثبتموه معناه (راجعه) ، وليس حققه ونشره .

صلاح المنجد

العرب : شكراً للدكتور ، ومزيداً من الملاحظات القيمة ، وان (سبق السيف العذل) .

ب ــ جاء في الصفحة الـ ٢٨٨ : عن النبوان : [وهذا لا يزال معروفاً ، قرية تابعة الآن لمنطقة حايل الخ] .

والصواب : وهناك موضع يدعى النبوان لايزال معروفاً وهو غير النبوان المذكور هنا ، هذا المعروف قرية تابعة الخ أما المذكور هنا ، فليس معروفاً إذ يبعد عن المكان المذكور أخيراً بمسافات حيث يقع هذا المعروف في أسفل حرّة النار ، في الضغن ، بعيداً عن هذا الموضع .

حول تراثنا المهمل المبعثر

وكتب السيد الأستاذ الجيلاني بن الحاج يحي ، من موظفي (كتابة الدولة للتربية القومية) ومدير المكتبات المدرسية في (تونس) حول تراثنا ، كتاباً يفيض غيرة وشعوراً كريماً ، نقتطف منه ما يلي :

(قد تأثرت كثيراً بالمقدمة اللطيفة التي نشرتها ضمن الفصل الأول ، حيث لبيت بها رغبة كل غيور على تراث العرب المبعثر المشتّت ، وأفدت بها كل باحث تائه ضالّ .

ويا ليت هم بعض العلماء والدارسين – أمثالك – في مختلف الأقطار العربية والاسلامية تنصرف إلى الانكباب على فهرسة تراث الآباء والأجداد ، والتعريف به ولفت النظر اليـه ، حتى يقيّض الله له من يخرجه من سُباته العميق ، ويساهم في إحياء مجد العرب التليد ، وينتشله من أيدي العابثين ، والتجار والمستشرقين !

وبهذه المناسبة ، أريد أن ألفت نظرك السديد إلى أنه يمكن أن نتوجه بنداء حارّ إلى كافة المسؤولين في الدول العربية والاسلامية لضرورة التفكير جديـاً في تنظيم مركز على الصعيد العربي والاسلامي ، يُعنى بمشاكل المخطوطات والتراث المشترك ، وتنسيق الجهود المبذولة في هذا الميدان ، تنسيقاً يضمن النجاعة والفاعلية للجميع ، على أسس مركزة ، ومخططات مضبوطة مدققة ، حسبما تقتضيه الطرق العلمية والفنية ، شريطة أن يكون هذا المركز بعيداً عن جميع الأهواء والتيارات السياسية ، وأن لا يكون مرتبطاً بأية منظمة من هذا القبيل . على أن يكون مقرّه في (المملكة العربية السعودية) ، وأن يُدعى له من المتخصصين في فـنّ المخطوطات وتنظيم المكتبات فرد من كل قطر عربي ، تتشكل من مجموعهم هيئة تشرف على تسييره وتنظيمه ، وتتولى العمل على تنسيق جهود الجماعات والأفراد

المعنيين بخدمة هذا النوع من التراث قدر المستطاع بالنسبة للبلدان العربية والاسلامية .

وإني أعتقد بأن هذه الفكرة المجملة لا بدّ أن تكون قد خالجت ضميرك ، وأنها كانت محلّ عنايتك واهتمامك ، لكنني على كل حال أردت أن أضم صوتي إلى صوتك ، ولربما هناك آخرون نجتمع وإياهم على هذا الرأي ، وأن لديهم مثل هذا الحماسة . فلنصدع برأينا ، ولنوجه نداءنا ، ولنصرخ صرختنا الدّاوية من الأعماق ، حتى نثير الحمية في نفوس الغيورين على كنوزنا المدفونة ، ومجدنا الضائع ، والله الموفق للصواب .

حول « تاريخ ابن عيسى »

لاحظ الأستاذ : عبد الرحمن بن عبد العزيز المانع أنه وقع في كتاب « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » للشيخ ابراهيم بن عيسى – ص ١٧٧ – في بيان تاريخ ولادة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن ابي بطين خطأ حيث ذكر في الكتاب أنه ولد سنة ١٢٨٢ مع أنه توفي في هذه السنة . وهى ملاحظة صحيحة ، والشيخ قد ولد سنة ١١٩٤ في عشر بقين من ذي العقدة ووفاته سنة ١٢٨٢ هـ فيكون عمره – ٨٨ عاماً – .

وما وقع في الكتاب خطأ مطبعي ، صوابه : (ولد في عشر بقين من ذي القعدة سنة ١١٩٤ . وفي سنة ١٢٨٢) الخ أول كلام متصل بالحادثة بعده . فشكراً للاستاذ عبد الرحمن لتنبيهه هذا .

لقطة 'غليس :

ويسأل الأخ صالح ديقان الحربي – كتابة – قائلاً : (كثيراً ما أسمع من بعض الناس إذا وصف أحدا قال : (هذا لقطة غليس) فما هذه اللقطة ؟!

العرب : يقال عن غليس هذا أنه كان سائراً ليلا ، في ليلة شديدة البرد ، فرأى حية قد انطوت على نفسها من البرد ، بحيث لم يميّزها ، فظنّها حبلاً ،

أو وقاية تستعمل فوق الرأس ، لمن يحمل على رأسه ثقيلاً ، فأخذها للانتفاع بها ، فلما حملها لدغته ، فضُربت مثلاً لمن يطلب النفع ، فيصيبه الضرر .

وقد يستعمل المثل للأمر السيء يلازم الانسان ، وكان هو السبب في الاتصال به .

أين تقع (الأقحوانة) منتزه أهل مكة

وكتب الأخ محمد سعيد حبابي من الظهران يسأل عن جملة وردت في مقال الأستاذ أحمد السباعي مؤرخ مكة ، المنشور في عدد ذي الحجة سنة ١٣٨٧ هـ من مجلة « قافلة الزيت » وهذا نصه : (فلنتابع سيرنا إلى « الليط » على حوافي ما نسميه اليوم « شارع المنصور » ... هذه بطون تعودت التنزه في « الليط » وفي ظل الأقحوانة في منبسط الوادي وبين البساتين القريبة من « الماجل » لقصر المسافة بينهـا وبين منازلهم) وعلق الأستاذ السباعي على هذا قائلاً :

الأقحوانة : نسميها اليوم عباد الشمس .

« العرب » : لا نتفق مع صديقنا المؤرخ المحقق الأستاذ السباعي على قوله هذا ، وقد يكون الحق معه ، إلا أننا نخالفه ، وأوجه المخالفة هي :

١ — يفهم من كلام الأستاذ ، أن الأقحوانة نوع من النبات وليست اسم موضع وهذا في رأينا غير صحيح ، كما سنوضحه فيما بعد .

٢ — لم يفرق الأستاذ بـــين الأقحوانة التي هي نوع من النبات ، ينبت بكثرة في نجد أيام الربيع عند نزول المطر الموسمي ، ولهـــا زهيرة مؤللة ، شديدة البياض ، تشبه بها الأسنان ، وقد ورد التشبيه بها في الشعر كثيراً .

وبين النبت البستاني المسمى عباد الشمس، والمعروف في كتب النبات باسم (الآذريون) والكلمة فارسية ، وقد استعملها الشعراء منذ العهد العباسي ، فقال ابن المعتز :

كأن آذريونهـــا والشمس فيه ضاحية
مداهن من ذهب فيهـــا بقايا غالية

ان الأقحوان نبت صغير لا يمكن التظلل به ولا يرتفع أعلى من الذراع ، بخلاف الاذريون الذي هو عباد الشمس .

أما الأقحوانة التي بقرب مكة فهي موضع وليست اسم نبات .

٣ ــ ونختلف مع صديقنا الأستاذ السباعي في موقـع المنتزه الذي فيه الأقحوانة ، فهو يراه في أسفل مكة ، ونحن نراه في أعلاها ، وهـــا هي الأدلة على ذلك :

١ ــ قول الزبير بن بكار قاضي مكة ومن أعلم الناس بها ، فقد قال في كتاب « جمهرة أخبار قريش وأنسابها » ما هذا نصه :

الأقحوانة بمكة ، ما بين بئر ميمون إلى بئر ابن هشام ، قال الحارث بن خالد المخزومي :

من كان يسأل عنا أين منزلنا فالأقحوانة منـــا منزل قمنُ
إذ نلبس العيش غضاً لا يكدّره قرف الوشاة، ولاينبو بنا الزمن[1]

٢ ــ وقال للأصمعي : هي ما بين بئر ميمون إلى بئر ابن هشام [2] .

٣ ــ وقال الأزرقي مؤرخ مكة [3] . ما هذا نصه :

(المفجَر : ما بين الثنية التي يقال لهـــا الخضراء ، خلف دار يزيد بن منصور ، يهبط على حياض ابن هشام التي بمفضى المأزمين مأزمي منى إلى الفج الذي يلقاك عن يمينك إذا أردت منى ، يفضي بك إلى بئر نافع بن علقمة ، وبيوته حتى تخرج على ثور .

---

(١) « معجم ما استعجم » للبكري ـ ص ١٧٩ ـ الطبعة المصرية ـ
(٢) « معجم البلدان » مادة الاقحوانة .
(٣) « تاريخ مكة » للازرقي ج١ ص ٢٢٣ .

وبالمفجر موضع يقال له بطحاء قريش ، كانت قريش في الجاهلية وأول الاسلام يتنزهون به ويخرجون اليه بالغداة والعشي ، وذلك الموضع بذنب المفجر في مؤخره ، يصب فيه ما جاء من سيل الفدفدة) .

وعلق الاستاذ رشدي ملحس – رحمه الله –:هذه البطحاء هي التي تسمى الاقحوانة ، كما يتبين من تعريفها في هذا البحث ، ولا تزال منتزها للناس حتى اليوم وعلق على الخضراء : الثنية المذكورة بأصل ثبير غينا . وهناك شعب يسمى وادي الخضراء ، كما ذكر ابن ظهيرة .

٤ – وقال الازرقي أيضاً .

(ثبير النخيل:ويقالله الاقحوانة،الجبل الذي به الثنية الخضراء[١]،وبأصله بيوت الهاشميين ، يمر سيل منى بينه وبين وادي ثبير وله يقول الحارث : (ثم أورد البيتين)

وقال بعض المكيين : الاقحوانة عند الليط [٢] ، كان مجلساً يجلس فيه من خرج من مكة ، يتحدثون فيه إلى العشي . ويلبسون الثياب المحمرة ، والموردة ، والمطيبة ، وكان مجلسهم من حسن ثيابهم يقال له الاقحوانة [٣] .

٥ – وقال الأزرقي أيضاً – عن بئر ميمون : بئر ميمون بن الحضرمي ، وكانت آخر بئر حفرت من هذه الآبار في الجاهلية [٤] .

وعلق الأستاذ رشدي : قال الفاسي : وهي الآن بسبيل الست بطريق منى ، وقال البلاذري : وعندها قبر أمير المؤمنين المنصور ، وذكر ياقوت : رباب فقال هو موضع بئر ميمون . قلنا : وهي الآن من آبار عين زبيدة ..

---

(١) عرفها ابن ظهيرة بـ (الخضيراء) وقال هي واد معروف بطريق منى الى هذا اليـــوم – رشدي – .

(٢) الليط بأسفل مكة وهي مندثرة ونرجح ان تكون الفيح الذي يقـــع خلف القشلات العسكرية في وادي جوول الى المسفلة . (رشدي)

(٣) الازرقي : ٢ – ٢٥٥

(٤) « تاريخ الازرقي » ج ٢ ص ١٧٩

وقال أيضاً : – عن بئر ميمون –

الرباب : شعب الرخم بين الرباب وثبير غينا .

ثبيرغينا : هو المشرف على بئر ميمون ، وقلته المشرفة على شعب علي – عليه السلام – وعلى شعب الحضامة بمنى .

ومن هذه النصوص المتقدمة يفهم ان الاقحوانة تقع في عالية مكة فيما بين الابطح ومنى، ولعلها أقرب ما يكون إلى المكان الواسع الواقع فيما بين الجبال الواقعة جنوب القصر الملكي بينه وبين الجبال التي يخرج منها إلى منى اذ في ذلك المكان يشاهد الجبل المعروف الآن باسم (ابا الرخم) وهو المعروف قديماً (ثبير غينا) ومنه الشعب الذي دعاده الازرقي شعب الرخم ، وسيله يفيض إلى لاقحوانة ثم يتجه إلى أسفل مكة .

وقد فهم استاذنا السباعي من قول الازرقي عن بعض المكيين، ان الاقحوانة عند الليط انها باسفل مكة ، ولكن نقله هذا يخالف ما أورده المحققون الذين هم أكثر تحقيقاً منه اعني الازرقي واعرف بمواضع مكة ، والقصة التي نوردها، تؤيد القول بأن الاقحوانة اسم موضع :

قال ياقوت الحموي في « معجم البلدان » [٣] .

(حدث هشام بن الوليد عن أبيه قال : خرج قوم مكة نحو الشام ، وكنت فيهم ، فبينما نحن نسير ببلاد الأردن من أرض الشام إذ رفع لنا قصر، فقال بعضنا لبعض لو ملنا إلى هذا القصر ، فأقمنا بفنائه حتى نستريح ، ففعلنا ، فبينما نحن كذلك إذ انفتح باب القصر ، وانفرج عـــن امرأة مثل الغزال العطشان ، فرمقها كل واحد منا بعين وامق ، وقلب عاشق، فقالت : من أي القبائل أنتم ومن أي البلاد ؟ قلنا : نحن أضاميم من ههنا وهناك . فقالت : أفيكم من أهل مكة أحد ؟ قلنا : نعم . فأنشأت تقول :

من كان يسأل عنا أين منزلنـا ؟ فالأقحوانة منـا منزل قمـن
وان قصري هذا مـا به وطني لكن بمكة أمسى الأهل والوطن

---

(٣) « معجم البلدان » مادة الاقحوانة .

● – مجلة المجمع العلمي العراقي :

وصدر المجلد الخامس عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي حافلاً بمختلف البحوث العميقة في التاريخ واللغة والأدب في ٣٥٨ صفحة ومن أبحاثه : القاب الغناء ومصطلحاته ، ظهور الخوارج ، تطور الفكر القومي رسائل للزمخشري والخراز، ابن البصال رائد الفن الزراعي الحديث مع وصف بعض المخطوطات

إذ نلبس العيش صفواً ما يكدره قول الوشاة ، وما ينبو به الزمن
من كان ذا شجـن بالشام ينزله فبالأباطح أمسى الهمّ والحزن

ثم شهقت شهقت ، وخرّت مغشياً عليها ، فخرجت عجوز من القصر ، فنضحت الماء على وجهها وجعلت تقول :

في كل يوم لك مثل هذا مرات ، تالله للموت خير لك من الحياة ، فقلنا : أيتها العجوز ما قصتها ؟ فقالت : كانت لرجل من أهل مكة فباعها ، فهي لا تزال تنزع اليه حنينا وشوقاً [١] .

وقد أورد الازرقي هذه القصة بطريقة أخرى[٢] والشعر المذكورة لشاعر مكة الحارث بن خالد المخرومي وهو مترجم في « الاغاني »وفي كتاب « العقد الثمين في تاريخ البلد الامين » لتقي الدين الحسني الفاسي .

---

(١) « معجم البلدان »
(٢) « تاريخ الازرقي » ج٢ ص ٢٢٦

والتعريف بها ، ومن كتابه الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، الدكتور يوسف عـــز الدين ، الدكتور سليم النعيمي ، اللواء محمود شيت خطاب ، الدكتور ابراهيم السامرائي ، الدكتورة بهيجة الحسني ، الدكتور ياسين خليل والدكتور قاسم السامرائي وغيرهم . وفيه ثلاثـــة بحوث لغوية ، وهي : مصطلحات مقاومة المواد ، وهندسة اسالة الماء والتشريح ، ومجلة المجمع في غنى عن التعريف بما تقدمه للقارىء العربي من دراسات تشمل مختلف نواحي الثقافة العامة ، مما يتفق مع الغاية النبيلة التي يسعى اليها هـــذا المجمع في خدمه الأمة العربية .

● **صفارة الانذار :**

باقة شعرية أو طاقة من الشعور الحي الواعي ، دعاها شاعرنا الرقيق الأستاذ سعد البواردي ، (صفارة الانذار) وقدمها بقوله (ان نكسة الأمة العربية والاسلامية التي حدثت بعد ٥ حزيران من عام ١٩٦٧ ... والتي تمخضت عن عدوان وتوسع اسرائيلي جديد على حساب العالم العربي أوجدت شيئاً من الفوضى والاضطراب الفكري الحاد في نفس كل عربي ، أفضت به قسراً إلى أن يبحث عن المتنفس ... وأن يندفع مع شعوره في تيار المعاناة الصاخب وراء فكرة ولو ضيقة محدودة ... وصغيرة يحملهـــا خواطره وأحاسيسه ... وأمانيه تجاه قضيته ... وأمته ... ويترجمها في كلمات أو أبيات تحمل ولا شك شيئاً من الاضطراب والقلق .

وكانت هذه الأشياء الصغيرة التي ضمهـا هذا الكراس ... بين ألم يرفعه الماضي... وأمل يدفع به المستقبل... وصرخة مشبوبة تستصرخ الحاضر... وتزجره ... وتندفع معه . كانت هذه الأشياء الصغيرة .. أو كما أطلقت على مجموعتها « صفارة الانذار ») وقد طبعت هذه الأغاريد طباعة أنيقة فيما يقارب ١٠٠ صفحة .

● **الكتابة الصحيحة :**

هذا عنوان كتاب ألفه الأستاذ زهدي جارالله ، وقدمه الأستاذ محمود

سليم الحوت رئيس هيئة التفتيش لمدارس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت .

وموضوع الكتاب التنبيه على أخطاء لغوية يقع فيها كثير من الكتاب وقد رتب على الحروف الهجائية متضمناً ٧٧٧ مادة طباعة ممتازة فجاء في ٣٥٨ صفحة وجهد المؤلف الفاضل في كتابه هـــذا جدير بأن يلقى من كل قارىء عربي يغار على لغته ويحرص على سلامتها كل تقدير ، لمـــا اتصف به هذا الجهد من قوة وجلد وعمق بحث .

حول مقال : (بلقيس ملكة سبأ)

للاستاذ حسن احمد البهكلي

في العدد الخامس من مجلة العرب الصادر عن شهر ذي العقدة سنة ١٣٨٧ حدثت بعض الأخطاء المطبعية في مقال(ملكة سبأ) وفيما يلي تصحيح ذلك:

الصفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٢٣	١٥	ملكي	ملك
٤٢٣	١٨	عربن	عربي
٤٢٤	٤	تغلت فلاس	تغلت فلاسر
٤٢٤	٧	وفلر	وفيا
٤٢٤	١١	ملكي	ملك
٤٢٤	١٤	ملكي هذه المملكة	هذه الملكة
٣٢٤	١٦	يفع	يثع
٤٢٥	١٩	عند	عن
٤٢٥	٢٣	٥٠٠ ق . م	٢٥٠٠ ق . م
٤٢٥	٢٥	انها	انما
٤٢٧	١٧	(٨٤٥—٧٢٧ق.م)	(٧٤٥— ٧٢٧ ق.م)
٤٢٧	٢١	المستحمل	المحتمل

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف (٢٤٣ الدور)
الرياض المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
(رسمية والشركات عدا الجزيرة العربية
الوعدات: يتفق بشأنها مع الادارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

الجزء التاسع - السنة الثانية - ربيع الأول - ١٣٨٨ هـ (حزيران ١٩٦٨م)

قرى عربية

[بلية البلايا في تراثنا القديم ، التصحيف ، وخاصة في أسماء المواضع ، حيث لا توجد قرينة في الكلام توضح الوجه الصحيح ، ولا أستثني من ذلك سوى ما استثناه الله جل وعلا وهو القرآن الكريم ، حيث قال جل ذكره : (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون) فحفظه الله من كل ما قد يؤثر في بقائه على أصله الصحيح ، الذي أنزله عليه .

أما ما عداه - مما لا يتصل بأصول الدين الحنيف - فحسب الباحث أن يرجع إلى أي كتاب من الكتب القديمة ، ليرى العجب العجاب من بلايا التصحيف في أسماء المواضع ، ففي « صحيح البخاري » - وهو أصح كتاب بعد كتاب الله ، أشياء من ذلك يجدها الباحث في اختلاف رواة ذلك الكتاب العظيم في اسم « العشيرة » الموضع الذي غزاه المصطفى، عليه الصلاة والسلام ، وفي غيره من المواضع ، وفي كتب سيرته - صلى الله عليه وسلم - لابن اسحاق ، بتهذيب ابن هشام ، و « طبقات ابن سعد » وغيرهما من المؤلفات ، مما نكتفي بالاشارة إليه ، إذ لا يتسع المجال للحديث عنه وحسب القارىء ان يطلع على بحث استاذنا العلامة الجليل ابي فهر ، محمود بن محمد بن شاكر ، هذا البحث الذي نقلل من قيمته حينما نقدمه للقارىء - حسبه أن يطلع على هذا البحث الممتع حقاً ، ليدرك كيف يسير بعض علمائنا - قدس الله أرواحهم - في بيداء من الأوهام والحيرة ، من جراء ذلك الداء الوبيل ، داء التصحيف والتحريف ! وهم - أعلى الله ذكرهم في منازل الأبرار من عباده - لا يضيرهم أن يوصفوا بعدم الاحاطة ، ولا يضرهم أن لا يوصفوا بأكثر مما يتصفون به من علم غزير، وخلق سام كريم، يتلاءم مع ما وهبهم الله، وما وصفهم به ، لأنهم أرفع قدراً ، وأعلى مكانة من أن تبلغ بهم مطامح النفس ، ومطامع الترفع إلى بلوغ منازل أخرى، لا ينقص من أقدارهم عدم بلوغها ، ولا يسمو بغيرهم أن ينالوها ، سمواً لا يبلغ درجة التفاضل ، ومعاذ الله أن يوجد بين أمة تدين بهذا الدين الكريم ، ممن يؤمن

حق الايمان بما قاله نبينا، عليه أزكى الصلاة والتسليم، ومن ذا الذي لا يؤمن بقوله، وهو الصادق الأمين : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

وإنما الفهم موهبة إلهية، حباها الله أناساً قد تبلغ منزلتهم منها من السمو والرفعة أعلاها؛ وإن لم يبلغوا في الفضل منزلة من فضلهم الله ، لسابقتهم في الاسلام . وبمنزلتهم منه ، قال جل ذكره : « ففهمناها سليمان ، وكلاً آتينا حكماً ، وعلماً » .

وقديماً قالوا : كم ترك الأول للآخر !] .

* * *

١ — « قُرَى عَرَبيةَ » ، اسم موضع في بلاد العرب ، يأتي في بعض الكتب المطبوعة والمخطوطة مصحّفاً. فهو في أكثر المواضع «قُرَى عُرَنية»، وفي مكان آخر « قُرَى عُيَيْنَة » ، ومن قديم الاختلاف في ضبطه أيضاً « قُرى عَرَبيّةً » بالتنوين ، أو « قُرى عَرَبيَّة » بالإضافة وترك التنوين ، أما الإشكال الأكبر فهو في تحديد مكان « قُرَى عرَبيَّةَ » وعلى أي شيء يدلّ اسم هذا المكان ؟

* * *

٢ — فأبو عبيدٍ البكريُّ في « معجم ما استعجم » (٩٣١ - ٩٣٢) ، لم يزد ببيانه على انه قُرًى بالحجاز معروفة ، ثم استدلّ ببعض الأخبار والآثار التي ستأتي (رقم : ١٠ ، ١٥ ، ٢٣) .

* * *

٣ — وأما ياقوت فلم يذكر لهـــا مادة في معجم البلدان ، ولكنه ذكر مادة « عُرَيْنة » وقال : « بلفظ تصغير عُرنَة » ، ثم قال : « وعرينة ، موضع ببلاد فَزَارة . وقيل : قُرًى بالمدينة . و « عُرَيْنة » قبيـــلة من العرب » . ولكن نقل بعد ذلك نصاً سيأتي (رقم : ٢٠) وذكر فيه « قُرى عربيَّةَ » وأنه مضبوطٌ بخط العبدريّ في فتوح الشام ، بفتح العين والراء ، والباء الموحدة ، وياء مشددة « قُرَى عَربيَّةَ » ولم يزد على ذلك شيئاً .

* * *

٤ — أما السمهوديّ ، فقد جاء بالطامّة في كتابه « وفاء الوفاء » ، ففي

الفصل الثامن من الباب السابع من كتابه ، حيث ذكر بقاعَ المدينة وأعراضها مرتبة على حروف المعجم ، ما نصه :

« عُرَينة ، كجهينة ، قرى بنواحي المدينة في طريق الشأم »

ـ وعن مُعاذ بن جبل قال : بعثني رسول الله ﷺ على قُرَى عُرَينة ، فأمرني أن آخذ حظّ الأرض (أنظر ما سيأتي رقم : ٥ و ٦)

ـ وقال الزهري ، قال عمر : « ما أفاء الله على رسوله » هذه لرسول الله ﷺ خاصةً قُرى عُرينَة ، وفَدَك وكذا وكذا (انظر ما سيأتي رقم : ٧ - ١٠) .

ـ ووُجِدَ على حجر بالحِمَى كما سبق : « أنا عبد الله الأسود ، رسولُ عيسى بن مريم إلى أهل قُرى عُرينة » .

وسيأتي ما يدلّ على تصحيفه في الخبرين الأولين . أما الخبر الثالث الذي أشار اليه فهو في كتابه في الفصل الأول من الباب الثالث ، وسأذكر مكاناً آخر وقع في كتابه ذكر « قُرى عُرَينة » (رقم : ٤٣) .

* * *

ولكي أصل إلى الفصل في أمر « قُرى عربيّة » أسوق الأخبار التي وقفت عليها فيما بين بديّ من الكتب .

٥ ـ روى يحيى بن آدم في كتاب الخراج ص : ٢١٩ ـ ٦٢٢ :

ـ (٦١٩) قال يحيى ، قلت لشريك : ذكرت عن جابر عن محمد ابن زيد ، عن معاذ بن جبل قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى قُرَى عربيّةَ أقاسمهم حظّ الأرض . قال : قد ذُكِر ذلك .

ـ (٦٢٠) حدثنا يحيى قال ، حدثنا أبو حماد الحنفي ، عن جابر ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن محمد بن زيد ، عن معاذ بن جبل قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى قُرَى عربيّةَ ، وأمرني أن آخذ حظّ الأرض .

(٦٢١) حدثنا الأشجعي ، عن سفيان بن سعيد ، عن جابر ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن محمد بن زيد ، عن مُعاذ بن جبل قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى قُرَى عَرَبيّة ، وأمرني أن آخذ حظّ الأرض ، قال الأشجعي: قال سفيان : الثُّلث والرُّبُع .

— (٦٢٢) حدثني ابن مبارك ، عن معمر ، عن أيوب ، عن سعيد ابن جبير في قوله « قُرًى ظاهِرَة » (سورة سبأ : ١١٨) قال : قُرَى عَرَبيَّةَ — قال يحيى : وأما « قُرَى عربيَّةَ » فإنه يعني أرضاً بعينها يقال لها « قُرى عَربيَّةَ » (أنظر ما سيأتي رقم : ١٣) .

* * *

٦ - وروى أحمد في مسند معاذ بن جبل من المسند (٥ : ٢٢٨ / ثم ٥ : ٢٤٤) قال :

— حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن محمد بن زيد ، عن معاذ قال : بعثني رسول الله ﷺ على قُرَى عَربيَّةَ ، فأمرني أن آخذ حظّ الأرض — وقال عبد الرزاق : يعني : عن سفيان ، عن جابر ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن محمد بن زيد ، في حديث معاذ (ص : ٢٢٨).

— حدثنا عن الرزاق ، أنا سفيان ، عن جابر ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن محمد بن زيد ، عن معاذ قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى قُرى عربية فأمرني أن آخذ حَظّ الأرض — قال سفيان : حَظُّ الأرض الثُّلث والربع (ص : ٢٤٤) .

* * *

٧ — وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال : ٩ « وأما فَدك فان اسماعيل بن ابراهيم حدثنا ، عن أيوب ، عن الزُّهري في قوله : « فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب » (سورة الحشر : ٦) فقال : هذه لرسول الله خاصة ، قرى عربية ، فدك وكذا وكذا .

قال أبو عبيد : وهي في العربية « قرَى عربيةٌ » بتنوين ، الا أن يكون كما قالوا « دارُ الآخرة » و « صلاة الأولى » ، والمحدّثون يقولون : « قرى عربية » بغير تنوين (أنظر ما سيأتي رقم : ٢٣ ، ٢٤) .

* * *

٨ – وروى البلاذري في فتوح البلدان : ٣٩

– حدثنا سريج بن يونس قال ، أخبرنا إسماعيل بن ابراهيم ، عن أيوب ، عن الزهري في قوله تعالى : « فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب » (سورة الحشر : ٦) ، فقال : هذه قرى عربية ، لرسول الله ﷺ ، فدَك وكذا وكذا .

* * *

٩ – وقال ابن أبي حاتم في آداب الشافعي : ١٤٦

– قال الزهري ، قال عمر ، قال الله عز وجل : « ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب » (سورة الحشر : ٦) ، فهذه لرسول الله ﷺ خاصّة ، قرى عربية ، وفدك وكذا وكذا .

(سنن أبي داود ، في صفايا رسول الله ﷺ ٣ : ١٩٥ رقم : ٢٩٦٦ ، ومعالم السنن للخطابي ٣ : ١٧ ، ومختصر السنن لابن القيم ٤ : ٢١٤ ، وسنن النسائي الخبر بطوله ٧ : ١٣٦ ، ١٣٧) .

* * *

١٠ – ونقل البكري في معجم ما استعجم : ٩٢٩

– من حديث الزهري قال ، قال عمر في قول الله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب » (سورة الحشر: ٦) قال هذه لرسول الله ﷺ خاصة قرى عربية ، وفدك وكذا وكذا – وهي قرى بالحجاز معروفة .

١١ – وروى الطبريّ في تفسيره (٢٨ : ٢٤ بولاق) :

– حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال : حدثني عمي قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : « وما أفاء على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلّط رسله على من يشاء والله على كل شي قدير » (سورة الحشر : ٦) . قال : أمر الله عزّ وجل نبيَّه بالسَّير إلى قُريظةَ والنضير ، وليس للمسلمين يومئذ كثيرُ خيلٍ ولا ركاب ، فجعل رسول الله ﷺ يحكم فيه ما أراد ، ولم يكن يومئذ خيلٌ ولا ركاب يوجَف بها : قال : « والإيجاف » أن يوضعوا السير – وهي لرسول الله ﷺ فكان من ذلك خيبر ، وفدك ، وقُرَى عربيّةَ ، وأمر الله رسوله أن يُعِدّ لينبع .

– وخرّجه السيوطي في الدر المنثور : ٦ : ١٩٢ ، بمثله من طريق ابن مردويه عن ابن عباس ، ولم ينسبه للطبريّ .

* * *

١٢ – ووجدت في مختصر المزنيّ بها مش الأم للشافعي (٣ : ١٨٠) :

– « والفيء هو مـــا لم يُوجَف عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت سنّة رسول الله ﷺ وسلم في « قُرى عربيّةَ » أفاءها الله عليه ، أربعة أخماسها لرسول الله ﷺ خاصةً دون المسلمين .

– وفيه أيضاً (٣ : ١٨٣) :

– وفُتح في زمان رسول الله ﷺ فتوحٌ من قُرَى عربيّةَ وعدها الله رسوله قبل فتحها .. »

الا أن رسم الكلمة في كتاب « الأم » من هذه الطبعة ، في باب « جماع سنن قسم الغنيمة والفيء » ، هو :

– « قُرى عُرَينة »، وذكر الشافعيّ أنها هي التي أفاء الله على رسوله ، وأنها خاصة لرسول الله ﷺ دون المسلمين (الأم ٤ : ٦٤) .

ـ ثم جاء في الأم (٤ : ٦٤) « وقد كان في زمان النبي ﷺ فتوح في غير « قُرَى عُرَينة التي وعدها الله رسوله ﷺ قبل فتحها .. »

ـ ثم قال « وقد كان في زمان النبي ﷺ فيء من غير قُرى عُرينةَ ، وذلك مثل جزية أهل البحرين » .

ـ وهذا الذي جاء في متن كتاب الأم للشافعي ، يصححه ما جاء في مختصر المزنى من نفس الطبعة ، ويزيد تصحيفه ثبوتاً ، ما ذكره ابن أبي حاتم في كتاب آداب الشافعي ومناقبه كما سلف (رقم : ٩) ، وكما سيأتي (رقم : ٢١) ، وسائر الأخبار في تفسير آية « الفيء »(أنظر رقم : ٧ ـ ١١) .

* * *

١٣ ـ وقال الطبريّ في تفسيره (٢٢ ـ ٥٨ بولاق) عند تفسير قوله تعالى : « قُرى ظاهرةً » (سبأ ١٨) :

ـ يعنى قُرى مُتَصلة ، وهي قُرى عَرَبيَّةَ .

ـ حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « قرى ظاهرة » يعني : قرى عربية بين المدينة والشأم .

ـ حدثت عن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله تعالى : « قرى ظاهرة » يعني : قرى عربية ، وهي بين المدينة والشام (أنظر ما سلف رقم: ٥ ،من حديث يحيى بن آدم في كتاب الخراج ، في تفسير الآية عن سعيد بن جبير أيضاً) .

ـ ونقل هذا ابن كثير في تفسير هذه الآية ، ثم عقب بقوله : « قرى ظاهرة » أي بيِّنة يعرفها المسافرون، يقيلون في واحدة، ويبيتون في أخرى.

* * *

١٤ ـ وروى أبو جعفر الطبري في تفسيره (٦ : ٥٠٧ ، رقم : ٧٢٣٣، من طبعة دار المعارف) .

– حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » (سورة آل عمران : ٧٢) كان أحبار قرى عربية اثني عشر حبراً ، فقالوا لبعضهم : ادخلوا في دين محمد أول النهار ، وقولوا : نشهد أن محمداً حق صادق ، فاذا كان آخر النهار فاكفروا ..

– وخرجه السيوطي في الدر المنثور (٢ : ٤٢) من طريق ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وفيه « قرى عربية » أيضاً .

– إلا أن البغوى نقل في تفسيره بهامش ابن كثير ٢ : ١٦٥) :

– « قال الحسن ، وقتادة ، والسُّدى : « تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر وقرى عيينة .

– وهذا تصحيف غريب جدا ، ولكنه غير مستنكر على مطبوعة المنار من هذين التفسيرين ، ولم يأت ذلك في كتاب آخر وقفت عليه .

بيد أن ما أتى به البغوى ، ساق الينا فائـــدة جليلة ، بزيادته ذكر « خيبر » في هذا الأثر .

* * *

١٥ – وفي التاريخ الكبير للبخاري (٢ / ١ / ٢٣٧) :

– « قال أحمد بن سليمان ، أخبرنا حسين بن إسماعيل قـــال ، حدثني درباس وعمرو ، ابني دَجاجة ، عـن أبيهما : أنه خرج فإذا عثمان ، فقال عثمان : لا يسكن قرى عربية دينان » .

– رواه ابن أبي حاتم مختصراً في الجرح والتعديل ١ / ٢ / ٤٤١ ، ونقله البكري في معجم ما استعجم : ٩٣٠ .

* * *

١٦ – وفي المحبَّر لابن حبيب : ١١٥ :

— « ثم سنة سبع ، فيهـــا خرج ﷺ في المحرّم إلى خيبر ، فحاصرهم بضعة عشر يوماً ، وارتحل منها إلى قرى عربية ، فلم يلق كيداً » .

* * *

١٧ — وفي المحبر أيضاً : ١٢٦ :

— « أنه ﷺ ولّى الحكم بن سعيد بن العـــاص على قرى عربية » (أنظر رقم : ٤٨) .

* * *

١٨ — وفي جوامع السير لا بن حزم : ٢٤ (والتعليق عليه ص : ٤٥٨)

— (أن رسورل ﷺ) ولىّ الحكمَ بن سعيد بن العاص بن أمية على قرى عُرينة ، وهي فدكُ ، وغيرها . (انظر رقم : ٤٨)

— وهذا تصحيف ، يدلّ عليه ما بعده وما قبله ، وسائر الأخبار في أمر فدك .

* * *

١٩ — وذكر ابن حزم في جمهرة انساب العرب : ٧٣ ، الحكم بن سعيد قال :

(ولاّه عليه السلام قُرى عَرَبية) (انظر رقم : ٤٨) .

* * *

٢٠ — وقال ياقوت في معجم البلدان ، مادة (عرينة) .

— (وقرأت بخط العبدريّ في فتوح الشأم ، لأبي حذيفة بن معاذ بن جبل (الصواب : عن معاذ) قال في كلام له طويل : (واجتمع رأي الملأ الأكابر منّا أن يأكلوا قرى عربية ويعبدوا الله حتى يأتيهم اليقين) .

— وقال في موضع آخر ، في بعثة أبي بكر عمرو بن العاص إلى الشأم

ممدّاً لأبي عبيدة : وجعل عمرو بن العاص يستنفر من مرّ به من البوادي وقرى عربية .

– قال ياقوت : ضبط في الموضعين بفتح العين والراء ، والباء الموحدة ، وياء مشددة) .

* * *

٢١ – وقال ابن أبي حاتم في كتاب آداب الشافعي ومناقبه : (١٤٥)

– عن الربيع بن سليمان قال ، قال الشافعي ، وذكر (القرى العربية) فقال : كانت اليهود في قرى العرب ، والعرب حولهم ، وهي فدك وخيبر ، وهي قرى اليهود بنوها في بلاد العرب ، وهي أشراف بلاد العرب ، لأن العرب بعيدة المطلب .

– قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: يعني القرى التي أفاء على رسول الله ﷺ بلا خيل ولا ركاب (أنظر ما سلف : ٧ – ١٢)

* * *

٢٢ – ونقل البكري في معجم مـــا استعجم : ١٥ ، عن يعقوب بن السكيت ، عن الأصمعي :

– وقرى عربية ، كل قرية في أرض العرب ، نحو خيبر ، وفـــدك ، والسوارقية [١] ، وما أشبه ذلك ..

* * *

٢٣ – وقال الزبيديّ في طبقات النحويين واللغويين : ١٤٩ ، في ترجمة قتيبة النحويّ :

– (وحدثنا محمد بن موسى بن حماد قال ، حدثني سليمان بن ابي شيخ

---

(١) : « العرب » : السوارقية لاوجه لذكرها في « قري عربية » فهي تقع جنوب المدينة . ولا صلة لها بالقرى التي ذكرت هنا .

الخزاعي قال ، حدثنا أبو سفيان الحميريّ قال: قال أبو عبد الله كاتب المهدي (صوابه : أبو عبيد الله):(قرَى عربيةَ) فنوّن ، فقال: شبيب بن شيبة، إنما هي (قُرى عربيةَ) غير منونة . فقال أبو عبد الله (أبو عبيد الله) لقتيبة النحوي الجعفي الكوفيّ : ما تقول ؟ فقال : إن كنت أردت القرى التي بالحجاز يقال لها (قرَى عربيةَ) فإنها لا تنصرف ، وان كنت أردت قرى من قرى السواد، فهي تنصرف . فقال : انما أردت التي بالحجاز . قال: هو كما قال شبيب) .

– وهذا الخبر نقله البكري بنصه في معجم ما استعجم : ٩٣٠ ، ونقله السيوطي مختصراً في بغية الوعاة في ترجمة (قتيبة الجعفي) (أنظر ما سلف رقم : ٧) .

* * *

٢٤ – وقال البكري في « معجم ما استعجم » : ٩٢٩

– (قرى عربية) على الإضافة لا تنصرف ، منسوبة إلى العرب (أنظر ما سلف رقم : ٧) .

* * *

٢٥ – وذكر ابن خرداذبه في « المسالك والممالك » : (١٢٨ ، ١٢٩) أعراض المدينة ، فعدّها (وقد اختصرت كلامه) ، ومثله في (الأعلاق النفيسة) لابن رسته : ١٧٧ :

(تيماء ، وهي بين الشأم والحجاز ، ودومة الجندل ، وهي من المدينة على ثلاث عشرة مرحلة ، والفرع ، وذو المروة ، ووادي القرى ، ومدين ، وخيبر ، وفدك ، وقرى عربية ، والوحيدة ، ونمِرة ، والحديقة) .

* * *

٢٦ – وفي النبذ الملحقة بالمسالك والممالك ، من كتاب الخراج لقدامة (ص : ٢٤٨) :

– وأعراض المدينة وأعمالها وعماراتهـــا : ظبية (في الأصل طيبة) ويثرب ، وتيماء ، ودومة الجندل ، والفرع ، وذو المروة ، وادي القرى ، مدين ، خيبر ، فدك ، قرى عربية ، ساية ، رهاط ..) ثم انظر ما سيأتي من رقم : ٤٨ ، إلى رقم : ٥٣) .

* * *

٢٧ – وبيّنٌ من هذا الذي جمعته أن (قرى عُرينة) لم ترد على هذا الوجه مضبوطة إلا في كتاب وفـــاء الوفا للسمهودي (أنظر رقم : ٤) ، واستدلّ على ذلك بخبر معاذ بن جبل (رقم : ٥ ، ٦) وخبر الزهري في الفيء (رقم : ٧ – ١٠) .

والخبر الأول رواه يحيى بن آدم ، من طرق ، ورواه أحمـــد أيضاً من طريقين ، وهو ثابت في المطبوع والمخطوط من أصولها (قرى عربية) (لا عرينة) وزاد يحيى بن آدم ما يؤكد ذلك ، بخبره الذي رواه عن سعيد بن جبير (رقم : ٦٢٢) في تفسير قوله تعـــالى : (قرى ظاهرة) ، فجاء مطابقاً لما رواه الطبري في تفسير هذه الآية من طريقين آخرين (رقم : ١٣)، وهو ثابت على هذا الوجه في الطبري المطبوع والمخطوط .

– وأما الخبر الثاني من الزهري ، فهو (قرى عربية) في كتاب الأموال لأبي عبيد ، وفي فتوح البلدان للبلاذري ، وفي آداب الشافعي لابن أبي حاتم ، وفي معجم ما استعجم للبكري ، وفي تفسير الطبري ، وفي الدر المنثور ، وفي مختصر المزنى ، ويزيده ثبوتاً تعقيب أبي عبيد عليه (رقم : ٧) بقوله : (هي في العربية (قرى عربية) بتنوين والمحدّثون يقولون (قرى عربية) بغير تنوين) ، فلو كانت (قرى عرينة) لم يكن لها سوى وجه واحد ، وهو بالاضافة وترك التنوين، ويزيده ثبوتاً مرة أخرى إتيان ابن أبي حاتم به، بعقب ما نقله عن الربيع بن سليمان عن الشافعي في تفسير (القرى العربية) وهي التي بناها اليهود في بلاد العرب ، وانها هي التي أفاء الله على رسوله ﷺ (رقم : ٢١) .

ـ فبان بهذا أن السمهودي قد صحّف أو نقل عن كتاب مصحف لا خير فيه ، ثم ضبط هذا الضبط (قرى عرينة) ، كجهينة ، من عند نفسه ، لا عن أصل صحيح أو رواية ثابتة .

* * *

٢٨ ـ أما ياقوت في معجم البلدان (رقم : ٣) ، وأظن السمهودي قد نقل عنه ، فانه أغمض في كلامه إذ قال : (وعرينة ، موضع ببلاد فزارة ، وقيل قرى بالمدينة . وعرينة قبيلة من العرب) ، فهو لم يصرح بذكر (قرى عرينة) بل أتى في نفس المادة بعقب هذا الكلام بأنه رآها (قرى عربية) مضبوطة بخط العبدري في فتوح الشأم (رقم : ٢٠) فقد أبرأ الرجل ذمته، ودلّ على توقفه وتشككه .

* * *

٢٩ ـ وأقدم ضبط في هذه الأخبار، هو ما جاء في خبر أبي عبيد الله كاتب المهدي ، وشبيب بن شيبة وقتيبة النحوي الجعفي الكوفي (رقم : ٢٣) ، ونقله البكري في معجم ما استعجم، والسيوطي في بغية الوعاة، فأبو عبيدالله معاويـــة بن عبد الله بن يسار الأشعري ، كاتب المهدي ، ولد سنة ١٠٠ ، وتوفي سنة ١٧٠ ، وشبيب بن شيبة المنقري توفي سنة ١٦٢ . وهو خبر يقوم على الاختلاف في تنوين (قرى عربية) وترك تنوينها ، على نحو ما كان من كلام أبي عبيد في الأموال (رقم : ٧) . وقد بينت أنه لا وجه للاختلاف إذا كانت (قرى عرينة) كما أسلفت (رقم : ٢٧) ، هذا على أن أبا عبيد القاسم بن سلام قديم أيضاً ، فقد ولد سنة ١٥٤ وتوفي سنة ٢٢٤ .

* * *

٣٠ ـ ويلي ذلك في الصحّة والقدم ، مع وضوح الضبط ، ما رواه ابن أبي حاتم عن الشافعي (ولد سنة ١٥٠ ، وتوفي سنة ٢٠٤) في تفسير (قرى عربية) (رقم : ٢١) ، ودلّ بذلك على أنها منسوبة إلى العرب ، كما قال البكري في صدر كلامه عن (قرى عربية) (رقم : ٢٤) ، وزاد أيضاً

أنها لا تنصرف ، نفياً لقول من يقول (قرى عربية) مصروفة ، منونة .

* * *

٣١ – ويلي هذا ، على تأخره ، ما رآه ياقوت مضبوطاً بخط العبدري في فتوح الشام ، إذ قال في مادة (عرينة) (رقم : ٢٠) ، بعد الخبرين اللذين ساقهما : ضبط في الموضعين بفتح العين والراء ، والبـــاء الموحدة ، والياء المشددة) .

* * *

٣٢ – واذن ، فإجماع هذه النصوص كلها ، مما نشر مطبوعاً عن أصوله الصحيحة أو السقيمة ، على أنها (قرى عربية) ثم تظاهُرُ الأدلة على أن (قرى عربية) نسبة إلى (العرب) ، ثم وضوح الدلالة على أنها لو كانت (قرى عرينة) فلا وجه للكلام في تنوينها وترك تنوينها كل ذلك قاطع على أن الصواب (قرى عربية) غير مصروف ، وان ما جاء في كتاب السمهودي وهم امرىء مصحّف غير ضابط ، وقاطـع أيضاً على أن ما جاء في نص الأم المطبوع (رقم : ١٢) وفي جوامـــع السير لابن حزم (رقم : ١٨) ، وفي تفسير البغوي بهامش تفسير ابن كثير (رقم : ١٤) ، بلفظ (قرى عيينة) ، كل ذلك تصحيف لا خير فيه ، وثبت أنها (قرى عربية) لا غير .

* * *

٣٣ – ولكن يبقى إشكال آخر ، هو ما يدل عليه (قرى عربية) فإن كتاب ياقوت، وكتاب البكري، وكتاب السمهودي، وكتاب ابن خرداذبه ، لا تكاد تأتي بشيء شافٍ يحدد رسم (قرى عربية) من أعراض المدينة ، والأخبار تأتينا أيضاً بشيء لا يكاد يعتمد عليه في تحديد موقع مـا يسمى (قرى عربية) فمن أجل ذلك آثرت أن آخذ دلالة الأخبار خبراً خبراً ، حتى أرى ما يُفضي اليه الرأي في تحديد مدلول (قرى عربية) .

* * *

٢٤ – فأول شيء خبر الفيء ، فالذي في كتاب الأموال (الخبر : ٧)،

والبلاذري في فتوح البلدان (رقم :٨) فتفسير (قرى عربية) فيهما أنهـا (فدك ، وكذا وكذا) ومثلهما ما جاء في جوامع السير (رقم : ١٨) .

فهذه الأخبار دالة على أن (قرى عربية) ، كانت تطلق على فدك ، وقرى أخرى غيرها، وهي التي أفاء الله على رسوله خاصة دون المسلمين .

* * *

٣٥ – ولكن خبر الفيء نفسه روى بزيادة « واو » تجعل الأمر مختلفاً بعض الاختلاف ، وذلك ما رواه ابن أبي حاتم (رقم ٩)،وما نقله البكري (رقم : ١٠) ففيهما أن الفيء : (قرى عربية ، وفدك وكذا وكذا) وهذه الزيادة إن لم تكن خطأ في أصل هذه الكتب ، فهي دالة على أن (قرى عربية) موضع بعينه غير فدك .

ويعضد ذلك ما جاء في خبر الطبري (رقم ١١) في شأن الفيء أيضاً : (فكان من ذلك خيبر ، وفدك ، وقرى عربية . ويعضده مرة أخرى ما ذكره ابن خرداذبه ، عند ذكر أعراض المدينة (رقم : ٢٥) وقدامة أيضاً (رقم : ٢٦) ، فقالا : (... خيبر وفدك وقرى عربية) .

– ويعضده أيضاً ما رواه أبوجعفر بن جرير في تفسير آية الفيء (٢٨:٢٤ بولاق) قال :

– حدثنا ابن عبد الأعلى قال ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري في قوله : « فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب » قال : صالح النبي ﷺ أهل فدك ، وقرى قد سماها لم أحفظها ، وهو محاصر قوماً آخرين ، (يعني محاصرة خيبر ، كما في رقم : ١٦) ، وأرسلوا اليه بالصلح . قال : « فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب » ، يقول : بغير قتال ، قال الزهري: فكانت بنو النضير للنبي خالصة لم يفتحوها عنوة بل على صلح » .

وقوله :(وقرى قدسماها لم أحفظها) من كلام معمر ، وجائز أن يكون (قرى عربية) نفسها ، وجائز أيضاً أن يكون ما جاء مبهماً مكنياً عنه

في حديث الزهري كله (رقم : ٧ – ١٠) في قوله : (فدك وكذا وكذا) – وكل ذلك دال على أن (فدك) غير (قرى عربية) .

* * *

٣٦ – وفي الأخبار التي ذكرتها ما يدل أيضاً على أن (خيبر) ، غير (قرى عربية) وذلك خبر ابن عباس في الفيء (رقم : ١١) ، حين عدّ خيبر مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب ، فقال : (فكان من ذلك خيبر ، وفدك ، وقرى عربية) .

– ثم ما رواه البغوي عن الحسن وقتادة والسديّ (رقم : ١١٤) (بعد تصحيحه) ، إذ قال: (تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر ، وقرى عربية) .

– ثم جاء في المحبر (رقم : ١٦) . خرج ﷺ إلى خيبر .. وارتحل منها إلى قرى عربية) .

– ثم ما جاء أيضاً في ابن خرداذبه (رقم ٢٥) في قوله (.. خيبر ، وفدك ، وقرى عربية) .

– ثم ما جاء في الخراج لقدامة (رقم : ٢٦) في قوله (.. خيبر ، فدك ، قرى عربية) .

* * *

٣٧ – وتلخيص هذا أن (قرى عربية) في بعض الأخبار هي (فدك) وقرى أخرى غيرها – وفي بعضها الآخر أن (قرى عربية) غير(فدك) وغير (خيبر) وأنها اسم مكان بعينه .

* * *

٣٨ – وأيا ما كان ، فان تتبع صفة هذا الموضع ، لا غنى عنها في طلب الدليل على مكانه من أرض العرب .

– فمن ذلك أنها أرض بعينها يقال لها (قرى عربية) كما سلف (رقم : ٥) ، في بيان يحيى بن آدم .

وأنها (قرى الزهري بالحجاز معروفة) ، كما قال البكري في حديث (رقم : ١٠) ، وفي خبر قتيبة النحوي وشبيب بن شيبة (رقم : ٢٣) .

– وأنها (قرى متصلة) بين المدينة والشام ، كما روى الطبري عن ابن عباس والضحاك ، كما مضى (١٣) وزاد ابن كثير أنها:(بينة يعرفها المسافرون يقيلون في واحدة ، ويبيتون في أخرى) .

– وانها قرى بالمدينة ، كما قال ياقوت (رقم : ٣)

– وأنها من أعراض المدينة ، كما دل عليه كتاب«المسالك والممالك»(رقم : ٢٥) ، وكتاب قدامة (رقم : ٢٦) .

– وانها قرى بنواحي في طريق الشام ، كما ذكر السمهودي (رقم : ٤)

* * *

٣٩ – وهذه الصفات لا تكاد تحدد شيئاً ، ولكنها تدل في مجموعها على أن (قرى عربية) كانت تطلق أحيانا على (فدك) وقرى غيرها ، وأن هذه القرى من الحجاز ، وانها من أعراض المدينة ، وأنها قرى متصلة بين المدينة والشأم: وإذا صح ما قاله عرّام في حد الحجاز « معجم ما استعجم»: ١٠) من أن أعمال المدينة هي فدك ، وخيبر ، ووادي القرى والمروة ، والفرع ، والجار »– وما قاله محمد بن عبد الملك الأسدي «معجم ما استعجم: ١٠) من أن (الحجاز) اثنتا عشرة دارا هي المدينة ، وخيبر ، وفدك ، وذو المروة ، وداربليّ ، ودار مزينة ، ودار جهينة .. » ثم قارن ذلك بما قاله ابن خرداذبه (رقم : (٢٥) ، وما قاله قدامة (رقم : ٢٦) فظاهرُ الرأي أن تكون « قرى عربية » تخص احياناً قرى بعينها من الحجاز من أعمال المدينة ، وأحياناً أخرى تعم ما بين المدينة والشام من القرى المتصلة ، كما ذكر الطبري عن ابن عباس .

* * *

٤٠ – والذي يرجح هذا ، ويزيده عندي يقيناً ، ما رواه ابن أبي حاتم

عن الشافعي (رقم : ٢١) في تفسير « قرى عربية » وأنها هي قرى اليهود التي بنوها في بلاد العرب ، وهي أشراف بلاد العرب – وما قاله الأصمعي في تفسير « قرى عربية »(رقم : ٢٢) ، من أنها كل قرية في أرض العرب، نحو خيبر ، وفدك ، والسوارقية ، وما أشبه ذلك – وإن كان نص الأصمعي أعم ، لأنه يدخل في تفسير « قرى عربية » : (السوارقية) وهي ليست في الطريق بين المدينة والشام ، بل في طريق بين مكة والمدينة ، ولا أعلم أكانت من قرى اليهود أم لم تكن ؟ .

٤١ – وفي خبر الشافعي (رقم : ٢١) أنهـــا أيضاً (أشراف) جمع (شرف) ، وهو ما أشرف من الأرض ، أي ما علا حوله ، أو دنا منه ، وكأن الشافعي أراد بالاشراف (المشارف) و (مشارف الأرض) أعاليها ، وهي أخصب الأرض ، ولذلك قيل :« مشارف الشام » وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف ، والريف عندهم : ما قارب الماء ، من أرض العرب، فكان فيها خصب وزرع ونخيل . فاذا صح ذلك ، وهو صحيح ، كان كل ما سكنه يهود من أرض العرب ، وأقاموا به وسكنوه ، جائزاً أن يكون (قرى عربية) كما قال الشافعي.وقد قال ياقوت في معجمه مادة (الشرف) : (والمشارف من قرى العرب ، مادنا من الريف ، وهي مثل خيبر ، ودومة الجندل ، وذو المروة) ، فالأشراف والمشارف واحد ، فيما ارجح .

– و « دومة الجندل » كما قـال السمهودي وغيره : « من القريات ، من وادي القرى ، وأنها « قرى بين الشام والمدينة » وذكر ابن سعد (٤٤/١/١) أنها طرف من أفواه الشام ، بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينـة خمس عشره أو ست عشرة ليلة » . و « ذو المروة » ، أيضاً ، من وادي القرى ، فهذا يشبه أن يكون داخلا في قول الشافعي « أشراف بلاد العرب » وأن « دومة الجندل » و « وادي القرى » ، وغيرهما من القرى التي سكنتها يهود وازدرعتها ، هي داخلة في حدّ « قرى عربية ».

* * *

٤٢ – هذا على أني لم أجد تحديداً شافياً لما كان يسمى (وادي القرى)، فالبكري لم يذكره محدداً ، ولم يعقد له باباً في كتابه « معجم ما استعجم ». أما ياقوت ، فقد ذكره في (القرى) وفي (وادي القرى) واحال على ما كتبه في (القرى) . وكل ما قاله في صفته هو ما يلي :

(ووادي القرى ، واد بين الشام والمدينة ، وهو بين تيماء وخيبر ، وبه قرى كثيرة ، وبها سمي وادي القرى . قال أبو المنذر : سمي (وادي القرى) لأن الوادي من أوله الى آخره قرى منظومـــة ، وكانت من أعمر البلاد ، وآثار القرى إلى الآن بها ظاهرة ، إلا أنها في وقتنا هذا كلهـــا خراب ، ومياهها جاوية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد) . ثم قال :

(قال أبو عبيد الله السكوني : وادي القرى ، والحجر ، والجناب ، منازل قضاعة ، ثم جهينة وعذرة وبلىّ ، وهي بين الشام والمدينة ، يمر بها حاج الشام ، وكانت قديماً منازل ثمود وعاد ، وبها أهلكم الله ، وآثارها إلى الآن باقية ، ونزلها بعدهم يهود ، واستخرجوا كظائمها ، وأساحوا عيونها ، وغرسوا نخلها ، فلما نزلت بهم القبائل ، عقدوا بينهم حلفاً ، وكان لهم فيها على اليهود طعمة وأكل في كل عام ، ومنعوها لهم من العرب ، ودفعوا عنها قبائل قضاعة) – وهذا مختصر مما في « معجم ما استعجم » : ١ : ٤٣) .

ويوهم سياق الكلام أن اليهود هم الذين منعوا وادي القرى من العرب ، والصواب أن الذين منعوهـــا لليهود هم بنو عذرة ، للحلف الذي بينهم وبين يهود . وقد ذكر ذلك النابغة الذبياني في شعره ، فقد أراد النعمان بن الحارث الغساني أن يغزو بني عذرة بوادي القرى ، وكان النابغة لهم محباً ومادحاً ، فنهاه عن ذلك ، وقال في أبياته :

تجَنب بني حُنّ فان لقاءهم كريه ،وان لم تلق إلا بصابر

و (بنو حن) ، هم بنو عذرة ، ثم قال :

وهم منعوا وادي القرى منعدوهم بجمع مبير للعـــدو المكاثر

وهم منعوها من قضاعة كلّهـــا ومن مضر الحمراء ، عند التغاور

* * *

٤٣ – وأما السمهوديّ في «وفاء الوفاء» ، فانه عقد باب (وادي القرى) ، وليس فيه تحديد شاف بل قال :

(واد كثير القرى بين المدينة والشام) ، ثم نقل عن الحافظ ابن حجر : (هي مدينة قديمة بين المدينة والشأم ، وأغرب ابن قُرقول فقال : إنها من أعمال المدينة) .

(قال السمهودي) : ولا إغراب فيه ، بتصريح صاحب «المسالك» به ، كما سبق في تبوك ، وسبق أن (دومة الجندل) من أعمال المدينة ، وأنها بوادي القرى (أنظر ما كتبته رقم : ٤١) ثم قال :

(وسبق في (ذي المروة) ، أن بعضهم عده من وادي القرى ، وأنه إن ثبت فهو غير (وادي القرى) المذكور ، وسبق في (بلاكث) و (برمة) ما يؤيده . وعليه أهل المدينة اليوم ، لأنهم يسمون ناحية ذي المروة ، وناحية ذي خشب (وادي القرى) ، ولعلها (قرى عرينة) الصواب . (قرى عربية ، كما أسلفنا) .

– وهذا نص مهم جداً ، لأن السمهودي تنبه هنا إلى أن (قرى عربية) توشك أن تكون دالة على هذه القرى جميعها .

* * *

٤٤ – وصفة (وادي القرى) كما جاء في صفة أبي المنذر (رقم : ٤٢) (سمى وادي القرى) لأن الوادي من أوله الى آخره قرى منظومة (هو نفس صفة (قرى عربية) التي ذكرها الطبري (رقم : ١٣) ، ويطابق ما لخصته آنفاً (رقم : ٣٨ ، ٣٩) ، وذلك كما قال الطبري : قرى متصلة بين المدينة والشام) .

* • •

٤٥ ـ وشيء آخر يدل على مثل ذلك ، فقد قال ابن حبيب في «المحبّر» (رقم : ١٦) :

(ثم سنة سبع ، فيها خرج ﷺ إلى خيبر ، فحاصرهم بضعة عشر يوماً، وارتحل منها إلى (قرى عربية) فلم يلق كيدا) .

واجماع أهل السير ، أن رسول الله ﷺ لما فرغ من أمر خيبر ، ارتحل متوجهاً إلى (وادي القرى) قال ابن اسحاق (سيرة ابن هشام: ٣ :٣٥٣):

(فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر ، انصرف إلى وادي القرى،فحاصر أهله ليالي ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة) .

وكذلك قال البلاذري في « فتوح البلدان » : ٤١ ، الطبري في تاريخه : (٣ : ٩٦)، وابن سيد الناس في « عيون الأثر » (٢ : ١٤٣)، وابن كثير في«البداية والنهاية»(٤ : ٢١٢)،والمقريزي في«إمتاع الاسماع»(١ : ٣٣١)، وغيرهم .

فصح بذلك أيضاً أنهم كانوا يطلقون (قرى عربية)على (وادي القرى) أيضاً .

* * *

٤٦ ـ وبقي نص آخر ، يحتاج إلى بعض التفصل ، ذلك ما نقله ياقوت في معجمه عن خط العبدري (رقم : ٢٠) في بعث ابي بكر رضي الله عنه عمرو بن العاص ، إلى الشأم مدداً لأبي عبيدة :

ـ (وجعل عمرو بن العاص يستنفر من مربه من البوادي وقرى عربية)

وقد ذكر البلاذري في فتوح البلدان (١١٤ ، ١١٥) أن أبا بكر عقد ثلاثة ألوية لفتح الشأم ، منها لواء عمرو بن العاص ، ثم ذكر عن أبي مخنف : أن عمرو بن العاص انما كان مدداً للمسلمين ، وأميراً على من ضم اليه) و (أن يسلك طريق أيلة عامداً لفلسطين) .

وجاء في الطبري (في سنة ثلاث عشرة) أن أبا بكر بعث عمراً قِبَل

فلسطين ، فأخذ على طريق (المعرقة) إلى (أيلة) .

وطريق (المُعرقة) هو الذي كانت تسلكه عير قريش إلى الشام ، وفيه سلكت عيرهم حين كانت وقعة بدر ، وهذه الطريق ، كما استظهرت من صفة ابن خرداذبه في « المسالك والممالك » (١٥٠ ، ١٩١) للطريق من دمشق إلى مكة هي : (من المدينة ، إلى ذي خشب ، إلى السويداء ، إلى المرّ ، إلى ذي المروة ، إلى الرحيبة ، إلى وادي القرى ، إلى الحِجر) .

و (ذو خشب) يعد من وادي القرى ، و (السويداء) بعد ذي خشب على ليلتين من المدينة على طريق الشام ، و (مُرّ) واد في بطن إضم ، وهو كما قال ابن سعد ١ / ١ / ٩٦ : (بين ذي خشب وذي المروة) ، وهو من منازل جهينة) ، وجهينة كما سلف (رقم : ٣٩ ، ثم رقم : ٤٢) بوادي القرى ، ثم (الرُّحيبة) وكأنها (الرحبة) ، الا أن يكون تصغيراً ، من بلاد عذرة ، قرب وادي القرى .

وأيضاً ، فقد روى ابن عساكر في تاريخه (١ : ٤٤٦ – طبعة المجمع العلمي بدمشق : (أن أبا بكر قال لعمرو بن العاص في فتح الشام : إني قد استعملتك على من مررت به من بليّ ، وعذرة ، وسائر قضاعة ، ومن سقط هنالك من العرب ، فاندبهم إلى الجهاد في سبيل الله ..)

وقد سلف في (رقم : ٣٩ ، ورقم : ٤٢) أن منازل بليّ ، وعذرة وقضاعة ، هي (وادي القرى)، بين المدينة والشام ، وإذن فالذين استنفرهم من البوادي و (قرى عربية) فيما ذكره العبدري ، هم أنفسهم من استعمِل عليهم عمرو بن العاص من بليّ وعذرة وقضاعة ، واستنفرهم في طريقه إلى فلسطين ، كما قال ابن عساكر ، وهم أنفسهم أصحاب (وادي القرى)

– فهذا إذن ، دليل آخر على أنهم يريدون بقولهم : (قرى عربية) ، وادي القرى ، وسائر القرى الممتدة المتصلة بالشام .

* * *

٤٧ – وأما صدر الكلام الذي وجده ياقوت بخط العبدري (رقم : ٢٠)

فقد أوجدنيه الأستاذ عبد الله الوهيبي ، في أخبار الردة في « فتوح البلدان » ١٠١ ، وتاريخ ابن الأثير ١٤٢ ، وهو باسناده في فتوح البلدان .

ـ حدثني عبد الله بن صالح العِجْلي ، عن يحيى بن آدم ، عن عوانة بن الحكم ، عن جرير بن يزيد ، عن الشعبي قال : قال عبد الله بن مسعود : «لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ ، مقاماً كدنا نهلك فيه ، لولا أن من الله علينا بأبي بكر . اجتمع رأينا جميعاً على أن لا نقاتل على بنت مخاضٍ وابن لبون ، وأن نأكل قرى عربية ، ونعبد الله حتى يأتينا اليقين » .

ومعنى هذا الخبر أن العرب لما ارتدت ، وتنازع الصحابة أمرهم بينهم ، كادوا يجمعون على المقام في المدينة وما حولها ، وهي قرى عربية ، يأكلون مما تنبت أرضها ، ويعبدون الله حتى يأتي أمر الله ، وهذا واضح الدلالة على أن المراد بقوله : « قرى عربية » ، أعراض المدينة وهي خيبر ، وفدك ، ووادي القرى ، كما سلف من قول ابن خراذبه ، وابن رسته (رقم : ٢٥) .

* * *

٤٨ ـ هذا ، وبعد الانتهاء مما سلف ، تفضل الأخ الأستاذ عبد الله الوهيبي ، فأوقفني على عدة نصوص فاتتني وأنا أسردها هنا :

ـ في الاستيعاب لابن عبد البر ، في ترجمة « عمرو بن سعيد بن العاص » !

« واستعمل رسول الله ﷺ عمرو بن سعيد ، على قرى عربية ، منها تبوك وخيبر وفدك .. »

ومثله في ترجمته أيضاً في أنساب الأشراف للبلاذري (٤ : ١٢٨) ، وانظر ما سلف (رقم : ١٧ ـ ١٩) .

ـ ثم جاء في الاستيعاب أيضاً في ترجمة « خالد بن سعيد بن العاص » :

« وكان خالد على اليمن ، وأبان على البحرين ، وعمرو على تيماء وخيبر وقرى عربية ، وكان الحكم يعلّم الحكمة » أنظر ما سلف (رقم : ١٧ـ١٩).

٤٩ – وقال أبو حيان في «البحر المحيط» في تفسير سورة الحشر(٨:٢٤٥)

– « وقال ابن عطية : أهل القرى المذكورون في هذه الآية ، هم أهل الصفراء ، وينبع ، ووادي القرى ، وما هنالك من قرى العرب التي تسمى قرى عربية » .

قلت : وهذا يشبه أن يكون تفسيراً واضحاً مطابقاً لقول الأصمعي والشافعي وبيانهما فيما سلف (رقم : ٢١ ، ٢٢) .

٥٠ – وفي كتاب « البدء والتاريخ » لابن طاهر المقدسي (٥ : ٢٥) في ذكر رسول الله ﷺ وميراثه ، قال :

– (وله ﷺ من الضياع : قرى عربية ، وفدك ، والنضير ، وكثير من خيبر) .

* * *

٥١ – وفي كتاب الخراج لأبي يوسف : ٧٠ :

– (وأما الخوارج، فإنهم أخطأوا المحجة،وجعلوا(قرى عربية) بمنزلة(قرى عجمية)،ولم يأخذوا بما اجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ وقول عمر وعلي).

ويعني بذلك أنّ أرض الحجاز والمدينة ومكة واليمن وأرض العرب كلها، أرض عُشر ، وإن افتتحت عنوة ، أما (قرى عجمية) ، وهي قرى العجم ، فإن ما افتتح منها فهو أرض خراج . قال أبو يوسف : (وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ افتتح فتوحاً من الأرض العربية ، فوضع عليها العشر ، ولم يجعل على شيء منها خراجاً) .

– وهذه الفتوح هي التي ذكرها الشافعي رحمه الله فيما سلف (رقم :١٢) وأبان عنها فيما نقله آنفاً (رقم : ٢١) . فقول أبي يوسف أن الخوارج جعلوا (قرى عربية) بمنزلة (قرى عجمية) ، إنما يعني هذا ، ويعني أيضاً ما أشار اليه الشافعي في بيانه ، وما قاله الاصمعي آنفاً (رقم : ٢٢) من

أن (قرى عربية) كل قرية في أرض العرب) فكذلك (قرى عجمية) هى كل قرية في أرض العجم .

* * *

٥٢ – وفي«شرح ابن الأنباري»للقصائد السبع (١٠٦ – ١٠٧) في شرح قول امرىء القيس :

وتيماء لمْ يترك بها جِذْع نخلةٍ ولا أجما إلاّ مشيداً بجندلِ

قال : (وتيماء ، من أمهات القرى ، قرى عربية) .

– وهذا واضح الدلالة على أن (تيماء)، من قرى عربية، فهو لذلك دال على أن قرىعربية اسمجامع لقرى العربالتي كانتشمال المدينة،والتي سكنهايهود.

* * *

٥٣ – وبقي خبر عن أبي هريرة رواه ابن عساكر « مختصر تاريخ ابن عساكر » ١ : ٣٥٠) ، والسيوطي في دلائل النبوة (١ : ٢٥) :

– (عن أبي هريرة : بلغني أن بني اسرائيل ، لما أصابهم ما أصابهم من ظهور بخت نصر عليهم ، وفرقتهم وذلتهم تفرقوا ، وكانوا يجدون محمداً منعوتاً في كتابهم ، وأنه يظهر في بعض (القرى العربية) ، في تربة ذات نخل ، فلما خرجوا من أرض الشأم ، جعلوا يقترون كل قرية من تلك القرى العربية بين الشأم واليمن ، يجدون نعتها نعت يثرب ، فينزل بها طائفة منهم، ويرجون أن يلقوا محمداً فيتبعونه ، حتى نزل من بني هرون ممن حمل التوارة بيثرب منهم طائفة ، فمات أولئك الآباء وهم مؤمنون بمحمد ﷺ أنه جاء ، ويحثون أبناءهم على اتباعه إذا جاء ، فأدركه من أدركه من أبنائهم، وكفروا به وهم يعرفون) .

– وصفة هذه القرى العربية، شبيهة بصفة (قرى ظاهرة) (سبأ: ١٨) فيما ذكرته آنفاً من خبر سعيد بن جبير (رقم : ٥) ، وما جاء في تفسير الطبري (رقم : ١٣) ، وأنها هي (قرى عربية) .

٥٤ – وعندي أن هذا كله يوشك أن يدل على أن (قرى عربية) كانت تشمل القرى العربية ما بين الشأم إلى المدينة ، كما فسرها الطبري في تفسير قوله تعالى : (قرى ظاهرة) (سبأ : ١٨)،وأن (قرى عربية) و (وادي القرى) كانا يستعملان أحياناً ، ولا سيما في القديم من الرواية ، للدلالة على معنى واحدٍ ، وأن هذه الدلالة عند عمومها تشمل خيبر ، وفدك ، ووادي القرى ، وبرمة التي بين خيبر ووادي القرى ، (وفاء الوفا) ، وذا المروة وذا خشب ، والهمج ، وهو ماء بين خيبر وفدك (ابن سعد ٢ / ١ / ٦٥ ، « وفاء الوفاء » في (فدك) وهمج – وظبية ، والصفراء ، ويثرب ، وتيماء ، ودومة الجندل ، ومدين ، وينبع ، وبلاكث ، وسائر ما كان من القرى في شمال المدينة ، وما نزلت به هو من أرض العرب فسكنته وغرسته وبنت فيه بيوتها وآطامها وأسواقها .

* * *

٥٥ – وقد بقي خبران لم أتعرض لهما ، أولهما : خبر الطبري ، وشبيهه الذي جاء في تفسير البغوى (رقم : ١٤) في شأن النفر الاثني عشر من أحبار يهود ، الذين جاءوا من خيبر وقرى عربية ، وقد تواطأوا على الدخول في دين الله أوّل النهار ، ثم يكفرون آخره وهذا الخبر لم أجده مفسّراً مبسوطاً في مكان آخر ، وقد ذكر أصحاب السير اجتماع نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ وما كان من أمرهم .

وقد ذكر ابن اسحق أن (سورة آل عمران) التي ذكر الله سبحانه فيها مقالة أحبار يهود : (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) (سورة آل عمران : ٧٢) ، إنما نزلت خاصة في الذين كانوا يسألون رسول الله ﷺ ويتعنّتونه ، وعدٌ منهم (أبا ياسر بن أخطب) ، وأخاه (حيي بن أخطب) ، وهما من بني النضير (ابن هشام ٢ : ١٦٠ – ٢ : ١٩٤ ، ١٩٧) ، وعبد الله ابن صيف، من بنى قينقاع ، وعدي بن زيد ، والحارث بن عوف ، من بني قريظة (ابن

هشام ٢ : ١٦١ ، ١٦٢ وتفسير الطبري ٦ : ٥٠٤ ، رقم : ٧٢٢٣) ، وهؤلاء الثلاثة من الذين تواطأوا على أن يؤمنوا أول النهار ويكفروا آخره .

فأما (حيي بن أخطب) وأخوه ، فهما من بني النضير ، و (صفية أم المؤمنين) ، هي بنت (حيي بن أخطب) سيد قريظة النضير (صحيح مسلم – كتاب النكاح – باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها) . وإذ كان ذلك كذلك ، فأرجّح أن أموال (حيى بن أخطب) ومنازله كان بعضها في فدك ، وقرى عربية (وهي التي نزلت فيها آية الفيء ، كما أسلفنا ، فهذه الآية نزلت في بني النضير ، بلا شك ، و (سورة الحشر) التي منها هذه الآية ، كان ابن عباس يقول هي (سورة بني النضير) .

ولما أجلى بنو النضير إلى خيبر، كانت لحيي أيضاً أموال بها ، لأن (صفية أم المؤمنين) كانت يوم خيبر عند (كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق) فصارت من سبايا خيبر ، وكانت يومئذ في حصن بني أبي الحقيق ، وهو القموص) . و (كنانة) هذا ، كان أيضاً من بني النضير (ابن هشام٢:١٦٠)

فأنا أرجح أن اليهود ، من بني قريظة ، وبني قينقاع ، وبني النضير ، وسائر طوائفهم كانوا مفرقين شتى متداخلين في القرى التي كانت شمال المدينة ، في خيبر ، وفدك ، ووادي القرى ، وقرى عربية وغيرها ، فأظن لذلك أنّ المذكورين في خبر ابن هشام ، هم أنفسهم المذكورون في خبر المتواطئين من يهود خيبر وقرى عربية ، كما جاء في خبر الطبري (أنظر ما سيأتي رقم : ٥٦) .

وقد رأيت ما يصحّح هذا القول في شأن قريظة والنضير ، وانهم كانوا خارج المدينة في كتاب ابن القيم « أحكام أهل الذمة » ص : ٨٣٩ قال : (وأما قريظة والنضير ، فكانوا خارجاً من المدينة ، وعهدهم مع رسول الله ﷺ أشهر من أن من يخفى على عالم) .

* * *

٥٦ – وأما الخبر الثاني ، فهو خبر دجاجة ، عن عثمان رضي الله عنه

(رقم : ١٥) وقول عثمان : (لا يسكن قرى عربية دينان) ، وهـذا الخبر لم أجده في أخبار عثمان رضي الله عنه ، والذي عندنا في أمر إجلاء اليهود ، هو إجلاء عمر يهود خيبر وغيرها لقوله ﷺ : (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب) ، فأجلاهم عمر إلى (تيماء) . فإذا صح أن عثمان قال : (لا يسكن قرى عربية دينان) فإنه لا يعني خيبر بلا شك ، ولا يعني أيضاً (فدك) ، ولا منازل بني النضير القريبة من شمال المدينة ، لأن رسول الله ﷺ ، خرج إلى بني النضير سنة أربع ، فسار بعضهم إلى (خيبر) فكان منهم(سلاّم بن أبي الحقيق) ،و (كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق) و (حيي بن أخطب) (ابن هشام ٣ : ٢٠١) .

وإذا لم يكن يعني هذه القرى القريبة من شمال المدينة ، فأرجح أن قول عثمان : (لا يسكن قرى عربية دينان) ، انما يراد به بعض الأماكن البعيدة عن شمال المدينة إلى حد الشام من القرى الظاهرة المتصلة التي ذكر الطبري أنها (قرى عربية) (رقم : ١٣) ، نحو (تيماء) ودومـة الجندل ، ومدين ، وما قارب ذلك (١) .

* * *

٥٧ — فمن هذا كله ، من الذي علقته في هذه الكلمات ، وعما أغفلته من الاستنباط والمراجعة ، يتبين لي أن أدق تفسير لقولهم (قرى عربية) هو أقدم تفسير ، وهو قول الشافعي في ذلك : (هي قرى اليهود بنوها في بلاد العرب ، والعرب حولهم ، وهي أشراف بلاد العرب ، (أي مشارفها) ، وهي فدك وخيبر) ، وقول الأصمعي ، وهو أوضح : قرى عربية ، كل

---

(١) وذكر خليفة بن خياط في تاريخه (المطبوع في بغداد ج ١ ص ٦٢ وفي دمشق ص ٧٢ والمخطوط سنة ٤٧٩ ص ٢٣٨ : — في سياق ذكر عماله عليه الصلاة والسلام : وعمرو بن سعيد ابن العاصي على قرى عربية ، خيبر ، ووادي القرى ، وتيما ، وتبوك ، وقبض رسول الله صلى الله وسلم وعمرو عليها . ا هـ .
والنسخة الخطية موثقة ومصححة ، وقرأها علماء اعلام . (العرب) .

قرية في أرض العرب ، نحو خيبر ، وفدك ، والسوارقية ، وما أشبه ذلك) (رقم ، ٢١ ، ٢٢) وذلك ما فسّرته آنفاً (رقم : ٥٤) .

وظني أن اليهود لما نزلوا أرض العرب، وانساحوا ما بين المدينة والشأم ، كانوا يسمون بلاد جزيرةالعرب يومئذ «عربية» أي أرض العرب،ثم قالوا للقرى التي سكنوها في مهبطهم من الشأم إلى يثرب « قرى عربية » اسماً جامعاً ، أي قرى أرض العرب ، وقولهم (عربية) وهم يعنون بلاد جزيرة العرب ، أشبه بأن يكون من كلامهم ونهج لسانهم ، وإذ كانوا غرباء على لسان العرب ، فقد سموها على سليقة لسانهم بلفظ عربي مستجلب . ثم لما طال عليهم الأمد، وسموا كل قرية باسم أنشأوه أو ورثوه ممن كان معهم من العرب نحو (تيماء) و (دومة الجندل) و (خيبر) و (فدك) ، ظل قولهم (قرى عربية) اسما جامعاً لهذه الأرض كلها من شمال المدينة الى الشأم: ولكن العرب لما جاوروهم وعقدوا بينهم حلفاً ، بدأوا يضيقون بهذه التسمية التي تشبه أن لا تكون عربية خالصة (قرى عربية) وان احتملها لسان العرب ، فقالوا لهذه القرى (وادي القرى) ، إذ كانت أكثر هذه القرى تقع في الوادي الطويل الممتد المتفرع ما بين الشأم إلى المدينة .

فلما أخذت كل قرية تتسع وتكبر ، ويزداد عدد أهلها ، وتكون لها شهرة بثمر أو سوق أو تجارة ، انفردت كل واحدة منها باسمها وطار صيتها ، وجعل لفظ (وادي القرى) أو (قرى عربية) يضيق أحياناً فيطلق على مكان بعينه ، يجمع عدة قرى متقاربة، وربما جاء وقت بعد ذلك،لا أستطيع أن أحدده ، وإن كنت أرجح أنه كان بعد الاسلام بدهر ، فخص (وادي القرى) و (قرى عربية) بناحية بعينها أو ناحيتين من هذه القرى الممتدة المتصلة ما بين الشأم إلى يثرب . ومن أجل ذلك كما رأيت ، اضطرب قول المؤلفين في تحديد ما كان يسمى (وادي القرى) أو (قرى عربية) وصارا بذلك اسمين مبهمين يدلان دلالة مبهمة غير محددة تحديداً شافياً .

هذا غاية ما أحببت أن أقيده، وعسى أن أكون قد بلغت بعض التوفيق في جمع هذه الأخبار وتصحيح دلالاتها ، والبيان عن معنى (قرى عربية) وتمحيصه ، والحمد لله وحده .

محمود محمد شاكر

المعادن القديمة في بلاد العرب

[كان الأخ الاستاذ عبد الله عريف حينما كان يتولى رئاسة تحرير جريدة « البلاد السعودية » طلب مني أن أكتب بحثاً عن المعادن في المملكة فأجبته بمقال نشر في تلك الجريدة [في أعدادها ١١٥٧ إلى ١١٦٢ فيما بين آخر جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ هـ - ٢٥ مارس ١٩٥٢ و ١١ رجب - الموافق ٦ ابريل ١٩٥٢] وقد كرم أحد الاخوان ، فبعث إلي بذلك المقال ، بعد نشر مقال المستشرق الالماني الاستاذ موريتس عن (المعادن في البلاد العربية القديمة) في مجلة « العرب » [من ص ٥٨٠ إلى ٥٩٢ السنة الثانية] وقد رأيت في إعادة نشر ذلك المقال بعد إلقاء نظرة عليه ، والتصرف فيه ببعض الزيادات ، رأيت في ذلك إكمالاً للبحث في الموضوع] .

بعض من كتبوا عن المعادن :

لا ريب ان العلماء الفوا مؤلفات عن المعادن في جزيرة العرب في العصور القديمة ، كشأنهم في كل ناحية من نواحي العلم ، الا أن ما وصل الينا من المؤلفات القديمة في هذه الناحية قليل جداً ، بل أقل من القليل إذا صح هذا التعبير ، ويظهر أن فقدان ما الفه المتقدمون في هذه الناحية ناشىء عن انصراف الدولة الاسلامية عن الجزيرة انصرافاً لم يقف عند حد اهمال ما الف عن نواحيها الاقتصادية ومنها التعدين ، بل شمل كل الجوانب باستثناء ماله صلة بالمشاعر المقدسة ، أو ما يمر عرضاً في سياق الأخبار التاريخية المتصلة برجال الحكم والسياسة في العهود الغابرة،وقد عرفنا عن هذه الناحية معلومات موجزة نجملها فيما يلي :

١ - من أقدم من عرفناه الفّ في هذا الموضوع الجاحظ الأمام في الأدب المعروف بما خلفه لنا من تراث ضخم غير أن كتابه مع فقدانه يظهر أنه مختص بطريقة التعدين ، وما تعالج به المعادن من وجوه الصنعة كما يظهر هذا من قوله في مقدمة كتابه « الحيوان » [1] حيث قال : (وعبتني بكتاب

(١) جـ١ ص ٦ .

المعادن ، والقول في جواهر الارض ، وفي اختلاف اجناس الفلز ، والاخبار عن ذائبها وجامدها ومخلوقها ومصنوعها، وكيف يسرع الانقلاب إلى بعضها، ويبطىء عن بعضها ؟ ، وكيف صار بعض الألوان يصبغ ولا ينصبغ،وبعضها ينصبغ ولا يصبغ،وبعضها يصبغ وينصبغ،وما القول في الاكسير والتلطيف).

٢ – أما أعظم أثر وصل الينا في الموضوع ، فهو كتاب علامة اليمن وفيلسوف العرب الحسن ابن أحمد الهمداني صاحب كتب«صفة جزيرة العرب» و « الاكليل » و « سرائر الحكمة » وغيرها من المؤلفات الكثيرة التي لم تصـــل الينا ، والهمداني ، كما هو معروف ولد سنة ٢٨٠ هـ وتوفي بعد سنة ٣٣٤ ورغم كون ثقافته عربية بحتة من حيث عدم انتقاله إلى خارج الجزيرة إلا أنه كان واسع المعرفة بحيث يصح وصفه بأنه أحاط بثقافة عصره احاطة تامة والف في كل جانب من جوانبها ، وليس المقام مقام الحديث عن الهمداني، فله موضع آخر ، وانما المقصود الاشارة إلى مؤلفه عن المعادن .

من مؤلفات الهمداني هذا : كتاب « الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء » وهو يعني بهما الذهب والفضة ، فكتابه هذا يبحث في كل ما يتعلق بهما من حيث التعدين ومعالجة صنعتها بوجوه متعددة ، بل أورد في المقدمة فصلاً عنها ، يتضمن قسما مما ورد من الأشعار والأخبار فيهما ، مما هو بالمباحث الأدبية الصق ، والهمداني كما هو معروف أديب شاعر .

وقد وصل الينا من هذا الكتاب نسخة واحدة كاملة من مخطوطات القرن التاسع الهجري (كتبت سنة ٨٩٨ هـ) في مكتبة ابسالة من بلاد السويد ، ومنها صور في دار الكتب وفي معهد المخطوطات في القاهرة وفي غيرهما . ويوجد من الكتاب قطعة تقارب ثلثه الا انها رديئة الخط جداً ، وقد تكون منسوخة عن الأولى ، وهذه القطعة في مكتبة (ميلان) في ايطاليا ، وتقع نسخة ابسالة في ٨١ ورقة وقد تحدثت عنها في « مجلة المجمع العلمي العربي » بدمشق قبل بضع عشرة سنة [١] . واكتفي الآن باستعراض ابواب الكتاب مشيراً إلى مواقعها من تلك النسخة—وقد هيأت هذا الكتاب للنشر بعد تحقيقه.

---

(١) انظر المجلة المجلد ٢٦ ص ٥٣٣ – ٥٤٤ .

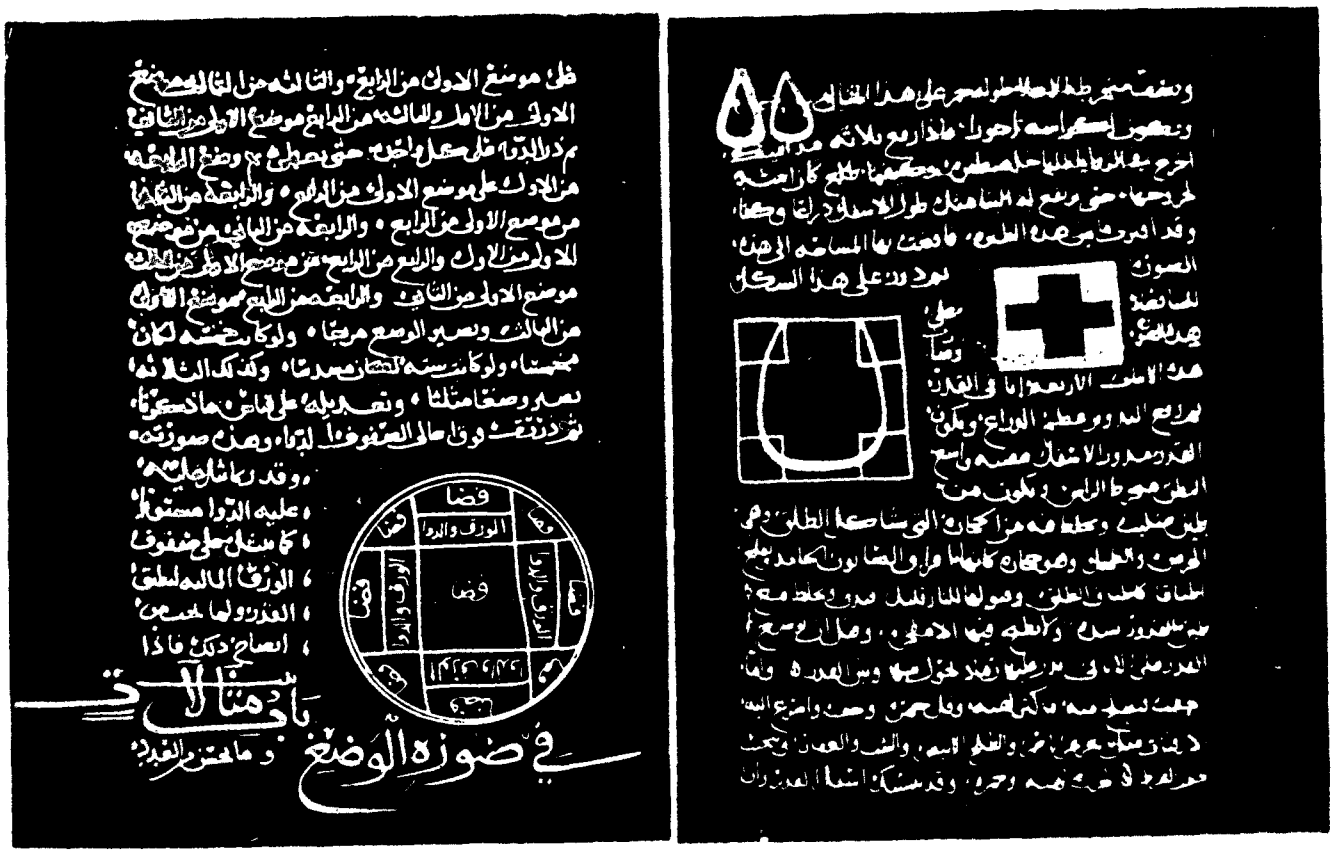

صفحتان من كتاب « الجوهرتين » للهمداني ـ الوارد ذكره في هذا المقال

الورقة : الأبواب
٢ الى ٨ ب المقدمة
٨ ب — باب اسماء الذهب والفضة
٩ ب — « اشتقاق اسم المال والعين والصامت والدينار والدرهم
١١ ب — « قسوم الكواكب من الجواهر .
١٣ — باب قسوم البروج من الجواهر
١٤ — « تكوّن الذهب والفضة في معادنها
٢١ ب — « مذهب اصحاب المعادن في تكون الذهب والفضة في بقاعها
٢٣ ب — « معادن جزيرة العرب
٢٧ — « استخراج الذهب من المعدن (وفيه رسمان صغيران للاناء الذي يجمع فيه تراب المعدن) .
٢٨ — باب تعريق التبر وسبكه وارقاقه .
٣٠ ب — « طبخ الذهب وهو التصعيد (فيه ستة رسوم صغيرة للتنور)
٣٣ — « في المحك والاعادة .
٣٨ — « ضرب العيار (فيه ثلاثة رسوم لعلامة العيار) .
٤٠ ب — « مثالات في صورة الوضع (فيه ١١ رسماً)
٤٧ — « حدود الرد والاستجازة اللذين يوجبها القياس (فيه رسم واحد)
٥٠ ب — « صحة الوزن ، ومعرفة التقسيم .
٥٢ ب — « خيار العيارات
٥٢ ب — « معرفة استخراج ما ينشفه الزاج والملح .
٥٦ ب — « استخراج الفضة من المعدن .
٥٨ — « اخلاص الفضة ومعاناتها .
٦٠ ب — « عيار الفضة
٦١ ب — « الاحماء .
باب التهريج
٦٢ ب — « جمع الخبث .
٦٣ — « سحالة المبرد والتسريب والحك في القصعة .
٦٣ ب — « ما يتصرف فيه الذهب والفضة من المنافع والزينة .
٦٤ ب — « منافع الذهب والفضة .

٦٥ ب — معرفة استخراج الزئبق وتكونه .
٦٦ — باب اطلاء الذهب
٦٧ ب — « قلع الذهب من الفضة .
٦٨ — « ما يصيب من روائح هذه الأشياء .
٦٨ ب — « الأشياء التي تلاشي الذهب والفضة
٦٩ — « تضطر اليه الحاجة من جميع الاضداد من الذهب والفضة
٧٠ — « تصحيح عمل الكيمياء .
٧٠ ب — « الجوهرتين البالغتين في الجودة .
٧١ — « مقادير ثقل الذهب والفضة .
٧١ ب — « فرق ما بين ذهب المعدن وتبر الذهب العيار .
٧٢ — « فرق ما بين ذهب الصناعة وذهب الدنيا .
٧٣ — « فرق ما بين الذهب الجيد والردىء في الحك والضرب والغمز .
٧٣ ب — « تشبيه الدينار والدرهم بالكوكب في النقاء .
٧٤ — « علة تدوير الدينار والدرهم (فيه رسم واحد) .
٧٤ ب — « كتاب الدينار والدرهم (فيه رسم واحد) .
٧٥ ب — « معرفه وجه الدينار وقفاه واقطاره
باب علل ضرب الدينار والدرهم
٧٧ ب — « الطبع وعلله ، والسكة وعللها .
٧٩ ب — « من الطبع —
باب سهولة النقش وصعوبته .
٨٠ — « علة تقايس السكة واستقامة رونقها —
باب اخذ مركز السكة على الصحة (فيه رسمان)
٨٠ ب — « معرفة خير جلاء الحديد —
باب السقي
٨١ — « حجر المحك —
باب الجون
٨١ ب — « باب الدنانير المكحلة والمرتكية .

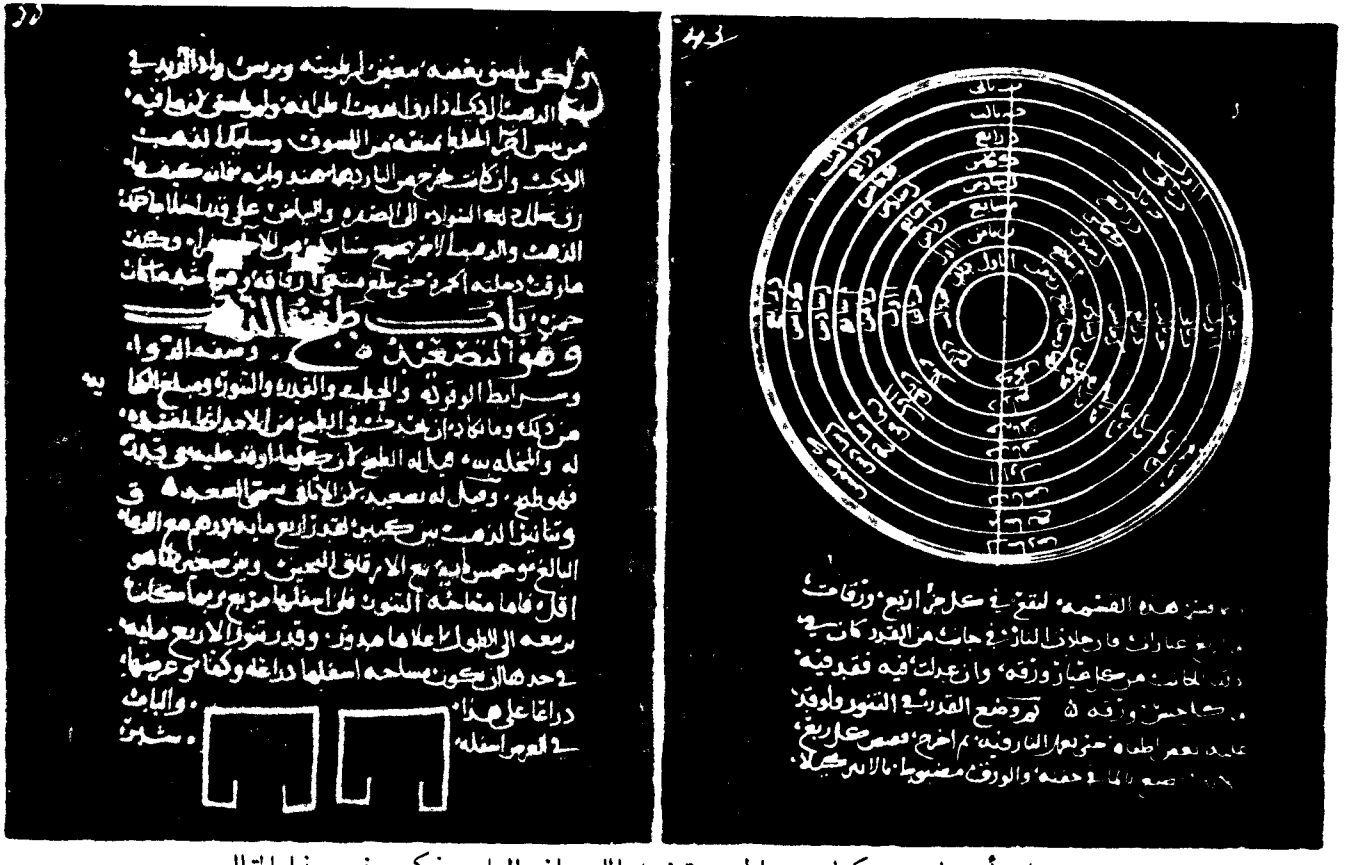

صفحتان أخريان من كتاب (الجوهرتين) اللهمداني الوارد ذكره في هذا المقال

٣ – والف ابو الفتح عثمان بن جني العالم اللغوي المعروف ، رسالة تتصل بالمعادن من حيث الناحية اللغوية ، قال عنها : (وقد كنت عملت رسالة في اسماء الذهب والفضة) [١] وهذه لا تدخل في نطـــاق بحثنا ، الا من حيث الصلة اللغوية .

٤ – ويوجد في دار الكتب رسالة بعنوان : « ذكر ما عرف موضعه من معادن اليمن » تقع في بضع صفحات وهي ملحقة باحدى مخطوطـات الجزء الثامن من كتاب « الاكليل » للهمداني ، وقد طبعت ملحقة بكتاب « الجماهر في معرفة الجواهر » للبيروني ، المطبوع في حيدر آباد (الهند)،سنة ١٣٥٥هـ وهي مفيدة في معرفة المعادن في بلاد اليمن ، وكثير مما فيها مستقىمن كتابي الهمداني « صفة جزيرة العرب » و« الاكليـل » ويظهر ان مؤلفها متأخر بعد القرن العاشر الهجري .

٥ – وممن كتب عن المعادن من المتأخرين المستشرق الالماني الاستاذ ، برنهارد موريتس ١٨٥٩ م – فقد الف رسالة دعاها «المعادن في البلاد العربية القديمة » نشر خلاصتها الامير شكيب ارسلان في رحلته إلىالحجاز التي دعاها « الارتسامات اللطاف »[٢] ثم نشرتها مجلة « العرب » كاملة ، مترجمة بقـــلم الدكتور امين رويحة [٣] .

٦ – وقام الاستاذ رشدي الصالح ملحس ، المتوفي قبـــل بضع سنوات – رحمه الله – بجمع معلومات عن معادن المملكة العربية السعودية ، طبعها في رسالة دعاها « معجم البلدان العربية – قسم الحجاز ونجد وملحقاتها – بحث المعادن » وطبعها في مجلد صغير الحجم تبلغ صفحاته ١٤٨ ، طبعها في مطبعة أم القري سنة ١٣٤٩ هـ ، ابان توليـــه رئاسة تحرير أم القرى بمكة المكرمة ، وكان الاستاذ رشدي – رحمه الله – يحاول وضع كتاب شامل في

---

(١) « للتمام في شرح اشعار هذيل » ص ٢٤٧

(٢) انظر ص ١٧٥ وما بعدها من الكتاب المذكور .

(٣) مجلة « العرب » ص ٥٨٠ – ٥٩٢ السنة الثانية .

تحديد بلدان المملكة ، سماه « معجم البلدان العربية – قسم الحجاز ونجـــد وملحقاتها » قبل اطلاق الاسم المعروف الآن على المملكة وقد تحدث الاستاذ رشدي عن كتابه هذا في جريدة أم القري [1] .

وقد حاول في رسالته عن المعادن جمع ما عثر عليه في المؤلفات التي كانت تحت يده كـ«معجم البلدان»و« صفة جزيرة العرب » و« وفاء الوفاء » و « تاج العروس » ، وهو جمع مـــع عدم استيعابه ، حصل فيه كثير من الخلط ، بسبب اطلاق الاسم الواحد على عدة مواضع مختلفة في البلاد ، ومن لم يعرفها ويعرف تباينها يظنهـــا موضعاً واحداً ، فيورد كل ما ذكره المتقدمون في تحديد المواضع المختلفة ، ويحاول تطبيقه على موضع واحد ، وهذا الوهم وقع فيه كثير ممن كتب عن مواضع الجزيرة .

وقد شحن الأستاذ رشدي – رحمه الله – رسالته بذكر مواضع الملح من السبخات ، وأسماء المياه المرة ، باعتبارها تحتوي على معادن ملحية ، مما هو خارج عن المعادن في نظر المتقدمين .

وقد أوضح الأستاذ رشدي طريقته في تلك الرسالة ، فقال في مقدمتها : (أما الطريقة التي اخترتها في وضع هذا الكتاب فهي أنني جمعت في كل مادة أقوال الكتاب والباحثين من المصادر التي هي في متناول يدي في هذا الوقت. وشرحت كل مادة بما يحيط بها من الأماكن لمعرفة موقعها وتحديد تخومها ، ولا يمكن القول بانني ذكرت فيه الأماكن كلها لأن مثل هذا البحث يحتاج إلى درس وتحقيق أرجو أن يوفقني الله اليه في هذا العهد الزاهر ، فأخرج للناس المعجم المطول ، مستوفياً جميع الشروط) .

ولقد انتقل إلى رحمة الله تعالى وبموته مات ما كنا نتطلع إلى معرفته عما انتهى اليه هذا المعجم .

٧ – وتقدم الأستاذ محسن العابد من علماء تونس في عام ١٩٦٦ م إلى جامعة بون في المانيا برسالةعن« المناجم في القرون الوسطى» وأماكن وجودها

---

(١) : أنظر العدد ٣١٣ تاريخ ١٥ / ٧ / ١٣٤٩ – ٥ / ١٢ / ١٩٣٠ م

في البلاد العربية – عند الجغرافيين والمؤرخين » نال بها اجازة (الدكتوراه) وهي باللغة الألمانية ، وتقع – مطبوعة – في ١٣٥ بالحرف الدقيق ، وفيها معلومات مفيدة عن المعادن في الجزيرة ، مستقاة من الكتب المعروفة [١] .

٨ – أما التقارير الرسمية التي كتبت عن المعادن في بلاد العرب في الآونة الأخيرة فهي كثيرة ولكنها تبحث في المعادن الموجودة فعلاً أو التي لا تزال آثارها بارزة ، ومن أقدم هذه التقارير : تقرير للسيد (ك. س. تويتشل) عـــن « المياه والمعادن في الحجاز » وقد نشرته جريدة أم القرى في تسعة أعداد منها ، في خلال عام ١٣٥٩ هـ – ١٩٣١ م [١] .

ونشرت المديرية العامة للمعادن نشرات مختلفة في الموضوع كلهـــا باللغة الانـكليزية . ومن أوفاها بالمقصود :

(Minéral Resources of Sâudi Arabia - Bulletin N. 1 - 1965)

٩ – ومن المتقدمين علماء تحدثوا عن المعادن ، في مؤلفاتهم عن الأحجار الكريمة ، الجواهر التي تتخذ للحلية وللزينة .

ومن أشهر هؤلاء فيلسوف العرب أبو اسحق الكندي الذي نجد اطرافاً مما كتب عن المعادن في بعض المؤلفات التي وصلت الينا عن الجواهر ، ومنهم ابو الريحان البيروني (٣٦٢ – ٤٤٠)وله كتاب معروف مطبوع هو« الجماهر في معرفة الجواهر » وشهاب الدين التيفاشي المصري المتوفي سنة ٦٥١ هـ وله كتاب يدعى « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » طبع في ايطاليا سنة ١٩٠٦ ، ومنهم محمد بن ابراهيم بن ساعد السنجاري المعروف بابن الاكفاني المتوفي سنة ٧٤٩ هـ ، وكتابه « نخب الزخائر في أحوال الجواهر » مطبوع أيضاً .

---

(١) : انظر وصف هذه الرسالة في « مجلة العرب » السنة الأولى ص ٦٦٢ / ٦٦٧ .

(١) أنظر جريدة أم القرى ع ٣٤٣ – ٣٥٠ تاريخ ٢٤-٢-١٣٥٠ – ١٠-٧-١٩٣١ ١٤ - ٤ - ١٣٥٠ هـ – ٣٧ - ٨ - ١٩٣١ م .

وهناك كتب أخرى عن الجواهر تعرضت للمعادن ، إلا أن تعرض تلك المؤلفات يكاد ينحصر في الصنعة والخاصية .

١٠ ــ ولا تخلو الكتب التي الفت عن خواص الأشياء من ذكر المعادن باعتبارها من وسائل الطب عند المتقدمين ، ولهذا يوجد في كتاب « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » لابن البيطار وفي كتاب « التذكرة في الطب » لداوود الأنطاكي وهما مطبوعان،يوجد فيهما كما يوجد في غيرهما معلومات عن المعادن تتصل بالنواحي التي الفت هذه الكتب في موضوعها .

التعدين عند العرب :

ويحسن أن نشير إلى موقف العرب المتقدمين من علم التعدين ، لصلته بموضوعنا ، ولئن كان العرب في عصورهم الأولى ينظرون إلى كل الصناعات نظرة ازدراء واحتقار لرسوخهم في البداوة ، ولهذا أصبحوا أبعد الناس عن اتقانها ، فان هذا لا ينطبق عليهم جميعاً ، فهناك أمم منهم تحضرت وأخذت بأساليب الحضارة التي لا تقوم الحياة بدونها ، غير أن النظرة الشاملة بالنسبة لكل العرب قبل الاسلام كانت تتفق مع ما وصموا به من ترفعهم عن الصناعات ، إذ طبيعة حياتهم التي تقوم على أساس التنقل ، تلجؤهم إلى ذلك فهم يرون أن كل صناعة تربطهم بالاقامة الدائمة ما هي إلا وسيلة من وسائل الذل والضعف ، ولهذا ورد في الاثر ما معناه : (إذا أخذتم باذناب البقر وتركتم الغزو في سبيل الله رماكم الله بالذل) ، أو ما هذا معناه ، ومن المدرك بداهة ان الأمم كلما أوغلت في القدم مالت إلى التحضر ، ويصدق هذا على العرب ، حيث نجد بعض القبائل خرجت عن مألوف العرب العام من هذه الناحية ومارست بعض الصناعات ، ومن تلك القبائل :

١ ــ بنو فران الذين نسب اليهم معدن فران .

وقد اختلف في نسب هؤلاء على قولين أحدهما : انهم من بقايا العرب العاربة الأولى من بني فاران بن عمرو بن عمليق والقول الثاني : انهم من بني فران بن بلي ، ولعل اصح الاوجه الجمع بين هذين القولين ، فهم في الأصل

من بقايا العرب البائدة انضم اليهم طوائف من العرب الباقية ، من قبيلة بلي من قضاعة من قحطان ، ومن بني سليم من قيس عيلان من عدنان ، وبهؤلاء عرف معدن فران ، المعروف الآن بمهد الذهب ، وقديماً بمعدن بني سليم .

٢ – بنو الاخثم بن عوف بن عصية من بني سليم ويقال لهم (القيون) لاشتغالهم بالتعدين ، وكان لهم معدن حديد يدعى (فاران) في بلاد بني سليم على ما ذكر البكري في معجمه [١] .

٣ – بنو حنيفة: فقد ذكر ياقوت الحموي في كلامه على معدن (العيصان) قال : يكون فيه ناس من بني حنيفة . ونجد نصوصاً أخرى تدل على أن قبائل من ربيعة كانت تشتغل في التعدين ، فقد ذكر ابن حوقل [٢] ان بني الأخيضر لما استولوا على اليمامة ، جلواسكانها منها إلى جهات مصر وهم من ربيعة ومضر وتميم حتى استولوا على معادن الذهب هناك .

٤ – باهلة : القبيلة المشهورة ، وكان بعض المتقدمين يضع من قدرها لاشتغال بعض أفراد منها بالصناعة ومنها بالتعدين ، وما ذاك إلا لأن بلاد باهلة تكثر فيها المعادن ، وهي على درجة حسنة من الخصب ، وبلد هذا شأنه يكون أهله أقرب إلى التحضر وإلى مزاولة أعمال الحياة الحضرية ، وهذا مما يجعل الأكثرين من العرب ، والذين لا يزالون يمارسون حياة البداوة ، ينظرون إلى تلك القبيلة نظرة استهانة ، وهذا أمر مألوف ومعروف في كل زمان بين العرب ، ولعل من الطريف أن نورد هذه القصة على سبيل الفكاهة ، روى صاحب (الأغاني) عن اسحاق الموصلي ، قال [٣] :

(وقف على بشار بعض المجان ، وهو ينشد شعراً ، فقال له : استر شعرك هذا كما تستر عورتك ، فصفق بشار بيديه ، وغضب ، وقال له : ويلك ومن أنت ؟ قال : أنا – أعزك الله – رجل من باهلة ، واخوالي سلول ،

---

(١) « معجم ما استعجم » ص ١٩١٣ .

(٢) كتاب « صورة الأرض ، أو المسالك والممالك » ص ٣٨ و ٥٨ ط : بيروت .

(٣) « الأغاني » ج ٣ ص ٣٠ ط : الساسي .

وأصهاري عكل ، واسمي كلب ، ومولدي بأضاخ ، ومنزلي بظفر بلال . فضحك بشار ، وقال : اذهب – ويلك – فأنت عتيق لؤمك ، قد علم الله انك استترت مني بحصون من حديد) .

ونستخلص مما تقدم ان القبيلة كلما كانت حياتها أقرب إلى التحضر ، إما لخصوبة ارضها أو لكثرة المعادن فيها أو لغير ذلك من الأسباب ، فانها لاتجد غضاضة في ممارسة الصناعة ، كالحال في بني سليم الذين تكثر المعادن في بلادهم وفي باهلة أيضاً ، ومن قبائـــل ربيعة الذين استوطنو اليمامة ، ومارسوا فيها أعمال الزراعة وغيرها من وسائل التحضر .

ويحسن أن نشير إلى وهم وقع فيه بعض الباحثين بالنسبة للتعدين ، فقد جاء في كتاب « منابع الثروة المعدنية في البلاد العربية السعودية »[1] ان العبيد هم الذين كانوا يعملون في المعادن . وهذا الرأي مبني على ما ورد في بعض الكتب القديمة من وصف العاملين بتلك المعادن بانهم (قيون) جمع قين ، وهذه الكلمة كما تطلق على المولى تطلق أيضاً على الصانع وقد اطلقت على كثير من القبائل العربية بسبب امتهانها للصناعة ومن أمثلة ذلك :

١ – بنو الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة ، كانوا يعيرون هم وقبيلتهم بنو اسد كلها بـ (القيون) لان جدهم كان من أول من عمل الحديد من العرب على ما يقول ابن الكلبي في كتاب (جمهرة النسب)[2].

٢ – بنو القين بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان .

٣ – بنو القين بن جسر بن شيع الله من قضاعة ، ويحاول ابن الكلبي فيما يظهر تعليل هذا الاسم بالنسبة لهؤلاء لقرب نسبهم من كلب قبيلته ، فيقول : (حضنه عبد يقال له القين فغلب عليه) ولا أرى هذا التعليل صحيحاً .

٤ – بنو القين الذين من بني سليم ، وقد تقدم ذكرهم .

٥ – بنو القين الذين من بلي ، وهم من بني فران ، وفي القبيلتين الأخيرتين

---

(١)

(٢) الورقة ٥٩ نسخة المتحف البريطاني.

يقول خفاف بن ندبة السلمي يهجوهما [1] .

متى كان للقينين قين طمية وقين بلي ، معدن بفران ؟

فيجيبه أحد شعرائهم قائلاً :

أنا عقيل ، ويقال السلمي واصدق النسبة، أنّـي من بلي

أما من حيث المعنى اللغوي لكلمة القين ، فهو (الحداد) فكل عامل بالحديد فهو عند العرب (قين) ، ويرى بعضهم انه كل صانع يعالج صنعة بنفسه إلا الكاتب وتأتي كلمة (التقيين) بمعنى (التزيين) ومنه الحديث : أنا قينت عائشة ، أي زينتها ، ولا يزال هذا التعبير مستعملاً في بعض البلدان العربية إذ يسمون من تهيء العروس بالزينة (المقينة) كما يطلق الآن اسم (القين) على الحداد وعلى المولى ، وبالاجمال فإن القول بان من يستخرج المعادن في العهود القديمـــة كانوا من الموالى ليس صحيحاً على اطلاقه ، فهناك أناس من العرب الصريحي النسب كانوا يشتغلون في التعدين ، هذا من حيث الاجمال،ولا ينفي أن كثيراً من المعادن في جزيرة العرب كان الذين يعملون فيها إما من الموالي أو من الفرس أو من اليهود ، وخاصة معادن جنوب الجزيرة كمعدن الرضراض الذي كان يعدنه أناس من الفرس يعرفون بفرس المعدن،كما كان يوجد في عقيق تمرة المعروف الآن باسم وادي الدواسر ، أناس من اليهود يظهر انهم كانوا يشتغلون ببعض الحرف المتصلة بالتعدين ، ومعدن شمام في بلاد باهـلة المعروف الآن باسم (اذني شمال) فيه أناس من المجوس من الفرس .

ومن الوهم أيضاً مـا ظنه بعض الباحثين من أن المشتغلين في التعدين في القديم ، كانوا من الأسرى .

ولم أر فيما اطلعت عليه من أقوال المتقدمين من قـــال بهذا ، وأراه غير صحيح من عدة وجوه : منها ان العرب كانوا يستغلون معادن بلادهم في عصر

---

(١) « معجم ما استعجم » ص ٢٩ .

لم يكونوا فيه بدرجة من القوة تمكنهم من غزو الامم الأخرى التي يمكن أن يقال بان الاسرى من هذه الأمم كفارس والروم مثلاً كانوا يستخدمون في التعدين: ومنها أن العرب بعد أن كانت لهم قوة ودولة في صدر الاسلام ما كانوا يسخرون اسراهم لأعمال شاقة كاعمال التعدين ، ومنها ان التعدين عند العرب لم يكن بدرجة من القوة بحيث يحتاج إلى من يسخر فيه للعمل ، ولم يكن على درجة من التعقيد بحيث يحتاج فيه إلى إيجاد ذوي مقدرة وخبرة عظيمة ، كما هو الحال في العصور المتأخرة .

وسائل الاستدلال على الذهب والفضة :

كان العرب يستدلون على المعادن بعلاماتها الظاهرة ببروز بعضها واضحة للعيان في الأحجار ، وقد اكتسبوا لطول المعاناة معرفة بمواقع الذهب والفضة ، في الأحجار التي تكثر فيها وكانوا يتخذون من وجود احجار المرو ، وخاصة عندما تكون عروقاً ممتدة في الأرض أو في الجبال[1] علامة لوجود المعدن ، وكانوا يتتبعون تلك العروق بالحفر عنها وتكسيرها واستعمال الوسائل التي يعرفونها لاستخلاص التبر أو الفضة ، وكثيراً ما يفضي بهم الحفر إلى أعماق غائرة في الأرض ، فيطغى عليهم الماء بحيث لا يستطيعون مواصلة استثمار المعدن لغزارة مائه وقد يؤول المعدن لغزارة مائه وقد يؤول المعدن فيما بعد إلى آبار يستعملون ماءها.

أما الطرق التي كان يستعملونها في التعدين فقد فصلها الهمداني في كتابه « الجوهرتين » ممـــا هو خارج عن نطاق بحثنا ، وهي طرق تتلاءم مع ذلك العهد ، من حيث البساطة ، وعدم الاتقان للطريقة التي بها يستثمر المعدن استثماراً كاملاً .

مواقع المعادن في بلاد العرب :

لاحظ الأستاذ مورتس المستشرق الالماني المعروف (١٨٥٩ – ١٩٣٩م) ان (مناطق الذهب في البلاد العربية التي أكدتها الأخبار المتواترة موجودة

---

(١) أنظر « فرع المسور » و « الكوكبة » فيما يأتي .

إلى جانب سلسلة الجبال التي تفصل بين داخل البلاد وبين المنطقة الساحلية الضيقة ، والتي تسمى (تهامة) . وكذلك يوجد منطقة أخرى للذهب في وسط البلاد لا تعرف بالضبط درجة اتساعها نحو الجنوب،ونحو الشرق[1]).

ونضيف إلى قوله ان الذهب والفضة يوجدان أيضاً في وسط البلاد في الأرض الواقعة بين أطراف القصيم الجنوبية ،ممتدة حتى اقصى جنوب الجزيرة ،وهي من الناحية الشرقية لا تتجاوز اقليم السر ، أما من الناحية الغربية فتصل إلى سفوح جبال الحجاز ، حيث تختلط بالمنطقة التي اشار اليها الاستاذ (مورتس).

هذا بالنظر إلى ما عرفناه من مواقع المعادن القديمة ، ولو ألقينا نظرة على المصور الجغرافي للمعادن (خارطة المعادن) ، لتبين لنا صواب هذا القول[2].

المعادن القديمة في البلاد :

لم يعن المتقدمون فيما وصل اليه علمنا – بوضع مؤلفات أو أبحاث حاولوا فيها حصر المعادن المعروفة في بلاد العرب ، بطريقة مفصلة ، وكل ما وصل اليه علمنا ، لا يعدو شذرات من القول مفرقة في مختلف الكتب عن بعض المعادن تأتي عرضاً،وقد حاولنا جمعها وترتيبها فيما بعد ، ولو نظرنا إلى المصور الجغرافي للمعادن ، مسترشدين بما كتبه الباحثون من المتأخرين ، لوجدنا في البلاد معادن كثيرة استغلت في العهود القديمة من القرن الثالث – الهجري على وجه التقريب – فما قبله .

ولعل من المفيد للباحث أن نورد بياناً بأسماء المعادن من الذهب والفضة والحديد مما كان معروفاً في العصور القديمة وضعه قسم المعادن في وزارة النفط في الكتاب الذي أشرنا اليه آنفاً . ومما يؤسفنا أن كثيراً من الأسماء الواردة فيه جاءت محرفة ، ذلك ان الذين وضعوا ذلك البيان كتبوا الأسماء باحرف لاتينية وكتبوها كتابة لا تتفق مع النطق الصحيح لجهل من وضعوه باللهجات

---

(١) مجلة « العرب » ، ص ٥٨١ السنة الثانية .
(٢) انظر الصورات الملحقة بهذا (الخرائط) .

المستعملة في الجزيرة العربية ، فقـــد يسمع أحدهم من ينطق القاف من غير مخرجها المعروف ، بل بمخرج يقرب من السين والدال ، فيظنها السامع (دالا) مثل الكلمة (قساس) فاللهجة المحلية تخرج القاف بهـــذا الاسم بين مخرجي السين والدال ، فيظنها السامع دالا، ثم ينطقونها ساكنة ولا يتقيدون بالقاعدة العربية التي تنص على عـــدم جواز الابتداء بساكن ، فيقولون (اقساس) فيكتبها الجاهل باللهجة (ادساس) كما حدث في اسم هدا المعدن عند وضع المصور الجغرافي الأول ، إلا أن المشرفين على طبع هذا المصور للمرة الثانية لاحظوا تصحيح هذا الاسم حينما كتبنا عنـــه فوضعوه – مشكورين – صحيحاً ، (قساس) .

ويلاحظ أيضاً في هذه الأسماء ، ان الأسماء القديمة ، قد تغيرت بسبب الجهل بها وما يحصل في البلاد من تنقل بين القبائل ، فتحل قبيـــلة مواطن قبيلة أخرى تجهل أسماء مواضعها ، فتطلق عليها أسماء حديثة ، وقد تستقي تلك الأسماء من بعض صفاتها ، ولهذا يكثر في الأسماء التي سنوردها فيما بعد اسم (أم المرو) أو (أم الدمار) أو (المعمل) وأمثال هذه الأسماء التي تدل على وجود آثار للتعدين منها أخذ الاسم الحديث ، بعد أن جهل الاسم القديم ، وقد يوجد في هذه الأسماء ما يزال باقياً على اسمه الصحيح ولكن بقـــلة .

وغايتنا من ايراد هـــذه الاسماء على علاتها افادة الباحثين بمعرفة مواقع التعدين القديمة، بصرف النظر عن اسمائها الحديثة ، كي يتمكنوا من دراستها ، ومحاولة تطبيق ما يمكن تطبيقه من النصوص القديمة على المواقع الحديثة التي رأينا من المفيد في هذه الناحية ذكر مواقعها بالنسبة لخطوط الطول والعرض حسبما جاء في كتاب (قسم المعادن) المشار اليه .

مواقع الذهب القديمة

الاسم	خط الطول شمالاً	خط العرض شرقاً
١ – أبا طير	٣٥ – ٢٤°	٤٥ – ٣٨°
٢ – أم عبلان (عبلان)	٣٦ – ٢٢	٢٢ – ٤٢
٣ – أبو القزاز	٤٧ – ٢٦	٣٤ – ٣٦
٤ – أبو المرو – قرب الوجه	٠٧ – ٢٦	٣٨ – ٣٦
٥ – أبو المرو – قرب املج	٢٤ – ٢٥	١٩ – ٣٧
٦ – أبو النعام	٣٤ – ٢٦	٢٧ – ٣٦
٧ – أبو الرِّحي	٥٦ – ٢٣	٠١ – ٤٥
٨ – أبو العشرة	٥٥ – ٢١	٢٩ – ٤٠
٩ – أبو الدَّبا	٠١ – ٢٧	٠٢ – ٣٦
١٠ – أبو حديد	١٢ – ٢١	٢٠ – ٤٠
١١ – أبو القلوات	٥٣ – ٢٦	٠٤ – ٣٦
١٢ – أبوالرحي–شمال شرق رابغ	٥٢ – ٢٢	١٨ – ٣٩
١٣ – أبو السَّلم	٣٠ – ٢٣	١٠ – ٤٤
١٤ – دُرَيعان	١٤ – ٢٤	٤٥ – ٤٢
١٥ – الدويحي	١٥ – ٢٢	١٦ – ٤٣
١٦ – الذويب	٣٥ – ٢٤	٤٥ – ٤١
١٧ – عفـرَة	٥٧ – ٢٥	١٣ – ٤٢
١٨ – العقيق (عقيق غامد)	١٧ – ٢٠	٤٢ – ٤١
١٩ – عُـكلية	١٠ – ٢٤	٤٥ – ٤٢
٢٠ – عقوب	٠٣ – ٢٦	٠٤ – ٤٢
٢١ – الأحاسن (الحَسَن)	١٥ – ٢٤	٥٥ – ٤٢
٢٢ – الأمار (العمار في العرض)	٤٥ – ٢٣	٠٤ – ٤٥
٢٣ – العتيبي	٥٣ – ٢٣	٠١ – ٤٥

الاسم	خط الطول شمالاً	خط العرض شرقاً
٢٤ ــ البوحار (البحير)	٣١ ــ ٢٥	١٢ ــ ٣٧
٢٥ ــ الدار	٢٠ ــ ٢٤	٢٥ ــ ٣٨
٢٦ ــ الحبلى (العبلا)	٣٣ ــ ٢٥	١٥ ــ ٤٢
٢٧ ــ الجُرير	٠٧ ــ ٢٦	٥٦ ــ ٤٢
٢٨ ــ الهجَيْرة	١٥ ــ ٢٤	٤٥ ــ ٤٢
٢٩ ــ اللقيطة (أو جبل الفراش)	٣٨ ــ ١٩	٢٥ ــ ٤٣
٣٠ ــ المعين	١٢ ــ ٢٦	٥٨ ــ ٣٧
٣١ ــ الحامة	٠٨ ــ ٢٥	٤٢ ــ ٤١
٣٢ ــ المرّة	٥٥ ــ ٣٦	٠٦ ــ ٣٦
٣٣ ــ النعْل	٥١ ــ ٢٦	٥١ ــ ٣٦
٣٤ ــ النهدين	١١ ــ ٢٦	٣٥ ــ ٣٦
٢٥ ــ العبيد (العُبيد)	٢٠ ــ ١٦	٤٠ ــ ٤١
٣٦ ــ الكبة	٢٦ ــ ٢٦	٣٢ ــ ٣٧
٣٧ ــ الشوطه (أو الشويطن)	١٤ ــ ٢٢	٣٣ ــ ٣٦
٣٨ ــ عماير المعدن	٠٠ ــ ٢٦	٠٣ ــ ٤٢
٣٩ ــ عنتر	٣٧ ــ ٢٦	١٥ ــ ٣٦
٤٠ ــ الصخرة	١٢ ــ ٢٠	٢٨ ــ ٤٣
٤١ ــ السوق	٣٦ ــ ٢٢	٢٦ ــ ٤٢
٤٢ ــ السويدا	٥٠ ــ ٣٠	١٥ ــ ٤٤
٤٣ ــ العوسجية	٥٧ ــ ٢٣	٠٢ ــ ٤٥
٤٤ ــ أفاله (جبال بني أضلع)	٣٨ ــ ١٩	٤٣ ــ ٤٣
٤٥ ــ بحيلة (بوادي مشاغيف)	٤٤ ــ ٢٠	١٤ ــ ٤١
٤٦ ــ بني سار	٠٥ ــ ٢٠	٢٨ ــ ٤١
٤٧ ــ بلوى	٤٩ ــ ٢٤	٢٠ ــ ٣٨
٤٨ ــ البويضة	٥٤ ــ ٢٦	٠٢ ــ ٣٦
٤٩ ــ البقرة	٥٥ ــ ٢٢	٤٤ ــ ٤٢
٥٠ ــ بئر زين	٥٣ ــ ٢٠	٥٠ ــ ٤٤

الاسم	خط الطول شمالاً	خط العرض شرقاً
٥١ ــ بلغه	٥٨ ــ ٢٤	٣٤ ــ ٤١
٥٢ ــ الكوم	٤٩ ــ ٢٤	٠١ ــ ٤٢
٥٣ ــ السدرية	٤٦ ــ ٢٣	٠٨ ــ ٤٥
٥٤ ــ دحلات شباب	٠٨ ــ ٣١	٤٤ ــ ٤٣
٥٥ ــ الدعيكة (أو الدعكة)	١٢ ــ ٢٣	٢٥ ــ ٤٢
٥٦ ــ العميرة	٠٤ ــ ٢٣	٢٧ ــ ٤٢
٥٦ ــ عنيزات	١٨ ــ ٢٤	٣٨ ــ ٤١
٥٧ ــ شعيب الحسو	٣٨ ــ ٢٤	٤٧ ــ ٤١
٥٨ ــ الصوت (السوط ؟)	٢٢ ــ ٢٠	٢٢ ــ ٤١
٥٩ ــ الفوارة	١٣ ــ ٢٣	١١ ــ ٤٥
٦٠ ــ قبى	٢٦ ــ ٢٦	٣٢ ــ ٣٦
٦١ ــ قنشى (كنته ؟)	١٧ ــ ٢٤	٢٠ ــ ٣٨
٦٢ ــ الحفيره	٣٥ ــ ٢٢	٢٠ ــ ٤٢
٦٣ ــ حليت	٣٩ ــ ٢٤	٢٣ ــ ٤٢
٦٤ ــ الحمام (حميم)	٢٨ ــ ٢٥	١٧ ــ ٣٧
٦٥ ــ حرضة	٤٨ ــ ٢٤	١٨ ــ ٣٨
٦٦ ــ حرية	١٨ ــ ٢٣	٢٥ ــ ٤٢
٦٧ ــ الهشيم	١٥ ــ ٢٦	٣٢ ــ ٣٦
٦٨ ــ حشة صديقة	٣٠ ــ ٣٤	٢٠ ــ ٤٣
٦٩ ــ الحميمة	١٧ ــ ٢٥	٤٢ ــ ٤١
٧٠ ــ الحويطات	١٩ ــ ٢٦	٤٣ ــ ٣٦
٧١ ــ الحويط	٥٤ ــ ٢٦	٠٦ ــ ٣٦
٧٢ ــ اشماس « الشمالي »	٥٧ ــ ٢٠	١٨ ــ ٤٣
٧٣ ــ اشماس « الجنوبي »	٥٠ ــ ٢٠	١٥ ــ ٤٣
٧٤ ــ جبل دلفع (ضلفع)	٠٥ ــ ٢١	٥٥ ــ ٤٢

٧٥ – جبل غتيره	٤٣ – ٢٢		٤٥ – ٤٢
٧٦ – جبل ليم (جبل الأيم قديماً)	٥٧ – ٢٤		٥٦ – ٤٢
٧٧ – جبل مرتابه (مريطبة)	٢٢ – ٢٤		٤٥ – ٣٧
٧٨ – جبل صايد أصواب (٤٥)	٥٠ – ٢٣ (٢٤؟)	(٤٥؟)	٥٦ – ٤٠/٣٧
٧٩ – جبل شمره (تضاريس)	١٥ – ٢٢		٢٠ – ٤٤
٨٠ - القرينات	(؟) ٢٥ – ٢٤		(؟) ٣٥ – ٣٨
٨١ – قبّة (جبة)	٤٢ – ٢٧		٤١ – ٣٥
٨٢ – جِفِن	٣٠ – ٢٥		٣٠ – ٤١
٨٣ – جذيب الجرّير	٥٧ – ٢٥		٠٠ – ٤٣
٨٤ – جذيبات العفر	١٣ – ٢٦		٤٦ – ٤٠
٨٥ – جذيب الغزيل	(؟) ٤٠ – ٢٣		(؟) ٤٥ – ٤١
٨٦ – الكبريتية	(؟) ١٥ – ٢٦		(؟) ١٥ – ٣٨
٨٧ – الكبريتية الحمراء	٢٠ – ٢٦		(؟) ١٢ – ٣٨
٨٨ – خبث (المعدن)	١٥ – ٢٠		٢١ – ٤١
٨٩ – الخضراء (مجيرمة)	٥٧ – ٢٦		٠٤ – ٣٦
٩٠ – غلغل (الكحل)	١٦ – ٢٦		٤٢ – ٣٦
٩١ – الخويمه	١٥ – ٢٣		٢٠ – ٤٢
٩٢ – خم الخموق (كوم ؟)	٢٨ – ٢٧		٠٢ – ٣٦
٩٣ – كويفر (... نجادي)	٥١ – ٢٥		٠٢ – ٤٣
٩٤ – خور العرجاء	١١ – ٢٦		٣٨ – ٣٦
٩٥ – خور البِلى	٤٩ – ٢٤		٢٠ – ٣٨
٩٦ – الخور الشمالي	١٣ – ٢٦		٣٦ – ٣٦
٩٧ – المليسة	٣٦ – ٢٢		٢٨ – ٤٢
٩٨ – مشعاب	٢٢ – ٢٠		٥٩ – ٤٢
٩٩ – مهد الذهب	٣٠ – ٢٣		٥٢ – ٤٠
١٠٠ – المعملة	٠١ – ٢١		١٨ – ٤١

١٠١ – منقرة نام (منقرنعام)	٣٢ – ٢٣	٥٢ – ٤١
١٠٢ – منور	١٤ – ٢٠	٢٠ – ٤١
١٠٣ – المشعليّة	+ ٢٢ – ٢٣	+ ١٠ – ٤٥
١٠٤ – المشحرة (المشهرة)	٢٦ – ٢٣	٠٩ – ٤٥
١٠٥ – المشيطن	٢٠ – ٢٣	١٥ – ٤٥
١٠٦ – ماوان	٠٧ – ٢٥	٣٩ – ٤١
١٠٧ – المحيفر	٤٤ – ٢٥	١٤ – ٣٧
١٠٨ – مسنه (المصنعة)	(؟) ٢٢ – ٢٤	٥٨ (؟) – ٣٧
١٠٩ – المعمله (المندهة)	١٥ – ٢٠	٣٢ – ٤١
١١٠ – مشيحيز (مشيحيذ)	(؟) ٠٧ – ٢٦	٤٦ (؟) – ٤٢
١١١ – مخ صالحي	+ ٠٠ – ٢٥	+ ٤٥ – ٤١
١١٢ – مريغب (المريقب)	٥١ – ٢٤	١٩ – ٣٨
١١٣ – النبغه (النبخا)	٤٥ – ٢٦	٠٧ – ٣٦
١١٤ – نسه (نصي)	٠٨ – ٢٦	١٥ – ٤٢
١١٥ – نومان (نعمان)	٢٠ – ٢٣	٣٥ – ٤٢
١١٦ – قلعة الزمرد	١١ – ٢٦	١٩ – ٣٨
١١٧ – (كوم الركام ؟)	٢٩ – ٢٤	٠١ – ٤٢
١١٨ – كويمة	١٥ – ٢٣	٢٠ – ٤٢
١١٩ – القويعية	٠٠ – ٢٤	١٥ – ٤٥
١٢٠ – رأس أبو نقيلة	١٥ – ٢٦	٣٤ – ٣٦
١٢١ – الريانية	٥٧ – ٢٠	٠٦ – ٤٤
١٢٢ – رجم (الرجوم)	+ ١٨ – ٢٢	+ ٠٠ – ٤٢
١٢٣ – سيحان (سحام)	١٢ – ٢٣	٠٠ – ٤٢
١٢٤ – سلقة	(؟) ٥٨ – ٢٠	٥٧ (؟) – ٤٠
١٢٥ – صليب	٠٧ – ٢٣	١٤ – ٤٥
١٢٦ – شعيب الهنت	٢٢ – ٢٦	٤٧ – ٣٦

١٢٧ – الشعيله	+ ١٠ – ٢٦	+ ٠٦ – ٤٣
١٢٨ – الشعيبة	٠٨ – ٢٦	٣٩ – ٣٦
١٢٩ – شوفان	(؟) ٠٦ – ٢٥	(؟) ٢٤ – ٤٢
١٣٠ – الشمطاء	(؟) ٤٩ – ٢٤	(؟) ٠٨ – ٤٢
١٣١ – سجنه	٠٨ – ٢١	٤١ – ٤١
١٣٢ – سليله	٥٦ – ٢٦	٠٦ – ٣٢
١٣٣ – سِلّي	٣٠ – ٢١	٠٥ – ٤٣
١٣٤ – صخيبرة الشمالية	٢٨ – ٢٥	٥٥ – ٤١
١٣٥ – صخيبرة الشرقية	٢٧ – ٢٥	٥٧ – ٤١
١٣٦ – طابة منية	(؟) ٢٥ – ٢٥	(؟) ١٠ – ٤٣
١٣٧ – ظاعن	٠٠ – ٢١	١١ – ٤٤
١٣٨ – بئر ظاعن	٥٣ – ٢٠	٠٥ – ٤٤
١٣٩ – أم القريّات	١٦ – ٢٦	٣٤ – ٣٦
١٤٠ – أم الأعمال	٤٢ – ٢٢	٥٧ – ٤٤
١٤١ – أم الرِّحي (جمع رَحى)	٠٦ – ٢٥	٢٢ – ٣٧
١٤٢ – أم الرحي (جمع رحى)	٢٢ – ٢٦	٤٦ – ٣٦
١٤٣ – أم الرحي	٠٦ – ٢٠	٣٢ – ٤١
١٤٤ – أبو الشراحيب (الشهاليب)	٤١ – ٢٣	٠٥ – ٤٥
١٤٥ – أم فغور (أم فقور)[1]	١٣ – ٢٦	٥٩ – ٣٧
١٤٦ – أم حرب	٣٥ – ٢٦	٣٧ – ٣٦
١٤٧ – أم هشايم	٤٤ – ٢٤	٢٠ – ٣٨
١٤٨ – أم حفرة	٤٢ – ٢٤	١٩ – ٣٨
١٤٩ – أم مطيرة (. . .)	٢٤ – ٢١	٣٠ – ٤٣
١٥٠ – أم مقصور (أم مقشور)؟	٣٠ – ٢٣	١٠ – ٤٤
١٥١ – أم زريب	٠٦ – ٢٥	٤١ – ٤١

(١) جمع فقر ، وهي الحفرة. وانظر (العيصان) .

١٥٢ – وادي صبية (صبيحة؟)	١٧ – ٢٠	٢٠ – ٤١
١٥٣ – وقط	(؟) ١٣ – ٢٦	(؟) ١٦ – ٤٣
١٥٤ – المنجم المبتل (Wetmine)	٤٢ – ٢٢	١٤ – ٤٢
١٥٥ – ورشه	٥٦ – ٢١	٢٣ – ٤٣
١٥٦ – ظفر	(؟) ٣٢ – ٢٤	(؟) ٢٩ – ٤٢
١٥٧ – زين (Zain)	٠٠ – ٢١	١١ – ٤٤
١٥٨ – ظـلم	٤١ – ٢٢	١٢ – ٤٢
١٥٩ – زمردات	١٠ – ٢٦	١٧ – ٣٨
١٦٠ – الخـف		
١٦١ – الجنينة		
١٦٢ – كبشات		
١٦٣ – رحاب		
١٦٤ – أبو غار		
١٦٥ – قيّـان		

« مواقع الفضة القديمة »

الاسم	خط العرض شرقاً	خط الطول شمالاً
١ – أبو سنون	١٣ – ٢٣	٢٩ – ٤٤
٢ – العريفه	٠٠ – ٢٣	٤٥ – ٤٤
٣ – جبل الأثل	٢٠ – ٢٣	٢٥ – ٤٤
٤ – جبل عرضحات (عردات)	٢١ – ٢٤	١٦ – ٤٤
٥ – جبل أم محطة قبح (جبه Gabah)	٢٠ – ٢٤	٢٠ – ٤٤
٦ – لتشتحال Letachtahahl ؟	١٠ – ٢٣	٢٠ – ٤٤
٧ – المحيرقه	٤٩ – ٢٣	٠٧ – ٤٥
٨ – سمرة	٢١ – ٢٤	٢٠ – ٤٤

٩ — سدرية	٣١ — ٢٤	١٩ — ٤٤
١٠ — أم حديد (الحليج)	١٩ — ٢٢	١٩ — ٤٤
١١ — وادي حمرور (في الدوادمي)	٢٢ — ٢٤	٢٣ — ٤٤
١٢ — سدرية (Sidriah)	٣١ — ٢٤	١٩ — ٤٠

مناجم النحاس القديمة

الاسم	خط العرض شرقاً	خط الطول شمالاً
١ — العبد	١٤ — ٢٤	١٨ — ٤٢
٢ — الصفر	(؟) ٠٩ — ٢٠	(؟) ٢١ — ٤١
٣ — أم الدّمار (العقيق)	٣٩ — ٢٣	٠٥ — ٤١
٤ — الرحيه (العشيرية ؟)	٢٥ — ٢٤	٤٥ — ٤٢
٥ — أشهب الذياب	٣٤ — ٢٣	١٧ — ٤٥
٦ — الصفراء	+ ٠٥ — ٢٤	+ ٥٠ — ٤١
٧ — البعيري (Barri)؟	١٩ — ٢٣	١٠ — ٤١
٨ — إستينه (قطينة)	٠٦ — ٢٠	٥٩ — ٤١
٩ — الفجحاني	٠١ — ٢٤	٠٠ — ٤٥
١٠ — القضقاض (الجثجاث)	٤١ — ٢٣	١٨ — ٤٥
١١ — حجلان	٥٦ — ٢٣	٥١ — ٤٤
١٢ — حمة الطين (حمات التين ؟)	٤٤ — ٢٣	٠٦ — ٤٥
١٣ — ادساس (قساس)	١٧ — ٢٢	٠٩ — ٤٥
١٤ — جبل أزهر (معدن الأحسن)	١٠ — ٢٠	٢٥ — ٤١
١٥ — جبل دبا Dobha	٣٠ — ٢٠	٤٣ — ٤١
١٦ — جبل مناسة (Mannasa	٢٩ — ٢٣	٠٥ — ٤٥
١٧ — بئر خثامة (عين خثمة)	٠٢ — ٢٠	٣٥ — ٤١
١٨ — المصانع	(؟) ١٥ — ٢٢	(؟) ٢٥ — ٣٩

١٩ — مصينعة	٤٤ — ٢٥	٤٣ — ٤٠
٢٠ — النقرة الشمالية	٣٨ — ٢٥	٢٦ — ٤١
٢١ — النقرة الجنوبية	٣٥ — ٢٥	٢٦ — ٤١
٢٢ — رية الصفر (رياض الصفر؟) (؟)	٢٠ — ٢٠	(؟) ١٣ — ٤١
٢٣ — صبحا (يذبل)	٩٨ — ٢٥	٢٨ — ٤١
٢٤ — أم الدبا	٤٧ — ٢٣	٠٥ — ٤٥
٢٥ — سينذام (خشم الطاسا؟) (؟)	٣٠ — ٢٦	(؟) ٢٠ — ٣٧
٢٦ — ثرب	١٥ — ٢٤	٤٤ — ٤١
٢٧ — أم لِدّام (Omm Liddam)	٤٧ — ٢٣	٣٩ — ٤٤
٢٨ — وادي جنيده Gennaidih	٠٦ — ٢٠	٣٨ — ٤١

« رواسب الحديد »

الاسم	خط العرض شرقاً	خط الطول شمالاً
١ ـ العقيق	٣٢ ـ ٢٠	٤٢ ـ ٤٤
٢ ـ جبل إرييه (العرية Alariyah)	٠١ ـ ٢١	٣٨ ـ ٤٣
٣ ـ جبل قويحمه	٠٥ ـ ٢٢	٣٥ ـ ٤٤
٤ ـ وادي فاطمة	١٥ ـ ٢١	٣٠ ـ ٣٩
	٥٠ ـ ٢١	٤٩ ـ ٣٩
٥ ـ حقل	١٤ ـ ٢٩	٠٢ ـ ٣٥
٦ ـ جبل قساس (ادساس)	١٧ ـ ٢٣	١٧ ـ ٢٣
٧ ـ وادي لتس (Letesh)	٢٣ ـ ٢٥	٣٢ ـ ٣٧
٨ ـ وادي صواوين (Sawawin)	٥٠ ـ ٢٧	٥٦ ـ ٣٥
٩ ـ منطقة طوال البئر	٣٦ ـ ٢٤	٣٥ ـ ٣٧
١٠ ـ مسلوان (mesluan)	٠٥ ـ ٢٤	٣٠ ـ ٣٨
١١ ـ القحمه	٥٣ ـ ١٧	٤٥ ـ ٤١

« رواسب الكروم »

الاسم	خط العرض شرقاً	خط العرض شمالاً
١ ـ وادي العيص	١٠ ـ ٢٥	١٠ ـ ٣٨

هذا ما نقلناه من الكتاب الذي أصدره (قسم المعادن) بوزارة النفط ، باللغة الانجليزية، فجاء كثير من الأسماء محرفة، والغرض معرفة مواقع المعادن، أما تصحيح تلك الأسماء ، فله بحث آخر .

بعض المعادن المعروفة قديماً :

نعرض في هذا البحث اسماء ما عرفناه من المعادن القديمة ، مما وصل الينا من المؤلفات من معلومات وهي كما قلنا على درجة من الايجاز لا تبلغ بها حد الافادة الكاملة ، ويحسن ان نشير إلى ان كثيرا من اسماء المواضع دخلهـــا التحريف والتصحيف ومن ذلك اسماء المعادن .

وهذه المعادن التي سنعرض لذكر اسمائها ليس فيها ما هو واقع في شرق البلاد ، بل كلها في اعلاها وفي جنوبها ، باستثناء معدن الصحراء الذي ورد ذكره عرضاً في كلام ابن الأثير كما سيأتي بيانه فيما بعد .

١ أبرَق خَتـْرَب :

جاء في « معجم ما استعجم » للبكري في الكلام على حمى ضريه قوله : « وقد دخل في الحمى من مياه بني عبس ستة امواه : مَجَج ، والبئر ، وهي واسعة الجوف، إلى جوف ابرق خَترَب، وكان بابرق خترب معدن فضة رغيب واسع النيل ، وماء يقال له الفروع [١] »

---

(١) البكري : ص ٨٦٤

ومنازل عبس [1] هؤلاء تقع في الطرف الغربي من القصيم،من جبالهم قطن ولهم أسفل وادي ثادق ، ثم تمتد منازلهم جنوباً إلى حدود حمى ضربة، ولهم من مياهه ما ذكره البكري فيما تقدم،وعلى هذا فهذا المعدن يقع جنوب وادي الرمة وشرق وادي الجرير وشمال بلدة ضرية وغرب جبـــل سواج [أنظر المصور : ٤]

٢ — معدن الاحسن :

وهذا المعدن من اشهر المعادن ، ذكره ياقوت وقبله الاصفهاني وغيرهما قال ياقوت : (أحسن اسم قرية بين اليمامة وحمى ضرية ، يقال لها معدن الأحسن لبني أبي بكر بن كلاب بها حصن ومعدن ذهب ، وهي طريق اليمن اليمامة ، وهناك جبال تسمى الاحاسن . قال النوفلي : يكتنف ضرية جبلان يقال لأحدهما وسط وللاخر الأحسن ، وبه معدن فضة [2]).

أما الأصفهاني،فقد ذكرها وهو يصف الطريق من حجر إلى مكة، فقال :

(فإذا جزت الهلباء وقعت في واد حرج .. ثم تجوز ذلك فترد عكاشاً لبني نمير عليه نخل ، فإذا اجزت عكاشاً وردت العيصان ، وهو معدِن ، وبه تجّار ، وهو لبني نمير،ثم تجوز العيصان فترد معدن الأحسن وهو لبني كلاب، وهو من أول عمل المدنية ، وبين هؤلاء الأجبال الذي ذكرت ، يأخذ طريق اليمامة ، من ضرية ، حتى يَرِد الأحسن ، والأحسن قرية لبني كلاب ، بهـــا حصن ، وبها بحث معدن للذهب ، وهو طريق أيمن اليمامة ، وأعلاها ، وهو الفلج [3]) .

وقال في موضع آخر :

(فإذا خرجت من معدن الأحسن وردت ماءة لبني كلاب أظنها يقال لها

(١) أنظر في تحديدها كتاب « بلاد العرب »
(٢) (معجم البلدان) .
(٣) « بلاد العرب » ص ١٥٩ .

العلكومة ، ثم تجوز ذلك فترد الدثينة ، وهي قرية في طريق البصرة إلى مكة) [1] .

وقال في ذكر معادن اليمامة :

(ومعدن الأحسن : معدن ذهب ، معدن لبني كلاب ، وبينه وبين العيصان مسيرة ليلتين أو ثلاث ، وبينه وبين ضرية ليلتان ، وهو من عمل المدنية ، أدنى عمل المدينة إلى اليمامة ، يخالط لعمل اليمامة [2]) .

وقال :

(الضمر والضاين علمان ، وكانا فيما مضى لبني سلول ، وهما في قبلة معدن الأحسن ، ومعدن الأحسن لبني أبي بكر بن كلاب [3]) .

وذكره نصر الاسكندري فقال :

(معدن الأحسن : معدن ذهب ، لبني كلاب ، بينه وبين الكوكبة ليلتان أو ثلاث ، وبينه وبين ضريّة ليلتان ، من عمل المدينة ، أدنى عمل المدينة إلى اليمامة [4]).

ويفهم من كلام المتقدمين ان هذا المعدن يقع في عالية نجد على مقربة من منهل عفيف الذي أصبح الآن قرية [أنظر م ٩] .

ويوجد الآن جبال تدعى الأحاسن تقع شمال (عفيف) ولكنها بعيدة عن بلدة ضرية وعن جبل وسط الذي لايزال معروفاً وموقعها على وجه التقريب خط الطول الشرقي ١٥ ، ٢٤ خط الطول ٥٥ ، ٤٢ ، وهذا الموقع داخل في بلاد بني أبي بكر بن كلاب قديماً ، وفيه آثار التعدين لا تزال بارزة وقد ورد ذكره في تقرير مديرية المعادن باسم (الحسن) [5] . [أنظر م : ٧] .

---

(١) « بلاد العرب » ٣٦٩ - ٢٧١ .
(٢) « بلاد العرب » ص ٣٨٣ .
(٣) « بلاد العرب » ص ١٢٨ - ١٥٢ .
(٤) كتاب نصر المخطوط .
(٥) « Mineral Resources of SAodi Arabia p: 22

٣ ـ معدن أروى .

وهذا المعدن لم ار من ذكره سوى ياقوت ، ولم يصرح بانه معدن ، وإنما قال : (ماء بقرب العقيق ، وعند الحاجر ، يسمى مثلثة أروى ، وهو ماء لفزارة ، وفيه يقول شاعرهم :

وان بأروى معدنا لوحفرتـــه لاصبحت غنيانا كثير الدراهم [١]

وهذا الماء على مايفهم من كلام المتقدمين يقع غرب بلدة البعائث الواقعة في وادي الرمة وهذه تقع في موضوع الحاجر ، المعروف قديماً بهذا الاسم ، ويقع شرق العقيق بمسافة بعيدة [أنظر : م : ٣] .

٤ - بحث :

تقدم في الكلام على معدن الأحسن ذكر هـذا المعدن . وجاء في كتب اللغة : البحث المعدن يبحث فيه الذهب والفضة [٢] كما ورد هذا الاسم بعدة تصحيفات سنشير إلى بعضها . ونرى أن الاسم ليس علمـــاً بل هو وصف للمعدن .

٥ ـ معدن بحران :

هذا الاسم يقع في كتب المتقدمين بضم الباء ، وقد جاء في كتاب «نصر» مفتوح الباء بالقلم ، قال : (بحران بـــلد في ديار بني سُلَيم به معدن . وفي الحديث : سار رسول الله ﷺ إلى (بحران) يقصد قوماً من سليم ، فأقام أياماً ولم يلق كيداً [٣] .

وقال البكري : (بحران بفتح أوله على وزن فعلان معدن بالحجاز ... وغزوة بحران من غزوات رسول الله ﷺ التي لم يكن فيهـا قتال [٤]) ،

---

(١) « معجم للبلدان » .
(٢) « تاج العروس » .
(٣) « كتاب نصر » .
(٤) « معجم البكري » ص ٢٢٨ و ١٠٢١ .

وقال أيضاً : (وبناحية الفرع معدن يقال له بحران واليه بلغ رسول الله ﷺ بعد غزوة السويق يريد قريشاً وأقام بها شهرين وانصرف ولم يلق كيداً) .

أما ياقوت الحموي فقد ضبطه قائلاً :

(بحران ـ بالضم ـ موضع بناحية الفرع قال الواقدي: بين الفرع والمدينة ثمانية برد ، وقال ابن اسحاق : هو معدن بالحجاز في ناحية الفرع ، وذلك المعدن للحجاج ابن علاط البهزي ، قال ابن اسحاق : ـ في سرية عبد الله بن جحش : فسلك على طريق الحجاز ، حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران ، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه ـ وذكر القصة ـ كذا قيده ابن الفرات بفتح الباء ها هنا ، وقد قيده في مواضع بضمها وهو المشهور ، وذكره العمراني والزمخشري وضبطاه بالفتح ـ والله أعلم [1]) .

ويفهم من كلام المتقدمين في تحديد هذا الموضع انه يقع على طريق مكة ـ المدينة الطريق النجدية . وانه يبعد عن المدينة بما يقارب مسيرة يومين بسير الأبل ، وناحية الفرع لا تزال معروفة [وانظر م : ٦]

٦ ـ معدن البقرة :

قال نصر ـ وعنه نقل ياقوت ـ البقرة ماءة بالحوأب عن يمينه ، لبني كعب بن عبد ، من بني كلاب ، وعندها الهردة وبها معدن ذهب .

وهذا المعدن لا يزال معروفاً ، وقد ورد ذكره في البيان الذي نقلناه عن مديرية التعدين وموقعه على خط العرض ٠٥ ، ٢٢ وعلى خط الطول ٥٠ و ٤٢ في الطرف الشمالي من النفـود المعروف الآن باسم (عرق سبيع) وقديما رملة بني عبدالله بن كلاب ، ويقع شرق ظلم وجنوب منهل سجـا المعروف [م : ٩]

---

(١) « معجم البلدان » .

٧ — معدن بنات حرب :

نقل الهمداني من أرجوزة الرداعى التي وصف فيها طريق اليمن الى مكة:

تَؤُمُّ هِرَجاب بسيرٍ مُعْجل الى بنات حَرَب لم تَعْـــدل

وقال :

بنات حرب : قرية ، وقد يوجد فيها من الذهب شيء ، وهو وادٍ فيه نخل وآبار [١] ١ هـ

واخبرني الاستاذ عبدالله بن علي الحميد : ان اسم بنات حرب يطلق الآن على جبال حُمرٍ في تلك الناحية الآن . وموقع هذا المعـــدن : ٣٥ ، ٢٦ و ٣٧ ، ٣٦ تقريباً .

ويقع هذا المعدن على مقربة من بيشة في شرقها ولا تزال آثار التعدين فيه بارزة [أنظر م : ١١] .

٨ — معدن البئر :

قال ياقوت في المعجم ومثله في (بلاد العرب » للأصفهاني ، وفي كتاب الاسكندري : (وفوق ذي العشيرة : مبهل الأجرد ، واد لبني عبد الله بن غطفان ، وفوق مبهل معدن البئر ، وهو معدن قريب من بئر بني بُرَيمة ـ من بني عبد الله بن غطفان) . ويزيد الأصفهاني : (وبأعلى مبهل جبل يقال له المجيمر وجبل يقال له : كتيفة) [٢] .

ومبهل لا يزال معروفاً ، وسيلة يفيض في وادي الداث وكتيفة لا تزال معروفة ،تقع على خط الطول ١٠′، ٢٥° والعرض ٤٠′، ٤٢°، ويقع غربها في طرف نفود ينسب اليها آثار معدن يبعد عنها بمسافة تقارب عشرين كيلاً .. غرب جبل اللهيب ويظهر انه المعروف قديماً باسم المجيمر . [أنظر : م:٤] .

---

(١) « صفة الجزيرة » ص ٢٥٧

(٢) « بلاد العرب » ص ٧٤ .

٩ ــ معادن بيش :

ذكر ياقوت أن في بيش عدة معادن ، وبَيْش واد لا يزال معروفاً فيه قرى ومزارع وسكان كثيرون ، ويقع في مقاطعة جازان ، وانظر تحديده في مجلة « العرب [١] » [وانظر م : ١٠] .

١٠ ــ معدن بيشة :

قال الهمداني بعد ذكره معدن الهجيرة : (ولا شك أن معدن بيشة مثله في وضوحة التبر للجوار ، ولم يعمل معدن بيشة في عصرنا وله مدة منذ انقطع عمله) [٢] .

وقال بعد أن أورد من ارجوزة الرداعي :

نجاد ثورٍ ، ضمّرا سهوما يحشمن منها المعدن المجشوما

وقال : نجاد ثور : معدن بيشة بعطان ، معدن الذهب [٣] . وآثار هذا المعدن لا تزال مشاهدة وموقعة شرق بلدة بيشة بميل نحو الشمال [وأنظر : م : ١١] .

١١ ــ معدن تُرَبة :

يظهر من كلام المتقدمين ان بقرب تربة معادن :

١ ــ فنصر يقول في كتابه [٤] : العَرين معدن بتربة ، وياقوت وهو يعول على نصر يقول [٥] : العرين علم لمعدن تربة .

٢ ــ والبكري [٦] يقول : المعمل موضع من تربة وهو المعدن الذي يعمل فيه هناك .

---

(١) « العرب » ص ٥٩٨ السنة الثانية .
(٢) كتاب « الجوهرتين » .
(٣) « صفة جزيرة العرب » ص ٢٥٩ .
(٤) « كتاب نصر » مخطوط .
(٥) : « معجم البلدان » .
(٦) : (معجم ما استعجم) ص ١٢٤٥ ط : مصر ،

٣ ـ والزمخشري وهو يعدد القرى التي من اعلى وادي تربة ، يورد اسم المعدن ، فيقول :

عـردات : واد لبجيلة ، مسيرة نصف يوم أعلاه عقبة تهامة واسفله تربة ، بين اليمن وبين نجد،والقرى التي بوادي عردات من أسفله إلى أعلاه : الغضبة، ويقولون : الرضية ـ تطيراً من الغضب ـ الرونة ، الموبل ، كيد ـ على وزن جيد ـ غطيط، قرظة، المدارة ، خيزين ، الشطبة ، الرجمة ، الشرية، عصيم، الفرع ، القرين ، طرف ، الحجرة ، حنين ، البارد ، قعمران ، ـ هي من بين جميع قراها أو طأها ، فكأنها من القعر، والميم زائدة ـ حديد ،الشدّان، الرجعان : رجع الأعلى ورجع الأسفل ، مهْور ، المعدن ، رهوة ، القلتين ، الحصحص [1]) .

وذلك ان تربة واد عظيم واسع ويقع بقربه عدد من المعادن التي لا تزال آ ثارها باقية ، ومن تلك المعادن :

١ ـ معدن يدعى المعملة ، يقع في أعلى وادي جفير من روافد وادي تربة وفي الجنوب الغربي من مدينة تربة .

٢ ـ وفي شرق هذا المعدن في طرف الحرة المعروفة ، الان باسم (حرة البقوم) وقديماً (بحرة ليلى) في طرفها الغربي الشمالي آ ثار معدن قديم .

٣ ـ ويوجد في اعلى وادي بيدة (أبيدة قديماً) وهذا الوادي من اعالي وادي تَربَة يوجد فيه معدن قديم يعرف الان باسم السوط وتقدم ذكره في الجدول الذي نقلناه عن كتاب مديرية المعادن .

٤ ـ وهناك معدن رابع يدعى أم الدمار ويدعى العقيق ، وهو اي العقيق من روافد وادي تربة ، ويعرف قديماً باسم العقيق اليماني .

كما توجد آ ثار أخرى للتعدين في الجبال والحرار الواقعة بقرب هذا الوادي غير ما تقدم ذكره .

---

(١) « الجبال والمياه » ص ٧٩ ط : النجف وعنه نقل ياقوت هذا الكلام .

[أنظر عن هذه المعادن : م : ٧ و١٠]

١٢ ــ معدن تياس :

قال الهمداني : (معدن تياس : ذهب محف بتياس [١]) .

وقال في تحديد موقع تياس : (وعن يمين الينكير : مياه متقاودة ، منها الرسل رسلْ تياس ، وهو قرن أسود ضخم ، ورمل بطن السُّرَّة من وراء بجاد ، هو المنسوب رمل تياس ، فيه قبر العلاء بن الحضرمي صاحب رسول الله ﷺ [٢]).

ولكنه في كتاب « الجوهرتين » قال : (وتياس رمل في ديار بكر بن وائل ، دفن فيه العلاء ابن الحضرمي صاحب رسول الله ﷺ . اه

ويظهر أن اسم تياس يطلق على موضعين : أحدهما برمل السُّرَّة المكان المعروف الآن ، والواقع جنوب عِرض القويعية (عرض شمام قديماً) ، وهذا هو الذي فيه المعدن ، والموضع الثاني : رمل أيضاً على ساحل البحر الشرقي ، بين الأحساء وبين البصرة ، وهناك مات العلاء حينما عزله عمـــر عن ولاية البحرين ، وأمره بأن يذهب إلى البصرة ، فمات في الطريق .

ويظهر أن الهمداني لم يميز بين الموضعين فظنهما موضعاً واحداً وظن أن المعدن يقع في الموضع الذي مات فيـــه العلاء أي في شرق البلاد على ساحل البحر ، والأمر بخلاف ذلك . فالمعدن في الموضع الواقع بقرب رمـل السرة الذي لا يزال معروفاً ٣٠ °٢٣ و ٣٠ — °٤٤ [وانظر : م : ٧] .

١٣ ــ معدن ثَخِبْ :

قال نصر : ثخب جبل بنجد في ديار بني كلاب عنده معدن ذهب وجزع ابيض ، وزاد ياقوت:وهذا مهمل في كلام العرب وانا به مرتاب ، وأقول تقدم في الكلام على معدن الأحسن ، نقلاً عن كتاب « بلاد العرب » : والأحسن

(١) « صفة جزيرة العرب » ص ١٥٤ .
(٢) « صفة جزيرة العرب » ص ١٥٢ .

قرية لبني كلاب وبها بحث معدن للذهب ، وسيأتي في الكلام على معـــدن المؤخرة ان الثخب اسم جبل . وهناك زيادة ايضاح في تحديد هذا الموضع .

١٤ ـ معدن ثنية ابن عصام :

ذكر الهمداني في كتابيه « الجوهرتين » و « صفة جزيرة العرب » [١] من معادن الذهب في نجد معد. ثنية حصن ابن عصام الباهلي حاجب الملك النعمان بن المنذر ، الذي قال فيه النابغة بيته المشهور :

نَفسُ عصام سوّدت عصاما وعلمته الكر والاقدامـــا ..

وفيه المثل العربي القديم : (كن عِصَامِيًا ، ولا تكن عظامياً) .

وهذا المعدن يقع بقرب بلدة القويعية . ولا اعرف موقعه بالتحديد ، غير انه بقرب (القويع) المعروف الان في تلك الجهـــة ، ومعروف ان تلك الجهات تكثر فيها المعادن ، التي لا تزال آثارها باقية ، وهي في القديم من بلاد باهلة، وسيأتي ذكر معادن أخرى فيها لا يزال بعضها معروفاً باسمه القديم [وانظر : م : ٧]

١٥ ـ معدن الحسن :

قال الهمداني في « صفة الجزيرة » :

(وفي رأس العُبرى : سواج والأخرج، وبطن الجريب، والهضب هضب القليب والحفير حفير الضبيب ، ومعدن الحسن [٢] .)

وقال في ذكر معادن اليمامة التي توطنتها عقيل بن كعب ـ في عهـده ـ : (معدن الحسن ، والحسن قرن أسود مليح ، وهو معدن غزير) .

وقال في كتاب « الجوهرتين » (ومنها معدن الحسن والحسن قرن أسود مليح وهو غزير ويعد من معادن اليمامة) .

---

(١) ص ١٤٩ و١٥٣

(٢) : صفة جزيرة العرب ص ١٤٦ و١٥٢

وقد ذكر هذا المعدن ابن الفقيه [1] وعـــده من اعمال المدينة ، وسماه ياقوت [2] معدن الاحسن ، وذكر انه من قرى اليمامة لبني كلاب ، وقد وهم ياقوت في عدّه هذا في بلاد اليمامـة ، وهو من بلاد بني كلاب ، وهؤلاء بلادهم مرتفعة في عالية نجد وكثيراً ما تضاف إلى المدينة إذ عاملها هو الذي يتولى عمالة بني كلاب .

ويقع في طرف نفود سُبَيع المعروف قديماً برمل بني عبد الله بن كلاب ، يقع فيه جبل يدعى الحسن ، وحسن بدون تعريف ، يقع في الشمال الغربي من منهل ورشة ، وفي شرق هـــذا الجبل مكانان فيهما آثار التعدين ، على خط ١٠ ، ٢٢° و ٥٠ ، ٤٢° تقريباً شرق منهل القنصلية [وانظر : م : ٩] .

١٦ — معدن الحُراضة :

قال أبو عبيد البكري : الحُراضة : أرض . ومعدن الحراضة : بـــين الحوراء وبين شغب وبدا . وينبع من الحوراء قريب من طيخ ، وطيخ من أسافل ذي المروة . وذو المروة بين ذي خُشب ووادي القرى [3] .

ونقل ياقوت عن ابن السكيت : الحُراضة أرض ومعدن بين الحوراء وبين شغب وبدا وينبع ، قريب من الحوراء [4] ، ويظهر أن هذا المعدن هو الذي ذكره البشاري [5] قائلاً : ان بين ينبع والمروة معادن الذهب . وقال : من ينبع إلى رأس العين مرحلة ، ثم إلى المعدن مرحلة ، ثم إلى المروة مرحلتين .

واقول : الحُراضة لا تزال معروفة ولكن تنطق الآن بفتح الحاء بخلاف ضبط المتقدمين لها بالضم ، وتقع شمال ينبع النخل في المنتصف بين هذه البلاد وبين العيص ، ويطلق الاسم على جبل وعلى واد يفيض سيله إلى جهة ينبع

---

(١) « مختصر البلدان » ص ٢٦ .
(٢) « معجم البلدان » .
(٣) « معجم ما استعجم » ص ١٠٣٨ ط : مصر ،
(٤) « معجم البلدان » .
(٥) « أحسن التقاسيم » ص ١٠١ و ١٠٨ .

النخل ، وشرقها آثار معادن ، منها أم مُرَيقِب وأم حفرة وبينهما هشيم . وتقع على خط ٤٨ – ٢٤° و١٨ – ٣٨° تقريباً. وقد وضع اسم (قبلية) تحت اسم الحراضة في مصور « بلاد العرب » (الخارطة طبعة سنة ١٣٧٧–١٩٥٨ ونرى وضع (القبلية) تحت اسم الحراضة خطأ، اذ هي غورية وليست قبلية .

[وانظر : م : ٢]

١٧ – معدن الحفير :

وذكر الهمداني من معادن اليمامة في الديار التي توطنتها بنو عقيل بن كعب في عهده – :

(معدن الحفير بناحية عماية ، وهو معدن ذهب غزير) [١] هـ .

وبلاد عقيل هاؤلاء تقع في جنوب نجد ، في أسفل الأودية المنحدرة من سراة الحجاز ، الواقعة شرق الطائف ، بل شرق بلاد (بيشة) وجهاتها . في نواحي بلاد ما يعرف الأن باسم وادي الدواسر ، الذي يعرف في القديم ، بعقيق بني عقيل ، وعقيق تمرة .

وينبغي التفريق بين هذا المعدن ، وبين معدن الحفيرة الآتي ذكره .

ان معدن الحفير هذا – على ما ذكره الهمداني – يقع بناحية عماية ، وعماية هذه تعرف الآن باسم (الحصاة) ووقعت في المصور الجغرافي(الخارطة) باسم (الحوشة) وهماحصاتان:حصاة قحطان، وحصاة(ابن حويل) وهو من قحطان ، وفي حبل حصاة ابن حويل ، توجد آثار معدن ، لا يستبعد أن يكون هو معدن الحفير قديماً .

وموقعه ٤٥ / ٢٢° و ٥٥ / ٤٤° تقريباً [وانظر المعدن الآتي ذكره : معدن الحفيرة وم : ٧ و ٩] .

١٨ – معدن الحَفيرة :

ويوجد معدن يسمى الحفيرة ، سبق ذكره فيما نقلناه عـــن كتاب

---

(١) : « صفة الجزيرة » ص ١٥٣ و كتاب « الجوهرتين » .

« مديرية التعدين » وهو معدن قديم ، ولكنه يبعد عن عماية بمسافة طويلة ، حيث يقع على الخط ٣٥ ، °٢٢ و ٢٠ و ، °٤٢ ، أي إنه يقع غرباً عن عماية بمسافة بعيدة . ثم إن اسم الحفير ، والحفيرة ، والحفيّرة من الأسماء المشتركة ، التي هي إلى الأوصاف أقرب منها إلى الأعلام ، وتوجد مواضع كثيرة تسمى بمثل هذه الأسماء ، مثل (الحُفيّرة) بالتصغير ، وهي هجرة الدعاجين من عتيبة ، وحَفيرة ابن درعان من النفعة ، من عتيبة أيضاً ، ولكن هذين الموضعين بعيدان عن عماية.

١٩ ـ معدن حِليَّت : (معدن النجادي)

حِلـّيتُ : جبل عظيم ، ليس في حمى ضرية أعظم منه إلا شُعبى، وهو جبل أسود ، في أرض الضباب ، بعيد ما بين الطرفين ، كثير معادن التبر كان به معدن يدعى النـّجادي، وكان لرجل يدعى نجاد [١] بن موسى بن سعد ابن ابي وقاص ، به سُمي ، ولم يعلم في الأرض معدن اكثر منه نيلاً ، لقد اثاروه والذهب غال في الآفاق كلها ، فأرخصو الذهب بالعراق والحجاز ، ثم انه تغير ، وقل نيله ، وقد عمله بنو نجاد دهراً ، قوم بعد قوم .

ذكر ذلك الهجري ، وهو ممن عاش في القرن الرابع الهجري، ونقله عنه السمهودي في «وفاء الوفاء» والبكري في «المعجم» ولم يصرح الأخير بالنقل .

وقال نصر الاسكندري :

(حِلـّيتُ : جبل من أخيلة الحمى ، بضرّية ، كثير القنان ، فيها معدن ذهب ، من ديار بني كلاب [٢]) .

---

(١) نجاد ـ بكسر النون وفتح الجيم المخففة ، قال البلاذري : في انساب الأشراف ـ نسخة خطية ـ : وكان لموسى بن سعد بن ابي وقاص ابن يقال له نجاد ، ولم يكن ذاك وكان بخيلا ضعيفاً وفيه يقول الشاعر :

نجاد بن موسى وابن سعد بن مالك كليب قطار ، لا يسوق ولا يحمى

(٢) كتاب نصر .

وجاء في كتاب « بلاد العرب[1] »: (هضب الِمعا : وهي جبال حليت ، معدن ، وقرية) .

ويقع جبل حليت – الذي لا يزال معروفاً – جنوب جبل إمّرة ، وفي الجنوب الغربي من بلدة دخنة الواقعة جنوب الرّس ، ولا يزال الجبل معروفاً، ويشاهده المسافر من بلدة نفي (نفء قديماً) إلى بلدة ضريّة ، على يساره رأي العين بعد أن يدع جبل منية على يمينه ، ويشاهد طخفة وما حولها من الجبال ، وتقع قرية الحَيد في شرق حلّيت ، ويشاهد على مقربة منها .

وقد ورد اسمه في بيان مديرية المعادن : (Haleet) وهذه الصورة لا تطابق النطق العربي ، وينبغي أن تكون (Helleit) .

وبينما حدد موقعه في كتاب «الثروة المعدنية» بـ ٣٩ – ٢٤° و ٢٣ – ٤٢° وهو كذلك في مصور الجزيرة (خارطة جزيرة العرب : طبعة سنة ١٣٨٣– ١٩٦٣) وان لم يذكر اسمه . فقد ذكر في مصور (أبحاث جيولوجية مختلفة، رقم B – ٢٠٦ – I) وحدد موضعه ورقم A – ٢٠٦ – ١) وحدد موضعه ٢٥ / ٤٣ و ٤٦ / ٤٣ طولاً و٤٥ / ٢٤ و٤٥ / ٢٤ عرضاً.

وعلى كل حال فالجبل أشهر من أن يُعرَّف ، عند اهل تلك الجهة .

ويفهم من كلام المتقدمين أن معدن النجادي ، يقع في حليت كما تقدم ، ولكننا نجد هذا لاسم في البيان الذي نقلناه عن كتاب « الثروة المعدنية » وضع على مكان يقع عن حليت شمالاً بمسافة بعيدة،يدعى الكويفر Kowaifir) بطرف أبان الأسود الشمالي ، بقرب قرية النبهانية، ولا أدري على أي أساس وضع اسم (النجادي) على هذا المعدن وهو بعيدعن حليت !! [وانظر:م:٧]

٢٠ – معدن الخربة :

نقل ياقوت : (قال ابو عبيدة : الخربة ارض مما يلي ضرية ، بها معدن يقال له معدن خربة) .

(١) ص : ١٠٧ .

ولم أر ذكراً لهذا المعدن سوى ما ذكره ياقوت ، وقد ذكر نصر في كتابه خربة وقال : ماء في ديار بني سعد بن ذبيان بينه وبين ضرية ستة اميـــال . واخشى ان يكون الاسم تصحف على ابي عبيد أو على من نقل عنه ، وانه خزبة بالزاي بدل الراء ، أو ان أبا عبيد ظن المعدن في هذا الموضع مع ان نصرا الاسكندري ، وغيره ممن اطلعت على كلامهم ، لم يذكروا في هـــذا الموضع معدناً .

٢١ ـ معدن خَزَبَة :

قال في « بلاد العرب » : (خزبة معدن من أرض بني عقيل من معادن اليمامة وهي منها على ثماني ليال وفيها مياه ملحة ، وكانت جبالها انما هي فضة وكان الناس يعيشون فيها،فلما كثر بها أهل اليمامة وبغوا فيها وسفكت الدماء مسخت معادنها التي كان فيها النيل الكثير ، الغيران المعروفة بالنيل .فتدخل اليوم الغار فتنظر الى الالواح في شق الجبل فتراها على ما كانت تكون عليه، وتنظر الى عرق احمر تجاب ـ والتجاب هو الذي يكون الى جنب الفضة عرق أحمر رخو وهو انزل للفضة اذا كان فيها،والنيل هو الفضة ـ قال: ترى عرق تجاب أحمر ، وعرق كحل وعرق فضة، على ما كان يكون فتنظرها على ما كان فيها،ثم تضرب على ضريبتها لا ينكر منها شيء ثم تطرح في التنور فتميع على ما كانت تميع عليه ، ثم تصير الى الكوج التي كانت تخلص فتخلص على ما كانت تخلص،لا ينكر منها شيء،حتى إذا خرجت من الكوج،وظن صاحبها انها قد تخلصت تصدعت كتصدع الزجاج ، لا ينتفع بها . وبين خزبة وحجر مسيرة عشرة ايام.وهي من ناحية عبلاء البياض من ناحية اليمن عن يمين الافلاج والعقيق . عليوية في بلاد بني عقل تكاد تكون حجازية [1]) .

وقال نصر : (خزبة بفتح الخاء والزاي : ناحية من اليمامة ، بين عمايتين والعقيق ، وبها معدن وأمير ومنبر ، ويقال فيه : الخزبات خزبات دّو)

---

(١) : ص ١٧١ - ١٧٢

ومثل هذا الكلام ورد في كتاب « البلدان » للحازمي ، ونقله ياقوت ، إلا ان الحازمي ذكر ان المعدن لبني عبادة بن عُقيل .

وذكر ياقوت أيضاً : خزبة معدن ، وعقب على ذلك قائلا : (وأظنه الذي قبله) .

وقال نصر : (خزب بفتح الخاء والزاي المعجمتين جبل أسود قريب من خزبة) . ومثل هذا في « معجم البلدان » وقال ياقوت أيضاً : خُزيبة اسم معدن ، وانشد الفراء في أماليه .

لقد نزلت خزيبة كل وعد يمشي كل خاتام وطاق

قال : خزيبة معدن ولم يزد)[1] .إلا أن اللغويين يقولون : والعرب تسمى معدن الذهب خزيبة كجهينة قاله أبو عمرو ، وانشد :

فقد تركت خزيبة كل وغد تمشى بين خاتام وطاق[2]

وكلمة (نزلت) في المعجم المطبوع تصحيف (تركت) .

ويظهر ان خزبات دّو،وخزبةوخزيبة تطلق على معدنواحد،وهذا المعدن على ما يفهم من كلام المتقدمين يقع بين عمايتين والعقيق ، أي عماية وصاحة المعروفتان الآن باسم الحصاتين حصاةقحطانوبين العقيق الذي هو عقيق بنيعقيل (وادي الدواسر) ، وأقرب وصف ينطبق على هذا المعدن هو المكان المعروف الآن باسم (شمـــاس الجنوبي وشماس الشمالى) وفي هذين المكانين المتجاورين تبرز آثار التعدين ، ويقعان شرق حرة البقوم وغرب الحصاتين بميل نحو الجنوب الشمالي على خط ٥٧ ، °٢٠ و١٨ ، °٤٣ والجنوبي ٥٠، °٢٠ و ١٥ ، °٤٣ .

وهناك آثار معدنين يقعان في الشمال الغربي من وادي الدواسر ينطبق عليهما وصف المتقدمين يدعى أحد الموضعين الريانية ويقع غرب نطقة التقاء

---

(١) معجم البلدان .
(٢) تاج العروس .

وادي تثليث بوادي الدواسر (عقيق عقيل قديماً) ، وسيل ذلك الموضع ينحدر إلى الوادي ، والموضع الثاني يدعى دحلات شباب، ويقع غرب الموضع الأول بميل نحو الشمال

كما يوجد عند مفيض أودية رنية وبيشة في طرف الرمل الغربي من عرق سبيع ، يوجـــد آثار تعدين في مكان يسمى في المصور الجغرافي أم مطيرة ، ويغلب على الظن ان هذا الموضع يقرب من موقع معدن خزبة ، وهذا الموضع يقع في الشمال الغربي من الموضعين المتقدمين ، وكل المواضع المذكورة ، فيها آثار تعدين .

ولا يبعد أن تكون خزبة مطمورة تحت الرمال التي في تلك الجهة ، فهي على ما ذكر المتقدمون قرية كبيرة فيها منبر كما يقولون،وليس منالسهل اختفاء آثارها وآثار التعدين فيها ما لم تطمرها الرمال أو السيول [أنظر : م : ٩] .

٢٢ — معدن خصلة :

قال في كتاب «بلاد العرب»:(وأسفل ثادق لعبس وأعلاه لاسد لافنائهم، ومن مياه ثادق النميلة وخصلة وبها سميت خصلة معدن حذاؤها ، كان به ذهب وخصلة لبني اعيا)[١] . وقال: (والرس:ماء لبني منقد بنأعيا،به نخل لبني برثن بن منقذ ولهم صبيـغ وشرك وخصلة) [٢] .

ووادي ثادق هذا لا يزال معروفاً ولكنه يقع غرب صبيـغ (صبيح الآن) ينحدر وادي ثادق من جبل يدعى الآن السلسلة وطرفه الشرقي الجنوبي يدعى الحظر ويسمى أعلا ثادق وادي مراغان والتسمية حديثة، وفي الطرف الجنوبي من جبل الحظر على ضفة الوادي الشمالية شرق بلدة الفوارة توجد آثار تعدين على خط ١٠ ، ٢٦° و ٤٥ / ٤٢° ونرى أن هذا هو آثار معدن خصلة القديم [أنظر : م : ٤] .

---

(١) «بلاد العرب» ص ٤٥ .

(٢) «بلاد العرب» ص ٤٨ .

٢٤ – معدن الرضراض :

قال الهمداني في كتاب الجوهرتين (ومنها – يعني معادن الفضة – معدن الرضراض باليمن وهو نظير معدن شمام وخير منه ... قال معدّنو الفضة ليس بخراسان ولا بغيرهـــا كمعدن اليمن – وهو معدن الرضراض – وهو في حد نهم ومخلاف يام من أرض همدان ، وخرب على رأس سبعين ومائتين ولمراد فيه خاصة . ولبني غيلان رهط ابن الروية يد حتى يقال معدن ابن الروية ولبني الحارث ولخولان العالية فيه جوار وصقب . فلما قتل محمد بن يُعفِر وافتتنت القبائل عليه عدا بعضهم على ساكنه فقتلوا منهم ونهبوا وهرب من بقي فتفرقوا في البلاد . وصار إلى صنعاء منهم قوم قد كان لهم بصنعاء قدم من قديم ومنازل وضياع . وكان أهله جميعـــاً من الفرس ممن تأوب اليه في الجاهلية وأيام بني أمية وبني العباس وكانوا يسمون فرس المعدن، فممن بصنعاء بنو سردويه وبنو مهدويه وبنو زنجويه وبنو بردويه وبنو جدويه. وكانت قرية المعدن عظيمة وبها غيل ونخل. وكان الجهاز يرد اليها من البصرة. والقطرات اليها ومنها . على طريق العقيق والفلج واليمامة والبحرين إلى البصرة . وكذا كان الرفاق تسلك من صنعاء إلى البصرة ومن البصرة إلى صنعاء طريق اليمامة. وقد سلكه أصحابنا – رحمهم الله – وكان أكثر من سلكها جرم وبنو الحارث . وكان يرتفع لمن في المعدن من تنانيرهم – على أنهم لم يكونوا كملة ولا سداد – شيء كثير من الفضة (في نسخة أخرى : يرتفع لهم في الجمعة حمل فضة وهو عشرون الف درهم) – فيؤدي في السنة بالتقريب الف الف درهم عرف ذلك من بعض وكلاء محمد بن يعفر – الذين كانوا يقبضون حق السلطان – وخبرني أحمـد بن أبي رمادة الصائغ أن بني الما (بدون نقط) وبني الأشرف كانوا يعالجون في المعدن وانه كان فيه أربعمائة تنور . وكان الطائر إذا حاذى قرية المعدن سقط ميتاً من نار التنانير . وخبرني أبي – رحمـــه الله – انه يشتري الفضة الـــاب (غير منقوطة في الأصل) وهي الحرق على أربعة عشر مثقالاً بدينار مطوق . المطوق ثلثا مثقال وحبتان، والعشرة مطوقة وقية، وهي سبعة مثاقيل فكان يقع المطوق من الفضة عشرين درهما .

قفلة وبالمثقال قراب ثلاثين درهما فلما انقطع المعدن صارت الفضة بصنعاء إلى وقية بدينار مطوق فلما وقعت باليمن حطمة تسعين ومائتين عادت إلى السعر الأول عشرين درهما قفلة وهي وقيتان بدينار مطوق . وبلغ صرف الدوانيق تسعة وتسعين بمطوق فذلك ستة عشر درهماً وسدس. فحمل التجار من العراقيين والفرس والشاميين والمصريين فضض اليمن في ذلـــك العصر . وكانوا يربحون فيها الربح الخطير . وخبرني بعض اخواننا النهميين من أهل الموضع قال: وصل الينا من صنعاء ممن يتوصل باليمن خراسانيان فلما نظرا إلى المعدن وإلى ما فيه من الآثار الجاهلي والاسلامي قال أحدهما:يا ضياع مال الله في هذا المكان – أو قال – يا مال الله الضائع في هذا المكان!!. وقد كان أجرى للعلوي بصعدة خبره وكانت همدان ساكن هذه المواضع في حربه،وكان الذي بينه وبين بني الروية لطيفاً فهمّ به فأشار عليه أهل صنعاء ان يبني فيه حصناً أو يرد الحصن القديم ويصير فيه ديواناً يمنعون عماله من البادية وعوادي مذحج. فهم بذلك ونمي الخبر إلى أسعد بن يعفر فبعث لآل مروح – سادات نهم – فاثبتهم في ديوانه واراع عليهم دنياه فانقطعو اليه . ولم يستو للعلوى فيه ما أمل . وأثار اعمال الجاهلي فيه أكثر من أثار أهل الاسلام . وهذا هو الذي ذكره النبي ﷺ في كتابه مع ان نمط الهمداني الى أهل مخلاف يام وخارف فهنالك جبل (يام) الاصحر وفيه أثار الجاهلي . ثم انتقلت يام من هذا الموضع فسكنت ما بين جوف الحيقة ونجران . فصار لهم قابل نجران القبلي فيه حاضرتهم وباديتهم بملاح وحازة فمـــا يليها من جلاجل فسروم . وخبرني بعض من نظره من الغرباء الذين يعالجون الفضة انه ينفق على الدرهم منه ربع . وان في أرض بني مجيد معدن فضة عمل لابن زياد صاحب زبيد فانفق على الدرهم أربعة دوانيق لضعفه وعسره) .

وقال أيضاً :

(وتحت سامك : الرّضراض ، واليه ينسب معدن الرّضراص، وثم قرية المعدن ، معدن الفضة، وهو معدن لا نظير لهفي الغزْر، وخرب بعد قتل محمد ابن يُعفِر، وذلك أنه كان حداً بين نهم منهمدان، ومرهبة ومراد، وبلحارث

وخولان العالية [1]).

وقال البكري :

(الرضراض : أرض في ديارهم ، من همدان وفيه معدن فضة [2])

وأقول : هذا المعدن واقع في شرق اليمن وجنوب نجران بميل نحو الغرب وجبل يام ـ الأصحر ـ يدعه المتوجه إلى الجوف (جوف مراد) عن يمينه ، بحيث يقع الغيل شماله بمسافة تقارب خمسة اكيال (ك . م) ويسمى الجبل الآن: (الأسحر) بالسين بدل الصاد ويقع بين ٢٠ ـ ١٥° و١٠ـ١٦° (شمال خط الاستواء) و٣٠ ـ ٤٤° و٤٥° خط الطول ـ على وجه التقريب . ويقع جنوب وادي الخارد .

٢٤ ـ معدن الذُّهلـُول :

قال نصر : (الذُّهلول : جبل أسود للضِبَّاب ، له معدن يقال له معدن الشَّجَرتين ، وماؤه البَرَدَان ، وماؤه ملح ، كثير النخل [3]) . وكلام نصر كأنه منقول من كتاب «بلاد العرب» إلا انه ورد في هذا الكتاب بالذال (الذهلول) وياقوت أورد الاسم بالحرفين ، في موضعين .

وقال في«بلاد العرب» [4]في الكلام على بلاد الضباب وبني جعفر والقبيلتان متجاورتان : (ومن جبالهم : الذهلول الأسود ، قال الشاعر :

إذا جبل الذهلول لاح كأنه ... من البُعد زنجي عليه جوَالقُ

وله معدن) الخ

ويفهم من كلام صاحب بلاد العرب ، أنه يقع في جهة (المحدثة) المنهل

---

(١) : صفة الجزيرة ص ٨١

(٢) « معجم ما استعجم » ص ٦٥٥

(٣) كتاب نصر ومعجم البلدان .

(٤) : ص ٩٦

المعروف الآن الواقع في عالية نجد ، يمين الدّفينة، تقريباً،للمتوجه إلى الحجاز [أنظر : م : ٦]

٢٥ – معدن السَّود :

نقل ياقوت [١] عن ابن ابي حفصة اليمامي ، (سَود باهلة قرية ومعادن باليمامة) ، وذكر ياقوت انه يسمى سود شمام. والواقع ان سود باهلة ويسمى سواد باهلة أيضاً بلاد واسعة تشمل كثيراً مما يطلق عليه الآن اسم العرض (عرض القويعية) وشمام ، ويسمى ابنا شمام أيضاً جبل يقع في تلك الجهة يقع شمال بلدة عروى ويشاهد منهـــا رأي العين وهو جبل له رأسان ولهذا حرفه المتأخرون من ابني شمام إلى اذني شمال مثنى اذن . والسود هذا فيه معادن كثيرة منها شمام وغيره مما سيأتي ذكر بعضه .

ومن أحسن من كتب عن سود باهلة من المتقدمين صاحب « بلاد العرب» وصاحب « صفة جزيرة العرب » . [وأنظر : م : ٧]

٢٦ – معدن الشبيكة :

وذكر صاحب « بلاد العرب »[٢] في بلاد بني قشير : (ولهم الشبيكة من معادن اليمامة ، بين الحفيرة والعوسجة) .

ويفهم من هذا الوصف أنها تقع في طرف العرض الشرقي ، وهناك مكان لا يزال معروفاً وهو الآن هجرة (بلدة) للدعاجين من قبيلة برقا من عُتيبة ، وتقع شرق الدوادمي وشمال جبل ماسل الجمح ، وهي تنطق بالتصغير الحفيرة مضمومة الحاء مشددة الياء المكسورة ، والعوسجة من أرض غني بقرب مغيراء كما سيأتي تعريفها ، وغني وباهلة وقشير متجاورون ويختلطون في كثير من الموارد في العهد القديم [أنظر : م : ٧] .

وينبغي التفريق بين هذا المعدن ، وبين المعدن الذي ورد ذكره في بيان

---

(١) « معجم البلدان »

(٢) ص ٢٤٠ .

قسم الثروة العدنية إذ ذاك على خط ٣٥°و٢٢° و٤٠ ، ٤٢° أما هذا فيقع على خط ٣٠ ، ٢٤° ر ١٠ ، ٤٥° على وجه التقريب .

٢٧ — معدن الشجرتين :

تقدم ذكره في معدن الزهلول :

٢٧ — معدن شمام :

قال الهمداني :

(تسمية معادن الفضة ، ومنها معدن شمام : الفضة والصفر ، من أرض نجد ، وشمام قرية عظيمة ، كان فيها — فيما يقال — الف من المجوس ، وكان فيها بيعتان ، وابنا شمام جبلان بها. وقد خربت ، وكان عمرانها في الجاهلية، وأكثر مدة الاسلام [١]) .

وقال أيضاً :

(شمام : معدن فضة ، ومعدن نحاس ، وكان به ألوف من المجوس الذين يعملون المعدن ، وكان به بيتانار يعبدان [٢] وقال : ومعدنا شمام : الفضة والصفر) .

وقال في « بلاد العرب » :

(وابنا شمام بالسود، يدفع عليهما عرض السود،وهو غير عرض اليمامة[١].

ومن معادن اليمامة : خزبة ، وشمام وهو بسود باهلة [٣]) .

وتقدم الكلام على شمام في ذكر معدن السود ، ويقع هذا المعدن على خط ٥٠ ، ٢٤° و ٥٠ ، ٤٤° — على وجه التقريب - [انظر : م : ٧] .

---

(١) « الجوهرتين » ،

(٢) « صفة جزيرة العرب » ص ١٤٩ و ١٥٤ .

(٣) بلاد العرب . ص ٢٣٦ وص ٣٨٢ .

٢٩ – معدن شيبان :

قال في بلاد العرب :

(وفوق ذلك العوالي ، وهي قرى ، وفوقها الحجر ، حجر ثمود : قرية وسوق . وعن يسار ذاك فيما بينه وبين البحر جبل يقال له شيبان ، به البان والحبة الخضراء ، وبه النخيل ، في مواضع كثيرة ، وفيها معادن الصفر ، والذهب والفضة ، فأما المعادن التي فيها فلكل ، وأما ما سوى ذلك فلبلي ، وسعد الله .. [١])

كذا ورد (شيبان) بالشين المعجمة ، وورد في كتاب نصر ، وفي « معجم البلدان » بالسين المهملة ، وقالا : جبل من وراء وادي القرى . وما ورد في كتاب « بلاد العرب » : شيبان ، الشين معجمة في النسخ الخطية ، بدون ضبط .

وموقع هذا المعدن فيما يفهم من كلام المتقدمين في غرب الحرة المعروفة بحرة العويرض فيما بينها وبين البحر ، وهناك آثار للتعدين كثيرة منها أم حرب وحواويت والكحل والكوت والشائبة وسطير والقبة والرحي وطفية والبني وغيرها وهي أسماء لست على ثقة من صحتها ولكنني نقلتها من المصور الجغرافي على علاتها [أنظر : م: ٢] .

٣٠ – معدن شيخ :

هو معدن ذكره نصر بن عبد الرحمن الاسكندري في كتابه وقال عنه : (لا أعرفه) .

ولم أرَ له تحديداً فيما بين يدي من الكتب .

٣١ – معدن الصحراء :

ذكر ابن الأثير أن أهل اليمامة بعد قتل الوليد سنة ١٢٩ ثاروا على الوالي

---

(١) « بلاد العرب » .

ثم حدثت بينهم حروب وفتن ، منها يوم معدن الصحراء - قال : (ثم إن بني عُقيل وقشير وجعدة ونميراً تجمعوا فقتلوا من لقوا من بني حنيفة بمعدن الصحراء وسلبوا نساءهم ، وكفت بنو نمير عن النساء [1]) .

والظاهر أنه هو الموضع الذي حدد المتقدمون المسافة بينه وبين الفلج ، كما يلي :

من اليمامة إلى الخرج ، ثم إلى نبعة ، ثم إلى المجازة ثم الى المعدن ، ثم إلى الشفق ، ثم إلى البور (أو المرح) ثم إلى الفلج [2] .

لأن هذا المعدن قريب من بلاد بني قشير ، وجعدة ، وعقيل ، الذين كانوا ينتشرون في الأفلاج وما بقربها من البلاد .

ومن وصف الطريق المتقدم يظهر أن موقع هذا المعدن في المنتصف بين الخرج والأفلاج ، بل هو بين الحوطة حوطة بني تميم وبين الأفلاج ، بحيث لا يبعد عن الحوطة بأكثر من مرحلة في جنوبها ، إذ المجازة المذكورة هنا تقع في أسفل بلدة الحوطة ، وهذه غير مجازة الطريق ، طريق الحج البصري ، ويقع بقرب الخط ٣٠ و ٢٣° و ٥٠ و ٤٦° تقريباً ، ولم أرَ في كلام المتقدمين ما يدل على المادة الموجودة في هذا المعدن ، ولكنهم حينما يطلقون اسم المعدن فهم يقصدون الذهب أو الفضة .

ومما يلاحظ أن موقع هذا المعدن منفصل عن السلسلة الجبلية التي توجد فيها المعادن ، يفصل بينهما السهل الممتد بين عرض شمام وعارض اليمامة .

٣٢ – معدن صعاد :

أنظر تفصيلاً عن هذا المعدن في الكلام على معدن عقيق بني عُقيل .

للبحث صلة

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٤ - ٢٧٣ الطبعة المنيرية) .
(٢) ابن خرداذبة (١٥٢ - ١٥٣) قدامة ابن جعفر (١٩٣) .

رُوح الفدائي

[إلى الأبطال الكراميين ، الشهداء منهم والمجاهدين ، إلى الطليعة المؤمنة العامـــلة من أمتنا . إلى الذين فهموا الحقيقة البيضاء ، فالغوا تقاليد الكلام ، وهدموا أسوار العادة ، واعتبروا ميادين الجهاد والعمل مسارح الفكر والفصاحة والبطولة ، إلى هؤلاء الأخوة الآمال أرفع نغمة شعر منذ ثلاثمائة يوم ، فالعمل العظيم المؤمن يتسامى عن المساومات ، ويسمو على كل قول ولكن التعبير الصادق عن حقيقة العمل أمل صعود مهيب إلى نفس المستوى] .

ليس للموت رهبة في صميمي هو يا نفسُ غايتي ونعيمي
هو مستقبلي الفسيح ..
هو النعمى تنادي : مطامحي ، وهمومي
هو أستاذ عالم مستنير عبقري مشجَّر بالعلومِ
منْ ينلْ علمَه يعش في هناءٍ
مطمئناً إلى البقاء المقيم
هو أرقى ولادة نبتغيها ؛ من أماني صعودنا للنعيم
عندما يبلغ الجنين نضوجاً يهجر الأمَّ للفضاء الوسيم
هكذا .. روحيَ الجنين يجسمي نضجها مولد الرحيل العظيم
أنا في بابكَ المغيَّبِ يا موتَ مناجـــاة خافقٍ محروم :
هل لروحي لدى بنيك محلٌ ؟ في فساح البقاء بين النجوم

أيها الموت ، يا مولّد شوقي يا بديع الرؤى ببالٍ كتوم
« أعشق العيش في ربوعك أمناً فأجب دعوة المحبّ الكليم
أنا من لوعةِ الغرامِ ولُوعٌ بصراطٍ إلى السّما مستقيم ..
أنا يا موتُ : أمة من فدائي — تناديك روحُه في النسيم :
أنت مستقبلي، وأنت حياتي، وبلادي،وأنت أنت حميمي.
فُتح الباب عن وجودٍ فسيحٍ مستريحٍ ، محررٍ من تخوم
فانجلى الموتُ : قامة تتهادى كربيعٍ مطيَّب منغوم
ضاحكَ الوجه كالشروق حيياً كارتداد البروق خلف الغيوم
قال : « أهلاً بأمة في فدائيٍّ — أطالَ الوقوف عند كرومي
وتغنّى بخمرتي وكؤوسي وأحبّ الحياة بين سديمي
تاركاً خلفه شقاءَ حياةٍ تلبِسُ الذلَّ في عبيد الرجيم
مرحباً بالفداء يهجر أرضاً حاربتني من السّحيق القديم
واستبدت بضلّةٍ وعنادٍ وتنادت ليومي المعلوم
والفدائي وحده من يراني منتهي اللطف والحنان الرؤوم
ويرى متعة الجمال بقربي ويرى الصدق والصداقة يومي
مرحباً بالفداء يحملُ شوقاً للقائي على امتداد التخوم
يا فدائيُّ مرحباً .. لك ما تهوى من المجد خالداً بنعيمي
لا يشيب الجمال عندي ، لا يفنى .. تمتع بمشتهاك الفطيم
بفصولٍ كما تشاء الأماني وابتهاجٍ لمغرياتِ القدومِ
مثلما يعشقُ الجمالُ وتبني سرحة الحلم في اشتياق الحلومِ
أنت عندي مخيَّرٌ بنعيمي مذ تغنَّيتني بقلبٍ سليم .
فتأمَّلْتُ منزلي وهنائي بفسيح الوجود غضِّ الرُّسوم

.. متقن كل ما أرى مستحب متغـــنٍّ بعشقه المنظومِ ..
فتذكرتُ هجرتي من بـــلادي وارتفـــاعي لشعبها المهزوم
فانطوت زهوة السعادة عن وجهي ... وحدقت بالنصير الرحيم :
قلت : يا موت ما أتيت للهو ولذاذات شهوة ونغـــوم
أرسلتني طليعة من بلادي باشتهاءات نصرها المحتـــومِ
أمتي تطلب المواثق والعهدَ وحلفاً مـــع القوي العزيمِ
مثلما كنت قائـــداً لخطاها في فتوح السلام ، عهد الهجوم
فابتنت عزّها وفضت خبايا واعتلت مجدها بنهجٍ قويمِ
كل دنيا مجيدة من هداها تبتغي الله في اختلاف المروم ...
فاقبلَنّي معاهداً من جديدٍ أيها الموتُ ... أمتي في الجحيمِ
أنا يا موتُ أمّةٌ من فدائيٍّ تُناديك روحُـــه في النسيم :
عهدي اللهُ أن أكون صديقاً للعلى ، ماحقاً وجودَ خصومي
ولتكنْ دائماً فلسطينُ مضحى ثم مسرى إلى العَلاءِ العظيمِ .
ضحكَ الموتُ من حماسي،وروّى خاطري بابتهاجِ وجهٍ كريم
قال : « أهلاً بأمّةٍ في فدائيٍّ — صدوقٍ معاهـــدٍ كالقديم
يا فدائي قـــد قبلتُ . فبلّغ أمة العرب موثقي ونعيمي
إنه الفتح جاء .. والنصر وعد من وفيٍّ بوعـــده المقسوم
فتحركت كالضياء جهيراً وتغنيت كالغرام همومـــي
ثم ناديت أمتي من علائي : أيها العرب، يا قيامة قومي!!
يا بلاداً أحبها ، يا بلادي قدبلغت الرؤى،وفوق مرومي
عودة الروح حرّة لعلاها نعمة الأمن من مخيف الجسوم
هي لقيـــا حبيبة يشتهيها عبقري الفؤاد فوق النجوم
فتعالي يا أمتي لصديق خالد النصر،في الخلود تقيمي
حرة تصبحين .. مثلي أحيا ليس للموت رهبة في صميمي

الدكتور أسعد علي

مع القراء .. في أسئلتهم وتعليقاتهم

ابن سعيد المغربي

وسأل الصديق الكريم الاستاذ محمد بن سعيد حسن كمال – من الطائف – بكتاب مؤرخ في ٢٢ – ١ – ١٣٨٨ عن « ابن سعيد » الذي كثيراً ما ينقل عنه ابن خلدون في تاريخه ، وكثير من النسابين ، مثـــل صاحب « سبائك الذهب » وغيره ، هل هو ابن سعيد المغربي صاحب كتاب «الغصون اليانعة»؟ « العرب » :

هو هو ، أي علي بن موسى بن سعيد الغرناطي الأندلسي ، (٦١٠هـ–٦٨٥هـ) وله من المؤلفات المعروفة :

١ – المغرب في حُلى أهل المغرب ، وقد طبع منه ثلاثة مجلدات ، وقال في وصفه احمد بن يوسف التيفاشي :

سعد الغرب، وازدهى الشرق عجباً وابتهاجـــاً بمغرب ابن سعيـــد
لم يـــدع للمؤرخـــين مقـــالاً لا ولا للرواة بيـــت نشيد

٢ – المشرق في حلى أهل المشرق ، في مجلدات يوجد منها مجلد في (دار الكتب) في القاهرة ، واسمه يدل على موضوعه .

٣ – الغصون اليانعة ، في شعراء المائة السابقة ، وطبع منه قسم يتضمن تراجم ما بين سنتي ٦٠١ و ٦٠٤ (بضع تراجم فقط) طبعته دار المعـارف في مصر .

وكتابه المشرق يحوى معلومات ذات اهمية كبيرة عن تاريخ بلاد الشرق (مصر ، والشام ، والحجاز ، وغيرها) .

وقد نقل عنه ابن خلدون في تاريخه – وتقي الدين الفاسي في «العقد الثمين» فأكثروا النقل ، ووصفه الأخير بأنه مؤرخ المغرب والمشرق ، وابن سعيد قام برحلة من الأندلس إلى المشرق ، فسجل الكثير من اخبار هذه البلاد ، مما لا يوجد إلا في كتابه هذا، وقد أورد له المقري في كتاب « نفح الطيب من غصن

الأندلس الرطيب » ترجمة مطولة [1] يحسن الرجوع اليها ، بل لا يعرف قدر هذا العالم الجليل بدونها .

ومما نقله ابن خلدون عنه : (وقال ابن سعيد : وفي سنة ثلاث وخمسين [وستمائة] بلغني وأنا بالمغرب ان راجح بن قتادة جاء إلى مكة وهو شيخ كبير السن ـ وأخرج منها جماز بن ابي عزيز فلحق بينبع) [2]

ونقل أيضاً :

(قال ابن سعيد : سألت أهل البحرين حين لقيتهم بالمدينة النبوية سنة احدى وخمسين وستمائة عن البحرين . فقالوا : الملك فيها لبني عامر بن عوف ابن عقيل ، وبنو تغلب من جملة رعاياهم ، وبنو عصفور منهم أصحاب الأحساء) [3]

وقال الفاسي :

(وذكر ابن سعيد مؤرخ المغرب والمشرق شيئا من خبر حسن بن قتادة لم أره إلا في كتابه ، فنذكره لما فيه من الفائدة) [4] .

حول مطبوعات « مجمع اللغة العربية »

وكتب الأخ الأديب محمد بن علي آل تركي (عنيزة المكتبة الثقافية العامة) عن عدم انتشار مطبوعات مجمع اللغة العربية في البلاد ، وضرورة تيسيرها لمن يريدون الاطلاع عليها من المثقفين .

« العرب » : كتبنا إلى المجمع ليبعث مجلته ومطبوعاته لمكتبة عنيزة العامة ، ونأمل أن يحقق رجاءنا في ذلك .

حول عكاظ :

وبعث الأخ الكريم الاستاذ السيد حسن بن السيد علوي من (القطيف)

---

(١) : ج ٣ من صفحة ٢٩ الى صفحة ١٣٩ طبعة الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد ، في القاهرة .

(٢) : تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٢٢٨

(٣) : تاريخ ابن خلدون ص ١٩٦ ج ٤

(٤) : « العقد الثمين » ج ٤ ص ١٧٢

بمقال ممتع بعنوان : (عكاظ مؤتمر عربي شامل) نلخصه فيما يلي – مضطرين إلى ذلك لضيق نطاق هذا الجزء :

لقد تضاربت آراء علماء الأدب واللغة في تاريخ بدء عكاظ ونهايتها . ففي كتاب (أسواق العرب) يقول الأفغاني بأنه لا يعلم لهذه السوق بداية محدودة ، إلا أنه يرجح وجودها قبل القرن السادس الميلادي . أما الدكتور محمد حسين هيكل ، وجماعة من الأدباء فيرون أن عكاظ افتتحت بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة ، ومما يؤيد رأي صاحب كتاب « أسواق العرب » قول النابغة الجعدي :

ولقد شهدتُ عكاظ قبل محلها فيها وكنت أعد في الفتيان

وقد جاوز النابغة الجعدي مائة وخمسين عاماً قضى أكثر من نصفها في الجاهلية ، وأقلها في الاسلام ، على ما قيل .

وكلمة « عكاظ» مشتقة من قولنا « عكظه » أي قهره ورد عليه فخزه ، أو لأن العرب تجتمع فيها فيعاكظ بعضهم بعضاً بالمفاخرة ، كما يقول أحمد أمين في مقاله حول عكاظ . ويقع عكاظ بين نخلة والطائف على بعد عشرة اميال من الطائف [1] . وكانت تقام في هلال ذي العقدة حتى عشرين منه . ويقال إنها تعقد في منتصف ذي القعدة وتنتهي بنهايته . وقد أكد القول الأول الأزرقي في كتابه « تاريخ مكة » . وتفد إلى عكاظ كل موسم قبائل مختلفة من بينها قريش وغطفان ، وهوازن ، والأحابيش .

وتعتبر عكاظ مؤتمراً عربياً شاملاً في مختلف المجالات الفكرية والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، ففيها تبحث المشاكل ، وتناقش الآراء ، وتعرض الوان متعددة من السلع ، ونفائس المنتجات من اليمن ، والعراق ، والشام ، وفارس ، ومصر . لهذا كان لها أبعد الأثر في اقامة ميزان العدالة ، ودفع

---

(١) لصاحب « العرب » رسالة في تحديد الموقع نشرها في مجلة المجمع وفي رسالة مفردة .

المظالم ، واعلاء كلمة الحق ، وتنوير العقول بألوان شتى من انتاج الفكر ، وايجاد جو من التفاهم والاخاء والمحبة بين القبائل والعشائر ، وتوطيد الصلات والروابط بين بقية البلدان العربية .

وتصطبغ عكاظ بصبغة أدبية خاصة ، فللاداب دور خطير في التوجيه والادارة وبعث روح النشاط والتآخي . لهذا فان سوق عكاظ أدبية قبل أن تكون سوقاً اجتماعية أو تجارية . فهناك الشعراء يفدون اليها كل عام ، ويتناشدون الشعر ، فكانت تقام للنابغة الذبياني خيمة يجلس فيها ، فيأتي الشعراء ليسمعوه ما قالوا من شعر وهو بدوره يحكم بينهم .

ومما يذكر أن الخنساء (تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية) أنشدت النابغة – مرثاتها في أخيها صخر ، فقال لها :« لولا أن أبا بصير يعني الأعشى أنشدني قبلك لقلت أنك أشعر من في السوق .

وقد جرت بين النابغة الذبياني وبين حسان بن ثابت قصة يحسن ايرادها ، وهو أن النابغة فضل عليه الخنساء ، ذات مرة فقال له حسان بعد أن حلف انني أشعر من أبيك وجـــدك ، فرد عليه النابغة بقوله : انك يا ابن أخي لا تستطيع أن تقول مثل قولي :

فانك كالليل الذي هو مدركي وإنخلت ان المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن في حبال متينة تشد بهـــا أيد اليك نوازع

وكلّ ما لعكاظ من تقدم مضطرد ، يعزى أمره إلى الموجه الأول (الأدب) وأخص منه بالذكر (الشعر) فالشعر – كما قيل : ديوان العرب ، وهو المرآة الصافية التي تبرز أهمية السمات الـــتي يتحلى بها العربي ، ولعل وجود المعلقات من أوضح الأدلة على هذا القول ، فقد ورد فيها ما يشفي الغلّة عـن أخلاق العرب ، وصفاتهم الاجتماعية ، وعقائدهم وعاداتهم . وفي النهاية أقول:إن عكاظ ما هي إلا مدرسة أدبية للنقد والتوجيه والبلاغة ، وتهذيب اللغة ، وصونها من كل دخيل لا يتلاءم وبيانها القويم . ولا أبعد عن الواقع إذا قلت : إن فضل عكاظ على اللغـة العربية لا يزال أثره ماثلاً حتى اليوم . وعلى علماء اللغة أن يعترفوا بهذا الفضل العظيم ، الذي طوّق جيد اللغة بطوق جعلها تخطو خطوات واسعة في التقدم ، وتتخذ مكانتها المرموقة بين جميع اللغات في العالم .

مكتبة العرب

[لا تتحدث العرب في هذا الباب إلا لما يقدم لها من كتب ، إذ المجال أوسع من أن تتحدث فيه فيما لو اهتمت بكل ما ينشر من تراثنا .]

– مجلة الجمعية الجغرافية العراقية :

وكرم الدكتور ابراهيم السامرائي رئيس قسم الدراسات الأدبية في كلية الآداب في بغداد – وما زال كريماً – فاتحف مكتبة « العرب » بمجموعة من مجلة الجمعية الجغرافية العراقية في أربع مجلدات من الأول الذي صدر في شهر آب سنة ١٩٦٢ إلى الرابع الذي صدر في كانون الأول سنة ١٩٦٧ وهي مجلة تعنى بنشر الأبحاث الجغرافية ، ويحررها علماء أجلة من خيرة علماء العراق كالدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور حسن الخياط والدكتور صفاء الخلوصي ، والدكتور أحمد سوسه والدكتور صالح أحمد العلي ، ويرأس تحرير المجلة في عهدها الأخير الدكتوران نوري البرازي وغوث منير أحمد وتصدر المجلة في قسمين : عربي وانكليزي ، وتختلف مجلداتها بين ٣٣٠ صفحة و ١٣٠ صفحة على وجه التقريب ، وتزدان بالمصورات الجغرافية لمختلف الأبحاث ، وهي مما لا يستغني عنه أي باحث عربي يهمه معرفة أحوال البلاد العربية الجغرافية وما يتصل بها من المباحث .

– جغرافية الاندلس وأوروبا من كتاب البكري :

وقام الدكتور عبد الرحمن علي الحجي من علماء العراق ، باستخلاص ما يتعلق ببلاد الاندلس واوروبا من كتاب « المسالك والممالك » لأبي عبيد البكري (المتوفي ٤٨٧) العالم الجغرافي الاندلس صاحب كتاب «ما استعجم» وغيره من المؤلفات المعروفة وكتاب المسالك قد عني به المستشرقون فنشروا بعض أقسام منه ، مترجماً إلى اللغة الفرنسية وغيرها ، وقد قام الدكتور

عبد الرحمن بنشر القسم المتعلق بالاندلس وبعض جهات أوروبا نشراً علمياً دقيقاً فجاء ذلـــك في كتاب تبلغ صفحاته ٢٥٨ ، وقد طبع طباعة جيدة بمساعدة المجمع العلمي العراقي ، فاسدى الدكتور المحقق بعمله يداً يذكرها المعنيون بالدراسات الجغرافية ذكر شكر وتقدير .

● — « تاريخ واسط »

وقام الاستاذ الجليل المحقق كوركيس عواد بتحقيق كتاب « تاريـــخ واسط » البلدة المعروفة بالعراق، تأليف اسلم بن سهل الرزاز الواسطي المعروف ببحشل (المتوفي سنة ٢٩٢ هـ — ٩٠٥ م) وهذا الكتاب ذو أهمية تاريخية لكونه من اوائل ما صنف في تاريخ البلدان ثم هو يضم تراجم طائفة من علماء واسط من المحدثين الذين يرد ذكرهم كثيراً في كتب الحديث ، وقد قام الاستاذ كوركيس عواد بجهد مشكور في سبيل تحقيقه ووضع الفهارس الوافية له فجاء الكتاب في ٣٩٩ في طباعة حسنة ، وقد ساعد المجمع العلمي العراقي في طبعه وكرم صديقنا الاستاذ المحقق باتحاف مكتبة « العرب » بنسخة منه فله الشكر على عمله العلمي الذي لا يعرف قيمته الا من عانى نشر المخطوطات القديمة ، وعلى هديته الكريمة .

● — « تاريخ اليمن »

للشاعر المؤرخ عمارة بن علي اليمني المتوفي سنة ٥٥٩ مؤلفات في التاريـخ والادب منها كتابه المسمى « المفيد في اخبار صنعاء وزبيد » وهو كتاب جليل القدر عظيم الفائدة ، قام المستشرق (كاي) بطبع القسم المتعلق منه بالتاريخ ، ثم قام احد علماء مصر هو الدكتور حسن سليمان محمود الجهني باعادة طبع ما طبعه المستشرق باضافة بعض الحواشي والتعليقات، ولم يكلف الدكتور الجهني نفسه عناء البحث عن نسخة أوفى من النسخة التي طبع عليها المستشرق حيث يوجد في دار الكتب بالقاهرة نسخة وافية منها، تضم مع القسم التاريخي القسم الادبي المتعلق بتراجم شعراء اليمن وادبائه، مما كان عليه معول صاحب الخريدة ، وقد وفق صديقنا عالم اليمن الاستاذ محمد بن علي الاكوع الحوالي إلى

اعادة طبع الكتاب مرة ثالثة مضيفاً اليه ما فات المحققـــان ، وهو القسم الادبي ، وقد صدر الكتاب في مجلد يقع فيه ٤٤٢ صفحة — مع فهرس مفصل للاعلام من اسماء اشخاص وقبائل ومواضع، غير ان صديقنا الاكوع لم يشرف على تصحيح تجارب الطبع، فحصلت هفوات بل غلطات فظيعة، نأمل ان يتدارکها في الطبعة الاخرى ، وهذا لا يقلل من عمل الاستاذ الاكوع الذي وضـــع مقدمة ضافية عن حياة مؤلف الكتاب عمارة اليمني ، وعلق على الكتاب تعليقات ذات فائدة كبيرة في تحقيق المواضع والقبائل التي ورد ذكرها في الكتاب مع تصحيح بعض هفوات المؤلف التاريخية .

وملاحظة عابرة حول الكتاب هي اننا نرى ان ما طبع عنه صديقنـــا الاستاذ الاكوع هو (مختصر المفيد) وان التسمية التي وضعها للكتاب قد تكون غير صحيحة ، فقد اطلعنا على النسخة الخطية منه التي في دار الكتب في القاهرة فرأينا في طرتها ما يفهم منه ذلك ، وحبذا لو نشر الاستاذ صورة صفحتها الاولى وانموذجاً آخر منها كي يدرك الباحث قيمتها ، وهذا لا يقلل من عمل الاستاذ الفاضل كما قلنا آنفاً .

● — **« إنباء الغمر بانباء العمر »** :

الامام العلامة أحمد بن عـــلي بن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢ هـ — ١٤٤٩) ، صاحب كتاب «فتح الباري بشرح صحيح البخاري » و « الاصابة بمعرفة الصحابة » ، وغيرهما من المؤلفات العظيمة أشهر من أن يعرف ، ومن مؤلفاته كتاب « إنباء الغمر بانباء العمر » وهو كتاب سجـل فيه حوادث زمنه، وقال عنه : (وهذا الكتاب يحسن من حيث الحوادث أن يكون ذيلاً على ذيل تاريخ الحافظ عماد الدين بن كثير ، فانه انتهى في ذيـل تاريخه إلى هذه السنة ، ومن حيث الوفيات أن يكون ذيلاً على الوفيات التي جمعهـــا الحافظ تقي الدين بن رافع ، فانها انتهت أيضاً إلى أوائل هذه السنة ، وعلى الله تعالى أعتمد ، ومن فيض كرمه أستمد ، وهو المستعان ، وعليه التكلان، ثم قدر الله سبحانه إلى الوصول إلى حلب حرسها الله تعالى في شهر رمضان

سنة ست وثلاثين ، فطالعت تاريخها الذي جمعه الحاكم بها العلامـــة الأوحد الحافظ علاء الدين ذيلاً على تاريخها لابن العديم ، وقد بيض أوائله فطالعته كله من المبيضة ثم من المسودة ، والحقت فيه أشياء كثيرة وسمعت منه أيضاً وسمع مني متع الله ببقائه) .

وعلى هذا فهو يعتبر من المصادر الهامة لتاريخ الامة الاسلامية ، يحوي كثيراً من الحوادث والتراجم لمشاهير مصر والشام والعراق واليمن والحجاز ومنه نسخ خطية أجودها نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق وهي بخط المؤلف الا أنها تصعب قراءتها ، إذ العلماء أمثال ابن حجر لا يعنون بتجويد الخط ولا باعجام كثير من الكلمات .

ولقد قام مجلس (دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد – الدكن – في الهند) بنشر هذا الكتاب باعانة من وزارة المعارف الهندية ، تحت اشراف العالم الجليل الدكتور محمد عبد المعين خان استاذ آداب اللغة العربية في الجامعة العثمانية ، ومدير دائرة المعارف فيها ، قام بنشر الكتاب فصدر في السلسلة الجديدة من مطبوعات « دائرة المعارف العثمانية » رقم ٩ / ١١ ، صدر الجزء الأول من هذا الكتاب الذي نتوقع أن يصدر في خمسة أجزاء صدر الجزء الأول حاوياً لوفيات وحوادث السنوات الواقعة بين ٧٧٣ و ٧٨١ هـ ، في مجلد يضم ٣٢٦ صفحة تزينه الحواشي والتعليقات المفيدة، التي رجع واضعها الفاضل إلى كتاب «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» للمؤلف نفسه وإلى غيره من المؤلفات الأخرى ، مما ازدان به الكتاب ، وزادت قيمته العلمية ، وإذا كان لنا من ملاحظة عاجلة نبديها الآن فهي اننا لا نتفق مع حضرة الناشر الكريم حيث وضع اسم الكتاب « إنباء الغمر بابناء الغمر » حيث نرى ان الصواب « بانباء العمر » اي باخبار ما عرفناه مدى حياتنا ، إذ كلمة (ابناء) لم يتضح لنا معناها ، ولم نر وجها لذكرها بخلاف (انباء) جمع نبأ وسعنود للحديث عن هذا الكتاب القيم مرة أخرى ، ولن يحول ذلك دون إزجاء الشكر عطرا خالصاً لأولئك الاجلة العلماء الهنود الذين اسدوا وما يزالون يسدون الأمة العربية بايادهم البيضاء،في سبيل نشر تراثها، وللحكومة الهندية

التي تنظر إلى العلم نظرة مجردة من كل غاية لا تهدف إلى نشره بغية تعميمه .

● – **كتب عن الأمثال :**

ولأدباء بلادنا والباحثين في تاريخها عناية بناحية مهمة من تراثنا تتعلق بدراسة الأمثال ، فقد الف الأستاذان الكريمان محمد العبودي ، وعبد الكريم الجهيمان فيهما مؤلفين معروفين ، هما : « الأمثال العامية في نجد » صدر جزءه الأول منذ عهد ، ونشرت « العرب » فصولاً من الجزء الثاني ، وهو للاستاذ العبودي ، والثاني « الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب » للأستاذ عبد الكريم الجهيمان ، صدر منذ بضع سنوات .

وقد عني الباحثون من أدباء العرب بهذه الناحية من أدبنا ، فأصدروا مجموعة من الكتب فيها ، ومما وصل الينا من مؤلفات إخواننا في العراق :

● – **التعريف بمصادر البحث عن الأمثال :**

وهو كتاب الفه الأستاذ المحامي حسين علي الحاج حسن وصدر جزؤه الأول ، خاصاً بما كتب في العربية ، ذلك أن المؤلف الفاضل توسع في الموضوع ، بحيث جعله شاملاً لما ورد من المصادر بالعربية والفارسية والكردية والتركية .

وقد استعان المؤلف الفاضل في هذا الجزء بمؤلفات عربية صدرت في بلادنا ، أشار إلى بعضها اشارات موجزة ، منها :

١ – « الأمثال العامية في نجد » للاستاذ العبودي حيث ذكره في الصفحات : ٢٨ / ٥٥ / ٧٤ / ١٦٢ .

٢ – « الأمثال الشعبية » للأستاذ عبد الكريم الجهيمان ، ذكره ص ٤٦

٣ – قطب الدين النهروالي المكي مؤرخ مكة المعروف فقد ذكر كتاباً له في الموضوع (ص ٨٣٢) ولكنه في رأينا لا يدخل في ذلك وهو كتاب « التمثيل والمحاضرة ، في الأبيات المفردة النادرة » مخطوط في (دار الكتب)

في القاهرة برقم – ٥٢ – أدب (وقد أشرنا اليه في ترجمة القطبي ، في مقدمة كتاب « البرق اليماني » الذي نشرته (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

٤ – أمثال أهل مكة، وقد ذكره (ص ١٠٧) وقد نشرنا هذا الكتاب منذ بضع سنوات ، مترجماً من لغته الأصليه الألمانية إلى اللغة العربية ،نشرناه في صحيفتنا « اليمامة » التي كانت تصدر في الرياض ، وفات المحقق الفاضل الاستاذ المؤلف ذلك ، فلم يشر الا إلى أصله الألماني .

٥ – وأشار الأستاذ إلى كتاب السيد جعفر البيتي، وهو من أدباء المدينة ، معروف – كتابه « مواسم الأدب » وهو مطبوع ، قال عنه : انه اشتمل على العديد من أمثال العرب المأثورة ، وأقوال حكمائهم ، واشعارهم الحكيمة ض ١٠٤ وما بعدها) والكتاب مطبوع معروف .

٦ – وذكر الأستاذ أن أديبا أصله من نجد ، وعاش في بغداد هو عبد الحميد الرشودي (وآل الرشودي من بريدة معروفون) نشر هذا الأديب في في مجـــلة « التراث الشعبي » البغدادية – ٨٤ س ١ في نيسان سنة ١٩٦٤ م نشر مقالاً بتعريف كتاب « الأمثال العامية في نجد » للاستاذ محمد العبودي ، مع مقابلة مسهبة للكثير من أمثال بغداد ، كما نشر ذلك في جريدة « الأيام » البغدادية ، في عددها الصادر بتاريخ ٢٧ نيسان سنة ١٩٦٢ م .

٧ – وأشار الاستـــاذ إلى كتاب « الأدب الشعبي في جزيرة العرب » للاستاذ الباحث المحقق عبد الله بن خميس (ص ٧٢) قائلا : (وفي الصفحات ٢٥ – ١٣٠ حوى أشعاراً عامية مما ضمنها ناظموها أمثالاً شائعة في تلك الربوع) .

إن كتاب الأستاذ حسين علي هذا ذو أهمية كبيرة– لا في موضوعه فحسب – بل من حيث سعة اطلاع مؤلفه الفاضل ، ومحاولته الصلة بين الباحثين في البلاد العربية ، وهذا جانب مهم من جوانب الثقافة العربية قل من يتنبه له بين باحثينا الأفاضل ، مع عظم فائدته ، وضرورة ذلك متى اردنا تقوية

الأواصر العلمية الثقافية بين الأقطار العربية ، وهو أمر لا بد منه لأمة واحدة تريد أن تحيا حياة العزة والكرامة والألفة والاجتماع .

يقع هذا الجزء من كتاب الأستاذ حسين علي الحاج حسن في ١٦٤ صفحة، مع فهارسه الدقيقة الكاملة .

وقد أعان « المجمع العلمي العراقي » على طبع هذا الكتاب ، كعادته في كل أثر ثقافي عميم النفع جزيل الفائدة ، بالنسبة للأمة العربية .

❁ – الأمثال البغدادية المقارنة

ومن مؤلفات علماء العراق في (الأمثال) كتاب حافل شامـــل ، هو « الأمثال البغدادية المقارنة مع أمثال احد عشر قطراً عربياً » مؤلفه الاستاذ العميد المتقاعد عبد الرحمن التكريتي ، وهو من أوفى الدراسات العربية في موضوعه ، فقد رجع فيه مؤلفه الفاضل إلى العديد من المؤلفات العربية القديمة والحديثة في موضوعه ، في مختلف الأقطار العربية . وهو كتاب والحقُ يقال يعتبر من امهات الكتب التي الفت في هذا الشأن ،لسعة اطلاع مؤلفهولرجوعه الى مصادر قديمة وحديثة في موضوعه . وان يكن فاته شيء يسير منها مثل كتاب « الامثال » لأبي علي القالي ، صاحب «الأمالي» وهو في (دار الكتب) في القاهرة برقم ٧٤٤٢ – أدب – غير ان هذا لا يقلل من قيمة هذا الكتاب ولا ينزل من قدر مؤلفه الكريم .

ويقع هذا الكتاب في جزءين : الأول يحوى الأمثال الواردة على حرف الألف ، وحرف الباء ، ويقع في ٣٦٤ صفحة – منها تسع صفحات مقدمة باللغة الانجليزية ، ويحوى الجزء الثاني الأمثال الواردة من حرف التاء إلى نهاية حرف السين ويقع في ٩٠ صفحة وهذان الجزءان هما اللذان صدرا من الكتاب وبهما يستدل على ان الكتاب في مجموعه – سيقع في أكثر من خمسة اجزاء ، بحيث يعتبر من أوفى ما الف في موضوعه .

وطريقته أنه يورد المثل العراقي ، ثم يذكر اصله العربي القديم ، إن كان له أصل ، ويتبع ذلك بمقارنته بما يماثله من الأمثال المستعملة في احد الأقطار

العربية ، مثل مصر ، أو الشام ، أو نجد ، أو الكويت ، أو المغرب ، أو غيرها من الاقطار العربية الاخرى،بحيث يصبح الكتاب مرجعاً لا في الأمثال العراقية وحدها ، بل فيها في مختلف اقطار العروبة .

وجهد المؤلف يتمثل في كل مثل أورده ، مما يستدعي شكر كل باحث في موضوعه ، وطباعة الكتاب جيدة ، على ورق صقيل . وقد ساعد (المجمع العلمي العراقي) على نشر هذا الكتاب ، وتلك سنة حميدة اتبعها هذا المجمع الكريم ، لا في المؤلفات العراقية وحدها بل في كثير من الكتب الأخرى التي تعود على ثقافة أمتنا العربية بالفائدة ، وبهذا وبأمثاله من مساعدته القيمة كان جديراً بشكر كل من يغار على هذه الأمة الكريمة غيرة تتمثل في احياء تراثها ونشر ما فيه نفع عام من ذلك التراث ، قديمه وحديثه .

● – **« النكت العصرية » :**

وهذا من الكتب التي لا ينبغي إغفال الحديث عنها ، ذلك لأن مؤلفه عمارة اليمني ، من أهل هذه البلاد ، من مخلاف صبيا : (اقليم جازان) ولأنه من نوابغ الأمة العربية شعراً ، وأدباً وسياسة .

واسم الكتاب الكامل : « النكت العصرية ، في أخبار الوزراء المصرية » وهو كتاب قيّم قام المستشرق الفرنسي (هرتويغ ديرنبرغ) بنشره في سنة ١٨٩٧ م مضيفاً اليه مقتطفات من أخبار عمارة ، واشعاره ، بطباعة بلغت من حيث جمال الحرف النهاية ، على ورق جيّد ، ثم أعادت (مكتبة المثنّى في بغداد) لصاحبها الأستاذ قاسم الرجب طباعته بطريقة التصوير ، (الأوفست) طباعة مطابقة للطباعة الأولى .

والكتاب يحوي قدراً كبيرا من أخبار عمارة ، فهو يتحدث عن نشأته ، وعن طلبه العلم في مدينة زبيد ، ثم يسترسل في ذكر أحواله، وما جرى له ، حتى القى عصا التسيار في مصر ، لدى الدولة الفاطمية التي محضها الود ، وبلغ في الوفاء لها الغاية التي قد تكون من أسباب القضاء على حياته شنقاً بأمر صلاح الدين الأيوبي ، مما لا نرى مجالاً للتوسع في موضوعه ، وان كنا لا نرى

– مع الآخرين – ما وصم به من إلحاد ، أو من تدبير مؤامرة ضد دولة صلاح الدين ، مما لا يتسع المجال لافساح القول فيه .

وكل ما نستطيع قوله الآن هو ان عمارة كان على درجة من الوفاء قد تحمله على ارتكاب كثير من المخاطر في ذلك السبيل ، وحسبنا ان نسوق–على سبيل المثال – قصة وردت في كتابنا هذا في الموضوع .

قال – في حديثه عن سيف الدين الحسين بن ابي الهيجاء من آل رُزّيك ، من كبار رجال الدولة الفاطمية في ذلك العهد – [1] : (وقال لي يوماً ونحن على خلوة : أعلمت أن الصالح – يعني الملك الصالح طلائع ابن زريك الوزير الفاطمي المعروف – طمع فيك ان تصير مؤمنا من يوم دخل الأشتر ابن ذي الرياستين في المذهب ، ولولا طمعه فيك ان ترجع إلى مذهبه ما سامح ابن ذي الرياستين بدرهم ، فأنشدته قولي :

مجالس الأنس تطـــوى على الذي كان فيهـــا

فقال : قل ولا حرج ! قلت : لو لم أكن على بصيرة من مذهبي لمنعتني النخوة من التنقل ! فكان بعد ذلك يقول للصالح : هذا ليس لكم فيه طمع فاتركوه)

والواقع ان هذا الكتاب يعتبر فذاً في موضوعه فقد تحدث عمارة فيه عن نفسه على سجيتها فجاء من خير ما أثر عن المتقدمين في موضوعه ويقع الكتاب في ٣٩٩ صفحة ، عدا مقدمته باللغة الفرنسية التي بلغت ١٢ صفحة . والكتاب يقع في ١٥٤ صفحة وما بعدها مختارات من أشعار عمارة ، غير أنها لم تستوف كل شعره .

ويجد القارىء قصيدة لعمارة ، لم ترد في هذا الكتاب ، وهي من عيون شعره ، يستشف منها الكثير من آرائه ، التي تنبىء عن ثباته على عقيدة أهل السنة والجماعة في الجزء العاشر من هذه المجلة .

---

(١) : ص ١٢٦ .

❁ – ديوان النابغة الذبياني

ديوان هذا الشاعر طبع مراراً ، وهذه الطبعة التي نريد أن نتحدث عنها هي – كما جاء في طرتها – «ديوان النابغة الذبياني» بتمامه، صَنعَة ابن السكيت الأمام ابو يوسف يعقوب بن اسحاق (١٨٦ – ٢٤٤ هـ)

ينشر لأول مرة ، عن أصل فريد بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

وصديقنا واستاذنا الدكتور شكري فيصل ، ليس بالنكرة المجهولة ، فنعرفه للقراء ، بذكر ما قام به ، وما عاناه في سبيل النشر .

وهو في عمله هذا الديوان اراد ان يقدم للدارسين أصلا من أصول الدراسات القديمة في اسلوبها ، لكي يعانوا بأنفسهم التمرس بأساليب المتقدمين في الشرح بلغتهم وتعابيرهم ، والتفاتاتهم إلى هذه أو تلك من مسائل العلم، وطرق البحث والمعاناة، وهذا من أنبل الأهداف العلمية ،وأقواها في مجال الدراسة والتحقيق

ولقد جاء هذا الكتاب في ٢٧٥ صفحة ذات مقدمة تعبر عما عاناه استاذنا الدكتور شكري في سبيل اخراج هذا الشرح ، وفي ايضاح آراء على درجة عظيمة من القيمة الفكرية ، حول دراسة الشعر القديم ، مما لا يسع كل دارس لذلك الشعر جهل ما فيها من أراء .

والديوان هذا لا يحوى كل ما نسب إلى ذلك الشاعر من شعر ، فالمحقق الكريم لم يهدف تكثير ذلك الشعر ، بل هو يرى أنها : (كثرة تشبه اصحاب الحق في هذا المجتمع الانساني ، يحملون عنوانه ، ولكنهم لا يقدرون على المجاهرة به ، أو الكثرة التي وصفها الرسول ﷺ بانها كغثاء السيل) .

إن عمل الدكتور شكري في هذا الديوان يكاد أن ينصب على جانب واحد هو ابراز نص صحيح من ذلك الشعر ، وتقريبه للدارسين ، تقريباً يفسح لهم المجال لتناوله بمختلف الدراسات . ولهذا جاء هذا الديوان خلوا من الفهارس المفصلة ومن الشروح الطويلة. بحيث وقف عند حد النص الذي اراد الدكتور اخراجه وجودة العمل من حيث اتقان النص وتقديمه واضحا صحيحاً أمر هو جلُّ ما يحتاجه الباحث المتعمق في دراسته . ولعل هذا ما عناه استاذنا الصديق الدكتور شكري فيصل وهو عمل جدير بكل ثناء وتقدير .

● **ديوان جميل :**

أما الدكتور حسين نصار – المدرس بكلية الآداب في جامعة القاهرة ، فقد أخرج شعر جميـــل بن معمر العذري ، شاعر الحب العذري ، بطريقة أخرى ، هي محاولة جمع شعر هذا الشاعر من مختلف المصادر ، وترتيبه على حروف الهجاء ، وشعر جميل طبع طبعات ثلاث ومنهـــا طبعة بتحقيق الدكتور حسين نصار ، أما الطبعة الأخيرة فتحوي قصائد أخرى ، استدرك الدكتور نشرها في طبعته الجديدة، ومنها مقطوعات أوردها أبو علي الهجري في نوادره .

وقدم هذا الشعر بدراسة وافية عن هذا الشاعر ، مما أصبح قارىء هـذا الديوان يلم إلماماً كاملاً بما له صلة به .

مضيفاً إلى ذلك ايضاح بعض معاني الكلمات التي يحتاج القارىء إلى معرفة معانيها ، مع ذكر مصادر هذا الشعر ، والحق به بياناً مفصلاً عـن تحديد بعض المواقع والنبات وغيره من الأسماء المذكورة فيه ، ممـــا عوّل فيه على الشروح القديمة ، التي يكثر فيها اطلاق القول بدرجة واسعة جداً ، كما ذكر الأعلام عامة ، فجاء الديوان – بطبعته هذه – في ٢٥٣ صفحة ، بطباعـــة حسنة ، متصفاً بالوفاء من حيث المادة الشعرية . وهي كل ما يتطلبه الباحث من عمل الصديق الأستاذ الدكتور نصّار حول هـذا الديوان ، الذي عاش صاحبه في عصر وفي بيئة وفي بلاد تبعد كثيراً عما الفه المحقق الكريم الجدير بكل ثناء وتقدير على عمله الذي لا يدرك ما قاساه من عظيم الجهد ، وبالـغ المشقة إلى من عانى مثل ذلك العمل ، وقليل ما هم .

● **يونس بن حبيب :**

هذا عنوان كتاب الفه العالم المحقق الدكتور حسين نصار ، عـن امام جليل من أقدم أئمة اللغة العربية (النحو) ولد في القرن الأول الهجري ، وتوفي في آخر القرن الثاني ، وبلغ من الشهرة في عصره ما نظمه في سلك أئمة اللغة في ذلك العهد ، ومع ذلك فقد آل أمره إلى الاهمال ، حتى كاد ينسى لولا شذرات من هنا وهناك ، وتراجم موجزة في كتب التراجم ، استصفاها الدكتور حسين نصار ، واستخلصها ودرسها وكوّن منهـــا كتاباً جاوزت صفحاته ١٥٨ يضم دراسة عميقة عن ذلك العالم الجليل وقد صدر كتاب « يونس بن حبيب » في سلسلة (أعلام العرب) وهو الحلقة الـ ٧٥ منها .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل. هاتف (٢٤٣٨٣٠٠)
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا أجرة البريد
الوعدات: يتفق بشأنها مع الادارة
ثمن الجزء: ريالان تقريبا

الجزء العاشر - السنة الثانية - ربيع الثاني - ١٣٨٨ هـ (تموز ١٩٦٨ م)

من أسئلة المدرسة :

- ١ -

أين "الحجون" ؟ وأين "كداء" ؟

تحدث مؤرخ مكة الاستاذ العلامة الشيخ أحمد السباعي في (نادي الوحدة الرياضي) بمكة المكرمة عن : (عبد الله بن الزبير ، صاحب فكرة في تاريخ مكة) حديث العالم الواسع الاطلاع ، وقد طبع ذلك الحديث في كراسة ، كرم النادي فبعث إلى « العرب » نسخة منها ، أمتعنا النفس بقراءتها ، واستفدنا من علم أستاذنا السباعي الكثير في موضوعه الذي تحدث عنه ، غير أننا وقفنا موقف الحائر أمام حديثه عن موضعين من أشهر مواضع مكة ، فقد قال الاستاذ [١] : (لقد تعارفنا وتعارف الناس من أجيال سحيقة قبلنا على تسمية هذه الثنية الماثلة أمامنا (الحجون) . والواقع أنها سميت بذلك بعد الاسلام ، فقيل عنها : (ثنية الحجون الاسلامي) وكانت في عهد قريش قبل الاسلام تسمى (ثنية المدنيّين) . إذن فأين (الحجون الجاهلي) ؟ وأين (ثنية كدًا) عَنهُ ؟!

هنا تختلف روايات المؤرخين ، ولعل أقرب شيء — في رأيي — إلى الصحة أن تكون الثنية ، أو الجبل الصغير ، المتصل بـ (شعب عامر)

---

(١) ص ١٥ .

أمام الحجون الحالي، على يمين الصاعد إلى أعلى مكة،هي (ثنية كدا) بالفتح.

وهناك فيما يبدو لي قبور الجاهلية ، في سفح الجبل الصغير ، بجوار بيت الرّشيدي ، وربما كانت الساحة أمام بيت الرّشيدي تتصل بالقبور ، أو هي جزء منها ، وقد بلغني ان بعض الحفريات لتأسيس بعض البيوت ، في تلك الجهة كشفت عن آثار قبور قديمة .

ولا أستبعد أن قبور المسلمين عندما نقلت إلى المعلاة ، أطلق على الثنية المطلة على القبور (ثنية الحجون) استعارة من اسم (الحجون) الذي كان يطل على قبور الجاهليين .

وربما قيل عن الجبل المجاور لقبور المعلاة انه (جبل كدا) – بالفتح – ومبلغ معرفتي أن (كدا) في شعب عامر ، بجوار الحجون القديم . وجبل (كدا) – بالفتح – غير كُدا أو كُديّ – بالضم – وهما يقعان في نهاية مكة من جهة (المسفلة) وهما غير كُدَاء – بالهمزة وضم الكاف – وهو جبل يقع عند قبر الشيخ محمرد ، في أوائل (جرول) .

هذا ما استطعت استنتاجه مما قرأت، ولعل غيري يرجّح غيره فأستفيد. انتهى كلام أستاذنا السباعي ، وهو كلام العالم الباحث الذي يريد الوصول إلى الحقيقة ، ويتصف بصفات العلماء الذين يسعون لمعرفة الصواب سعياً مجرداً من كل غاية لا تتفق مع الهدف النبيل ، الذي يتوخاه كل باحث عن الحق . ولهذا أحببنا مشاركة أستاذنا في بحثه هذا ، للغاية التي توخاها ، ولا شيء غير ذلك .

إن الاستاذ السباعي يرى :

١ – ان الحجون المعروف سمي بهذا الاسم في العهد الاسلامي ، ولهذا فهو يسمى (الحجون الاسلامي)

٢ – أن ثنية الحجون المعروفة الآن كان اسمها الجاهلي : (ثنية المدنيين) .

٣ – أن ثنية الحجون القديمةتقع في الجبل الصغير المتصل بشعب عامر على يمين الصاعد إلى أعلى مكة وإنها هي (ثنية كدا) بالفتح .

٤ ـ أن قبور الحجون الجاهلية تقع بجوار بيت الرشيدي في سفح ذلك الجبل.

٥ ـ أن إطلاق إسم (الحجون) على الثنية المعروفة الآن بهذا الإسم كان في العهد الإسلامي ، استعارة من إسم الحجون القديم ، وليس بالحجون القديم .

٦ ـ أن (كَدَا) في (شعب عامر) .

٧ ـ أن (كُداء) بالضم والهمز ، في أوائل جرول .

٨ ـ أن (كُدا) بالضم مقصوراً و(كُديٌّ) مصغراً ، في جهة (المسفلة).

هذا ملخص آراء استاذنا وصديقنا السباعي وهي آراء لهـــا قدرها من الوجاهة فالسباعي ابن مكة (وأهل مكة أدرى بشعابها) وقد أمضى من عمره الطويل ـ المديد إن شاء الله ـ فترة طويلة في البحث والتنقيب والتحقيق عن مشاهدة ودراسة لما الف من تواريخها فاستصفى من ذلك كتابه القيم «تاريخ مكة » في جزئين حويا خلاصة من عشرات المجلدات مما ألف في الموضوع ، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا بان من تحدث في هذا الموضوع غير الأستاذ السباعي في عصرنا الحاضر فحديثه يعتبر من فضول القول ، إلا أن باب العلم والبحث والتحقيق مفتوح على مصراعيه لكل من أراد الدخول ، وقد يفوت العالم المحقق ما يدركه طالب العلم المبتدىء ، إذ الإحاطة بكل شيء صفة الاهية تفرد بها ذو الكمال جل وعلا ، وليس مما يضير العالم المتمكن عدم الإحاطة بدقائق المسائل ، ولا أن يقع في كلامـــه ما يدفع القارىء إلى الاستيضاح والاستزادة ، بل وإلى الاستشكال وعدم الموافقة ، والمجتهد أيّاً كان ـ له أجران ، أجر اجتهاده وأجر عمله ، فيما لو أصاب ، وله أجر واحد هو أجر الاجتهاد ، ولغيره أجر الاصابة فيما لو قدر له أن يصيب ، وهذا مما يحملنا على أن نقول لاستاذنا السباعي بأننا لم نر في كلامه من الادلة الواضحة ، ما يحملنا على الموافقة على ما ذكر عن (الحجون) و (كدا) .

ولعل سبب ذلك يرجع إلى أن حديثه في الموضوع ، وهو محاضرة ألقاها في (نادي الوحدة بمكة) لم يكن من السعة والاسترسال بالدرجة التي تمكنه

من بسط القول ، وإيراد الأدلة، وذكر الشواهد من نصوص المؤرخين القدماء، التي تدعم آراءه بالحجة ، وتؤيد أقواله بالدليل .

ولكن ألا يرى أستاذنا الجليل أن محاضرة تلقى في مثل ذلك الحفل الجم الغفير ، جديرة بأن تقوم على أسس علمية ، تجعلها جديرة بالتلقي والقبول ، بحيث يكون الرأي فيها مقنعاً ، والقول بالغاً درجة من الصواب بين جمع غفير من الناس ، وإن عدم بينهم الباحث المؤرخ ، فلن يخلو جمعهم من طالب حقيقة ، ورائد معرفة ، ومتطلع إلى ما يستفيده جديداً عن تاريخ بلاده ؟! إن أستاذنا السباعي لا يجهل ذلك ، وهذا ما دفعنا إلى قراءة تلك المحاضرة القيمة التي كرم صديقنا الاستاذ عبدالله عريف ، فبعث بها إلينا — قراءة استفادة واستزادة ، وتفهُّم وتمعُّن ، وكان من أثر ذلك أن رأينا أن من حق أستاذنا السباعي ، ومن حق صديقنا عبدالله عريف ، ومن حق من يقرأ هذه الصحيفة « العرب » أن يعرف رأينا حيالها ، معرفة لا نروم من ورائها إلا مجرد مايرومه الباحث عن الحق ، من الوصول إليه ، من تلك هي غاية الأستاذ السباعي .

وعلى هذا فيحسن أن نستعرض آراء المقدمين في الموضوع : —

أولاً — الحجون —

١ — أورد الأزرقي :

— قال مضاض بن عمرو الجرهمي :

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ، ولم يسمر بمكة سامر

علق عليه الأستاذ رشدي : الحجون هو الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد [١] .

٢ — وقال [٢] : (وتوفي عبد المطلب والنبي (ص) ابن ثمان سنين ،

---

(١) تاريخ مكة ج ١ / ٥١ .
(٢) الأزرقي ١ / ٢١٣ .

وكان خلف جنازته يبكي ، حتى دفن بالحجون) .

٣ – وقال : (كان أهل الجاهلية ، وفي صدر الاسلام يدفنون موتاهم في شعب أبي دب من الحجون إلى صفي السّباب ، وفي الشعب اللاصق بثنية المدنيين ، الذي هو مقبرة مكة اليوم ، ثم تمضي المقبرة مصعدة لاصقة بالجبل، إلى ثنية أذاخر ، بحائط خرمان ، وشعب أبي دب الذي يعمل فيه الجزارون بمكة ، بالمعلاة وقد زعم بعض المكيين ان في هذا الشعب قبر آمنة أم النبي (ص) – إلى أن قال :

وفي هذه المقبرة يقول كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي :

كم بذاك الحجون من حي صدق من كهول أعفة وشباب
سكنوا الجزع، جزع بيت أبي مو سى، إلى النخل من صفي السباب
أهل دار تبايعوا للمنايا ما على الدهر بعدهم من عتاب
فارقوني وقد علمت يقينا ما لمن ذاق ميتة من إياب

فكان أهل مكة يدفنون موتاهم في جنبتي الوادي يمنة وشامة في الجاهلية وصدر الاسلام ، ثم حول الناس جميعاً قبورهم في الشعب الايسر لقول رسول الله (ص) : « نعم الشعب ، ونعم المقبرة » ففيه اليوم قبور أهل مكة [٢].

٤ – قال الازرقي : (الحجون : الجبل المشرف حذاء مسجد البيعة الذي يقال له مسجد الحرس [١] وفيه ثنية تسلك من حائط من عند الماجلين اللذين فوق دار مال الله الى شعب الجزارين وبأصله في شعب الجزارين كانت المقبرة في الجاهلية ، وفيه يقول كثير بن كثير السهمي :

كم بذاك الحجون من حيّ صدق من كهول أعفة وشباب [٣]

وعلق الاستاذ رشدي : بفتح الحاء الحجون هذا هو الحجون الجاهلي ، وهو واقع بين محلة الرشيدي وشعبة الجن ، في طرف الخندمة .

---

(١) : الأزرقي ٢ / ١٧١ .
(٢) : هو مسجد الجن كما الأزرقي ج ٢ / ١٦٢
(٣) : « تاريخ مكة » ج ٢ – ٢٢١

٥ — وقال :

(مقابر أهل مكة بثنية المدنيين وهي التي كان ابن الزبير مصلوبا عليها ، وكان اول من سهلها معاوية ، ثم عملها عبد الملك بن مروان ، ثم كان آخر من بنى ضفائرها ودرجها وحددها المهدي) .

وعلق الاستاذ رشدي : ويسمى أيضاً : كداء بفتح اوله ممدوداً وهي العقبة الصغرى التي باعلى مكة ، يهبط منها الى مقبرة مكة والأبطح ، وذكر ياقوت انه يقال لها عَزْوَر ، ويطلق عليها أهل مكة الحجون، وهي الحجون الثاني أو الحجون الاسلامي .

الحجون الثالث بمكة : الثنية الخضراء ويقال لها اليوم ريع الكحل .

٦ — وقال البكري :

الحَجُون — بفتح أوله — موضع بمكة عند المحصّب ، وهو الجبل المشرف بحذاء المسجد الذي يلي شعب الجرارين [١]

٧ — وقال ياقوت الحموي :

(الحجون : جبل باعلى مكة ، عنده مدافن أهلها .

وقال السكري : مكان من البيت على ميل ونصف .

وقال السُّهَيْليُّ : على فرسخ وثلث .

وقال الأصمعي : الحجون هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة ، على شعب الجزارين) [٢] .

٨ — وقال الزبيدي :

الحجون — بفقح الحاء — : جبل بمعلاة مكة ، مشرف ، مما يلي شعب

---

(١) : « معجم ما استعجم » ص ٤٢٧

(٢) : « معجم البلدان »

الخرازين ، فيه اعوجاج ، عنده مقبرة . قال السهيلي على فرسخ ، وثلثين من مكة [1]) .

من هذه النصوص المتقدمة يتضح ما يلي :

١ ــ اتفاقها على أنه جبل بأعلى مكة ، وشعب عامر ــ كما هو معروف ــ يقع في وسطها لا في أعلاها .

٢ ــ أنه الجبل المشرف على مسجد الحَرَس ، وقد عرّفه الأزرقي ، بأنه هو مسجد الجنّ ، وهو المسجد الذي لا يزال معروفاً وهو بعيد عن شعب عامر ، بُعداً نسبياً ، ويقع على ضفة الوادي الشمالية ، بخلاف شعب عامر .

٣ ــ أن المقبرة في العهد الجاهلي ، ثم في صدر الإسلام ــ كما يفهم من حادثة ابن الزبير ــ كانت بأصل ذلك الجبل .

٤ ــ أن الحجون عند المحصب ، كما نص على ذلك البكري .

٥ ــ أن الحجون كان على ميل ونصف ، أو على فرسخ وثلث . كما جاء في كلامي السكري والسهيلي ، ويلاحظ الفرق بين التقديرين ، فالفرسخ ــ كما هو معروف ــ هو ثلاثة أميال ، أي ضعف المسافة التي قدرها السكري ، والسهيلي قدر المسافة بأربعة أميال ، بينما قدّرها السكري بميل ونصف ، والتوفيق بين التقديرين أن الأول قدرها بطرف الجبل القريب من الحرم ، والآخر قدرها بطرفه البعيد ، وهو تقدير في كلتا الحالتين ــ تقريبيّ ، ليس تحديدياً . وكثيراً ما يقع في تقديرات المتقدمين مثل هذا إذ هم لا يستعملون التحديد الدقيق ، إلا في النادر ، وغالب من يفعل ذلك مؤرخو البلاد أنفسهم ، أما غيرهم فتقديراتهم تقريبية .

وعلى التقديرين فإن أقصرهما وهو تقدير السكري لا ينطبق على شعب عامر ، الذي لا يبعد عن الحرم بأكثر من ميل على وجه التقريب .

٦ ــ أن الوصف الذي نقله الزبيدي ينطبق تمام الانطباق على جبل الحجون

---

(١) : « تاج العروس . شرح القاموس »

المعروف الآن ، فهو فيه اعوجاج ، وهو عند المقبرة ، وهو بالمعلاة ، وهو على مسافة أبعد من مسافة شعب عامر .

٧ — وأمرٌ جدير بأن يؤخذ به ، وأن يعتمد عليه ، في تحديد المواضع ، ذلك هو ما توارثه الخلف عن السَّلف ، إذ العلم مهما اعتراه من دروس وعفاء ونسيان ، يبقى له — في الغالب — أثارة ، وعلامات وبقايا يمكن اتخاذها دليلاً ، والاسترشاد بما بقي لنا من ذلك .

ولقد اصبح من المتوارث والمتعارف عند أهل مكة ، وعند من يرتادها من غيرهم اطلاق اسم جبل (الحجون) على هذا الجبل الممتد بمحاذاة الأبطح، الذي تقع المقبرة في سفحه، ويطل على مسجد الجن من الناحية الشمالية الشرقية

فكيف نترك هذا بدون حجة قوية تحملنا على تركه ؟

اللهم إلا إذا أردنا أن ننظر الى تاريخنا كله نظرة شك وحيرة . وهذا ما لا نجد بين أيدينا من الوسائل العلمية ما يحملنا على قبوله ، وما لا نعتقد ان استاذنا السباعي يراه .

٨ — بقي أن نقول مع استاذنا السباعي بأن (ثنية الحجون) سميت بهذا بعد الاسلام ، وأنها : (الحجون الاسلامي) ولكن مَنْ قال هذا ؟ إنه الاستاذ رشدي الصالح ملحس ، محقق كتاب « تاريخ مكة » للأزرقي ، والاستاذ رشدي — والله يغفر له — أورد قوله بدون ان يشير الى مصدره ، ثم هو ليس من العلماء العارفين بخطط مكة وآثارها ولا ممن أقام فيها مدة من الزمن تمكنه من دراسة معالمها ، فلقد قدم إلى مكة في سنة ١٣٤٨ — على وجه التقريب — ليقوم بعمل حكومي يستغرق عليه عمله جل وقته ، وهو تحرير جريدة « أم القرى » وكان يقضي اكثر وقته في مدينة الرياض ، وأبرز أثر له في تحقيق آثار مكة هو ما وضعه في حواشي « تاريخ مكة » للأزرقي وما نشره في «أم القرى» وعمله في كثير ذلك محل للنقد والرّد،فقد وقع في كلامه أوهام فظيعة ليس هذا محل ذكرها ، ومن ذلك ما ذكر عن الحجون ، فقد ظنه ثلاثة فواضع ، ذكرها فيما نقلنا من حواشيه على كتاب الازرقي ، وهذا

الظنُّ ناشيء عن اختلاف المتقدمين في تحديد موقع الحجون ، وجل هؤلاء من البعيدين عن مكة ، وعن معرفة معالمها ، فظن الاستاذ رشدي – رحمه الله – أن اقوالهم تنطبق على مُسَمَّيات عدة ، لا على مُسَمًّى واحد ، فقال ما قال وظن أن الحجون اسم يطلق على ثلاثة مواضع ، وهو ظنٌّ لا نجد فيما بين ايدينا من كتب المتقدمين ، من أهل مكة العارفين بمواقعها من قال به ، ثم جاء شيخنا الاستاذ السباعي ، فسار على طريقة الاستاذ رشدي ،واتخذه سنداً فاعتمد على غير أساس .

ولهذا فاننا – على أساس ما تقدم – نخالف الاستاذ السباعي ،مخالفة تقوم على ما ذكرناه من الادلة ، حتى يتضح لنا خطأ تلك المخالفة ، فنكون أول المسارعين إلى رفضها ، إذ الحقُّ هو غاية كل من ينظر إلى هذه الناحية نظرة مجردة من كل غاية لا توصل الى الحقيقة .
(١)

وعلى ما تقدم ، فالحجون هو الحجون الوارد في كتب المتقدمين محَدّداً ، والمشاهد الآن رأي العين ، معروفاً معرفة لا يتطرق الشك اليها إلا بدليل قوي واضح أقوى من المشاهدة والمعرفة ، وأنَّى ذلك ؟!

ثانياً – كداء :

ومما تقدم ذكره عن تحديد موقع الحجون يتضح الاعتراض على ما ذكره صديقنا الاستاذ السباعي عن تحديد ثنية كدا حيث ظنها في شعب عامر .

وقبل ايراد ما ذكره المتقدمون في تحديدها ، نحب أن نشير إلى أن (كدا) بفتح الكاف يرد مقصوراً وممدوداً ، ففي شعر حسان الذي ورد ان الرسول (ص) قال « ادخلوا من حيث قال حسان » :

عدمنا خيلنا ان لم تروها تثير النقع مطلعها كداء

وورد الاسم مقصوراً – أي بدون همزة – ويكثر هذا في الاسماء المماثلة له .

ونحن مع الأستاذ السباعي في أن كدا بضم الكاف وفتح الدال مقصوراً

(١) انظر «شفاء الغرام» ج١ ص٢٩٥ ومابعدها فهناك مايؤيد كلام الأستاذ السباعي في أن الحجون ليس المعروف الآن .

و (كدي) بضم الكاف مصغراً يقعان في أسفل مكة كما ورد ذلك عن المتقدمين ، ولا نطيل الحديث في هذا بل نكتفي بايراد طائفة من أقوالهم :

١ – قال الأزرقي [١] : (فليس يؤتى أهل مكة الا من ثلاث طرق : من أعلى الوادى وأسفله وكدا) .

وهذا نص واضح صريح في انطباقه على ثنية الحجون المعروفة الآن ، لاينطبق على غيرها .

٢ – وقال الأزرقي أيضاً [٢] : (ثنية كداء التي يهبط منها إلى ذي طوى وهي التي دخل منها قيس بن سعد بن عبادة يوم الفتح وخرج منها رسول الله (ﷺ) إلى المدينة) .

وهذا الكلام ينطبق أيضاً على ثنية الحجون المعروفة ، إذ منها يهبط إلى ذي طوى الذي هو في طرف جرول بخلاف ما ظنه الأستاذ في شعب عامر ، والرسول (ص) لما عاد إلى المدينة كان نازلاً في الابطح ومنه خرج مع الثنية إلى ذي طوى حيث توجه إلى المدينة . ولعل استشكال الأستاذ السباعي ناشىء عن اختلاف ورود صورة الكلمة عند الأزرقي في الموضعين المتقدمين ، إذ في الأول (كدا) والكلمة مقصورة وفي الثاني (كداء) والكلمة ممدودة وهذا الاختلاف لا يؤثر في رأينا ، فالاسم كما قلنا يمد ويقصر ، وقد يكون ما ورد في كتاب الأزرقي من عمل أحد النساخ وفي المخطوطات القديمة يحدث مثل هذا كثيراً ان لم يكن قصد الأزرقي استعمال الاسم بصورتيه .

٣ – وقال نصر بن عبد الرحمن الاسكندري – وهو من أوائل من كتب في تحديد المواضع ، من أهل القرن السادس الهجري : (قال محمد بن حَزْم : كداء الممدودة هي بأعلى مكة عند المحُصَّب ، دار عليه السلام من طُوى إليها . وكُدا بضم الكاف وتنوين الدال : بأسفل مكة عند ذي طُوى ، قرب شعب الشافعيين ، وابن الزُّبير ، عند قعيقعان ، دار عليه السلام منها إلى المحُصَّب ، فكأنه ضرب دائرة في دخوله وخروجه ، بات بذي طوى ، ثم نهض إلى أعلى مكة فدخل منها ، وفي خروجه خرج إلى أسفل مكة ثم

---

(١) « تاريخ مكة » جـ١ ص ٣٨ .

(٢) « تاريخ مكة جـ ٢ ص ٢٤٠ .

رجع إلى المحصّب .

وأما كُدَيّ مصغرٌ ، فإنما هو لمن خرج من مكة إلى اليمن ، وليس من هذين الطريقين في شيء .

أخبرني بذلك كله أبو العباس احمد بن عمر بن أنس العذري ، عن كل من لقي بمكة من اهل المعرفة بمواضعها من أهل العلم [1]

هذا كلام نصر ، ونلاحظ أن في أول الكلام خللاً ، لبعد ذي طوى عن قعيقعان الجبل المعروف في وسط مكة والذي كانت بيوت عبد الله بن الزبير تقع في سفحه .

٤ — ونقل ياقوت :

قال ابن المواز : كداء التي دخل منها النبي ﷺ هي العقبة الصغرى التي باعلى مكة وهي التي تهبط منها الى الأبطح والمقبرة منها عن يسارك .

ثم نقل عن ابن حزم :

وكدى التي خرج منها هي العقبة الوسطى التي بأسفل مكة ، عند ذي طوى، بقرب شعب الشافعيين وابن الزبير، عند قعيقعان جبل بأسفل مكة [2]

ومما تنبغي ملاحظته ان كثيراً من المتقدمين وقع منهم — رحمهم الله — خلط كبير بين كدا مفتوح الكاف والدال وكـــدا مضموم الـكاف وكثير منهم كان يكتب وهو بعيد عن مكة معتمداً على ما يقرأه في الكتب ولهذا وقع الوهم والخلط في كثير من كلام بعضهم ، ومن ذلك كلام العلامـــة الامام الجليل محمد بن حزم — رحمه الله — فقد كتب عن حجة المصطفى ﷺ ووقع في اوهام تعقبها ابن القيم — رحمه الله — في كتاب « زاد المعاد » واذن فليس من الغريب ان يقع منه وهم ، في تحديد هذا الموضع ولا ينقص من علمه ولا يؤثر في منزلته العلمية ، فهو مجتهد له اجر اجتهاده والله سبحانه وتعالى واسع العفو والمغفرة عنه وعن غيره ممن يخطىء بدون قصد وقد يكون مارأيناه من هذا القبيل ولاستاذنا الجليل السباعي كل تقدير واحترام.

(١) : « كتاب الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبـــار والاشعار » النسخة الخطية الموجودة في (المتحف البريطاني) الورقة : ١٣٠

(٢) : ياقوت « معجم البلدان »

مقاطعة جازان

- ٣ -

- حرف الحاء -

الحافِظةُ : مؤنث حافظ : قرية غرب قرية القُفْل من اعمال سامطة .

الحافِية : كثيب رملي معروف جنوب قرية المُوَسَّم .

الحَبْجِية : بفتح الحاء المهملة وسكون الباء المعجمة الموحدة وكسر الجيم المعجمة وفتح الباء المثناة التحتية بعدها هاء : من قرى وادي الفجاء ، بين قريتي الحامل والحَنْتِيليَة .

الحَبيل : بفتح الحاء المهملة بعدها باء موحدة تحتيه فياء مثناة تحتيه فهاء : من اعمال بلاد الحَقو .

الحَبيبِية : نسبة الى الحب الذي هو الغرام - والياء مخففة - بئر معروفة في خبث السَّيِّد .

الحَجُّ : على اسم الحج الذي هو احد اركان الاسلام الخمسة : قرية على العدوة اليمنى لوادي تَعْشُر غرب قرية (دَيْحمَة) .

الحَجَرين : مثنى الحجر الصخري المعروف : قرية غرب قرية الجِدَّين ، من أعمال صبيا ورد اسمها في حوادث سنة ١٢١٥ - راجع ص ٤٨٦ ج ١ من كتابنا «المخلاف السليماني أو الجنوب في التاريخ» ولا تزال مأهولة الى هذا التاريخ

الحِجْفار : بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم المعجمة وفتح الفاء المعجمه الموحدة بعدها الف فراء مهملة : قرية على عدوة تعشر اليمنى بين قريتي (عبيه) و (الحَذْرُور) .

الحَجَفة : بفتح الحاء المهملة والجيم المعجمة ثم فاء موحدة مفتوحة فهاء : من قرى بني مالك شرق مركز (القَهْبَة) .

الحدَبَة : على اسم حدبة الظهر : ربض من ارباض جبل (فيفا)

حَدير : بفتح الحاء (حلة) تبع اعمال (العارضة)

الحَذْرور : بفتح وسكون الذال المعجمه ثم رائين مهملتين بينهما واو: قرية من اعمال سامطة قرب الساحل .

الحرَابةُ : بفتح الحاء والراء المهملتين : حلة في جزيرة فرسان .

الحرَجة : على صيغة اسم المرة الواحـــدة : من قرى وادي ضمد غرب قرية الجهو .

الحـَرَجَةُ : على اسم سابقتها ، وتضاف عند البعض تميزاً لها عن الاولى فيقال (حَرَجة عيّاش) وهي على عدوة وادي (مقاب) الشمالية بين قريتي (عيّاش) و (سَلام بني واصل)

حَرَاز : بفتح الحاء المهملة : من أعمال بني مالك .

الحرْفُ : على اسم الحرف الذي هو احد الحروف الهجائية مجاز وحرف الوادي شفيره : من قرى الجعافرة من اعمال صبيا وموقعها غرب قرية (عطية) الآتية في حرف العين .

الحـَرّة : بفتح الحاء المهملة وتشديد وفتح الراء بعدها هاء: من اعمال بني مالك

الحُسّاب : بضم الحاء المهملة وتشديد وفتح السين المهملة : جبال تصاقب جبال هروب من ناحية الشمال الغربي تنسب الى القبيـــلة التي تسكنها وهي قبيلة الحساب .

الحُسَيني : بالتصغير قرية شرن قرية صلْهَبَة ذكرها الشاعر ابن هُتَيمل في شعره — القرن السابع الهجري ولا تزال مأهولة الى تاريخنا هذا .

الحسينية : بضم الحاء المهملة وتشديد الياء الثانية: قرية شرق جبل (عكوة

الشمالية) – راجع ص ١٦ ج ١ من كتابنا « المخلاف السليماني أو الجنوب في التاريخ » .

الحسي : بكسر الحاء والسين المهملتين ثم ياء مثناة: قرية من أعمال هروب

الحِشاء : بكسر الحاء المهملة ثم شين مثلثة فالف ممدودة : حلة من أعمال جبل (هروب) .

الحشر : على اسم الحشر الذي هو يوم البعث : جبل يعرف باسم القبيلة التي تسكنه وسطاً بين جبل (فيفا) وجبل (هروب) .

الحشَرَة : ويقال له أيضاً (ذراع الحشرة) : ربض من ارباض جبل بني مالك غرب مركز الجبل .

الحُشُّ: على اسم الحش المعروف : (حلة بني شراحيل) من قبائل (فيفا).

الحِشحاش : بكسر أوله: من قرى الشُّقَيق في الشمال الغربي من بلدة الشقيق.

الحشحاش : واد صغير شمال الشقيق .

الحِشافة : بكسر الحاء : من قرى بلدة (القحمة) .

الحشوة : بكسر الحاء : من قرى بني الغازي .

الحشبرية : حلة من أعمال صبيا قرب قرية الجمالة

الحُشَيفة · من قرى عبس من أعمال مركز (ضمد) على ضفة وادي (دامس) الشمالية .

الحَصَّام : بصيغة المبالغة قرية جنوب بلدة (الشقيق) .

الحصَّامة : قرية على العدوة الشمالية لوادي خلب .

الحَصَمة : بفتح الحاء والصاد المهملتين ثم ميم فهاء: محله بجبل (سلا) من أعمال العارضة .

الحِصْن قرية شرق قرية الحرجة – من أعمال (ضمد) بها آثار قلعة من

عمارة (حسن بن خالد الحازمي) .

حَضْران : موضع على بعد ثلاثة أميال شمال ضمد حققه صاحب « العقيق اليماني » بالحاء دارت به معركة عام ٩٢٦ هـ بين أمير جازان وأمير (حلي بن يعقوب) وقد ذكره الشاعر الضمدي (القاسم بن هتمل) فقال :

حدثه عن ساكني الوادي فما فعلت من بعدنا سرحة الوادي وما فعلا ؟
وكيف حي (بحضران) عهدتهم ومن أقام بـــه بعدي ومن رحلا ؟

الحَضَنُ : قرية وضياع زراعية من اعمال بيش .

الحفَائره : عطن ماء جازان سابقاً — راجع ص ٧ و٣١١ ج ٢ « المخلاف السليماني أو الجنوب في التأريخ » .

الحُقْبة : بضم الحاء وسكون القاف المعجمة المثناة بعدها باءموحدة فهاء: محلة في جبل (سَلا) من اعمال العارضه .

الحُقار : بضم أوله وفتح ثانيه : موضع بين الحُرَّث والعارضة تردد اسمه في تاريخ الامارة القطبية — راجع تاريخ تلك الامارة في « المخلاف السليماني ».

الحُقله : قريتان احدهما تعرف بالحقلة الشرقية والاخرى الحقلة الغربية تقعان جنوب قرية اللقْيَة من اعمال سامطة .

الحُقْلة : كاسم سابقتها بضم الحاء وسكون القاف : ربض بجبل (فيفا).

الحَقْو : ورد في معجم البكري ص ٤٥٩ ج ٢ (حقاء) وقال ابن بليهد في كتابه « صحيح الاخبار » ص ١٥ ج ٤ انه جبل باليمن ابدلوا الالف واوا ونقول:ان الحقو هو قرية في سفح جبل يسمى ماغص في منطقة جازان .

الحقو : محلة بجبل فيفا .

الحَقَاوية : بفتح الحاء : قرية من قرى الجعافرة شمال (الهَدَوى)من اعمال (صَبيا)

حَاكِمة : قرية على عدوة وادي (خُلَب) اليمنى شرق قرية (الدغارير)

حَاكِمة : قرية على عدوة وادي (جازان) شمال مدينة (ابي عريش).

حلة القُمَيري : (حلة) على طريق صبيا ــ العدايا .

حِلة زَين زَرْبَطان : بين صبيا ــ الباحر .

حِلة الصُّهْلولي : غرب مدينة صبيا .

حلة مشاري : شمال غرب مدينة صبيا .

حلةالعقيبي : غرب قرية (حوتين) .

حلة حُسين زين : قرب بلدة (ضمد) .

حلة حسين إدريس : في ضواحي بلدة ضمد .

حلة حسين فرج : شرق بلدة ضمد .

الحَلحلة : قرية صغيرة حول قرية الجعدية.

حِلوان : محلة في جبل الحشر .

الحليل : بضم أوله وكسر ثانية من أعمال جبل قبعا .

الحمرا : من قرى سامطة .

حُمرَ : بضم الحاء وفتح الميم من قرى جبل الربوعة .

حمر : على اسم سابقه من قرى العارضة .

الحمرة : بكسر الحاء وفتح الميم وراء ثم هاء : من قرى المضايا شمال قرية مزهرة .

الحِمراية : بكسر الحاء وسكون الميم وفتح الراء بعدها الف فهاء : من قرى وادي (مَقـَاب) شمال قرية الجربة .

حَمْسا : مقصور : موضع في نواحي وادي ضمد ورد اسمه في شعر الشاعر (القاسم بن هتيمل) ــ القرن السابع ــ حيث قال :

فسقى الأثلفـ (البديع) فـ (ديباج) ــ فـ (حمسا) فالرمل فـ (الدكداكا)

الحامضة : وتعرف بحامضة بني شبَيل ، تميزاً لها عن (الحامضة) الاتية بعدها . قرية على عدوة وادى خلب اليمني .

الحامضة : قرية على عدوة وادي الخميس شرق قرية (الحَوراني) .

حمْضة : بفتح الحاء من قرى (القحمة) .

وادي حمضة : واد معروف في جهة القحمة

الحامل : قرية على عدوة وادي الفُجَا غرب قرية الحبجيه

حميل : بالحاء المهملة مشبهة لأن اسم الفاعل (حامل) ، وربما اشترك فاعل وفعيل في صيغة واحدة كنابه ونسيه ومـــاجد ومجيد على صيغة فعيل بمعنى فاعل فالفعل (جمل) وكرم وعظم لم يقولوا منه العرب لفاعله (جامل) وكارم وعاظم . بل يقال (جميل) و (كريم) و (عظيم) ، ومعلوم أن الفاعل عند اللغويين ليس هو من فعل الفعل فقط بل ومن اتصف بالفعل ، ومن قام به الفعل ، فالجميل هو من اتصف بالجمال وكذا الكريم هو من اتصف بالكرم ومثله العظيم ومثل الميت والمائت من قام به الموت ، ولم يفعله هو ،

وحمبل من قرى بني (الحُرَّث) .

الحميسا : غبة في البحر شمال ساحل بيش .

الحمية : بفتح الحاء والميم والياء ثم هاء : من قرى جبل (العبادل) من أعمال (العارضة) .

الحمى : مقصور : قرية شرق قرية الشقيري .

الحنبكة : بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة التحتية ثم كاف فهاء:شعب معروف من روافد وادي جازان شمال العارضة .

حنتر : على وزن (بلبل)جنوب قرية(الحسيني) بين قريتي (المعترض) و (قُزَع) – تقريباً – كانت به وقعت بين الأتراك وقبائل (صبيا) سنة ٩٥٥ هـ .

الحنّاية : على اسم واحدة شجر الحناء مع ابدال الهمزة ياءاً : قرية في بني غازي .

الحَنِيني : بفتح الحاء وكسر النون:على العدوة الشمالية لوادي تعشر غرب قرية الدُّريعية .

حَندود : بفتح الحاء وسكون النون وضم الدال الأولى بعدها واو ودال مهملة ثانية : قرية على عدوة وادي خُلب اليمنى غرب قرية (الهِلِّية) .

الحواجب : على صيغة الجمع : من أعمال جبل (فيفا) .

حُوتين : بضم أوله : قرية من أعمال (صبيا) شمال قرية الباحر .

الحوراني : بفتح أوله : قرية من قرى المسارحة شرق قرية الرواجحة على العدوة اليمنى من وادي (الخمْس) .

الحوشي : من أعمال جبل العبادل من قضاء العارضة .

حَيَاد : جبلان ورد اسماهما في شعر القاسم بن علي بن هتيمل حيث قال:

وسل إن شئت عن جبلي حيادٍ وعمن حلَّ في جبلي (حَياد)

وهما الآن غير معروفين وانما توجد قبيلة من قبائل بني العازي تسمى (آل حَياد) وقبائل بني الغازي تسكن شرق بلاد (ضمد) موطن الشاعر ابن هتيمل .

الحَيفة : بفتح الحاء وسكون الياء : من أعمال جبل (فيفا) .

حرف الخاء

الخباء : بكسر الخاء . ممدوداً : حِلَّة من أعمال صبيا

خبت سعيد : بفتح الخاء ، والخبت لغة : الأرض الواسعة المطمئنة ، وخبت سعيد يمتد من شرق قرية (الريان) إلى القرب من قرية رُدَيس.

خبت الذَّهْبين : يمتد من جنوب روان (المضايا) إلى (الحُمَري)

خبت الجِنيَّة : فلاة تمتد من(اراك) (المضايا) شمالاً إلى جنوب (عُفْلان) من شمال خبت الجنية إلى جنوب قرية (الكَرْبوس) .

خبت الفلْق : بين واديي صبيا وضمد .

خبت السيّد : فلاة تقع في غرب وشمال (بَيش).

خبت البقر : فلاة بين واديي بيش وبيض .

خبت البقر : على اسم سابقه (حلة) بجبل (العبادل) .

خبت الخارش : فلاة شمال (سامطة) .

خبت المسْرَحي : ويمتد من سلام بني ابراهيم إلى (الميزاب) شرقاً .

خبت الطمَحَة : ويمتد من السلام إلى جنوب الغراء.

خبت ابن ُجبران : قرية من أعمال (الشـُّقيق) في شمال بلدة (الشقيق)

الخبراية : بفتح المعجمه فباء موحدة ساكنة فراء مهملة فالف فياء مثناة تحتية فهاء : قرية للمسارحة من أعمال بلدة العارضة .

اللخْبَصِيَّة : بسكون الخاء وفتح الباء الموحدة وكسر الصاد (...) .

خُتب : ــ راجع حرف الجيم ــ جزيرة فرسان

خد النعجه : على اسم خد الانسان ــ راجع حرف الشين (شواطىء منطقة جازان الشمالية)

الخرْبة : قرية على وادي الخميس شرق قرية الحامضة .

الخرادلة : من ضواحي مدينة جازان ــ بفتح الخاء ــ وهي شرق قرية العُمَيرية .

الخرشة : من قرى العارضة بفتح الخاء المعجمة والراء المهملة .

الخَرايج : بفتح أولها : قرية تابعة لمركز هروب.

الخَزابه : بفتح أولها : من قرى بني الحرَّث .

الخزام : على اسم خزام البعير: من قرى بني مالك شمال شرق (القِهْبه)

الخزنة : من أرباض جبل (فيفا) .

الخزنة : على اسم سابقتها بفتح أولها : قرية من أعمال أبي عريش .

الخسفين : مثنى خسف من قرية جزيرة فرسان – راجع حرف الجيم – جزيرة فرسان . –

الخسعي : بفتح أو له وسكون ثانيه ثم عين مهملة مكسورة فياء مثناة تحتية : من قرى عبس من اعمال (ضمد) غربي قرية أبي العرج بمسافة ثلاثة أكيال تقريباً .

الخشابية : بفتح أوله : من قرى قبيلة (الخُرُم) شرق قرية (الواصلي ،

الخاشر : بفتح أوله : من قرى جبل (بني مالك) جنوب بلدة (القهبه)

الخشعة : على اسم المرة الواحدة من الخشوع : موضع وقريـــة ذكرها صاحب « العقيق اليماني » – مخطوط – بجهة (السلب)راجع حرف السين – ذكرها في حوادث سنة ١٠١٢ هـ

الخشعة : على اسم سابقتها : من قرى جبل فيفا .

الخِشِلُ : بكسر أوله وكسر الشين المعجمة المثلثة بعدها لام : من قرى بني (الحُرَّث) شمال قرية الجابري .

خشّة : على اسم المرة الواحدة : من قرى جبل (الربوة) .

الخَصُورة الشارة : من قرى بني حَريص ، من أعمال العارضة .

الخصوف : بفتح الخاء المعجمة وضم الصاد المهملة بعدها وواو ففاء معجمة وضم الصاد المهملة بعدها واو ، ففاء معجمة موحدة : مدينة أثرية قد محيت اثارها في وقتنا الحاضر . ذكرها الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » ص ٤٥ فقال : (وعرض الخصوف مدينة حكم مثل عرض (صعدة) وطولها من الشرق ١٢٩ درجـــة) . وقد حدد لنا موقعها فقال في ص ٧٣ : (ثم وادي خُلَب وهو الذي تشرع على جانبيه الخصوف) .

وبالبحث والاستقراء علمت من شيخ قرية (الحصامة) التي هي على عدوة وادي خلب أن بالقرب من جنوب قريته موقع يسمى الكرس الأحمر ، وبه

معالم واطلال واضحة للعيان اكتشفت بئران مطويتان بالحجارة وقد يكون الكرس الأحمر تحته آثار تلك المدينة ، والحقيقة أن التحقيق العلمي عن مثل تلك الآثار تكشفه الحفريات في المستقبل .

الخصاوية : بفتح الخاء بعدها صاد مفتوحة فألف فواو مكسورة فياء مفتوحة مخففة فهاء : شمال قرية الخرادله . من ضواحي مدينة (جازان) .

الخضراء : على صيغة صفة الشجرة : من أعمال (صبيا) .

الخضراء : على صيغة صفة الشجرة : قرية جنوب (صامطة) بكلين تقريباً.

الخضراء : على صيغة صفة الشجرة : من قرى الحَكاميَة شمال قرية (الخلفه) الآتية .

الخضراء : على صيغة صفة الشجرة : تتألف من قريتين احداهما جنوبية ، والأخرى شمالية ، من أعمال وادي جازان .

الخضراء : على صيغة صفة الشجرة : من قرى المسارحة وسطاً بين قريتي (العُرّ) و (الزيدية).

خضير : بالتصغير : كثيب على شط جازان الجنوبي – راجع حرف الشين (شواطىء جازان) .

خُضير : على اسم سابقه (حِلة) وعقم سد شرق قرية (رمادة) وادي (الكور) .

خُضيرة : بالتصغير مؤنثة : قرية غرب بلدة (ضمد) .

خضيرة : على اسم سابقتها وتعرف بـ (خضيرة عيّاش) قرب قرية رمادة وادي الكور .

خَطْفا : بفتح الأول مقصور من أرباض جبل فيفاء.

الخقوانيّة : بفتح أولها فقاف مثناة ساكنة فواو ثم الف فنون فياء مثناة فهاء : من قرى بني الحرّث.

الخقّاقة : بفتح أولهـــا وتشديد وفتح القاف المثناة الأولى : من قرى بني الحرّث .

خُلَب : بضم الخاء المعجمة وفتح الـــلام بعده باء موحدة تحتية. ذكره الهمداني في « صفة جزيرة العرب » في عدة مواضع ومنها في ص ٧٣ فقال (ثم وادي خلب وهو الذي يشرع على جانبيه الخصوف ومآتيه من الفقاعة والبار ، وفرعه من رأس خلب بالقدّ من سراة خولان) وقـد أوردنا اسم ذلك الوادي ضمن أودية المخلاف السليماني – راجـــع كتابنا ص ٣١ ج ١ وخريطة ذلك الوادي في آخر الجزء الثاني من كتابنا « المخلاف السليماني »

كما أوردنا أشهر روافده في داخل حدودنا الشرقية وأشهرها :

١ – وادي ذهبان
٢ – وادي شرّانه
٣ – وادي اُمجَاره
٤ – وادي دَهْوان

كما أوردنا أسماء القرى والدساكر والضياع التي يسقيها ذلك الوادي إلى نهاية مصبه في البحر الأحمر .

خَالِفَة قُوَيعِي : بكسر اللام ، من قرى العَارضَة .

الخَلْفَة : بفتح الخاء وسكون اللام وفتح الفاء الموحدة بعدها هاء : من أعمال (صامطة) شرق شمال قرية (وِعْلان) .

الخَلْفَةُ : على اسم سابقتها: من قرى الحَكامية شرق قرية (مُزْهِرَة).

خَلف : بفتح الخاء واللام بعده فاء موحدة : وادٍ صغير من روافد وادي مَقاب ، ويلتقي به غرب قرية عيّاش .

الخُلفَين : بضم الخاء وسكون اللام بعده فاء موحدة فياء مثناة فنون : من قرى جبل بني مالك جنوب (القهبة) .

الخَلِيف : بفتح أوله وكسر اللام واليـــاء المثناة ثم فاء : (من أعمال (ضَمَد) ومن قرى عَبْس يسفح جبل (رَدَا) الآتي في حرف الراء .

الخَلايف : جمع خَلِيفة : من قرى وادي (تَعْشُر) شرق قرية (البِيْسِري) .

الخَلُوعة : جبل قريب من سد وادي (جازان) .

خُليج : تصغير خليج : من قرى الشُّقيق شمال غرب بلدة (الشُّقيق).

الخِليلة : على اسم الخليلة التي هي الزوجة : (وخليلته التي تؤويه) من قرى جبل هروب .

خَمْرة : على اسم المرة الواحدة : حلة تابعة لـ (صبيا) .

الخمرة : على اسم المرة الواحدة : ربض من أرباض جبل فيفا .

الخُمس : بضم أوله وسكون الميم بعدها سين مهملة لم يذكره الهمداني بهذا الاسم ، وإنما عدّ بعد وادي خلب قال في ص ٧٣ «صفة جزيرة العرب» (ثم بعد خلب وادي جازان ووادي ضمد) إلى أن قال : (ويسقيان أرض ضمد وجازان إلى البحر وبينهما وبين وادي خلب أودية دون هذه مثل زائرة والفجا – اسمه الآن الفجا بالجيم المعجمة – وشايه تسقى شمال مخارف حكم) وذكره – أي وادي زائرة بعد خلب في ص ١٢٠ . وإذا رجعنا للوضع الطبيعي لما أسماه الهمداني : وادي زائرة ، بعد وادي خلب ، لا نجد إلا ما يسمى في وقتنا الحاضر وادي الخمس – راجع خريطة أودية مسارحة الشام في آخر الجزء الثاني من كتابنا « المخلاف السليماني أو الجنوب في التأريخ » وبعده من شماله وادي الفجا ، ثم وادي الرباح ، وهو واد صغير لم يذكره الهمداني ، ويليه وادي الكُور وهو الذي أسماه الهمداني وادي شاية ، ودليلنا على ذلك أنه يوجد تل على عدوة ذلك الوادي الشمالية يسمى في وقتنا الحاضر (زبارة شاية) ويليه بالتتابع شمالاً:وادي مقاب ، ثم وادي الأملح ، ثم وادي جازان وسنأتي على اسم كل وادٍ في الحرف التابع له .

خُميعَة : مراعي ومنبسط تحار فيه شعوب من المياه المنحدرة من المرتفعات وهو مشاع بين قبائل المسارحة والحُرَّث والعارضة .

الخَمَيم : بفتح أوله من قرى الحُسيني من أعمال صبيا.

الخميمية : بالتصغير حلة صغيرة قرب قرية الجارة من قرى صبيا يقال انها كانت مدينة دثرت ولا يزال بها آكام وآثار خزف مما يدل أن للرواية ما يمنحها بعض التأييد .

الخَنَزيرة : قرية صغيرة من قرى الجعافرة بين قريتي سوادة والبُطيح .

الخوالد : بفتح الخاء من قرى الطَمَحة بين قريتي جُريبة والفِقَرة .

خوارة كنانة : بتشديد الواو : حلة بين عروج صبيا، وهي موطن القائد الادريسي محمد طاهر رضوان .

خَوارة الهِجرانية : على اسم سابقتها حلة قريبة من الأولى.

الخوجرة : بضم الخاء وسكون الواو وفتح الجيم والراء بعدها هاء : من قرى بني حِمَّد ، جنوب غرب قرية المِجنة ، من أعمال صامطة .

الخوجرة : على اسم سابقتها قرية من قرى جبل مروب .

خُولة : بضم أولها من قرى جزيرة فرسان ـ راجع حرف الجيم مادة جزيرة :

الخندق : خندق حفره السيد على الادريسي حول مدينة جازان ، من العُشَيماء في الناحية الجنوبية إلى قرب طريق المضايا ومن الشمال مبتدئاً من البحر ماراً بموضع المستشفى ـ الحالي .ـ في السبخة إلى ما بعده جنوباً ـ راجع ص ٢٨٢ ج ٢ « المخلاف السليماني والجنوب في التاريخ »

(للبحث صلة) جازان : محمد بن أحمد العَقيلي

«أَنَّةُ المُتَأَلِّمِ، وَشَكَاةُ المُتَظَلِّمِ»

[رائعة من روائع شعر شاعرنا القديم ، عُمَارة بن علي الحكمي ، من شعراء المخلاف السليماني ، بل من نوابغ العرب في الأدب والتاريخ والسياسة ، ولد سنة ٥١٥ ـ على وجه التقريب ، وقتل بامر صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٥٩ هـ وهذه القصيدة وجهها لصلاح الدين ، حينما قطع مرتبه الشهري ، نقلناها عن كتاب « جهرة الاسلام ، ذات النثر والنظام » لأمين الدين مسلم ابن محمود الشيزري ـ من ص ٥٢٦ وما بعدها [١]] .

أيا أُذن الأيام ، إن قلت فاسمعي ... لنفثة مصدور ، وأنة موجع
وعي كل صوت تسمعين نداءه ، ... فلا خير من أُذن تنادَى ولا تعي
تقاصرني خطو الزمان وباعُه ... فضيّق من ذرعي ، وقصّر أذرعي
وأخرجني من موضع كنت أهله ... وأسكنني بالجور ، في غير موضعي
بسيف« ابن مهدي »و« أبناء فاتك » ... أقضّا عن الأوطان جنبي ومضجعي
فيمّمت «مصراً» أطلب الجاه والغنى ... فنلتهما في ظل عيش ممنّع
وزرت ملوك « النيل » أرتاد نيلهم ... فأحمد مرتادي ، وأخصب مربعي
وفزت بألف من عطيه « فائز » ... مواهبه للصُّنع ، لا للتصنيع
وكم طوقتني من يد « عاضدية » ... سرت بين يقظَى من عيون وهجع
وجاد «ابن رزّيك[١]»من المال والغنى ... بما زاد عن مرمى[٢] رجائي ومطمعي
وأوحى إلى سمعي ودائع شعره ... لحبرته (؟) مني بأكرم مودع
وليست أيادى « شاور » بدميمة ... ولا عهدها عندي بعهد مضيّع

---

(١) أنظر وصف هذا الكتاب الذي لا يزال مخطوطاً ، في « مجلة المجمع العلمي العربي » ج ١ ص ٣ وما بعدها من المجلد الى ٣٣ بقلم العلامة خليل مردم بك. رئيس المجمع ـ رحمه الله ـ .

(١) في الأصل : زريك والتصحيح من « التاج » وغيره .

(٢) ومربى رجائي (الأصل) .

ملوك رعوا لي حرمة كان نبتها ... هشيماً ، رعته النائبات وما رُعي
ورُدَّت بهم شمس العطايا لوفدهم ... كما قال قوم في « علي » و « يوشع »
مذاهبهم في الجـــود مذهب سنَّة ... وإن خالفوني في اعتقاد « التشيّع »

فقل « لصلاح الدين » والعقل شأنه : ... من الحاكم المصغي إليَّ فأدَّعي ؟!
سكتُّ فقالت ناطقـات ضرورتي : ... إذا حلقات الباب أغلقن فاقرع
وأدللت إدلال المحب وقلت مـــا ... إبائي بغير الطَّبع ، لا بالتطبُّع
وعندي من الادلال ما لو شرحته ... تيقنت أني قدوة « ابن المقفع »
أقمت لكم ضيفاً ثلاثـــة أشهر ... أقول لقلبي كلما ضاق : وسِّع !!
أعلل غلمـاني ، وخيلي ، ونسوتي ... بمـا صغت من عذر ضعيف مرقع
ونوَّابكم في الوفد في كل بـــلدة ... تفرق شمـــل النائـل المتوزَّع
وكم من ضيوف الباب مـن لو لسانه ... إذا قطعوه لا يقـــوم بأصبعي
مشارع من نعمائكم زرتها وقـــد ... تكدَّر بـ « الاسكندرية » مشرعي
وضايقني أهـل الديون ، ولم يكن ... سوى بابكم منهم ملادي ومفزعي
فيـا راعي الإسلام كيف تركتنا ... قريعي [1] ضياع ، من عرايا وجوَّع؟
دعوناك من قرب وبعد ، فهب لنـا ... جوابك ، فالباري مجيب إذا دعي

إلى الله أشكو مـن ليال ضرورة ... رجعنا بها نحو الحنين المرجـــع
قنعنا – ولم نسألك – صبراً وعفة ... إلى إن عدمنا بلغة المتقنـــع
ولمـــا أغصَّ الرّيق مجرى حلوقنا ... أتينـــاك نشكو غصة المتجرِّع
فإن كنت ترعى الناس لـ«الفقه»وحده ... فمنه طرازي ، بـل لثامي وبرقعي
ألم ترعني لـ « الشافعي » وأنـتم ... أجلّ شفيع عنـد أعلا مشفع
ونصري له في حيث لا أنت ناصر ... بضرب صقيلات ولا طعن شرَّع
ليالي لافقـه العراق بسجسج ... بمصر ، ولاريـــح الشأم بزعزع
كأني بها من « آل فرعون » مؤمن ... أصارع عن ديني ، وإن حان مصرعي
أمـن حسنات الدهر أم سيئاته ... رضاك عن الدنيا بما فعلت معي ؟!
ملكت عنان النصر ثم خذلتني ... وحالي بمرأى مـن عُلاك ومسمع

(١) لعله : صريعي – مع صحة قريعي – أي يقارعان .

فما لك كم توسع عـــليَّ وتلتفت ... إليَّ التفات المنعم المتـــبرع ؟!
فإما لأني لست دون معاشر ... فتحت لهـــم باب العطاء الموسَّع
وإما لمـــا أوضحته من زعازع ... عصفن على ديني ، فـــلم أتزعزع
وردّي « ألوف » المال لم التفت لها ... بعيني ، ولم أحفل ، ولم أتطلـــع
وإما لفن واحـــدٍ من معارفي ... هو النَّظم ، إلا أنـــه نظم مبدع
فان سمتني نظما ظفرت بمفلقٍ ... وان سمتني نثراً ظفرت بمسقع
صناعٍ ، وفي المطبوع من خطراته ... غنى [1] عن افانين الكلام المصنَّع
سألتك في دين ، لياليك سقنه ... وألزمنيه كارهـــاً غير طيع
وهاجرت ، أرجو منك إطلاق « راتبٍ » ... تقدَّر في أزمان « كسرى » و « تبع »
وليتك فيمن اطلع الشرق مطلعي ... لتعلم نبعي ، ان عجمت وخروعي
وما أنا الاقائم السيف لم يعن ... بكف ، ودر لم يجـــد من مرصع
وياقوتة في سِلك عقد مدارةٍ ... على خرزات من عقيق مجـــزّع
وكم مات نضناض اللسان من الظما ... وكم شرقت بالمـــاء اشداق الكع
فيا واصل الأرزاق كيف تركتني ... أمد إلى كف العلا زنـــد اقطع ؟
أعندك أني كلما عطس امـــرؤ ... ندى شمم أقنا ، عطست باجدع ؟
طلابـــة مصدوع الفواد ، فهل له ... سبيل إلى جبر الفؤاد المصدّع
فاقسمت لو قالت أياديك في الدجى: ... أغد غارب الجوزاء ، قال لها: اطلعي
غدا الأمر في إيصال رزقي وقطعه ... بحكمك فابذل كيفما شئت وامنع
كذلك أقدار الرجال وإن غدت ... بأمرك فاخفض كيفما شئت وارفع
فيا زارع المعروف في كل تربـــة ... ظفرت بأرض تنبت الشكر فازرع
فاني إذا مـــا العرف ضاع جزيته ... ثنـــاء كعرف المسكة المتضوع
وقد صدرت في « طي ذا النظم » رقعة ... غدا طمعي فيها إلى خير مطمع
أريد بها إطلاق ديني ، وراتبي ... فاطلقها بالأمر منك و « وقع »
إلى هاهنا انهي حديثي وانتهي ... وما شئت في حقي من الخير فاصنع
فإنك أهل الجود والبر والتقى ... ووضع الأيادي البيض في كل موضع

(١) في الأصل غني أفانين .

نجد: موطن الشعر

حدثني يا نجد عن تاريخنا ... وتحدي كلّ جيل مدعي
واتركي في كل قلب صرخة ... تسمع التاريخ من لم يسمع
وتخطّي قمم المجد على ... موطن الشعر ، ومهد الالمعي
وابعثي الأحلام من مرقدها ... فليالي الحب لمـــا تهجع

* * *

جوك الساحرُ لحن صامتُ ... وسناك الحرّ ملءُ الاربع
وعلى ذكراك كم هجت هوى ... يتبارى وهجه في أدمعي
سمرات الحي ما أجملها !! ... لم تزل خافقة في أضلعي !!
ولحون الطير ما أروعها !! ... لم تزل انغامها في مسمعي

* * *

كم ليال سكر البدرُ بهـــا ... وشعاع الفجر لمـــا يستطع
يتراءى الحسن في مقلتها ... ويذوب السحر حول المشرع
غازلت اعينها شهب الدجى ... في لقاء حـــالم مستمتع
وغفت أنغامها مسحورةً ... بالجمال الحق— ذاك— الأبدعِ

* * *

كم أمانٍ ذوبت في مهجتي ... صور الماضي البعيد الأنصعِ
صور فاتنة خلابـــة ... كم أشاروا نحوها بالأصبع
في الروابي الخضر سحر ورؤى ... وعلي السفح جلال المبدعِ
كلما صفّق غصن هتفت ... فوقـــه الورق بلحن ممتع
فاذكري يا (نجد) أيام الألى ... درجوا فوق ثراك الممرع
وسقو تربك يا مهد النهى ... بدم القلب وفيض الأدمعِ

القطيف — القديح السعودية

السيد حسن بن السيد علوي

المكتبات في جزيرة العرب

وطن العرب الأول جزيرة العرب . انبثق نور الاسلام من بطاح مكة . وغار حراء .. واستوطن في طيبة وبدأ يرسل أشعته إلى بقاع العالم . الذي اهتدى بنوره . ومنها شع الفكر العربي الأصيل ومعين الحضارة العربية الأصيلة في كل بلاد العالم . وسنبحث في نشوء المكتبات ؛ خزائن الكتب التي خلفها الفكر بأنواعه . مع ما يعترضنا من الصعاب في ذلك لقلة المراجع التي تعوزنا في هذا الموضوع .

تمهيد :

لم تكن في جزيرة العرب مكتبات بالمعنى المعروف في مختلف بلاد العالم . وذلك لأسباب منها :

١ ــ انتقال مركز الحكم من قلب الجزيرة إلي أطرافها في الشام والعراق في صدر الاسلام ، ثم في مصر .

٢ ــ تأسيس الأمارات والخلافات الاسلامية في مصر والأندلس وتركيا . ثم انتقال مركز الخلافة الأموية في دمشق. ومركز الخلافة العباسية في بغداد.

٣ ــ عدم إيمان الأمراء والحكام في الدولة الاسلامية . بمدى ما تسديه هذه الصحراء المجدبة . خاصة بعد أن تزينت دمشق بحليها . ولمع مجد بغداد في العالم آنذاك وكان هذا الرأي سائداً حتى في زمن الدولة العثمانية التي اكتفت بالاهتمام بالحرمين الشريفين . وأهملت جزيرة العرب من كل نهضة أو إصلاح .

غير أن الصلة الروحية التي ظلت تربط العالم الاسلامي بالحرمين الشريفين دفعت بعض العلماء والمصلحين والملوك والسلاطين إلى إنشاء مكتبات صغيرة موقوفه . وإلى وقف بعض العقارات عليها .

وبعض هذه المكتبات كبرت وازدهرت وازدادت مقتنياتها مع الزمن . علاوة على المكتبات الخاصة التي اهتم أصحابها . بجمع الكتب النادرة فيها . وبعض المكتبات عبثت بها الأيدي ، فضاعت محتوياتها من الكتب وكان بعض هذه المكتبات موضع عناية رجال العلم والفكر والأدب وخاصة في العصور المتأخرة حتى صار يشار إلى المدينة بالبنان ، وأضحى ذكر مكتباتها ومخطوطاتها جارياً على اللسان .. ولما تغيرت الأحوال والرجال ، وانعدمت الرقابة ، على المكتبات الموقوفة وفتح باب التلاعب بمقتنياتها على مصراعيه تسرب كثير من مخطوطاتها النادرة إلى الخارج ، فاصبحت مكتبة المتحف البريطاني بلندن ومكتبة ليدن في هولندة ، ومكتبة نظام حيدر أباد في الهند وغيرها من المكتبات العالمية تزخر بالكثير من تراثنا.

المكتبات في مكة المكرمة ...

ربما لا نعرف للمكتبات اسماً في مكتبة قبل القرن الخامس الهجري . وإن كان ذلك فلا يعدو أن يكون بعض الرجال يحتفظ في منزله بمجموعة من الكتب وهذه كانت بداية للمكتبات الخاصة . وقد أنشأ في المقام المالكي الشيخ محمد بن عبدالله بن فتوح المكناسي خزانة للكتب المالكية . وذلك بأن وقف كتاب المقرب المكون من ست مجلدات .. وذلك في سنة ٤٨٨ هـ . إلى جانب عدد من خزانات الكتب أقيمت هناك . وفي سنة ٥٩٤ هـ أمر ملك اليمن نور الدين بن صلاح الدين الرسولي بانشاء رباط في مكة وأوقف فيه نفائس من الكتب كالمجمل لابن فارس والاستيعاب لابن عبد البر . وغدا هذا الرباط من أحفل الأربطة الأخرى بمكة بالكتب ويعرف هذا الرباط فيما بعد برباط الحضارمة .

وفي سنة ٦٤١ هـ كان للأمير شرف الدين إقبال الشرابي مدرسة مجاورة للحرم ، أوقف فيها كتباً في مختلف الفنون .

وفي القرن الثامن أمر ملك بلاد فارس السلطان شاه شجاع بانشاء رباط قرب الحرم وأوقف فيه في سنة ٨٢٧ هـ كتبا . وأرسل إلى الحرم بالمدينة خزانة كتب جليلة . وكان قد أنشأ رباطاً آخر هو رباط الخوزي بمكة .

وكان لمؤرخ مكة تقي الدين الفاسي مكتبة عامرة بالكتب .

ولمؤرخ مكة القطبي مكتبة عامرة بالكتب جمع فيها ابن أخيه الشيخ عبد الكريم المتوفي (١٠١٤ هـ) أربعة عشر الف كتاب .

في عام ٨٨٢ هـ أوقف الملك قايتباي مكتبة جعل مقرها مدرسته بجوار الحرم المكي وعين لها خازناً براتب مقرر . ونظم لها بيان لسجل كتبها وسطت عليها أيدي المستعيرين . وضيعوا منها جانباً كبيراً لم يبق إلا ثلاثمائة مجلد . ولعل هذه أول مكتبة عامة نظمت بمكة المكرمة .

وبمرور الزمن تكونت في مكة مكتبات غدت مع الزمن حافلة بالكتب ولكنها ذهبت ضحية السيول المتوالية منها مـــا وقع في ١٩ / ٨ / ١٠٣٩ هـ الذي هدم الكعبة . وذلك في زمن السلطان مراد .

وفي القرن الثالث عشر الهجري أنشىء بمكة مكتبات منها :

١ ــ المكتبة السليمانية : أنشأها السلطان عبد المجيد . جمع فيهـا كتباً أحضرت من الأستانة . حتى صار ما بها (٣٦٥٣) كتاباً . وقد غرق كثير من الكتب بها في ٨ / ٥ / ١٢٧٨ هـ حيث دخل السيل من نوافذها القريبـة من الأرض .

٢ ــ مكتبة الشرواني : أسسها شرواني محمد رشدي باشا . والي الحجاز سابقـاً .

٣ ــ مكتبة الحرم : كان السلطان عبـــد المجيد قد أمر ببناء مدرسة ومكتبة . فتوفي قبل إتمام ذلك . وقد جمعت كتب السلطان . مـع بعض الكتب التي أوقفها العلماء والأعيان . وأضيفت مكتبة الحرم التي أصبحت معروفة بهذا الاسم منذ سنة ١٣٥٧ هـ وبها (٩٣٣٨) كتاباً منها (١٥٠٠) مخطوط تقريباً .

ومن المكتبات الخاصة المهمة . مكتبة الشيخ حسن عبد الشكور وبهـا نوادر من المخطوطات . والمكتبة الماجدية جمعها الشيخ محمد بن ماجد الكردي

وتضم بعض من المخطوطات . ومكتبة الشيخ محمد سرور الصبان والشيخ سليمان الصنيع ، والشيخ أحمد بن ابراهيم الغزاوي وغيرهم .

ولا ننسى أن نذكر من مكتبات مكة . مكتبة (رابطة العالم الاسلامي) في عهدنا الحاضر التي لا نعلم بقدر محتوياتها ..

المكتبات في جدة

١ — في جدة أنشئت مكتبة عامة هي مكتبة تابعة لوزارة الأعلام .

٢ — ومكتبة الشيخ محمد نصيف وهي من أنفس مكاتب الحجاز وأحفلها بنوادر المخطوطات والكتب وبها حوالي (٤٠٠٠) كتاب تقريباً . وهي بمثابة المكتبة العامة فتحها صاحبها لمن يريد الاطلاع الداخلي ... وهناك عدد من المكتبات الخاصة ..

المكتبات في الطائف

من أقدم من عني بجمع الكتب في الطائف الميورقي الاندلسي الطائفي ، الذي جمع منها قدراً كبيراً أوقفه في الطائف .

ومن المتأخرين الشيخ محمد حلمي الداغستاني والشيخ عثمان راضي القاضي ، وكانت كتب الآخيرين نواة للمكتبة العامة التي كانت في الطائف قديماً . بحيث أصبحت مكتبة عامة تقع في القبة الواقعة قرب مسجد ابن عباس وكانت تحوي كثيراً من الكتب النفيسة. ولم يبق فيها الآن سوى القليل وكان فيها (٢٥٠٠) كتاب منها (٥٠٠) مخطوط .

المكتبات في المدينة المنورة ..

المدينة المنورة غنية بالمكتبات العامرة في أغلب عصور تاريخها المجيد . حتى صارت بالنسبة لغيرها من بلاد العالم الاسلامي . فهذا ملك فارس أهدى إلى الحرم النبوي مكتبة جليلة في سنة ٥٨٧ هـ. وقد ذكر ابن جبير في رحلته

أنه شاهد في الحرم النبوي خزانتين كبيرتين تحتويان على كتب ومصاحف . ولما احترق المسجد سنة ٨٨٦هـ احترقت كلها واحترق لمؤرخ المدينة السمهودي نحو ثلاثمائة كتاب . وبعد هذا أرسل قايتباي كثيراً من الكتب والمصاحف عوضاً عنها . وقد بلغ عدد مكتبات المدينة ما يقرب من ثمانين مكتبة . وقد عد صاحب مرآة الحرمين في المدينة ثماني عشرة مكتبة تحتوي على (٢٠٧٧٤) منها ٥٤٠٤ في مكتبة شيخ الاسلام و٤٥٩٦ في المكتبة المحمودية، و٢٠٦٣ في مكتبة بشير أغا و١٦٥٩ في مكتبة السلطان عبد المجيد الأول .

١ ــ مكتبة عارف حكمت بك شيخ الأسلام في زمن السلطان عبد المجيد ولد الحاج حكمت عارف في سنة ١٢٠٠ هـ وتقلب في عدة مناصب منها القضاء بين القدس ومصر والمدينة وآخر هـــذه المناصب مشيخة الاسلام ثم اعتزل المناصب في سنة ١٢٧٠ وتوفي سنة ١٢٧٥ هـ باستنبول . له مؤلفـــات منها ديوان بالعربية والتركية والفارسية وتذكرة الشعراء (تركي) ومجموع التراجم لعلماء القرن الـ ١٣ لم يكمل وذيل كشف الظنون الى حرف الجيم [١] وأنشأ في المدينة المنورة مكتبته هذه في سنة ١٢٦٠هـ . ولا يزال تاريخ ذلك منقوشاً في سقف قاعتها . وقد جمع فيها مـــا حصل من الكتب . حتى بلغ ما بها من الكتب ٤٥٠٠ مخطوط . وأكثر من الفي كتاب مطبوع وجميعها من الكتب النادرة . وقد رتبت ترتيباً جميلا . وفرشت أرضها بالسجاد الثمين ، وتعلوها قبة آية في الزخرفة العربية . وخزانتها تعتبر تحفة في فن النجارة العربي وفي فنائها بركة من الرخام يتدفق الماء منها . وقد بلغ مجموع محتوياتها حسب آخر إحصاء في عام ١٣٨٤ (٧٠٠٠) مجلد منها (٢٠٠٠) مجلد مخطوط ونجد أنها في عام ١٣٧٥ هـ كانت تضم (٣٠٠٠) مخطوط . وكان لها سجل مخطوط في خمسة أجزاء وضع فيه بجانب الكتب المفقودة علامة (×) كتب على الفهرس: (أصدق على ما ذكر بالمشاهدة بعد التفتيش بان الكتب النفيسة المقيدة في هذا

---

(١) الف ابو الثناء السيد محمود الألوسي الكبير في ترجمته كتاباً دعاه « شهي النغم ، في ترجمة ولي النعم » .

الدفتر موجودة بالمكتبة ٢٩ جمادى الأولى عام ١٣٣٤ هـ . قاضي المنورة — الختم الرسمي — محمود الدين حفظى) .

كانت هذه المكتبة من أحفل المكتبات في العام الاسلامي . وقد تعرضت للعبث فقد نقل أمين بن حسن الحلواني آلاف الكتب إلى أوروبا. هي مكتبة ليدن في هولنده ، والمكتبة الملكية ببرلين ومكتبة جامعة برنستون . ويشير الأستاذ عبد الله عبد الجبار أن شيخ الاسلام عارف حكمت الله الحسيني جمع ما يقرب من عشرة آلاف كتاب . ولعل من نفائس محتوياتها نسخة من القرآن الكريم مكتوبة على رق نعام بخط أندلسي مذهبة في آخرها . وقد كتبت بخط عبد الرحمن بن علي بن مرزوق بن محمد بن مكانس البطليوسي سنة ٤٨٨ . مما فقد منها ، وكان فيها نسخة ناقصة من تفسير القرآن الكريم . لعبد الله ابن عباس على رق غزال كتبت سنة ٣١٠ هـ . وكتاب المحاضرات للسيوطي بخط المؤلف . وكتاب اسماء الجبال والبقاع المذكورة في أشعار العرب . لم يذكر اسم مؤلفه كتب سنة ١٢٤٣ هـ . وكتاب ذكر المسافات وصور الأقاليم لأبي زيد البلخي . كتب في القرن الخامس الهجري . ويوجد بها نسخه كاملة من كتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي . ويذكر جرجي زيدان أن نسخة الشنقيطي في دار الكتب المصرية مأخوذة عنها من كتاب ابن سلام .

٢ — مكتبة السلطان محمود (المحمودية) . أنشأها السلطان محمود، وكان فيها من الكتب مـــا يقارب خمسة آلآف وخمسمائة كتاب منها ٣٥٠٠ من المخطوطات ويبلغ ما بها أخيراً (٥٨٨٦) كتاباً جمعت من مصر والأستانة . وقد ضمت إلى مكتبة الحرم .

٣ — مكتبة الحرم النبوي . يبلغ عدد كتبها (٥١٥٣) كتاباً منها(٥٠٠) مخطوط وكان عدد مخطوطاتها عام ١٣٧٥ هـ (٥٠٠) مخطوط تقريباً . وقد ضم إليها عدد من المكتبات الصغيرة الأخرى .

٤ — المكتبة الحميدية . هذه المكتبة منسوبة إلى السلطان عبد الحميد الأول . وتعداد كتبها (١٦٥٩) كتاباً . وقد ضمت إلى محتويات مكتبة الحرم المدني .

٥ ــ مكتبة بشير أغا . وعدد كتبها (٢٠٦٣) كتاباً . ضمت إلى مكتبة الحرم . ويوجد عدة مكتبات صغيرة أدمجت في مكتبة الحرم . وبعضها عفى الزمن علها وضاعت محتوياتها مع ضياع الزمن . وهي مكتبات خاصة أكثر منها عامة :

٦ ــ مكتبة الكشميري . (٧) مكتبة الشفاء (٨) مكتبة رباط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه . (٩) مكتبة مدرسة ثروت باشا (١٠) مكتبة حسين آغا (١١) المكتبة القازانية (١٢) المكتبة الأحسانية (١٣) المكتبة المؤقتيه وغيرها من المكتبات .وجميع المكتبات الموجودة بالمدينة تابعة لوزارة الحج والأوقاف في الوقت الحاضر .

المكتبات في نجد :

ونجدُ ماذا فيها من مكتبات ؟ نجد التي نشأت فيها اللغة التي نتكلم بها والأدب الذي نتغنى به . وفيها جرى معظم تاريخنا قبل الاسلام . نجد التي انساحت وتموجت فيها الموجات التي عمرت العراق والشام ثم انتقل بعضها إلى مصر وما وراءها . نجد التي خرجت منهـــا معظم جيوش الفتح بعد الاسلام . نجد النبي انبثقت من أرضها دعوة إلى التوحيد بعد دعوة الرسول محمد بن عبد الله ﷺ فأرشدت الناس إلى حياة كريمة وعيشة هانئة بنور الاسلام ، هذه الدعوة التي قام بها مصلح من أهلها . ونجد التي ضاق بوصفها خيال الشعراء ، ما هي مكتباتها ؟ وكيف نشأت ؟ وما هي اليوم ؟

للاجابة على ذلك يجب أن نختزل من التاريخ بعضه ، خاصة إذا كان هذا التاريخ خلواً مما نحن نبحث فيه . لنبدأ من تاريخنا الحديث في نجد ، من بداية الدعوة الاصلاحية التي قام الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله ، من قيام الدولة السعودية الأولى (١١٥٨ هـ) ، سنبدأ وستكون بدايتنا قصيرة .

كانت دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب حافزاً لجمع الكتب ، والاستزادة

من كتابة الكثير منها، ونسخ العديد من الرسائل التي يعدها الامام ويتداولها رجال الدعوة ليقرأها النـــاس ، وتكونت منها مجاميع من الكتب بخط اليد ، غير مطبوعة بل يندر أن يوجد لدى واحـــد كتاب مطبوع للظروف العامة في عالمنا العربي كله ، وقد جمع الامام محمد بن عبد الوهاب عدداً من رسائله وكتبه التي ألفها ، كان مناصره ومؤازر دعوته الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود محباً للعلماء وعالماً ، يجمع الكتب لديه ، وكان أبناء الامام محمد ، وكان العلماء الذين وفدوا إلى الدرعية كالشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، والشيخ حسين بن غنام ، ثم من بعدهم الشيخ حمد بن عتيق والشيخ أحمد بن عيسى ، والشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر ، والشيخ ابراهيم ابن صالح بن عيسى ، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري . كانت مكتباتهم الخاصة تضم نفائس من المخطوطات .

المكتبات في الرياض :

في الرياض كانت العادة تفرض جلب كتب من يتوفى من العلماء إلى الرياض ليطلع عليها العلماء ، والرياض التي يوجد بها طلبة العلم هم الذين يدركون مدى قيمة الكتاب وفائدتها ، لذلك جرت العادة . ولهذا اجتمع لدى العلماء عدد كبير من الكتب ، فأصبح لدى الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف مكتبة غنية بنوادر المخطوطات آل كثير منها لمكتبة الأمير عبد الله بن عبد الرحمن ، ومكتبة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ومكتبة الشيخ حمد بن فارس ، ومكتبة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ [1] .

١ — وفي عام ١٣٦٣ هـ أنشأ الأمير مساعد بن عبد الرحمن الفيصل مكتبة عامة منظمة في الرياض جمع فيها أشهر الكتب المطبوعة ، وخصص لها جانباً من بيته .

٢ — المكتبة السعودية ، وهي مكتبة عامة ، بها حوالي (١٥٠٠٠) كتاباً و (١١٧) مخطوطاً .

---

(١) مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، حمد الجاسر ، ص ص ١٣٠-١٣١ .

٣ ـ دار الكتب الوطنية : في ربيع الثاني من عام ١٣٧٨ هـ قامت أمانة مدينة الرياض بانشاء مكتبة في الرياض ، ضمت قدراً طيباً من الكتب التي اختارتها جامعة الرياض وزودت بها المكتبة ، وقد ضمت أخيراً إلى وزارة المعارف وخصص لها مبنى حديث ، ويبلغ عدد محتوياتها (٧٥٠٠) كتاب تقريباً مع بعض الكتب الافرنجية ، ولا تزال المكتبة في دور الاعداد تمهيداً لافتتاحها ، وقد نظمت تنظيماً حديثاً .

٤ ـ مكتبة وزارة المعارف : وهي مكتبة خاصة بالوزارة ضمت أخيراً إلى دار الكتب الوطنية وكان عدد محتوياتها (١٢٠٠٠) كتاب وما يقارب الألف كتاب افرنجي .

٥ ـ مكتبة جامعة الرياض : وبها حوالي (٦٠٠٠٠) كتاب تقريباً .

وعدد من المكتبات الأخرى ، كمكتبة معهد الادارة وهي مكتبة جيدة، ومكتبة مجلس الوزراء ، ومكتبة وزارة البترول ، ومكتبة المجلس الأعلى للتخطيط .

ومن المكتبات الخاصة : مكتبة الأمير عبد الله بن عبد الرحمن وبها حوالي (٢٠٠٠) كتاب .

ومكتبة الاستاذ حمدالجاسر وهي تضم إلى جانب بعض الكتب المطبوعة، بعض نفائس من المخطوطات ونوادر المصورات وغيرها .

وفي عنيزة :

عنيزة بلدة حافلة بالعلماء والفقهاء قديماً وحديثاً . وما وصلنا من أخبارهم إلا القليل الذي لا يسد أغراض البحث وأنواعه . ومن المكتبات فيها :

١ ـ مكتبة عنيزة : وهي أول مكتبة انشئت في عنيزة في سنة ١٣٥٩هـ تقريباً . وتضم طائفة من الكتب المختلفة . وأشرف على انشائها الشيخ عبد الرحمن السعدي من خيرة علماء نجد وأوسعهم اطلاعاً . توفي سنة ١٣٧٧ هـ وله مؤلفات في العلوم الدينية .

٢ – المكتبة العامـــة في عنيزة : أنشأت هذه المكتبة وزارة المعارف وتحوي حوالي (٤٠٠٠) كتاب و (١٥٠) مخطوطاً تقريباً [١] .

وفي بريدة :

ما يقال عن عنيزة يقال عن بريدة نفسها فالبلدان متجاوران مما يجعل الحياة فيهما متشابهة .

١ – المكتبة العامة : أنشئت عام ١٣٧٥ هـ بأشراف الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد . وقد زودت بكثير من الكتب وأهدى إليها المرحوم الشيخ فوزان السابق كتباً كثيرة . وقد ضمت إلى وزارة المعارف فزودتها بالكتب حتى بلغ ما فيها (٤٠٠٠) كتاب وبهـــا حوالى (٢٠٠) مخطوط .

وفي شقراء :

وفي شقراء مكتبة عامة أنشأتها وزارة المعارف وبها (٣٠٠٠) كتاباً و (١٦٣) مخطوط .

وفي الحوطة :

وفي حوطة سدير مكتبة عامة أنشأتها وزارة المعارف وبها ما يقارب (٣٠٠٠) كتاباً مطبوعاً .

وفي الاحساء والدمام :

الأحساء مركز ثقافي من مراكز جزيرة العرب الثقافية . ولذلك كانت مركزاً لجمع الكتب التي تكونت منها مكتبات حافلة بجلائل المخطوطـــات النفيسة. كمكتبة آل عبد القادر ، ومنهم الشيخ محمدبن عبد القادر مؤلف تاريخ الأحساء ، ومكتبة ابو بكر الملا وغيرهم .

---

(١) زارها صاحب « العرب » في شهر صفر سنة ١٣٨٨ فلم يجد فيها كتاباً مخطوطاً .

١ ـ وقد أنشأت وزارة المعارف مكتبة بالهفوف . وفيهـــا من الكتب (٦٠٠٠) كتاب .

٢ ـ وفي الدمام أنشأت وزارة المعارف مكتبة عامة . فيها (٦٠٠٠) كتاب تقريباً .

وفي الكويت :

أسست أول مكتبة عامة في الكويت عام ١٩٢٣ م بفضل جماعة من أبناء الكويت . وفي عام ١٩٣٧ م الحقت هذه المكتبة بوزارة التربية والتعليم .وفي عام ١٩٥٣ أنشىء فرع لها . وفي عام ١٩٥٧ جهز مبنى جديد انتقلت اليـه المكتبة الرئيسية . وبقي مقرها الأول مكتبة فرعية ثانية . وفي عام ١٩٦٠ افتتحت مكتبة فرعيةثالثة في الأحمديتضم هذه المكتباتالثلاث (٤٥٬٥٩٢) كتاباً منها (٦٠) مخطوطاً .

وفي قطر :

وأنشىء في قطر مكتبتان : مكتبة المعارف العامة وأنشئت عام ١٣٧٤ هـ . والمكتبة العامة في الدوحة وانشئت عام ١٣٧٦ هـ .

١ ـ وفي عام ١٣٨٢ هـ أنشئت دار الكتب القطرية من هاتين المكتبتين . بلغ مجموع محتوياتها (٢٠و٤٨٤) كتاباً . و (١٠٠٠) مخطوط . يرجعتاريخ بعضها إلى القرن السابع الهجري و (٣٠٠) كتـــاب مصور على شريط (ميكروفلم) .

ودار الكتب القطرية أعدت اعداداً حديثاً كمثيلاتها في العالم للعربي من دور الكتب .

٢ ـ مكتبة ساحل عمان : ويبلغ عدد محتوياتها (٨٩٠) كتاباً .

بالاضافة إلى أربع مكتبات يجري انشاؤها في : أم حلال ، والشمال ، ودخان ، والخور .

وفي اليمن :

اليمن مهد الحضارة العريقة . ذلك القطر الذي لم تفقد أرضه انسانها الذي عاش على مسرح حياتها مكوناً حضارة العرب القديمة ، في جزء مكين من بلاد العرب . هناك في أرض سبأ وحمير وسد مأرب . ما هي مكتباته ؟ وما نصيبها من الحضارة التي عمت بلاد اليمن في فجرها الأول ؟ ! لقد أنجبت اليمن علماء في كل مجال من فنون الأدب . كالهمداني والعلامة نشوان بن سعيد الحميري وغيرهم . ممن ألفوا كتباً عديدة في تاريخ اليمن وملوكها . وتاريخ ذلك القطر وغيره. فتكونت بذلك مكتبات عديدة ... تضم ذخائر نفيسة من الكتب إلى جانب ما جلبه الملوك والأمراء من الكتب القيمة الأخري . وكان لهم عناية فائقة بجمع الكتب وتأسيس المكتبات ولقد تسرب الكثير من مخطوطاتها إلى الأقطار المختلفة خارج اليمن . فكان ما في مكتبة (الأمبروزيانا) بميلانو في ايطاليا من المخطوطات جله مما حصله العلماء المستشرقون الايطاليون من اليمن وهي تبلغ الألفي مخطوط تقريباً . والباقي الأن في هذه البلاد يعتبر ثروة ضخمة لا تقدر بثمن صعب حصول المستشرقين عليها . وأكثرها موزع بين المكتبات التي أنشئت حديثاً في صنعاء ، والروضة ، وزبيد وبيت الفقه وغيرها . وبين ما تقتنيه الأسر الكبيرة والعلماء من مخطوطات توارثها السلف عن الخلف وزادوا عليها ما حصلوه بطريق الاستنساخ والشراء . ومن المكتبات التي قامت في اليمن :

١ – مكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

وهي المكتبة العامة للدولة . وتعرف باسم (الخزانة المتوكلية) نسبة إلى مؤسسها الأمام يحيى بن محمد حميد الدين – نقل اليها مجموعة من كتبه النفيسة التي جمعها وحبسها على هذا الجامع وضم اليها ما كان في خزائن الكتب الموقوفة من قبل فاجتمع فيها ما يبلغ الخمسة آلاف مجلد تقريباً . أكثرها في مصنفات الزيدية وعلوم أصول الدين وغيرها من العلوم العربية والادبية والتاريخية . وأهم وأنفس مافيها مجموعة قيمة نادرة كلها من مخطوطات ما قبل القرن السادس الهجري . ولهذه المكتبة فهرس حسن

مرتب على الفنون . قام بوضعه وتنسيقه العلامة القاضي محمد الحَجْري – رحمه الله – وقد طبع بمطبعة وزارة المعارف المتوكلية بصنعاء في ٣٤٢ صفحة .

٢ – مكتبة الأمام يحيى بصنعاء :

هذه المكتبة كانت ملكا خاصاً للامام يحيى إمام اليمن السابق وقد نسقت تنسيقاً حسناً . ولها سجل مخطوط بمحتوياتها ، من وضع القاضي محمد الحجري وبها من المخطوطات ما يزيد على الفي مجلد أكثرها نسخ مكررة لما هو موجود في مكتبة الجامع الكبير . والبقية تتضمن مجموعة نادرة من المخطوطات . منها سبعة مجلدات من كتاب « سير أعلام النبلاء » للحافظ الذهبي بخط قديم . و « شرح القصيدة الدامغة للهمداني » مخطوطة سنة ٦٢٣ هـ في ١٨٤ ورقة[١]

٣ – مكتبة جامع الروضة :

وهذه المكتبة في ضواحي صنعاء معدة لانتفاع الطلبة والعلماء وتحوي مجموعة قيمة من المخطوطات القديمة تبلغ (٤٠٠) مجلد تقريباً من أهم ما فيها نسخة جيدة من كتاب « شمس العلوم » لنشوان بن سعيد الحميري .

٤ – مكتبات تعز :

في تعز عدد من المساجد القديمة أكثرها من عهد الدولة الرسولية التي كانت (تعز) قاعدة حكمها . وفي هذه المساجد مكتبات ملحقة بها . وخاصة مكتبة مسجد الملك المظفر فإن فيها مخطوطات وأكثرها يعود إلى عهد تلك الدولة .

٥ – مكتبات زبيد :

في زبيد مكتبات، وبعضها خاصة كمكتبة العالم السيد محمد الأهدل وفيها (٥٠٠٠) مجلد تقريباً ، وفي احدى ضواحي زبيد مكتبة موقوفة على المتعلمين بها . تضم نحو الف مجلد .

---

(١) : لدى صاحب « العرب » نسخة مصورة منها .

٦ – مكتبات أخرى :

مكتبة مدرسة جبلة وهي مدرسة من اوقاف الملكة أرْوَى بنت أحمد الصليحية المتوفاة سنة ٥٣٢ هـ . وبها مجموعة من المخطوطات القديمة .

ومكتبة جامع إب : وبها عدد من المخطوطات المهمة .

ومكتبة قبة طلحة: وهو مسجد قديم بصنعاء ، فيه مكتبة كانت للامام المهدي عبد الله بن الأمام المتوكل أحمد المتوفي سنة ١٢٥١ هـ وورثها عن والده الذي كان في خزانته آلاف الكتب وفيها مجموعة قيمة من المصاحف المذهبة بعضها بخط ياقوت المستعصمي ، ومجموعة من المخطوطات تبلغ خمسائة مخطوط.

ومكتبة جامع حُوث :

(حُوث) هذه هي مسقط رأس العلامة نشوان بن سعيد الحِمْيري صاحب « شمس العلوم » .

وهناك عدد من المكتبات الخاصة الهامة كمكتبة السيد علي بن محمد بن ابراهيم وبها اكثر من الف مخطوط . وصاحبها ممن يعنون بالكتب القديمة .

ومكتبة القاضي يحيى بن محمد الأرياني . بها أكثر من (٢٠٠٠) مجلد .

« للبحث صلة » الرياض عبدالله الماجد

مراجع البحث :

١ – ضحى الاسلام . ج ٢ . أحمد أمين

٢ – آداب اللغة العربية ج ٤ . جرجي زيدان

٣ – الرياض عبر اطوار التاريخ . حمد الجاسر

٤ – مجلة معهد المخطوطات ج ١ (١٣٧٥ هـ)

٥ – المكتبات في قلب الجزيرة العربية (بحث) عبد الله الجبار [وقد استقاه من بحث مخطوط كتبه حمد الجاسر]

٦ – دليل الكويت – غرفة تجارة وصناعة الكويت . ١٩٦٥

المعادن القديمة في بلاد العرب

- ٢ -

٣٣ — معدن الضبيب :

قال الهمداني :

(معدن الضبيب : في عالية نجد ، عن يسار هضب القليب). وهضب القليب قال عنه الهمداني : (وبظهر النير بينه وبين الجنوب بطن العبرى ، وفي رأس العبرى سواج والهضب هضب القليب والحفير حفير الضبيب)[١] .

وقال : (ومنها — يعني معادن نجد الذهبية — معدن الضبيب) [٢] .

ويفهم من كلام الهمداني المتقدم انـــه يقع في عالية نجد ، غرب جبل النير المعروف .

كما يفهم من كلام الهمداني أنه يدعى الحفير حفير الضبيب .

وآثار المعادن الواقعة بقرب النير فيما بينه وبين سواج المردَمة كثيرة ، ويلاحظ التفريق بين سواج هذا وسواج الواقع في شرق ضرية وهو سواج الحمى وسواج الخيل لوقوعه بحدود حمى ضرية بخلاف سواج الذي يضاف إلى جبل المردمة وهو الذي يقع معدن الضبيب بقربه [أنظر : م ٧] .

٣٤ — معدن ضنكان

قال الهمداني :

(معدن ضنكان ، من أرض كنانة والأزد ، بينهما . وقد عثر فيه في عصرنا على شيء خدّ عليه السيل ، فغنم منه السلطان والرّعية ، وهو دون

---

(١) « صفة جزيرة العرب» ص ١٤٦ ، ١٥٣ .

(٢) كتاب « الجوهرتين » .

معدن عشم في جودة الذهب ، ويأتي رطله بعيار العلوى مائة دينار، ودينارا ونصفاً [1] .)

وقال :

(بلد حرام من كنانة : وادي أتمة ، وضنكان ، وهو معدن غزير ، ولا بأس بتبره ، والحرّة حرة كنانة ، والمعقد ، وحلي ، وهو مخلاف) [2] .

وقال :

(ضنكان : وهو معدن غزير ، ولا بأس بتبره) [3] .

وقال في وصف محجة صنعاء إلى مكة ، طريق تهامة : (ثم عثر ، ثم بيض ، ثم زنيف ، ثم ضنكان ، ثم المعقد ، ثم حلي) .

وفي كتاب « البلدان »لليعقوبي[4] : —في وصف الطريق من مكة إلى اليمن: (ثم الليث ، ثم علـيَب، ثم قربا ، ثم قنونا ، ثم يبة ، ثم المعقد ، ثم ضنكان، ثم زنيف ، ثم ريم ثم بيش) .

(وقال ياقوت): وبأسفل السروات أودية تصب إلى البحر ، منها الليث ، وقنونا ، والحسبة ، وضنكان وعشم وبيش ومركوب ونعمان وهو أقربها إلى مكة ، وهو وادي عرفات [5]) .

ويظر من كلام المتقدمين في تحديد معدن ضنكان انه يقع فيما بين القحمة وحلي السفلى ، ويوجد في الحرة الواقعة بينهما آثار التعدين ، كما يوجد بقرب القحمة آثار معدن ، بقرب خط العرض ١٨ وخط الطول ٤١ و ٥٠° والمعدن ضنكان يقع فيما بين خطي العرض ١٨° و١٩° وخطي الطول ٤١° و ٤٢° .

---

(١) « الجوهرتين » .
(٢) صفة جزيرة العرب ص ١٢٠ .
(٣) صفة جزيرة العرب ص ١٢٠ .
(٤) ص ٣١٧ .
(٥) « معجم البلدان » السرات .

٣٥ – معدن عراقيب :

هَضْب المِعا : وهي جبال حِلـَّيْت . ثم جبل عراقيب ، وعراقيب : معدن وقرية ضخمة ، قال الشاعر :

طمِعْت بالرِّبح فطاَحت شاتي إلى عراقيب المعرقبـــات

وكان باع شاة له بدرهمين ، فاحتاج إلى إهاب، فباعوه جلدها بدرهمين[١]

هذا كلام مؤلف كتاب « بلاد العرب » وعنه نقـل ياقوت في « معجم البلدان » .

ويفهم من كلام المتقدمين حينما حددوا بلاد الضباب ، وحينما قرن اسم هذا المعدن بجبال حليت انه يقع شرقي ضرية بالقرب من جبـل حليت الذي سبق ذكره عند الكلام على معدنه .

ويوجد شرق جبل كبشة فيما بينها وبين شبيرمة وفي الجنوب الشرقي من قرية سلام آثار معدن لا يبعد أن تكون آثار ذلك المعدن القديم [أنظر : م : ٧] .

٣٦ – معدن عشم :

قال الهمداني : (فأما المعادن المعلومة ، فمعـــدن عشم ، من أرض كنانة ، وأحسبه ينسب إلى عشم من قضاعة ، لأنـه يقال : معدن عشم ، وذهبه أحمر جيِّد ، يأتي رطله بعيار العلوي مائة دينار مطوقة ، وأربعة دنانير ، وهو جيِّد غزير[٢])

وقال أيضاً : (بلد حرام من كنانة : ووادي المحرم ، ودعنج ، وعشم معدن ، وقرية حلي العليا . والمحجَّة العليا : ترتفع إلى حلي العليا ، ثم إلى عشم ثم على الليث) . وأورد هذا البيت :

---

(١) : « بلاد العرب » ص ١٠٨ .

(٢) : « الجوهرتين » .

فقنونا فأرض دوقة فالليث. فعشم السّرّين ، فالسرّاء [1]

وقال ياقوت : (عَشَمُ ـ بالتحريك كذا وجدته مضبوطاً ... موضع بين مكة والمدينة ، وقال في كتاب الأمزجة (الصواب : الأترُجّة) : محمد ابن سعيد العشميُّ ، وعشم قرية كانت بشاميّ تهامة ، مما يلي الجبل ، بناحية الحسبة وأهلها فيما أظن الأود(الصواب : الأزد) لأنها في أسافل جبالهم ، قريبة من ديار كنانة . وقال . العشمي من شعراء اليمن قديم العصر في أيام الصُّليحي [2]) .

ويفهم من كلام الهمداني حينما يحدد طريق حجاج اليمن المار بأعلى حلي (حلي العليا) أن معدن عشم يقع شمال وادي حلي بميل نحو الغرب إذ الطريق ينحدر من حَلْي الى جهة الشمال الغربي .وعلى ما ذكر ياقوت ان عشم بقرب الحسبة ، والحسبة هذه لا تزال معروفة تقع شمال ميناء القنفدة ، وتبعد عنها بما يقارب ٣٠ كيلاً .

ويوجد شرق ميناء القنفدة في أعلى وادي قنونا على خط عرض ١٥، ١٩° و ٥٠ ، ٤١° تقريباً ، يوجد آثار معدن هناك وهو يقع شرق الحسبة ولا يبعد أن يكون ذلك هو آثار معدن عشم .

٣٧ — معدن العقيق (عقيق عُقَيل):

يطلق الاسم عقيق على الوادي الذي يعق الأرض بجريانه ، فهو كل مسيل شقه ماء السيل فوسعه ، على ما يقوله اللغويون ثم أطلق الاسم علماً لاودية معروفة في بلاد العرب منها عقيق بني عقيل وينسب إلى هذه القبيلة وقد يسمى عقيق تمرة نسبة الى بلدة تقع في أسفله لا تزال معروفة ويعرف الآن باسم وادى الدواسر ، وكان هذا الوادي يعرف بعقيق جرم ، لانهم كانوا من سكانه قديماً ، وقد ذكر الهمداني معدنه وموقعه .

فقال : (ومنها معدن العقيق ، عقيق جرم ، بين نجران والفلج ، وموضعه صعاد من العقيق ، وهو غزير جداً ، ويسمون القطعة هناك دقة ،

---

(١) : « صفة الجزيرة » ص ١٢٠ و ١٨٨ و ٢١٨ على التوالي .
(٢) « معجم البلدان » .

ولو كان فيها أرطال [1]) .

وقال : (العقيق عقيقان : الأعلى للمنتفق ، وفيه معدن صُعاد ، على يوم أو يومين ، وهو أغزر معدن في جزيرة العرب ، وهو الذي ذكره النبي عليه السلام في قوله :

« مُطِرَت أرض عقيل ذهباً » والأسفل لطيء [2] .

وقال: (ثم العقيق :مدينة فيها مئتا يهودي،ونخل كثير وسيوح وآبار ، ثم الغضا ، ثم الخلّ ، خل الفسوة ، ثم المعدن معدن العقيق ، فما أخذ إلى الهُجَيرة [3]) .

وقال أيضاً : (فأما مراحل نجران إلى العقيق ، فأولها الكوكب ، وهو قَلْت ، ثم الحفر ، ثم ثلاث مراحل ، ثم العقيق ، وسمي عقيقاً لأنه معدن يعق عن الذهب ، وهو لجرم وكندة [4]) .

واذا أمكن الاستدلال بآثار التعدين فان أقرب موقع ينطبق عليه هذا التعدين ، هو ما يعرف الآن بالرّيانية وهو معدن معروف يقع شرق معدن دَحْلات شباب الذي لا يستبعد ان يكون اسم معدن العقيق يشمله أيضاً في الطرف الغربي الجنوبي من عرق الوادي (نفود وادي الدواسر) ولا يستبعد ان تكون الرمال اخفت كثيرا من معالم المعدن واطلاله وهذا يقع على خط الطول ٥٧ ـ ٢٠ و ٠٦ ـ ٤٤

[انظر : م : ٩ و ١١]

مع انه يفهم من كلام الهمداني ان المعدن يقع بين العقيق وبين الهجيرة ، فقد ذكر الخل ثم المعدن معدن العقيق فما اخذ إلى الهجيرة ، والخل هو الطريق في الرمل ، وعلى وصف الهمداني ، فان المعدن لا يقع في الجهة التي

---

(١) : « الجوهرتين » .
(٢) : « صفة الجزيرة » ص ١٧٧ .
(٣) . « صفة الجزيرة » ص ١٥٢ .
(٤) : « صفة جزيرة العرب » ص ١٦٦ .

وقال الهمداني : (الفرع واد يصب في بطن السرداح، وبين شط السرداح وبين القهاد سهب يقال له الملاطيط ، وفي فرعه الثنية ، ثنية سود باهلة، وعن يمينه من دون الثنية ماء يقال له المغيراء ، وقرية عظيمة يقال لها العوسجة ، وهي معدن [1] .)

وقال: (ومعدن العوسجة: من أرض غني، فويق المغيرا، ببطن السرداح[2]).

ويقع معدن العوسجة (يسمى العوسجية) في اقليم العرض القويعية ، شرق (حلبان) وجنوب قرية (محيرقة) يدعه طريق المتجه من صَبْحا (يذبل قديماً) الى القويعية على يمينه ، ويقع شمال معدن (قساس) على خط الطول ٥٧ ، ٢٣° وخط العرض ٠٢ ، ٤٥° أنظر المصور : (رقم ٧)

٤٢ — معدن العَير والعيرة:

قال الهمداني في كتاب « الجوهرتين » : (يقول أصحاب أخبار مكة ان بالعير والعيرة — وهما جبلان بمعلاة مكة — معدناً) . ولم أرَ فيما بين يدي من تواريخ مكة من ذكر هذا . وقد حدد الزبير بن بكّار هذين الجبلين فقال[3] : (العيرة الجبل الذي عند الميل على يمين الذاهب الى منى ، والعير الجبل الذي يقابله ، فهما العـــيرتان اللتان عنى الحارث بن خالد المخزومي) ، ثم أورد شعره ، ومثل هذا التحديد ذكره الأزرقي [4] .

وهذان الجبلان هما الجبلان المتقابلان في أعلى مكة المطـــلان على القصر الملكي الحديث (قصر الملك فيصل) فالعيرة الجبل الذي في سفحه القصر والعير هو الجبل المقابل الذى فوق أعلاه القلعة المرتفعة ، المطلة على تلك الجهـات .

٤٣ — معدن العيصان :

قال الاصفهاني — في وصف طريق حَجْر الى مكة — باختصار — :

---

(١) « صفة الجزيرة » ص ١٤٩ .
(٢) « الجوهرتين » و « صفة الجزيرة » ص ١٥٣ .
(٣) : « العقد الثمين ج ٤ ص ١٤ .
(٤) : « تاريخ مكة » ج ٢ ص ٢٢٣ .

(ثم تجوز ذلك فترد الغُزَيز ، فتأخذ على رملة يقال لها الوركة ، فاذا جزعتها ورَدْت أهْوى ، فاذا جُزْت أهوى فمن ورائها مويهة يقال لهـــا الاسودة ، ثم تجوز فتعبر رملة عظيمة يقال لها جُراد ، فاذا جزت جراد في مكان من حائل يقال له الهلباء – أظنها لنمير وباهلة ،وهي فلاة ،وعن يسارك إذا كنت بأعلى الهلباء مياه لباهلة:جزالا والخنفس ومريفق والعوسجة ، عليها نخيل ، فاذا جزت الهلباء وقعت في وادٍ حَرِج بين صَدَّي جبل ، ثم تجوز ذلك فترد عُكّاشا ، لبني نمـــير ، عليه نخل ، فاذا جُزْتَ عكاشاً وردت العِيصان ، وهو مَعْدِنٌ ، وبه تُجّار ، وهو لبني نمير [1]) .

وقال أيضاً : (والعيصان من حَجْر على مسيرة خمسة أيام أو ستة ، وهو قرية كبيرة ، فيها معدن لبني نمير [2]) .

وقال نصر بن عبد الرحمن[3] : (العيصان : ناحية بينها وبين حَجْر خمسة أيام ، من عمل اليمامة ، بها معدن لبني نمير) .

وقال ياقوت : (العيصان : – تثنية العيص ، قال عمارة : العيص من السدر والعوسج وما أشبهه ، إذا تدانى والتفّ .

والعيصان من معادن بني نمير بن كعب ، قريب من أضاخ البرم ، يكون فيه ناس من بني حنيفة .

وقيل : العيصان : ناحية بينها وبين حَجْر خمسة أيام من عمل اليمامـــة ، بها معدن لبني نمير [4]) .

ان اقرب مكان تنطبق عليه أوصاف هذا المعدن هو الدَّوَادِمي الذي اصبح الآن بلدة ، ويقع بقربه آثار معادن كثيرة منها معدن يقع بجنوبه في موضع يدعى السمرا (سمره في كتاب الثروة المعدنية) ويقع على خط العرض

---

(١) : « بلاد العرب » ص ٣٦٥/٣٧٠ .
(٢) : « بلاد العرب » ص ٣٨٢ .
(٣) : كتاب نصر .
(٤) : « معجم البلدان » .

٢١ – ٢٤° والطول ٢٠ – ٤٤° ، ولا يزال اسم (العويصي) يطلق على الدوادمي ، ويعتزي أهله بقولهم : اولاد العويصي ، وتكثر الحفر التي كانت تستعمل للتنقيب عن المعادن قديماً ويسميها اهل هذه الجهة الآن الفقور الواحد فَقْر ومما يتندربه من كلامهم قولهم عندما يشاهد احدهم هطول المطر مخاطباً صاحبه : (ازبن الفقر عن الخير) أي أدخل في النفق المحفور عن المطر . واسم الدوادمي من الاسماء العربية في اللغة ، وان كان الدوادمنوعاً من الشجر الذي يدبغ به ويرى صديقنا الشهيد عبد القـــادر الحسيني شهيد القسطل في فلسطين – رحمه الله – ان الكلمة عبرية الا انني لا أرى ذلـــك وان كانت العبرية معروفة في العهد القديم في جزيرة العرب لاشتغال الناطقين بها بالصناعة ومنها التعدين وبالتجارة .

[انظر : م : ٧] لتشاهد خمسة معادن تقع بقرب الدوادمي في جنوبه وغربه ، نرى انها كلها يشملها اسم معدن (العيصان) .

٤٤ – معدن عَيْنونا :

قال اليعقوبي في كتاب « البلدان » : [١] (عينونا فيه عمارة ونخل وبه مطالب يطلب الناس فيها الذهب) .

وعينونا بلدة لا تزال معروفة بقرب المويلح بقرب ساحل البحر ، وبقربها مَقْنا بلدة قديمة كتب الرسول ﷺ لسكانها كتاباً ورد ذكره في السيرة .

وعبارة اليعقوبي ليست صريحة بان الناس يطلبون الذهب هناك من معدن فقد يكونون يطلبون في الامكنة الخربة التي كانت من آثار المتقدمين حيث تكثر في تلك الجهة التي هي من بلاد مدين ، وفيها آثار كثيرة لعمران وقبور وكهوف منحوتة وآبار وصخور تكثر فيها الكتابة القديمة ، وقد يكون فيها معادن ، اذ كانت معروفة في القديم بكثرة الذهب كما يوجد في المنطقة كلهـا آثار التعدين بارزة في كثير من المواضع التي بقرب عينونا لا فيها نفسها ، وقد يكون اليعقوبي يقصد البحث عن الذهب من آثار المعادن القريبة من ذلك الموضع .

---

(١) : ص ٣٤٠

٤٥ – معدن عَيْهَم :

وذكر صاحب كتاب « بلاد العرب » وهو يتحدث عن بلاد محارب ، قال (١) : (وذو جوفر وادٍ ، وعيهم معدن ، والراشدية ماءٌ) ، وذكر ياقوت ان عيهم جبل بنجد على طريق اليمامة إلى مكة ، وجزم البكرى بانه في ديار غطفان .

ويفهم من هذه الاقوال ان عيهم يقع في عالية نجد ، ولعل اعدل الاقوال ما ذكره صاحب « بلاد العرب » لأنه في بلاد محارب وفي سوادهم ، ويفهم من كلامه انه يقع في أعلى وادي الجرير (الجريب قديماً) .اما ما ذكر ياقوت من انه على طريق حاج اليمامة ، فلعله يقصد الطريق الايمن الذي يلتقي مع طريق حجاج البصرة ، وهو طريق وسط نجد لا طريق اليمامة الذي يقع جنوبا عن هذا الطريق ، وطريق وسط نجد يدع منهل عفيف على اليسار ، ويرد المحدثة ، وقد ذكر الاصفهاني في « بلاد العرب » منهل المحدث وعمود المحدث وهو جبل ذكره قبل ذكر عيهم بيسير مما يدل على قربه من عمود المحدث.[انظر : م : ٦] .

٤٦ – معدن فران :

يطلق على هذا المعدن اسماء مختلفة، ولعل أشهرها معدن سُليم نسبة للقبيلة التي كان يقع في بلادها في القديم،وهي من هوزان ثم من قيس عيلان ثم من مضر.

ومن أسمائه أيضاً معدن فران ، ويقال فيه فاران ، ولعل هذه التسمية ناشئة عن اسم القبيلة التي كانت تستثمره قديماً وقد أشرنا فيما تقدم إلى أن هذا الاسم (فران وفاران) يطلق على قبيلة من العماليق من العرب العاربة الأولى ثم على قبيلة من قبائل جهينة اختلط قسم منهم بمن يعمل في هذا المعدن واطلق عليهم فيما بعد اسم القيون من قبيل اطلاق هذا اللقب كل من يتعاطى الصناعة عند العرب .

---

(١) : ص ١٨٢ .

وسماه الهمداني في كتاب « صفة جزيرة العرب » معدن المحجة لوقوعه على محجة الحجاج العراقيين إلى مكة أي الطريق الذي كان يسلكه الحجاج قديما.

ويعتبر هذا المعدن من أشهر معادن الجزيرة بل هو أشهرها على الاطلاق .

ولا نستطيع تحديد الزمن الذي بدأ فيه العمل في هذا المعدن ، وان كنا لا نتفق مع ابن سعد في « طبقاته » حينما ذكر انه انفتح في عهد أبي بكر الصديق ، وعنه نقل كثير من المؤرخين المتأخرين ومنهم ابن الأثير [١] الذي قال : (وفي خلافة أبي بكر الصديق انفتح معدن بني سليم ، وكان يسوي في قسمته بين السابقين الاولين والمتأخرين في الاسلام ، وبين الحر والعبد والذكر والانثى ، فقيل له ليقدم أهل السبق على قدر منازلهم ، فقال : انما اسلموا لله ووجب اجرهم عليه ، يوفيهم ذلك في الآخرة ، وانما هذه الدنيا بلاغ) .

وقد يطلق على هذا المعدن اسم معدن بني الشريد [٢] ، وهم من بني سُليم .

وقد كان مشهوراً عند المتقدمين شهرة كبيرة بحيث كانوا يحددون كثيراً من المواضع بالنسبة اليه ومن أمثلة ذلك ما يأتي :

١ — أُبْلى : جبل عند معدن بني سليم [٣] .

٢ — حبيض : جبل بالقرب من معدن بني سليم يمنة الحاج الى مكة [٤].

٣ — خرب : جبل قرب تعار نحو معدن بني سليم [٥] .

٤ — ريّان : موضع على ميلين من معدن بني سليم ، كان الرشيد ينزله إذا حج ، وله به قصور وكان على سبعة أميال منه بينه وبين حاذة صخرة عظيمة يقال لها ريّان .

---

(١) « الكامل لابن الأثير » ج ٢ ص ٤٢٢ ط : بيروت .
(٢) : « وفاء الوفاء » مادة العمق .
(٣) : « معجم البلدان » .
(٤) : « كتاب نصر » و « معجم البلدان » .
(٥) : « معجم البلدان » .

٥ ــ سَبَاح : أرض ملساء بالقرب من معدن بني سليم .

٦ ــ الشَّرَبَّة : قيل هي فيما بين نخل ومعدن بني سليم .

٧ ــ شَرَوْرَى : جبل بين العمق والمعدن في طريق مكة إلى الكوفة[١] .

٨ ــ شعث : قرب معدن بني سليم ، وقيل الشعث وعنيزات قرنان صغيران بين السوارقية والمعدن [٢] .

٩ ــ ظبي : ماء لغطفان لبني جحاش من ثعلبة بن سعد بن ذبيان بالقرب من معدن بني سليم [٣] .

١٠ ــ عزْور : جبل عن يمنة طريق الحاج ، إلى معدن بني سليم ، بينهما عشرة أميال .

١١ ــ عَمَق : علم مرتجل على جادة الطريق إلى مكة بين معدن بني سليم وذات عرق .

١٢ ــ الغرنق ، وقيل غُرنق : ماء بأُبلى بين معدن سليم والسوارقية .

١٣ ــ الموقعة : قال عرام : وحذاء ابلى جبل يقال له ذو الموقعة من شرقيها وهو جبل معدن بني سليم يكون فيه اللازورد كثيراً ، وفي أسفله من شرقيه بئر يقال لها الشقيقة [٤] .

ولا نريد الاسترسال في ايراد الاسماء التي حددت مواضعها بالنسبة إلى إلى المعدن فهذا يطول .

أما تسمية هذا المعدن بمعدن المحجة ، فقد ورد في كتاب « صفة جزيرة العرب » [٥] ، وقد سبق أن أشرنا الى خلط الهمداني بين هذا المعدن وبين غيره فقد حدد معدن المحجة بقوله : (بين العمق وافيعية وهذا ينطبق على

---

(١) « البكري » ص ٤٩٤ .
(٢) « معجم البلدان » .
(٣) « كتاب نصر » و « معجم البلدان » .
(٤) رسالة عرام البكري « معجم البلدان » .
(٥) : ص ١٥٤ و ١٨٥ .

معدن بني سليم كما يفهم من تحديده المسافة الى تلك الجهات حيث قال : (من ذات عرق الى الغمرة ٢٠ ميلاً من الغمرة الى المسلح ١٧ ميلاً ومن المسلح الى الافيعية ٢٨ ميلاً ومنها الى حرة بني سليم ٢٦ ميلاً ومن الحرة الى العمق ٢٢ ميلاً [١] ، وعلى تحديد الهمداني تكون المسافة التقريبية بين معدن بني سليم وبين ذات عِرْق ١١٧ ميل وهي تقارب المسافة المعروفة الآن.

ونكرر القول بأنه وقع في النسخ المطبوعة من كتاب « صفة جزيرة العرب » عدم الفصل بين هذا المعدن وبين معدن العقيق بحيث يتوهم القارىء انهما معدن واحد . والواقع ان ما قصده الهمداني هنا ، هو معدن بني سليم، فهو الواقع بين العمق وافيعية .

ويدل على ان الهمداني غير متحقق مكان المعدن قوله في كتاب « الجوهرتين » : — وهو يذكر معادن نجد الذهبية — : (ومنها معادن محجة العراق ، بين العمق وافيعية ، ولا أدري أهو معدن النقرة في طريق العراق؟ أم هو غيره ؟ أم معدن اسم لا يكون فيه معدن . ومنها معدن بني سليم ، ومعدن فران من ارض بلي) انتهى كلامه . وقد خلط بين معدن النقرة وبين معدن المحجة ، وغاير بين الاخير وبين معدني سليم وفران والثلاثة الاسماء : معدن المحجة ومعدن بني سليم ومعدن فران ، لمسمى واحد .

وقد كان للمعدن شأن عظيم في صدر الاسلام ، كما تقدم في خبر أبي بكر الصديق . ويظهر انه كان في عهد الرسول (ص) قليل الغلة ، وان استثماره وقفاً على أهله من بني سليم كما يدل على ذلك الخبر الذي رواه ابن عبد البر وابن حجر من قدوم أبي حصين السلمي بذهب من معدنه الى رسول الله (ص) [٢] .

ثم في عهد الصديق كثر نيله ، وفي عهد عمر بن الخطاب حصل خلاف بين

---

(١) : « صفة جزيرة العرب » ص ١٨٥ .

(٢) : « الاستيعاب » ج ٤ ص ٤٢ هامش « الاصابة » و « الاصابة » ص ٤٤ .

مستثمري المعدن القدماء وبين بني سليم كما يفهم ذلك مما ذكره البكري[1] .

ولا تسعفنا المصادر القديمة بمعلومات مفصلة عن أحوال هذا المعدن غير اننا نجد انه في سنة ١٢٨ هـ ، كان له عامل خاص يدعى كثير بن عبد الله مما يدل على أهميته [2] .

(١ : « معجم ما استعجم » ص ٢٨ .

٢) : أنظر « تاريخ ابن جرير » وابن الاثير حوادث سنة ١٢٨ ، وانظر « الاغاني»ج٢٠ ص ٩٩ ط : السادس .

ويروي بعض المؤرخين ان هارون الرشيد استخرج منه مقادير وافرة من الذهب [1] .

وللدلالة على قرب هذا المعدن من طريق الحج العراق عثر في الآونة الأخيرة على حجر بقربه عثر عليه السيد (ك . س . تويتشل) — المعدن الاميريكي المعروف (أنظر صورة الحجر المنقوش ، وفيه كتابة مؤرخة سنة ٣٠٤ هـ ، عن اصلاح الطريق) .

ولا نطيل الحديث عن هذا المعدن ، فقد عرف بعد أن قام السيد تويتشل باجراء تنقيب عن المعادن لسنة ١٩٣٢ ، وبدىء في استثماره من قبل شركة مساهمة ، تألفت سنة ١٩٣٤ (باسم نقابة التعدين العربية السعودية) وندع الحديث للسيد تويتشل في الموضوع قال :

(إن شروط اتفاقية الامتياز تمنح الحق للنقابة لاجراء البحث لمدة سنتين في منطقة بمساحة الجزر البريطانية لاختيار المنجم أو المناجم التي ترغب النقابة في استغلالها واستثمارها التجاري . ومن دراسة أحمـــد فخري في الكتب القديمة في مكتبات مكة والمدينة ، وقراءتي مؤلفات لريتشارد بيرتون والرواد العرب الآخرين وطيراني ٤٠٠٠٠٠ ميل بطيارتنا بلانكا (سكيروكيت) ذات السطح المفرد ، وبعد فحص الأرض بوساطة أربع فرق ، عثرنا على مواقع خمسة وخمسين منجما قديماً حفرنا سبعة منها بالماس ، فكان الفشل حليفنا ، فيما عدا منجما واحداً من هذه السبعة تبين ان مساحته كبيرة ، وذات قيمة تشجع على الانشاء والتزويد بجهاز التعدين ومعالجة المعادن. واطلق على هذا المنجم اسمه القديم (مهد الذهب) . اما إذا كان هذا الاسم يدل دلالة صادقة أو غير ذلك على قيمته فهذا ما ستكشف عنه الأيام . كان العمل جارياً في هذا المنجم في عهدين مختلفين في العصور القديمة كما تشير إلى ذلك بقايا النفايات القديمة . وهذه النفايات ملقاة تحت النفاية الحديثة. وعمر الحديث منها يرجع إلى سنة ٧٥٠ — ١١٥٠ بعـــد الميلاد كما تدل على ذلك الكتابة

---

(١) انظر جريدة ام القرى — عدد ٣٥٢ — تاريخ ٢٨ / ٤/ ١٣٥١ .

الكوفية المحفورة التي وجدت بينها. ولا توجد دلائل إلى الآن تشير إلى تقرير العهد الصحيح للنفايات السفلية ، ولا يوجد هنالك أيضاً ما يدل على مدى الوقت الذي كان فيه العمل جارياً في كليهما أو فيما إذا وجدت هنالك أية عهود جرى العمل فيها غير ما ذكرنا . وعلى ما يظهر من الحفريات القديمة في جبل المنجم ومن النفايات أيضاً ربما كان من غير الممكن ارجاع هذه إلى عهد الملك سليمان . وهنالك رواية أن منجم (أم قريات) —١٤ ميلا عن الوجه — كان يعمل في التعدين فيه رجال الملك داود أبو الملك سليمان . وبما أن أعمال مهد الذهب هي أوسع ما رأيت في البلاد العربية أو في السودان فيظن أنه ربما كان هذا المنجم مورد ذهب الملك سليمان . وقد يصح أن يطلق عليه (منجم الملك سليمان) .

كان للذهب في زمان القديمة العهد جدا قيمة شرائية أكثر بكثير منها في الوقت الحاضر . وعلاوة على ذلك ربما كان معظم رجال التعدين من العبيد الذين يشتغلون للحصول على ملء بطونهم فقط ، وعلى مأوى حقير ضيق لعملهم الذي كانوا يمارسون ، وربما لم يكن يظل رؤوسهم ويحميها من الشمش المحرقة الا ظل بسيط ، كما انهم كانوا يعملون بدون اية ادوات تساعدهم في هذا العمل المرهق . وعلى ذلك لم يكن بالامكان القيام بالعمل إلا في المواسم الممطرة . ثم يشغل العمال في أي جهات اخرى ، ولا بد اذن من ان هـذه الاشغال كانت تدر دخلا وافراً وربحاً عظيما في الوقت الذي لا يتطلب العمل فيه الادوات الثمينة العصرية والموظفين الفنيين .

كان من شروط الامتياز تأليف نقابة عند انتهاء مدة السنتين : وبما انه لم يستثمر الا منجم واحد فقط فقد تقرر بموافقة الحكومة السعودية أن تقوم النقابة مقام الشركة ، وبموجب الاتفاقيـــه خصص ١٥ ٪ من سهام الشركة للحكومة العربية السعودية . كأجر عن ملكية المنجم بالاضافة الى ضريبـة ٥ ٪ من قيمة جملة المعادن المتحصلة والمدفوع مصاريفها عنها. وعلاوة علىذلك يجب طرح ١٠ ٪ من السهوم لرعايا البلاد العربية السعودية وللحكومة ، فاشتريت معظم هذه الاسهم ودفع ثمنها . واذن تملك الحكومة ورعاياها حوالي ٢٥٪ من

الفوائد والمسؤوليات التي تساهم بها الشركة ، فمساهمه البلاد والحكومة في استثمار الموارد الطبيعية واشراك الامريكيين والانجليز والكنديين في ذلك يعتبر مثلا رفيعاً في مجال التعاون الدولي .

ان منجم مهد الذهب فريد في أن به ثلاثة اصناف من التبر ، فتأتي النفايات التي ذكرناها اولا . ثم ان هنالك كمية معينة من درجة رديئة منثورة على السطح بين الحفريات القديمة صار تعدين الكثير منها الى الآن بوسائل الحفر الرخيصة التكاليف . وهنالك البئر التي تقع تحت سطح الارض والتي جرى التنقيب عنها بالثقب الماسي على عمق آلاف من الاقدام ، وقد جرى الحفر والتوصل اليه بواسطة ممرات ومقاطع معروفة على عمق يقرب من ثلاثمائة قدم من السطح .

ولقد اعترضت معالجة النفايات القديمة بآلات بعض المشاكل الفريدة في نوعها ، ويحتوي مركب التبر على سلفيد النحاس والرصاص والزنك والحديد مختلطا ببعر الابل والماشية وفضلات الانسان ، وبالفحم المنتشر من بقايا وقود نيران البدو في خيامهم ، كل هذه العناصر تداخلت خلال الف السنة الماضية فشكلت كثيرا من المصاعب المجهولة في عمليات التصفية وتأثير السيانيد . ويرجع الفضل في تذليل العقبات هذه الى رحى المنجم الكبيرة ، والى كل ما كان يقوم به (جون ف. بارك) في ادارته الرشيدة والى جهد موظفي المنجم ونشاطهم ، والى مساعدات شركة « امركان سملتنج اند رفيننج » Smelting and Refining و « شركة امريكان سيانميد » . وان ضرورة العمل في التبر اضطرت البلاد السعودية لتوريد دعائم العوامات ورواسب السيانيد فقط ، وهذ تشحن الى مصانع الصهر العظيمة في (نيوجرسي) ذلك لان الالات الضخمة جداً هي التي بمقدورها فقط ان تفرز مختلف المعادن وتجعلها بشكل مقبول في الاسواق .

وتشير الادلة الواضحة الى ان المنجم لا بد ان يغدو ذا فائدة جلى للبلاد السعودية . فالفوائد المباشرة تأتي من جراء توزيع الفوائد على الحكومة وعلى أكثر من سبعين مساهما سعوديا ، ومن ضريبة الحكومة البالغة ٥ ٪ ، وكذلك

من صرف الرواتب والاجور الى الف موظف مباشرة في الشركة أو مرتبط بمصالح معها واما الفوائد غير المباشرة فهي قيمة ايضاً ، وتشمل رسوم الجمرك البالغة ١٠ ٪ وما يستخرج محلياً من جير وما يورد من أطعمة وامـــدادات متنوعة أخرى) .

[من بقايا الرُّحيّ (جمع رَحى) القديمة التي كان المتقدمون يستعملونها لطحن تراب المعدن عن كتاب تويتشل]

ونلاحظ ان ما ذكره السيد تويتشل من ان هذا المعدن يعرف قديماً باسم مهد الذهب لا نجد له دليلاً فيما بين يدينا من الكتب التاريخية ، ولعل أصل الكلمة (معدن) فحرفت بطريق اللفظ الافرنجي إلى مهد ، وكلمة مهد في اللغة العربية تطلق على المرتفع من الارض او المنخفض منها فهي من الاضداد الا ان الميم مضمومة .

وقد سار العمل في استثمار هذا المعدن ، وتكونت هناك بلدة عرفت باسم المهد وكثر السكان في تلك الناحية في اول الامر الا انه تبين اخيراً ضآلة ما يستخرج من الذهب من ذلك المعدن . بدرجة صارت لا تفي بما يصرف في سبيل استثماره من نفقات وهذا ما حمل على ايقاف العمل فيه منذ بضع سنوات.

ولا تفوت الاشارة الى ان تلك الناحية وهي من بلاد بني سليم تكثر فيها المعادن أنظر : م : ٦] .

٤٧ — معدن فرَع المِسْوَر

قال السمهودي :

(وفي القبلية موضع يدعى فَرع المِسْور — نسبة إلى المسور بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري . نقل الزُّبير بن بكار عن محمد بن المِسْور، انه كان بفرع المسور ، قال : فرآى فرّاسٌ المُزَنيُّ جبلاً فيه عروق مَرْو ، فقال : إن هذا لمعْدن ، فلو عملْتُهُ . قال محمد : فقلت : مالك وله ؟ إنما هو لنا أنبعنا مياهه ، وأقطع لنا سائره أبان بْنُ عثمانَ في إمارته : فقال المُزني : عندي أحقُّ من ذلك : قطيعة رسول الله ﷺ. قال محمد:فرجعت إلى [المسور بن] ابراهيم فذكرت له ذلك . فقال : صدق ، إن يكن معدنا فهو لهم ، أقطع لهم رسول الله ﷺ معادن القبلية غورها وجَلْسِيَّها ، يشير إلى حديث . أقطع رسول الله ﷺ بلال بن الحارث المَزَني معادن القبلية غورها وجَلْسِيَّها ، وذا النُّصُب ، وحيث يصلح الزرع من قدس[1]

هذا كلام السمهودي ويظهر انه نقله عن الهجري ، وان لم يصرح بذلك . وهذا المعدن هو من معادن القبلية التي سيأتي الكلام عليها، وموقعه في طرف السلسلة الجبلية العظيمة الواقعة بين المدينة وبين ينبع ، وهو في الجهة المقابلة للمدينة في الجبال المعروفة الآن باسم الفجرة [أنظر : م : ٥]

---

(١) : « وفاء الوفاء »

أحاديث :

حول تراثنا المبعثر في مكتبات العالم

- ٧ -

ونعرج في هـــذه الأحاديث اليوم إلى قسم من بلادنا العربية ، يضم من نفائس الشيء الكثير ، ولكنه مهمل ومبعثر ، تلك البلاد نعني بها (اليمن السعيدة) كما كانت تسمى في العصور الجاهلية ، والسعادة يظهر انهـــا صفة نسبية ولا نكلف أنفسنا عناء البحث فيها اذ لا نريد الخروج عن موضوعنا .

مما يذكر فيشكر للدولة المسيطرة على تلك البلاد انها حفظت وحافظت على جزء كبير من ذلك التراث ، وفيه ما لايتفق مع اتجاهاتها وميولها،ولكن الرغبة في الحفاظ على أصول التاريخ والأدب كانت بدرجة من القوة لدى من لهم نفوذ وسلطة في تلك البلاد جعلته يرعون للعلم ذماماً ، ويحفظون لأهله حرمة ومكانة مهما كانت آراؤهم مما سنتحدث عنه فيما بعد ولنبدأ بالحديث عن كتاب الف في عصر متأخر لعالم جليل هو من علماء القسم الغربي الجنوبي من تلك البلاد هو العلامة القاضي جمال الدين ابو محمد الطيب ابن عبد الله بن عمر بامخرمة العدني الحضرمي الشافعي ، من مؤلفات هذا العالم الجليل كتاب في تاريخ عدن حافل شامل ونسخته الخطية الكاملة توجد في مكتبة البلدية ، في مدينة الاسكندرية وله مختصرات في غيرها من المكتبات ، وقد طبع أحد المستشرقين منه مقتطفات تتعلق بتاريخ عدن [1] طبع بمطبعة في مدينة ليدن (هولندة) سنة ١٩٣٦ .

وهناك كتاب آخر لأبي مخرمة على درجة كبيرةمن الأهمية ولكنه لم يحظ بمن ينشره وكان إلى عهد قريب في أحد خزائن الأئمة الزيديين ، ولا ندري ماذا فعل الله به الان ، هذا الكتاب هو كتاب «النسبة إلى المواضع والبلدان»

---

(١) Aden Im Mittelal ter - von Oscar Lofgren

ويعتبر فريداً في بابـــه اذ لا نعرف ثانياً في موضوعه ، قال في مقدمته بعد الخطبة : (وبعد فان كتابي هذا جمعته لنفسي ولمن ينتفع به من بعدي ، وسبب جمعي له انني وقفت على كتاب في الانساب إلى القبائل والاباء، وتطلعت نفسي إلى الانساب إلى البلدان ولم أقف فيه على كتاب يخصه ، ثم انني وقفت على مسودة للقاضي مسعود ابن سعيد بن أحمد بن شكيل الأنصاري الخزرجي، ذكر فيه جملة من البلدان ، مقتصراً على ذكر البلد ووصفها وبعض من ينتسب اليها من العلماء والرؤساء المشهورين ، ولم يتمه بل وصل فيه إلى آخر حرف (الراء) ثم ذكر بعد ذلك في حروف متفرقة من كل بلد أو بلدين ، فهممت باتمامه وتبييضه ، ففقدت النسخة المذكورة مدة طويلة ، فشرعت في جمـــع شيء من ذلك حاذياً حذوه ، في الضبط والتبيين . فجمعت من ذلك جملة صالحة أخذت غالبها من تاريخ القاضي ابن خلكان ، ولم يكن عندي منـه نسخة تامة ، بل أجزاء متفرقة ، وأخذت بعض ذلك من « طبقات السبكي الكبرى » ومن « تاريخ الفاسي » ومن « تاريخ الجندي » غالب ذلك ، ثم اني رأيت ذلك قليل الجدوى والنفع، فضممت اليه من ينسب إلى تلك البلدة من المحدثين المشهورين وغيرهم لاحتياج قارىء الحديث ، وطالب الفقه إلى معرفة ذلك، وإن كان ثمة من يشبه نسبه نسب من ينسب إلى تلك البلدة، وهو منسوب إلى غيرها اما بلدة أخرى أو إلى أب أو قبيلة بعينها، وعمدتي في ذلك كتاب « ما اتفق لفظاً واختلف وضعاً » للشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي وكتاب « تبصير المنتبه بتحرير المشتبه » للحافظ أبي الفضـــل ابن حجر ، وأكثر اعتمادي على الثاني لالتزامه الضبط باللفظ بخلاف الأول ، فانه اكتفى بضبط القلم ، وقد أخل به النساخون ، مع أن النسخة التي وقفت عليها من الكتابين المذكورين كثيرة السقم والتحريف ، إلا اني بلغت جهدي في تحقيق ذلك من كتب اللغة « كالقاموس » للمجد الشيرازي و « تكملة الصحاح » للامام الصغاني وما ألفه ابن نقطة أو الفرضي ، أو ابن ماكولا أو الخطيب وما من غير الكتابين المذكورين عزوته إلى قائله . ثم ظفرت بمسودّة القاضي مسعود فنقلت منها أشياء لم أكن ذكرتها ، وما نقلته منه عزوته إليه . وحيث أطلقت الحافظ كذكر الحافظ أو قال الحافظ فأردت به الحافظ أبا الفضل

شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، وحيث طلقت (الزوائد) فالمراد ما زاده الحافظ بن حجر في « التبصير » على كتاب الذهبي . وحيث قلت : كذا في الكتابين ، فالمـــراد كتاب الذهبي وكتاب ابن حجر المتقدم ذكرهما . وحيث قلت : قالا — بالتثنية — أو قال الحافظان فالمراد الذهبي وابن حجر ، وهذا حين الشروع بالمقصود ، ثم شرع في إيراد الأسماء المنسوبة إلى المواضع على طريقته المشروحة ، وألف كتاباً ضخماً يقع في قرابة ٢٥٨ صفحة بالخط الدقيق ، مرتباً على الحروف من الألف إلى الياء . وأكمل ذلك الكتاب .

والنسخة التي اطلعنا عليها من هذا الكتاب منقولة عن أصل المؤلف نقلها كاتب من صنعاء في سنة احدى ومئة والف ثم نسخها كاتب يمني يدعى احمد ابن علي اليماني في عهد متأخرهو سنة ١٣٣١ الا ان النسخة جيدة وقال الناسخ الاخير (وقد ابلغت الجهد في التحري والمراجعة لبعض اصـــول الكتاب للتصحيح حسب الامكان وفي بعض الهوامش كلمات يستدرك بها على المؤلف او يذكر نصوصاً من بعض الكتب أو عناوين لما يريد ان يلفت اليه انتباه القارىء. ولحسن الحظ فقد وصلت نسخة مصورة من هذا الكتاب إلى كاتب هذه الاحرف بطريق صديقه المغفور له الاستاذ فؤاد عمارة امين المخطوطات بدار الكتب في القاهرة المتوفي في رمضان ١٣٨٧ بعد ان ذهب الى اليمن في رحلته الثقافية لتصوير نوادر مخطوطاتها .

٢ — ومن ذخائر المكتبة اليمنية ونعني بها ما وجد في بـلاد اليمن من تراثنا الجدير بالنشر دون ان نعرف الآن الموقع الصحيح لذلك التراث، كتاب « شرح القصيدة الدامغة » .

ويحسن ان نمهد للبحث بكلمة موجزة عن مؤلف هذا الكتاب لسان اليمن الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني، ويعرف بابن الحائك، وهو عالم لولا علمه لما عرفنا الكثير من اخبار اليمن انه هو صاحب كتابي «صفة جزيرة العرب» و « الاكليل » هذا العالم ولد كما يفهم من كتابه «سرائر الحكمة» سنة ٢٨٠هـ

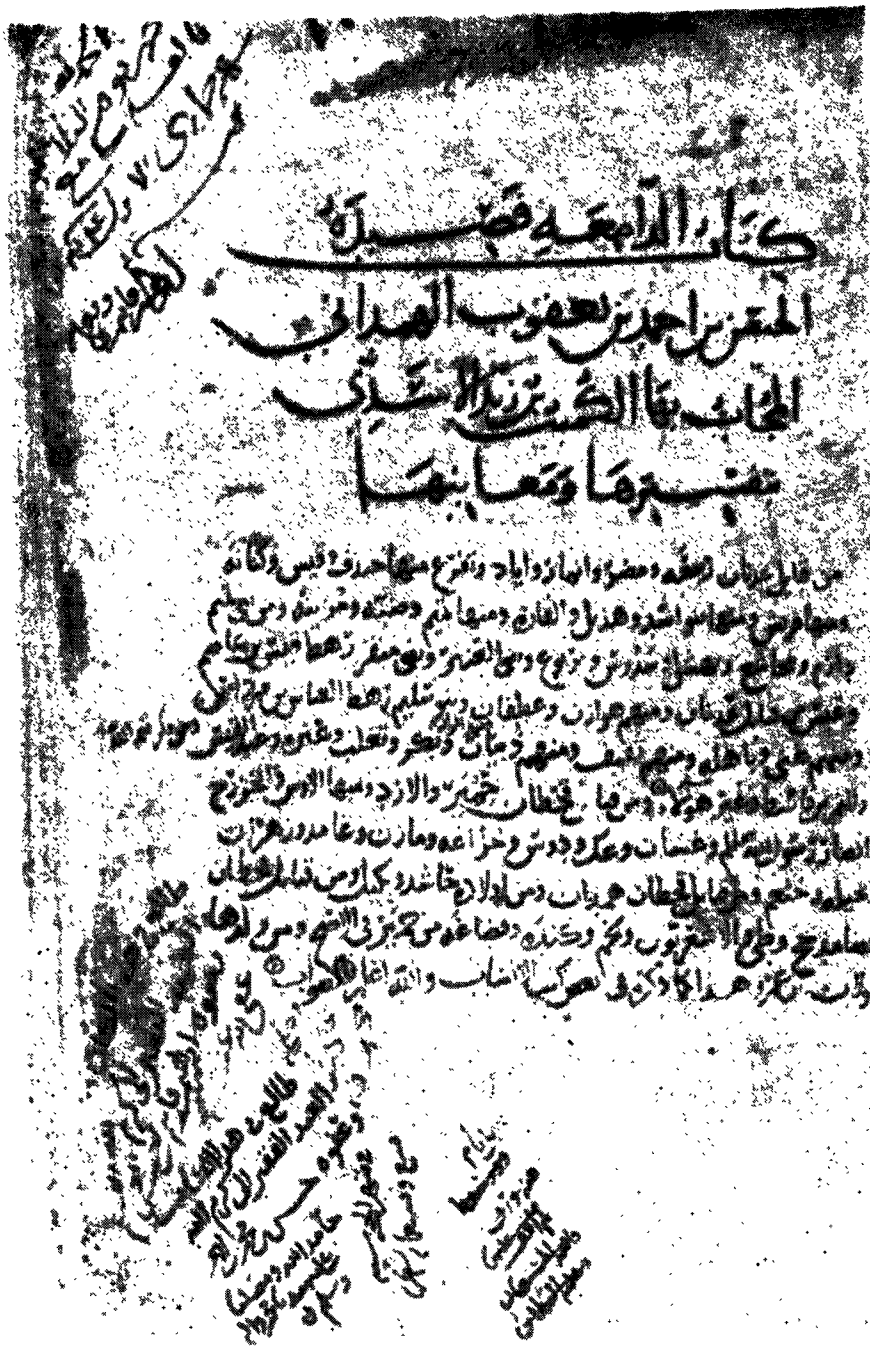

[طرة كتاب « شرح الدامغة » نسخة خزانة الامام يحيي]

وعاش إلى ما بعد سنة ٣٣٤ ، عاش حقبة من الزمن ، كان يتنازع حكم اليمن فيها ثلاث فرق :

١ – الفرقة الزيدية بزعامة الامام الهادي وبنيه .

٢ – القرامطة الذين لهم صلة بالدولة الباطنية في مصر وليس لهم صلة بقرامطة البحرين في شرق الجزيرة .

٣ – بعض الأمراء المحليين الذين من أشهرهم آل يُعْفر بضم الياء وكسر الفاء من حمير وأمراء آخرين من أهل اليمن، هذا الهمداني كان قحطاني الهوى والنزعة لأنه همداني قحطاني متعصب غاية التعصب ، ومن جراء ذلك لاقى الشدائد بعد أن قوي نفوذ الأئمة الهادويين الرسيين المنتسبين إلى آل الرسول (ص)، وكان من أثر ذلـــك ان قامت مشاحنات بين هؤلاء وبين شعراء الأمراء المحليين المناصرين لأمراء البلاد من أهلها الأصليين من حِمْير وغيرهم ، فانضم الهمداني إلى هذه الفئة من الشعراء فقام سوق التفاخر بين القحطانيين والعدنانيين وتحركت النعرات والعصبيات القبلية ، وكان من أثر ذلك أن نظم الهمداني قصيدة نونية عارض بها قصيدة الكميت بن زيد الأسدي التي هجا بها قحطان ومدح معداً وسمى الهمداني قصيدته (الدامغة) . ونرى في بعض الكتب زيادة في الاسم: (على معد والفرس) وفي هذه القصيدة بصرف النظر عن موضوعها أدب جم وعلم غزير ، وقد شرحها الهمداني نفسه كما يفهم من كلام نشوان ابن سعيد الحميري حيث قال في « شرح القصيدة الحميرية » عند نسب الملك الرائش : وقد نسبه الهمداني في « الاكليل » وقد خالفه ولده محمد بن الحسن ابن أحمد الهمداني في تفسير قصيدة ابيه المعروفة بالدامغة – إلى أن قال: وقيل انه فسر قصيدته ونسب تفسيرها إلى ولده ، والله أعلم بذلك [1] .

أما الذي حملني على الجزم بان الشرح للهمداني نفسه وليس لابنه فهو ما في ذلك الشرح من نصوص تدل على عصر الهمداني وشيوخه وما فيه من معلومات تدل على سعة الاطلاع عرف بها الهمداني لا ابنه .

---

(١) « شرح القصيدة الحميرية » نسختي الخطية .

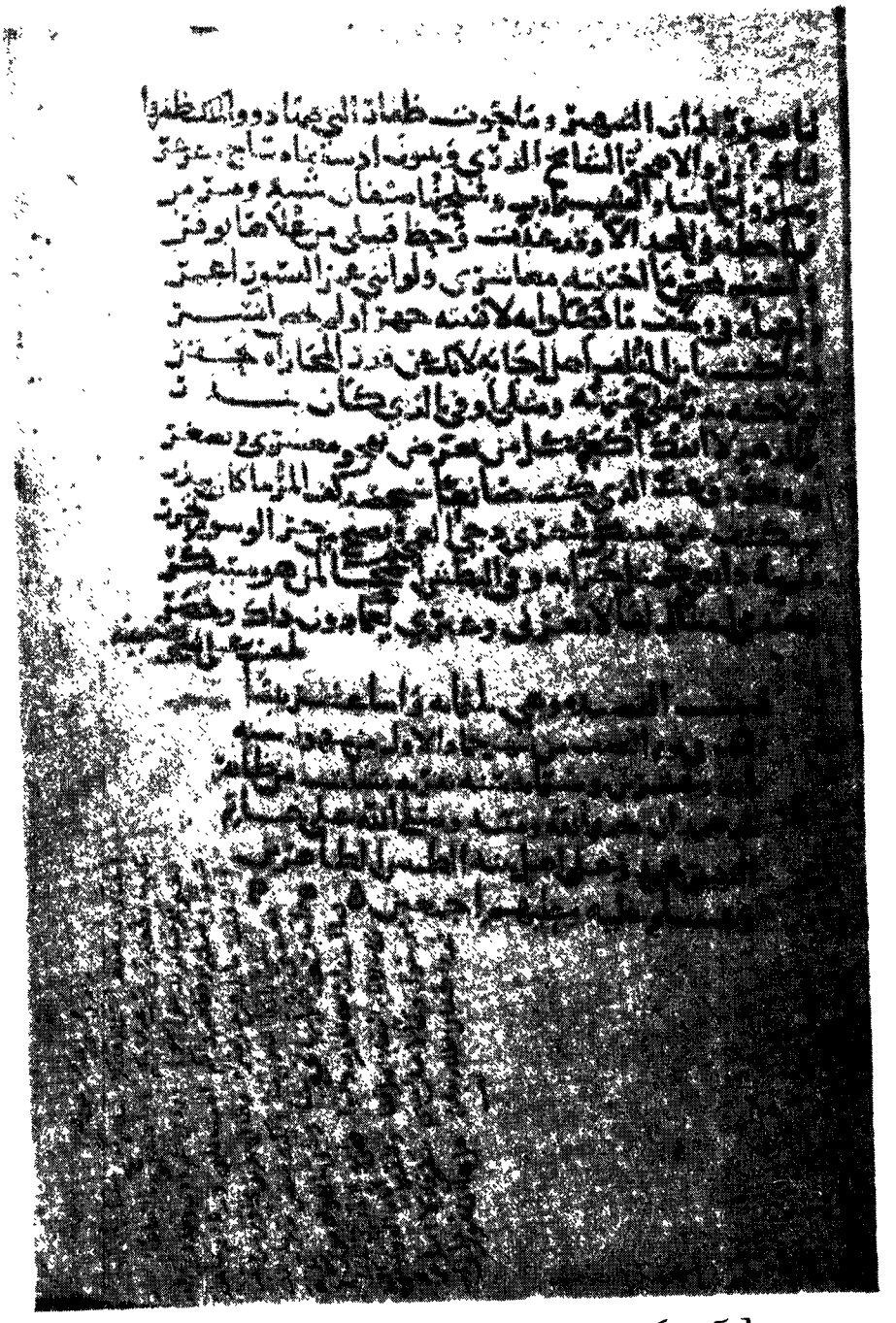

[آخر كتاب « شرح الدامغة » المخطوط سنة ٦٢٣]

قبيلة جهينة

- ١٦ -

ونجد جهينة في صدر الاسلام قد انتشرت انتشاراً عظيماً في بلاد مصر ، واستمرت تنمو وتتكاثر حتى أصبحت أكثر القبائل في الصعيد عدداً ، قال المقريزي [١] : (جهينة قبيلة عظيمة وهي من قبائل اليمن من قضاعة ، وهي أكثر عرب الصعيد وكانت مساكنهم في بلاد قريش – يعني بلاد الأشمونيين ، فأخرجتها قريش بمساعدة الخلفاء الفاطميين فنزلت في بلاد أخمين أعلاها وأسفلها . وروي أن قبيلة بلي وبطونها كانت بهذه الديار وجهينة بالأشمونيين جيرانا بمصر ، كما كانوا في الحجاز ، فوقعت بينهم فتنة ، فلما خرج العسكر لانجاد قريش على جهينة خافت بلي فانهزمت إلى أعلى الصعيد إلى أن أديلت على قريش وملكت دار جهينة ثم حصل بينهم الصلح وزالت الشحناء وقال [٢]: (ثم اتفقت بلي وجهينة فصار لبلي من جسر سوهاي غرباً إلى قريب غرب

من هذا الكتاب نسخة كانت موجودة في مكتبة الأمام يحيى بن حميد الدين – رحمه الله – ورقمها ٢٨٩ تاريخ وعدد أوراقها ١٨٤ بمقاس ٢٤ × ١٧سم ومضاف اليها قصيدة في بيان أسماء الشهور عند حمير – سنتحدث عنها حديثاً آخر – والنسخة مخطوطة في (النصف من شهر جمادى الأولى من شهور ٦٢٣ في قرية مسلت من ظاهر بلد همدان) وهذا الشرح ناقص حيث بقي في القصيدة ما يقرب من ٢٦ بيتاً لا يوجد شرحها ، والقصيدة كاملة موجودة في آخر الجزء الثاني من « الاكليل » اختصار محمد ابن نشوان الحميري في النسخة البرلينية ، وقد الحق بالشرح قصيدة رائية لا صلة لها بالشرح

للبحث صلة

---

(١) : « البيان والاعراب عما بارض مصر من الأعراب » ص ٣٢ .

(٢) ص ٢٩ .

قمولة وصار لها من الشرق من عقبة قاو الخراب نواحي البداري بمديريـــة أسيوط) .

وقال الهمداني [1] : (وهم أكثر عرب الصعيد بالديار المصرية ، ولهم بلاد منفلوط وأسيوط ، وبها أقوام منهم ، وكانت مساكنهم أولاً ، بلاد قريش يعني بلاد الأشمونيين ، فنقلهم الخلفاء الفاطميون منهـــا إلى بلاد أخمين ، فسكنوا أعلاها) .

وقال الدكتور عبد المجيد عابدين [2] : (وجهينة من أول العرب الذين دخلوا مصر أرسلهم عمر بن الخطاب فاستقر معظمهم في وادي النيل غير أن بعضهم أقام في الصحراء ، ثم جاءت بلي فسكنت الصحراء الشرقية ، فزحفت جهينة جنوباً إلى السودان ، وما يزال بالصعيد عدد من رجال جهينة يعيشون على الساحل الصحراوي لدشنا .

وفي مركز فاقوس بمديرية الشرقية قرية قديمة تسمى دوار جهينة ، نسبة إلى جماعة من عرب جهينة يقيمون بها .

وفي مديرية القليوبية في مركز شبين القناطر بـــلدة تسمى نزلة عرب جهينة) .

جهينة في بلاد السودان :

بعد انتشار قبيلة جهينة في مصر وبلوغها من القوة درجة تجعل حـكام البلاد يناوئونها العداوة ويحاولون اضعافها ويناصرون عليها القبائل الأخرى ، انساح قسم كبير منها إلى البلاد المتصلة بمصر ، ويقول ابن خلدون [3]: (جهينة ما بين ينبع ويثرب إلى الآن في متسع من برية الحجاز ، وفي شماليهم إلى عقبة ايلة مواطن بلي ، وكلاهما على العدوة الشرقية من بحر القلزم ، واجـاز منهم

---

(١) : « نهاية الأرب » ص ٢٢٢ و « قلائد الجمان » ص ٤٤ .

(٢) : « البيان والاعراب » : حاشية -

(٣) : كتاب « العبر » ج ٢ ص ٢٤٧ الطبعة الاولى بمصر .

أمم إلى العدوة الغربية ، وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة، وكاثروا هنالك سائر الامم . وغلبوا على بلاد النوبة،وفرقوا كلمتهم ، وازالوا ملكهم وحاربوا الحبشة ، فارهقوهم إلى هذا العهد) .

ومن اوفى ما كتب عن جهينة في تلك الجهاتما كتبه الدكتور عبدالمجيد عابدين في كتابه « دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيـــل » وسنكتفي بتلخيص بعض ما جاء في ذلك الكتاب ، اذ هو المصدر الوحيد الذي وصل الينا وافياً في موضوعه قال [1] :

(يخبرنا ابن خلدون أن جهينة انتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة . وكاثروا هناك الأمم وغلبوا على بلاد النوبة ، ولتفصيل هذه العبارة المجملة نذكر ان دخول جهينة السودان كان على دفعات وفي ازمان مختلفة .

فقد رأيناهم ايام ابن طولون يغزون النوبة الشمالية وبلاد البجة .

ورأيناهم في أرض المعدن يعملون مع ربيعة في وقت مبكر ، منذ القرن الثالث الهجري .

وفي عام ٦٨٠ (١٢٨١ م) تنازعت جهينة ورفاعة في صحراء عيذاب ، ورفاعة من جهينة غالباً .

ويشير الدكتور عابدين إلى ما ذكره المقريزي [2] من انه في شهر رجب سنة ٦٨٠ كانت وقعة في صحراء عيذاب بين عرب جهينة ورفاعة ، قتل فيها جماعة ، فكتب الشريف إلى علم الدين صاحب (سواكن) بان يوفق بينهم ولا يعين طائفة على اخرى خوفاً على فساد الطريق) . والمقصود بالطريق هنا طريق الحج من المغرب والسودان ومصر وتلك الجهات فقد كان الطريق يمر بعيذاب إلى البحر لميناء جدة .

---

(١) : ص ١٤٩

(٢) : « السلوك » ج ١ ص ٧٠٠

وقال الدكتور عابدين :

(وفي عام ٧١٧ (١٣١٧ م) طارد المماليك عرب بريـــة عيذاب حتى بلغوا سواكن ، وإذا عرفنا أن جهينة انتشروا منذ عهـد الفاطميين شرقي الصعيد الأعلى إلى عيذاب أدركنا أن جهينة كانوا يتمثلون في عرب برية عيذاب هؤلاء بنصيب غير قليل .

ثم جاءت معارك المماليك مع جهينة والعركيين وأحلافهم في الفترة التي بين ٧٤٩ و ٧٥٤ هـ وأدت إلى لجوء كثير منهم إلى أطراف بلاد الزنج - كما يقول ابن أياس ، — وبلاد الزنج هي بلاد الصومال في اصطلاح العرب القديم.

ومن هنا ندرك أن جهينة قـــد دخلت السودان في موجات متعددة ، واتجه معظمها من طريق وادي النيل إلى الشرق حيث بلاد البجة وساحل البحر الأحمر ، واكتظت بهم المنطقة الواسعة التي تأخذ من حلفا الحالية إلى شمال غربي الحبشة ، وكان لهم أثر قوي في الضغط على مملكة النوبة المسيحية الشمالية ، مملكة المقرة ، حتى أزالوها ثم تدفقوا إلى الغرب ، ثم إلى الجنوب، فشغلوا بقاعاً مترامية من السودان ، تمتد من الشرق إلى الغرب .

أما العركيون فهم يدخلون في التقسيم الحالي في مجموعة جهينـــة ، وهم جماعات يسكنون قرى الجزيرة ، بين النيلين الأبيض والأزرق ، ومنهم فئات ما زالوا بغرب السودان .

واقدم من عرف عنهم (من العركيين من جهينة) في تاريخ السودان كانوا في أوائل القرن العاشر الهجري (السادس الميلادي) .

واول من حمل لواء الزعامة الروحية في السودان منهم ثلاثة :

١ — الشيخ دفع الله بن مقبل بن نافع العركي (عاش حوالي ١٥٥٠ م) وهو جد جماعة ابي حراز في الجزيرة ، يقول عنه ود ضيف الله مؤلف كتاب الطبقات : ونسبه مشهور بالعركي ، نسبة الى عرك قبيلة معروفة .

ولأولاده الخمسة : حمد النيل ، وعبدالله ، ومحمد ، وابي بكر، والمجذوب

شأن في نشر الثقافة الاسلامية في السودان ، وفي منطقه الجزيرة بنوع خاص.

٢ ـ الشيخ محمود بن محمد العركي (عاش حوالي ١٥٢٠ م) ولد بالنيل الابيض ، وتلقى العلم في الازهر على الشيخ الناصر اللقاني والشيخ شمس الدين اللقاني ، ثم ارسل سلطان « الفونج » في طلبه من مصر ولما قدم بنى له قصراً يعرف الآن بقصير محمود ، بالقرب من النيل الابيض ووفد عليه ٤٠ الف طالب ، وانتشرت العلوم على يديه ، وعلم الفقه على مذهب الامام مالك .

٣ ـ الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن نافع العركي (عاش حوالي ١٥٧٠م) وكان احد اجداده من الاشراف الذين تصاهروا إلى العركيين ، وقد أنشأ الشيخ « بلدة الفقراء » في الجريرة في السودان ، وتوارث احفاده تعاليم الدين في هذه البلدة إلى اليوم .

وقال أيضاً [١] (ولم تقف جهينة مكتوفة الأيدي ازاء المماليك فقد أسهمت في المقاومة بنصيب .

وفي عام ٧٤٩ هـ نشب نزاع بين عَرَك وبني هلال وتدخل المماليك في هذا النزاع ، وما لأوا بني هلال ، وقتل عدد كبير من المماليك وامرائهم في هذا الحادث وكان هذا ايذانا بحرب عنيفة بين المماليك والعركيين وحلفائهم .

اما عَرَك فهي بطن من جهينة ، كانوا في بلاد العرب في الشمال الغربي منها ، ومن جبالهم الحُتّ (وذكره ياقوت في مادة القبلية من معجم البلدان) ثم انتقلوا مع جهينة إلى الصعيد الأعلى .

واستمرت حركة المقاومة خمس سنوات أو أكثر ، (٧٤٩/٧٥٤ هـ) بزعامة محمد بن واصل الحركي ، الملقب بالأحدب ، وعظم امره فعقد امراء المماليك المشورة في عام ٧٥٤ ، وقرروا تجريد العسكر لعرب الصعيد .

وقامت معارك بين العركيين وحلفائهم وبين المماليك قتل فيها من الجانبين خلق كثير ، وطردوا العرب الى بلاد السودان، حتى لم يسبق بدوي في صعيد

---

(١) : ص ١٢٨

مصر ، ووصف ابن اياس نهاية المعركة فقال : (ثم ان الأمراء مشوا وراء العربان الذين هربوا مسيرة سبعة ايام ، حتى دخلوا اطراف بلاد الزنج ، ثم رجع الأمراء والسلطان الى الديار المصرية) .

وصفوة القول ان جهينة في الفترة التي بين ٦٩٨ و٧٥٤ ، كان لها نصيب وافر في المقاومة، وان هذه الحركة انتهت بهجرة كثير منهم الى بلادالسودان.

وأضاف الدكتور عبد المجيد عابدين [١] (ومن الممكن ان نربط بين هذه الأحداث وبين ما ذكره ابن خلدون من قوله : وانتشروا —أي جهينةوبلى— ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة ، وكاثروا هنالك سائر الامم ، وغلبوا على بلاد النوبة ، وفرقوا كلمتهم ، وازالوا ملكهم ، وحاربوا الحبشة ، فأرهقوهم إلى هذا العهد — انتهى ولفظ الحبشة هنا اصطلاح جرى عليه المسعودي وغيره للدلالة على بلاد السودان بمعناها العام) .

ونكتفي بما تقدم من الحديث عن انتشار قبيلة جهينة في السودان ، ولا يفوتنا ان نشير إلى ما جاء في كتاب « معجم القبائل العربية » للاستاذ محمد عمر رضا كحالة من قوله [٢] (وأهم ذكر لجهينة في نسب السودانيين انهم وصلوا إلى نيّف وخمسين قبيلة على النيـــل الازرق واستقر بعضهم في الجزء الممتد من الجنوب إلى كردفان ودارفور) ، وقد ذكر الدكتور عبد المجيد عابدين في كتابه [٣] الآنف الذكر رجوع كثير من أهل السودان باصولهم إلى القبائل العربية واوفى الموضوع حقه ،وذكر ان البقارة والكبابيش ينتسبون اليوم إلى جهينة ، ولكنهم في واقع الامر احلاف تجمعت على فترات وتألفت من بطون أهمها جذام وجهينة والهوارة وهلال واحلاف اؤلئك) .

للحديث صلة

---

(١) : ص ١٣١

(٢) : ج ١ ص : ٢١٦

(٣) : ص : ١٤٧

ديوان جميل

ديوان جميل

وامتعتها لحظات بمطالعة هذا الشعر السهل السمح لجميل بن معمر العذري الذي عاش في القرن الأول الهجري ، وعرف بجميل بثينة العذرية ، وبنو عذرة كانت منازلهم في شمال الحجاز إلى أطراف بلاد الشام .

وقد أخرج الدكتور حسين نصار هذا الشعر في طبعته الثانية على درجة من الصحة والاتقان والكمال قل أن نجد مثلها في كثير من دواوين شعرائنا القدماء مما نشر ، وليس بدعا من علامة واسع الاطلاع عميق المعرفة كالدكتور نصار مثل هذا العمل،وهو المتمرس فيه حقبة طويلة من الدهر بما أبرز لنا من نفائس تراثنا القديم .

وكلمتنا حول هذا الديوان لا تعدو المشاركة في البحث مشاركة نريد منها الاعتراف بفضل المحقق الجليل وتجاذب الرأي حول هذا الديوان في أمور لا لا تمس الجوهر ، وهي تنحصر في أمرين :

١ ــ محاولة التثبت من صحة نسبة الشعر بطريقة معرفة موطن الشاعر ، وهذا أمر رأينا الأستاذ الجليليشير اليه من آخر الديوان عند تحديد المواضع.

٢ ــ والثاني حول تعريف القدماء وتحديدهم للامكنة ، والحق الفاضل عول عليهم في تعريف المواضع التي أوردها في آخر الديوان بعنوان:(كشاف باسماء المواضع المذكورة في شعر جميـــل وتحديدها) . وحسن فعل اذ لا ممدوحة في هذا دون الرجوع إلى أقوال المتقدمين . وكلمتنا تنحصر في هذين الأمرين ، وهي كلمة كما قلنا لا تعدو جانب المباحثة التي يقصد من ورائها الوصول إلى الحقيقةفلقد عرض لنا أثناءمطالعة ما كتبهالعلامة الجليل الدكتور حسين ما دفعنا إلى مشاركته البحث .

١ – ذوو الاجفر

أورد الدكتور هذا النص وهو منقول عن القدماء : (ذو الاجفر موضع بين فيد والخزيمية بينه وبين فيد ستة وثلاثون فرسخاً نحو مكه) .

وأقول ذو الأجفر المحددهنالا يزال معروفاً (الأجفر) وفيه قرية وهو تابع لاقليم جبلي طيء المعروف الآن باسم (المنطقة الشمالية) في المملكة العربية السعودية ويقع على خط العرض ٢٨، ٣٧° وعلى خط الطول ٤٣° شرقاً . ويقع بالنسبة إلى فيد في الشمال الشرقي، إذ فيد يقع على درجة العرض ١٠ ، ٢٧° ودرجة الطول ٣٠، ٤٢° . والمسافة بينه وبين فيد لا تتجاوز ٦٠ كيلاً (كيلومتر)، وهذا يقارب ٤٠ ميلاً ، ومعروف أن الفرسخ ٣ أميال فالمسافة كما حددها المتقدمون = ٣٦ × ٣ = ١٠٨ ، وهي لا تتفق مع الواقع ، يضاف إلى هذا ان كثيراً من المتقدمين يفهم كلامهم أنه بعد فيد إلى مكة ، والأمر بعكس ذلك .

أما بيت الشاعر ونصه :

اتنسين أيامنا باللوى وأيامنا بذوي الأجفر

فيفهم منه انه لا يقصد الأجفر الذي عرفه الاستاذ الدكتور ، وأين بلاد بني عذرة الواقعة غرب الأجفر بميل نحو الشمال بمئات الأميال عنه ، يظهر أنه قصد مكانا موصوفاً لا علماً محدداً .

٢ – أوْل :

قال الدكتور في تعريفه : (واد بين الغيل واكمة على طريق اليمامة إلى مكة ، وواضح بعد هذا الموضع عن ديار عذرة ولذلك يبدو أن ياقوتاً على حق في نسبة البيت إلى نصيب) . وأقول : أول تردد اسمه كثيراً في الشعر القديم وهو في بلاد غطفان ، ولا يزال معروفاً وفيه قرية ذات نخل ، ويقع شرق حرة ، وهو جبل عظيم فيه واد يسمى بهذا الاسم أيضاً ويقع في الطريق بين ضرغد وبين الغزالة ، على خط الطول ٤٠ ، ٢٦° وخط العرض الشرقي ٤٥ ، ٤٠° .

وهذا الموضع يبعد كثيراً عما أورد الدكتور والذي نقل انه يقع بين أكمة والغيل . ان ذاك يقع في منطقة تعرف قديمـــاً باسم (الفلج) بفتح اللام ، وتعرف الآن باسم الأفلاج في جنوب عارض اليمامة ، وهو لا يقع على طريق حاج اليمامة لأنه يقع في الشرق ، والحاج يتجهون غرباً . أما الموضع الأول فهو لا يبعد عن بلاد بني عذرة لوقوعه في بلاد غطفان وهم مجاورون لعذرة .

٣ — بنيان :

قال الدكتور: (موضع لم يحددهالبكري وقال ياقوت قرية باليمامة ينزلها بنو سعد . وطبيعي ان هذه القرية بعيدة عن ديار عذرة ويبدو أنها بضم الباء كما يستنتج في كلام ياقوت).

وأقول : أرى ان الاسم مصحفا ولا أدري ما هو ولكن القرية التي ذكر ياقوت انهـــا من منازل بني سعد لاتزال معروفة ، وهي (بَنبان) بالباء المفتوحة بعدها نون ساكنة ثم باء موحدة تحتية مفتوحة بعدها الف ثم نون ، هذا هو الضبط الصحيح لاسم هـه القرية الواقعة شمال مدينة الرياض بمسافة تقارب الـ ٤٠ كيلا في واد يطلق عليه هذا الاسم ، وقد ورد ذكر هذا الاسم كثيراً في الشعر ، إلا انه جاء في كثير من كتب اللغـة والادب والمواضع مصحفاً تصحيفات مختلفة .

٤ — قـرَن :

جاء تعريفه : (جبل هو ميقات أهل نجد في الحج) .

وأقول الميقات هو قرن باسكان الراء ويسمى قرن المنازل وورد في الشعر كثيراً ، أما ما ذكره جميل فهو محرك الراء وأراه موضعاً آخر غير الميقات .

٥ — قوّ

جاء تعريفه : (واد بعقيق بني عقيل على مقربة من المدينة) .

وأرى في هـذا التعريف المنقول عن البكري أكثره ، أرى فيه غلطاً .

والبكري – رحمه الله – لا يصح التعويل على كتابه ما لم يؤيده مصدر آخر لكثرة التصحيف والتحريف فيه ، وقوّ هذا يقع في شرق نجـــد في شماله وعقيق بني عُقيل يقع في أقصى جنوبه وشتان بين الموضعين . عقيق بنيعقيل يعرف الآن باسم واد الدواسر ، ويعرف قديماً باسم عقيق تمرة أيضـاً ، وهي قرية لا تزال معروفة فيه ، وهذا بخلاف عقيق المدينة وبخلاف العقيق الكبير الذي منه يحرم أهل العراق للحج . والعقيق كما هو معروف ليس واديـــاً واحداً بل أودية معروفة .

٦ – المحصَّب :

(المحصب موضع فيما بين مكة ومنى وهوإلى منى أقرب وحده منالحجون ذاهباً إلى منى وهو موضع رمي الجمار في الحج) .

هذا التعريف مأثور عن القدماء ولكنه خلط بين موضعين كل واحد منهما يسمى المحصب ، ويظهر أن اتصافهما بصفة واحدة هي وجود الحصباء في كل واحد منهما مع تقاربهما هو الذي سبب الخلط بينهما . ان المحصب يقع قديماً بطرف مكة في أعلى واديها من الحجون فصاعداً ، وهو الموضع الذي نزل فيه الرسول ﷺ والذي ورد فيه رأي بعض العلماء عن التحصيب . أما الموضع الثاني فهو محصب منَى الواقع في أسفله الموالي لمكة وفيه الجمرة التي ترمى،وورد هذا في الشعر قديماً،ومعرفة الموضعين تغني عن الاستشهاد بأقوال المتقدمين .

٧ – ورقان :

(خففه جميل باسكان الراء : جبل أسود بين العرج والرويثة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة قال عرّام بن الأصبغ : ومن صدر من المدينـــة مصعداً فأول جبل يلقاه من على يساره ورقان وهو جبل عظيم أسود كاعظم ما يكون من الجبال ينقاد من سيالة إلى المتعشّى) .

أقول : ينطق هذا الجبل الآن كما ورد في شعر جميـــل باسكان الراء لا

بكسرها لما ضبطه كثير من المتقدمين ، قال جميل :

يا خليليَّ إن بثنة بانت يوم ورْقان بالفؤاد سبيا

غير أن أهل تلك الجهات يخرجون القاف من مخرج قريب من مخرج الجيم ، فيظن السامع يقولون : (ورجان) وهكذا كتب في بعض المصورات الجغرافية ، وهم يكسرون الواو وهذا الجبل كما وصفه عرّام ، إلا أن التعريف الذي سقناه آنفاً فيه تناقض ، فأوله وصف موقع الجبل عن يمين المصعد من المدينة وآخره عن يساره ، ولكن التعريفين صحيحان ، فمن سلك مع الطريق العام المعروف في صدر الاسلام يجعل الجبل عن يساره ومن سلك مع طريق آخر يدعى طريق الماشي ومنه قدم الرسول ﷺ حين هاجر يجعله عن يمينه ويلتقي الطريقان في الجيّ بعد نزول القادم من طريق الماشي من ثنية الغائر ، ويتجهان إلى مكة . ومثل هذا الايضاح لا بد منه لئلا يظن من لا يعرف الجبل عدم صحة التعريف المتقدم .

٨ -- ينبع :

جاء تعريفها : قرية (عن يمين رضوى لمن كان منحدرا المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى وعلى سبع مراحل من المدينة . -- انتهى التعريف -- .

وأقول : ينبع بلاد واسعة تحتوي على قرى كثيرة أوضحناها في كتابنا عن « بلاد ينبع » وليس اسم قرية ، وينبع لا تزيد المسافة بينها وبين المدينة على أكثر من ثلاث ليال بسير الابل لا سبع مراحل وأعتقد أن في التعريف المتقدم تحريفاً ممن نقل رسالة عرام قديماً . والأمر في وضوحه أضيق من أن يحتمل الاطالة .

وما هذه الكلمات اليسيرة سوى اشارات قصد منها البحث مع استاذنا العلامة الجليل الدكتور حسين نصار الذي خدم هذا الديوان خدمة جديرة بالتقدير والاعجاب .

حمد الجاسر

من نفائس "الخزانة الزركلية":

- ١ -

ديوان الشيخ محمد عياد

(١٢٢٥ - ١٢٧٨)

تحفل مكتبة علامتنا الجليل الاستاذ خير الدين الزركلي صاحب «الاعلام» بنفائس من الكتب مخطوطها ومطبوعها القديم ، واستاذنا سمح النفس لين الجانب، كريم في كل ما له صلة بالعلم، بل في كل شيء يدخل في حدود الكرم المحمود ، ولهذا فمكتبته العامرة يعتبرها الباحثون حقاً مشاعاً لكل طالب علم ، وهذا ما جعلنا نطلع فيها على كثير من النوادر القيمة من تراثنا الضخم ، مما سنتحدث الى القراء عن بعضه ، ومن ذلك ديوان شعر لعالم من علماء القرن الثالث عشر لا يزال مخطوطاً ، وهو في حد ذاته قد لا ينظر اليه الباحثون نظرة ذات قيمة كبيرة ، من الناحية العلمية ، الا ان صلته ببلادنا تحملنا على الحديث عنه ، وهي صلة وإن لم تك قوية وكاملة ،غير انها قد تفيد فيجوانب تعتبر مجهولة .

ذلك هو ديوان الشيخ محمد عياد الطنطاوي المولود في سنة ١٢٢٥ هـ . والمتوفى سنة ١٢٧٨ هـ ، الموافق ١٨١٠ م ١٨٦١ م ، ويحسن أن نرجع الى استاذنا الزركلي في كتابه « الأعلام » لنعرف هذا الرجل : انه هو محمد عياد ابن سعد بن سليمان بن عياد المرحومي نسبة الى محلة مرحوم في غربية مصر ، وكان أبوه منها . وقد ولد هذا الشيخ الجليل في قرية تدعى نجريد من أعمال طنطا ، وتعلم في الأزهري حتى تمكن من الناحية العلمية بدرجة تؤهله لأن يكون مدرساً في ذلك المعهد العلمي الاسلامي العظيم مدة نجهلها ولكن جهلنا

اياها لا يحول بيننا وبين إدراك قوتها،بحيث اتصلت معرفته بعلماء الاستشراق خارج القطر المصري ، مما كان حافزاً لدعوته لكي يتولى تدريساللغة العربية في (معهد اللغات الشرقية) بمدينة (بطرس برج) التي عرفت فيما بعد باسم (لينغراد) في سنة ١٢٥٦ هـ . واستمر في التدريس فيها الى أن توفي سنة ١٢٧٨ أي ما يقارب ٢٢ عاماً . واتصاله بهذه المدرسة كان السبب لصلته بالعالم الخارجي حيث استفاد من علومه بعض المستشرقين من الروس وغيرهم. ومن تلاميذه الأوفياء المستشرق الفنلندي الأصل (فالن G . Wallin).

وكان هذا المستشرق من رعايا قيصر الروس فحصل على منحة من جامعة (هلسنغفورس) للقيام برحلات إلى بلاد فارس والعراق وسورية ثم الى بلاد نجد[1] .

وقد سافر هذا المستشرق إلى بلاد نجد برفقة ثلاثة من بدو الشرارات ، فزار وادي السرحان ووصف بلدة هذا الوادي ثم مر بالجوف واصفاً له وصفاً دقيقاً ، واتى بعده إلى حُبّة ثم مدينة حائل فوصفها وصفاً دقيقاً ثم عاد إلى هذه المدينة مرة أخرى ماراً بها إلى الفرات ، وبعد ذلك أصبح استاذاً في جامعة (هلسنكي) متضلعاً بكثير من الصفات التي تؤهله لمثل هذا المركز مما لا نطيل بذكره فهو خارج عن موضوعنا .

ولقد بلغ من وفـــاء هذا التلميذ الغربي لاستاذه الشرقي ان قام فيما بعد بترجمة ما جرى بينه وبين استاذه من مراسلات طبعها مترجمة إلى اللغة الاسوجية.

ولقد الّف الشيخ محمد عياد كتباً أكثرها للتدريس منها « منتهى الآراب في الجبر والميراث والحساب – خ » و « الحكايات العامية المصرية – خ » و « مسودات لتاريخ العرب » – خ » و « احسن النخب في معرفة لسان العرب – ط » و « تحفة الأذكياء ، باخبار بلد روسيا – خ » وحواشي وشروح في « العقائد » و « النحو » و « الصرف » و« العروض » و«منظومة في البيان » .

---

(١) : « اكتشاف جزيرة العرب » ص ٢٧٢ وما بعدها .

وكان لهذا العالم صلة قوية بعالم آخر ذي أثر قوي بحياتنا الأدبية هو الشيخ أحمد عارف حكمت بن ابراهيم عصمت بن اسماعيل رائف باشا الرومي الحنفي المولود سنة ١٢٠٠ هـ المتوفى سنة ١٢٧٥ هـ ، والمعروف بشيخ الاسلام ، مؤسس المكتبة المعروفة في المدينة والتي كانت تعتبر من خير المكتبات في الدولة العثمانية ولا تزال تحوي نفائس من المخطوطات والنوادر المطبوعة مما ينظمها في سلك المكتبات العامة الضخمة ، وشيخ الاسلام عارف حكمت غني عن التعريف ومكتبته شاهد عيان على ما أسداه لبلادنا من يد بيضاء تذكر فتشكر ، لقد اتصل هذا العالم الجليل بالشيخ عارف حكمت صلة كان من أثرها ان سجل طرفاً من ذلك في ديوانه الذي طالعناه مخطوطاً في مكتبة شيخنا الخير الزركلي مما لم يرد ذكره في مؤلفاته .

وقد القينا نظرة على هذا الديوان كان من أثرها كتابة هذه الكلمة :

يقع هذا الديوان في ٤٥ ورقة مخطوطة في ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٧ هـ ، أي قبل وفاة صاحبه بعام واحد ، وتلك الورقات تقع في ٩٠ صفحة في الصفحة الواحدة ٢١ سطراً مصدراً بمقدمة جاء فيها (أما بعد فإن صدر الدولة العثمانية .. قد أقام ساق العلم وسوقها .. ثم اني كنت ممن استظل برايته .. وأقمر هلالي بشمسه ، وأثمرت جناني من غرسه ... وأمرني أن أضمن هذا المجموع ما سنح بخاطري — إلى أن قال : وسميته « تلاقي الأرب، في مراقي الأدب » — يقول ناقل هذه الدرر : محمد عياد : وها أنا أنظمها في في سلك الترتيب ، طلباً للتسهيل والتقريب ، واخترت من طرقـــه حروف المعجم ، لأنه أحسن وأسهل وأقوم ، وقد لويت عنان اليراع نحو هذا الشان، حيث أجازني — حفظه الله — بعد الاستئذان : حرف الألف) : ثم أورد قصائد ومقطوعات على هذا الحرف ، واستمر بايراد بقية الاشعار مرتبة على الحروف الباء — التاء — وقال في هذا الحرف : (قال في ديار الحجاز ، وفي غرر هاتيك الايام ، آخى ارتضاع ثدي المحبة بيني وبين فاتح البيت الحرام ، الشيخ محمـد الشيبي ، فحفظ عهد شهادتي وغيبي ، ووافقته في بعض خصاله الحميدة ، فارسلت له على البعد هذه القصيدة ، وهي مطرزة باسمه :

أسعد أخيٌّ ، بساعد العطفات نحو الأحِبَّةِ ، مُورِياً زفرات

ثم أورد أبياتاً يتكون من أول حروفها اسم الممدوح .

ومما أورده في حرف التاء قوله : (ولما طلعنا من البحر المالح ، إلى قلعة الوجه ، في طريق الحجاز ، وأمطرت علينا الدنيا بَرَداً ، عند وصولنا الى البَرّ ، قلتُ :

لما طلعنا من الملح الأجاج إلى ملاحة « الوجه » نبغي حسن طلعته
حيَّا الغمام بِفَرش الأرض منْ بَرَدٍ لأجلنا حالِباً . البانَ طلَّته

ثم استرسل في إيراد مقطوعات من الشعر على حروف المعجم في المدح والغزل ، وغيرهما من أوجه الشعر ، ومنها (ملغزا مع أمين الزللي :

حيّ الفقيه إمام الوقت سائله إيضاح ما منه فهو الجفن سائله

إلى آخر مقطوعة تقع في ٨ أبيات .

ومعروف أن أمين الزللي من أدباء المدينة ، ويظهر أن هذا الديوان يحوي مقطوعات وقصائد من شعر عارف حكمت ، وفيه مقطوعات وقصائد لجامعه محمد عياد .

وفيه اشارات كثيرة إلى علماء ذلك العصر ، كالشيخ حسن القويسني والشيخ الفرماوي والشيخ العروسي والشنواني ، والأنباسي ومشاهير ذلك العصر ، مثل عبد الله باشا والي عكّا ، وذكر حربه مع أعدائه ، في قصيدة رقيقة مطلعها :

جَلبَ الهوى بالرقمتين بريقُ وأمالني غُصنٌ هناك وَريقُ

كما يضم الديوان قصائد في مدح عارف حكمت ، وغيره ، بحيث يحار الناظر فيه ، هل هو لعارف أو لمحمد عيّاد ، مع أنه أورد فيه قصيدة في مدح مرتب هذا المجموع أولها :

أتراه يدنو ، وهو أبعدُ قاصي ؟

وفي الديوان قصائد نظمت في عَكّا في سنة ١١٦٥ حيث ارخ ذلك ببيتين من الشعر . ومن الطف ما في هذا الديوان من الشعر قصيدة حائية قال عنها : (وقد سماها بعض اخواننا وهو الشيخ عبد الله أبو النور : « شم الرياحين ، في ذم الفلاّحين » وهي هذه :

أترك وجوها لاتريكَ سماحا ... واحفظ لدينك ، لا تكن فلاّحا
واجعل فِراقَ بني الفلاحة متجراً ... لهداك واعلمْ أن فيه رباحا
إن السعادة أن تفارق أرضهم ... أفمن شَقي ، كمن استراحَ ،وراحا
فاهجر منازلهم ، وباعِدْ بينهُمْ ... أرخِ الزمام ، ولو ترىَ شياحا
إن لاحَ مجمعُهم لعينِكَ لاترَى ... إلاّ وجوهاً عابسينَ(؟) قِباحاً
مُتَدافعينَ على السفاهَةِ أشبهت ... أنفاسهم فوقَ التلول (!) رياحا
متنافِرين ، فلا يؤلف بينهم ... متباغضين ،على القليل ، شحاحَا
إن يعلموا بضلالة ونصيحةِ ... يبغوا المُضلّ ،ويبغضوا النُصّاحا
إن تطلُب الحكامُ ظلماً مالهُمْ ... يُعطوا النفوسَ ،ويبذلوا الأرواحا
وإذا يكون لديهم في مالهم ... حقّ ، فدينهُمُ يَسُوءُ صَبَاحَا
فكأنّما الكِرباجُ رغماً رَبّهُمْ ... إذ طاوعوه ، وخالفوا الفتاحا
إن كانَ فلاّحاً ذِراعُكَ بُتّه ... من قاطعَ الفَلاّحَ ، نال فلاحا
وأعمدْ لرحمانِ الأنامِ مُهاجِراً ... ليحيلَ هِجرة عَبدهِ إصلاحا

ثم قال : (وقد شطر هذه القصيدة الفاضل أخونا الشيخ اسماعيل الغريبي وسَمّاه : « ضمُّ الألاحين ، إلى شمّ الرياحين » — ثم أورد التشطير .

والواقع أن ما وصف به الفلاحين غير صحيح ، ولم نورد هذه القصيدة إلا لكونها من خير ما في الديوان من شعر ، إذ أغلب أشعاره متكلفة ، وهذه القصيدة تعتبر طريفة في موضوعها من حيث النظم ، لا من حيث المعنى ، وقد ضم هذا الديوان مقطوعات شعرية ليست لصاحبه بل منها ما هو من نظم شيخ الاسلام عارف حكمت ومن نظم غيره وفيه قصائد في مدح عارف حكمت وفي

في ذمة التاريخ :

الأمير مصطفى الشهابي

رئيس "المجمع العلمي العربي" بدمشق

[فقدت الأمة بفقد العلامة الأمير مصطفى الشهابي رئيس « المجمع العلمي العربي » بدمشق ـ مجمع اللغة العربية ـ الذي توفي في الشهر الماضي – فقدت علماً من أعلامها البارزين ، الذين أثروا في حياتها الثقافية أبلغ الأثر ، بما قاموا به من أعمال خالدة و «العرب» وقد فاتها الحديث عن الراحل الكريم – عن غير قصد – إبان وفاته تتدارك ذلك بايراد مجمل ترجمة حياته] .

الامير مصطفى الشهابي من مواليد (حاصبيا) من قرى جبل حرمون في وادي التيم المعروف بجبل الشيخ ، ولد في اول تشرين الثاني سنة ١٨٩٣ م . وهو ابن الامير محمد سعيد بن الامير جَهْجاه الشهابي . من الامراء بني شهاب المخزوميين القرشيين الذين دخلوا الشام مع الفتح الاسلامي وحكموا حوران حتى سنة ٥٦٨ . درس في دمشق واسطنبول ثم سافر الى فرنسا ، فالتحق بالمدرسة الزراعية الوطنية في جرينيون وحصل على شهادة مهندس زراعي ثم عاد إلى وطنه حيث تقلب في عدة مناصب حكومية ذات شأن .

كان مديراً لأملاك الدولة الخاصة في سورية ، وهي بضع مئات من القرى ، فتبنى مشروع توزيعها على الفلاحين دون غيرهم لخلق الملكيات الزراعية الصغيرة.

مدح عبد الله باشا والي عكا كما فيه من الشعر ما يتصل ببعض ادباء بلادنا مثل أمين الزللي المدني وغيره .

وبالاجمال فالديوان في مجموعه يصور جانباً من حياة ذلك العصر الذي عاش فيه صاحبه .

ونطلب المستحيل حينما نريد من أناس عاشوا في غير عصرنا أن تتلاءم افكارهم مع افكارنا ، ولكننا نعدو الحقيقة إذا أردنا بناء حياتنا الأدبية على غير أسس وجذور قديمة مهما كانت قوتها ومهما بلغت من حيث الصحة أو الضعف .

وهو الذي أنشأ دار الكتب الوطنيـــة في مدينة حلب ودار الكتب الوطنية في مدينة اللاذقية ، عندما كان فيها محافظاً ، وكان أميناً عاماً لرئاسة مجلس الوزراء ، وسفير لسورية في مصر ، وتقلد منصب وزير في أربع وزارات فكان وزيراً للمعارف والزراعة والعدل والمالية .

وهو من الوطنيين المشهورين بالدعوة إلى القومية العربية وإلى استقلال البلاد العربية ووحدتها ، ويعد في الشام من رجال الرعيل الأول في الوطنية ، ويعد فيها من العلماء الذين أغنوا اللغة العربية بالمصطلحات العلمية ، ومن كبار الكتاب المفكرين الذين لهم تأثير في نهضة الشام العلمية والأدبية .

حصل على عدة أوسمة علمية وغير علمية منها الوشاح الأكبر مع الرصيعة من وسام النيل ، واشترك في كثير من المؤتمرات ، وألقى عديـداً من المحاضرات في العواصم العربية .

وفي سنة ١٩٢٦ انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق وفي سنة ١٩٥٦ انتخب نائب رئيس للمجمع المشار اليه . وفي سنة ١٩٥٩ انتخب رئيساً له بعد وفاة المرحوم خليل مردم . ثم في سنة ١٩٦٣ تجدد انتخابه رئيساً لمدة أربع سنوات .

ثم انتخب عضواً في « مجمـــع اللغة العربية » سنة ١٩٤٨ ، مراسلاً ، ثم عامـلاً .

قال عنه العضوان اللذان رشحاه لعضوية مجمـــع اللغة العربية في التقرير المعتاد ، وهما المرحوم الدكتور أحمد أمين والمرحوم الدكتور منصور فهمي : (ان الشهابي وضع معجماً علمياً في الألفاظ الزراعية والنباتية . وان له بحوثاً تاريخية وأدبية وعلمية شتى ، وان له ولعاً بلغة العرب) .

وقال الدكتور أمين المعلوف عن لغة الشهابي في مؤلفاته الزراعية : « ما كتبت الزراعة باصلح منها منذ صدر الاسلام » .

وله عدة مؤلفات في ثلاث نواح لنشاطه : الناحية الأولى ، وهي أهمها في

العلوم الزراعية ومصطلحاتها العربية ، والثانية في القومية العربية والاستعمار، والثالثة في أدب المقالة والمحاضرات الأدبية والعلمية وأشهر مؤلفاته الأولى :

١ ـ معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية وقد قضى نحو عشرين سنة في تمحيص الفاظه العربية الصحيحة بمراجعة المعاجم العربية ، وكتب الزراعة والحيوان والنبات القديمة ، وكتب فقه اللغة ، وقرارات المجمع العلمية المبنية على القياس ، وذلك لوضع اصلح الكلمات العربية او المعربة « المقابلة » لنحو عشرة آلاف كلمة فرنسية . ومن بين هـــذه الكلمات نحو ثلاثة آلاف من وضع المؤلف .

وقد طبع المعجم سنة ١٩٤٣ في دمشق ثم طبع سنة ١٩٥٨ في القاهرة طبعة ثانية منقحة ومزيدة وهو في بابه المرجع الوحيد لمؤلفي المعجمات والكتب العلمية الحديثة والفاظه معرفة بالعربية تعريفاً علمياً موجزاً .

٢ ـ كتاب الزراعة العملية الحديثة .

٣ ـ كتاب الأشجار والأنجم المثمرة .

٤ ـ كتاب البقول .

٥ ـ كتاب الدواجن (دواجن الحيوان أي الخيل والماشية)

٦ ـ « معجم المصطلحات الحراجية » بالانجليزية والفرنسية والعربية، مع تعريفاتها بالعربية . وهو يشتمل على الف مصطلح . وقد نقل الشهابي المعجم الى العربية بطلب من منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة (فاو) وهو فريد في بابه ، طبعه المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٦٢

٧ ـ كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، وهي محاضرات القاها سنة ١٩٥٥ على (طلبة معهد الدراسات العربية العالية) التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة ، وطبعها المعهد المشار اليه .

وهو من المراجع التي يرجع اليها واضعو المصطلحات ومحققوها، وقد اعيد طبعه بدمشق سنة ١٩٦٥ .

٨ ـ اخطاء شائعة في الفاظ العلوم الزراعية والنباتية ، وكلمات مولدة

(البقية على ص ٩٥٨)

مَعَ ٱلقُرَّآءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

[يرد إلى مجلة « العرب » كثير من الرسائل ، وهي رسائل لها في نفس القائمين على المجلة مكانة ترتفع عن درجة اهمال أية رسالة كانت في أي موضوع كان ، وخاصة إن أغلب تلك الرسائل يدور حول المجلة وما يجب ان تكون عليه لكي تحظى من قرائها بالتقدير ويجدون منها بعض ما يتطلعون إليه من فائدة ، ولو التزمت المجلة بالكتابة عن كل ما يصل إليها في كل جزء من أجزائها لاستلزم هذا حرمان كثير من الباحثين من نشر ما قد يفضلون نشره والقارىء ـ أياً كان ـ يجب أن تقوى صلته بمجلته ، وهذا يدعو إلى الاستماع لكلمته أية كلمة كانت،ثم محاولة اقناعه حول ما يبديه من رأي، وهذا ما تسير عليه المجلة في حدود استطاعتها وضيق نطاقها ، ولهذا فقد نضطر إلى تأجيل الاجابة أو التعليق حول ما يكتب إليها تأجيلاً خارجاً عن إرادتها ، ولكنها مع ذلك تحاول ألا تهمل أية كتابة تصل إليها،وهي تأمل من القارىء الكريم أن يكون رحب الصدر فيما لو لم ير مبادرة من المجلة للكتابة حول ما أبداه من رأي .]

● ـ حول المجلة :

كتب أخ كريم ملاحظات حول المجلة نجملها فيما يلي :

١ ـ ذكر رقم الجزء والمجلد في ظاهر غلاف كل جزء تيسيراً للقارىء .

٢ ـ عدم تجزئة الأبحاث بين مجلدات المجلة ، فمثلاً بحث (قبيلة جهينة) نشر قسم منه في المجلد الأول واستمر النشر في المجلد الثاني ، وقد يستلزم ذلك النشر في مجلدات أخرى، ولو نشر كله كاملاً في المجلد الأول لكان أحسن وأقرب إلى القارىء الذي قد يفقد شيئاً من أجزاء المجلة .

٣ ـ رسم المصورات الجغرافية مع الأبحاث التي تحدد الأمكنة من أقوى ما يعين على معرفة مواقع تلك الأمكنه معرفة كاملة ، فحبذا لو سارت المجلة على ذلك في كل أبحاثها .

« العرب » : هذه الملاحظات كتب بها أخ كريم أخبرنا باسمه غير أنه رغب أن نكتفي بالرمز إليه (م. هـ.) . ولا ندري ما الداعي إلى عدم

ذكر الاسم ، والأمر ليس فيه ما يدعو إلى عدم الظهور . لقد كان صاحب « العرب » حينما كانت صحيفته « اليمامة » تنشر بعض المقالات التي تعالج كثيراً من أوضاع حياتنا العامة تصل إليه مقالات على درجة من القوة والفائدة، غير أن بعض كتابها وكانوا مشهورين معروفين، يحاولون عدم ذكر اسمائهم، إذ ذاك على جانب من الحق وليس الحق كله، ولكن صاحب «اليمامة» كان يرفض نشر تلك المقالات وما ينشر منها يذكره باسم صاحبه الصريح ، ذلك انه يرى أن الرأي أي رأي كان لايخلو من أحد أمرين: أما ان يكون صواباً ويكون الدافع لابدائه نزيهاً وحينئذ فعدم التصريح باسم صاحبه لا معنى له فضلاً عن كونه يدل على صفات غير ملائمة لكاتب يريد لكتاباته توجيه امته وفائدتها ، وأقل صفة يوصم بها من يحاول عدم إظهار اسمه هي صفة الضعف، ومن ذا الذي يرضى بان يوصم بذلك ؟، الأمر الثاني بالنسبة للآراء التي تضمنتها الكتابة ان تكون غير صحيحة ، وهذا ما دفع صاحبها إلى التستر ، ومجلة أو أية صحيفة لها هدف سام أرفع من أن تنشر ما لا تراه صحيحاً ومع ذلك تحاول اخفاء صاحب ذلك الرأي .

أما الاخ المقترح لما تقدم ذكره فلم أر ما يدعو إلى اخفاء اسمه ولو كانت أراؤه أشمل من أن تتعلق بالمجلة لنشرت اسمه صريحاً ولكن هذا لا يمنعني من أن اعده وأعد غيره بان مجلة « العرب » لا ترغب نشر أية كتابة يحاول صاحبها الا تعرف عنه . وما أبداه الأخ الكاتب مما سبقت الاشارة اليه كله وجيه غير ان بعض البحوث قد يستغرق نشرها كاملة الجزء كاملاً وهذا يحرم القراء من مطالعة كتابات منوعة تطرق موضوعات أكثر شمولاً وأعم فائدة بالنسبة لكثير من القراء ، ولقد أبدى مثل هذا الرأي حول نشر كل بحث كاملاً قراء كثيرون ، ومنهم أساتذة في بعض الجامعات ومثلوا لذلك بمجلة « المجمع العلمي العراقي » غير ان العرب ليس لديها مقدرة المجلات التي تصدرها جمعيات قوية بحيث تزيد الصفحات حسب ما تتطلب المقالات ، وبالاجمال فمجلة العرب تعتبر كتاباً واحداً متعدد الأجزاء وفي الفهارس التي تلحق بجزء آخر السنة ما يعين القارىء على معرفة مواقع الأبحاث التي يتطلبها .

وعن ايضاح الابحاث بصورات جغرافية ، فهذا من أوجه الآراء وأسدها، الا أن هذا يتطلب زيادة في النفقة قد تخرج عن طاقة المجلة ، وما لا يدرك كله لا يترك كله .

أما عن بلدة (ثادق) وماضيها القديم فقد تتعرض له المجلة في بحث آخر .

● – **حول نسب قبيلة يام :**

وكتب الأخ الكريم محمد بن حسين بن بريص آل سالم اليامي من نجران يستوضح عن نسب قبيلة يام وعن كتاب « صفة جزيرة العرب » للهمداني .

« العرب » :

أوفى من رأيناه كتب في موضوع قبيلة يام هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني العالم اليمني الجليل ، الذي له مؤلفات في كل ناحية من نواحي العلم المعروفة في عهده ، وقد ولد سنة ٢٨٠ هـ وتوفي بعد سنة ٣٣٤ هـ ، وقد أقام في صعدة مدة طويلة وهو من قبيلة بكيل من همدان وقربه من مواطن يام ، وصلته معهم في النسب ، كل ذلك مكنه من الكتابة عن مواطن يام في « صفة جزيرة العرب » وعن أنسابهـــم في الجزء العاشر من كتاب « الاكليل » وهذا الجزء خصصه لأنساب قبيلة همدان ، وقد طبع قبل بضع عشرة سنة ونورد فيما يلي بعض ما ذكره في ذلك الكتاب عن نسب القبيلة المذكورة ، فقد ذكر أن يام هو ابن أصبا بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن حبران بن نوف بن همدان بن مالك بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقال :

(**نسب يأم :**

وأولد يأم بن أصبى جشمَ ومَذْكراً ، فولد جشم دؤلا (ويخفف فيقال الدول) وصعباً . فولد دؤل سلمة ، فولد سلمة ذهلا والنمر – وسلمةَ بن سلمة فمن بني ذهل الحكم بن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد كريم بن جحدب بن

ذهل بن الحارث بن ذهل، كان من فرسان يوم دَيْر الجماجم وزبيد بن الحارث بن عبد كريم الفقيه ، وطلحة بن مصرف [1] بن عمرو بن كعب بن جحدب بن معاوية بن سعد بن الحارث بن ذهل الفقيه وكان من أئمة القراءة ، وعبد العزّى بن سبع بن النمر بن ذهل الشاعر جاهلي ، وابنه مدرك بن عبدالعزي شاعر أيضاً وهو القائل :

أبى لكم أن تبلغوا مجد يأمنا وأرحب حق ينفد الترب ناقله[2]
فهم أصل همدان الوثيق وفرعها قديماً وأعلى هضبها وأطاوِله

ومن يام العقار بن سليك بن ذهل بن مالك بن الحارث بن ذهل بن سلمة ابن دؤل بن جشم بن يأم قاتل مشجعة الجعفي، وكان سبب ذلك أن بلاد يأم أجدبت فنجع العقّار الى بلاد جعف ، وكان بين يأم وجعف ولث وصلة [3] فكانت جعف اذا أجدبت رعت بلد يأم ، واذا أجدبت يأم رعت بلاد جعف فلما نزل العقّار بلاد جعف حال مشجعة بن المجمّع بن مالك بن كعب بن عوف بن حزيم بن جعفي بن سعد بينه وبين الرعى ، فقال له العقّار : فأين العهد فيما بيننا ؟ قال له مشجعة : لجفنة من حَيس بارد أحب إليّ من عهد يأم فقال له : ألا جعلته سخنا ! ثم انطلق الى امرأة رجل من جعفي كانت تبيع الخمر وكان يقال لزوجها ذَيبان بن بادية وكان له [4] عندها فرس مرهون على أربعة أبعرة ، فضمن أن يبعث اليها بالأبعرة وسألها أن تعطيه الفرس، ففعلت

---

(١) في (م) مطرف ، وهذه الصفحة ساقطة من النسخ الأخرى ، فصححناه من (تقريب التهذيب) للحافظ ابن حجر ص ١٨٢ .ومن (خلاصة تذهيب الكمال) للصفي الخزرجي ص١٥٢ و (طبقات القراء) للشمس بن الجزري ١ : ٣٤٣. وطلحة بن مصرف كانوا يسمونه سيد القراء وقال أبو معشر ما ترك بعده مثله ، وبلغ من تواضعه وورعه - حين بلغه أن قراء الكوفة اجتمعوا في منزل الحكم بن عيينة وأجمعوا على أن ابن مصرف أقرأ أهل الكوفة - أن ذهب الى الأعمش وقرأ عليه ليوهم الجمهور غير الذي أجمع عليه كبار القراء . تلقى عن الصحابة وكبار التابعين ، وأخذ عنه معاصرون من كبار الائمة . وثقه ابن معين وابو حاتم ، توفي سنة ١١٢.

(٢) الى هنا من (م) وقد سقط من سائر النسخ ، ولولا (م) لاختلط نسب المعيديين بنسب يام في هذا الكتاب .

(٣) الولث : العهد بين القوم ، يقع من غير قصد ، ويكون غير مؤكد .

(٤) أي للعقار بن سليل اليامي .

فأخذ الفرس فركبه ، وقد كان بعث بما له [1] مع خدمه ، ثم أتى مشجعة ومعه حربة فطعنه بها فأخرجها من بين كتفيه فقتله ، فتبادرت اليه جعفي فسبقهم ركضاً ، فقال في ذلك العقّار :

لم يبق من خبر الجعفيّ [2] باقيـــة الا الأمائر والأقطـــاع والدرس
ردّي إليك جمال الحي فاحتملوا فانهم من نفوس القوم قد يئسوا
لمـــا رأونا نمشّي في ديـــارهم كما تمشي الجمـــال الجلة الشمس
مثل الليوث عدت يومـــاً لمعترك عند اللقاء وتقصيد القنـــا خرس
لا يسمع الصوت منا غـير غمغمة
بالبيض تضرب هاماً فوقها القنس
أمـــا حليلة ذبيان فقد كرمت
في الفعل منها فلم تدنس كما دنسوا
جادت بما سُئلت لمـا رأت جزعي
من فوق أعيط في لحظاتـــه شوس
منحت مشجعة الجعفى مرهفـــة
كأنها حـــين جازت صدره قبس
ظلت كرائم جعفيّ تطيف بهـــا
هيهات من طالبيه ذاك ما التمسوا

وقال أيضاً :

نحن بنو يأم ونحن الدفعه سائل بنا مقاعساً وصعصعه
وسيد الحي الرئيس مشجعه منحته ذاتَ غرار مردعه
جادت له منية مفجّعه

وقد يدّعي بنو نهد قتل مشجعة ، والخبر ما ذكرناه ، وانما سمى العقّار لأنه شهد وقعة كانت لهمدان وبعض أعدائهم ، فحلف ألا يقتل في ذلك

---

(١) أي بابله وسرحه .
(٢) في (م) : « جعفي » ولا يستقيم به الوزن ، والتصحيح من النسخ الأخرى .

اليوم أحداً، فجعل كلما لقى فارساً ضربه ضربةً خفيفة حتى عقر [نحواً[1]] من ثلاثين فارساً ، فسمى في ذلك اليوم العقّار .

وأولد مَذكر بن يأم هبرة ومَواجد (وهم الأحلاف) وألغزَ (زنة أحمر) فتحالفا على الغز . فولد مواجد الاسلوم وبغيضة وجحدبا ورفدة ، منهم عبيدة ابن الأجدع من بني سلمان بن حبيب بن مواجد الفقيه ، وحبيب بن مواجد ممن شهد حرب خولان ، والوزاع بن معاوية بن مالك بن احزم بن هبيرة بن مذكر الشاعر . ومنهم الحارث بن موزع كان شريفاً . ومن يأم بيت يقال لهم آل ذي حاجـــة ، وبنو مقاحف (بطن في جنب) . ومن يام سمير الفرسان وهو مختلس حباشة عمرو بن معدى كرب ، وذلك أن عمرو وبن معدى كرب لما غزا خولان فدخل الحقل وفض حصن غنم وجل الأموال واجتاح الضنين قدم تلك الغنائم مع عميه سعد وشهاب ، فعرض لهما سمير في جمع من يأم فقتلهما وعدة معهما من بني زُبيد وأخذ ما كان في أيديهما ، فبعث عمرو إلى سمير يتوعده ، فقال سمير في ذلك :

أيرسل عمرو بالوعيـد سفاهة ... إليَّ بظهر الغيب قولاً مرجّماً ؟
ليُسمع أقواماً بما ليس مقدمـــا ... عليه وقد رام اللقاء فأحجما
فإن شئت أن تلقى سميراً فلاقه ... وعجّل ولا تجعله منـــك تهما
فسوف تلاقيه كميّـــاً مدججا ... حميّـــاً إذا ما همَّ بالأمر صمَّما
فإن تلقني أصحبك موتاً معجلاً ... كفعلي بعميـك اللذين تقدَّما
فسوف أريك الموت يا عمرو جهرة ... فتنظر يومـاً ذا صواعق مظلما

ومن يأم أيضاً أبو جسيس الجواد، وهو القائل لبعض بني عمه في شيء كان بينهم :

قـــل لهذين كلا زادَكما ... ودَعاني واغلا حيث أغل
رب زاد قـــد أكلنا طيب ... بعده الشهد بألبان الابـل
ثم لم يشهده مثـــل لكما ... لا ولا كان لدى الزاد علل
انمـا الزاد لمـــن يبذله ... فإذا ما نلت خيراً فأنِل
انما حظك منـــه ذكره ... لا تقولن عسى، لا، ولعـــل

ومن شعراء يأم عاصم بن الأسفع ، والشرقي بن عمرو .

وكانت يأم تدعى في الجاهليه « قتلة جبانها » وفي الاسلام « يأم القرى».

(١) هذه الكلمة سقطت من (م) وبقيت في سائر النسخ .

[تتمة الامير مصطفى الشهابي – تابع المنشور على ص ٩٥١]

يفيد اقرارها وهي بضع من الالفاظ نشرت في مجلة مجمع دمشق ، ثم نشرها المجمع في كتاب سنة ١٩٦٣ .

وله من الناحية الاخرى :

١ – كتاب الاستعمار ، وهو في جزأين القى خلاصتهما محاضرات على طلاب معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة .

٢ – كتاب القومية العربية : وتاريخها وقوامها ومراميها ، القى مضمونه على طلاب المعهد المذكور ، وطبع الكتاب في سنة ١٩٥٩ ثم في سنة ١٩٦٢

أما الناحية الثالثة : فله فيها مئات من الصفحات نشر معظمها في مجلة المقتطف ومجلة الهلال وغيرهما ، واختار منها جملة مقالات ومحاضرات سماها «كتاب الشذرات» طبع حديثاً، وكذلك مجموعة بحوثه في اللغة والمصطلحات وهي تبلغ خمسين بحثاً نشر الكثير منها في مجلدات المجمع العلمي العربي بدمشق والقى عدداً منها في مؤتمرات مجمع اللغة العربية فنشرت في مجلته أو في مجموعات بحوثه.

وفي شهر صفر سنة ١٣٨٨ (ايار سنة ١٩٦٨) انتقل الى رحمته تعالى بعد أن عانى المرض مدة طويلة ، ففقدت الأمة العربية بفقده عالماً غزير العلم ، شديد الغيرة على اللغة العربية ذا أثر كبير في هذا السبيل .

وكان فيهم جبان في الجاهلية يقال له أنيب ، فحلفو الا يولد له ولد فيهم ابدا [١] ، وحلفوا على قتله فقال لهم رجل منهم : ويحكم ، اخصوه ولا تقتلوه ، فانه لا يولد له إذا كان خصياً ، فلا تحنثون في ايمانكم . فشاع ذلك في همدان فكرهت أن تذهب يأم بهذا الذكر دونهم [٢] ، فقالوا لهم : خذوا من كل قبيلة سهماً فأرموه بجميع السهام ، والا حلنا بينكم وبينه ، فأجابوهم إلى ذلك، فبعث اليهم من كل قبيلة بسهم ،ثم صيروه هدفاً وجعلوا يرمونه ويقولون:

لله سهم ما نبا عن أنيَبِ حتى يوارى نصله في منشبِ

ومرّ فتى من أهل الكوفة بالحجّاج وهو يعرض الجند ، فأعجبه فقال : ممن أنت يا فتى ؟ قال : أنا من قوم لم يكن فيهم جبان . قال الحجاج : أنت إذن من يأم . قال : أنا منهم [٢] انقضى نسب يأم .

---

(١) لئلا يرث بنوه جبنه فيفشو مرض الجبن في يام وهمدان والعرب

(٢) أي بمفخرة الوقاية من مرض الجبن .

– البحوث والمحاضرات :

وأصدر مجمع اللغة العربية في القاهرة (البحوث والمحاضرات للدورة الثالثة والثلاثين ١٩٦٦ م – ١٩٦٧ م) من دورات مؤتمر المجمع السنوي ، ويضم ما ألقي في تلك الدورة من بحوث ومحاضرات مما له صلة باللغة العربية وآدابها وتاريخ أعلامها وقد جاء في ٤٧٦ صفحة من القطع الكبير .

● **– مجلة مجمع اللغة العربية :**

وصدر الجزء الثاني والعشرون من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ويحوي بالاضافة إلى ما فيه من أحاديث عن شخصيات مجمعية مقالات وبحوثاً لغوية ، ويقع في ٢٨٨ صفحة من القطع الكبير .

● **– مجموعة المصطلحات العلمية والفنية :**

وصدر عن مجمع اللغة العربية أيضاً المجلد التاسع من « مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرهـــا المجمع » في الكيمياء والطب والجيولوجيا والالكترونيات وغيرها ، وجاء هذا الجزء في ١٥١ صفحة ، يذكر المصطلح وما يقابله باللغة اللاتينية أو الانكليزية أو الفرنسية .

وهذا الجزء متمم للاجزاء الثمانية التي صدرت قبله .

● **– اللسان العربي :**

وأصدر (المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي التابـع لجامعة الدول العربية في الرباط) بالمغرب الأقصى أصدر الجـــزء الخامس من مجلته « اللسان العربي » وهي مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي ، وهذا الجزء يحوي مقالات وأبحاثاً باقلام مشاهير الكتاب في البلاد العربية مما له صلة باللغة بل بالأمة العربية ، كما يضم ايضاحات وافية عما يقوم به المكتب الدائم للتعريب وأمينه الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله رئيس تحرير المجلة المذكورة ، من نشاط وجهد مشكور في سبيل خدمـــة اللغة العربية ، وقد جاء هذا الجزء من المجلة في ٣٦٣ صفحة من القطع الكبير .

● – **الطريق الى النجاح :**

وهذا الكتاب للاستاذ عبـــد العزيز جادو هو الحلقة ٢٢٩ من سلسلة اقرأ ، وهو على صغر حجمه يحوي آراء مركزة في موضوعه تجعـل الكتاب جديراً بالمطالعة والدراسة .

● – **أوراق عاقر :**

وهذا اسم قصة كتبها الأديب سالم النحاس ونشرها تباعاً في احدى صحفنا، ثم جمعها في كتاب بلغت صفحاته ٩٩ صفحة في طباعة حسنة واهدى العرب نسخة منها فله الشكر .

● – **المعجم اللغوي التاريخي :**

كان المستشرق الالماني أوجست فيشر فكر في وضع معجم للغة العربية على نمط معجم اكسفورد التاريخي وعاش يعمل لهذه الفكرة نحو خمسين عاماً، إلا أنه من جزازات مفرقة بعضها في (هلة) في ألمانيا وبعضها في دار المجمع نفسه بالقاهرة ، فلم يحصل المجمع على ما في ألمانيا منهـــا ، ووجد ما لديه مفرقاً غير كامل ، فاكتفى بطبع المقدمة التي وضعها ذلك العالم اللغوي الجليل لكي يسير عليها في تأليف المعجم مع انموذج بطريقته من أول حرف الهمزة . فجاء ذلك المطبوع في ٥٣ صفحة من القطع الكبير .

● – **تاريخ الكويت :**

قررت حكومة الكويت في آخر سنة ١٩٥٩ تأليف لجنة تدعى (لجنة تاريخ الكويت) تكون مهمتها تدوين كتاب شامل لهذه الناحية ، فكان ان أسندت تلك اللجنة العمل للدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة أستاذ التاريخ في الجامعة الأردنية الذي قام بذلك العمل فألف الجزء الأول وصدر بعد موافقة اللجنة المذكورة في ٣٨١ صفحة عدا ما ألحق به من صور مختلفة ومخططات جغرافية ، وقد طبع الكتاب طباعة جيدة وهذا الجزء الذي صدر هو القسم الأول من الجزء الأول حيث سيقع الكتاب كله في ثلاثة أجزاء كل جزء في قسمين يتنـاول القسم الأول السرد التاريخي للأحداث ، ويضم القسم الثاني الوثائق التاريخية .

ولنا كلمة حول هذا القسم الذي صدر يجدها القارىء في الجزء الحادي عشر من هذه المجلة .

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف (٢٤٣ المحرر)
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات الرسمية والشركات عدا الجزيرة العربية
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الادارة
ثمن الجزء: ريالان تقريبيان

الجزء الحادي عشر - السنة الثانية - جمادى الاولى - ١٣٨٨هـ (آب ١٩٦٨ م)

"جامعة الرياض"

تعنى بتراثنا الشعبي

قلت – في فاتحة الجزء الرابع من هذه المجلة – في شهر شوال سنة ١٣٨٦ (كانون الثاني سنة ١٩٦٧ م) في كلمة عنوانها : (نريد من جامعة الرياض[١]) قولاً خلاصته الدعوة إلى حفظ تراثنا القديم ومما قلت : (ولئن كان من أهم ما تعنى به الجامعات صيانة تراث الشعوب ، والحفاظ على كل ما يكفل لها الكيان السليم بالوسائل العلمية المختلفة ، فـــان مما لا شك فيه أن جامعتنا (جامعة الرياض) وهي تدرك كل ذلك ، بل تدرك أكبر مما قلنا – ستولي هذا الجانب من تراثنا ما يكفل حفظه ، ويمكن من الاستفادة منه ، وفي الجامعة علماء أعمق إدراكا منا ، وأوسع اطلاعاً ، وأدرى بالوسائل التي تحقق الغاية في صيانة ذلك التراث) .

والآن – وبين يديّ كتاب من أحد أبنائنا في تلك الجامعة – هو الدكتور أحمد بن محمد الضُّبيب ، رئيس جمعية اللهجات والتراث الشعبي ، ومع ذلك الكتاب : (نظام جمعية اللهجات والتراث الشعبي ، في جامعة الرياض) – الآن أحسُّ وأنا أتحدث في ذلك الموضوع الذي مضى للحديث عنه عام ونصفه ، – بل يزيد – أحسُّ بشعور من الغبطة والسرور ، لا لأن ما تمنيت أن تقوم جامعتنا به قد سار في طريق قويم ، يحمل على الاعتقاد بأنه سيصبح

(١) ص ٢٨٩ السنة الأولى .

يوماً ما أمراً محققا ، ولا لأن تلـــك الدعوة وجدت آذانا سامعة ، وقلوباً واعية ، ورغبة صادقة في تحقيقها ، من تلك الصفوة الممتازة من رجال جامعتنا ، وكل واحد منهم يدرك — الادراك كله — ما يعلقه كل مثقف على جامعته من آمال جسام في سبيل خدمة الأمة العربية ، في بلادٍ هي أحوج ما تكون إلى أن تنال نصيبها في المجال العلمي — بكل ما تؤديه هذه الكلمة من معان — كاملاً غير منقوص ، لتساير ركب الحضارة ، مسايرة تحقق لها هدفين نبيلين : الحفاظ على تراثها الرُّوحي ، المستمد من جذور ثقافتها القديمة التي تكفل للأمة حياة كريمة راسخة الأساس ، قوية الاركان ثم — وهو الهدف الثاني — معرفة ما تتطلبه حياة هذا العصر العاتي القويّ الآليّ ، معرفة الحازم اليقظ الواعي ، الذي يفهم أعمق الفهم رغبات أمة تريد أن تحيا فيه حياة العزّة والقوة والسعادة ، في عصر لا يعرف للحياة بغير القوة طريقاً في هذا العالم .

لقد أحسست بشعور عميق ، لا لأيّ أمر مما أشرت اليه ، ولكن لأن جامعتنا بلغت من القوة الدرجة التي جعلتها جديرة بما يناط بها من آمال ، وما يعلقه عليها كل مثقف يدرك أن الأمة لن تحيا حياة كريمة ما لم تكن هذه الحياة قائمة على أقوى دعائم من العلم والمعرفة ، فقد تجاوز ما تقوم به جامعتنا مرحلة الدراسة إلى ميدان العمل .

وها هي تنشيء — في احدى كلياتها (كلية الآداب) ما دعته بـ (جمعية اللهجات والتراث الشعبي) . وما عبرت عنه بـ (جمع اللهجات في الجزيرة ، وجمع كل ما يتعلق بعادات أهلها ، وتقاليدهم وتراثهم القديم) .

أي إن هذه الجامعة قد أدركت ووعت وعرفت ، وبعد ذلك بدأت السير ، بعد أن رسمت الطريق ، فسارت (على بركة الله) !!

والسير على خطة مرسومة ، بعد معرفة الغاية ، وادراك آثارها عن وعي ، وعقيدة ، كفيل — باذن الله — أن يبلغ الغاية ، وان يصل الى مـــا يحققها — متى كانت الدوافع قوية ، وكان العزم صادقاً ، وكانت النية خالصة ، مبرأة من كل الشوائب . فعلى بركة الله ، ومزيداً من السعي الى كل غاية نبيلة .

حمد الجاسر

طرق المواصلات القديمة في بلاد العرب

- ١ -

طرق المواصلات في الحجاز :

لقد كانت في الحجاز عند ظهور الاسلام عدة مراكز تجمعات بشرية ، ينتج بعضها ما يفيض عن حاجته ، في حين أن بعضها لا يسد حاجته ، ويتحتم عليه استيراد ما ينقصه ويحتاجه من مناطق أخرى ، وهذا يتطلب إما تنظيم السفر بين المناطق المنتجة والمناطق المستهلكة ، أو إنشاء أسواق موسمية أو سنوية، يردها الناس سالكين طرقاً تربط مناطقهم بتلك الأسواق، يضاف إلى ذلك وجود مراكز دينية ، يزورها الناس ، ويحجون اليهـــا من مناطق نائية ، مما يتطلب أيضاً وجود سبل مسلوكة بين هذه المراكز ، وبين المناطق التي يسكنها عباد آلهة تلك المراكز .

كل هذه العوامل تحتم وجود طرق مواصلات منظمة ، تربط بين المناطق المنتجة والأسواق ، وبين المراكز الدينية مع المناطق الأخرى ، ومما لا شك فيه أن هذه الطرق محلية ، وهي تسلك السُّبُل التي تتوفر فيها المياه وتقل فيها العقبات والصعوبات . ومع أننا نعلم بعض هذه الأسواق والمراكز الدينية والمناطق المنتجة ، غير أننا لا نعلم ـ بتفصيل ودقة ـ المناطق التي تتعامل مع هذه المحلات ، ولا مدى الاتصالات وكميتها وانتظامها ، لكي نبتّ في أمر طرق المواصلات الداخلية التي كانت موجودة في الحجاز .

ثم إن الحجاز كانت له صلات تجارية بالمناطق المجاورة الأخرى كاليمامـة والبحرين والعراق والحبشة واليمن وبلاد الشام ، وتشير الكتب إلى أن هذه الصلات قديمة وهي تربط مصالحه بمصالح البلاد والأقاليم الأخرى الغنية ، ولما كان حجم هذه التجارة غير ضئيل ، فقد كان لا بد من زيادة الاهتمام بالمواصلات .

في كتب التاريخ إشارات إلى الصلات التجارية التي كانت بين الحجاز والأقاليم الأخرى ، وخاصة عند ظهور الاسلام ، غير أن معلوماتنا عن طرق القوافل ومسالكهاضئيلة إلا التي كانت تسير إلىاليمن حيث كانت تمر بنخلة[1] التي أرسل اليها الرسول ﷺ سرية هي من أوائل سراياه ، فهاجمت قافلة قرشية قادمة من جهة اليمن ، وظفرت بأحمالها ولكن المعلومات التي عن هذه الغزوة لا تبين الطريق الذي كانت تسلكه القافلة ، ولا الطريق الذي سلكه المسلمون ، بل كل ما تثبت هو أن نخلة كانت تقع على طريق القوافل .

أما طريق القوافل الى بلاد الشام فلدينا عنه تفصيلات أوفى ، لأنه كان يمر قريباً من المدينة ، فتعرض لغزوات الرسول (ﷺ) أكثر من غيره ، وكان هذا سبباً لتقديم معلومات أوفى عنه .

من الأماكن التي ذكرت في كتب السيرة وهي ذات علاقة بالقوافل القرشية التي تسير بين مكة والشام :

(١) ودّان [2] ، وكانت اليها أول غزوات الرسول (ﷺ) وتسمى أيضاً غزوة الأبواء . ويذكر ابن هشام انه وادع فيها بني ضمرة (٢ / ٢٢٢) أما ابن سعد فيقول ان الرسول (ﷺ) خرج اليها يعترض عيراً لقريش ، وأنه وادع فيها بني ضمرة ، كما يضيف ان بين ودان والابواء ستة أميال (٢ / ٨) .

(٢) ثنية المَرَة حيث أرسل سرية لقيت جمعاً عظيما من قريش فلم تصطدم بهم (ابن هشام ٢ / ٢٢٣) ويضيف ابن سعد أن المسلمين لقوا أبا سفيان ومن معه « وهو على ماء يقال له أحياء منبطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة ، وأنت تريد قُديداً عن يسار الطريق ليرعوا ابلهم (ابن سعد ٢) .

(٣) سِيف البحر من ناحية العِيص [3] ، وقد غزاها النبي فلقي أبا جهل مع ٣٠٠ من أهل مكة فحجز بينهم مجديُّ بن عمرو الجهني وكان موادعاً للطرفين (هشام ٢ / ٢٢٩ ، سعد ٢) وقد أرسل اليها الرسول (ﷺ) سرية أخرى بقيادة زيد بن حارثة (ابن سعد ٢ / ٨٧) .

(٤) بواط غزاها النبي ولم يلق فيها كيدا (هشام ٢/٢٣٤) .

(٥) الخرّار من أرض الحجاز وقد غزاها سعد بن أبي وقاص مع عدد من المهاجرين (هشام ٢ / ٢٣٨) ويقول ابن سعد « والخرار حين تروح من الجحفة الى مكة آبار عن يسار المحجة قريب من خم (٢ / ٧) .

كل هذه الغزوات والسرايا كانت موجهة الى الأطراف الغربية من اقليم الحجاز ، وقد أشارت المصادر الى انها كانت موجهة ضد قريش وقوافلها مما يحمل على الاعتقاد بأنها كانت على طريق القوافل القرشية الى بلاد الشأم ، والحق ان هذه ليست الغزوات الرئيسية التي قام بها أو وجهها الرسول (ﷺ) نحو المناطق الغربية ، فهناك غزوات أخرى كغزوة الرّجيع الذي هو « ماء لهذيل بناحية الحجاز على صدر الهدة [٥] (هشام ١٦١ ابن سعد ٢ / ٥٥) والهدة على سبعة أميال منها (الرجيع) والهدة على سبعة أميال من عسفان (سعد ٢ / ٥٥) وهي غزوة ثأريـــة من عضل والقارة الذين اعتدوا على بعض القوات الاسلامية ،وغزوة بني المصطلق على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية 'قديد إلى الساحل (هشام ٢ ـ ٣٣٢) والمريسيع: بينها وبين الفرع نحو من يوم ، وبين الفرع والمدينة ثمانية برد (سعد ٢ ـ ٦٣) وكلهـا غزوات ثأرية لا علاقة لها بقريش وقوافلها ولذلك لا تفيد في معرفة طرق القوافل القرشية .

لقد قدمت كتب السيرة تفاصيل عن أسماء المواقع التي تقع على الطريق الذي سلكه من المدينة وبدر عند الكلام عن غزوة بدر الكبرى وعن غزوة ذي العشيرة ، كما ذكرت تفاصيل عن طريق الرسول إلى تبوك والطريق الذي سلكه عند الهجرة إلى المدينة . وهذه الأماكن إذا افترضنا صحة المعلومات التي قدموها وانهم لم يذكروا فيها الأماكن التي عرفت عـــن الطريق بعد الاسلام ، فان نصوصهم لا تستلزم أن تكون الطرق التي سلكها الرسول هي نفس الطرق التي تسلكها القوافل التجارية خاصة وان ظروف الرسول عندما

سلكها ، سلكها في ظروف خاصة حاول في بعضها التخفي وتجنب الطرق العامة كيما يباغت خصومه، وقدذكر صراحة عن الطريق الذي سلكه للهجرة.

كما أن الطريق بين المدينة وتبوك يمكن اعتباره طريقاً داخلياً — ، لأن قوافل التجارة لم تكن تمر بمكة .

ولا بد من القول أن الرسول ﷺ وجه عدة غزوات وسرايا إلى أماكن وعشائر في غربي المدينة ومن ذلك إلى قرقرة الكدْر ، وفيهـــا بنو سُليم (ابن هشام ٢ — ٤٢١) وهي بناحية معدن بني سليم قريب من الأرحضية وراء سدّ معاوية (سعد ٢ — ٣١) وذي أمر وفيها غطفان (ابن هشام ٢ — ٢٢٥) والفُرع ناحية بُحران (ابن هشام ٢ — ٤٢٥ ابن سعد ٢ — ٣٥) والفردة من أرض نجد بين الرَّبذة والغمرة ناحية ذات عرق يعترض لعير قريش (سعد ٢ ص ٣٦) والى حمراء الأسد » وهي من المدينة على عشرة أميال طريق العقيق متياسرة عن ذي الحليْفة إذا أخذتها في الوادي (سعد ج ٢ ص ٤٩ أنظر أيضاً (ابن هشام ٢ — ٥٣) .

وإلى قطن « وهو جَبَل بناحية فيد به ماء لبني أسد بن خزيمة » (سعد ج ٢ ص ٢٠) وبئر مَعونة وهي بين أرض بني عامر وحرّة سُليم ، وكلا البلدين منها قريب ، وهي الى حرة بني سليم أقرب (ابن هشام ٣ — ١٨٤ سعد ٢ ص ٥١) .

وذات الرقاع وهو جبل فيه بقع حمر وسواد وبياض قريب مـــن النـُّخَيْل بين السَّعْدية والشُّقرَة (ابن سعد ج ٢ ص ٥١ أنظر ابن هشام ٣ — ١٨٤) .

وغزوات أخرى — ليس هذا محل تفصيلها [٦] .

وفي كتب السيرة إشارة إلى الطرق الرئيسية : —

١ — لقد ذكر ابن سعد طريق الربذة [٧] ويقع عليه ذو القصة « موضع بينه وبين المدينة ٢٤ ميلاً (سعد ٢ ص ٨٥) والمراض « على ٣٦ ميلاً من المدينة » (٢ — ٣٦) .

٢ ــ جادة العراق وكانت تقع عليه الفردة [٨] » من أرض نجد بين الربذة والغمرة وذات عرق ــ « التنبيه والاشراف » ص ٢١) .

٣ ــ المحجة فيقول ابن سعد «المراض دون النخيل[٩] على ٣٦ ميلاً من المدينة طريق البصرة على المحجة » (سعد ٢ \ ٨٧) ، ولما كانت المراض على طريق الربذة فيمكن القول بان هذا هو طريق المحجة .

كما يذكر « تُربان فيما بين ملل والسيالة[١٠] على المحجة » (ج ٣ قسم ١ ص ١٥٤) .

٤ ــ سنن الطريق : ففي سرية ذى قرَد وكان القائد أبو سلمة المخزومي » نكب عن سنن الطريق وسبق الأخبار وانتهى الى أدنى قطن [١١] » (سعد ٢ / ٢٠) .

أما الطرق التي بين مكة والشام فقد أشارت كتب السيرة إلى بعضها : ــ

١ ــ فان الرسول (ﷺ) عندما توجه إلى بدر ، سار من المدينة إلى المنصرف [١٢] ، حتى إذا كان بالمنصرف ترك طريق مكة بيسار وسلك ذات اليمين على النازية [١٣] ، ثم مر بعدة أماكن حتى وصل شنوكة [١٤] « وهي الطريق المعتدلة » (ابن هشام ص ٢٥١ ياقوت ج ٣ ص ٣٣٠) وفاء : ٢ ص ٣٣١) .

ولا بد ان بدرا كانت تقع على ذلك الطريق، وان المدينة كانت نائية عنه، ولعل بواط [١٥] كانت تقع عليه ولهـــذا أرسل اليها الرسول سرية الطبري ج ٢ ص ٢٦١ التنبيه والاشراف ص ٢٠٢) .

٢ ــ طريق الساحل . فلما علم أبو سفيان بوصول النبي ﷺ إلى بدر حوّل طريق القافـــلة ، فساحلت العير (سعد ج ٢ قسم ١ ص ٢٧٨) فلزموا الساحل الطبري ٢ ــ ٢٦٧) .

ويسمى هذا الطريق طريق المُعْرقة « وهي طريق كانت عير قريش تسلكه إلى الشام على الساحل ، وفيه سلكت عيرهم حين كانت وقعة بدر ،

وفي حديث عمر أنه قال لسلمان : أين تأخذ إذا صدرت : أعلى المعرقة أم على المدينة » (البكري ص ٢٤٣) .

وطريق المعرقة تختصره العرب إلى الشام وإلى مكة « وهو بين جبلي رَضوى وعزور البكري ٦٥٦) ولا نعلم أين يتصل هذا الطريق بالآخر ، وان كنا نعلم أن طريق التجار إلى الشام يمر بالتجبار وهو موضع بين حورة السفلى وبين منخوس (البكري ص ٩٥٦ – ٧) وقد أرسل اليه الرسول ﷺ طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد يترصدان عير قريش ، وفيها أبو سفيان (البكري ص ٦٥٦) . ولعل على هذا الطريق يقع العِيص [١٥] الذي هو عند ساحل البحر وقد أرسل اليه الرسول حمزة أول سرية لترصد عير قريش (طبري ج ٣ ص ٢٦٩ ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ٤).

والعِيص « من ناحية ذي المروة [١٦] على ساحل البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام (ابن هشام ٣ – ٣٧٣) . وكانت تقع عليه الحوراء [١٧] (سعد ٣ – ٣٧٨) .

طريق الشمال :

ان الطريق الذي بين مصر وفلسطين وبين مكة كان في القرن الرابع الهجري يسير إلى أيلة ، ثم إلى مَدْيَن ومنها يتفرع فرعين (أحدهما إلى المدينة على بدا وشغب [١٨] قريتان بالبادية كان بنو مروان اقطعوهما الزهري وبها قبره ، حتى ينتهي إلى المدينة على المروة ، وطريق يمضي على ساحل البحر حتى يخرج بالجحفة [١٩] فيجتمع بها طريق أهل العراق وفلسطين ومصر (ابن حوقل ج ١ ص ٤٠ ياقوت ج ٤ ص ٤٦٨) وفي ياقوت ان الجحفة هي ميقات أهل مصر والشام ان لم يمروا على المدينة فان مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحُليفة [٢٠] » (ياقوت ج ٢ ص ٣٥) .

ويبدو أن هذا الطريق هو الذي كان في زمن النبي ﷺ فيروي البكري « وثبت أن رسول الله ﷺ قال مهل أهل الشام من الجحفة ومهل أهل المدينة من ذي الحلَيْفة » (٣٦٩) .

غير أن الطريق بين المدينة ومكة لم يظـــل ثابتاً بعد زمن الرسول ، فيروي السمهودي عن المطري : (وإذا كان الانسان عند هذا المسجد المعروف بمسجد الغزالة [٢١] كانت طريق النبي ﷺ إلى مكة على يساره مستقبل القبلة وهي الطريق المعهودة قديماً، ثم السُّقيا[٢٢]،ثم تنية هرشا [٢٣]، وهي طريق الأنبياء) ، قال : (وليس بهذا الطريق اليوم مسجد يعرف غير هذه الثلاثة مساجد يعني سوى مسجد ذي الحليف قلت : سببه هجران الحجاج لهذا الطريق وأخذهم من طرف الروحاء [٢٤] على النازية إلى مضيق الصفراء [٢٥] ثم إلى بدر [٢٦] وذكر لي بعض الناس ممن سلك تلك الطريق أن كثيرا من مساجدها موجود » (وفاء ج ١ ص ١٦٨) .

ويقول السمهودي « وذكر الأسدي : أن ودّان ناحية عن الطريق بنحو ثمانية أميال ينزل به من لا ينزل الأبواء فمن أراده رحـــل من السُّقيا اليه ، وبه عيون غزيرة عليها سبعة مشارع ، وبركة قديمة ، ثم يرحل منه فيخرج عند ثنيه هَرْشا بينهـــا وبين ودان خمسة أميال وقد عمل لهذه الطريق أعلام وأميال أمر بها المتوكل .

قلت وكلا الطريقين عن يسار طريق الناس اليوم بأسفل ودّان وهي معطشة لا ماء بها الا ما يحمل من بدر الى رابغ (وفاء ج ٢ ص ١٧٢) .

ويذكر السمهودى « ان هرشا هي طريق حاج المدينة اليوم لكن تكون هرشا على يسارهم لأنهم يسيرون في الخبت ووادان أسفل منها إلى رابغ ، فانها كانت ملتقى الطريق قديماً ولها طريقان وكل من سلك واحداً منهما أفضى به إلى موضع واحد « الوفاء ج ٢ ص ٢٨٧) و « هرشا ملتقى طريق الشام وطريق المدينة إلى مكة « وفاء ج ٢ ص ١٧٢) .

٣ ــ طريق نجد الذي تمر بالفردة وكانت تمر به قوافل قريش ، وقد أرسل رسول الله اليها سرية بقيادة زيد بن حارثة اعترضت احدى القوافل (سعد ٣/ ٢٥) ويذكر المسعودي ان زيد بن حارثة ذهب إلى « الموضع المعروف بالفردة من أرض نجد بين الربذة والغمرةوذات عرق من جادة العراق يعترض عيرا لقريش تريد الشام فظفر بها « التنبيه والاشراف ص ٢١٠ » .

لقد كانت مشكلة الأمن من أهم المشكلات التي واجهها أهل مكة لتأمين سير القوافل ، وقد استطاعوا معالجة الأمر بالطرق الدبلوماسية ، حيث عقدوا سلسلة من الاتفاقيات مع القبائل التي تقع على طرق التجارة ليضمنوا بها سير قوافلهم دون أي اعتداء وتدعى هذه الاتفاقيات « الايلاف » وقد ذكرها القرآن الكريم في سورة خاصة .

ولعل من الأساليب الدبلوماسية التي اتبعوها أيضاً هي المصاهرات التي تمت بين عدد من ذوى النفوذ من قريش وشخصياتها مع رجال من القبائل التي تقع دارها على هذه الطرق وفيما عدا ذلك ليست لدينا اشارات الى التدابير التي اتخذت فيما يتعلق بطرق المواصلات .

ولما ساد الاسلام في الحجاز والجزيرة انتشر الأمن والاستقرار وتوقفت الغزوات ، ولكن الحاجة إلى طرق المواصلات ازدادت لاسباب متعددة منها:

١ — حركات الجيوش ، فقد كانت في الحجاز قاعـــدة الامبراطورية الاسلامية ، ومنه توجهت معظم الجيوش التي قامت بالفتوح الأولى ، وقد ظلت حركة الجيوش حتى بعـــد انشاء العواصم الاسلامية ، لأن البعوث استمرت ترسل من الحجاز إلى عدد من ميادين القتال ، كما ان كثيرا من البعوث أو أفراد المقاتلة كانوا يعودون بعد انجاز الحملات الى أهاليهم في الحجاز فلا يحجرون في الثغور ، يضاف إلى ذلك ان الاضطرابات التي حدثت في الحجاز في العصرين الأموي والعباسي كثورة المدينة وثورة ابن الزبير وثورة محمد النفس الزكية استلزمت إرسال قوات عسكرية كبيرة لاخمادها ونشر الأمن، هذا فضلاً عن بعض الغزوات التي جاءتها من بعض الثوار كالخوارج وغيرهم وكل هذا كان يستلزم العناية بالطرق لتضمن تسهيل تحرك الجنود وهدايتهم فيها .

٢ — الحاجات الادارية ، فإن نشوء الدولة الاسلامية قد رافقه تنظيمات مالية خاصة فصرفت على أهل الحجاز فمن ذلك جباية الصدقات من الرعاة البدو الذين كانوا منتشرين في مناطق متعددة ، وقد استلزمت هذه الجباية تقرير طرق معينة يسلكها الجباة يتوفر فيها اليسر والسهولة لملاقاة أكبر عدد

ممن عليهم دفع الصدقات بأيسر وأقصر ما يمكن ، وهكذا نشأت طرق خاصة للمصدقين ، نجد وصف بعضها عند البكري وياقوت .

ثم ان الحجاز أصبح خاضعاً لدولة واسعة موحدة تفرض عليه نظاماً ادارياً معيناً لضمان الأمن والجباية وغيرها الأمر الذي استلزم تقسيم الحجاز إلى عدة أقسام إدارية ، وهي تقتضي طرقاً تربط بين مركز الولاية وبين أقسامها التابعة لها .

٣ ــ حاجات السكان ، فان تكون الامبراطورية الاسلامية قد رافقه الانعاش المادي في عدد غير قليل من المناطق فظهرت أو نمت عدد مناطق كانت « ميتة » فيما مضى وأخذت تنتج مقادير طيبة من المنتجات الزراعية والمعدنية ، وقد أقام كثير من ملاكي هذه المناطق المنتجة فيها ولكنهم لم يقطعوا صلاتهم بمقرات الادارة فكان هذا دافعاً للاهتمام بالمواصلات ولتشعبها وتعددها .

٤ ــ الحج ، فقد أصبح في الحجاز مركزان مقدسان هما مكة التي يعتبر الحج اليها من أركان الاسلام الخمسة ، والمدينة التي قضى فيها الرسول ﷺ السنوات العشر الغنية الأخيرة من حياته ثم دفن فيها ، كما عاش وثوى فيها كثير من الصحابة الأولين ، ومع أن مراكز العبادة القديمة قد أزيلت إلا أن مكة لم يعد الحج اليها واجباً مقصوراً على عدد محدود من العرب ، بل أصبح واجباً على كل القادرين من كافة المسلمين الذين انتشروا بعد تكوين الامبراطورية الاسلامية من أواسط آسيا حتى الأطلس وكان عددهم في تزايد مستمر .

ان المكانة الكبيرة للحج في الدين الاسلامي واثر الحج في جلب الناس والدعاية وحرص الخلفاء على الاستفادة منه لاغراض سياسية جعلهم يهتمون بكل ما يتعلق بالحجاز وتوفير الراحة لهم ، ومن ذلك اهتمامهم بالطرق التي كان يسلكها الحجاج فعنوا بها من حيث ازالة العقبات ووضع العلامات وغير ذلك مما سنفصله .

ومن الطبيعي أن تنصب العناية على الطرق الرئيسية التي تربط الحجاز بالأقاليم الأخرى وهي ستة ، مصر (والمغرب) بلاد الشام، الكوفة (العراق وشمال إيران) البصرة (وجنوب إيران) اليمامة (وشرقي الجزيرة) اليمن (وجنوب الجزيرة) .

٥ – التجارة : فـــان ظهور الامبراطورية الاسلامية قد أدى إلى نشر الأمن والسلم وازالة الحدود،وما يتبعها من عراقيل في وجه التبادل التجاري، وإلى حرية العمل والنشاط في الميادين الاقتصادية ، وأخـــذ الحجاز بفضل خبرات أهله ونشاطهم يحتل مكانته باعتباره إقليما يتركز فيه أعظم النشاط الاقتصادي ، حيث أخذت الأموال تنصب فيه ، وتركزت الثروة ، وارتفع مستوى المعيشة ، وزاد البذخ في الصرف ، فضلاً عن أن صلات الحجازيين بمختلف اجزاء الامبراطورية ساعد على عقد الصفقات الكبيرة فزادت أهمية الحجاز كمركز تجاري ومالي،وصارت السلع تأتيه من مختلف الاقاليم وازدادت منتجات خراسان والشرق الأقصى وبقية الاقاليم فيه . وقد تطلب كل ذلك العناية بطرق المواصلات خاصة وان كثيرا ممن كان يقوم بالتجارة هم ممن لهم صلة وثقى بالحاكمين مما يمكن ان يؤثروا عليهم .

لقد ابدى القرآن اهتماماً واضحاً بامر المسافرين ، فذكرهم في ثمان آيات متفرقات أمر بسبع منها بوجوب مساعدة ابن السبيل مادياً ، ووضعهم في صف ذوى القربى والمساكين في خمس آيات ، وقد شاركهم اليتامى في أربع منها ، فحض على وجوب مساعدتهم بالمال ، ثم قرر أن يعطوا نصيباً من موارد الزكاة . والاهتمام بابن السبيل هو احد المظاهر العامة للاسلام من حيث اهتمامه بالبشر وأحوالهم ، كما ان تكرر ذكر ابن السبيل دليل على انهم كانوا سبب مشكلة اجتماعية واضحة ، جديرة بالمعالجة بالنظر لما يولده بقاؤها من اخطار ، كما ان كثرة الآيات التي تذكرهم دليل على كثرة عددهم. وواضح من هذه الايات انها لم تنزل في وقت واحد ، بل نزلت في أوقات متباعدة ، فبعضها يمثل الفترة المكية وبعضها يمثل مرحلة متأخرة وهي بعد ان تقررت الزكاة والصدقات وحلت محل الأنفاق ، الأمر الذي يدل على أن المشكلة لم

تكن وقتية ، بل كانت ظاهرة طوال حياة الرسول ﷺ، ولا بد أن مشكلة ابن السبيل لم تكن مقصورة على مكة وحدها ، بل امتدت حتى إلى المدينة التي لم تكن على الطرق التجارية الرئيسية ، ووجودها في المدينة يعني حتماً ، وجودها في المناطق والمراكز الواقعةعلى طرق التجارة الرئيسية .

والأحاديث النبوية تذكر ابن السبيل وتجد مواضعها من كتب الصحاح في « معجم فنسنك » عن الحديث ، ويبدو فيها ذكر عـدد من المسلمين الذين اوقفوا بيوتاً أو بساتين ليرصد ريعها لمساعدة ابن السبيل ، وكذلك حقه في الصدقة واباحة أخذه ما يسد قوته من ثمار البساتين .

وقد اهتم عمر بابن السبيل فاتخذ في المدينة دار الرقيق وقال بعضهم الدقيق فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج اليه يعين به المنقطع والضيف ينزل بعمر (سعد ج ٣ قسم ١ ص ٢٠٣) . وفي الكوفة مثل هذه الدار وتسمى دار الضيفان ، ثم إن عمر « وضع في طريق السبيل بين مكة والمدينة ما يصلح من ينقطع به ويحمل من ماء إلى مكة » (سعد ج ٣ قسم ١ ص ٢٠٣) .

ويروى الواقدي عن كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده انه كان ممن قدم مع عمر إلى مكة للعمرة سنة ١٧ هـ « فمر بالطريق فكلمه أهل المياه أن يبتنوا منازل ما بين مكة والمدينة ولم يكن قبل ذلك بناء ، فأذن لهم ، وشرط عليهم أن ابن السبيل أحق بالظلّ والماء » (طبري ٢٥٢٩ فتوح ٥٣ سعد ٢٢٠) .

ان هذا النص يظهر الإعمار الذي بدأ يبرز بين مكة والمدينة ، ولا بد أن ذلك راجع للأهمية الكبرى التي أصبحت للمدينة مما استلزم اعمار الطريق بينهـــا وبين مكة ، واستقرار البدو الذين كانوا على ذلك الطريق . ومن الطبيعي أن هذا لا يعني عدم وجود طرق في السابق، أو عدم وجود مراكز سكنى على الطريق القديمة ، ذلك ان الاعمار حدث على طريق جديد أخذ يحل تدريجياً ، محل الطريق القديم .

ان اهتمام عمر بأمر ابن السبيل من المسافرين قد يوحي إلى أن هؤلاء هم في الغالب من الجنود الذين تحتاجهم الدولة للقتال ، أو من المسؤولين عن نقل البضائع الضرورية للمجتمع وخاصة المواد الغذائية لذلك كانت صلتهم وثيقة بالدولة وأهميتهم كبيرة للمجتمع فلا بد للدولة من اتخاذ تدابير تضمن تأمين راحتهم ، هذا بالاضافة إلى معالجته المشكلة الخطيرة لابن السبيل التي كان يعاني منها المجتمع القديم .

ويبدو أن كثيراً من الأغنياء والورعين أولوا أمر المسافرين اهتمامهم ، وعنوا بتأمين الراحة لهم ، ولما كان أهم ما يحتاجه المسافرون في بلاد الحجاز الصحراوية الحارة هو الماء،لذلك كان توفيره من أهم وسائل الترفيه للمسافرين، ويروي الشافعي بسند عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه كان يشرب من سقايات كان يضعها الناس بين مكة والمدينة (الأمّ ج ٣ ص ٢٧٩) .

وفي العصر الأموي استقرت طرق المواصلات الاسلامية نتيجة لاستقرار الأوضاع فكان لا بد من أن تولى الطرق الجديدة عناية خاصة .

وأول من ذكرت المصادر من خلفاء الأمويين وجه اليها العناية هو الوليد بن عبد الملك فيروي الواقدي عن صالح بن كيسان بأن الوليد كتب إلى عمر بن عبد العزيز وكان والياً على المدينة في تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة وخرجت كتبه إلى البلدان بذلك ، وكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله بذلك (طبري ٢ – ١١٩٦) . ويروى المدائني أن الوليد كان « عند أهل الشام أفضل خلائفهم ، بني المساجد مسجد دمشق ، ومسجد المدينة ، ووضع المنار » (الطبري ٢/ ١٢٧١) .

ويذكر القلقشندي أن الوليد « هو أول من بني الأميال في الطرقات » (مآثر الإنافة ج ١ ص ١٢٦) .

ويذكر الكليني عن أبي عبد الله « قال وأي شيء البريد؟ قال ما بين ظل عَيْر إلى فيء وعيرة . قال ثم عبرنا زمانا ثم رأى بنو أمية يعملون أعلاماً على الطريق وانهم ذكروا ما تكلم به أبو جعفر فذرعوا ما بين ظل عير الى فيء

وعيرة ثم جزّأوه إلى اثني عشر ميلاً فكان ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع كل ميل ، فوضعوا الأعلام فلما ظهر بنو هاشم غيروا أمر بني أمية غيره لأن الحديث هاشمي فوضعوا إلى جنب كل علم علماً (الكافي ج ٣ ص ٤٣٢) .

ان هذا النص يتحدث عن حدود حرم المدينة ولكننا نرجح أن الأمويين لم يكتفوا بوضع الأعلام حول المدينة ، بـــل على الطرق أيضاً ، كما يروي القلقشندي ويشير الطبري ، ولكن ازالة العباسيين أثارهم كما تحدث الكليني أدى إلى ضياع تفاصيل ما عملوه ، ولعل العباسيين تابعوا الأمويين ولم يكن عملهم الا اصلاحات وتعديلات لما وضع في زمن الأمويين .

ولما استتبت الخلافة للعباسيين أولوا الطرق التي تربط الحجاز أهميـــة خاصة فيروي الطبري عن سنة ١٣٤ « فيها ضرب المنار من الكوفة إلى مكة والأميال » (طبري ٨٢) فيروى في حوادث سنة ١٦١ وفيها أمر المهدي ببناء القصور في طريق مكة أوسع من القصور التي كان أبو العباس بناها من القادسية إلى زبالة ، وأمر بالزيادة في قصور أبي العباس ، وترك منازل أبي جعفر التي كان بناها على حالها ، وأمر باتخاذ المصانع في كل منهل ، وبتجديد الأميال والبرك ، وحفر الركايا مع المصانع ، وولى ذلك يقطين بن موسى فلم يزل ذلك اليه إلى سنة ١٧١ » (طبري ص ٤٨٧) .

يتضح من هذا النص :

١ ــ ان أبا العباس السفـــاح بني قصوراً من القادسية إلى زبالة ، وربما إلى مكة .

٢ ــ ان أبا جعفر بني منازل أيضاً .

٣ ــ أنه كانت قبل المهدي أميال وبرك لا نعلم متى أُنشئت وقد تكون في زمن أبي العباس أو أبي جعفر أو قبلهما .

٤ ــ ان المهدي بنى قصوراً ، أوسع من قصور أبي العباس وأنه ترك قصور أبي جعفر ، ربما لأنها كانت كافية السعة .

وانه جدد الأميال والبرك .

وانه حفر الركايا مع المصانع .

ثم إن المهدي في سنة ١٦٦ أمر « باقامة البريد بين مدينة الرسول ﷺ وبين مكة واليمن بغالاً وإبلاً ، ولم يقم هناك بريد قبل ذلك » (طبري ص ٥١٨) .

وقد أمر المتوكل بعمل أعلام وأميال لطريق ثنية هرشا (وفاء ٢ – ١٧٢) .

بغداد : صالح أحمد العلي

الحواشي : (وهي من اضافات المجلة لايضاح بعض مواقع الأمكنة)

(١) نخلة تعرف الآن باليمانية ، وقديماً نخلة اليمانية للتمييز بينها وبين نخلة الشامية ، المعروفة الآن بالشامية . ونخلة اليمانية واد ينحدر من السيل (قرن المنازل قديماً) فيمر بقرية الزيمة ، ثم يجتمع عند سولة بالشامية فيكونان مر الظهران (وادي فاطمة الآن) ويتجه الوادي حتى يصب في البحر ، مارا بقرية حداء – بين جدة ومكة – ومصبه جنوب ميناء جدة .

(٢) ودان : موقعها – كما يفهم من نصوص المتقدمين – موقع بلدة مستورة الواقعة الآن على طريق السيارات الجديد بين ميناء رابغ ، وبين المدينة ، وهي بقرب شاطىء البحر ، في مفيض وادي الأبواء .

(٣) العيص : لا يزال معروفاً باسمه ، وسيف البحر المحاذي له هو ما يدعي الآن أم لج – ميناء صغير ، يقع مجاوراً لميناء (الحوراء) المعروف قديماً .

(٤) بواط : لا يزال معروفاً ، غير أنه يقع شرق الطريق الساحلية ، إذ هو يقع بقرب خط سكة حديد الحجاز ، وهناك محطة تدعى (بواطة) .

(٥) الهدة هذه لا تزال معروفة بقرب رهاط ، بعد عسفان ، وتسمى الآن : هدة الشام ، تفريقاً بينها وبين هدة الطائف .

(٦) اختصرنا كلام الدكتور الفاضل هنا لعدم وضوح الكتابة « العرب » .

(٧) أنظر بحثاً خاصاً لتحديد موقع الربذة في « العرب » ص ٤١٨/٤٦/٥٤٠/٦٢٥/٧٢٤ ، المجلد الأول .

(٨) للمتقدمين كلام طويل حول هذا الاسم هل هو بالقاف (القردة) أم بالفاء (الفردة) ولعل الأخير هو الصواب ، اذ لا يزال هناك منهل يدعى بهذا الاسم ، ويقع في الطريق بين المدينة وجبلي طيء ، كما يفهم من قصة رجوع زيد الخيل الطائي من الرسول (ص) وموته هناك .

(٩) النخيل لا يزال معروفاً يجتمع بوادي (الحناكية) التي كان اسم النخيل في القديم يشملها ، فانحصر اسم النخيل الآن بواد يمر به طريق المتوجه إلى المدينة من الحناكية على بضعة أميال منها .

(١٠) الثلاثة المواضع : تربان ، وملل ، والسيالة لا تزال معروفة ، وتقع على طريق المتوجه من المدينة إلى مكة – الطريق الجديد طريق السيارات . وكان طريق القوافل قديماً يمر بالمواضع المذكورة .

(١١) جبل عظيم لا يزال معروفاً في غرب القصيم من نجد ، بقرب بلدة الفوارة .

(١٢) يعرف المنصرف الآن باسم (المسيجيد) قرية كبيرة .

(١٣) النازية : واد لا يزال معروفاً ، يشاهد رأى العين من قرية المسيجيد .

(١٤) يظهر أن في العبارة اضطراباً ، فشنوكة تقع قبل المنصرف في جهة المدينة ، بين المنصرف (المسيجيد) وبين الروحاء ولا تزال معروفة ، ولعل هذا في طريق العودة ، وشنوكة طريق في جبل ينصرف قبل الوصول إلى المنصرف ، ذات اليمين ، للمتجه إلى بدر والصفراء ، يخرج الطريق إلى النازية ورحقان ويدع المنصرف يساره .

(١٥) بواط : تقدم ذكره ويظهر أنه على طريق الشام الأيمن ، غير الطريق الساحلي ، ومعروف أن للشام طريقين ، كما يفهم من قصة أبي سفيان عندما علم بخروج الرسول (ص) يوم بدر : فساحل بالعير ، كما سيأتي .

(١٥) أنظر الحاشية (٣) : والعيص لا يقع على ساحل البحر ، بل يبعد عنه بمسافة لا تقل عن ١٠٠ كيل . مع أن المتقدمين يقولون إنه على الساحل ، ولعلهم يقصدون : في جهة الساحل بالنسبة للمدينة .

(١٦) ذو المروة مدينة قديمة درست قبل القرن التاسع الهجري ، وتقع في مجتمع وادي إضم بوادي الجزل من الغرب، ووادي العيص من القبلة بقرب الخط ٣٨/٢٥ الطول الشرقي و٢٥/٢٦ شمال خط الاستواء [وانظر لزيادة الايضاح : « بلاد ينبع » ص ٢١١/٢١٧] .

(١٧) الحوراء كانت ميناء على البحر ، بخلاف العيص والمروة : ويفهم من كلام المتقدمين انها كانت تقع بقرب ميناء أملج، في شماله [أنظر لزيادة الايضاح:«بلاد ينبع» ص١٧٨/١٨١].

(١٨) شغب وبدا لا يزالان معروفين ، فيما بين الوجه وظبا ، وقبر الزهري في أسفل وادي شعب في وادي دمى (يسمى الآن : داما) .

(١٩) الجحفة : لا يزال الموضع معروفاً ، ويقع بقرب ميناء رابغ ، بعدها المتوجه منها إلى جدة بما يقارب ١٢ كيلاً ، إلا أن الجحفة لا تقع على البحر ، بل تبعد عنه شرقاً بما يقارب ١٠ أكيال ، ووادياها يفيض في البحر ، يمر به المتجه إلى جدة من رابغ فيجزعه جزعاً .

(٢٠) تعرف ذو الحليفة الآن باسم أبيار علي ، وقد بلغتها بيوت المدينة .

(٢١) مسجد الغزالة لا يزال معروفاً بقرب قرية المسيجيد (المنصرف قديماً) .

(٢٢) السقيا : تعرف الآن باسم « أم البرك » جمع بركة ، وكانت قرية عظيمة غير أنها الآن ضعفت بسبب انحراف الطريق عنها .

المعادن القديمة في بلاد العرب

- ٣ -

٤٨ — معادن القبلية

قال أبو عبيدالبكري: (هي من ناحية الفرع.. وهي التي اقطعهارسول الله (ﷺ) بلال بن الحارث المزني) وأورد ... (عن ابن عباس ان رسول الله (ﷺ) أقطع بلال بن الحارث المزني معادن القبلية جلسيّها وغوريها إلى حيث يصلح الزرع من قدس) [ص ١٠٤٧/١٠٥١] .

القبليّة(٢٤) : قال السيد علي بن وهّاس : القبليّة سراة فيما بين المدينة وينبع فما سال منها الى ينبع يسمى الغور ، وما سال منها إلى أودية المدينة يسمى

---

(٢٣) هَرْشى : لا تزال معروفة ثلية تقع في طرف يمتد من الحرة الكبيرة مشرقاً ، حتى يطل على وادي الأبواء .

(٢٤) الروحاء : لا تزال معروفة كانت قرية كبيرة ، وتدل الآثار التي بقربها على عمرانها قديماً . أما اليوم فهي عبارة عن بئر بجواره مسجد صغير ، وتقع بعد قرية المسيجيد للمتجه إلى المدينة .

(٢٥) الصفراء واد يشمل قرى كثيرة إلا أنها بدأت بالاضمحلال شيئاً فشيئاً ، بسبب نضوب مياه عيونها ، ويمر بها الآن الطريق الجديد بعد المسيجيد للمتجه إلى جدة .

(٢٦) أصبحت بدر الآن قرية كبيرة ، وتقع في أسفل وادي الصفراء ، ومنها يفرق الطريق إلى ينبع ، وتقع على الطريق الجديد. وكان هذا الطريق قد سلك في القديم تجنباً للمرور بين الجبال والأودية التي تكثر فيها البادية ، أما هذا فيفضي إلى براح من الأرض فسيح يعرف قديماً بقاع البزواء ، ويسير بمحاذاة الساحل حتى يصل قرب عسفان فيعرج ذات اليسار إليه ، ومنه إلى مر الظهران ، فمكة ، وهو الذي أشار اليه السمهودي في كلامه هنا ، وما بعده [وانظر لتفصيل الطريق بين مكة والمدينة « مجلة العرب » ص ٤٨١ / ٥٨٨ / ٦٩٢ / ٨٥٤ / ١٠٠٧/١١٥٧ — المجلد الأول] .

بالقبلية . وحدُّها من الشام : ما بين الحتّ وهو جبل من جبال بني عرك من جهينة، وما بين شرف السّيالة ، والسيالة أرض يطؤها الحاج) [1] .

وروى الطبراني أن رسول الله (ﷺ) أقطع بلال بن الحارث المزني وكتب له : « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى محمد رسول الله ، بلال بن الحارث ، أعطاه معادن القبلية ، غوريها وجلسيها ، غشية ، وذات النُّصب ، وحيث صلح الزرع من قدس ، ان كان صادقاً . وكتب معاوية . وفي كتاب أبي داود : وحيث يصلح الزرع من قريس . وفي رواية : غشيّة، وفي أخرى : عسية) [2] .

ان تعريف السيد علي بن وهاس للقبلية من أدق ما جاء عن المتقدمين في وصف المواضع وتحديدها ، وهو عالم يعرف تلك البلاد عن خبرة ومشاهدة ، كما يدل على ذلك تعريفه لموضع بوانة الذي أورده الزمخشري ، وعليٌّ هذا هو شيخ الزمخشري وتلميذه ، فلقد تلقى كل واحد منهما عن الآخر ، ومدح كل واحد الآخر شعراً .

والقبلية حسب تعريف علي هي السلسلة الجبلية الممتدة من منتصف الطريق بين المسيجيد وبين المدينة من الجنوب ، إلى طرف جبل بواط من الشمال أي بين درجتي ٢٤° و ٢٥° عرضاً و ٣٠ ، ٣٨° إلى ٢٠ ، ٣٩° تقريباً ، هذه الناحية كانت تعرف باسم القبلية لاقبال كثير من أوديتها إلى جهة القبلة حتى تجتمع بأودية المدينة وهذه الجهات الواسعة فيها آثار كثيرة للتعدين لا تزال بارزة للعيان ، وقد ورد في بيان مديرية المعادن ذكر بعضها [أنظر : م : ٥] .

٩٤ ــ معدن القشراء :

وقال في « بلاد العرب » [3] (ومن مياههم المؤخرة ، وهي معدن ذهب

---

(١) الجبال والأمكنة للزمخشري ــ ص ٨٨ طبعة النجف .

(٢) « معجم البلدان » .

(٣) ص ١٩٨ .

وجزع أبيض وجبله الثخب ... ومن أعلام بلادهم القشراء ، معدن ذهب ، وكلا المعدنين كانا سوقاً) قال هذافي ذكر بلاد بني الأضبط. وبلاد بني الأضبط حسب تحديده تقع في أعلى بلاد بني كلاب لأنه حينما ذكر جبل شعر الذي لا يزال معروفاً ـ قال : شرقيه لبني أبي بكر وغربيه لبني الأضبط ويفهم من كلامه أن بلاد بني سليم تحاد بلاد بني الأضبط من الغرب فكأن بلادهم على ضفاف وادي الجريب (الجرير الآن) غرباً، وهناك آثار معادن كثيرة تقع بين خط العرض ٣٠ ، ٢٤° وخط الطول ٣٠ ، ٤١° إلى ٤٢ . [أنظر : م ٦] . وأنظر معدن ذات النصب) .

٥٠ — معدن القفاعة :

القفاعة هذه في اليمن ومنهـــا ينحدر وادي خُلب الوادي المعروف في المخلاف السليماني ، وقد ذكر هذا المعدن الهمداني فقال :

(ومعدن القفاعة ، من أرض الجزيرة (؟) من خولان ، وهو بالقرب من الخصوف مدينة حكم ، وقد يُدْعى معدن النار ، والنار في أعلى وادي خُلب — وادي الخصوف — وهو خير المعادن جميعاً ، وأقلها وضوحة ، وأشدُّها حمرة ، ورطله يأتي بالعيار العلوي مائة وستة [١])

وذكر صَعْدة وانها موسط بلاد القرظ وهو يدور عليها في مسافة يومين، فحده من الجنوب خيوان ... ومن المغرب مَعْدن القُفاعة من بلاد الأحدود من خولان [٢] .

وذكر أن مآتي وادي خُلب من القفاعة [٣] .

وذكر هذا المعدن ياقوت فقال :

---

(١) : « الجوهرتين » .

(٢) : « صفة الجزيرة » ص ٦٧ .

(٣) : « صفة الجزيرة » ص ٧٣ .

(القُفاعَة : من نواحي صعدة ، ثمَّ أرض خولان باليمن يسكنهـــا بنو مُعْمِر بن زرارة بن خولان ، بها معدن الذهب [1]) .

ويقع هذا الموضع على خط العرض ١٦,٥٠° و ٤٣,٢٠° على وجـــه التقريب .

٥١ — معدن الكوكبة .

(من معادن اليمامة : .. الكوكبة من وراء العيصان ، على مسيرة يوم وليلة ، وهي على رأس جبل كان منصوباً فيه بابٌ ، وإنما سميت الكوكبة لأن رجلاً مرَّ فاذا هو بفضة شبه الكوكبة ، فحفروها ، فانشعبوا فيها ، حتى كان يدخل فيها نحوٌ من مائة رجل من مدخل واحد ، فينشعب كل واحد منهم في معمل لا يراه صاحبه ، وهي لنمير ، وهي متأخمةٌ لأرض بني كلاب [2]) هذا كلام مؤلف « بلاد العرب » .

وأورد مثل هذا الكلام نصر في كتابه ، الا أنه قد اختصره ، وجاء ذكره في « تاج العروس » والغريب ان ياقوتاً وهو كثير التعويل على كتاب نصر لم يذكره .

وبلاد بني نمير كانت تقع في حدود ثهلان غربا إلى النير ويخالطون باهلة في طرف بلادها الجنوبي وتمتد بلادهم شمالاً إلى الشريف [انظر م : ٧]

٥٢ — معدن اللقط :

اختلفت صورة هذا الاسم في المصادر التي بين أيدينـــا فهي كتاب نصر والنسخة خطية قديمـــة اللقط وكذا في « تاج العروس [3] » ، وفي كتاب الحازمي والنسخة من مخطوطات أوائل القرن السابع (اللفظ) أما في ياقوت فوردت (النفط) ونرى الصورتين تصحيفاً وليس في المصادر التي بين أيدينا

---

(١) : « معجم البلدان » .
(٢) بلاد العرب ص ٣٨٢ .
(٣) : مادة (هنو) .

من تحديد لهذا الموضع وكل ما فيها هو قولهم : هنَي كأن تصغير هِنْء : موضع دون معدن اللقط قال ابن مقبل :

يسوفان من قاع الهنيّ كرامة أدام بها شهر الخريف وسيّلا

٥٣ — معدن ماوان :

هذا المعدن من أشهر المعادن المعروفة القديمة . واسم ماوان يطلق على منهل لا يزال معروفاً وجبل يسمى بهذا الاسم ، وقد جاء في كتاب نصر وعنه نقل صاحب « معجم البلدان » : (شِعْر : جبـــل ضخم لبني سُليم يشرف على معدن الماوان قبل الربذة بأميال لمن كان مصعداً) .

وقد عرف موقع هذا المعدن بآثاره القديمة ، ويقع غرب الجبل المعروف بهذا الإسم (ماوان) ، وشرق منهل يدعى عرجا — وهو غير عرجة الواقعة بقرب السرّ ، وفي غربه - وأودية ماوان تنحدر إلىوادي الجرير (الجريب سابقاً) ويعرف أيضاً الآن باسم وادي المياه ، وهو من أعظم روافد وادي الرّمة ، حيث يجتمع معها بين جبلي طميّة — غرباً وأبان الأحمر (الأبيض قديماً) شرقاً .

ومما تجب ملاحظته أن جبل شعر المعروف الآن ليس قريباً من ماوان ، بل يقع في الجنوب الشرقي منه بمسافات بعيدة ، جبل شِعرِ المعروف الآن يقع في الجنوب الشرقي من بلدة ضرية ، بعيداً عنها ، وغرب جبل كبشات بقربها .

وهذا الجبل لا يقع في بلاد بني سُليم ، بل في بلاد الضباب ، مما يدل على أن جبل شعر الذي لبني سليم ، والقريب من ماوان غير هذا فليلاحظ التفريق بين الجبلين ، وكثيرا ما أطلق الأسم الواحد على عدة مسميات ويقع معدن ماوان على خط الطول ٧ ، ٢٥° وخط العرض ٣٩ ، ٤١° ، وهو مجاور للمنهل الذى لا يزال معروفاً بهذا الاسم [أنظر : م : ٣] .

٥٤ معدن المخلفة :

وهذا المعدن ذكره الهمداني فقال [١] : (ومثله — يقصد مثل معدن القفاعة — وقريب منه معدن المخلفة من أرض حجور وأرض همدان وبأرض بني سابقة بالحد ما بين صعدة ونجران ، وهو معدن ذهب جيد يأتي رطله بالعيار العلوي مائة وأربعة وأقل شيئاً) : وقال أيضاً [٢] : المخلفة سوق حجور يتسوقه أهل تهامة وأهل الجبال .

ولم أر ضبطاً لهذا الاسم ، ويفهم من تحديد الهمداني المتقدم موقعه .

٥٥ — معدن المزبدة :

قال في « بلاد العرب » : (وعن يسار الحرة ، حرة النار ، فيما بينها وبين المدينة ، جبال يقال لها جبال السخل ، بهـا معدن يقال له المزبدة ، يسكنه قوم من بني ليث ، وبشرقي جبال السخل ، صحراء برية ، طيبة التراب ، يقال لها الحيل لغطفان وأشجع) .

وحرة النار هي المعروفة الآن باسم حرة خيبر ، وحرة هُتيم ، حرة خيبر لأن بلاد خيبر تقع في وسطها ، وحرة هتيم لأن سكانها الآن قبيلة هتيم ، والجبال الواقعة غرب هذه الحرة تكثر فيها المعادن ، التي لا تزال آثارها ظاهرة ، إلا أن التحديد المتقدم يفهم منه أن موقع المعدن في جبال السخل الواقعة بين حرة خيبر وبين المدينة ، فكأن هذا المعدن يقع في الشمال الشرقي من المدينة

٥٦ — معدن المعدن في بقران :

بقران واد عظيم يقع في الجنوب الشرقي من الطائف ، ينحدر من سراة عدوان ، وكان في القديم من منازل هذه القبيلة وذكر بعض المتقدمين أن فيه

---

(١) : كتاب « الجوهرتين » .

(٢) : كتاب « صفة الجزيرة » ص ١١٣ .

(٣) : كتاب « بلاد العرب » ص ٣٩٤ .

معدناً ، ولا يزال هناك موضع يعرف باسم المعدن ، لا تزال آثار التعدين فيه [أنظر : م ٨] .

٥٧ – معدن مِنْضَح :

جاء في كتاب نصر وعنه نقل ياقوت ومن جاء بعده ، قوله : مِنْضَح اسم معدن جاهلي بالحجاز عند جوبة ماء عظيمة يجتمع فيها الماء . انتهى . ولم يزد على هذا في التعريف .

٥٨ – معدن المؤخرة :

قال في بلاد العرب [١] : (ومن مياههم – يعني ربيعة بن الأضبط بن كلاب – المؤخرة، وهي معدن ذهب ، وجزع أبيض، وجبله : الثخب، وقد ذكره الشاعر فقال :

وعيش بالجديلة ، ثم موت يجنب الثخب تثنية العذاب

... وكان سُوقاً) . ونقل مثل هذا الكلام نصر في كتابه . وجاء في « معجم البدان » : ثخب بالفتح ثم السكون ، وباء موحدة : جبل بنجد في ديار بني كلاب عنده معدن ذهب ومعدن جزع أبيض ، وهذا مهمل في كلام العرب وانابه مرتاب) . هذا المعدن على ما يفهم من كلام صاحب بلاد العرب يقع في بلاد بني الأضبط وهم من بني كلاب ، وهو قريب من معدن القشراء [أنظر : م : ٦] .

٥٩ – معدن موزّر

قال ياقوت موزر بالضم وتشديد الزاي والراء فكأنه مفعل من الوزر : معدن الذهب بالقرب من ضرية من ديار كلاب ، قال ابن مقبل : او تحل موزرا ، وياقوت نقل كلامه هذا عن كتاب نصر . وقد ذكر صاحب « بلاد

---

(١) بلاد العرب ص ١٩٨ .

العرب »[1] ان موزر من مياه بني الأضبط وان جبله شعر حذاء الطريق ، شرقيه لبني أبي بكر وغربيه لبني الأضبط) .

وعلى ما ذكر صاحب « بلاد العرب » من انه حذاء الطريق ، ويقصد طريق الحج البصري في الغالب ، إذ هو المقصود عند الاطلاق فانه أحد المعادن التي لا تزال آثارها باقيه ، والواقعة بقرب شعر غرب جبل العرائس . وفي الشمال الغربي منها ، [أنظر : م : ٦] .

٦٠ – معدن ناضحة :

قال ياقوت : (ناضحة موضع ذهب بين اليمامة ومكة عن أبي زياد الكلابي) وذكر صاحب « بلاد العرب » ان ناضحة من بلاد عبد الله وربيعة ابني كلاب ، وبلاد هؤلاء تقع في عالية نجد في جهات الرمل المعروف الآن بنفود سبيع [انظر : ٩] .

٦١ - معدن النصب :

جاء في معجم البلدان : (النصب موضع بينه وبين المدينة أربعة برد وعن مالك ان عبد الله بن عمر ركب إلى ذات النصب فقصد الصلاة ، وقيل هي من معادن القبلية) وجاء في « وفاء الوفاء » للسمهودي : ان ذات النصب موضع بمعدن القبلية أقطعه النبي (ﷺ) بلال بن الحارث المزني ، وقد مرّ ذكر هذا الموضع في كتاب اقطاع الرسول (ﷺ) بلالاً في الكلام على معادن القبلية ويفهم من نص الكتاب أنه من معادن القبلية ، وقد حددت المسافة بينه وبين المدينة باربعة برد. والبريد أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال أي أن المسافة بينه وبين المدينة تقارب ٥٠ ميلاً = ٧٥ كيلاً .

٦٢ – معدن النقرة :

هذا المعدن من أشهر معادن بلاد العرب وقد ورد ذكره في كثير من معجمات الأمكنة ومن كتب اللغة وغيرها .

---

(١) ص ٢٠٠ .

ويسمي أيضاً معدن القرشي [1] .

ولشهرة هذا المعدن اتخذ المتقدمون منه واسطة لتحديد بعض الأماكن فمن ذلك ما ذكرة ياقوت :

١ – حد الحجاز من معدن النقرة .

٢ – أريك جبل قريب من معدن النقرة .

٣ – انجل قريب من معدن النقرة .

٤ – خبّان جبل بين معدن النقرة وفدك وغير ذلك ممّا لا نطيل بذكره.

أما بعض ما جاء عن المتقدمين فمن ذلك : قال نصر :

(النَّقِرَةُ : من منازل حاج الكوفة ، بين أضاخ وماوان، وقال أبو زياد: هما نقرتان لبني فزارة ، بينها ميل ، قال أبو المِسْوَر :

فصبَّحَتْ معدِن سوق النُّقْرة وما بأيديهـــا تُحِسُّ فترهْ
في روْحَةٍ مَوْصولة ببكره من بَينَ حرْفٍ بازلٍ وبكره[2])

وقال البكري : (النُّقْرَة ؛ بضم أوله وإسكان ثانيه : موضع معدن في بلاد بني عبس قبل قرْقرى ، وهو ماء لبني عبس [3] وقال أبو حاتم عـــن الأصمعي : قرْقرى ماء لبني عبس بين الحاجر ومعدن النقرة) .

وقرقرى هنا تصحيف قرَوْرى .

وقال ياقوت : النِّقرَة – وروى بسكون القاف – قال ابن الأعرابي : كل أرض متصوِّبة ، في وهْدَةٍ ، فهي نقرة ، وبها سميت النقرة ، بطريق مكة ، التي يقال لها معدن النقرة ، قال أبو المِسْوَر :

---

(١) : كتاب ابن خرداذبة – ص ١٣٧ وكتاب الحربي – مخطوط –
(٢) : كتاب نصر .
(٣) : « معجم البكري – ص ١٣٢١ و ١٠٦٦ .

فصبّحت مَعْدِنَ سوق النقْره وما بأيديهـــا تُحَسُّ فقرَه
في رَوْحَةٍ مَوْصولةٍ ببُكره من بَين حَرفٍ بازلٍ وبَكره[1]

أما تحديد موقع هذا المعـــدن عنـد المتقدمين . فإن ابن خرداذبة حدّد المسافة بينه وبين سَميراء بـ (٦٧) ميلاً ، وبينه وبين معد من بني سليم بمائة وإحدى عشر ميلاً ، بينما جاء التحديد / في كتاب قدامة فيما بين معدن النقرة وسميراء ٥٠ ميلاً ، رفيما بين النقرة ومعدن بن سليم ٧٠ ميلاً [٢] .

وهما لا يتفقان في تحديد المسافة بينه وبين المدينة ، فابن خرداذبة يحددها بـ (١٦٩) ميلاً وقدامة بـ (١٣٩) . ويقرب من تحديده تحديد ابن رستة حيث يجعل هذه المسافة (١٣٤) ميلاً ، وابن رستة يحدد المسافة بين معدن النقرة وبين سميراء بـ(٦٨) ميلاً ، وبينه وبين معدن بني سليم بـ(١٢٤) ميلاً .

ويفهم من كلام المتقدمين أن اسم النقرة يطلق على موضعين، والامر، كذلك فالنقرتان لا تزالان معروفتين وآثار المعـــدن لا تزال بارزة وموقعه لا يزال معروفاً الآن وهو يقع مجاوراً للمنهل المعروف بهذا الاسم في الشمال منه ويقع شمال معدن جبل حاوان وهذا الجبل شرق وادي النقرة ووادي النقرة يجتمع مع وادي الرمة غرب جبل طمية وما بقربها من الجبال [وأنظر عن هذا المعدن م : ٣] .

٦٣ – **معدن النقيب** :

وعدّ صاحب كتاب « بلاد العرب » [٣] » من مياه قبيلة محارب النقيب وكان أوله معدنا وآخره بئراً انبطت ماء عذباً .

وبلاد محارب هؤلاء تقع غرب وادي الجريب (الجرير) ومن جبالهم اريك بقرب ماوان وما حول ذلك من المواضع [أنظر : م : ٣] .

---

(١) : « معجم البلدان » .

(٢) ابن خرداذبة (ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣١) قدامة (١٨٦) ابن رستة (١٧٦) وما بعدها

(٣) ص ١٨٢ .

٦٤ – معدن النـُّميرة

هذا المعدن ذكره صاحب كتاب« بلاد العرب »[١]فقال وهو يعدّد معادن اليمامة : (خزبة وشمام وهو بِسَوْدِ باهلة، والنميرة لبني أبي بكر ابن كلاب).

وبلاد هؤلاء تقع في جهات ضريّة من جنوبها كما يدل على ذلك قوله وهو يحدّد مياههم قال :

(من مياههم : البكرة لها جبال شمخ سودٌ يقال لها البكرات ، وجميع بلادهم ما بين النـُّميرة ، نميرة بيدان جبيل لهم إلى ثنية المدالج إلى الجوشنية إلى ضرية ، إلى البكرة إلى حزم النميرة وهو حزم أبيض ، وبه ماءة يقال لها نميرة .

قال : ويخالطهم هناك غنيٌ ، وهو جانب حزم العيصان ، إلى حزيز أضاخ إلى سواج النـُّثاءة وهو حدهم وهو لغني ، إلى النميرة) باختصار [٢] .

ومما تنبغي ملاحظته أن اسم هذا الموضع جاء في كتاب « بلاد العرب » بالتاء (التميرة) بدون ضبط ونراه تصحيفاً صوابه النميرة بالنون ذلك أننا وجدناه مضبوطاً بها في بعض معجمات الأمكنة (أنظر م : ٦) .

٦٥ – معدن نبعان :

وقال الهمداني [٣] : (وفيها يعني تهامة واليمن معادن أخر ولم تعمل،منها معدن نبعان بحجور ، ونبعان جبل والمعدن في مسقطه وهو مجانس لمعدن ظنكان) .

وكلمة نبعان هنا مهملة من الأعجام يصح أن تقرأ على صور كثيرة ، وبلاد حجور كما هو معروف تقع في الشمال الغربي من صنعاء أوديتها تنحدر إلى جنوب المخلاف السليماني في تهامة .

---

(١) ص ٣٨٢ .

(٢) «بلاد العرب » ص ١٠٨ .

(٣) كتاب الجوهرتين .

وقال لي العلامة السيد علي المؤيد أن نَيْعان – بالنون بعدها ياء مثناة تحتية فعين مهملة – قرية في بلاد يريم ، مطلة على وادي بنا ، الوادي المشهور الذي يصب في وادي أبين ، ويجاور نيعان قرية تدعى المسقاة ، وكلاهما بقرب ظفار يريم ، في الجهة الجنوبية من صنعاء ، على مسيرة أربعة أيام بسير القدم .

وأرى أن هذا الموضع الذي ذكره السيد المؤيد لا ينطبق على جبل المعدن ، فذاك جبل ، وهو في بلاد حجور ، وهي تقع في غرب صنعاء ، بميل نحو الشمال ، لا جنوبها .

٦٦ – معدن الهُجيرة :

قال الهمداني [١] : (وأما معادن نجد الذهبية فأولها معدن الهجيرة وأصح ما يأتي رطله بالعيار العلوي ثمانية وتسعين وأقل) وقد ذكر الهمداني أيضاً هذا المعدن في كتاب صفة الجزيرة [٢] . وهذا المعدن لا تزال آثاره باقية ويقع على خط الطول : ٥ ، ١٩° تقريباً : وخط العرض ٤٠ / ٤٣° تقريباً أيضاً (أنظر م : ١١) .

٦٧ – معدن الهردة :

جاء في كتاب نصر : (البقرة ماءة بالحوأب ، عن يمينه ، لبني كعب بن عبد ، من بني كلاب وعندهـــا الهردة ، وبها معدن ذهب) وكذا جاء في « معجم البلدان » وهو قد نقل كلام نصر هذا ، إلا أن الاسم جاء فيه (الهروة) مصحفا ، ضبطه صاحب « القاموس » بالدال : (هرد) .

أما تحديد موقع هذا المعدن – على ما ظهر لي – فهو قريب من منهل البقرة – وتقدم ذكره في ذكر معدن البقرة ، ويضاف إلى مـــا تقدم هنا ما يلي :

---

(١) كتاب الجوهرتين .

(٢) ص ١٥٤ .

في الطرف الشمالي للنفود المعروف باسم (عروق سبيع) توجد آثار معدنين أحدهما يقع مجاوراً لمنهل البقرة، الواقع شرق جبل يدعى جبل سفوة (في الخارطة : صفوى) ويقع الثاني جنوب الموضع الأول ، في حد طرف النفود (عرق سبيع) .

ويغلب على الظن أن الأول منهما هو ما يدعى قديماً بمعدن (الهردة) (أنظر : م ٩) .

٦٨ – معدن اليحموم

(اليَحْمُوم : قال ابو زياد : جبل أسود طويل ، في ديار الضباب ، قال : وكانت التقطت باليحموم سامة ، والسّامة عرق فيه شيء من فضة ، فجاء انسان يقال له ابن بابل ، وأنفق عليه أموالاً حتى بلغ الأرض من تحت الجبل ، فلم يجد شيئاً ، فقال أبو الغارم الحنبص بن عبد الله :

لعمري لقد زاحت ركازُ ابن بابلٍ
من الكنز إغراباً ، وخابت معاوله

وقال الراعي :

فأبصرتهم حتى رأيت حمولتهم بأنقاءِ يحْموم،وورْكن أضْرعا [1]

ومنازل الضباب حول ضرية ويظهر أن هـــذا المعدن ان صح تسميته معدناً غير مشهور .

٦٩ – معادن ينبع :

ذكر المتقدمون أن بين ينبع والمروة معادن كثيرة للذهب [2] .

وقد تقدمت الاشارة إلى بعضهـا مثل معدن الحراضة . ولا تزال آثار

---

(١) : « معجم البلدان » .

(٢) : كتاب أحسن المقاسيم ص م : (١) ،

التعدين كثيرة في تلك الناحية وقـد أشار المستشرق الألماني إلى طرف من أخبارها في المقال الدي نشرته مجلة « العرب » مما لا نطيل بالحديث عنه .

هذا كله ما استطعنا معرفه عن معادن الذهب والفضة في جزيرة العرب . وقد حاولنا جهد الطاقة تحديد بعض أمكنة تلك المعادن وهو تحديد لا نثق بصحته من كل وجه ، غير أنه يقرب للقارىء الموضع من موقعه الصحيح في الغالب .

ولقد استعنا بمصور جغرافي هو (خريطة المملكة العربية السعودية) وقد وضعت وزارة النفط والثروة المعدنية فوقها علامات توضح مواضع المعادن المختلفة مميزة الألوان إلا أننا لصعوبة الطبع بألوان مختلفة إضطررنا لطبعها بلون واحد ، كما اضطرنا لكبر ذلك المصور إلى تجزئته ووضعنا لكل جزء رقماً ليسهل للقارىء معرفة موضع المعدن الحديث على وجه التقريب وكل المعادن المرسومة في المصور قديمة إلا انّ أسماءها تغيّرت وزاد الطين بلّة كما يقولون ـ أن الاسماء في ذلك المصور كتبت أولاً بأحرف لاتينية ثم بعد ذلك نقلت إلى العربية فمنها ما هو صحيح لشهرته ومنها ما جاء محرّفاً ولم نستطع تمييز الكثير منه

وسنورد في آخر هذا البحث عندما ننشر المصورات بعد ملاحظات أخرى تتعلق بالموضوع .

معادن أخرى :

عندما يطلق المتقدمون المعدن ، فهم غالباً يقصدون به معدن الذهب أو الفضة ، ولا يعنون كثيراً بالمعادن الأخرى ، إلا أنهم يشيرون إلى بعضها اشارات موجزة ، إما في بيان مدلول بعض الكلمات اللغوية ، أو في تحديد بعض المواضع . وسأعرض بعدما وقفت عليه من أسماء المعادن الأخرى .

الحديد :

١ ـ معدن رُغافة :

قال ياقوت : (رُغافة قرية على مرحلة من صعدة ، باليمن ، فيهـا معدن

حديد ، ونحو خمسة عشر كيْراً يسبك فيها حديد معدنها [1]) .

٢ — معدن العَبْلاء

(قال ابو عمرو : العَبْلاء معدن الصُّفر في بلاد قيس [1] .

٣ — معدن قُسَاس

هذا من أشهر معادن الحديد في بلاد العرب ذكره كثير من اللغويين، وممن كتبوا في تحديد الأمكنة فقال عنه ياقوت [2] .

(قساس : جبل لبني نمير .. وإذا قيل بالصاد فهو جبل لهم ايضا فيه معدن حديد تنسب السيوف القساسية اليه قال الراجز يصف فأساً :

أخضر من معدن ذي قساس كأنه في الحيد ذي الأضراس
يرمى به في البلد الدهاس

وقال أبو طالب بن عبد المطلب :

فلسنا ورب البيت نُسلم أحمدا لعزّاء من ريب الزمان ولا كرب
ولما تَبِنْ منا ومنكم سوالف وأيد أترّت بالقساسية الشهب

وقال أبو منصور : ذكر أبو عبيد عن الأصمعي من أسماء السيوف القساسي، ولا أدرى إلى ما نسب . وقال شمر : قساس يقال إنه معدن الحديد بأرمينية نسب السيف اليه قال جرير :

إن القساسي الذي تعطى بـــه خير من الالف الذي تعطى به

قال جران العود النميري :

تذكرنا أيامنـــا بسويقـة وهضب قساس والتذكر يسعف

---

(١) : « معجم البلدان » .

(٢) : « معجم البلدان »

وأورد المبرّد في الكامل [1] (قال الراجز :

أخضر من معدن ذي قساس كأنه في الحيد ذي الأضراس
يرجى به في البلد الدهاس

يصف معولا . وذو قساس معدن للحديد الجيد وهو يقرب من بلاد بني أسد) .

وأقول : هو بعيد عن بلاد بني أسد ، فتلك تقع في شمال نجد ، وهذا يقع في جنوبها .

وجبل قساس لا يزال معروفاً ، ولكن العامة لا يخرجون القاف من مخرجها ، بل من مخرج يقرب بينها وبين السين ، فيظنها السامع (دالا) ولهذا وقع الغلط في هذا الاسم حيث كتب في الطبعة الأولى لخريطة (جزيرة العرب) : إدساس ، ثم حرف وصحف عدة تصحيفات منها : أوناسس وهلمّ جرّاً .

ويقع هذا الجبل في إقليم العرض (عرض القويعية) المعروف قديماً بعرض شمام ، أو سواد باهلة . غرب وادي العَمْق ، وشرق جبل صبحا (يذْبُل : قديماً) وقد عثر على معدنه ، وعرف وسيبدأ استثماره قريباً .

الشّب :

١ – معدن إسبيل

قال الهجري [2] (سالت ابن علكم عن إسبيل ، فقال : هو جبل من ديار عنس ، من مذحج ، علمٌ ، سراة بقربه مقطر الشب ، يقطر يوماً ثم يجمد) .

---

(١) : ص ٨٨٦ - طبعة محمد شاكر سنة ١٣٥٦ .

(٢) كتاب « أبو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضع » ص ١٨٩ .

وقال ابن الفقيه :[1](الشبُّ اليماني: وهو ماء ينبع من قلة جبل فيسيل على جانبه قبل أن يصل إلى الأرض فيجمد ، فيصير هذا الشب اليماني) .

٢ – معدن الاشعر

والاشعر هذا هو جبل جهينة ، ولا يزال معروفاً .

(ومن أودية الأشعر : حورتان : الشامية واليمانية .

وبحورة اليمانية : المخاضَة ، وهي بقاع كانت لجُهينة ، ثم صارت لعبد الرحمن بن محمد بن غرير ، وهي التي يقول فيها ابن بشير الخارجي :

ألا أبلغا أهل المخاضة أنني مقيم بزورا آخر الدهر معْتمر

وكانت وَعْرة ، وبها غَرْض يستخرج منه الشّب ، والغرض شق في أعلى الجبل أو في وسطه – هكذا نقل السكوني والمعروف عند اللغويين أن الغرض الشعيبة في الوادي والجمع غرضان) هذا ما قال البكري [2] .

وقال في معجم البلدان :

(ذو الشب : في أعلى جبل جهينة في اليمن ، يستخرج من أرضه الشب المشهور) .

قوله : في اليمن خطأ ، فجبل جهينة هذا هو الاشعر ، وهو في الحجاز .

وإذا أردنا تحديد جبل الأشعر هذا فإنه يقع في الشمال الغربي من المدينة وعلى وجه الدقة غرب المحطة الواقعة على الخط الحديدي المعروفة باسم (بواطة) وتلك تقع في أسفل وادي بواط المنحدر من ذلـــك الجبل الواقع على خط عرض ٥٠ ، ٢٤ ° وخط طول ٣٩° .

---

(١) مختصر كتاب البلدان ص ٣٦ .

(٢) : « معجم ما استعجم » ويظهر أن الأصل للهجري ، وانظر كتابه .

معادن الدهنج :

١ ــ معدن حرة بني سليم

الدهنج نوع من الفيروزج ، ونقل عن الكندي أن منه شيء يؤتى به من غار في حرة بني سليم ، تشتد خضرته إذا نقع في الزيت ، ــ ثم ذكر انه ثلاثة أنواع ــ النوع الثالث : مجلوب من أرض العرب في طريق مكة ، من جبال تعرف بحرة بني سليم ، تصفو خضرته بالزيت في مدة إذا تجاوزها ضرب إلى السواد ويكون وقت اخراجه من المعدن لينا ، ثم يزداد بعد ذلك صلابة ، وجلاؤه أن تودع اليه مشرحة (كذا ؟) ويضرب بخل ثقيف ، ويجعل في خمير ، ويمل في رماد) [١] .

وحرة بني سليم هذه هي الحرة العظيمة الواقعة جنوب المدينة الممتدة إلى قرب ذات عرق (محل الاحرام) والتي كان طريق الحج العراقي يمر بطرفها حيثما يتجه للحج ويقع معدن بني سليم في شرقها وشهرتها تغني عن تحديدها .

البورق

ــ معدن حرة النار :

حرة النار . بين وادي القرى وتيماء ، من ديار غطفان ، وساكنها اليوم عنزة ، وبها معدن بورق ، وهي مسيرة أيام [٢] .

وحرة النار هي الحرة المعروفة الآن بحرة خيبر وبحرة هُتيم باسم القبيلة ، التي تسكن كثيرا في أوديتها الشرقية .

الدهنج :

وقال ياقوت (حرة النار : وتسمى أمُّ صبار ، وفيها معدن الدَّهنج ، وهو حجر أخضر ، يحفر عنه كسائر المعادن) [٣].

---

(١) البيروني ص ١٩٦ .
(٢) كتاب نصر .
(٣) « معجم البلدان » .

وتقدم تعريف حرة النار هذه .

الزُّمُرّد :

١ — معدن هديَّة

ا الزُّمرُّدُ . . معدن بأرض خيبر ، وبوادي القرى ... وله معدن بأرض هدية من الحجاز) [١]

هدية : احدى محطات سكة الحديد ، محاذية لخيبر ، ولا تزال معروفة .

وتقع هدية على خط الطول ٣٥ و ٣٥° وعلى خط العرض الشرقي ٣٨ و ٤٥ ° على وجه التقريب ووادِيها يفيض في مجتمع الأودية الواقعة فيما بين بلدة العلا وبلدة العيص في الموقع الذي يغلب على الظـــن أنه مكان المروة (ذو المروة) البلدة المشهورة قديماً .

الجمست :

١ — معدن الصفراء :

قال البيروني (حكي عن عبد الله بن عباس (ض) أن صرح بلقيس كان من جمست ، لكن العرب تسمي الياقوت والزمرد والبلور كلها قوارير ... وقيل في معادن الجمست أنها كثيرة .. وقال الكندي : معدنه بقرية الصفراء على ثلاثة أيام من مدينة النبي ﷺ [٢] .

وذكر ابن شيخ الربوة أيضاً أن معدنه بوادي الصفراء من الحجـــاز ، وتوجد منه القطعة قدر الرطلين [٣] ، ووصفه بأنه حجر لونه بنفْسجيٌ ، مُشِفٌ .

---

(١) شيخ الربوة ص ٦٨ .

(٢) : كتاب « الجماهر » ص ١٩٤ .

(٣) : كتاب « نخبة الدهر » ص ٦٥ .

وقرية الصفراء في وادي الصفراء الذي لا يزال معروفـــاً بين قريتي المُسَيْجيد (المنصَرف قديماً) وبين بدر الموضع المعروف ، والذي أصبح الآن قرية كبيرة .

البلوّر :

١ — معدن سراة عدوان

(قال الكندي : أجود البلور الاعرابي، يلقط من براريهم من بين حصاها وقد يغشى بغشاء رقيق عكر ، ويوجد منه أيضاً ما يوازن الرطلين ، كما يلقط أيضاً بسرنديب وهو دون الاعرابي في الصفا ، ومنه ما يخرج من بطن الأرض ، فإن كان في أرض العرب كان أجود [١] .

وقال ابن الفقيه : في حديثه عن سراة عدوان : (بها معدن البلور ، وهو أجود ما يكون ، في صفاء الماورد ، توجد القطعة منه منا وأكثر . وقال الكندي : رأيت منه قطعة فيها مائة منا)[٢] .

٢ — معادن اليمن

البلور بضهر وسعوان ، وعذيقة مخلاف خولان ، ووادي عشار ، وفي الهان ، وشهارة ، جبل بالمغرب من ديار همدان ، في كل هذه المواضع [٣]

الجِـزْع :

(وبها — يعني اليمن — معدن الجزع ، وهو أنواع ، وجميع هذه الأنواع يؤتى بهـا من معدن العقيق ، وأجود هذه الأنواع البَقْرَاني ، وأثمنها ، ومنه العرواني ، والفارسي ، والحبشي ، والمُعَسَّل ، والمعرَّق . وقال الأصمعيُّ : أربعة أشياء ملأت الدنيا لا تكون الا باليمن ، الورْسُ ، والكندر، والخِطر

---

(١) البيروني : ١٧٤ .

(٢) كتاب مختصر « البلدان » لابن الفقيه ص ٣٢ .

(٣) الاكليل : (٨ / ٣٠) .

والعصب . فأما المعرّق من الجزع فإنه يتخذ منه الأواني لكبره وعظمه [١].

وقال الهمداني : الجزع السماوي هو العشاري من وادي عشار [٢] .

وقـــال : (وللجزع معادن بضَهْر ، وسَعْوان ، وعُذَيقة ، مخلاف خولان [٣]) .

العقيق :

العقيق : ويحمل العقيق من مخاليف صنعاء ، وأجوده ما أتي به من معدن يُسَمّى مُقْرَي ، وقرية اخرى تسمى الهام ، وجبل يقال له قساس فيعمل بعضه باليمن ، ويحمل بعضه إلى البصرة . وحدث يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : قال لي جبرائيل : يا محمد : تَخَتَّم بالعقيق ، فقلت : وما العقيق ؟ قال : جبل باليمن ، يشهد لله بالتوحيد ، ولي بالرسالة ، ولك بالنبوة ... » [٤] .

وقال الهمداني : (العقيق الجيد من الهان ، ومن شهارة ، جبل بالمغرب من بلاد همدان [٥]) .

البرم :

البرم – كما يفهم من كلام المتقدمين – نوع من الصخور الهشة اللينة ،تصنع منه البرم – جمع برمةٍ وهي أواني الطبخ كالقدور ، وقد تتخذ من نوع من الطين .

وهذه الأواني – كانت إلى عهد قريب ، يستغنى بها عن الأواني المصنوعة من الحديد ، ولا يزال بعضها مستعملاً في بعض جهات الجزيرة .

---

(١) : « مختصر البلدان » ص ٣٦ .
(٢) : الا كليل (٨/٣٠) .
(٣) الا كليل (٨/٣٠) .
(٤) : « مختصر البلدان » ص ٣٦ . والحديث غير صحيح .
(٥) : الا كليل (٨/٣٠) .

وعرف للبرم معادن كثيرة منها :

١ — معدن أضاخ

وأضاخ : قرية لا تزال معروفة ، تقع في عالية نجد ، يدعها المتجه إلى ضرية من بلدة نفيٍ (نفي الآن) على يساره قال نصرٌ — في كتابه وعنه نقل ياقوت — :

(برم : معدن البرم بين ضرية والمدينة ، وهناك أضاخ موضع مشهور[١].

كذا قال نصر ، وأضاخ لا يقع بين ضرية والمدينة، بل يقع شرق ضرية، ولا يزال معروفاً .

وقد أورد ياقوت هذا الاسم : (وضاخ)في حرف الواو ، وكذا ينطق، من قبيل تسهيل الهمزة .

ويظهر أن شهرة هذا المعدن بلغت حدّاً عظيما ، بحيث أصبح المنتسب إلى هذه البلدة يكون قد بلغ غاية الذمّ ، من الضعَة ، كما يفهم من قصّة بشارٍ الشاعر ، التي أوردناها في أول البحث .

٢ — معدن قرقد :

قرقد : في رسالة عرام : (وبنجد في حد مكة واد يقال له وادي تربة ينصب إلى بستان ابن عامر ، وأسفل تربة لبني هلال ، وحواليه من الجبال السراة ويسوم وقرقد ومعدن البرام)[٢] والعبارة غير مستقيمة ، وأرى صوابها : وينحدر إلى مكة وادٍ يقال له وادي نخلة — فهو الذي ينصب إلى بستان ابن عامر والجبال التي ذكرها حوالي وادي نخلة ، أما جملة (تربة) فأراها مقحمة في غير محلها. ويطلق على قرقد والجبل المجاور له :(اليسومان) وفيهما يقول الراجز :

---

(١) كتاب نصر و « معجم البلدان » .

(٢) ص ٤١٦ .

يا ناق سيري ، قد بدا . يسومان فاطويهـــما تبدُ قنانْ غزوان

وعرفا أخيراً باسم (السومان) وهما جبلان يشاهدهما المتجه من مكة إلى قرية السَّيل (قرن المنازل قديماً) عندمـــا يرتفع في وادى (الزَّيمة) قبل أن يصل إلى البهيتاء) ـ البوباة قديماً ـ .

٣ ـ معدن البُرْم في بلاد عدوان :

قال عَرّام : قرية بين مكة والطائف يقال لها المعدن ، معدن البرم ، كثيرة النخل والزروع والمياه ، مياه آبار يسقون زروعهم بالزرانيق .

قال أبو الدينار : معدن البرم لبني عقيل . قال القُحيف بن الحميّر :

لقد نزلتْ في معدن البُرْم نزلةً فلأيا بلأي من أضاخ استقلّتِ [١]

والموضع الأخير هو ـ فيما يظهر ـ معدن أضاخ المتقدم ذكره .

أما القرية التي قال عَرْام : انها بين مكة والطائف ، فالظاهر ان عراماً أو من نقل عنه وَهِم في تحديدها ، فهي تقع في الجنوب الشرقي من الطائف، وليست بين مكة وبين الطائف ، ويدل على هذا ما جاء في كتاب ابن الفقيه: (معدن البرام هو السَّرَاة الثانية ، بلاد عَدْوان) [٢] .

ويَدُلُّ عليه ايضاً : ان نصّ عرام في رسالته هو :(وبين مكةوالطائف قرية يقال لها راسب لخثعم ، والجونة ، قرية للأنصار ، والمعدن : معدن البُرْم ، وهي كثيرة النخيل والزروع ، والمياه ، مياه آبار) [٣] .

فليس في كلام عرّام ما يصرّح بأنها بين مكة والطائف ، ومجرّد العطف لا يكفي دليلاً على ذلك .

---

(١) : « معجم البلدان » .

(٢) : « مختصر البلدان » ص ٣٢ .

(٣) : « رسالة عرام » ص ١٩ ، نوادر المخطوطات .

وأمرٌ أكثر وضوحاً هو ان قرية المعدن لا تزال معروفة ، وهناك وادٍ يعرف بهذا الاسم ، ويُدْعى أيضاً وادي (بُقْران) وهو اسم قديم ، ويقع ـ كما قدّرناه سابقاً ـ في الجنوب الشرقي من الطائف ، وفيه سكان يقاربون ٨٥٠ نَفْساً ، وهو يدعى برام . ويدعى المعدن أيضاً .

ويذكر المتقدمون ـ عند الحديث على مطار ـ وهو من قرى الطائف الشرقية الجنوبية ـ ان فيه معدن البُرَام .

حجر المسنّ :

معدن رَضْوى

ومن رضوى ـ الجبل العظيم الذي يشاهد من ينبع المدينة ، ومن ينبع الوادى على قرب ـ كان المتقدمون يأخذن حجر المسن، وهو الحجر المستعمل في سنّ السكاكين وأشباهها ، فيقول ياقوت [١] وغيره : (من رضوى يقطع حَجَرَ المسن ، ويحملُ إلى الدنيا كلها ، وهذه العبارة نقلها ياقوت عن كتب الجغرافيين المتقدمين ، ممن لا نطيل بذكرهم .

حجر الكحل :

والكحل من أدوات الزينة ، منذ أصبح الانسان محتاجاً إلى التزيّن ، وكان للكحل ـ إلى عهد قريب ـ شأن أيُّ شأن .

معدن الكحل في علاة هزّان :

ومما عرف من معادنه ـ في بلاد العرب ما جاء عن ياقوت [٢] : العلاةُ ؛ علاة هزّان ، بها المحالي ، وهي حجارة بيض، يحك بعضها ببعض ، ويكتحل بتلك الحكاكة) .

والعلاة هذه تعرف الآن باسم علية ـ بالتصغير ، وهي سراة من جبل

---

(١) « معجم البلدان » .

(٢) « معجم البلدان » .

قبيلة جُهينة

- ١٧ -

ما تقدم اشارات موجزة عن تفرق جهينة وانتشارها وليس معنى ذلك انها انتقلت من بلادها القديمة بأسرها ولكن القبيلة لما كثرت فروعها وانضاف اليها فروع أخرى من قبائل دخلت فيها بالحلف أو الجوار أو الاختلاط ، فأصبحت معدودة منها ، أصبحت بلادها لا تتسع لها فانحازت الى كثير من

عارض اليمامة (طويق حديثاً) تقع فوق إقليم الفرع – الحوطة والحِرَيق – في غربه وسيول أوديتها تنحدر إلى الحريق ، ثم إلى الحوطة وما يجاورها .

الطين :

ويستعمل الطين في أمور أخرى غير استعماله في البناء ، فيستعمل نوع منه للتنظيف ، ويستعمل نوع آخر للأكل ، وهذا أمرٌ لا يزال معروفاً ، ومن يَزُرْ مدينة (القطيف) في شرق الجزيرة ، يشاهد أكواماً منه لتلك الغاية ، ولكنها أقرب إلى الأحجار ، هي رخوة لينة ، هَشّة ، فهل كان المتقدمون يعرفون ذلك ؟!

قال ياقوت [١] : (الهَدَة : بأعلى مَرّ الظهران ، مَمْدَرَة أهل مكة ، والمَدَرُ طين أبيض ، يحمل منها إلى مكة ، تأكله النساء ، ويُدَقُّ ويضاف اليه الإذْخِرُ ، يغسلون به أيديهم) .

والهَدَة هذه لا تزال معروفة ، قرية فيها سكان ينتسبون إلى الأنصار ، وهي بين مَرّ الظهران (وادي فاطمة حديثاً) وبين رُهَاط . وهي غير هَدَةِ الطائف التي هي هدة هذيل .

(للبحث صلة)

---

(١) : « معجم البلدان » .

الأقطار الأخرى وبقي قسم كبير منها في بلادها القديمة التي تحدثنا عنها فيما سبق .

ونعود الآن للحديث عمن بقي من القبيلة في بلادها القديمة ، ولا بد لنا ان نعيد الاشارة الى الصلة القوية التي حدثت بين جهينة وبين آل علي بن أبي طالب منذ أن أصبح علي رضي الله عنه ، يملك عيوناً وأرضاً واسعة في بلاد جهينة بها بقي بعض بنيه وتناسلوا وكثروا فانضموا الى جهينة وغلب اسم بعضهم على فروع منها مثل (آل ابراهيم)واستمرت الصلةوالاندماجوالاختلاط بينهم وبين هذه القبيلة الى عهدنا الحاضر :

ومن الصعوبة بمكان ان نحاول تسجيل مـــا نشأ عن ذلك الاختلاط والتقارب، ولكننا نكتفي باشارات موجزة قد يجد فيها الباحث بعضبغيته، وان لم تكن كاملة

في منتصف القرن الثاني الهجري ، حدثت ثورة محمد بن عبد الله بن حسن ابن حسن بن علي بن أبي طالب في المدينة، وهي ثورة ذكرها ابن جرير وغيره من المؤرخين في حوادث سنة ١٤٥ هـ وهي ثورة معروفة مشهورة .

وقد كان لجهينة فيها أثر بارز بحيث يروي ابن جرير ان الثائر كان يقدم جهينة على القبائل الأخرى التي استجابت له مما أغضبها عليه ، وتقديمه لها أمر طبعي لثقته بتلك القبيلة ولصلته وآل بيته بها .

ثم بعد أن انصرفت الخلافة عن جزيرة العرب وعن أهلها أصبح الباحث لا يجد عن جهينة ولا عن غيرها من القبائل التي تقطن الجزيرة من الاخبار التي جمعها مؤخون ينتمون إلى الخلفاء انتماء تبعة ونيل رضا لا يجد بها ما يشفي غلته في الأخبار المدونة ، وهذا لا يعني ان تلك القبيلة غادرت بلادها بل هي لا تزال باقية فيها إلى عهدنا الحاضر .

ذلك اننا نجدها حينما أصبح الحجاج يفدون من طريق البر إلى مكة كانت هذه القبيلة تقوم بحماية الحجاج أثناء مرورهم ببلادها ، ويحسن هنا ان نورد نصوصاً تاريخية تتعلق بالموضوع .

لقد ذكر المقريزي [1] ان درك قبيلة جهينة من طريق الحج يبتدىء من (اكرا) إلى (تما) ويحسن أن نورد كلام الجزيري في تحديد ذلك فهو أوفى من كلام المقريزي ، قال في كتاب « درر الفوائد المنظمة » باختصار : (واكرا حد أرض بلي من جهينة . ومنه الى طارق الحنك وهو اسم جبل، والمعشى بالقرب من (حدرة بئر القروي) قبل المغرب . ثم السير بعد العشاء ، والمغدى بالقرب من (وادي حزبان) . والسير قبل الظهر إلى (الحوراء) والوصول اليها قبل المغرب ، والرحيل منها بعد طلوع الشمس ، والمغدى والمعشى بـ (صحين المرمر) إلى بعد العشاء ثم السير إلى (نبط) قبل الفجر والاقامة فيه إلى قبل الظهر.

والمغدى (اجل) .

والمعشى بالقرب من (وادي النار) الى بعد العشاء ، ثم السير إلى المغدى بجانب (الجبل الأحمر) .

ثم السير قبل الظهر إلى أن قطع الوعرات وتسمى المرحلة (السبع الوعرات) .

والمعشى بوادي (تما) بتاء مثناة مفتوحة بعدها ميم والف ، بالقرب من جبل الزينة مكان أفيح ، ويسمى (وادي الفجرة) أيضاً .

ثم السير قبل الفجر ودخول (ينبع) .

وقدر المسافة محمد باشا صادق [2] :

من اكرا الى الحنك مسيرة	١٥ د	٧ س	
من الحنك الى الحوراء	٢٥ د	١٣ س	
من الحوراء الى النبك	٤٥ د	١٤ س	
من النبك الى تما	١٠ د	١٦ س	
أي بمسيرة الابل .	٣٥	٥١	المجموع

(١) : « البيان والاعراب » ص ١٢ .

(٢) : « دليل الحج الى مكة » ص ٢٧ وما بعدها باختصار .

ولكن الجزيري لا يتفق مع المقريزي في أن آخر درك جهينة هو (تما) بل نص في كتابه « درر الفوائد » [1] على ان أصحاب الدرك في الدهناء ، وهي بعد ينبع الى مكة – طائفة من بني ابراهيم الصيارف ،يدعونالعيايشة، بياءين مثناة تحتية منهم محمد بن دواس ، والقوادحة أيضاً .

وقال [2] : (وأما الدرك من ينبع الى الدهناء لمحمد بن دواس ورفقته عربان العيايشة ، ومن الدهنـــاء الى المحل المعروف بالعذيبة الى الحدرة الرمل التي ينحدر منها الركب الى بدر في درك عربان زبيد الشام .

ومن هذا يتضح ان درك جهينة يمتد من حد بلاد بلي دون الوجه الى قرب بدر بلاد زبيد من حرب ، وهذا ينطبق على الواقع فتلك النواحي الواقعةبين ينبع وبلاد زبيد بقرب بدر هي من بلاد جهينة ، وليس من المعقول أن يكون دركها لغيرهم .

وأورد الجزيري [3] ، في ذكر بيان العربان الذين يقومون بحمل لوازم الركب السلطاني لحجاج مصر بياناً يتضمن أسماء أفخاذ جهينة – في عهده في القرن العاشر الهجري ، يحسن أن نورده بنصه قال : وأما عربان جهينة فهم بدنات عديدة ، منهم : –

١ – رفاعة – ويحملون الآن أثلاثاً لشرور وفتن أدت الى ذلك . ومنهم عوض بن رزين وسبع بن حب النبي ، وعبد النبي [4] بن جوهر ، ورفقتهم .

ومحملهم أربعون حملاً .

٢ – السمراء – وكانوا أكثر جهينة قدرة على الحمل ، وكان محملهم في سنة سبع وخمسين وتسعمائة تسعين حملاً ، ونزلت الى مـــا دون ذلك ... ومن أعيانهم : سليطين بن غنيم وهم بدنات عديدة منهم : –

---

(١) : ص ٥٣٨ .

٢) : ص ٥٣٩ .

(٣) درر الفوائد ص « ٤٠٩ و ٤١٠ » .

(٤) لا يصح التعبيد لغيرالله .

البزد — وشيخهم أبو زيد بن سعيد .

والجدد — منهم عمرو بن مسعود بن طه

والأسنة — منهم معد بن حسن

والعلاوين — منهم يزيد بن مرعي

والعطيفات — منهم مازن بن عمير

والصقرة — منهم فضالة بن عتيق

والجرابيع — منهم حسن بن عمير

فهذه اصول البدنات في حمل امرة الحاج ومنهم طوائف خارجة عن القسمة، لدفع صائل عن السمرة ، منها :

الحيره — (وسمى منهم ٢٣ رجلاً)

المشاهير — (وسمى ٨ رجال)

ومطير —

والشرفان (عد ستة رجال)

والمصايحة (وعد أربعة رجال)

والجريان

والشتاوية

والردنة : رباعة سعيد بن مطر ، وكان منهم :

سالم أبو غنيم ، ومحملهم خمسة وأربعون حملاً .

بنو تائب

وقوفة

والعلاوين

وكان من شيوخهم حسان بن نمي ، ووقع بينهم شرور وفتن الى أن آل ذلك الى قتله غدراً ، وكانت بينهم مخاصمات كبيرة أدت الى فرقتهم، وانقسام الحمل بينهم ، وكان جملته خمسة وعشرين حملاً .

تاريخ الكويت

وصدر القسم الأول من الجزء الأول من كتاب « تاريخ الكويت » الذي أُلّف بإشراف لجنة خاصة عينت لذلك الغرض ، وقام بتأليفه الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة أستاذ التاريخ في الجامعة الأردنية .

وهذا القسم ذو صلة وثيقة بالمملكة العربية السعودية . ولهذا ضم آراء وملاحظات تتصل بها ، رأينا الا يجهلها القارىء في هذه البلاد ، وأن نجاذب

العوران : عيارة بن حميد الصابوني ، وكان ومنهم بعيص ، ومحمله كبير ، والآن يحملون عشرين فما دونها .

المحاياة : منهم مساعدين مبارك ، ومحملهم اثني عشر حملاً .

المرازيق : منهم جمعة بن بريك ، ومحملهم من عشرة الى ما دونها .

وعد الجزيري[1] من الطوائف الذين رتب عليهم مقدمو القواسة مبالـــغ (جامكية) :

عريان الضحيات من جهينة وعليهم بحكم ما ظهر مراراً من النقد المقدمي القواسة اثني عشر ديناراً ذهباً ، ومن الشعير والاغنام . بحسب الحال .

بنو كلب (بشرحهم)

العلاوين من بني ثابت .

القضاة من جهينة

بديل — منهم أيضاً

عنمة

(للحديث صلة)

---

(١) درر الفوائد « ص ٤١١ » .

الدكتور أبا حاكمة الرأي حولها ، وأمر آخر فموضوع الكتاب كله يتعلق بتاريخ بلادنا ، ومؤلفه العالم الجليل أراد من هذا الكتاب ما لم يرده غيره من أناس آخرين نظروا إلى التاريخ نظرة تخالف الحقيقة .

لقد قال الدكتور المؤلف : (وبعد : فلما كان العديد من الكتب قد صدر عن تاريخ الكويت في هذه السنين الأخيرة ، رأينا أن يأتي تاريخنا مغايراً لتلك المؤلفات ، إذ رأينا أن ننهج فيه نهجاً علمياً خالصاً ، كي يتفق مع ما حرصت عليه اللجنة منذ البداية .

وجاء عرضنا لذلك موضوعياً للأحداث التاريخية ليكون أقرب إلى عرض الحقيقة منه إلى محاولة فرض النتائج واصدار الأحكام القاطعة [١]) .

وقال أيضاً : (إن العديد من الكتب والأوراق والمقالات قد ظهرت تتحدث عن تاريخ الكويت، لا سيما بعد أن صارت الكويت من البلاد الكثيرة الانتاج للنفط غير أنه من الانصاف للتاريخ القول بأن أحداً من هذه الكتب أو المصنفات لم يستند إلى أصول البحث التاريخي ، ومن ثم جاءت في معظمها لا تفي بعرض الباحث المدقق الساعي وراء الحقيقة ، في أصل الكويت وتاريخها من حيث نشأتها ومن حيث الأصول التاريخية لتطورها وعمرانها[٢]) .

وإذن فيحسن — بل يجب — أن تكون الكتابة حول هذا الكتاب متفقة مع غاية مؤلفه الفاضل — ١ — سائرة على النهج العلمي البحت — ٢ — معتمدة على أصول البحث التاريخي، غير متأثرة بأية مؤثرات تخرج عن هذين الهدفين، ما استطاع الكاتب إلى ذلك سبيلاً .

يضاف إلى ذلك أن المؤلف الفاضل أشار في كلامه عن مصادر كتابه إلى رغبته في أن يستفيد الباحث بما أورده من وصف تلك المصادر ممن يعنى بتاريخ الجزيرة العربية عامة [٣] ، وهذا ما يحمل على التوسع في الحديث عنه .

---

(١) أنظر : مجلة « العرب » ج ١٠ ص ٩٦٠ السنة الثانية .

(٢) المقدمة : ص ٧ .

(٣) المقدمة : ص ٨ .

وقبل أن نبدأ بتداول الرأي مع الأستاذ المؤلف ـ ولا أقول ابداء الرأي إذ ما سأبديه لا يعدو ملاحظات أرى عرضها ليتبين لي وجه الصواب فيها ـ قبل ذلك الاحظ كما يلاحظ كثير من القراء :

١ ـ ان المؤرخ الفاضل وهو يسرد مصادر كتابه أهمل ذكر المؤلفات التركية ، وهذا مما لا يصح اهماله من ناحيتين أولاهما : ان الدولة التركية استولت حقبة طويلة على البلاد التي يؤرخ قسما منها ، ولعماء تلـــك الدولة مؤلفات في تاريخ تلك البلاد ، قد تكون أولى بالرجوع اليها والاستفادة منها من بعض مؤلفات أخرى أشاد الأستاذ المؤلف بذكرها ، والناحية الثانية ان الكتاب الذي نتحدث عنه رسمت خطوط تأليفه لجنة حرصت على أن تجمع ما تستطيع جمعه من مصادر تفيد في الموضوع ، وإذن فهو مؤلف قصد به الرجوع إلى كل ما يستطاع الرجوع اليه من المؤلفات التي قد تفيد في موضوعه ، وتلك اللجنة قادرة على الحصول على المؤلفات التركية من مطبوعة ومخطوطة ، ولا نطيل على القارىء بسرد مـــا نعرف منها ويكفي أن نحيله على كتاب « أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث » المترجم إلى العربية والأصل الانكليزي قد رجع اليه المؤلف الكريم ، وفي هذا الكتاب ملحق يضم أسماء كثير من الكتب التركية التي تتعلق بموضوعنا [١] ، وسنشير لهذا الموضوع مرة أخرى .

ولو كان الكتاب جهد فرد لكان من العنت مطالبة مؤلفه بالاطلاع على كل المصادر المتعلقة بموضوعه .

٢ ـ صرف المؤلف الفاضل قسطاً غير قليل من جهده في الحديث عـــن « شركة الهند الشرقية البريطانية » بحيث تحدث عنها في أكثر من ٧٣ صفحة من ٣٣٧ التي هي أصل الكتاب باستثناء الفهارس ، أي إن الكلام حول هذه الشركة استغرق أكثر من خمس الكتاب ، وها هي بعض المواضع التي تحدث عن الشركة فيها :

---

(١) « أربعة قرون من تاريخ العراق » ص ٣١٢ وما بعدها الطبعة الثانية .

	الصفحات	المجموع
– المصادر الأجنبية	من ٨ / ١٢	٥
– فصل خاص بها	من ٥٠ / ٦٣	١٤
– العلاقات البريطانية الكويتية	من ١٧٣/ ١٨٢	١٠
– موقف الانجليز من الصراع بين العرب	من ٢٠٥/ ٢٠٨	٣
– الانتقال الموقت للوكالة الانجليزية	من ٢٣٧/ ٢٥٠	١٣
– دو الوكالة الانجليزية في الدفاع عـــن الكويت :	من ٢٦٢/ ٢٦٥	٤
– النشاط التجاري في الخليج :	من ٢٨١/ ٢٨٢	٢
– الوضع التجاري في الكويت :	من ٢٨٩/ ٢٨٩	
– شركة الهند الشرقية الانجليزية	من ٢٠١/ ٢٠٢	٢
– السياسة البريطانية في الخليج :	من ٢١٤/ ٢٢١	٩

٧٣صفحة

هذا بينما لم يتجاوز الكلام على قبائل العرب الـــتي كانت تقطن تلك النواحي في شرق الجزيرة وفيها مـــا عرف أخيراً باسم الكويت لم يتجاوز الكلام عنها ثلاث صفحات من هذا الجزء .

قد يقال بأن للشركة الانجليزية التجارية من الأثر في وجود الكويت حديثاً ما هو أكثر مما نعرفه من آثار القبائل العربية ، ولكن ألا يصح القول بأننا نؤرخ الكويت لا تلك الشركة التي أفردت المؤلفات لتاريخها ؟

٢ – وعلى ذكر القبائل العربية التي كانت تسكن ناحية الكويت ومـا حولها ، فاننا لا نجد في الكتاب شيئا ذا أهميـــة من حوادث تلك القبائل باستثناء (يوم أوارة) واشارات موجزة عن صلات دول جنوب الجزيرة بتلك الجهات . مع أن في المؤلفات العربية القديمة مـــا يحسن الرجوع اليه وتنبغي دراساته وتمحيصه للخروج من ذلك بنتائج عن تاريخ الكويت قديماً ، ومن الأمثلة على ذلك :

أ ــ وقعة بُرْقان في آخر القرن الأول الهجري بـــين بني حنيفة وبين مسعود بن أبي زينب العبدي الخارجي التي أشار اليها الفرزدق بقوله :

ولولا سيوف من حنيفة جردت ببرقان أضحى كاهل الدين ازورا
تركن لمسعود وزينب أختـــه رداءً وجلباباً من الموت أحمرا

وبرقان موضع لا يزال معروفاً بجوار الكويت ، وفيه آبار نفطه .

ب ــ ان الساحل الذي يقع فيه الكويت يدعى قديماً (سيف كاظمة) وقد يدعى (الكواظم) والأستاذ المؤلف لم يعرْ هذه الناحية اهتماماً فيما يظهر ، ولهذا أهمل دراسة الحوادث المتعلقة بهذا الموضع مما ذكره المتقدمون مثل قيام بني عبد القيس من البحرين وكاظمة بغزو بلاد فارس [1] في العهد الجاهلي ، وقيام الفرس بحشد جيوشهم في كاظمة لملاقاة جيش خالد بن الوليد في أول الاسلام وهي وقعة ذات السلاسل ، التي أشار اليها اشارة موجزة[2].

ثم ما حصل في أيام نجدة بن عامر الحنفي بين أتباعه وبين بني تميم في كاظمة سنة ٦٧ هـ [3] .

ومع أن المؤلف أشار إشارات موجزة (ص ٣٩) إلى بعض هذه الحوادث ومع أنه رجع إلى كتاب الاستاذ يعقوب الغنيم عن« كاظمة في الأدب والتاريخ» الا أنه لم يعر الموضوع حقـه من البحث ، وكأنه لم ينظر بعين الاعتبار الى ما يفهم من النصوص القديمة من أن اسم كاظمة يشمل موقع الكويت الحالي .

أما النص الذي جاء من كتاب « بلاد العرب » وهو : (ثم تجوز المخارم حتى تهبط كاظمة ، وفيها يقول الراجز :

قل لجمال محرز بن ذر لا نوم في الليلة فاسبطري
أو تردي ثنيّـــة المجرّ الجوّ من كاظمـــة المغبّر

---

(١) : « تاريخ الرسل والملوك » لابن جرير ص ٨٣٦ القسم الأول- الطبعة الاوربية .
(٢) : المصدر السابق ص ٢٠٢٣ .
(٣) : تاريخ ابن جرير ج ٤ ص ٢٠٣ .

وأهل ماء خلقوا للشر مجاوري البحر بها المخضر

وكاظمة على ساحل البحر ، وبها حصن فيه سلاح ، قد اعد للعدو ، وبها تجار ودور وابنية ، وعامتهم تميم، وثنية الجر هي التي تهبط منها على كاظمة.

وهي تسمى خرما كاظمة) . هذا النص على صراحته على قدم سكنى تلك الناحية قد يعتبر جديداً بالنسبة لتاريخ طبع كتاب « تاريخ الكويت » (١٣٨٧ و— ١٩٦٧ م) اذ كتاب « بلاد العرب » طبع هذا العام (١٣٨٨ — ١٩٦٨ م) إلا أن نسخه الخطية كانت معروفة في العراق بل وصل إلى وزارة الارشاد الكويتية نسخة مصورة عن احدى المخطوطات قبل طبع الكتاب ببضع سنوات على أن اللجنة المشرفة على وضع التاريخ لم ترجع اليها .

٤ — المؤلف الفاضل رجع إلى مصادر عربية تؤرخ الحوادث بالتاريخ العربي القمري ، غير انه عمد إلى استعمال التاريخ الميلادي متأثراً بالمصادر الافرنجية التي اكثر التعويل عليها ، وقد يقال بان هذا التاريخ أدق وأكثر انطباقاً لازمان الحوادث بما يماثلها في مختلف السنين بخلاف التاريخ القمري ، ولكن يلاحظ ان تحويل التاريخ القمري الهجري إلى التاريخ الشمسي الميلادي كثيراً ما يحدث فيه عدم تدقيق مما وقع فيه المؤلف الفاضل، وحبذا لو أبقى التاريخ الهجري القمري الذي ينقله من مصادر عربية وذكر بجانبه التاريخ الميلادي ، كما فعل في بعض الحالات ، وذلك ان جل سكان جزيرة العرب لا يعرفون الا التاريخ الهجري ، ومؤرخو هذه البلاد لا يزالون يستعملون التاريخ الهجري .

٥ — شحن الدكتور الفاضل الكتاب بكلمات (الوهابية) و (الوهابيون) و (الوهابي) ومع إنصافه وتقريره للحقيقة حينما أوضح أن ما قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو الدين الصحيح على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله محمد (ص) ومع أنه أشار إلى أن لقب الوهابية من الألقاب التي لا يقبلها اهل البلاد الذين يوصمون بذلك اللقب ، إلا أنه انجرف في تيار اعداء تلك الدعوة السلفية ، والجاهلين بحقيقتها ، بحيث صار كل من يطالع كتابه لا يقف عند حد اتهام المؤلف الفاضل مما هو منه بريء ، بل يمج كثرة استعماله لتلك العبارات

وماذا عليه لو استعمل من الكلمات ما لا يثير شيئاً من الكراهية في نفوس أناس قد يكونون هم أكثر قراء كتابه .

ملاحظات حول مصادر التاريخ :

رجع الأستاذ الدكتور أبو حاكمة في تدوين كتابه هذا الى مصادر مختلفة يعنينا منها المصادر العربية ، وهي ما سنبدي بعض الملاحظات حول ما تحدث الدكتور به عنها :

١ — وصف الدكتور تاريخ الشيخ حسين بن غنام ، وذكر عنه انه ينتهي نهاية مفاجئة بحوادث عام (١٢٢١ هـ — ١٧٩٧ م) وحقاً ما قال الدكتور ، الا أن النسخة التي طبع عنها ذلك الكتاب كانت ناقصة بحيث أن آخرها صدر بيت من قصيدة للمؤلف، وكذا حال كثير من مخطوطات هذا الكتاب، غير أنه عثر قبل عشرين عاماً على نسخة أكمل من هذه وتحوي تاريخ حوادث تمتد الى قرب زمن وفاة المؤلف وقد قدمت هذه النسخة للمغفور له الملك عبد العزيز آل سعود لطبعها ، غير أنه رؤي الاكتفاء بتاريخ ابن بشر الذي طبع في تلك الأيام

٢ — ووصف كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد للشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر ، وذكر ان هذا توفي سنة (١٢٨٧ هـ — ١٨٧١ م) .

وتاريخ وفاة ابن بشر ليس كما ذكر الأستاذ الفاضل ؛ وقد اعتمد في ذلك على ما جاء من ترجمته في طرة النسخة المطبوعة ، وهي ترجمة فيها خلط كثير وغلط ، والصواب عن تاريخ وفاته هو ما ذكره الشيخ ابراهيم بن عيسى في كتاب « عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر » قال : (وجعلت ذلك ذيلاً على تاريخ الشيخ عثمان بن بشر ، وكان عثمان قد أنهاه إلى آخر سنة ١٢٦٧ هـ ، وعاش بعد ذلك إلى سنة ١٢٩٠ هـ وتوفي في بـــلدة جلاجل في ١٩ جمادى الآخرة — رحمه الله

تعالى – فابتدأت في ذلك من سنة ١٢٦٨ هـ من حيث وقف قلم الشيخ عثمان [١]) .

وأشار الدكتور الفاضل إلى نسخة المتحف البريطاني من هذا التاريخ بانها من أقدم النسخ وهذا كلام حق ، ولا يبعد أن تكون بخط المؤلف نفسه ففي الصفحة الأولى منها، وفي الورقة ٨٨ تعليقان بخط الشيخ محمد بن عمر الفاخري المتوفي سنة ١٢٧٧ هـ ، وله كتاب في تسجيل بعض حوادث نجد ، استقى منه ابن بشر ، ولم يذكره بين الكتب التي قال بانه رجع اليها ، استقى منه حينما أورد بيتين له في تاريخ وقعة الدرعية قائلاً وقد أرخها بعض الاخوان من أهل سدير وهو محمد بن عمر الفاخري فقال :

عام به الناس جالوا حسب ما جالوا
ونال منا الأعادي فيه ما نالوا
قال الاخلاء أرّخه ، فقلت لهم
أرخت . قالوا بماذا ؟ قلت : غربالُ

وهذان البيتان في كتاب الفاخري نفسه .

ووصف الدكتور ابن بشر بأنه (دون في كل سنة أهم الأحداث التي وقعت في عهد الأمير السعودي الذي عاصرها).وهذا القول ليس على اطلاقه، فهناك بعض الحوادث المهمة لم يسجلها فمثلاً الحادثة التي ترتب عليها القيام بغزو العراق ودخول كربلاء ، لا نجد في ابن بشر سبباً لهذه الغزوة ، ولكننا نجد في غيره ان قبيلة الخزاعل قتلت حوالي ثلاثمائة قتيل سنة ١٢١٤ هـ وبسبب هدا حدث الغزو ، وها هو احد مؤرخي تلك الحقبة من اهل بغداد يقول :

ذكر وقائع سنة ١٢١٦ :

في أعقاب الحوادث التي وقعت سنة ١٢١٤ بين الخزاعل والوهابيين في

---

(١) : ص : الطبعة الأولى بمصر .

النجف الأشرف،وقتلهم حوالي ٣٠٠ وهابي : ووصول خبرهم الى عبد العزيز، قام هذا فوراً بالكتابة الى الجهات المختصة ، محتجاً على هذه الحادثة، ومتخذاً منها ، ذريعة لالغاء الصلح ما لم تدفع اليه ديات القتلى .

ولأجل ايقاف تنفيذ ما قرره وابقاء المصالحة على حالها أوعز الوالي الى عبد العزيز بك [1] [بن عبد الله بن شاوي] أن يعرج على الشيخ الوهابي بعد تأدية فريضة الحج ، ويحوله عن عزمه ولما قدم عليه وباحثه حول الموضوع أصر الشيخ على رأيه .

وأخيراً طلب أن يسمح لعشائره بالرعي مـــا بين عنة والبصرة من جهة الشامية ، وذلك عوضاً عن دية القتلى ، والا فلا مناص من نقض العهد .

ولما يئس الشاوي من اقناعه بالعـــدول عن ذلك ارسل ساعياً إلى الوالي يخبره بالأمر ويضيف بان الوهابيين اتجهوا نحو العراق لينتقموا لقتلاهم [2] .

وعندئذ أمر الوزير باتخاذ الاحتياطات الضرورية ، وأرسل علي باشا على رأس قوة عسكرية لتحول دون تعرض الوهابيين للعراقيين .

فلما بلغوا تلك الانحاء رأوا القوات الوهابية قد حطت رحالها هنـــاك ، واستعدت أتم الاستعداد للقتال ، ولكنها قبل التصادم انسحبت من امام الجيش ، وبعد انسحابها قررت الحملة أن تميل نحو شفاثة لقلة المياه في المكان الذي عسكرت فيه .

وفي هذه الأثناء وصل عبد العزيز الشاوي ، واخبر علي باشا بتفاصيل مباحثاته مع شيخ الوهابيين وسوء ما يضمره ، وعليه بقي الباشا هناك حوالى الثلاثة أشهر ثم عاد الى الحلة واقام في قرية النبي ايوب (ع.م)

ولما يئس من عودة الوهابيين ترك قوة كافية في المكان المذكور بقيادة رئيس

---

(١) قتله علي باشا الكيخيا وقتل اخاه محمدا سنة ١٢١٨ (وانظر دوحة الوزراء والورقات ١٤٠ / ١٤٣ من مطالع السعود).

(٢) : « دوحة الوزراء » ص ٢١٣ .

الأغواث ، لتترصد الأخبار ، وتحافظ على الامن ، وعاد ببقية افراد الحملة الى بغداد وكانت مدة هذه السفرة ثلاثة أشهر ويومين (١) .

[ظهور وباء الطاعون وخروج الوزير من بغداد ، وهجوم الوهابيين على كربلاء في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة —١٢١٦ — ظهر وباء الطاعون في مدينة بغداد مما اضطر الوزير الى الهرب نحو مدينة الخالص والمكوث فيها ريثما ينجلي .. وكان الفصل ربيعا فقرر امضاء هذا الفصل في تلك الربوع .

وفي هذه الأثناء ورد اليه كتاب من حمود الثامر شيخ عشائر المنتفق يخبره ان سعود بن عبد العزيز وجموعاً غفيرة من الوهابيين قد انحدروا نحو العراق فأصدر أمره الى علي باشا بالسفر لصد غاراتهم ، ونزولا على أمر الوزير تحرك المومى اليه الى الدورة وانتظر هناك ريثما التحقت به القوات المطلوبة ، كما التحقت به بعض العشائر .

وبينما كان يزمع مواصلة السفر وردت الانباء بأن الوهابيين هجموا على كربلاء ، واستولوا على مرافقها ونهبوها ، وقتلوا منها حوالي الألف نفس ، فاوفد علي باشا محمد بك الشاوي الى الوزير ليخبره بهذه الحادثة ، ثم سافر مسرعاً نحو كربلاء على أمل أن يظفر بالوهابيين وينتقم منهم ، وينقذ البلدة من قبضتهم .

إلا أن الأخبار وردته وهو يومئذ في الحلة بأن الوهابيين بعدما نهبوا وقتلوا خرجوا قبيل العصر نحو الأخيضر ، فتوقف علي باشا في الحلة لأسباب اضطرته الى هذا التوقف ، ولعدم بقاء ما يدعو للسفر الى كربلاء ، بعد هروب الوهابيين منها (٢) .

أوردنا هذه النصوص بطولها اكمالاً للفائدة ولايضاح اشياء ذات أهمية من الناحية التاريخية لم يذكرها ابن بشر بحيث لا يصح ان يوصف بانه دون أهم الأحداث التي وقعت في عهده .

---

(١) : المصدر نفسه ص ٢١٤ .

(٢) : « دوحة الوزراء » ص ٢١٧ .

وأشار الدكتور ابو حاكمة إلى موقف ابن بشر من تاريخ ابن غنام قائلاً : غير انه لم يشر إلى تاريخ ابن غنام البتة على الرغم من انه اقتبس منه شعره مرة واحدة ، على ان الفحص الدقيق لتاريخ ابن بشر وتاريخ ابن غنام لا يترك مجالا للشك في ان ابن بشر قد صاغ تاريخه على نسق تاريخ ابن غنام) [1] وأقول :

١ ــ ان جل الحوادث التي اوردها ابن غنام في تاريخه قد نقلها ابن بشر عنه نقلاً وان اختلف في الاسلوب فهو يتفق تماماً بالمعنى ، مما يحمل على الجزم بأنه استقى كل الحوادث المتعلقة بالغزوات بعد ظهور الشيخ محمد ــ رحمه الله ــ الى آخر ما دون ابن غنام في تاريخه .

٢ ــ اقتبس من شعره ليس مرة واحدة كما ذكر الدكتور بل مرات والدكتور قال [2] : بأنه اعتمد مخطوطة المتحف البريطاني مع مطبوعة مكة . ومطبوعة مكة تختلف عن المخطوطة التي تضم نصوصاً ليست في المطبوعة ، وفيها وردت قصائد مطولة لابن غنام في الورقات ٦٨ و٦٨ و٧٦ و٧٩ و١١٣

٣ ــ وأشار الدكتور إلى أهمية تاريخ ابن بشر بتسجيله حوادث سابقة لظهور الدعوة السلفية يسميها ابن بشر سوابق وعليها عوّل الدكتور في رسم شجرة لحكام بني خالد . والواقع ان تلك السوابق دونها قبل ابن بشر مؤرخ نجدي آخر هو محمد بن عمر بن حسن المعروف بالفاخري نسبة لجده فاخر الوهيبي التميمي النجدي المولود في بلدة التُّوَيم من اقليم سُدير سنة ١١٨٦ هـ والمتوفي سنة ١٢٧٧ هـ ، وهو معاصر للشيخ ابن بشر وقد اشرنا فيما سبق إلى اقتباس ابن بشر مما كتب ، ونضيف الآن بأن ما ذكره ابن بشر في تاريخه من السوابق هو مما استقاه من تاريخ الفاخري فكما عمل ــ رحمه الله ــ مع ابن غنام حيث نقل كل حوادث تاريخه واهمل ذكر هذا التاريخ عندما ذكر وفاته فانه قد فعل ذلك مع الفاخري الذي توفي قبله والذي اطلع هو أيضاً على تاريخه كما يظهر من طرة مخطوطة المتحف البريطاني ، ومن الورقة ٨٨ حيث

---

(١) : ص ٣٤٧

(٢) : ص ٢٥

كتب في هامشها :(وفي هذه السنة وهي (١٢١٥) توفي عبدالله ابن عثمان بن بشر ببلدة جلاجل وهو والد الشيخ عثمان مصنف هذا الكتاب وغيره ، وفيها أيضاً توفي أمير قرايا سُدير باجمعها عبدالله بن جلاجل استعمله عليها عبد العزيز – رحمها الله – فبقي فيها نحو ٢٥ سنة ، وكان رحمه الله عاقلاً فطناً ، انتهى كتبه محمد بن عمر الفاخري .

ومن المؤسف ان الطريقة التي سار عليها ابن بشر من عدم ذكره كل المصادر التي استقى منهـا سار عليها من جاء بعده من مؤرخي نجد مثل الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى الذي الّف كتاباً عن حوادث نجد [١] وذكر في مقدمته المصادر التي استقى منها ، ولكنه اهمل اهمهـا بالنسبة لكتابه، وهو ابن بشر .

وجاء الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز آل بسام فالف كتاباً دعاه « تحفة المشتاق من اخبار نجد والحجاز والعراق » عول فيه على تاريخ لابن عيسى غير انه وقد ذكر في مقدمة كتابه هذا مصادره اهمل ابن عيسى الذي نقل كتابه نقلاً يوشك ان يكون حرفياً ، والكتاب الذي دعنيه لم يطبع بعد.

٣ – عد الدكتور من مصادره العربية كتاب « الدر المكنون ، في مآثر الماضية من البطون » وقد ذكر مؤلف كتاب « اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث »[٢] كتاباً آخر لصاحب هذا الكتاب وهو ياسين العمري الموصلي هذا الكتاب فيما يفهم مما ذكر عنه أهم من كتاب الدر المكنون وأقوى صلة من الكتاب الذي اتخذه الدكتور من مصادره وهو كتاب « غاية المرام » .

٤ – وعندما تحدث الدكتور ابو حاكمة عن عثمان بن سند وذكر مؤلفه « مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود » قال : (ولعل هذا المصدر هو اول مصدر وجدنا به نص الرسائل المتبادلة بين علي باشا وسعود حينما انسحب علي باشا من الاحساء عام ١٧٩٩) [٣] .

---

(١) طبعته « دار اليمامة للبحث والترجمة » سنة ١٣٨٦ – ١٩٦٦ .
(٢) : ص ٣١٤ .
(٣) : ص ٣٠

وأقول : ان ابن سند استقى أخبار حوادث تاريخه هذا من كتاب الف باللغة التركية ذلك الكتاب هو « دوحة الوزراء في تاريخ وقائـــع بغداد الزوراء» ألّف ذيلاً لكتاب« كلشن خلفاء »والكتابان باللغة التركيةيتضمنان تواريخ الوزراء الذين تولوا الحكم في بغدادمن قبل سلاطين آ ل عثمان[1] وغيرهم.

وقد أُلف كتاب « دوحة الوزراء » بأمر داود باشا ، الذي ألف له ابن سند كتاب « مطالع السعود ، بطيب اخبار الوالي داود » .

ويضم كتاب « دوحة الوزراء » ذكر الحوادث من سنة ١١٣٢ هـ إلى سنة ١٢٣٧ هـ في ذكر حوادث الوزراء العثمانيين الذين حكموا في بغداد .

وقد نقل كتاب « دوحة الوزراء » الى العربية الاستاذ موسى كاظم نورس وطبع بالعربية قبل بضع سنوات في مجلد تضم صفحاته ٣١٢ .

كما طبع باللغة التركية في عهد داود باشا سنة ١٢٤٦ هـ — أي بعد وفاة مؤلفه بعامين .

ويعتبر من أهم المصادر في تاريخ العراق .

أما مؤلفه فقد ترجمه معرب الكتاب — نقلا عن كتاب « تذكرة شعراء بغداد » — قائلاً :

(هو حاوي رسول افندي نجل منلا يعقوب الماهوني أصلاً ، والكركوكي وطنا ، شقيق ثابت خضر أفندي ، وأكبر منه سناً ، وكان منشئاً وشاعراً .

هاجر من كركوك إلى بغداد سنة ١٢٢٠ هـ في وزارة علي باشا ، وكان كاتباً في المصرفخانة ، وكان معجباً بنفسه ، وتوفي سنة ١٢٤٣ هـ) .

وقـــد أشار ابن سند إلى هذا المؤلف بدون أن يذكر الاسم ، ولكنه يكتفي بكلمة (المؤرخ التركي) وابن سند ليس امينافي نقله، وكثيراً ما حاول

---

(١) : « كلشن خلفاء » يشمل من تأسيس بغداد الى سنة ١١٣٠ هـ وقد طبع في اصطنبول سنة ١٧٣٠ ومنه نسخ خطية في (المتحف البريطاني) .

تعليل الحوادث تعليلاً مطابقاً لهواه ، ولا نريد الاطالة في الموضوع ، فالمؤلف الفاضل الدكتور أبو حاكمة أشار إلى أن ابن سند ذو شعور سيء بالنسبة لآل سعود وهو معروف بهذا . ونكتفي الآن بايراد ما ذكره المؤرخ التركي من الأسباب للمصالحة بين سعود وعلي باشا قال صاحب كتاب « دوحة الوزراء » في أثناء كلامه على حصار جيش علي باشا للاحساء .

[ولما كانت القوات الحكومية[1] تعسكر في واد غير ذي زرع ، فلا كلأ ولا عشب ، فقد نجم عن ذلك هزال الجمال وقعودها عن حمل الأثقال وهلك منها ما يقرب من تسعة آلاف بعير ، وتناقصت الذخائر والمعدات يوماً بعد يوم ، وراح الجنود يفكرون في مصيرهم والهلاك ينتظرهم فيما إذا بقوا على هذه الحالة — ثم ذكر ارتحال العسكر من محاصرة الاحساء إلى أن وصلوا الشباك — وهم في حالة يرثى لها ... ثم أدركتهم المؤن باقتراب السفن منهم ، ولكن هذه قليلة ولا تكفي هذا الجيش أكثر من يوم واحد ، ومع ذلك فقد تقاسموها ، ومن أصاب رطلاً واحداً من الشعير فهو سعيد وبينما هم على هذه الحالة بلغهم ان ابن عفيصان كتب الى عبد العزيز بن سعود يخبره بما حل بالجيش العثماني ويحرضه على انتهاز الفرصة للانقضاض عليه وسحقه فقام وحشد جمعاً كبيرا بقيادة ابنه سعود ، فاندفع يتعقب الجيش — ثم ذكر وصول الجيش التركي تاج وجيش سعود الحناءة ، وبدء المناوشات — وان سعود رأى أن لاقبل له بمواصلة الحرب ، فأرسل كتاباً إلى علي باشا هذا نصه : ثم أورد الكتب التي سننقلها بنصها فيما بعد .

أما ابن سند فهذا نص كلامه عن سبب الصلح :

[واعلم أن علياً الكتخدا إنما صالح سعوداً لما داخله الخوف من استشارته من وكل إليه بعض أموره ، مثل ابراهيم بن ثاقب بن وطبان ، فإنه من أقارب سعود ، وهو جَريءٌ مِنطيق ، وربما سأله بعض خواص الكتخدا

---

(١) « دوحة الوزراء » ص ٢٠٧ وما بعدها .

عن عسكر سعود فعظمه وأكثره ، فيبلغ كلامه علياً فيرسخ في خاطره ما قاله ، لعدم مفاوضته لغيره ممن يعرف سعوداً حقيقة المعرفة .

وأما ما ذكره المؤرخ التركي من أن العسكر أصابه ضرر من قلة العلف والزّاد ، فلا أصل له ، بل الذي أشرف على الهلاك عسكر سعود من قلة الزاد وما معه] [1] .

وكلام ابن سند هذا ، يتفق مع ما يتصف به من عداء لآل سعود وهو في ظاهره يعكس كثيراً من صفات هذا الرجل التي أبرزها تشويه حقائق التاريخ وحوادثه تشويهاً يتلاءم مع ميوله، ولو تتبعنا كتابه « مطالع السعود » لوجدناه باستثناء أسلوبه وما فيه من تراجم لبعض العلماء مأخوذاً من الكتاب التركي الذي تحدثنا عنه آنفاً ، إلا أن مؤلف ذلك الكتاب كان أكثر منه أمانة ، وأقرب إلى محاولة إبراز الحقيقة مع أن الكتابين ألّفا بأمر داود باشا ، ووفق رغبته ، وفي عهد دولة تنظر إلى الدولة السعودية نظرة عداء إلا أن الكاتب التركي في نظرته إلى هذه الدولة كان أقرب إلى الأنصاف من الكاتب العربي الذي تربطه بالدولة السعودية روابط القربة في النسب والموطن إلا أن (الهوى يعمي ويصم) .

ويحسن أن نورد نصوص الكتب المتبادلة بين سعود وبين علي باشا — كما أوردها صاحب كتاب « دوحة الوزراء » ونوضح في الحاشية ما جاء في كتاب « مطالع السعود » لابن سند من تحريف لبعض كلماتها ، وهو تحريف قد لا يغيّر المعنى ، إلا أنه لا يتفق مع ما ذكر من أنه أوردها بنصها ، بل غيّر بعض الكلمات لتكون أقرب إلى الأسلوب العربي الفصيح ، وصحف بعضها تصحيفاً تكلف له معنى بعيداً عنه .

من سعود بن عبد العزيز إلى علي ، أما بعد : ما عرفنا سبب مجيئكم إلى

---

(١) : مطالع السعود « نسخة المؤلف الورقة ١٢٧ - في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد .

الأحساء [١] وعلى أيّ منوال جئتم . أما أهل الأحساء [٢] فهم رفاض ملاعين ونحن جعلناهم مسلمين بالسيف ، وهي قرية الآن ، وليست داخلة في حكم الروم [٣] ، وبعيدة عنكم ، ولم يحصل منها شيء يسوى تعبكم ، ولو أن جميع الأحساء وما يليها تؤدي لكم دراهمها ما تعادل [٤] مصروفاتكم التي عملتموها في هذه السفرة ، ولا يوجد[٥] بيننا وبينكم من المضاغنة قبل ذلك إلا ثويني، فهو كان المعتدي ، ولقي جزاءه .

فالآن مأمولنا [٦] المصالحة ، وهي خير لنا ولكم والصلح سيّد الأحكام.

ثم أورد الجواب :

[من علي باشا إلى سعود بن عبد العزيز ، أما بعد فقد اتانا كتابك وكل ما ذكرت من أمر المصالحة صار معلوماً لدينا ، ولكن على شروط نذكرها لك ، فإن أنت قبلتها وعملت بها فحسن ، وإلا فما نحن بعاجزين عنك ، ولا عن طوائفك ، بعون الله وقوته ، وعندك الخبر الصحيح :

إذا اشتدت الهيجاءُ وانشقت العصا فحسبك والضحـــاك سيف مُهَنَّدُ

حيث لنا مقدار أربعة أشهر في بلادك ، نجوب الفلا ونستأسر اهل القرى ما قدرت تظهر من مكانك غير هذه الدفعة .

وبهذه الدفعة أيضاً اغتررت بقول ابن عفيصان .

أما الشرط الأول : فهو ان الأحساء [٧] لا تقربها بعد ذلك .

---

(١) : مط : الحسا .
(٢) : مط : [فانهم روافض] .
(٣) : مط : [تحت حككم الآن والذي يحصل قليل بالنسبة الى تعبكم] .
(٤) : مط : [لم تعادل مصارفكم في هذا السفر] .
(٥) : مط : [وما كان بيننا وبينكم من المضاعة الا تويني ولقي جزاءه] .
(٦) مط : [المأمول] .
(٧) : (لا تقرب الحساء) : مط .

والثاني : الأطواب [1] التي أخذت من ثويني انك ترجعها .

والشرط الثالث : تعطينا جميع ما صرفناه على هذا السفر .

والرابع : ألا تتعرض للحاج التي تجيء [2] اليك من طرف العراق ، ولا تتعرض لابناء السبيل ، وتكف غزوك عن العراق ، وتكون معنا كالأول .

فهذه الشروط التي اخبرناك بها ، والسلام على من أتبع الهدى [3] .

وقد قبل سعود هذه الشروط على الوجه التالي وهذا جوابه بالنص :

(جاءنا كتابكم وفهمنا معناه . أما من حال الشروط المذكورة . فأولا الاحساء هي قرية بعيدة عن دياركم وخارجة عن حكم الروم ، وما تجازي التعب ، ولا فيها شيء يوجب الشقاق بيننا فهذه حالها .

وأمـــا الأطواب فهي عند والدي بالدرعية ، فاذا صدرت اليه اعرض الحال بين يديه والوزير سليمان باشا أيضاً يكتب اليه فان صحت المصالحة وارتفع الشقاق من الطرفين فهي لكم ، وأنا كفيل بها ، أجيبها إلى البصرة .

وأما مصاريفكم فإني لم أملك من هذا الأمر شيئاً ، والشور في يد والدي والذي هو يقرره يصل اليكم .

وأما مـــا ذكرتم من أمن الطريق وعدم التعرض للحاج والمترددين فحباً وكرامة ، وعلي عهد الله وميثاقه انه ما يفقد لكم بعير واحد ، ولا يسري [4] منا ضرر على المترددين ، وما لهم عندنا غير الكرامة والتسيار .

(والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) .

ثم عقب المؤرخ التركي بقوله :

(وقد انفضت الكلمة على قبول بعض الشروط ، وتأجل النظر في البعض الآخر ، وتمت المصالحة بين الطرفين .

---

(١) (ان ترجع الاطواب التي اخذتها من ثويني) : مط .

(٢) : (الذين يأتون اليك من طرف العراق) : مط .

(٣) : « درحة الوزراء » ٢٠٨ وما بعدها .

(٤) مط : [ولا يسدي] ثم فسرها بقوله : ولا يسدي بفتح ياء المضارعة ، يعني به : ولا يجري منا ضرر ، ولعله من قول العرب : سدى اليه بيده مَدّها . فكأنه قال لا يسدي ضرر منا بيده اليهم . انتهى

وعندئذ واصل الجيش العثماني سفرته إلى البصرة فاستراحوا فيها خمسةعشر يوماً ثم تحركوا إلى بغداد .

وكانت عودة علي باشا في اليوم الرابع من شهر صفر سنة ١٢١٤ هـ ومدة هذه السفرة تسعة أشهر وخمسة وعشرون يوماً .

وقد لاقت هذه الحملة من الأهوال والمهالك ما لا يمكن وصفه . وإن ما جمعه الوالي سليمان باشا من الأموال وما ادخره من سنة ١١٩٤ إلى السنة الـ ١٢١٣ قد صرف كله في سبيل هذه الحملة . ومع كل هذا لم تأت بالثمرة المرجوة [١]) .

أما ابن سند فإنه في كتابه « مطالع السعود » الذي عول فيه على هذا المؤلف يحاول جاهداً أن يزيّف الحقائق التاريخية تزييفاً يتفق مع اتجاهه وميوله ، وهذا ما لا يرضاه الباحث المنصف .

٥ – لمع الشهاب:

وعَدّ الدكتور أبو حاكمةمن المصادر العربية كتاب « لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب » واطال الحديث عنه ، واثنى بأنه :

١ – يورد الحقيقة التاريخية ثم يأخذ في علاج اسبابها

٢ – يمضي إلى الزبير والكويت ليسأل أهل العلم

٣ – ليس بمنحاز إلى جانب دون آخر

٤ – المؤرخ العربي الوحيد بين معاصريه ، الذي أفاض في الحديث عن بني خالد ، وهو المصدر الوحيد الذي استقى منه معلومات مفصلة عن شيوخه.

٥ – تبلغ دقته حداً بعيداً في حديثه عن المسافات بين المدن في نجد والاحساء.

هذه بعض ميزات كتاب « لمع الشهاب » في نظر الدكتور أبو حاكمة الذي اتخذه مصدراً عول عليه واستفاد منه ، رغم الجهل بمؤلفه .

والواقع ان مافي هذا الكتاب يصح تقسيمه إلى ثلاثة أقسام القسم الأول منها

---

(١) : « هوحة الوزراء » من ص ٢١٠ .

كله أكاذيب ملفقة لا يوجد لها أصل، وحديثه عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من أولها إلى آخرها أي من أول الكتاب إلى ص ٣٥. والقسم الثاني فيه صواب قليل وفيه خطأ كثير وهو ما ذكره عن امراء آل سعود ، فقد ذكر أشياء غريبة منها ما هو اختلاق بحت كسلسلة نسبهم التي لا يوجد مؤرخ غيره أتى بها، ومثل بعض الوقائع التي ينسب فيها اليهم ما يتنافى مع الأخلاق الدينية والشيم العربية كالغدر والرشوة والتحريش بين الناس فلو لم يكن لهم من دينهم الحنيف أقوى وازع لكان لهم من شيمهم العربية ما يحول دونه ، ودون ارتكاب مثل تلك الأمور ، والقسم الثالث ما ذكره عن القبائل في الجزيرة ، وهذا فيه أشياء صحيحة ، وخاصة فيما يتعلق بقبيلتي عنزة وبني خالد وفيه تخليط كثير وأخطاء شنيعة ولا سيما حينما يحاول ارجاع القبائل إلى أصولها القديمة ، فجل ما ذكره من هذه الناحية خطأ بل تخريف وأما ما ذكر عن المسافات بين البلدان فثناء الدكتور عليه فيه ليس على اطلاقه هناك جهات قارب الصواب في تحديد مواقعها ، وهي ما يقرب من ساحل البحر العربي الشرقي ، وهناك جهات أخرى كلامه عنها خطأ وليس المقام مقام تبيين ما في هذا الكتاب من ذلك ولكن المقصود الاشارة إلى أنه لا يصح أن يتخذ أساساً ومصدراً تاريخياً ما لم يكن هناك من المصادر الأخرى ما يؤيده، نقول هذا صارفين النظر عن رأي الكتاب في العقيدة السلفية وأهلها ، وهو رأي سيء متناقض غير قائم على أسس صحيحة نقول هذا ونحن أبعد الناس عن التأثر بأي مؤثر عاطفي أو غيره مما يحول بيننا وبين البحث عن الحقيقة .

ويظهر ان المؤلف صنيعة لاحد الموظفين الانكليز أو أنه الف الكتاب بناء على رغبة احدى الجهات التي لهـــا صلة بهم وأنه حاول أن يظهر كتابه بمظهر المحايد من ناحية الافكار الدينية واحب أن يقدم لتلك الجهة كتاباً شاملاً في موضوعه فعمد في القسم الأول إلى الرجوع إلى الخيال في أصول الأنساب القديمة وفي الأخبار المتعلقة بالشيخ محمد رحمـــه الله ورجع فيما عدا ذلك إلى بعض مصادر مكتوبة ومنقولة فسجلها وأضاف اليها اضافات من عنده ، فجاء الكتاب عجيباً في خلطه، غريباً في أسلوبه، يحوي بجانب الصحيح من

آرائه واخباره أخباراً هي الى الخرافة أقرب منها الى الواقع مما يجعل استخلاص الحقائق التاريخية منه ليس في متناول كل باحث .

والذي يجعلنا نميل الى القول بأنه الف بتأثير جهة انكليزية ما نجده في ذلك الكتاب من الثناء على الانكليز حينما غزو رأس الخيمة وغيرها من بلاد عمان وحرقوا سفن أهلها فهو يقول : (الحاصل أن رأس الخيمة سلمت بقدر حرب ساعة أو أقل ، فانهزم أكثر أهلها الى خارج البلد ، وضربوا النخيل وبعض بقي في البلد ، أخذوا الأمان من الانقريز ،وبعد الأمان لم يغدروا بهم ، اذ ليس ذلك من عوايدهم قط ثم ان الانقريز خربوا كثيراً من البيوت ، التي حوصر بعض الناس فيها بالمدفع وحرقوا كل ما حصلوه من الخشب ، ونهبوا كل ما تناولوه من النقود أو غيرها . ولم يكن لهم حكم مقرر من حاكمهم على تخريب البلد رأساً وقلعها من محلها، ولا على السكنى فيها وضبطها وتعميرها بل أنباً وأعلم كل أحد الرئيس الذي كان في ذلك العسكر ، بان قصدنا معكم ايها القواسم كلية حرق اخشابكم أجمع (؟) . وقد استغرب الدكتور أبو حاكمة هذا التقريظ العجيب بسلوك الانكليز مع عرب الخليج ، والذي يعنينا أن المؤلف لا يتورع عن وصفهم مثل هذا الوصف بينما يطلق على اعدائه من العرب من قلب الجزيرة أسوأ الأوصاف من الغدر والخيانة .

وكان بعض المثقفين من الانكليز في ذلك العهد في تلك النواحي يحرصون على جمع المعلومات العربية عن بلاد العرب ، وقد أشار الدكتور أبو حاكمة الى أن الشيخ محمد البسام الف كتاباً دعاه « الدر الفاخر في اخبار العرب الأواخر » [1] الفه بناء على طلب المستر ج. س. ريش J. C. Rich المتوفى سنة ١٨٢١ م وكان ممثلاً مقيما لشركة الهند الشرقية الانكليزية في بغداد في الفترة ما بين ١٨٠٨ و ١٨١٢ م ، ومن هذ الكتاب نسخة خطية في المتحف البريطاني [2] .

---

(١) ص ١٤٠ « لمع الشهاب » طبعة الدكتور أبو حاكمة .
(٢) ص ٣١ من « تاريخ الكويت » .

وبالاجمال : فما كان كتاب « لمع الشهاب » يجدير بأن نطيل الوقوف عنده، لولا أن الدكتور الفاضل أطراه اطراءاً قد ينخدع به من يجهله ، أو يجهل تاريخ بلادنا ، فيتخذ من ثناء الدكتور وسيلة للتعويل على ذلك الكتاب ، الذي أقل ما يوصف به احتواؤه على كثير من الأخبار الملفقة التي كان للخيال فيها أكبر الأثر ، وقد قام الدكتور أبو حاكمة بنشر الكتاب ، فطبع في بيروت قبل عامين [1] .

ونكرر القول بأننا حينما نتحدث عن هذا الكتاب، أو عن غيره من الكتب، نتحدث بدافع الوصول إلى الحقيقة التي يتوخى الوصول اليها كل باحث منصف، متجرد من هوى النفس ، رائده الحق وحده .

واستاذنا الدكتور أحمد أبو حاكمة نعى على من ألف قبله عن تاريخ الكويت بأن أحداً منهم لم يستند إلى أصول البحث التاريخي وأراد بكتابه هذا أن ينهج نهجاً علمياً خالصاً ، وأن يعرض للأحداث التاريخية عرضاً موضوعياً بعيداً عن محاولة فرض النتائج وإصدار الأحكام القاطعة، وعلى هذا فسنحاول الاستفادة من آرائه وعلمه الجم حينما نمر مروراً عابراً على كتابه القيم ونكرر القول أن غايتنا من وراء كل ذلك مجاذبة الأستاذ الكريم الدكتور الحديث وتبادل الرأي للوصول إلى الحقيقة التي هي هدف كل باحث ولو رضي الدكتور منا أن نقابل كتابه بالتقريض والثناء ، ونعيذه أن يرضى بذلك ، لنزلنا بالكتاب ومؤلفه الجليل عن الدرجة الملائمة ، من التقدير والاجلال .

١ ــ ص ٢٩ : قال الدكتور في حديثه عن ابن سند ووصف شعوره المعادي للسعوديين : (ولنضرب مثلاً قصيدته الطويلة التي يحيي فيها ذكر ثويني أمير المنتفق ، والذي اغتالته يد طعيس بناء على تدبير الوهابيين كما يقول ، وأحال الدكتور إلى كتاب « مطالع السعود » .

ان عبارة ابن سند التي أشار اليها الدكتور لا تنص على (تدبير الوهابيين)

---

(١) أنظر « مجلة العرب » ص ٩٥٣ السنة الأولى .

وكل ما هنالك هو قول ابن سند : (وقد أكثروا من الأشعار في مدح تلك الواقعة ومدح بدعتهم فلذلك أحببت أن أرثي ثوينيا بابيات حال الكتابة :

هو الليث ، وافاه على غِرة سهمُ فهُدَّ به للمجد آطامه الشم

ثم أورد قصيدة في ٤٣ بيتاً ، لم يصرح في واحد منها ان الاغتيال كان مدبراً ، أما ما أشار اليه ابن سند من الأشعار فهو قصيدة للشيخ حسين بن غنام في قتل ثويني ، تقع في ٨٧ بيتاً أوردها ابن غنام وابن بشر في تاريخيهما ، وفيهـــا :

برب طعيس ، لا طعيس تقشعت سحائب رجز بالمنايا لهـا شر

ولم يرد في هذه القصيدة ما يشير إلى تدبير الاغتيال بـــل البيت الذي أوردناه يدل على العكس ، ولندع المؤرخ التركي الذي هو مصدر ابن سند يتحدث عن قتل طعيس قال [1] : (أما القاتـــل فقد تجمعوا عليه وقتلوه حالاً ، ولم يعرف هل هو من أتباع عبد العزيز الوهابي أو من جماعة شيوخ بني خالد . أمـــا محمد العريعر والبراك فقد كان كل منهما يطمع بالاستيلاء على الاحساء وجعلها تحت حكمه . وكان الشيخ ثويني يميل إلى محمد العريعر ويسانده ويعده باعطاء حاكمية الاحساء إليه ، ولذلك أضمر البراك الغدر به ، ونفذ ما أضمره هذا ما اتجهت الظنون إليه في حينه) .

واذن فالمؤرخ التركي يرى أن تدبير القتل كان من براك ، الذي كان مرافقاً لثويني .

ثم نأخذ وجهة نظر المؤرخ النجدي ، وهو الشيخ عثمان بن بشر صاحب « عنوان المجد » وها هو نص قوله :

[تسلط على ثويني عبد اسمه طعيس ، من عبيد جبور بني خالد ، فقتله ، ذُكِر لي أنهم قالوا للشيخ : ادع الله على ثويني . فقال : قطع الله رزقه .

---

(١) : « دوحة الوزراء » ص ٢٠٤ وما بعدها .

وكان هذا العبد قد فارق برّاك بن عبد المحسن حين نقض العهد وتبع ثويني ، وجاء إلى عربان المسلمين ، وغزا مع من ركب من تلك البوادي ، فوافقوا غزو من قوم ثويني ، وأخذوا الجيش ، وأخذوا العبد ، وصار مع بني خالد عند برّاك ، فصمم عزمه على قتل ثويني ، وكان قد أظهر ذلك عند بعض من حضره ، وهم يستهزؤون به ، فحين نزل ثويني الشّباك وجلس ومعه اثنان أو ثلاثة وهم ينتظرون الخيمة تبنى لهم، والناس يحطون رحالهم، فأقبل العبد من خلفه ، ومعه زانة ، فيها حَرْبة ضعيفة ، فطعنه بين كتفيه ضربة واحدة ، ليست نافذة ، ولكن الله سبحانه جعل فيها حتفه ، وقتل العبد من ساعته ...

وكان برّاك بن عبد المحسن بينه وبين حسن بن مشاري مكاتبات ومراسلات لأنه ندم على المسير مع ثويني ، وذلك لأنه رأى وجهه واقباله لأولاد عريعر ، فعرف أنه ان استولى على الاحساء لا يؤثر عليهم أحداً ، فلما قتل ثويني انهزم برّاك إلى حسن بن مشاري [وكان قد أرسل ليكون ردءا لعربان المسلمين].

وإذن فمن أين أتى الدكتور الفاضل بقوله: (الذي اغتالته يد طعيس بناءً على تدبير الوهابيين) ان ابن سند لم يقل هـــذا وان لم يخف حقده ولكنه لم يستطع أن يقول هذا القول ومصدره المؤرخ التركي قد أوضح أن الأمر بتدبير من أحد أتباع ثويني نفسه . نرى ان ما قاله الدكتور هو من قبيل تحميل النص ما لا يتحمله ، وقد علمنا هو وأمثاله من العلماء أن واجب المؤرخ التجرد التام للبحث عن الحقيقة .

٢ ـ وقال الدكتور عن صاحب « لمع الشهاب » : (انه يرى أن الشيخ علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كان يرى أن اعمال القرصنة التي كان يقوم بها القواسم من أهل رأس الخيمة حلال وواجب ديني) ثم أحال على الكتاب وها هو النص لنقرأه ولنحاول هل نصل إلى ما استنتجه الدكتور منه قال صاحب كتاب « لمع الشهاب » : (وكان الشيخ علي لا يأكل هو وعياله إلا من الهدايا التي يجيء بها له القواسم لأنه يقول : كل ما غنموه أهل

رأس الخيمة فهو أحلى من حليب الوالدة) هذا هو النص ونقرن هـذا بأن أهل رأس الخيمة كانت تقوم بينهم وبين الانكليز حروب ذكر صاحب « لمع الشهاب » طرفا منها فهل نستطيع أن نجد أساساً للحكم على عالم جليل يدفعه ورعه عن قبول كثير من الأموال التي يغدقها عليـــه الأمراء بل الملوك في عهده . وكان يتولى وظيفة رئيس للقضاء وخليفة للامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثم لا يقبل سوى ما جاءه من القواسم وتلك حالهم هل يصح بأن نصفه بتحليل أعمال السرقة (القرصنة) والنهب ثم لا نكتفي بذلك بل نحكم بأنه يرى ذلك واجباً دينياً حسبما يعبر الدكتور الفاضل ؟ أرى أن هذا من قبيل تحميل النص ما لا يحتمل هذا فيما لو نظرنا إلى ذلك النص نظرة مجردة اما باعتباره مما صدر عن عدو للشيخ تفيض صفحات كتابه بالكذب، وتنضح بالعداوة، فكيف يسوغ لنا ونحن نبحث عن الحقائق مجردة من كل غاية أن نقول هذا القول ؟ .

٣ – يصف الدكتور الفاضل حكم بني خالد في شرقي الجزيرة بالأوصاف التالية : (كان حكماً طابعه حب السلام والحفاظ عليه) [١] ، ويقول: (ان الحكم الخالدي لشرق الجزيرة بما جبل عليه من بسط الأمان على سائر الأجزاء المستظلة به كان أمراً لازماً لاعطاء الكويت الفرصة حتى تنمو وتزدهر [٢] . ويقول: وقد رأينا حرص بني خالد على استتباب الأمن والسلام في المنطقة حتى تزدهر التجارة) [٣] .

لقد وضع لنا الدكتور قاعدة نسير عليهـا في تقبل مثل هذه الأحكام ، وهي القاعدة التي وضعت قديماً عند معالجة القضايا التاريخية تلك عدم قبول أية قضية تاريخية ما لم تستند على أساس ، فمـا هو الأساس الذي بنى عليه مؤرخنا الجليل أحكامه هذه ؟ هذا ما نجهله وما لم نجد له أثراً في كتابه الذي

---

(١) : ص ٤٩ .

(٢) : ص ٧٩ .

(٣) : ص ٨١ .

نتحدث عنه ، اللهم إلا إذا أردنا أن نبني قضايانا التاريخيـــة على أسس من التخيل بدون استناد إلى أصول تاريخية !!! .

ان النصوص التاريخية التي نجدها في المصادر التي اعتمد الدكتور الفاضل عليها في كتابة هذا التاريخ لا تتفق مع تلك الاحكام ، بل كلها تكاد تجمع على أن حكم بني خالد لتلك البلاد كان حكماً بدوياً قبلياً يقوم على أساس الظلم والبطش من قبل البدو الأقوياء للحضر الضعفاء ، فابن بشر في كتابه « عنوان المجد » يبدأ الحديث عـــن استيلاء حكام بني خالد على الأحساء ونواحيها بالأبيات الشعرية التي قالها أديب معاصر من أهل القطيف ، وختمها أديب معاصر من أهل نجد ، وتلك هي

رأيت البدو آل حُمَيد لمـا تولوا أحدثوا في الخط ظلمـا
أتى تاريخهـم لمـــا تولوا كفانا الله شرهم : (طغى الما)

ويختمها الأديب النجدي محمد بن لعبون بقوله :

وتاريخ الزوال أتى طباقـــاً (وغار) إذ انتهى الأجل المسمى

ثم اننا إذا تتبعنا اخبار حكم آل حميد الخالديين تلك الحقبة من الزمن لا نجد ما يـــدل من قريب أو بعيد على أن لهم رغبة في الأصلاح وازدهار التجارة ونموها .

وأمر ثالث فالمعروف عن البدو وآل حميد بدو مجافاتهم لكل ما يتصل بالحضارة والعمران ، وهذا أمر مدرك بالبداهة من عهد ابن خلدون أو قبله .

وأمر رابع فصحيفة تاريخهم ملطخة بسفك الدماء وبالشقاق والنزاع فيما بينهم بحيث يقتل الأخ أخاه ، فعلى أي أساس يمكن القول بانهم يريدون اصلاح غيرهم وهم يرتكبون الموبقات فيما بينهم .

ان هذا مما يحزُّ في نفس كل عربي ان توصف طائفة من قومه بهذه الصفة ، ولكن التاريخ لا يرحم ولا يقبل من أحد مجاملة .

ولعل لدى الدكتور الكريم من النصوص التاريخية التي استند عليها في أحكامه تلك ما كان يجب إيراده في تاريخه ، لكي تتغير النظرة إلى عهد حكم هذه الطائفة من العرب الاقحاح الذين سيطروا على شرق جزيرة العرب حقبة من الزمن .

٤ – ويقول الدكتور في سياق الحديث عن بني خالد ؛ (وتشير الكتابات [١] التاريخية العربية إلى أنه كان بمقدور شيوخ بني خالد أن يتحدوا تحرشات شرفاء مكة بهم عام ١٥٨١ عندما أراد هؤلاء أن يتحدوا سلطة بني خالد في الاحساء) وأحال في الحاشية إلى ابن بشر ، وإذا رجعنا إلى ابن بشر فإننا نجد فيه هذا النص : (سابقة : قال العصامي في تاريخه : وفي سنة ٩٨٩ هـ سار الشريف حسن بن أبي نمي إلى ناحية الشرق من نجد في جيش كثيف ومدافع كبار ففتح حصوناً تعرف بالبديع والخرج والسلمية واليمامة ومواضع في شوامخ الجبال ، ثم عين من رؤسائه من ضبطها على أمور شرطها ، وعاد راجعاً فأخبره بعض عيونه ان جماعة من شوكة بني خالد تجمعوا وتحزبوا في طريقه ، وترصدوا على جرائد الخيل ، وكرائم الابل فوافاه الجيش الخالدي ، فوجده على غاية الحذر فتقاربا وتقابلا ففر الخالدي وانكسر وقتل أكثرهم وغنم خيلاً وابلاً ولم ينج الا الهارب) .

هذا نص كلام ابن بشر ، وقد اختصره من كتاب العصامي المعروف « سمط النجوم العوالي » فما الذي يفهم من هذا النص ؟ انه على وضوحه ليس فيه ما يدك على ما فهم الدكتور الفاضل الذي فاته أمر آخر بالنسبة إلى بني خالد ذلك ان هذه القبيلة في آخر القرن التاسع وفي القرن العاشر الهجري انضوى اليها كثير من القبائل الأخرى كما هو الشأن مع كل قبيلة تبدو على جانب من القوة ولايضاح هذا ينبغي أن نلاحظ أن بني عامر من قيس عيلان الذين ترجع اليهم عشائر بني خالد في النسب ان بني عامر هؤلاء استولوا على حكم الاحساء من الدولة العيونية في أول القرن السابع الهجري ، واستمر

---

(١) : ص : ٧٥ .

الحكم في يدهم حكم منهم آل أبي جروان ثم آل أجود الذين منهم آل جبر الذين عرفوا فيما بعد بالجبور ثم من بعدهم آل مغامس ومن آل مغامس انتقل الحكم إلى آل حميد من بني خالد الذين هم من عقيل ابن عامر أو أغلبهم ، كما قال شاعر الاحساء احمد بن المشرف .

ولا تنس جمـــع الخالدي فانهم قبائل شتى من عقيل بن عامر

ومن عادة العرب الانضواء تحت اسم العشيرة القوية ، والانتساب اليها بمجرد القرابة أو الحلف أو الجوار أو حتى الاتفاق في اسم الجد جهلاً وهكذا الشأن بالنسبة لبني خالد فبعد أن كانوا عشيرة صغيرة من بني عامر منضوية تحت حماية آل فضل في القرن الثامن الهجري أصبحت بعد قرنين من الزمن قبيلة كبيرة تنضم العشائر الأخرى من القبائل القريبة منهـــا حتى أصبح المنتسبون إلى بني خالد في القرن الحادي عشر الهجري منتشرين في نجد كلها في الخرج وفي الوشم وفي سدير ، وفي القصيم ، فضلاً عن سيطرتهم على القسم الشرقي من الجزيرة وهم مع ذلك في ذلك الوقت لا يدخلون تحت حكم الاحساء الذي تسيطر عليه قبيلته ..

من هذا الأيضاح الموجز يتبين أن مـــا ذكره العصامي المكي ونقله عنه المؤرخ ابن بشر لا يتعلق بحكام الاحساء ، وان كانت بلاد نجد في عهد قوة الدولة الجبرية التي تجتمع في النسب مع بني خالد كانت تلك البلاد خاضعة لحكم اجود بن جبر بن زامل العقيلي الجابري ، ثم خضعت بعد ضعف ذلك الحكم لنفوذ أشراف مكة خضوعاً اسمياً .

من كل ما تقدم نرى أن الدكتور الفاضل حمّل ذلك النص التاريخي من المعاني ما لا يحتمل .

٥ ــ وقال الدكتور عن العثمانيين [١] : (الذين افتتحوا الاحساء فيما بعد بمساعدة قبائل المنتفق ، وأقاموا فيها حكماً عثمانياً، بعد أن أزالوا عنها سلطة آل جبري وهم من قبيلة قيس) .

---

(١) ص ٧٥ .

ان الدكتور الفاضل عول في هذا النص على « تاريخ ابن بشر » وقد أحال عليه ، ونصه : (في تمام الألف استولى الترك على بلد الأحساء ، وانقرضت منه دولة آل اجود الجبري العامري وذويه) .

وعبارد ابن بشر هذه فيها غلط من ناحيتين: الناحية الأولى تاريخه استيلاء الأتراك بانه في تمام الألف ، والواقع انه قبل ذلك، لاننا نجد من آثار العثمانيين في الأحساء ما يدل على ذلك ، ففي داخل الكوت في بلد الهفوف مسجد يعرف بمسجد الدبس فيه حجر مكتوب فوقه بعد البسملة : (الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قد بنى هذا المقام ، في زمان السلطان العادل ، سليمان بن السلطان سليم حضرة الحاكم الأجل ، قدوة الحكام كهف الانام ، صاحب السيف والقلم،والى بلد الأحساء. محمد باشا في سنه ثلاث وستين وتسعمائة هجرية) .

وهذا النص التاريخي يؤيد ما جاء في كتاب « أربعة قرون في تاريخ العراق الحديث » [1] من قوله : (ان الواضح في سجلات الحكومة على عهد سليمان أن استنبول كانت تدعى بتابعية الاحساء لها،كما ادعت بالحبشة ، ويذكر أولياء افندي انه لم يكن هناك اقطاع وبعد ما كان حكامها بدرجة بكلربكي أصبحوا الآن يحكمون بسلطة مطلقة ويرسلون الهدايا فقط إلى حاكم بغداد وان كان شيوخ القطيف والبحرين قد رحبوا بالسلطان سليمان في سنة ١٥٣٤

فانما ذلك بعيد على الخضوع الحقيقي وبالاختصار نقول: كان الادعاء بالاحساء غير حقيقي ولا أساس له على الطريقة التركية ، ولم تدعمه التواريخ) .

وهذا القول له وجه من الصحة الا انـــه لا ينفى استيلاء العثمانيين على الاحساء في ذلك العهد وان لم يبق للدولة نفسها فيه من النفوذ سوى الاسم وان بعض قوادها صار يحكم البلاد بدون الرجوع اليها .

الناحية الثانية من غلط عبارة ابن بشر القول بأن العثمانيين استولوا على

---

(١) ص : ٣٦ حاشية .

الاحساء بعد أن أزالوا الجبريين والوقع ان الذي استولى عليها بعد الجبريين هم آل مغامس فقد ذكر الشيخ عبد القادر الجزيري الحنبلي في كتابه « درر الفرائد المنظمة »[1] : (سلطان الشرق الشيخ راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل ، سلطان البصرة والحساء والقطيف حج في سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة، في ولاية الأمير تنم بن مغلباي على الحج في نحو خمسة آلاف نفس، على رواحل ونزل الابطح ، وكانت ولايته على الشرق في عام إحدى وثلاثين وتسعماية ، فاستقل بالبصرة واستعان بـــه بنو جبر لضعف حالهم ، فقوى عليهم ، وأخذ منهم الحسا والقطيف وأعمالها وذلك لما استولى الاعداء الفرنج المخذولون على بلادهما ، وقتلوا سلطانهم الشيخ مقرن بن زامل بن حسين بن بن ناصر الجبري في سنة سبع وعشرين وتسعمائة ، ثم وليها بعده عمه علي بن أجود نحو شهر ، فأخذها منه ابن أخيه ناصر بن محمد بن أجود فاقام ثلاث سنين وأعطاها بيعاً لقطن بن علي بن هلال بن زامل ، فأقام فيها نحو سنة ، ثم مات فخلفه ولده ، ثم عجز عنها ودفعها لغصيب بن زامـــل بن هلال ابن زامل ، فاقام فيها نحوا من سبعة أشهر، فأخذها منه بالحرب الشيخ راشد ابن مغامس صاحب الترجمة ، وولي البصرة لأخيه محمـــد ، وأقام هو بالحسا والقطيف) . وقد كان استيلاء آل مغامس هؤلاء على الاحساء بعد وقوع الشقاق بين أفراد الاسرة الجبرية ثم قتل الشيخ مقرن الجبري على يد البرتغاليين الذين امتد نفوذهم في ذلك العهد ، قال ابن اياس في « بدائع الزهور » في حوادث الشهر المحرم سنة ٩٢٨ هـ : (واشيع قتل الأمير مقرن أمير عرب بني جبر متملك جزيرة البحرين إلى بلاد هرمز الأعلى ، وكان أميراً جليل القدر ، معظما مبجلاً في سعة من المال وكان مالكي المذهب سيد عربان الشرق على الاطلاق ، وكان أتى إلى مكة وحج في العام الماضي (٩٢٧) وكان يجلب إلى مكة اللؤلؤ والمعادن الفاخرة من المسك والعنبر والعود القماري والحرير الملون وغير ذلك من الأشياء التحفة قيل انه لما دخل إلى مكة والمدينة

---

(١) نسخة دار الكتب المصرية ص ٣٢٦ (الرقم ٩٢٦ تاريخ تيمور) وهذا النص غير موجود في المطبوعة اذ هي ناقصة .

تصدق على أهل مكة والمدينة بنحو خمسين الف دينار فلما حج ورجع إلى بلاده لاقته الافرنج في الطريـــق وتحاربت معه فانكسر الأمير مقرن منهم وقبضوا عليه باليد وأسروه فسألهم بان يشتري نفسه منهم بالف الف دينار فأبو الفرنج ذلك وقتلوه بين أيديهم ولم يغن عنه ماله شيئاً . وملكوا منه جزيرة البحرين وملكوا قلعتها التي هناك واستولوا على أموال الأمير مقرن وبلاده ، وكان ذلك من أشد الحوادث في الاسلام وأعظمها وقد تزايد شر الفرنج على سواحل البحر الهندي والامر لله تعالى) ا . هـ .

وتجد بحثاً مفصلا عن الدولة الجبرية في « مجلة العرب » [1] مما لا نحتاج معه إلا الاطالة .

٦ — ويقول الدكتور : [2] (وكان الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ملكا دخيلاً على المناذرة ولما واتت الظروف المنذر بن ماء السماء انتزع الملك من الحارث وطارد فلول حيشه من بكر وتغب إلى البادية والصحراء وهزمهم عند جبل اوارة) .

ولقد رجعت إلى ما بين يدي من المصادر العربية ، ككتاب « النقائض لابي عبيدة معمر بن المثنى وهو من اوفى من كتب عن ايام العرب، « ومعجم ما استعجم » للبكري « ومعجم البلدان » للحموي وتواريخ ابن جرير وابن الاثير وابن خلدون وغيرهم ، فلم أر من ذكر ما ذكره الدكتور الفاضل ، لقد ذكروا يومين جريا بقرب اوارة، هما :

١ — يوم اوارة الأول ، وكان بين المنذر بن امرىء القيس وبين بكر بن وائل وملخص ما جاء في « الكامل » لابن الاثير [3] ان المنذر سار إلى بكر بن وائل وحلف ان ظفر بهم ليذبحنهم على قلة جبل اوارة حتى يبلـــغ الدم

---

(١) ص ٦٠١ - ٦١٠ (السنة الأولى) .

(٢) : ص ٩١

(٣) : ج ١ ص ٥٥٣

الحضيض فكان ان التقوا باوارة فذبح من بكر بن وائل على الجبل فجعل الدم يجمد ، فقيل له لو ذبحت كل بكري على وجه الارض لم تبلغ دماؤهم الحضيض ولكن لو صببت عليه الماء ففعل فسال الدم إلى الحضيض .

اليوم الثاني لاوارة كان بين عمرو بن المنذر اللخمي وبين بني تميم ، فقد غزا بني دارم منهم وحلف ليقتلن مئة فلما بلغ اوارة بث سراياه فأتوه بتسعة وتسعين رجلا سوى من قتلوه في غاراتهم ، واكمل المئة برجل من البراجم . واليوم الأخير هو الذي ذكره البكري وياقوت الحموي مع خلاف في طريقة القتل .

اما القصة التي اشار اليها الدكتور فهي كما يظهر من كلام ابن الاثير وغيره لا صلة لها باوارة ويحسن ان نورد كلام ابن الاثير بالنص قال :

(أعاد كسرى أنو شروان المنذر بن ماء السماء الى ولاية الحيرة ، وطلب الحارث بن عمرو – وكان بالأنبار ، وبها منزله– فهرب بأولاده وماله وهجانته وتبعه المنذر بالخيل ، من تغلب وإياد وبَهْرَاء ، فلحق بأرض كلب ، فنجا ، وانتهبوا ماله وهجانته ، وأخذت تغلب ثمانية واربعين نفسا من بني آكل المرار فيهم عمرو ومالك ابنا الحارث ، فقدموا بهم على المنذر ، فقتلهم ... وأقام الحارث ، في ديار كلب ، فتزعم كلب أنهم قتلوه ، وعلماء كندة تزعم أنه خرج يتصيد فتبع تيساً من الظباء فاعجزه ، فأقسم الا يأكل شيئاً إلا من كبده فطلبته الخيل ، فأتى به بعد ثلاثة ، وقد كاد يهلك جوعاً ، فشوي له بطنه فأكل فلذة من كبده ، حارّة ، فمات [1]

وقد يكون للدكتور من المصادر ما لم يشر اليه عند ايراد ما أورده، وهذا مما قد يؤاخذ به المؤرخ حتى يبين مصدره .

وعلى ذكر اوارة يحسن ان نشير اشارة موجزة إلى ان تعريف ايام العرب[2]

---

(١) : « الكامل » ج١ ص ٥١٢

(٢) : ص ٩١ حاشية .

الذي أورده الدكتور ليس دقيقاً ، فمن ايام العرب ما حدث بينهم وبين ملوك الحيرة التابعين لدولة الفرس وليسوا من العرب

ويحسن أن نصحح خطأ وقع فيه ياقوت وسار على منواله مؤرخنا الفاضل وهو إيراده بيت زهير بن أبي سلمى شاهدا على اوارة بهذا النص [1] :

عداويـــة هيهات منك محلها إذا ما هي احتلت بقدس أوارة

وصواب البيت : إذا ما هي احتلت بقدس وآرة ذلك ان زهيراً يصف امرأة (عداويـــة) منسوبة إلى – عدي مزينـــة والنسبة اليه عداوي ، وهي نسبة نادرة ، كما ذكر ذلك « تاج العروس » وقد أورد البيت في مادة (آرة) وآرة هذا جبل لمزينة مجاور لجبل قدس والجبلان لا يزالان معروفين مع تحريف في اسم قدس حيث يسمى الآن (ادقس) ويقعان جنوب المدينة ، وهذا الغلط أعني الخلط بين آرة واوارة قديم إلا أن بعض المتقدمين نبه على ذلك ، ولا تفوت الاشارة إلى أن ما أورده الدكتور من شعر الأعشى ، يؤيد ما ذكرته المصادر التاريخية التي لخصنا عنها ، ولا تتفق مع الدكتور في رأيه [2] .

٧ – وأورد الدكتور في كلامه على تصغير الأسماء القرين [3] نقلاً عـــن المعجم لياقوت قرية بوادي عروات ويظهر أن هذا تطبيع فاسم (عروات) صوابه (عردات) بفتح الراء وبدال بعدها وهي أعلى وادي تربة في الحجاز، ولا يزال معروفاً .

٨ – حول ابن رزق

أكثر الدكتور الحديث عن أحمد بن رزق الخالدي النجدي ولكنه ينسبه دائماً إلى الكويت [4] .

---

(١) ص ٩١ حاشية .
(١) في ص ٩١ حاشية : شعر الأعشى ، فارجع اليه .
(٣) : ص ٩٩ حاشية .
(٤) ص : ٣٠ و ١٠٠ حاشية .

وهذه النسبة لهـا وجه من الصحة ، ولكن ينبغي أن نلاحظ أن ابن رزق هذا وإن أقام في الكويت فترة من الزمن إلا أنه أقام في غيرها أكثر من تلك المدة .

ويحسن قبل أن نتحدث عن ابن رزق أن نشير إلى نقطة هامة ما كان ينبغي إغفالها عند تدوين تاريخ الكويت ، تلك أن أكثر الأسر الكويتية انتقلت من نجد ، في عصور مختلفة ، وأمر آخر نقوله لا بدافع العاطفة ، ولكن تقريرا لحقيقة تاريخية يظهر أنها خفيت على مؤرخ الكويت الدكتور أبو حاكمة ، تلك هي أن نشوء الكويت ووجوده كانا قائمين على انتقال كثير من الأسر النجدية من نجد اليه ، في أوقات الجَدْب والقحط ، وقيام تلك الأسر بأوجه مختلفة من نواحي النشاط العمراني ، يتلاءم مـع الزمن الذي هاجروا فيه ، من امتهان حرفـة (الغوص) أو الاشتغال بالتجارة ، أو مزاولة أية حرفة من حرف العمل ، وعلى هذا قام وجود الكويت ، بحيث أن كل باحث يستطيع أن يرجع كل أسرة من الأسر المعروفة فيه إلى أصلها النجدي ، باستثناء أسر قليلة معروفة ، كان قدومها إلى الكويت متأخراً في الزَّمن ، عن وقت نشوء تلك البلاد .

وبعد هذه المقدمة الموجزة يحسن أن نذكر طرفاً من أخبار ابن رزق هذا .

قلنا فيما تقدم أن قبيلة بني خالد كانت منتشرة في بلاد نجد ، وكان قسم منهم يقيم في اقليم سدير ، متحضراً ، كما تقيم أقسام أخرى في مختلف أقاليم نجد ، ومن هؤلاء اسرة آل رزق ، التي كانت تقيم في بلدة (حرمة) من إقليم سدير ، ثم انتقلوا الى بلدة (الغاط) ويعرف قديماً باسم (لُغاط) من إقليم سدير ، أيضاً ، ومن هؤلاء : أحمد بن محمد بن حسين بن رزق — الذي الف ابن سند له كتاب « سبائك العسجد » والذي عمر بلدة (الزُّبارة) بعد أن انتقل اليها من (البحرين) في حدود سنة ١٢٢١ هـ — ثم انتقل منها إلى (قردلان) التي يفصل بينها وبين العشار في البصرة شط العرب ، حيث

وعهد بني أمية من أعمال العراق ، وكانت حدود البحرين الجنوبية آنذاك عمان) .

وهذا القول ليس على اطلاقه ونوضح ذلك فيما يلي :

١ — في عهد الخليفة أبي بكر

كان والي البحرين العلاء بن الحضرمي الذي ولاه الرسول (ﷺ) تلك البلاد ، ويكاد يجمع على هذا من أطلعنا على كلامهم من المؤرخين .

٢ — في عهد عمر :

ابقى الخليفة عمر العلاء على ولايته في أول عهده ، ثم بعد ذلك عزله سنة ١٥ هـ وولى البحرين واليمامة عثمان بن أبي العاص ، فولى عثمان أخاه الحكم على البحرين ، هذا على رأي ابن جرير أما خليفة بن خياط فيقول بأن عثمان كان والياً على عمان ، فاضيفت اليه البحرين فجعل أخاه الحكم واليا عليها .

وفي سنة ١٦ هـ عزل عمر عثمان وأعاد العلاء بن الحضرمي على عمل عثمان ، ثم عزل العلاء وولى قدامة بن مظعون ثم عزله ورد العلاء سنة ١٧ هـ ، الا انه عزله مرة ثالثة وأعاد عثمان بن أبي العاص على اليمامة والبحرين ، ثم عزل عثمان وتولى البحرين ولاة منهم أبو هريرة وعياش بن ثور ، هذا ملخص ما ذكر خليفة بن خياط وابن جرير وهما من أقدم المؤرخين ، ومن ذلك يتضح ان البحرين كان في أول عهد عمر مستقلاً بوال ثم أضيف إلى اليمامة في ولايةالعلاء وعثمان وأبي هريرة .

٣ — في عهد عثمان :

ولى عثمان عبد الله بن عامر بن كريز القرشي البصرة وأضاف البحرين اليه فيما أضاف من البلاد الواقعة شرق المملكة الاسلامية ، فولى عبد الله رجلاً يدعى عبد الله بن سوار العبدي ، وهذا أول عهد أضيفت فيه ولاية البحرين إلى البصرة ، ويذكر خليفة ان مروان بن الحكم كان من ولاة البحرين لعثمان من قبل عبد الله بن عامر أيضاً .

٤ – في عهد علي :

ولى علي البحرين عمر بن سلمة مدة ، ثم في آخر عهده ولاها عبيد الله بن عباس هي وما يليها مع اليمن ومخاليفها على ما ذكر ابن جرير في حوادث سنة ٤٠ من الهجرة ، ويظهر ان عبيد الله بن عباس ولى عليها والياً من قبله لاننا نجد خليفة حينما يذكر ولاتها في عهد علي يقول عمر بن أبي سلمة وقدامة بن العجلان النعمان بن العجلان .

ومما تقدم يتضح ان البحرين لم تكن تابعة للعراق الا في عهد عثمان حينما ولى قريبه الأمير القوي عبد الله بن عامر بن كريز وان تلك البلاد في غير عهد عثمان كانت ترتبط ولايتها بالخليفة آونة وتضاف إلى اليمامة أخرى وإلى العراق (البصرة) ثالثة ، وذلك فيما يظهر لا يرجع إلى اعتبارات ادارية أكثر من رجوعه إلى منزلة الوالي الذي تضاف اليه عدة ولايات عند الخليفة كما هو الحال في عبيد الله ابن عباس بن عم الخليفة علي وعبد الله بن عامر بن عم الخليفة عثمان .

أما في عهد بني أمية فان الحال لم تختلف كثيراً عما كانت في عهد الخلفاء الراشدين يوضح هذا ما يلي

١ – في عهد معاوية :

كان زياد بن أبي سفيان هو الوالي على شرق المملكة العراق وخراسان وسجستان وقد أصبحت البحرين بحكم سعة نفوذه تابعة له على ما ذكر ابن جرير ولا نعرف أحداً من ولاتها بعد ذلك الا في عهد :

٢ – عبد الملك بن مروان :

وقد تولاها في هذا العهد تسعة ولاة وجلهم ان لم يكن كلهم من قبل الحجاج والي العراق وهم عمر بن عبيد الله بن أسيد بن الأخنس بن شريق الثقفي ، سنان ابن سلمة ، موسى بن سنان ، زياد بن الربيع الحارثي ، محمد بن صعصعة وقد ولى مكانه عبد الملك بن عبد الله بن أبي رجاء ، قطن بن زياد بن الربيع الحارثي .

٣ – وفي عهد الوليد بن عبد الملك :

والي اليمامة هو قطن بن زياد بن ربيع الذي ولي من قبل الحجاج .

٤ – سليمان بن عبد الملك :

ضمت البحرين في عهده إلى يزيد بن المهلب والي العراق أيضاً فولاها الاشعث بن عبد الله بن الجارود .

٥ – عمر بن عبد العزيز :

جعلت البحرين تابعة لولاية السند الذي يتولاها عدي ابن ارطاة فولى على البحرين الصلت بن حريث وعبد الكريم بن المغيرة .

٦ – في عهد يزيد بن عبد الملك :

ضمت البحرين إلى اليمامة ، وكان واليها في ذلك العهد من أشهر ولاة بني أمية وهو ابراهيم بن عربي .

٧ – هشام بن عبد الملك :

في عهده كانت البحرين تابعة لولاية السند أيضاً ومن ولاتها في ذلك العهد : محمد بن زياد بن جرير بن عبد الله وهزار بن سعيد ، ويحيى بن اسماعيل ، ويحيى بن زياد ، وعبد الله بن شريك ، ومحمد بن حسان بن سعد الاسيدي .

٨ – الوليد :

في عهده كان والي البحرين بشر بن سلام من قبل والي سجستان .

هذه خلاصة ما ذكره خليفة بن خياط عن ولاة البحرين ،وهـــو أوفى المؤرخين ، وأقدم من وصل الينا كلامهم عن ولاة البحرين [1] .

---

(١) : لزيادة الايضاح عن ولاة البحرين في العهد الأموي أنظر « مجلة العرب » ص ٢٨ـوما بعدها ـ المجلد الأول مقال : (ولاة الأحساء في العهد الأموي) .

من كل ما تقدم يتضح ما في عبارة الدكتور عن ولاية البحرين من الاطلاق، بحيث أصبحت ضعيفة .

١٢ – ونقل الدكتور [١] عن ياقوت قوله : فلما ولي بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملاً واحداً .

وأقول ليس هذا القول على إطلاقه، فقد كانت اليمامة في ذلك العهد وخاصة في أوله تضاف الى ولاة مكة بينما ولاية البحرين كانت تضاف الى ولاة العراق ، ويستدعي الموضوع تطويلا ولكننا نحيل القارىء الى بحث عن ولاة اليمامة نشرته مجلة « العرب » [٢]، أما عن البحرين ، فاننا حينما نستعرض ولاتها في العهد العباسي نجد :

١ – في عهد السفاح :

تولاها المسيح بن الحواري بن زياد وعبد الله بن سليمان بن المنذر بن الجارود وعمر بن حفص هزار مرد ، ويظهر أن هؤلاء تابعون لوالي البصرة .

٢ – في عهد المنصور :

ولاتها عبد ربه بن شريك ، ونافع بن عقبة ويزيد بن عبد الله الهلالي .

ويفهم من كلام ابن جرير في حوادث سنة ١٥١ ان ولاية البحرين كانت تابعة للبصرة .

٣ – في عهد المهدي :

كانت البحرين تابعة لوالي البصرة جعفر بن سليمان فولى عليها سعيد بن دعلج ، فبعث ابنه تميما على ما ذكر ابن جرير في حوادث سنة ١٥٧ .

---

(١) : ص ٩٣ .

(٢) : ص : ٢٧٦ الى ٢٨٤ المجلد الأول .

٤ – خلفاء آخرون :

لا تسعفنا المصـــادر بمعلومات مرتبة عن ولاة البحرين حسب ترتيبهم ، وكل ما نجد هو :

١ – في سنة ١٦٠ هـ إلى ١٦٣ هـ يذكر ابن جرير أن محمد بن سليمان كان هو والي دجلة والبحرين وعمان والاهواز وفارس .

٢ – وفي سنة ٢٣١ هـ يذكر ابن جرير أيضاً انـــه عقد في دار الخلافة لاسحاق بن ابراهيم بن أبي حميضة مولى بني قشير من أهل أضاخ من نجد على اليمامة والبحرين وطريق مكة من جهة البصرة .

٣ – ويذكر ابن جرير أيضاً من أخبار سنة ٢٣٦ هـ انه عقد لمحمد بن اسحاق بن ابراهيم بن مصعب بن زريق على اليمامة والبحرين .

ثم تقف المصادر فجأة ولا تسعفنا بشيء ذي أهمية سوى أخبار ثورة صاحب الزنـــج ، وثورة القرامطة في البحرين ، وان ذكرت شيئاً قبل ذلك ، فهو يدل على عدم اهتمام الخلفاء العباسيين بشأن البحرين ، ومن ذلك ما أورده ابن جرير في حوادث سنة ٢٤٥ هـ من أنها أصبحت منفى في ذلك العهـد لمن يغضب عليه الخليفة ، فقد أورد ما هـذا نصه : (وفيها غضب المتوكل على بختيشوع وقبض ماله ونفاه إلى البحرين فقال اعرابي :

يا سخطة جاءت على مقدار ثار له الليث على اقتدار
منه وبختيشوع في اغترار لمـــا سعى بالسادة الأقمار
بالامراء الـــقادة الأبرار ولاة عهد السيد المختار
وبالموالي وبني الأحرار رمى به في موحش القفار
بساحل البحرين للصّغار

ومما يدل على عدم اهتمام الدولة العباسية في آخر عهدها بالبحرين أنها أصبحت تكل أمرها إلى من ليس أهلاً لولايتها ، من الشعراء وأمثالهم ، فقد أورد ابن جرير في حوادث سنة ٢٤٧ عن مروان بن ابي الجنوب الشاعر

انه قال انشدت امير المؤمنين (يعني المتوكل) فيه شعراً فعقد لي على البحرين واليمامة وخلع علي أربع خلع ثم ذكر شيئاً من شعره ومن أخباره مما لا نطيل بذكره .

١٣ – ويتحدث الدكتور [١] عن انتساب آل صباح وآل خليفة وغيرهما من بني عتبة الى بطون عنزة ، وأنهم كانوا في الأصل ينزلون الهدار من الافلاج ثم يحاول تحديد زمن هجرتهم قائلا : (ربما كانت جزءاً من هجرة عنزة الكبرى التي تمت في أواخر القرن السابع عشر الميلادي حينما هاجرت عنزة وغيرها من قبائل شرقي الجزيرة بسبب القحط من منازلها) .

وقبل أن نذكر ملاحظاتنا يحسن أن نحدد السنة التي حصل فيها القحط والتي أشار اليها الدكتور ، هذا القحط يسمى عند مؤرخي نجد (وقت سمدان) ويشير اليه بن بشر في سابقة سنة ١١١٤ قائلا : وفي هذه السنة أول وقت سمدان المحل المعروف والقحط والغلاء الذي سمد فيه أهل الحجاز وكثير من البوادي) . ويقول في سوابق سنة ١١١٥ : (وفيها اشتد المحل والغلاء ، وهلك أكثر هُتَيم وبعض أهل الحجاز) . وتحديد ابن بشر وغيره له يوافق آخر القرن السابع عشر الميلادي وابن عيسى يشير اليه في حوادث سنة ١١١٤ قائلا : وفي هذه السنة هي أول القحط والبلاء العظيم المسمى سمدان ، سمد فيه أهل الحجاز وأكثر البوادي ، ويذكر مثل هذا في سنتي ١١١٥ و ١١١٧ هـ كما يشير بن بشر في حوادث سنة ١١١٦ و ١١١٨ الى انتشار قبائل عنزة في وسط نجد وفي الدهناء . ويذكر ابن بشر وابن عيسى وغيرهما من مؤرخي نجد قحطاً آخر وقع سنة ١١٣٦ هـ مشيرين فيه الى قبيلة عنزة ، فيقول ابن بشر : (وفي هذه السنة والتي تليها تلفت بوادي حرب والعمارات من عنزة وتلف جملة مواشي بني خالد وغيرهم وكان الأمر فيه كما قال بعض أدباء أهل سدير :

---

(١) : ص : ١٠٢ و ١٠٣ .

غدا الناس أثلاثاً فثلث شريدة يلاوي صليب البين عـار وجائع
وثلث الى بطن الثرى دفن ميت وثلث الى الأرياف جال وناجـع

ولكن ينبغي ان يلاحظ ان ذلك القحط الذي اشار اليه الدكتور فيما لو جعلناه مبدأ عهد انتقال العتوب الى الشرق فانه لا يتفق مع كثير من الحوادث التي اشار اليها ونسبها اليهم فيما بعد ، وهذا قد يقال فيه ان هجرة قبائل من عنزة التي يحاول الدكتور أن يربط بينها وبين انتقال العتوب الى الشرق كانت قبل ذلك العهد ، غير ان الأهم من هذا هو :

١ — لم يعرف ان قبيلة عنزة سكنت الهدار الواقع في جنوب جبـل العارض ، اقليم الأفلاج فسكان تلك الجهة في صدر الاسلام وبعده هم بنـو جعدة وبنو قشير وغيرهما من قبائل عامر بن صعصعة بن معـاوية ، ثم بعد ذلـك هاجرت قبائل من جرم من قضاعة من اليمن فانتشرت في وادي الدواسر وفي الافلاج ، ووصل بعضها الى الفرع في وادي برك ووادي نعام وهذان الواديان يقعان شمال الافلاج ، وكان يقطن في تلك النواحي بنـو هزان وهم من عنزة فخالطوهم ونزل قسم من جرم في الافلاج ، ولبني جرم هؤلاء أبناء عمومة من تغلب قضاعة لا تغلب وائل ، وقد انتسب قسم كبير ممن يسكن تلك الجهات الى تغلب فيما بعد ولشهرة تغلب الوائلية العدنانيـة ولكون البلاد في اول الأمر للعدنانيين ولجهل تغلب القحطانية ، وجد من يقول من النسابين المتأخرين بنسبة هؤلاء الى تغلب العدنانية . ويوجـد من المتأخرين من شيوخ اهل البحرين من يرجع نسب بني عتبة الى تغلب ثم الى عنزة [1] وهذا من قبيل تداخل الأنساب بسبب تشابه الأسماء وهو أمر قديم عند العرب ولا نطيل بذكر الشواهد بل نحيل القارىء إلى ما ذكر الهمداني في « صفة جزيرة العرب » في الكلام على منازل بني جعدة .

٢ — من المعروف ان العتوب انتقلوا من الهدار في الافلاج بعد ان تحضروا اذ وادي الهدار ذو قرى وزراعة ونسبتهم اليه يدل على أنهم كانوا من المقيمين

---

(١) : أنظر « تاريخ الكويت » للشملان .

فيه اقامة استيطان لا بداوة فلماذا نربط بين انتقالهم منه وانتقـــال بعض عشائر عنزة من البادية؟! هذا مما لا يستطيع المؤرخ الحكم به ما لم يجد اساساً يستند اليه .

٣ ـ ان انتساب آل صباح وآل خليفة إلى عنزة يظهر أنه جاء في عهد متأخر جداً وذلك بعد ان اصبحت الدولة السعودية قوية ورجالها ينتسبون الى عنزة ، وهذا لا ينفي ان هناك فخذ من عنزة يدعى الجميلات وفيه المثل: (رمح الجميلات في فرسهم) كما توجد قصص متناقلة في جهات الافلاج عن (آل جُمَيْلة) غير ان كل ذلك لا يحمل على الجزم بان العتوب من قبيلة عنزة وهذا لا يمنع القول بانهم عرب اقحاح صريحو النسب ، ولكن القضايا التاريخية تحتاج الى أساس تعتمد عليه .

١٤ ـ ويتحدث الدكتور [١] : عن الشيخ ابن فيروز اول قضاة الكويت ولكنه يخطّىء حينما يُخطّىء الشيخين عبد العزيز الرشيد ويوسف القناعي في تحديد وفاة ابن فيروز بسنة ١١٣٥ هـ ، ويعتمد على رأي ابن سند في انه توفي سنة ١٢١٦ هـ والدكتور الفاضل خلط بين شيخين يطلق عليهما اسم واحد وينسبان لجد واحد ونوضح هذا بأن آل فيروز وهم من الوهبة من أهل اشيقر من اقارب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ عرف منهم ثلاثة بالعلم كل واحد يدعى ابن فيروز وهم :

١ ـ الشيخ محمد بن فيروز المتوفى سنة ١١٣٥ هـ وهو الذي اشار اليـه المؤرخان الكويتيان .

٢ ـ الشيخ عبد الوهاب بن محمد بن فيروز ولد سنة ١١٧٢ هـ وتوفي سنة ١٢٠٣ هـ وهذا من العلماء المعروفين ، وله حاشية على كتاب « زاد المستقنع » معروفة مات قبل أكمالها ، ويتخذها علماء نجد عمدة في بعض المسائل الفقهية على مذهب الحنابلة .

---

(١) : ص ١١٨

٣ – محمد بن عبدالله بن فيروز المتوفي سنة ١٢١٦ هـ وهذا ممن شرق بالدعوة السلفية التي قام بها الامام محمد بن عبد الوهاب مع ما بينهما من القرابة وهذا هو صاحب القصيدة الطائية التي يمدح فيها ثويني المقتـول سنة ١٢١٣ هـ والتي رد عليها الشيخ حسين بن غنام في تاريخه وهي معروفة والرد موجود في « تاريخي ابن غنام وابن بشر » نسخة المتحف البريطـاني التي هي من مصادر الدكتور .

١٥ – ويورد الدكتور ابو حاكمة [١] كلاماً طويلاً عن وفاه الامير عبدالله ابن صباح مما يدل على حيرته في تحديد زمن وفاته مع ان المؤرخ النجدي ابن بشر في كتابه « عنوان المجد » قد حدده باليوم وبالشهر وبالسنة ، فقد ذكر ان سعوداً توفي ليلة الاثنين ١١ جمادى الاولى سنة ١٢٢٩ هـ ثم ذكر انه بعد وفاة سعود هذا بثلاثة أيام توفي رئيس الكويت عبدالله بن صباح أي في يوم الجمعة ١٥ جمادى الاولى سنة ١٢٢٩ هـ وإذن فلا داعي للاستنجاد بوثائق شركة الهند الشرقية ولا بغيرها من المصادر الافرنجية ، ويظهر ان الدكتور لم يطلع على نص ابن بشر الا متأخراً حيث اشار اليه (ص ٣٢٨) حيث حدد سنة وفاته في عام ١٨١٥ م بينما فلبي يؤرخها بسنة ١٨١٤ م في شهر مايو وهـو تاريخ أدق من تاريخ الدكتور [٢]

١٦ – ويقرر الدكتور اعتماداً على مـــا ذكره السائح الاوروبي (نيبور Miebhur) [٣] ان بني كعب يرجعون في اصلهم الى نجد ، كأن نجدا اصل من اصول العرب وليس مهد العرب كلهم وموطنهم وعلى ما في هذا التعبير فهو خطأ من حيث تحديد انتقال بني كعب الى شمال الخليج في القرن السابـــع عشر. ولئن فات السائح الغربي التعمق في البحث في هذا الموضوع، فان الدكتور وهو يؤرخ امته وبلاده كان يجب عليه الا يفوته . لأن اصدار الاحكام بدون مستند تاريخي كان من الامور التي ذكر الدكتور في مقدمة كتابه انه سيحاول

---

(١) : ص ١١٩ و ١٢٠

(٢) Saodi Arabia - p: 127

(٣) ص : ١٢٥ و ١٤٨ .

البعد عنها حينما وصف كل المؤلفات التي الفت عن الكويت بكونهـــا تصدر النتائج بدون ان تبنيها على اساس قوي من المصادر التاريخية .

ان انتقال بني كعب الى تلك الجهات حدث في صدر الاسلام فقـد انتشروا فيها وقاموا بحركات قوية ، واسسوا دويلات عاشت حقبة من الزمن ، ولا يتسع المجال للتفصيل في هذا الموضوع وتكفي الاشارة إلى ان الدولة الـــتي قامت في الاحساء منذ القرن السابع الهجري الى العاشر هي من بني كعب ؛ وان الدولة التي قامت في الموصل وحلب في اواسط المئة الخامسة منهم أيضاً.

وانه كان لبني كعب هؤلاء نشاط كبير في جهات العراق ، في عهد الخليفة المستضيء اشار ابن خلدون وغيره الى اطراف منه [1] .

لقد كان بنو كعب هؤلاء من اقوى القبائل العربية واكثرها فروعـــاً فمنهم بنو عُقيل الذين سيطروا على حركة التجارة في شمال الجزيرة بحيث أصبح يطلق اسم (عقيلي) فيما بعد على التجار حقبة من الزمن ومن، عقيل هؤلاء آل أجود الذين ملكوا الاحساء ، ومنهم ايضاً بنو خالد الذين كثر حديث الدكتور ابو حاكمه عنهم في كتابه ومنهم بنو خفاجة الذين كانت لهم صولة وسيطرة في جنوب العراق .

والجهل باصول القبائل وفروعها هو الذي حمل السائح الغربي نيبور على ان يقول خطأ قلده فيه استاذنا الكبير ابو حاكمة .

واذا كان لا بد من معرفة زمن انتقال بني كعب الى تلك الجهات فان هذا يستلزم دراسة وافية عن القبيلة من حيث اصلها وفروعها الكثيرة المنتشرة ، وذلك بالرجوع الى المصادر العربية التي عنيت بهذه الناحية بدون الاكتفاء باشارة موجزة يوردها سائح اجنبي يجهل العرب واصولهم وبلادهم . ويكتفي باللفظة العابرة يسمعها من جاهل فيبني عليها ما يبني مما يعتبر فيما بعد في نظر غير المتعمقين حقائق .

---

(١) : « تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ١٠٨٦ طبعة بيروت »

حول كتب الأمثال المنسوب للقالي

قرأت في مجلة العرب الغراء(ج ٩م ٢ ، بيـع الاول سنة ١٣٨٨ ص٨٦٠) تعريفاً بكتاب « الأمثال البغدادية المقارنة » لمؤلفه الاستاذ العميد المتقاعـد عبد الرحمن التكريتي .. وقد جاء في ذلك التعريف ما نصه « وان يكن فاته (أي المؤلف المذكور) شيء يسير منها (أي من امهات كتب الأمثال) مثل كتاب الامثال لابي علي القالي صاحب الامالي وهو في دار الكتب في القاهرة برقم ٧٤٤٢ أدب .. » والحق ان الكتاب المذكور المنسوب الى ابي علي القالي ليس له وانما هو لحمزة بن الحسين الأصفهاني .. وقد نبه على ذلك الدكتور عبد المجيد عابدين في ملحق بكتابه (الامثال في النثر العربي القـديم .. القاهرة سنة ١٩٥٦ م ص ١٩١) فقد أثبت ان الكتاب المذكور الموجود في دار الكتب المصرية برقم ٧٤٤٢ أدب هو كتاب حمزة الأصفهاني في الأمثال على

ومعاذ الله ان نصم استاذنا الدكتور ابا حاكمة بعدم التعمق ولكننا نأخذ عليه أنه في دراساته عن قبائل عربية وبلاد عربية لجوءه إلى مصادر افرنجية فكما لا يسوغ لنا حينما ندرس حياة أمة من الأمم التي تعيش بعيدة عن بلادنا من رحالة عربي منا أمضى وقتاً قصيراً في بلاد تلك الأمة ، فكذلك لايسوغ لنا أن نتلقى معلومات بلادنا وسكانها عن غير أهلها وخاصة فيما ينفرد بـه هؤلاء عما يدونه مؤرخونا ممن هم أوثق بحياتنا وأعرف ببلادنا وبسكانها من غيرهم.

اننا نقول هذا لأننا ننظر إلى آراء الدكتور أبي حاكمة نظرة تتلاءم مـع قيمته العلمية ، ومع ما نراه لمؤلفه هذا ، من مكانة في نفوسنا ، ومـا نعتقد بأن قراء العرب سينظرون اليه ، وإن كنا ندرك ان له من سمو المكانـة العلمية ما يرفعه عن مقام التخطئة أو مجانفة الصواب .

(للحديث صلة)

افعل والمحفوظة نسخة منه في مكتبة ميونيخ.

غير ان الدكتور عابدين لم يستطع الحصول على مصورة لمخطوطة ميونيخ حتى يطابق مافي نسخة دار الكتب بمافي تلك المخطوطة وانما اكتفى بالامور الاتية:

١ – ان كتب الطبقات والتراجم التي وقعت في يده لم تشر الى كتاب للقالي بهذا العنوان .

٢ – ان المقارنة بين مخطوطة دار الكتب وما اورده الميداني من كتاب حمزة تظهر تطابقاً بين النسختين ، ومعروف ان الميداني قد استوعب امثال كتاب حمزة .

٣ – ان المقارنة بين الجزء الذي نشره متفوخ سنة ١٩١٣ من مخطوطة حمزة الأصفهاني وبين بعض الفقرات في مخطوطة دار الكتب تثبت تطابقاً بين نسخة دار الكتب ومخطوطة ميونيخ .

تلك هي أهم الاسباب التي دعت الدكتور عبد المجيد عابدين ان يقرر ان مخطوطة دار الكتب ليست للقالي وانما هي لحمزة الاصفهاني .. وزيادة على ما ذكره الدكتور عابدين فقد كنت حصلت مصورة لمخطوطة ميونيخ اثناء اعداد دراستي عن أمثال الميداني . فطابقت مقدمتها بما نشره الدكتور عبد المجيد عابدين من مقدمة نسخة دار الكتب المصرية فالفيتها مطابقة لها تماماً لا تختلف عنها الا في احصاء عدد الأمثال فقد جاء في نسخة دار الكتب المصرية مايلي:

« وقد اودعت ذلك كله هذا الكتاب وزدت عليه زيادة بلغت بعدد الأمثال الفين ومائتي مثل سوى أمثال مولدة مزدوجة جمعتها في الباب التاسع والعشرين يبلغ عددها أربعمائة مثل .. فتبلغ أمثال هذا الكتاب بها الفين وستمائة مثل وكسراً ، وألفته على نظام حروف المعجم ليسهل تناول ما يراد منه على ملتمسه وختمت الكتاب بنوادر من الكلام لم يصنف في مثلها كتاب »[1] .

---

(١) الأمثال في النثر العربي القديم للدكتور عبد المجيد عابدي ص ١٩١ .

أما نسخة ميونيخ فجاء في مقدمتها ما يأتي :

« وقد أودعت ذلك كله هذا الكتاب وزدت عليـــه زيادة بلغت بعدد الأمثال ألفاً ومائتي مثل ونيف سوى أمثال مزدوجة جمعتها في الباب التاسع والعشرين يبلغ عددها خمسماية مثل ونيف فيبلغ عدد أمثال هذا الكتاب بهـا الفاً وثماني مائة وكسراً (كذا والأصح أن تكون الفاً وسبعمائة) والفته على نظام حروف المعجم ليسهل تناول مـــا يراد منه على ملتمسه ، وختمت الكتاب بنوادر من الكلام لم يصنف في مثلها كتاب) [1] .

وفي عام ١٩٦٣ نشر الدكتور حسين علي محفوظ بحثاً مسهباً مترجماً فيه لحمزة الأصفهاني « مع ذكر سيرته وآثاره وآرائه في اللغة والتاريخ والبلدان » (مجلة سومر مجلد ١٩ ج ٢ و ٣ بغداد ١٩٦٣) وفيـه ذكر أنه اطلع على نسختين اخريين من مخطوطات كتاب حمزة احداهمـا في خزانة الحاج حسين ملك التجار بطهران والأخرى اطلع عليها في خزانة معهد الأمم الآسيوية بلينغراد رقمها B907 . وتاريخها سنة ١١١٤ (نفس المصدر ص ٨٢) وقد اقتبس الدكتور محفوظ شيئاً من مقدمة نسخة لينغراد ويهمنا منه الجزء الخاص بعدد الأمثال وهو كالآتي :

« ... بلغت بعدد الأمثال ألفاً ومائتي مثل سوى أمثال مولدة مزدوجة. في الباب التاسع والعشرين يبلغ عددها أربعمائة مثل فيبلغ عدد أمثال هـذا الكتاب بها الفاً وستمائة مثل وكسراً » (سومر ، نفس العدد ص ٧٨)

وهكذا تضطرب النسخ حول عدد الأمثال التي احتواهـا كتاب حمزة ولعل أوضح اختلاف بين نسخة دار الكتب المصرية والنسختين الأخريين (نسختي ميونيخ ولينغراد) هو الاختلاف الخاص بعدد الأمثال القديمة .. فعددها في نسخة دار الكتب ٢٢٠٠ (الفان ومائتا مثل) وعددهـــا في النسختين الأخريين ١٢٠٠ (الف ومائتا مثل) وحسبما لهذه المشكلة فقد قمت باحصاء الأمثال القديمة الواردة في نسخة ميونيخ فألفيتها تبلغ حوالي ١٢٣٠

---

(٢) كتاب الدرة الفاخرة في الأمثال لحمزه الأصفهاني ، مخطوطة ميونيخ ورقة ١ و ٢ .

وهذا يتفق مع احصاء المؤلف لهذه الأمثال في مقدمة كل من نسختي ميونيخ ولينغراد. وبما أن الميداني قد استوعب كامل كتاب حمزة فيما يختص بالأمثال على أفعل ، فقد رأيت – زيادة في التأكد – أن أوزان بين عدد الأمثال على أفعل عنده وعددها في النسخ الثلاث فوجدته قد سجل لنا حوالي ١١٨٠ مثلاً على أفعل وهذا يدل على أن نسختي ميونيخ ولينغراد أصح في عدد الأمثال من نسخة دار الكتب المصرية إذ لو كانت أمثال حمزة القديمة تبلغ الألفين والمائتين لوجدنا عند الميداني ما يقارب هذا العدد ، ولهذا فقد تأكد لدى أن ثمة غلطة قد حدثت فحولت الألف إلى ألفين في نسخة دار الكتب المصرية وقد يكون السبب في ذلك أحد أمرين :

١ – اما ان الناسخ لم يكن دقيقاً في نقله فحرف العدد .

٢ – واما ان القارىء (وهو هنا الدكتور عابدين) لم يقرأ النص قراءة صحيحة (خاصة وان المخطوطة مكتوبة بالخط المغربي) مما تسبب في جعل الألف الفين . واعتمادا على هذا العدد المغلوط بنى الدكتور عبد المجيد عابدين بعض النتائج العلمية فيما يختص بالأمثال على افعل ، فرأى ان تطور اعداد الأمثال التي على أفعل وزيادتها في مجموعات الامثال المتأخرة نسبياً كمجموعة حمزة الأصفهاني المحتوية على الفين ومائتي مثل يدل على ان معظم هذه الامثال منحول « اقحمه الرواة وضاع الكلام على الامثال الاصيلة » [1] ويبدو لي أنه لو اطلع على العدد الحقيقي لامثال حمزة لخفف من حدة هذه النظرية .

* * *

ولكن الوقوف عند هذا الحد من اثبات ان مخطوطة دار الكتب المنسوبة لابي علي القالى ليست له وانما هي بعينها مخطوطة حمزة الاصفهاني قد لا يكفي اذ ما الداعي الى نسبته هذه المخطوطة الى ابي علي وهي لحمزة ..هل كان ذلك خطأ من الناسخ ؟ واذا كان كذلك فهل هو مجرد خطأ بسيط أم هو نوع من

---

(١) أنظر الفصل الذي عقده الدكتور عبد المجيد عابدين للمثل الذي جاء على صيغة أفعل في كتابه الآنف الذكر (ص ٨٩ - ٩٧) .

الخلط بين كتابين يجمع بينهما موضوع واحد وطريقة التأليف واحدة !. وبعبارة أخرى .. هل كان لأبي علي القالي كتاب في الأمثال ؟ وما هي مدى صلة ابي علي بكتب الأمثال حتى ينسب اليه أحدها ؟

كان أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي القالي (ت/٣٥٦ هـ / ٩٦٥ م) ذا باع واسع في اللغة والنحو والأدب . بل انه كان أول من نقل علم الأدب إلى الأندلس (أنظر بروكلمان تاريخ الأدب العربي ترجمة عبد الحليم النجار جـ ٢ ص ٢٧٧) وصلة الأمثال باللغة والأدب هـــي صلة التلازم والتلاحم . فأكثر اللغويين القدماء درسوا الأمثال ، بل ان معظم مجموعات الأمثال (سواء في ذلك ما بقي منها في أيدينا وما ضاع) كان من تأليف علمـاء وقفوا أنفسهم على علوم العربية لغة وأدباً . حتى أن الدارس لأطوار التأليف في الأمثال يبدو له وكأنما كان كل عالم لغوي فيما بـين القرنين الثاني والخامس الهجريين يحتفظ لنفسه بمجموعة تصغر أو تكبر من الأمثال . ويكفي أن نذكر من هؤلاء الأعـــلام أبا عمرو بن العلاء (ت ١٤٥ هـ / ٧٧٠ م) والمفضل الضبي (ت ١٧٠ / ٧٨٦ م) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢ / ٧٩٨ م) وابافيد مؤرخ السدوسي (ت حوالي ١٩٥ / ٨٠٩م) والأصمعي (ت ٢١٦ هـ ٨٣١ م) وابا عبيد القاسم بن سلام الهروي(ت ٢٢٣ هـ ٨٣٧ م) وأباعكرمة الضبي (ت ٢٥٠ هـ / ٨٤٦) والمفضل بن سلمة (ت ٢٩٠هـ ٩٠٣ م) وابا هلال العسكري (ت ٣٩٥ / ١٠٠٥) والزمخشري (ت ٥٣٨ / ١١٤٤ م) ثم الميداني (ت ٥١٨ هـ / ١١٢٥ م) .

وقد ذكرنا هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر . فاذا الف ابو علي القالي في الامثال لم يكن بدعا بين هؤلاء .. بل اننا نجد منه ولعابها وحدبا عليها في كتابه الامالي الذي قال في مقدمته : « اودعته فنونا من الاخبار وضروبا من الإشعار وانواعاً من الامثال » (انظر مقدمة الأمالي ط . دار الكتب ج١ ص ٣) كما أن صلة أبي علي القالي بكتب الأمثال أعمق من ذلك وأوطد ..

— البقية في الجزء التالي — **الدكتور : احمد الضبيب**

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل. هاتف: (٢٤٣ المحرر)
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا الغيبة البعيد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الادارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

الجزء الثاني عشر - السنة الثانية - جمادى الآخرة - ١٣٨٨هـ (ايلول ١٩٦٨ م)

في مرابع حاتم الطائي

وكانت الرحلة في أول فصل الربيع والبلاد قد جادها الغيث فجاد نبتها، وهذا كان من أسباب الاستفادة بتلك الرحلة والارتياح خلال الأيام العشرة التي استغرقتها من اليوم التاسع عشر من شهر المحرم إلى اليوم التاسع والعشرين منه.

ورفيق الرحلة هو أحد متممات بهجتها وفائدتها انه الأخ الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله الربيعي وهو نعم الرفيق في السفر، لقد تولى رسم خطة السير وهيأ كل ما يتطلب تحقيق تلك الخطة من الوسائل.

ولا داعي للتفاصيل فالحديث كما يقولون على هامش الرحلة إلى ناحية خاصة.

في صباح يوم الاثنين الرابع والعشرين من المحرم. كان السير من وادي (الحناكية) بعد أن قطعناه ليلا، وسيله يجري قطعناه بمشقة وجهد، وكان السير في الطريق المعبد باتجاه نجد، وبعد أن قطعت السيارة ٢٧ كيلاً كان الإتجاه إلى ذات اليسار وتركنا طريق نجد ذات اليمين وكان معنا دليل من بني حرب قال بانه يستطيع ارشادنا إلى جميع الجهات التي نريدها من المدينة وشمالاً إلى

حائل وما بينها من تلك البلاد . وابن البادية قد يظهر منه التزيد عندما يكون محتاجاً ، وهكذا كان شأن صاحبنا الحربي . فبعد أن انحرفنا عن الطريق العام إلى جهة الشمال بارشاده قاصدين بلدة الحائط المعروفة قديماً باسم (فدك) وسرنا سيراً طويلاً مملاً في أرض وعثة ، وفي طريق غير مسلوك ، مررنا براعي ابل فعلمنا منه باننا قد تجاوزنا الطريق المتجه إلى الحائط واننا إلى حائل أقرب ، فكان الاتجاه اليها ؛ وكان المقيل في وادي الحُليفة ، وهذا يبعد عن الحناكية بـ ١٣١ كيلاً وبينه وبين مدينة حائل مئتا كيل .

واسم الحليفة يطلق على عدة مواضع أشهرها ذو الحليفة القريب من المدينة المنورة ومنه إحرام أهلها ويعرف الآن بأبيار علي .

والحليفة هذا الذي قلنا به ، قرية صغيرة فيها نخل ، وبقربه حليفة أخرى مسكونة تركناها ذات اليسار .

ثم تابعنا السير إلى حائل فمررنا بمكان يدعى (القاعية) وادٍ فيه قصيرات قليلة ومزارع ويبعد عن الحليفة بـ ١٣٣ كيلاً ثم بواد يدعى وادي الشعبة يقع بعد القاعية بـ ١٤ كيلاً وهو وادٍ يجزعه الطريق ، ثم بعد وادي الشعبة بـ ١٦ كيلاً شاهدنا قرية الغزالة على يميننا مررنا بقربها وشاهدنا قبل الوصول اليها (غَضُور) موضع له ذكر كثير في الشعر القديم ويدعى (قُصَير غضور) تصغير قصر . ثم بعد أن تجاوزنا قرية الغزالة بـ ١٤ كيلاً وصلنا إلى قرية صغيرة تدعى (المهاش) وقد رسمت في المصور الجغرافي (المحاش) خطأ وتسمى قُصير المهاش ، وكثيراً ما يطلق أهل تلك الناحية اسم قصر أو قصير على القرية ..

وبعد المهاش بـ ٢٧ كيلاً وصلنا بلدة سَرّاء ، وهي قرية كبيرة فيها نخيل وتبعد عنها مدينة حائل بـ ٥٢ كيلاً .

ومما تجدر ملاحظته أننا نسير في طريق غير معبد منذ أن جاوزنا وادي الحناكية ، ومابينه وبين المدينة فيه أجزاء يسيرة معبدة أي أن كل الطريق من المدينة إلى مدينة حائل لم يجر إصلاحه بعد .

في مدينة حائل :

وصلنا المدينة بعد العشاء فبحثنا عن محل نأوي فيه أياً كان، فلم نجد شيئاً فخرجنا من المدينة وبعد أن جاوزنا نخيلها عرجنا ذات اليمين إلى براح من الأرض فنزلنا فيه ونصبنا خيمتنا ، وأوقدنا نارنا وكنا بحاجة إلى الدفء إذ جو تلك البلاد في أول فصل الربيع أقرب إلى البرودة ، ولما بدأنا باعداد طعامنا إذ بأصحاب سيارة يمرون عندنا ، ويسألوننا بلهجة المستغرب المؤنب لِمَ نزلنا ههنا ؟ فلما استوضحنا عن وجه الاستغراب علمنا أننا نزلنا بطرف أرض المطار ، وهي أرض غير محددة ، وليس فيها ما يشير إلى أنها أعدت لتكون مطاراً ، وإن كنا نشاهد عن بعد نوراً كهربائياً يدل بغرابة مظهره على أنه مركز حكومي ، حقاً لقد كان أصحاب السيارة كريمي النفوس ، فقد أذنوا لنا في المبيت على أن لا تطلع الشمس وخيمتنا منصوبة وأن ننتقل إلى مكان آخر ، وكان ذلك .

كنت علمت من أحد الاخوان أن الأخ الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الله الملق مدير معهد المعلمين في مدينة حائل ، ممن يعنى بالأبحاث التاريخية المتعلقة بهذه المدينة ، فمكرت بكور الغراب للبحث عنه ،فوجدت فيه أكثر مما علمت خلقاً وسعة إطلاع ، وبعد أن زرته في مقر عمله وعرفت بعض إخوانه في العمل خرج بنا لزيارة بعض الأماكن ، فعرجنا في الطريق على الأخ الصديق الأستاذ محمد المبارك مدير التعليم في المنطقة ، غير أننا بعد الاجتماع به والاستئذان منه ليسمح للأستاذ الملق بارشادنا إلى بعض الأمكنة رأى أن أول ما نبدأ به زيارة سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود، أمير المنطقة ، فكان ذلك، وأقبلنا على القصر فوجدنا في مدخله شاباً لطيف المعشر والمظهر والمخبر،هو ناصر بن عبد الرحمن بن مبيريك كاتب سموه الخاص. فأدخلنا في مجلس الأمير وبعد برهة من الوقت حضر سموه ، وقد شاهدت من حسن استقباله وبشاشته ولطفه ما لم أشاهده عند كثير من أمثاله مع كبر سنه،ولم يقف الأمر من سموه عند هذا الحد ، بل أمر باعداد مكان لكي نسكن فيه ، غير انني وقد أردت من رحلتي زيارة ما أستطيع زيارته من

الأمكنة اعتذرت لأنني سوف لا أقيم في حائل ، ولما أخبر سموه في ذلك أمر بان نبقى إلى ما بعد تناول الغداء عند سموه ولكنني رجوت وألححت في الرجاء بأن يأذن لنا سموه في الذهاب ، ففعـــل – حفظه الله وأكرمه – ولكن على حد قول الشاعر :

ونكرم ضيفنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث كانا

إن سمو الأمير عبد العزيز يعتبر من أركان هذه الدولة الكريمة ، ومـن أسهموا اسهاماً فعلياً في انشائها منذ أنقام جلالة –المغفور له–الملك عبد العزيز – رحمه الله – بانشاء هذه الدولة إلى وقتنا الحاضر ، فقد كان أحد الأبطال الذين رافقوا الملك عبد العزيز في فتح الرياض في سنة ١٣١٩ هـ ثم كانت له مواقف مشهورة في ضم بلاد عسير إلى الدولة السعودية ، ثم تولى إمارة القصيم في شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٠ هـ بعد الأمير فهد بن معمر – رحمة الله –.

وفي ١١ رمضان ١٣٤٢ هـ ولاه الملك عبد العزيز – رحمه الله – إمارة بلاد الجبل حائل وملحقاتها وبقي في منصبه منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا ، وليس المقام مقام تفصيل لما قام به سموه من أعمال ولكن المناسبة دعت إلى ذكر هذه الإشارات الموجزة .

كان صديقنا الأستاذ محمد بن مبارك ألح بان نتعشى عنده ، فقلت له إذا كان ولا بد فليكن خارج المدينة وليكن في موضع تاريخي ولو كان بعيداً ، فطلب أن أحدد له المكان ، فقلت ليكن (بُلطة) ذلـــك الموضوع التي تشوقت اليه الاعرابية وهي في مصر وفضلته على ما شاهدت هناك من صنوف الملذات في عهدها .

اعرابية من أهل الجبلين تزوجت رجلاً من مصر يدعى (سودان) ولكنها اجتوت تلك البلاد على كثرة خيراتها وحنت إلى موطنهـــا القديم فقالت في شعر لها :

لأهل بلطة إذ حلوا أجارعها أشهى إلى القلب من أبواب سودان
جاؤوا بكعك ورمان ليشفيني يا ويح نفسي من كعك ورمان

وكان العشاء في بلطة هذه ، وهي شعبة من واد عظيم يخترق جبل أجا أحد جبلي طيء ، وفيها عين قليلة الماء يحيط بها نخيلات جميلة وتقع في متسع من الوادي يقصده أهل مدينة حائل للنزهة .

انصرفنا من الأخ المبـــارك في سيارة الاخ الصديق عبد الرحمن الملق لنتابع جولتنا ، وقبل أن نخرج إلى المدينة، قال: ان ههنا رجـــل خبير بالمواضع فلنأخذه معنا . فكان ذلك الرجل هو الاخ منوّخ بن فِضِي الشمري من موظفي الوحدة الزراعية في مدينه حائل ، ولقد كان خبيراً حقاً بكل ما سألناه عنه ، وكان نعم المرشد لنا إلى ما رغبنا في معرفته .

هل كانت حائل قديمة ؟

النصوص التاريخية القديمة يفهم منها ان اسم حائل يطلق على الوادي ، الذي تقع المدينة الآن على ضفته الغربية فيما بينه وبين السفوح المنحدرة من أجا وكانت في عهد لا يتجاوز ١٠٠ سنة فيالقدم تقع على ضفتي الوادي الغربية والشرقية أسفل من مكانها الآن في مكان لا تزال آثار البناء القديم باقية فيه كما يوجد فيه بعض السكان في مكان تكثر فيه النخيل يدعى السافلة ، وفيه سكان الآن وفيه مدرسة ، ولعل ضيق ذلك المكان لوقوعه بين جبلي السمراوين ولعلضيق المكان هو الذي دفع إلىانتقالالمدينة الى موقعها الحالي.

النصوص القديمة التاريخية تدل على قدم سكنىالجبلين ، والمؤرخون يروون أن قبيلة جديس انتقلت من اليمامة بعد غزو الملك الحميري لتلكالبلادفاستقرت في الجبلين في قصة خرافية طويلة أوردها ياقوت في « معجم البلدان »[1] .

وخصوبة أرض هذه البلاد وكثرة أودية جبالها وما فيها من المياه وخاصة اجا كل ذلك يدل على انه كان لها شأن عظيم ، ولكن كتب المواضع ، وإن حفلت بالكثير من أسماء ما في الجبلين من أودية ومياه وقرى لا يجـــد فيها الباحث ما تتوق اليه نفسه من حيث معرفة أهم بلدة كانت في هذه الجهة .

(١ : مادة اجا .

ومما لا شك فيه أن جبل اجا لحصانته وكثرة أوديته وسعتها هو أهم موقع في تلك الناحية ، وقد ذكر المتقدمون أسماء قرى كثيرة ومياه ونخيل في داخله ، منها ما لا يزال باقياً ومنها ما تغير اسمه .

وليس من شك بأن قاعدة تلك البلاد في القديم كانت بقرب هذا الجبل ولكن أين تقع ؟ .

هناك موضع مسكون لا يزال معروفاً وهو واد يخترق الجبل يدعى (توارن) له ذكر في الكتب القديمة ، وتتناقل الأجيـــال من سكان تلك الناحية خرافات وقصصاً عما جرى فيه من الحوادث ، وفيه آثار وفيه قبور ينسب بعضها إلى بعض عظماء الجاهليين كحاتم الطائي ، ولكن الموقع ليس من السعة بمكان يحمل على الاعتقاد بأنه كان مدينة كبيرة ومن غير المعقول أن تكون تلك الناحية الواسعة الأرجاء لا يقع فيها بلدة ذات أهمية .

ومن عادة المدن أنها في حال اندراسها يقوم على أطلالها أو بقربها مدن أو قرى أخرى قد تكون أقل أهمية منها وقد تتسع وتنمو ، فإذا نظرنا إلى جميع الاعتبارات التي لا بد من مراعاتها عند تكوين المدن إذا نظر الباحث إلى ذلك فان أقرب موقع يتبادر إلى الذهن أنه هو موقع قاعدة هذه البلاد في القديم ، فان الظن ينطبق على موقع مدينة حائل الواقع على ضفتي الوادي المعروف بهذا الاسم وفي المتسع ما بين جبلي السمراوين عند اتساع الوادي وعلى سفوحه المتصلة في الجبلين المعروفين الآن باسم السمراوين ، فهل نجد من النصوص القديمة ما يؤيد هذا الظن ؟ .

١ — نجد في كتاب نصر بن عبد الرحمن الاسكندري [١] : (تنغة بعد التاء نون ثم غين معجمة : قرية من حضرموت عندها وادي برهوت . وأيضاً في ديار طيء حيث قبر حاتم وبخط أبي الفضل : تنعة منهل في بطن وادي حائل لبني عَدِيّ بن أخزم وكان حاتم ينزله .

---

(١) : الورقة ٣٤ نسخة المتحف البريطاني .

٢ – ومثل هذا في معجم البلدان لياقوت وفيه ماء من مياه طيء وكان منزل حاتم الجواد وبه قبره وآثاره .

٣ – وفي التاج ما ذكره ياقوت .

٤ – وأقدم من هذه النصوص ما جاء في أخبار حاتم الطائي في كتاب الأغاني [١] من أن ملك الشام المحرق من آل جفنة أراد من حاتم مبايعته فقال حاتم ان لي أخوين ورائيفان أذنا لي أبايعك وإلا فلا. قال فاذهب اليهما فان أطاعاك فأتني بهما وإن أبيا فائذن بحرب. فلما خرج حاتممن عند الملك ، قال أبياتاً منها :

أتاني من الديان أمس رسالة وغدراً بحي ما يقول مواسل

فسأل محرق: ما أخواه؟! قالوا له : طرفا الجبل ، فأقسم ليجللن مواسلا الرّيَط مصبوغات بالزيت ، ثم ليشعلنه بالنار ، فقال رجل من الناس:لقد جهل مرتقى بين مداخل سبلات.فلما بلغ الملك أن حاتماً لا يريد الإنقياد له بعث اليه لأقدمن عليك قريتك . ولكنه قيل له:انك ان تقدم القرية تهلك فانصرف عن عزمه .

هذا النص يدل على حصانة بلدة حاتم ، ومن المفهوم أن الملك لا يهم عندما يفكر في غزو البلاد إلا بأقوى مدينة فيها والخبر يدل على حصانة هذه البلدة ، ويفهم منه أنها بداخل الجبل جبل أجا إذ مواسل ويسمى مويسل أيضاً احدى قِمَمِ ذلك الجبل ، ولكن النص المتقدم عن أبي الفضل ينص على أن البلدة على شاطىء الوادي ، وهو ما نعتقد انه موقع حائل القديمة أي أسفل المدينة في الوقت الحاضر وهو منفصل عنها إلا من حيث اتصال حدائق النخيل به .

ولو أردنا أن نتخذ من أخبار حاتم الطائي وسيلة لمعرفة موقع المدينة القديم لما اسعفتنا بذلك لتضاربها .

---

(١) : ج ١٦ ص ١٠٥ .

لقد جاء ذكر المتقدمين موضع قبر حاتم على ثلاثة أقوال :

١ – قال الهجري [١] : (وظايف جبل شرقي اجا مطلع الشمس به قبر حاتم ليس قربه جبل).

٢ – وفي ديوان حاتم ان قبره بمكان يقال له : تنغـــة وحوله أنصاب النوائح من حجارة كأنهن نساء ، وتقدم قول ياقوت ان قبره في تنغة وفيها آثـــاره.

٣ – وأغرب البكري [٢] : فيما نقل عن أبي رياش : عوارض جبل في بلاد طيء وعليه قبر حاتم وهذا هو الصحيح كذا قال البكري .

٤ – وشائع عند المتأخرين أن قبر حاتم لا يزال معروفاً في توارن في داخل اجا .

إن أقرب هذه الأقوال إلى الصواب في رأيي هو القول بان حاتماً كان ينزل في تنغة ، وانها تقع في شرق موقع مدينة حائل الحديثة حيث يوجد هناك سلسلة من الجبال منفصلة عن اجا واقعة شرقيه تقع المدينة الحالية بينهما وهذه السلسلة تدعى السمراء لسمرة لونها ، ويفصل وادي حائل هذه السلسلة حيث يضيق بين طرفين منهـا يدعيان السمراوين ، ومضيق الوادي يسمى الخنقة . وتمتد مدينة حائل حتى تتصل بالخنقة بمحلة تدعى السافلة وأسفل منها في متسع الوادي نخيل تدعى الربيعية، والخنقة ذات نخيل كثيرة وفيها آثار البناء لا تزال مشاهدة . ويقول أهل تلك البلدة انها حائل القديمة وانها كانت معمورة إلى عهد قريب حيث كانت مقر آل علي حكام حائل الذين انتزع الحكم منهم آل رشيد في منتصف القرن الماضي ولا تزال آثار سور البلدة قائمة .

أما القول بأن قبر حاتم كان في جبل وظايف فأراه غير صحيح ، ذلك

---

(١) : كتاب « أبي علي الهجري» ص : ٣٨٥

(٢) : معجم ما استعجم : مادة عوارض .

إذا اعتبرنا الجبل المعروف الآن بهذا الاسم هو ما يقصده المتقدمون ، ان هذا الاسم يطلق الآن على جبيل صغير من سلسلة جبال يدعى أكبرها القاعد وتبعد عن مدينة حائل بما يقارب أربعين كيلاً فقط ، ووظايف هذا لا يقع شرق اجا بل يقع في الشمال منه .

وقد أورد نصر في كتابه مـا هذا نصه : (أظايف جبل فارد لطيء طويل أخلق أحمـــر على مغرب الشمس من تنعة وكانت تنعة منزل حاتم الطائي) .

وأظايف هذا هو ما سماه الهجري وظايف . إذ الهمزة تسهل فتنطق بالواو كما يقال في أضاخ وضاخ .

وليس من المستبعد أن يكون اسم وظايف نقل إلى اسم الجبل الواقع في شمال اجا ومثل هذا مشاهد في تلك الناحية فجبل اعيرف وكان في القديم يطلق على قنة عظيمة من قنن اجا يسمى به الآن جبيل صغير يقع في طرف مدينة حائل وهذا منفصل عن أجا ، ولا شك أن هذا الجبيل ليس ما يعنيه المتقدمون .

وينبغي أن يلاحظ أن المكان الذي يقع فيه الجبل المعروف باسم وظايف الآن ليس بقربه ما يدل على أنه كان مأهولاً قديماً أو ان تلك الأرض كان فيها آثار للسكنى .

وعوارض الذي نقل البكري عن أبي رياش ما نقل يقع غرب بلاد طيء بعيداً عن أجا بقرب جبل قنا الذي لا يزال معروفاً الآن .

وما شاع عند المتأخرين من أهل هذه البلاد من أن حاتماً كان يسكن في توارن ليس هناك من النصوص القديمة فيما اطلعت عليه ما يؤيده ، ولعل هذا ناشيء عما ذكر ياقوت وغيره أن توارن قرية لبني شمّر ، وسكان هذه البلاد هم من شمر وشمّر من طيء كما هو معروف وحاتم من طيء أيضاً ، ومن هنا نشأ الخلط بنسبة الموضع إلى حاتم ونسبة القبر الذي فيه اليه .

اللفتات الذهنية في شعر ابن لعبون

قد يلتزم الشاعر معنى خاصاً ، ثم يذهب به الخيال أو النَّفَس الواسع إلى آفاق أوسع ، وأرحب ، ومن هنا كما يبدو لي تبدأ اللفتة الذهنية التي بينما هي تسف في الارض ، فإذا هي تحلق في السماء .

وابن لعبون — اسمه [محمد بن حمد بن محمد بن لعبون ، المدلجي، الوابلي] كما أشار إلى ذلك ابن بشر في تاريخه .

وقد توفي هذا الشاعر في ربيع الثاني في بلد الكويت من الطاعون الذي حل بأهل العراق — يقال له الجارف — ، حل به سنة ١٢٤٧ هـ .. وهـذا الشاعر توفي وهو شاب قبل وفاة والده — حمد بن لعبون — .

وهذه نماذج من قصائده الفنية .

يقول من قصيدة :

كِنْ طيَّة ثوبها فوق الارداف الهوا والمايْ من فوق الغَرِيْف

هذه ملاحظات قد يجد القارىء تفصيلاً لهـا في كتاب « بلاد الجبلين » الذي أرجو أن أوفق إلى نشره .

ولا أنسى تلك السويعات الجميلة حقاً الممتعة حقاً ، التي غمرني فيها إخواني ممن أشرت اليهم في حديثي هذا ومن أمتعوني بكرم أخلاقهم أثناء تجوالي حول تلك المدينة وفي ذلك الموضع المعروف باسم بلطة الواقع على بعد ٣٢ كيلاً من المدينة فلهم أطيب الشكر وأجمل الذكرى .

ويقول من قصيدة – أيضاً :

ضِحْكتي عندكم يومي رضيع ما سوَتْ بَكْوَتي عند الوداع

وهي إشارة عكسية لكلمة ابن الرومي المشهورة .

لِما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعةَ يولدُ

والجناس من قوله مع النقيض :

في ديارٍ كلْ مـا فيها حسن مع ربوعٍ كل مَنْ فيهم حزين

وهذا الوصف (الفوتغرافي) لا تنقصه حتى الألوان .

دارهـا .. يوم الإزار موَرَّس والخصر مشغول، والسِّروال (كيني)

وشرح هذا البيت المتكافيء الأوصاف ..

أما الإزار فهوإ مضرَّب بالورس .. مثل العصفر ، أو مثل الزعفران .. فهو أصفر !

والخضر بالضاد المعجمة .. وأنا أشتبه فيها ، فلعله يريد الخصر بتقديم الخاء المعجمة على الصاد المهملة .. ومعنى مشغول ، إما بنطاق أو ما هو في حكمه .. وكنت أعرف [الكيني] بكسر الكاف ، وهو حرير طبيعي بين الصفرة ، والحمرة ، ولا يخالطه أي لون آخر .. وقال ، وأبدع .

هَبّت أنواح الهبايبْ نسْنِسن في ربوع ِكنْ ما تذْرا الطحين

ومن غرائب أوصافه ، يذكر رسماً .. فيقول ببساطة وهو لا يلهث !

يستبين بها الخبير لهـا رسوم طافحات مثلْ خبزٍ في يدام !

فكيف ترى المرق إذا طفح فيه الخبز ، وتنفش، وأنت تنظر إلى الرسوم من بعيد والآل يلعب بها ، فيصعدها ويخفضها – ويدنيها وينئيها – أتجد أصدق وأوعى من هذا الوصف ..

وعاذلاته .. ليخسأنَ .. فإن :

ذا الخبزْ ما هوْب من ذاك العجين !

وقد يطلق الحكمة ، فيقول ما معناه :

إذا لم يثبت شيء في الماضي ، فلن يبقى شيء في الآتي ،
إن ما مِضى « شٍ » وهي في القوع فلا بقاشٍ وهي قيعـــة

وقال من مقطوعة أكثر مفرادتها عربية فصحى :

جزى ما دعانا الشوْق بالسير والسَّرى خضر مناسمها ، وبيض لغومهـــا

ويعني أن أخفاف الإبل تطأ في العشب ، فتخضار ، وكأنه يشير من بعيد إلى قول شاعر في أيام [عبد الله بن الزبير] يصف طبائع البادية في مثل هذه الحالة :

قومٌ إذا اخضرت نعالهم يتناهقون تناهق الحُمُر

وإلى أي مدى يقف الركب معه للوداع أو اللقاء ؟!

لحظات قصار !

مقدار ما يفرغ من الكاس مشروب !

ومن خرافات العرب في أيامه أن الجـن تهرب من الذئاب ، فيرمي إلى ذلك بملاحظة طريفة :

في مهمه كنه قفا التـَّرسْ مقلوب يطرب به الجني على فقده الذئْب

والمهمه إذا كان أجرد عارياً عاطلاً ، فليس له ما يليق بوصفه مثل ظهر [الترس] وهو [الدرقة] .. حديد أملس لا شية فيه !

* * *

وقيل كان له [ربابة] يعزف عليها أغانيه ، وكان ذا صوت حلو ندي. هذه الربابة وهي من الرباب، آلة موسيقية ، تتألف من هيكل خشبي .. يظرف بأي جلد كان ، ويوضع لها قواعد قوسية ، في بدايتها ونهايتها ، ثم ينساب عليها مجموعة من ذيول الخيـــل ثقيلة أو خفيفة – حسب اللحن ، والشدّ

والإرخاء .. وهي معروفة ، وقد كنت أضرب عليها ، ثم أنسيتها !

ربابة [ابن لعبون] كان يسميها [فُرَيحة] بالتصغير ، وكان يسند اليها كل لواعجه وأشجانه ، وغرامياته ، اسناداً متواتراً صحيحاً !

فمن الهجيني ، وما يغنى به على الإبل ..

قالتْ فريحَـــه لوُرقِ ناحْ يا مـــال سلاّل الأرواح
اسْهَر إلين السّفر ينباح وارقد الياكْبرْ ضحىضاحي
فتحتْ قفـــلٍ بلا مفتاح وانا للقفـــال فتّـــاح

ومما يسند إلى فريحة أيضاً :

قالت فريحه وانا مضيوم أرفع لها الفنّ وتشيله
يا الله يا حيّ يا قيوم اكتب غنائي من الليله
كم طاحفي الحبس منمظلوم وكم وادي تاه في سيله
والله لولا الحيا واللوم لصيح وقول : يا هيله

وله رحمه الله قصائد كثيرة على كل الطروق والألحان ، يغنى بها في شرق الجزيرة ، وجنوبها وشمالها .

* * *

ولسنا نستطيع أن نلم بكل اللفتات الذهنية للشاعر ابن لعبون .. فقد ولد في بلدة [حَرْمة] من قرى سدير ، ثم تنقل بين بلد الكويت والزبير ، والبصرة ثم اختضر شاباً في حياة والده .

كما اننا لا نعلم شيئاً يجمع شعر ابن لعبون كلـــه إلا متفرقات ، هنا ، وهناك .. وقد يكون شعره أسْيَر وأفشى ، وأكثر انتشارا في العراق وجنوبه منه في الجزيرة العربية .. وأحسب ان الأساتذة الاخوان عبد الله ابن خميس وعبد الله بن ادريس ، وعبد الكريم الجهيمان ، يحفظون من شعره الكثير ، ويعلمون عنه أكثر فهل يجدون لديهم في مظانهم ومراجعهم ، أو في ما يتذكرونه من شعره ما يمكن أن يضيفوه إلى هذه المعلومات .. إني لهم إذاً لشاكر .

حسين سرحان

دارين

[احدى كبريات جزر القطيف في الخليج العربي]

عَلى الرَّبَوات الفيح منْ مَرْج (دَارين) نَثرْتُ أكاليلي ، وَفتْقَتُ نسْريني
وَحيَّيْتُ منْ أمجادهـا كلَّ باسقٍ وقبَّلْتُ من آثارها كُلَّ مكنونِ
وعانقْتُ فيها الذِّكْرَيَاتِ شَذِيَّةً كما عانقَ الريْحانُ طاقةَ ليْمُونِ
وَمرَّتْ بي الأطيافُ نشوَى كأنما سَقى شربها (باخوس) خمرة تشرين
وشاهدت (عَشْتارُوت) في قلب هالة منورة فوق الخليج تناجيني
تهَادَى بها أمواجهُ مثلَ دُرَّةٍ تهادتْ بها الأصدافُ منعهد (سرجون)[1]
لكمْ قذفتْ أمواجهُ مِنْ لآلِئٍ وكم حملتْ ، أثباجه من ميامين
بنو البحر ، أحفاد الألى وصلوا الدنا بأشرعة كالفجر ، في الليلةِ الجونِ
شبابٌ كهالاتِ الشموس جباههم وأخلاقهم كالمسك مِلء العرانين
حدا بهمُ عَبْرَ المحيطاتِ شوقهم إلى الكشف عما في الدنا من أفانين
ففي كل أفق ومضةٌ من طموحهم وفي كل أرض منهم غصن زيتون
مواكب كانت زينة الدهر حقبة كما زانت الصحراء واحة (يبرين)[2]

* * *

لقد زُرْتها والبحر يَنْداحُ موجُهُ على شاطئَيْها في عَزيفٍ وتلحين
ويلوي عليها في حنانٍ ذراعَهُ كما طوقت بالفل عَذراءُ (دلمون)[3]
ولـ (النورَس)[4] المختال حول شطوطها رفيفٌ كإنماء التحيَّةِ يُصْبيني
تلاقت على شُطْآنِها في توَاؤُمٍ ترانيم (نُوتيٍّ) وأنغام (حسون)
إذا البحر حياها بعقد لآلئٍ حَبَتْهَا الدوالي[5] باقةً من رياحين
وإن ضربتْ من حولها الشُّرْعُ دارةً فقد ظللتها قُبَّةً من بساتين

* * *

أفاض عليها الحسنُ أجمل مِطْرَفٍ ولوَّنهَا الإبداعُ أرْوَع تلوين

(١) ملك أشوري قديم . (٢) واحة في الاحساء تشارف الربع الخالي .
(٣) إسم قديم لجزيرة البحرين . (٤) طائر من طيور الماء أبيض اللون ، معروف .
(٥) الدوالي في الاستعمال المحلي تعني الحدائق المجاورة للمنازل .

فلِلأُذْنِ فيهـا متْعةٌ إثر متعةٍ خرير سواقيهـا ، وعزف المغنين
وللعينِ فيها مشهدٌ جَنْبَ مشهدٍ كثوب عروسٍ بالزُّمُرد مَوْضونون
وقد نقط الفيروز أثداء نَخْلِهـا وسال رحيقا شهدهـا في العراجين
ولاحتْ بأحضان الدواليبِ (١) دُوْرُها كسِرْب حمـام جاثم فوق شربين

* * *

وَقفْتُ وباقـاتُ المسرّاتِ تَرْتَمي عليَّ ، وأحـلامٌ عِذَابٌ تُهَنِّيني
أكاد أرى في كلِّ غصن وزهـرةٍ ربيعاً حبيبـاً من شَبابي يُحيِّيني
نسيتُ بها الآلامَ وهي كثـيرةٌ وكفكفتُ من جَفنيَّ دمعـةَ مغبون
(كطفل أعادوه إلى حُجْرِ أمِّهِ) فألهاه عن آلامـه شوقُ مفتون

* * *

بلاديَ ، كم غَنَّيْتُهَـا بروائعي وأهديتهـا قَلْبي ، وأغْلى قرابيني
فأثرت بألوان الطـواويس ريشتي وَوَشَّتْ بأطياف الربيع دواويني
وما زلتُ مفتوناً بتُرْبـة موطني وبالسَّعفات الخضر ، والخَرَّدِ العين
يرفُّ هَواهـا في جفوني خمائلاً ويَجْري لهيباً صاخباً في شراييني
إذا ذكروا (الأحْسَاء) طاف بخاطري خيالُ ربيعٍ بالمسرّات مشحون
وإمَّا تغنَّتْ بـ (القطيف) حمائم تخيلتها دون الرفـاق تغنيني
مراقد آبائي ، ومَهْـدُ طفولتي وملهى شبابي ، بين (تاج)(٢) و (يبرين)
فما أنا إلا زهرة من مرُوجهـا وما العَرْفُ إلا عَرْفها في مضاميني
فلا عجباً اما جننت بحبهـا .. وهل طابَ طعم الحب إلا لمجنون؟
بلادي فراديس ، تُمدُّ مروجهـا على ألفِ نبع ثائر كالـبراكين
وتسبَحُ في بحرين ، بَحْـر لأليء وبحر من (البترول) في الرمل مخزون
بها للصبّـا واللهو والشعر مرتعٌ وفيها معاش ناعم لـ (ملايـين)
بلادي بلاد الشعر ، والعطر والهوى وَمَجْلى اللآلِيء ، والينـابيع والتّين
صعيدُ بلادِي واحةٌ جَنْبَ واحةٍ وبحْرُ بلادِي حاضِنٌ ألف (دارين)

القطيف : الجشي

(١) الدواليب في الاستعمال المحلي تعني المزارع التي تسقى بالغرف .

(٢) تاج قرية قديمة تقع في الشمال من بلاد الاحساء . ويبرين اسم لواحة يبرين الواقعة في الجنوب من بلاد الأحساء .

من نفائس "الخزانة الزركلية":

- ٢ -

كتاب "البرصان والعرجان والعميان والحولان"

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أسمى منزلة بين كتاب العربية وأدبائها من أن يعرف ، ومؤلفاته التي قال عنها ابن العميد : (تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً) حفلت الخزانة العربية منها وازدانت بقدر كبير ، وفقد منهـــا قدر آخر ، وقد اتجه عالمان من علماء عصرنا أحدهما غربي فرنسي والآخر عربي ، أما الأول فهو المستشرق الأستاذ شارل بِلا ، من أساتذة مدرسة اللغات الشرقية الحية في جامعة باريس . وأما الثاني فهو الأستاذ محمد عبد السلام هارون من أساتذة جامعة القاهرة عمدا لنشر كتبه نشراً علمياً صحيحاً ، فأخرجا منها قدراً صالحاً ، وبقيت كتب أخرى منها ما طبع طبعات تحتاج إلى تحقيق ، ومنها ما لا يزال مخطوطاً .

ومن مؤلفات الجاحظ :

١ — كتاب « البرصان والعرجان » .

٢ — كتاب « الوكلاء والموكلين » .

٣ — كتاب « الصوالجة » .

هذه الكتب الثلاثة كانت تضمها مجلدة واحدة تحويهـا احدى مكتبات أحد علمائنا في المغرب ، إلى زمن لا نستطيع تحديده ، غير أن أحدها وصل الينا بعد أن نزع منه أخواه، ذلك الكتاب الذي وصل هو كتاب « البرصان والعرجان» الذي حوت طرته اسمي الكتابين الآخرين اللذين كانا مجموعين معاً.

تحوي الخزانة العلمة في مدينة الرباط هـــذا الكتاب من مخطوطات الأوقاف . ورقمه في تلك الخزانة (87) وقد انتقاه استاذنا الخير الزركلي

مع ما انتقى من نفائس تراثنا ، فأصبحت خزانته العامرة تزدان بنسخة مصورة من ذلك الكتاب النفيس الذي كَرُمَ استاذنا فاطلع كثيراً من علمائنا، والقائمين بنشر نفائس تراثنا أطلعهم على ذلك الكتاب، ومكنهم من الاستفادة منه بالنسخ والتصوير ، بغية تحقيقه ونشره ، واننا لنأمل أن يتصدى أحدهم لذلك فيضيف إلى الثروة الأدبية الضخمة التي وصلت الينا عن طريق الجاحظ أشياء لها قيمتها ولها فائدتها .

وقبل أن نصف تلك النسخة نحب أن نشير إلى أن الجاحظ وإن كانت السخرية من أبرز مـــا تتحلى به مؤلفاته ، إلا أنه في هذا الكتاب حاول إخفاءها،وأراد أن يكون جاداً في كل ما اطلعنا عليه من نصوص الكتاب ، الذي بلغ من الشمول مـا تجاوز حد التسمية ، بحيث تعرض لذكر كل ذي عاهة من بني الانسان ، بل أشار في مواضع منه إلى مـا يعتري الحيوان من بعض تلك العاهات ، وقد حاول أن يبرز في هذا الكتاب ظاهرة جديرة بالابراز وهي أن كثيراً من ذوي العاهات قد يفضلون الأصحاء ، وان تلك العاهات لم تكن يوماً ما حائلاً دون بلوغ المراتب العليا في هذه الحياة .

ولعل الجاحظ ألف هذا في آخر حياته بعد أن اصيب بما أصيب به من أمراض وعلل ، فأراد أن يسلي نفسه ، وأن يسلي الآخرين بكتابه ، لأننا نجده كان يتخذ السخرية حتى من نفسه وسيلة للتعبير عن آرائه بخلاف ما أورده في هذا الكتاب .

لقد رووا عنه أنه قال : كنت سائراً في أحد الشوارع فاعترضتني امرأة وقالت لي : اتبعني . قال فتبعتها حتى وصلت إلى دكان صائغ فاوقفتني عنده، وقالت : كهذا !! ثم انصرفت ، قال : فسألت الصائغ مـا الذي تريد ؟ فقال : انها طلبت مني أن اصنع لها خاتماً وان أضع في فصه صورة شيطان فأظهرت لها عدم معرفتي بالشيطان فذهبت ، وأتت بك إلى ، وقالت ما سمعت !!.

هذا العالم الساخر لا نجد في كتابه أي أثر للسخرية ، بل نجده بعكس

ذلك جاداً بمنتهى الجهد ، وقد صَرّح في المقدمة (أنه كتاب جَدٍّ غير هزل) ونجد في أثناء عباراته ما نفهم منه أنه أراد به بلوغ الذروة في هذه الناحية ، وأنه إنما يكتبه للعلماء قـــال : [1] (وأنا أعلم ان عامة من يقرأ كتابي هذا وسائر كتبي لا يعرف معاني هذه الأشعار ولا تفسير هذا الغريب ولكني ان تكلفت ذلك ضعف مقدار كل كتاب منه ، وإذا طال جداً ثقل فقد صرت كأني انما أكتبها للعلماء والله المعين) .

وصف **النسخة** :

وها هو وصف موجز لتلك المخطوطة :

يقع الكتاب في ١٠٦ من الورق ، الأولى في صفحة منها اسم الكتاب ، وأسماء من ملكوه والأخيرة في نصف الصفحة الأولى منها آخر الكتاب ، وفي الصفحة الثانية صفحة من كتـاب الهيثم بن عدي ، في موضوع كتاب الجاحظ ، وقد ذكره في المقدمة ويتلو هذه صفحة أخرى من كتاب الهيثم تنتهي بـ (الفُقم : عمرو بن سعيد بن العاص يزيد بن عبـد الملك عمرو بن الزبير) . ثم جملة : (ملكهم عبيد الله تعالى الحسن بن علي الجلاوي ثم اليكليزي ودهم لله لسيد الصغير نفعنا ... وبركات أجداد ...) وخطهـــا حديث وصفحات الكتاب ٢١١ واحدة ليس فيها كتابة سوى عشرة أسطر وهي الأخيرة ، وفي كل صفحة ١٩ سطراً ، والخط مغربيّ جميل وواضح ، وكثير من الكلمات مضبوطة بالشكل ، وفي الهوامش كلمات يسيرة ، امـا لاستدراك ما سقط عند الكتابة ، أو لتوضيح بعض الكلمات بكتابتها مرة أخرى . وكثيراً ما يهمل الناسخ بعض الكلمات الصعبة من الاعجام ، وقد يصحف أحيانا فيكتب (عتيبة) : (عيينة) و (الرجال) : (الرحل) .

وليس في النسخ تاريخ ، إلا أنها قديمة ، قد ترقى إلى ما قبل القرن السادس الهجري – على ما يرى استاذنا الخير الزركلي – .

---

(١) : الورقة ١٦ .

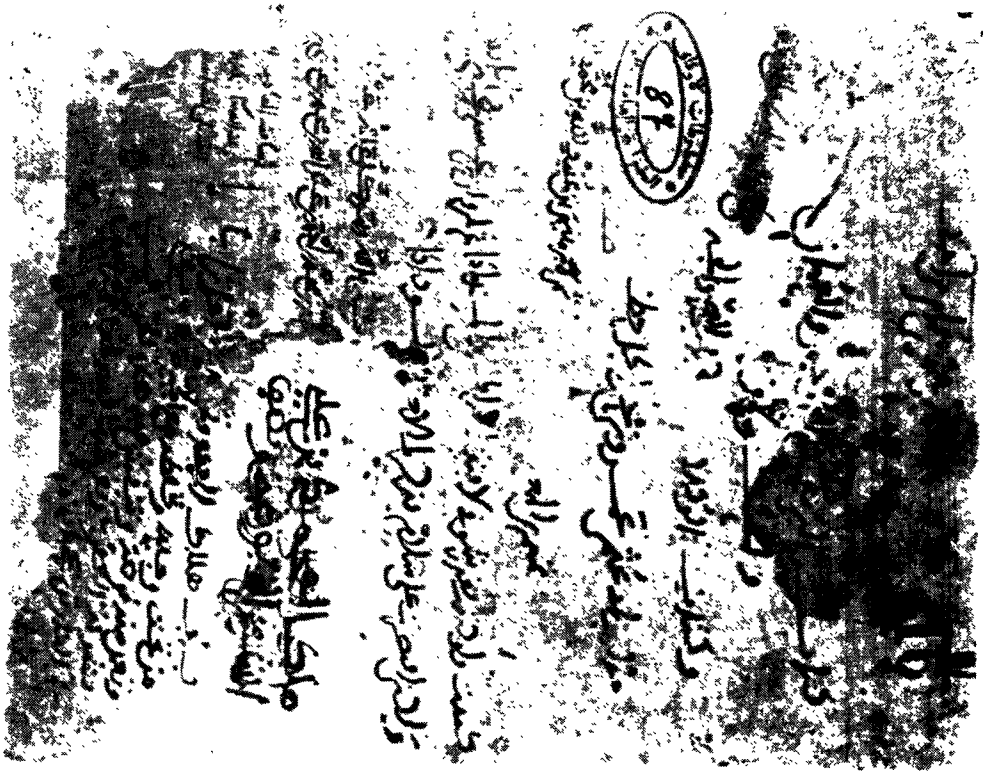

(الصفحة الاولى)

في الصفحة الأولى : كتاب البرْصان والعُرجان والعُميان / والحولان / وكتاب الوكلا ... وكتاب الصوالجة / تأليف ابي عثمن عمرو بن بحر الجاحظ تميم بن المعز :

كتبتُ ولو كتبت بقدر شوقي لأفنيت القراطس والمِدادا
ولكني اقتصرت على سلام يذكر لي الأخلة ، والودادا

ومن أسماء من ملكوا النسخة : [لابراهيم بن عمار بن أحمد / ثم لابراهيم ابن عبيد الله بن محمد ... / ثم لمروان بن عيسى بن يحي ... / يثق بالله ويتوكل عليه عبده .. عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحي ... ثم ساقته المقادير للفقير إلى عفو الله تعالى أحمد بن ...الشبلي لطف الله به / ملكا

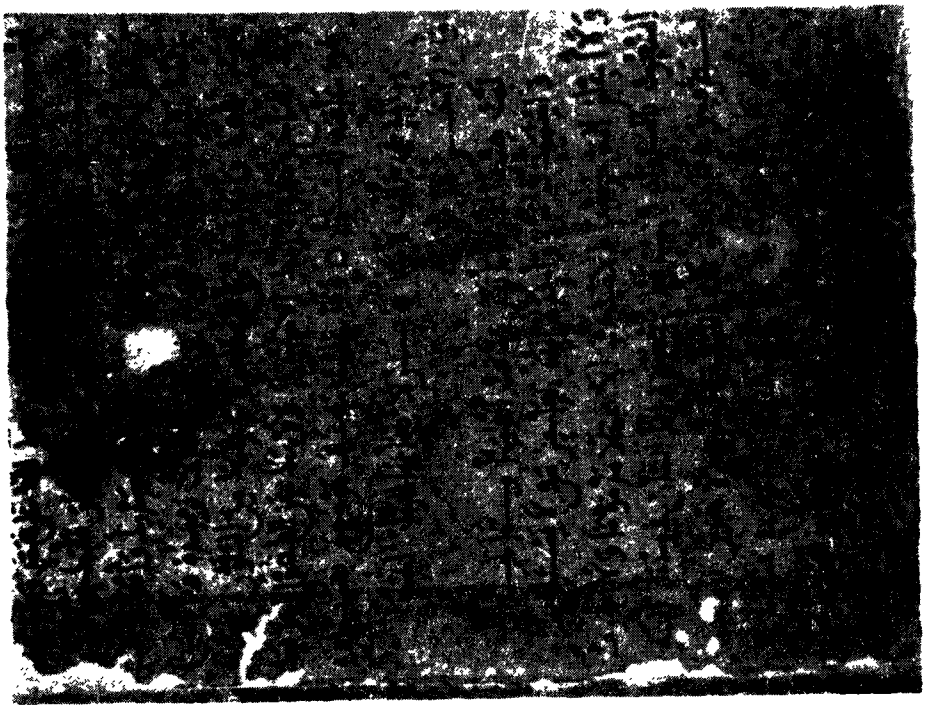

(الصفحة الثانية)

لمحمد بن علي اشتراه بوقيه ونصف].

وفي الصفحة جمل وكلمات غير ما تقدم ذكره منها ختم : (مخطوطات الأوقاف – الخزانة العامة بالرباط 87) وهو رقم النسخة في تلك الخزانة .

مقدمة الكتاب :

وها هي مقدمة الكتاب رأينا ايرادها بطولها لتوضيح طريقة الجاحظ في تأليف كتابه هذا ، والأرقام التي أثناء الكلام هي أرقام صفحات النسخة الخطيـة . والكلمات التي لم نستطع قراءتها وضعنا مكانها نقطاً ، والكلمات التي نشك في وجه الصواب فيها بين مربعين [ ] .

[١] بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وسلم

وهب الله لك [حسن[1]] الاستماع ، وأشعر قلبك حسن [التثبيت] وجعل أحسن الأمور في عينيك ،وأحلاها في صدرك،وأبقاها أثراًعليك في دينك ودنياك ، علما تفيده ، وضالاً ترشده ، وباباً من الخير تفتحه . وأعاذك من التكلف ، وعصمك من التلوُّن ، وبغّض اليك اللجـــاج ، وكره اليك الإستبداد ، ونزهك عن الفضول ، وعرفك سوء عاقبة المِراء . وقد علمت مع ذلك ، من مدح بقوله :

مَنْ رأي ذي بـدآت لا تزال له بزلاءُ يعيا بها الجثامة اللبد [2]

وأن الآخر قد قال[3]:

ليت هندا أنجزتناما تعد وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبدّ

ولا أعلم الموصوف بالاستبداد إلا مجهلاً مذموماً ، ولا اعرف المنعوت بالبدوات إلا مدفّعاً [مضعوفا]

وإنما الشأن في وجدان آلة التصرف ، وفي تمام العزم بعـــد التبين ، لا أعرف الا هذين [... ... ... [4]]

وما كلام الشاعر في قصيدته إلا كقول الخطيب في خطبته ، وما ذلك إلا كاحتجاج المحتج واختبار المختبر [... ... [4]]

وفي كل ذلك يكون الخطأ والصواب

[... ... ... [5]]

وقد قال الشاعر :

[٢] قليل تصاريف الخليقـة لا ترى خليلاً لعبـد الله في الناس قاليـا

وقد وصف الآخر [قول ...] المتلون والمستطرف ، فقال :

شر الأخلاء خليل [عجرفه] واشٍ ، وأدنى صاحب يستظرفه

فاجعل محاسبة نفسك صناعة تعتقدهـــا ، وتعقد حالاتك عقدة ترجع اليها ، حتى تخرج أفعالك مقسومة محصّلة ، وألفاظك موزونة معدّلة ، ومعانيك مصفّاة مهذبة ، ومخارج أمورك مقبولة محببة . فمتى كنت كذاك ، كانت رقتك على الجاهل الغبي بقدر غلظتك على المعاند الذكي ، وتحب الجماعة بقدر بغضك للفرقة ، وترغب في الاستخارة والاستشارة بقدر زهدك في الاستبداد واللجاجة ، وتبدأ من العلم بما لا يسع جهله قبل التطوُّع بما يسع جهله ولا تلتمس الفروع الا بعد احكام الأصول ، ولا تنظر في الطرف والغرائب وتؤثر رواية الملح والنوادر ، وكل ما خف على قلوب الفرّاغ وراق أسماع الأغمار ، إلا بعد إقامة العمود ، والبصر بمـا يثلم من ذلك العمود فان بعض من [كلف] برواية الأشعار بدأ برواية أشعار هذيل قبل رواية شعر عباس ابن الأحنف ورواية شعر ابن أحمر قبـــل رواية شعر أبي نواس . وناس من أصحاب الفتيا نظروا في العين و[الدّين] قبل أن يرووا الاختلاف في طلاق السُّنة ، وناس من أهل الكلام نظروا [٣] في [...] والكفر ، والمداخلة والمجاورة ، قبل أن ينظروا في التوحيد والعدل والآجال والأرزاق .

وسئل بعض العلماء عن بعض أهل البلدان فقال : أبحث الناس عن صغير واتركهم لكبير ، وسئل عن بعض الفقهاء فقال : أعلم الناس بما لم يكن وأجهلهم بمـا كان !. وقد خفت أن تكون مسألتك اياي كتاباً في تسمية العرجان والبرصان والعميان والصمّان والحولان ، من الباب الذي نهيتك عنـــه وزهّدتك فيه .

وذكرت لي كتاب الهيثم بن عدي في ذلك .

وقد خبرتك أن لم أرض بمذهبه ولم أحبه له حظاً في حياته ولا لولده بعد مماته .

وأنا أحذرك اللجاج والتتايع[٧] وأرغب إلى الله لك في السلامة من التلوّن والتزيد ومن الاستطراف والتكلف ، فان اللجاج لا يكون إلا من خلل القوة وإلا من نقصان قد دخل على التمكين واللجوج في معنى المغلوب ، والمتصرف

في معنى الغالب والمكتفي، ولا يكون إلا والعقدة منحلة والنفس منقوصة . ثم لا بد أن يتصل ضعف المنّة[٨] بقلة المعرفة ومتى نقصت المعرفة لم تكن المنّة فاضلة وكان الفاعل اما لجوجا مسارعاً واما ذا بدوات متلونا . فاعرف فضل ما بين التصرف والتلون وليس الاعتراض من صفة اللجاج . وقد يكون الاعتراض محموداً ومذمومـــاً ولا يكون اللجاج إلا مذموماً . والتلون أن تكون سرعة رجوعه عن الصواب كسرعة[٤] رجوعه عن الخطأ واللجاج ، وأن يكون ثبات عزمه على امضاء الخطأ الضار كثبوت عزمه على امضاء الصواب النافـع .

والذهول عن العواقب مقرون باللجاج، وضعف العقدة مقرون بالبدوات .

قيل لبعض العلماء : مَنْ أسوأ الناس حالاً ؟ قال : مَنْ لا يثق بأحد ، لسوء ظنّه ، ولا يثق به أحد ، لسوء فعله . وقال عمر بن الخطاب : لـن ينتفع بعقله ، حتى يَنتفع بظنه . وقال محمد بن حَرْب : صواب الظنّ الباب الأكبر من الفراسة . وقال بلعاء بن قيس :

وأبغي صواب الظنّ ، أعلم أنه إذا طاش ظنّ المرء طاشت مقادِرُه

ألا تراهم يَمْدَحون ضرْباً من الظن ، ويذمُّون ضرْباً آخر .

وأمّا الصَّواب ففي الحال التي بين الحالتين .

وقال الله عزّ ذكره : [اجْتَنِبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم] وهذا البعض هو ذلك الكثير الذي ذكره، لأن قليل الكثير ربما كان كثيراً .

وقيل لثقيف : بِمَ بلغتم المبالغ ؟ قالوا : بسوء الظن .

وإلى ذلك ذهب الشاعر[٩] حيث يقول :

أسأت ، إذا أحْسنت ظني بـكم والحَزْم سوءُ الظـنّ بالناس

وذلك على قدر ما تصادف عليه الزمان ، وتشاهد من حالات الناس .

وليس سوء الظن ، في الجملة ، بالمذموم ، ولا بحسن الظن [٥] بالمحمود،

وإنما المحمود من ذلك الصواب ، على قدر الأسباب القوية والضعيفة ، والذي يتجلى للعيون من الأمور المقربة ، وعلى مـا جرتْ عليه العادة والتجربة . ولقد قال الله تعالى : [ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه] إعلم أنه لم يُرِد تصويب ظن إبليس ، وليس مذهب الكلام وصف إبليس بشيء من الصواب، وإنما أراد ذمّ الذين كثرت ذنوبهم حتى طرّقوا على أنفسهم سوء الظـــن ، فصار كل من ظنّ بهم سوءاً يصير ظنه موافقاً [للذين [1]] يحاولون والذين [1] هم فاعلون .

فاطلب العلم على تنزيل المراتب ، وعلى ترتيب المقدمات ، وليكـــن لتدبيرك نطاق ، فإنه أمان من الخطأ ، وللذي تعتقد رباط فإنه لا بدّ للبنيان من قواعد .

وليكن أحب العلم اليك أطوعه لله ، فإن لم تفعل فاكسبه للحال الجميلة ، والذى لا بدّ للشريف من معرفته علم الأخبار ، ومعرفة [... [2]] النحو ولولا أن الذي أكتبه لك مجانب لطرق الهيثم ، وخارج مما يشتهيه الرّيض المتكلف الملول ، وأنه كتاب جد غير هزْل لما كتبته لك ، وبالله التوفيق .

قال الهيثم بن عدي : العُرْج الأشراف : أبو طالب ، معاذ بن جبل ، عبد الله بن جدْعان ، الحارث بن أبي شِمْر ، الحوفزان بن شريك ، عمرو بن الجموح الأنصاري ، الربيع بن مسعود الكلبي ، عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وذكر القعقاع بن سويد المِنقري ، وسليمان بن كيسان الكلبي ، ولم يذكر غير هؤلاء .

وذكر العميان ، وكان الذي ترك منهم أكثر مما ذكر .

[٦] والعُرج الأشراف – أبقاك الله – كثير ، والعُمي الأشراف أكثر ، ولكن ما معناه في أنّ أبا فلان كان أعمى ، إذ لم يكن إنمـا احتلب ذِكر العُرْج والعُمي ليجعل ذاك سبباً إلى قصص في أولئك العُرجان، [وإلى فوائد] [3]

(١) : كذا ولعله : للذي ، والذي .
(٢) : ... [قليل] أو [علل] .
(٣) : غير واضحة

أخبار في أولئك العميان ، وإلى أن جماعة فيهم كانوا يبلغون مع العَرَج ما لا يبلغه عامة الأصحاء ، ومع العما يدركون ما لا يدركه أكثر البصراء ، ولما جاء أيضاً في ذلك من الأشعار الصحيحة ، ومن الأمثال المضروبة ، وكيف تهاجوا بذلك وتمادحوا به ، وكيف جزع من جزع ، وصبر من صبر ، وما رووا في ذلك من الأخبار النافعة ، والأحاديث السائرة ، واللفظ المونق ، والمعنى المتخيَّر ، وكيف تبين ذلك النقص ، وظهر ذلك الخلل على بعض ، ولم يتبين على بعض .

ولو ذكرنا — حفظك الله — ان ممن شُق بطنه : عثمان بن أبي العاص ، وعمران بن الحُصَين ، وخبَّاب بن الأرتّ ، وقبيصة بن المهلب وفلان وفلان ، ثم لم نذكر حسن عزاهم ونوادر كلامهم عند نزول تلك الحوادث ، وعند توقع الفرج من تلك المضايق ، وأي شيء كرهوا من أصناف العلاج ، وحرموه ، وأي شيء استجازوه واستحلوه ، والذي رووا من الأحاديث في ذلك الداء ، أو من الروايات في ذلك الدواء ، وكيف كانت تعزية العائد وجواب المعود ، وكيف كان دعاؤهم ، وبأي ضرب من الكلام كان ابتهالهم ، فان ذلك عظة لمن سمعه ، وأدب لمن وعاه ، وصلاح لمن استعمله ، فمن لم يذكر هذه العلل لذكر هذه [٧] الفوائد لم يكن ذكره لزمانة [١٢] قوم أشراف بالمحمود ، ولا تنويهه قوماً بأدواء مستورين ، بالمرضي .

وأول الشروط التي وضعت في أعناق الأطباء سَتْر ما يطلعون عليه في أبدان المرضى ، وكذلك حكم من غسل الموتى .

وسألتني أن أبدأ بذكر البرصان ، وأثني بذكر العُرجان ، ثم أذكر ما قالوا في الأيمن والأعسر [١٣] وفي الأضبط [١٤] وفي كل أعسر يَسر ، واختلاف طبائع الحيوان في ذلك ، مع اختلاف حالات البشر في الصغر والكبر ، وكيف القول في الأشل والأقطع وفي الأصم والأفقم [١٥] وفي صاحب اللقوة [١٦] والأشدق [١٧] وفي سعة الأفواه وضيقها ، وفي عِظم الأنوف وصغرها ، وكيف مدحوا الرؤوس بالعظم ، وذموها بالصغر ، وما قالوا في الدَّمامة والنبالة ،

وفي القصر والطول ، ثم الذي قالوا في الأجلح [١٨] والأنزع [١٩] وفي الأصلع والأقرع، وفي الأزعر [٢٠] والأمعر [٢١] .

وما قالوا في الشَّطَ [٢٢] والسِّنَّوط [٢٣] وفي الأحدب والأعلم [٢٤] وفي الآدر [٢٥] والأفقح [٢٦] ومـــا ذكروا به الأعضاء ، ووصفوا به الجوارح ، وما جاء في ذلك من الأشعار والأخبار ، والأمثال والآثار ، وقد فخروا بالعما ، وذلك كثير ، واحتجوا بالعَرَج وذلك غير قليل .

وإذا كان الاعرابي يعتريه البرص فيجعله زيادة في الجمـــال ، ودليلاً على المجد ، فما ظنك بقوله في العرج والعما وهمـا [٨] لا يستقذران ولا يتقزز منهما ، ولا يعديان ولا يظن ذلك بهما ، ولا ينقصان من تدبير، ولا يمنعان من سؤدد ؟! وهذا المعنى نفسه قد ذكره شاعر قريش حين عدد اسماء من عمّر من أشرافهم فقال في كلمة له :

وُمطعِم وعدي في سيادته فذاك داء قريش آخر الزمن
وخير دائِك داءٌ لاتسَبُّ به ولا تبيت تمنّى لذّة الوَسَن
داءٌ كريم فلا عدوى فتحذره فالحمد لله ذى الألاءِ والمنن

وقد يفِرُّ الاعرابي في الحرب ، فلا يقرُّ بالجبن عن الأعداء ، وبالنكول عن الأكفاء ، بل يخرج لذلك الفرار معنى ، ويجعل له مذهباً ، ثم لا يرضى حتى يجعل ذلك المفخر شعراً ، ويشهره في الآفاق ، قال مالك بن أبي كعب في الفرار :

معـاذ إلهي أن تقول حليلتي الا فرّ عـني مالك بن أبي كعب
اقاتل حتى لا أرى لي مقاتلاً وأنجو إذا غمّ الجبان من الكرب

يقول : أنا وان ولّيت هارباً حين لا أجد مقاتلاً ، فقد وليت ومعي عقلي ، واتم الفرار في الحرب آلة ، من عرف المفرّ كما يعرف المَكر ، يقول فلست كمن [يستقر[٢٧] عنه] الجبان ولا كالذي يعجل فيلجم ذنب فرسه ، ويركبه مشكولا ، ويَرْكُلُه برجله وهو مقيد ، وينزل عن ظهره ويظن أن سعيه على رجليه أبلغ من ركض فرسه [٩] في النجاة ، قال زيد الخيل :

أُقاتل حتى لا أرى لي مقاتلاً وأنجو إذا لم ينج إلا المكيّس
ولست بذي كَهرورة[٢٨] غير أنني إذا طلعت أولى المغيرة أعبَس

وقال الحارث بن هشام :

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسي بأشقر مزبد
فصددت عنهم والأحبّة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد
وعلمت اني ان أقاتل واحداً أُقتَل، ولا يَضرُ رعدوى مشهدى

يقول ليس من الصواب ان أقف موقفاً أقاتل فيه باطلاً .

وقال عمرو بن معدى كرب :

ولقد أمـلأ رجليّ بها حذر الموت ، وإني لفرور
ولقد أعطفها كارهة حين للنفس من الموت فرير
كل ما ذلك مني خلق وبكل أنا في الرّوع جدير

فزعم أن الفرار من أخلاقه ، كما أن الإقدام من أخلاقه ، وهذا خلاف قول ابن مطيع :

أنا الذي فررت يوم الحرّه والشيخ لا يفرُّ إلا مرّة
لا بأس بالكرّة بعد الفرّه

وقول ابن مطيع شبيه بقول عتيبة[٢٩] بن الحارث بن شهاب حيث يقول :

نجيت نفسي وتركت حزره نعم الفتى غادرته بأمره
لا يترك المرء الكريم بكره

وقد أقرّ كلٌّ واحد من هذين [١٠] على حدته بالعيب ، فأما الآخر فانه حين فر ألزم نفسه وجميع الجيش وهو قوله :

فان يك عاراً يوم ذاك أتيته فراري، فذاك الجيش قد فرّ أجمَع

وأما عامر بن الطفيل فقال :

أعاذل لو كان البدادُ لقوتلوا ولكن أتونا بالعديد المجمْهَر[٣٠]

وقال لبيد :

أعاذل لو كان البـــداد لقوتلوا ولكن أتونا كل جـــن وجامل
أتونا بشهران ومذْحج كلهـــا وما نحن إلا مثل إحدى القبائل

وأقرَّ قيس بن الخطيم بغير هذا الجنس من الفرار فقال[٣١] :

إذ ما فررنا كان أسوا فرارنا صدود الخدود،وازورار المناكب

وقد علم قيس أن هذا الفرار لا يسمى فراراً ، ولا يعيَّر به أحد .

قال : ولما انهزم الناس يوم أبي فُديك كان عباد بن الحصين [٣٢] في المنهزمين ، وهو يصيح بأعلى صوته : أنا عبَّاد بن الحصَين . فقال له بعض المنهزمين : فلِمَ تنوِّه باسمك ، على هذه الحال ؟ قال عباد : لكيلا تركبني غمرة [٣٣] . ألا ترى أن عباداً صحيح التدبير في حال انهزامه ، وقد ترك القتال عن غير جبن ، وترك القتال كي لا يقتل ضياعا ، وعبّاد فارس الناس غير مدافع ، وإياه يعني الشاعر حيث يقول [١١] .

من مبلغ عني نهيك بن محرز فدونك عبّاداً أخا الحبطات
فدونكه،يستهزم الجيش باسمه إذا خاضت الفرسان في الغمرات

والشاهد من الشعر على تقديم عباد على الفرسان كثير موجود .

ويكون الاعرابي شختاً [٣٤] مهزولاً ، ومقرقماً [٣٥] ضئيلاً فيجعل ذلك دليلاً على كرم أعراقه وشرف ولادته .

قال الأصمعي : قلت لغلام أعرابي : ما لي أراك ضعيفاً نحيفاً وصغير الجسم قليلاً مهزولاً ؟! قال : قرقمني العزّ . وأنشدوا قول الآخر :

قـــد علمتْ أنّا أتاويان من كرم الأعراق ضاويان[٣٦]

وأنشدوا :

قرقمه العِزُّ وأضواه الكرم .

وليس العجب في قوله : إن الأعراق تضوي ، وإنما العجب في قوله : إن العز يقرقم ، لأنّ الأول قد قال :

فتى لم تـــلده بنت عم قريبة فيضوى وقد يضوى رديدالقرائب

وقال الأسدي :

ولست بضاوي تموج عظامه ولادته في خالد بعد خالد
تقارب من آبائه امهاتـــه إلى نسبأدنى من الشبرواحد
بني اخوات أنكحونهن إخوة مساعرة فالحي للحي والد

وهذا كثير .

والضوى في البهائم أوجد منهـــا في الناس ، فليس العجب من ذكرهم الضوى إذا تردّدت الأولاد في القرابات [١٢] ، وإنما العجب في قولهم : العزُّ يقرقم ، لأن الأعرابي حين ابتلي بالدمامة والعلة ثقل عليه أن يقِر بالذلة والضعف ، فاحتج لذلك ، وأحال الناس على معنى لا يدركونه بالمشاهدة ، وهذا من ذكائه ودهائه . فبهذه النفوس — حفظك الله — حفظوا أنسابهم ، وتذاكروا مآثرهم ، وقيّدوا لأنفسهم بالأشعار مناقبهم ، وحاربوا أعداءهم ، وطالبوا بطوائلهم ، ورأوا للشرف حقاً لم يره سواهم ، وعملوا على أن الناس كلهم دونهم . وسأنشدك — إن شاء الله — بعض مـــا افتخر به الأعمى ، واحتج به الاعرج ، قبل أن تصير إلى قراءة الجميع لاعجل عليك معرفة الجملة من مذاهبهم ، وبالله التوفيق .

آخر النسخة :

آخر الكتاب : [والمتطببون يزعمون أن النوم على شق اليمين يوهـــن الكبد ، ويشغل الكبد عن هضم ما في المعدة . وقد رأيت من لا أحصي من الرجال أكثر نومهم على الشق الأيمن ، وما أحسّوا بسوء ذلك قط ، وقـد يجوز أن يكون تأويل حديث النبي ﷺ على أن يبدأ على اليمين ، ثم يتحول

إذا شاء . ذكر ذلك يزيد ، عن هشام عن [٢١١] محمد بن عجلان عن المقبري[1] عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بإزاره ، فإنه لا يدري ما خلف عليه بعده، ثم ليضطجع على شقه الأيمن ويقول : باسمك ربّ وضعت جنبي ، رب رب [2] ارفعه » .

ومن حديث حفصة بنت عمر أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه توسّد يده اليمنى ، وقال : « ربّ قني عذابك ، يوم تبعث عبادك » .

تم كتاب البرصان ، والعرجان ، والعميان ، والحولان ، بحمد الله وعونه وتأييده ، وصلى الله على محمد وآله وسلم].

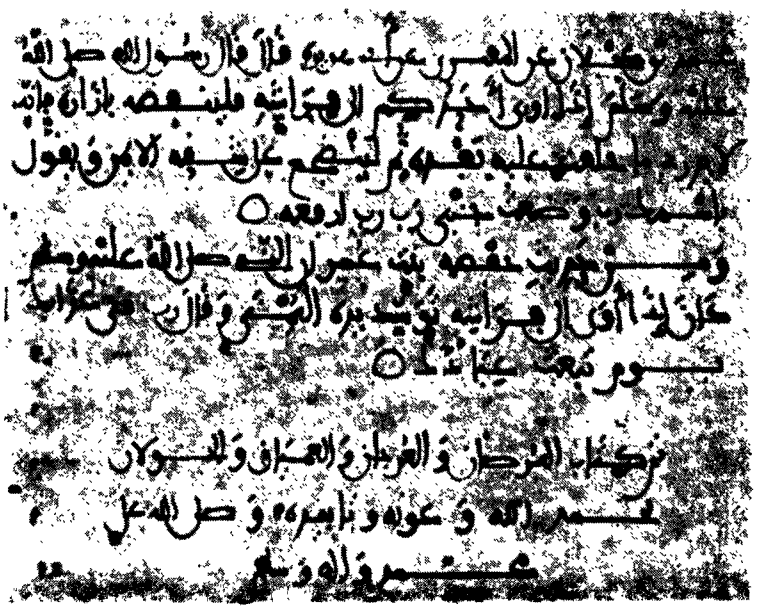

آخر النسخة

---

(١) : في الأصل مهملة من الأعجام .
(٢) : كذا والمعروف .. جنبي وبك أرفعه .

مجمل مباحث الكتاب :

ونعرض بايجاز مجمل مباحث الكتاب

الورقة	الموضوع
١ — ٧	المقدمة
٨	من فخر بالعمى وبالبرص
٢٨	من البرصان والعميان الشعراء
٣٥	العرجان وما ورد فيهم
٦٢	من كان عرجه من قبل قطع رجله وكل اقطع وأحدب ومقعد وآدر وأعسر وأشباه ذلك .
٦٦	من سقي بطنه من الأشراف
٦٧	من قتلت الصواعق والرياح
٦٨	ذكر الحُدْب
٧٠	الادران — جمع آدر
٧٧	العرج من أصناف الحيوان
٧٨	أضداد العرجان الذين يعدون على أرجلهم فيبلغون مبالغ أصحاب الخيول المضمرة
٨١	اللقوة وما أشبه ذلك
٨٢	المفاليج
٨٥	الاشجّين — جمع أشج
٨٦	ما جاء في شبه الأعضاء المرغوب عنها
٩١	القول في الرؤوس صغارها وكبارها
٩٤	ما قالوا في الأعناق من الرجال والنساء
٩٥	الصُّلع والقرع
٩٦	القزعان والقرعان

٩٧ القول في الأيمن والأعسر والأضبط
١٠١ ما جاء في فضل الأيمن على الأيسر

هذا هو مجمل موضوعات الكتاب بدون استقصاء ، أو تعمق في القراءة .

أما قيمته العلمية فهذا ما ندعه لمن يدرك مدى ثقافة الجاحظ من حيث السعة ومدى عقله من حيث الأصالة والقوة، ومبلغ تفكيره من حيث العمق والنضج وحسبنا تلك الاشارات الموجزة عن كتابه هذا الذي نراه من أجدر ما خلفه لنا علماؤنا من آثار بالنشر ، والله الموفق .

الحواشي

(١) : الكلمة غير واضحة

(٢) : في « التاج » : وأنشد الفرّاء :

من أمر ذي بدوات ما يزال له بزلاء يعيا بها الجثامة اللبـــد

قال ابن دريد ؛ وكانت العرب تمدح بهذه اللفظة فيقولون للرجل الحازم : ذو بدوات ، أي ذو آراء تظهر له ، واحدها بداة ، كقطاة ، وقطوات .

ونسب البيت صاحب « التاج » مادة (بزل) و (جثم) و (لبد) للراعي قال :

في صدر ذي بدوات ... الخ

البزْلاءُ : الرأي الجيّد ، والجثّامة : البَليد ؛اللبد: كصُرَد وكتف – قال ابوعبيد:والكسر أجود – هو من لا يبرح منزله ، ولا يطلب معاشا .

وفي الأصل : (بدأات) محل بَدَوَاتٍ .

(٣) : هو عمر بن ابي ربيعة .

(٤) : كلمة غير واضحة .

(٥) : آخر سطر في الصفحة وقد تآكلت اطرافها فخفيت بعض الكلمات .

(٦) : ما بين المربعات غير واضحة في الاصل .

(٧) : التتايع : ركوب الأمر على خلاف الناس ، والتهافت، والامراع في الشر واللجاجة(تاج)

(٨) : المُنة : – بضم الميم – القوة ، وخَصَّ بعضهم به قوة القلب (اللسان)

(٩) : هو العباس بن الأحنف .

(١٠) : كذا : (للذين) واراها (للذي) وكذا كلمة (الذين) يعدها .

(١١) : غير واضحة وكأنها (قليل) أو (علل) .

(١٢) : الزّمانة : العاهة .

(١٣) : الأعسر : هو الذي يعمل بالشمال ، فان عمل باليدين فهو أعسر يسر .

(١٤) : الأضبط : الانسان يعمل بيديه كلتيهما .
(١٥) : الافقم : هو الذي تتقدم ثناياه العليا فلا تقع على السفلى .
(١٦) : القشوة : داء في الوجه يعوج منه الشدق .
(١٧) : الأشدق : المائل الشدق .
(١٨) : الأجلح : الذي انحسر شعره عن جانبي رأسه أكثر من النزع .
(١٩) : الأنزع : الذي انحسر شعره من جانبي جبهته ، أقل من الجلح .
(٢٠) : الأزعر : قليل الشعر المتفرق - والمقصود شعر الرأس أو اللحية .
(٢١) : الأمعر : الذي تساقط شعره .
(٢٢) : الشط : جمع ثط - بالفتح - أثط ، الذي عري وجهه من الشعر .
(٢٣) : السنوط : الذي لا لحية له أصلا ، أو الخفيف العارض .
(٢٤) : الأعلم : مشقوق الشفة العليا ، فان كان في السفلى فهو افلح .
(٢٥) : الآدر : من ينفتق صفاقه فيقع قصبه في صفقه . ويسمى الان في نجد الأبمج والمبعوج
(٢٦) : الأفقح : لم أر لهذه الكلمة - فيما بين يدي من معجمات اللغة تفسيراً - ولا شك انها مأخوذة من داء يصيب الفقحة ، وهي سعة الدبر ..
(٢٧) : الكلمة غير واضحة .
(٢٨) : كهرورة : التعبس ، أي انتهار من يخاطبه ، وعبوس الوجه .
(٢٩) : الاصل عيينة تصحيف .
(٣٠) : رواية صاحب « المفضليات » :

فلو كان جمع مثلنـــا لم نبالهم ولكن أتتنـــا أمرة ذات مفخر

البداد - بالفتح - البراز ، يقول لوبازونا رجل لرجل « اللسان » .
(٣١) : ديوان قيس - تحقيق الدكتور احسان عباس - ص ٤١ : كان أسوا : أصله مهموز ، فابدل الهمزة الفا . بمعنى : أقبح . يقول لا نفر في الحرب ابداً ، وانما يسمى اتقاءاً وهذا ممدوح .
(٣٢) : عباد بن الحصين بن يزيد بن عمرو بن اوس بن سيف بن حلزة بن بيـــان بن سعد بن الحارث بن الحبط بن عمرو بن تميم . وانظر اخبار ابي فديك الخارجي في تاريخ ابن جوير الطبري حوادث سنة ٦٥ وما حولها .
(٣٣) : الغمرة : الشدة والحيرة والعماية .
(٣٤) : الشخت : الدقيق الضامر . لا هزالا بل أصلا في الخلقة .
(٣٥) : المقرقم : - بفتح القافين - الذي لا يشب من سوء غذاء ، وفي الخبر : ما قرقمني إلا الكرم ، أى إنما جئت ضاوياً لكرم آبائي وسخائهم (التاج) .
(٣٦) : أناويان : غ ان . ضاويان : نحيفا الجسم ، قليلاه خلقة .

المعادن القديمة في بلاد العرب

- ٤ -

في عرض أسماء المعادن في البحث المتقدم أشرت إلى مواقع بعضها من الناحية التقريبية في المصور الجغرافي (خارطة المملكة العربية السعودية) ولم أتمكن لقلة صفحات المجلة من وضع المصورات التي أشرت اليها وهي مما يتمم البحث ، وان لم تذكر فيها أسماء المعادن القديمة كلها ، ولعل مما يفيد الباحث الاطلاع على تلك المصورات التي كنت أود أن تكون كلمتي عنها شاملة لتوضيح مواقع المعادن ولبيان ما في هذه المصورات من أخطاء من الأسماء ومن تحريف ، وكنت أود أن تكون ملونة للتمييز بين المعادن ، إلا أن هذا مما يحتاج إلى نفقة فوق طاقة المجلة .

ومما رأيت ضرورة الإشارة إلى ذكره :

١ – في المصور الثاني : كتب اسم الأزلم (الأظلم) وهذا خطأ ، فالإسم الصحيح كما ورد في كتب الرحلات القديمة بالزاي لا بالظاء .

٢ – وفي [م : ٢] ورد ما يلي :

١ – حفيرة العيدا . والصواب : الايدا ، وهو رجل معروف من قبيلة عنزة ، وهناك فخذ ينسب اليه .

٢ – جبل ريك الأحمر وصوابه جبل أريك والعامة دائماً يسهلون الهمزة ، والجبل له ذكر كثير في الشعر القديم .

٣ – جبل ضبي ، صوابه جبل ادبي والعامة يسهلون الهمزة ويسكنون الدال فيظن السامع انهم ينطقون الدال ضاداً لا سيما وانهم يفخمونها .

٤ – زرغط وزيغط صوابهما ضرغد وضريغد والاسم مشهور قديما .

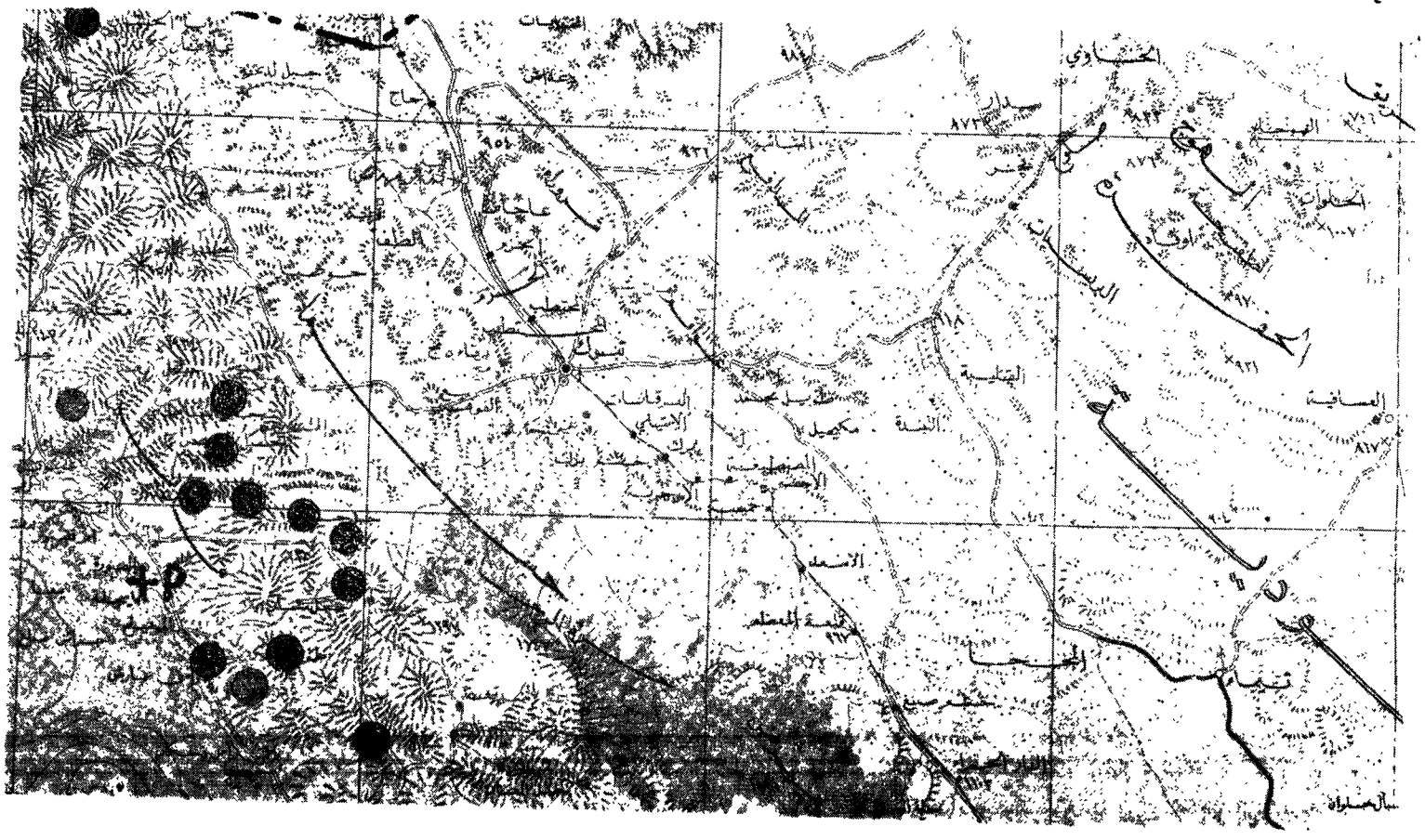
٣٥
٣٦
٣٧
٣٨
٤٠
١٠٩١
٢٩
٢٨
٢٧
الحساوي
البيضة
الحلوة
الباطنة
الباسفية
القلبة
الجحا
قنبا
سال العلواء
حاج
الطف
تبوك
الوقبان
الشعيبة
الأسعد
الأصفر
الأحمر
نبع
مكيدل
الشعيبة المعلق
الشعيبة الأسفل

٥ – المحاش القرية الواقعة بجوار الغزالة شمالاً الصواب المهاش بالهاء .

٦ – غظور القرية الواقعة في الجنوب الشرقي من الغزالة صواب اسمهـــا غضور بالضاد لا بالظاء والاسم ورد في الشعر القديم كثيراً .

٧– صاحوق صوابه ساحوق بالسين .

٣ – في [م : ٤] صفراء السرك الصواب صفراء السر بحذف الكاف .

٢ – اوضاخ صوابه وضاخ أو أضاخ أي بتسهيل الهمزة أو باثباتها .

٤ – وفي : [م : ٥] :

١ – بدر حنين اسم حنين لا محل له هنا ، وكان في تلك الناحية مكان يدعى أبرق الحنّان، واطلاق اسم حُنين هنا من الخطأ القديم، وحنين المعروف هو وادي الشرايع بقرب مكة ، ووادي يدعان المتصل به من أعلاه ،وينطق الآن (جدعان) بالجيم من قبيل ابدال الياء جيماً وهي لهجة قديمة .

٢ – ريّس على ساحل البحر ، صواب نطقه الرايس ، وهو موقع ميناء الجار ، ميناء المدينة قديماً .

٣ – مقشوش ، صوابه مخشوش بالخاء .

٥ – وفي [م : ٦] :

١ – حرة رهط : الصواب : رهاط وهذه الحرة هي المعروفة قديماً باسم حرة بني سُليم .

٢ – هضب الشرار هو هضب شرورى .

٦ – وفي [م : ٧] :

١ – جبل لَيم : صوابه : جبل الأيم ، ولكن في النطق تسهل الهمزة .

٢ – جبل واسط الواقع جنوب ضرية ، صوابه جبل وسط بحذف الألف .

٣٩
٣٨
٣٧
٣٦
٣٥
٢٧
٢٦
٢٥

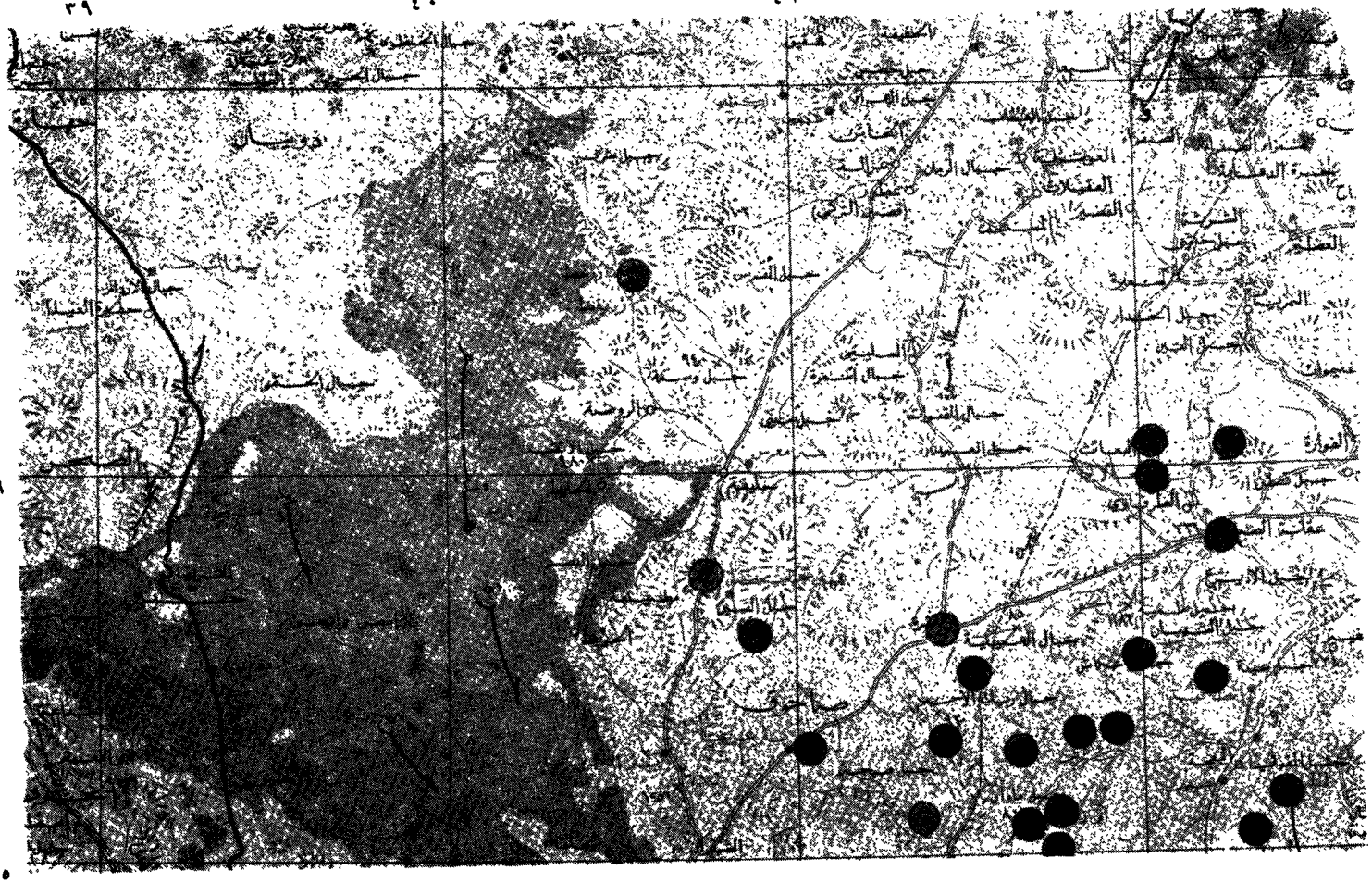
٣٩
٤٠
٤١
٤٢
٢٧
٢٦
٢٥
دوصال
جبل الشرة
جبل وسمة
الوجة
جبل العرة
جبل القصيبة
جبل الحسي
جبل الحمر
جبل الحمار
جبل الحسي الحمر
جبل الحسي الأسود
جبل الحسي الأبيض
جبل الحسي الأ

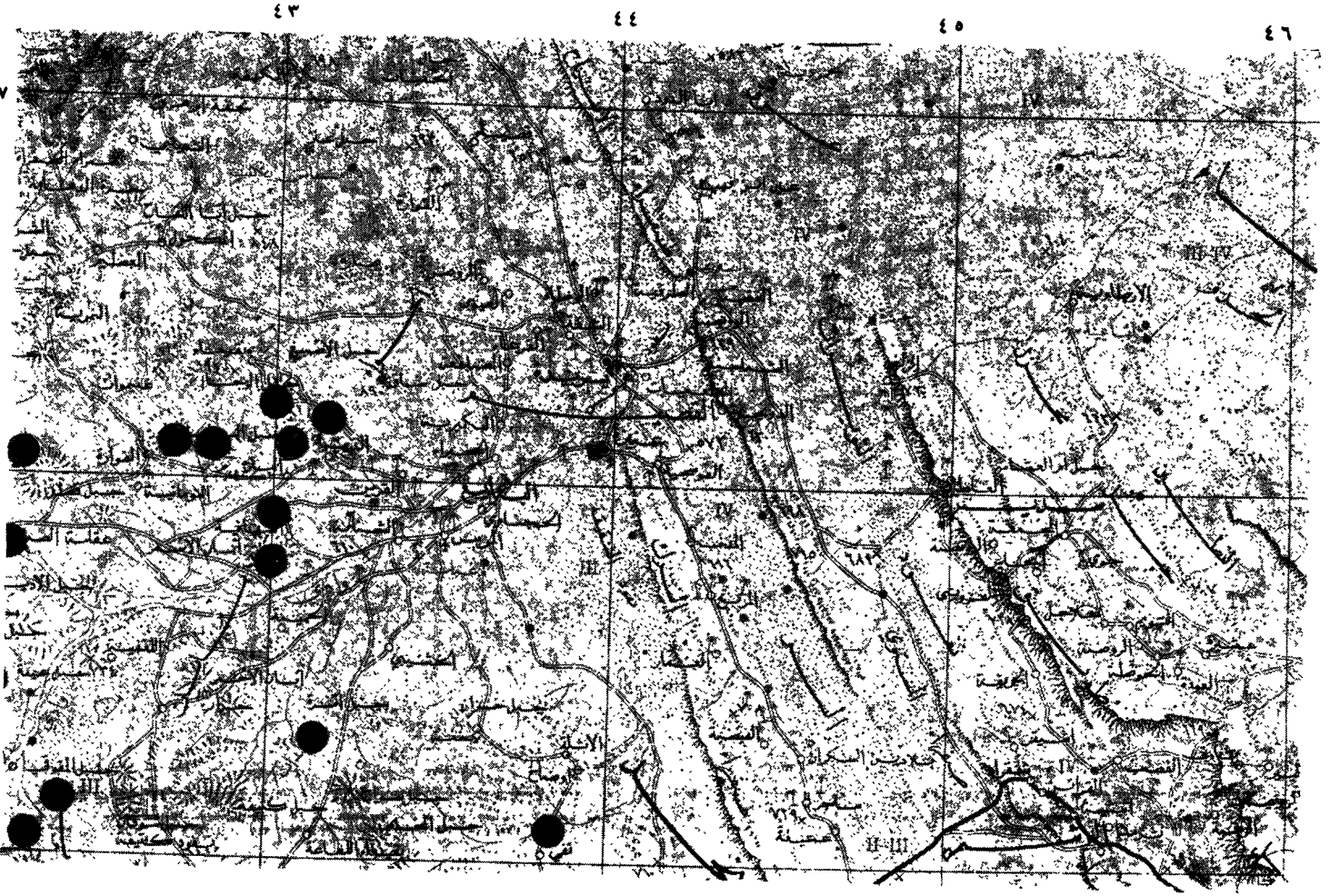
٤٣
٤٤
٤٥
٤٦
٢٧
٢٦
٢٥

٣٩
٣٨
٣٧
٣٦
٣٥
٣٣
٣٢
١٠٩٦

٤٦
٤٥
٢٥
٢٤
٢٣
١٠٩٨

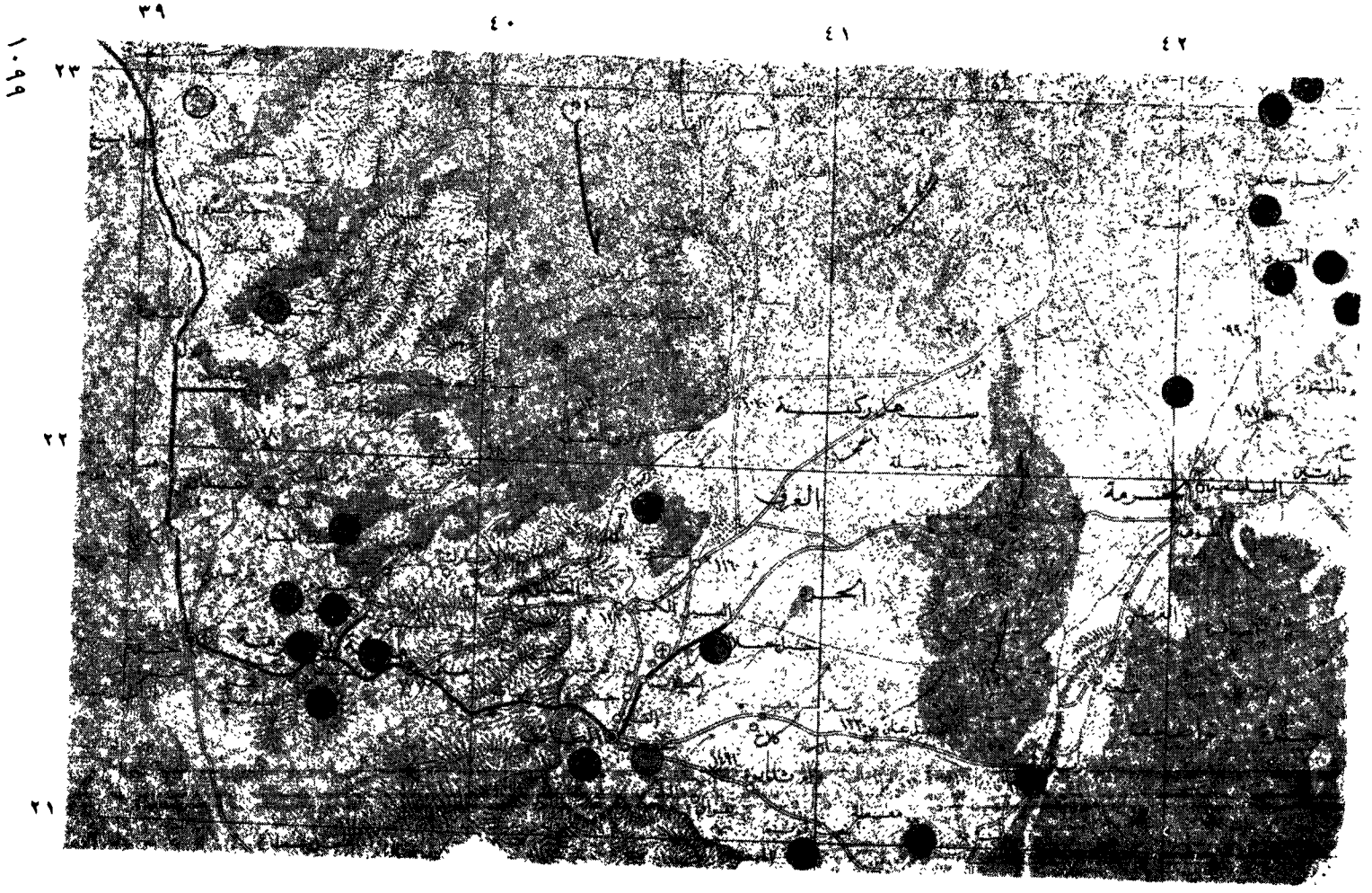
٣٩
٤٠
٤١
٤٢
١٠٩٩
٢٣
٢٢
٢١
العرب
الحمر

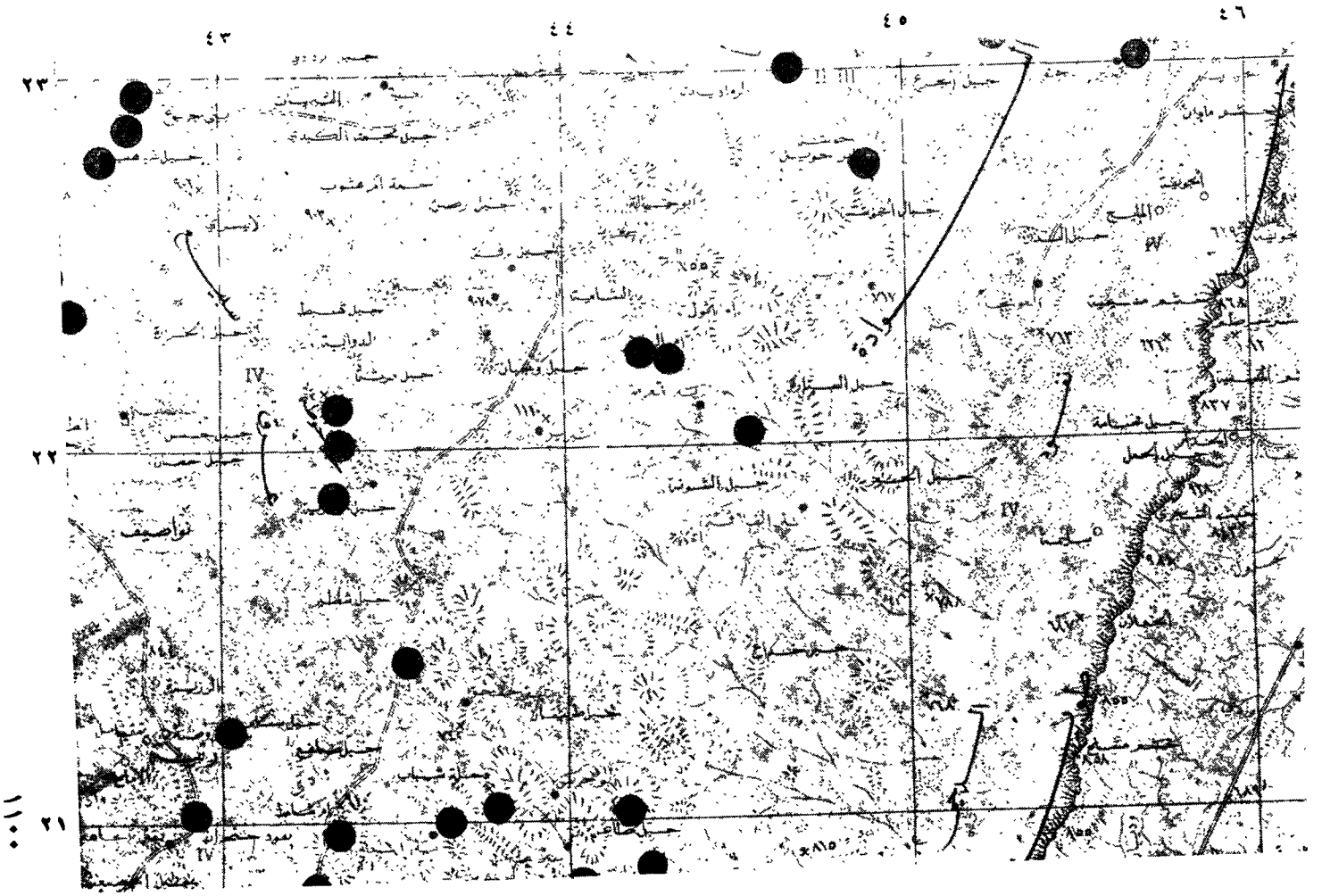
٤٣
٤٤
٤٥
٤٦
٢٣
٢٢
٢١
نواصيف

٣٨
٣٩
٤١
٤٢
٢١
٢٠
١٩

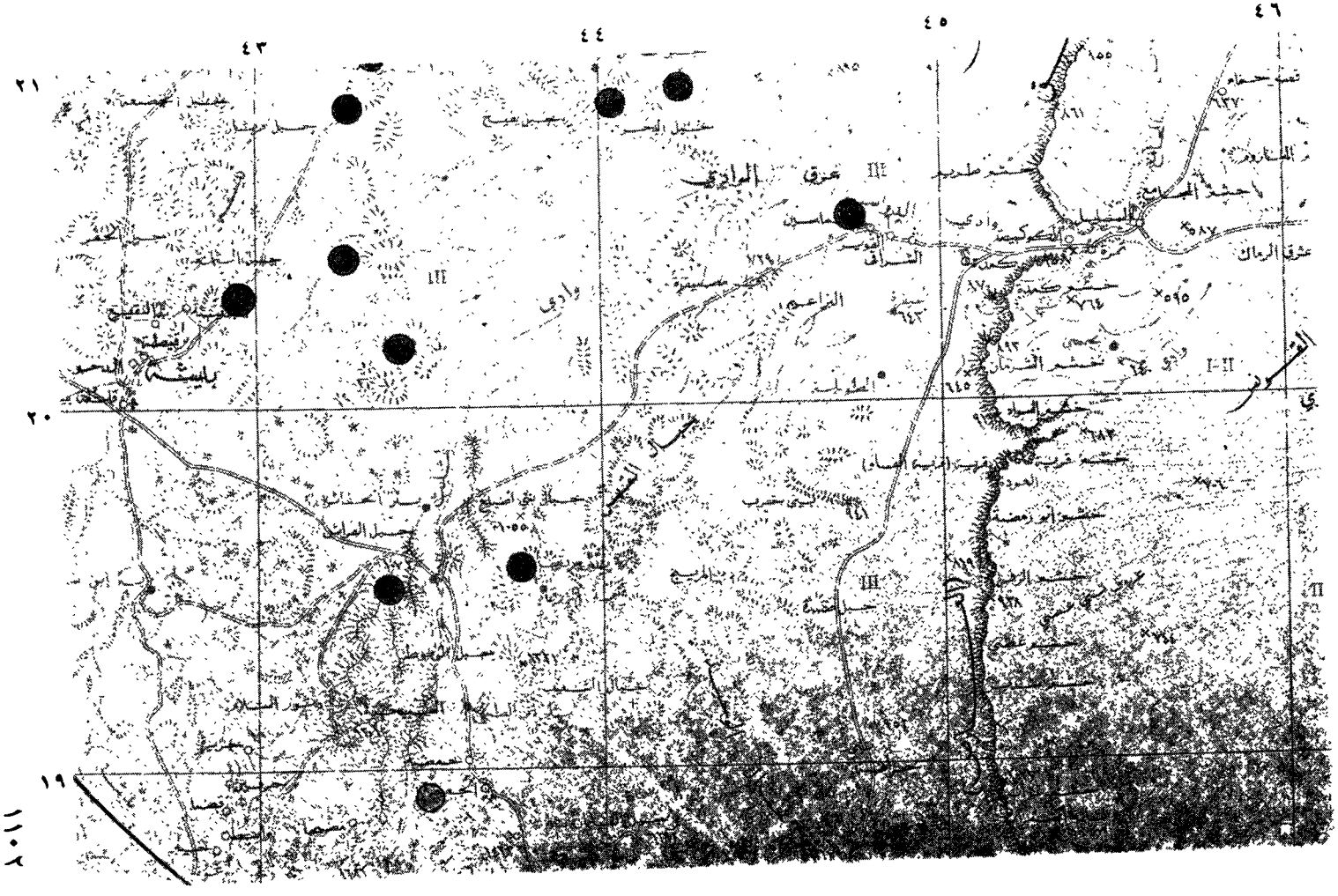
٤٣
٤٤
٤٥
٤٦
٢١
٢٠
١٩
عرق المادي
III
وادي
الفاعم
الطويلة
باشة
الدمر
الفيض
رفيضة
جبل السوداء
جبل الحمر
جبل الحمراء
جبل الحمراء
جبل الحمراء

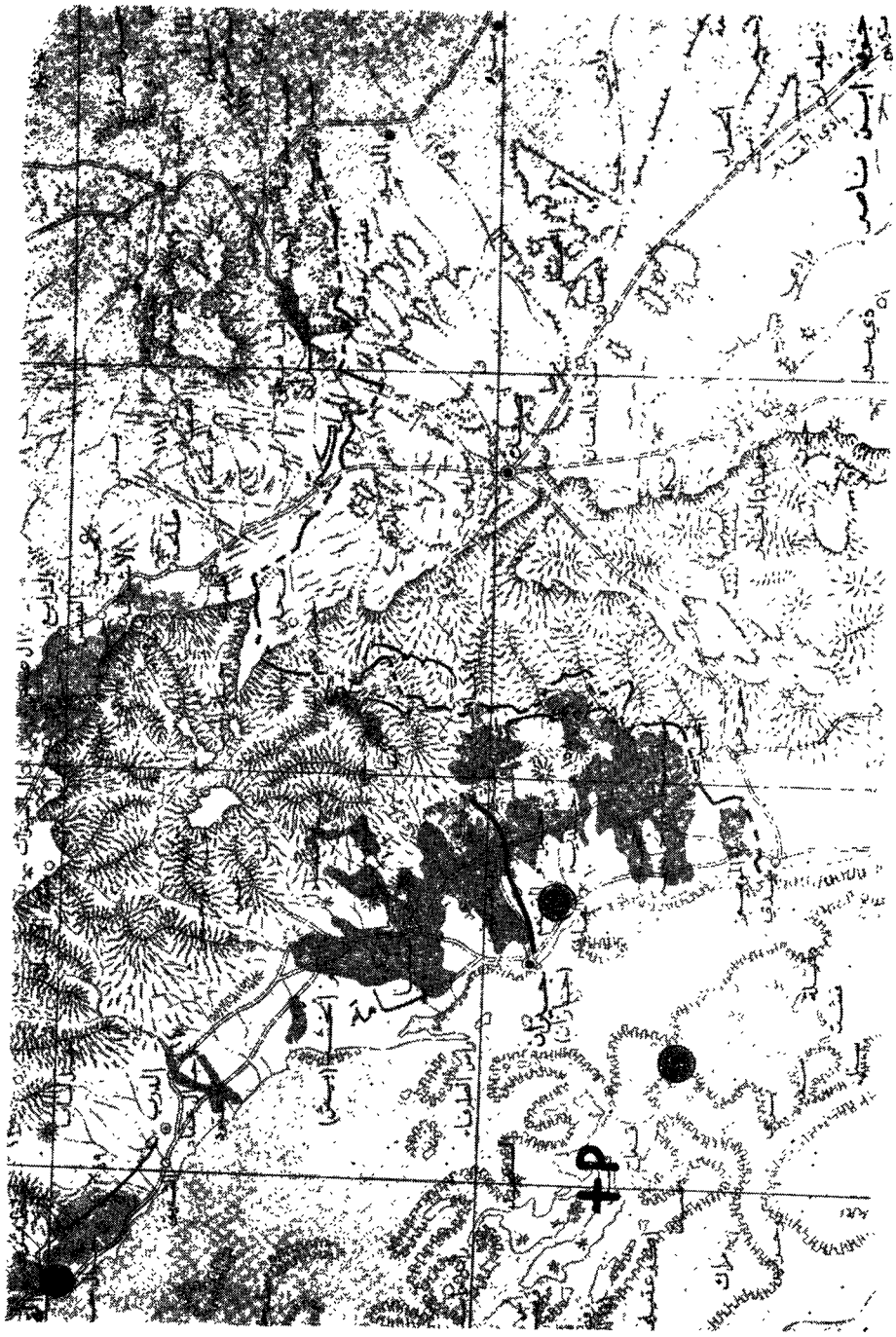

أماكن المعدنية
ذهب
ذهب - نحاس
نحاس
كبريت
رصاص
باريت
فلوريت
فضة
جديد
طلق
جبس
اسبستوس
كروم
منغنيز
ميكا
P + شقوق تشرب الزيت

٣ــ جبل شعباء : هو بالألف المقصورة شُعَبى .

٤ ــ السخا : الصواب الصخة في البئر وفي النفود .

٥ ــ عرواء . صوابها عَرْوى مقصورة .

٦ ــ حوشة ابن حويل الصواب حصاة ابن حُويل .

٧ ــ بئر سيجا . الصواب سَجا ــ وهو منهل من أقدم المناهل ، له ذكر في معجمات الأمكنة .

٨ ــ ظعفرانه اسم محرف صوابه : زعفرافة . أما الجبل العظيم الواقع غرب هذه القرية فهو جبل (حلّيت) من أشهر جبال نجد ولا يزال معروفاً باسمه هذا الذي كان من الصواب ذكره في المصور ، وهو كثير المعادن .

٧ ــ وفي [م : ٨] :

١ ــ اكبوان ، لجبل يقع غرب حَرّة كشب .

والصواب : كبوان ــ بحذف الألف ، والعامة يلحقونها خطأ فيقولون في محمد (امحمد) .

٢ ــ جبل حلا ــ لجبل يقع غرب جبل حضن ، والصواب : جبل الحلاة ، وتسمى حلاة جلدان، وهو الأرض السهلة التي يقع فيها ذلك الجبل.

٣ ــ الامبارك ــ من قرى وادي فاطمة ، صوابه المبارك وهو قديم .

٤ ــ جديرة ــ من قرى الطائف ، صواب الاسم : قديرة ــ بالقاف ، كما ينطق الآن .

٥ ــ فاضة المسلح : فيضة المسْلح .

٨ ــ وفي [م : ٩] :

١ ــ حوشة ابن حويل : حصاة ابن حُويل .

٢ ــ جبل الحوشة : جبل الحصاة ، والاسم القديم للجبلين : صاحة

بلاد العرب

تأليف : الحسن بن عبد الله الأصفهاني

- تحقيق الأستاذ حمد الجاسر والدكتور صالح العلي
- منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض
- صفحاته نحو ٦٠٠ صفحة مع الفهارس والمقدمات

بقلم « حسين سرحان »

تلطف أستاذنا العلامة (حمد الجاسر) فأهدى إلي هذا الكتاب ، وهي هدية يعيا بها شكري ، وطلب مني في رسالته الخاصة مع الكتاب ، أن أبدي عليه ملاحظاتي .. إن كان لها موضع .

وقال : [إنكم أدرى مني بها لصلتكم بسكانها خاصة في عالية نجد]

وعماية ، وقد يغلب أحد الاسمين على الجبلين . فيقال : عمايتان أو صاحتان.

٩ – وفي [م : ١٠] :

١ – وادي ناوان : صوابه : نعوان .

٢ – المخوا : المخواة .

٣ – يبا : يبة . وقد وردت في الشعر القديم .

١٠ – ملاحظات عامة :

١ – إن هذه المصورات قد أخذت عن (خريطة جزيرة العرب ، التي أُعدّت من قبل مصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية ، وشركة الزيت العربية الأمريكية ، تحت رعاية المملكة العربية السعودية) وطبعت سنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٦٣ .

٢ – أما مواضع المعادن فقد وضعت من قبل أستاذ من ذوي الاختصاص في المديرية العامة للمعادن في وزارة النفط والثروة المعدنية .

٣ – إن مقياس الرسم في هذه المصورات ، هو نفس مقياس الرسم في الخارطة أي ١ : ٢,٠٠٠,٠٠٠ .

وقال حفظه الله : إنه يعتزم إعادة طبعه بعد استدراك ما فيه من أخطاء .

* * *

في الصفحة ٧ قال الراجز :

تذكرت مَشْرَبها من تصلبا ومن بُرَيم قصباً مثقبـــا

والذي أعلمه ، أن في نحو سنة ١٣٥٠ سافرنا مع طويل العمر « فيصل » وكنت أمامه مع بعض الحاشية ، وقد وجدنا في « بريم » — إبن مروان — على المطبخ .. فأما « بريم » فهو في هشاش من الأرض .. وأما « صلُّبه » — وهذا اسمها المحدث — بضم الصاد واللام مع تشديدها وفتح الباء فهي في حزم مرتفع من الأرض ، فيه صلابة ووعورة ، ومن هنا جاء اسمها ، .. ومن أعلاها ترى « الخرمة » أمامك ، مشرق شمس إلى الجنوب .

وفي الصفحة التي تليها ، ذكر اسم « حراضة » ، وبصرف النظر عما قيل في الكتاب عن حراضة التي يعنيها الأصفهاني .. فإني أذكر من محفوظاتي وأنا يافع ، أن أحد عقداء الروقة أغار على البقوم في « تربة » ولعله — بخيت ابن ماعز — ، .. فأنشأ قصيدة يذكر فيها الوقعة أولها :

جونا مع الفاضه قبالة حراضه جوْنا وضرْمَتْنا غيابٍ عن البير

وهي طويلة .. والشاهد فيها اسم موقع « حراضة » ويبدو لي أنها في منبسط من الأرض يحدها [جبل العمود] ، لأنه قال في آخرها :

وضلع العمود الـلي قبالة حراضه اكسيـه يا لبقما ثياب مشاهير

أما حراضات الأخرى فلست أعلم عنها شيئاً .

— وفي الصفحة ١٢ جاء ذكر « رهوة » .

وفي بلاد عسير ، بلاد اسمها « الرهوة » فيها بضع عشرات من البيوت ، وتحف بها غابة من السلم والطلح والسيال .. وقد وطأتها على الحمير في رحلتي من أبها إلى تمَنيَة .

— وفي الصفحة التي تليها جاء ذكر « بنو سعد بن بكر » وقال عنهم أنهم

جيران هذيل ، أو منهم فلعلهم الذي قال شاعرهم بين يدي الشريف (الحسين ابن علي) –رحمه الله– .

يا سيدي حنا عتيبة والناس سمونا بني سعد

– وفي نفس الصفحة ذكرت « تبالة » وهو واد قبل بيشة عظيم ينيف عرضه عن ألفي متر ، وقد افترعناه في طريقنا إلى عسير عام ١٣٦١ هـ .

– وأما « شامةوطفيل » فهما جبلان وراء الرُّصَيفة إلى الجنوب بغرب ، ولهما ذكر في الأشعار العربية .

– وبعده جاء ذكر جبلا يقال له « سروعة » .. والذي أعرفه أن « صروعة » بالصاد – وهي بلدة تقع على يمين الذاهب إلى المدينة من مكة ، وفيها يقول الشاعر (على طرق الحدري) :

يا صَرْوَعه يمَّ النخيل امَّ العذوق المايـــلات

– و « كبكب » جبل هذيل ينسب اليه « الكباكبه » بتكرير الكاف والباء .. لا « الكواكبة » . وفي أعلى الرصيفة مما يلي اليمن أيضاً ضليعان صغيران أحدهما اسمه « لبن » بالتحريك مع فتح اللام والباء .. والثاني اسمه « لبين » بالتصغير .

– وجبل « يعرج » ما يزال هذا اسمه إلى الآن ، وقد كانوا يعرجون منه إلى الطائف ، وقد قيل لي أنه يقع بين الزيمة ، والشرائع .

– ووادي رهجان–بجزم الهاء–ما يزال هذا اسمه إلى الآن،وهومعروف.

– و « ملكان » على اسمه وموقعه .

– والوادي الذي اسمه(أدام) اسمه اليوم (يدام)– تحاشياً لنطق الهمزة .

– و (يلملم) – كما ذكر – ..

– و (يسوم) وهمـا الجبلان الكبيران اللذان يقعان وراء الزيمة على اليمين وعلى الشمال فيسميان اليوم [يسومين] ومنهم من يبدل الياء نوناً فينطقها [نسومين)

– وعلى ذكر « عقبة الزلاّلة » فاني أذكر أني كنت رديفا لخال أمي المرحوم محمد بن سعد الشريهي بلا وقاء وكنا على ناقة عمانية .. وأفطرنا في السيل ، وكان معنا خبزنا وماؤنا وتمرنا ، فلما بلغنا [ريع الزلالة] وهي إلى اليمين جنوباً عن [ريع المنحوت] .. وجدنا الصخور قد أخذت أمثالها من الظل ، فقلنـــا في احداها ، وعملت له القهوة والشاي ، ثم اضطجع فذهبت التخطى العقاب والصخور إلى الجنوب حتى بلغت أكثر من نصف (كيل) كيلومتر ، فوجدت صخرة عظيمة منحوتة نحتاً كما لو كانت بمنشار ، وجهها إلى الشمال ولونها أقرب إلى الإحمرار على سودا ، وطولها مع عرضها يقارب مترين . ورأيت على هذه الصخرة صورة فارس على جواد كريم ، وقد رفع ذيله ورأسه ، والفارس معتقل سيفه ، وهو في أفخم ما يكون من الرجال وعلى رأسه عمامه ملوثة ، وقد أنسيت ماذا كان يلبس على بقية جسمه ، وفي هذا الريع –ريع الزلالة– أو حوله تقول بعض كتب التاريخ أن بختنصر (٢) ملك بابل أوقع بالعرب هزيمة عظيمة] ٦٠٤ – ٥٦١ ق. م. – والبيضاء – قرية في [وادي محرم] ومثلها في بعض نواحي عسير .

– وفي صفحة ٧٢ جاء ذكر (السليل) ففي بلاد عسير أيضاً واد اسمه (السليل) وقد وطأته ، وأنسيت موقعه .

– وفي صفحة ٩٢ جاء ذكر « عمود الكود » وفي عسير أيضاً بلاد أو مكان اسمه « الكود » والمنسوب اليها اسمه « الكودي » .

– وفي صفحة ١٤٣ أعرف (رغبا) وهي اثنتان

الأولى – جملة (بُرْق) فيها رمال يحدها من الشمال الينوفي ، والمشقوق – مشقوق الخلف – ويحدها من غرب (الحومية) – هضاب حمر – ومن الجنوب « العِقرّ » – هضاب أيضـــاً – والبشارة – نفود البديعة – ومن الشرق : الرواهص ، والنفود التي تعلو الخاصرة ، وعِدّها اسمه « المحدث » .

والثانية : هجرة قائمة على آبار سكانها – السهول ، والدغالبة – جماعة المهري .. وغيرهم ، ويحدها من شمال « القصب » التي دائماً يذكرها الشاعر النبطي « حميدان الشويعر » في أكثر قصائده .

وقد جاء اسم (رغبا) في معجم البلدان في مادتهـــا .. قال كثير من قصيدة :

إذا وردت رغباء في يوم وردها قلوصي ، دعا أعطاشه وتبلدا

– وفي صفحة ١٥٣ – جاء في الهامش قصيدة « راكان بن حثلين » شيخ العجمان ، وقد أتى استاذنا ببيت خليط من بيتين – مع تبديل لألفاظها – وصحتها هكذا .

يا فاطري ذبيّ خرايم (طميّه) الْيَا زمهرّت مثل خشم الحصان
ذبي طميّه والديار الخليّـــة وتنحري (برْزان) زين المباني

وأنا أحفظ أكثرها ..

وفي صفحة ١٦٣ ذكر جبل «صبح» وجبل صبح من ديار حرب اليوم ، وهو يقع على طريق المدينة إلى اليمين للذاهب اليها فيما أذكر ، وفيه يقول شاعرهم .

يا جبل صبح من دونك عسام ليْت عيني تخيل اللي وراك

وفي الصفحة ٢٣٧ يقع في أقصى الرصيفة بين طريق جدة ، وطريق اليمن ، موضع اسمه « عمق » ، ولست أدري ، هل هو مورد مـــاء ، أم جبل ، أم أرض .

وفي الصفحة ٢٤٠ جاء ذكر [واسط] ولها حكاية غريبة جاءت في بعض ما كتب المرحوم « محمد بن بليهد » فقد ذكر في بعض كتبه أنها هي التي تقع جنوباً عن الدوادمي .. واستدل بذلك على أن الأصل فـــي اسم « الدوادمي » هو [داورد] وقد أتى معتمداً عليهـــا في بعض أشعاره العامية . فقال يداعب زميله (سلطان الجبر) وعرضها على طويل العمر من قصيدة :

أيّا الذي يستعمل الموترين ويّا الذي(بكسه)بداورد حرقان

وهي من قصيدة مطلعها في كتابه في «ابتسامات الأيام في انتصارات الامام» ص ٣٠٠ .

البارحة ما ذاقت النوم عيني شي لجا بالقلب والبال مشتان

ومن قصيدة مطلعها :

يبي يسند سيد كل الأعاريب له يم بيت الله منادي وجذاب

يقول :

لواهني [داورد] وأم المشاعيب إنمرها معطي طويلات الأرقاب

وقد شرحها في ص ٢٨٠ في الكتاب نفسه – بأن [داورد] هي [الدوادمي] .

وقد تردد ذكر [داورد] في أشعاره غير مرة .

ومن جملة من أخطأ في اسم الدوادمي وسماها [داورد] الشاعر المعروف [عبد الله لويحان] حيث قال ضمن قصيدة : [سقا (داورد) والشعرا ، ومزعل والقويعية] .

وقال : داورد ، مختصراً عن (داوردان)!

قال (ياقوت) ؛ في معجم بلدانه في مادتها : ان الحجاج بني [واسطاً] بين الكوفة والبصرة والمدائن ، والأهواز .. قال هذا موضع متوسط ، ولهذا سمي (واسطاً) .. وكان موضع واسط لرجل من الدهاقين يقال له [داوردان] .. فانظر ، ولا تعجب ، فما بقي هناك مجال للعجب ! والقنفذة : أيضاً ، في تهامة ، وهي معروفة .

وفي صفحة ٣١٣ في الهامش : ذكر عن القيعان أنها عذبة المناقب ، وصححها بأنها عذيّة المنابت وأقرب إلى الصواب كلمة [عذبة المناقع] ويقصد بها مناقع الماء التي تنبت العشب .

وفي صفحة ٤١٠ ذكر (البرود) .. والبرود في مكة يقع وراء خشم

قبيلة جهينة

- ١٨ -

بقيت قبيلة جهينة مسيطرة على طريق الحج من حدود قبيلة بلي بقرب الوجه إلى قرب بدر .

وفي القرن العاشر وما بعده حدث منها كثير من التعدي لاعلى الحجاج المارين ببلاد هذه القبيلة بل انتشر ذلك إلى مكة وجدة والمدينة ، حيث اختل الأمن في هذه البلاد بسبب ضعف ولاة مكة من الاشراف وبسبب ما

العدل الذي في أعلاها وطريقه بين (ثبير) وبين (حراء) ولا يبعد كثيراً ، وكنت أعلم أن فيه خرزات تمشي إلى عين زبيدة من عيون المشاش ، وقد أحكمت عليها من فوق ، دوائر من الجبس، والحجر مرتفعة عن الأرض، وكنا نطل فيها من أعلاها فنرى الماء في أعماقها مثل ضوء الحباحب . وهذا المكان هو الذي كان يذهب اليه الملك المرحوم [عبد العزيز بن سعود] بكامل حاشيته بعد كل عصر عندما يكون بمكة ووراءه أكثر من أربعين سيارة فيتقهوى في هذا المكان ويصلي المغرب ، ثم يقفل إلى القصر الملكي بالمعابدة ، وفي صفحة ٤١٣ قال إن « حسمى » أجبل في بلاد عُذرة .. وأزيد على ذلك بأن حسمى أشار اليها النابغة الذبياني في قصيدة ميمية قال:

فأصبح عاقلاً بجبال حسمى دقاق الترب محتزم القتام

وقال الراجز :

جاوزن رمل أيلة الدهاسا وبطن حسمى بلداً هرماسا

وذكر ياقوت أن قوماً من (جذام) يسكنونها .

ولا تزال معروفة .

حسين بن سرحان

حدث بين ملوك الدولة المملوكية في مصر من الاختلاف والفتن التي حالت بينهم وبين توطيد الأمن في الحجاز ، وكان إذ ذاك تابعاً لهم .

وقد طغى اسم بني ابراهيم على قبيلة جهينة وهو في الواقع يطلق على فخذ من هذه القبيلة وممن ينتسب إلى ابراهيم بن أخي النفس الزكية من بني الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب (ض) وتقدم ان آل علي خالطوا جهينة فأصبحوا معدودين منهم ولا يزال هـذا الاختلاط وهذه الصلة حتى اليوم ، ففي جهينة الآن أفخاذ كثيرة يدعون الأشراف لكل فخذ اسمه وهو معدود في قبيلة جهينة .

ونجد أقدم ذكر لبني ابراهيم فيما أورده العصامي من حوادث سنة ٥٩٩ هـ حيث قال بانهم ساروا مع قتادة إلى مكة فانتزعها من أيدي الهواشم وخطب للناصر العباسي سنة ٥٩٩ هـ [١] ، فاذا لم يكن العصامي أطلق اسم بـــني ابراهيم من عنده على قبيلة جهينة فان هذا يدل على أن هذا الفخذ من هذه القبيلة كان له شأن في ذلك العهد ، ومما هو معروف أن أحد أفخاذ القبيلة عندما يتميز على غيره تنضوي بقية أفخاذ القبيلة اليه ، ولا شك أن اسم بني ابراهيم حينما يرد في الكتب القديمة في الحديث عن طريق الحج فانما يقصد به قبيلة جهينة بأسرها ، ولنستعرض شيئاً مما ذكره المتقدمون عن حوادث هذه القبيلة :

في مطلع القرن العاشر الهجري قويت شوكة بني ابراهيم ، وكثر عبثهم في مدن الحجاز ؛

وفي سنة ٩٠٧ وقـــع خلاف بين الشريفين بركات وجازان ، فقام بنو ابراهيم بنصرة جازان ، وآزرهم في ذلك عرب زبيد بقيادة رئيسهم مالك ابن رومي ، فتم لجازان الاستيلاء على مكة ، وكان رئيس بني ابراهيم الشريف يحيى بن سبع أمير ينبع ، فلما استولى جازان على مكة ومعه بنو ابراهيم

---

(١) : « سمط النجوم » ج ٤ ص ٢٠٨ .

وأميرهم ابن سبع ، عاثوا بمكة فساداً ، ويقول العصامي [1] : (في عام سبع وتسعمائة رفعت الشكوى إلى الأبواب السلطانية بأن جازان استولى على مكة ومعه الشريف يحيى بن سبع وجمع من بني ابراهيم ، وأنهم صادروا من كان بها من التجار ، والرؤساء ، وأخذوا من المولى شمس الدين العيني خمسة وعشرين الف دينار ، وان بني ابراهيم تحكموا في أهل مكة بالبلص والفساد ، وان يحيى بن سبع هذا رأس الفتنة ، وضجت المجاورون وعزم الجميع على الهرب من مكة في أربعين مركباً أعدوها ببندر جدة ، فمنعهم الشريف جازان ، ووعدهم برفع المكاره عنهم وطمن خاطرهم ، والتزم لهم أن يرسل مع كل واحد من الحجاج من يوصله إلى مأمنه — إلى أن قال العصامي — فوردت إلى الأبواب السلطانية كتب من نائبهم بمكة بأن الشريف جازان لم تكن مـــع ولايته الفتن ، وحصل لأهل مكة من جماعته أنواع الظلم والجور والمحن) .

نهب الحجاج الشاميين والمصريين سنة ٩٠٧

قال الجزيري: (في حوادث سنة ٩٠٧ أن الحجاج الشاميين لما وصلو إلى بدر طلب منهم الجازاني شيئاً من المال فامتنعوا فوقع بين الفريقين قتال قتل فيه من زبيد ثمانية وأخذ منهم أربعة رؤوس من الخيل ، واستمر القتال من أول النهار إلى الظهر ، والشامي منتصر ، على الجازاني وجماعته ، فساقوا الجمال الشقارة على الجمال المقاطرية ، فهجت الجمال والتهت الرجال بها ، فنهبهم بنو ابراهيم وزبيد ، ومن معهم ، وقتلوا الرجال والصغار ، والأطفال والنساء ، واخذوا جميع ما معهم ، وكل من أمسك من الحجاج الشاميين رجلاً أو امرأة يذبحها وكذا الأطفال ، ولم يسلم منهم الا من طال عمره ، ولم يصل إلى مكة الا بعض اناس قلائل [2] .

وذكر أيضاً ان الحاج المصري لما وصلوا الدهناء وقصدوا ينبع سمع بهم الشريف الجازاني ومن معه والشريف يحيى بن سبع ولاقوا الحاج فوقع بينهم

---

(١) : « سمط النجوم » ، ج ٤ ص ٣٠٢ .
(٢) « درر الفوائد » ص ٣٠١ .

قتال ، قتل فيه من مماليك السلطان نحو ٧٥ نفراً وقتل من الحجاج خلق لا يحصون ، ونهب الركبان : الاول والمحمل ، وأخذوا المال والجمال والقماش والأثاث والتجأ أمير الحاج الأمير اصطمر ، إلى بيت قاضي ينبع محمد بن زبالة واستجار به ، وأقام الحاج في ينبع خمسة أيام ثم رحلوا ، وبيع جميع نهب الحاج بحضورهم على بعضهم ، وليس لاحد قدرة على أخذ ماله .

وقال في حوادث سنة ٩٠٩ أيضاً [١] :

(ثم حضر الشريف حميضة في عشرين فرساً ورواحل من بني ابراهيم ، وقتلوا ونهبوا ما قدروا عليه من الحجاج ، وارتفع الأمن في الحجاج وفي أهل مكة وصاروا في شدة من الخوف والنهب وهو السبب الذي عاقهم عن الصعود إلى عرفة) .

وقال أيضاً [٢] :

(في سنة عشر وتسعمائة : وصلت أخبار أن بني ابراهيم دخلوا إلى مكة فركب الباش وجماعة ودخلوا عليهم الحرم فقتلوا من أعيان بني ابراهيم أربعة أنفس ، وعاد بنو ابراهيم مكسورين ، ثم وردت أخبار بعد ذلك بأن جدة ومكة في غاية الخوف من بني حسن والشريف حميضة هو وابن سبع بينبع في جمع عظيم فرسم السلطان بالقبض على بني ابراهيم الصيارف الذين في القاهرة والقصبة والشوارع وباعة العطر واللبان ، الذين يدورون بالاخراج على أكتافهم ، وحبسوا وصار الوالي يدور على حواصلهم ، ووجدوا مع جماعة منهم سلاحاً وزرديات يريدون تجهيزها الى يحيى بن سبع [٣]) .

وقال أيضاً [٤] (سنه عشرة وتسعمائة : فيها رسم السلطان بتوجه الفرقة التي من العسكر المنصور ، صحبة الأمير خاير بك ، كاشف الغربية وأحد أمراء الطبلخاناه السلطانية ، والأمير قاني بيك رأس نوبة ثاني ، أمير أول ،

---

(١) : « درر الفوائد » ص ٣٥٤ .
(٢) : درر الفرائد (ص ٣٥٥) .
(٣) : أنظر طرفاً من أخبار هذة الحوادث في كتاب « بلاد ينبع » .
(٤) درر الفرائد (ص ٣٥٥ - ٣٥٦)

وصحبتهما من الأمراء الطبلخاناه والعشراوات ، نحو عشرين أميراً ومن المماليك السلطانية ستمائة للفتك بيحيى بن سبع أمير ينبع ، وبني ابراهيم ، والباس هجار بن دراج عوضه أميرا على ينبع (ذكر أن السلطان أنعم عليه بإمارة ينبع في سنة ٩٠٨ — صفحة ٣٥٣) .

وكان خروجهم من القاهرة يوم الاثنين مستهل رجب ، قاصدين الأقطار الحجازية ، فالتقوا مع يحيى بن سبع ، ومالك بن رومي شيخ زبيـــد ، وحميضة أخي بركات ، وجميع بني ابراهيم ، ووردت الأخبار من مكة المشرفة في ثامن شوال أن بني ابراهيم بلغهم ان العسكر تفرق، فذهب بعضه إلى المدينة ، وبعضه إلى ينبع الساحل ، وبعضه إلى مكة ، وان العسكر المقيم بينبع قليل، فعزموا على كبسهم ليلاً، لكونهم في قلة ، فجاؤوا إلى التجريدة ليلاً في نحو سبعين فارساً والف راجل ، فبلغ السيد بركات (أمير مكة) علم ذلك وكان في الدهناء فركب طرداً إلى أن وصل ، فوقع القتال بينهم ، وتلاحق العسكر ، واستمر القتال من الظهر إلى الليل في يوم الثلاثاء ثالث شوال ، ففر أهل الخيل ، ووقع القتل في الرجال ، واقتلع أكثر خيل بني ابراهيم ، ولم ينج منهم إلا القليل ، ولولا الليل لم يبق منهم أحد .

وقال أيضاً [١] :

(والدهناء بلاد سيدى العارف بالله أحمد البدوي ، وكانت قرية عامرة يسكنها بنو ابراهيم قديماً ، بها بيوت ومساجد ، وحدائق وأشجار ، وعيون جارية حلوة يتزود منها الحجاج عند مرورهم ، فلما سعوا في الأرض الفساد ، وبالغوا في أذى وفد الله والعباد ، وأكثروا من الشقاق والعناد ، وكانوا عصبة على أهل مكة لأذى الوفد المصري والشامي ، واتفق لهم مـا تقدم ذكره حتى آل أمرهم الى أن برز أمر السلطان الغوري بتجهيز العساكر لقطـــع جادرتهم ، على يد الأمير خاير بك أحد المقدمين ، وقطعت رؤوسهم وعملت مصاطب ، ثم عقب ذلك خراب تلك القرية ، وتوالى المحـــل والجدب ،

---

(١) درر الفرائد (ص ٥٣٧ ، ٥٣٨) .

وغارت تلك العيون ، وجفت تلك الأشجار ، وصارت مثلاً من الأمثال وسمرا من الأسمار) .

وذكر العصامي قيام بني ابراهيم مع الشريف حميضة بعد قتل جازان ، ضد الشريف بركات قائلاً : (فلما وصل بنو ابراهيم إلى مكة تحركت نفوسهم الخبيثة ، وضغائنهم السابقة ، فنهبوا بعض دور مكـــة ، وعاثوا حتى في الحرم الشريف فبادر الباش (الأمير بكباش مكة من قبـل دولة المماليك) ومن معه لقتالهم ، فقتل أربعة من أعيانهم ، وذهب الشريف حميضة مع يحيى ابن سبع إلى ينبـع ، وجمعوا جموعاً على نية أخذ الحج ، وقطع الطريق فلما وصل خبر ذلك إلى السلطان رسم بالقبض على جميـع من بمصر من بني ابراهيم ، ثم عين تجهيزة عظيمة بقيادة خاير بك الأشقر ، وأمرهم بالقبض على من خرج عن الطاعة ، وقتل من يستحق القتل ، فلما وصل الخبر إلى يحيى بن سبيع جهز قاصداً معه عشرون الف دينار بشرط ابطال التجهيزة المذكورة ، وان كل من بالحجاز طائع ، فلما وصلت زادت في غضب السلطان ، فجهز زيادة على الأولين ، أمراء متعددين ، وصرح لهـــم أن يفتكوا بيحيى بن سبيع وببني ابراهيم ، وبجميع من يناصرهم ، وأن يمهدوا جميع الأقطار الحجازية . فالتقوا مع يحيى بن سبيع ومالك بن رومي والشريف حميضة وجميع بني ابراهيم وتوابعهم غرة شوال (سنة ٩١٠) بالدهناء بالقرب من ينبـع ، وسبق الخبر إلى الشريف بركات فركب فوافق نزوله وصول العسكر ، واجتمع من بني ابراهيم سبعون فارساً وفاجأهم الشريف بركات بالدهناء وقاتلهم من الظهر إلى الليل ففر أهل الخيل ووقع القتل في الرجالة ، واقتلع منهم خيولاً [1]).

لم تقض هذه الوقعة على بني ابراهيم، رغم مبالغة العصامي بوصفها، ورغم ايقاع الشريف بركات ببني زبيد ، الذين هم وبنو ابراهيم كانوا يداً واحدة ضدّ بركات ، فقد أوقع بزبيد في سنة ثلاث عشرة وتسعمائة في الروحاء، بقرب المدينة وقتل رئيسهم مالك بن رومي وثلاثة من أبنائه وعدداً من قومه – إلا أن

(١) سمط النجوم (٤ ص ٣٠٥) .

شر البوادي بقي منتشراً ، مما اضطر دولة المماليك إلى تحصين جدة باقامة سور عليها بعد هجومهم عليها في سنة ٩٠٨ هـ واضطر الشريف إلى الاستنجاد بسلطان نجد أجود بن زامل الجبري ، لدفع غائلة البادية ، فأرسل اليه [١] جيشاً يقارب خمسين ألفاً بقيادة ابنه محمد في سنة ٩١٢هـ فوجد العسكر المصري قد قضى على بني ابراهيم وأنصارهم وشتت شملهم ، وخرب ديارهم .

ومن أخبار بني ابراهيم في مطلع القرن الثاني عشر ما أشار اليه الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته من تحالفهم مع قبيلة حرب ، ضد شريف مكة الشريف سعد بن زيد — قال باختصار وتلخيص [٢] :

(ينبع النخل ، وهي قرية كبيرة ذات نخل على ماء جاري ، في وجه الأرض ، عذب زلال ، ونقل عن السمهودي (خلاصة الوفاء) أنها سميت لكثرة ينابعها ، إذ كان فيها ١٧٠ عيناً .

وكنا نازلين تحت جبل رضوى - بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة وفتح الواو مقصوراً — .

وقد اجتمعت على الشريف قبائل العرب نحو ٣٧ قبيلة وقصدهم أن يغزوا قبيلة حرب لأنها خرجت عن طاعة الإمام وأخذوا ذخائر أهل المدينة من حبوب وزيت وقمح وتحزبوا في وادي الصفراء .

وكان الشريف يرسل لنا في كل ليلة من يحرسنا من عبيد حذراً علينا من هجم الأعراب الذين معه فضلاً عن أعدائه وفي صبيحة اليوم ٢٠ من شعبان أتى الخبر بأن شيخ قبيلة حرب واسمه « مُضيَّان » قد مات بداء البطن .

وفي يوم الأحد ٢٢ من شعبان ركبنا مع الشريف إلى أن وصلنا قرية من قرى ينبع النخل تسمى « سويقة » قال السمهودي : تصغير ساق ويعرف اليوم بالسويق منازل بني ابراهيم أخي النفس الزكية . ثم قال النابلسي : وسويقة هذه هي المشهورة الآن عندهم بسويق منازل بني ابراهيم وقد وجدناها الآن خالية ليس بها أحد وقد رحل أهلها وخرجوا على الشريف سعد بن

---

(١) : « السلاح والعدة » ص ١٠ نسخة المكتبة العامة في فينة .

(٢) : « رحلة النابلسي » الورقة ٢٣ — وما بعدها - نسخة فينة .

زيد لأنهم حالفوا قبائل حرب فذهبوا معهم يساعدونهم على قتاله . وهذه القرية فيها ماء جاري ونخل كثير وكان له حمل كثير في هذه السنة والعراجين بعد ما نضج بسرها فجلست على حافة ذلك الماء وشربنا القهوة مع الشريف سعد وولده سعيد وبقية من كان من فرسانها وقد أمر حفظه الله تعالى بحرق بيوت القرية وإنا لنرى النار تتأجج في جدرانها التي من أخشاب النخل اليابس والهواء يزيدها تأججاً والتهاباً .

وقد أمر بقطع النخيل فيصعد العبد الأسود إلى أعلى النخلة فيقطع جمارها وعراجينها فتسقط العراجين إلى الأرض كل عرجون فيه البسر الأخضر الذي لم ينضج مقدار العشرة الأرطال الشامية أو أكثر أو أقل حتى ذكرنا لحضرة الشريف حفظه الله قوله تعالى :« ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين » بان نظير هذا الفعل وقع من جده النبي محمد ﷺ في شأن الكافرين الخارجين عن طاعة الله ورسوله .

وهؤلاء لما خرجوا عن طاعة وهو إمامهم القرشي الهاشمي المولى عليهم شرعاً وذهبوا إلى قبائل أعدائه حرب وقاموا يقاتلونه معهم فعل بهم نظير ما فعل جده ﷺ ثم قمنا من ذلك المكان وسرنا إلى قرية الجابرية نسبة إلى جابر وهي بالقرب من قبر الامام المثنى فخرج أهل تلك القرية يلعبون بالأسلحة لملاقاة الشريف والنساء « تزغلط » من خلفهم فنزلنا عندهم وجاؤوا بالضيافة الكثيرة وجلسنا على حافة ذلك النهر الجاري في تلك البساتين المشتملة على الفواكه والليمون والأزهار والفل والفاغية ، وغير ذلك وسواقي المياه الجارية بين تلك الأشجار ثم ركبنا ورجعنا إلى الخيام .

ثم قال في موضع آخر [1] :

(١) الورقة ٣٢ .

ثم ركبنا وسرنا فمررنا على قرية سويقة المذكورة ثم سرنا قليلاً فوصلنا إلى قرية سويق وكأنما القريتان كانتا في الزمن المتقدم بلدة واحدة واسوارها المتهدمة الآثار بذلك شاهدة وهي الآن مسكن الأشراف من بني ابراهيم وهم من ذرية الحسين بن الأمام علي . وفي تلك القرية بساتين كثيرة من النخل والفواكه والموز ونهر كبير تتشعب منه سواقي جارية ، وأخبرونا أن هناك قبر الإمام الحسن المثلث ابن الحسن المثنى ابن الحسن الأول وهو سبط النبي ﷺ .

ولا تفوتنا الاشارة إلى ملاحظتين تتعلقان بكلام النابلسي الذي تقدم ذكره احداهما خلطه بين بلدتي السويق وسويقة ، فقد ذكر أولاً ان السويق هو سويقة ، وهذا خطأ ، ثم فرق بينهما وهذا هو الصحيح ..

الملاحظة الثانية : ما ذكره عن احراق الشريف سعد للبلاد وافساده للثمار وقطعه النخيل ثم استدلاله على ذلك بالآية الكريمة : وما فعله الشيخ — والله يغفر له — من الأمور التي لا تليق بالعلماء ، فبينما كان المطلوب منه أن يكون وسيلة اصلاح وخير إذا به يعين الظالم على ظلمه ، أو على الأقل يحسن له أمراً يترتب عليه أضرار كثيرة لا تقف عند حد معاقبة الخارجين عن طاعة هذا الأمير إذا قيل بان طاعته واجبة ، بل يلحق ضررها بالأبرياء من العاجزين من النساء والأطفال وغيرهم ، ممن خربت ديارهم وأفسدت ثمارهم وشردوا من بلادهم ، ولا ذنب لهم يوجب ذلك .

وقد نشير في نهاية الكلام على ما جرى لهذه القبيلة من حوادث عن الدوافع الحقيقية لها .

ولقد حدثت حوادث كثيرة بين قبيلة جهينة وبين ولاة الحجاز ، بعد ذلك.

وفي سنة ١١٩٤ — في عهد الشريف سرور بن مساعد خرجت قبائل جهينة على امير الحج الشامي ، فاشتبك معها في قتال مرير . (١)

(١) تاريخ مكة للاستاذ أحمد السباعي (ج٢ ص ٩٠) .

بل ليس من المبالغة القول بأنه قلّ أن يمضي عام لم تقع فيه حوادث من هذه القبيلة ومن غيرها من القبائل الواقعة في طريق الحجاج مما لا يتسع المجال لايراده مفصلاً .

ومن آخر تلك الحوادث ما جرى من بني ابراهيم (جهينة) مما أشار اليه محمد باشا صادق في كتابه « دليل الحج [1] » ، قال :

(واتفق لي في سنة ١٣٠٣ التوجه إلى ينبع البحر ، فوجدت العساكر مجتهدة في بناء سور للبلدة طوله (٣٠٠٠) ذراع ، تحفظاً من هجوم الأعراب الاغراب ، وتسهيلاً للهجوم على المعتدين منهم ، وصيانة للذخائر ، والسبب أنه وقعت ثورة بها من عربان بني ابراهيم ، وهجموا على السجن ، وأطلقوا منه شخصين ، وقتلوا أربعة من عساكر الضبطية ، ولما وصل الخبر إلى الوالي بمكة أرسل طابوراً من العساكر الشاهانية — أعني خمسمائة نفر — ومدفعاً واحداً وأطفئت الفتنة وأقيم السور .

أقول : وقد شاهدت بقايا السور محيطة بالبلد ، وله أبواب منها باب يسمى باب الجار ، وبقربه محلة تدعى محلة الجار وتحت عتبة مسجد الامارة حجر من رخام مكتوب فيه تاريخ عمارة السور سنة ١٣٠٣ في عهد والي الحجاز عثمان نوري باشا .

(للبحث صلة)

---

(١) ص ١٣٠

حول كتاب الأمثال المنسوب للقالي

— ٢ — [تتمة المنشور في الجزء السابق]

ففي الاندلس أخذ عنه العلماء بعض كتب الامثال القديمة ، منها كتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سلام ، يقول أبو عبيد البكري شارح أمثال ابن سلام ، في مقدمة كتابه «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال » تحقيق د.عبد المجيد عابدين و د. احسان عباس ، الخرطوم سنة ١٩٥٨ ص ٥) ما نصه : « حدثنا أبو مروان حيان بن حيان قال أخبرنا أبو عمر أحمد بن الحباب قال أنبأنا أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي قال أنبأنا أبو عبد الله ابراهيم بن محمد ابن عرفـــة الأزهري قال أنبأنا علي بن عبد العزيز وثابت بن أبي ثابت قال أنبأنا أبو عبيد القاسم ابن سلام الخزاعي قال : هذا كتاب الأمثال ... »

وعن أبي علي القالي أخذ عدد من علماء الاندلس كتاب الأصمعي في الأمثال، يدل على ذلك ما ذكره ابن خير الاشبيلي في فهرسة الكتب التي رواها عن شيوخه ومنها كتاب الأصمعي الذي قال عنه : « حدثني به الشيخ أبو محمد بن عتاب عن أبيه رحمه الله عن القاضي أبي أيوب سليمان بن خلف بن غمرون عن أبي علي البغدادي ... » (أنظر فهرست ابن خير باعتناء فرنشسكه قداره زيدي وطرغوه طبعه جديدة عن الأصل المطبوع في أوروبا . نشر المكتب التجاري بيروت، ومكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بالقاهرة، ص ٣٤٠) .

ومع ذلك فان كتب التراجم لا تشير إلى أن أبا علي القالى كان مؤلفا لأي مجموعة من مجموعات الأمثال . فياقوت يورد قائمة بكتبه لا نجد منها كتاباً حول هذا الموضوع وكذلك ابن خلكان ، بل ان بروكلمان أيضاً في كتابه

« تاريخ الأدب العربي » (انظر الترجمة العربية جـ ٢ ص ٢٧٩) لا يذكر أية اشارة إلى هذا الموضوع . ويكاد يجزم الباحث كما جزم الدكتور عبد المجيد عابدين من قبل بأن أبا علي القالي لم يكن جامعاً للأمثال . غير أن اشارة بسيطة ترد في فهرسة بن خير (ص ٣٥٣) تستوقفنا قليلاً فهي قد تلقي ضوءا ولو خافتا على هذه المسألة .. فقد ذكر ابن خير ضمن الكتب التي درسها على شيوخه كتاباً عنوانه « كتاب أفعل من كذا لأبي علي البغدادي » قال عنه : حدثني به شيخنا أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي رحمه الله عن الوزير أبي مروان عبد الملك بن سراج عن أبي سهل بن أحمد الحراني عن أبي الحجاج يوسف بن فضالة النحوي عن أبي علي البغدادي مؤلفه رحمه الله » فما هو هذا الكتاب ؟ .. أهو كتاب نحو أم كتاب أمثال .. أما ابن خير فقد سلكه ضمن عنوان جانبي هو « ومن كتب الآداب واللغات والشروحات وما يتصل بذلك من نوعه » (فهرست بن خير ص ٣٢٠) وتحت هذا العنوان ادرج ابن خير كتب الأمثال وشيئاً من كتب النحو » وبما اننا لا نعلم عن الكتاب المذكور شيئاً (والظاهر ان كثيراً من مؤلفينا القدماء لم يكونوا يعلمون عنه شيئاً أيضاً) فاننا لا نستطيع الا التكهن بانه ربما كان كتاب أمثال على أفعل من كذا ككتاب حمزة الاصفهاني السابق الذكر ، ولعله لذلك اختلط الأمر على كاتب نسخة دار الكتب المصرية فنسب كتاب حمزة الاصفهاني الى أبي علي القالي ظاناً بأنه له لتشابه الموضوع والطريقة في الكتابين . فان صح هـــذا الرأي يكون لابي علي القالى كتاب في الأمثال على أفعل ولكنه على أي حال ليس مخطوط دار الكتب المصرية وانما هو كتاب آخر ضاع مع ما ضاع من مصادرنا القديمة .

الدكتور أحمد الضبيب
كلية الآداب – جامعة الرياض

مَعَ القُرّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة

في الوقت الذي كنت فيه أبحث عن بعض النصوص التاريخية للتأكد مما كتبه الاخ الكريم الاستاذ هادون العطاس في الجزء الثامن من السنة الثانية من « العرب » حول النضر بن الحارث . وصلت اليّ رسالة من اخ كريم من (الطائف) مشيرا الى البحث ذاته . وطالباً ان اسرد نسب الحارث بن كلدة الثقفي .

وفي الوقت الذي اشكر فيه الاخ الكريم على حسن ظنه . اشكر ايضا الاخ هادون العطاس الذي نبه الى غلط يحتاج التنبيه والايضاح . أود ان اشير الى ما يلي :

١ — هو الحارث بن كلدة بن عمرو بن ابي علاج بن ابي سلمة بن عبد العزى ابن غِيَرَة بن عوف بن قسي (وهو ثقيف) هكذا أورده أكثر النسابين .

وفي العقد الثمين: كَلَدة بفتح الكاف واللاف) .

ويقول ابن حجر[١] وهذا مما لم نورده في نطاق بحثنا عنه— يقال ان سبب موته — أي الحارث — انه رأى حية تسعى فقيل له : يا أبا وائل الا تأخذ هذه بيدك ؟ فحملته النخوة ان مد يده اليها فنهشته فوقع صريعاً فما برحوا حتى مات .

٢ — ما أشار اليه الاخ الكريم من ان النضر بن الحارث قرشي هو صحيح، وكنت قد وهمت بما أورده الطبري وابن كثير[٢] دونما اشارة الى اكمال الاسم مما سبب الغلط ، فقد اوردا الاسم هكذا : النضر بن الحارث بن كلدة ، وقد أخذ بهذا بعض اصحاب المعاجم والقواميس الحديثة ، وكنت قد اعتمدت الطبري

---

(١) الاصابة ١ / ٢٨٨

(٢) تاريخ الامم والملوك ٢ / ١٥٨ ، البداية والنهاية ٣ / ٣٠٦

وابن كثير على ان النضر هو ابن الحارث بن كلدة الثقفي ، ولكن الحقيقة انهما يعنيان (النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري . وقد ترجم له ابن حجر [١] .

٣ ــ للحارث بن كلدة الثقفي من الابناء : الحارث بن الحارث بن كلدة الثقفي [٢] ونافع بن الحارث وهو اخو نُفَيع ابو بكرة ، ويقال نفيع بن مسروح ، ويقال نفيع بن الحارث بن كلدة وكان ابو بكرة من عبيد الحارث ابن كلدة الثقفي ، فاستلحقه ، وهو ممن غلبت عليه كنيته ، وامه سُميّة أمة الحارث بن كلدة ، وهي أم زياد بن ابي سفيان [٣] .

٤ ــ كثير من المؤرخين والفقهاء ذكر ان قتيلة هي أخت النضر ، ومنهم ابو الفرج الاصفهاني ، والطبري ، وابن كثير عن ابن هشام [٤] .وعلى النقيض يقف آخرون ويقولون : إن قتيلة هي ابنت النضر وقد ذكرهم الاخ الكريم ومنهم الحافظ ابن حجر العسقلاني .

وبالنظر الى هؤلاء نأخذ منهم اثنين هما : ابن كثير وابن حجر وكلاهما مخالف للاخر .. وابن حجر عاش بعد ابن كثير حيث ولد في السنة التي توفي فيها ابن كثير وهي سنة ٧٧٤ هـ ، زيادة على ذلك فابن حجر حجة مشهور في الحديث ألف ما يربو على (١٥٠) كتاباً ويحظى بلقب (حافظ عصره) ، لذلك فان ما ذكره ابن حجر من أن قتيلة هي ابنة النضر وكانت زوج عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر [٥] ، مرجح على غيره مما ناقضه ، وذلك مما ذكره الأخ الفاضل ، فله الشكر والتقدير مني ، حيث نبه إلي غلط وقع فيه كثيرون قبلي فوقعت معهم .

عبد الله الماجد

---

(١) الاصابة ٣ / ٥٢٥

(٢) الاستيعاب ابن عبد البر ١ / ٢٨٣ تحقيق محمد علي البجاوي .

(٣) المصدر السابق ٤ / ١٤٨٩ ، ١٥٣٠

(٤) : « الاغاني » ٤ / ٢٠٦ ابن جرير ٢ / ١٥٨ البداية ٣ / ٣٠٦

(٥) الاصابة : ٤/٣٧٨ .

بين الفصحى والعامية

رأيت أن أقوم برحلة سريعة عبر آفاق اللغة العربية الرحبة ، وهدفي من هذه الرحلة معرفة ما إذا كانت هذه اللغة لا زالت متسعة الصدر لأبنائها أم انها قد أوصدت في وجوههم الأبواب كما تقول حملات التشكيك التي ارادت النيل من مكانتها .

للاجابة على هذا السؤال وللخروج بنتيجة مقارنة تجعلنا أكثر إيماناً بحتمية انتصار اللغة العربية وبقائها رغم العواصف وتفشي اللهجة العامية والعجمة التي سرت إلى العروبة نتيجة للفتوحات الاسلامية ولاختلاط الأجناس البشرية والقوميات المختلفة وصهرها في بوتقة القومية الاسلامية الخالدة . كما نرى في العصرين الأموي والعباس وظهور الموالي والشعوبيات المختلفة إلى عهد الأتراك ومحاولة طمس معالم هذه اللغة وكان حدث للشعب الجزائري ومحاولة فرنسته في عهد الاحتلال الفرنسي . سنقوم برحلة قصيرة نمر فيها مروراً سريعاً على المرابع والاطلال إذ ليس في الامكان مواصلة الرحلة في صحراء اللغة الواسعة ومفاوزها الشاسعة ، بين أحراشها وأدغالها وسهولها وجبالها ، وبتلك الرحلة السريعة يمكن الخروج بخلاصة موجزة نستنتج منها ان اللغة الفصحى هي أم اللغة التي نتكلمها اليوم ونستخدمها في شتى مجالات الحياة، وأن العامية لم تكن متفشية بين أبناء الجزيرة العربية كما هي متفشية فيما جاورها من مناطق .

ومن الأدلة على ذلك أن أسماء المسميات من الأشياء لاتزال باقية بأسمائها العربية القديمة لم يدخل فيها أي تغيير فضلاً عن أن لغة التخاطب بين الناس الآن لم يدخلها سوى شوائب قليلة من العامية كقولهم (منين جيت؟) وأصلها (من أين جئت؟) . أمـــا أسماء الأعلام والأماكن فهي صحيحة فصيحة ، فالنباتات والأعشاب المعروفة في الصحراء كالشيح والقيصوم والعرفج والنَّفل والخُزامى والقفعاء ، كل هذه النباتات مذكورة ومعروفة في دواوين الشعر وكتب الأدب وينطقها العامة هي وغيرهـــا بأسمائها الصحيحة بحكم الفطرة ووراثة هذه اللغة .

وتحضرني قصة مثل شعبي أحببت أن أسجله ضمن مشاهد هذه الرحلة

قالوا : ان أحد السادة من شيوخ العشائر كان له مولى لا يدع الابل ترعى إلا ليلاً على ضوء القمر ، من نبات القفعاء حتى سمنت واستدارت بطونها بينما الابل الأخرى من إبل الحي بقيت على هزالها وضعفها وحينما سأله مولاه عن السبب قال: (رعي القفعاء بالقماري) أي في الليالي المقمرة فأصبحت كلمته مثلاً للتدليل على آثار النعمة الخفية .

والقفعاء عشبة خضراء خشنة الورق لها نور أحمر جميل تنبت في الصحراء قال أبو حنيفة : (القفعاء شجرة خضراء ما دامت رطبة وهي قضبان قصار تخرج من أصل واحد لازقة للأرض ولها نور أحمر) .

ووصفها الليث فقال : (القفعاء حشيشة خوارة، من نبات الربيع خشناء الورق ، لها نور أحمر مثل شرر النار وأوراقها تراها مستعليات من فوق ، وثمرها مقفع من تحت) والتعريف الأخير هو الذي يغنينا .

قال زهير – يصف قطاة –

جونية كحصاة القسم مرتعُها بالشّيء ما تنبت القفعاءوالحسَكُ

إن بعض الكلمات التي نعتقد أنها عامية حينما نبحث عن مصادرها نجدها عربية فصحى كقولنا : (لطَسَ) بمعنى ضرب وهي صحيحة مأخوذة من الملطاس وهو المِعْول الذي يكسر به الصخر .

قال امرؤ القيس :

تردى على صم الصلاب ملاطس شديدات عقد لينـــات مثاني

وكلمة (نبيث) يعني تراب البئر والفعـــل الماضي منها (نبَثَ) و (النثيلة)) تراب الركيّة ، والفعل الماضي منها (نثل) .

و (متح) بمعنى رفع الماء من البئر فاعلها (ماتح) وفي المثـل القديم (لأنا أعلم به من المائح باست الماتح) والمائح هو الذي يملأ الدلو بالماء من أسفل البئر.

قال الحطيئة في هجائه للزبرقان بن بدر :

وقـــد مدحتكم عمداً لأرشدكم كيما يكون لكم مَتحي وإمراسي

و (الامراس) هو إعادة الحبل إلى البكرة ، والرشاء وهو حبل مفتول من جلد مقدد أو غيره يوصل بالدلو لرفع الماء من البئر ، قال زهير بن أبي سُلْمى :

فشجّ بها الأماعز وهي تهْوي هُوِيَّ الدَّلو أسلمها الرِّشاء

ومن الكلمات التي يلفظها العامة صحيحة كلمة (التخاريص) وهي ما يوصل به الثوب من جوانبه ليوسعه ، أصلها فارسية جمعها الدخاريص والمفرد دخريص من القميص والدرع ثم عرّبت فقيـــل تخاريص ، والبنيقة طرف التخاريص ، وكذلك (الشّليل) طرف الدرع أو الثوب .

قالت الخنساء :

ويلُمّه مسعر حرب إذا أُلقي فيها وعليه الشليل

و (المغر) وهو اللون الأحمر أصله من التراب الأحمر اللون يلفظه العامة باسمه الصحيح وكثيراً ما نرى البدو وقد اصطبغت ثيابهم بلون أحمر وعندما نسألهم عن السبب يقولون انه بسبب المغر وهم يستخدمونه في الطب الشعبي لعلاج الحصبة — .

قال الشاعر يصف الصقر :

من عاقص امغر الساقين منصلت في الخد منه إذا استقبلته سفح

و (العندم)وهو دم الأخوين،تعرفه العامةويلفظونه صحيحاً ويستخدمونه في الطب الشعبي .

قال عنترة من معلقته :

سبقت يداي له بعاجل طعنةٍ ورشاس نافذة كلون العندم

ويقولون لنوع من الدهن (ودك) وهم يلفظونه باسمه الصحيح قال زهير ابن أبي سلمى :

ليأتينك مني منطق قذع باق كما دنس القبطيَّة الوَدكُ

هذه أمثلة قليلة وكما قلت في سياق رحلتي هذه فإن غايتي هي الخروج بخلاصة سريعة نستنتج منها أن اللغة العربية الفصحى التي تنطق منذ عهد بعيد هي نفسها اللغة التي ينطقها اليوم – وإلى الأبد إن شاء الله – أبناء الجزيرة العربية صحيحة سليمة من كل لوثة أو عامية وما ذلك إلا بحكم فطرتهم وسليقتهم العربية الصافية .

فالى اؤلئك المنادين بالعامية مبدءاً ، من دعاة التشكيك نقول لهم .

(حديث خرافة يا أم عمرو)

فان لغة القرآن ستبقى خالدة مدى الدهر تنطقها أمة تمتد حدودها من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي .

الجوف – ثاني الحميد

« ملاحظات حول لمحات من تاريخ حضرموت »

اطلعت على (لمحات من تاريخ حضرموت) بقلم الأخ الفاضل الأستاذ صالح سعيد بن هلابي في مجلة العرب ص ٧٣١ وقد أعجبت بذلك العرض التاريخي ونظراً لأهميته فاني أقدم الملاحظات الآتية :

ذكر في ص ٧٣٢ س ١٨ (ومن أشهر المحافد والامارات شبام وهينن والشحر والعروض ودمون وعندل) .

١ – قلت: إن اسم العروض – لم يرد ذكره كمحفد أو مدينة أو قرية في هذه المنطقة في المصادر القديمة أو الحديثة التي تناولت بحث جغرافية أو تاريخ منطقة الكسر – كسر قشاقش – بدليل أن العلامة الهمداني المتوفي بعد عام ٣٣٤ هـ أسهب نوعاً ما في ذكر مدن – منطقة الكسر وقراه – في كتابه « صفة جزيرة العرب[١] » إلا انه لم يشر إلى اسم العروض وبالمثل فان العلامة المؤرخ والجغرافي الطيب بن عبد الله بامخرمة المتوفي في عام ٩٤٧ في كتابه القيم « النسبة [٢] إلى المواضع والبلدان » لم يذكر اسم العروض .

وأخيراً فان العلامة مفتي حضرموت السيد عبـــد الرحمن بن عبيد الله السقاف في كتابه « تقويم[٣] بلدان حضرموت » لم يذكر هذا الاسم : والذي يظهر ان اسم العروض المعروف في الأوساط الشعبية حادث ، ويشمل جزءاً يسيراً من منطقة الكسر من قرية لخماس جنوباً إلى وادي حوران شمالاً ، ويحتوي على عدد من القرى على شكل عقد ، حول سفح جبل ، وكلمـــة (عرض) وجمعها عروض تطلق في حضرموت على القرية أو القرى التي يكون موقعها في سفح جبل – مثل عرض أبي زيد – وعرض المخاشن ، وغيرهما وهما في منطقة الكسر وعلى محاذاة (العروض) التي ذكرها الكاتب الفاضل .

حدود حضرموت

٢ – جاء في ص ٧٣٢ : (أما موقعها فهي تقع بين رمال الأحقاف شمالاً والبحر العربي جنوباً وما بين عين بامعبد غرباً وسيحوت شرقاً .. الخ)

قلت : لقد استهدفت حدود حضرموت لمد وجزر ، تبعاً لقوة السلطة الحاكمة في ذلك القطر وضعفها والحدود التي ذكرها الأخ الكريم نص عليها بعض المؤرخين .

إلا أنها لا تمثل حدود حضرموت الطبيعية التي يجب أن تكون معروفة تماماً للحقيقة والتاريخ بصرف النظر عـــن الظروف التي سببت جزراً في حدودها .

ففي كتاب « مفتاح السنة لأبي بكر الشراحيلي » كما حكاه العلامة الشيخ عبد الله بن محمد باقشير في كتاب « السعادة والخير » ان آخر حدودها أي حضرموت : ظفار ، وهو يقتضي دخول ظفار فيها وهو يوافق قول ابن خلدون واليازجي في أن حدها الشرقي عمان . وقال الشيخ العلامة عبد الله باسودان عن شيخه العلامة علي بن شهاب الدين العلوي انه قال حضرموت في العرف العام من مرباط الحبوظي إلى حبان[٤] . ويرى العلامة علي بن حسن العطاس أن آخر حدودها من الساحل إلى « مارب[٥] » .

وذكر الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري أن حدودها من عدن غرباً إلى عمان شرقاً [٦] .

ويقول الأستاذ حسين علي الويسي المؤرخ اليماني المعاصر عن بلاد العوالق : (وهي في التخطيط القديم من حضرموت [٧]) .

ولقد تتبعت بعناية أكثر المصادر التي تشير إلى مناطـــق حضرموت وحدودها : فالمصادر القديمة تؤيد أن حدود حضرموت غرباً إلى أبعد مدى من — عين بامعبد — وهذه تقع في إمارة الواحدي .

فقد ذكر بطليموس Ptolemaeus أن مدينة Cane - Emporium هي ميناء حضرموت وأما اريانوس Arrian فجعلها الميناء الرئيسي لملك أرض اللبان وقد أسماه Elezus الذي يحكم في عاصمته Sabatha شبوة ، وذكر مثل ذلك صاحب كتاب « الطواف حول البحر الاريترى » ويقصد بارض اللبان حضرموت وفي ميناء Cane تجمع هذه المادة الثمينة وتصدر إلى الخارج ، إمّا براً أو بحراً .

ويقع هذا الميناء إلى الشرق من عدن وتقع مسافة منه جزيرة Orneon أو جزيرة الطيور وجزيرة Trulla ويقع إلى الشرق من ميناء Cane ميناء آخر يقال له Methath - villa ويرى فورستر Furster من وصف هـــذا المكان الوارد في بعض الكتب القديمـــة ان موضعه هو المحل المعروف باسم (حصن غراب) وذهب إلى هذا الرأي شبرنكسر A. Sprenger Glaser وجلاسر [٨] .

ومعنا Cane -Emprium ميناء الغرب.

ويفهم من نص أثري وجـــد في حصن الغراب محرر ٥٢٥ م . ان اسمه السابق عرماوييت [٩] . أما حصن الغراب فهو اسم حادث بعد ظهور الاسلام والغريب أن العلامة الهمداني لم يذكر هذا الميناء العريق إلا أن ابن المجاور — وقد عاش في القرن السابع — نص على اسمه الحالي : (حصن الغراب)

والمهم أن نفهم من سياق بحثه انه داخل في حدود حضرموت ، ومع هذا فلا نعفيه من خطائه حيث زعم انه حصن السموأل بن عاديا وهو وهم [١٠]منه ومما سبق فان هذه المصادر وغيرها تؤيد ما ذهب اليه العلماء الأفاضل أبو شراحيل وأبو قشير وأبو سودان وابن شهاب . وأخيرا الشاطري والويس ويمكن القول استناداً إلى ذلك ان حضرموت تقع بين خطي الطول (٤٦ و ٥٥) شرقي جرنتش وقـــد سبق ان ذكرت ان أرض العوالق هي في التخطيط القديم من حضرموت ثم حددها غرباً بخط الطول ٤٦) .

« حضرموت قبل الاسلام مقسمة بين كندة وحضرموت القبيلة »

٣) جاء في ص ٧٣٤(أن كندة كانت تطمع في فرض سيادتها على حضرموت وهذا ما حصل فعلاً عندما سنحت لها الفرصة بضعف الدولة الحميرية وانحلالها فقد أقامت حكمها على انقاض هذه الدولة حتى جاء الاسلام وكندة صاحبة الطول والحول في البلاد الحضرمية) .

قلت : ان تاريخ حضرموت قبيل الاسلام يكتنف قطاعات كبيرة منه الغموض والابهام ومع هذا فان العلامة اليعقوبي المتوفي عام ٢٨٤ سلط ضوءا على قطاع من تاريخ كندة وحضرموت القبيلة – ويمكن تلخيص ما ذكره بما يلي :

(كان بين كندة وحضرموت حروب افنت عامتهم ثم بعد أن عدد أسماء القادة الذين اداروا دفة الحرب من الجانبين. قال:وطالت الحرب بينهم وافنت رجالهم ودامت حتى ضرستهم وكثر القتل في كندة وملكت حضرموت علقمة بن ثعلبة وهو يومئذ غلام . فلانت كندة بعض اللين وكرهت محاربة حضرموت ودخل أهل اليمن التشتيت والتفريق فلما افترق اهل اليمن وانتشروا في البلاد ملك كل قوم عظيمهم وصارت كندة إلى أرض معد فجاورتهم...الخ[١١].

ومن ناحية أخرى فان وائل بن حجر الحضرمي أمير الساحل وكبير أقيال

حضرموت وفد على رسول الله ﷺ واستقطعه أرضاً فاقطعه اياها وكتب له عهداً وقال (هذا وائل سيد الأقيال)[١٢] وقال أيضاً « يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت طائعاً راغباً في الله ورسوله وهو بقية أبناء الملوك» واستعمله النبي ﷺ على أقيال حضرموت [١٣] .

كما أن هناك (أقيال) آخرون كانوا يتمتعون بنفوذ سياسي ويحكمون مناطق في حضرموت رشحهم ذلك لأن يبعث اليهم رسول الله ﷺ برسائل خاصة بهم منهم ربيعة بن ذي مرحب ومسعود بن ذي مرحب ومسعود بن وائل وربيعة بن لهيبة . [١٤]

وهؤلاء جميعهم من قبيلة حضرموت وبناء على ما سبق فان كل هذه الأدلة تثبت أن قبيلة حضرموت كانت تتبوأ مركزاً سياسياً مرموقاً وتملك مناطق واسعة في حضرموت وعلى هذا فلا يمكن القول (بأن كندة صاحبة الطول والحول في البلاد الحضرمية .. كما سبق .

منازل حضرموت القبيلة في حضرموت

(٤) قال العلامة الهمداني:(وأما شبام فهي مدينة الجميع الكبيرة وسكانها حضرموت وحصن حذية ثم المزين ومدودة . وتريس . ومشطة ونخا — ثم قال : والنخا في بلد بني مجيد ثم الحجر . [١٥]

ويقول العلامة المؤرخ السيد صالح بن علي الحامد: (وأما قبيلة حضرموت فمساكنهم الجهة الشرقية والوسطى من وادي حضرموت ولا يخالطهم فيه إذ ذاك الا من شذ أو دخل فيهم من السكون أو غيرهم وأول بلدانهم شبام — وهي أول بلد حمير يعنى : حضرموت ثم سرد أسماء المدن والقرى كما سبق اعلاه عن الهمداني [١٦] ومن منازلهم الشاطىء (ساحل حضرموت) وقد مر بنا ان وائل بن حجر كان أمير الساحل وبديهي ان حكمه في الساحل انما قام على حراب وعصبية قومه (حضرموت) الذين هم دون شك يشكلون رقماً بارزا في سكان الساحل .

واذكر بهذه المناسبة ان الفاضل مؤلف[جواهر تاريخ الاحقاف] وَهِمَ وقال:(ان منازل حضرموت القبيلة ليست بحضرموت) [١٧] وهو رأي تفرد به لا يتفق وما نصت عليه المصادر الموثوق بها .

وجاء في ص ٧٣٤ س ١٩ (ومن أشهر ملوك كندة الملوك الأربعة وهم مخوص – ومشرح – وجمد – وأبضعة .

٥ – واختهم العمرّدة ثم قال وكان الاشعث بن قيس أمير بني الحارث بن معاوية ووائل بن حجر أميراً على الشاطىء بالساحل »

لفد ذكر الاستاذ الفاضل وائل بن حجر في سياق ملوك كندة والصواب انـــه كبير حضرموت القبيلة واذكر بهذه المناسبة أيضاً أن احد المؤرخين الحضارم المعاصرين طبع تاريخه في الخمسينات من هذا القرن وهم كذلك وعد وائلا في ملوك كندة والثبت ما ذكرته .

٦ – وذكر في ص ٧٣٥ س ١٦ (ومن منازلهم سديه) بالياء المثناة من تحت ولعل الكاتب الفاضل اعتمد على طبعة ابن بليهد(صفة جزيرة العرب) الا أن الصواب (سدبه) بالباء الموحدة من تحت . [١٨]

وهذه القرية لاتزال عامرة تحتفظ بهذا الاسم إلى يومنا هذا ومرة أخرى أقدم جزيل شكري الى الاستاذ الفاضل كاتب اللمحات الذي أمدنا بمعلومات قيمة عن ذلك القطر العربي العريق في المدنية وبالرغم من الكتب التاريخية القيمة التي صدرت أخيراً بفضل جهود بعض أبنـــاء حضرموت الا اننا لا نزال بحاجة شديدة إلى المزيد من البحث والدراسة .

ويسرني بهذه المناسبة ان احي جهود العلامة الكبير الدكتور جواد علي الذي أمدنا بفيض زاخر من المعلومات التاريخية الأثرية عن ماضي حضرموت وكل البلاد العربية قبل الاسلام وان كل باحث في تاريخ العرب القديم سيلقى

في موسوعة الدكتور جواد علي مطلبه في كتابه العظيم [تاريخ العرب قبل الاسلام*] بارك الله فيه ومتعنا بعمره لخدمة التاريخ العربي ·

مكة المكرمة - هادون العطاس

المصادر

(١) الهمداني صفة جزيرة العرب ص ٨٥ - ٨٦ ط : ابن بليهد

(٢) بامخرمة (النسبة الى المواضع والبلدان) مخطوط توجد منه نسخة قوبلت على الأصل الام بالمدينة المنورة المكتبة المحمودية تحت رقم ٤٧ .

(٣) للسقاف - تقويم بلدان حضرموت. مخطوط النسخة الوحيدة بقلم المؤلف تفضل مشكوراً باعارتها لي الأستاذ حسن عبد الرحمن نجل المؤلف .

(٤) الحامد (تاريخ حضرموت ص ٧ - ٨ مع الهامش بتصرف ط مكتبة الارشاد بجدة .

(٥) العطاس (الرياض المؤنقة مخطوط لوح ٢ توجد منه نسخ بحضرموت .

(٦) الشاطري - أدوار التاريخ الحضرمي ج ١ ص ١٩ ط مكتبة الارشاد بجدة .

(٧) الويس اليمن الكبرى ص ١١ ط النهضة المصرية

(٨) جواد علي الدكتور تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ / ٨٥ - ٨٦ بتصرف ط النفيض ببغداد .

(٩) دائرة المعارف الاسلامية ح ٧ / ٤٥٢ - ٤٥٤ الترجمة العربية : مادة حصن غراب بحث كتبه المستشرق J. schliefer سليفر .

(١٠) ابن المجاور تاريخ المستبصر ص ٢٧٠ ط ليدن (هولندا)

(١١) اليعقوبي تاريخ اليعقوبي ج ١ / ٢١٥ ط دار صادر ببيروت .

(١٢) ابن حجر الاصابة ج ٣ / ٥٩٣ ط مصطفى محمد .

(١٣) ابن عبد البر : الاستيعاب ج / ٣ / ٦٠٥ هامش الاصابة ·

(١٤) حميد الله : الوثائق السياسية للعهـــد النبوي والخلافة الراشدة ص ١٦٨ - ١٧١ ط للجنة الترجمة والنشر والنشر القاهرة .

(١٥) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٨٦ - ٨٧ .

(١٦) الحامد : تاريخ حضرموت ص ١٥ .

(١٧) باحنان الكندي - جواهر تاريخ الأحقاف ص ٤ ط الفجالة الجديدة .

(١٨) باوزير : معالم تاريخ الجزيرة العربية ص ٢٣١ . دار الكتاب العربي القاهرة .

حول (قوّ)

كتب الأخ الأستاذ سالم بن ابراهيم الدُّبيب ، من مدينة بُريدة يقول :

اطلعت على مجلة العرب الجزء العاشر الصادر بتاريخ ربيع الثاني سنة ٨٨ وقرأت البحث المعنون بديوان جميل وقد ورد فيه اسم (قو) واد بعقيق بني عُقيل على مقربة من المدينة فرأيت لفت نظركم لى أنه يوجد واد كبير يعرف باسم (قو) يقع شمال المدينة المنورة بجوار الطريق المعبَّد المتجه من المدينة إلى تبوك ويبعد عن المدينة حوالي ٣٠٠ كم ، شمالاً عن خيبر بحوالي ٦٠ كيلاً . وهذا الوادي مستطيل من الشمال إلى الجنوب وهو واد فحل ، وفيه أشجار طلح كثيرة وكبيرة، ويجواره واد صغير يعرف باسم (قُوَيّ) وبجوار هذا الوادي أي قو من الجنوب جبل كبير يعرف باسم (ردام) الذي قال فيه أحد شعراء النبط :

خطْوَ الوَلدْ لا رقد ما قام يفرح بظل الخرابيش [1]
وخطوَ الولدمثل ذيب رْدام [2] عشاه مـا هو تناويش

كما يوجد بشمال هذا الوادي وبالتحديد عن يمينه للسالك إلى تبوك جبلي (برْد) و (روافْ) . وكل هذه المحلات تسكنها بادية رحل من قبيلة عنزة . فلعل هذا الوادي هو الذي عناه جميل .

العرب : ما ذكره الأخ الأستاذ سالم الدُّبَيب هو أقرب موضع لبلاد جميل وقومه ، فلعله أراده .

وهناك موضع يدعى باسم (قوّ) ولكنه بعيد عن بلاد جميل ، إنه يقع في شمال القصيم ، بقرب الأسياح المعروفة قديماً باسم النباج ، نباج بني عامر، يقع في الشمال الغربي منها ، على ما حدده الإمام أبو اسحاق الحربي في كتابه « المناسك » الذي حدد فيه مواضع طرق الحج العراقي أوضح تحديد ،

(١) الخرابيش : بيوت الشعر واحدها يسمى خربوش .

(٢) جبل ردام مشهور بكثرة الذئاب وهو ينطق باسكان الراء كعادة العامة في مثله من الأسماء .

وسنورد كلامه على طوله لما فيه من الفائدة ، قال [1] يصف طريق حجاج البصرة :

[ثم من وراء هذا رمل الشقايق ، وهو سبعة أحبُل، بينها سبع شقايق، لكل حبل منها اسم ، ولكل شقيقة اسم ، فزعم الناس أن قوماً ضلوا في شقيقة منها ، فأخذوا ذات اليسار ، ومضوا في الشقيقة ، فلم يزالوا في ضلال، حتى خرجوا في وادي اليمن من وراء بلاد اليمامة .

فآخر شقيقة منها مما يلي مكة المغرة ، وهي أرض حمراء ، كأنما صبغت بالعصفر ، وحجارتها كذلك ، تتصل بالحبل الذي يقال له حبل الحاضر من الرمل ، وهو آخرها ، وهو يشرف على النباج نباج ابن عامر .

ثم من وراء حبل الحاضر من الرمل أقواز صغار يمنة ويسرة عن الطريق ، والمحجة فيها أحياناً رمل دعس ، وأحياناً قيعان، منها قاع بولان، الذي يقول فيه الراجز :

بقاع بولان دَعَوْتْ ربّي دعوة عبد محرم ملبّي

وانما سمي بذاك لأنهم إذا صاروا فيه في المطر زلقت فيه الإبل ، ووحلت .

فتلك الأقواز والأجارع يمنة الطريق ويسرته ، يقال لها القصائم ، كان بها لصّ يقطع الطريق في الاسلام ، يقال له أبو حردبة قال الراجز :

الله نجّاك من القصيم ومن أبي حردَبّة الأثيم

وبهذه القصائم أودية فيها شجر فاكهة من التين والخوخ ، وفاكهته أطيب فاكهة ، وأعذبها وأرقها .

ثم النّباج : أخبرني أبو العباس الثمالي عن التوّزي عن الأصمعي: والنباج إنما سميت لكثرة أهلها ، وكثرة الأصوات ، يقال : رجل نبّاج ، إذا كان كثير الكلام ، ومن السُّمينة إلى النباج ثلاثة وعشرون ميلاً .

وبالنباج عين ونخل كثير ،ومسجد ومنبر، ومنها يعدل من أراد المدينة...

---

(١) ص ١٨٦ نسخي المصورة عن نسخة مكتبة مشهد .

أخبرني ابن أبي سعد عن النوفلي عن أبيه أن على عشرة أميال من النباج بلد لبني أسيّد ، قفّ يعترض الطريق ، مرتفع ، به نخل ، يقال له الصَّريف للعرب فيه أخبار وأشعار) وقال أيضاً :

(ولأهـــل البصرة [1] إلى المدينة طريقان : أحدهما لم تركب منذ دهر للمخاوف – إلى أن قال – : ثم الطريق التي يسلكها الناس اليوم :

يعدلون من النباج ، نباج ابن عامر فيتيامنون، فيصحبون من ليلتهم ببطن قوّ ، وهو واد يقطع الطريق ، تدخله المياه ولا تخرج منه ، وقد بنيتْ فوقه قنطرة يعبر الناس عليها ، وليس به حفائر ، إلا أن يكون في البطن ماء .

ثم يرتحلون منه ، فيصبّحون ماء لبني عبس يقال له أثال وأثال عقبة [ثم أورد شعراً لامرىء القيس فيه وقال] فبين أثال وبين الماء الذي ينزلون فيه ثلاثة أميال ، وهي عيون ابن عامر، وهي مياه ونخل،ثم يخرجون فيصبّحون الناحية ليس بها ماء .

ثم يسيرون إلى الفوّارة ، فيصبحون بها ، دبها عيون ونخل كثير ، كانت لعيسى بن جعفر .

ثم يخرجون فإذا جاوزوها بستة أميال عَرَض لهم قطن عـــن أيمانهم ، فاذا جاوزوه اتسعت لهـــم الأرض ، وتنحّت الجبال ، ففي ذلك الموضع مضلّة ، فمن لم يضلّ قصد إلى بطن الرُّمة ، فينزلونه ، وبه غدير الدهر لا يكاد يعدمه ماء ، وليس به أنيس ، ثم يخرجون منـــه فيصبّحون النقرة ، فيوافون بها أهل الكوفة) .

تاريخ ابن عيسى

جاء في كتاب « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » للشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى ، في سرد حوادث سنة ١٢٩٣ ص ١٨٨ ما هذا نصه : (وفي سنة ١٢٢٣ توفي الشيخ عبـــد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن) . فكيف

---

(١) ص ١٩٦ و ١٩٨ وما بعدها .

يذكر هذا في حوادث سنة ١٢٩٣ – إلا إذا كان في الكلام خطأ ، وأن الصواب في سنة ١٢٩٣ – وأن ذلك غلط مطبعي :

الرياض : سعد بن يحيى

العرب : شكراً للاخ ، وما ذكر صحيح ، فوفاة الشيخ عبد اللطيف رحمه الله كانت في ١٤ ذي القعدة سنة ١٢٩٣ – وما وقع هنا تطبيع.

وانظر ترجمة الشيخ في« عقد الدرر » لابن عيسى في حوادث تلك السنة.

ومثل هذا الخطأ وقع أيضاً عند ذكر وفاة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين (ص ١٧٧) حيث جاء الكلام خطأ : (وكانت ولادته سنة ١٢٨٢) بينما الصواب (كانت ولادته سنة ١١٩٤) أما وفاته فهي سنة ١٢٨٢ – وقد سبق التنبيه على هذا الخطأ ، وعزّ المتفرد بالكمال .

عكاظ في كتاب « بلاد العرب »

جاء في هامش (ص ٣١) من ذلك الكتاب : (لي بحث حددت فيه موقع عكاظ ، مطبوع في رسالة ، وخلاصته أنه يقع (جنوب) الطائف ، بمسافة تبلغ بضعة عشر كيلا ، عند التقاء أودية الطائف ، ومفيضها في سهل ركبة ، ويمر به الآن طريق السيارات إلى نجد) .

وكلمة : (جنوب) سبق وهم ، صوابها : (شمال) كما يفهم ذلك من جميع الأوصاف المذكورة .

والفضل في التنبيه إلى ذلك للأخ الأستاذ عبد الرحمن الحاقان – جزاه الله خيراً – وأكثر أمثاله ممن يرشدون وينبهون ، ويكونون عوناً لاخوانهم على ما فيه النفع العام .

هذا حديث موضوع

... قرأت العدد السابع من هذه السنة وهو عدد الشهر المحرم قرأت في

مكتبة العرب

● **الكتاب :**

هذا هو اسم المجلة التي تصدرها جمعية الكتاب والمؤلفين في العراق،ويرأس تحريرها الأستاذ الدكتور (يوسف عز الدين) وقد طالعنا الجزء الأول منها فرأيناه حافلاً بالبحوث وبالقصائد التي تلائم مستوى مجلة يشرف على تحريرها من كتاب ذلك القطر الكريم نخبه طيبة وقد جاء ذلك الجزء في ١٧٠ صفحة في طباعة حسنة ، وضم أبحاثـــاً لبعض مشاهير الكتاب والباحثين من غير العراق كالدكتور عبد الحليم منتصر والشاعر صالح جودت والأستاذ عبد العزيز جادو في مصر والأستاذ عيسى الناعوري في الأردن .

ص ٥٩٤ بحثا عنوانه الحارث بن كلدة. والذي أثار انتباهي هو انه في الصفحة المذكورة ذكر الكاتب (العلم علمان : علم الأديان ، وعلم الأبدان كان هذا هو شعار العرب ومن أقوالهم المشهورة بل هو حديث مرفوع) .

وبعد التحقق من البحث تأكدت بأنه حديث موضوع .

قال الشوكاني في الفوائد المجموعة صفحة (٢٨٤) قال : حديث العلم علمان. قال الصغاني موضوع وقال : على القارىء في الموضوعات صفحة ٥٥ (حديث العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان) موضوع كما في الخلاصة .

وقد ذكر العجلوني في كتابه « كشف الخفا » وضعه .

فعليه يرجى التثبت في مثل ذلك وتحري الصواب وفقكم الله لما يحبه ويرضاه وجنبكم نواهيه .

عمر بن عبد العزيز العثمان : المدرس بمعهد مكة العلمي

الفهارس العامة للسنة الثانية

١ ــ الكتاب والشعراء والمعلقون

أحمد البهكلي : (صوابه :حسن أحمد)
أحمد بن محمد الضبيب (دكتور) ٣٥٤، ١٠٥٦ ، ١١٢٥
أسعد علي (دكتور) ٨٤٩
أمين رويحه (دكتور) ٥٩٠
ثاني الحميد : ١١٢٩
الجشّي : ٣٠٤ ، ٧٣٠ ، ١٠٧١
حسن أحمد البهكلي: ٢٩٦، ٤٣٠، ٥١٥
حسن بن السيد علوي : ٨٥١ ، ٨٩٢
حسين بن سرحان : ٦٠٦ ، ٦٩٧ ، ١٠٦٩ ، ١١١٤
حمد الجاسر : ١ ، ٨٥ (١)
حمد الزيد : ٥٣٨ ، ٧٥٨
سالم الابراهيم الدُّبيب ، ١١٣٨
سعد البواردي : ١٢٢ ، ٦٠٧
صالح أحمد العلي (الدكتور) ٩٧٦
صالح بن سعيد بن هلابي : ٧٣٧
عبد الرزاق الرَّيس ٦٤٥
عبد الرحمن الأنصاري (دكتور) : ٤٥٤
عبد العزيز القارىء : ٥٣٤
عبد العزيز بن فيصل المبارك : ٥١
عبد الكريم بن جهيمان : ٢٨
عبد الله بن علي الماجد : ٣٠١، ٣٥٩ ، ٤٦٢ ، ٦٠٥ ، ٦٧٩ ، ١١٢٧
عبد الله نور : ٧٢٧
عمارة بن علي الحكمي : ٨٨٩
كال اباظة : ٥٧٦ ، ٦٦٨

(١) : المقالات التي بدون توقيع هو كاتبها .

محمد بن أحمد عيسى العقيلي : ١٧ ، ٩٢ ، ١٢١ ، ٢١٦ ، ٥١١، ٦٩٣، ٧٢٩
محمد أنعم غالب : ٧١ ، ١٨٩ ، ٢٥٠، ٣١٥ ، ٤٣٧ ، ٥٣٩ ، ٥٥٣
محمد العبودي : ١٨ ، ٥٣٣
محمد سعيد حسن كمال : ٤٣٠
محمد الفهد العيسى : ٤٤ ، ٢١٧، ٣١٢
محمود محمد شاكر : ٧٩٧
مقبل العيسى : ٤٣٢
هادون العطاس : ٧٥٧، ١١٣٧
يوسف الحميدان (دكتور) : ٦١٠

٢ ــ الموضوعات العامة

الآثار : ٥٧٧ ، ٦٢٩ ، ٦٧٣
آل أجود ، حكام الأحساء : ٩٣
أبحاث أدبية من جنوب الجزيرة: ١١٥
ابراهيم الخياري المدني : ٢١٩
أحاديث حول تراثنا المبعثر في المكتبات : ٨٥ ، ٢٥٩ ، ٣٣٣، ٤٦٧ ، ٥٦١ ، ٧٤١ ، ٩٢٧
أحمد آتش : ٢٧٠ ، ٣٧٤
أديب مجهول من الطائف : ١٧٦
الأمثال العامية في نجد : ١٨ ، ٥١٦
أين الحجون وأين كداء ؟ : ٨٦٥
بلقيس ملكة سبأ : ٤٢٢ ، ٧٦٨
بعض من الفو عن الحيوان : ٦٩٤
بناء الكعبة المعظمة : ٥١٢
بنت الخسّ (أنظر المجلد الأول) : ٩٦
بنو قشير : ١٢٧
بين الفصحى والعامية : ١١٢٨
تاريخ ثمود : ٢٩١
التراث الشعبي : ٩٦١، ١٠٦٦
التعدين عند العرب . ٨٠٧
ثاج : ٦٢٩
جامعة الرياض تعنى بتراثنا الشعبي : ٩٦١
جمال الدين الشيال : (دكتور) : ٣٧٧
جهينة : (قبيلة جهينة) حرف القاف.
الحارث بن كلدة : ٥٩٣ ، ٧٥٦
حج إلى نجد : ٢١ ، ١٨٢ ، ٢٥٠ ، ٣١٥ ، ٤٣٧ ، ٥٣٩
الحجون : ٨٦٥.
الحضراوي المكي : ١١٢
حكام الأحساء : (آل أجود)
حملة بحرية حربية بين ظفار وعدن : ٢٠٣
حول كتاب الأمثال : ١٠٥٢
الدرعية : قاعدة الدولة السعودية : (أنظر المجلد الأول) : ٤٤ ،

٣٠٥ ، ٤٣٣
دلافيدا (المستشرق) : ٣٧٦
رحلة إلى نجد : (حج إلى نجد)
سارق نعامة السلطان (قصة) : ٢٨
ابن سعيد المغربي : ٨٥٠
الشيبي المكي : (محمد بن علي جمال الدين)
الصمّة القشيري الشاعر : ١٢٧
ابن أبي الصيف : ١٠١
الطائف قطر الطائف: ١/٩٧/١٠١
الطب البدوي في جزيرة العرب : ٢٩٧ ، ٦٠٨
طرق المواصلات في الحجاز : ٩٦٣
عبدالرحمن بن عيسى بن مرشد المكي: ٧٤٩
عبد الحفيظ القارىء : ١١١
عبد الستار الدهلوي : ١١٤
عبد القادر بن أحمد بن فرج — مؤرخ جدة — ١٩٨
العجيمي : ١١٠
ابن عراق : ١٠٧
عكاظ : ٨٥١ ، ١١٤١
على هامش جمهرة النسب لابن الكلبي : ٦١١
ابن علان المكي : ١٠٨
العناية بالآثار التاريخية : ٥٧٧
الفاكهي المكي : ١٠٦
فؤاد السيد : ٣٧٢
ابن فهد المكي : ١٠٤
في تاريخ خليفة نقص : ٢٨٩
الفيروز آبادي : ١٠٣
في مرابع حاتم الطائي : ١٠٥٧
قبائل الطائف : ٣٨٨
قبيلة جهينة (أنظر المجلد الأول) : ٥٩ ، ٢٤٥ ، ٣٦٠ ، ٤٥١ ، ٦٤٨ ، ٧٣٧ ، ٩٣٢ ، ١٠٠٢ ، ١١١٣
قرى عدوان : ٣٩٣
قرى عربية : ٧٦٩
قُشَير : ١٢٧ .
ابن كمال الطائفي : ١١٣
كداء : ٨٦٥ .
الكهف المذكور في القرآن الكريم : ٢٧٨
اللفتات الفنية في شعر ابن لعبون : ١٠٦٦
لقطة غلَيس : مثل — ٧٦١
لمحات تاريخية عن حضرموت : ٧٣١ ١١٣١
مجمع اللغة العربية : ٣٨٥
محمد بن عبد الملك الفقعسي (الشاعر): (أنظر المجلد الأول) : ٩٥
محمد علي التاجر : ٣٧٦
محمد بن علي الشيبي جمال الدين : ٧٤٦
ابن مرشد المكي : (عبد الرحمن بن عيسى)

مصطفى الشهابي (الأمير) ٩٤٩
مع الشيخ ابراهيم الخياري في رحلته: ٢١٩
المعادن القديمة في بلاد العرب : ٥٨٠، ٧٩٨ ، ٩٠٧ ، ٩٧٨ ، ١٠٩٢
مقاطعة جازان : ٤٨٤ ، ٦٧٩ ، ٨٧٦
مكتبات اصطنبول : ٨٦ ، ٩٠ ، ٢٥٩
المكتبات في جدة : ٨٩٦
المكتبات في جزيرة العرب : ٨٩٣
المكتبات في الرياض : ٩٠٠
المكتبات في الطائف : ٨٩٦
المكتبات في المدينة : ٨٩٦
المكتبات في مكة : ٨٩٤
المكتبات في اليمن : ٩٩٤
مكتبة الأحساء : ٩٠٢
مكتبة أيا صوفيا : ٣٣٤
مكتبة بريدة ٩٠٢
مكتبة حسين شبلي : ٤٦٧ ، ٤٦٩
مكتبة حوطة سدير : ٩٠٢
مكتبة الدمام : ٩٠٣
مكتبة راغب باشا : ٧٤١
مكتبة السلطان أحمد الثالث : ٣٦١
المكتبة السليمانية : ٢٧١ ، ٤٦٨
مكتبة شقراء : ٩٠٢
مكتبة عاشر أفندي : ٥٦١
مكتبة علي أميري : ٢٧٥
مكتبة عنيزة : ٩٠١
مكتبة قطر : ٩٠٣
مكتبة كوبرلي : ٣٣٨
مكتبة الكويت : ٩٠٣
مكتبة نور عثمانية : ٧٤٤ ، ٧٥١
مكتبة وهبي البغدادي : ٤٧٤
مكتبة يوسف أغا : ٧٤٨
مؤرخو جدة : ١٩٣
مورخو الطائف : (قطر الطائف)
الميورقي : ١٠٢
نحو معجم جغرافي حديث : ٤٨١
النضر بن الحارث : ١١٢٤
الوثائق الشخصية من الناحية التاريخية : ٥١ ، ٣٦٤ ، ٥٥٤
وصية رميثة بن قضيب : ٥٦٠
وصية صبيح : ٥٧
وصية صقر بن قطام : ٥٥٧
الهيصمية حاضرة الأفلاج القديمة : ٦٧٣
يزيد بن الطثرية الشاعر (أنظر المجلد الأول) ٩٤
يوسف العش (دكتور) ٣٧٨

٣ – الشعر

أنة المتألم (قصيدة)٨٨٩
بلادي (قصيدة) ٣٠٢
الحيّة : (قصيدة) : ١٦
دارين : (قصيدة) ١٠٧٠
رسالة إلى رفاق النور (قصيدة) ٥٣٥ ، ٧٥٨
روح الفدائي (قصيدة)٨٤٧
رسمراء : (قصيدة) ٧٣٠
رشعر الصمّة القشيري : ١٥١
شعراء جمهرة النسب : ٦١١
صرخة الغد : (قصيدة)١١٢
طريقي في الحياة (قصيدة) ٤٢١
عدمناه يقيناً (قصيدة) ٦٠٦
على ضفاف فوار انطلياس(قصيدة) : ٧٢٨
غداً يا يافا (قصيدة) ٢١٦
المسجد الأقصى (قصيدة) : ٥٣٤
نجد موطن الشعر (قصيدة) ٨٩٢

٤ ـ الكتب

[احذف كلمة : كتاب عند البحث عن الاسم]
أحداث النكبة : ٣٨٣
اسعاد آل عثمان المكرم ببناء البيت المكرم : ٤٧٩
الاشتقاق لابن دريد : ٤٧٩
الاعلام في تاريخ مكة للقطبي : ٤٨٠
الاكتفاء بتاريخ الخلفاء لابن نباتة : ٣٣٦
الاكمال لابن ماكولا : ٤٦٢
كتاب الأماكن للحازمي : ٢٧٢
الأمثال – كتاب – ١٠٥٢
الأمثال البغدادية المقارنة : ٨٦٠
الأمثال اللبنانية (رسالة مخطوطة)٤٧٨
إنباء الغمر بأنباء العمر : ٨٥٦
الأنساب للسمعاني : ٤٦٥
أوضح المسالك في معرفة البلدان والممالك : ٧٤١
اهداء اللطائف : ١١٠
إيليا أبو ماضي : ٦٧٢
الباب في النسب : ٤٧٨
بحث المعادن : ٨٠٤
بحوث في تاريخ السنة المشرفة : ٢٨٣
البحوث والمحاضرات (مجمع اللغة العربية) : ٩٥٩

البحوث والمحاضرات (في المجمع العلمي العراقي) : ٢٨٨
براعة الاستهلال ، في الهلال : ٧٤٩
البرصان والعرجان : ١٠٧٢
البرق اليماني ، في الفتح العثماني (كتاب) ٦١ ، ٢٦١ ، ٤٧٩ ، ٧٤٤
بلاد العرب : ٧٥٩ ، ١١٠٨ ، ١١٤١
تاج العروس : ٣٨٤
تاريخ بعض الحوادث : (تاريخ ابن عيسى)
تاريخ خليفة بن خياط : ٢٨٢ ، ٢٨٩ ، ٣٨٢
تاريخ الرياض : (كتاب) : ٩٢
تاريخ ابن عيسى : ٧٦١ ، ١١٣٨
تاريخ الكويت : ٩٦٠ ، ١٠٠٧ إلى ١٠٥٢
تاريخ ليبيا : ٢٨٤
تاريخ مكة للأزرقي : ٢٦٣
تاريخ مكة للقليوبي : ٢٧٣
تاريخ واسط : ٨٥٥
تاريخ الواقدي : ٤٨٠
تاريخ اليمن : ٨٥٥
التبيين في نسب القرشيين لابن قدامة : ٢٧٦ ، ٤٨٠
تحصيل المرام في تاريخ مكة للفاسي : ٣٣٥ ، ٤٧٠
تحفة العجائب في خواص الأحجار : ٧٥٣
تحفة الكرام في تاريخ مكة للفاسي : ٤٧١
تذكرة ابن حمدون : ٤٦٩ ، ٧٤٢
تحفة اللطائف : —في تاريخ الطائف— ١٠٤
تذكرة المرشدي : ٧٥٠
التراث الجغرافي اللغوي : ٦٧١
التشبيهات من أشعار أهل الأندلس : ٢٨٤
تصحيح التصحيف وتحرير التحريف للصفدي : ٢٧٣
التعريف بمصادر الأمثال : ٨٥٨
تلذذ المحب بلذاته في الألقاب : ٧٤٨
تمثال الأمثال : ٧٤٦
توشيع التوشيح : ٦٦٩
جبران حياً وميتاً : ٢٨٧
كتاب الجغرافيا المنسوب لأحمد بن الحسين الخوارزمي : ٢٦٥
جغرافية الأندلس واوربة — من كتاب البكري : ٨٥٤
جماهر الأنساب لابن حزم : ٢٧٦
الجمع بين كتابي الأنساب للرشاطي وابن الأثير : ٥٦٢
جمهرة أشعار العرب : ٣٣٩ ، ٧٤١

جمهرة النسب : ٦١١
الجواهر المعدة في فضائل جدة : ٢٠٠
كتاب الجوهرتين — في المعادن — : ٧٩٩
الحركة اللغوية في الأندلس : ٦٦٩
الحماسة البصرية : ٤٧٢
خلاصة الأخبار في تاريخ المدينة لمحمد عاشق الحنفي : ٣٣٥
خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام لعلي بن بالي الحسيني القسطنطيني : ٢٧٥ ، ٤٨٠
دائرة المعارف للبستاني : ٦٦٩
الدامغة : (شرح القصيدة الدامغة)
الدرر الفرائد المنظمة : ٥٣٢
دستور الأعلام : ٧٤٥
دليل المناهل : ٤٨٤
ديوان جميل : ٨٦٤ ،
ديوان محمد عيّاد : ٩٤٤
ديوان النابغة الذبياني : ٨٦٣
ديوان النُّمَيري (جران العود) : ٣٣٧
راحة المغنّى ، في المثنى : ٧٤٨
رحلة إلى بلاد نجد (كتاب) : ٣٤٢ ، ٣٦٤ ، ٤٥٤ ، ٤٥٧ ، ٥٧٢
رحلة الشيخ الخياري (كتاب) : ٢١٩
رحلة النابلسي : ٤٨٠
الرحلة النجدية الحجازية : ٦٧١
رسالة عن جدة — لابن فهد : ١٩٦
رسالة عن فضائل الطائف : ١١١
رسالة عن الطائف للقاري : ١١٢
رسُل الملوك للحسن بن محمد ابن الفرّا : ٢٦٥
الروض الأنف : ٤٧٠
الزُّبدة فيما عليه من نسب ذراري السبطين العمدة : ٤٧٨
السلاح والعدة في تاريخ جدة : ١٩٨
شرح القصيدة الدامغة : ٩٢٩
شرح النجديات : ٣٣٦
شفاء الغرام (تاريخ مكة) : ٢٦٤ ٤٧١
صفارة الإنذار : ٧٦٧
صفة جزيرة العرب للأصفهاني : ٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٣٤٠
صورة الأرض لابن حوقل : ٢٦٥
الطائف لهنري لامنس : ٩٩
طبقات الحنابلة لابن الفرّاء : ٢٦٤
طبقات خليفة بن خيّاط (كتاب) : ٦٥ ، ٢٨٣
الطيف الطائف : ١٠٩
عبد الرحمن الأوزاعي (كتاب) : ٣٨٢
العِبر للذهبي : ٣٨٣

العقل والنقل لابن تيمية : ٧٤٣
عقود اللطائف ـ عن الطائف ـ ١٠٦
علاقة المواطن بالدوائر الشرعية : ٦٧٠
العلل ومعرفة الرجال لابن حنبل ٣٣٥
عنوان المجد ، في تاريخ نجد : ٢٨٥ ، ٣٥٤
عهد أردشير : ٢٨٤
الغارة على العالم الاسلامي : ٣٨٠
غلط العامة ، للسيوطي : ٢٧٤
فضائل مكة : ٣٣٥
فوائد الارتحال ونتائج السفر لابن فتح الله الحلبي المكي : ٢٧٦
فوائد النيل ، بفضائل الخيل : ٧٥٢
الكتابة الصحيحة : ٧٦٧
كنز الأنساب : ٤٦٦
لبّ اللباب : ٤٧٨
اللسان العربي (مجلة) : ٩٥٩
اللطائف في تاريخ الطائف : ١١٣
ما رأيت وما سمعت : ٩٩
المبعث والمغازي لقوام السنة اسماعيل ابن محمد التمي الأصفهاني : ٣٣٨
مجلة الجمعية الجغرافية العراقية : ٨٥٤
مجلة (مجمع اللغة العربية) ٩٥٩
مجلة المجمع العلمي العراقي : ٧٦٦
مجمع الأمثال للميداني : ٢٦٤
مجموعة المصطلحات العلمية والفنية : ٩٥٩
محاضرات في تاريخ العرب : ٦٧٢
مختصر جمهرة النسب : ٧٤١
مختصر في علم الأنساب : ٢٦٤
المسالك والممالك لأبي عبيد : ٧٥٤ ، ٨٥٤
المسلمون وعلم الفلك (كتاب) : ٣٨١
المعجم اللغوي التاريخي : ٩٦٠
معجم ما استعجم للبكري : ٧٤٣
مغازي رسول الله (ﷺ) : ٤٧٣
المقالات الجوهريـــة شرح المقامات للزمزمي المكي : ٢٧١
الملحمة الشعرية التاريخية : ٦٧٠
منازل الحج : ٤٧٤
من أساطيرنا الشعبية : ٢٨ ، ٢٨٨
من تاريخنا (كتاب) ٣٧٨
المنتظم في تاريخ الأمم لأبن الجوزي : ٣٣٤
المنمّق : ٥٦٥
المنهل المأمول بالبناء للمجهول : ٧٤٨
النسبة إلى المواضع : ٩٢٧
نسيم الصّبا ، ونديم الصّبا لابراهيم بن يوسف المهتار المكي : ٢٧٧ ، ٣٣٣
نشر اللطائف لابن عراق : ١٠٧ ، ٦٦٨
نقائض جرير والأخطل : (كتبت الفرزدق غلطا) ٢٦٩
النكت العصرية : ٨٦١
النوادر في اللغة : ٦٤٩
يونس بن حبيب (كتاب) ٨٦٤

٥ ــ القبائل

إياد : ٣٩٠
ثقيف : ٣٩٥
الجراكسة : ٥٧٢ ، ٦٦٧
جُهَينة : (أنظر المجلد الأول : قبيلة جهينة) : ٥٩ ، ٢٤٥ ، ٣٦٠ ، ٤٥١ ، ٦٤٨ ، ٧٣٧ ، ٩٣٢ ، ١٠٠٢ ، ١١١٤
بنو عامر بن صعصعة : ٣٩٤
قبيلة عدوان : ٣٩٠
عنزة بن أسد بن ربيعة : ٦٩٨
قريش ثقيف : ٤١٩
قشير : ١٢٧
يام : ٩٥٤

٦ ــ المواضع

١ ــ لا يذكر إلا مـــا بذكره فائدة إما بتحقيق الموضع أو تصحيح الاسم .
٢ ــ [احـذف : « ال » و « ذو »] .
أبرق خترب (معدن) ٨٢٣
الأجفر : ٩٤٠
الأحساء : (أنظر حكام الأحساء) :
الأحسن ــ معدن ــ : ٨٢٤/٨٣٢
الأخربان : ١٤٣
أدَبيٌّ : ١٠٩٢
أرْوى ــ معدن ــ : ٨٢٦
أريك : ١٠٩٢
الأزلم : ١٠٩٢
إسبيل ــ معدن : ٩٩٣
الأشعر ــ معدن : ٩٩٤
أضاخ ــ معدن ــ ٩٩٩ ، ١٠٩٤
أظايف : ١٠٦٤
الأعراف : ١٤٣
الأقحوانة ــ موضع بمكة ــ ٧٦٢
أول : ٩٤٠
الأيم : ١٠٩٤
الباحر : ٥٠٣
بحران ــ معدن ــ ٨٢٦
بدا : ٩٦٨ ، ٩٧٧
بدر : ٣٧٠ ، ٩٦٩ ، ٩٧٨
بقران ــ معدن ــ ٩٨٣
البقرة ــ معدن ــ ٨٢٧
بلاد عنزة : ٧١٠
بلاد بني قشير : ١٢٩

بلطة : ١٠٦٠ ، ١٠٦٦
بنات حرب ـ معدن ـ ٨٢٨
بنبان : ٨٤١
بواط : ٩٧٦، ٩٧٧
البئر ـ معدن ـ ٨٢٨
بيش : ٥٠٨ ، ٨٢٩
بيشة ـ معدن ـ ٨٢٩
تبراك : ١٤٤/١٥٤/١٧٥
تُرَبة ـ معدن ـ : ٨٢٩
تُربان : ٩٦٧ ، ٩٧٧
تعْشر : ٥١١
تنغة (تنعة) : ١٠٦٢
تِياس ـ معدن ـ : ٨٣١
تاج . من الناحية الأثرية : ٦٢٩
ثخب ـ معدن ـ : ٢٣١
ثنية ابن عصام ـ معدن ـ : ٨٣٢
ثنية المرة : ٩٦٤
جازان : ٦٨٢ ، ٨٧٦
الجحفة : ٩٦٨ ، ٩٧٧
جُحفان : ٦٨٠
جدة : (مؤرخو مدينة جدة)
الجُروب : ٦٨١
جزائر منطقة جازان : ٦٨٢
جزيرة فرسان : ٦٨٦
جنوب الجزيرة : (أبحاث أدبية)
(حملة حربية بين ظفار وعدن)
حائل : ١٣٢ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦١
الحجاز :(طرق المواصلات فيه) ٩٦٣
الحجون : ٨٦٥
الحراضة ـ معدن ـ ٨٣٣
حرة بني سليم معدن (أنظر المجلد الأول) ٩٩٥
حرة النار ـ معدن (انظر المجلد الأول) ٩٩٥
الحسن ـ معدن ـ ٨٣٢
حصن الباهلي : ١٤٤
حضرموت : (لمحات تاريخية)
الحفير ـ معدن ـ ٨٣٤
الحفيرة ـ معدن ـ ٨٣٤
حليت ـ معدن ـ ٨٣٥
ذو الحليفة : ٩٦٨ ، ٩٧٧ ، ١٠٥٨
الحليفة (تابعة لحائل) : ١٠٥٨
الحوراء : ٩٦٨ ، ٩٧٧
الخرّار : ٩٦٥
الخربة ـ معدن ـ ٨٣٦
خزاز : ١٤٥
خزبة : ـ معدن ـ ٨٣٧
خصلة ـ معدن ـ ٨٣٩
الخصوف : ٨٨٤
خلب : ٨٨٦
الخمس : ٨٨٧
دارين : ١٠٧٠

الدرعية : (أنظر المجلد الأول)٤٤، ٣٠٥ ، ٤٣٣
الربذة : ٩٦٦
الرضراض ـ معدن ـ ٨٤٠
رضوى ـ معدن ـ ١٠٠١
رغافة ـ معدن ـ ٩٩
الروحاء : ٩٦٩ ، ٩٧٨
الزهلول ـ معدن ـ وكتب غلطا : الذهلول ٨٤٢
سراة عدوان : ٩٩٧
السقيا : ٩٦٩ ، ٩٧٧
سنام الحمى : ١٤٦
سواج : ١٤٦
السود : ـ معدن ـ ٨٤٣
السيالة . ٩٦٧ ، ٩٧٧
الشبيكة : ـ معدن ـ ٨٤٣
الشجرتين ـ معدن ـ ٨٤٤
شَرَوْرى : ١٠٩٤
شغب : ٩٦٨ ، ٩٧٧
شمام ـ معدن : ٨٤٤
شنوكة : ٩٦٧ ، ٩٧٧
شيبان ـ معدن : ٨٤٥
شيخ ـ معدن : ٨٤٥
الصحراء ـ معدن : ٨٤٥
صعاد ـ معدن : ٨٤٦
الصفراء : ٩٦٩ ، ٩٧٨ ، ٩٩٦
الضبيب ـ معدن : ٩٠٧
ضرغد : ١٠٩٢
ضريغد : ١٠٩٢
ضنكان ـ معدن : ٩٠٧
الطائف : (قطر الطائف)
(اديب مجهول من الطائف)
(القيم) (قبائل الطائف)
ظفار : (حملة بحرية)
عاقل : ١٤٧
العبلاء ـ معدن : ٩٩٢
عدن : (حملة بحرية)
عراقيب ـ معدن : ٩٠٩
ابو عريش : ٤٩٩
عشم ـ معدن : ٩٠٩
عقيق عقيل ـ معدن : ٩١٠
عقيق المحجة ـ معدن : ٩١٢
عقيق السراة ـ معدن ٩١٢
عكاظ : ٨٥١ ، ١١٤١
العلاة ـ معدن : ١٠٠١
ذو العوسج ـ معدن : ٩١٣
العوسجة ـ معدن : ٩١٣
العير والعيرة ـ معدن : ٩١٤
العيص : ٩٦٤ ، ٩٦٨ ، ٩٧٦، ٩٧٨
العيصان ـ معدن: ٩١٤
عينونا ـ معدن : ٩١٦
عيهم ـ معدن : ٩١٧
الغريف لا العرين (موضع) : ٩٢
غضور : ١٠٥٨ ، ١٠٩٤
فران ـ معدن : ٩١٧
الفردة (انظر المجلدالاول٥٤٥):٩٦٦، ٩٦٩ ، ٩٧٦

فرسان : (جزيرة)
فرع المسور — معدن : ٩٢٦
قبر حاتم الطائي : ١٠٦٤
القبلية ـ معدن ٩٧٨
قرى عربية : ٧٦٩
قرقد ـ معدن ـ ٩٩٩
قرقرى : ١٤٥
قساس ـ معدن ـ ٩٩٢، ٩٩٣
القشراء ـ معدن ـ ٩٧٩
قطن : ٩٦٧ ، ٩٧٧
القفاعة ـ معدن ـ ٩٨٠
قنيٌ : ٢٤٨
قو : ١١٣٨
كداء : ٨٦٥
الكوكبة ـ معدن ٩٨١
اللقط ـ معدن ـ ٩٨١
لقيم (من قرى الطائف) ٣٦٦
ماوان ـ معدن ـ ٩٨٢
المحصب : ٩٤٢
المخلفة — معدن : ٩٨٣
ذو المروة : ٩٦٨ ، ٩٧٧
المزبدة : ٩٨٣
المعادن في البلاد العربية القديمة: ٥٨٠
٧٩٨ ، ٩٠٧ ، ٩٧٨ ، ١٠٩٢
المعدن — في بلاد عدوان : ١٠٠٠
معدن بني سليم : (فران)
ملل : ٩٦٧ ، ٩٧٧
المنصرف : ٩٦٧ ، ٩٧٧
منضح — معدن : ٩٨٤
المؤخرة — معدن : ٩٨٤
موزر — معدن : ٩٨٤
المهاش : ١٠٥٨ ، ١٠٩٤
ناضحة ـ معدن : ٩٨٥
النازية : ٩٦٧ ، ٩٧٧
نبعان ـ معدن ـ ٩٨٨
النخيل : ٩٦٧ ، ٩٧٧
النصب ـ معدن ـ ٩٨٥
النقرة ـ معدن ـ ٩٨٥ ، ٩٨٦
النقيب ـ معدن ـ ٩٨٧
النميرة ـ معدن ـ ٩٨٨
النير : ١٤٣ ، ١٥٠
ورقان : ٩٤٢
واسط : ١٥٠
وسط : ١٠٩٤
ودّان : ١٥٠ ، ٩٦٤ ، ٩٧٦
الهجيرة ـ معدن ـ ٩٨٩
الهدة : ٩٦٥ ، ٩٧٦
هدة الشام : ٩٧٦ ١٠٠٢
هدة الطائف : ٩٧٦
هدية ـ معدن ـ ٩٩٦
الهردة ـ معدن ـ ٩٨٩
هرشى : ٩٦٩ ، ٩٧٨
الهضب : ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥١
الهيصمية : ٦٧٣
اليحموم ـ معدن ـ ٩٩٠
ينبع ـ معدن ـ ٩٩٠
اليمن : ٩٩٧

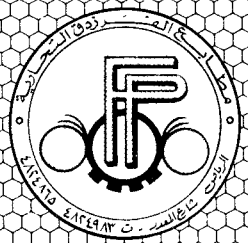
مطابع الهرم
الأوفست